

المصنف في التفسير

لعلوم القرآن الكريم

بِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ
 شَرَحَ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ
 أَسْبَابُ النُّزُولِ لِلْسُّبُحِيِّ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ
 قَوْلُهُ لَا تَقْرَأُ إِلَّا بِالْقُرْآنِ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ
 فِي الْقُرْآنِ، قَوْلُهُ لَا تَقْرَأُ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ
 قَوْلُهُ الْأَمْثَالُ الصَّالِحَةُ، قَوْلُهُ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ
 الْيَحْيَى بْنُ الْأَبِيكَ، قَوْلُهُ وَخَلِيقَةُ وَبِمَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ

مَعَ بِلَاحِ

بِبِلَاحِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ قَبَارِيسُ لِمَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ
 قَبَارِيسُ لِمَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ أَجْمَلُ تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
 مَعَ اسْتِعْمَالِ أَفْكَوَرِ الْبُرْجَانِ مَعَ اسْتِعْمَالِ أَفْكَوَرِ الْبُرْجَانِ

إِسْتَعَادَ

تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الَّذِي كُنْتُ فِيهِ مِنْ مَجْدِ قَسْدِ الطَّبَرِيِّ

مَقْدُوسِ الْقُرْآنِ بِالْعَمْرِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

المصنف في الجوامع

لعلوم القرآن الكريم

مُخْتَصَرٌ تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ
شَرَحُ اسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى
أَسْبَابُ النُّزُولِ لِلْسَّيُوطِيِّ
فَوَائِدُ بَلَاغِيَّةٌ لِاسْتِخْدَامِ الْأَلْفَاظِ
فِي الْقُرْآنِ، فَوَائِدُ لُغَوِيَّةٌ
فَوَائِدُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَوَائِدُ
الْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَاتِ، فَوَائِدُ وَعَظِيَّةٌ
تَوْجِيهٌ بِالْأَعْيَانِ لِمُتَشَابِهَاتِ الْأَلْفَاظِ
تَوْجِيهٌ بِالْأَعْيَانِ لِلْقُرْآنِ الْعَشْرِ
إِعْجَازٌ عِلْمِيٌّ وَتَشْرِيعِيٌّ
وَنَارُحِيٌّ وَاقْصَادِيٌّ وَعَدِيدِيٌّ
نُزُولُ كُلِّ سُورَةٍ وَعَدَدُ حُرُوفِهَا
وَكَلَامُهَا وَتَرْيِيدُهَا وَأَيَّانُهَا وَأَسْمَاؤها
وَمَوَاضِعُهَا وَفَضْلُهَا

مَعَ مِلْحَقٍ

مَبَاحِثُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ
فَهَارِسُ مَوْضُوعَاتِ سُورَةِ الْقُرْآنِ
فَهَارِسُ مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ
أَحْكَامُ تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
مَعَ اسْتِخْدَامِ أَفْكَرَةِ التَّرْمِيزِ اللَّوْنِيِّ لِلْكَلِمَاتِ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِعْدَادُ
جَادِمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الدكتور محمد بن محمد بن أبي
مَدْرَسُ الْقُرْآنِ بِالْحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

رَاجِعُهُ رَدِّمَ لَهُ نَحْبَةً مِنَ الْعَالَمَاءِ

الشيخ / صلاح محمد دشتبان
مَدْرَسُ الْقُرْآنِ بِالْحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ
الشيخ / الأستاذ الدكتور / أحمد محمد عبد الرزقي
رئيس قسم النجوى بكتبة دار العلوم سابقاً

الشيخ / عز الدين حسين حسن
ماجستير في أدب الحديث النبوي
الشيخ / فرج عبد العال أحمد
مَدْرَسُ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَاتِ وَعُلُومُ الْقُرْآنِ

الشيخ / أحمد حامد عبد الحافظ
مَدْرَسُ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَاتِ الْعَشْرِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبْرَى

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

بِأَوَّلِهِ خَفَضَ عَنْ عَصَمِيٍّ

بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِي

شَرَفَتْ بِطَبَاعَتِهِ

دَارُ النُّفُوسِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ شَبْرُ النُّجْمَةِ

الإدارة : ٤٤٧١٥٥٠٦ (٢٠٢)

التوزيع : ٤٤٧٣١٨٢٤ - ٤٢٢٣١١٠٣ (٢٠٢)

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع : 2014/7135

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978-977-429-262-4

مقدمة الشيخ / صلاح بن محمد شبانة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل القرآن، وجعله نوراً وهدى لأولي النهى، ومنهجاً لمن أراد الخير والبرهان، وصلى الله وسلم على من نزل عليه القرآن، فبلغه بأوضح سبيل، وأفصح لسان.

وبعد:

فقد يسر الله للأخ الكريم الشيخ / ياسر محمد بيومي خدمة كتاب ربه فكان له من اسمه نصيب، فهو ياسر وميسر لفهم القرآن المجيد، وللعمل لتوضيح معانيه ومراميه، وما فيه من خير في بلاغته وإعجازه وتشريعه.

ولطالما اشتاقت النفوس لسفر جامع يحمله قارئ القرآن ومقرئه في حله وترحاله، يشبع نهمه ويروي ظمأه فكان "المصحف الجامع" الذي أخرج له لنا الشيخ ياسر ليكون عوناً لمحِب القرآن وقارئه وحافظه، يجد فيه التفسير والتجويد والبلاغة والتوحيد والإعجاز اللغوي والعدي والتمثابه في اللفظ والقراءات وغير ذلك...

وهذا ذكرني بقول العلماء عندما أتم ابن حجر العسقلاني كتابه الرائع "فتح الباري" في شرح صحيح البخاري: (لا هجرة بعد الفتح) أي: لا هجرة لطلب علم الحديث بعد كتاب الفتح، كما لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة عام ٨ هـ فكذلك. يقال: لقد أشبع "المصحف الجامع" كل راغب وطامع ولكتاب ربه قارئ وسامع".

فجزى الله فضيلة الشيخ ياسر خير ما جزى به كل حافظ ومقرئ وسامع، وبارك الله فيمن ساهم وأعان ونشر هذا "المصحف الجامع" الذي سيلقى من أهل القرآن ومحبيه كل ثناء وشكر ودعاء بالقبول من رب كريم للسائل مجيب وللدعاء سامع.

وأوصي أهل تدريس القرآن في حلقاته وجامعاته أن يستفيدوا من هذا المصحف الجامع وأن يتداولوه فيما بينهم وبين أهل القرآن الكريم، وأدعو الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجعله في ميزان حسنات من أعده ونشره ورغب في الاستفادة منه.

وقد امتاز المصحف بدقه العرض، ورد كل معلومة إلى مصدرها، وفهرسة تسهل الوصول للمطلوب، وهو سهل في تناوله لمن رام مطلباً من تفسير أو تجويد أو قراءات أو غير ذلك، ولا يزال القرآن يجذب بأسلوبه وإعجازه من يستخرج جماله وبلاغته وحلاوته فكان هذا المصحف الجامع.

والحمد لله الذي وفق لهذا الأمر المانع والجهد النافع، وأسأل الله القبول والإخلاص لكل قارئ ومقرئ وسامع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

صلاح بن محمد شبانة

المقرئ بالمسجد النبوي الشريف

مقدمة الأستاذ الدكتور / أحمد محمد عبد الراضي

أحمد الله - تعالى - وأصلي وأسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإني سعدت سعادة غامرة باستقبال هذا العمل الجليل الذي قام به الأستاذ/ ياسر محمد مرسى، وقد أسماه: المصحف الجامع؛ لما يحتويه من تعليقات علمية سديدة على كل آية من آيات كتاب الله - تعالى -، وهذه التعليقات تشتمل على لطائف المعاني، ودقائق الفوائد، وأسباب النزول، وأسرار التكرار، ووجوه الإعجاز، وتوجيه القراءات، وكان المؤلف قد أفرد لكل جانب من هذه الجوانب مصحفاً، ولكنه أراد في هذه المرة أن يجمع هذه الجوانب في مصحف واحد؛ لتكون الفائدة أتم وأشمل.

وقد شرفت بدراسة القراءات القرآنية في ضوء العلوم العربية من أصوات وصرف ونحو ولغة من خلال مرحلتي الماجستير والدكتوراه، حيث درست في الماجستير قراءة ابن عامر: صوتياً وصرفياً ونحوياً، وفي الدكتوراه، مواقف النحاة من القراءات القرآنية من أول القرن الخامس إلى أواخر القرن الثامن الهجري، ولم تتوقف دراساتي بعد ذلك حول كتاب الله - عز وجل -، فإني الآن بصدد إعراب القرآن وقراءاته إعراباً ميسراً، أسأل الله - تعالى - أن يوفقني إلى إكماله.

وأعلم علم اليقين أن هذا العمل - وهو المصحف الجامع - قد بذل فيه صاحبه جهداً عظيماً، كما أعلم علم اليقين أن هذا العمل سيملاً فراغاً في المكتبة العربية والإسلامية، وسوف يسعد القارئ المسلم بهذا العمل الذي أرجو من الله - عز وجل - أن ينفع به كل من التمس فيه نفعاً، كما أسأل الله تعالى أن يجزي صاحبه عنه خير الجزاء.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم

بقلم الأستاذ الدكتور
أحمد محمد عبد الراضي
رئيس قسم النحو بكلية دار العلوم سابقاً
وأستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم



مقدمة الشيخ / عز الدين حسين حسن دياب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإنني أعتقد - جازماً - أنه لو لم يقدم الأخ العزيز: ياسر محمد مرسى لمكتبة علوم القرآن سوى هذا العمل الذي بين أيدينا - لكفاه ذلك فخراً وشفراً. لقد أنعم الله عليه بهذه الفكرة العبقريّة التي لم يسبقه إليها أحد - فيما أعلم - من الباحثين.

فكرة المصحف الجامع الذي يحوي كل ما يحتاج إليه القارئ العادي والمتخصص من معلومات حول سور المصحف وآياته. إنها سياحة إيمانية وعلمية ممتعة يبدأها المتصفح بالتعبّد بتلاوة الآيات، وانسراح الصدر لوقع الكلمات، ثم لا يكاد يهيم بطيّ الصفحة حتى يلتفت نظره شرح يضيء جوانبها، ويفتح مغاليقها وإن احتوت على اسم من أسماء الله، فسوف يجد معناه مسطوراً بين يديه، وإن كان للآية سبب للنزول فالسطور التالية ستهديه إليه، وسيدلف بعد ذلك إلى بحار المتشابهات، فيأتيه من أسرارها ما تقرُّ به عيناه، ثم تُقرب إليه مائدة الفوائد اللغوية والأسرار البيانية ليغتترف منها ما تطيب به نفسه.

ولا يلبث بعد ذلك أن يتحفه علم القراءات بالطريف من أوجه توجيه الآيات، وبيان أحرف اللغات، ثم لا يكاد يفكر في أن يغادر الصفحة إلى الصفحة التي تليها حتى تُعرض عليه عجائب الإعجاز العلمي والعددي والطبي والغبيي، وأسماء السور وفصائلها، ومضامينها وغاياتها هي مائدة عامرة إذا جمعت كل طيب وسمين، وكتاب واحد ضم بين دفتيه كل طريف وثمين.

إنني فخور بلا تحفظ بهذا العمل الجليل، وسعيد بمشاركتي في مراجعته، لقد قمت بتدقيق حواشيه، وتخريج ما لم يكن مخرجاً من أحاديثه، وضبط لغته، وأشهد أن جهد الشيخ ياسر فيه كان متميزاً للغاية، فالعمل الذي قام به وحده كان يحتاج إلى لجنة من المتخصصين في علوم القرآن كي تستطيع تجميع أشات هذه المواد الشريفة، وتضمينها في نسق واحد.

لن أطنب في الثناء على هذا المصحف وصاحبه، فالعمل الآن بين أيدي القراء، يجنون شهد فوائده، ويقتطفون ثمار حكمته، ويرتشفون رحيق علومه، لكنني أحسب - صادقاً - أن مكتبة أي مسلم سوف لن تستغني عن هذه الموسوعة القرآنية الفريدة.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل لأخيّننا ياسر في موازين الحسنات، وأن يكفر عني وعنه بفضل به بعض ما قدمنا من سيئات، وأن لا يحرمني وإياه، وكل من بذل فيه جهداً من رفيع الدرجات، إنه - سبحانه وتعالى - وحده مُقِيل العثرات، غافر الزلات، رافع الدرجات.

وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عز الدين حسين حسن دياب
الباحث في العلوم الشرعية واللغوية
ماجستير في أدب الحديث النبوي الشريف

مقدمة الشيخ / فرج بن عبد العال

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله، وألهمه نور الإيمان فزيّنه به وجملّه، وعلمه البيان فقدمه به وفضّله، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمّله، ثم أرسل عليه سترًا من رحمته وأسبله، ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله، من علم حصّله، ونطق سهّله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجّلّه، ونبّه الذي أرسله بكتاب أنزله وعلى سائر الكتب فضّله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما كبر الله عبدٌ وهلّله. وبعد: فقد دفع إلى ولدي الحبيب وتلميذي النجيب / ياسر حفظه الله ورعاه وأسبل عليه ستره ومن فضله وجوده وحلمه وكرمه أعطاه - هذا المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم - الذي أحسن في عرضه ومُسمّاه، فقد حوى علومًا جمّة، وقطوفًا من الفنون مهمّة، لا يستغني عنه عالم مجتهد، ولا طالب علم مبتدئ. فيا مَنْ رُمّت العلّاء في الدنيا قبل الآخرة، ها هي مكتبة متكاملة الأركان بين يديك فاغتنم ما فيها من العلوم، ولا تنس إخوانك من دعوة صادقة بظهر الغيب حتى يقول لك الملك: ولك بمثله. جزى الله واضعه خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته ورفع به إلى أعلى الدرجات.

أبو الحسن فرج بن عبد العال بن أحمد

مدرس القرآن الكريم والقراءات وعلوم التفسير

بمدينة حلوان حفظها الله تعالى



مقدمة الشيخ / أحمد حامد عبد الحافظ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد: لقد أطلعني الأخ الفاضل الشيخ / ياسر على موضوع: (المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم)، الذي وضع على هامشه مجموعة لبعض علوم القرآن الكريم، وهي:

أولاً: مختصر تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

ثانيًا: شرح مختصر لأسماء الله تعالى الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

ثالثًا: أسباب نزول القرآن الكريم للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

رابعًا: توجيه بلاغي للآيات والألفاظ المتشابهات في القرآن الكريم.

خامسًا: فوائد لغوية وبلاغية للآيات القرآنية...

سادسًا: توجيه بلاغي للقراءات العشر المتواترة.

سابعًا: إعجاز علمي وتشريعي وتاريخي واقتصادي وعددي في القرآن الكريم.

ثامنًا: نزول كل سورة وبيان المكي والمدني من سور القرآن الكريم...

تاسعًا: مباحث خاصة بعلوم القرآن الكريم.

عاشرًا: فهرس لموضوعات سور القرآن الكريم.

حادي عشر: فهرس لموضوعات القرآن الكريم.

ثاني عشر: أحكام تجويد القرآن الكريم.

وبهذا الجمع وهذا الترتيب قد أضاف الأخ ياسر سفرًا رائعًا في علوم القرآن الكريم. نسأل الله العظيم أن يتقبل منه ويجزيه خير الجزاء، وأن يغفر لنا وله، أنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أحمد حامد عبد الحافظ آل طعيمة

مدرس القرآن الكريم والقراءات العشر

الصغرى والكبرى بمعهد ابن الجوزي الأزهرى

مقدمة الشيخ / فرج بن عبد العال

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله، وألهمه نور الإيمان فزيّنه به وجملّه، وعلمه البيان فقدمه به وفضّله، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكملها، ثم أرسل عليه سترًا من رحمته وأسبله، ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله، من علم حصّله، ونطق سهّله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجّله، ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وعلى سائر الكتب فضّله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما كبر الله عبدٌ وهلّله. وبعد: فقد دفع إلى ولدي الحبيب وتلميذي النجيب / ياسر حفظه الله ورعاه وأسبل عليه ستره ومن فضله وجوده وحلمه وكرمه أعطاه - هذا المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم - الذي أحسن في عرضه ومُسمّاه، فقد حوى علومًا جمّة، وقطوفًا من الفنون مهمّة، لا يستغني عنه عالم مجتهد، ولا طالب علم مبتدئ. فيا مَنْ رُمّت العلّا في الدنيا قبل الآخرة، ها هي مكتبة متكاملة الأركان بين يديك فاغتنم ما فيها من العلوم، ولا تنس إخوانك من دعوة صادقة بظهر الغيب حتى يقول لك الملك: ولك بمثله. جزى الله واضعه خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته ورفع به إلى أعلى الدرجات.

أبو الحسن فرج بن عبد العال بن أحمد

مدرس القرآن الكريم والقراءات وعلوم التفسير
بمدينة حلوان حفظها الله تعالى



مقدمة الشيخ / أحمد حامد عبد الحافظ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد: لقد أطلعني الأخ الفاضل الشيخ / ياسر على موضوع: (المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم)، الذي وضع على هامشه مجموعة لبعض علوم القرآن الكريم، وهي:

أولاً: مختصر تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

ثانيًا: شرح مختصر لأسماء الله تعالى الحسنی الواردة في القرآن الكريم.

ثالثًا: أسباب نزول القرآن الكريم للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

رابعًا: توجيه بلاغي للآيات والألفاظ المتشابهات في القرآن الكريم.

خامسًا: فوائد لغوية وبلاغية للآيات القرآنية...

سادسًا: توجيه بلاغي للقراءات العشر المتواترة.

سابعًا: إعجاز علمي وتشريعي وتاريخي واقتصادي وعددي في القرآن الكريم.

ثامنًا: نزول كل سورة وبيان المكي والمدني من سور القرآن الكريم...

تاسعًا: مباحث خاصة بعلوم القرآن الكريم.

عاشرًا: فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم.

حادي عشر: فهارس لموضوعات القرآن الكريم.

ثاني عشر: أحكام تجويد القرآن الكريم.

وبهذا الجمع وهذا الترتيب قد أضاف الأخ ياسر سفرًا رائعًا في علوم القرآن الكريم. نسأل الله العظيم أن يتقبل منه ويجزيه خير الجزاء، وأن يغفر لنا وله، أنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أحمد حامد عبد الحافظ آل طعيمة

مدرس القرآن الكريم والقراءات العشر
الصغرى والكبرى بمعهد ابن الجزري الأزهرى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فالحمد لله الذي أنزل الفرقان على محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً، معجزاً للإنس والجن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، نحمده على تفضله علينا بكتابه فضلاً كبيراً، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب، وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تركيبه القلوب، نزله آيات بينات، وفصله سوراً وآيات، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب، ونظمه أعظم نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب.

الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه، ووقفنا على الجليل من حكمه وأحكامه وآدابه...

اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو

استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء حزنا، وذهاب همنا...

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها؛ ودائرة شمسها ومطلعها،

أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن الأمور التي تُقَوِّي الإيمان وتجلبه تدبُّر القرآن الكريم، فإن المُتدبِّر

للقرآن لا يزال يستفيد من علومه ومعارفه ما يزداد به إيماناً، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه، وإحكامه، وأنه يُصدِّق

بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا اختلاف، فإذا قرأه العبد بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد

به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه، فهذا من أعظم مقوِّيات الإيمان، وحسن

التأمل لما يرى العبد، ويسمع من الآيات المشهودة، والآيات المتلوَّة، يثمر صحة البصيرة، وملاك ذلك كله هو

أن ينقل العبد قلبه من وطن الدنيا، ويسكنه وطن الآخرة، ثم يقبل به كله على معاني القرآن، ويتدبر معانيه، ويفهم

ما يراد منه، وما أنزل لأجله، ويأخذ نصيبه وحظه من كل آية من آياته، وينزلها على داء قلبه. فهذه طريقة مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى. وهي من أقرب الطرق لتدبر القرآن.

فمن باب التيسير على المسلمين لفهم كتاب الله عز وجل وتدبره، والتعرف على علومه، قمنا بإعداد هذا المصحف الشريف وعنواننا له: بـ «المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم» وقد عرضنا به مجموعة علوم من علوم القرآن الكريم، وقمنا باستخدام الترميز اللوني لكل علم من العلوم، وإليك بياناً لهذه العلوم والألوان الخاصة بها:

١ - مختصر تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

٢ - شرح مختصر لأسماء الله تعالى الحسنی الواردة في القرآن الكريم.

٣ - أسباب نزول القرآن الكريم للإمام السيوطي رحمه الله تعالى^(١).

٤ - توجيه بلاغي للآيات والألفاظ المتشابهات في القرآن الكريم.

٥ - فوائد لغوية وبلاغية للآيات القرآنية.

٦ - فوائد الأعمال الصالحة مستخرجة من الآيات.

٧ - فوائد الجمع بين الآيات القرآنية.

٨ - فوائد وعظية مستخرجة من آيات القرآن الكريم.

٩ - توجيه بلاغي للقراءات العشر المتواترة للقرآن الكريم وبيان ما بها من فوائد وإعجاز...

١٠ - إعجاز علمي. ١١ - إعجاز تشريعي. ١٢ - إعجاز تاريخي. ١٣ - إعجاز اقتصادي. ١٤ - إعجاز عددي.

١٥ - نزول كل سورة وبيان المكي والمدني من سور القرآن الكريم. ١٦ - أسماء كل سورة من سور القرآن.

١٧ - ترتيب كل سورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها. ١٨ - مواضع كل سورة. ١٩ - فضل كل سورة.

مع ملحق: ١ - مباحث في علوم القرآن الكريم^(٢). ٢ - أحكام تجويد القرآن الكريم.

٣ - فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم. ٤ - فهارس لموضوعات القرآن الكريم.

وأرجو من كل مسلم اطلع على هذا العمل، أن يدعو لي ولوالدي ولكل من أسهم في إخراج هذا المصحف، بالعتفو والغفران والستر في الدنيا والآخرة، وأسأل الله أن ينفع به، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن الكريم

ياسر محمد مرسى بيومي

غفر الله له ولوالديه ولشايخه ولجميع المسلمين

للتواصل: +966541842011 - 01112714080

bayomy89@yahoo.com

(١) وقد اختصرنا كتاب «لباب النقول في أسباب النزول» للإمام السيوطي بحذف الروايات المتكررة.

(٢) هذه المباحث خاصة بالعلوم المذكورة بهامش المصحف وغير المذكورة كذلك.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿أَعُوذُ﴾: استجير ﴿بِاللَّهِ﴾: «الله» ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق، ومعنى إله: أن الخلق يألهون إليه في حوائجهم، أي: يضرعون إليه في كل ما ينوبهم، و«الألوهة»: هي العبادة، و«الإله»: هو المعبود. ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: «الشيطان»: كل متمرّد من الجن والإنس والدواب وكل شيء. ﴿الرَّجِيمِ﴾: هو الملعون المشتوم، وكل مشتوم بسبب ورديء من القول فهو مرجوم.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: بمعنى: بذكر الله، وتسميته أبداً وأقرأ ﴿الرَّحْمَنَ﴾: إعلان من الرحمة، ومعناها: الرقة ﴿الرَّحِيمِ﴾: بمعنى: الرفيق، من الرّفق، وهما اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة. و«الرحمن» لا يطلق على غير الله ﷻ. ٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: سيد العالمين، والعالمون: جمع عالم، والعالم: جمع لا واحد له، وكل جنس من الحيوان فهو عالم، والعالم كل ما سوى الله تعالى. ٤- ﴿مَلِكٍ﴾: مشتق من الملك ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: «الدين» في هذا الموضع: الحساب والمجازاة بالأعمال، ويوم يُدان الناس بالحساب أي: يُجازون، وقرئ: مالك وملك. ٥- ﴿إِيَّاكَ﴾: بمعنى لك ﴿تَبَّذُّهُ﴾: نخضع ونذل ﴿نَسْتَعِثُ﴾: نسال المعونة على طاعتك وعلى جمع أمرنا. ٦- ﴿أَهْدِنَا﴾: في هذا الموضع: وفقنا وأهملنا ﴿الصِّرَاطَ﴾: الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: الواضح الذي لا اعوجاج فيه. والعرب تستعمل «الصراط»: في كل عمل وقول ووصف باستقامة واعوجاج؛ فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه. ٧- ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: هم الملائكة والنبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون ﴿الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمْ﴾: هم كل من علم الحق وحاد عنه قيل: ومنهم اليهود

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: هم كل من جهل الحق فلم يتبعه قيل: ومنهم النصاري. أما قول «آمين» فهو دعاء بمعنى استجب يا رب، وقد شرع بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ. [١، ٣] ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] عند من جعلها آية، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ في آيتين متقاربتين أقوال: قيل: كررت للتوكيد، وقيل: لأن المعنى في الآية الثانية: وجب الحمد؛ لأنه الرحمن الرحيم، وقيل: إنما كررت لأن الرحمة هي الإنعام على المحتاج، وذكرت الآية الأولى المنعم ولم تذكر المنعم عليهم، فأعادها مع ذكرهم، فقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بهم جميعاً، ينعم عليهم ويرزقهم، ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين يوم الدين، ينعم عليهم ويغفر لهم. [٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢، الأنعام: ١، الكهف: ١، سبأ: ٢، فاطر: ١]. ذكر لفظ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في فواتح السور خمس مرات؛ افتتح بها الفاتحة لأنها هي أم القرآن ومطلع الكتاب العزيز، وأول سورة في الترتيب الثابت، ومشروعية حمده سبحانه في ابتداء الأمور متقرر معلوم، وابتداء الأنعام بالحمد ليناسب خاتمة سورة المائدة، وفيها حمد عيسى عليه السلام لجلال الله في ذلك اليوم العظيم وفي ذلك الجمع المهيب، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة، وابتدأت الكهف بالحمد ليناسب ختم الإسراء بحمد الله، وأنه تنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، وافتتحت سبأ بالحمد لتتناسب خاتمة الأحزاب بتوبة الغفور الرحيم على المؤمنين والمؤمنات، وابتدأت فاطر بالحمد ليناسب ختم سبأ بأخذ الكفار أخذاً اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم الظهور، وبالحيلولة بينهم وبين جميع ما يشتهون، فظهر أن الحمد يكون بالمنع والإعدام، كما يكون بالإعطاء والإنعام. [٥] ﴿إِيَّاكَ تَبَّذُّهُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾ [الفاتحة: ٥]. لماذا ذكرت ﴿إِيَّاكَ﴾ مرتين؟ **الجواب:** تكررت ﴿إِيَّاكَ﴾ المفيدة للحصر إذا تقدمت، للتصريح بتوكيد حصر الإخلاص في العبادة له، وحصر الاستعانة أيضاً به تعالى. [٦، ٧] ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. لماذا ذكر ﴿الصِّرَاطَ﴾ مرتين؟ **الجواب:** ﴿الصِّرَاطَ﴾ هو المكان المهيأ للسلوك، فذكر في الأول المكان، وذكر في الثاني وصف سالكيه من السفرة والصدّيقين. [٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. لماذا ذكرت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مرتين؟ **الجواب:** لأن الأولى منهما متصلة بالإنعام، والثانية بالغضب، فكل واحد منهما يقتضيه اللفظ. [٣] ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]. لماذا قدم اسم الرحمن على الرحيم؟ **الجواب:** لما كانت رحمته في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين، قدّم الرحمن، وفي الآخرة دائمة لأهل الجنة لا تنقطع، قبل الرحيم ثانياً، ولذلك يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

[٤] ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ﴾ قرئ: (مالك) بالألف مدّاً على أنه اسم فاعل من (ملك) ملكاً بالكسر، أي: مالك مجيء يوم الدين، والمالك بألف هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء، ومالك أعم وأجمع للمعاني في المدح، ولأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى. وقرئ: (ملك) بالقصر على وزن صفة مشبهة أي: قاضي يوم الدين، والملك بالحذف هو المتصرف بالأمر والنهي في الأمور من المُلْك بضم الميم، وقيل: إن ملك أبلغ من مالك؛ لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملك، وللإجماع على قوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ وقوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ولما روي عن ابن عمرو بن العلاء أنه قال: (ملك) يجمع معنى مالك، ومالك لا يجمع معنى ملك؛ لأن مالك يوم الدين معناه: مالك ذلك اليوم بعينه و(ملك يوم الدين): معناه ملك ذلك اليوم بما فيه فهو أعم. وقيل: إن مالك أبلغ؛ لأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى.

نزول سورة الفاتحة: نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، واختلف العلماء في موضع نزولها. فقيل: نزلت بمكة وهو الصحيح، لأنه لا يعرف في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب. وقيل: نزلت بالمدينة مرة، وبمكة مرة. ولهذا قيل لها: السبع المثاني؛ لأنها تُثْنِي في النزول. **عدد كلمات سورة الفاتحة:** خمس وعشرون. **عدد حروف سورة الفاتحة:** مائة وثلاثة وعشرون. **أسماء سورة الفاتحة:** قريبة من ثلاثين: الفاتحة، فاتحة الكتاب، الحمد، سورة الحمد، الشافية، الشفاء، الأساس، أساس القرآن، أم القرآن، أم الكتاب، الوافية، الكافية، الصلاة، سورة الصلاة، السبع المثاني؛ لأنها تُثْنِي، أي تكرر، في كل صلاة، أو لاشتغالها على الثناء على الله تعالى، أو لتثنية نزولها، سورة الفاتحة، سورة الثناء، سورة أم القرآن، سورة أم الكتاب، سورة الأساس، الرقية. **مواضيع سورة الفاتحة:** تعليم العباد التيمّن والتبرّك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور، والتلقين بشكر نعم المنعم؛ والتوكّل عليه في باب الرزق المقسوم، وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتنبية على ترقّب العبد الحساب والجزاء يوم=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُرَّ ١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا أَلْخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ٤
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ

أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة». ١- **المر**: اختلف العلماء فيه، قيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: هو مما يفتح به القرآن. وقيل: هو قسم. وقيل: هو من سر القرآن الذي لا يعلمه إلا الله. ولعل أقرب ما قيل فيها: إنها إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف الهجاء التي بناءً كلامهم عليها؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم. ٢- **ذلك الكتاب**: هذا القرآن **لا ريب فيه**: لا شك **هـدى**: نور. و«الهدى» في هذا الموضع: مصدر هديت فلاناً الطريق؛ إذا دللته عليه **المتقين**: الخائفين، من تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك. ٣- **يؤمنون**: يصدقون، و«الإيمان» التصديق. **بالغيب**: ما جاء عن الله -**ﷻ**- من الإيمان بالله، والملائكة، والبعث، والجنة، والنار، مما لم ير وغاب عن الحس والمشاهدة. **ويقيمون**: يؤدون ولا يعطلون، كما يقال: أقيمت السوق؛ إذا لم تعطل من البيع والشراء فيها. والإقامة في الأصل: الدوام والثبات، **الصلوة**: أصلها في كلام العرب: الدعاء، ثم أطلقت على الصلوات المعروفة التي تفتح بالتكبير وتختتم بالتسليم. **وممما رزقهم ينفقون**: يعطون الزكاة، وغيرها من أنواع الصدقات والنفقات، احتساباً لها. ٤- **وما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**: بما جئت به عن الله **وما أنزل من قبلك**: من كتب الله -**ﷻ**- عن المرسلين **ويأخرون**: الدار الآخرة وما فيها من بعث ونشور وجنة ونار وغيرها مما ورد في الكتاب وصحيح السنة، وهي الدار التي تتلو الدنيا **يوقنون**: يصدقون ويحققون. ٥- **المفلحون**: المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى، والمفلح: الفائز بالبغيه.

[١] **المر**: تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. تكررت هذه الآية **المر** في أوائل ست سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: **وَأَخْرَجْنَا مَثَرَاتٍ لِّكَ** [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى^(١). قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم، فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٥] **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**: [البقرة: ٥]، لقمان: [٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي البقرة ولقمان، وهي تدل على أن المتصفين بالصفات السابقة على بيان من ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة. [٦] **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** [البقرة: ٦]، **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** [يس: ١٠]. في يس **سَوَاءٌ** بزيادة واو؛ لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم إن **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** [يس: ٩]. وما في يس جملة عطف على جملة **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** [يس: ٩].

[٥] **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [البقرة: ٥]. أتى بـ **عَلَىٰ** في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ **فِي** كما في قوله: **وَأَنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر.

[٧] **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ** [البقرة: ٧]. لماذا أفرد السمع وجمعت القلوب والأبصار في الآية الكريمة؟ **الجواب**: السمع يستقبل الصوت فقط ولا يستقبل شيئاً آخر، فالسمع يتعامل مع شيء واحد وهو الصوت اللغوي، وأما البصر فيتعامل مع أشياء كثيرة، وكذلك القلب، فالذي يتعامل مع الكثير استعمل له الجمع، والذي يتعامل مع الواحد استعمل له المفرد. [٧] **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ** [البقرة: ٧]. قدم السمع على البصر في غالب مواضع القرآن الكريم =

= القيامة، وإخلاص العبودية عن الشرك، وطلب التوفيق والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات، وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله، والرغبة في سلوك مسالكهم، وطلب الأمان من الغضب، والضلال في جميع الأحوال، والأفعال، وختم الجميع بكلمة أمين، فإنها استجابة للدعاء، واستنزال للرحمة، وهي خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة كتابه. **فضل سورة الفاتحة**: قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد الملقى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن يخرج من المسجد؟" فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن؟ قال: "الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته" **رواه البخاري**. وقال رسول الله ﷺ: عن الرب تبارك وتعالى، أنه قال: "إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى: سَمِعَ عَبْدِي. وإذا قال: الحمد لله رب العالمين يقول الله: حَمْدِي عَبْدِي. وإذا قال: هذا بيني وبين عبدني نصفين. وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة يقول الله: هذا لعبدني ولعبدني ما سألت". **رواه مسلم**. بينما جبريل عند النبي ﷺ سمع نقيضاً - **أي صوتاً** - من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منها إلا أعطيته" **رواه مسلم**. روى الإمام أحمد في مسنده أن أبا بن كعب قرأ على الرسول ﷺ أم القرآن الكريم فقال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا =

(١) **المتشابه اللفظي**: عرفه الإمام الزركشي في البرهان فقال: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء. ومراده في التعريف بالقصة الواحدة: اللفظ القرآني المعين يرد بصور متشابهة. ومعنى التشابه فيها الاختلاف بين ألفاظها بالزيادة والنقص، أو الإبدال، أو التقديم والتأخير، أو التكرار، وغير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيات، وهذا كله مما يشكل على القارئ الحافظ، ولهذا يسمى القراء هذا النوع **المشكيل**. أما **المتشابه المعنوي**: فهو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور. قول آخر في **المتشابه المعنوي**: هو ما احتمل أوجهها، ويعزى هذا الرأي إلى ابن عباس ويجرى عليه أكثر الأصوليين.

٦- **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**: جحدوا: وأصل «الكفر» في الكلام التغطية، وسُمِّي الكافر كافراً لأنه يغطي بكفره ما يجب أن يكون عليه من الإيمان **﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾** أي: هذا مثل هذا؛ مأخوذ من التساوي **﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾**: حذرتهم. ٧- **﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾**: طبع **﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾**: غطاء، والمراد بالختم والغشاوة هنا: المعنويان لا الحسيان؛ وذلك لعدم انتفاعهم بالأسماع والأبصار في الهداية والاستدلال. ٩- **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾**: يظهرهم ما لا يُسررون؛ أي يقولون بالستهم من كلمات الإيمان والانقياد خلاف ما يطمنون في نفوسهم من الكفر والتكذيب وهو خادعهم أي أنه منع من دمائهم وأموالهم، بما يظهرهونه استدراجاً لهم، حتى يلقوه كفاراً. **﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**: يدرون. ١٠- **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾**: سقم، ومعناه-ها هنا-: شك في اعتقاد قلوبهم **﴿أَلِيمٌ﴾**: موجه. ١١- **﴿لَا نَفْسٍ دُونَهُ﴾**: أي: بالكفر وموالاته الكفرة. «الإفساد» ضد الإصلاح، وهو العمل بما لا يرضاه الله ويضر الناس. ١٣- **﴿السَّفَهَاءُ﴾**: جمع سفيه، وهو الجاهل الضعيف الراي، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار. ١٤- **﴿شَاطِطِيهِمْ﴾**: إخوانهم ورؤساؤهم في النفاق والكفر، **﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾**: ساخرون. ١٥- **﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾**: أي يجازيهم على استهزائهم. وهذا من باب تسمية العقوبة باسم المذنب، **﴿وَيَسُدُّهُمْ﴾**: يملئ لهم ويزيدهم على وجه الإملاء في غتوهم **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾** «الطغيان»: فعلان، من قولك: طغا فلان؛ إذا تجاوز في الأمر حدّه وبغى. **﴿يَعْمَهُونَ﴾**: العمه نفسه: الضلال. والمعنى: أنهم بتجاوزهم للحد قد دخلوا في عداد الضالين. ١٦- **﴿أَشْتَرُوا﴾**: أخذوا **﴿الضَّلَالَةَ﴾**: الكفر **﴿بِالْهُدَى﴾**: بالإيمان **﴿فَمَارِحَتْ﴾**: «الريح»: ضد الخسارة في التجارة **﴿مُهْتَدِينَ﴾**: رُشداً. [٦] قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** الآيتين. أنهما نزلتا في يهود المدينة. وأخرج عن الربيع بن أنس قال: آيتان نزلتا في قتال الأحزاب **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾** إلى قوله: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**.

٧- **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾** [البقرة: ٧]، **﴿وَحَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ﴾** [البقرة: ٧]، **﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾** [البقرة: ٧]. قدمت القلوب على الأسماع في البقرة، والعكس في الجاثية؛ وذلك لأنه في البقرة ذكر القلوب المريضة، فقدم القلوب لذلك، وفي الجاثية ذكر الأسماع المعطلة فقدم الأسماع لذلك، ثم إن آية البقرة ذكرت صنفين من أصناف الكافرين هم أشد ضللاً وكفراً ممن ذكرتهم آية الجاثية، وأخبر تعالى في آية البقرة أن هؤلاء الكفار ميؤوس من إيمانهم، ولم يخبر بذلك في الجاثية، ثم كرر حرف الجر «على» مع القلوب والأسماع في آية البقرة، مما يفيد تأكيد الختم، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، ثم قال في البقرة: **﴿وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾** بالجملة الاسمية التي تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا، وإنما هذا شأنهم فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام، في حين قال في الجاثية: **﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾** بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث، ثم ختم آية البقرة **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، وذلك يدل على أن صفات الكفار في البقرة أشد تمكناً فيهم، ولذلك قدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم، فإن القلب هو محل الهدى والضلال، وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر. [٨] **﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرُ﴾** [البقرة: ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع **﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرُ﴾** عدا [النساء: ٣٨، التوبة: ٢٩] **﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرُ﴾**. قوله: **﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرُ﴾** الوحيدة في القرآن التي تكرر فيها العامل «الباء»، مع حرف العطف «و»، ولا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريية وإبعادًا للتهمة؟، فكانوا في ذلك كما قيل: «يكاد المريب يقول خذوني»، فنفى الله الإيمان عنهم بأؤكد الألفاظ فقال: **﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾** [البقرة: ٨]، ثم جاءت مع النفي في موضعي النساء والتوبة، ووضح فيهما معنى التوكيد. [١٢، ١٣] **﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾**، **﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٢، ١٣]. الشعور هو ما يحس به الجسد دون حاجة إلى فكر وتدبر، وهذا يشترك فيه العاقل وغير العاقل، والنفاق يؤدي إلى الفساد فيما يحس به ويشعر به، فختمت الآية الأولى بـ **﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾**، أما العلم فلا يكون إلا عن فكر وتدبر، وهم وصفوا المؤمنين بالسفه -وهو الجهل-، فنفى الله عن المؤمنين هذا، ووصف به المنافقين، وختمت الآية الثانية بـ **﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾**، وهذا من دقائق القرآن. فتأمل.

= فما فائدة؟ **الجواب**: السمع أشرف، لأن به تثبت النبوات، فأخبار الله تعالى وأوامره ونواهيه وأدلته وصفاته تعالى تثبت بالسمع، بخلاف البصر، ولذلك لم يبعث الله نبياً أصم أصلاً، وفي الأنبياء من كان مكفوفاً، مثل سيدنا يعقوب لما أصابه العمى من الحزن على يوسف. [٩] **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَفْسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** قوله تعالى: **﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾** قرئ: **﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾** بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال مضارع خدع على أن المفاعلة من جانب واحد، كقول القاضي: عاقبت اللص. ومخادعتهم كانت للنبي ﷺ وللمؤمنين ولم يقع من النبي ﷺ والمؤمنين لهم مخادعة، والخداع إظهار خلاف ما في النفس. وقرئ: **﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾** بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال لمناسبة أول الآية، وعلى هذه القراءة إما أن تكون المفاعلة على بابها من جانبين، إذ هم يخادعون أنفسهم بما يمتنونها من الأباطيل وتُمنِّيهم أنفسهم كذلك أيضاً. وإما أن تكون المفاعلة من جانب واحد كما في القراءة الأولى أي: يخادعون أنبياء الله وأوليائه وهم لا يشاركونهم ذلك. [١٠] **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** قوله تعالى: **﴿يَكْذِبُونَ﴾** قرئ: **﴿يَكْذِبُونَ﴾** بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الدال مخففة من «كذب» اللازم. وهو من الكذب الذي اتصفوا به كما أخبر الله تعالى عنهم، وحملًا على ما قبله من قوله تعالى: **﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾** فأخبرهم أنهم كاذبون في = [١٤] **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَاطِطِيهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾** إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة في القرآن الكريم، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة في القرآن الكريم. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساو أيضاً (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= **أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، هِيَ السَّعْ الْمِثْنَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ** «صححه الألباني». وروي عن الحسن البصري أنه قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْفُرْقَانُ، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب.

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدًا وَأَرْبَکُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧- ﴿مَثَلُهُمْ﴾: «المثل»: الشبه، وقيل: معناه-ها هنا- حالهم وصفتهم. ١٨- ﴿صُمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أي بقي أصحاب تلك النار المضئية بعد انطفائها لا يسمعون مناديا، وخرسا لا يستطيعون السؤال عن الطريق، عميا لا يرونها فلا يتمكنون من الرجوع إلى طريقهم، وكذلك أهل النفاق. ١٩- ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: كغيث؛ من قولك: صاب المطر يصبوب صوباً، إذا انحدر ونزل. وهو نحو: سيد، من ساد يسود، ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: أصل «الصاعقة»: كل أمر هائل يؤدي إلى هلاك وذهاب عقل؛ أو فقدان بعض آلات الجسم سواء أكان ناراً أم غيرها. ﴿يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ﴾: «الإحاطة» أصلها: الاجتماع والاحتواء على كل شيء. والمعنى: أن الكفار جميعاً لا يفوتون الله سبحانه بوجه من الوجوه. ٢٠- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: «كاد» في كلام العرب بمعنى: قارب ﴿يَخْطَفُ﴾: يلتمع، و«الخطف»: السلب. ﴿قَامُوا﴾: وقفوا وتحيروا. وروي عن ابن مسعود في معنى الآية: أن المنافقين: إذا صلحت أقوالهم وكثرت أولادهم وأموالهم قالوا: إن دين محمد صدق، وإذا تغيرت النعمة قالوا: هذا من أجل دين محمد، وارتدوا كفاراً. ٢١- ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: مهاداً وقراراً ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: ابنتى السماء فوقهم كهيئة القبة على البيت. ٢٢- ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: مهاداً وقراراً ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: ابنتى السماء فوقهم كهيئة القبة على البيت. ٢٣- ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: مهاداً وقراراً ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: ابنتى السماء فوقهم كهيئة القبة على البيت. ٢٤- ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: مهاداً وقراراً ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: ابنتى السماء فوقهم كهيئة القبة على البيت.

[١٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا﴾ أخرج الواحدي والشعلبي من طريق محمد بن مروان والسدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أردُّ عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأتوا عليه خيراً. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية، نقول: هذا الإسناد واهٍ جداً، فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف. [١٩] ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلوا كلما أصابهما الصواعق جعلوا أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلها، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوءه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان فجعلوا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعوا أيديهما في يده وحسن إسلامهما، فغضب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء، أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذاك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصاوبو غنيمة أو فتحاً مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد ﷺ حينئذ صدق واستقاموا عليه، كما كان ذاك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق.

[١٨] ﴿صُمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، ﴿صُمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. في الآية الأولى ذهب الله بنور المنافقين فهم يتخبطون في الظلمات فكيف يرجعون؟ فحتم الآية بقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، والآية الثانية شبهت الكفار بما هم فيه من الغي والضلال والجهل بالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعت بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشد لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، وإنما تسمع صوته فقط ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. [٢١] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدًا وَأَرْبَکُمْ﴾ [البقرة: ٢١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ...﴾. جاء الأمر بالعبادة في سورة البقرة، والمقصود بالعبادة هنا التوحيد، والتوحيد أول ما يلزم الإنسان معرفته، فناسب أن يكون هذا أول خطاب خاطب به الله الناس في القرآن، ثم ذكر سائر المعارف والأوامر بعد ذلك، وهذا باعتبار أن ترتيب المصحف: الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران... إلى سورة الناس، وهو هكذا عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، فهو ترتيب توقيفي. [٢٣] ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. جاءت ﴿مِنْ﴾ زائدة في سورة البقرة؛ لأن "من" تدل على التبعض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن، أي: أشرف ما في القرآن وأعلاه شأنًا، وأوله بعد الفاتحة، حسن دخول "من" فيها، ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها "من"، لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض، والهاء في قوله تعالى: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ تعود على القرآن، وذهب بعض العلماء إلى أنها تعود على محمد ﷺ أي: فأتوا بسورة من إنسان مثله ﷺ.

قول آخر: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ بالبقرة تعني رفع الشك عن نبوة محمد ﷺ، وتحدياً لهم بأن يأتوا برجل مثله، يأتي بسورة من نمط ما سمع من محمد ﷺ، وأمّا ما في يونس ﴿مِثْلِهِ﴾ فإنما أريد به ما يجري مع قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ﴾، فقيل لهم: إذا كان مفترى فأتوا بسورة مثله، فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن، والمراد في البقرة نفي شخص يماثله ﷺ. ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي: الذين تشهدون لهم بالألوهية، وتعبدونهم كما تعبدون الله، ادعوهم ليساعدوكم في الإتيان بمثله، ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ في يونس أي: فأتوا بسورة مثل القرآن واستعينوا على ذلك بمن استطعتم. [١٩] ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]. لماذا جمع الظلمات وأفرد الرعد والبرق؟ **الجواب:** أن مقتضى للرعد والبرق واحد وهو السحاب، والمقتضى للظلمة متعدد وهو الليل والنهار والسحاب والمطر، فجمع لذلك. = قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ما هم بصادقين في قولهم هذا، ثم قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: بكذبهم، وقرأ الباقون: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال المشددة مضارع كذب المتعدي بالتضعيف من التكذيب لله ورسوله، والمفعول محذوف تقديره: «يكذبونه». = فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير كُتِبَ الله المنزل. ومن قرأها فكأنها قرأ التوراة، والإنجيل، والزبور، والفُرْقَان. **نزول سورة البقرة:** هي أول سورة نزلت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهي مدنيّة. **عدد كلمات سورة البقرة:** ستة آلاف كلمة، ومائة وإحدى وعشرون كلمة. **عدد حروف سورة البقرة:** خمسة وعشرون =

٢٥- ﴿وَبَشِّرِ﴾: أصل «البشارة»: الخبر السار المتقدم. ﴿الصَّالِحِينَ﴾: جمع: صالحة من الأعمال ﴿جَنَّتْ﴾: بساين، والجنة: اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة، ﴿وَأَتُوا بِهِ﴾: مُتَشَبِّهًا: يشبه بعضه بعضاً في الطيب ليس بمردول ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: زوج الرجل: امرأته، «مطهرة» من القذر والحيز وغيره، ﴿خَالِدُونَ﴾: باقون، والخلود: البقاء الدائم الذي لا ينقطع. ٢٦- نزلت هذه الآية رداً على الكفار الذين أنكروا ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت، وقالوا: إن هذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء، ﴿بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾: أي فوقها في الصغر، ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: أصل «الفسق» في كلام العرب: الخروج عن الشيء، والمنافق فاسق؛ لخروجه عن طاعة ربه. والمعنى اختاروا الفسق فاضلهم الله تعالى. ٢٧- ﴿يَقْضُونَ﴾: يجلون، والنقض: إفساد ما أبرم من بناء أو جبل أو عهد. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: السرجم والقرابة أمر الله بوصلهما، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالمعاصي. ٢٩- ﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: قيل: علا عليها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْأَفْكَاءِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقيل: قصد إلى خلقها لأن الاستواء: الإقبال على الشيء، ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾: خلقهن وأتقنهن.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال المنافقون الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فانزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين فقال: ﴿وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّكْبَابُ شَيْئًا﴾ [الحج ٧٣] وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: رأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء كان يصنع بهذا؟ فانزل الله هذه الآية، عبد الغني وإه جداً.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِّهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

[٢٧] ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكدّه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ويخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، وآية البقرة تبين أن أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، وأمّا آية الرعد فتوضح أن أولئك لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوؤهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

٢٥ ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِّهًا﴾ [البقرة: ٥]. فيه استحباب بشارة المؤمنين وتشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعدها البشرية عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ (بضم التاء وفتح الجيم، وذلك على البناء للمفعول، وهو مضارع "رجع". وقرئ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم، وذلك على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من "رجع". [٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ في جميع مواضعها. قرئ: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بكسر التاء على الجر وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بضم تاء الملائكة وضملاً، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم إتياعاً لضم الجيم إجراء للوصل مجرى الوقف (اسجدوا)، واستقلاً للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة بهمة الوصل فالهزمة تسقط في الدرج وتسقط التاء كذلك من الملائكة، فقد قالوا: ملائكة كما قالوا: ملائكة. وقرئ: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بإشمام الكسرة بالضم مزجاً بين الحركتين. تنبيهاً على أن الهزمة المحذوفة التي هي هزمة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. [٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بتشديد اللام دون ألف قبلها من الزلل. والمراد: أوقعهما في الزلة بفتح الزاي، أي: المعصية، وهو نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [آل عمران: ١٥٥] أي: أكسبهم الزلة فليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخال الإنسان في الزلل، فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه. وقرئ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بتخفيف اللام وألف قبلها من الزوال، وأصله التنحية والمراد أبعدهما عن نعيم الجنة، والهزمة في كلا الفعلين للتعدية، فالله أمرهما بالثبات فيه مع الطاعة.

[٢٨] ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ ﴿الحياة﴾ ومشتقاته، ولفظ ﴿الموت﴾ ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة ﴿الحياة﴾ بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة ﴿الموت﴾ بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= ألفاً وخمسة عشر حرف. أسماء سورة البقرة: أربعة: البقرة، لاشتغالها على قصة البقرة. الثاني سورة الكهين، لاشتغالها على آية الكهين التي هي أعظم آيات القرآن. الثالث سنم القرآن، أي: أشرف ما في القرآن وأعلاه شأنًا. الرابع الزهراء. مواضع سورة البقرة: وعلى الإجمال مواضع هذه السورة: مدح مؤمني أهل الكتاب، وذم الكفار كفار مكة، ومنافقي المدينة، والرد على منكري النبوة، وقصة التخليف، أي تخليف آدم عليه السلام في الأرض، والتعليم، أي تعليم آدم عليه السلام، وتلقين آدم، وملازمة علماء اليهود في مواضع عدة، وقصة موسى، واستساقته، ومواعده ربه، ومثته على بني إسرائيل، وشكواه منهم، وحديث البقرة، وقصة سليمان، وهاروت وماروت، والسحرة، والرد على النصارى، وابتلاء إبراهيم عليه السلام، وبناء الكعبة، ووصية يعقوب لأولاده، وتحويل القبلة، وبيان الصبر على المصيبة، وثوابه، ووجوب السعي بين الصفا والمروة، وبيان حجة التوحيد، وطلب الحلال، وإباحة الميتة حال الضرورة، وحكم القصاص، والأمر بصيام رمضان، والأمر باجتناب الحرام، والأمر بقتال الكفار، والأمر بالحج والعمرة، وتعدد النعم على بني إسرائيل، وحكم القتال في الأشهر الحرم، والسؤال عن الخمر والميسر ومال الأيتام، والحيز؛ والطلاق؛ والمناكحات، وذكر العدة، والمحافظة على الصلوات، وذكر الصدقات والتفقات، ومثل طالوت، وقتل جالوت؛ ومناظرة الخليل عليه السلام؛ ونمروذ، وإحياء الموتى بدعاء إبراهيم عليه السلام، وحكم الإخلاص في النفقة، وتحريم الربا، وبيان المداينات، وتخصيص الرسول ﷺ ليلة المعراج بالإيمان حيث =

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
(٢٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ
قَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢١) قَالُوا
سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
(٢٢) قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٢٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
(٢٤) وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَسْكَنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٥)
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٦)
فَنَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٢٧)

٣٠- ﴿خَلِيفَةً﴾: فعيلة، من قولك: خَلَفَ فلان فلاناً في الأمر؛ إذا قام فيه مقامه، و«الخليفة» -ها هنا- آدم ﷺ، ومن قام مقامه بطاعة الله -ﷻ- ﴿وَسَفِكُ﴾: يُسِيح ويهرق بغير حق ﴿الدِّمَاءَ﴾: -ها هنا- دماء الناس ﴿نُسَبِّحُ﴾: نعظم، وكل ذكر لله -ﷻ- فهو تسبيح، وصلاة؛ وأصل «التسبيح»: التنزيه. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: «التقديس»: التعظيم والتطهير؛ أي ننزهك عما لا يليق. وقيل: التقديس: الصلاة. ٣١- ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: اسم كل شيء؛ من جميع المخلوقات دقيقتها وجليلها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: أي المسميات، ﴿أَنْبِئُونِي﴾: أخبروني. ٣٢- ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾: علم ما لم يعلموه من غير تعليم ﴿الْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة: صيغة مبالغة في إثبات الحكمة له سبحانه، وهي وضع الشيء في موضعه. ٣٣- ﴿تُبْدُونَ﴾: تظهرون، و﴿تَكْتُمُونَ﴾: تَسْرُونَ، وتخفون. ٣٤- ﴿اسْجُدُوا﴾: أصل «السجود»: الانحناء والتعظيم. ﴿إِبْلِيسَ﴾: كان من الجن ولكن لزمه السجود لأنه كان بينهم، مشتق من الإبلاس؛ وهو اليأس من الخير، والندم، والحزن ﴿أَبَى﴾: امتنع ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: استفعل؛ من الكبر، وهو الاستعظام للنفس، وعن ابن عباس قال: كانت السجدة لآدم، والطاعة لله. وقال بعضهم: إن الله جعل آدم كالكعبة. ٣٥- ﴿رَغَدًا﴾: «الرغد»: سعة العيش. ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةُ﴾: قيل: هي السنبلة، وقيل هي الكرْم، والنهي عن قرب الشجرة مبالغة في النهي عن الأكل منها. ٣٦- ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: أي استزلهما وأوقعهما في الزلة، وهي الخطيئة، من قولك: زل الرجل في الأمر؛ إذا هفا فيه وأخطأ، وأتى ما ليس له إتيانه، وأزله غيره؛ إذا سبب له ذلك ﴿وَمَتَاعٌ﴾: وبلاغ، وقيل: كل ما يستمتع به ويتفنع، ﴿إِلَى حِينٍ﴾: إلى الموت، وقيل: إلى قيام الساعة. وأصل معنى «الحين» في اللغة: الوقت البعيد. ٣٧- ﴿فَنَلَقَى﴾: أخذ وقيل. مأخوذ من تلقى الرجل، إذا استقبله عند قدومه من سفر، معناه: القبول ﴿فَتَابَ﴾: «التوبة» معناها: الإنابة والأوبة؛ أي الرجوع إلى الطاعة.

[٣٢] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار

والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[٣٢] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتئة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتقاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربتها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا؟ [٣٣] ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩، النور: ٢٩]. سبب زيادة ﴿كُنْتُمْ﴾ في البقرة؛ لأن الخطاب فيها للملائكة وما كتموه كان حادثة عين وقعت مرة ولا تتجدد، وما كتموه هو إمّا ما كان منطوياً عليه إبليس من الخلاف على الله تعالى في أمره والتكبر عن طاعته، أو معناه: كتمان الملائكة بينهم أنه لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كان أكرم عليه منه، على قولين عند أهل التفسير، وأمّا آيتا المائدة والنور، فالخطاب فيهما لعموم المؤمنين، وما يبدونه ويكتمونه أمر متكرر. [٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. أول ذكر لهذه القصة جاء في سورة البقرة، فورد ذكر هذه الصفات ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ جملة، ثم ذكرها مفصلة في سائر السور: [الأعراف: ١١، الحجر: ٣٠-٣١، الإسراء: ٦١، الكهف: ٥٠، طه: ١١٦، ص: ٧٣-٧٤]. [٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَسْكَنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿وَيَتَذَكَّرُ أَسْكَنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]. الأمر في البقرة لآدم اسكن بمعنى الإقامة، وهذا يستدعي زمناً طويلاً ممتداً فلم يصح إلا بالواو؛ لأن المعنى جمع بين الإقامة فيها والأكل منها، وأمّا في الأعراف فخاطب الله تعالى إبليس: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْهُورًا﴾، وخاطب آدم: ﴿وَيَتَذَكَّرُ أَسْكَنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، أي: اتخذها لأنفسكما مسكناً ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، فكانت الفاء أولى؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمناً ممتداً، ولما نسب القول إليه تعالى في البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ﴾، ناسب ذلك الزيادة الدالة على عظم كرمه، وجليل فضله، فجاء بكلمة ﴿رَغَدًا﴾ لزيادة التوسعة والإكرام، أمّا آية الأعراف فخلت من ذلك. وهناك سبب آخر مبني على تأمل السياق، وهو أن سياق آية البقرة حديث عن نعمة الله على عبده آدم، وفضله عليه، وتكريمه إياه، فجاءت كلمة ﴿رَغَدًا﴾ لتزيد ذلك المعنى، فأصبحت نعمة تضاف إلى تلك النعم العظيمة، أمّا آية الأعراف فسياقها في شأن إبليس وإعراضه وصدده، فلم يقتض السياق زيادة الكلمة. [٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦]. ليس بالضرورة أن تكون الزلة إلى محل أدنى، بل يمكن أن تكون في نفس المكان، وقد سُميت زلة تخفيفاً في مقام التكريم الغالب في سورة البقرة، أمّا سورة الأعراف ﴿فَدَلَّلْنَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾، والتدلية لا تكون إلا من أعلى لأسفل، إذاً في مقام التكليف سماها "زلة"، وفي مقام العقوبة سماها "تدلياً"، فخفف العقاب في البقرة، ولم يفعل ذلك في الأعراف. [٣٧] ﴿فَنَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قوله: ﴿آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ قرئ: (فتلقى آدم من ربه كلمات) برفع آدم لإسناد الفعل إليها ونصب كلمات على المفعولية أي: أخذ آدم كلمات ربه بالقبول ودعا بها. وقرئ: (فتلقى آدم من ربه كلمات) برفع كلمات لإسناد الفعل إليها ونصب آدم على المفعولية. ولم يؤنث الفعل للفصل والتأنيث في الفاعل مجازي. والمراد: وَصَلَتْ كَلِمَاتٌ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدَمُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ لِقَوْلِهِ إِيَّاهَا وَالدَّعَاءُ بِهَا، فَكَانَتْ هِيَ الَّتِي أَنْقَذَتْهُ وَيَسَّرَتْ لَهُ التَّوْبَةَ مِنْ اللَّهِ، فَكَانَتْ هِيَ الْفَاعِلَةُ. = قال: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخر السورة. هذه معظم مقاصد هذه السورة الكريمة. فضل سورة البقرة: بينما جبريل عند النبي ﷺ سمع نقيضاً -أي صوتاً- من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيت" =

٤٠- ﴿يٰٓاَيُّهَا اِسْرٰىلَ﴾: كان يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - يدعى إسرائيل، وهو اسم معناه: عبد الله، وبنوه: هم الذين تناسلوا منه، وهم اليهود. ﴿وَاَوْفُوْا بِعَهْدِيْ﴾: عهده - ﷻ -: عام في جميع أوامره ونواهيهِ ووصاياهِ: فيدخل في ذلك: ذكر محمد ﷺ الذي في التوراة، ويدخل اتباع دين الإسلام ﴿اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: الرضا عنهم، ويدخلهم الجنة ﴿فَاَرْهَبُوْنَ﴾: فآخشون، ويتضمن الأمر به معنى التهديد.

٤١- ﴿وَلَا تَسْرِواْ بِأَمْوَالِكُمْ﴾ : بأوامري ونواهي وسائر شرائعي ﴿ثَمِنًا قَلِيلًا﴾ : يعني الدنيا وزينتها ومدتها.

٤٢- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: تَخْلَطُوا، و«اللبس»: الخلط. قالت اليهود: محمد نبي مبعوث،

ولكن إلى غيرنا. ٤٣- ﴿وَأَتُوا﴾: أدوا وأعطوا «الزَّكَاةَ»: أصل «الزَّكَاةُ»: نماء المال وتشميره.

معنى الآية: دعه تهم للذين هم في دين الإسلام. ٤٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذَا الْكُفْرَ وَالشُّكْرَ إِنَّ هُمَا لَفِي صُلُوبٍ﴾. يا أيها المؤمنون، لا تتبعوا هذا الكفر والشك، فإنهما في صلب.

اسم كل خير. ﴿تَتْلُونَ﴾: تدرسون وتقرؤون ﴿الْكِتَابَ﴾: هاهنا: التوراة. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون، وفي

الآية توبخ لليهود وتقريع. ٤٥- ﴿كَلِمَةً﴾: الثقلية، شاقة، والضمير في «وانها» يعود على

الاستعانة. وقيل: على الصلاة. ٤٦- ﴿يُظَنُّونَ﴾: «الظن» -هاهنا-: اليقين، وهو من الأضداد؛ أي

يستخدم في المعنى وضده. ٤٧- وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ: أهل زمانهم. وقيل: تفضيلهم بما جعل فيهم

٤٨- **تَقْضَى** : تقضى وتعنى ، وأصل «الحذاء» في كلام العرب : القضاء والتعويض ، أي لا تقضى

عنها حقاً. ﴿سَفَعَةٌ﴾: طلبة، ومعنى الشفاعة: كلام الشفيع مع من هو فوقه في حاجة يسألها لغره،

﴿عَذْلٌ﴾: فداء. [٤٤] قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أخرج الواحدى والثعلبى من طريق الكلبي عن

أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة؛ كان الرجل منهم يقول لصهره

وللدوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: أثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يامرُك به هذا الرجل:

[٣٨] ﴿فَمَنْ يَبْعُ هَذَا﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿فَمَنْ أَتَّبَعْ هَذَا﴾ [طه: ١٢٣]. سورة البقرة لم يرد فيها

﴿ فَأَرَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا ﴾، من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل، ولا إبداء علة ولا كبير معالجة، فناسب

﴿ هل أدلك على سبيلٍ مُّخرجٍ لِّمَلِكٍ لا يُلَاقِي أَهْلَ الْمَدِينِ ﴾ فافهمت الآية فوه كيد اللعين وستحكما حيلته، حتى أحسن
 تمييز الحق لا يحصل إلا بالمعالجة وتعمق فنياسه ﴿ أَنَّى ﴾، فورد كل عا ما يناسب معناه وظلما، و

"فَعِلَ" لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و"اَفْتَعَلَ" يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم في البقرة لفعله،

نَجِدْ لَهُ عَزْمًا»، ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، فَنَاسَبَ ﴿فَمَنْ أَسْعَى هَذَا﴾، أَي: جَدَّدَ قَصْدَ الْإِتِّبَاعِ. [٤٠]

وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَالْوَحْيَةُ فِي الْقُرْآنِ، وَبَابِي الْمَوَاصِعُ ﴿يَنْبِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا لِعِمِّي لَئِيْ اعْتَصِمُوا عَلَيَّ وَابِي فَصَلَّتْ﴾ وَعَهْدُهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عَهْدَ إِلَهُمُ أَنْ يَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَيُؤْمِنُوا بِرِسْلِهِ، فَهَذَا عَهْدُ اللَّهِ، وَقَدْ

وأفياً، وهو الجزاء على أعمالكم، فلو وفوا بعهده الله لوفى الله بعهدهم.. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى آلِهِ﴾

﴿٤٥﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

الذي يوسم بالرضا والاستقامة، فكان يناسبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. [٤٧] ﴿يَبْنَئُ يَسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

تكررت الآية مرتين بالبقرة، وهذا من قبيل المبالغة في النصح، أو لوقوع كل منهما في مقابلة معصية تقتت

عن نَسِيسٍ سَيِّئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفْعَةً وَلَا يُوَخِّدُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴿٤٨﴾، وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ قَدِمَ الشَّفَاعَةُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، وَأَخِ الْعَدْلِ، وَقَدِمَ الْعَدْلُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَخِ الشَّفَاعَةِ، وَأَمَّا قَدِمَ الشَّفَاعَةُ

الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخبرها في الآية الأخرى؛ لأن التقدير في الآيتين معاً: لا يقبل منها شفاعة فتنة

الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدماً فيها. قول آخر: تقدم الآية الأولى قوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَهُمُ

[٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ أَكْفَرُ﴾ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ أَلَا نَعْقُبُكُمْ ﴿الْقصة : ٤٤﴾ .

بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره، ونهيه، وأمر نفسه ونهيها

﴿٤٨﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٤٩﴾ قَوْلُ

بناء التائب وذلك لاسناده إلى شفاعة، وهو مؤنثه أفعل [٤٥] ﴿لَا يَنْفَعُ الْتَّائِبَ وَلَا الظَّالِمَ﴾

الله تعالى. وأيضًا ورد ذكر لفظ **(الصبر)** بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. وكذلك ورد ذكر لفظ **(ال)**

یتساوی عدد مرات ذکر (الصیام بمشتقاته) و (الصبر بمشتقاته) و (الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد کل (۴)

رواه مسلم. وقال رسول الله ﷺ: "تَعْلَمُوا الْبَقْرَةَ فَإِنْ أَخَذَهَا بَرْكَةً وَتَرَكَهَا حَسْرَةً وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطُلُ

تفسد الطيرى الأسماء الحسنى أسباب النمل قسمة التشاروات فوائد الترميز (رواه احمد وصحبه)

توجهت للمسابقات

وَأَذِّنْكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٨

٤٩- ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يوردونكم ويذيقونكم، ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: الذكور من أولادكم. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يستبقون الإناث، أي يتركهن أحياء ليستخدمنهن ويمتهنهن، لأن نفس الاستحياء ليس بعذاب ﴿بَلَاءٌ﴾: اختبار وامتحان، يستعمل في الخير والشر. ٥٠- ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: فصلنا البحر اثني عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً؛ أي صار البحر يابساً تمشون على أرضه. ومعنى «فرقنا»: جعلناه فرقاً، والبحر هو البحر الأحمر. ٥١- ﴿وَعَدْنَا﴾: و«وعدنا» بمعنى واحد، وهو- هنا- من باب الموافاة، وليس من باب الوعد والوعيد، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: هي عند أكثر المفسرين.. ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وإنما خصّ الليالي بالذكر دون الأيام، لأن الليلة أسبق من اليوم، فهي قبله في الرتبة. ٥٢- ﴿وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي من بعد عبادتكم العجل. ٥٣- ﴿الْكِتَابَ﴾: هو التوراة بإجماع المفسرين. ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾: الحجة والبيان بالآيات التي أعطاها الله لموسى من العصا واليد وغيرهما. ٥٤- ﴿بَارِيكُمْ﴾: خالقكم. والله برأ الخلق يروهم برياً، فهو بارئهم، و«البرية»: الخلق. ٥٥- ﴿جَهْرَةً﴾: علانية. و«الصَّاعِقَةُ»: كل عذاب فيه هلاك، وقيل: صياح شديد، وهذا مع السبعين الذين اختارهم موسى. ٥٦- ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾: أحييناكم، وأصل «البعث»: إثارة الشيء من محله. ٥٧- ﴿وَبَعَثْنَا﴾: «الظل» معروف، وهو ما حال دون الشمس. و«الغمام»: ما غمّ السماء والبسها، وغطى وجهها عن الناظرين؛ سحاب، أو ما أشبهه. ﴿الْمَنَّاءَ﴾: طعام كان ينزل عليهم. وقيل: شراب كالعسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾: طائر. [٥٤] معنى اسم الله التواب: التَّوَّابُ هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه. فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم. [٥٤] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدّل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصول رحمته إلى من شاء من خلقه.

الله ولداً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، فناسب هذه الآية أن يجري الأمر على ما هو معهود في الدنيا، وهو أن الإنسان إذا ما عاين الهلاك افتدى نفسه بكل ما يملك، فتقدم فيها ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. [٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، إبراهيم: ٦]. الموضوع الوارد في سورة البقرة مقصود به تعدد الإنعام على بني إسرائيل، وتوالي الامتنان عليهم؛ ليبين شنيع مرتكبهم في مقابلة ذلك الإنعام بالكفر، فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد، فناسبه التضعيف ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ لإثبات الكثرة.

[٤٩] ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]. قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في البقرة، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ في الأعراف بغير واو، ثم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في إبراهيم بالواو، لأن ما في البقرة والأعراف من كلام الله تعالى، فلم يرد أن يعدد عليهم المحن، فوقع الفصل، وأمّا الذي في إبراهيم، فمن كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم وكان مأموراً بذلك في قوله تعالى قبلها: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيُّمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فكان الوصول للآية أنسب. [٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة: ٥١]، ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَتَ رَبِّهِ أَتْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]. القصة طوية والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف، ولم تذكر بهذا التفصيل في البقرة، بل أوجزت.

قول آخر: إن الله سبحانه أمر موسى بالصيام ثلاثين يوماً، وشهر الصوم في كل الأديان شهر، فلما تهيأ موسى لمقابلة ربه بالطيب والعطر وتنظيف أسنانه ورائحة فمه لمقابلة الله سبحانه وتعالى، سأله الله مالي لا أشم رائحة الصيام في فمك، فإني أحب أن أشم رائحة فم الصائم، فتلقى موسى أمراً من الله بصيام عشرة أيام أخرى.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ (واعدنا) بألف بعد الواو هنا وفي (الأعراف: ١٤٢، وطه: ٨٠) وهي قراءة الجمهور على احتمال أن واعد بمعنى وعد، وعندئذ يكون الفعل صادراً من واحد، كما يحتمل أن يكون على أصل المفاعلة والفعل صادر من اثنين، فالله واعد موسى الوحي، وموسى قد وعد الله المجيء للميقات. أو الوعد من الله والقبول من موسى، وأنه يشبه الوعد، أو أن وعد موسى هو معاهدته الله. وقرئ: (وعدنا) وعده بدون ألف بعد الواو، وعليها فالوعد من الله تعالى فحسب. [٥٤] ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿بَارِيكُمْ﴾ قرئ: (بارئكم) في همزها بموضعي ورودها من الآية بالإسكان، وكذا في راء (يأمركم) المتصل بضمير خطاب الجمع، وكذا (تأمرهم) بالخطاب و(يأمرهم) بالغائب المتصلين بضمير جماعة الغائبين، (وينصركم) مطلقاً (ويشعركم) أينما ورد. وتلك الأفعال مرفوعة فوجه الإسكان في (بارئكم) قيل: هذا من قبل إجراء المتصل من كلمة مثل: (إبل) بجواز تسكين الباء منه وذلك للتخفيف، وقد وردت به بعض اللغات. والتعليل لهذا: اجتماع ثلاث متحركات ثقال من نوع واحد، وليس قياساً، بل المرجع هو النص على ما ذكر فلا يرد نحو: (تأمرنا. ويصوركم. ونحشركم. ونحشركم)، كما قرئ: بالاختلاس في كل من الهمزة والراء، والاختلاس يعني: النطق بالحركة سريعة، وهو ضد الإشباع. وفيه مع هذا التخفيف إبقاء على بعض حركتها، وقرئ بالرفع بظهور حركة الإعراب عليها ظهوراً تاماً على الأصل. [٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [عجاء عدي] ورد ذكر (الجهر) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر) بمشتقاته مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كل منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم. = فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة "رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عَمْرَان، تَحَاجَانِ عَنْ صَاحِبَيْهَا" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟" قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فضرب في صدري وقال: "لِيَهْئِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ" =

٥٨- ﴿الْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس، وقيل: أريحا. ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: فعلة؛ من حط الله عنك خطاياك يحطها؛ أي احطط عنا خطايانا، وقيل: هي «لا إله إلا الله»، لو قالوها لحطت أوزارهم، ﴿تَغْفِرُ﴾: تنعمد، وأصل «الغفر»: التغطية والستر، وكل شيء ساتر: غافر. ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾: جمع: خطيئة، وخطيئة الرجل؛ إذا عدل عن سبيل الحق. ٥٩- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: الآية: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قيل لبي إسرائيل: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ فبدلوا، فدخلوا يزحفون على استاهمهم وقالوا: حبة في شعرة!» ﴿رَجَزًا﴾: عذابًا. ٦٠- ﴿أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: سال الماء لقومه منهم، ﴿فَدَعَا كُلُّ نَاسٍ﴾: جمع لا واحد له من لفظه ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾: موضع شربهم من الحجر الذي كان يتفجر منه الماء. ﴿تَغْفِرُوا﴾: تطغوا. وأصل «الغاء»: شدة الإفساد. ٦١- ﴿وَقُولُوا﴾: قيل: إنه الخبز والحنطة. وقيل: إنه الثوم؛ لتقارب مخرج «الفاء» من مخرج «الثاء»، كما يقال: مغاير ومغاير، لشيء شبيه بالعسل ينزل من السماء يقع على الشجر ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾: أصل «الاستبدال»: ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك. ﴿أَذْنُ﴾: أخس وأوضع، ورجل دني: إذا كان يتبع خسائس الأمور ﴿مِصْرًا﴾: من الأمصار. وقيل: إنها مصر فرعون ﴿الذِّلَّةُ﴾: من ذل يذل ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفاقة والخشوع، وقيل: الجزية ﴿وَبَاءُ﴾: انصرفوا ورجعوا، ولا يتكلم به إلا موصلاً بخير أو شر. ﴿يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون حد الله، وكل متجاوز حد شيء، إلى غيره؛ فقد تعدى.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]. في البقرة ﴿فَكُلُوا﴾: بالفاء؛ لأن الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، وفي الأعراف ﴿وَكُلُوا﴾: بالواو، ومعناه: أقيموا فيها، وذلك ممتد، فذكر بالواو، وزاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾؛ لأنه سبحانه أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: خلاف ما في الأعراف فإن فيها: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾، ثم قدم ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ على قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ في البقرة، وأخرها في الأعراف؛ لأن السابق في البقرة ﴿ادْخُلُوا﴾، فبين كيفية الدخول، وجمع ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾؛ لأن خطايا صيغة الجمع الكثير، ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه، وزاد واوًا ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿سَنَزِيدُ﴾ بغير واو؛ لأن اتصالهما في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين، واختلفا في الأعراف؛ لأن اللاق ﴿سَنَزِيدُ﴾ محذوف الواو ليكون استئنافاً للكلام. قول آخر: آية البقرة لما افتتح ذكر بني إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا بَعَثَ...﴾، ناسب ذلك نسبة القول إليه، وناسب قوله: ﴿رَغَدًا﴾، لأن النعم به أتم، وناسب تقديم ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، وناسب ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾؛ لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ لدالاتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا﴾، لأن الأكل مترتب على الدخول، فناسب مجيئه بالفاء، وأما آية الأعراف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، فناسب ذلك ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا﴾، وناسب ترك رَغَدًا والسكنى لجامع الأكل فقال: ﴿وَكُلُوا﴾، وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا، وتلك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾. [٥٩] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَسُّوْنَ أَعْيُنَهُمْ فَذُكِرُوا بِغَيْرِ عِلْفٍ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَسُّوْنَ أَعْيُنَهُمْ فَذُكِرُوا بِغَيْرِ عِلْفٍ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. لما سبق في الأعراف تبعض الهادين بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أَمَّنَّا بِأَلْحَقٌ﴾ [١٥٩]، ناسب تبعض الظالمين منهم بقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، ولم يتقدم مثله في البقرة، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا، لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، والإرسال أشد وقعاً من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في البقرة، وختم آية البقرة بـ ﴿يَقْسُفُونَ﴾، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظ منهم سياقه. [٦٠] ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿فَانفَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]. قوله في البقرة: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف: ﴿فَانفَجَسَتْ﴾؛ لأن الانفجار معناه انصباب الماء بكثرة وغزارة، والانفجاس معناه ظهور الماء، وفي البقرة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فذكر بلفظ مبالغ فيه، وفي الأعراف ﴿كُلُوا مِنْ طَبِئَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ وليس فيه ﴿وَاشْرَبُوا﴾ فلم يبالغ فيه.

[٦١] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا إِلَّا لِيُحْجِلَ مِنَ اللَّهِ وَحِيلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]. لماذا أخر في آل عمران ما قدمه في البقرة؟ **الجواب**: لما سألوا في البقرة عن مآلهم ما فيه خسة، وما يستلزم الذلة والصغار والمهانة، وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿قَادِعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا﴾، عوضاً عما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير تعب؛ ولهذا قيل لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان، ناسب ذلك أن يناط به، وينبئ عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم، ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم، ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدَبَارُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ [١١١]، ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح، وهو ما باؤوا به. [٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَسُّوْنَ أَعْيُنَهُمْ فَذُكِرُوا بِغَيْرِ عِلْفٍ﴾ [الأعراف: ١٦١]، قرئ: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بفتح النون وكسر الفاء على الإسناد للفاعل، وذلك جار على نظام ما قبله من قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وما بعده من قوله و﴿سَنَزِيدُ﴾، وعلى هذه القراءة تكون ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ مفعولاً به. وقرئ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالياء المضمومة وفتح الفاء مبنياً للمفعول و﴿خَطَايَاكُمْ﴾ نائب فاعل: وقرئ: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالتاء المضمومة وفتح الفاء كذلك مبنياً للمفعول ونائب الفاعل ﴿خَطَايَاكُمْ﴾، ونظراً لأن المسند إليه مجازي التأنيت جاز تذكير الفعل له وتأنيته. [٥٩] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ **إعجاز عددي**: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضاً في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كل (١٠) مرات في كتاب الله تعالى.

= رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِي. السبع الأول هي سور: سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال-التوبة. وعن عكرمة قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ نَهَارًا لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ شَيْطَانٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَمَنْ =

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُذْخِذْنَا
هَؤُلَاءِ قَالُوا عَوَدُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا
أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ
وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾

١٠

٦٢- ﴿هَادُوا﴾: هم اليهود، نسبة إلى يهوذا بن يعقوب (بالذال المعجمة، فقلبتها العرب دالاً مهمله). وقيل: معنى «هادوا» تابوا، لتوبتهم عن عبادة العجل. ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: جمع نصيران، كسكران وسكاري، سمو بأرض نزلوها تسمى «ناصر» وهي قرية عيسى بن مريم عليه السلام التي بفلسطين، وقيل: سمو بذلك لأنهم نصروا عيسى. ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: «الصائبون»: الخارجون من دين كانوا عليه إلى آخر غيره، وهذا أصله في كلام العرب. وقيل: هم قوم ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى، ومنهم بقايا بالعراق، وقيل: إنهم عبدوا الملائكة. وتدل الآية على أن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ولا بالقرآن فليس بمؤمن، ومن آمن بهما صار مسلماً مؤمناً ولم يبق يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً. ٦٣- ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾: مفعول: من الوثيقة يمين، أو العهد. ﴿الطُّورُ﴾: جبل ناجى الله عليه موسى -عليه السلام- و«الطور» في كلام العرب: الجبل. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بمجد وطاعة. ٦٤، ٦٥- ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم. ﴿ءَعْتَدُوا مِنْكُمْ﴾: هم فرقة من اليهود اصطادوا السمك يوم السبت، وكان محرماً عليهم، فتجاوزوا بذلك أمر الله. ﴿وَالسَّبْتِ﴾: أصله الهدوء والسكون، مأخوذ من السبوت، وهو الراحة والدعة. والسبت كذلك: القطع. ﴿خَاسِرِينَ﴾: صاغرين، و«الخاسي»: المبعد المطرود. ٦٦- ﴿نَكَالًا﴾: عقوبة لهم وتهديداً لغيرهم من القري، و«مَوْعِظَةً»: تذكرة. ٦٧- ﴿أَنُذْخِذْنَا هَؤُلَاءِ﴾: الهزو هنا: اللعب والسخرية. وإنما يفعل ذلك أهل الجهل. لأنه عبث ينتزه عنه العقلاء. ولهذا أجابهم موسى بالاستعاذة بالله تعالى أن يكون من الجاهلين. ٦٨- ﴿فَارِصٌ﴾: مسنة هرملة ﴿يَكْرُ﴾: صغيرة، و«البكر» من إناث بني آدم والبهائم: ما لم يقربها الرجل، أو يفتحها الفحل. ﴿عَوَانٌ﴾: نصف قد ولدت بطناً بعد بطن، وهي المتوسطة بين سني الفارض والبكر. ٦٩- ﴿فَاقِعٌ﴾: خالص صاف، و«الفقوع» في «الصفرة»، نظير الثصوع في البياض ﴿تَسُرُّ﴾: تعجب الناظرين وتدخل عليهم السرور إذا نظروا إليها.

٦٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ أخرج ابن أبي حاتم، والعدني في مسنده من طريق ابن أبي نجيج عن مجاهد قال: «قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية». وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: «لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: هم في النار. قال سلمان: فأظلمت عليّ الأرض، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى قوله: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ قال: فكأنما كشف عني جبل». وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: «نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي».

٦١] ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ [آل عمران: ١١٢]. آية البقرة نزلت في قدام اليهود، بدليل قوله تعالى: ﴿يَأْتُهُمْ كَأَنُتُوءُ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، والمراد بغير الحق الموجب للقتل عندهم.. بل قتلهم ظلماً وعدواناً، وآية آل عمران نزلت في الموجودين زمن النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ...﴾، وبدليل قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى...﴾؛ لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي ﷺ، ولذلك سموه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فجاء قوله: ﴿حَقٌّ﴾ منكرًا ليكون أعم، فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم، لأن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بمعنى قوله: ظلماً وعدواناً، والأنبياء لا يقتلون إلا بغير حق، فالألف واللام في لفظ «الحق» تفيد العهد، وتنكير اللفظ يفيد العموم. ثم ذكر في آية البقرة جمع السلامة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ﴾، وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ﴾ جمع تكسير، أي: يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق، فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد من البقرة.

٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ﴾ [الحج: ١٧]. النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في آية البقرة، ولكن الصابئين مقدمون على النصارى في الزمان، فقدمهم بعد ذلك في آية الحج، ثم جمع بين المعنيين في آية المائدة، حيث قدم الصابئين إشارة إلى تقدمهم في الزمان، ثم رفعها ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ بين منصوبات، دلالة على نية تأخيرهم، وكان تقدير الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا، والنصارى والصابئون كذلك.

٦٢] ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. في سورة المائدة سياق الآيات في ذم عقائد اليهود والنصارى ذمًا كثيرًا مسهبًا، أمّا في البقرة فالكلام عن اليهود فقط وليس عن النصارى، وفي المائدة الكلام عن اليهود أشد مما جاء في البقرة، حتى العقوبات يذكرها في المائدة أكثر من البقرة، فاقتضى السياق أن يكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون فيه الغضب أقل، وجو الرحمة ومفردات الرحمة وتوزيعها في البقرة أكثر مما في المائدة.

٦٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]. بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب، لأن عقوبة هؤلاء المتحليين أنهم مسحوا قرده خاسئين والذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئاً صورته صورة المباح، ولكن حقيقته غير المباح، فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي، وهذا لأن الجزء من جنس العمل، ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

٦٧] ﴿قَالُوا أَنُذْخِذْنَا هَؤُلَاءِ﴾ قوله: (هزواً) أينما وقع وكذا (كفواً) (بسورة الإخلاص) قرئ: بإبدال الهمزة التي هي الأصل في كليهما واوًا للتخفيف بعد ضم ما قبلها وهو عين الفعل أو إسكانه. كما قرئ: (هزواً) بإبقاء الهمزة على أصله، وكذلك مثل هذا في تسكين عينه وتحريكه بالضم (القدس) (وخطوات) أينما جاء، (والعسر، واليسر) وبإيماء، (وجزءاً) منصوباً كان أو مرفوعاً كما في (الحجر)، و(أكل) معرفاً كان أم منكرًا، غير مضاف أو مضافاً إلى ضمير مؤنث أو مذكر أو اسم =

٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات. ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات. ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات. ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات. ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات. ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات. ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات. ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في القرآن.

= قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال. وعن أنس قال: كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جدّ فينا، أي عظم في أعيننا. وعن ابن مسعود قال: كنّا نعدّ من يقرأ سورة البقرة من الفحول. أحاديث عامة في فضائل القرآن الكريم: ثواب الماهر بالقرآن: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام»

٧٠- ﴿تَشَبَّهَ﴾: أي التبس علينا جنس البقر لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة.

٧١- ﴿لَا ذُلُّ﴾: لم تذلل بالعمل. ﴿ثِيْرُ الْأَرْضِ﴾: إثارة الأرض وأثارها: قلبها للزرع ﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾: لم يُسَنّ عليها الماء لتسقي الزرع؛ أي: ليست من النواضح، ﴿مُسْلَمَةٌ﴾: سالمة لا عيب فيها.

﴿لَا شَيْءَ﴾: لا بياض ولا سواد يخالف لونها، من «وشى» الثوب؛ إذا نسج على لونين مختلفين.

٧٢- ﴿فَادْرَأَهُنَّ﴾: اختلفتم وتنازعتن. ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: مظهر ما كنتم بينكم من أمر القتل والقتال. ٧٣- ﴿أَضْرِبُوهُ بِعُضْبٍ﴾: فعلوا فأحياء الله تعالى ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾: أي: إحياء كمثل هذا الإحياء. ٧٤- ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: صلبت ويست. وهذا إشارة إلى خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من إحياء القتل وتكلمه وتعيينه لقاتله. ﴿وَلَنْ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾... الآية. عذر الله تعالى الحجارة، وفضلها على قلوبهم. ﴿يَهِيْطُ﴾: يتردى من المكان الذي هو فيه إلى أسفل منه من الخشية لله التي تداخله وتحل به. ٧٥- ﴿فَرِيقٌ﴾: «الفريق»: جمع لا واحد له من لفظه، كالطائفة والحزب ﴿يُخْرِفُونَهُ﴾: يبدلون لفظه بزيادة أو نقصان أو حذف كما يبدلون معناه وتأويله ٧٦- ﴿لِيَحْجُوكُمْ بِهِ﴾: المحاجة: إبراز الحجة؛ أي لا تخبروهم بما حكم الله به عليكم من العذاب فيكون لهم بذلك الحجة عليكم.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «قام النبي عليه الصلاة والسلام يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: «يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت» فقالوا: من أخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، قالوا: أيجد العرب بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ الآية.

قَالُوا أَدْعُنَا رَبَّنَا يَبْدَأَ الْبَقَرَةَ شَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُّ لَهَا تَسْقَى مِنَ الْمَاءِ كَالْحِثْيَةِ وَلَا تَسْقَى مِنَ الْحَرْثِ مُسْلَمَةٌ وَلَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَتَقْنِ الْجَزْبَ لَخَالِصَةٌ فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعُضْبٍ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهِيْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَنُظْمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٨٠] ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْتُمْ مَقْدُودَةٌ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿كَذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَوْلُهَا أَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْتُمْ مَقْدُودَةٌ﴾ [آل عمران: ٢٤]. قوله تعالى: ﴿مَقْدُودَةٌ﴾ في سورة البقرة جمع كثرة، و﴿مَقْدُودَاتٍ﴾ في سورة آل عمران جمع قلة؛ لأن قائل ذلك من اليهود فرقتان: إحداها قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا، وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوماً، وهي أيام عبادتهم العجل، فأية البقرة تحتل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران الفرقة الأولى.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ جُنْجُنًا حَرُورًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. بنو إسرائيل فتنوا بالبقرة مرتين من بين سائر الدواب، ففتنوا بعبادة العجل، وفتنوا بالأمر بذبح البقرة، والبقر من أبلد الحيوان، حتى ليضرب به المثل. [٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ جُنْجُنًا حَرُورًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. إن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل، فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل استهزاءه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. [٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. من أسباب قسوة القلب: ١- البعد عن طاعة الله والاشتغال بمعصيته. ٢- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل. ٣- نسيان الآخرة وما فيها من النعيم. ٤- الاشتغال بما يفسد القلب، ومفسدات القلب خمسة هي: كثرة المخالطة، والأمانى الباطلة، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم. ٥- التكاسل عن أداء الطاعات وإضاعتها. ٦- عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده. ٧- الغفلة، وهي داء وبيل، ومرض خطير. ٨- مصاحبة أصدقاء السوء والجلوس في الأجواء الفاسدة. ٩- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله. ١٠- الإكثار من الفضوليات، فضول الأكل، والشراب، والكلام بغير ذكر الله، والنظر، والسمع، والنوم، والمخالطة، والاهتمام بما لا يعني المرء... ١١- كثرة الضحك. ١٢- كثرة الذنوب. ١٣- نقض العهد والميثاق مع الله تعالى. ١٤- عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم. ١٥- التعصب للرأي وكثرة الجدال. ١٦- الابتداع في الدين. ١٧- ظلم الضعفاء وأكل المال الحرام وعدم التورع عن الشبهات. ١٨- كبر النفس واحتقار الآخرين. علاج قسوة القلب: ١- الدعاء والتضرع، وسؤال الله عز وجل. ٢- الإكثار من ذكر الله عز وجل. ٣- الإكثار من ذكر هادم اللذات. ٤- الإكثار من زيارة القبور للرجال. ٥- الإحسان لليتامى والأرامل والمساكين. ٦- أكل الحلال الطيب. ٧- ملازمة الاستغفار. ٨- النظر في آيات القرآن والتفكير في وعده وويعده، وأمره ونهي. ٩- تذكر الآخرة والتفكير في القيامة وأهوالها والجنة والنار. ١٠- الخلوة بالنفس ومحاسبتها ومجاهدتها. ١١- البعد عن مخالطة أصدقاء السوء، والحرص على مجالسة الصالحين.

= ظاهر (والرعب، ورعباً) حيث وقع، و(رسل) المضاف إلى ضمير من حرفين نحو: (رسلنا ورسلمهم ورسلكم) و(السحت وللسحت) (بالمائدة) و(جرف) و(الأذن) و(أذن) كيف وقع نحو: في (أذنيه) و(قل أذن) و(قربة) «بالتوبة» و(سبلنا) «بإبراهيم والعنكبوت» و(نكرًا) «بالكهف والطلاق» و(نكر) «بالقمر» (ونذيراً) «بالمرسلات» ووجه إسكان العين في كل ما ذكر أنه: لغة تميم، وأسد، وعامة قيس، ووجه ضمها أنه لغة الحجازيين. [٧٤] ﴿وَلَنْ مِنْهَا لَمَا يَهِيْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بناء الخطاب جرياً على نسق ما قبله من قوله تعالى: (ويريكم آياته) وقوله: (ثم قست قلوبكم) وقرئ: (يعملون) بالياء على الالتفات والخروج من الخطاب إلى الغيبة إعرافاً عن بني إسرائيل المخاطبين بقوله: (ثم قست قلوبكم) وإبرازهم في صورة لا يقبل عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب مخالفتهم له، وإسقاطهم عن الاعتبار أو لمناسبة قوله سبحانه وتعالى: [٧١] ﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾ [عجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحَرْث) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزَرْع) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحَرْث) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الزَرْع) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله.

= البررة، والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه وهو عليه شاق له أجران "مُتَّقٍ عَلَيْهِ". شفاعة القرآن لأصحابه: قال رسول الله ﷺ: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ =

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ رَأْيُيْهِ ثُمَّ قَلِيلًا
قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَم تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨- ﴿أُمِّيُونَ﴾: لا يقرؤون ولا يكتبون، ورجل أمي بين الأمية؛ إذا كان لا يقرأ ولا يكتب
﴿إِلَّا أَمَانِي﴾: كذباً أو تخريصاً، وقيل: الأمانى: التلاوة أي لا علم لهم إلا مجرد التلاوة من غير تفهم
وتدبر، ﴿يَظُنُّونَ﴾: يشكون؛ أي يعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليدهم على غيره.
٧٩- ﴿قَوْلٌ﴾: لهم، «الويل»: العذاب، والهلاك، وقيل: واد في جهنم. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: تأكيد قاطع
على أن تحريف اليهود للتوراة قام به اليهود أنفسهم. وهذا ما انتهى إليه علماء مقارنة الأديان من
ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها أسفار (التوراة) الخمسة، وما اشتملت عليه من أحكام
وتشريع، وما تراءى فيها ودلت عليه من بيئات اجتماعية وسياسية. ٨٠- ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾:
العذاب. ٨١- ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: «بلى» إثبات بعد النفي، أي: بلى تمسككم لا على الوجه
الذي ذكرتم من كونه أياماً معدودات، و«السيئة»- هاهنا-: الشرك، ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾:
أحدثت به واجتمعت عليه، وخرج من الدنيا قبل الإنابة والتوبة منها. ٨٢- ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾:
إفراده بالعبادة، و﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: الإحسان إليهما بالتواضع لهما وامثال أمرهما. ﴿وَذِي
الْقُرْبَىٰ﴾: هم القرابة، والإحسان بهم: صلتهم ومعاونتهم قدر الطاقة، و﴿الْيَتَامَىٰ﴾: من فقدوا
آباءهم وهم دون سن البلوغ، و﴿الْمَسْكِينِ﴾: المسكين من أسكنته الحاجة وذليلته. ﴿وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: «الحسن»: اسم عام جامع لمعاني الحسن، لا يختص بنوع معين، أي: قولوا لهم
الطيب من القول. وقيل: المراد كلمة التوحيد. وقيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. أخرج النسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه
الآية في أهل الكتاب. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «نزلت في أحبار اليهود
وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة أكحل، أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسداً
وبغياً، أو قالوا: نجده طويلاً أزرق سبط الشعر». [٨٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ الآية: أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن
إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب
الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فانزل الله في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ إلى قوله:
﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾. [٨٢] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أخرج ابن جرير من طريق الضحاك، عن ابن عباس
أن اليهود قالوا: «لن ندخل النار إلا تحلة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت انقطع عنا العذاب» فنزلت الآية.

[٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]. الآيتان تبيينان أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة أولئك أهل الجنة، هم فيها ماكثون أبداً
لا يخرجون منها، وآية الأعراف توضح أن الله تعالى لا يكلف نفساً من الأعمال إلا ما تطيق. [٨٣] ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾
[البقرة: ٨٣]، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ في البقرة بدون باء، و﴿بِذِي الْقُرْبَىٰ﴾
في النساء بزيادة باء؛ وذلك لأن سياق الآيات في سورة النساء والكلام فيها عن القربات من أول السورة إلى آخرها، فكان ذكر الباء مع ذي القربى في آية النساء
لمراعاة التفصيل والتوكيد، أمّا آية سورة البقرة فليس السياق في القربات، فحذفت الباء في ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ مراعاة للإيجاز. [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. وذمٌ للذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه.
= (وما كادوا يفعلون) وما بعده من قوله: (وقد كان فريق منهم) وقوله: (يحرفونه) فلما أتى ما قبله وما بعده بلفظ الغيبة أجراه على ذلك. [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ
لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قوله: ﴿أَمَانِي﴾ وبابه (أمنيهم) (بأمانيتكم) (ولا أمانى) (في أمنيته) قرئ: (الأمانى) بتشديد الياء وهو الأصل
في المفرد وفي الجمع منه على وزن أفاعيل. كما قرئ: (الأمانى) بتخفيف الياء في المفرد وفي الجمع منه على وزن أفاعيل مع إسكان الياء في المرفوع من ذلك.
والمخفوض، وبكسر هاء (أمانيهم) لكونها بعد ياء ساكنة، قال أبو حاتم: كل ما جاء من هذا النحو واحده مشدد فلك فيه التشديد والتخفيف وهما لغتان.
[٨١] ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ قرأ الجمهور: (خطيئته) بالإنفراد
يراد بها الجنس، ومقابلة السيئة وهي مفردة. وقرئ: (خطيئاته) جمع تأنيث، وتوجيه ذلك: لما كانت الذنوب كثيرة جاء اللفظ مطابقاً للمعنى. [٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ﴾ قرئ: (تعبدون) بالتاء على الالتفات وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول وأقرب للامثال؛ لما أخذ عليهم من ميثاق وليناسب سياق ما
بعده في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. وقرئ: (يعبدون) بياء الغيبة لأن بني إسرائيل لفظ غيبة في سياق الآية. قوله تعالى: ﴿حُسْنًا﴾ قرأ الجمهور:
(حُسناً) بضم الحاء وإسكان السين فظاها أنه مصدر، وأنه كان في الأصل قولاً حسناً إما على حذف مضاف أي: ذا حسن وإما على الوصف بالمصدر لإفراط
حسنه. وقيل: يكون أيضاً صفة لأن أصله مصدر كالحلو والمر فيكون الحسن والحسن لغتين كالعرب والعرب، وقيل: انتصب مفعولاً مطلقاً من المعنى لأن
المعنى: «وليحسن قولكم حسناً». وقرئ: (حسناً) بفتح السين والحاء ويكون صفة لمصدر محذوف والتقدير: (وقولوا للناس قولاً حسناً).

= القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر "مُتَّقٍ عَلَيْهِ. القرآن قائد إلى الجنة: قال رسول الله ﷺ: "القرآن شافع مشفع، وماحل - أي مدافع - مصدق، من
جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار" رواه ابن حبان وصححه الألباني. الحرف من القرآن بعشر حسنات: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ
حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿المر﴾ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" رواه الترمذي وصححه الألباني.
تلاوة القرآن نور في الأرض وذخر في السماء: قال رسول الله ﷺ: "عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء" رواه ابن حبان في =

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَعَظَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفُونَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ءِيمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

١٤

٨٩- ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: معنى «الاستفتاح»: الاستنصار، وكانت اليهود تزعم أن النبي -ﷺ- يكون منهم، ويتهددون به العرب قبل مبثته. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾: الرسول الذي يعرفون وصفه من كتبهم. ٩٠- ﴿يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: اشتروا بمعنى: باعوا، أي أنهم أوبقوا أنفسهم في نار جهنم فبثست الصفقة، ﴿بَغْيًا﴾: تعدياً وحسداً، قال الأصمعي: البغي مأخوذ من قولهم: قد بغى الجرح؛ إذا فسد. وقيل: أصله الطلب. والمعنى: أنهم باعوا أنفسهم بهذا الثمن البخس حسداً ومنافسة أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، ﴿فَبَاءَ وَرَاءَهُ﴾: انصرفوا، ورجعوا، ﴿وَعَظَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾: الغضب الأول: لكفرهم بعبسى عليه السلام. والثاني لكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل: لكفرهم بمحمد ثم البغي عليه. ﴿مُهِينٌ﴾: مخز مذل. ٩١- ﴿وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَاءَهُ﴾: بما بعد التوراة من كتب الله. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾: هذا الخطاب وإن كان مع الحاضرين من اليهود زمن النبي ﷺ فالمراد به أسلافهم، ولكن لما كانوا راضين بما فعله أسلافهم كانوا مثلهم، ونسب الفعل إليهم لكونهم ساروا على طريق أسلافهم في تكذيب الأنبياء ومعاداتهم. ٩٢- ﴿يَالْبَيِّنَاتِ﴾: بالتوراة، أو بالآيات التسع المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. ٩٣- ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بعزم وجد، ﴿وَاسْمَعُوا﴾: المراد ما يترتب على السماع من الطاعة والقبول والامتثال. ﴿وَأَشْرَيْنَا﴾: معنى أشرب: سقي، أي: أشربوا حب العجل، جعلت قلوبهم لتمكن حب العجل منها كأنها تشربه.

[٨٩] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾ الآية. أخرج الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: «كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعادتهم بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم. فكانوا إذا التقوا بهذا فيهمزون غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله ﴿وَكَاؤُا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾﴾ بك يا محمد على الكافرين.

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة: ٨٩]، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَبِقٍ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٠١]. الآية الأولى تتحدث عن القرآن الكريم، والثانية عن النبي ﷺ، والآيتان تبيان مدى ضلال اليهود وكفرهم وإعراضهم عن الحق... [٩٠] ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، [المجادلة: ٥] ليس غيرهما في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]، [المجادلة: ٤]. آية البقرة ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، مناسب شدة غضب الله تعالى عليهم ﴿فَبَاءَ وَرَاءَهُ وَعَظَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾، وفي آية المجادلة ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، مناسب كون الكفار ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي: يعادون ويشاقون مع وجود الآيات البينات فكبتهم الله، أي: أذلهم كما أذل الذين من قبلهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. [٩٣] ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ٩٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، [الأعراف: ١٧١]. آية البقرة ﴿بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾، لأنه سبقها كلام عن اليهود الذين عاصروا النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]، والكتاب هو القرآن، فهم سمعوا القرآن وعلموا به، ومع ذلك قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، والآية الثانية سبقها كلام عن اليهود أيام موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] والكتاب هو التوراة، وآية الأعراف مثلها، والمعنى يزداد وضوحاً من خلال تتبع سياق الآيات. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ﴿لَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧]. لما كانت دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة أكد نفي ذلك بـ ﴿لَنْ﴾؛ لأنها أبلغ في النفي من ﴿لَا﴾، لظهورها في الاستغراق، وفي سورة الجمعة ادعوا ولاية الله، ولا يلزم من الولاية لله اختصاصهم بثواب الله وجنته، فأتى بـ ﴿لَا﴾ النافية للولاية، وكلاهما مؤكد بالتأيد، لكن في البقرة أبلغ، وأيضاً: فإن آية البقرة وردت بعدما تقدم منهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء، فناسب حرف المبالغة في النفي لتمييز الموت لما يعلمون مما لهم بعده من العذاب؛ لأن ﴿لَنْ﴾ أبلغ في النفي عند كثير من أئمة العربية، وآية الجمعة لم يتقدمها ذلك، فجاءت بـ ﴿وَلَا﴾ الدالة على مطلق النفي من غير مبالغة. = [٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَعَظَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]. لما تبين لليهود الحق ردوه بغياً وحسداً، وزعموا أنهم أفضل من النبي ﷺ فكيف يتبعونه، فمن رد الحق من هذه الأمة لأن فلاناً الذي يرى أنه أقل منه هو الذي جاء به، فقد شابه اليهود. [٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَعَظَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ﴾ وبابه من كل فعل مضارع من غير همزة مضموم الأول سواء أكان مبنياً للفاعل أو المفعول حيث أتى، قرئ: ﴿يَنْزِلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي مضارع (نزل) المتعدي بالتضعيف. وقرئ: ﴿يَنْزِلُ﴾ بسكون النون وتخفيف الزاي من (أنزل) المتعدي بالهمزة إلا قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، فقد أجمع على قراءته بالتشديد، وبقيد خرج الماضي نحو: (وما أنزل الله - نزلنا على عبدنا)، وبغير همزة، سأنزل، وبالمضموم خرج، و(ما ينزل من السماء). [٨٧] ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَنتَكِبْتُمْ﴾ [إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة) بمشتقاتها (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

= وصححه الألباني. نزول الملائكة لتلاوة القرآن: قال رسول الله ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده" رواه مسلم. نزول السكينة لتلاوة القرآن: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط =

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنْ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَ ذَلِكَ هُمْ لَوِيْعَمٌ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُمْ بِمُزْحَرَجِينَ
مِنَ الْعَذَابِ ۚ أَنْ يُعَمَّرَ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِمَاتِكِ ۖ يَهْدِيهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوْ كَلَّمَاعْهَدُوا عَهْدَآئِذِهِ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ لَكَاظِمًا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

10

قال: أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل أنفاً، قال: جبريل
قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري: «ظ
في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن س
وود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك
علامة النبي، وعن الرعد وصوته، وكيف تُذكر الم
ب والقتال والعذاب، عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ي
ن: أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة، فيفتح
نعم نعلم أنه رسول الله ﷺ قلت: فلم لا تتبعونا
رسولكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل ينزل بال
لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يُ
القيته قال: «ألا أخبرك بآيات أنزلت علي؟» فقلت بلى
مستقبل، لأن "لن يفعل" جواب سيفعل. وأما
ي "بلا" التي لنفي ما يأتي وغيره. [١٠٠] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ
سورة: ٦٣﴾ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. قوله: ﴿
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأن أكثر الموصوفين
ال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

يُنَافِقُ الْعَذَابَ أَنْ يَعْمَرَ ﴿ [البقرة: ٩٦]. ﴿ حَيَوةٌ
حياة ذل، المهم أن يبقوا، وليس هذا صنيع من ير-
من التشبث بالحياة الدنيا بعد عن صفات اليه
ورة: ١٠١]، ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّى تَلَآ
تُوا الْكِتَابَ ﴿ يقال في موقف الدم، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
تُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿ [البينة: ٤]
يُكَذِّبُهَا فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ [البقرة: ١٢١] مد-
كَ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴿ [الرعد: ١٠]
رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه ﴿ ءَاتَيْنَهُ
سُولَ. ﴿ [٩٦] ﴿ وَمَا هُوَ بِمُخْرِجُهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمَرَ
هو بالغية. وقرئ: (تعملون) بالتاء التفاتاً من الغ-
ارتكبه مما دلت عليه الآية قبل.

له ذلك، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تلك السكينة تنزل
دقة والمسر بالقرآن كالمر بالصدقة" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرُوا
سُلَيْمَنَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ
وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
أَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢- ﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾: تحدث وتقول، وكانت الشياطين تخبر أولياءها من الإنس أن سليمان - عليه السلام - كان ساحراً بعد وفاته، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه، فأخرجوه بعد موته، وقالوا: هذا هو علم سليمان، وأنه يستجيزه ويقول به، فردّ الله تعالى ذلك عليهم وقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾: ولم يتقدم أن أحداً نسب سليمان إلى الكفر، ولكن لما نسبته اليهود إلى السحر، صاروا بمنزلة من نسبته إلى الكفر، لأن السحر يوجب ذلك. ولهذا أثبت الله تعالى كفر الشياطين. فقال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾: أي بتعليمهم ﴿السَّحْرَ﴾: ما كانت الشياطين تسترقه، من أمر السماء، وتضيف إليه من الكذب، وتنزله إلى أوليائها من الإنس، واختلف فيه. ﴿بَابِلَ﴾: أرض معروفة، قال ياقوت: هي ناحية من نواحي الكوفة أو الحلة، ينسب إليها السحر والخمر، ﴿هَارُوتَ وَمَرْوُتَ﴾: ملكان خبرهما معلوم، قال ابن جرير: ذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بلاء واختبار - هاهنا - وذلك تحذير من السحر، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة. بل هو ضرر وشر. ﴿مَنْ خَلَقَ﴾: في هذا الموضع: من نصيب ﴿وَلَبِئْسَ﴾: «بئس»: كلمة مستعملة في الذم ﴿مَا شَرَوْا﴾: ما باعوا أو استبدلوا. ١٠٣، ١٠٤- ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثواب. ﴿رَاعِنَا﴾: أي: راقبنا، وهذا اللفظ كان بلسان اليهود من ألفاظ السب، فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي «راعنا» طلباً منه أن يراعيهم - من المراجعة والتلطف - اغتنموا الفرصة مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي، مبطنين أنهم يقصدون السب، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها قطعاً لدابر المكر والخبث اليهودي. وعلمهم لفظاً آخر. ﴿أَنْظُرْنَا﴾: فهِمْنَا وَبَيَّنَّا لَنَا. ١٠٥- ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾: بتوبته. وقيل: جنس الرحمة من غير تعيين. = يا رسول الله، فقرا: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾، حتى بلغ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، قلت: يا رسول الله، والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني. وإسناده صحيح إلى الشعبي لكنه لم يدرك عمر. وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم من طريق آخر عن الشعبي، وأخرجه ابن جرير من طريق السدي عن عمر ومن طريق قتادة عن عمر، وهما أيضاً منقطعان. [٩٩، ١٠٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن سوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة، فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الآية. وقال مالك بن الصيف، حين بُعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمد: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوْكَلِمَا عَهْدُوا عَهْدًا﴾. [١٠٠] الآية. [١٠٢] قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾. [١٠٤] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾. أخرج ابن المنذر عن السدي قال: كان رجلاً من اليهود مالك بن الصيف، ورافعة بن زيد إذا لقيا النبي ﷺ قالوا وهما يكلمان: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾. وأخرج عن قتادة قال: كانوا يقولون راعنا سمعك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك، فنزلت، وأخرج عن عطاء قال: كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنزلت. وأخرج عن أبي العالية قال: إن العرب كانوا إذا حدث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: ارعني سمعك. فنهوا عن ذلك. [١٠١-١٠٢] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ قَوْمٌ...﴾ [١٠١] ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٢]. لما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجاءه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفق في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل. كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تلو الشياطين. [١٠٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. كيف أثبت لهم العلم أولاً مؤكداً بلام القسم، ونفاه عنهم آخرًا؟ الجواب: المثبت لهم علمهم بأن من اختار السحر ما له من نصيب، والمنفي عنهم علمهم بحقيقة ما يصيرون إليه فيها. أو المثبت لهم العلم مطلقاً، والمنفي عنهم العقل لأنه أصل العلم، فإذا انتفى العقل انتفى العلم. [٩٧، ٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ في هذه السورة وفي سورة التحريم: ٤، قرئ: ﴿جِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة، وهي: لغة الحجازيين، فمن كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب. ومن فتح: أتى به على غير كلام العرب ليعلم أنه أعجمي، وكذلك من همز ومن أثبت ياء بعد الهمز. وقرئ: ﴿جِبْرِيلَ﴾ بفتح الجيم وكسر الراء وياء ساكنة بغير همزة. وكذلك قرئ: ﴿جِبْرِيلَ﴾ بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة وياء ساكنة وهذه لغة تميم، وقيس، وكثير من أهل نجد. وقرئ: ﴿جِبْرِيلَ﴾ مثل هذه القراءة الأخيرة، بحذف الياء بعد الهمزة، وهي لغة أيضاً في هذا الاسم، وهو اسم أعجمي. قوله تعالى: ﴿مِيكَالَ﴾ قرئ: على وزن مثقال بحذف الهمزة من غير ياء بعدها وهي لغة الحجازيين. وقرئ: ﴿مِيكَالَ﴾ بزيادة همزة بعد الألف. وقرئ: ﴿مِيكَالَ﴾ بزيادة همزة بعد الألف وزيادة ياء بعد الهمزة، وكل هذه لغات. [١٠٢] ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» تساوي عدد مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة في القرآن الكريم. = وصححه الألباني. من ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. أحسن الناس صوتاً بالقرآن: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتوه يخشى الله» =

فيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَقَالَتِ الْيَهُودُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِيَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَدِينُونَ ١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ١١٩﴾

الواسع: فهو واسع الصفات، والنعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يُحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم. [١١٣] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ اتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ الآية. [١١٤] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن زيد قال: «نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية». [١١٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به، وهو آت من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، وقال في هذا نزلت هذه الآية، وأخرج الحاكم عنه قال أنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع». وقال: «صحيح على شرط مسلم» هذا أصح ما ورد في الآية إسناداً، وقد اعتمدته جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا. [١١٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال رافع بن حرملة لرسول الله ﷺ إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية». [١١٨، ١١٣] ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال بعض المفسرين: المراد بهم كفار قريش، أهل الجاهلية، فإنهم قالوا: إن محمداً ﷺ ليس على دين، وليس على شيء، أو: إنهم أمم سابقة، أو: إنهم طوائف من اليهود والنصارى، يعني أن الذين يتلون الكتاب من اليهود والنصارى قالوا مثل قول الذين لا يعلمون منهم، فاستوى قول عالمهم وجاهلهم، والآية تشمل جميع الأقوال، وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: مثل هذا القول الذي اقترحوه قد اقترحه من قبلهم: قوم موسى قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فهذا دأب المكذبين للرسول ينكرون، ويقترحون، وقد أتوا من الآيات بأعظم مما اقترحوه. [١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآيتان تبينان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وموجودهما على غير مثال سبق، وآية البقرة توضح أنه سبحانه إذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: "كن" فيكون، وأما آية الأنعام فتبين أن الله منزّه عن الولد والصاحبة...

الواسع: فهو واسع الصفات، والنعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يُحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم. [١١٣] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ اتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ الآية. [١١٤] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن زيد قال: «نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية». [١١٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به، وهو آت من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، وقال في هذا نزلت هذه الآية، وأخرج الحاكم عنه قال أنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع». وقال: «صحيح على شرط مسلم» هذا أصح ما ورد في الآية إسناداً، وقد اعتمدته جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا. [١١٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال رافع بن حرملة لرسول الله ﷺ إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية». [١١٨، ١١٣] ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال بعض المفسرين: المراد بهم كفار قريش، أهل الجاهلية، فإنهم قالوا: إن محمداً ﷺ ليس على دين، وليس على شيء، أو: إنهم أمم سابقة، أو: إنهم طوائف من اليهود والنصارى، يعني أن الذين يتلون الكتاب من اليهود والنصارى قالوا مثل قول الذين لا يعلمون منهم، فاستوى قول عالمهم وجاهلهم، والآية تشمل جميع الأقوال، وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: مثل هذا القول الذي اقترحوه قد اقترحه من قبلهم: قوم موسى قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فهذا دأب المكذبين للرسول ينكرون، ويقترحون، وقد أتوا من الآيات بأعظم مما اقترحوه. [١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآيتان تبينان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وموجودهما على غير مثال سبق، وآية البقرة توضح أنه سبحانه إذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: "كن" فيكون، وأما آية الأنعام فتبين أن الله منزّه عن الولد والصاحبة...

١١٣ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾: نفت كل طائفة الخير عن الأخرى، ويتضمن ذلك إثباته لنفسها! ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي كل يتلو في كتابه تصديق من كفر به. ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: هم أمم كانت قبل اليهود والنصارى. وقيل: المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم. عن ابن عباس قال: لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ﷺ اتهم أحبار اليهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى والإنجيل، فقال له رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله هذه الآية. ١١٤ - ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾: «المسجد» جمع: مسجد: وهو كل موضع يعبد الله فيه. وقيل: إنه بيت المقدس. وقيل: المسجد الحرام. ١١٥ - ﴿تُولُوا﴾: تستقبلوا بوجوهكم؛ إذ كانوا يصلون إلى بيت المقدس؛ أي: بعد أن نسخ التوجه إلى بيت المقدس بقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، هذه الآية إذن بجواز التوجه حيث توجه المصلي في التنفل على الراحلة، وفي صلاة الخوف. ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾: قبله الله. ﴿وَاسِعٌ﴾: يسع خلقه بالكفاية والتدبير. ١١٦ - ﴿قَدِينُونَ﴾: مطيعون مقرّون بالعبودية. ١١٧ - ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾: منشئها ومحدثها ومبتدعها. يقال: أبدع الشيء: أنشأه لا عن مثال. ١١٨ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: هم كفار العرب، ﴿لَوْلَا﴾: هلاً، أيكلما الله، يخبرنا بنبوة محمد فنعلم أنه نبي، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: اليهود والنصارى، ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي في التعتت وطلب ما لا يصح، أو في الكفر وإن اختلفت ظواهرهم. ﴿يُوقِنُونَ﴾: يعترفون بالحق ويدعون لأوامر الله.

[١١٥] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [١١٥] معنى اسم الله الواسع: فهو واسع الصفات، والنعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يُحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم. [١١٣] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ اتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ الآية. [١١٤] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن زيد قال: «نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية». [١١٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به، وهو آت من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، وقال في هذا نزلت هذه الآية، وأخرج الحاكم عنه قال أنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع». وقال: «صحيح على شرط مسلم» هذا أصح ما ورد في الآية إسناداً، وقد اعتمدته جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا. [١١٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال رافع بن حرملة لرسول الله ﷺ إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية». [١١٨، ١١٣] ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال بعض المفسرين: المراد بهم كفار قريش، أهل الجاهلية، فإنهم قالوا: إن محمداً ﷺ ليس على دين، وليس على شيء، أو: إنهم أمم سابقة، أو: إنهم طوائف من اليهود والنصارى، يعني أن الذين يتلون الكتاب من اليهود والنصارى قالوا مثل قول الذين لا يعلمون منهم، فاستوى قول عالمهم وجاهلهم، والآية تشمل جميع الأقوال، وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: مثل هذا القول الذي اقترحوه قد اقترحه من قبلهم: قوم موسى قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فهذا دأب المكذبين للرسول ينكرون، ويقترحون، وقد أتوا من الآيات بأعظم مما اقترحوه. [١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآيتان تبينان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وموجودهما على غير مثال سبق، وآية البقرة توضح أنه سبحانه إذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: "كن" فيكون، وأما آية الأنعام فتبين أن الله منزّه عن الولد والصاحبة...

١٢٠- ﴿مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم. ١٢١- ﴿يَتْلُوهُنَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: يقرؤونه كما يجب من التدبر له والعمل به. ١٢٢، ١٢٣- تقدم التفسير في الآيتين ٤٧، ٤٨، وقال البقاعي: أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم، والتحذير من حلول النقم، ليعلم أن ذلك فذلقة القصة، أي مجملها وخلاصتها. ١٢٤- ﴿ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾: اختبره ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾: اختلف فيها - وقيل إنها شرائع الإسلام التي أمره الله بالقيام بها ﴿فَاتَّمَمَهُنَّ﴾: أكملهن ووفى بهن ﴿إِمَامًا﴾: يؤتم به، ويهتدى بهديه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: دعاء من إبراهيم عليه السلام. أو بقصد الاستفهام، أي: ومن ذريتي ماذا يكون يا رب؟ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: قيل: «العهد» النبوة - هاهنا - واختلف فيه. ١٢٥- ﴿مَثَابَةٌ﴾: «المثابة» و«المثاب» واحد؛ وهو المعاد والمرجع يؤتى في كل عام، ويرجع إليه الحجاج والمعمرون ﴿وَأَمَّا﴾: لمن استجار به، ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أثناء إسماعيل به ليقوم فوقه، وكان ملصقاً بجدار الكعبة، ثم نقله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ﴿وَعَهْدَنَا﴾: أمرنا ﴿طَهَرًا﴾: من الآفات والشرك. وكل ما يصدق عليه مسمى التطهير. ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: بالبيت، وقيل: هم الغرباء ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: المقيمين، في البيت مجاورين فيه، والعاكف على الشيء: المقيم، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: أهل الصلاة. ١٢٦- ﴿فَأَمَّتْهُ﴾: رزقه في حياته ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ﴾: معنى «الاضطرار»: الإكراه والإجبار؛ أي: ألزمه حتى يصير مضطراً لا يجد من هذا العذاب مخلصاً ولا عنه متحولاً.

[١٢٧] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسمعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويشيهم. [١٢٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [١١٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ «ليت شعري ما فعل أبوي؟» فنزلت: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُنْشِلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله. مرسل. وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: أخبرني داود بن أبي عاصم أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «أين أبوي؟» فنزلت، مرسل أيضاً. [١٢٠] قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ آهْوَاءَهُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس قال: «إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم، وأيسوا أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ آهْوَاءَهُمْ﴾ الآية. [١٢٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا﴾ روى البخاري وغيره عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لمن: ﴿عَنِّي رُبُّهُ وَإِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يَبْدَلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ فنزلت.

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ آهْوَاءَهُمْ وَلَٰكِن تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

[١٢٠] ﴿وَلَٰكِن تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَلَٰكِن تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، ﴿وَلَٰكِن تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الرعد: ٣٧]. في آية البقرة الأولى الوحيدة التي جاء فيها ﴿الَّذِي﴾؛ لأن العلم المشار إليه فيها هو علم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله، ومعناه: أن دين الله الإسلام، وأن القرآن كلام الله وليس وراء ذلك علم، فكان لفظ ﴿الَّذِي﴾ أنسب لأنه في التعريف أبلغ، وجعل في آية البقرة الثانية ﴿مَا﴾، لأن المعنى: من بعدما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة، وذلك قليل من كثير من العلم، وزيدت معه ﴿مِنْ﴾، لأن تقدير الكلام: من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة، وجاء في آية الرعد ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، فعبّر بلفظ ﴿مَا﴾، ولم يزد ﴿مِنْ﴾، لأن العلم هنا هو الحكم أي: القرآن فكان بعضاً من الأول، ولم يزد فيه ﴿مِنْ﴾، لأنه غير مؤقت، وقريب من معنى القبلة ما في آية آل عمران ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾. [١٢٢] ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]. تكررت الآية مرتين بالبقرة، وهذا من قبل المبالغة في النصح، أو لوقوع كل منهما في مقابلة معصية تقتضي تنبيهاً ونهياً ووعظاً. [١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣]. قدم الشفاعة في الآية الأولى وآخر العدل، وقدم العدل في الآية الثانية وآخر الشفاعة، وإنما قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعموا أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخرها في الآية الأخرى، لأن التقدير في الآيتين معاً لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدماً فيها. قول آخر: انظر سورة البقرة آية: ٤٨. [١٢٥] ﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦]. الأمر في آية الحج بعد بناء الكعبة ولذلك جاء فيها ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ بالبيت من غير أهل مكة، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين بها، أي: بعدما صارت عامرة. [١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ في مواضعها المعينة، قرئ: (إبراهيم) بكسر الهاء وياء بعدها. وقرئ: (إبراهام) بفتح الهاء وألف بعدها وهي لغة شامية. [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بكسر الخاء على الأمر، والمأمور بذلك قيل: إبراهيم وذريته. وقيل: نبينا ﷺ وأمته، وعليهما فيكون معمولاً لقول محذوف، أي: وقال الله تعالى لإبراهيم على الأول، وقلنا: واتخذوا على الثاني. وقرئ: (واتخذوا) بفتح الخاء على أنه فعل ماضٍ، أريد به الإخبار، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مع إضمار (إذ).

= يا رسول الله قلنا نحب ذلك، قال: "أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم، أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل" رواه مسلم. أجر تعلم آية من القرآن: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير من أن تصلي =

٢٠

١٣٥- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾: هذا نظير قولهم ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١] ﴿حَنِيفًا﴾: «الحنيف»: المستقيم من كل شيء. وقيل: الحنيف: المائل، والمعنى: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق. وتطلق الحنيفة على دين الإسلام.

١٣٦- ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾: يوسف وإخوته، اثنا عشر رجلاً، ﴿لَا تَقْرَفُ﴾: لا تنولى بعض النبين، وتنبأ من بعض، كما فعلت اليهود والنصارى. ١٣٧- ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾: إن صدقوا تصديقاً مثل تصديقكم، فالمائلة وقعت بين الإيماني. وقيل: الباء زائدة مؤكدة، والتقدير: فإن آمنوا بالله مثلما آمنتم به. ﴿فِي شِقَاقٍ﴾: في فراق ومنازعة ومحاربة. ١٣٨- ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: قيل: دين الله. وقيل: فطرة الله؛ إذ كانت اليهود والنصارى يهودون أبناءهم ويُنصرونهم؛ فهذه الملة فطرة الله، قيل: وسمي الدين صبغة: استعارة، من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره. ﴿عَبِيدُونَ﴾: خاضعون. ١٣٩- ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾: أتجادلوننا في دين الله. ١٤٠- ﴿كُنْتُمْ شَهِدَةً﴾: يريد الذم لهم لأنهم يعلمون أن هؤلاء لم يكونوا يهوداً أو نصارى. ١٤١- ﴿كُتِبَتْ﴾: أسلفت وعملت.

[١٣٧] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء. وسمعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويشيهم.

[١٣٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

١٣٥- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾: قال ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ ما الهدى إلّا ما نحن عليه فأتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

١٣٦- ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٤]. قوله تعالى في آية البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾، لأن ﴿إِلَيْنَا﴾ ولانتهاء إلى الشيء، والكتب السماوية منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعاً، والخطاب في هذه السورة لهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾، فلم يصح إلا ﴿إِلَيْنَا﴾، وأما ﴿عَلَيْنَا﴾ فمختصة بجانب الفوق، وهذا مختص بالأنبياء، لأن الكتب منزلة عليهم، وفي آية آل عمران ﴿قُلْ﴾، وهذا مختص بالنبي ﷺ دون أمته، فكان الذي يليق به ﴿عَلَيْنَا﴾ فتأمله، ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، حذف "أوتي" في آل عمران، لأن إتياء النبيين ورد في آل عمران قبل قليل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾، فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها. قول آخر: في حذف ﴿وَمَا أُوْتِيَ﴾، من آل عمران: الأمر في البقرة لما كان للرسول وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجمع تأكيد مقامهم وتثبيت اعتقادهم، فقالوا: ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، ولما كان توجيه الأمر في السورة الأخرى بيادي الخطاب من قوله: ﴿قُلْ﴾ خاصاً به ﷺ، وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد لتنزه الرسول ﷺ حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد من الرسل.

١٤١- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١]. تكررت هذه الآية مرتين مع قرب العهد بالأولى، وذلك لأن الآية الأولى وردت تقريراً لإثبات ما نفوه من دين الإسلام الذي وصى الله به إبراهيم ويعقوب، ومعناه: أن أولئك أدوا ما عليهم من التبليغ والوصية فلهم أجر ذلك، ولكم من الوزر والإثم بما خالفتموهما ما يعود عليكم وباله، وأما الآية الثانية فوردت نفيًا لما ادعوه من أن إبراهيم ومن ذكر بعده كانوا هوداً أو نصارى، ومعناه: أن أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام، وعليكم إثم مخالفتهم وما افترتم عليهم من التهود والتنصر الذين هم برءاء منه.

١٤٣- ﴿لَنُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول بالبقرة؛ لأن الكلام المسوق بها لتقرير عدالة الأمة، وكونها شاهدة على الأمم، أمّا شهادة الرسول عليها فهي تزكية لها لقبول شهادتها، والتزكية تكون بعد أداء الشهادة نفسها، إذ هي أصل، والتزكية تابعة لها، ولولا ذلك لما قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول، لتباين المنزلتين، وأما سورة الحج فقد جاء الترتيب فيها على الأصل بتقديم شهادة الرسول على شهادة الأمة، وذلك لأن معناها أن يشهد الرسول على أمته بأنه بلغها ما أنزل إليه من ربه، وأن تشهد الأمة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم ما أنزل إليهم من ربه، فموضوع الشهادتين واحد هو التبليغ.

١٤٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا هُودٌ أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (أم يقولون) بالخطاب على نسق ما قبله من مخاطبة اليهود والنصارى في قوله: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ وعلى نسق ما بعده من قوله: قل: ﴿أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾. وقرئ: (أم يقولون) بالغيب، ويكون المخاطب محمداً ﷺ في شأن هؤلاء اليهود والنصارى، ولموافقة قول تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ وقوله: ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ فِيمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ كله بلفظ الغيبة إخباراً عن اليهود والنصارى. ويجوز: أن يكون بالياء التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة لإسقاط اليهود والنصارى عن درجة الاعتبار، وهم حاضرون فكأنهم غائبون؛ لذلك أجرى الكلام فيهم كما يجري مع الغائب.

١٣٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

١٣٥- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾: قال ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ ما الهدى إلّا ما نحن عليه فأتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

١٣٦- ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٤]. قوله تعالى في آية البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾، لأن ﴿إِلَيْنَا﴾ ولانتهاء إلى الشيء، والكتب السماوية منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعاً، والخطاب في هذه السورة لهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾، فلم يصح إلا ﴿إِلَيْنَا﴾، وأما ﴿عَلَيْنَا﴾ فمختصة بجانب الفوق، وهذا مختص بالأنبياء، لأن الكتب منزلة عليهم، وفي آية آل عمران ﴿قُلْ﴾، وهذا مختص بالنبي ﷺ دون أمته، فكان الذي يليق به ﴿عَلَيْنَا﴾ فتأمله، ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، حذف "أوتي" في آل عمران، لأن إتياء النبيين ورد في آل عمران قبل قليل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾، فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها. قول آخر: في حذف ﴿وَمَا أُوْتِيَ﴾، من آل عمران: الأمر في البقرة لما كان للرسول وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجمع تأكيد مقامهم وتثبيت اعتقادهم، فقالوا: ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، ولما كان توجيه الأمر في السورة الأخرى بيادي الخطاب من قوله: ﴿قُلْ﴾ خاصاً به ﷺ، وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد لتنزه الرسول ﷺ حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد من الرسل.

١٤١- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١]. تكررت هذه الآية مرتين مع قرب العهد بالأولى، وذلك لأن الآية الأولى وردت تقريراً لإثبات ما نفوه من دين الإسلام الذي وصى الله به إبراهيم ويعقوب، ومعناه: أن أولئك أدوا ما عليهم من التبليغ والوصية فلهم أجر ذلك، ولكم من الوزر والإثم بما خالفتموهما ما يعود عليكم وباله، وأما الآية الثانية فوردت نفيًا لما ادعوه من أن إبراهيم ومن ذكر بعده كانوا هوداً أو نصارى، ومعناه: أن أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام، وعليكم إثم مخالفتهم وما افترتم عليهم من التهود والتنصر الذين هم برءاء منه.

١٤٣- ﴿لَنُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول بالبقرة؛ لأن الكلام المسوق بها لتقرير عدالة الأمة، وكونها شاهدة على الأمم، أمّا شهادة الرسول عليها فهي تزكية لها لقبول شهادتها، والتزكية تكون بعد أداء الشهادة نفسها، إذ هي أصل، والتزكية تابعة لها، ولولا ذلك لما قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول، لتباين المنزلتين، وأما سورة الحج فقد جاء الترتيب فيها على الأصل بتقديم شهادة الرسول على شهادة الأمة، وذلك لأن معناها أن يشهد الرسول على أمته بأنه بلغها ما أنزل إليه من ربه، وأن تشهد الأمة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم ما أنزل إليهم من ربه، فموضوع الشهادتين واحد هو التبليغ.

١٤٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا هُودٌ أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (أم يقولون) بالخطاب على نسق ما قبله من مخاطبة اليهود والنصارى في قوله: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ وعلى نسق ما بعده من قوله: قل: ﴿أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾. وقرئ: (أم يقولون) بالغيب، ويكون المخاطب محمداً ﷺ في شأن هؤلاء اليهود والنصارى، ولموافقة قول تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ وقوله: ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ فِيمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ كله بلفظ الغيبة إخباراً عن اليهود والنصارى. ويجوز: أن يكون بالياء التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة لإسقاط اليهود والنصارى عن درجة الاعتبار، وهم حاضرون فكأنهم غائبون؛ لذلك أجرى الكلام فيهم كما يجري مع الغائب.

= هم أهل الله وخاصته "رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَاجَةَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. رَفَعَ الْقُرْآنُ لِأَهْلِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيُضَعُّ بِهِ آخَرِينَ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَارِئُ الْقُرْآنِ مُسْتَدْرَجُ النَّبُوءَةِ بَيْنَ جَنَبِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ -أَيَ حَفَظَهُ- فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النَّبُوءَةَ بَيْنَ جَنَبِيهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ" =

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا
عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبْرَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَءَافٍ وَرَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ رَأَى نَقْلُ وَجْهَكَ فِي السَّمَا
فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِن الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَئِن أَتْبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنْكَ أَلَعَلَّكَ إِذَا لَمْ تَأْمُرْ بِالْقِيلَمِينَ

سنن بالقرآن: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ صححه الألباني. إكرام أهل القرآن: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، =

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْتَيْنَاكَ أَنُوبَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلِلَّهِ كُفْرُ الْوَالِدَيْنِ وَالْأُولَادِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

١٥٤- ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: بحياتهم عند مشاهدتكم لأبدانكم. ١٥٥- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: لنختبرنكم، والمراد بنقص الأنفس ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾: الموت والقتل في الجهاد، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: ما يصيبها من الحوائج. وقيل: موت الأولاد. ١٥٧- ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: غفران ورحمة. ١٥٨- ﴿الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾: جبلان صغيران، معلومان في الحرم، و«الصفا» عند العرب: الصخرة الملساء، و«المروة» الحصاة الصغيرة. ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من مشاعر الحج ومناسكه وواجباته. ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا إثم. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾: زاد على ما افترض عليه، وأخرج مسلم وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لعمري ما أتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة، ولا عمرته». ١٥٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾: قيل: هم أحرار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ، والآية عامة في كل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه. فتشمل هؤلاء الأحرار والرهبان وغيرهم إلى يوم الدين. ١٦٠- ﴿وَبَيَّنَّا﴾: ما جاءهم من الله ولم يكتموا. ١٦١- ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارٌ﴾: استدلت بهذا بعض العلماء على أنه لا يجوز لعن كافر معين لأن حاله عند الوفاة لا يعلم، وكذلك لعن العاصي المعين، فإنه لا يجوز باتفاق، لما في الصحيحين أن النبي ﷺ أتى بشارب خمر مراراً، فقال بعض من حضر: لعنه الله ما أكثر ما يشربه، فقال: النبي ﷺ «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك».

[١٥٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ﴾ الآية. أخرج ابن منده في الصحابة من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «قتل تميم بن الحمام بيدر، وفيه وفي غيره نزلت ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ الآية، قال أبو نعيم اتفقوا على أنه «عُمير بن الحمام» وأن السدي صحفه. [١٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة عن عائشة قال: «قلت أرايت قول الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بشما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولتها

عليه كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكان من أهلها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. [١٥٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحرار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتمهم إياه وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ الآية.

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. آية البقرة تأتي بعد أمر المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة لإقامة الدين، فكأنما قيل: إن احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فقتلوكم، فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم، بل اعلموا أن قتلكم أحياء عندي، وكان المسلمون لا يعرفون هذا الأمر ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وقد ذكر أهل التفسير أنها نزلت في قتل بدر، وأن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم طلباً لمرضاة محمد ﷺ من غير فائدة، فنزلت هذه الآية.

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٦٠، النساء: ١٤٦] ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. لم يذكر في آية البقرة ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، لأنه جاء في الآية قبلها ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فلو أعاده لحصل التباس لعدم وضوح تعلق ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بقوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩]، أو متعلق بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا﴾، فالمراد في آية البقرة الحكم بعد البيان، وفي غيرها مما ورد فيه ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المراد التوبة بعد الحكم، ولذلك لم يذكرها أيضاً في آية النساء لأنها تخص المنافقين.

= سبيل الله عز وجل. ٤٤- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتصرون ويجهادون فقال: "ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثلاً صنعتم؟" قالوا: بلى يا رسول الله قال: "تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة" الحديث متفق عليه. فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا - إلى صدقاتهم وعبادتهم بإهم - التعبد بهذا الذكر، فحازوا الفضيلتين بنفسهم الفقراء، وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، وانفردوا لهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" متفق عليه.

[١٥٢] ﴿فَإِذْ كُفِّرَتْ كَرْمُهُمْ أَشْجُرُهُمْ إِلَى وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٢]. قال النووي: اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها. بل كل عامل لله بطاعة، فهو ذاك لله تعالى: كذا قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه، وغيره من العلماء. [١٥٣] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآسَئِينَوُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفاً. [١٥٣] ﴿وَأَسَئِينَوُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآسَئِينَوُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. في الآية الأولى إشارة إلى

التثاقل والتكاسل الغالب مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص، وذلك مناسب لبني إسرائيل، أمّا الآية الثانية فهي تعقب على حال المؤمنين الذي يوسم بالرضا والاستقامة فكان ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. من فوائد وشار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر. ٣- معية الله تعالى. = [١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿تَطَوَّعَ﴾ في

الموضعين: ١٥٨، ١٨٤، قرئ: (تطوع) بالتاء وفتح الطاء مخففة وفتح العين، وهو فعل ماضٍ في محل جزم بـ«مَنْ» على أنها شرطية، أو صلة لـ«مَنْ» على أنها اسم موصول لا محل له. وقرئ: (يطوع) بالياء، وتشديد الطاء وإسكان العين مضارعاً مجزوماً بـ«مَنْ» الشرطية. وأصله: يتطوع أدغمت التاء في الطاء لاتحاد المخرج.

= ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له اقرأ وارق فيزداد بكل آية حسنة" رواه الترمذي وحسنه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. فضل القرآن على أهله يوم القيامة: قال رسول الله ﷺ: "يحيي القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب ويقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت =

١٦٤- ﴿وَاخْتَلَفَ أَيْلُ وَالنَّهَارُ﴾: تعاقبهما ﴿وَالْفُلُكُ﴾: السفن، واحده وجمعه بلفظ واحد، ويذكر ويؤنث. والفلك المفرد مذكر. ﴿وَبَتْ﴾: فرق. ﴿وَنَصْرِيْفَ الرِّيحِ﴾: إرساها على أنواع مختلفة، ومن جهات شتى، وغير ذلك. ١٦٥- ﴿أَنْدَادًا﴾: أمثالا من الأصنام. وقيل: من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم. وهذا أرجح لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾. ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: في الدنيا عذاب الآخرة لعلمو حين يرونه أن القوة لله جميعا. وقيل: المعنى: لو يعلم الذين ظلموا حقيقة قوة الله وشدة عذابه - وجواب «لو» محذوف - أي: لتبينوا ضرر اتخاذهم الآلهة. ١٦٦- ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾: يعني التابعين والمتبوعين عند المعاناة في الدنيا أو عند العرض والمساءلة في الآخرة ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾: الأرحام والتواصل والمودة. ١٦٧- ﴿كَرَّةً﴾: رجعة. ﴿حَسْرَتٍ﴾: الحسرة: أشد الندم. ١٦٨- ﴿خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾: عمله وخطاياه، وسبله وطرائقه. و«خطوات» جمع: «خطوة» بالفتح والضم، وهي بالفتح للمرة، وبالضم لما بين القدمين في المشي. ﴿عَدُوِّمِينَ﴾: قد أبان عدواته لآدم وأظهرها. ١٦٩- ﴿بِالسُّوءِ﴾: المكروه، وهو الإثم؛ من ساءك. ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: ما استفحش ذكره وقبح مسموعه. وقيل: إن «السوء» - هاهنا - معاصي الله؛ و«الفحشاء»: الزنا.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ﴾ الآية. أخرج سعيد بن منصور في سننه، والفرجاني في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الضحى قال: «لما نزلت» ﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ تعجب المشركون وقالوا: لها واحدًا لئن كان صادقًا فليأتنا بآية، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قلت هذا معضل، لكن له شاهداً أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء قال: «نزل على النبي ﷺ بالمدينة ﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إليه واحد، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[١٦٤] ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٥]. آية الجاثية لما تأخرت في الترتيب الذي استقر عليه القرآن كانت مظنة لبیان أن الرزق من الماء قال تعالى: ﴿يُنْثِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ [النحل: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ ق ٩-١٠﴾، فقال في سورة الجاثية: ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾ تسمية للماء بما عنه يتسبب، ولتكون مبالغة في بيان ما تقدم كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

[١٧٠] ﴿قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]. الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]، لقمان: ٢١. «ألفى» في اللغة تستعمل في الأمور المادية فقط، وقسم من النحاة يقولون: إنها لا تأتي في أفعال القلوب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَفْنَاءُ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ [الصافات: ٦٩]، وقوله: ﴿وَالْفَيْنَا سَيِّدَهَا لَدَا الْأَبِّ﴾ [يوسف: ٢٥]، أمّا كلمة «وجدنا» فتأتي مع أفعال القلوب كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَابًا رَجِعُوا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد تأتي أحياناً في الأشياء الحسية، وعندما يذكر القرآن كلمة ألفينا يريد أن يذمهم أكثر، وينفي عنهم العقل كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُوا كَاتِبَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧٠]، أمّا آيتا المائدة ولقمان فجاءت بهما ﴿وَجَدْنَا﴾ مع نفي العلم عنهم، إذا ألفينا تأتي في باب الذم.

[١٧٠] ﴿أُولُوا كَاتِبَاتٍ﴾ أمّا آيتا المائدة ولا يهتدون ﴿وَجَدْنَا﴾ مع نفي العلم عنهم، إذا ألفينا تأتي في باب الذم.

[١٧٠] ﴿أُولُوا كَاتِبَاتٍ﴾ أمّا آيتا المائدة ولا يهتدون ﴿وَجَدْنَا﴾ مع نفي العلم عنهم، إذا ألفينا تأتي في باب الذم.

[١٧٠] ﴿أُولُوا كَاتِبَاتٍ﴾ أمّا آيتا المائدة ولا يهتدون ﴿وَجَدْنَا﴾ مع نفي العلم عنهم، إذا ألفينا تأتي في باب الذم.

[١٧٠] ﴿أُولُوا كَاتِبَاتٍ﴾ أمّا آيتا المائدة ولا يهتدون ﴿وَجَدْنَا﴾ مع نفي العلم عنهم، إذا ألفينا تأتي في باب الذم.

٤- صلاة الله ورحمته وهديته. ٥- توقف النصر على الصبر. ٦- محبة الله تعالى. ٧- اجتماع خصال الخير في الصابر. [١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. في الآية استحباب الاسترجاع عند المصيبة وإن قلت، كما أشار إليه تنكير كلمة «مصيبة».

[١٦٤] ﴿وَنَصْرِيْفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ قوله تعالى: ﴿الرِّيحُ﴾ قرئ: جمعاً وإفراداً في مواضع وروده، ووجه قراءة الجمع نظراً لاختلاف أنواع الرياح في هبوبها جنوباً وشمالاً، ودبوراً وصباحاً، وغير ذلك، وفي أوصافها: حارة وباردة، ولينة وعاصفة، وعقيماً ولواقح ونكباء. ويطلق على واحد من الأنواع السابق ذكرها، هذا عدا ﴿رِيْلَ الرِّيحِ مُبَشِّرَتٍ﴾ [الروم: ٤٦] فاتفق على قراءته جمعاً نظراً لجمع (مبشرات)، كما اتفق على القراءة بالإفراد في ﴿الرِّيحِ الْعَقِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١] لإفراد (العقيم)، ووجه الإفراد في مواضع الجمع أنه جنس فمعناه الجمع كقولهم: جاءت الرياح من كل مكان. ووجه تخصيص هذه المواضع: التنبيه على جواز الأمرين. (والرياح) بالإفراد أكثر ما تقع في العذاب، والعقوبات، والرياح بالجمع تأتي في الرحمة والنعيم. [١٦٥] ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرَى﴾ قرئ: (تري) بالتاء والمخاطب هو السامع أو الرسول ﷺ ﴿وَالَّذِينَ﴾ مفعول به، والخطاب للرسول خطاب للأمة. ويجوز أن يكون الخطاب للظالمين والتقدير: «قل يا محمد للظالم لو ترى الذين ظلموا». وقرئ: (يري) بالياء، والفاعل إما ضمير مستتر، «والذين» مفعول به، وإما أن يكون الفاعل هو (الذين) لأنهم المقصودون بالوعيد، ولجريه على نسق ما قبله من لفظ الغيبة في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فهم الظالمون المذكورون بعد (تري)، فجري اللفظ على الغيبة كما تقدم من ذكرهم بالغيبة. قوله تعالى: ﴿يَرُونَ﴾ قرئ: بفتح الياء على البناء للفاعل وواو الجماعة فاعل. وقرئ: (يرون) بضم الياء بالبناء للمفعول وواو الجماعة نائب فاعل. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْقُوَّةَ - إِنَّ اللَّهَ﴾ قرئ: بكسر الهمزة فيهما وذلك على تقدير أن جواب «لو» هو (لقلت) في قراءة: (تري) بالخطاب. وأن الجواب (لقالوا) في قراءتها بالغيب ويحتمل: أن تكون على الاستثنا. وقرئ: (أن القوة) - أن الله (بفتح همزة) إن في الموضوعين وتقدير الجواب لعلمت في قراءة (تري) بالخطاب، أو لعلمو في قراءتها بالغيب. [١٦٨] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿خُطُوبَ﴾ قرئ: (خطوات) بضم الطاء. وقرئ: (خطوات) بتسكين الطاء، والضم والإسكان لغتان.

= أسهر ليلك، وأظمى هو أجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى الملك يمينته، والخلد بشاله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب أنى لنا هذا؟! فيقال: بتعليم ولدك القرآن. وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ وأرق في

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا فَلَا تَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧١﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
﴿١٧٢﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ عَنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْغَفْوَةِ فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ نَزَلُوا مِنَ
الْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٧﴾

١٧٠ - ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: ما وجدناهم عليه. ١٧١ - ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾: يصيح بمن لا يفهم، مثل البهيمة ثنأى فلا تعقل ما تستمع. ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْى﴾: الأصم: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا يتكلم. وقيل: إن المراد بالأصم: الأصلح الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير، من غير فهم للحروف. وفي الآية تشبيه واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد ﷺ بالراعي الذي يرفع صوته لأغنامه فلا تفهم ولا تعي ما يقول غير أنها تسمع صوته، وكذلك الكافر إذا أمرته بأمر أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك. ١٧٢ - ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: الطيب هو الحلال المستلذ من الأطعمة، فكلوا منه ولا تحرموا شيئاً لم يحرمه الله، ولا تمتنعوا من أكل ما حرمه أهل الجاهلية وغيرهم من تلقاء أنفسهم. ١٧٣ - ﴿أُهْلَ بِهِ﴾: لغير الله. ما ذبح لغير الله وذكر عليه غير اسم الله؛ وكل ذابح مهمل عند العرب، وأصل معنى «الإهلال»: رفع الصوت، وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم عند الذبح بذكر اللات والعزى، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: قاطع سبيل. ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مفارق جماعة. واختلف فيه. وقيل: المراد بالباغي: من يأكل فوق حاجته، والعادي: من يأكل هذه المحرمات وهو يجحد عنها مندوحة. بوجود الحلال. ١٧٥ - ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: ما أجراهم على العمل الذي يقربهم من النار، وفيه اختلاف.

[١٧٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، من طريق سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حرملة ومالك بن عوف: بل نسمع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله في ذلك ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الآية. [١٧٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ والتي في آل عمران ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ

بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نزلنا جميعاً في يهود. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيرون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية.

[١٧١] ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. في الآية الأولى ذهب الله بنور المناققين فهم يتخطون في الظلمات فكيف يرجعون؟ فختم الآية بقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، والآية الثانية شبهت الكفار بما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها أي: دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، وإنما تسمع صوته فقط ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَمَا أُهْلَ بِهِ﴾ لغير الله فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وبحدف ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥]. آية البقرة وردت في سياق المأكول وحله وحرمة، فكان تقديم ضميره وتعليق الفعل به أهم، وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره والأمر بتقواه، وكذلك آية النحل بعد قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٤]، وكان تقديم اسمه أهم، وأيضاً فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة، فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائهم، وما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم، والله أعلم. ثم قال في آية البقرة: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ولم يذكرها في السور الثلاث الأخرى، لأنه لما قال في الموضع الأول في المصحف ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ صريحاً كان نفي الإثم في غيره تضييماً، لأن قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في السور الثلاث يدل على أنه لا إثم عليه، ومن أسرار الجمع بين ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ و﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالبقرة: أن الغفران إنما يكون عند حصول الإثم، فذكر أن المضطر قد يزيد على تناول الحاجة، فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة، رحيم حيث أباح تناول قدر الحاجة. [١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ عَنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]. المنكر في سورة البقرة أكثر، فالتوعد فيها أكثر وأشد، وكثرة المنكر في سورة البقرة بكثرة الذنوب التي ارتكبوها، قال تعالى في صدر الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ...﴾ فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدم إليهم من عهده، فهو لاء لم يبينوا وكنتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه، ثم أثروا القليل من الدنيا على العظيم من عهد الله، فجاء على هذا أغلظ الوعيد، وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]، أما في آل عمران فلم يذكر في صدر الآية إلا بعض ما في البقرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فكان التوعد في آل عمران أقل من البقرة.

[١٧٤] ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]. كيف نفى عنهم الكلام في آية البقرة وأثبت لهم في آية الحجر؟ **الجواب:** المنفي في آية البقرة الكلام بلطف وإكرام، والمثبت في آية الحجر، سؤال توبيخ وإهانة، أو في يوم القيامة مواقف، ففي موقف لا يكلمهم، وفي موقف يكلمهم، ومن ذلك آية النفى المذكورة مع قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]. [١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمَيْتَةَ﴾ أيما وردت مادتها في القرآن عدا ما استثنى مما يأتي بعد، قرئ: (الميتة) بتخفيف الياء ساكنة. وقرئ: (الميتة) بتشديد الياء مكسورة، وهما لغتان جيدتان والتشديد أصل التخفيف، والتشديد متفق عليه فيما لم يمت نحو: ﴿وَمَا هُوَ بِسَيِّئٍ﴾ و﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿أَضْطَرُّ﴾ قرئ: (اضطر) بضم الطاء على الأصل. وقرئ: (اضطر) بكسر الطاء إذا أصله اضطرر بكسر الراء ولما أدغم الراء، نقلت حركة الراء الأولى إلى الطاء. من هذا تبين أن كسر الطاء وضمها لغتان. = الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية معك" رواه الطبراني وحسنه الألباني. **الأمر بتعهد مراجعة القرآن:** قال رسول الله ﷺ: "تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وقال رسول الله ﷺ: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد =

لَيْسَ الْإِرَانُ ثُلُوءًا وَجُوهَكُمْ قِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْإِرْمَءَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَالْمَلَكُوتَ وَالْكِتَابَ
الَّتِي تَنْتَحَىٰ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حَيْهَةِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذِبٌ
عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ
بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءَ
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ
يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾

۲۷

[١٨١] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحبات.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ (البر) نصب البر خير ليس مقدماً «أَنْ تُولُوا» اسمها في تأويل مصدر لأن المصدر المؤول أعرف من المحلى؛ لأنه يشبه الضمير لكونه لا يوصف ولا يوصف به، وقرئ: (ليس البر) بالرفع على أنه اسم ليس إذ الأصل أن يلي الفعل مرفوعه قبل منصوبه. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ﴾ و﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَاتَىٰ﴾ قرئ: بتخفيف نون (لكن) مخففة من الثقيلة، جيء بها لمجرد الاستدراك فلا عمل لها، ويرفع (البر) فيها على الابتداء. وقرئ: (لكن البر) بتشديد النون ونصب البر فيها على أنها اسمها. [١٧٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبٌ عَلَيْهِمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْخُرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ...﴾ [البقرة: ١٧٨]. ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...﴾ [المائدة: ٤٥]. إيجاز تشريعي: القصص في القرآن: وقفة تأمل: * إن قُتِلَ القاتل عمداً كما شرع الله، هل سيقتل غيره عمداً بعد ذلك؟! * وإن أُلْزِمَ مَنْ قَتَلَ خطأً بالدية كما شرع الله، هل سيقتل غيره عمداً بعد ذلك؟! * هل تعلم أن الدول التي تطبق الحدود لا يحدث فيها من الجرائم والحوادث كما يحدث في غيرها من الدول التي لا تطبق الحدود؟ * هل تعلم أن حوادث القتل والسرقة في الدول التي تطبق الحدود الشرعية على السارق والقاتل تكاد تكون منعدمة، حتى إنه ربما يمر العام ولا تُسجَل إلا حالة واحدة لقتل أو سرقة؟ * بالله عليك.. إن كان في قانون العقوبات = عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت "مُتَقَقَّ عَلَيْهِ. اغتباط صاحب القرآن: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" مُتَقَقَّ عَلَيْهِ. القرآن يحاج عن صاحبه يوم القيامة: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢ - ﴿مِنْ مُوسٍ﴾: رجل محتضر يوصي ﴿جَنَفًا﴾: جوراً، وعدولاً عن الحق؛ وهو أصله في كلام العرب. وقيل: «الجنف» - هاهنا -: الخطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: «الإثم» - هاهنا -: أثرة بعض على بعض. وقيل: هو العمد. وفيه اختلاف. ﴿فَأَصْلَحَ﴾: أمر الموصي بالعدل، ورد الوصية إلى الحق. ١٨٣ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾: معنى «الصيام»: الكف عما أمر الصائم بالكف عنه؛ من أكل وغيره. وصامت الخيل: إذا كفت عن السير. ١٨٤ - ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾: هي أيام رمضان. وقيل: إنها ثلاثة أيام من كل شهر كانت تصام قبل أن يفرض شهر رمضان، والصواب الأول، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: من أيام شهر آخر غير رمضان يصوم عدد ما أفطر ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: أن يطعم كل يوم أفطر فيه مسكيناً، وفي الآية رخصة للشيخ والعجائز إذا كانوا لا يطيقون الصوم إلا بمشقة. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: صام مع الفدية. وقيل: زاد في الإطعام. ١٨٥ - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: «الشهر»؛ مأخوذ أصله من الشهرة، يقال: أشهر الشهر: إذا طلع هلاله، وأشهرنا نحن: إذا دخلنا في الشهر. وقيل: سمي رمضان؛ لشدة الحر الذي كان يكون فيه، من الرَّمَضاء، ورَمَض: احترق، كما سمي ربيع الأول، وربيع الآخر: بالربيع. ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾: بمعنى: من كان مقيماً منكم في داره ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾: التخفيف والتسهيل ﴿الْعُسْرَ﴾: الشدة والمشقة. [١٨٤] قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ الآية. أخرج ابن سعد في طبقاته عن مجاهد قال هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، فأفطر وأطعم لكل يوم مسكيناً. [١٨٥] ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٤، ١٩٦]. لم يقيد هذا الموضع بقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ اكتفاء بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ لاتصاله به. [١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ [الواقعة: ٢٥].

ما الفرق بين «إثم وأثم وتأثم»؟ **الجواب:** الإثم: هو مصدر الفعل (أثم) وهو ناتج الفعل الخطأ الذي يُعاقب عليه مرتكبه. والاثم: هو الإثم المضاعف، وتأثم: مصدر الفعل الرباعي المشدد (أثم)، ومعناه: سبب له الإثم. [١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، انظر إلى هذه اللطيفة القرآنية في هذه الآية، إذ ورد فيها لفظ السؤال ولم يأت بعده لفظ "قل"، كما هو في آيات السؤال الأخرى في القرآن الكريم، وفي هذا والله أعلم إشارة إلى رفع الوساطة بين العبد وربّه في مقام التعبد والدعاء. **سؤال:** نجد كثيراً من الداعين لا يُستجاب لهم؟ **الجواب:** إنما لم يُستجب لهم؛ لانتفاء شرط الإجابة، إن شرطها طاعة الله، وأكل الحلال، وحضور القلب، أو لأنّ الداعي قد يعتقد مصلحته في إجابة دعوته، والله يعلم أنّ المصلحة في تأخيرها، أو يعطيه بدلها، فقد روى الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مأثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث: إمّا أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها" قالوا: يا رسول الله إذا نكث، قال: "الله أكثر". أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. [١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا﴾ قوله تعالى: ﴿مُوسٍ﴾ قرئ: (مُوصٌ) بفتح الواو وتشديد الصاد على أنه اسم فاعل من "وصي". وقرئ: (مُوصِي) بإسكان الواو وتخفيف الصاد على أنه اسم فاعل من "أوصى" وهما لغتان متكافئتان حسنتان لكل واحدة منهما شاهد قد أجمع عليه. [١٨٤] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ قرئ: (طعام) بغير تنوين بالخفض على الإضافة؛ لأنه سمي الطعام الذي يفدي به الصيام فدية، ثم أضافه إلى (طعام) وهو بعضه فهو من باب إضافة بعض إلى كل، مثل: ((هذا خاتم حديد، وثوب خز)). وقوله: ﴿مَسْكِينٍ﴾ قرئ: (مساكين) بالجمع وفتح النون بلا تنوين؛ لأنه لا ينصرف وليناسب قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ لأن الواجب على جماعته إطعام جماعة. وقوله: ﴿فِدْيَةٌ﴾ قرئ: (فدية) بالرفع منونة مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله، و(طعام) بالرفع بدل من (فدية) ثم أبدل (الطعام) منها بدل الشيء من الشيء، وهو هو، فبين الله به من أي نوع هي، أمّن الطعام أو غيره؟ وقرئ: (مسكين) بالتوحيد وكسر النون منونة، ووجه التوحيد: بيان أن الواجب على كل واحد إطعام واحد، وليناسب لفظ (فدية). [١٨٥] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿الْعُسْرَ﴾ قرئ: (العسر) حيث وقع في القرآن بإسكان السين. وقرئ: (العسر) حيث وقع في القرآن بضم السين، والإسكان والضم لغتان، والإسكان هو الأصل، والضم لمناسبة الحرف الذي قبل السين. وقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ قرئ: (ولتكمّلوا) بفتح الكاف وتشديد الميم من كمل، ففيه معنى التأكيد والتكرير. وقرئ: (ولتكمّلوا) بإسكان الكاف وتخفيف الميم من أكمل المزيد بالهمزة، وعليه قوله: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

= لين وضعف وعقاب أقل، هل سيكون العقاب رادعاً للجنة كما يردعهم العقاب الإلهي بتطبيق الحد الشرعي؟ * كيف يقتل القاتل متعمداً... وهو يعلم أن مصيره القتل كما قتل؟ * وأخيراً.. هل وجدت أمناً وأمناً كما هو الحال في الدول التي تطبق فيها الحدود الشرعية كما أمر ربّ البرية؟! [١٨٣-١٨٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٨٣] أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ١٨٣-١٨٤]. **إعجاز وقائي وعلاجي في الصيام:** **حقائق علمية:** مع بداية عصر النهضة نشطت الدعوة من جديد إلى المعالجة بالصوم في كل أوروبا، منها ما كتبه الطبيب السويسري بارسيلوس: إن فائدة الصوم في العلاج تفوق مرات ومرات استخدام الأدوية المختلفة. وقال بنيامين (الأستاذ بجامعة موسكو): لو راقبنا الإنسان عن قرب لوجدنا أن نفسه تعاف الطعام وترفضه في بعض الفترات، وكأنها بذلك تفرض على نفسها الصيام المؤقت الذي يؤمن لها التوازن الداخلي ويحفظها من المؤثرات الخارجية. وفي عام ١٩٤١م صدر كتاب بوخنجر «المعالجة بالصوم كطريقة بيولوجية» شرح فيه المؤلف كيفية استخدام الصوم في معالجة كثير من الأمراض المستعصية، وبيّن أن الجوع يُغيّر من تركيب البنية العضوية للجسم ويؤدي إلى طرح السموم منه. هل تعلم؟ * أن هذه الآية تعدّ دستوراً صحياً «لمن = الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. **الآباء المتوجون:** قال رسول الله ﷺ: "من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل به" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وقال: صحيح الإسناد.

١٨٧- ﴿الرَّفْتُ﴾: -هاهنا-: كناية عن الجماع؛ وفي غير هذا الموضع: الإفحاش في المنطق. ﴿مَنْ لَيْسَ لَكُمْ﴾: كلا الزوجين كاللباس لصاحبه، لا متزاج كل واحد منها بالآخر. ﴿كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ﴾: تصيبون وتناولون من الطعام والشراب والنساء بعد الرقاد. ﴿فَأَلْفَنَ بَشِيرُوهُنَّ﴾: كناية عن النكاح. وأصل «المباشرة» في كلام العرب: ملاقة بشرة الرجل - وهي جلده - بشرة المرأة ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا واقصدوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أحل لكم وأمركم ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾: ضوء النهار بطلوع الفجر من سواد الليل وظلمته. ﴿أَتَمُّوا﴾: أكملوا ﴿عَنكِفُون﴾: أصل «العكوف»: المقام وحبس النفس عن الشيء ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: شروطه التي ميزها وحددها وعرفها عباده. ١٨٨- ﴿أَمْوَالُكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: بظلم الرجل منكم صاحبه ﴿وَتَذَلُّوا﴾: أصل «الإدلاء»: إرسالك الدلو في حبل متعلق به في البئر؛ فقيل للمحتج لدعواه: أدلى بحجة كيت وكيت: إذا كانت حجته التي يحتاج بها سبباً له هو متعلق بها في خصومته؛ كتعلق المستقي من بئر بدلو قد أرسلها فيها بجبلها الذي الدلو به متعلقة، ومعنى الآية: لا تلقوا أمر هذه الأموال والحكم فيها إلى الحكام لتأكلوا - بالتحاكم - طائفة من أموال الناس بالإثم - بشهادة زور أو يمين كاذبة أو نحو ذلك - مع العلم بأن المحكوم له ظالم. ١٨٩- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾: سأل قوم من المسلمين النبي ﷺ عن الهلال، وعن سبب محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس، فنزلت الآية. وقيل: إنهم قوم بسؤالهم عن الأهلة لم يأتوا البيوت من أبوابها. لأن الوقوف على ما سألوا عنه إنما هو من عمل الإنسان، وليست من مهمة القرآن، ولهذا جاءت الإجابة عن وظيفة الأهلة، لا عن قانونها وطبيعة عملها. ﴿مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ﴾: معالم يوقت بها الناس عباداتهم ومعاملاتهم، ومعالم للحج يعرف بها وقته، ﴿بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾: كانت العرب والأنصار إذا حجوا في الجاهلية ورجعوا، تسوروا بيوتهم من ظهورها، ولم يدخلوا من أبوابها. ١٨٦ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الآية.

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّا أَتَقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَفَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتَنُوكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ، وغيرهم من طرق عن جرير بن عبد الحميد، عن عبدة السجستاني، عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: أ قريب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق، عن الحسن قال: «سأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ الآية. مرسل، وله طرق أخرى وأخرج ابن عساکر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل علي: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فقال رجل: يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء، أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾. ١٨٧ قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ وأخرج البخاري عن البراء قال لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ روى البخاري عن سهل بن سعيد قال أنزلت ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فاعلموا إنما يعني الليل والنهار. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء فنزلت: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾. ١٨٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرمي اختصما في أرض، وأراده امرؤ القيس أن يحلف، ففيه نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾. ١٨٩ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن طريق العوفي، عن ابن عباس قال: «سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية». وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالقة قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهلة، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾. وأخرج أبو نعيم وابن عساکر في تاريخ دمشق عن طريق السدي الصغير عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالوا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو أو يطلع = [١٨٧، ٢٢٩] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُواهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]. قال في آية البقرة الأولى: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، لأن الحد الأول فيه نهي، وهو ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾، وما كان من الحدود نهي أمر بترك المجاوزة وهو الاعتداء، ومثل ذلك في آية النساء: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ [النساء: ١٣-١٤]، وذلك بعد بيان الموارد، وكذلك في آية الطلاق: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، بعد الأمر بأن يكون الطلاق ﴿لِعَدَّتِهِ﴾ وهو الطلاق الشني. ١٨٩ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّا أَتَقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَفَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قوله: ﴿يُؤْتِي - وَالْبُيُوتَ﴾ قرئ: (بيوت) حيث وقع في القرآن بضم الباء، وذلك في جمع "فعل" على وزن "فُعُول". وقرئ: (بيوت) حيث وقع في القرآن بكسر الباء، وذلك لمجانسة الباء، من هذا تبين أن الضم والكسر لغتان. = يتبني الصحة والعافية حتى الممات؟ * هل تعلم أن الصحابة والتابعين كانوا أشد الناس قوة بدنية ونفسية وعصبية (أي من حيث الاستقرار النفسي والعصبي) إضافة إلى القوة الإيمانية بسبب سنة الصيام؟ * هل تعلم أن القرآن سبق بحقيقة الصيام وفوائده كل العلوم الدنيوية بما فيها الطبية؟ * هل تعلم أنك بالصيام وحده يمكن أن تستغني عن كثير من الدواء؟ * هل تعلم أن من يصوم كثيراً يعمر طويلاً (عن غيره الذي يكثر الطعام والشراب فتكثر أمراضه فتدنو منيته)؟ وهل تعلم أن علماء الغرب الكافرين استفادوا كثيراً جداً (وما زالوا يستفيدون) من حقيقة الصيام القرآنية والنبوية؟ * هل تعلم أن كثيراً من عيادات الأطباء الآن في أوروبا وأمريكا يستخدمون الصيام كعلاج أساسي لمرضاهم؟ * هل تعلم أن بالصيام وحده تم الشفاء التام من كثير من الأمراض المزمنة؟ * وأخيراً الحقيقة القرآنية الإعجازية: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

= أهل القرآن مقدمون في الدنيا والآخرة: كان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد - أي في القبر - ثم يقول: "أيها أكثر أخذاً للقرآن؟" فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. فضل القراءة في المصحف: قال رسول الله ﷺ: "من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف" رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يَقْتُلُوهُمْ وَآخِرُ جُوهٍ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْدَى عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِرُءُوسِكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَعْيَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩١- ﴿حَيْثُ يَقْتُلُوهُمْ﴾: معنى الثقافة بالأمر: الحذق والبصر. يقال: «إنه لثقف لقف»؛ إذا كان جيد الحذر، وهو -هنا- بمعنى: وجدتموهم وتمكنتم منهم، في حل أو حرم. ١٩٣- ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: «الفتنة» -ها هنا-: الشرك وعبادة غير الله ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾: كفوا عن قتالكم، ودخلوا في ملتكم ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الذين لم ينتهوا. ١٩٤- ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾: هو ذو القعدة من سنة سبع الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة معتمراً، فأقام بها ثلاثاً، ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: بذى القعدة من سنة ست الذي اعتمر فيه رسول الله ﷺ عمرة الحديبية، وصدته المشركون عن البيت. ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾: جمع: حرمة، وهي حرمة الشهر، والبلد الحرام، والإحرام. «قصاص»: مجازاة اقتص الله لنيبه من المشركين؛ بأن أدخله عليهم مكة في سنة سبع. ١٩٥- ﴿التَّهْلُكَةُ﴾: أن يمسك الرجل ماله ونفسه عن الجهاد في سبيل الله. وقيل: هو الرجل يصيب الذنب العظيم فيقول: لا يغفر الله لي، أو لا توبة لي، فيلقي يده إلى اليأس من عفو الله. وفيه اختلاف. ١٩٦- ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: منعتم وحبستم عن العمل، والوصول إلى البيت الحرام. ومعنى «الإحصار» في كلام العرب: منع العلة من المرض وأشباهه ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: ما بين الشاة إلى البعير. و«الهدى»: جمع، واحده هدية، وهو ما قرب إلى الله - عز وجل - بمنزلة الهدية يهديها الرجل إلى غيره يتقرب بها إليه ﴿مَحَلَّهُ﴾: حتى يبلغ بالذبح محل أكله، والانتفاع به في محل ذبحه ﴿أَوْ بِهِ أَذًى﴾: ما يتأذى به من هوام رأسه، أو غيرها ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: من خوف، أو برأتم من مرض. ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ﴾: «التمتع» -ها هنا-: أن يهل الرجل بالحج؛ فيحصره عدو، أو مرض، أو يحبس أمر؛ حتى تذهب أيام الحج فتفتوته؛ فيجعلها عمرة، ويتمتع بمحله إلى العام المقبل، ثم يحج ويهدي هدياً، فهذا هو التمتع بالعمرة إلى الحج. هذا على أن الخطاب في الآية للمحصرين خاصة. أما إن كان عامّاً، فالمراد بالتمتع: أن يحرم المرء بعمرة، ثم يقيم حلالاً بمكة إلى أن يحرم بالحج. وقد عدّه كثير من العلماء أفضل أنواع الحج.

= دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن جابر قال: «كانت قريش تدعى الخمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب، فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت قال: إني رجل أحسني. قال له: فإن ديني دينك، فأنزل الله ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾. [١٩٠] قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في صلح الحديبية. وذلك أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت هو وأصحابه، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه القابل فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك». [١٩٤] قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى. حتى إذا كانوا بالحديبية صدمهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخرُوا عليه حين ردوه فأقصه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه يوم الحديبية فيه، فأنزل الله ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾. [١٩٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. روى البخاري عن حذيفة قال: «نزلت هذه الآية في النفقة» وأخرج أبو داود، والترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، قال: بعضنا لبعض سرّاً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركها للغزو». [١٩٦] قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: =

[١٩١] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. الفتنة في الآية الأولى هي الكفر بالله تعالى، وإنما سمي الكفر بالفتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر أشد وأعظم من القتل؛ لأن الكفر ذنب يستحق صاحبه به العقاب الدائم، والقتل ليس كذلك، والكفر يخرج صاحبه من الملة، والقتل ليس كذلك، فكان الكفر أعظم من القتل، وأمّا الفتنة في الآية الثانية فمعناها: صد المسلمين عن دينهم، بإلقاء الشبهات في قلوبهم، أو بالتخويف والتعذيب، أو بغرض الشهوات بوسائل مختلفة، والفتنة عن الدين تفضي إلى القتل الكثير في الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة، فناسب أن الفتنة أكبر من القتل. [١٩٣] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. القتال في آية البقرة مع أهل مكة فحسب، فنزلت في قوم مخصوصين، فلا حاجة للتأكيد، وأمّا في آية الأنفال فمع جميع الكفار، فجاءت الآية بالعموم، وهذا العموم يقتضي تأكيد الدين بقوله: ﴿كُلُّهُ﴾. قول آخر: آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جحش لعمرو بن الحضرمي، وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم على تلك الحال، وآية الأنفال نزلت بعد وقعة بدر، وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد سبحانه وتعالى رجاءهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يعبد سواه.

[١٩١] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَقَاتِلُوهُمْ - يُقَاتِلُوكُمْ - قَاتِلُوكُمْ﴾ قرئ: بإثبات الألف فيها، مع ضم تاء الأول وياء الثاني، وفتح القاف فيهما مع كسر تاءيهما، من القتال. وقرئ: ﴿تَقْتُلُوهُمْ - يَقْتُلُوكُمْ - قَاتِلُوكُمْ﴾ بفتح تاء الأول وياء الثاني وإسكان القاف فيهما، وضم التاء بعدها، وحذف الألف من الكلمات الثلاث، من القتال.

= في الحلية وحسنه الألباني. استحباب البكاء عند قراءة وسام القرآن: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عينا تذرّفان. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٩٧- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾: هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، ﴿فَمَنْ رَفَضَ﴾: أوجب على نفسه، والزماها الحج ﴿فَلَا رَفْعَ﴾: «الرفث» في هذا الموضع: الإفحاش، وذكر الجماع للنساء في الكلام ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: «الفسوق»: المعاصي ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: «الجدال» -ها هنا-: أن يجادل الرجل صاحبه حتى يغضبه. ﴿وَتَكَرَّرُوا﴾: كان بعض العرب يقولون: كيف نحج بيت ربنا ولا يطعمنا؟ فكانوا يحجون بلا زاد، ويقولون: نحن متوكلون على الله سبحانه، فأمرؤا بالتخاذ الزاد. ١٩٨- ﴿جُنَاحٌ﴾: حرج ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: المراد به الرزق. فرخصت الآية لمن حج، في التجارة ونحوها، ﴿أَفْضَلُكُمْ﴾: دفعتم، يقال: فاض الإناء: إذا امتلأ حتى ينصب من نواحيه. ﴿الْمَشْعَرُ﴾: المعلم والمزدلفة كلها مشعر، وفيه اختلاف. ٢٠٠- ﴿مَنْسِكَكُمْ﴾: «المنسك»: اسم، مثل: المشرق والمغرب؛ نسك الرجل ينسك نسكاً؛ إذا ذبح نسكه، وهو -هنا-: إهراق الدماء. ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾: من نصيب. ٢٠١- ﴿إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: قيل إنها -ها هنا-: العافية، والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين: نعيم الدنيا والآخرة، ﴿وَقِنَا﴾: اصرف عنا. ٢٠٢- ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى الفريق الثاني، ﴿نَصِيبٌ﴾: حظ.

[١٩٩] معنى اسم الله الغفور: «العفو، الغفور، الغفار» هو الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفو ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفو: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفو: أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته.

= «جاء رجل إلى النبي ﷺ متضمخاً بالزعفران، عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمري؟ فأنزل الله ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾» فقال ﷺ: أين السائل عن العمرة؟ قال ها أنا ذا فقال له ﷺ: ألقى عنك ثيابك، ثم اغتسل، واستنق ما استطعت، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنع في عمرتك. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية. روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سئل عن قوله: ﴿فَقِدْيَةٌ مِنْ صَيَامٍ﴾ قال: «حُمِلت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟». قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت في خاصة وهي لكم عامة. [١٩٧] قوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّرُوا﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتوكلون، فأنزل الله: ﴿وَتَكَرَّرُوا فَإِنَّكُمْ خَيْرَ الْأَرْزَادِ النَّقُوءَ﴾. [١٩٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية. روى البخاري عن ابن عباس قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأتموا أن يتجروا في الموسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج». وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم، وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: «قلت لابن عمر إنا نكري فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فدعاه النبي ﷺ فقال: أنتم حجاج». [١٩٩] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾. [٢٠٠] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم يقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية». وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا إذا قضا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا أيامهم في الجاهلية، وفعال آبائهم، فنزلت هذه الآية». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان قوم من الأعراب يميثون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم ﴿فَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ويحيي بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب» [٢٠١- ٢٠٤] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن طريق سعيد بن جابر عن ابن عباس قال: لما أصيبت السرية التي فيها عاصم ومروث، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين، الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: «نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الإسلام، فأعجبه ذلك منه، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحر، فأحرق الزرع، وعقر الحر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الآية.

[١٩٦] ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ما فائدة ذكر ﴿عَشْرَةٌ﴾ بعد الثلاثة والسبعة، وذكر ﴿كَامِلَةٌ﴾ بعد ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾؟ **الجواب:** فائدة الأول دفع تصحيف سبعة بسبعة، وتأكيده العلم بالعدد تفصيلاً وإجمالاً، وفائدة الثاني التأكيد كما في ﴿حَوَائِي كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أو معناه: كاملة في الثواب، مع كونها متفرقة، أو واقعة بدلاً عن الهدى. [١٩٨] ﴿فَإِذَا أَفْضَلُكُمْ مِنْ عَرَفَتِ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. ما فائدة تكرار الذكر في الآية؟ **الجواب:** فائدته التنبيه على إرادة ذكر مكرر، وزيادة فائدة أخرى في الثاني، وهي: ﴿كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ بمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهديته، أو الإشارة بالأول إلى الذكر باللفظ، وبالثاني إلى القلب. [١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]. كيف عطف الإفاضة بـ «ثم» مع أنها الإفاضة من عرفات؟ **الجواب:** «ثم» للترتيب الإخباري لا الزماني، أو المراد بالإفاضة الثانية الإفاضة من = [١٩٧] ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَفَضَ فِيهِ الْحَجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ قرئ: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) برفع الشاء والقاف واللام مع التنوين. وقرئ: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) بالفتح بلا تنوين في الثلاث.

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٠٣) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهَ الْهَادِ﴾ (٢٠٦) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٠٨) ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَصْرُكُمُ الْبَيِّنَاتِ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢١٠)

٣٢

٢٠٣- ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾: هي أيام منى، وتدعى بأيام التشريق، وهي ثلاثة بعد يوم النحر. ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: يوم ثاني النحر، ويوم ثالثه. ٢٠٤- ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: الشديد الخصومة. ٢٠٥- ﴿الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: «الحَرْث»: الزرع. وأصله في اللغة: شق الأرض للزراعة. وسمي الزرع حرثاً للمجاورة والتناسب. و«النسل»: نسل كل شيء. وقيل: معناه: أن يقتل الآباء والأمهات؛ فينقطع نسلهما. ٢٠٦- ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: أخذته العزة والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه. ﴿فَحَسْبُهُ﴾: بمعنى: كفاه. ﴿إِلَهَ الْهَادِ﴾: جمع: المهدي، وهو الموضع المهيأ للنوم، فهي لهم أدم موضع ينزلونه! وقيل: المراد بالمهاد: ما مهد المرء لنفسه، كأنه الفراش. ٢٠٧- ﴿يَشْرِي﴾: يبيع. ٢٠٨- ﴿فِي السِّلَاحِ﴾: -ها هنا-: الإسلام. وفيه اختلاف. ٢٠٩- ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: «الزلل» -ها هنا-: الشرك. ٢١٠- ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾: هو أمر من أمر الله عظيم، كثر الاختلاف فيه، وهو -عز وجل- أعلم به. والظلل: جمع ظلة، وهي ما يظل من فوق، والغمام: السحاب الرقيق الأبيض وهو أصفى السحاب وأحسنه؛ سمي بذلك لأنه يغم، أي يستر. وقيل: معنى الآية: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام والملائكة. وقال ابن عطية: والمعنى: يأتيهم حكم الله وأمره ونهيه وعقابه إياهم.

[٢٠٧] معنى اسم الله الرؤوف: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمن، الرحيم، والبر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخص المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم. [٢٠٧] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ الآية.

أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: «أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي ﷺ فأتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته. ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركامكم رجلاً وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دلتكم على مالي بمكة، وخليتم سبيلي قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى، ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. [٢٠٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلَاحِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة، قال عبد الله بن سلام، وابن يامين، وأسد وأسيد ابني كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، كلهم من يهود، يا رسول الله يوم السبت يوم نعطه، فدعنا فلنسب فيه، وإن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم بها الليل، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً﴾ الآية.

= مزدلفة إلى منى لا من عرفات. [٢٠٣] ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. ما فائدة قوله فيها: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ مع أنه معلوم بالأولى مما قبله؟ **الجواب**: فائدته رفع ما كان عليه الجاهلية، من أن بعضهم قائل بإثم المتعجل، وبعضهم بإثم المتأخر، أو المعنى لا إثم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة، وقد جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ». أخرجه ابن حبان. فإن قيل: المتعجل في اليوم الثاني -المراد اليوم الثاني من أيام التشريق، لا من أيام العيد، وهو يوافق اليوم الثالث من أيام العيد-، لا فيه وفي اليوم الأول، فكيف قال: في يومين؟ **الجواب**: لأن المعنى: في مجموع اليومين الصادق بأحدهما وهو الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وهما لا يخرجان إلا من الملح، لا من العذب. [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهَ الْهَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]. **تعريف الكبر**: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. **أسباب الكبر**: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالاتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. **آثار الكبر**: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدماً عليهم حريصاً جداً أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظاً بصدر المجلس مستقلاً به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصغير الخد، والنظر شزراً، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغته كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبخيره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى المتكبر شغلاً في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله" يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله. ٨- ومن آثاره إمالة غطاء الرأس إلى الجبهة أو إلى جانب الرأس فخراً وتكبراً وبطراً. ٩- ومن آثاره إسبال الثياب مع التفاخر بها، والتزين والتجمل بذلك للشهرة والمخيلة. ١٠- ومن آثاره أن المتكبر يحب قيام الناس له أو بين يديه. ١١- ومن آثاره أن لا يتواضع بالاحتمال إذا سُب وأوذى وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. ١٢- ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. ١٣- ومنها أن المتكبر لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه. ١٤- ومنها أن المتكبر يعامل غيره معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ١٥- ومنها أنه لا يرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، = [٢٠٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿السِّلَاحِ﴾ في مواضعه: الأنفال: ٦١، محمد: ٣٥، قرئ: (السَّلْم - السَّلْم) بفتح السين وكسرها، قيل: هما بمعنى واحد وهو الصلح، ومن دخل في الإسلام فقد دخل في الصلح، وقيل: بالكسر السلام الذي هو الإسلام، وبالفتح: الصلح. [٢١٠] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالخفض عطفاً على ظلل أو الغمام. وقرئ: (الملائكة) بالرفع عطفاً على لفظ (الجلالة).

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ **إعجاز عددي**: وردت كلمة (النفخ بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفخ بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته)، وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله تعالى.

سَلَبَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣١﴾ زَيْنُ الْبَرِّ كَفَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ أَتَقَوْا فَوَقَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَاللَّهُ يَرِىُّ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٣٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسْتُهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٣٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُعْطُوا قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فُلِلُوا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَسْتَجِيبْ لَكُمْ وَلِلْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٣٥﴾

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ الآية». وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان، أن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ: «ماذا تنفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فترلت».

[٢١٤] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

الْقَابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ [التوبة: ١٦]. الخطاب في آ

والمؤمنين على العموم، وفي آل عمر ان لأهل أحد تسلية لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين

وَأَعْلَامُ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفَرُونَ. [البقرة: ٢١٧] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾

في الآية الأولى: هو الكف بالله تعالى، وإنما سمى الكف بالفتنة؛ لأنه فساد في الأرض، يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر

لأن الكف ذنب يستحق صاحبه العقاب الدائم، والقِتال ليس كذلك، والكف يخترع صاحبه من الملة، والقِتال ليس كذلك، فكان الكف أع

الفتة: في الآية الثامنة فمعناها: من أجل المسامحة عن دينهم، بإلقاء الشهادات في قلوبهم، أو بالتخفيف في التعذيب، أو بعض الشهادات به ساءا

الذين قتلوا في القتال الكفر في الدنيا والآخرة، فإني أرى أن الفتنة أكبر من القتل [٢١٧]

الذين نقضوا إلى القل الخير في الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة، فاسب أن نقس الجبر من القل. [١٧٧] حتى يردكم عن

ومن **يريد** **د** منكم عن **د** يسئله فيست وهو كافر ﴿البقرة ١٧٧﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ **يريد** مِنْكُمْ عَنْ دِيبِهِ سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة ٥٤]

أَلْهَؤْلَاءِ الْكُفَّارِ لَا يَزَالُونَ يَقَاتِبُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ إِنْ اسْتَطَاعُوا لِحَقِيقِ ذَلِكَ، وَمَنْ طَاعَهُمْ مِنْكُمْ

فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملامين لئار جهنم لا يخرج منها أبداً، وأما إيه المائده فتخاطب الدين صدقوا الله ورسوله وعملا

منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يصروا الله شيئاً، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يحبهم ويحبونه...

= ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم. **علاج الكبر:** ١- أن يعرف الإنسان ربه ويعرف نفسه. ٢- التواضع لله بالفعل، ولسائر الخلق

المتواضعين المتبعين لطريقة سيد المرسلين. ٣- التأمل في عاقبة الكبر السيئة. ٤- معرفة ما أعده الله للمتكبرين في الآخرة من الوعيد الش

الكبر لا يحبه الله ٦- الدعاء بأن يعيدك الله تعالى من الكبر والتعاضم والخيلاء. [٢٠٩، ٢١٣] ﴿جَاءَ تَكْمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

مؤثنا في هذه الآية؟ **الجواب:** إذا كانت الآيات تدل على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤثنا، أما ﴿جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالتد

بمعنى الأمر والنهي، وحيثما وردت كلمة البيئات بهذا المعنى من الأمر والنهي يذكر الفعل.

[٢١٣] ﴿وَأَنزَلْ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ في هذه السورة وفي آل عمران: ٢٣، وموضعي النور: ٤٨.

بضم الياء وفتح الكاف مبيناً للمفعول، حذف فاعله لإرادة عموم الحكم من كل حاكم. وقرئ: (لِيَحْكَم) بفتح الياء وضم الكاف على البناء

كل نبي. [٢١٤] ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُولُ﴾ قرئ: (يقول) بنصب اللام، والتقدير: "إلى أن يقول الرسول" فهو غاية للزلزل

حكيّت به حالهم، والمعنى على المضى، والتقدير: "إلى أن قال الرسول" ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾. وقرئ: (يقول) بالرفع على أن يكون الـ

مضى حتى إن الرسول يقول: متى نصر الله؟". فحكى الحال التي كان عليها الرسول، والزلزلة سبب القول، وكلا الفعلين ماض فلم تعمل

[٢١٣] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ الْبَنِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم

مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمندرين نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١،

إسحاق: ١٧، بنو نسر: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، الباق: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦.

محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، نوح: ٥، آل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، السجدة: ٢، وهذه محمدها: ٥١٨ مرة. وباستعاض

الم **سا** بمشتقاتها، و **النس** بمشتقاتها، و **الشس** بمشتقاتها، و **النذب** بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الم سا** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، و **النس**

٧٥ مة، ولفظة **الشب** (بمشتقاقا) ١٨ مة، ولفظة **نذب** (بمشتقاقا) ٥٧ مة، ومجموع ذلك ١٨٥ مة. إذن، مجموع مذكر الـ ٧٥

تقسيم الحادي عشر: الخصول العنبري - أسود الزند - قويعد المشايخات - فرائق وتنوع - قويعد القادات - اصحاب وتنوع

تفسير الصبري الاسماء الحسنى اسباب النور توجية للمسابقات فوائد متنوعة توجية للقراءات إعجاز منقوي

٢٢٠ - ﴿لَاَعْنَتَكُمْ﴾: لأخرجكم وضيق عليكم، ولكنه فضله ورحمته وسع ويسر. ٢٢١ - ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: الوثنيات، أما الكتابيات (من اليهود والنصارى) فقد أباحت الزواج بهن الآية الخامسة من سورة المائدة، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾: أجمعت الأمة على أن غير المسلم كتابياً أو غير كتابي لا يجوز له أن يتزوج من مسلمة أو يطأها ولو بملك يمين. ٢٢٢ - ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾: «الأذى»: كل شيء يتأذى به من قذر أو نتن أو نجاسة. ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾: ينقطع عنهم دم الحيض، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن بالماء للصلاة، ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾: جامعوهن. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: حيث أباح لكم وأحل. وقيل: من حيث أمركم الله باعتزالهن. ﴿لَمُطَهَّرِينَ﴾: بالماء. وقيل: المتطهرين من الذنوب أن يعودوا فيها بعد التوبة منها. ٢٢٣ - ﴿حَرَّتْ لَكُمْ﴾: مُزْدَرَعٌ أولادكم. أي موضع طلب الذرية. و﴿حَرَّتْ﴾ تشبيه: شبه ما يلقي في الأرحام من النطف التي منها النسل، بما يلقي في الأرض من البذور التي منها النبات. والآيتان واضحتان في تحريم نكاح الأدبار. وقد ورد النص على هذا التحريم كذلك في بعض الأحاديث النبوية. ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾: بمعنى: كيف شئتم، ومتى شئتم، في موضع الحرث، ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾: الخير. ٢٢٤ - ﴿عُرْضَةً﴾: ثعلبة. كالرجل يحلف بالله ألا يكلم أخاه، أو لا يتصدق، ويقول قد حلفت بالله، فيجعل ذلك ثعلبة، وحاجزاً له من فعل الخير. ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أي: أن تفعلوا الخير، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه». [٢٢٠] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المُقْتَدِر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٢٢٠] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتقاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا؟.. [٢٢٠] قوله تعالى: ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ (أخرج أبو داود، والنسائي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «لما نزلت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ [النساء: ١٠] الآية. انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرا به من شرا به، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ الآية. [٢٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَّةٌ مُمْنَةٌ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فطمعها، ثم أنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال: لأعتقنها قبل ولأتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية» وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعاً. [٢٢٢] قوله تعالى: ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ الآية. روى مسلم، والترمذي، عن أنس: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ الآية. فقال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح». [٢٢٣] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (أخرج أبو داود، والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال حولت رحلي الليلة، فلم يرد عليه شيئاً فأنزل الله الآية. ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يقول: أقبل وأدبر واتق الدبر والحضة». [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج قال: حدث أن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح». [٢٢١] ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا...﴾ [البقرة: ٢٢١]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ بفتح التاء، والثاني بضمها؛ لأن الأول من «نكحت» والثاني من «أنكحت» وهو يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الأول في الآية: ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ والثاني محذوف وهو «المؤمنات» أي: لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ النِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا. [٢٢٣] ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. هذه الآية من الكنايات اللطيفة، والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها ويتكفلوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم. [٢٢٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ قوله: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ قرئ: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بفتح الطاء والهاء مشددين مضارع «يطهر» أي: اغتسل والأصل يتطهر. وقرئ: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع «طهر» يقال طهرت المرأة شفت من الحيض ودخلت في وقت الطهر، فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته، لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم. [٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من (الدنيا والآخرة) (١١٥) مرة. ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. [٢٢٢] ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ قوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (أخرج أبو داود، والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال حولت رحلي الليلة، فلم يرد عليه شيئاً فأنزل الله الآية. ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يقول: أقبل وأدبر واتق الدبر والحضة». [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج قال: حدث أن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح». [٢٢١] ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا...﴾ [البقرة: ٢٢١]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ بفتح التاء، والثاني بضمها؛ لأن الأول من «نكحت» والثاني من «أنكحت» وهو يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الأول في الآية: ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ والثاني محذوف وهو «المؤمنات» أي: لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ النِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا. [٢٢٣] ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. هذه الآية من الكنايات اللطيفة، والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها ويتكفلوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم. [٢٢٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ قوله: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ قرئ: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بفتح الطاء والهاء مشددين مضارع «يطهر» أي: اغتسل والأصل يتطهر. وقرئ: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع «طهر» يقال طهرت المرأة شفت من الحيض ودخلت في وقت الطهر، فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته، لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم. [٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من (الدنيا والآخرة) (١١٥) مرة. ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. [٢٢٢] ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ قوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (أخرج أبو داود، والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال حولت رحلي الليلة، فلم يرد عليه شيئاً فأنزل الله الآية. ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يقول: أقبل وأدبر واتق الدبر والحضة». [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج قال: حدث أن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح».

٢٢٠ - ﴿لَاَعْنَتَكُمْ﴾: لأخرجكم وضيق عليكم، ولكنه فضله ورحمته وسع ويسر. ٢٢١ - ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: الوثنيات، أما الكتابيات (من اليهود والنصارى) فقد أباحت الزواج بهن الآية الخامسة من سورة المائدة، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾: أجمعت الأمة على أن غير المسلم كتابياً أو غير كتابي لا يجوز له أن يتزوج من مسلمة أو يطأها ولو بملك يمين. ٢٢٢ - ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾: «الأذى»: كل شيء يتأذى به من قذر أو نتن أو نجاسة. ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾: ينقطع عنهم دم الحيض، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن بالماء للصلاة، ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾: جامعوهن. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: حيث أباح لكم وأحل. وقيل: من حيث أمركم الله باعتزالهن. ﴿لَمُطَهَّرِينَ﴾: بالماء. وقيل: المتطهرين من الذنوب أن يعودوا فيها بعد التوبة منها. ٢٢٣ - ﴿حَرَّتْ لَكُمْ﴾: مُزْدَرَعٌ أولادكم. أي موضع طلب الذرية. و﴿حَرَّتْ﴾ تشبيه: شبه ما يلقي في الأرحام من النطف التي منها النسل، بما يلقي في الأرض من البذور التي منها النبات. والآيتان واضحتان في تحريم نكاح الأدبار. وقد ورد النص على هذا التحريم كذلك في بعض الأحاديث النبوية. ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾: بمعنى: كيف شئتم، ومتى شئتم، في موضع الحرث، ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾: الخير. ٢٢٤ - ﴿عُرْضَةً﴾: ثعلبة. كالرجل يحلف بالله ألا يكلم أخاه، أو لا يتصدق، ويقول قد حلفت بالله، فيجعل ذلك ثعلبة، وحاجزاً له من فعل الخير. ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أي: أن تفعلوا الخير، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه». [٢٢٠] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المُقْتَدِر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٢٢٠] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتقاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا؟.. [٢٢٠] قوله تعالى: ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ (أخرج أبو داود، والنسائي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «لما نزلت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ [النساء: ١٠] الآية. انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرا به من شرا به، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ الآية. [٢٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَّةٌ مُمْنَةٌ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فطمعها، ثم أنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال: لأعتقنها قبل ولأتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية» وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعاً. [٢٢٢] قوله تعالى: ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ الآية. روى مسلم، والترمذي، عن أنس: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل ﴿وَسَيَلْوَنَكُ عَنْ أَلَيْتَيْ﴾ الآية. فقال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح». [٢٢٣] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (أخرج أبو داود، والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال حولت رحلي الليلة، فلم يرد عليه شيئاً فأنزل الله الآية. ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يقول: أقبل وأدبر واتق الدبر والحضة». [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج قال: حدث أن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح».

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَعَلَّهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُكُمْ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَرَجِعَ إِلَيْهَا أَوْ تَرَجِعَ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَلَكِنْ حُدُودُ اللَّهِ يَتْلُوهَا بَلْ كُفِّرَتْ كَيْفًا

٢٢٥- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: هو الرجل يصل كلامه بالله ووالله. وقيل: إنه الحالف ناسياً. وقيل: إنه الذي يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس هو. وأصل «اللغو» في كلام العرب: كل كلام مذموم لا معنى له. ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: تعمدت، وهو حلف الحالف قاصداً عقد اليمين. وقيل: أن يحلف على الكذب. قال ابن عباس: «ما كسب القلب: هي اليمين الكاذبة الغموس». ٢٢٦- ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾: يُقْسِمُونَ و«الآلية» اليمين، وهو -ها هنا-: أن يحلف الرجل ألا يطا أمراته. وكان ذلك من عادة العرب، بقصد الإضرار بها. ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظار. ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾: رجعوا إلى ترك ما حلفوا عنه من اعتزال نسائهم. ٢٢٨- ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: قيل: هي ثلاث حيض. وقيل هي الأطهار من الحيض. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: من الحيض والحمل ﴿وَلَعَلَّهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: أولى برجعتهن في مدة العدة، فإن انقضت هذه المدة ولم يراجعها فهي أحق بنفسها ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: هي القوامة أو رئاسة الأسرة وإدارة شؤونها والإنفاق عليها. والمراد: حث الزوجة على طاعة زوجها فيما لا معصية لله تعالى فيه. ٢٢٩- ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾: أي الطلاق الذي ثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان. وإنما قال سبحانه «مرتان» ولم يقل: طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة. ﴿شَيْئًا﴾: أي لا يحل للأزواج أن يأخذوا من أزواجهم (زوجاتهم) شيئاً على وجه المضاربة، من المهر وغيره، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: الخطاب للحكام أو القضاة والمتوسطين في الإصلاح بين الزوجين، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: ببذل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لأجله، وهذا هو الخلع.

[٢٢٥، ٢٢٦] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفو ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا بما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفو: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفو: أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته. [٢٢٥] معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يُدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العصاة بعصيانهم. ويستعذبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُبَيِّنُوا وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان حيث أمهلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورهم منهم؛ فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. [٢٢٨] قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية. أخرج أبو داود، وابن أبي حاتم، عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، قالت: «طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾» وذكر الثعلبي، وهبة الله بن سلامة في «الناسخ» عن الكلبي، ومقاتل، أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري: «طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحملها، ثم علم فاجعها، فولدت فماتت ولدها، فنزلت: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾». [٢٢٩] قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ الآية. أخرج الترمذي، والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته، إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني ولا أوليك أبداً قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُكُمْ بِإِحْسَنٍ﴾». قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس وفي حبيبة وكانت اشتكت إلى رسول الله ﷺ فقال: أتريدن عليه حديثه؟ فقالت: نعم، فدعاها، فذكر ذلك له، قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ الآية».

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧] عزمهم الطلاق مما يعلم؛ لا مما يسمع، فكيف قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟ الجواب: العازم على الشيء يحدث به نفسه، وحديث النفس مما يسمعه الله، كما يسمع وسوسة الشيطان؛ مع أن الغالب في عزم الطلاق المقاول مع الزوجة. [٢٢٩] ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُكُمْ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَخَافَا﴾ قرئ: (يَخَافَا) بضم الياء على البناء للمفعول فحذف الفاعل وناب عنه ضمير الزوجين، ثم حذف الجار فموضع ﴿الْأَيْقِيمَا﴾ نصب عند سيويه، وجر بعل المقدرة عند غيره، ويجوز أن يكون (أن لا يقيما) بدل اشتغال من ضمير الزوجين لأنه يحل محله، والتقدير: "إلا أن يخافا عدم إقامتهما حدود الله" من المعدي لواحد. وقرئ: (يَخَافَا) بفتحها على البناء للفاعل، وإسناده إلى ضمير الزوجين المفهومين من السابق.

= حرصاً منه على مصلحة البشر وعلى صحتهم في الوقت الذي لم يكن أحد في العالم كله يعرف سر المحيض هذا السر الذي كانوا يعتبرونه في هذا الزمان لغزاً محيراً!! [٢٣٤، ٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. عدة المطلقة والأرملة: أثبت العلم الحديث أن السائل الذكري يختلف من شخص إلى آخر كما تختلف بصمة الإصبع، وأن لكل رجل شفرة خاصة به، وأن المرأة تحمل داخل جسدها مؤشراً أو نستطيع أن نطلق عليه جهاز كمبيوتر، يختزن شفرة الرجل الذي يعاشرها ويحفظ تلك الشفرة... وإذا دخل عليه أكثر من شفرة كأنما دخل فيروس إلى جهاز الكمبيوتر فيصاب بالخلل والاضطراب والأمراض الخبيثة. واكتشف العلماء أن المرأة تحتاج نفس مدة العدة التي شرعها الإسلام حتى تستطيع استقبال شفرة جديدة بدون أن تصاب بأذى، فهي فترة للمرأة كي تنسى تلك الشفرة. أما عن اختلاف مدة العدة بين المطلقة والأرملة؟ فقد أجريت الدراسات على المطلقات والأرامل، فأثبتت التحاليل أن الأرملة أطول من المطلقة نسياناً لهذه الشفرة، وذلك يرجع إلى حالتها النفسية فهي تكون حزينة على فراق زوجها أكثر من المطلقة، ولذلك اختلفت العدة.

جامعها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾. [٢٣١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقَ الْمَرءُ النِّسَاءَ فَبَيْنَ أَجَلَيْنِ فَامْسِكُوهُنَّ﴾
 ﴿مَعْرُوفٍ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس، قال: «كان الرجل يطلق امرأته ثم ير

مَعْرُوفٌ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس، قال: «كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها. يفعل ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية». [٢٣٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا لِهِنَّ أَجَلَهنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَءَوْا بَيْنَهُنَّ الْمَتْرُوفَ﴾ روى البخاري، وأبو داود، والترمذي وغيرهم، عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين، فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويتها، فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكما فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبداً، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [٢٣١] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢]. سورة البقرة تنهى عن مضارة النساء وتحريم أخذ شيء منهن، وأتبع ذلك بالمنع عن عضلهن، وقد تكرر أثناء ذلك الأمر بمجاملتهن والإحسان لهن، سواء في حالة انفصال الزوجين أو اتصالهما والتلطف وتحسين الحال في المحبة والفراق، ولم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾، لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، أمّا في سورة الطلاق فلم يرد فيها تعرض لعضل ولا ذكر مضارة، لم يذكر ورود التعبير بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ووقع الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالين بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، والله أعلم. [٢٣٢] ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]. الخطاب في آية البقرة للنبي ﷺ، وقدم تشريفاً له، ثم عمم فقال: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وفي الطلاق، فالخطاب له ولأمته جميعاً، وقدم تشريفه بالنداء لقوله تعالى في أول السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَسْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوهُنَّ عَلَى التُّوسِيعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَعُوا مَافَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾

٣٨

٢٣٤ - وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ: الآية: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي عن الزواج. والآية في عدة المتوفي عنها زوجها. ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: بانقضاء العدة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: يريد به الزوج فما دونه، من التزني وإطراح الحداد ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: الذي لا يخالف الشرع. وقيل: معناه: بالإشهاد. ٢٣٥ - ﴿عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: أي النساء المعتدات من وفاة أزواجهن، كأن يقول لها: عسى الله أن يسر لي امرأة صالحة، أو: إنك إلى خير، وإنك لمرغوب فيك، ونحو ذلك من الكلام المومئ للزواج حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه. ولا يصرح بالنكاح، ﴿أَكْنَسْتُمْ﴾: أخفيتم وسترتم. ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: أي نكاحاً، أي عقداً لا ينكحن غيركم. ﴿وَلَا تَزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾: ولا توجبوا العقدة حتى تتم العدة، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: حتى تنقضي العدة، وهي التي كتب الله وفرض. ٢٣٦ - ﴿فَرِيضَةً﴾: صداقاً واجباً ﴿وَمَتَّوهُنَّ﴾: أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن. ﴿التُّوسِيعُ﴾: من سعة ذات اليد ﴿قَدْرَهُ﴾: بقدر ما رزق الله، إذ الاعتبار بحال الزوج يساراً وإعساراً. ﴿الْمُقْتَرِ﴾: المقل. ٢٢٧ - ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾: أي قبل الدخول بهن ومعاشرتهن معاشرة الأزواج، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: اتفقتن على قدر الصداق أو المهر. ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ﴾: أي المطلقات، فيتركن النصف الذي يجب لهن، أو بعضه. ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: هو الزوج، فيعطيه المهر كاملاً. وقيل: الولي، ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ندب إلى المجاملة والإحسان. قال مجاهد: الفضل إتمام الزوج الصداق كله، أو ترك المرأة النصف الذي لها. أي أن كل واحد من الزوجين يتفضل على الآخر. ٢٣٤ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. معنى الآية الأولى: لا جناح عليكم في أن تزوجوا اللاتي توفي عنهن أزواجهن بعد انقضاء العدة، فهو من المعروف الذي أباحه الله لهن، فصار المعروف هنا محدداً مشهوراً، وأما في الآية الأخرى فمعناها: أنهن مخيرات بين معروفين مشروعين: إمّا القعود أو الزواج، فلم يكن المعروف الثاني إلا وجهاً من الوجوه المشروعة غير محدد فهذا خرج مخرج النكرة. ٢٣٦ ﴿مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

الآية الأولى في مطلقة قبل الفرض والدخول، فالإعطاء في حقها إحسان لا في قبالة شيء، لا تسمية، ولا دخول. وهو وإن أوجبه قوم فهو في الصورة مجرد إحسان، فناسب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، والآية الثانية في المطلقة الرجعية، والمراد بالمتاع عند المحققين النفقة، ونفقة الرجعية واجبة، فناسب ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، ورجح أن المراد به النفقة: أنه ورد عقيب قوله: ﴿مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ والمراد به: النفقة، وكانت واجبة قبل النسخ، ثم قال: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ﴾، فظهر أنه النفقة في عدة الرجعية بخلاف المطلقة البائن بخلع، فإن الطلاق من جهتها، فكيف تعطى المتعة التي شرعت جبراً للكسر بالطلاق وهي الراغبة فيه وباذلة المال فيه؟ فظهر أن المراد بالمتاع هنا: النفقة زمن العدة لا المتعة، لأنه تقدم حكم الخلع، وحكم عدة الموت، وحكم المطلقة بعد التسمية، وبقي حكم المطلقة الرجعية فيحمل عليه. ٢٣٨ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصُّلُوكَاتِ وَالصَّلَاةِ وَالْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. فوائد وفصائل المحافظة على الصلاة في جماعة في المسجد: ١ - امتثال أمر الله تعالى. ٢ - الشهادة بالإيمان والهداية من الله لعمارة بيوته. ٣ - مجموعة فوائد تالية: ١ - اختبار العباد وامتحانهم؛ ليعلم الله من يمثل أوامره ممن يعرض عنها ويتكبر. ٢ - التعارف والتآلف والترابط بين المسلمين؛ ليكونوا كالجسد الواحد، وكالبنين يشد بعضه بعضاً. ٣ - تعليم الجاهل... وتذكير الغافل، فالجاهل يرى العالم فيقتدي به، والغافل يسمع الموعظة فينتفع بها... ٤ - ما يشعر به المصلي في الجماعة من الخشوع والتدبر والانتفاع بالصلاة. ٥ - إغاطة أعداء الله وإرهابهم وعلى رأسهم إبليس - لعنه الله - وجنوده من شياطين الإنس والجن. ٦ - ما في الخروج إلى المسجد من النشاط والحركة ورياضة البدن بكثرة المشي ذهاباً وإياباً لا سيما إن كان المسجد بعيداً، وتذكر أن خطاك للمسجد خطوة تمحو سيئة، وخطوة تكتب لك حسنة، ذاهباً وراجعاً. ٧ - البراءة من النار ومن النفاق. ٨ - تزكية من الله وتسميتهم بالرجال لمواظبتهم عليها جماعة. ٩ - تعظيم وتأكيد لما عظمه الله وأكد عليه رسوله ﷺ وحرص عليه طيلة حياته، فصلاة الجماعة لها شأن عظيم وأهمية كبرى، حيث لم يقتصر الأمر بأدائها على الأحوال العادية، بل أمر الله بها وأكد عليها حتى في حالة الخوف، وفي ساحة المعركة والقتال. ٦ - امتثال لأمر رسول الله ﷺ واتباع سنته. ٧ - من أعظم مقاصد الإسلام الجماعة عموماً. ٨ - تعظيم وإظهار لشعائر الله. ٩ - الصلاة جماعة من سنن الهدى، وتركها ضلال ونفاق. ١٠ - صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وورد كذلك في حديث آخر أنها أفضل بخمس وعشرين درجة. وقد جمع العلماء بين الروايتين، وبينوا الأسباب المقتضية للدرجات المذكورة، قال ابن حجر - رحمه الله -: «فأولها إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة، والتبكير إليها في أول الوقت، والمشي إلى المسجد بالسكينة، ودخول المسجد داعياً، وصلاة التحية عند دخوله، كل ذلك بنية الصلاة في الجماعة، سادسها: انتظار الجماعة، سابعها: صلاة الملائكة عليه واستغفارهم له، ثامنها: شهادتهم له، تاسعها: إجابة الإقامة، عاشرها: السلامة من الشيطان حين يفر عند الإقامة، حادي عشرها: الوقوف منتظراً إحرام الإمام أو الدخول معه في أي هيئة وجده عليها، ثاني عشرها: إدراك تكبيرة الإحرام كذلك، ثالث عشرها: تسوية الصفوف وسد فرجها، رابع عشرها: جواب الإمام عند قوله: سمع الله لمن حمده، خامس عشرها: الأمن من السهو غالباً وتنبية الإمام إذا سها بالتسبيح أو الفتح عليه، سادس عشرها: حصول الخشوع والسلامة عما يليها غالباً، سابع عشرها: تحسين الهيئة غالباً، ثامن عشرها: احتفاف الملائكة به، تاسع عشرها: التدرب على قرئ: ﴿تَسْمُوهُنَّ﴾ أو ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوهُنَّ عَلَى التُّوسِيعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ قرئ: ﴿تَسْمُوهُنَّ﴾ بضم التاء وألف بعد الميم مع المد المشيع، من المفاعلة التي تكون بين اثنين، لأن كل واحد من الزوجين يمس الآخر أثناء الجماع. وقرئ: ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ بفتح التاء بلا ألف، على أن المس من الرجال، ومعناه الجماع. قوله تعالى: ﴿قَدْرَهُ﴾ قرئ: ﴿قَدْرَهُ﴾ بفتح الدال فيهما. وقرئ: ﴿قَدْرَهُ﴾ بإسكان الدال، والفتح والإسكان لغتان بمعنى واحد، وهو الطاقة والقدر، ودليل الفتح قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ودليل الإسكان قوله: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

= هذا الرأي. يقول أحد الأطباء: إن آخر ما تقرر في هذا الشأن - أي مدة الرضاع من الأم - يجب أن تكون فوق السنة، ويستحسن أن تكون سنتين كاملتين، هذه الآراء والأبحاث دامت قروناً وقروناً، واختلف باحثوها، لكنهم اتفقوا على ما جاء في القرآن محدداً قاطعاً لكل قول. فسبحان الله العظيم.

٢٣٨- ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾: هو أن تصلي لأوقاتها، ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾: صلاة العصر. لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنة من حديث علي رضي الله عنه قال: كنا نراها الفجر، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، وكانت صلاة العصر، ملائكة قبورهم وأجوافهم ناراً». وقيل: صلاة الظهر. وقيل: صلاة المغرب. وقيل: صلاة الفجر. ﴿قَتِينَتَيْنِ﴾: مطيعين. وأصل «القنوت»: الطاعة. وقيل قانتين: ساكتين. ٢٣٩- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من عدو أو غيره ﴿فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركباناً على دوابكم. ٢٤٠- ﴿مَتَنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: أي: يجب على الذين يتوفون، أن يوصوا قبل نزول الموت بهم لأزواجهم، أن يمتنع بعدهم حولاً كاملاً بأن لا يخرج من مساكنهم ﴿فَإِنْ خَرَجَ﴾، باختيارهم قبل الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أي لا حرج على السولي أو الحاكم وغيرهما، ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: من التعرض للخطاب والتزين لهم. وذهب الجمهور إلى أن الآية منسوخة بالأربعة أشهر وعشراً (الآية ٢٣٤) وعن مجاهد أن الآية ليست منسوخة، وأن العدة أربعة أشهر وعشر، ثم جعل الله لمن وصية سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة، فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت. وربما ارتبط ذلك بزواجها أو بقائها من غير زوج. والله أعلم. ٢٤١- ﴿وَلَمَّا طَلَقْتَ مَنَعًا﴾: الآية عامة في كل مطلقة، تُعطى قدرًا من المال، على حسب حال الزوج، وكما نص عليه في الآية السابقة: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ، وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ﴾ [الآية ٢٣٦]. ٢٤٣- ﴿وَهُنَّ أُلُوفٌ﴾: جمع: ألف من العدد. وقد روي أن هؤلاء كانوا من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد - في قصص كله لين الأسانيد - والعبرة مما حكاه القرآن بشأنهم بيته. ٢٤٥- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾: قرض العبد ربّه: أن يعطي من ماله ما أمر الله به، أو ينفق في سبيله. ﴿فِيضَاعَهُ﴾: فيضاعف الله ذلك ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي﴾: يُقَرِّرُ ﴿وَيَبْصُطُ﴾: يُوسِّعُ. وقد جاء الأمر بالقتال في الآية السابقة، فدخل فيها من يقرض رجاء الثواب، كما فعل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة.

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَقْتَ مَنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٢٣٨ قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ الآية. أخرج أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والبيهقي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت. «أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾». وأخرج أحمد، والنسائي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان، والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾. وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام». ٢٤٠ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ الآية. أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حيان: أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامراته، فمات بالمدينة فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فأعطى الوالدين وأعطى أولاده بالمعروف، ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركه زوجها إلى الحول، وفيه نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ الآية. وربما كان هذا قبل نزول آيات الموارث. ٢٤١ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا طَلَقْتَ مَنَعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: «لما نزلت: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ، وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ، مَتْنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل. فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا طَلَقْتَ مَنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾». ٢٤٥ قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ الآية. روى ابن حبان في صحيحه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر قال: «لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾».

= تجويد القرآن وتعلم الأركان والأبعاد، العشرون: إظهار شعائر الإسلام، الحادي والعشرون: إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل، الثاني والعشرون: السلامة من صفة النفاق ومن إساءة غيره الظن بأنه ترك الصلاة رأساً، الثالث والعشرون: رد السلام على الإمام، الرابع والعشرون: الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر وعود بركة الكامل على الناقص، الخامس والعشرون: قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلوات، فهذه خمس وعشرون خصلة ورد في كل منها أمر أو ترغيب يخصه، وبقي منها أمران يختصان بالجمهورية وهما: الإنصات عند قراءة الإمام والاستماع لها، والتأمين عند تأمينة ليوافق تأمين الملائكة...» انتهى. ١١- أركى عند الله من صلاة الفردى: صلاة الجماعة ولو كان عددهم قليلاً، أركى عند الله - تعالى - من صلاة الفردى ولو كانوا أكثر. ١٢- العصمة من الشيطان. ١٣- البعد عن التشبه بالمنافقين، ومن أشهر صفاتهم التخلف عن صلاة الجماعة خصوصاً صلاتي العشاء والفجر. ١٤- من أسباب مغفرة الذنوب. ١٥- من أسباب عجب الرب، وعجبه - سبحانه - دليل على رضاه عن هذا العمل ومحبه لفاعله. ١٦- الثواب الجزيل بالمشي إليها. ١٧- اجتماع الملائكة في صلاتي الفجر والعصر واستغفارهم لمن حضرها. ١٨- تعدل قيام نصف الليل أو الليل كله: صلاة العشاء في جماعة تعدل قيام نصف الليل، كما أن صلاة الفجر في جماعة تعدل قيام الليل كله. ١٩- في ذمة الله تعالى: صلاة الجماعة من أسباب حفظ الله للعبد، وجعله في ذمته أي في عهده وأمانه، وضمائه، وذلك بصلاة الفجر في جماعة. ٢٠- في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله سبحانه: صلاة الجماعة مما يجعل المسلم شديد الحب والتعلق بالمساجد حيث تؤدي الصلاة، ومعلق القلب بالمساجد أحد السبعة الذي يظلمهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله. = ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً﴾ قرئ: (وصية) برفع التاء على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي أمرهم وصية، أو مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير تلزمهم وصية. وقرئ: (وصية) بالنصب على أنه مفعول مطلق أي: «يوصون وصية» أو مفعول به أي: (كتب الله عليكم). [٢٤٥] ﴿يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ قرئ: (فيضاعفه) بتخفيف العين وألف قبلها مع رفع الفاء، على الاستئناف، أي فهو يضاعفه. قرئ: (فيضعفه) بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء، على الاستئناف أيضاً. وقرئ: (فيضعفه) بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء. وقرئ: (فيضاعفه) بتخفيف العين وألف قبلها مع نصب الفاء. وتوجيه قراءة النصب أن الفعل منصوب بأن مضمره بعد الفاء لوقوعها بعد الاستفهام. ووجه التشديد في العين أنه مضارع "ضعف"، ووجه التخفيف أنه مضارع ضاعف. ﴿وَيَبْصُطُ﴾ هنا و ﴿بَسْطَةً﴾ بالبقرة: ٢٤٥، ٢٤٧ =

٢٤٦ - ﴿أَمَلًا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: وجوههم وأشرافهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾؟: بمعنى: عسى ألا تفوا بما تعدون من القتال والجهاد. ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾: إن فرض عليكم القتال. ٢٤٧ - ﴿إِنْ أَنَّهُ أَصْطَفَاهُ﴾: أي اختاره، واختيار الله هو الحجة القاطعة، ثم بين لهم مع ذلك وجه الاصطفاء. ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: زيادة بسط له ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾. ٢٤٨ - ﴿إِنَّ آيَةً﴾: علامة ﴿التَّابُوتِ﴾: تابوت كانت بنو إسرائيل تقدمه بين أيديهم عند القتال فلا يقوم لهم أحدا ﴿سَكِينَةً﴾: فغيلة، مأخوذة من السكون، والوقار والطمأنينة، أي: فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت. وقيل: إن التابوت كانت فيه أشياء من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إليه وتأنس به وتتقوى. ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾: عصاه عليه السلام، ورضاض الألواح؛ أي فتاتها وما تكسر منها. واختلف فيه.

= ٢١ - براءة من النار وبراءة من النفاق: ومن فوائد صلاة الجماعة، أن من حافظ عليها أربعين يومًا لا تفوته التكبيرة الأولى، كتب الله له براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق. ٢٢ - صلاة الله تعالى وملائكته على المصلين: ومن فوائد صلاة الجماعة، أن الوقوف في الصفوف لأدائها من أسباب صلاة الله تعالى وملائكته الكرام على المصلين خصوصًا الصفوف الأولى. ٢٣ - الثواب الجزيل في تسوية الصفوف وسد الفرج. ٢٤ - الحصول على أجرها حتى لو فاتت: ومن فوائد صلاة الجماعة، أن من جاء إليها يحصل على أجرها، حتى لو وجد الناس قد صلوا. ٢٥ - كمال الصلاة: صلاة الجماعة من أسباب كمال الصلاة وتمامها، والنجاة والأمن من السهو غالبًا، وتحصيل الخشوع، وبالتالي ترتفع درجة قبول الصلاة بإذن الله تعالى. ٢٦ - أفضل الأعمال أداء الصلاة في وقتها والمحافظة عليها. كما أن صلاة الجماعة تعصم المسلم من التهاون بالصلاة أو السهو عنها ونسيانها وتأخيرها عن وقتها، بل إن الكثير من تاركي الصلاة، كانت بداية أمرهم، ترك صلاة الجماعة، ولذلك فإن من رحمة الله بنا أن

شرع لنا أداء الصلوات الخمس في جماعة. ٢٧ - فرح الرب تعالى بعمار المساجد وتقريبه وإكرامه لهم. ٢٨ - النجاة من الغفلة. ٢٩ - دعاء لا يرد: ما بين الأذان والإقامة. ٣٠ - ألفه ومودة ومساواة بين المؤمنين. ٣١ - المحافظة على السنن الرواتب والأذكار. ٣٢ - معرفة أحكام الصلاة من خلال مشاهدة المصلين لبعضهم، أو الاستماع إلى بعض الدروس في المساجد أو قراءة بعض الأوراق المتعلقة بدخلها. كما أن صلاة الجماعة فرصة لمعرفة القراءة الصحيحة وتعلم أحكام التجويد، من خلال الاستماع إلى قراءة الإمام. ٣٣ - تعود النظام وضبط النفس من خلال متابعة الإمام في تكبيراته وتنقلاته في الصلاة، وعدم التقدم عليه، أو التأخر عنه، أو موافقته، أو مسابقته. ٣٤ - إظهار عز المسلمين باجتماعهم وفي ذلك إغاضة الكفار والمنافقين. ٣٥ - تحسين الهيئة والمظهر. ٣٦ - تعارف وتعرف وتواصل بين المسلمين. كما أنها فرصة لتفقد المصلين بعضهم بعضًا، والتعرف على أحوالهم وظروفهم، ف يتم من خلال ذلك زيارة المريض، ومساعدة المحتاج، ومواساة المصاب وغير ذلك. ٣٧ - دعوة عملية إلى الخير والتنافس في طاعة الله: الخروج إلى المساجد لحضور صلاة الجماعة دعوة عملية لأداء هذه العبادة والمحافظة عليها كما أن من فوائد صلاة الجماعة، أنها دافع إلى التنافس في طاعة الله تعالى بصدق وإخلاص، حينما ينظر المصلي إلى إخوانه المصلين، فيتنافس معهم فيما يقربه إلى الله تعالى في هذه العبادة العظيمة، بالاستزادة من الخير، كالتبكير إلى الصلاة وأداء السنن الراتب، وقراءة الأذكار والأدعية وغير ذلك، وقد أمر الله تعالى بالتنافس فيما يقربنا من رضوانه وجناته بالأعمال الصالحة. ٣٨ - سلامة المروءة: صلاة الجماعة من أسباب سلامة المروءة، فقد ذكر بعض السلف أن من المروءة المحافظة على صلاة الجماعة ولزوم المساجد في الحضر. أما المتخلف عن صلاة الجماعة، فإنه مخروم المروءة، ومن المعلوم أن مخروم المروءة لا تقبل له شهادة. ٣٩ - استشعار اللوقوف صفًا في الجهاد. ٤٠ - استشعار ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه: ومن فوائد صلاة الجماعة أن فيها استشعار آخر هذه الأمة بما كان عليه أولها، أي: بأحوال الصحابة، كأنما يستشعر الإمام أنه في إمامة الجماعة، ويستشعر المأمومون أنهم في مقام أصحاب الرسول مقام رسول الله ﷺ، ولا شك أن ارتباط آخر هذه الأمة بأولها يعطي الأمة الإسلامية دفعة قوية إلى اتباع السلف واتباع هديهم رضي الله عنهم. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَآلًا أَوْ زُرْجَانًا فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]. ما الفرق بين استعمال "إن" و"إذا" في الآية؟ **الجواب**: أن "إذا" تستخدم لليقين والقطع فاستعملت مع الأمن فقال: ﴿فَإِذَا آمَنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾، على خلاف "إن" فتستعمل في الشك والتقليل فأدخلت على الخوف ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَآلًا أَوْ زُرْجَانًا فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]. وفي هذا زيادة للتأكيد على المحافظة وعلى وقتها، ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط فصلاتها على تلك الصورة أحسن وأفضل بل أوجب من صلاتها مطمئنة خارج الوقت. [٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ [النساء: ٧١]. ما الفرق بين "حذر، حذر"؟ **الجواب**: وردت كلمة (حذر) بالفتح مرتين، بينما وردت كلمة (حذر) بالكسر ثلاث مرات. أضيفت كلمة (حذر) بالفتح في المرتين اللتين أتت فيهما - إلى اسم = ﴿بَسْطَةً﴾ بالأعراف: ٦٩، قرئ: (يسط - بسطة) بالسين فيهما على الأصل، والدليل على أن السين هي الأصل: أن الصاد ليست هي الأصل لأنه لو كانت الصاد هي الأصل ما جاز أن ترد إلى السين إذ لا علة توجب ذلك، ولا ينقل الحرف إلى أضعف منه، فالصاد أقوى بكثير من السين لإطباقها واستعلائها، فإذا لم يجز رد الصاد إلى السين وجاز رد السين إلى الصاد علم أن السين هي الأصل، والصاد داخلة عليها لعله. وقرئ: (بيسط - بصطة) بالصاد فيهما لمجاورتها الطاء. أي: لمجاورة السين التي هي الأصل الطاء، فالسين حرف مستقل، فلما وقعت بعد الطاء المطبقة المستعلية صعب أن يخرج اللفظ من تسفل إلى تصعد فلو كان العكس لحسن كما هو في نحو (طسم، وقسوة) فالانتقال من الطاء للسين سهل وخفيف، بخلاف الانتقال من السين للطاء، لذلك قربت السين من الطاء بإبدال حرف يواخي الطاء في الإطباق والاستعلاء: وهو الصاد، وكأن السين التي هي الأصل لم تزل، لكن خلفها حرف من مخرجها ومن صفتها في الصغير، ولأن الصاد عليها خط المصحف وعليها أكثر القراء، والقراءة بالصاد والسين لغتان من لغات العرب. [٢٤٦] ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ هنا وفي محمد: ٢٢، قرئ: (عسيتم) بالفتح في السين. وقرئ: (عسيتم) بكسر السين، والفتح والكسر لغتان في (عسى) إذا اتصلت بضمير، والفتح هو الأصل للإجماع عليه في (عسى) إذ لم تتصل بالضمير.

٢٤٩- ﴿فَصَلِّ طَالُوتَ بِالْجُنُودِ﴾: خرج بهم ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ﴾: يقال: طعمت الشيء: أي ذقته. يقال: أطعمته بالماء: أي أذقته. والاغتراف: الأخذ من الشيء باليد أو بالكة. ﴿يَطْنُونَ﴾ - هاهنا - بمعنى: يستيقنون ويعلمون. ﴿فِتْنَةٍ﴾: الفتنة: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالرھط، والنفر. ٢٥٠- ﴿أَفْرِغْ﴾: أنزل. ﴿وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا﴾: لئلا ننهزم. ٢٥١- ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾: قيل: المراد: الذين يباشرون أسباب الشر والفساد، ﴿بِبَعْضٍ﴾: آخر منهم، وهم الذين يكفونهم عن ذلك ويردونهم عنه، ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: أي لتغلب أهل الفساد عليها وفعلوا من الشرور ما يهلك الحرث والنسل. والآية في سنة المدافعة هذه أو بوجه عام، أي لوصف هذه السنة إحدى سنن الاجتماع الإنساني. وأنها تنطبق على الأمم والأقوام، ولا تقتصر على الأفراد. ٢٥٢- ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: هذا الإخبار أو الخطاب الإلهي لمحمد ﷺ تقوية لقلبه، وتثبيتاً لجنانته، وتشييداً لأمره، وفيه تأكيد مستمر على أن الوحي الذي كان ينزل عليه إنما هو من الله تعالى. [٢٥٥] معنى اسم الله العلي: (العلي، الأعلى، المتعال): قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد: ٩] وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه. فله علو الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علو الصفات وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علو القهر؛ فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدرُوا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [٢٥٥] معنى اسم الله العظيم: الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يُحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه عباده. واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان: النوع الأول: أنه موصوفٌ بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعها، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة. وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ: ((إن الله يقول: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبت)). فله تعالى الكبرياء والعظمة، الوصفان اللذان لا يُقدَّر قدرهما، ولا يُبلغ كنههما. النوع الثاني من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظم كما يُعظم الله، فيستحق جلّ جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبة، والذلّ له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. ومن تعظيمه أن يُتقى حقّ تقاته، فيُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر. ومن تعظيمه تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال. ومن تعظيمه أن لا يُعرض على شيء مما خلقه أو شرعه. ٢٥٠- ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] بدؤوا دعاءهم في آية البقرة ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً﴾، ليناسب اعتقادهم في أن هذا سبب النصر الحقيقي، وقد قالوا قبله: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وبدؤوا دعاءهم في آية آل عمران ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ في مثل ضربه الله تعالى: ﴿وَكَلَّيْنَا مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، لم يحدد فيه نبياً، ولم يحدد فيه قوماً، مثل عام للمؤمنين في سياق التعقيب على هزيمة أحد يعلمهم الأدب في حق الله، وأنهم في هول الهزيمة أول ما يسألونه المغفرة، لأن ما نزل بهم ما نزل إلا بذنب. = ظاهر (الموت) - في قوله تعالى: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]. بينما جاءت كلمة (جذر) بكسر الحاء مسبوقة بكلمة (خذوا) أو (ليأخذوا) في قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حَذَرَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]. جاءت كلمة (جذر) بكسر الحاء مع فعل الأمر (خذوا) لأن هذا المصدر (جذر) أشدُّ لفتناً للانتباه من المصدر الأصلي (حذر) بفتح الحاء. وكان (الجذر) بكسر الحاء - آلة يقي بها المرء نفسه. ٢٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، فإن قيل: هذا يقتضي موتهم مرتين، وهو مناف للمعروف أن موت الخلق مرة واحدة؟ **الجواب:** لا منافاة؛ إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما في قوله في قصة موسى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦]، وثم موت بانتهاء الأجل. ولأن الموت هنا خاص بقوم، وثم عام في الخلق كلهم، فيكون ما هنا مستثنى إظهاراً للمعجزة. ٢٤٧- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خَوَارٍ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خَوَارٍ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نَنْجِيكَ بِيَدِكَ لَتَكُونُ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين "جسم وجسد وبدن"؟ **الجواب:** الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت. ٢٤٩- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تَكَءَايِئُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

٢٤٩- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تَكَءَايِئُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

٢٤٩- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تَكَءَايِئُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

٢٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، فإن قيل: هذا يقتضي موتهم مرتين، وهو مناف للمعروف أن موت الخلق مرة واحدة؟ **الجواب:** لا منافاة؛ إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما في قوله في قصة موسى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦]، وثم موت بانتهاء الأجل. ولأن الموت هنا خاص بقوم، وثم عام في الخلق كلهم، فيكون ما هنا مستثنى إظهاراً للمعجزة. ٢٤٧- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خَوَارٍ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خَوَارٍ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نَنْجِيكَ بِيَدِكَ لَتَكُونُ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين "جسم وجسد وبدن"؟ **الجواب:** الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت.

٢٤٩- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تَكَءَايِئُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ۚ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

[٢٥٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ما فائدة تكرار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا﴾؟ **الجواب:** تأكيداً وتكذيباً لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى. والأحسن أن ﴿أَفْتَلَوْا﴾ أولاً مجاز في الاختلاف؛ لأنه كان سبب اقتتالهم فأطلق اسم المسبب على السبب كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، فمعناه: ولو شاء الله ما اختلفوا بعد أنبيائهم، لكن اختلفوا، ولو شاء الله بعد اختلافهم ما اقتتلوا. [٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢-٣]. تلازمت صفتا الحي والقيوم في آيتي البقرة وآل عمران فقط، ولم ترد صفة القيوم إلا مع الحي. بينما وردت صفة الحي منفردة، وهذان الاسمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم هو القائم على كل شيء بنفسه، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الخلق والرزق والإماتة والإحياء والخلق، وسائر أنواع التدبير، ولهذا قال بعض أهل التفسير: إن "الحي القيوم" هو الاسم الأعظم الذي إذا دعى الله تعالى به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

= كقاتل قتلاً لأن المفاعلة قد تأتي من واحد كعاقب اللص، وقرئ: (دَفَعَ) بفتح الدال وسكون الفاء دفع يدفع ثلاثياً، لأن المفاعلة التي من اثنين لا معنى لها هنا، فالله هو الدافع عن المؤمنين ولا يدافعه أحد فيما يدفع، فحمله على دفع أولى لأنه مصدره الذي لا يصرف عنه إلا بدليل. [٢٥٤] ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿بَيْعٌ - خُلَّةٌ - شَفَاعَةٌ﴾ هنا وإبراهيم: ٣١، ﴿بَيْعٌ - خِلَلٌ﴾، والطور: ٢٣، ﴿لَعُوٌّ - تَأْيِيمٌ﴾ قرئ: (بيع - خلة - شفاعة - خلأل - لغو - تأييم) بالفتح من غير تنوين. وقرئ: (بيع - خلة - شفاعة - خلأل - لغو - تأييم) بالرفع والتنوين.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٢٥٧- ﴿وَلِيٌّ﴾: ناصر، ﴿مَنْ الظُّلُمَاتِ﴾: الشبهات والشهوات، ﴿أُولَئِكَ أَهْمُ﴾: أئمتهم الذين يزينون لهم الكفر بالله ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾: من النظرة السوية التي فطر الله عليها وما تدعو إليه من معرفة الخالق وحقه على عباده. وقيل: النور: التوحيد والدين الحق، ولهذا يأتي في القرآن مفرداً، وتجمع فيه ﴿الظُّلُمَاتِ﴾. ٢٥٨- ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: عن ابن عباس: أتى برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر وادعى أنه أحيا وأمات. وهذه منه مغالطة؛ لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن الله هو الذي خلق الموت والحياة في الأجساد، ثم أتاه إبراهيم بما لا يستطيع فيه المغالطة فقال له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فلم يستطع جواباً. ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: انقطع وبطلت حجته. ٢٥٩- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾: قيل: هو عزيز. وقيل: إرمياء النبي ﷺ، والقرية: بيت المقدس. ﴿خَاوِيَةً﴾: خالية ﴿عُرُوشَهَا﴾: بيوتها وأبنيتها ﴿أَنَّى﴾؟ بمعنى: كيف؟ استبعاداً لإحيائها وإعادة الحياة منها بعد خرابها، وقيل: إنه استبعد إحياء أهلها. ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: يتغير ﴿نُشْرُهَا﴾: نُحييها. وأصل «الإنشاز»: التركيب والإحياء. ومن أظهر معاني النشوز: الارتفاع. فكان المراد بالآية: أن الله تعالى أمره أن ينظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض، فنزّلها إلى أماكنها من الجسد. [٢٥٧] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخرج ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: «هم الذين كانوا آمنوا بعبسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية». وأخرج عن مجاهد قال: «كان قوم آمنوا بعبسى، وقوم كفروا به، فلما بعث محمد ﷺ آمن به الذين كفروا بعبسى، وكفر به الذين آمنوا بعبسى، فأنزل الله هذه الآية. [٢٥٦] ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ما الفرق بين «الرُّشْدُ والهُدَى»؟ **الجواب:** يستعمل القرآن (هُدًى)

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَهْمُ الظُّلُمَاتِ﴾ يَخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَهْمُ الظُّلُمَاتِ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَأَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

في الخير والشر معاً، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعم، ووردوها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَتَبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَاتَّه. يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلَسَّ عِيرٍ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رُشْد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشْد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحد هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حق كان أو إلى باطل، إلى صواب كان أو إلى خطأ، إلى خير كان أو إلى شر. (الرُّشْد) في القرآن أخص من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلة للرشد. الرشد هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنوع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تُمَوِّدُ فَوَهْدِيَّتَهُمْ فَاسْتَجَبُوا لِعَمِّي عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٢٥٧] ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ **الجواب:** لأن الكفر أنواع ومثل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفردته. [٢٥٧] ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. عبر فيها بالمضارع لا بالماضي؛ لأن الإخراج قد وجد المناسبة التعبيرية قبله في قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولأن المضارع يدل على الاستمرار، فيدل هنا على استمرار ما ضمنه الإخراج من الله تعالى في الزمن المستقبل، في حق من ذكر. فإن قيل: كيف يخرج الكفار من النور، مع أنهم لم يكونوا في نور؟ **الجواب:** لمقابلة ما ذكر قبله في المؤمنين، ولأن الكفار هنا هم اليهود، وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ، لما يجدونه من نعتة في كتبهم، فلما بُعث كفروا به. [٢٥٨] ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ واختلف في إثبات الألف وحذفها من (أنا) في الأصل إذا أتى بعدها همزة قطع مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة، فقرأ: (أنا) بإثبات الألف للتقوية؛ لأنه لما أثبت الألف ومدّها للهمزة بعدها كره أن يحذفها ويحذف مدتها، فالألف وإن كانت زائدة عند البصريين إلا أنها أصلية عند الكوفيين، والاسم عندهم (أنا) بكماله، فإثبات الألف في هذا الضمير إنما جاء على الأصل عندهم ومن حذفها فالتخفيف؛ ولأن الفتحة تدل عليها. وقرأ: (أَنْ) بحذفها وهما لغتان: لغة تميم: إثباتها وصلاً ووقفاً وعليها تحمل قراءة المدنيين، والثانية: إثباتها وقفاً فقط، وهو ضمير منفصل، والاسم منه (أَنْ) عند البصريين، والألف زائدة لبيان الحركة في الوقف، وقيل: إجراء الوصل مجرى الوقف، فهي ثابتة في الوقف إجماعاً. [٢٥٩] ﴿وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ... كَيْفَ نُشْرُهَا...﴾ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قرئ: (تسن) بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف، ووجه حذف الهاء في الوصل أن الهاء إنما جيء بها للوقوف لبيان حركة ما قبلها، ولذلك سميت هاء السكت، واستغني عنها في الوصل لبيان حركة ما قبلها بدونها. ووجه من أثبت الهاء وصلاً: أنه وصل الكلام ونيتة الوقف عليها لكنه لم يسترح بالوقف عليها فوصل بنية الوقف. وقيل: إن الهاء في (يتسنه) أصلية وسكونها الجزم، فلا بد من إثباتها في الوصل، وعلى هذا لا يجوز حذفها؛ لأنه أراد بالسنة المأخوذة من سنة لا من السنة التي أصلها سنو، فالهاء على ذلك لام الفعل وسكونها للجزم، والله أعلم. ومعنى (لم يتسنه) لم يتغير بمرور السنين عليه. قوله تعالى: ﴿نُشْرُهَا﴾ قرئ: (نشزها) بالزاي من النشز وهو الارتفاع، أي: يرتفع بعضها على بعض للتركيب عند إرادة الخلق. وقرأ: (نشزها) بالراء المهملة من أنشر الله الموتى أحياءهم، أي: وانظر إلى عظام حمارك التي قد ابيضت من مرور الزمان عليها كيف نحييها؟، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرْنَاهُ﴾. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قرئ: (اعلم) بوصل الهمزة مع سكون الميم على الأصل، وفاعله، قيل: ضمير يعود على الله أو الملك، ويحتمل: عود الضمير على المار نفسه على سبيل التبكيت فأنزل نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطب غيره فقال: "اعلم يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمينه علم معانية". وقرأ: (أَعْلَمُ) بقطع الهمزة المفتوحة ورفع الميم خبراً عن المتكلم. [٢٥٩] ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظة **البعث** بمشتقاتها ومرتداتها، ولفظة **الصرط** بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرتداتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصرط بمشتقاتها)، وكل ورد (٤٥) مرة في القرآن.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ ثُبُورٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّينَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا يُطْلَؤُوا صَدَقَتُكُمْ يَأْتِينَكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾

٢٦٠- ﴿لِيُطَمِّينَ قَلْبِي﴾: باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان، ولم يكن عليه السلام شاكاً في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ وأشار إبراهيم عليه السلام بهذا الذي طلبه من ربه سبحانه إلى أن النفوس البشرية مستشرفة إلى رؤية ما أخبر به. ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: (ليس الخبر كالمعاينة). ﴿فَصْرُهُنَّ﴾: قيل: اضممهن. وقيل: قطعهن ومزقهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً. ﴿سَعْيًا﴾: عدواً على أرجلهن. وقيل: المراد الإسراع في المشي أو الطيران. ٢٦١- ﴿يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾: على السبعمئة إلى ما شاء عز وجل. ٢٦٣- ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: رد جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: عفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول، وقيل: نيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل، ﴿يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ﴾: امتنان، على المتصدق عليه، وشك أنه أنفق ما أعطاه في غير ما ينبغي، وما أشبه ذلك، ﴿غَنًى حَلِيمٌ﴾: الذي قد كمل في غناه وحلمه. ٢٦٤- ﴿لَا يُطْلَؤُوا صَدَقَتُكُمْ﴾: الإبطال للصدقات: إذهاب أثرها وإفساد منفعتها وثوابها. ﴿بِالْمَنِّ﴾: هو: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها. ﴿وَالْأَذَىٰ﴾: اللمز والتشكي أو السب. وهو أعم من المن، لأن المن جزء من الأذى، لكن نص عليه لكثرة وقوعه. ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾: لغير وجه الله، ولأن يقال: جواد، أو صالح، يتغنى الشاء والذكر. ﴿صَفْوَانٍ﴾: هي الصفا، وهي الحجارة الملس. ﴿وَابِلٌ﴾: مطر شديد. ﴿صَلْدًا﴾: «الصلد» من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه.

[٢٦٣، ٢٦٧] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، برأ، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع

اللحظات والأوقات، وأن يده سحاً الليل والنهار، وخيره على الخلق مدار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غني عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية. [٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤]. في الآية الثانية جاء فيها بالفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ لأن الذين ينفقون ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانية فهي تحتاج إلى تأكيد أكبر من الأولى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، لذا جاء بالفاء في مقام التوكيد والتفصيل. [٢٦٤] ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. آية البقرة في سياق الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسباً ولذلك أخر الكسب، وأما آية إبراهيم فهي في سياق العمل، والعامل كاسب فقدم الكسب. [٢٥٨] ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قال سبحانه ﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ ولم يقل (الكافر) ليبين أن خذلانه في الإجابة كان بسبب كفره ولو قال: (الكافر) لأصبح مجرد نعت عام للرجل. [٢٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِكَ ثُبُورٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. السبب في سؤال نبي الله إبراهيم عليه السلام عن إحياء الموتى هو حبه العميق للانتقال بنفسه من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين بالرؤية المباشرة، خاصة أنه قد وصف ربه في جداله مع الملك الكافر مدعي الربوبية قبل ذلك بآيتين قائلاً: ﴿رَبِّیَ الَّذِیْ یُحْیِیْ وَیُمِیْتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فأراد أن يرى عملية الإحياء من الموت رأي العين، وأن يرى طلاقة القدرة الإلهية بعينه، ولمسها بيديه حتى يستطيع الدفاع عنها بأقوى ما يملك من الحجة البالغة والمنطق الذي لا يرد، رغم إيمانه العميق وتسليمه الكامل بأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فسأله الحق تبارك وتعالى قائلاً: ﴿قَالَ أُولَئِكَ ثُبُورٌ﴾، فرد علي الفور، قال: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّينَ قَلْبِي﴾. قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن مراتب اليقين: فالمراتب ثلاث، علم يقين يحصل عن الخبر، ثم تتجلى حقيقة المخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين، ثم يباشره ويلبسه فيصلح حق يقين، فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين، فإذا أزلت الجنة للمتقين في الموقف وبرزت الجحيم للغاوين وشاهدوها عياناً كان ذلك عين يقين، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين. [٢٦١] ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَةٍ خُضِرٍ وَأَخْرَجَ يَاسْتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، من المعروف أنه قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من جمع، فتجمع مرة جمع مذكر، ومرة أخرى جمع تكسير، وقد تجمع الكلمة جمع مؤنث سالماً تارة، وتارة أخرى جمع تكسير، نحو كلمة ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ التي تجمع على سنبلات وسنابل، ويقول النحاة إن الجمع السالم بنوعيه "مذكر - مؤنث" يفيد القلة - أي: من الثلاثة إلى العشرة - وجمع التكسير يفيد الكثرة - أي: فوق العشرة - ومعنى هذا أن كلمة ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ جمعت في آية البقرة ﴿سَنَابِلَ﴾ جمع تكسير الذي يفيد الكثرة، وفي آية يوسف ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ جمع مؤنث الذي يفيد القلة. وبيان ذلك أن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق في سبيله وما يضاعفه له من أجر حتى سبعمئة ضعف، فبناء هذه الآية على التكثير، لذا جاءت كلمة ﴿سَنَابِلَ﴾ على جمع كثرة، أما الآية في سورة يوسف فإن بناءها عن إخبار الملك عن رؤياه ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَةٍ﴾ وهو العدد الذي رآه فعلاً بدون كثرة ولا قلة، والله سبحانه وتعالى أعلم. [٢٦١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ [٢٦٠] ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَصْرُهُنَّ﴾ قرئ: (فصيرهن - فصرنهن) بكسر الصاد وضمها، ووجه الكسر في الصاد أنه من "صار يصير" يقال صرت الشيء أملت، وصرفته قطعته. ووجه الضم أنه من "صار يصور" على معنى أملهن، أو قطعهن، فإذا جعلته بمعنى أملهن: كان التقدير: أملهن إليك فقطعهن، وإذا جعلته بمعنى قطعهن، كان التقدير فخذ أربعة من الطير إليك فقطعهن. إذا فكل من الكسر والضم لغة بمعنى الميل والتقطيع. وقيل: الكسر بمعنى قطعهن. والضم بمعنى أملهن وضمهن. قوله تعالى: ﴿جُزْءًا﴾ هنا والزخرف: ١٥، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ والحجر: ٤٤، ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قرئ: (جزء) بضم الزاي وهي لغة الحجازيين. وقرئ: (جزء) بإسكان الزاي وهي لغة تميم، وقرئ: (جُزْءاً) المنسوب بتشديد الزاي، وذلك بعد إبدال الهمزة زايًا وإدغام الزاي في الزاي.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧١﴾ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٢٧٢﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٣﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٥﴾

٢٧٠- ﴿نَذَرْتُمْ﴾: «النذر»: ما أوجبه المرء على نفسه من صدقة وعمل تقرباً إلى الله عز وجل.
 ٢٧١- ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾: تظهرونها، وإظهار المفروض منها خير من إخفائها، وإخفاء المتطوع أفضل.
 ٢٧٢- ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية: روي عن ابن عباس أنه كان ناس من الأنصار لهم قرابات في بني قريظة والنضير، وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة في أن يسلموا إذا احتاجوا، فنزلت الآية بسبب ذلك. قال ابن عطية: وذكر النقاش أن النبي ﷺ أتى بصدقات فجاءه يهودي فقال: أعطني، فقال النبي ﷺ (ليس لك من صدقة المسلمين شيء) فذهب اليهودي غير بعيد، فنزلت الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فأعطاه. وذكر الطبري أن مقصد النبي ﷺ بمنع الصدقة إنما كان ليسلموا ويدخلوا في الدين. وهذه الصدقة هي صدقة التطوع. و(الخير) في هذه الآية هو المال، لأنه اقترن بذكر الإنفاق. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: اشترط أن يكون الإنفاق ابتغاء وجه الله. وقيل: بل الآية إخبار وشهادة من الله تعالى للصحابه أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله تعالى. ٢٧٣- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: بالغزو أو الجهاد فاشتغلوا به عن الكسب، ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: تجارة وتصرفاً. ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: ترك المسألة. ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾: بما يبدو عليهم من التخشع والجهد. ﴿إِلْحَاقًا﴾: إلحاحاً. و«الحف»: الح. ٢٧٤- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ روى النسائي، والحاكم، والبخاري، وغيرهم عن ابن عباس قال: «كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾» إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾» وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾» الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين». ٢٧٥- ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾

[البقرة: ٢٧١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾. في آية البقرة زاد ﴿مِنْ﴾، لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات، وكذلك موافقة لما بعدها وهي ثلاث آيات فيها ﴿مِنْ﴾ أولها قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. [٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. الإظهار في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها. وفي إيلاء هذه الآية لما قبلها إشعار بأن الذي لا يغتر بوعد الشيطان ويوقن بوعده الله هو من آتاه الله الحكمة. [٢٧١] ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]. فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب عن الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية، وقال رسول الله ﷺ: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرُّ بالصدقة» صحيح الجامع. = كالجماعة لثلاث يخالف الخط، وتعذر إدغام الثانية في تاليها فنزل اتصال الأولى بسابقتها منزلة اتصالها بكلماتها، فأدغمت في الثانية تحقيقا مراعاة للأصل والرسم. وقرئ: (تَمْنُونَ) بتخفيفها على أنها تاء واحدة. [٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ﴾ قرئ: (يُؤْتِ) بكسر التاء مبنيا للفاعل، والفاعل ضمير الله تعالى، و(من) مفعوله مقدم، و(الحكمة) مفعول ثان، وإذا وقف وقف بالياء. وقرئ: (يُؤْتِ) بفتح التاء مبنيا للمفعول، ونائب الفاعل ضمير (من) الشرطية هو المفعول الأول، و(الحكمة) مفعول ثان، ويقفون عليها بالتاء الساكنة. [٢٧١] ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ... وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ اختلف في قوله تعالى: (نِعْمًا) هنا والنساء: ٥٨، قرئ: (نَعِمًا) بفتح النون وكسر العين مشبعة على الأصل كعلم. وقرئ: (نَعِمًا) بكسر النون إتباعا لكسر العين لأن حرف الحلق إذا كان عينًا للفعل وهو مكسور أتبع بما قبله فكسر لكسره، يقولون: شَهِدَ وشَهِدَ، وَلَعِبَ وَلَعِبَ، وهي لغة هذيل. وقرئ: (نَعِمًا) بإسكان العين وهو إن كان فيه جمع بين الساكنين وليس أولهما حرف مد ولين إلا أنها واردة للتخفيف. وقرئ: (نَعِمًا) بإخفاء كسرة العين وهو الاختلاس فيها فرازا من الجمع بين الساكنين، والكل صحيح قراءة ولغة، واتفق على تشديد الميم، ومعروف أن (نعم) فعل ماض جامد للمدح، ولَمَّا لحقتها (ما): اجتمع مثلاً فخفف بالإدغام. قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرْ﴾ قرئ: (نَكْفُرُ) بالنون وجرم الراء على أنه بدل من موضع (فهو خير لكم) لأنه موضعه، إذ هو جواب الشرط. وقرئ: (نَكْفُرُ) بالنون ورفع الراء على أنه مستأنف لا موضع له من الإعراب، وحسن أن يأتي على لفظ الجمع للتفخيم والتعظيم، و(الواو) عاطفة جملة على جملة. وقرئ: (يَكْفُرُ) بالياء ورفع الراء والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. [٢٧٣] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ قوله تعالى: (يَحْسَبُ) المضارع حيث أتى. قرئ: (يَحْسَبُ) بفتح السين كعلم وهي لغة تميم. وقرئ: (يَحْسِبُ) بالكسر كجلس يجلس، وهي لغة أهل الحجاز. [٢٦٦] ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن: أولاً: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانياً: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة. [٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: تكرر لفظ (الملائكة) و(الشياطين) (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ (الملائكة) (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ (الشيطان) (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ (الشيطان) (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة (الملائكة) (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ (الملائكة) (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوي أيضاً (٨٨) مرة. [٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ (الأئمة) بمشتقاته مع لفظ (الألأب) وقد ورد كل (١٦) مرة. أولاً: وردت كلمة (الألأب) (١٦) مرة في كتاب الله، ثانياً: وردت كلمة (الأئمة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضاً في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة الألأب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأئمة بمشتقاتها)، وكل ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى.

٢٧٥- ﴿الرَبَّوْا﴾: معلوم. وأصله: الزيادة. وغالب ما كان يفعله أهل الجاهلية: أنه إذا حل أجل الدين قال الدائن: أتقضي أم تُربي؟ فإذا لم يقض زاد مقداراً في المال الذي عليه، وأخر له الأجل إلى حين، قال رسول الله ﷺ «لعن الله أكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء». رواه مسلم. ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: من قبورهم يوم القيامة. ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يصصره ويخنقه. ﴿أَلَمَسَ﴾: الجنون. قالوا: إن أكل الربا يبعث كالجنون عقوبة له وتمقيتاً عند أهل المحشر؛ وقيل: إن أكل الربا جشعه وسعاره في جمع المال عن هذا الطريق الآثم، صار في حركته - في الدنيا - شبيهاً بحركة الجنون. ﴿مَا سَلَفَ﴾: ما أكل ومضى. ٢٧٦- ﴿يَمَحُوقُ﴾: أي: يذهب بركته في الدنيا وإن كان كثيراً. وقيل: ينقص ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾: ينمي المال الذي أخرجت صدقته، ويزيد في أجر المتصدق. ٢٧٨- ﴿وَذَرُّوْا مَاقَبَىٰ مِنَ الرِّبَا﴾: أي: اتركوا البقايا التي بقيت لكم من الربا. ٢٨٠- ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾: أي: إن كان المدين معسراً لا يجد ما يوفي به دينه، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: فأخروه حتى يرزقه الله ويسر عليه بوجود مال يسد به دينه، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ندب الله تعالى بهذا إلى الصدقة على المعسر، وجعل ذلك خيراً من إنظاره. ٢٨١- ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن. قال: «وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً» وروي أنها نزلت قبل موت النبي ﷺ بتسع ليال فقط. ثم لم ينزل بعدها شيء.

[٢٧٤] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَانِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية: أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن يزيد بن عبد الله بن غريب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال «نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَانِ وَالْإِحْسَانِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في أصحاب الخيل» يزيد وأبوه مجهولان. وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: «نزلت

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾ يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٨١﴾

هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهماً، وبالنهار، درهماً وسراً درهماً، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: «الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة». [٢٧٨] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا﴾ الآية. أخرج أبو يعلى في مسنده، وابن منده من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون للثقيف، فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله. فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد، وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: ما جعلنا أشقى الناس بالربا، وضع عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو بن عمير، صولحنا على أن لنا ربنا، فكتب عتاب إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها. [٢٧٦] ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. تأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين، وتسليط المتلفات عليها كما فعلوا بأموال الناس ومحقوقها عليهم وأتلفوها بالربا، جوزوا إتلافاً بإتلاف! فقل أن ترى مرابياً إلا وآخرتة إلى محق وقلة وحاجة. [٢٧٦] ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُنْ حَوَانًا مِّثْلًا﴾ [النساء: ١٠٧]. ما فائدة العدول عن قوله: "ببغض"، إلى قوله: "لا يحب" مع أنه لا يلزم من نفى المحبة: البغض، وما فائدة تخصيص كل آية بما ذكر فيها؟ **الجواب**: أن البغض: صفة مكروهة للنفوس، فلم يحسن نسبته إلى الله تعالى لفظاً. وأيضاً: فلأن حال العبد مع الله تعالى إما طاعته أو عديمها، فإذا انتفت محبته لنفى طاعته تعين ضدها، فعبّر بما هو أحسن لفظاً، وأما ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: فإنها نزلت في ثقيف وقريش لما أصروا على الربا، وعارضوا حكم الله تعالى بقولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهم كفار بالدين، أثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه، وأما آية النساء الأولى: فجاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وبعد قوله: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما، وذلك ينافي الاختيال والعجب والتفاخر، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿وَيَذِي الْأُفُورِيِّ﴾ الآية، وكذلك جاء في لقمان بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مِرْحَاً﴾ [لقمان: ١٨]، وفي الحديد بعد قوله تعالى: ﴿وَتَفَاخَرُ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠]، وأما آية النساء الثانية: فنزلت في طعمة بن أبيرق لما سرق درع قتادة بن النعمان رضي الله عنه وحلف عليه، ورمى به اليهود، ثم ارتد ولحق بمكة، فناسب: ﴿حَوَانًا﴾، وأيضاً: فلتقدم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]. [٢٧٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [النساء: ١]. ما الفرق بين استخدام كلمة "الله" و"الرب"؟ **الجواب**: أن لفظ الجلالة "الله" هو اللفظ العام لله تعالى، ويذكر هذا اللفظ دائماً في مقام التخويف الشديد، وفي مقام التكليف والتهديد، أمّا كلمة "الرب" فتأتي بصفة المالك والسيد والمربي والهادي والمرشد والمعلم، وتأتي عند ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين، فهو سبحانه المتفضل عليهم والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم، والخطاب في الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، للناس جميعاً وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأن خلقهم والذين من قبلهم، لذا جاءت كلمة "ربكم" بمعنى الربوبية. وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم يأتي معها لفظ الربوبية "رب".

[٢٧٩] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَذْنُوا﴾ قرئ: (فأذنوا) بألف بعد الهمزة المقطوعة وكسر الذال من آذنه بكذا أعلمه، أي: فأعلموا غيركم بترك الربا فيه تخويف وإنذار. وقرئ: (فأذنوا) بإسكان الهمزة وفتح الذال أمر من آذن بالشيء إذا علم به، أي: فأيقنوا بحرب من الله ورسوله. [٢٨٠] ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ قرئ: (ميسرة) بضم السين، وقرئ: (ميسرة) بفتح السين، والضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة باقي العرب. قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ قرئ: (تصدقوا) بتخفيف الصاد على حذف إحدى التاءين. وقرئ: (تصدقوا) بتشديد الصاد على إبدال تاء الفعل صاداً وإدغامها فيها لإرادة معنى التكثير.

[٢٨١] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قرئ: (ترجعون) بفتح التاء وكسر الجيم، أضاف الفعل إلى المخاطبين فهم الفاعلون. وقرئ: (ترجعون) بضم التاء وفتح الراء، أضاف الفعل إلى من يرجع المخاطبين، فالمخاطبون مفعول بهم قاموا مقام الفاعل.

٢٨٢- ﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: بالحق ﴿وَلَا يَبْخَسُ﴾: لا ينقص، ﴿سَفِيهَا﴾: مبذراً؛ إما لجهله بالصرف، أو لتلاعبه بالمال عبثاً مع كونه لا يجهل الصواب. ﴿صَعِيماً﴾: صيباً أو شيخاً ذاهلاً، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ﴾: لصغر أو عي أو نحو ذلك. ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾: هذا الإشهاد على المدينة مندوبٌ عند أكثر الفقهاء، وقال بعضهم إنه واجب. ﴿وَلَا تَسْمُوا﴾: تملوا ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل. يقال: أقسط الحاكم يقسط إقسطاً؛ إذا عدل وأصاب الحق، وقسط يقسط قسوطاً؛ إذا جار. قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]. ﴿وَأَذِّنْ﴾: أقرّب ﴿الْأَتْرَابُ﴾: ألا تشكوا لأن الكتابة تقطع الشك. ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: قيل: أن يكتب ما لم يُمل عليه، أو يشهد الشاهد بغير الحق. وقيل: هو الرجل يدعو الكاتب والشاهد - وهما على حاجة مهمة - فيعتذران بما هما عليه. فيقول: قد أمركم الله عز وجل بإجابتي؛ فعليه أن يطلب غيرهما ولا يضارهما بأن يشغلهما عن حاجتهما، وهو يجد غيرهما. ﴿فُسُوقُكُمْ﴾: خروج عن الطاعة إلى المعصية ملتبس بكم.

[٢٨١] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]. آية البقرة جاءت في سياق الأموال فقبلها أمور مادية من ترك الربا، وهو كسب محرم، وكذلك آية المعسر وآية الدين، وكلها جاءت في سياق الأموال فناسب ذكر الكسب، أمّا آية النحل فليس لها علاقة بالكسب، وقال قبلها: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فآية النحل فليس فيها كسب، فالجهاد والفتنة والصبر ليست كسباً، ففي سياق الأموال قال كسب، وفي سياق الأعمال قال عمل.

[٢٨١] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]،

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]. الآيتان جملتان وصفيتان، فلماذا حذف "فيه" في إحداها والذكر في الأخرى؟ السبب أن التقدير حاصل "يجزي فيه" لكن لماذا الحذف؟ الجواب: الحذف يفيد الإطلاق ولا يختص بذلك اليوم، فالجزء ليس منحصرًا في ذلك اليوم، وإنما سيمتد أثره إلى ما بعد ذلك اليوم، فكلما ذكر الجزء حذف "فيه"، أما في آية البقرة فذكر "فيه" لأنه منحصر فقط في يوم الحساب وليس عامًا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، اليوم منحصر في يوم القيامة والحساب؛ لذا ذكر "فيه"، وحذف "فيه" عندما ذكر اليوم غير محصور بيوم معين. [٢٨٢] ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. وردت كلمة (أشهدوا) ثلاث مرات في آية واحدة في سورة [البقرة: ٢٨٢]. ووردت كلمة (استشهدوا) مرتين في نفس الآية. فما فائدة (استشهدوا) مع وجود كلمة (أشهدوا)؟ الجواب: أن (استشهدوا) معناها: اطلبوا أن يشهد لكم شهيذان. قاله الزمخشري، ويلزم الطلب لأن الشهيدين يتكلفان مؤنة في الشهادة المكتوبة من حيث التذكر والتعرض لغضب أحد الخصمين عند وقوع خلاف، وهكذا معناها في الموضع الآخر. أما (أشهدوا) فمعناها: أعلنوا للناس صورة المبايعة الحاضرة، وهذا هو معناها في الموضعين الآخرين، وفي هذه الحالة لا يتكلف الشاهد معاناة ما، فهو يسمع كما يسمع كل حاضر، وله أن يشهد كأي حاضر على سبيل النذب لا الوجوب، لا كما كانت الشهادة في الحالة الأخرى التي تقع على سبيل الوجوب على الشهيدين. [٢٨٢] ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وردت كلمة (شاهدًا) سبع مرات، وكلمة (شاهد) خمسًا وثلاثين مرة، فما الفرق بين الكلمتين: كلمة (شاهد) اسم فاعل، بينما كلمة (شاهد) صفة مشبهة على وزن (فعليل) تستخدم في أنماط السياق التي تستدعي توكيدًا، وقد جاءت بمعانٍ عدة: ١- شهادة على المعاملات في الدنيا، وهذا يقتضي توكيد الشهادة ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ٢- شهادة عيسى - عليه السلام - لينفي عن نفسه أن يكون قد قال للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، ويقتضي المعنى تأكيد نفي التهمة عن نفسه حتى قال: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ٣- شهادة الرسول ﷺ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ٤- شهادة الله - سبحانه وتعالى - وقد وردت خمسًا وعشرين مرة من مجموع خمس وثلاثين مرة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] وناسب خطاب الله هنا للناس التوكيد؛ لأن منهم المؤمن والمكذب الذي يقتضي خطابه التوكيد ليُصدق. أما (شاهد) وهي اسم فاعل، فتأتي في السياق الذي لا يستدعي توكيدًا، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. [٢٨٢] ﴿وَمِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى... إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا... وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ قرئ: (إن) بكسر الهمزة على أنها شرطية (وتضل) مجزوم به فعل الشرط، وفتحت اللام للإدغام. وقرئ: (أن) بفتح الهمزة على أنها مصدرية ناصبة لتضل. قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾ قرئ: (فتذكر) بإسكان الذال وتخفيف الكاف مع نصب الراء، عطفًا على "تضل" وهو مضارع "ذكر" مشدداً، وهو مضارع "ذكر" مخففاً، نحو "نصر". وقرئ: (فتذكر) بفتح الذال وتشديد الكاف مع رفع الراء، على أنه مضارع "ذكر" مشدداً، نحو "كزم" ولم يدخل عليه ناصب ولا جازم. وقرئ: (فتذكر) بفتح الذال وتشديد الكاف مع نصب الراء، عطفًا على "تضل" وهو مضارع "ذكر" مشدداً أيضاً. قوله تعالى: ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرئ: (تجارة حاضرة) بنصبهما على أن (تجارة) خبر لتكون، و(حاضرة) صفة (تجارة) واسم (تكون) مضمّر، والتقدير: إلا أن تكون المعاملة أو المبايعة تجارة. وقرئ: (تجارة حاضرة) برفعهما على أن (تكون) تامة تكتفي بمرفوعها، و(تجارة) نائب فاعل، و(حاضرة) صفة لها، والتقدير: إلا أن توجد تجارة حاضرة. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرئ: (يضار) بسكون الراء مخففة، على أنه مضارع من "ضار يضير"، ولا ناهية والفعل مجزوم بها. وقرئ: (يضار) بفتح الراء مشددة على أن لا ناهية والفعل مجزوم بها، والأصل "ولا يضارر" برائين، فأدغمت الراء الأولى في الثانية، ثم تحركت الراء الثانية بالفتح تخلصاً من التقاء الساكنين على غير قياس، لأن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين يكون بالكسر.

٢٨٣- ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ﴾: وهو المديون، أو المدين ﴿أَمْنَتُهُ﴾: أي الدين الذي عليه. ﴿ءَاثِمٌ فَلَيْتُهُ﴾: مكتسب بكتمانه إثمًا عظيمًا. ٢٨٤- ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: يحاسب الله العباد على ما أظهروه، وما أضمرته أنفسهم من الأمور التي يحاسب عليها ككتمان الشهادة، والنفاق، ونحو ذلك. ٢٨٦- ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِصْرًا﴾: عهداً نعجز عن القيام به ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: والإصر: العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه، أي يحبس مكانه لا يستقل به لثقله، والمراد به هنا: التكليف الشاق، والأمر الغليظ الصعب. وقيل: الإصر: شدة العمل وما غلظ على بني إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات «قد فعلت». وهذا دليل على أنه سبحانه لم يؤاخذهم بشيء من الخطأ والسيئان، ولا حمل عليهم شيئاً من الإصر الذي حمله على من قبلهم، ولا حملهم ما لا طاقة لهم به، وعفا عنهم، وغفر لهم، ورحمهم، ونصرهم على القوم الكافرين. وأخرج مسلم والنسائي عن ابن عباس قال: «بيننا رسول الله ﷺ، وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً، فرفع جبريل بصره فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط. قال فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ، فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته».

[٢٨٥] قوله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية. روى أحمد، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة قال: «لما نزل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أو ﴿تُخَفُّوهُ﴾ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» اشتد ذلك على الصحابة، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقتراها القوم وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في إثرها: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخرها» وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه.

[البقرة: ٢٨٤]، ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أو ﴿تُتَّبِعُوا﴾ [آل عمران: ٢٩]. من صفة المنافقين إبداء الشيء وإخفاء خلافه، وقد عرفوا بذلك عن غيرهم، يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، كما أخبر سبحانه أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿يَشِيرُ الْمُتَنَفِّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَدَاوَا إِلَيْنَا﴾ [٣٨] الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: ٢٨]، فلما نهاهم عن المرتكب الذي به امتاز المنافقون، كان أكد شيء وأهمه إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون، فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية آل عمران، وأما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها وفي آية قبلها وفيما أعقبت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام، فورد فيها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أو ﴿تُخَفُّوهُ﴾ مقدماً فيها بادي أعمالهم بناءً على سلامة بواطنهم وتنزيههم من صفة المنافقين. [البقرة: ٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]. الكلام في آية البقرة عن التكليف والأعمال، فمن عمل خيراً يكون له، ومن عمل سوءاً يكون عليه، وهذا في عموم التكليف، وجميع التكليف في وسع البشر، لأنه سبحانه لم يكلف البشر بشيء لا يطيقونه، وأما آية الطلاق فالكلام عن المطلقات والنفقة عليهن، ولا يكلف الفقير أن ينفق ما ليس في سعته، بل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ من حيث المال، أي: بمقدار ما آتاه الله. [٢٨٥] ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّغِيرَةِ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]. ما الفرق بين "مغفرة، وغفران"؟ الجواب: مغفرة: وردت هذه الكلمة ثمانية وعشرين مرة، بينما وردت كلمة (غفران) مرة واحدة. للفعل (غَفَرَ) خمسة مصادر هي: غَفَّرَ، وَغَفَّرَ، وَغَفَّرَ، وَغَفَّرَ، وَغَفَّرَ. والمصدر الميمي (مغفرة) هو الأكثر شيوعاً، لذا كثر ذكره في القرآن، بينما لم يرد المصدر الآخر (غفران) إلا مرة واحدة. عدل القرآن الكريم عن (مغفرة) إلى (غفران) في مجال الدعاء حيث إن: ١- الدعاء يصاحبه فقد صوت الداعي، لأنه يفرغ في الدعاء طاقة نفسية وصوتية فناسب هذا المصدر المنتهي بالألف والنون (غفران) عن جميع المصادر الأخرى. ٢- الداعي يحتاج إلى تكرار دعائه وتوكيده والتذلل فيه إلى مَنْ يدعوه، والمصدر المنتهي بالألف والنون (غفران) يدل على التوكيد المطلوب. ويلاحظ أن (مغفرة) موجهة من الله إلى البشر، (كما يلاحظ أن لفظ المعصية المذكور في القرآن كان في سياق مع الرسول) أما الغفران فهو مطلب البشر من الله (في دعائهم) (وكذلك تلاحظ أن العصيان موجه من البشر إلى الله). [٢٨٦] ﴿إِنْ تَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]. تكرر لفظ "المخطئ والخاطي" في القرآن عدة مرات فما الفرق بين اللفظين: أخطأ: تعني جانب الصواب: سواء أكان الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما خطئ: فتعني دائماً مجانية الصواب عمداً؛ لذا فإنها تأتي دائماً بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خطئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقاً، وسيرة. [٢٨٣] ﴿فَرِهْنٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَرِهْنٌ﴾ قرئ: (رُهْن) بضم الراء والهاء من غير ألف جمع (رَهْن) كسُفٌّ وسَقْفٌ. وقرئ: (رِهَان) بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها جمع رهن نحو: كعب وكعب. [٢٨٤] ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ - وَيُعَذِّبُ﴾ قرئ: (يفغفر - يعذب) بالجزم فيهما عطفاً على قوله تعالى قبل: ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾ الواقع جواباً للشرط. وقرئ: (يفغفر - يعذب) برفع الراء والباء على الاستئناف، والتقدير: فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. [٢٨٥] ﴿كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرئ: (كتابه) بالتوحيد على أن المراد القرآن أو الجنس. وقرئ: (كتبه) بالجمع لتعدد الكتب السماوية. قوله تعالى: ﴿لَا نَفِرُ﴾ قرئ: (لا يفرق) بالياء من تحت على أن الفعل لكل من الرسول والمؤمنين. وقرئ: (لا نفرق) بالنون على التكلم، والمراد: نفي الفرق بالتصديق، والجملة على الأول: إما محلها نصب على الحال، أي: حالة كون المؤمن بما أنزل إليه من ربه غير مفرق بين شيء من ذلك كله، أو رفع على أنها خبر بعد خبر، أي: كل آمن بالله وكل لا يفرق بين أحد من رسله. وعلى الثاني: محلها نصب بقول محذوف، أي: يقولون لا نفرق... إلخ، أو يقول مراعاة للفظ "كل"، وهذا القول محلها نصب على الحال، أي: غير مفرقين، أو خبر بعد خبر.

وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ بَعْضُ فَايُودِ الَّذِينَ أُوتُوا أَمْنَتَهُ، وَلَيْتَ اللَّهُ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَابِلُهُ، وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِمُ (٢٨٣) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ تَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)

١٠ - ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾: خطبها. ١١ - ﴿كَذَّابٌ أَلِ فِرْعَوْنَ﴾: كعادتهم وسنتهم. وأصل «الدَّابُّ»: من دأبت في الأمر؛ إذا أدمت العمل فيه والتعب، فنقلت العرب معناه إلى العادة. ١٣ - ﴿فَتَتَيْنِ﴾: جماعتين. وهما رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، ومشركو قريش ﴿الَّتَقَتَا﴾: بيدر ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ﴾: أي يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، أو مثلي عدد المسلمين. وهذا على قراءة الجمهور بالياء التحتية، وقرأ نافع: (ترونها) بالفوقية. ﴿رَأَى الْعَيْنُ﴾: مصدر رأته، ومعناه: معاينة، أو حيث تلحقه أبصاركم. ١٤ - ﴿الشَّهَوَاتِ﴾: الشهوات. أي ما تشتهيها أنفسهم. وتزيينها ابتلاء واختبار، ﴿وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾: القناطير: جمع قنطار، وهو اسم للكثير من المال، وقيل: هو ألف دينار، والمقنطرة: المضغفة. قيل: ولا تكون أقل من سبعة قناطير. ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: قيل الراعية. وقيل: الحسان. وقيل: المعلمة. ﴿وَالْأَنْعَمِ﴾: جمع نعم، وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها الله عز وجل؛ من الضأن، والمعز والإبل والبقر. ﴿وَالْحَرْثِ﴾: الزرع. ﴿مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: ما يستمتع به فيها ﴿الْعَمَابِ﴾: المرجع والمنقلب إلى الجنة. [٨] معنى اسم الله الوهاب: من أسمائه تعالى: ((البر الوهاب)) الذي شمل الكائنات بأسرها ببره وهباته وكرمه، فهو مولى الجميل ودائم الإحسان وواسع المواهب، ووصفه البر ويشمل جميع النعم الظاهرة والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفه عين. وإحسانه عام وخاص: ١ - فالعام المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، وهذا يشترك فيه البر والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض والمكلفون وغيرهم. ٢ - والخاص رحمته ونعمه على المتقين حيث قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وفي دعاء سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان، والعلم، والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح، والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق. وهو سبحانه المتصف بالجلود: وهو كثرة الفضل والإحسان، وجوده تعالى أيضاً نوعان: النوع الأول: جودٌ مطلق عم جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة. النوع الثاني: جودٌ خاص بالسائلين بلسان المقال أو لسان الحال من بر وفاجر ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البر الرحيم: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِنَّكُمْ تَبْجُرُونَ﴾. ومن جوده الواسع ما أعدّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابٌ أَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُ الِجْهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي تَقَاتَلَتَا فَنَقِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ذِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْعَمَالِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِيَكُمْ خَيْرٌ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

١٢ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ﴾: روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً. فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ﴾» إلى قوله: ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: «فخاص اليهودي يوم بدر: لا يغرن محمداً أن قتل قريشاً وغلبها، إن قريشاً لا تحسن القتال. فنزلت هذه الآية». [٢٣] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة = [٩] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ الْعِوَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. الأول: خبر من الله تعالى بتحقيق البعث والقيامة، والثاني: في سياق السؤال والجزاء، فكان الخطاب فيه أدهى إلى الحصول. [١١] ﴿كَذَّابٌ أَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، ﴿كَذَّابٌ أَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢]، ﴿كَذَّابٌ أَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٤]. آية آل عمران قال فيها: ﴿فَآخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ ولم يقل: فأخذناهم على القياس؛ لأنه قال قبلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٩]، والتشابه بين آيتي الأنفال ذكرت فيه أقوال عديدة لعل أقربها: أن الآية الأولى بينت عقوبتهم عند الموت، والثانية بينت عقوبتهم بعد الموت، أو أن الأولى بينت عقوبة لم يمكن الله أحداً من فعلها، والثانية عذاب مكن الله الناس من فعله، وهو الإهلاك والإغراق، وقيل: إن الأولى كذاب آل فرعون فيما فعلوا، والثانية كذابهم فيما فعل بهم. [١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ﴾ [الأنعام: ٤]، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. من حيث الحكم النحوي يجوز تذكير وتأنيث الفعل، لكن يبقى السر البياني لهذا التذكير والتأنيث، عندما تكون كلمة ﴿آيَةٌ﴾ بمعنى الدليل والبرهان يأتي الفعل مذكراً، وإذا كانت كلمة آية بمعنى الآية القرآنية أتث الفعل. [١٢] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ قوله تعالى: ﴿سِتْغَابُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ: (سيغلبون ويحشرون) بياء الغيبة فيهما، والضمير للذين كفروا، أو للمشركين وكلاهما غائب، فإذا كان المراد «المشركين» فهم أقوى في الغيبة، والجملة محكية بقول آخر لا «بقول»، أي: قل لهم يا محمد قولي هذا إنهم (سيغلبون ويحشرون). وقرئ: (ستغلبون وتحشرون) ببناء الخطاب على أن الجملة محكية «بقول»، أي خاطبهم يا محمد وقل لهم (ستغلبون وتحشرون) إلخ، وقد قيل: إن الخطاب لليهود أو المشركين لأن كل فريق منهم كافر فخطبوا وأعلموا بوقوع الغلبة عليهم ثم يحشروهم إلى جهنم. [١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ قرئ: (ترونها) ببناء الخطاب لمناسبة كاف الخطاب في أول الآية، وموضع الجملة على هذا يكون نعتاً صفة لفئتين لأن فيها ضميراً يرجع عليهما أو حالاً من الكاف في لكم، فجرى آخر الكلام على أوله وهو قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ فجرى (ترونها) على الخطاب في (لكم) فيحسن أن يكون الخطاب للمسلمين، والهاء والميم للمشركين، وقد كان يلزم من قرأ بالتاء أن يقرأ (مثليكم) وذلك لا يجوز؛ لأنه لم يرد ويخالف الخط ولكن جرى الكلام على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وذلك في القرآن، وفي كلام العرب كثير =

[١٠] ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما ولفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن. أولاً: لفظة (النار) ومشتقاتها تكررت (١٤٥) مرة، وتكررت لفظة (الحريق) ومشتقاتها (٩) مرات، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانياً: وردت لفظة (الكافرين) بمشتقاتها (١٥٤) مرة. = والمتشابه، وذم الكفار، ومدمة الدنيا، وشرف العقبي، ومدح الصحابة، وشهادة التوحيد، والرد على أهل الكتاب، وحديث ولادة مريم، وحديث كفالة زكريا، ودعائه، وذكر ولادة عيسى، ومعجزاته، وقصة الحوارين، وخبر المباهلة، والاحتجاج على النصارى، ثم أربعون آية في ذكر المرتدين، ثم ذكر خيانة علماء يهود، =

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اِنْسَاْءَ اَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٦٦﴾ الصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالْقٰنِتِيْنَ وَالْقٰنِتَاتِ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُنْفِقَاتِ بِالْاَسْحَارِ ﴿٦٧﴾ شَهِدَ اللهُ اَنَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُولُو الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴿٦٨﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ اللهِ اِلْسَلَمُوْا وَمَا اَخْتَلَفَ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ اِلَّا مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيٰتِ اللهِ فَاِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿٦٩﴾ فَاِنَّ حَاجُوْكَ فَقُلْ اَسَلَبْتُ وَجْهِيْ لِلّٰهِ وَمَنْ اَتَّبَعَنِيْ فَقُلْ لِلَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ وَالْاُمِّيِّيْنَ ؕ اَسَلَّمْتُمْ فَاِنْ اَسَلَّمُوْا فَقَدْ اَهْتَدَوْا وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰغُ وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٧٠﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللهِ وَيَقْتُلُوْنَ الَّذِيْنَ يَنْصُرُوْنَ رِيسَ الْحَقِّ وَيَقْتُلُوْنَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُوْنَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴿٧١﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ حَبِطَتْ اَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نّٰصِرِيْنَ ﴿٧٢﴾

١٧- ﴿وَالْقٰنِتِيْنَ﴾: المطيعين لله تعالى ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْاَسْحَارِ﴾: قيل: هم أهل الصلاة. وقيل: المستغفرون، وخص الأسحار لأنها من أوقات الإجابة. والأسحار: جمع سحر؛ قال الزجاج: هو من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر. وقيل: الذين يشهدون صلاة الصبح في جماعة. ١٨- ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾: حملته ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل. ١٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: «الدين» - هاهنا: الطاعة والذل لله، وذهب الجمهور إلى أن الإسلام - هنا - بمعنى الإيمان، قال قتادة: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به من عند الله. وهو دين الله الذي بعث به رسوله، ودلّ عليه أوليائه. ولا يقبل غيره. ﴿سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾: سريع الإحصاء. ٢٠- ﴿فَإِنْ حَاجُوكَ﴾: أي جادلوك بالشبه الباطلة والأقوال المحرفة. ﴿أَسَلَبْتُ وَجْهِيْ لِلّٰهِ﴾: أخلصت نفسي وجليتي لله وحده، يعني أن ديني هو التوحيد. ﴿وَالْاُمِّيِّيْنَ﴾: الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾: أدبروا.

[١٨] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزة القوة الدالّ عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت. ٢- وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته متقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١٨] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا

يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا؟... إبراهيم ودينه، قال: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿اَنۡزَلۡنَا الۡذِيۡنَ اُوۡتُوۡا نَصِيۡبًا مِّنَ الۡكِتٰبِ يَتَّبِعُوۡنَ﴾: إلى قوله: ﴿يَقْرَءُوۡنَ﴾. [٢٦] قوله تعالى: ﴿قُلِ اللّٰهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ وَمَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَن تَشَاءُ يَدُكَ الْحَكِيۡمُ اِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْۡءٍ قَدِيۡرٌ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله: ﴿قُلِ اللّٰهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾. [١٨] ﴿شَهِدَ اللهُ اَنَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُولُو الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ﴾ تكررت ﴿لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ﴾ بنفس الآية، لأن الأول قول الله، والثاني حكاية قول الملائكة وأولي العلم، أو لأن الأول جرى مجرى الشهادة، وأعاد ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود. [١٨] ﴿شَهِدَ اللهُ اَنَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُولُو الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. ومن أعظم ما تنافس فيه الناس وبلغوا فيه أعظم الغايات الوصول إلى أرفع الدرجات في العلم؛ لأن الله جل وعلا جعل العلماء شهوداً على أعظم مشهود. = فهو بمنزلة قوله تعالى: ﴿حَتّٰىۤ اِذَا كُنۡتَ فِى الْمَلِكِ﴾ ثم قال: ﴿وَجَرِيۡنَ بِهِمۡ﴾ فخاطب في الأول ثم عاد إلى الغيبة، والهاء والميم في قوله: ﴿مِثْلِيۡهِمْ﴾ للمسلمين، أي: ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد، وقد كانوا ثلاثة أمثالهم فقللهم الله في أعين المسلمين لتقوى أنفسهم ويجرؤوا على لقاءهم كما في قوله تعالى: ﴿اِذۡ يُرِيۡكُهُمُ اللّٰهُ فِىۤ مَنَآئِكَ فَيَلۡبَسُ﴾ وقرئ: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ بالياء على الالتفات وهو بمعنى الخطاب أو على الاستئناف، ولأن قبله لفظ غيبة وهو قوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى سَبِيۡلِ اللّٰهِ وَآخِرَتِىۡ كَافِرَةٌ﴾ فحمل آخر الكلام على أوله، فالروية للفئة المقاتلة في سبيل الله، والمرئية للفئة الكافرة، فالهاء والميم في ﴿مِثْلِيۡهِمْ﴾ للفئة المقاتلة في سبيل الله. والمعنى: يرى الفئة المقاتلة في سبيل الله للفئة الكافرة مثل الفئة المؤمنة، وقد كانت الفئة الكافرة ثلاثة أمثال المؤمنة فقللهم الله في أعينهم، ليقوى نفوسهم وليثبتوا على ما فرض الله عليهم لئلا يفر الواحد من اثنين كما قال تعالى: ﴿فَاِنْ يَكُنۡ مِّنۡكُمۡ مَّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوۡا مِائَتِيۡنَ﴾ ويبعد أن تكون الهاء والميم في مثليهم للفئة الكافرة لأن الله لم يخبر أنه كثر الفئة الكافرة في أعين المؤمنين إنما أعلمنا أنه قللهم في أعين المؤمنين، والخطاب في (لكم) لليهود، والله أعلم. [١٥] ﴿وَاَزَوۡجُ مُطَهَّرَةٌ وَرِضۡوَنٌ مِّنَ اللّٰهِ﴾ قوله تعالى: ﴿رِضۡوَنٌ﴾ حيث وقع، قرئ: ﴿رِضۡوَانٌ - رِضۡوَانٌ﴾ بضم الراء وكسرها وهما لغتان، والكلمة مصدر لرضي، ونظير الكسر (الإتيان) ونظير الضم الشكران. [١٩] ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ عِنۡدَ اللّٰهِ اِلۡسَلَمُوۡا وَمَا اَخْتَلَفَ الَّذِيْنَ اُوۡتُوۡا الْكِتٰبَ اِلَّا مِنْۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ﴾ قرئ: ﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة على أنه بدل كل من قوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أو اشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد، أو العطف عليه بحذف الواو على المفعولية. وقرئ: ﴿إِنَّ﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف، لأن الكلام قد تم عند قوله تعالى قبل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾ ثم استأنف بكلام جديد فكسرت همزة (إِنَّ) لذلك، وهذا أبلغ في التأكيد والمدح والثناء لتمام الكلام قبله. [٢١] ﴿وَيَقْتُلُوۡنَ الَّذِيْنَ يَأۡمُرُوۡنَ بِالْقِسۡطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُوۡنَ﴾ قرئ: ﴿وَيَقْتُلُوۡنَ﴾ بفتح الياء وضم التاء من جانب الكفار، لأنه مناسب لقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُوۡنَ الَّذِيْنَ﴾ قبله، وقتل من هو دون الأنبياء أسهل عليهم، ومن تجرأ على قتل نبي فهو أجراً على قتل من هو دون النبي.

[١٩] ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ عِنۡدَ اللّٰهِ اِلۡسَلَمُوۡا﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود) بمشتقاته (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

= وذكر الكعبة، ووجوب الحج، واختيار هذه الأمة الفضلى، والنهي عن موالاته الكفار، وأهل الكتاب، ومخالفي الملة الإسلامية. ثم خمس وخمسون آية في قصة حرب أحد، وفي التمحيص بالابتلاء، وعذر المنهزمين، ومنع الخوض في باطل المنافقين، وتقرير قصة الشهداء رضي الله عنهم، وتفصيل غزوة بدر الصغرى، =

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَصَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤١﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَرِيءُ مَنَّىٰ لَئِذَا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٢﴾

٣٥- ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّخَصَّرًا﴾: موفراً ﴿أَمَدًا﴾: غاية. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: قرن التحذير الشديد بالرأفة منه بعباده سبحانه وتعالى. وقال الحسن البصري من رأفته بهم حذرهم نفسه. ٣٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾: الاصطفاء: الاختيار. قال الزجاج: اختارهم بالنبوة على عالمي زمانهم. ٣٥- ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: عتيقاً لعبادتك، حبساً في الكنيسة؛ لا يتنفع بشيء من أمر الدنيا. وكان زكريا عليه السلام وعمران تزوجا أختين، فكانا عيسى ويحيى -عليهما السلام- ابني خالتي. ٣٦- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾: تعظيم لهذه الأنثى التي وضعت، وتفخيم لشأنها. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾: الذكر أقوى لما نذرته فيه من الخدمة والعبادة. وقيل: إن امرأة عمران قالت ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾: لأنه لم يكن يقبل في النذر إلا الذكر، فكانها تحسرت وحزنت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتؤمله. ٣٧- ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: بالتشديد بمعنى: وكفلها الله زكريا. ﴿الْمِحْرَابُ﴾: مقدم كل مجلس، ومصلى، وأشرفهما، وكذا المحراب في المساجد. ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وقيل: رزقاً لا يشبه أرزاق الدنيا، أو رزقاً لم يحمله هو إليها؛ ذلك أن زكريا جعل لها محراباً لا يترقى إليه إلا بسلم، وكان ينفق عليها حتى كبرت. ﴿أَنِّي لَأَكْبَرُ هَذَا﴾: أي: من أي وجه لك هذا الذي أرى؟ [٣٥] معنى اسم الله الرؤوف: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخص المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بأطافه ورحمته عليهم. [٣٥] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء. وسمعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٣٥] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[٣١] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: «قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ الآية». [٣٠] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. في الآية الأولى وعيد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، أتبعه بوعيد آخر ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، معناه: مصيركم إليه والعقاب مُعد له فاستدركه، وفي الآية الثانية بوعيد أيضاً، وأتبعه بوعيد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، والرأفة أشد من الرحمة، وقيل في الآية الثانية: إن من رأفته سبحانه تحذيره. لا عد ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي يجري عليه الرزق متدفقاً وكأنه لا يُعد ولا يُحصى. أما كلمة (حسبان) فلها معنى واحد وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَرُسُلٌ عَلَيْهِمْ حُسْبَانٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئاً مدمراً محسوباً حساباً دقيقاً مضبوطاً. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب). [٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. فلما فاتها ما كانت عقدت النية عليه وهو أن يكون المولود ذكراً وهو أمر ليس بيدها، لم يفتها رحمها الله أن تسمي المولودة باسم يغلب الظن أن فيه شيء من القربى إلى الله، ولهذا قالت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومريم في لغتهم - أي العبرية - بمعنى (خادمة الرب). [٣٦] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَضَعْتَ﴾ قرئ: (وضعت) بإسكان العين وضم التاء وهو من كلام أم مريم، والتاء فاعل. وقرئ: (وضعت) بفتح العين وبتاء التانيث الساكنة من كلام الله تعالى، أي: الله أعلم بالذي وضعته أم مريم. [٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ قرئ: (وكفلها) بالتشديد، والفاعل هو الله تعالى، والهاء مفعوله (مريم) مفعوله الثاني، و(زكريا) مفعوله الأول، أي: جعله كافلاً وضامناً لمصالحها. وقرئ: (وكفلها) بالتخفيف من الكفل، وأسند الفعل إلى (زكريا) والهاء مفعوله، ولا مخالفة بينهما؛ لأن الله تعالى لما كفلها إياه كفلها. قوله تعالى: ﴿زَكَرِيَّا﴾ حيث وقع قرئ: (زكريا) بالقصر من غير همز. وقرئ: (زكرياء - زكرياء) بالهمز والمد، إلا أن أبا بكر نصبه هنا على أنه مفعول لكفلها كما تقدم لأنه يشدد، ورفع الباقون ممن خففه على الإفاعلية، والمد والقصر لغتان فاشيتان عن أهل الحجاز. [٣٢] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرر بالاعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إيل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجد أنها بالاعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: = قال رسول الله ﷺ: "تعلموا البقرة وآل عمران؛ فإنها الزهراوان، يُظَلَّان صاحبها يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف". رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني.

وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَنْدَحِرُونَ
فِي يَوْمِيكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِجِّي إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ ﴿٥٠﴾ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٥٦

٤٦- ﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: «المهد»: مضجع الصبي. و«الكهل»: المَحْتَكُّ فوق الغلام ودون الشيخ. وهو الذي جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين. والمرأة كهلة، والمعنى: أنه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء؛ من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويبعث الله الأنبياء. ٤٧- ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: ما أراد متى شاء. ٤٨- ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾: الكتابة أو الخط باليد، فهو مصدر كتب يكتب. و«الْحِكْمَةَ»: هي الإصابة في القول والعمل. قال ابن عطية: «هي السنة التي يتكلم بها الأنبياء في الشرعيات والمواظع ونحو ذلك، مما لم يوح إليهم في كتاب ولا يملك، لكنهم يلهمون إليه، وتقوى غرائزهم عليه» ٤٩- ﴿وَرَسُولًا﴾: نُصِبَ بمعنى: ونجعله رسولاً. وَأُبْرِئُ: أَشْفِي. الذي وَلِدَ وهو أعمى مضموم العينين. وقيل: الأعمى. واختلف فيه. ٥٢- ﴿أَحَسَّ عِيسَى﴾: أصل «الإحساس»: الوجود، والمعنى: فلما علم منهم الكفر ووجده فيهم، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: بمعنى: مع الله. ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: أصحابه عليه السلام؛ سمووا بذلك لياض ثيابهم؛ من قولك: يُحَوِّرُونَ الثياب: يغسلونها: ويقال رجل أخور، وامرأة حوراء؛ إذا كان أحدهما شديد بياض مقلة العينين.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم: ٢٠]. في آية آل عمران قالت: ﴿وَلَدٌ﴾، لأنه تقدم فيها ذكر المسيح وبشارة الملائكة لها به وأنه ولدها، وأمّا في مريم فقالت: ﴿غُلَامٌ﴾ لأن الملك قال لها: ﴿لَا هَبْ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، ولاحظ في آل عمران كلمة ﴿رَبِّ﴾ التي لم تذكر في سورة مريم، فتأمل. [٤٩] ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ [المائدة: ١١٠]. كلمة «طير» تستعمل للواحد وللجمع، وآية آل عمران من كلام عيسى عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم تكن صورة بعد، فحسن التذكير والإفراد، وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم القيامة معدداً نعمه عليه بعدما مضت، وكان قد اتفق ذلك منه مرات، فحسن التأنيث لجماعة ما صورته من ذلك ونفخ فيه، وهذا من التناسب البديع في الألفاظ، وقال في آل عمران ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ مرتين لأنه من كلام عيسى عليه السلام، بينما قال في المائدة ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات لأنه من كلام الله تعالى. قول آخر: ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَحَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤] إلى قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ نحو عشرين ضميراً من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ضمير مذكر ليناسب ما تقدمه، ويشاكل الأكثر الوارد قبله، أمّا آية المائدة فمفتحة بقوله تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ فناسب ذكر تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرها هناك... [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤]. آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام، وآية كلامه في المهد مخبراً عن حالته النبوية، وما منحه الله من الخصائص الجليلة منسوقاً بعضها على بعض، فذكر حفظ الله له، وتكريمه إيّاه في أحواله الثلاث، حال الولادة والموت والبعث وبعده، وهذه أحوال تنتزه الربوبية عنها وتتعالى، ثم كان تمام أخبار عيسى عليه السلام وتكميل ما قصده به الإقرار لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، فلما كان الكلام متصلاً بما تقدم في معناه، وقد ورد فيه ما ظهر من أن كلام عيسى عليه السلام تم وانقضى، وذلك في قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، ثم جاءت بعد ذلك قضية أخرى من التعريف بحقيقة عيسى عليه السلام فقال: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣١) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [مريم: ٣٤-٣٥]، فورد هذا مورد الجمل التي كأنها مفصلة عما قبلها مع الحاجة إلى اتصال ما بعدها بما قبلها، فلا بد من حرف النسق، ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعرضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فالوجه العطف عليه مع الحاجة إلى ما توسط = [٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. كرر ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾؛ لأن الاصطفاء الأول للعبادة، التي هي خدمة بيت المقدس، وتخصيص مريم بقبولها في النذر مع كونها أنثى، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى، أو لأن الاصطفاء الأول ذاتي، وهو جعلها منزهة وزكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير. [٤٣] ﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]. بدأت الآية بذكر القنوت وهو عموم العبادة، ثم السجود وهو أخص وأقل، ثم الركوع وهو أقل وأخص، فتدرج الآية من الكثرة إلى القلة، وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

[٤٦] ﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦]. قد يبدو لك بادئ الرأي أنه يكلم الناس وهو كهل، فما السر في إيراد كلمة ﴿وَكَهْلًا﴾؟ والجواب عن هذا: قال الله ذلك للصديقة مريم حتى لا يقع في نفسها أن قول الله جل وعلا لها بالبشارة ﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ يعني أن هذا الغلام سيكون معجزة، ثم لا يلبث أن يموت سريعاً، فطمأنها الله سبحانه وتعالى.

= تقدير حرف الجر، أي «بأن الله يشرك». قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ هنا، و﴿يُبَشِّرُ﴾ بالإسراء: ٩، و﴿وَيُبَشِّرُ﴾ بالكهف: ٢، و﴿يُبَشِّرُ اللَّهَ﴾ بالشورى: ٢٣، و﴿يُبَشِّرُكِ﴾ بالحجر: ٥٣، مريم: ٧، و﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بالتوبة: ٢١، قرئ: (يُبَشِّرُ - يَشْرُكُ - يَشْرُكُ - يَشْرُكُ). بفتح الياء والنون، وإسكان الباء، وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة. وقرئ: (يُبَشِّرُ - يَشْرُكُ - يَشْرُكُ - يَشْرُكُ) بضم الياء والنون، وفتح الباء، وكسر الشين مشددة في الجميع من بشر المضعف: لغة الحجاز، والتخفيف: لغة غيرهم من البشر، واللغتان بمعنى واحد. [٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ قرئ: (ويعلمه) بياء الغيبة لمناسبة قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنما يقول له كن فيكون. وقرئ: (ويعلمه) بنون العظمة على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه سيعلم عيسى عليهما السلام الكتاب والحكمة إلخ. ذلك على الالتفات من الغيبة للتكلم. [٤٩] ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلَقْتُ﴾ قرئ: (إني) بكسر الهمزة على إضمار القول، أي: فقلت إني، أو للاستئناف. وقرئ: (أني) بفتح الهمزة على، أنها بدل من قوله تعالى: «أني قد جئتكم». قوله تعالى: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ هنا وفي المائدة: ١١٠، قرئ: (الطائر - طائراً) بألف بعدها همزة مكسورة في «طير» المنكر في السورتين على إرادة الواحد، قيل: إنه لم يخلق إلا الخفاش. وقرئ: (الطير - طيراً) المعروف والمنكر بالياء بغير ألف ولا همز في السورتين، فيحتمل أن يراد به اسم الجنس، أي: جنس الطير، ويحتمل أن يراد الواحد فما فوقه، ويحتمل أن يراد به الجمع.

٥٣- ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: جمع: شهيد؛ من الشهادة بالحق. ٥٤- ﴿وَمَكْرُوا﴾: يعني: الذين كفروا من بني إسرائيل ﴿وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾: ألقى شبهة عيسى على بعض أصحابه فقتل، ورفع عيسى عليه السلام فلم يقتل، ومكر الله: استدراجة للعباد من حيث لا يعلمون. وقيل: مكر الله: مجازاتهم على مكرهم. ٥٥- ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قيل: وفاة النوم، وأنه رفع نائماً. ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾ [الأنعام: ٦٠] وقيل: بمعنى: قابضك من الأرض حياً إلى جوارى. وقيل: مستوف أجلك، أي: إني عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخر أجلك إلى أجل كتبه لك، وميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم، واختلف في ذلك. ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي الذين اتبعوا ما أرسلتك به ونزل عليك من التوحيد وما بشرت به، ولم يغفلوا فيه كما فعلت النصارى، أو يفرطوا في وصفه كما فرطت اليهود، ومعلوم أن المسلمين اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو، كما فعل ذلك من قبلهم بعض أتباع المسيح عليه السلام. ٦٠- ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين، يعني: فلا تكن في شك من أمر خلق عيسى، وعبوديته لله عز وجل. وهذا النهي للنبي ﷺ زيادة في الطمأنينة والتثبيت والثواب لأنه ﷺ لا يكون منه شك في ذلك. ٦١- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: يعني: فمن جادلَكَ يا محمد في المسيح عيسى بن مريم. والمراد بهؤلاء المجادلين وفد نصارى نجران. ﴿تَبَتَّلْ﴾: أصل الابتهاج: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره، يقال: ما له بهله الله؟ أي لعنه. ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «أتى رسول الله ﷺ راهبا نجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يؤامر ربه فنزل عليه: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾» إلى ﴿مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ [٦٠]. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أن رهطاً من نجران قدموا على النبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال محمد: أجل، فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاء جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾»، إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: «قدم على النبي ﷺ أسقف نجران والعاقب، فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك، قال: كذبتما، إنه منع منكما الإسلام ثلاث: قولكما: اتخذ الله ولداً، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم، قالوا: فمن أبو عيسى؟ فما درى رسول الله ﷺ ما يرد عليهما حتى أنزل الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾» إلى قوله: ﴿وَلَيْتَ اللَّهُ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ فدعاهما إلى الملاعة فأبيا، وأقرا بالجزية ورجعا. = الكلامين، فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوههم انقطاعاً فيحتاج إلى الواو، وأمّا زيادة ﴿هُوَ﴾ بالزخرف فقد دعا إليها ما تقدم في الآية قبله في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، تعلق بها الكفار، وقالوا قد عبدت الملائكة وعبد المسيح وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب وأن الملائكة عباد مقربون، فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد رضيينا، وجادلوا بهذا، فلما كان قد تقدم في الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨]، يعنون المسيح، ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكياً عن المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، فكان قد قيل: هؤلاء غيره، فأورد ﴿هُوَ﴾ ليؤكد المعنى، ولم يرد في آل عمران ومريم من ذكر آلهتهم ما ورد هنا، فلم يحتج إلى الضمير. [٦٠] ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾. قوله تعالى في آل عمران: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ الوحيدة في القرآن الكريم، والحق المذكور فيها هو الحق من خبر عيسى عليه السلام، والحق في الآيات الأخرى هو الإسلام وصحة نبوته ﷺ وشرعه، فاحتاج إلى مزيد تأكيد. [٥٥] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥]. كيف قاله والله رفعه ولم يتوفّه؟ **الجواب:** لما هدده اليهود بالقتل، بشره الله بأنه لا يقبض روحه إلا بالوفاة، لا بالقتل، والواو لا تقتضي الترتيب، أو إني متوف نفسيك بالنوم من قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ورافعك وأنت نائم لثلا تخاف، بل تستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب. [٥٧] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦-٥٧]. لماذا قال في الآية الأولى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ بإسناد توفية الأجور إلى الغائب ولم يقل: (فأوفيههم أجورهم) فيكون الكلام على نسق واحد؟ **الجواب:** أن الآية الأولى في سياق كلام الله سبحانه عن نفسه قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَامٌ عَلَيْكَ خُذِ الْقُلُوبَ حَثِيثًا وَكُلْ وَامْشِكْ بِالْبَنَاتِ﴾ [٥٧] وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لو لم يلتفت لقول: (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأوفيههم أجورهم وأنا لا أحب الظالمين). ولم يرد فعل الحب من الله في القرآن إثباتاً أو نفيًا مسنداً إلى ضمير المتكلم أي أن الله سبحانه وتعالى لم يقل في جميع القرآن مخبراً عن نفسه بنحو: (وأنا لا أحب الظالمين أو المعتدين) أو: (وأنا أحب الصابرين أو المحسنين) بل يسند ذلك إلى لفظ الجلالة في الأغلب أو إلى ضميره = [٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ قرئ: (فيوفيههم) بياء الغيبة على الالتفات، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة، أو ليناسب ما قبله من قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾. وقرئ: (فنوفيههم) بنون العظمة الدالة على التكلم، وليناسب ما قبله من الكلام وما بعده في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن الكريم. وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة (٦٥) مرة في القرآن الكريم.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَى مِثْلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْتَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٥﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٦﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَنْسَاءَنَا وَأَنْسَاءَهُمْ وَنَفْسَنَا وَنَفْسَهُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَكَ نُفُوسًا نَافِلَةً عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾

٥٧

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾
قُلْ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ تُحَاجُّوهُ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هَكَذَا نَتَمِّمُ هَذِهِ لَكُمْ حُجَجَكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوهُ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ أَوَّلِي النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّهِلُّ
الْكِتَابَ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧١﴾

٦٢- ﴿الْقَصَصُ﴾: الخبر الذي أخبر به عز وجل. ٦٤- ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: كلمة عدل بيننا وبينكم، وهي ما جاء بعد، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾: كمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير. ٦٥- ﴿لَمْ تُحَاجُّوهُ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: ادعى كل من اليهود - والنصارى - أن إبراهيم عليه السلام على دينهم، فرد الله عليهم بأن إبراهيم كان قبل موسى وعيسى بدهر طويل فكيف يكون يهوديًا أو نصرانيًا. ٦٧- ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى التوحيد مطيعاً لله عابداً له. ٦٨- ﴿أَوَّلِي النَّاسِ﴾: أحق الناس به، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾: محمد ﷺ، وجهة الأولوية كونه من ذريته وكونه موافقاً لدينه وعلى منهجه. ٦٩- ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾: نزلت في طائفة من اليهود حين دعوا جماعة من المسلمين إلى دينهم فيبين الله أن دينهم هو عين الضلال لانحرافه عن الحق وتحريفه.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ تُحَاجُّوهُ﴾ الآية. روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال: «اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا فأنزل الله

﴿يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ تُحَاجُّوهُ﴾ الآية». أخرجه البيهقي في الدلائل. [٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلِي النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ أَطْلِيلِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]. إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد ﷺ والذين آمنوا به، والله ولي المؤمنين به المتبعين شرعه، فناسب آل عمران ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأمّا آية الجاثية فيقال فيها للنبي ﷺ: إن هؤلاء المشركين برهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين

حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. [٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]. في آية البقرة ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾، والحسد المحرم هو تمني زوال نعمة الغير، والحاسد لا يرضيه إلا زوال النعمة، ولذلك تمنوا كفر المسلمين في آية البقرة، وآية آل عمران حول كيد أهل الكتاب لإضلال المؤمنين بإلقاء الشبهات لهم ﴿وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، حيث استحقوا العقاب على قصدهم إضلال الغير، وهو كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

= كأن يقول: (إنه لا يحب المسرفين) أو: (إنه لا يحب المعتدين). فالمناسب هو الالتفات وليس الاستمرار بالحديث عن النفس. [٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران: ٥٧]. دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة فيجدون ما قدموه من الخيرات محضراً موفراً فيعطى منهم كل عامل أجر عمله، ويزيدهم الله من فضله وكرمه. [٥٨] ﴿وَأَمَّا يُنْسِفُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ما الفرق بين "ذكرى، ذكر، تذكرة"؟ **الجواب**: وردت كلمة (ذكرى) إحدى وعشرين مرة. وكلمة (ذكر) ثلاثاً وستين مرة. وكلمة (تذكرة) تسع مرات. كلمة (ذكرى) لها معنيان: أ - التذكر: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ بَيْنِنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَأَمَّا يُنْسِفُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ب - القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَهُمْ أَقْصَدُ قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكلمة (ذكر) لها أربعة معان: أ - ذكر اسم يوسف أمام عزيز مصر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]. ب - الشهرة والصيت والمكانة، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. ج - كتاب منزل قبل الزبور كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَاكَ فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى الذكر في هذه الآية: أكتاب منزل هو أم الإنجيل أم التوراة، أم العلم. د - القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وكلمة (تذكرة) لها معنيان: أ - التذكير: كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ب - القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]. والفرق بين (تذكرة) و(ذكرى): أن الأولى مصدر، والثانية اسم مصدر، ولا يسد اسم

المصدر في الاستعمال الدقيق مكان المصدر. كما أن كلا منهما جاءت متسقة مع السياق الواردة فيه، ومنسجمة موسيقياً. كلمة (تذكرة) جاءت من فعل متعد لمفعولين: ذكر يُذكر تذكرة. أما كلمة (ذكر) فقد جاءت من فعل متعد لمفعول واحد. [٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] كيف قاله، وآدم خلق من التراب، وعيسى من الهواء، وآدم خلق من غير أب وأم، وعيسى خلق من أم؟ **الجواب**: المراد تشبيهه به في الوجود بغير أب، والتشبيه لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه. ومن لطائف القرآن الكريم أن اسم آدم ذكر في القرآن ١٥ مرة، واسم عيسى ذكر في القرآن ١٥ مرة كذلك. [٦٤] ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿قُلْ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمُ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَأُ وَإِنِّي بَعْضٌ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين "أقبل، تعال، ائت، هاؤم"؟ **الجواب**: (أقبل) أمر متعين طلباً للإقبال ونهياً عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة). إذًا، (أقبل) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطاباً لمن هو في حالة إدبار حسي ملتبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكن أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلِي مُدِيرٌ﴾ [القصص: ٣١]. أما (انت) فلم تأت في القرآن الكريم إلا بمعنى (أذهب) كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: =

٧١- ﴿تَلْسُوتُ﴾: تخلطون وذلك بتعمد التحريف، وما يدخلونه في الدين مما ليس منه.
 ٧٢- ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة قيل: هم رؤساؤهم وأشرافهم، قالوا لأتباعهم ومن هم دونهم من قولهم: **وَجَهَ النَّهَارُ**: أوله. ﴿وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ﴾: أمروهم بالردة في وقت قريب، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ليدخل الشك على المؤمنين ويفتن بعضهم، فيقولوا: ما ترك هؤلاء الإسلام بعد دخولهم فيه إلا لأنهم اطلعوا فيه على باطل. وهذا من فصول كيدهم في حرب الإسلام والصد عن دين الله. ٧٣- ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: هذا من كلام اليهود لبعضهم، أي قال الرؤساء للأتباع والرعاع لا تصدقوا تصديقاً صحيحاً إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها، وأما غيرهم ممن قد أسلم فأظهروا لهم ذلك خداعاً. ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾: الهدى والإسلام. ٧٤- ﴿يَخْصُصُ﴾: يؤثر. ٧٥- ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَبِيلٌ﴾: كانت اليهود تقول: ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب حرج! ٧٦- ﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ﴾: أي لا نصيب: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم. ٧٧- ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يظهرهم من ذنوبهم وكفرهم.

[٧٣] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٧٣] معنى اسم الله الواسع: فهو ﷻ واسع الصفات، والنعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يحصى أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم. [٧٣] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

يَتَّاهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُفُّونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنُّهُ بَقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنُّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

٥٩

[٧٢] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ الآية. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «قال عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد، وإلحارث بن عوف، بعضهم، لبعض، تعالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿يَتَّاهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إلى قوله ﴿وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ [٧٣]. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك قال: «كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فأنزل الله ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾. [٧٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية. روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث بن قيس قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجددني فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال: ألك بينة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾». وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى «أن رجلاً أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه، ليوثق فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. [٧٣] ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] الوحيدة في القرآن وبإقي المواضع ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٢٠، الأنعام: ٧١]. تقديم ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ له سبب اقتضاه في آية البقرة والأنعام، إذ هو آت نصاً من أول الأمر على أن: ﴿هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ في معرض حديث يدعى فيه أن غير الله له هدى، ففي البقرة ادعى ذلك الهدى اليهود والنصارى، ومن أجل مدعاهم هذا لا يرضون إلا عمن تبعهم وصدقهم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ وَبِئْسَ الْهَدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]. فكأنهم يرفضون أن يكون هدى غير ما هم عليه منكرون لما سواه، فجاءت الآية مفيدة دعواهم: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، أي: لا هداكم ولا هدى غيركم، ففي الأسلوب قصر قلب^(١)، يقول النسفي: "وهدى الله هو الهدى كله ليس وراءه هدى". وكذلك في آية الأنعام: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ [الأنعام: ٧١]، فالأصحاب يدعون أن لهم هدى، فسلك القرآن الكريم هنا مسلكه في آية البقرة لوجود السبب في الموضعين، أما تقديم ﴿الْهُدَى﴾ في آل عمران على ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ فلأن القوم هنا لم يبد منهم إنكار، أو دعوى استئثارهم بالهدى، بل هم مقرون بذلك، وإنما يريدون أن يفتنوا من هم على هدى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عما هم عليه، ليستأثروا هم بهدى الله حسداً من عند أنفسهم أن يؤتى أحد مثلاً أوتوا، فجاءت الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ اعتراضاً مبيناً لوهمهم -فيما حسبوا- أنهم قادرون عليه من إضلال المؤمنين، فتعريف الهدى بـ "الألف واللام"، وجعله موضوعاً للحديث والحكم عليه بأنه: ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ هو التعبير الأنسب للمقام لما في "الـ" من معنى الاستغراق، ففي العبارة قصر إفراد^(٢).

[٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُّونَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]. المنكر في سورة البقرة أكثر، فالتوعد فيها أكثر وأشد، وكثرة المنكر في سورة البقرة بكثرة الذنوب التي = أذهب إلى القوم الظالمين، إذا فرق كبير بين كلمة (انت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) فلم تأت إلى مرة واحدة في القرآن، في قوله تعالى: ﴿هَٰؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعض اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح من يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يعادله فرح، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظير، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. [٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنُّهُ بَقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنُّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. لم خص أهل الكتاب بذلك، مع أن غيرهم منهم الأمين والخائن؟ **الجواب:** إنما خصهم باعتبار واقعة الحال، إذ سبب نزول الآية أن عبد الله بن سلام أودع ألفاً =

(١) قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته، نحو: ما سافر إلا علي، رداً على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي. فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده. "جواهر البلاغة / ١٤٠".

(٢) قصر إفراد: يأتي إذا اعتقد المخاطب الشُّرْكة. "جواهر البلاغة / ١٤٠".

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرِيقًا يُلَوِّنُ السِّتْرَ بِالْكِتَابِ لِيَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَاهُومِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَاهُومِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨- ﴿يَلَوِّنُ السِّتْرَ﴾: يحرفون، وأصل اللي: الفتل والقلب؛ أي يفتلون السِتْرَ بقراءة الكتاب عن الصحيح إلى المحرف. ٧٩- ﴿رَبِّينَ﴾: حكماء علماء، منسوبون إلى الربان، وهو الذي يرب الناس؛ أي يصلح أمورهم. والمراد: الانتساب لله تعالى بالتمسك القوي بطاعته مع فقه وحكمة. وقيل: الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة. ﴿تَدْرُسُونَ﴾: تقرأون. ٨٠- ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾: أي وليس بنبي: عيسى أو غيره، بعدما آتاه الله من العلم والهو أن يأمر بعبادة نفسه، ولا يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً يعبدون من دون الله، بل ينهى عنه. ٨١- ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾: بالميثاق الذي أخذ الله عليهم ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدي ووصيتي. و«الأخذ»: القبول والرضا. ٨٣- ﴿وَكُرْهًا﴾: حذر السيف. وقيل: سجود ظل الكافر. وفيه اختلاف، قال قتادة: أما المؤمن فأسلم طائعاً فنفعه ذلك وقبل منه، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله فلم ينفعه ذلك ولم يقبل منه.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق، والبيهقي، عن ابن عباس قال: «قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ فقال: معاذ الله، فأنزل الله في ذلك ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾». ارتكبوها، قال تعالى في صدر الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدم إليهم من عهده، فهؤلاء لم يبينوا وكنتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه، ثم أثروا القليل من الدنيا على العظيم من عهد الله، فجاء على هذا أغلظ الوعيد، وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]، أما في آل عمران فلم يذكر في صدر الآية إلا بعض ما في البقرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فكان التوعد في آل عمران أقل من البقرة، والله أعلم.

= ومائتي أوقية من الذهب؛ فأدى الأمانة فيها، وفنحاص بن عازوراء أودع ديناراً فخانه، ولأن خيانة أهل الكتاب المسلمين تكون عن استحلال، بدليل آخر الآية، بخلاف خيانة المسلم المسلمين. [٨٣] ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]. كيف قال ذلك مع أن أكثر الإنس والجن كفرة؟ **الجواب**: المراد بهذا، الاستسلام والانقياد لما قدره عليهم من الحياة والموت، والمرض والصحة، والشقاء والسعادة، ونحوها. [٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ما الفرق بين «الكُرْه» - الإكراه؟ **الجواب**: ١- الكُرْه: استعمالها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليل على ذلك مقابلة «الكره» «بالطوع» في قوله ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكُرْه: استعمالها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معاً؛ لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثم لا يمكن أن تأتي إحداها مكان الأخرى. ٣- الإكراه: هو مصدر الفعل «أكره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكُرْه»، و«الكَرْه» أن الإكراه فعل المُكرِه (اسم فاعل)، و«الكُرْه» و«الكَرْه» فعل المُكرِه (اسم مفعول).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران: ٨١]. ويتفرع على هذا أن من ورث الكتاب والحكمة فقد أخذ بحظ وافر مما أنعم الله به على النبيين. [٧٩] ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ قرئ: (تُعَلِّمون) بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة فيتعدى لاثنتين، أولهما: محذوف، أي: "تعلمون الناس أو الطالبين الكتاب"، وقرئ: (تُعَلِّمون) بفتح التاء وتسكين العين وفتح اللام من "علم يعلم" فيتعدى لواحد. فـ(تُعَلِّمون) تجمع بين العلم والتعليم، أما (تُعَلِّمون) فلا تجمع بين العلم والتعليم، فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون معلماً. [٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ قرئ: (ولا يأمركم) بنصب الراء على إضمار أن، أي: "ولا له أن يأمركم" أو منصوب بالعطف على (يؤتيه) والفاعل ضمير يعود على (بشر) قبلها، وقرئ: (ولا يأمركم) بالرفع على الاستئناف، وفاعله: ضمير اسم الله تعالى، أو ضمير يعود على (بشر).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ قرئ: (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم على أنها لام الجر متعلقة بأخذ و(ما) مصدرية، أي: "لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول... الخ. وقرئ: (لما) بالفتح على أنها لام الابتداء ويحتمل أن تكون للقسمة، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف، و(ما) شرطية منصوبة بآتيتمكم، وهي معطوفة ثم جزم بها على ما اختاره سيبويه. قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ قرئ: (آتيناكم) بالنون والألف بعدها بضمير المعظم نفسه. وقرئ: (آتيتمكم) بياء مضمومة بلا ألف على الالتفات.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَ﴾ قرئ: (يبغون) بالياء، والمعنى أغير دين الله يبغي هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من اليهود. وقرئ: (تبغون) بالتاء على الخطاب ويجوز أن يكون لليهود ولغيرهم. قوله تعالى: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (يرجعون) بالغيب لمناسبة ما قبله في الآية. وقرئ: (ترجعون) بياء الخطاب على الالتفات لما مر في (تبغون).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ **إعجاز عددي**: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ **النور والحكمة والتزليل**، وقد ورد كل (٦٨) مرة: أولاً: ورد لفظ **(القرآن)** (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ **(النور)** (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر **(الحكمة)** (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر **(التزليل)** (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

٨٤- ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾: أحفاد يعقوب عليه السلام، ولد كل رجل منهم أمة فسموا بالأسباط. وهم في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ﴿لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: في الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مستسلمون له خاضعون لأمره. ٨٥- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾: فخرج بذلك عن دين الفطرة الذي رضىه الله لعباده، ونهاهم أن يموتوا إلا عليه ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾: في الدنيا ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾. ٨٨- ﴿يُنْظَرُونَ﴾: يُمهلون. ٩٠- ﴿ثُمَّ أَرْزَادُوا كُفْرًا﴾: بالذنوب التي اكتسبوها، أو بإقامتهم على كفرهم بعد ردتهم. ﴿لَنْ يُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: أي عند الموت. كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ أَفَنَنْ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]. ٩١- ﴿وَلَوْ أَقْنَدْتِي بِهِ﴾: ولو قدمه ليفدي به نفسه من عذاب النار، وقيل: المراد من مات على كفره فلن يقبل منه خير أبداً، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه أو يظنه قربة.

[٨٩] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصَّفْح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوهِ أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرباً لمغفرته. [٨٩] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي:

الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشدُّ مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [٨٦] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ (الآيات. روى النسائي، وابن حبان، والحاكم، عن ابن عباس قال: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا﴾» إلى قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾» (فأرسل إليه قومه فأسلم». [٨٤] ﴿قُلُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٤]. قوله تعالى في آية البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ لأن ﴿إِلَيْنَا﴾ لانتهاه إلى الشيء، والكتب السماوية منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعاً، والخطاب في هذه السورة لهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿قُلُوا﴾ فلم يصح إلا ﴿إِلَيْنَا﴾، وأما ﴿عَلَيْنَا﴾ فمختصة بجانب الفوق، وهذا مختص بالأنبياء؛ لأن الكتب منزلة عليهم، وفي آية آل عمران ﴿قُلْ﴾، وهذا مختص بالنبي ﷺ. دون أمته فكان الذي يليق به ﴿عَلَيْنَا﴾ فتأمل، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، حذف "أوتي" في آل عمران، لأن إتياء النبيين ورد في آل عمران قبل قليل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ﴾، فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها. قول آخر: في حذف ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾، من آل عمران: الأمر في البقرة لما كان للرسول وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجميع تأكيد مقامهم وتثبيت اعتقادهم، فقالوا: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، ولما كان توجيه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله: ﴿قُلْ﴾ خاصاً به ﷺ وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد، لتنزه الرسول ﷺ حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد من الرسل. [٨٦] ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ٨٦، ١٠٥] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾. إذا كانت الآيات تدل على النبوات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً، أمّا ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بالتذكير: فالبيّنات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي، وحيثما وردت كلمة البيّنات بهذا المعنى من الأمر والنهي يذكر الفعل. [٨٨] ﴿خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي البقرة وآل عمران، وهي تبين جزاء الكافرين وأنهم ماكثون في النار، لا يُرفع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ولا يؤخر عنهم لمعذرة يعتذرون بها. [٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي آل عمران والنور، وهي تتحدث عن التوبة والرجوع إلى الله تعالى. [٨٦] ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧]. أن الجزاء من جنس العمل، فإن هؤلاء لما ارتكبوا ثلاث جرائم أو ثلاثة أمور في كفرهم كان عليهم لعنة الله والملائكة والناس، ثلاث بثلاث. [٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ يُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَقْنَدْتِي بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]. الآية الثانية تتحدث عن قوم ماتوا وانتهوا ولن يقبل منهم توبة بعد الموت، فهي تحتاج إلى تأكيد أكبر فقال: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ﴾، لأن الفاء تفيد التوكيد، أمّا الآية الأولى فهي تتحدث عن قوم كفروا ولم يموتوا، ومجال التوبة ما زال مفتوحاً أمامهم فلم يذكر الفاء.

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة في القرآن الكريم، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة في القرآن الكريم. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة في القرآن الكريم. إذا أضيف إلى عدد ورود =

٩٢- ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾: الجنة، أو ثواب الله تعالى. أو: لن تبلغوا حقيقة البر وتكونوا أبراراً حتى تنفقوا من أم والكم التي تحبونها وتؤثرونها. ٩٣- ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾: حلالاً ﴿لِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ﴾: حلالاً ما حرم إسرائيل على نفسه. كان يعقوب عليه السلام يصيبه عرق النساء؛ فحرم على نفسه أكل العروق؛ أي عروق اللحم الجوفاء التي يكون فيها الدم، وقيل: بل تأذى بأكل لحوم الإبل فيما كان يشتكيه، فجعل على نفسه ألا يأكلها؛ فقالت اليهود: إنما حرم إسرائيل (يعقوب) على نفسه، وبه نزلت التوراة؛ ولم تنزل التوراة بذلك، فقال الله عز وجل: ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. ٩٦- ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: يعبدون الله فيه. وقيل: إنه خلق قبل جميع الأرضين. ﴿بِمَكَّةَ﴾: علم للبلد الحرام، وكذا (مكة) وهما لغتان وقيل: بكه هو موضع البيت، وما حوله: مكة؛ قيل: وسمي بكة لأن الناس يتباكون فيه، أو لاذحام الناس في الطواف، ولأن الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض، وليس ذلك إلا فيه. ٩٧- ﴿ءَايَاتُ﴾: علامات ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: منها ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾: كان الرجل في الجاهلية يجني ما جنى، فيعوذ بالبيت؛ فلا يعرض له أحد، وأما في الإسلام فلا يمتنع الجاني العائد به من إقامة الحد عليه. وقد قيل: لا يعرض له حتى يخرج منه. -والاختلاف كثير في هذا- وقيل: آمناً من النار. ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: قيل: السبيل: الزاد والراحلة، والصحة. ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: بالحج وجحده. ١٠٠- ﴿يُرَدُّوكمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾: نزل ذلك في يهودي سعى بين الأوس والخزرج؛ حتى همّت الطائفتان أن يحملوا السلاح.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: «لما نزلت ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ الآية. قالت اليهود، فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: إن الله فرض على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾». [١٠٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا﴾ الآية. أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس

قال: «كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآية والآيتان بعدها. وأخرج ابن إسحاق، وأبو الشيخ، عن زيد بن أسلم قال: «مر شاس بن قيس، وكان يهودياً على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعثت ففعل، فتنازعا وتفاخروا حتى وثب رجلاان: أوس بن قيطي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار، ومن كان معهما: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية، وفي شاس بن قيس، ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا﴾ الآية.

[٩٩] ﴿لَمْ تُصَدِّقُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ [آل عمران: ٩٩]، ﴿وَصَدِّقُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ. وَتَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦]. في الأعراف بزيادة "به" و"الواو"، ذلك أن ﴿صَدِّقُوا﴾ هنا حال، وإذا كان الفعل حالاً لم تدخله الواو، وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون. [١٠٠] ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يُرَدُّوكمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. الآية الأولى تبين للمؤمنين أنهم إن طيعوا جماعة من اليهود والنصارى ممن آتاهم الله التوراة والإنجيل يضلّوهم، ويلقوا إليهم الشبهة في دينهم ليرتدوا كافرين، وأمّا الآية الثانية فتبين للمؤمنين كذلك أنهم إن طيعوا الكافرين من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين فيما يأمرهم به وينهونهم عنه، يضلّوهم عن طريق الحق، ويرتدوا عن دينهم، فيعودوا بالخسران المبين والهلاك المحقق. [٩٢] ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]. مناسبة موقع هذه الآية تلو سابقتها: أن الآية السابقة لما بينت أن الذين كفروا لن يقبل من أحدهم أعظم ما يتفق، بينت هذه الآية ما ينفع أهل الإيمان من بذل المال، وأنه يبلغ بصحبه مرتبة البر، فبين الطرفين مراتب كثيرة قد علمها الفطناء من هذه المقابلة. [٩٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. ما الفرق بين "الحج والحجج"؟ الجواب:

وردت كلمة (الحجج) - بفتح الحاء - تسع مرات، بينما وردت كلمة (حجج) - بكسر الحاء - مرة واحدة. جاءت كلمة (الحجج) مُعرفة دائماً بـ(ال)، بينما جاءت كلمة (حجج) مُعرفة بالإضافة. (الحجج) - بفتح الحاء -: تعني وقت الحج أو حدث الحج، بينما (حجج) - بكسر الحاء -: تعني أداء شعائر الحج (من إحرام وطواف ووقوف بعرفة ورمي للجمار) كما أداها المصطفى. [١٠٠] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّى تَلَوتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٢١]، ﴿فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. ما الفرق بين ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ و﴿ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾؟ الجواب: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يقال في موقف الدم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٤٤] هذا ذم، ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] ذم، بينما ﴿ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ تأتي مع المدح ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّى تَلَوتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٢١] مدح، ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦] مدح، وهذا ضرب عام في القرآن الكريم على كثرة ما ورد من ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ و﴿ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، فرب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه، ﴿ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه سبحانه عز وجل، أمّا ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ففيها ذم؛ لذا نسب للمجهول. [٩٧] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قرئ: (حجج - حج) بفتح الحاء وكسرها وهما لغتان في مصدر حج، والفتح أصل المصدر، وقيل: الفتح المصدر، والكسر الاسم.

= لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أصبح (٨٨) مرة في القرآن الكريم. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساو أيضاً (٨٨) مرة. [١٠٠] ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يُرَدُّوكمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها، ولفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن الكريم: أولاً: لفظة (النار) ومشتقاتها تكرر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم، وتكررت لفظة (الحريق) ومشتقاتها (٩) مرات في القرآن الكريم، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانياً: وردت لفظة (الكافرين) بمشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن الكريم.

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدَبَارُثُمْ لَا يَضُرُّونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُغْتَفَوْنَ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يَوْمُئِذٍ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾



١١٠ - ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: بما ذكر من أمرهم بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله. وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ، ورضي عنهم. وقيل: هم أمة محمد عليه السلام؛ لأنها خير الأمم. ويدخل في هذه الأمة أصحاب نبيها دخولاً أولياً لا خلاف في ذلك. ولأنهم أول من يتوجه إليهم هذا الخطاب القرآني. ١١١ - ﴿إِلَّا أَذًى﴾: ما كان يسمع من كذبهم: على الله، وشركهم. ﴿يُولُوكُمْ أَلَدَبَارُثُ﴾: ينهزموا عنكم؛ لأن المنهزم يولي ظهره طالبة. ١١٢ - ﴿بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾: «الحبل» - هاهنا - السبب الذي يأمنون به، من المؤمن من عهد أو جزية. ﴿وَبَاءُ وَبَغَضٍ﴾: أي: رجعوا، وقيل: احتملوا. وأصل معناه: اللزوم والاستحقاق، أي لزمهم غضب من الله هم مستحقون له. ١١٣ - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: أي ليس أهل الكتاب مستويي الصلاح والفساد ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: قيل: هم عبد الله بن سلام، وثعلبة وأخوه، ومن آمن منهم. «قائمة» عادلة مطيعة. ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعات الليل، واحدا: «إني». وقيل: «إني» مقصور، كميءى وأمعاء. ١١٤ - ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: يبادرون غير متساقلين عن تأديتها لمعرفة بقدر ثوابها. ١١٥ - ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: لا يدعهم الله بغير جزاء عليه.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، والطبراني وابن منده في الصحابة، عن ابن عباس قال: «لما أسلم: عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام. قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُغْتَفَوْنَ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]. لماذا أخر في آل عمران ما قدمه في البقرة؟ **الجواب:** لما سألوا في البقرة عن ما كلهم ما فيه خسة وما يستلزم الذلة والصغار والمهانة، وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿فَإِنَّا لَنَرِيكَ يَخْرُجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، عوضاً مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير تعب، ولهذا قيل لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان، ناسب ذلك أن يناط به وينبئ عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم، ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم، ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدَبَارُثُ لَا يَضُرُّونَ﴾ [١١١]، ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح، وهو ما باؤوا به. [١١٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ [آل عمران: ١١٢]. آية البقرة نزلت في قداماء اليهود، بدليل قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ [آل عمران: ١١٢]. وآية آل عمران نزلت في الموجودين زمن النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ...﴾، وبدليل قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى...﴾، لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي ﷺ، ولذلك سموه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فجاء منكراً ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبخ لهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بمعنى قوله: ظلماً وعدواناً، والأنبياء لا يقتلون إلا بغير حق، ثم ذكر في آية البقرة جمع السلامة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ جمع تكسير، أي: يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق، فالتشيع عليهم والعيب على فعلهم وذهمهم في سورة آل عمران أشد من البقرة.

= للمنكر، ولا تأخذ الناس بالتهمة أو بالظن. ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن يكون رفيقاً بأمره وفي نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقاً أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، فأنت إذا عنتت على من تنصح ربما ينفر، وتأخذه العزة بالإثم، ولا ينقاد لك، ولكن إذا جئت بالتأييد هي أحسن فإنه ينتفع. ٤- أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه، زال إلى ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن ننهي عنه، درءاً لكبرى المفسدين بصغريهما؛ لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان، وكانت إحداها أكبر من الأخرى؛ فإننا نتقي الكبرى بالصغرى. ٥- الواجب أن يأمر بما أمر به الشرع وإن كان لا يفعله، وأن ينهي عما نهى عنه الشرع، وإن كان لا يتجنبه؛ لأن كل واحد منهم واجب منفصل عن الآخر، وهما متلازمان. ٦- ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه. ٧- وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ولكن في حقوق النساء، ليس في مجامع الرجال وفي أسواق الرجال، نسأل الله أن يعمنا وإياكم برحمته ومغفرته. **من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** ١- إقامة الملة والشرعة وحفظ العقيدة والدين لتكون كلمة الله هي العليا. ٢- رفع العقوبات العامة. ٣- شد ظهر المؤمن وإرغام أنف المنافق. ٤- القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٥- سبب للنصر على الأعداء. ٦- تحقيق وصف الخيرية. ٧- التجافي عن صفات المنافقين. ٨- من مكفرات الخطايا. ٩- له ثواب كبير مما يرحح الله القائم به عن النار. ١٠- من أسباب التوفيق للدعاء والإجابة. ١١- البشارة لهم. ١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفلاحين. ١١- البعد عن عقاب الله تعالى وعذابه فترك المنكر بدون إنكار سبب للعقوبة. ١٢- التعاون على فعل الخير والمعروف. ١٣- أمن المجتمع وطمأننته إذ به يندفع الشر ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. ١٤- به تقليل للشر وإزالة للمظاهر السيئة في المجتمع التي تدعو للفساد وتزينة حتى عند من لا يفكر فيه. **من عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أنه سبب للعن من الله تعالى وغضبه ومقته وحلول عقابه في الدنيا والآخرة.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا﴾ (يفعلوا - يكفروا) قرئ: ﴿يَكْفُرُوهُ﴾ (يفعلوا - يكفروا) بالغيب فيهما مراعاة لقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. وقرئ: ﴿تَفْعَلُوا﴾ (تكفروا) بخطاب على الرجوع إلى خطاب أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ **إعجاز عددي:** ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد =

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ نَصَبُوا وَتَقَفُوا فِي يَمِينِكُمْ مِّنْ قَوْمِهِمْ هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَابَعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢- ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾: بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار، وكانا جناحي العسكر يوم أحد، واهم من الطائفتين كان بعد الخروج، لما رجع عبد الله بن أبي بن معية من المنافقين. ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾: «الفسل»: الجبن. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهَا﴾: الدافع عنهم ما هموا به. والمعنى: كادوا أن يجنبوا فعصمهم الله تعالى. ١٢٣- ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: ضعفاء، بسبب قلة عددهم. ١٢٤- ﴿مِّنْ قَوْمِهِمْ﴾: من وجههم هذا. وقيل: من غضبهم لما ناهم بيدر. ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلمين بصوف في نواصي خيلهم. وقيل: بعمائم قد طرحوها بين أكتافهم. و«السيما»: العلامة. وقيل: صبروا يوم بدر فأمدوا بالملائكة؛ ولم يصبروا يوم أحد فلم تشهد معهم الملائكة. ١٢٥- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: يعني: وعده بالإمداد ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن قلوبكم به، جعل الله تعالى هذا الإمداد بشرى بالنصر وطمأنينة للقلوب. قال بعض المفسرين: وفي قصر الإمداد عليهما إشارة إلى عدم مباشرة الملائكة للقتال يومئذ. وروي أن الملائكة حضرت بدرًا وقالت. ١٢٦- ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾: طائفة ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يصرعهم لوجوهم. ﴿خَائِبِينَ﴾: فاتهم الظفر. ١٢٧- ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا...﴾: كان الربوي إذا حان أجله يقول له الذي عليه المال: أخرني وأزيدك على مالك؛ فيفعلان. فذلك هو الربا كان يتضاعف أضعافاً مضاعفة.

[١٢٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. روى أحمد، ومسلم، عن أنس: «أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه، حتى سال الدم على وجهه فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. [١٣٠] قوله تعالى: ﴿يَتَابَعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «كانوا يتتابعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل، زادوا عليهم وزادوا في الأجل، فنزلت: ﴿يَتَابَعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾». وأخرج أيضاً عن عطاء قال: «كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نريكم وتؤخرون عنا، فنزلت: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾».

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾. [الأنفال: ١٠]. آية آل عمران تقدمها ذكر الطائفتين المؤمنة والكافرة، وخص الطائفة المؤمنة بالبشارة وأنها لأولياء الله تعالى فقال: ﴿بُشْرَى لَكُمْ﴾، أما آية الأنفال فالحديث فيها خاص بالمؤمنين فلم يذكر القيد، وآية آل عمران سقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النصر في حين القلة والضعف، فكان تقييد ﴿بُشْرَى﴾ بأنها لأجلهم زيادة في المنة، أي: جعل الله ذلك بشرى لأجلكم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وأما آية الأنفال فهي مسوقة سياق العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة، فجرد ﴿بُشْرَى﴾ عن أن يعلق بها ﴿لَكُمْ﴾، إذ كانت البشرى للتنبيه وللمن لم يترددوا من المسلمين، وأما تقديم ﴿بِهِ﴾ في آية الأنفال: فلأن المؤمنين استغاثوا يوم بدر، وفي ذلك تشويق من المستغيث، وأنه متطلع إليه في مواطن الخوف وطلب النجدة، فقدم ضمير الإمداد مع عامله على القلوب لاهتمامهم به وشدة حاجتهم إليه فهو موضع رجائهم، كما يفهم من الآية أنها نزلت في غزوة بدر والدماء لم تجف بعد، والعهد بها لم يطل، فروعها فيها ما روعي من مقتضيات الأحوال، أما آية آل عمران فخلت من ذلك، لأن الآية حكاية لما حدث يوم بدر، وتذكير للمؤمنين بما صنع الله معهم واعدًا إياهم أن يصنعه معهم في أحد لو صبروا واتقوا، يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد، ولم تنزل فيه الملائكة؟ الجواب: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا حيث خالفوا أمر نبيهم، فلذلك لم تنزل الملائكة، ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم، ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله، فالآية حكاية عن حال مضت، فاقضى الحال أن يأتي الضمير على الأصل، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فذلك أن آية الأنفال نزلت في قتل بدر أولاً، وأن آية آل عمران نزلت في واقعة أحد ثانياً، فبين أولاً أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عدد أو عدد، ولذلك علل بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده، فناسب التعريف بعد التنكير. = عاملاً لكل غلب أو فوز حققه المؤمنون، أما (الظفر) فهو مقصورٌ على (الغلب) الذي يحدث بدون قتال يُذكر بين المؤمنين وعدوهم، ولقد عبر عن نصر المسلمين بفتح مكة المبين بالظفر دون النصر، وقد تم فتحها بدون قتال وإراقة للدماء، وكان فتحاً مبيناً ونصراً سهلاً ميسوراً. ٢- بين (النصر) و(الظفر) في الاستعمال القرآني عمومٌ وخصوص، فكل (ظفر) نصرٌ، وليس كل (نصر) ظفرًا. ٣- الظفر يلحظ فيه المعنى اللغوي الذي هو (نشب الأظفار) في الفريسة وهو أيسر وسيلة في الحصول على المطلوب، فالعرب كانوا يخصون الظفر بالفوز والغلب الذي يتم بسهولة ويسر، واللغويون ذكروا أن (الظفر) مشتق من (نشب الأظفار)، ونشب الأظفار أيسر وسيلة للحصول على المطلوب. [١٢٤] ﴿أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ [الرعد: ٣]. ما الفرق بين "مدّ وأمد"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمد) على (الخير) دائماً، بينما وردت كلمة (مدّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشر، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحسوب أو الخير. أما كلمة (أمد) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان.

[١٢٤] ﴿مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُزِيلِينَ﴾ هنا "والعنكبوت: ٣٤" قرئ: (مُزِيلِينَ) بتشديد الزاي مع فتح النون. وقرئ: (مُزِيلِينَ) بتخفيف الزاي مع سكون النون وهما لغتان بمعنى واحد، وقيل التشديد للتكثير، أو للتدرج، قيل إن الله أمدهم أولاً بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف. [١٢٥] ﴿مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو اسم فاعل من سوم، أي مسوّمين أنفسهم، أي: الملائكة، فأخبر عنهم أنهم سوموا الخيل والسومة العلامة تكون في الشيء بلون يخالف لونه ليعرف بها، ويقوي ذلك أن النبي ﷺ قال يوم بدر: "سوموا فإن الملائكة قد سوّمت" أخرجه سعيد بن منصور في سننه، عن عمر بن إسحاق. فأضاف الفعل إلى الملائكة فكل ذلك على جواب كسر الواو في ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، وقد قيل: إنهم كانوا بعمائمهم صفر مرخيات على أكتافهم. وقرئ: (مُسَوِّمِينَ) بالفتح اسم مفعول، والفاعل الله تعالى، أو على معنى: "أن غيرهم من الملائكة سومهم". = و(الرب) و(الخية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله سبحانه وتعالى.

[١٤٠] قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ قالوا: حي، القرآن على ما قالت ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾».

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. **السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا** [الحديد: ٢١]. أمر الله تعالى بالمسارعة إلى المغفرة في آية آل عمران

[١٤٤] ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].
الجواب: وردت (نجزي) تسع عشرة مرة، ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة بسورة سبأ **والجواب:** إن
 كقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُجْزَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَشَدُّ بَغْوَاً وَأَقْدَارَ عَذَابٍ﴾ [الأنعام: ٦٠]. والثالث: (يعاقب)، كقوله تعالى: ﴿وَنَعْقِبُ الْمُنَافِقِينَ كُلَّ مَرَّةٍ وَيَكْفِى السَّاعَةِ﴾ [التوبة: ١٢٩]. والرابع: (يعاقبون)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوهُمُ يَكُونُوا أُولِنَا نَحْنُ الْمُغْلَبُونَ﴾ [المائدة: ٨١]. والخامس: (يعاقبتهم)، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفِتْيَانُ الَّتِي عَلَّمْنَ مَا لَمْ يَحْكُمْنَ فَأَعْتَصِمْنَ عَلَيْهِنَّ وَلِلْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ فَتْحٌ غَلِيظٌ﴾ [النور: ٣٤]. والسادس: (يعاقبوا)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوهُمْ يَكُونُوا أُولِنَا وَالْعَذَابُ لَهُمْ فِيهِ شَدِيدٌ﴾ [النور: ٣٥]. والسابع: (يعاقبوا)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوهُمْ يَكُونُوا أُولِنَا وَالْعَذَابُ لَهُمْ فِيهِ شَدِيدٌ﴾ [النور: ٣٥]. والثامن: (يعاقبوا)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوهُمْ يَكُونُوا أُولِنَا وَالْعَذَابُ لَهُمْ فِيهِ شَدِيدٌ﴾ [النور: ٣٥]. والتاسعة: (يعاقبوا)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوهُمْ يَكُونُوا أُولِنَا وَالْعَذَابُ لَهُمْ فِيهِ شَدِيدٌ﴾ [النور: ٣٥].
 في المرتين هو السياق، فقد وردت الأولى مع (الشاكرين)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور)
 واحد... وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كل
 كفاية؟! **والجواب:** أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب
 العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحاليتين (الثواب والعقاب) ليس للمشاب أو الم
 (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة
 والمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافي المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف
 ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباط بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة

وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ أَمْوَاتٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابُ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابُ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَجَّزَى الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١- ﴿وَلِيْمَحْصَ﴾: يختبر، ﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: أصل «الحق»؛ نقصان، و«محاق القمر»؛ نقصانه وفناؤه، والمعنى: يستأصل الكافرين بالإهلاك. ١٤٣- ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾: يوم أحد حين القتال، والسيوف في أيدي الرجال فصدمتهم عنهم. ١٤٤- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾: إن محمداً رسول كسائر الرسل، وقد بلغ كما بلغوا، وقد لزمكم أيها المؤمنون العمل بالوحي والرسالة، وليست حياة الرسول وبقاؤه بين أظهركم شرطاً في ذلك، لأن الرسول يموت كما مات الرسل قبله. وقد ذكر القتل مع علمه سبحانه أنه لا يقتل لكونه مجوراً عند المخاطبين، وهم بعض المسلمين الذين فشلوا حين سمعوا قول القائل: قد قتل محمداً! وقيل: هذا قبل أن يعصم الله نبيه وينزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: أي بإدباره عن القتال، أو بارتداده عن الإسلام ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: من الضرر، وإنما يضر نفسه، أما الصابرون المقاتلون، فقد قال تعالى فيهم ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: وقد ارتقت الآية بهؤلاء الصحابة الأجلاء الكرام من درجة الصبر إلى مقام الشكر، لثباتهم على دينهم، وشكرهم ربهم على نجاة نبيهم. وأخرج الطبري - وغيره - بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال في تفسيره هذه الآية: الشاكرون: الثابتون على دينهم أبو بكر وأصحابه، فكان علي يقول: أبو بكر أمير الشاكرين رضي الله عنهم أجمعين. ١٤٥- ﴿كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾: المؤجل: الموقت الذي لا يتقدم على أجله ولا يتأخر، والمعنى: لا يموت أحد إلا عند بلوغ أجله ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: جزاء عن عمله ﴿نُؤْتِيهِ﴾: ما قسم له ﴿مِنْهَا﴾: في حياته، ثم لا نصيب له في الآخرة بعمله ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾: مع رزقه في الدنيا. ١٤٦- ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ﴾: جماعات كثيرة. وقيل «الرييون»: الأتباع، و«الريانيون»: القادة والولاة. ﴿وَهَنُوا﴾: تخشعوا لعدوهم وعجزوا. ١٤٧- ﴿ذُنُوبَنَا﴾: صغار ذنوبنا، ﴿وَإِسْرَافَنَا﴾: قيل: هي الخطايا الكبار. ١٤٨- ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: من النصر والغنيمة والعزة ونحوها.

[١٤٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ أَمْوَاتٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: «أن رجلاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر، أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً، أو نلتبس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق، فأشهدهم الله أحداً فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ أَمْوَاتٍ﴾ الآية. [١٤٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد فقلت: لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية. قوله تعالى: [١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَمَرِ﴾ الآيات. أخرج ابن راهويه، عن الزبير قال: «لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، فحفظتها، فأنزل الله في ذلك ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَمَرِ أَمْنَةً تَأْسَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾».

[١٤٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [التوبة: ١٦]. الخطاب في البقرة للنبي ﷺ والمؤمنين على العموم، وفي آل عمران لأهل أحد تسلياً لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم. [١٤٠-١٤١] ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [١٤٠-١٤١] ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]. اللام في «ليعلم» هي لام التعليل، ثم قال تعالى: «يتخذ» عطف بدون لام، ثم قال: «ليمحس» عطف وذكر اللام، ثم قال: «يمحس» عطف بدون ذكر اللام، لماذا؟ الجواب: الذكر للتوكيد وما حذف أقل توكيداً، وإذا استعرضنا الأفعال في الآية هل هي كلها بدرجة واحدة من التوكيد والحذف؟ «وليعلم» الله تعالى يريد ذلك من كل شخص علماً يتحقق منه الجزاء لكل شخص، إذا هو أمر عام لجميع الذين آمنوا ومن غير الذين آمنوا، فهو أمر ثابت مطلق لكل فرد من الأفراد، «يتخذ» لا يتخذ كل المؤمنين شهداء، فهذا الفعل ليس بدرجة اتساع الفعل الأول، وهو ليس متعلقاً بكل فرد، «ليمحس» متعلق بكل فرد وهذا يتعلق به الجزاء، «يمحس» لم يمحس كل الكافرين محققاً تاماً، فالكفر والإيمان موجودان، عندما تذكر اللام يكون على وجه العموم، والمقصود يكون كل فرد من الأفراد، والحذف عكس ذلك. [١٤٥] ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩] ما الفرق بين: ﴿وَمَنْ يَرِدْ﴾ بالمضارع، و﴿وَمَنْ أَرَادَ﴾ بالماضي؟ الجواب: أنه عندما تحدث عن الدنيا قال: ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، لأن إرادة الثواب تتكرر دائماً، كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذاً يتكرر، والشيء المتكرر جاء به بالمضارع، أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩]، فقد ذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة. [١٤٦] ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ حيث وقع في القرآن قرئ: (كائن) بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة. وقرئ: (كائن) بهمزة مفتوحة وياء مشددة مكسورة بعدها على أنها، أي: ثم دخلت عليها كاف التشبيه، وكثر استعمالها بمعنى «كم»، وجعلت كلمة واحدة، وجعل التنوين نوناً أصلية، فوقف عليها بالنون، وكان القياس: أن يوقف عليها بغير نون كما يوقف على أي: حيث وقعت. قوله تعالى: ﴿قَتَلَ مَعَهُ﴾ قرئ: (قتل) بضم القاف وكسر التاء بلا ألف مبنياً للمفعول، ويحتمل على ذلك وجهين: أحدهما: أن يكون فعلاً وما بعده صفة للنبي والفعل مسند إلى النبي بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾. والثاني: أن قتل وما بعده صفة للنبي أيضاً، والفعل مسند إلى «رييون». وقرئ: (قَاتَلَ) بفتح القاف والتاء وألف بينهما بوزن فاعل على أن المقاتلة من الجانبين، فقتلوا بعد قتلهم غيرهم، فوجهه أنه يحتمل وجهين: أحدهما: أن يسند الفعل إلى النبي - عليه السلام - ويكون ﴿مَعَهُ رِثْيُونَ﴾ ابتداء وخبراً، وترفع (رييون) بالظرف «والجملة صفة للنبي»، والثاني: أن يكون قد أسند الفعل إلى (الرييون) دون النبي فأخبر عنهم بالقتال دون النبي، فيكون ﴿قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ﴾ صفة لنبي و﴿رِثْيُونَ﴾ مرفوع بفعلهم. و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

١٤٩- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هم مشركو العرب، وقيل: المنافقون الذين قالوا في أمر أحد: لو كان محمد نبياً لم يهزم، وقالوا للمؤمنين - عند الهزيمة - ارجعوا إلى دين آبائكم. والآية عامة إلى يوم القيامة في كل كافر، نهى الله تعالى المؤمنين عن طاعتهم. ١٥٠- ﴿مَوْلَانَكُمْ﴾: وليكم وناصركم. ١٥٢- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: يوم أحد ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾: تقتلونهم. وقيل: «الحس»: القتل ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْبُوتُونَ﴾: كانت الهزيمة على المشركين حتى ترك الرماة مقاعدهم التي كان رسول الله ﷺ أقعدهم فيها رغبة في السلب، فأتي المسلمون منهم ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: المال والغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: ما عند الله ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليختبركم؛ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾: لما علم من ندمكم، فلم يستأصلكم بذنوبكم. ١٥٣- ﴿تَصْعَدُونَ﴾: -بضم التاء، وكسر العين- بمعنى: السير والهرب في مستوى الأرض ومهابطها. وبفتح التاء والعين؛ من الصعود في الجبل والشرف ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: لا ترجعون على أحد، ولا تلتفتون إليه. ﴿وَالرُّسُولُ﴾: محمد ﷺ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: يهتف بكم ﴿فِي أُخْرَتِكُمْ﴾: سافقتكم حين انهزمت، والساقية: مؤخر الجيش؛ كان رسول الله ﷺ يناديهم من خلفهم: إلي عباد الله، إلي عباد الله. ﴿فَأَتْبَعَكُمْ﴾: جزاكم بفراركم عنه عليه السلام ﴿عَمَّا يَغْمُرُ﴾: بما ناله من القتل والهزيمة؛ «بغم»؛ بمعنى: عقب غم، والغم الثاني: ما كان بلغهم من قتله عليه السلام، وقيل: وما فاتكم من الغنيمة والأمل؛ بما أصابكم من القتل والألم. [١٤٧] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، ﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. بدأوا دعاءهم في آية البقرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، ليناسب اعتقادهم في أن هذا سبب النصر الحقيقي، وقد قالوا قبله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وبدؤوا دعاءهم في آية آل عمران: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾، في مثل ضربه الله تعالى: ﴿وَكَاذِبِينَ قَتَلَ نَبِيُّ قَتَلَ مَعَهُ رَيْثُيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، لم يحدد فيه نبياً ولم يحدد فيه قوماً، مثل عام للمؤمنين في سياق التعقيب على هزيمة أحد يعلمهم الأدب في حق الله، وأنهم في هول الهزيمة أول ما يسألونه المغفرة، لأن ما نزل بهم ما نزل إلا بذنوب. [١٤٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِيعُوا وَرَبًّا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتُوا إِلَيْكُمْ يَرُدُّوكُمْ بِدَابِعِنَكُمُ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. الآية الأولى تبين للمؤمنين أنهم إن طيعوا جماعة من اليهود والنصارى ممن آتاهم الله التوراة والإنجيل يضلوه، ويلقوا إليهم الشبه في دينهم ليرتدوا كافرين، وأما الآية الثانية فتوضح للمؤمنين كذلك أنهم إن طيعوا الكافرين من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين فيما يأمرهم به وينهونهم عنه، يضلوه عن طريق الحق، ويرتدوا عن دينهم، فيعودوا بالخسران المبين والهلاك المحقق. [١٥٣] ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]. آية آل عمران تتحدث عن غزوة أحد وحال المسلمين فيها وما حدث لهم بها، لكي لا يحزنوا على ما فاتهم من نصر وغنيمة، ولا ما حل بهم من خوف وهزيمة، والله خير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، أما آية الحديد فقد جاء قبلها أنه ما أصاب من مصيبة إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخلَق الخليفة، إن ذلك على الله تعالى يسير، لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وأشر، والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره. [١٥٣] ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَتِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ عَمَّا يَغْمُرُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِي إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. ما الفرق بين "غَمٌ، غَمَّةٌ"؟ الجواب: وردت كلمة (غَمٌ) ست مرات، وبينما وردت كلمة (غَمَّةٌ) مرة واحدة. (الغَمٌ): هو المصدر المجرد. أما (الغَمَّةُ): فهي اسم المصدر. قال الزمخشري: الغمة: السترة، من غمه: إذا ستره. وقال الجوهري: الغم، غَمَّةٌ، فَاغْتَمَّ، والغَمَّةُ والغَمَّةُ: الكربة. لذلك استُخدمت كُلٌّ من الكلمتين في سياق خاص. وتأمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١]. شبه (الأمر) هنا بالسائر الذي يسترهم ويغطيهم، وبهذا فإن الغمة (اسم الذات) بينما الغم (أي الكربة) هو (المصدر المجرد). [١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿الرُّعْبَ﴾: حيث وقع في القرآن سواء كان معرّفاً أو منكراً قرئ: (الرُّعْبُ) بضم العين. وقرئ: (الرُّعْبُ) بسكون العين وهما لغتان. [١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: تكرار كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن الكريم. أولاً: لفظة (النار) ومشتقاتها تكررت (١٤٥) مرة في القرآن الكريم، وتكررت لفظة (الحريق) ومشتقاتها (٩) مرات في القرآن الكريم، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانياً: وردت لفظة (الكافرين) بمشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن الكريم. [١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن الكريم (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن الكريم (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في القرآن الكريم. [١٥٢] ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: إعجاز عددي: تكرار كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعاً في القرآن الكريم.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَّيْكُمْ مَا تَحْبُوتُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَتِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ عَمَّا يَغْمُرُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَّيْكُمْ مَا تَحْبُوتُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَتِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ عَمَّا يَغْمُرُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١٥٤ - ﴿أَمَنَةً﴾: الأمانة والأمن سواء، وهي -هاهنا-: النعاس: أنزل النعاس على أهل اليقين والإيمان، فاستراحوا من الغم ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: «الطائفة الأخرى»: هم المنافقون، ليس لهم هم إلا أنفسهم. ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾: ظن أهل الشرك؛ وهو ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا ينصر، ولا يتم ما دعا إليه من الدين. ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ﴾: هذا الاستفهام معناه الحجد، أي ما لنا شيء من الأمر، وهو النصر على العدو، وقيل: هو الخروج، أي خرجنا مكرهين. ﴿مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: ليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص والعزائم، وليمحص ما في قلوبهم، ويظهرها من وساوس الشيطان. ويخلصها له سبحانه. وكل ما جاء من نحو «ليعلم الله، وليبتلي الله»، فإنه وإن كان مضافاً إليه عز وجل، فمعناه: إظهاره لأوليائه وأهل طاعته. وقيل: الخطاب للمنافقين، والمعنى: ليختبر الذي في صدوركم من الشك، فيميزكم بما يظهر للمؤمنين من نفاقكم، فيميزكم المؤمنون. ١٥٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ من ولّى ظهره، وهم الذين انهزموا يوم أحد. وقيل: هم الذين تولوا المشركين يوم أحد ﴿إِنَّمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ السَّيْطَانُ ﴿أَيِّ إِغْمَا دَعَاهُمْ إِلَى الزَّلَّةِ الشَّيْطَانُ﴾: بَعْضُ مَا كَسَبُوا: بذنوب تقدمت لهم. أي خرجوا لغزو. ١٥٦ - ﴿صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: تصرفوا وتجروا، أي سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها. ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾: خارجين من بلادهم في غزاة. ١٥٧ - ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ...﴾: خطاب للمؤمنين، لأنهم إن ماتوا أو قتلوا في سبيل الله فإنهم يصيرون إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع المنافقون من حطام الدنيا الذي يمنع من الجهاد.

[١٥٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما

يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوهِ أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرّمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقَرَّباً لمغفرته. [١٥٥] معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يُدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعيتهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنبِئوا وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق، والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. [١٥٧، ١٥٨] ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿وَلَكِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَالَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]. لماذا قدم القتل على الموت في الآية الأولى والعكس في الثانية؟ **الجواب:** الآيات في سياق غزوة أحد... والتي كان فيها شهداء من المسلمين... وبما أن الموت في سبيل الله هو أشرف وأعظم أجراً عند الله... قدم القتل على الموت، وهذا غير مراد الآية الثانية التي تتحدث عن سنة الله على جميع الناس بالموت، وبما أن الموت على الفراش هو الأعم والأغلب، فمعظم الناس يموتون ميتة طبيعية، لذلك قدم الموت، ولهذا لم يقرن القتل فيها بعبارة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، التي اقترنت بها في الآية الأولى، وشتان بين قتل الشهيد وقتل الإنسان العادي، فالشهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه كما هي عقيدة المسلمين، وهذا ما أكدته الآية الأولى، وهذا ليس إلا للمسلمين، وبما أن القتل بشكل عام "للمسلمين وغيرهم" يكون فيه ظالم ومظلوم، يجب أن يكون هناك حكم عدل يفصل بينهم، فمتى يُنتصف للمظلوم؟ يُنتصف له يوم القيامة، حيث يُحشر الجميع بين يدي الله، الظالم والمظلوم، فقد يكون القاتل هو المظلوم، والمقتول هو الظالم، ولهذا جاء التعبير الإعجازي في الآية الثانية: ﴿لِيَالَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، فتأمل. [١٥٤] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. ما الفرق بين "أمن، أمانة"؟ **الجواب:** وردت كلمة (الأمن) خمس مرات، بينما وردت كلمة (أمانة) مرتين. ارتبطت كلمة (أمانة) بكلمة (نعاس) في المرتين اللتين وردت فيهما ولم يحدث هذا مع كلمة (الأمن). توالي الفتحات على أحرف كلمة (أمانة) يمنحها معنى التدرج في تسرب الأمن إلى النفس، ولا يُحسُّ بهذا المعنى في كلمة (أمن) ساكنة الوسط، بل الثانية أي (أمانة) حالة ساكنة مستمرة. [١٥٧] ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدٌ أَلْكَفَّارُ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التحریم: ٩]. ما الفرق بين "الجهاد والقتال"؟ **الجواب:** الجهاد معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالاً. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، يشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقتال في سبيل الله، ويشمل كل قول أو عمل خير يعملهُ المؤمن في سبيل الله تعالى. [١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ... قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْشَى طَآئِفَةً﴾ قرئ: (تغشى) بالإمالة والتاء المثناة من فوق إسناداً إلى ضمير (أمانة) والمعنى تغشى الأمانة طائفة منكم. وقرئ: (يغشى) بالياء بإسناد الفعل إلى النعاس، والمعنى: يغشى النعاس طائفة منكم. قوله تعالى: ﴿كُلُّهُ﴾ قرئ: (كله) بالرفع على الابتداء ومتعلق لله خبر، والجملة: خبر (إن)، نحو: إن مالك كله عندي. وقرئ: (كله) بالنصب تأكيداً لاسم إن. [١٥٦] ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرئ: (يعملون) بالغيب ردّاً على الذين كفروا. وقرئ: (تعملون) بالخطاب ردّاً على قوله: "ولا تكونوا" خطاباً للمؤمنين. [١٥٧] ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قرئ: (يجمعون) بالغيب التفاتاً إلى معنى: "لمغفرة من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم ممن ترك القتال في سبيل الله تعالى لجمع الدنيا أو راجعاً للكفار". وقرئ: (تجمعون) بالخطاب جرياً على قوله: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ لانتظام آخر الكلام بأوله.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٨ - ﴿وَلَيْنَ مُتَمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾: بيان أن الحشر إليه تعالى غاية لكل أحد، مؤمناً كان أو غير مؤمن، وعلى أي وجه قضى نجه حسب تعلق الإرادة الإلهية؛ بالموت أو القتل. ١٥٩ - ﴿فِيمَا رَحِمَهُ﴾: فبرحمة، و«ما» صلة، مزيدة للتوكيد، والدلالة على أن لينه معهم ما كان إلا برحمة من الله سبحانه. ﴿فَقَطًّا﴾: جافياً وهو كربه الخلق. ﴿عَلِيطَ الْقَلْبُ﴾: قاسى القلب، قال ابن عطية: وغلظ القلب: عبارة عن تجهم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة. ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه، ليربهم أنه يستعين بهم، ويسمع من آرائهم، وقد كان غنيا عنهم لتوفيق الله تعالى له بالوحي، ولكن لما في ذلك من الفضل، وحتى تتأسى بذلك أمته من بعده. قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت من الناس أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما، وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن. ﴿لَا تَقْضُوا﴾: لانصرفوا عنك وتركوك. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: امض لما أمرك به واستعن. ١٦٠ - ﴿يَخَذِلْكُمْ﴾: يترك إعانتكم على عدوكم. ١٦١ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾: -بفتح الياء، وضم الغين- علم الله أن نبيه ﷺ لا يغفل ولا يخون، واللفظة بمعنى الخيانة في خفاء. وقيل: الغلول من الغنم خاصة. وقريء «يغفل» بمعنى: يخان في الفيء، يقال: أغل الجازر، إذا سرق شيئاً من اللحم مع الجلد. ١٦٥ - ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ﴾: يعني: أو حتى أصابتكم «مُصِيبَةً»: من القتل يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلَهَا﴾: يوم بدر، من القتل والإسار؟ ﴿أَنَّى هَذَا؟﴾: من أي وجه أصابنا هذا ونحن مسلمون وهم مشركون؟ ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾: بخلافكم أمري وطاعتي، إذ أشار عليهم ﷺ ألا يخرجوا من المدينة إلى المشركين، فأبوا ذلك. وقيل: رغبتهم في الفداء في أسارى بدر، دون الإثخان في القتل.

[١٦١] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾ الآية. أخرج أبو داود، والترمذي وحسنه، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في قطيفة حراء، فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾ إلى آخر الآية». [١٦٥] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: «عقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فأنزل الله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً﴾ الآية. [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَقُولَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] كيف قال ذلك، وقد قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]؟ **الجواب**: معناه: يأتي به مكتوباً في ديوانه، أو يأتي به حاملاً إثمه، ومعنى ﴿فُرْدَى﴾ أي: منفردين عن أهل ومال وشركاء ينتصرون بهم. [١٦٤] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿وَأَنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] ما الفرق بين: «ضلال، ضلالة، تضليل»؟ **الجواب**: وردت كلمة (ضلال) سبعاً وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضل يضل ضلالاً وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلل يضلل تضليلاً). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثاً وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة (في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر عنها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلاً: ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١].

[١٥٨، ١٥٧] ﴿وَلَيْنَ مُتَمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا﴾ - **﴿مُتَمَّ﴾** الماضي المتصل بضمير التاء أو النون أو الميم حيث جاء، قريء: (مُتَم) بكسر الميم، ووجهه أنه من لغة من يقول: مات يمات كخاف يخاف، والأصل موت بكسر عينه كخوف فمضارعه بفتح العين، فإذا أسند إلى التاء أو إحدى أخواتها، قيل: مِتْ بالكسر ليس إلا، وهو أننا نقلنا حركة الواو إلى الميم بعد سلب حركتها دلالة على الأصل، ثم حذفت الواو للساكنين. وقريء: (مُتَم) بضم الميم من مات يموت، ووجهها: أنه من فعل بفتح العين من ذوات الواو، وقياسه الضم للفاء إذا أسند إلى تاء المتكلم وأخواتها، إما من أول وهلة، أو بأن تبدل الفتحة ضمة ثم تنقل إلى الفاء، نحو: قلت: أصله قَوْلْتُ بضم عينه، نقلت ضمة العين إلى الفاء فبقيت ساكنة وبعدها ساكن فحذفت. [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَقُولَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُولُ﴾ قريء: (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين من (غل) مبنياً للفاعل، أي: لا يصح أن يقع من نبي غلول ألبته، فنفي الغلول عن النبي، وأضاف الفعل إليه ونفاه عنه أن يفعله، وقد ثبت أن الغلول وقع من غيره وهي الخيانة في المغام، والمعنى: ما كان لنبي أن يخون من معه في الغنمة، ففيه نفي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يخونوه في المغام، وفيه معنى النهي عن فعل ذلك، ودل على هذا المعنى قوله: ﴿وَمَنْ يَقُولَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فمنه يعلم أنه كان في القوم غلول، ولكن كان التعبير كذلك تنزيهاً للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له أن يكون أحد من أمته. وقريء: (يَغُل) بضم الياء وفتح الغين مبنياً للمفعول إما من غل ثلاثياً، أي: ما صح لنبي أن يخونه غيره، فهو نفي في معنى النهي أن لا يغله أحد نسب إليه الغلول بل هم المخطئون والمذنبون، والمعنى: ما كان لنبي أن يغال في الغنائم، قال جابر بن عبد الله: أنزلت هذه يوم بدر، وقال: وكان ناس غلوا فأنزلت فيهم فلم يخونوا بعد، وقيل: إن أصله (يغلل) أي: يخون، أي: ما كان النبي أن يخونه أصحابه لكن حذفت إحدى اللامات استخفافاً، والفعل على هذا منفي عن النبي صلى الله عليه وسلم كالقراءة بفتح الياء، أو من أغل رباعياً، إما من أغله نسبة للغلول كأكذبه نسبة للكذب، فيكون نفياً في معنى النهي كالأول أو من أغله، أي: وجده غالاً، كأحدثه، أي: وجدته محموداً.

وَلَيْنَ مُتَمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَقُولَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ أَنْتَبِعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلَهَا قُلْنَا أَيْنَ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّنَجُّ الْجَمْعَانِ فَيَا ذِي اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ
 وَقَعْدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ
 بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَسِبَتْهُمْ بِأَلْسِنِهِمْ لَمْ يَلْحَقُوا
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)
 * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ النَّاسُ إِنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)

١٦٧ - ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾: العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا، وقيل: رابطوا. ١٦٨ - ﴿فَادْرَءُوا﴾: فادفعوا. ١٦٩ - ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾: الشهداء أحياء عند الله تعالى، أرواحهم في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش. تمنى الشهداء أن يعلم إخوانهم في الدنيا بما أفوضوا إليه من رحمة الله عز وجل ونزلوا عليه، فقال الله عز وجل: «أنا أبلغهم عنكم»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾. ١٧٠ - ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: من إخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا معهم. ١٧١ - ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون بما رأوا من كرامة أعدها الله لهم. ١٧٢ - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: أصحابه رضي الله عنهم الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى «حراء الأسد»: على بعد ثمانية أميال من المدينة، على ما كان بهم من الألم والجراح، بعد انصرافهم من أحد. وذلك حين بلغ رسول الله ﷺ أن أبا سفيان وأصحابه هموا بالرجوع؛ فأراد أن يرهبهم برسول الله ﷺ ويُرهبهم من نفسه وأصحابه قوة. ١٧٣ - ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: قوم أمرهم أبو سفيان أن يثبطوا رسول الله ﷺ، وهم ركب من عبد القيس مروا بأبي سفيان وأصحابه، فقال لهم أبو سفيان: بلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الرجعة على أصحابه لنستأصلهم، فلما مر الركب برسول الله ﷺ بحمراء الأسد، أخبروه بالذي قاله أبو سفيان. والناس الثاني: أبو سفيان والمشركون ﴿جَمَعُوا لَكُمْ﴾: للكرّة عليكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾: فاحذروهم.

[١٦٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ الآية. روى أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عباس قال: رسول الله ﷺ لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، وحسن مقيلمهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ الآية وما بعدها. وروى الترمذي عن جابر، نحوه. [١٧٢] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب» وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصغرى، وأنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك، فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه. فجاء الشيطان فخوف أوليائه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه!! فقال: إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية. [١٦٤] ﴿رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٦١، الجمعة: ٢]. زاد في آية آل عمران ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، لأنه سبحانه من على المؤمنين به فجعله من أنفسهم، ليكون موجب المنة أظهر، وكذلك في آية التوبة فقال: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ليكون داعي الاستجابة والإيمان به أظهر، وسر التعبير بأنفس أنه في مقام المنة، لأنه ما دام ﷺ من أنفسهم فهم أعزة عليه، وهو حريص عليهم، وهذا البيان يعني أن التعبير بالضمير في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ لا يراد به هذا المعنى. قول آخر: إن قولك "فلان من أنفس القوم" أوقع في القرب من قولك "فلان منهم" ... أمّا ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأخص ... ولذلك وردت حيث قصد التعريف بعظيم النعمة به ﷺ على أمته، وجليل إشفاقه وحرصه على نجاتهم ورأفته ورحمته بهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى فيمن كان على الضد من حال المؤمنين المستجيبين: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ [النحل: ١١٣]، فتأمل موقع قوله هنا ﴿مِنْهُمْ﴾ لما قصد أنه إنعام عليهم لم يوفقوا المعرفة قدره ولا للاستجابة المثمرة النجاة، فقيل هنا: ﴿مِنْهُمْ﴾ ... فتأمل هذا. ولما كان لفظ الآيتين يتناول قريشاً وغيرهم من العرب ممن ليس من أهل الكتاب قيل: ﴿مِنْهُمْ﴾ فناسبت هذه الكناية عموم الأئمين من العرب ممن أسلم ومن لم يسلم، ولما قال في آية آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فخص من أسلم ناسب ذلك قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، لخصوصه كما تقدم، ولم يكن العكس ليناسب.

[١٦٧] ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بآل عمران ينبى عن مبالغة واستحكام وتمكن في اعتقاد أوقصد لا يحصل منه قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾، ولما كان المراد بآية آل عمران الإخبار عن المنافقين، كعبد الله بن أبي وأصحابه ممن استحکم نفاقه وتقرر، فناسب الإبلّغ في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ما انطوا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر، وأمّا آية الفتح فإخبار عن أعراب ممن قال الله فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلُوبُهُمْ فَلَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالأخرين، وإنما أحل بهم قرب عهدهم بالكفر وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم، لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين، فعبر ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ إشعاراً بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آل عمران. [١٦٧] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١]. زاد ﴿كَانُوا﴾ في آية المائدة، لأنها نزلت في حادثة عين في ناس من اليهود كانوا يدخلون على الرسول ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً، فأخبره الله عز وجل بشأنهم، وآية آل عمران عامة في المنافقين. [١٦٩] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. آية البقرة تأتي بعد أمر= [١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَاتِهِمُ يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]. أي: ذوو درجات، فإن قيل: الضمير في هم يعود على الفريقين، وأهل النار لهم درجات، لا درجات؟ الجواب: الدرجات تستعمل في الفريقين، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وإن اختلفا عند المقابلة في قولهم: المؤمنون في درجات، والكفار في درجات. [١٦٩، ١٦٨] ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ وَقَعْدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا﴾ وبعده ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وآخر السورة ﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ وفي "الأنعام: ١٤٠": ﴿قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ وفي "الحج: ٥٨": ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾، قرئ: بالتخفيف عن الأصل. وقرئ: بالتشديد لإرادة التكثير، لأن المقتولين كثر.

١٧٤ - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: النبي ﷺ، وأصحابه رحمهم الله ورضي الله عنهم. ﴿بِنِعْمَةٍ﴾: بعافية وأجر ﴿لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ﴾: قتل. ١٧٥، ١٧٦ - ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي من فعل الشيطان، ألقاه على أفواه المخبرين به. ﴿حَظًّا﴾: نصيباً. ١٧٧ - ﴿أَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: أي: استبدلوا الكفر بالإيمان. ١٧٨ - ﴿نَمْلٍ﴾: تطول في العمر، والإنساء؛ أي التأخير، في الأجل. ١٧٩ - ﴿لِيَذَرَ﴾: ليدع المؤمنين. ﴿الْحَيِّثُ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن المخلص من المنافق. ﴿يَجْتَنِي﴾: يختار ويصطفي ويخلصهم لنفسه. ١٨٠ - ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾: «البخل» - هاهنا: منع الزكاة ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: يجعل ما يخلوا به طوقاً في أعناقهم؛ كهيئة الأطواق المعروفة. قيل: يطوق بشجاع أقرع، من أسوأ أنواع الحيات. وفي الحديث المتفق عليه: «من آتاه الله مالاً فلم يود زكاته مثلما له بشجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة. فيأخذ بلهزمته، يعني بشدقيه، فيقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية. وقيل: طوق من نار. ﴿مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ﴾ الميراث المعروف: هو ما انتقل من ملك إلى ملك.

= المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة لإقامة الدين، فكأنما قيل: إن احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فقتلوكم فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم، بل اعلموا أن قتلكم أحياء عندي، وكان المسلمون لا يعرفون هذا الأمر ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقد ذكر أهل التفسير أنها نزلت في قتل بدر، وأن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم طلباً لمرضاة محمد ﷺ من غير فائدة، فنزلت هذه الآية. [١٨٢] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في آل عمران والأنفال، وهي تبين أن ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله ليس بظلام للعبيد. [١٨٤] ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣،

فاطر: ٤]. سُبقت كلمة ﴿كَذَّبَ﴾ في موضعها الموضح في الآيات ١٨١، ١٨٤، من سورة آل عمران "أدناه بالكلمات المذكورة "الله-الذين-أغنياء-أنبياء-العبيد-عذاب-الحريق-قربان"، فناسب ذكر تذكيرها "أي: عدم إضافة حرف التاء -تاء التأنيث-، إلى كلمة ﴿كَذَّبَ﴾، أيضاً سُبقت كلمتا ﴿كَذَّبَ رُسُلٌ﴾، بكلمتي ﴿جَاءَكُمْ رُسُلٌ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، وليس "جاءتكم رسل" فناسب التذكير التذكير، وأتبع جملة ﴿كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بجملة ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ في نفس الآية، فناسب التذكير ﴿جَاءُوا﴾ التذكير ﴿كَذَّبَ﴾، أمّا الكلمة الثانية ﴿كَذَّبَتْ﴾، فقد سُبقت كلمتا ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ﴾ في سورة الأنعام بكلمة ﴿جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ [الأنعام: ٣١]، فناسب التأنيث ﴿جَاءَتْهُمْ﴾ التأنيث ﴿كَذَّبَتْ﴾، أمّا في سورة فاطر: فقد سُبقت كلمتا ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ﴾ بكلمات مؤنثة "السموات-الأرض-الملائكة-أجنحة-رحمة-السماء-الأرض-نعمة"، فناسب التأنيث التأنيث. [١٨٢] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ما الفرق بين: "ظلم، ظلام"؟ **الحواب:** وردت كلمة (ظلم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعلول) والثانية على وزن (فَعَال). وردت كلمة (ظلم) وصفاً للإنسان. بينما وردت كلمة (ظلام) وصفاً منفياً عن الله تعالى. لم اختصاص كل بما ذكر؟! حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والحمية والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسباً أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ(ظلم و جهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصف آخر فيه مبالغة (كفار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلم موسيقياً، كما أنه شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كليهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلام) فقد جاءت وصفاً منفياً عن الذات الإلهية، وذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالباً. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استخدمت كلمة (ظلام) كما قال القاضي الباقلاني: لأن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يوصف بأقصى حد للظلم وهو (ظلام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلى على ذنب فليس بظلام أبداً. [١٦٩] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ قرئ: (يحسبن) بالغيب، والفاعل على الغيب ضمير الرسول أو من يصلح للحسبان فـ(الذين) مفعول أول، و(أمواتاً) ثان، أو فاعله (الذين)، والمفعول الأول: محذوف، أي: "ولا يحسبن الشهداء أنفسهم أمواتاً". وقرئ: (تحسبن) بالخطاب، أي: يا محمد أو يا مخاطب. [١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ﴾ قرئ: (إن) بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرئ: (أن) بالفتح عطفًا على (نعمة) أي: وعدم إضاعة الله أجر المؤمنين. [١٧٦] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَحْزَنُكَ﴾ - و﴿يَحْزَنُهُمْ﴾ - ثلاثياً. [١٧٨، ١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ قرئ: (تحسبن) بالخطاب فيهما والخطاب له صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد، و(الذين كفروا) مفعول أول، و(إنما نملي) بدل منه سد مسد المفعولين، ولا يلزم منه أن تكون عملت في ثلاثة، إذ المبدل منه في نية الطرح، و(ما) موصولة، أو مصدرية، أي: "ولا تحسبن أن الذي نمليه للكفار أو إملأنا لهم خير لهم"، وأما الثاني: فيقدر فيه مضاف، أي: "لا تحسبن بخل الذين يبخلون خير"، "فبخل، وخيراً" مفعولان. وقرئ: (يحسبن) بالغيب فيهما مسنداً إلى الذين فيهما و(إنما) في الأول: سدت مسد المفعولين، ويقدر في الثاني مفعول دل عليه يبخلون أي: "لا يحسبن الباخلون بخلهم خيراً لهم". [١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ هنا، وفي الأنفال: ٣٧، ﴿يَمِيزُ اللَّهُ﴾ قرئ: (يميز) بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء الثانية مشددة فيهما من ميز. وقرئ: (يميز) بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعدها من ماز يميز مثل كال يكيل، ويقال: ميز يميز، كقتل يقتل، وفي التشديد معنى التكثير فهما لغتان. [١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قرئ: (يعملون) بالغيب جرياً على يبخلون، وسيطوقون ما بخلوا به. وقرئ: (تعملون) بالخطاب على الالتفات، أو ليناسب قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ تَأْمَلُوا لَهُمْ خَيْرٌ لِنَفْسِهِمْ إِنَّهُمْ لَأَنْتُمْ لَنْ يَزِدَّوْا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ أَنْتُمْ تَوَارَبْتُمْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لِمِمَّا بَخَلُوا هُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٨١ - **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**: نزلت في بعض اليهود، لأنهم قالوا: يستقرضنا ربنا أموالنا، وليس يستقرض إلا الفقير من الغني!! ١٨٢ - **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ**: أي عذبهم عذاب الحريق بما أصابوا هم بأنفسهم من الذنوب، فجازاهم على فعلهم، فلم يكن ذلك ظلمًا لأن **اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ** ١٨٣ - **بِقُرْبَانٍ**: هو ما تقرب به العبد إلى الله؛ من صدقة أو ذبح، على وزن: عدوان وخسران. **تَأْكُلُهُ النَّارُ**: كانت النار تنزل فتأكل ما تقرب به بنو إسرائيل إذا تقبل ذلك منهم. ١٨٤ - **وَالزُّبُرِ**: جمع زبور، وهو الكتاب. وكل كتاب، فهو زبور. **وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ**: الواضح الجلي المضيء. ١٨٥ - **فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ**: الرزحة: التنحية والإبعاد. **فَارَّ**: نجا. ١٨٦ - **لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ**: هذا الخطاب للنبي ﷺ وأمنه عما سيلقونه من الكفرة والفسقة والمنافقين، ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكروه. والمعنى: سوف تمتحنون وتختبرون في أموالكم بالنقص ونحوه، وفي أنفسكم بفقد الأحباب والقتل في سبيل الله، ونحو ذلك. **مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**: مما عزم الله عز وجل عليه، وأمركم به. وقيل: إن ما أرشد الله تعالى إليه من الصبر والتقوى، يحتاج من المكلف إلى العزيمة وقوة الإرادة. و«عزم الإرادة» بهذا المعنى هي التي يحتاج إليها الخلق، أو يقوم عليها علم الأخلاق. [١٨١] قوله تعالى: **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ** أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «دخل أبو بكر بيت المدراس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه» فذهب فحاص إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال «يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت؟» قال: يا رسول الله لقد قال قولًا عظيمًا يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فجدد فحاص، فأنزل الله **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا** الآية. [١٨٦] قوله تعالى: **وَلَتَسْمَعُنَّ** الآية. روى ابن

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِندَ أَيْنَا لَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَشِيرًا بِنَارٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

أبي حاتم، وابن المنذر، بسند حسن عن ابن عباس: «أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفحاص من قوله: **إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ**» وذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: «أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر». [١٨٤] **فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** [فاطر: ٢٥]. آية فاطر مكية، فهي مقدمة على آية آل عمران المدنية في النزول، والاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان يختلف فيما بين أهل مكة وأهل المدينة، فأهل مكة أهل عناد وتحذ، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة، فعلى هذا فالمقام مع أهل مكة يقتضي التأكيد في المعاني لتقريرها ورسوخها لتتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها، فأشعر تكرار حرف الجر بتكرار المتعلق، وخلا التعبير المدني المتمثل في آية آل عمران من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه. [١٨٥] **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** [آل عمران: ١٨٥] أي: أجسادها، إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاق الموت في حال موتها؛ لأن الحياة شرط في الرزق، وسائر الإدراكات، وقوله تعالى: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** [الزمر: ٤٢]، معناه: حين موت أجسادها. [١٨٥] **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ** [آل عمران: ١٨٥]، **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** [الأنبياء: ٣٥]، **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا رُجِعُوكَ** [العنكبوت: ٥٧] زاد في آية العنكبوت **ثُمَّ** الدالة على التراخي، لأن الرجوع في آل عمران إلى الجنة أو النار، وجاء بالواو في آية الأنبياء؛ لأنه حيل فيها بين الكلامين بقوله: **وَبَلَّوْكُمْ بِالْسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**، فقامت هذه الجملة المعترضة مقام التراخي. [١٨١] **سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ** [آل عمران: ١٨١]. قال ذلك مع أنهم كانوا في زمن النبي ﷺ، وما قتلوا أنبياء قط، لكنهم لما رضوا بقتل أسلافهم أنبياءهم تُسب الفعل إليهم. [١٨٢] **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ** [آل عمران: ١٨٢]. ظلام صيغة مبالغة من الظلم، ولا يلزم من نفيها نفيه، مع أنه منفي عنه، قال تعالى: **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** [الكهف: ٤٩]. صيغة المبالغة هنا لكثرة العبيد، لا لكثرة الظلم، كما في قوله: **مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ** [الفتح: ٢٧]، إذ التشديد فيه لكثرة الفاعلين لا لتكرار الفعل، أو الصيغة هنا للنسبة، أي: لا يُنسب إليه ظلم، فالمعنى: ليس بذي ظلم. [١٨٣] **قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ** [آل عمران: ١٨٣]، **يَقُولُ الَّذِينَ سُوهُ مِن قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بَالِغًا** [الأعراف: ٥٣]. لماذا جاء الفعل في آل عمران مذكرا وجاء مؤنثا في الأعراف؟ **الجواب**: يؤنث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكر الفعل، لذلك استخدم الفعل **جَاءَكُمْ** في آية آل عمران، لأن الآية تتحدث عن رسل بني إسرائيل فقط، وفي الأعراف استخدم الفعل **جَاءَتْ** مؤنثا، لأن المذكورين فيها جميع الرسل، وهم أكثر من آية آل عمران، لذلك جاء الفعل مؤنثا. [١٨١] **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** قوله تعالى: **سَنَكْتُبُ** - **وَقَتْلَهُمْ** - **وَنَقُولُ** قرئ: **(سَيَكْتُبُ)** بياء مضمومة وفتح تائه مبنيا للمفعول ورفع لام **(قَتْلَهُمْ)** عطفًا على (ما) الموصولة النائية عن الفاعل، و**(يقول)**: بياء الغيبة. وقرئ: **(سَنَكْتُبُ)** بالنون المفتوحة وضم التاء بالبناء للفاعل في سنكتب، ونصب **(قَتْلَهُمْ)** بالعطف على (ما) المنصوبة المحل على المفعولية، و**(نقول)** بالنون للعظمة. [١٨٤] **فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** قوله تعالى: **وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ** قرئ: **(بالبينات وبالزبور)** بزيادة باء موحدة بعد الواو كرسمة في مصحف الشام، وهشام وخلف عنه بزيادتها أيضًا في: وبالكتاب، والباء ثابتة في مصحف المدينة في الأولى محذوفة في الثانية، فزيادة الباء للتأكيد وحذفها لعدم الضرورة؛ لأن حرف العطف أغنى عن إعادة حرف الجر كما تقول: مرتت يزيد وخالد وعمرو. [١٨١] **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها، ولفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة: أولاً: لفظة النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن. [١٨٥] **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْفُرُورِ** **إعجاز عددي**: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

١٨٧ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾: وإذ أخذ الله تعالى العهد على اليهود والنصارى ليبين ما في كتابهم من صفة محمد ﷺ ولا يكتُمونه فتركوا ذلك ونبذوه ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: جحدوا أمر محمد ﷺ وكتموا اسمه، وأخذوا به طمعاً ونقيراً قليلاً. ١٨٨ - ﴿الَّذِينَ يَقْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَقْعُوا﴾: قيل: هم المنافقون الذين كانوا يقولون لو قد خرجت خرجنا معك، فإذا خرج تخلفوا عنه، ويفرحون بذلك ويرون أنها حيلة. وقالت جماعة كثيرة من المفسرين: نزلت الآية في اليهود. ثم اختلفوا في: ما الذي أتوه؟ وكيف أحبوا المحمّدة؟ قال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموا إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أنوا من كتمان ما سألهم عنه. أخرجه البخاري ومسلم. أي أن ابن عباس رضي الله عنهما ربط الآيتين ١٨٧ - ١٨٨. واختلف في ذلك. ﴿بِمَقَارِقٍ﴾: بمنجاة. ١٩١ - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِسْماً﴾: في صلاتهم ﴿وَقُعُوداً﴾: في تشهدهم، وفي غير صلاتهم ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: وهي حالات ابن آدم كلها ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً﴾: عبثاً ولا لعباً، بل ما خلقته، إلا لأمر عظيم. ١٩٢ - ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾: فضحته. وقيل: هو المخلد فيها، أي في النار، والمؤمن لا يُخزى إذا صار إلى الجنة، وإن عذب بالنار بعض العذاب، وإنما يُخزى الخالد فيها. ١٩٣ - ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: هو - هاهنا -: القرآن؛ إذ ليس كل المسلمين لقي محمداً ﷺ. ﴿فَقَامَنَا﴾: صدقنا ﴿وَوَقَفْنَا﴾: احشرونا واجعلنا ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: الذين برؤا الله بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى رضي عنهم. ١٩٤ - ﴿مَا وَعَدْنَا عَلَى رَسُولِكَ﴾: على ألسنتهم، وقيل: على تصديقهم. والموعود به على ألسنتهم هو الثواب الذي وعد الله به أهل طاعته. [١٨٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَقْرَحُونَ﴾ الآية. روى الشيخان، وغيرهما، من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف: «أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون.

١٨٧ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾: وإذ أخذ الله تعالى العهد على اليهود والنصارى ليبين ما في كتابهم من صفة محمد ﷺ ولا يكتُمونه فتركوا ذلك ونبذوه ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: جحدوا أمر محمد ﷺ وكتموا اسمه، وأخذوا به طمعاً ونقيراً قليلاً. ١٨٨ - ﴿الَّذِينَ يَقْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَقْعُوا﴾: قيل: هم المنافقون الذين كانوا يقولون لو قد خرجت خرجنا معك، فإذا خرج تخلفوا عنه، ويفرحون بذلك ويرون أنها حيلة. وقالت جماعة كثيرة من المفسرين: نزلت الآية في اليهود. ثم اختلفوا في: ما الذي أتوه؟ وكيف أحبوا المحمّدة؟ قال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموا إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أنوا من كتمان ما سألهم عنه. أخرجه البخاري ومسلم. أي أن ابن عباس رضي الله عنهما ربط الآيتين ١٨٧ - ١٨٨. واختلف في ذلك. ﴿بِمَقَارِقٍ﴾: بمنجاة. ١٩١ - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِسْماً﴾: في صلاتهم ﴿وَقُعُوداً﴾: في تشهدهم، وفي غير صلاتهم ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: وهي حالات ابن آدم كلها ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً﴾: عبثاً ولا لعباً، بل ما خلقته، إلا لأمر عظيم. ١٩٢ - ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾: فضحته. وقيل: هو المخلد فيها، أي في النار، والمؤمن لا يُخزى إذا صار إلى الجنة، وإن عذب بالنار بعض العذاب، وإنما يُخزى الخالد فيها. ١٩٣ - ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: هو - هاهنا -: القرآن؛ إذ ليس كل المسلمين لقي محمداً ﷺ. ﴿فَقَامَنَا﴾: صدقنا ﴿وَوَقَفْنَا﴾: احشرونا واجعلنا ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: الذين برؤا الله بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى رضي عنهم. ١٩٤ - ﴿مَا وَعَدْنَا عَلَى رَسُولِكَ﴾: على ألسنتهم، وقيل: على تصديقهم. والموعود به على ألسنتهم هو الثواب الذي وعد الله به أهل طاعته. [١٨٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَقْرَحُونَ﴾ الآية. روى الشيخان، وغيرهما، من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف: «أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون.

فقال ابن عباس: ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب؛ سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموا إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أنوا من كتمان ما سألهم عنه. [١٩٠] قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ الآية. أخرجه الطبراني، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يرى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَتَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ فليتفكروا فيها. [١٩٠] ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَتَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. الآيتان تتحدثان عن خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وتعاقب الليل والنهار واختلافهما طولاً وقصرًا، وآية البقرة تعرض المزيد من الآيات الكونية التي تدل على وحدانية الله، وجيليل نعمه... وأمّا آية آل عمران فتوضح أن هذه الآيات الكونية تشتمل على دلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة. [١٨٧] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ما فائدة؟ ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ بعد ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾، مع أنه معلوم منه؟ **الجواب**: فائدته التأكيد، أو المعنى: لتبينه في الحال ولا تكتُمونه في المستقبل. [١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]. هذا يقتضي خزي كل من يدخلها، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨]، يقتضي انتفاء الخزي عن المؤمنين، فلا يدخلون النار؟ **الجواب**: أخزى في الأول من الخزي، وهو الإذلال والإهانة، وفي الثاني من الخزية، وهي النكال والفضيحة، وكل من يدخل النار يذل، وليس كل من يدخلها يُنكل به، فالمراد بالخزي الأول الخلود، وفي الثاني تحلة القسم أو التطهير، بقدر ذنوب الداخل. [١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ [آل عمران: ١٩٣]. المسموع النداء لا المنادي. فإن قيل: لما قال: ﴿مُنَادِيًا يُنَادِي﴾، صار معناه: نداء منادٍ، كما يقال: سمعت زيدا يقول كذا، أي: سمعت قوله، ف"منادياً" مفعول "سمع"، و"ينادي" حال دالة على محذوف مضاف للمفعول. [١٩٣] ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]. كيف قال الثاني مع أنه معلوم من الأول؟ **الجواب**: المعنى مختلف؛ لأن الغفران مجرد فضل، والتكفير محو السيئات بالحسنات. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْنَا عَلَى رَسُولِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. أي: على ألسنتهم. فإن قيل: ما فائدة الدعاء، مع علمهم أنه لا يخلف الميعاد؟ **الجواب**: فائدته العبادة؛ لأن الدعاء عبادة، مع أن الوعد من الله للمؤمنين عام، يجوز أن يراد به الخصوص، فسألوا الله أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد. [١٨٧] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، قرئ: **(ليبينه - يكتُمونه)** بالغيب فيهما إسناداً لأهل الكتاب لأن المخبر عنه غائب وليناسب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فهو لفظ غيبة، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾. ولما كان أخذ الميثاق في معنى القسم جاء باللام والنون في الفعل الأول، والقراءة بتاء الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾. ولما كان أخذ الميثاق في معنى القسم جاء باللام والنون في الفعل الأول، والقراءة بتاء الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ اللَّهِ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. فقال لهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. [١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَقْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَقْعُوا﴾: لا تحسبنهم (بمحسبنهم) بالغيب فيهما وفتح الباء في الأولى وضمها في الثاني، والفعل الأول مسند إليه ﷺ أو غيره، و(الذين) مفعول أول، والثاني (بمفازة) أي: "لا يحسبن الرسول الفرحين ناجين". والفعل الثاني: مسند إلى ضمير الذين، = [١٩٠] ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَتَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. **تعاقب الليل والنهار**: الليل والنهار يتعاقبان على الأرض بانتظام دون انقطاع، مع تغيرات في حال الظلمة والضياء كل يوم، تغيرات في أماكن الشروق والغروب، مع طول وقصر زماني الليل والنهار من يوم لآخر، وقد عبر الله تعالى عن كل هذه التغيرات بعبارة واحدة وردت في كثير من آيات القرآن الكريم، وهي قوله: ﴿وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْتِ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْكُفْرَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سِقَاتِهِمْ وَلَا ذَنْبَ عَلَيْهِمْ جَنَّتْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلْنَا مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ (١٩٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لَتَيْكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

سُورَةُ الزُّمَرِ
٧٦

١٩٥ - ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: الذكور والإناث سواء في المجازاة على الأعمال. وهذا التعبير القرآني الذي يعني: الذكور من الإناث، والعكس.. يشير كذلك إلى مبدأ المساواة بين الرجال والنساء في الأهلية والتكليف. ١٩٦ - ﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تصرفهم، وتقلبهم في البلاد بالأسفار للتجارة التي يتوسعون بها في معاشهم، فهو متاع قليل يتمتعون به في هذه الدار ثم مصيرهم إلى النار. ١٩٧ - ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾: لا اعتداد به بالنسبة إلى ثواب الله تعالى، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: يأوون إليها، ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: ما مهدوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم. ١٩٨ - ﴿نَزَّلْنَا﴾: إنزالاً. والنزل: ما يهبط للنزول، أو المنزل الذي يأوون إليه. ١٩٩ - ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: إلى آخر الآية - قيل: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، وقوم من أصحابه؛ وقد كان آمن. ٢٠٠ - ﴿أَصْبِرُوا﴾: على دينكم، ﴿وَصَابِرُوا﴾: الكفار على الجهاد، ﴿وَرَابِطُوا﴾: أصل «الرباط»: ارتباط الخيل، ثم أطلق على الإقامة في الثغور وملازمتها ترصداً واستعداداً للغزو والجهاد، وهو - هاهنا - الجهاد، ومن الرباط: انتظار الصلوات في المساجد، فالرباط ملازمة الثغور وملازمة المساجد كما ورد في الصحيح.

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ الآية. أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والترمذي، والحاكم، وابن أبي حاتم، عن أم سلمة: أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْتِ﴾ إلى آخر الآية. [١٩٩] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية. روى النسائي عن أنس قال: «لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ «صلوا عليه» قالوا: يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾». [١٩٧] ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران: ١٩٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ الوحيدة في القرآن في آية آل عمران، لأنه سبقها: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾، والقليل يدل على التراخي وإن صغر وقل، فناسبه أن يأتي به ﴿ثُمَّ﴾.

[١٩٨] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ...﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عَرْفٌ...﴾ [الزمر: ٢٠]. الآيتان تتحدثان عن المتقين الذين خافوا ربهم، وامتلأوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، وآية آل عمران تبين ما أعد الله لهم من جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار...، وأمّا آية الزمر فتوضح أن لهم في هذه الجنات غرفاً مبنية بعضها فوق بعض.. قال ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه، وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيه، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. فإن سألت عن أرضها وتربتها: فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها: فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن ملاطها: فهو المسك الأذفر. وإن سألت عن حصبتها: فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها: فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن أشجارها: فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب. وإن سألت عن ثمرها: فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها: فأحسن ما يكون من رقائق الحلل...

[٢٠٠] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]. ما الفرق بين: "اصبروا وصابروا واصطبر"؟ **الجواب:** وردت كلمة (اصبروا) ست مرات في القرآن الكريم. ووردت كلمة (صابروا) مرة واحدة فقط. ووردت كلمة: (اصطبر) ثلاث مرات، فما حكمة التنوع بين الصيغ الثلاث؟ **والجواب:** أن الصبر: هو الدرجة الطبيعية في التحمل. أما المصابرة: فهي درجة أعلى من التحمل تأتي بعد الترويض والمجاهدة. قال أبو السعود: المصابرة درجة أعلى من الصبر يبلغ بها المؤمنون في رياضة النفس ما لا يبلغه غيرهم من الناس. فمن الطبيعي إذاً أن تأتي صيغة (اصبروا) ثم بعدها (صابروا) وليس العكس. أما (اصطبر) فهي على وزن (افعل) من صبر: أي فعل. وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى. فالاصطبار هو درجة أعلى من الصبر. والفرق بين الاصطبار والمصابرة أن الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصبر في وفي صيغتها معاني التحمل، واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر مما تحمله الثانية في وزنها وصيغتها، فالافتعال فيه معنى الشدة، والمفاعلة فيها معنى المطاولة والتتابع والاستمرار. [٢٠٠] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. الصبر: حال الصابر نفسه، والمصابرة: مقاومة الخصم فهي مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين والمرابطة: الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، وكما أن المرابطة لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو عليه، فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان. وقد يصير العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرباط، وقد يصبر ويصابر ويرباط من غير تعبد بالتقوى، ولهذا أمر به في هذا الموضع.

= ومن ثم ضمت الباء لتدل على واو الضمير المحذوفة لسكون النون بعدها، فمفعوله الأول والثاني محذوف تقديره كذلك، أي: "فلا يحسن الفرحون أنفسهم ناجية" والفاء عاطفة. وقرئ: (تحسبن - تحسبنهم) بناء الخطاب فيهما وفتح الباء فيهما معاً إسناداً فيها للمخاطب، والثاني: تأكيد للأول، والفاء زائدة، أي: "لا تحسبن الفرحين ناجين لا تحسبنهم كذلك". وقرئ: (يحسبن - تحسبنهم) بياء الغيب في الأول، وتاء الخطاب في الثاني، وفتح الباء فيهما بإسناد الأول إلى الذين، والثاني إلى المخاطب. [١٩٥] ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سِقَاتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ وفي "التوبة: ١١١" ﴿يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرئ بتقديم: (قتلوا) وتقديم (يقتلون) الفعل المبني للمجهول فيهما، وتوجيه ذلك أن الواو لا تفيد ترتيباً، أو على التوزيع لأن منهم من قتل ومنهم من قاتل. وقرئ: بتقديم: (قاتلوا) وتقديم (يقتلون) بتقديم الفعل المسمى للفاعل فيهما، وذلك لأن القتال عادة يكون قبل القتل.

[١٩٦] ﴿لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْرَنَّاكَ﴾ هنا، و﴿يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ بالنمل: ١٨، و﴿يَسْتَخَفَّنَّكَ﴾ بالروم: ٦١، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ...﴾ أو نرينك﴾ الزخرف ٤١-٤٢، قرئ: (بغرنك - يحطمنكم - يستخفنونك - نذهبن - نرينك) بتخفيف النون مع سكنها في الخمسة على أنها نون التوكيد الخفيفة، واتفق على الوقف لمن خفف بالألف بعد الباء من (نذهبن) على أصل نون التوكيد الخفيفة. وقرئ: (بغرنك - يحطمنكم - يستخفنونك - نذهبن - نرينك) بالتشديد في الكل على الكثير في التوكيد. [١٩٨] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هنا وفي الزمر: ٢٠، قرئ: (لكن) بتشديد النون فيهما، فالموصول محله نصب. وقرئ: (لكن) بالتخفيف، فالموصول رفع بالابتداء، وقيل: يجوز إعمالها مخففة.



يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مِطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنًا وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ ۝ وَلَا تَعُولُوا ۝ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَنَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيًّا ۝ وَلَا تَتَوَلَّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝

١- قوله عز وجل: ﴿مَنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء خلقت من ضلع آدم، وقيل: منها: من جنسها. ﴿وَبَثَّ﴾: نشر ﴿نِسَاءً لَوْ﴾: تتعاقدون وتتعاهدون؛ من قول السائل للمسؤول؛ أسألك بالله والرحم، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وصلوها. ﴿رَقِيبًا﴾: حفيظاً. ٢- ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾: أسلموا إليهم أموالهم إذا بلغوا الحلم، وأنستم منهم الرشد، ﴿وَلَا تَبْدِلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ﴾: خوطب به الأوصياء، ونهوا أن يستبدلوا الحرام عليهم من أموال اليتامى بالطيب الحلال. وقيل: كان الرجل يأخذ من غنم يتيمة شاة ويجعل مكانها دونها، ويأخذ الشاة الجيدة ويجعل مكانه الرديء. وفيه اختلاف. ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾: بمعنى: مع أموالكم. ﴿حُوبًا﴾: إثماً، من حاب الرجل يحوب؛ إذا أثم، وتحوب؛ إذا تأثم، والتحوب: التحرج من الفعل. ٣- ﴿نُقِصْتُوْا﴾: تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ قيل: هي اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جملها أو مالها ويريد أن يتزوجها بدون صداق مثلها. وفيه اختلاف. ﴿لَا تُعْدِلُوا﴾: بينهم ﴿أَذَىٰ﴾: أقرب ﴿لَا تَعُولُوا﴾: يقال: عال، إذا مال وجار، أي: ذلك أقرب إلى ألا تجوروا وتميلوا عن الحق. ٤- ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾: مهرهن ﴿نِحْلَةً﴾: عطية واجبة، وفريضة لازمة. «نحلت فلانا»: أعطيته. ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾: من غير إضرار بهن، ولا خديعة لهن. ﴿هَنِيئًا مَرِيًّا﴾: بمعنى: دواء شافياً، من هنات البعير بالقطران: إذا غولج من الجرب. وقيل: إن الهنيء والمريء من هنؤ الطعام ومرؤ؛ إذا كان سائغاً ولا تنغيص فيه. وذلك عبارة عن التحليل، والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة. ٥- ﴿السُّفَهَاءَ﴾: كل من لا يحسن تدبير المال، ولا يهتدي إلى وجوه النفع التي تصلحها، ووجوه الضرر التي تهلكه. وفيه اختلاف. ﴿قِيَمًا﴾: أي: قوام معاشكم. والقيام والقوام: ما يقيمك وينعشك. ٦- ﴿وَابْتَلُوا﴾: اختبروا عقولهم، وأفهامهم، وصلاحتهم ﴿بَلَّغُوا النِّكَاحَ﴾: الحلم. ﴿آنَسْتُمْ﴾: أحسستم ورايتم ﴿رُشْدًا﴾: صلاحاً في عقولهم، وإصلاحاً في أموالهم ﴿إِسْرَافًا﴾: أصل «الإسراف»: تجاوز الحد المباح، يستعمل في الإفراط والتقصير. ﴿وَبِدَارًا﴾: مبادرة ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾: ويحتازوا أموالهم. ﴿فَلْيَسْعَفْ﴾: فليستغن بماله ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالسلف؛ فإن أيسر قضاءه، وإن حضره الموت ولم يوسر تحلله منه. وقيل: «المعروف» -ها هنا- ما سد جوعته ووارى عورته. وفيه اختلاف. ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾: الشهود ﴿حَسِيبًا﴾: شاهداً ومحاسباً، أو: كافياً في الشهادة عليكم بالدفع والقبض. [٤] قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [١] ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]. أي: قال: «كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، وأنزل ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾» [١] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]. أي: حواء. فإن قيل: إذا كانت مخلوقة من آدم، ونحن مخلوقون منه أيضاً، تكون نسبتها إليه نسبة الولد، فتكون أختاً لنا، لا أمّاً؟ **الجواب**: خلقها من آدم لم يكن بتوليد، كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه ثبوت حكم البتية والأختية فيها. [٢] ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]، ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٢]. آية سورة الأحزاب مقصورة على الرسول ﷺ، والحكم مقصور عليه ﷺ، أما الآية الثانية فهي آية عامة لكل المسلمين، وهذا التبديل هو لعموم المسلمين، وليس مقصوراً على أحد معين وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة، لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة «تبدل»، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة «تبدلوا». [٢] ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ مِطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ...﴾ **فوائد تعدد الزوجات**: ١- أن النكاح سبب للصلة والارتباط بين الناس، وقد جعله الله تعالى قسيماً للنسب، فتعدد الزوجات يربط بين أسر كثيرة، ويصل بعضهم ببعض، وهذا أحد الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعدد من النساء. ٢- أنه قد يكون ضرورياً في بعض الأحيان، مثل: أن تكون الزوجة كبيرة السن، أو مريضة لو اقتصر عليها لم يكن له منها إعفاف، وتكون ذات أولاد منه، فإن أمسكها خاف على نفسه المشقة بترك النكاح، أو ربما يخاف الزنا، وإن طلقها فرق بينها وبين أولادها، فلا تزول هذه المشكلة إلا بحل التعدد. ٣- يترتب عليه صون عدد كبير من النساء، والقيام بحاجتهن من النفقة والمسكن وكثرة الأولاد، والنسل، وهذا أمر مطلوب للشارع. ٤- من الرجال من يكون حاد الشهوة لا تكفيه الواحدة، وهو تقي نزيه، ويخاف الزنا، ولكن يريد أن يقضي وطراً في التمتع الحلال، فكان من رحمة الله تعالى بالخلق أن أباح لهم التعدد على وجه سليم. ٥- وقد يظهر بعد الزواج عقم المرأة، ويكون الحل هو طلاقها، فإذا كان له سعة في الزواج من غيرها فلا يقول عاقل إن طلاقها أفضل. ٦- وقد يكون الزوج كثير السفر أو الغربة، فيحتاج إلى إحصان نفسه في غربته. ٧- كثرة الحروب، ومشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى سبب في قلة الرجال وكثرة النساء، وهذا الأمر يحتاج معه النساء إلى من يستر عليهن، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالزواج. ٨- وقد يعجب الرجل بامرأة أو بالعكس بسبب الدين =

[١] ﴿وَآتُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قوله تعالى: ﴿نِسَاءً لَوْ﴾ قرئ: (نساء لون) بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين، وأصله: تساءلون. وقرئ: (نساء لون) بالتشديد على إدغام تاء الفاعل في السين، وأصله: تساءلون، أبدلت التاء الثانية سيناً فراراً من تكرار المثل، وأدغمت في السين. قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قرئ: (والأرحام) بكسر الميم عطفاً على الضمير المجزور في (به) على مذهب الكوفيين، أو أعيد الجار وحذف للعلم به، وجر على القسم تعظيماً للأرحام حثاً على صلتها. وقرئ: (والأرحام) بالفتح عطفاً على لفظ الجلالة أو على محل (به) كقولك: مررت به وزيداً، وهو: من عطف الخاص على العام، إذ المعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. [٣] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿فَوَاحِدَةٌ﴾ قرئ: (فواحدة) برفع التاء على الابتداء والمسوغ اعتمادها على فاء الجزاء والخبر محذوف، أي: كافية أو خبر لمحذوف، أي: فالمقنع واحدة، أو فاعل لمحذوف، أي: فيكفي واحدة. وقرئ: (فواحدة) بنصب التاء، أي: فاختاروا أو انكحوا واحدة. [٥] ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿قِيَمًا﴾ قرئ: (قيماً) بغير ألف هنا وكذلك في المائدة: ٩٧، (قيماً للناس) على أن «قيماً» مصدر كالقيام وليس مقصوراً منه، وقيل: على أنه جمع قيمة كديمة وديم، والمعنى: «أموالكم التي جعل الله لكم قيمة لأمتعتكم ومعاشكم» والله أعلم. وقرئ: (قيماً) بالألف فيهما مصدر قام، أي: التي جعلها الله تعالى سبب قيام أبدانكم، أي: بقائهما.

نزول سورة النساء: نزلت بعد سورة الممتحنة، وهي مدنية بإجماع القراء. **عدد كلمات سورة النساء**: ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون. **عدد حروف سورة النساء**: ستة عشر ألفاً وثلاثون حرفاً. **أسماء سورة النساء**: سورة النساء الكبرى، لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن بدرجة لم توجد في غيرها من =

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِخَشَى الَّذِينَ لَوْ تُرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾: عنى بذلك: الذكور من أولاد الميت. ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾: للإناث منهم ﴿نَصِيبٌ﴾: حصة. وكان من العرب من لا يورث النساء، ويقول: لا يرث إلا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف. ٨- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: الآية مخاطبة للوارثين، والمعنى: إذا حضر قسمتكم مال موروثكم هذه الأصناف الثلاثة، - قيل: وأولوا القربى ممن لا يرث - فارزقوهم منه. وقيل: الخطاب في الآية للمحتضرين الذين يقسمون أموالهم بالوصية، وحضرهم من لا يرث.. ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: خيراً ودعاء، لهم بالرزق والخير ونحو ذلك، وكانوا يقولون لهم: بورك فيكم. ٩- ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: عدلاً. ١٠- ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: بمعنى: مسعور، من سعرت النار: أوقدت وأشعلت. واستعرت الحرب: اشتدت. والسعير أيضاً: اسم من أسماء جهنم. ١١- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾: يعهد إليكم ويأمركم. ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾: في شأن ميراثهم. والأولاد: جمع ولد، وهو كل مولود ذكراً كان أو أنثى.

[٧] قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ أخرج أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الفرائض، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبه، فأخذوا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ الآية. [١١] قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال: «عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾» وأخرج أحمد، وأبو داود والترمذي، والحاكم عن جابر قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث».

[٨، ٥] ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]. لماذا حذفت ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ في الآية الثانية؟ **الجواب:** لأن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْثَرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، إنما المراد به السفه المتصير إليه المال يارث ولا يحسن القيام عليه، فيحجر عليه ماله إبقاء عليه، ولا يمكن منه إلا بقدر ما يأكله ويلبسه، فالنهي إنما هو للأوصياء، ونسبة المال إليهم مجازاً بما لهم فيه من التصرف والنظر، أما الآية الأخرى فليست في شأن أحوال السفهاء وحكمها، وإنما المراد بها المقتسمون لميراث يخصهم لا حق فيه لغيرهم، فيحضرهم قريب فقير ويتيم محتاج ومسكين، فندبوا إلى التصديق عليهم والإحسان، لا لحق هؤلاء في المال، فمن أين تلزم كسوتهم والتخصيص عليها؟ إنما يُدبوا إلى الإحسان إليهم بالعفو مما يخف عليهم، وسع ذلك كسوتهم أو لم يسع، فافترق مقصد الآيتين، وجاء كل على ما يناسب. = أو الخلق، فيكون الزواج هو الطريق الشرعي للقاء كل منهم بالآخر. ٩- وقد يحدث خلاف بين الزوجين، ويتفرقان بالطلاق، ثم يتزوج الرجل، ويرغب بالعودة إلى امرأته الأولى، فهنا يأتي تشريع التعدد حلاً حاسماً لمثل هذه الحالة. ١١- والأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى كثرة النسل لتقوية صفوفها والاستعداد لجهاد الكفار، ولا يكون ذلك إلا بكثرة الزواج من أكثر من واحدة وكثرة الإنجاب. ١٢- ومن حُكَم التعدد تفرغ المرأة في غير نوبتها لطلب العلم وقراءة القرآن، وتنظيف بيتها، وهذا لا يتيسر - غالباً - للمرأة ذات الزوج غير المعدد. ١٢- ومن حُكَم التعدد زيادة الألفة والمحبة بين الزوج ونسائه، إذ لا تأتي نوبة الواحدة منهم، إلا وهو في شوق لامراته، وهي كذلك في اشتياق له... وغير ذلك من الفوائد، والمسلم لا يشك لحظة أن في تشريع الله حكمة بالغة، وأعظم حكمة هو الامتثال لأمر الله وطاعته فيما حكم وأمر. [٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨]. ويؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر. وكان الصحابة رضي الله عنهم - إذا بدأت باكورة أشجارهم - أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده، فأعطاه ذلك علماً منه بشدة تشوفه لذلك. [١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر، نسأل الله العافية. [١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ قرئ: (وسَيَصْلَوْنَ) بضم الياء مبنياً للمفعول من الثلاثي، أي: يأمر الله تعالى من يصليهم سعيراً. وقرئ: (وسَيَصْلَوْنَ) بالفتح من صلى النار: لازمها، فأضيف الفعل إليهم، كقوله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ يس: ٦٤، فأضاف الفعل إليهم. [١١] ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاحِدَةً﴾ بالرفع على أن (كان) تامة تكفي بمرفوعها، بمعنى: إن حدث أو وقع. وقرئ: (واحدة) بالنصب على أن كان ناقصة اسمها فيها، ونصب واحدة على الخبر، والتقدير: وإن كانت الوارثة واحدة. قوله تعالى: هنا ﴿فَلِأُمِّهِ﴾، وفي القصص: ٥٩، ﴿أُمِّهَا﴾، وفي الزخرف: ٤، ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾، قرئ: بكسر الهمزة في الأربعة لمناسبة الكسرة أو الياء، ولذلك لا يَكْسِرُهَا في الآخرين إلا وصلًا، فإذا ابتدأ ضمها، أي: حمزة، والكسائي، وقرئ: بضمها في الحالتين، وأما المضاف للجميع: (أمهاتكم) وذلك في أربعة مواضع: النحل: ٨، النور: ٦١، الزمر: ٦، النجم: ٣٢. قرئ: (أمهاتكم) بكسر الهمزة والميم معاً في الأربعة، فأتبعت حركة الميم حركة الهمزة فكسرت الميم تبعاً للتبع كالإمالة للإمالة، ولذا إذا ابتدأ بها ضمت الهمزة وفتحت الميم، وكسر الكسائي الهمزة وحدها في حالة الوصل. وقرئ: (أمهاتكم) بضم الهمزة وفتح الميم في الأربعة على الأصل، وهذا في الدرج، أما في الابتداء بهمزة (أم - أمهات) فلا خلاف في ضمها، وقيل: كلها لغات. قوله تعالى: ﴿يُوصِي﴾ (يوصي) بفتح الصاد فيهما على البناء = السور، واسم سورة الطلاق، سورة النساء الصغرى. مواضع سورة النساء: وأما ما اشتملت عليه السورة مجملًا فبيان خَلْقَةِ آدَمَ وَحَوَّاءَ، والأمر بصلة الرَّحِمِ، والنهي عن أكل مال اليتيم، وما يترتب عليه من عظم الإثم، والعذاب لأكليه، وبيان المناكحات، وعدد النساء، وحكم الصَّدَاقِ، وحفظ المال من السفهاء، =

١٢- **كَلَلَهُ**: مصدر تكَلَّلَه النسب تكَلُّلاً؛ بمعنى تعطف عليه، قال الزمخشري: إن الكلاله تطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولداً ولا والدًا، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد. وقيل: هو من النسب ما خلا الوالد والولد. وفيه اختلاف، والجمهور على أنه الميت الذي لا ولد له ولا والد. **غَيْرُ مُضَكَّرٍ**: غير ملحق ضرراً بالورثة، كأن يوصي بدين ليس عليه، أو أن يوصي بأكثر من الثلث. وآية الميراث السابقة - الحادية عشرة - ليس منها **غَيْرُ مُضَكَّرٍ** لأن قصد الإضرار بالأبناء والآباء بعيد، والله أعلم.

١٣- **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**: الإشارة إلى الأحكام التي تحدثت عنها الآيات في باب اليتامى والصايا والميراث، وسمى الله تعالى هذه الأحكام حدوداً، وأضافها إلى ذاته العلية، لأنه يجب على المكلفين أن يقفوا عندها ولا يتجاوزوها بحال. ١٤- **وَيَعْتَدَ حُدُودَهُ**: بتغيير هذه الأحكام أو عدم العمل بها.

[١٢، ١٧] **معنى اسم الله العليم**: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [١٢] **معنى اسم الله الحليم**: الحليم هو الذي يُدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العصاة بعصيانهم. ويستعقبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنبئوا وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق، والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورهم منها؛ فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. [١٦] **معنى اسم الله التواب**: التَّوَابُّ هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه. فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم. [١٦] **معنى اسم الله الرحيم**: قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٧] **معنى اسم الله الحكيم**: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربَّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خِلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا...؟

[١٢] **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** [النساء: ١٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**. قوله سبحانه وتعالى: **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** أي: والله تعالى عليم بما يصلح خلقه وما يضرهم، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة، أمّا: **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**، أي: هو سبحانه عليم بما يصلح شأن عباده، حكيم فيما شرعه لهم. [١٣] **جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا** **وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [النساء: ١٣]، **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [التوبة: ٨٩]. لماذا جاءت الواو زائدة في آية النساء؟ **الجواب**: آية النساء اختلفت عن آية التوبة لوجهين: موافقة ما قبلها، وهو جملة مبدوءة بالواو، وذلك قوله: **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ** [النساء: ١٣]، الثاني: موافقة ما بعدها وهو قوله: **وَلَهُ** بعد قوله: **خَالِدًا فِيهَا** [النساء: ١٤]. أمّا آية التوبة فخلت من ذلك. [١٤] **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** [النساء: ١٤]، **إِلَّا لِبَلَاغٍ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا** [الجن: ٢٣]. ما الفرق بين **خَالِدًا** و**خَالِدِينَ**؟ **الجواب**: في سورة النساء الوعيد بالعذاب **يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** أشد لأنه عذاب بالنار وبالوحدة، يعني منفرداً، لأن الوحدة عذاب حتى لو كان في الجنة ولا يتكلم معه أحد، فهو شيء ثقيل جداً، إذا مبدئياً العذاب في آية النساء أشد، كذلك في سورة النساء **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ** هذا زيادة عما جاء في سورة الجن **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ**، ففي النساء عصيان وتعد للحدود، وفي الجن ذكر العصيان فقط، ولذلك قال في النساء: **وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** إضافة إلى النار، فهناك سبب دعا إلى هذا الاختلاف، ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة خالداً مطلقاً، وإنما دائماً خالدين، لأنه ليس هناك وحدة، بينما في النار نجد خالدين وخالداً = للمفعول، وبها نائب فاعل، وقرأ حفص: **(يُوصَى)** بالفتح في الأخيرة فقط لإتباع الأثر، وقرئ: **(يُوصَى)** بالكسر فيهما على البناء للفاعل، أي: يوصي المذكور أو الموروث، و(بها) في محل نصب. [١٣، ١٤] **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** قوله تعالى: **يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ** و**يُدْخِلْهُ نَارًا**، و**يُدْخِلْهُ - يَعْذِبُهُ** في الفتح: ١٧، - **يُكَفِّرُ عَنْهُ** - **يُدْخِلْهُ** في التغابن: ٩، **يُدْخِلْهُ** في الطلاق: ١١، قرئ: **(ندخله - نعذبه - نكفر)** بنون العظمة في السبعة، وقرئ: **(يدخله - يعذبه - يكفر)** بباء فيهن على الغيبة ردّاً لآخر الكلام على أوله؛ لأن أوله لفظ غيبة في قوله: **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** وقوله: **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ليتألف الكلام على نظام واحد.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاحُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دِينَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مَنَّهُمَا الثُّمُنُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَكَّرٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**

وَجَزَاءُ الْيَتِيمِ قَبْلَ دَفْعِ الْمَالِ إِلَيْهِ، وَالرَّقْفُ بِالْأَقْرَابِ وَتَقْسِمَةُ الْمِيرَاثِ، وَحُكْمُ مِيرَاثِ أَصْحَابِ الْفِرَاطِ، وَذِكْرُ ذَوَاتِ الْحَارَمِ، وَبَيَانُ طَوْلِ الْحُرَّةِ، وَجَوَازُ التَّزْوُجِ بِالْأُمَّةِ، وَالاجْتِنَابُ عَنِ الْكِبَارِ، وَفَضْلُ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، وَبَيَانُ الْحَقُوقِ، وَحُكْمُ السَّكَرَانِ وَقَتِ الصَّلَاةِ، وَآيَةُ التَّيْمَمِ، وَذَمُّ الْيَهُودِ، وَتَحْرِيفُهُمُ التَّوْرَةَ، وَرَدُّ =

وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَجْشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَتَاوَهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَجْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

١٥- ﴿يَأْتِيكَ الْفَجْشَةُ﴾: يواقع الزنا ﴿سَبِيلًا﴾: مخرجاً وطريقاً. قيل: ونُسخت هذه الآية بالحدود. ١٦- ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾: الرجل والمرأة ﴿فَتَاوَهُمَا﴾: كان أذى بالقول واللسان، كالتعير والتوبيخ حتى نزلت الحدود. ورجح الأستاذ الشيخ محمد عبده ما ذهب إليه أحد المفسرين من أن الآيتين لا نسخ فيهما، وأن الآية الأولى في فاحشة السحاق، والثانية في فاحشة اللواط. قال: وحكمة حبس المساحقات هو أن المرأة تعتاد هذا الفعل، تأبى الرجال وتكره قربهم، أي فلا ترضى أن تكون حراً للنسل، فتعاقب بالإمسك في البيت والمنع من مخالطة أمثالها من النساء إلى أن تموت أو يجعل الله تعالى لها سبيلاً إلى الزواج. ويرى الأستاذ الإمام أن النساء لما كنَّ لا يجدن من العار في السحاق ما يجده الرجل في إتيان مثله، كانت فاحشة السحاق مظنة الشيوع والإظهار بين النساء، فجاء التعبير القرآني بصيغة الجمع: ﴿وَالَّذِي﴾ أما فاحشة اللواط فهي مظنة الإخفاء، حتى لا تكاد تتجاوز اللذين يأتياها، فجاء التعبير بصيغة المثني إشارة إلى ذلك، وتقريراً لكون فاحشة اللواط عاراً وقذراً يتبرأ منه كل ذي طبع سليم. ويجوز اختلاف التعبير بالجمع والتثنية من باب التنويع. وهذا معهود في الكلام البليغ مع الأمن من الاشتباه. والله أعلم. ١٧- ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: عنده، أو منه سبحانه، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل شيء غصي الله فيه فهو جهالة: كان عمداً أو غيره. ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾: قيل: على صحة قبل الموت. وقيل: قبل معاينة ملك الموت. وقيل قبل أن يغلبوا على أنفسهم بالغرغرة، فلا يعرفون الله، ولا يعقلون التوبة. ١٨- ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: بحيث يعلم أنه ميت لا محالة. ١٩- ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾: هو أن يعضل المرأة وليها، ويعنعا النكاح حتى تموت فريثها، أو ترد إليه صدقة مالها، أو صداقها، ﴿لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ﴾: أن يضر الرجل بامرأته وهو كاره لها حتى تفتدي منه: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَجْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ إلا أن تزني فله الإضرار بها لتفتدي منه بما أعطاها من صداقها. وفيه اختلاف. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾: صاحبوهن.

[١٩] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ روى البخاري وأبو داود، والنسائي عن ابن عباس قال: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوَّجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية» وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾. [١٦] ﴿تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦، ٦٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾. ﴿تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، أي: إن الله تعالى كان غفوراً للمذنبين إذا تابوا، رحيماً بهم، فلا يكلفهم ما لا يطيقون. [١٥] ﴿حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٥]. أي: ملك الموت، إذ توفي هو الموت، ولا يصح به المعنى بغير إضمار، إذ يصير المعنى: حتى يميتهن الموت. [١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٧]. أي: قبولها عليه، لا وجوبها، إذ وجوبها إنما هو على العبد، وتوبة الله رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة. [١٧] ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]. فإن قيل: لم يقدِّم بجهالة مع أن التوبة ممن عمل سوءاً بغير جهالة ثم تاب قبلت توبته؟ **الجواب:** المراد بالجهالة: الجهالة بقبح المعصية، وسوء عاقبتها، لا بكونها معصية وذماً، وكل عاصٍ جاهل بذلك حال معصيته، لأنه حال المعصية مسلوب كمال العلم بها، بسبب غلبة الهوى. يقول ابن القيم: الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل. ويقول: للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس. ما أبرز نتائج المعصية؟ **الجواب:** قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، وقسوة القلب، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، ومحقق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل. [١٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]. ليس المراد بالقرب مقابل البعيد، إذ حكمهما هنا واحد، بل المراد من قوله: ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾، من قبل معاينة سبب الموت، بقرينة قوله: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي﴾ [النساء: ١٨]. ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]. سؤى بين الفسق والكفر، تنفيراً من الفسق لصعوبة النزع منه بعد مواقفته. [١٦] ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَتَاوَهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا﴾ هنا، ﴿إِنْ هَذَا﴾ طه: ٦٣، ﴿هَذَا﴾ خصمان بالحج: ١٩، ﴿أَتَيْنِي هُنَّ - فَذَلِكَ﴾ كلاهما بالقصص: ٢٧، ٣٢، و﴿أَرَأَيْتَ الَّذِينَ﴾ بفصلت: ٢٩، قرئ: بتشديد النون في جميعها، وهذه الأسماء مبهمات مبنية للافتقار، فالتشديد في الموصول على جعل إحدى النونين عوضاً عن الياء المحذوفة التي كان ينبغي أن تبقى، وذلك أن "الذي" مثل "القاضي" تثبت ياءه في التثنية، فكان حق ياء "الذي"، والتي "كذلك"، ولكنهم حذفوها إما لأن هذه تثنية على غير قياس، وإما اكتفاءً بالصلة، ووجه تشديد (فذائك) أن إحدى النونين للتثنية، والأخرى خلف على (لام) ذلك، أو بدل منها. وقرئ: بالتخفيف على الأصل، فأجرى المبهم مجرى سائر الأسماء، فخفف النون كما تخفف في كل الأسماء وهو الاختيار، وعلى أصل كلام العرب وهو المستعمل، وعليه أكثر القراء. [١٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَجْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قوله تعالى: ﴿كَرِهًا﴾ هنا، والتوبة: ٥٣، والأحقاف: ١٥، قرئ: ﴿كَرِهًا﴾ بضم الكاف وفتحها وهما لغتان، وعن الفراء الفتح بمعنى: الإكراه، والضم "ما يفعله الإنسان كارهها من غير إكراه بفعل ما فيه مشقة". قوله تعالى: ﴿مُبَيَّنَةٍ﴾ هنا، والأحزاب: ٣٠، الطلاق: ١، و﴿مُبَيَّنَةٍ وَمَثَلًا﴾ و﴿مُبَيَّنَتِ وَاللَّهُ يَهْدِي﴾ بالنور: ٣٤، ٤٦، و﴿أَيَّتِ اللَّهُ مُبَيَّنَتِ﴾ بالطلاق: ١١، قرئ: ﴿مُبَيَّنَةٍ = [١٥] ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَجْشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** ذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، كما ذكر لفظ (البغي) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كل (٢٤) مرة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

= الأمانات إلى أهلها، وصفة المنافقين في امتناعهم عن قبول أوامر القرآن، والأمر بالقتال، ووجوب ردِّ السلام، والنهي عن موالاة المشركين، وتفصيل قتل العمد والخطأ، وفضل الهجرة، ووزر التأخيرين عنها، والإشارة إلى صلاة الخوف حال القتال، والنهي عن حماية الخائنين، وإيقاع الصلح بين الأزواج والزَّوجات، وإقامة =

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٢٥ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَنَاحَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٦ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٧

٢٤ - ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قيل: المحصنات بالزواج، غير السبايا. وكل امرأة محصنة لها زوج فهي محرمة، إلا الأمة هي حلال بالسبأ، لأنه يقطع العصمة كما قال بعض الفقهاء. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض المفسرين المراد بالمحصنات: العفاف، أي أن كل النساء حرام إلا ما تملكون عصمتهم بالنكاح، ورقبتهم بالشراء. ومعلوم أن عمر رضي الله عنه، حين فتحت في عهده الأمصار أوقف السبي، ومنع من الاسترقاق. ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: من ذكر تحريره قبل هذا. وقيل: ما عدا الزوجات الأربع وملك اليمين. ﴿مُحْصِنِينَ﴾: «الإحصان»: ضد السفاح؛ وهو الزنا. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ﴾: أي إذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء ولو مرة، فقد وجب إعطاء الأجر، وهو المهر كله. والمهر يسمى أجراً، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَطْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ آتَيْنَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. قيل: عني به نكاح المتعة، ثم حُرِّمَ ﴿تَرَضَيْتُمْ بِهِ﴾: من حظ الفريضة؛ وهو المهر الذي فرض. ٢٥ - ﴿طَوْلًا﴾: قيل: هو الفضل من المال والسعة. ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: الحرائر. ﴿فَنَيْتِكُمْ﴾: إمائكم المسلمات؛ يتزوج الرجل الأمة المسلمة إذا لم يستطع طولاً للحررة، وخشي العنت ﴿فَانْكِحُوهُنَّ﴾: فتزوجوهن ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: أربابهن ﴿وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: صداقهن ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ﴾: غير زوان. ﴿أَخْدَانٍ﴾: أخلاء ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾: تزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج ﴿نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: هو - هاهنا - الحد. ﴿الْعَنَتُ﴾: هاهنا: الزنا. وقيل: الضرر في دينه وبدنه، لأن أصل «العنت»: الضرر. ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾: عن نكاح الأمة. وهذا نذبة إلى الترك، وعلته ما يؤدي إليه نكاح الإماء من استرقاق الولد منهن. [٢٤] قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الآية. روى مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: «أصبنا سبايا من سبي أوطاس هن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن وهن أزواج، فسالنا النبي ﷺ فتزلت ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يقول: إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فزوجهن». قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن معمر بن سليمان عن أبيه قال: «زعم حضرمي أن رجلاً كانوا يفرضون المهر، ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فتزلت: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾».

[٢٥، ٢٤] ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤]، ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]. الآية الأولى في سورة النساء تتحدث عن الحرائر المسلمات، والآية الثانية تتحدث عن الإماء، وآية المائدة تتحدث عن الكتائيات، فذكر التحذير من اتخاذ الأخدان في حال الإماء والكتائيات، ولم يذكرها في حال الحرائر المسلمات، تنبيهاً على أنهن إلى العفة أقرب، ومن الخيانة والرذيلة أبعد، ولأنهن لا يشبهن الإماء والكتائيات في اتخاذ الأخدان، والأخذان هم الأخلاء الذين يزنون بهن سراً. [٢٥] ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]. آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنث الإحصان، وآية المائدة في من يحلل للرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال أيضاً تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما. = الانحراف، وهو نصف الدين كما أنه استقرار لك... ١٧ - تلبية الرغبة الطبيعية المستقرة في الرجل والمرأة التي جعلها الله لكامل الحياة البشرية... [٢٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَكِبَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ما الفرق بين: "ينكح ويستنكح"؟ الجواب: وردت كلمة (ينكح) أربع عشرة مرة، بينما وردت كلمة (يستنكح) مرة واحدة. قال الزمخشري: (استنكاحها: طلب نكاحها والرغبة فيه). وثمة فرق آخر بين الفعلين، وهو أن الاستنكاح في الآية التي ورد فيها يدل على شيئين: ١ - تأكيد الرغبة في النكاح، كأن الأحرف الزائدة في الفعل (يستنكح) جاءت لزيادة معنى، وللتأكيد الذي لا يحمله فعل (ينكح). ٢ - الدلالة على معنى القبول؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَكِبَهَا خَالِصَةً﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فكلما (إن أراد) تحمل معنى الاحتمالية، لا للتأكيد على الإرادة والرغبة، وكذلك لا تقوى كثيراً هذه الاحتمالية إن أضيف إليها الفعل (ينكح)، ولكن حينما أضيف إليها الفعل (يستنكح) كان المعنى قوياً، وحل السياق معنى القبول، خاصة أن ذلك سبق بقوله تعالى: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ومعلوم أن الهبة إما أن تقبل وإما أن تُرد، ولكي يكون المعنى قوياً في القبول، جاء الفعل (يستنكح) الذي يحمل معنى الإرادة والرغبة وكذلك القبول من جهة النبي ﷺ. [٢٥] ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَنَاحَةٍ فَعَلَيْهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥]. ما دلالة استعمال "إذا" و"إن" في هذه الآية وفي القرآن كله؟ الجواب: أن "إذا" في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله وللكتير الحصول، كما في الآية السابقة، فـ"إذا" جاءت مع ﴿أُحْصِنَ﴾ وهذا الأكثر، أمّا "إن" فجاءت مع اللواتي يأتيان بفاحشة وهن قطعاً أقل من المحصنات، ولو جاءت "إذا" و"إن" في الآية = [٢٤] ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ قرئ: بضم الهمزة وكسر الحاء مبنياً للمفعول عطفاً على (حرمت) ليتطابق أول الكلام مع آخره. وقرئ: (أُحِلَّ) بفتح الهمزة والحاء بالبناء للفاعل عطفاً على الفعل الناصب لكتاب؛ فقد بُنِيَ الفعل للفاعل، وعطفه على ما قبله مما أضيف الفعل فيه إلى الله جل ذكره في قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كتب الله ذلك عليكم وأحل لكم. [٢٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ... وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمُحْصَنَاتِ - مُحْصَنَاتٍ﴾ معرّفاً ومُنْكَراً حيث جاء، قرئ: (محصنات - محصنين) بكسر الصاد لأنهن يحصن أنفسهن بالعفاف أو فروجهن بالحفظ. وقرئ: (محصنات - محصنين) بالفتح فيهما، أسند الإحصان إلى غيرهن من زوج أو ولي أو إلى الله تعالى. قوله تعالى: ﴿أُحْصِنَ﴾ قرئ: (أُحْصِنَ) بفتح الهمزة والصاد مبنياً للفاعل، أي: أحصن فروجهن وأزواجهن. وقرئ: (أُحْصِنَ) بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول على أن المحصنات لهن الزوج أو أولياء الأمور، وقمن مقام الفاعل وهن الإماء، فإذا أحصنهن الأزواج بالتزويج أو أحصنهن الأولياء بالنكاح، فزنین فعليهن نصف ما على الحرائر من المسلمات اللاتي لم يتزوجن من الحد، وهو خمسون جلدة.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقْتُ لِحَدِّ قَتْنَتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي خَافُونَ نَشُورَهُمْ فَعُظُّوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ٣٤ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ٣٥ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ٣٧

٣٤- ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يقومون على رعايتهن، كما يفعل الحكام والأمراء مع الرعية. ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾: الرجال على النساء؛ من سوق المهر، والنفقة، وكفاية المؤونة ﴿فَأَلْصَقْتُ لِحَدِّ قَتْنَتُ﴾: المستقيمات العاملات بالخير ﴿قَتْنَتُ﴾: مطيعات الله تعالى. قائمات بما يجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن. ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾: للأزواج ﴿لِلْغَيْبِ﴾: في مالها ونفسها. ﴿نَشُورَهُمْ﴾: استعلاءهن عما أوجب الله عليهن لأزواجهن؛ من الحقوق. وأصل «النشور»: الارتفاع، ولذلك قيل: للمكان المرتفع: «نشز» وقيل: إنه -ها هنا-: البغض والخلاف للزوج. ﴿فَعُظُّوهُمْ﴾: باللسان، ومروهم بتقوى الله في ذلك ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ فِي﴾: أعم من الجماع. فإذا لم يجد أو ينفع الهجر في الفراش بعد الوعظ. ﴿وَأَضْرِبُوهُمْ﴾: ضرباً غير مبرح؛ وسئل ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما عن الضرب غير المبرح، فقال: بالسواك ونحوه، ﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ﴾: فيما أمرهن الله من حقوقكم ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾: تطلبوا ﴿عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: تعلة. قيل: هو التعنيت والتعسف بقول أو فعل. ٣٥- ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: مشاققة كل واحد منهما صاحبه، وهو إثيان ما يشق عليه. ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾: قيل: هما الحكمان إذا نصحا للرجل والمرأة جميعاً. ﴿يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: قيل: هما الحكمان يوفقهما الله. ٣٦- ﴿وَالْيَتَامَى إِحْسَانًا﴾: برأ ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: الذي له منك قرابة في نسه مع جواره. ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه، من قوم جنب، واختلف في ذلك. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾: قيل: الرفيق في السفر. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر المجتاز. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من كان في رقكم. ﴿مُخْتَالًا﴾: ذا خيلاء. ﴿فَخُورًا﴾: مفتخراً بما أنعم الله عليه، وبسط له من رزقه، وهو كفور لربه غير شاكراً. ٣٧- ﴿يَبْخُلُونَ﴾: بأموالهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: يعني إخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم، بالبخل بالأموال. [٣٤] قوله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ «القصاص»، فأنزل الله ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص» وأخرج ابن جرير عن طرق عن الحسن، وفي بعضها: «أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فزلت ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾» ونزلت ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. [٣٧] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: «كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ الآية». وأخرج ابن جرير، من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد، عن ابن عباس قال: «كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، ومجرب بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن النابوت، يأتون رجلاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾». [٣٦] ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]. ما فائدة العدول عن قوله: «يُبْغِضُ»، إلى قوله: «لَا يُحِبُّ» مع أنه لا يلزم من نفى المحبة: البغض؟ وما فائدة تخصيص كل آية بما ذكر فيها؟ **الجواب:** أن البغض صفة مكروهة للنفوس، فلم يحسن نسبته إلى الله تعالى لفظاً، وأيضاً فلأن حال العبد مع الله تعالى إما طاعته أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تعين ضدها، فعبر بما هو أحسن لفظاً، وأما ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فإنها نزلت في ثقيف وقريش، لما أصرروا على الربا وعارضوا حكم الله تعالى بقولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهم كفار بالدين، أثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه، وأما آية النساء الأولى: فجاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وبعد قوله: ﴿وَالْيَتَامَى إِحْسَانًا﴾، والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما، وذلك ينافي الاختيال والعجب والتفاخر، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى...﴾، وكذلك جاء في لقمان بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، وفي الحديد بعد قوله تعالى: ﴿وَتَفَاخَرُ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠]، وأما آية النساء الثانية: فنزلت قي طعمة بن أبيرق لما سرق درع قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه وحلف عليه ورمى به اليهود ثم ارتد ولحق بمكة، فناسب: ﴿خَوَّانًا﴾، وأيضاً فلتقدم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧].

٣٧ ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [النساء: ٣٧]، ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]. الآيتان تتحدثان عن الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم، وآية النساء تبين أنهم يجحدون نعم الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه، وأعدنا للجاحدين عذاباً مخزياً، وأما آية الحديد فتبين أنه من يتول عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه.

٣٤ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقْتُ لِحَدِّ قَتْنَتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي خَافُونَ نَشُورَهُمْ فَعُظُّوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ٣٤ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ٣٥ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ٣٧﴾

٣٨- ﴿قَرِينًا﴾: صاحباً وخليلاً، يتبع أمره ويخالف ربه. ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾: نظير: بشس قريباً، و«القرين»: من الاقتران والاصطحاب. ٤٠- ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: قدر ثقل ذرة في الوزن. و«الذرة»: الصغار من النمل. ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: قيل: الجنة. ٤١- ﴿وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ﴾: إن الله تعالى يأتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، وقيل: بمن يشهد على كل أمة بتصديقها، أو تكذيبها. ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: الإشارة إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار. ٤٢- ﴿يُودُّ﴾: يتمنى ﴿لَوْ سُئِيَ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾: بمعنى: لو سؤاهم الله والأرض، فصاروا تراباً مثلها، كما يفعل بالبهائم ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: ليس ينكتن عنه شيء من حديثهم لعلمه سبحانه بجميع أعمالهم. وقال بعضهم: الكلام معطوف، والمعني: يودون أن الأرض سُويت بهم، وأنهم لم يكتموا الله حديثاً؛ لأنه ظهر كذبهم. ٤٣- ﴿جُنُبًا﴾: غير طاهرين من الجنابة؛ و«رجل جنب»، لأنه بعيد من الطهارة. ﴿لَا عَابِرَ سَبِيلٍ﴾: مجتازي طريق. ﴿مِنَ الْعَاطِطِ﴾: من قضاء الحاجة. وأصل «الغائط»: ما انخفض من الأرض. وكانت العرب تقصد بقضاء الحاجة هذا الصنف من المواضع، فكنتي بها عن الحدث. ﴿لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: كناية عن الجماع. ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: «تيمموا»: تعمدوا. والتيمم للصلاة عند عدم الماء: أن يمسح جميع الوجه، واليدين إلى المرفقين. «صعيداً»: أرضاً ليس فيها نبات ولا شجر، «طيباً» قيل: حلال. وقيل: أطيب ما حولك. وقيل: يتيمم لكل صلاة. وقيل: يصلي الصلوات بتيمم واحد ما لم يحدث. والاختلاف في هذا كثير. ٤٤- ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: أعطوا حظاً من كتاب الله. والمراد اليهود، أوتوا نصيباً من التوراة. [٤٣] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا﴾ الآية. روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، عن علي قال: «صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة، فقدّموني فقرأت «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون» فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. [٤٤] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا السَّبِيلَ﴾

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ سَأَلْتُمُ النَّاسَ لَوْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا السَّبِيلَ

عن ابن عباس قال: «كان رفاعة بن زيد بن ثابت من عظماء اليهود، وإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام دعابة، فأنزل الله فيه: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ﴾. [٤٧] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أخرجه ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء أحرار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسيد، فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنًا نَّزْلًا﴾ الآية. [٣٨] ﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عدا [النساء: ٣٨، التوبة: ٢٩] ﴿يَاللَّهُ وَلَا يَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. قوله تعالى: ﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الوحيدة في القرآن بالبقرة التي تكرر فيها العامل «الباء»، مع حرف العطف «و»، ولا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفياً للريبة وإبعاداً للتهمة، فكانوا في ذلك كما قيل: «يكاد المريب يقول خذوني»، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ثم جاءت مع النفي في موضعي النساء والتوبة، وواضح فيهما معنى التوكيد. [٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ...﴾ [يونس: ٤٤]. إن الله تعالى لا ينقص أحداً من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويتفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثواباً كبيراً هو الجنة، فهذا ما دلت عليه آية النساء، وأما آية يونس فتبين أن الله لا يظلم الناس شيئاً بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أوامر الله تعالى. [٤١] ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩]. آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فتقدم اسم الشاهد على المشهود عليه، فورد على ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته ﷺ على أمته مرتباً على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب، فقيل: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾، متوازناً مع قوله: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾، والله أعلم، وأما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٣٨]، وذلك من صفة المنافقين، ناسب هذا تقديم المجرور في قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. [٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ قرئ: (حسنة) برفعها على أن (كان) تامة، والتقدير: وإن حدث أو وقع حسنة يضاعفها. وقرئ: (حسنة) بالنصب خبر (كان) الناقصة، واسمها يعود على (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) والتقدير: وإن تك مثقال ذرة حسنة يضاعفها. [٤٢] ﴿يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ سَأَلْتُمُ النَّاسَ لَوْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ قوله تعالى: ﴿سُئِيَ﴾ قرئ: (تسوى) بضم التاء على البناء للمفعول. وقرئ: (تسوى) بفتح التاء مع تشديد السين على بناء الفعل للفاعل، والأرض فاعل، وأصله: تسوى، أدغمت التاء في السين. وقرئ: (تسوى) بفتح التاء وتخفيف السين، على البناء للفاعل وحذف إحدى التائين تخفيفاً. [٤٢] ﴿يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ سَأَلْتُمُ النَّاسَ لَوْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إيلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إيل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجد أنها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٥٥﴾
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِلِسَانِهِمْ
 وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
 عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونََ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
 ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ
 وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٥٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْضُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبَ
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٦١﴾

٤٦- ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: وهم اليهود الذين كانوا حوالى مهاجر النبي ﷺ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يبدلون معناه، ويغيرونه عن تأويله. ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾: كانوا يقولون: سمعنا، ونحن لا نطيعك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾: كقول القائل للرجل يسبه: «اسمع لا سمعت ولا أسمعك الله». كانت اليهود تقول له لرسول الله ﷺ، يضمرون فيه الشتم والاستهزاء. ﴿وَرَاعِنَا﴾: سمعك. وكانوا يريدون به في نفوسهم معنى الرعونة. ﴿لِيًّا﴾: تحريكا منهم بالسنتهم؛ بتحريف منهم لمعناه، فكانوا في الظاهر يعظمونه، ويريدون في الباطن الدعاء عليه. ٤٧- ﴿نَطْمِسَ﴾: أصل «الطمس»: العفو والدثور في استواء منه؛ يقال: طمست أعلام الطريق؛ إذا دثرت فاندفنت واستوت بالأرض. وقيل: إن معنى: ﴿أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾: أن نمحو آثارها؛ أي: نذهب بتخطيطها حتى تصير على هيئة القفا، وقيل: أن نردها من قبل أفقائها، فترد بعد الطمس إلى موضع القفا، ويرد القفا إلى مواضعها. والسياق يرجح هذا المعنى. واختلف في ذلك. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: اللعن هنا: المسخ، أي نجعلهم قردة، كما فعل عز وجل بأصحاب السبت. ٤٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: لا يغفر الله الشرك والكفر به ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾: من الذنوب والآثام. ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أن يغفر له من عباده المؤمنين. ٤٩- ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: اليهود كانت تقول: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾ [المائدة: ١٨] واختلف في ذلك. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يبخسون ﴿فَتِيلًا﴾: «الفتيل»: ما خرج بين الأصبعين إذا قتلتهما إحداهما على الأخرى! وقيل: هو الذي في شق النواة، وذلك كناية عن الشيء الحقيق. ٥١- ﴿بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ﴾: قيل «الجبت»: السحر، و«الطاغوت»: الشيطان. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كان كعب بن الأشرف اليهودي يقول لمشركي قريش: أنتم أهدى من محمد وأصحابه ديناً!

[٤٩] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، يزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾» [٥١-٥٤] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ الآيات. أخرج أحمد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش، ألا ترى هذا المنصر المنبر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة؟ وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم ﴿إِنَّ شَرَّ النَّاسِ﴾ هُوَ الْأَبْتَرُ» ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبنو قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وأبو رافع، والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمار، وهودة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش، قالوا: هؤلاء أبحار يهود وأهل العلم بالكتب الأولى، فأسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، ومن اتبعه، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: «قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، وليس همه إلا النكاح، فأى ملك أفضل من هذا؟ فأنزل الله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ الآية». وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه. [٤٣] ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]. زاد في آية المائدة ﴿مِنْهُ﴾، لأنها ذكرت جميع أحكام الوضوء والتميم فناسب الإثبات والبيان، وآية النساء ذكرت بعض أحكام الوضوء والتميم فحسن الحذف. [٤٣] ﴿عَفْوًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣، ٤٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾. قوله تعالى: ﴿عَفْوًا غَفُورًا﴾ بالنساء، أي: أن الله تعالى كان عفواً عنكم، غفورا لكم، وأما ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: أن الله كان حلِيمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه. [٤٧] ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: ٤٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ﴾. قوله تعالى: ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ﴾، نداء أهل الكتاب بهذه الصيغة الوحيدة في القرآن، وفي غيرها في مواضع عديدة ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ﴾؛ لأن الله تعالى استخف بهم في هذه الآية وبالعطف، ثم ختم بالطمس ورد الوجوه على الأدبار ثم لعنهم. [٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. الآية الأولى نزلت في اليهود وتحريفهم الكلم افتراء على الله، فناسب ختم الآية بذكر الافتراء العظيم، والآية الثانية تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١١٣]، فناسب ختمها بذكر الضلال البعيد، ولأنها في العرب وعباد الأصنام بغير كتاب، وبعد ذكر طعمة بن أبريق وارتداده، فهم في ضلال بعيد عن الحق والكتب المنزلة. قول آخر: أنه لما وقع قبل الآية الكريمة ذكر أهل الكتاب وذكر اعتدائهم وتحريفهم من لدن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ أَصْلَابَهُ وَيُرِيدُونَ أَنْ قَتِلُوا النَّبِيَّ﴾ [النساء: ٤٤]، ثم قال بعد هذا: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وهذا إفصاح بكذبهم وافتراءهم، ثم أتبع ما ذكر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ناسب ما تقدم من أوصاف الشرك الافتراء الذي هو أخص صفات من كذب من أهل الكتاب، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ولما لم يتقدم مثل ذلك في الآية الأخرى، إنما تقدم قبلها قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ...﴾ [النساء: ١١٥]، وقبلها ما يخص منافقي أيام نبينا عليه السلام من لدن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، ثم قال: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]، فلم يقع في هذه الآية ذكر تحريف ولا افتراء، إنما ذكر منافقي أيامه عليه السلام بنفاقهم وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء، فناسب ذلك ما بني عليه من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كما ناسب قوله في الأولى: ﴿أَفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ما تقدمه وبني عليه، وجاء كل على ما يجب، ولو أعقبت الأولى بما أعقبت به الثانية، والثانية بما أعقبت به الأولى لما ناسب.

[٤٣] ﴿أَوَلَمْ نَسْأَلِ النَّسَاءَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَمْ نَسْأَلْ﴾ هنا، والمائدة: ٦، قرئ: ﴿لَمْ نَسْأَلْ﴾ بمعنى (لمستم) بغير ألف وبالف، ومعنى (لمستم) أي: مستستم بشرة النساء بشرككم، وقيل: جامعتموهن، وقيل: لمس جامع، ولا مس لما دون الجماع، وقال البيضاوي: واستعماله، أي: لامستم كناية عن الجماع أقل من الملامسة.

٥٢- ﴿لَعَنَهُمْ﴾: أخزاهم وأبعدهم. ٥٣- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾: فلو كان لهم نصيب منه لم يؤتوا ﴿النَّاسَ نَقِيرًا﴾: من بخلهم. و«النقير»: الحبة التي تكون في وسط النواة، وهذا الشيء يضرب مثلاً كسابقه. ٥٤- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾: قيل: «الناس»- هاهنا-: محمد ﷺ خاصة. وقيل: العرب. ﴿عَلَىٰ مَاءٍ أَنْتَهُمْ﴾: أعطاهم ﷺ من فضله. ﷺ: النبوة. ﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾: قيل: هو النبوة. وقيل: ملك سليمان عليه السلام. ٥٦- ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾: انشوت، واحترقت. ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: ليجدوا ألم العذاب، ويستديموه. ٥٧- ﴿ظِلًّا ظِلِيلًا﴾: كئنا كئيئًا، يسترهم من الحر والسموم ونحو ذلك. وقيل: هو ظل الأشجار والقصور. ٥٨- ﴿أَن تَوَدُّوا أَلَّا مَنَّتْ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: قيل: عنى بذلك: السلاطين أن يؤدوا الأمانة إلى المسلمين في فيثهم وصدقاتهم التي استؤمنوا على جمعها وتفريقها؛ بأن يقسموه بالحق، ويحكموا بالعدل. -والآية عامة- ولم يُرخص للمعسر ولا للموسر في إمساكها. ﴿نِعْمًا يَعْظُرُ﴾ يعني: يا معشر ولادة أمور المسلمين إن الله يعظكم نعمة العظة ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: بما يفعلون في ذلك. ٥٩- ﴿وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: أن يطاع أمره في حياته وسنته بعده ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ﴾: كل من له ولاية شرعية - لا طاغوتية - من الحكام والولاة والقضاة ونحوهم. والمراد: طاعتهم فيما يأمرهم به وينهون عنه، ما لم تكن معصية. ﴿فَإِن نَّزَعْنَهُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ﴾: من أمر دينكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾: فارتادوه؛ أي: ايجثوا عنه، في كتاب الله عز وجل وعند الرسول إن كان حياً، وفي سنته إن كان ميتاً. ﴿وَاحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: عاقبة. [٥٦] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٥٦] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضره، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته متقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٥٦] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتلاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا؟. [٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ أخرج ابن مردويه عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ: «هات المفتاح يا عثمان» فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة، فأعطاه المفتاح ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَوَدُّوا أَلَّا مَنَّتْ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ حتى فرغ من الآية. [٥٩] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية» كذا أخرجه مختصراً وقال الداودي: «هذا وهم - يعني الافتراء على ابن عباس - فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش، فغضب فأوقد ناراً وقال: اقتحموا. فامتنع بعض، وهم بعض أن يفعل؛ قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره؟ وإن كانت نزلت بعده فإنما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لِمَ لَمْ تطيعوه» وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود في قصته: «فإن تنازعتم في شئ، فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فراراً من النار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول» وقد أخرج ابن جرير أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً، فأجار عمار رجلاً بغير أمره، فتخاصما، فنزلت. [٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَدْخَلُوهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. الآيتان تحدثان عن الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى، والتصديق برسالة رسوله محمد ﷺ، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، والآية الأولى تبين أن لهم فيها أزواجاً طهرها الله من كل أذى، ويدخلهم ظللاً كثيفاً ممتداً في الجنة، وأمّا الآية الثانية فتوضح أن هذا وعدٌ من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعد. [٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَاءٍ أَنْتَهُمْ سَائِدُونَ﴾: إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيسة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرب) و(الخيسة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلُّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [٥٤] ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾: إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتزليل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله =

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يَأْتُونُ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَاءٍ أَنْتَهُمْ سَائِدُونَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَعْتَهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نُصْلِي جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْ لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَدْخَلُوهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَوَدُّوا أَلَّا مَنَّتْ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذْ أَحْكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَاحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْكَ وَمَا نَزَّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَ وَكَفَّ يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٦٠ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: هم المنافقون ﴿أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ﴾: قيل: هو الكاهن - هاهنا - . وكانت خصومة بين منافق ويهودي، فكان المنافق يدعو إلى حكم اليهود لعلمه أنهم يقبلون الرشوة ويحكمون له بغير الحق.. وكان اليهودي محققاً، وكان يدعو إلى حكم الإسلام؛ لعلمه أنه يقضي له بالحق. ٦١ - ﴿يَصُدُّونَ﴾: يعرضون ويأبون من المصير إليك لتحكم بينهم. ٦٢ - ﴿أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: نزلت بهم نقمة من الله ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾: في الذي كانوا يدعون إليه من التحاكم إلى اليهود. ٦٣ - ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم. وقيل: عن قبول اعتذارهم بالصفح. ﴿وَعِظْهُمْ﴾: خوفهم بالله ونقمته ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾: شافياً. قيل: هو الردع والزجر بالبلاغة من القول. وقيل: هو التوعد بالقتل إن استداموا حالة النفاق. وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم. ٦٤ - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾: قسم جليل من الله تعالى، فيه إعظام لشأن النبي ﷺ. ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: اختلط من أمورهم. وتشاجر القوم، إذا اختلوا في الكلام. ﴿حَرَجًا﴾: ضيقاً وكرهية ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾: لحكمك تسليماً؛ أي: يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً. فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم، ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه، ويسلم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد، ولا تشوبه مخالفة. [٥٨] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء. وسمّعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمّعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمّعه الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٥٨] معنى اسم الله البصير: البصير هو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقّتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيّر العقول في عظمتها، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمتها، ولطفها، وخبرته بالغيب والشهادة، والحاضر والغائب، يرى خائئات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحرركات الجنان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، أي مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات. [٦٤] معنى اسم الله التواب: التوّاب هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحاً، تاب الله تعالى عليه. فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم. = [٦٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رجل كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان الجلّاس بن الصامت، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر، يدعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الكهان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية. [٦٥] قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك»، فقال الأنصاري يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجهه ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار، ثم أرسل الماء إلى جارك»، واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. [٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]. آية النساء تتحدث عن المنافقين، وأنهم إذا نُصِّحُوا، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول وهدى، أبصرت الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، يعرضون عنك إعراضاً، وأمّا آية المائدة فتتحدث عن المشركين المحرّمين ما أحل الله، وأنهم إذا قيل لهم: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ﷺ ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفيما ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل، أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً أي: لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه؟ فكيف يتبعونهم، والحالة هذه؟ فإنه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً. [٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ [إبراهيم: ٤]. وما بعثنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك أيها الرسول في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله تواباً رحيماً، وهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية إبراهيم: وما أرسلنا من رسول قبلك أيها النبي إلا بلغة قومه؛ ليوضح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وفق الحكمة. = عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل. [٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَنَّا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَبِيعَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]. مركز الإحساس: أثبت العلم الحديث أن الجسيمات الحسية المختصة بالألم والحرارة تكون موجودة في طبقة الجلد وحدها، ومع أن الجلد سيحترق مع ما تحته من العضلات وغيرها، إلا أن القرآن لم يذكرها؛ لأن الشعور بالألم تختص به طبقة الجلد وحدها. فمن أخبر محمداً بهذه المعلومة الطيبة؟ أليس الله؟؟ [٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان) بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاته)، وكل ورد (٢٥) مرة في القرآن الكريم.

وَمَا كُنَّا لَنَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ لَدُنْهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٧٥- ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: من كان باقياً بمكة بين المشركين ممن غلبتهم عشائهم، وحالوا بينهم وبين الهجرة. ﴿الْقَرْيَةِ﴾: كل مدينة تسمى قرية عند العرب، والمراد بها هنا مكة حين كانت للمشركين. ٧٦- ﴿الطَّاغُوتِ﴾: الشيطان والكهان والأصنام. ويراد به هنا: الشيطان، لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾: وكيد الشيطان: مكره ومكر من اتبعه من الكفار. ٧٧- ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾: قيل: هم قوم من المسلمين أمروا بالصلاة والزكاة والكف قبل أن يؤمروا بالجهاد؛ فلما أمروا به شق عليهم، وخافوا الناس، لما كانوا يرون من قلة عددهم وطاقتهم. ٧٨- ﴿فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾: قيل: حصون منيعة. وقيل: قصور محصنة. ﴿حَسَنَةٌ﴾: غنيمة وظفر. ﴿سَيِّئَةٌ﴾: هزيمة وشدة. ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾: كانوا يقولون: أساء التدبير والنظر. ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: الرخاء والشدة. ﴿فَالْهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾: يعني: ما شأن هؤلاء لا يفهمون ولا يعلمون أن الأمور كلها بيد الله. ٧٩- ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾: من شدة ومشقة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾: بذنبك الذي اكتسبته. وجاء عن النبي ﷺ: «لا يصيب للرجل خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر». أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. [٧٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرْتَبِي جميع عباد، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٧٧] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية. أخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة قال: إنني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية. [٧٧] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]. آية البقرة تتحدث عن بني إسرائيل عندما أعطوا العهد لنبيهم، ولكن عندما كتب عليهم القتال تولوا كعهد بني إسرائيل دائماً في نقض المواثيق، أما آية النساء فالحديث فيها عن المسلمين في عهد رسول الله ﷺ الذين كانوا يستعجلون الجهاد، ولم يكن قد أذن الله لهم بالقتال، وقيل لهم: كفوا أيديكم، فلما كتب عليهم القتال لم يتولوا كعبي إسرائيل، ولكن فريقاً منهم تغير حالهم وأصبحوا يخافون الناس ويخشونهم وقالوا: ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، فطلبوا تأجيل الجهاد. = ٥- بركة المجالس والخير الذي يعم: (فتقول الملائكة: يا رب! إن فيهم فلاناً ليس منهم، إنما جاء لحاجة، فيقول الله للملائكة: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) لا يحرم من الفضل وإن جاء لحاجة، ما دام جلس مع الأخيار فلا بد أن يناله نصيب. قومٌ يذكرون الله فيناديهم المناادي من السماء: (قوموا مغفوراً لكم) فما أعظم النعمة بالجلوس معهم إذا كانوا سيقومون وقد غُفِرَ لهم؟! ٦- جلساء الخير يعرفونك على إخوان الخير فتزداد المعرفة؛ فصاحب الخير يدلك على صاحب الخير، وهكذا تزيد الاستفادة. ٧- التشبه بهم ثمرة من ثمرات مصاحبتهم: وإذا كانوا على خير صرت على خير. ٨- يحفظون الوقت والعمر من الإهدار. ٩- ذكر الله تعالى: قال عليه الصلاة والسلام: (أولياء الله تعالى الذين إذا رُؤُوا ذكر الله عز وجل) «أخرجه السيوطي، وصححه الألباني». ١٠- هم الزينة في الرخاء، والعدة في البلاء. ١١- وخير معين على تخفيف الهموم والغموم. ١٢- وكذلك فإن من أعظم النعم بمصاحبة الصالحين إن أحسن الاختيار: تعلم العلم الشرعي. ١٣- الإقبال على الدين. ١٤- تكميل الشخصية. ١٥- العون على العبادة. ١٦- الحماس للطاعة. ١٧- النصرة في الحق. ١٨- الإعانة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ١٩- السمو فوق عالم المادة. ٢٠- النجاة من اليأس. ٢١- الرأي السديد. ٢٢- التخلص من العادات السيئة. ٢٣- البركة: كما قال النبي ﷺ: (البركة في ثلاث: الجماعات، والثريد، والسحور) «رواه البيهقي وصححه الألباني». [٧٤] ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فضل الجهاد في سبيل الله: ١- المجاهدون يرجون رحمة الله. ٢- ثمن الجهاد دخول الجنة. ٣- الجهاد اختبار وامتحان لقوة إيمان المؤمنين. ٤- فيه تمحيص للناس. ٥- في الجهاد بيان لمعرفة الصابرين من غيرهم. ٦- شتان بين المجاهدين في سبيل الله تعالى والقاعدين. ٧- الجهاد في سبيل الله سيبل الفلاح في الدارين. ٨- المجاهدون في سبيل الله أولياء بعضهم لبعض. ٩- الله تعالى يحب المجاهدين في سبيل الله ويحبونه. ١٠- الجهاد في سبيل الله ينفي عن المؤمن النفاق. ١١- من جاهد في سبيل الله كان من المؤمنين الصادقين. ١٢- في الجهاد في سبيل الله زيادة إيمان المؤمنين ويقينهم بالله. ١٣- في الجهاد في سبيل الله إغاظة للكفار. ١٤- لا يستوي الجهاد في سبيل الله وغيره أبداً. ١٥- في الجهاد في سبيل الله سعادة الدارين. ١٦- مغفرة ذنوب المجاهدين. ١٧- من جاهد فلنفسه. ١٨- من جاهد في سبيل الله هدي للحق. ١٩- الجهاد في سبيل الله هو التجارة الرباحة. ٢٠- في القتال في سبيل الله خير كثير. ٢١- لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ. ٢٢- إظهار آيات الله في القتال بين المؤمنين والكافرين. ٢٣- في قتالنا لأهل الكتاب سنتصر عليهم بإذن الله. ٢٤- من قاتل في سبيل الله فهو من الأخيار والأبرار. ٢٥- من قتل في سبيل الله فهو حي. ٢٦- شراء الحياة الدنيا بالآخرة. [٧٦] ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف، وفي قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، وصف كيد النساء بالعظم، مع أن كيد الشيطان أعظم؟ الجواب: المراد أن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى نصرته الله وأوليائه، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال. [٧٩] ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ لَدُنْهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]. العبد لا يطمئن إلى نفسه فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس وذمهم، ولكن يرجع إلى الذنوب فيتوب منها، ويستعذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له الخير ويدفع عنه الشر، ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿أَعِزَّنَا لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة ٦-٧]﴾. [٧٧] ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قرئ: (بظلمون) بالغيب لمناسبة صدر الآية. وقرئ: (تظلمون) بتاء الخطاب، لمناسبة قوله: ﴿رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ﴾. وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو ضرب من ضروب البلاغة العربية.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفْ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِصْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحْوِهِ فَاحْسِنُوا إِلَى الَّذِينَ يَدْعُونَكُم بِمَا نَزَلَتْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَرَحَّمُونَ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِالنِّسْبَةِ فَالْحِسَابُ عَلَى الَّذِينَ يُنَادُونَكَ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨٦﴾

تقول: حاسبت فلاناً على كذا وكذا، وهو حسبيه: إذا كان، صاحب حسابه. [٨٥] معنى اسم الله المقيت: فهو سبحانه الذي أوصل إلى كل الموجودات ما به تقنات، وأوصل إليها أرزاقها وصرّفها كيف يشاء، بحكمته وحده. قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: ((القوت ما يمسك الرّمق، وجمعه: أقوات، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، وقاته يقوته قوتاً: أطعمه قوته. وأقاته يقيته جعل له ما يقوته، وفي الحديث: ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت))، أخرجه أبو داود وغيره، وحسنه الألباني. «صحيح الجامع»، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، قيل: مقتدراً، وقيل: شاهداً. وحقيقته قائماً عليه يحفظه ويقيته... وقال في القاموس المحيط: ((المُقيتُ: الحافظ للشيء، والشاهد له، والمقتدر، كالذي يعطي كل أحد قوته))، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: مقتدراً، أو مجازياً، وقال قتادة: حافظاً، وقيل: معناه على كل حيوان مُقيتاً: أي يوصل القوت إليه، وقال ابن كثير: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، أي حفيظاً، وقال مجاهد: شهيداً، وفي رواية عنه: حسيباً، وقيل: قديراً، وقيل: المقيت: الرازق، وقيل: مقيت لكل إنسان بقدر عمله. [٨٦] معنى اسم الله الحسيب: والحسيب: ١- هو الكافي للعباد جميع ما أهمتهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضار. ٢- والحسيب بالمعنى الأخص هو الكافي لعبده المتقي المتوكل عليه كفاية خاصة يصلح بها دينه ودنياه. ٣- والحسيب أيضاً هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿يَكُنْ لَهُمُ الْوَسِيْلَةُ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي كافيك وكافي أتباعك. فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، وقيامه بعبودية الله تعالى.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ الآية. روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾. فقلت أنا استنبطت ذلك الأمر.

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] ، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية محمد: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ القرآن ويتفكرون في حججه؟ بل هذه القلوب مغلقة لا يصل إليها شيء من هذا القرآن، فلا تدبر مواعظ الله وعبره. [٨٣] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ٨٣] ، ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكُمْ﴾ [النساء : ١١٣] . الآية الأولى تخاطب المؤمنين بمنة الله عليهم فلم يتبعوا الشيطان كالمنافقين الذين إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، بل جعلهم يردون الأمر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، والآية الثانية تخاطب رسول الله ﷺ بمنة الله عليه بأن بين له وجه الحق في شأن الطائفة التي دافعت وخاصمت عمن ارتكب خطيئة ورمى بها شخصاً بريئاً. [٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

أنواع هجر القرآن: ١- هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. ٢- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه. ٣- هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه. ٤- هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. ٥- هجر الاستشفاء والتداوي به. [٨٢] ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] . يدل بمفهومه على أنّ في القرآن اختلافاً قليلاً، وإلا لما كان للتقيد بوصف الكثرة فائدة، مع أنه لا اختلاف فيه أصلاً؛ إذ المراد بالاختلاف فيه التناقض في معانيه، والتباين في نظمه. وأجيب بأن التقيد بالكثرة للمبالغة في إثبات الملازمة، أي: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن القليل، لكنه من عند الله سبحانه وتعالى، فليس فيه اختلاف كثير ولا قليل. [٨٨] ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي النِّفَاقِ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ [النساء : ٨٨] .

تعريف المنافق: هو الذي يظهر غير ما يبطن. فإن كان الذي يخفيه الكفر بالله وكتابه ورسوله، وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام، وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله، وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق. والمنافق أضمر وأساء من الكافر لأنه ساواه في الكفر، وزاد عليه بالخداع والتضليل، فيكون ضمه شديداً والحذر منه قلباً بخلاف الكافر =

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٨٨﴾ وَذُؤَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْبِلُوا قَوْمَهُمْ أَوْ يَقْبِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْنَلُوكُمْ فَإِنْ أَعَزَّ لُوكُمْ فَلَمْ يَقْبِلُواكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمُ فَاجْعَلْ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ أَخْرَيْنَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُواكُمْ وَلَقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمُ وَيَكْفُؤْا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

٨٨- ﴿فِتْنَتَيْنِ﴾: فرقتين: فرقة ترى قتل المنافقين، وفرقة ترى العفو عنهم. ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾: ردهم. والإركاس: الرد؛ ردهم الله عن الجهاد والهدى. وقيل: نزلت في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة وأشركوا. ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: بما عملوا. ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً من الهدى. ٨٩- ﴿فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾: تستون معهم في الشرك! ٩٠- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: من وصل منهم ﴿إِلَى قَوْمٍ﴾: مشركين. ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد، فدخلوا فيهم فاحملوهم حملهم؛ أي: إلا الذين يتصلون ويدخلون في قوم بينكم وبينكم ميثاق بالحوار والحلف، فلا تقتلوهم لما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد وميثاق، فإن العهد يشملهم، قال ابن عباس: أجروا عليهم مثلما تجرون على أهل الذمة ﴿حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ﴾: ضاقت، وكرهوا ﴿أَنْ يَقْبِلُوا قَوْمَهُمْ﴾: فأتوكم فدخلوا بينكم، ﴿فَإِنْ أَعَزَّ لُوكُمْ﴾: بالآي يقاتلوكم ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمُ﴾: من السلم والكف والصِّلح. ٩١- ﴿سَتَجِدُونَ أَخْرَيْنَ﴾: من المنافقين، كانوا يظهرون الإسلام للمسلمين إذا أتوهم، والشرك للمشركين إذا كانوا معهم؛ ليأمنوا هؤلاء وهؤلاء. ﴿إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: هي - هاهنا - الشرك. ﴿أُرْكَسُوا﴾: رجعوا وردُّوا. ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: ظفرت بهم. ﴿سُلْطَانًا﴾: حجة.

﴿٨٨﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ الآية. روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول لا. فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ﴾. [٩٠] قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن: أن سراقه بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقه: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: اذهب مع فاعل ما يريد، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، وأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم.

﴿٨٧﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. التعبير في الآية الثانية مبني على ما يجب ربطه به من قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ وقيل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، وأنيب مناب «وعدا»، فكأن قد قيل: «ومن أصدق من الله وعدا» وهو ما وعدهم به تعالى من النعيم وعظيم الإحسان، فجاء بلفظ يوازن المصدرين، وهما وعدا وحقا، ويشابههما في الخفة، فسكون عين الكلمة وعدد حروفها كالمصدرين قبلها، وكأنه إنما أريد تكرار المصدر بلفظه، فاستقل التكرار للتقارب، وعادة العرب ذلك، فعدل إلى ما يجاريه ويحرز المعنى، ولتجرى المصادر الثلاثة مجرى واحدا خفة ووزنا إحرزا للتناسب والتلاؤم، ولما لم يتقدم في الآية الأولى ما يستلزم هذا، وقوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، إخبار وحديث عن البعث بعد الموت، وجمع الخلق لحسابهم ومجازاتهم على الخير والشر، فهو إخبار وإنباء، ومثله ما ورد في قوله تعالى إخبارا عن قول منكري البعث: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى مَرْفَقَتِهِ إِذَا مُرَفَّقْتُمْ﴾ [سبأ: ٧]، فالإنباء هنا هو ذلك الخبر الصادق منه تعالى بقوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، فقد وضع ورود كل واحدة من الآيتين على ما يناسب ويلام، والله أعلم. [٨٩] ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١، النساء: ٩١]. معنى كلمة ثقف: تعني ظفر به وأخذه، ولا تستعمل ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ إلا في القتال والخصومة، ومعناها أشمل من الإيجاد، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

= من صفات المنافقين: ١- مرض القلب. ٢- الطبع الشهواني. ٣- الزيف بالشبه. ٤- الظن السيئ بالله. ٥- الاستهزاء بآيات الله. ٦- الجلوس إلى المستهزئين بآيات الله. ٧- التستر ببعض الأعمال المشروعة للإضرار بالمؤمنين. ٨- التفريق بين المؤمنين، والدس والوقيعة وإشعال نار الفتنة، واستغلال الخلافات وتوسيع شقتها. ٩- الإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح. ١١- السفه. ١٢- اللدد في الخصومة مع إتيانه في بعض الأحيان بالقول الجميل. ١٣- عدم الأوبة للحق وتأخذه الحمية والغضب بالباطل وبالإثم. ١٤- موالاة الكافرين. ١٥- التربص بالمؤمنين. ١٦- الاتفاق مع أهل الكتاب ضد المؤمنين. ١٧- التولي في القتال. ١٨- الطبع على القلوب فلا يفقهون. ١٩- فتنة النفس والتربص والاغترار بالأمان. ٢٠- مخادعة الله والمؤمنين. ٢١- الكسل في العبادات. ٢٢- الرياء. ٢٣- قلة الذكر. ٢٤- التذبذب بين المؤمنين والكافرين. ٢٥- التحاكم إلى الطاغوت. ٢٦- الصدود عما أنزل الله وعدم الرضا بالتحاكم إليه. ٢٧- الإفساد بين المؤمنين. ٢٨- الحلف الكاذب. ٢٩- والخوف والجبن والهلع. ٣٠- كره المسلمين والخروج عن دائرتهم. ٣١- الكذب. ٣٢- إخلاف الوعد. ٣٣- خيانة الأمانة. ٣٤- يعيرون العمل الصالح. ٣٤- يرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم. ٣٥- يسخرون من العمل القليل من المؤمنين. ٣٦- الرضا بأسافل المواضع. ٣٧- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. ٣٨- البخل. ٣٩- نسيان الله. ٤٠- الغدر وعدم الوفاء بالعهود مع الله. ٤١- الفرح بالتخلف عن الجهاد وكرهه. ٤٢- التواصي بالتخلف عن الجهاد. ٤٣- التخذيل والتثبيط. ٤٣- الإرجاف. ٤٤- لا ترى نصرة الله لهم. ٤٥- قطع الأرحام. ٤٦- طاعة الكفار والمنافقين والفاسقين في بعض الأمور. ٤٧- ظهور الأضغان منهم. ٤٨- التعرف عليهم في لحن القول. ٤٩- البطء عن المؤمنين. ٥٠- لا ينفعهم القرآن بل يزيدهم رجسا إلى رجسهم. ٥١- العودة إلى ما نهوا عنه. ٥٢- التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. ٥٣- الاستئذان عن الجهاد بحجة الفتنة. ٥٤- اتخاذ الأعذار عند التخلف. ٥٥- الاستخفاء من الناس. ٥٦- يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. ٥٧- الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء. والاستياء بما يمكن الله لهم. ٥٨- زيادة في الجسم في بعض الأحيان. ومن وقع في شيء من هذه الصفات فعليه التخلص منها قبل أن تنمو وتزاي وتنتشر فيه، ويجب الحذر من المدخل الشيطاني الذي يشعر صاحب الذنب والخلق المنحرف أنه منافق ويجب أن يترك الصالحين فتزداد مصائبه. [٩٠] ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿حَصْرَتٌ﴾ قرئ: (حصرة) بنصب التاء منونة، والنصب على الحال، ومعنى "حصرة" ضيقة، إذا فيكون المعنى: أو جاءكم حالة كون صدورهم ضيقة من الجبن مبغضين قتالكم، ولا يهون عليهم أيضا قتال قومهم معكم، فهم لا لكم ولا عليكم. وقرئ: (حصرت) بسكون التاء فعلا ماضيا، والجملة في موضع نصب الحال.

٩٢- ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: هذا النفي هو بمعنى النهي المقتضى للتحريم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾. ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: على غير عمد. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقٌ فَدِيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ: سلب حياة مؤمن عقوبته تحرير مؤمن من الرق. وهذا حق المجتمع أو الحق العام، فكان هذا التحرير أعاد لهذه الرقبة الحياة. وقد يشير هذا إلى أن الرق موت، والحرية حياة. ﴿وَدِيَةٌ مُّسْلَمَةٌ﴾: مؤداة، والدية هي ما تُعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾: يتصدقوا بها، ويتركوها لعائلة القاتل، أو له، والعائلة هم قرابة القاتل الذين يدفعون دية قتل الخطأ، ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾: هو أن يقتل الرجل الرجل من أعدائه المشركين؛ وقد أسلم، وهو يحسب أنه مشرك لم يسلم ﴿مِثْقٌ﴾: عهد أو دمة من غير المسلمين. ﴿فَدِيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: تؤدي دية إلى قومه المشركين. ٩٣- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾: مستحلاً قتله. وقيل: كل ما عمد به الضارب إتيان نفس المضروب فهو عمد. ﴿فَجَزَاءُ﴾: ما ذكر الله من العقاب الشديد، إن شاء أن يجازيه. ٩٤- ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سرتم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: فتبينوا. ﴿الْفَقَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾: استسلم وأظهر إليكم أنه من أهل ملتكم. ﴿لَسْتُمْ مُّؤْمِنًا﴾: رغبة في السباء والسلب، وليس من حق المسلمين أن يهملوا ما يستدل به على إسلام الكافر، ويقولوا: إن ما قاله أو قام به كان تعوداً أو تقيّة أو نحو ذلك. ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: كنتم كفاراً ﴿فَمَرْبُكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: هداكم.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلَ مُّؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: كان الحرث بن يزيد من بني عامر ابن لؤي، يعذب عياش بن أبي ربيعة، مع أبي جهل، ثم خرج الحرث مهاجراً إلى النبي ﷺ فلقبه عياش بالحرّة، فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فنزلت ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلَ مُّؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ الآية. [٩٣] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابه فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله، فقال النبي ﷺ: لا أؤمنه في حل ولا حرم. فقتل يوم الفتح. قال ابن جرير: وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية. [٩٤] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية. روى البخاري، والترمذي، والحاكم، وغيره عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنماً له فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعود منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجلٌ له مال كثير فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال له النبي ﷺ: «كيف لك بلا إله إلا الله غدا؟» وأنزل الله هذه الآية.

وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلَ مُّؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُمْ مُّؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَكَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

[٩٤] ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١، المائدة: ١٠٦]. قوله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إذا خرجتم في الأرض مجاهدين في سبيل الله تعالى، أما قوله تعالى: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إذا سافرتم. [٩٢] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلَ مُّؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]. عندما ذكر القتل الخطأ جاء بالفعل الماضي؛ لأن هذا خطأ غير متعمد - إذاً هو لا يتكرر - وعندما جاء إلى القتل العمد جاء بالفعل المضارع ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ﴾ لأنه ما دام يعتمد قتل المؤمن فكلما سمحت له الفرصة فعل، فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار. [٩٢] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلَ مُّؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]. ما الفرق بين: "المخطئ والخطأ"؟ "الجواب": "خطأ": تعني جانب الصواب: سواء أكان الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما "خطئ": فتعني دائماً مجانبة الصواب عمداً، لذا فإنها تأتي دائماً بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خطئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقاً، وسيرة. [٩٢] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَكَتِلَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [مریم: ٢٦]. ما الفرق بين: "الصوم والصيام"؟ "الجواب": لغة: لا يفرق أئمة اللغة بين الكلمتين، بل هما بمعنى واحد عندهم. قرآنياً: فرق القرآن الكريم بين الكلمتين، وأورد كلاهما في موضع خاص، بمعنى خاص، فالصوم: (لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن) ومعناه: الإمساك عن الكلام أي الصمت، مثل قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [مریم: ٢٦]، والصيام معناه: الإمساك عن = [٩٤] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُمْ مُّؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَكَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ في الموضعين هنا، وفي الحجرات: ٦، قرئ: (فتبينوا) بشاء مثلية بعدها باء موحدة بعدها تاء مثناة فوقية من التثب أو التثبت؛ لأنه لما كان معنى الآية حض المؤمنين على التأي وترك الإقدام على القتل أو الانتقام دون تثبت وتبين أتى اتثبت لأنه أفسح للمأمور من التبين فكل من أراد أن يتثبت قدر عليه، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك. وقرئ: (فتبينوا) بياء موحدة وياء مثناة تحت ونون من التبين؛ لأنه لما كان معنى الآية افحصوا عن أمر لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا به أو تؤاخذوه، حتى تتبين لكم حقيقة ما هو عليه حمل على التبين لأنه به يظهر الأمر، وقيل: إن التبين أعم من التثبت ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه، وهما متقاربان، يقال: تثبت في الشيء: تبينه. قوله تعالى: ﴿السَّلَامُ﴾ قرئ: (السلم) بفتح اللام من غير ألف بعدها على معنى الاستسلام والانقياد، والمعنى: يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله، وخرجتم للجهاد فتبينوا ولا تقولوا لمن استسلم وانقاد إليكم لست مؤمناً فتقتلوه، بل يجب عليكم أن تبينوا حقيقة أمره. وقرئ: (السلام) بالألف على معنى التحية، فتحية الإسلام هي "السلام عليكم" وعليه يكون المعنى: لا تقولوا لمن حياكم تحية الإسلام لست مؤمناً فتقتلوه، لتأخذوا سلبه. قوله تعالى: ﴿لَسْتُمْ مُّؤْمِنًا﴾ قرئ: (مؤمناً) بفتح الميم الثانية اسم مفعول، أي: لا تؤمنك في نفسك. وقرئ: (مؤمناً) بكسرهما اسم فاعل، أي: إنما فعلت ذلك متعوداً وليس عن إيمان. [٩٤] ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَا وَنَهْمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَيْتَكُمَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْكُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي الْغَنَمِ. ﴿١٠١﴾ وَالْجَنَاحُ: الْإِثْمُ؛ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ قَوْمًا مِنَ التَّجَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ فَكَيْفَ نَصَلِّي؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثُمَّ انْقَطَعَ الْوَحْيُ فِي ذَلِكَ؛ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلِ غَزَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ أَمَكْنَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ ظُهُورِهِمْ فَلَهَا شَدَّتُمْ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنْ لَمْ يَمُتْ فِي أَثَرِهَا: فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبِضَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾. أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ. وَنَزَلَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ عَلَى هَيْئَتِهَا الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَقِيلَ: بَلْ عَنِ تَقْصِيرِ صَلَاةِ السَّفَرِ فِي الْأَمْنِ، وَهِيَ رَكْعَتَانِ؛ بَأَن يَصَلِّي عِنْدَ شِدَّةِ الْخَوْفِ رَكْعَةً وَاحِدَةً؛ فَتَكُونُ صَلَاةُ الْإِمَامِ رَكْعَتَيْنِ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكْعَةً رَكْعَةً. وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً وَاحِدَةً، «رواه مسلم». [٩٥] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَالَ: «اكتُب» ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَخَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا ضَرِيرٌ، فَتَزَلَّتْ مَكَانَهَا ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. [٩٧] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يَكْثُرُونَ سُودَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْتِي السَّهْمُ يُرْمَى بِهِ فَيَصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يَضْرِبُ فَيَقْتُلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ بِمَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَرِهُوا أَنْ يَهَاجِرُوا وَخَافُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾. [١٠٠] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾. الْآيَةُ. أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ ضَمْرَةٌ بَنُ جَنْدَبٍ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ: اأْمْلُونِي فَأَخْرَجُونِي مِنْ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّ الْوَحْيُ ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الْآيَةُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ بِمَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَرِهُوا أَنْ يَهَاجِرُوا وَخَافُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾. [١٠١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثُمَّ انْقَطَعَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلِ غَزَا النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ أَمَكْنَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ ظُهُورِهِمْ هَلَّا شَدَّتُمْ عَلَيْهِمْ؟.. فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يَمُتْ فِي أَثَرِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبِضَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ فَتَزَلَّتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ.

٩٥- ﴿الْقَاعِدُونَ﴾: عَنِ الْجِهَادِ ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: الْعِلَلُ الَّتِي لَا سَبِيلَ لِأَهْلِهَا بِهَا إِلَى الْجِهَادِ. ﴿دَرَجَةً﴾: دَرَجَةُ الْإِسْلَامِ دَرَجَةً، وَالْجِهَادُ دَرَجَةً، وَالْهَجْرَةُ دَرَجَةً ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾: هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ. وَالْحَسَنَى: الْجَنَّةُ. ٩٧- ﴿تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ﴾: تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: مُوجِبِينَ عَلَيْهَا غَضَبَ اللَّهِ بِإِقَامَتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَبِقَائِهِمْ فِي دَارِ الْكُفْرِ مُخْتَارِينَ ذَلِكَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ، فَيَقُولُونَ: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: مَمْنُوعِينَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ، فَلَا تُقْبَلُ حُجَّتُهُمْ. ٩٨- ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾: يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ اسْتَطَاعَةٌ عَلَى الْهَجْرَةِ ﴿وَالْوِلْدَانِ﴾: الصِّبْيَانِ، ﴿حِيلَةً﴾: «الْحِيلَةُ» لَفْظٌ عَامٌ لِأَنْوَاعِ أَسْبَابِ التَّخْلُصِ، أَيْ: لَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفُونَ فِي مَكَّةَ حِيلَةً وَلَا طَرِيقًا إِلَى الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. ١٠٠- ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ﴾: يَفَارِقُ أَرْضَ الشِّرْكِ هَارِبًا إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ. ﴿مُرْعًا﴾: مُتَحَوِّلًا وَمَذْهَبًا؛ أَيْ تَحَوُّلًا مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى يَجِدُ فِيهَا مَكَانًا يَسْكُنُ فِيهِ عَلَى رِغْمِ أَنْفِ قَوْمِهِ الَّذِينَ هَاجَرَهُمْ، ﴿وَسِعَةً﴾: مِنْ تَضْيِيقِ الْمُشْرِكِينَ. وَقِيلَ: فِي الرِّزْقِ. ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: قِيلَ: ثَوَابُهُ. وَقِيلَ: إِذَا فَضَلَ غَازِيًا وَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ الْقِسْمَةِ وَجِبَ سَهْمُهُ فِي الْمَغْنَمِ. ١٠١- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾: الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ: السَّفَرُ، وَالْجَنَاحُ: الْإِثْمُ؛ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ قَوْمًا مِنَ التَّجَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ فَكَيْفَ نَصَلِّي؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثُمَّ انْقَطَعَ الْوَحْيُ فِي ذَلِكَ؛ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلِ غَزَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ أَمَكْنَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ ظُهُورِهِمْ فَلَهَا شَدَّتُمْ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنْ لَمْ يَمُتْ فِي أَثَرِهَا: فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبِضَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾. أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ. وَنَزَلَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ عَلَى هَيْئَتِهَا الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَقِيلَ: بَلْ عَنِ تَقْصِيرِ صَلَاةِ السَّفَرِ فِي الْأَمْنِ، وَهِيَ رَكْعَتَانِ؛ بَأَن يَصَلِّي عِنْدَ شِدَّةِ الْخَوْفِ رَكْعَةً وَاحِدَةً؛ فَتَكُونُ صَلَاةُ الْإِمَامِ رَكْعَتَيْنِ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكْعَةً رَكْعَةً. وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً وَاحِدَةً، «رواه مسلم». [٩٥] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَالَ: «اكتُب» ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَخَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا ضَرِيرٌ، فَتَزَلَّتْ مَكَانَهَا ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. [٩٧] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يَكْثُرُونَ سُودَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْتِي السَّهْمُ يُرْمَى بِهِ فَيَصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يَضْرِبُ فَيَقْتُلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ بِمَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَرِهُوا أَنْ يَهَاجِرُوا وَخَافُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾. [١٠٠] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾. الْآيَةُ. أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ ضَمْرَةٌ بَنُ جَنْدَبٍ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ: اأْمْلُونِي فَأَخْرَجُونِي مِنْ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّ الْوَحْيُ ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الْآيَةُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ بِمَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَرِهُوا أَنْ يَهَاجِرُوا وَخَافُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾. [١٠١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثُمَّ انْقَطَعَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلِ غَزَا النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ أَمَكْنَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ ظُهُورِهِمْ هَلَّا شَدَّتُمْ عَلَيْهِمْ؟.. فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يَمُتْ فِي أَثَرِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبِضَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ فَتَزَلَّتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ.

[٩٧] ﴿تَوْفَقْنَاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ﴾ [النساء: ٩٧] الْوَحِيدَةُ فِي الْقُرْآنِ، وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ ﴿تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَكِيَّةَ﴾ [النحل: ٢٨، ٣٢]. الْمَتَوَفُونَ فِي آيَةِ النَّسَاءِ هُمْ جُزْءٌ مِنَ الْمَتَوَفِينَ فِي آيَةِ النَّحْلِ، فَفِي النَّسَاءِ الْمَتَوَفُونَ هُمُ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَمَّا فِي النَّحْلِ فَالْمَتَوَفُونَ هُمُ ظَالِمُو أَنْفُسِهِمْ كُلُّهُمْ عَلَى الْعَمُومِ، فَأَعْطَى تَعَالَى الْقِسْمَ الْأَكْبَرَ الْفِعْلَ الْأَطُولَ، وَأَعْطَى الْقِسْمَ الْأَقْلَ الْفِعْلَ الْأَقْلَ، لِذَا جَاءَ الْفِعْلُ "تَتَوَفَاهُمْ" بِالنَّحْلِ أَكْثَرَ عُمُومِيَّةً مِنَ الْفِعْلِ "تَوَفَاهُمْ" بِالنِّسَاءِ، فَفِي الْعَمُومِ جَاءَ الْفِعْلُ كَامِلًا غَيْرَ مُقْتَطِعٍ "تَتَوَفَاهُمْ"، أَمَّا فِي الْحَدِيثِ الْخَاصِّ فَقَدْ اقْطَعَ الْفِعْلُ "تَوَفَاهُمْ". [٩٩] ﴿عَفُورًا غُفُورًا﴾ [النساء: ٤٣، ٩٩] لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُهُمَا، وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ ﴿حَلِيمًا غُفُورًا﴾. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَفُورًا غُفُورًا﴾ بِالنِّسَاءِ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ عَفُورًا عَنْكُمْ، غُفُورًا لَكُمْ، وَأَمَّا ﴿حَلِيمًا غُفُورًا﴾ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ كَانَ حَلِيمًا فِي تَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنِ الْكَافِرِينَ وَالْعَصَاةِ، غُفُورًا لِمَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ وَرَجَعَ إِلَيْهِ. = شَهْوَةُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفَرْجِ بَنِيَّةٌ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْبَيْسَاءِ الرِّقْتُ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. لِمَاذَا تَخَصَّصَ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُمَا بِمَوْضِعٍ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ الصِّيَامَ (الْإِمْسَاكَ عَنْ شَهْوَتِي الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ) أَمْرٌ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ صَيِّفًا (لَشِدَّةِ الْعَطَشِ)، وَشَتَاءً (لَشِدَّةِ الْجُوعِ)، فَهُوَ أَمْرٌ عَسِيرٌ، أَمَّا الصُّومُ (الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ)، فَأَمْرٌ يَسِيرٌ. بَلْ رُبَّمَا كَانَ فِيهِ رَاحَةٌ لِلنَّفْسِ؛ لِذَلِكَ التَّزَمَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِصِيغَةِ (الصِّيَامِ) فِي التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ (صِيَامِ رَمَضَانَ، صِيَامِ كَفَّارَةِ الظَّهَارِ، صِيَامِ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ، صِيَامِ كَفَّارَةِ الْقَتْلِ الْخَطَا، صِيَامِ الْفِدْيَةِ لِلْمَحْرَمِ إِذَا رَتَبَ مَخَالَفَةً تَوْجِبُهُ، صِيَامِ جَزَاءِ قَتْلِ الصَّيْدِ لِلْمَحْرَمِ)، وَخَصَّ الْقُرْآنُ (الصُّومَ) بِالْأَمْرِ السَّهْلِ (الصَّمْتِ) وَزِيَادَةَ الْمُبْنِي تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى. [٩٥] ﴿عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: ٩٦]. فِي الْآيَةِ الْأُولَى ﴿دَرَجَةً﴾ لِأَنَّهَا فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَّةِ ﴿دَرَجَتٍ﴾ فِي الْجَنَّةِ. قَوْلُ آخَرٍ: الْمَرَادُ بِالْأَوَّلِ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ بَعْدَ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَجْرًا؛ لِكُونِهِمْ مَعَ الْغَزَاةِ بِالْهَمَّةِ وَالْقَصْدِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾، أَيْ: الْجَنَّةَ، وَالْمَرَادُ بِالثَّانِي تَفْضِيلُهُمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ بِلَا عَذْرِ؛ لِأَنَّهُمْ مَقْصُورُونَ وَمُسَبَّوْقُونَ، فَكَانَ تَفْضِيلُ الْغَزَاةِ عَلَيْهِمْ دَرَجَاتٍ؛ لِابْتِغَاءِ الْفَضْلِ لَهُمْ، [٩٥] ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرُ﴾ قَرَأَ: (غَيْرُ) بَرَفْعِ الرَّاءِ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ (الْقَاعِدُونَ) وَصِفَةٍ لَهُ. وَقَرَأَ: (غَيْرُ) بِنَصْبِهَا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، أَوْ حَالٍ مِنَ (الْقَاعِدُونَ).

١٠٢- ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾: هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولمن بعده من أولي الأمر أن: يصلي بهم صلاة الخوف، ﴿فَلْيَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾: يعني بعد أن تجعلهم طائفتين: طائفة تقف بإزاء العدو، وطائفة تقوم منهم معك في الصلاة، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾: أي الطائفة التي تصلي معك، والطائفة التي تقوم بإزاء العدو لابد أن تكون قائمة بأسلحتها، والمراد: أن يكون السلاح قريباً منهم إذا احتاجوا إليه وجدوه، وليكون أقطع لرجاء عدوهم في الهجوم عليهم أثناء الصلاة، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي المصلون معه، أي أتموا الركعة أو جميع الصلاة، ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾: أي فلينصرفوا بعد الفراغ لمقابلة العدو أو للحراسة، ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾: وهي القائمة في مقابلة العدو التي لم تصل، ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ﴾: على الصفة التي كانت عليها الطائفة الأولى.. ولم تبين الآية كم تصلي كل طائفة من الطائفتين، وقد بينت السنة ذلك، ولها صور مختلفة وصفات متعددة، كلها صحيحة إن شاء الله تعالى. ١٠٣- ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾: استقرتم؛ وأمنتهم ﴿فَأَقِمْوْا﴾: أتموا ﴿كِتَابَ مَوْفُوتًا﴾: فرضاً مفروضاً. ١٠٤- ﴿وَلَا تَهَيَّؤُوا﴾: تضعفوا في طلب القوم ﴿تَأْلُمُونَ﴾: توجعون. ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾: من العقبي الحسنة والمغفرة، وقيل: من إظهار دينكم على سائر الأديان. ١٠٥- ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾: لتقضي بينهم ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾: بما عرفه الله به وأرشد به إليه، قيل: بكتاب الله الذي أنزل إليك ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ﴾: لمن خان مسلماً، أو معاهداً في نفسه أو ماله ﴿خَصِيماً﴾: تحاصم عنهم وتدفع. ونزلت هذه الآية في طعيمة بن أبيرق، وكان سرق سرقة ورمى بها رجلاً بريئاً من الأنصار. [١٠٤] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [١٠٤، ١١١] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمِينَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١٠٦ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ١٠٧ وَلَا تَهَيَّؤُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٨ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً ١٠٩

٩٥

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية. أخرج أحمد، والحاكم، وصححه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس الزرقى قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الحديث. وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة، وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله، وابن عباس. قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أخرج البخاري عن ابن عباس قال نزلت ﴿أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً. [١٠٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا﴾ الآية. روى الترمذي، والحاكم، وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله بعض العرب، يقول: قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمل، فجعله في مشربة له فيها سلاح «درع وسيف» فعدي عليه من تحت، فثقت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقت مشربتنا، وذهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار وسألنا، فقليل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق، والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبين هذه السرقة، قالوا: إليك عتاً أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابنا، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأنته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: سأنظر في ذلك. فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك فاجتمع. [١٠٥] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ...﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ...﴾ [الزمر: ٢]. إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعاً بما أوحى الله إليك، وبصرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم بكتمان الحق مدافعاً عنهم بما أبدوه لك من القول المخالف للحقيقة... فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية الزمر: إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك... [١٠٢] ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]. ما الفرق بين: "المطر والغيث"؟ **الجواب:** المطر والغيث كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالاتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَىٰ آلِ فِرْعَوْنَ آتِيَ امْتَرَّتْ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن الكريم في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]. [١٠٤] ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] إن قيل: رجاء الفريقين مشترك؛ إذ الكفار يرجون الثواب في قتالهم المؤمنين؛ لاعتقادهم أنه قربه لله، كالمؤمنين في قتالهم الكفار. **الجواب:** ذلك ممنوع إذ المراد بالكفار عبدة الأوثان ونحوهم ممن لا يعتقد = [١٠٢] ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود) بمشتقاته (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة.

وَأَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُ رَبُّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَدِّدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ يَمَازِيهِمْ عَمَلًا يُحِيطُ ﴿١٠٨﴾ هَآئِنْتَ هَآئِنْتَ هَآئِنْتَ جَدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيءًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

٩٦

١٠٧- ﴿وَلَا تُجَدِّدُ﴾: لا تخاصم. ﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: يجعلون أنفسهم خونة بما خانوه من أموال
من خانوه ماله. ﴿خَوَانًا أَثِيمًا﴾: الخوان: كثير الخيانة، والأثيم: كثير الإثم. ١٠٨- ﴿يَسْتَحْفُونَ﴾:
يستترون. ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يسرون، ويدبرون. وأصله أن يكون بالليل. ١٠٩- ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ
وَكِيلًا﴾: أي: مجادلًا ومخاصمًا بالوكالة عنهم. ١١٠- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾: ذنبًا ﴿أَوْ يَطْلَمْ
نَفْسَهُ﴾: يأكسبه إياها ما تستحق به عقوبة الله عز وجل. ١١١- ﴿يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: عاقبته
عائده عليه. ١١٢- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾: الآية عامة في كل خاطئ وأثم. و«الخطيئة»:
تكون في العمد وغير العمد، و«الإثم» لا يكون إلا في العمد، وقيل: الخطيئة: الصغيرة، والإثم:
الكبيرة. ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيءًا﴾: نزلت هذه الآية وما قبلها في ابن أبيرق السارق، ورميه بالسرقة لبيد بن
سهل وكان بريئًا. ﴿بُهْتَانًا﴾: فرية وكذبًا ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾: زورًا مبينًا واضحًا. ١١٣- ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾: الفضل والرحمة لرسول الله: أنه نبهه على الحق في قصة السارق، ﴿لَهَمَّتْ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: أي من الجماعة الذين عضدوا ابن أبيرق، ﴿يُضِلُّوكَ﴾: عن الحق فتحكم خطأ.
﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: لا فضل أعظم من النبوة ونزول الوحي، يضاف إليه: سائر ما
خص الله تعالى به نبيه الكريم من السمائل والفضائل. [١١١، ١٠٤] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم
هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع
على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها،
وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته
نوعان: النوع الأول: الحكمة، في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته
والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق
خلقته اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته

وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه
العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا؟... [١١٠، ١٠٦] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا
يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفو ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن
أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة،
والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي
ينالون بها عفو: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفو أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرمه: صغيره،
وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها، وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح،
والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته. [١١٠، ١٠٦] معنى اسم الله الرحيم:
قال السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود،
والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخص المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم =
في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمداً إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال
قتادة: «فأتيت رسول الله ﷺ فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة، على غير ثبت وبينة، فرجعت فأخبرت عمي، فقال: الله المستعان
فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَى اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ بني أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي مما قلت لقتادة إلى
قوله: «عظيماً». [١١٣]. فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلى رفاعه، ولحق بشير بالمشرّكين فنزل على سلافة بنت سعد، فانزل الله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ضَلَّالًا بَعِيدًا﴾. [١١٣] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]،
﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]. الآية. الأولى تخاطب المؤمنين بمنة الله عليهم فلم يتبعوا الشيطان
كالمنافقين الذين إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، بل جعلهم يردون الأمر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم... والآية الثانية تخاطب رسول الله ﷺ
بمنة الله تعالى عليه بأن بين له وجه الحق في شأن الطائفة التي دافعت وخاصمت عن ارتكاب خطيئة، ورمي بها شخصاً بريئاً... [١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. الآية الأولى نزلت في اليهود وتحريفهم الكلم افتراء على الله، فناسب ختم الآية بذكر الافتراء العظيم، والآية الثانية تقدمها
قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النساء: ١١٣]، فناسب ختمها بذكر الضلال البعيد، ولأنها في العرب وعباد الأصنام بغير كتاب، وبعد ذكر
طعمة بن أبيرق وارتداده، فهم في ضلال بعيد عن الحق والكتب المنزلة. قول آخر: انظر سورة النساء آية: ٤٨. = الجزاء، أو أهل الكتاب، وهم وإن اعتقدوا
الجزاء، فاعتقادهم فاسد؛ لبنائه على فاسد، فرجاؤهم وهمي، فهو كالمعدوم. [١١٠] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ﴾ [النساء: ١١٠] المراد بعمل السوء ما
دون الشرك، وبظلم النفس الشرك، أو بعمل السوء الذنب المتعدي ضرره إلى الغير، وبظلم النفس: الذنب المقصور عليها. [١١٣] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]. إن قيل ظاهره نفي وقوع الهمة منهم بإضلاله، والمنقول خلافه. فالجواب: المراد بالهم المؤثر، أي: لهمة
هما يؤثر عندك، أو المراد بالإضلال الإضلال عن الشريعة، أي: لهمة طائفة منهم أن يضلوك عن دينك وشريعتك، وكل من هذين الهمين لم يقع.

[١٠٩] ﴿هَآئِنْتَ هَآئِنْتَ هَآئِنْتَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن
الكريم، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠)
موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة في (٦٥) موضعاً في القرآن الكريم.

١١٤- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾: فنجوى الناس؛ وهو حديثهم الذي يتناجون به. أي يكتُمونه ويسرون به. والنجوى: السر بين الاثنين أو الجماعة. وأكثر ما يتناجى به الناس لا خير فيه. إلا في الأمور الثلاثة المذكورة. ١١٥- ﴿يَسْأَلُكَ الرَّسُولُ﴾: يباين ويفارق، ﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى﴾: نسلمه إلى ناصره، ونكله إلى معبوده من الأصنام. واتباع غير سبيل المؤمنين يراد به هنا: الخروج من دين الإسلام إلى غيره. ١١٧- ﴿إِلَّا أَنْتَ﴾: قيل: هي اللات والعزى ومناة: أصنام لها أسماء مؤنثة. وقيل: الإناث كلها: كل شيء لا روح فيه من خشبة بالية وحجر. ﴿شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾: متمرداً على الله وهو العاصي. ١١٨- ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾: معلوماً. ١١٩- ﴿وَلَا مِثْلَهُمْ﴾: بالغرور. ليشبثهم به عن التوبة والمبادرة إلى الله تعالى. ﴿فَلْيَبْتَكَنْ أَذَاتُ الْأَنْعَامِ﴾: البتك: القطع والشق، كانوا يشقون آذان ما كانوا يجعلونه بحيرة لطاغوتهم، على ما كان شرع لهم إبليس. والبحيرة: الشاة أو الناقة تُشق آذانها ثم تترك لا يمسه أحد. وقد حرم الإسلام هذه العادة الجاهلية، ﴿فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ﴾: قيل: هي الخصاء، وفقء العين وقطع الآذان، وفيه اختلاف. ١٢٠- ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً. ١٢١- ﴿مُحْصَا﴾: معدلاً. وقيل: ملجأ ومخلصاً. = والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٠٨] معنى اسم الله المحيط: وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. [١٠٩] معنى اسم الله الوكيل: فهو سبحانه المتولي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أوليائه، فيسّرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه. [١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَتْ لَهُمْ أَنْهَارٌ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]. الآياتان تتحدثان عن الذين اطمانت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة محمد ﷺ، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، والآية الأولى تبين أن لهم فيها أزواجا مطهرها الله من كل أذى، ويدخلهم ظللاً كثيفاً ممتداً في الجنة، وأمّا الآية الثانية فتوضح أن هذا وعدٌ من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعد.

[١١٤] ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ فضائل وفوائد الصدقة: ١- أنها تطفى غضب الله سبحانه. ٢- أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها. ٣- أنها وقاية من النار. ٤- أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة. ٥- أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية. ٦- إن فيها دواء للأمراض القلبية. ٧- أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء. ٨- أن العبد إنما يصل حقيقة البر بالصدقة. ٩- أن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف الممسك. ١٠- أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله. ١١- أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به. ١٢- أن الله يضاعف للمتصدق أجره. ١٣- أن صاحبها يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة. ١٤- أنها ما اجتمعت مع الصيام واتباع الجنازة وعبادة المريض في يوم واحد إلا أوجب ذلك لصاحبها الجنة. ١٥- أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمانينته. ١٦- أن المنفق إذا كان من العلماء فهو بأفضل المنازل عند الله. ١٧- أن النبي جعل الغني مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به. ١٨- أن العبد موفٍ بالعهد الذي بينه وبين الله و متممٌ للصفة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله. ١٩- أن الصدقة دليلٌ على صدق العبد وإيمانه. ٢٠- أن الصدقة مطهرة للمال، تخلصه من الدخن الذي يصيبه من جراء اللغو، والحلف، والكذب، والغفلة... أفضل الصدقات: ١- الصدقة الخفية؛ لأنها أقرب إلى الإخلاص من المعلنة. ٢- الصدقة في حال الصحة والقوة أفضل من الوصية بعد الموت أو حال المرض والاحتضار. ٣- الصدقة التي تكون بعد أداء الواجب. ٤- بذل الإنسان ما يستطيعه ويطيقه مع القلة والحاجة. ٥- الإنفاق على الأولاد. ٦- الصدقة على القريب، وأخص الأقارب - بعد من تلزمه نفقتهم - اثنان: الأول: اليتيم، الثاني: القريب الذي يضرر العداوة ويخفيها. ٧- الصدقة على الجار. ٨- الصدقة على صاحب الصديق في سبيل الله... ٩- النفقة في الجهاد في سبيل الله سواء كان جهاداً للكفار أم المنافقين، فإنه من أعظم ما بُذلت فيه الأموال؛ فإن الله أمر بذلك في غير ما موضع من كتابه، وقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات. ١٠- الصدقة الجارية: وهي ما يبقى بعد موت العبد، ويستمر أجره عليه. بعض أنواع الصدقة الجارية: ١- سقي الماء وحفر الآبار. ٢- إطعام الطعام. ٣- بناء المساجد. ٤- الإنفاق على نشر العلم، وتوزيع المصاحف، وبناء البيوت لابن السبيل، ومن كان في حكمه كاليتيم والأرملة ونحوهما. وقد يكون الإنفاق في بعض الأوقات أفضل منه في غيرها كالإنفاق في رمضان. وكذلك الصدقة في أيام العشر من ذي الحجة. وقد علمت أن الصدقة من أفضل الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله. ومن الأوقات الفاضلة يوم أن يكون الناس في شدة وحاجة ماسة وفقيرين... فمن نعمة الله عز وجل على العبد أن يكون ذا مال = [١١٤] ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿نُؤْتِيهِ﴾ قرئ: (يؤتيه) بالياء المثناة تحت على الغيبة لمناسبة "ومن يفعل ذلك". وقرئ: (نؤتيه) بنون العظمة التفاتاً من الغيبة للتكلم، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة. أو أجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بمنزلة ﴿سَنُقَلِّبُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بعد قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾. [١١٧] ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشياطين» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وإذا أضيف إلى عدد مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة.

١١٤- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾: فنجوى الناس؛ وهو حديثهم الذي يتناجون به. أي يكتُمونه ويسرون به. والنجوى: السر بين الاثنين أو الجماعة. وأكثر ما يتناجى به الناس لا خير فيه. إلا في الأمور الثلاثة المذكورة. ١١٥- ﴿يَسْأَلُكَ الرَّسُولُ﴾: يباين ويفارق، ﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى﴾: نسلمه إلى ناصره، ونكله إلى معبوده من الأصنام. واتباع غير سبيل المؤمنين يراد به هنا: الخروج من دين الإسلام إلى غيره. ١١٧- ﴿إِلَّا أَنْتَ﴾: قيل: هي اللات والعزى ومناة: أصنام لها أسماء مؤنثة. وقيل: الإناث كلها: كل شيء لا روح فيه من خشبة بالية وحجر. ﴿شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾: متمرداً على الله وهو العاصي. ١١٨- ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾: معلوماً. ١١٩- ﴿وَلَا مِثْلَهُمْ﴾: بالغرور. ليشبثهم به عن التوبة والمبادرة إلى الله تعالى. ﴿فَلْيَبْتَكَنْ أَذَاتُ الْأَنْعَامِ﴾: البتك: القطع والشق، كانوا يشقون آذان ما كانوا يجعلونه بحيرة لطاغوتهم، على ما كان شرع لهم إبليس. والبحيرة: الشاة أو الناقة تُشق آذانها ثم تترك لا يمسه أحد. وقد حرم الإسلام هذه العادة الجاهلية، ﴿فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ﴾: قيل: هي الخصاء، وفقء العين وقطع الآذان، وفيه اختلاف. ١٢٠- ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً. ١٢١- ﴿مُحْصَا﴾: معدلاً. وقيل: ملجأ ومخلصاً. = والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٠٨] معنى اسم الله المحيط: وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. [١٠٩] معنى اسم الله الوكيل: فهو سبحانه المتولي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أوليائه، فيسّرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه. [١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَتْ لَهُمْ أَنْهَارٌ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]. الآياتان تتحدثان عن الذين اطمانت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة محمد ﷺ، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، والآية الأولى تبين أن لهم فيها أزواجا مطهرها الله من كل أذى، ويدخلهم ظللاً كثيفاً ممتداً في الجنة، وأمّا الآية الثانية فتوضح أن هذا وعدٌ من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعد.

[١١٤] ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ فضائل وفوائد الصدقة: ١- أنها تطفى غضب الله سبحانه. ٢- أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها. ٣- أنها وقاية من النار. ٤- أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة. ٥- أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية. ٦- إن فيها دواء للأمراض القلبية. ٧- أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء. ٨- أن العبد إنما يصل حقيقة البر بالصدقة. ٩- أن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف الممسك. ١٠- أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله. ١١- أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به. ١٢- أن الله يضاعف للمتصدق أجره. ١٣- أن صاحبها يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة. ١٤- أنها ما اجتمعت مع الصيام واتباع الجنازة وعبادة المريض في يوم واحد إلا أوجب ذلك لصاحبها الجنة. ١٥- أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمانينته. ١٦- أن المنفق إذا كان من العلماء فهو بأفضل المنازل عند الله. ١٧- أن النبي جعل الغني مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به. ١٨- أن العبد موفٍ بالعهد الذي بينه وبين الله و متممٌ للصفة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله. ١٩- أن الصدقة دليلٌ على صدق العبد وإيمانه. ٢٠- أن الصدقة مطهرة للمال، تخلصه من الدخن الذي يصيبه من جراء اللغو، والحلف، والكذب، والغفلة... أفضل الصدقات: ١- الصدقة الخفية؛ لأنها أقرب إلى الإخلاص من المعلنة. ٢- الصدقة في حال الصحة والقوة أفضل من الوصية بعد الموت أو حال المرض والاحتضار. ٣- الصدقة التي تكون بعد أداء الواجب. ٤- بذل الإنسان ما يستطيعه ويطيقه مع القلة والحاجة. ٥- الإنفاق على الأولاد. ٦- الصدقة على القريب، وأخص الأقارب - بعد من تلزمه نفقتهم - اثنان: الأول: اليتيم، الثاني: القريب الذي يضرر العداوة ويخفيها. ٧- الصدقة على الجار. ٨- الصدقة على صاحب الصديق في سبيل الله... ٩- النفقة في الجهاد في سبيل الله سواء كان جهاداً للكفار أم المنافقين، فإنه من أعظم ما بُذلت فيه الأموال؛ فإن الله أمر بذلك في غير ما موضع من كتابه، وقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات. ١٠- الصدقة الجارية: وهي ما يبقى بعد موت العبد، ويستمر أجره عليه. بعض أنواع الصدقة الجارية: ١- سقي الماء وحفر الآبار. ٢- إطعام الطعام. ٣- بناء المساجد. ٤- الإنفاق على نشر العلم، وتوزيع المصاحف، وبناء البيوت لابن السبيل، ومن كان في حكمه كاليتيم والأرملة ونحوهما. وقد يكون الإنفاق في بعض الأوقات أفضل منه في غيرها كالإنفاق في رمضان. وكذلك الصدقة في أيام العشر من ذي الحجة. وقد علمت أن الصدقة من أفضل الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله. ومن الأوقات الفاضلة يوم أن يكون الناس في شدة وحاجة ماسة وفقيرين... فمن نعمة الله عز وجل على العبد أن يكون ذا مال = [١١٤] ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿نُؤْتِيهِ﴾ قرئ: (يؤتيه) بالياء المثناة تحت على الغيبة لمناسبة "ومن يفعل ذلك". وقرئ: (نؤتيه) بنون العظمة التفاتاً من الغيبة للتكلم، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة. أو أجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بمنزلة ﴿سَنُقَلِّبُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بعد قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾. [١١٧] ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشياطين» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وإذا أضيف إلى عدد مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٣﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا آمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٥﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٦﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا ﴿١٢٧﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تُؤْتُونَ نَهْنَهَ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَرَبَّعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعَفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٨﴾

(٩٨)

١٢٣ - ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾: قيل: غني بهم مشركو العرب؛ لأنهم كانوا يقولون: لا تُعذب، وكان
أهل الكتاب يقولون كذلك. ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾: معصية الله كبيرة وصغيرة، من مؤمن وكافر.
وقيل: هو الشرك. ولما نزلت هذه الآية، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا. فقال رسول الله ﷺ:
«قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة يُنكبها، أو الشوكة يشاكها» رواه
مسلم. والنكبة: العثرة برجله ونحوها. وقيل: إنه يجازي المؤمن بالمصائب فيحط من ذنوبه، ويجازي
الكافر في الدنيا بما يبلى به، ولا تحط بلواه من وزره، وله في الآخرة عذاب النار. قال الله عز وجل:
﴿وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾. ١٢٤ - ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: أي لا ينقصون شيئًا. والنقير: النقرة التي
تكون في وسط النواة. ١٢٥ - ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: عامل بما أمر به ﴿حَنِيفًا﴾: مسلمًا، وليس يُقبل منه
إلا أن يكون حنيفًا. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: وليًا، أي جعله صفوة، وخصه بكرامة تشبه كرامة
الخليل عند خليله. ١٢٦ - ﴿فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾: قيل: هن اليتامى يكنن عند الرجل من ذوي قرباه،
يرغب في نكاحها؛ ويعضلها عن النكاح لتموت فيرتها، أو تكون شريكته في المال فيعضلها لئلا
يشركه أحد بسببها في المال. ﴿وَالْمُسْتَضَعَفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ﴾: كانت العرب لا تورث الصغير من
ولد الرجل، ففرض الله الميراث للصغير والكبير، من الذكور والإناث. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في
الميراث والمهر. ١٢٧ - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال:
قالت اليهود والنصارى: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: إنا لا بُعث، فأنزل الله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا آمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: وأخرج ابن جرير عن مسروق قال: تفاخر النصارى وأهل الإسلام
فقال هؤلاء نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، فأنزل الله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا آمَانِي
أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وأخرج أيضا عن مسروق قال: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا آمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾. ١٢٧ - قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ الآية. روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده
اليتيمة، وهو وليها ووارثها، قد شركته في مالها حتى في العذق، فيرغب أن ينكحها، ويكره أن يزوجه رجلًا فيشركه في مالها فيعضلها، فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن
السدي: كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها، ولا يُنكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت.
١٢٤ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَتِيلًا﴾ [النساء: ١٤٩، ٧٧، الإسراء: ٧١]. "النقير" هو النقرة التي في
ظهر النواة، أما "الفتل" فهو الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة. ١٢٧ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٧]، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي
الْكُلَّةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. الأول لما اتصل بما بعده وهو قوله: ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعًا، والثاني لما انفصل عما بعده اقتصر من
الاتصال على العائد، وهو ضمير المستفتين وليس في الآية متصل بقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، لأن ذلك يستدعي: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ أي: في الكلالة، والذي يتصل
بيستفتونك محذوف يحتمل أن يكون ﴿فِي الْكُلَّةِ﴾، ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع = وجدة، أي: ثروة وغنى، ومن تمام نعمته عليه فيه أن يكون
عونًا له على طاعة الله. ١١٥ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
[الحشر: ٤]. ما الفرق بين: "يشاقق، يشاقق"؟ الجواب: وردت كلمة (يشاقق) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (يشاقق) مرتين. وردت كلم (يشاقق) (موحدة
القاف) عندما كان متعلقها واحدًا يتصف بالواحدانية (وهو الله سبحانه وتعالى) وعندما كان ما يليها ساكنًا. أما (يشاقق) مثناة القاف، فقد وردت عندما كان
الموقف يقتضي المجاهرة، فكانت المجاهرة اللفظية (بتكرار حرف القاف متسقة مع المجاهرة المعنوية). قال البقاعي: أظهر القاف (أي في كلمة يشاقق) إشارة
إلى تعليقه بالمجاهرة، لأن السياق لأهل الأوثان وهم مجاهرون. وذلك في سورة النساء [١١٥]، ويضاف إلى قول البقاعي: أن الآية فيها مجاهرة أخرى وهي قوله
تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء: ١١٥] فبين الهدى مجاهرة لهؤلاء الكفار بدعوة الحق، وهذه المرة الوحيدة التي ورد فيها التعبير بكلمة يشاقق (مثناة
القاف). ١٢٢ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾ [التوبة: ١١٤]. ما الفرق بين:
"وعد، موعدة"؟ الجواب: وردت كلمة (وعد) ستين مرة. بينما وردت كلمة (موعدة) مرة واحدة. (وعد) المصدر الأصلي للفعل (وعد) لذلك تكرر ورودها
كثيرًا في القرآن، بينما (الموعدة) هي المصدر الميمي، والمصادر الميمية أقل دورانًا - في الجمل - من المصادر الأصلية، ولذا جاءت كلمة (موعدة) مرة واحدة.
(الوعد) استعمل في المرات الستين في الوعود الصادقة الفعلية التي تمت حقًا. أما (الموعدة) فقد جاءت في القرآن للتعبير عن الوعد الذي تخلف ولم يتم ولم
يمض حتى نهايته، كما في وصف وعد إبراهيم - عليه السلام - لأبيه بأنه سيستغفر له ربه طمعًا في هدايته، ولكن لما تبين له أن أباه عدو لله تبرأ منه، وترك
الاستغفار له. ١٢٢ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. ما الفرق بين: "قولًا،
قيلًا"؟ الجواب: وردت كلمة (قولًا) تسع عشرة مرة. بينما وردت كلمة (قيلًا) ثلاث مرات. صيغة القول هي الأصل، لذا كثر استعمال (قول) في القرآن، وقيل
استعمال (قيلًا) التي تدل على البناء للمجهول. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. معناه: ليس من أحد أصدق من الله قولًا، أي أنه
معدوم أن يكون أحد أصدق من الله قولًا، ففعل القول الذي يدل على العدم يجب أن يكون مبنيا للمجهول، والاسم المبنى منه هو (قيلًا). وكما قال تعالى: ﴿لَا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ [١٥] إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦]، فإن الفاعل القول هنا غير محدد: أي مجهول. ففعله يجب أن يكون مبنيا للمجهول، والاسم
المبنى عليه يأتي على صورته، لأن المهم هنا (ما قيل) وليس الفاعل. ١٢٤ ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ هنا وفي
"مريم: ٦٠، فاطر: ٣٣، غافر: ٤٠، ٦٠"، قرئ: (يَدْخُلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء مبنيا للمفعول من أدخله، والواو نائب فاعل. وقرئ: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء
وضم الخاء على البناء للفاعل، والواو هي الفاعل. ١٢٥ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ [إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما روّد لفظ
(المساجد والسجود) ومشتقاته (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة.

١٢٨- ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾: زوجها: ﴿شُورًا﴾: بُغْضًا أو تحافًا، أي توقعت منه النشوز أو الإعراض، لظهور بعض علاماته أو مقدماته. ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: لا حرج ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: أي نوع من أنواع الصلح المباح. فذلك خير من الفقرة. قيل: هو الرجل تكون عنده المرأة الدميعة، أو التي قد كبرت، فيتزوج الشابة يلتمس الولد، فما اصطلحا عليه؛ من أن تهبه يومه، أو من أيامها لترضيه بذلك فلا حرج عليه. ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾: قيل: أنفس النساء على حظوظهن من أزواجهن وأموالهن. وقيل: على نفس زوجها وماله؛ وفي الآية إخبار بأن الشح في كل الأنفس الإنسانية، وأنه حاضر لها أو معها بحكم الجيلة والطبيعة. ١٢٩- ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾: تُسَوُوا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾: في الحب: ميل النفس والقلب، ﴿كُلِّ الْمَيْلِ﴾: تعمد الإساءة، ومنعها يومها ونفقتها. وروى أهل السنن وأحمد وغيرهم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كانت له امرأتان يميل مع إحداها على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقط» «صححه الألباني». ﴿فَتَدْرُوهَا﴾: تتركوها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ بمعنى: لا هي أيم، ولا ذات زوج. ١٣٠- ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا﴾: إن أبت المرأة البقاء على نشوز زوجها، وإعراضه «يتفرقا»: بطلاق الزوج إياها. ﴿وَسِعًا﴾: جوادًا يسع لما يسال. ١٣١- ﴿غَنِيًّا﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدًا﴾: مستوجباً حمد عباده، بعظيم فضله عليهم. وقال علي رضي الله عنه: «حميداً» مستحماً إليهم. ١٣٤- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: قيل: من أظهر الإيمان من المنافقين بلسانه، فله في الدنيا الأمن بذلك على نفسه، والنصيب في المغنم إذا شهد مع المسلمين، وله النار في الآخرة. ١٢٨ قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ﴾ الآية. روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: خافت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أسنت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُورًا﴾ الآية. وروى الترمذي مثله عن ابن عباس. وأخرج سعيد بن منصور، عن سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن

خديج فكره منها أمراً إما كبيراً أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ﴾ الآية. وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج. ١٢٨ ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]. الآية الأولى فيما بين المرأة وزوجها فإذا خافت منه وأرادت تألفه وبقائه وكيونتها في عصمته، فلا جناح عليهما أن تعطي شيئاً من نفسها وتترك بعض حقها، كأن تؤثر ضررها في القسمة، أو تترك هي حظها كما فعلت سودة رضي الله عنها، أو تهب له من حالها، لا جناح عليهما في هذا ولا على زوجها في قبول ذلك منها، وإن كان الطبع يأبى إسقاط حق أو تقصه لما جبلت عليه النفوس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾، فندب كلا منهما إلى الإحسان والتقوى والزواج أخص بذلك وأولى، وأن يحتمل كل منهما من صاحبه ويصبر فإن الله مطلع عليه خبير بما يكنه ويخفيه، ثم قال: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، لأن القلوب لا تملك ولا بيد الإنسان فسادها ولا صلاحها، فإن عدل في القسمة والمحادثة والإنفاق والنظر وبشاشة الوجه وجميل الملاقة، وفرضنا اجتهاده في هذا كله حتى تحصل المساواة لم يقدر أن يميل بقلبه إلى كلهن على حال سواء: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾، بل على الإنسان أن يجتهد. وفي الحديث عنه ﷺ: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» ضعيف، رواه الترمذي وغيره. ﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾، لا ممسكة ولا مطلقة ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾، والمراد ما استطعتم وكان في إمكانكم فإن الله يغفر لكم ما سوى ذلك، والآية الأولى مقصودها يستدعي ما ختمت به من أنه تعالى خبير بأفعال عباده وأعمالهم الظاهرة والباطنة، ومساق هذه الأخرى يستدعي مغفرته تعالى، إذ قد عرفت الآية أن العدل لا استطاع فإن لم تكن المغفرة هلك المكلف، فورد أعقاب كل آية ما يناسب، وأما ورود ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ في الآية الأولى وورود ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ هنا فمفهوم مما تهجد، وأنسب شيء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١٢٩ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَكُنْتُمْ وَرَبِّعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]، ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]. الآية الأولى تدل على أن العدل بين الزوجات ممكن، وقد جاء في الآية الثانية ما يدل على أنه غير ممكن، فكيف التوفيق؟ **الجواب:** أن العدل بينهن الذي ذكر الله أنه ممكن هو العدل في توفية الحقوق الشرعية، والعدل الذي ذكر أنه غير ممكن هو المساواة في المحبة والميل الطبيعي، لأن هذا انفعال لا فعل فليس تحت قدرة البشر، والمقصود أن من كان أميل بالطبع إلى إحدى الزوجات فليقت الله وليعدل في الحقوق الشرعية، كما يدل عليه قوله: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ وهذا الجمع روي معناه عن ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم نقله عنهم ابن كثير في تفسير قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾. وروى الإمام أحمد وأهل السنن عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: القلب. ضعيف، رواه الترمذي وغيره.

١٣١ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٢٦، ١٣١، ١٣٢]. جاءت ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أربع مرات متقاربة لماذا؟ **الجواب:** لأن الكلام أعيد لأسباب مختلفة تقتضيه، فالموضع الأول تعقيباً على أن الفضل العظيم لا يناله المسلمون بالأمان، ولا بأمان أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما يُنال بالإيمان الصادق بالله تعالى، وهو يجازي على الأعمال السيئة والصالحة، وله ما في السماوات وما في الأرض ﴿وَكَاَتَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]، والموضع الثاني جاء بعد الإذن للزوجين بالتفرقة، لأنه يغني كلاً من فضله، لأن له ما في السماوات وما في الأرض، ثم في الموضع الثالث بعد وصية المؤمنين وأهل الكتاب بالتقوى، لأنه واسع الفضل، لأن له ما في السماوات وما في الأرض ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١]، وفي الموضع الأخير لأنه مالك السماوات والأرض اقتضى ذلك أن يخبر عن كمال كفايته وحفظه للمؤمنين، ولا زيادة على كفايته في حفظ ما هو موكول إلى تدبيره ﴿وَكُنِّي بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢]، وفي كل موضع ختم الكلام بما يقتضيه في تناسب بديع. ١٢٨ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ قوله تعالى: ﴿يُصْلِحَا﴾ قرئ: (يُصْلِحَا) بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف من أصلح، لأن المصلح بين المتنازعين مستعمل، قال الله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾. وقرئ: (يُصَالِحَا) بفتح الياء والصاد مشددة وبألف بعدها وفتح اللام على أن أصلها (يتصلحا)، فأبدلت التاء صاذاً وأدغمت في الصاد لأنه لما رأى الفعل من اثنين زوجة وزوج، وهما مذكوران في أول الكلام أتى الفعل من باب المفاعلة التي تثبت للثنتين، فجاء على: تَصَالَحَ الرجلان يتصلحان، وأدغمت الياء في الصاد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوًىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَاَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُعَذِّبَهُمُ
سَيِلًا ﴿١٣٧﴾ بُشِّرِ الْمُتَفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ
يَخْذُلُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُوْمِنِينَ لَا يَنْصُرُوهُمْ
عِنْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[١٣٦] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء : ١٣٦]. إنما خصّ الله تبارك وتعالى القرآن بصيغة: "نَزَلَ" التي تدل على التضعيف، لأن القرآن حينئذ كان ينزل على قلبه ﷺ متفرقاً وطبقاً لأحوال المسلمين لمعالجة مشاكلهم، بينما التوراة نزلت مرة واحدة وقد انقضى نزولها.

[١٣٨] ﴿بَشِيرٍ الْمُنْتَظِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: ١٣٨]. من المعروف أن التبشير يكون بالشيء الحسن، أمّا هنا فجاء التبشير من باب السخرية والتهكم منهم.

[١٣٥] ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا﴾ قوله تعالى: ﴿تَلَوْا﴾ قرئ: (تَلَوْا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها على وزن كفو، قيل: من الولاية، أي: وإن وليتم أمر الشهادة أو تعرضوا عنها. وقرئ: (تَلَوْوا) بإسكان اللام وإثبات الواو المضمومة قبل الساكنة على أنه فعل مضارع من "لوى يلوي"، والأصل: (تلويوا) استثقلت الضمة على الياء فحذفت، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضمت الواو لأجل واو الضمير. [١٣٦] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾

ضمير الكتاب. وقرئ: (نَزَلَ - أَنْزَلَ) بفتح النون والهزمة والزاي فيهما على بنائهما للفاعل وهو الله تعالى. [١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا﴾ قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ﴾ قرئ: (نَزَلَ) بفتح النون والزاي مشددة على بنائه للفاعل وأن ما بعدها نصب بنزل، والفاعل ضمير الله تعالى. وقرئ: (نَزَلَ) بضم النون وكسر الزاي مشددة مبنية للمفعول، والنائب (أن وما في حيزها) أي: نزل عليكم المنع من مجالستهم عند سماعكم الكفر بالآيات والاستهزاء بها.

١٤١- ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ يُكْمِ﴾: هم المنافقون ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾: بمعنى: ألسنا منكم؟ أعطونا من المغنم ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾: ظفر بالمسلمين؟ ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾: أصل «الاستحواذ» الغلبة. كانوا يقولون عند ذلك: ألم نبين لكم؟ ألم نغلب عليكم حتى هابكم المسلمون، وخذلناهم عنكم وقيل: المعنى: ألم نهركم ونغلبكم وتمكن منكم ولكن أبقينا عليكم. وهو أرجح ﴿سَبِيلًا﴾: حجة. وقيل: في الآخرة. ١٤٢- ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾: أي يفعلون ما يفعل المخادع، بإظهارهم الإيمان، واعتقادهم الكفر ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾: وهو فاعل ما يفعل الغالب في الخداع، بأن منع دماءهم بما يظهرون استدراجاً لهم، حتى يلقوه في الآخرة كفاراً. ﴿كُذِّبَ﴾: لأنهم يرونها غير مفروضة عليهم، فصلاتهم رياء وخوف. ١٤٣- ﴿مُذَبِّبِينَ﴾: مترددين. وأصل «التذبذب»: الحركة والاضطراب. ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً يخرجهم إلى الهدى والسلامة. ١٤٤- ﴿سُلْطَنَا مُبِينًا﴾: حجة ظاهرة. ١٤٥- ﴿فِي الدَّرَكِ﴾: في الطبقة، الذي في قعر جهنم، وقيل: توابيت من النار تطبق عليهم ﴿نَصِيرًا﴾: ناصراً ومنقذاً. ١٤٦- ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾؟ بمعنى: ما يصنع الله وأي حاجة له بعذابكم؟! ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾: فالعذاب ليس إلا مجازاة للعصاة، وفي الآية أجمل وجوه الحض على عدم الوقوع في المعاصي. ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾: يشكر عباده على طاعتهم، فيشيهم عليها ويتقبلها منهم سبحانه وتعالى. [١٤٧] معنى اسم الله الشاكر: من أسمائه تعالى: ((الشاكر الشكور)) الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه، بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، فبعينه ما يحتمل المتحملون لأجله، ومن فعل لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئاً لأجله عوضه خيراً منه، وهو الذي وفق المؤمنين لمرضاته، ثم شكرهم على ذلك، وأعطاهم من كراماته، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه، وإنما هو الذي أوجبه على نفسه جوداً منه وكرماً. [١٤٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

الَّذِينَ يَرَبُّونَ يُكْمِ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ١٤٣ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَنَنُحِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ١٤٤ إِنْ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧

(١٠١)

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٦٠، النساء: ١٤٦] ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. لم يذكر في آية البقرة ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ لأنه جاء في الآية قبلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّه﴾ [البقرة: ١٥٩]، فلو أعاده لحصل التباس لعدم وضوح تعلق ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بقوله: ﴿يَكْفُرُونَ مَا أَتَوْا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٥٩]، أو متعلق بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا﴾، فالمراد في آية البقرة الکتب بعد البيان، وفي غيرها مما ورد فيه ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المراد التوبة بعد الکتب، ولذلك لم يذكرها أيضًا في آية النساء لأنها تخص المنافقين. [١٤٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَنَنُحِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]. من مظاهر موالاته الكفار: ١- التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما. ٢- الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين. ٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس، والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة كالعلاج، والتجارة، والتعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم. ٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومدحهم والذب عنهم. ٥- الاستعانة بهم في غير حالة الضرورة، والثقة بهم، وتولييتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين. ٦- ومن مظاهر موالاته الكفار التأريخ بتاريخهم، خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم... ٧- مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها. ٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الفاسدة. ٩- ومن مظاهر موالاته الكفار التسمي بأسمائهم بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداًتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم. ١٠- الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك. ١١- الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة. ١٢- التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم. ١٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم. تنقسم الموالات إلى قسمين: ١- موالاته مطلقة عامة، وهذا كفر صريح، وهي هذه الصفة مرادفة لمعنى التولي، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة النهي الشديد عن موالاته الكفار، وأن من والا هم فقد كفر. ٢- موالاته خاصة: وهي موالاته الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضرار نية الكفر والردة، كالذي حصل من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في إفشاء سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مكة، كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة. فالموالات المطلقة العامة مرادفة لمعنى التولي، وهي بهذا الوصف كفر ورده، ومنها ما هو دون ذلك بمراتب، ولكل ذنب حظّه وقسطه من الوعيد والذمّ، بحسب نية الفاعل وقصده. ومسمى الموالات يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة لذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات. [١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]. من ثمرات الشكر: ١- الزيادة من الله عز وجل. ٢- حفظ النعم ودوامها، ومن المأثورات التي يتناقلها الناس، وبالشكر تدوم النعم. ٣- الجزاء الذي ادخره الله تعالى للشاكرين. ٤- شكر الله تعالى لهم سعيهم. ٥- الشاكرون خاصة الله وأحبّاءه؛ لأنهم في عالم العباد قليل. ٦- فرح الشاكرين وشوقهم لما خيى لهم من عظيم الجزاء وشوقهم لنيله. ٧- إكثارهم من صنائع المعروف في العباد، فشكرهم نفع لمن حولهم من الناس. ٨- لا يحدون معروفًا وفد إليهم من أحد، بل تلهج ألسنتهم بشكر من فعله معهم. ٩- الصبر والحلم خلق الشاكرين، فتراهم يسعون في حاجة الخلق من حولهم، ويتحملون ما يصدر عنهم من إساءة، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة؛ تخلقاً بأخلاق الله. ١٠- الكرم والسخاء دأب الشاكرين، تخلقاً بخلق الله وتأسيًا برسوله ﷺ. أركان الشكر ثلاثة: ١- الاعتراف بالنعمة باطنًا. ٢- التحدث بها ظاهرًا. ٣- تصرفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. [١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿الدَّرَكِ﴾ قرئ: (الدرك - الدرك) بإسكان الراء وفتحها، وهما لغتان بمعنى واحد مثل "القدر، والقدر" "السمع، والسمع" "والدرك، والدرك" هو المكان.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [١٤٨] **﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾** [١٤٩] **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾** [١٥٠] **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾** [١٥١] **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [١٥٢] **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعَصْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾** [١٥٣] **﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَاهُمْ أَذْهَبُوا أَبْوَابَ السَّجْدِ أَذْهَبُوا فَوْقَهُمْ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾** [١٥٤]

[١٠٢]

١٤٨- ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾: قيل: لا يجب أن يجهر أحدكم بالدعاء على أحد؛ إلا أن يكون المدعو عليه ظالمًا له، فمباح له أن يدعو عليه، ويقول فيه. فلان ظلمي أو هو ظالم ونحو ذلك. ١٥٠، ١٥١- ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: بقولهم: إن الرسل كذبت على الله!! أو بسبب كفرهم ببعض الرسل دون بعض. ﴿سَبِيلًا﴾: دينًا وسطًا بين الإيمان والكفر. وقد أخطؤوا وضلوا فإنه لا وساطة بين الكفر والإيمان. ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾. ١٥٣- ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾: هم اليهود سألوا رسول الله أن يرقى إلى السماء وهم يرونه، فينزل عليهم كتابًا مكتوبًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: قد مضى تفسير ما سألوه وما عُوقبوا عليه في سورة البقرة. ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: حجة بينة، وهي الآيات التي جاء بها. ١٥٤- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ﴾: أي بسبب ميثاقهم ليعطوه، لأنه روي أنهم امتنعوا من قبول شريعة موسى، فرفع الله عليهم الطور فقبلوها. وقيل: المعنى: بسبب نقضهم ميثاقهم الذي أخذ منهم، وهو العمل بما في التوراة. ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾: لا تتجاوزوا ما أمرتم به. ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: وهو العهد الذي أخذه عليهم في التوراة بمراعاة يوم السبت. [١٤٨] قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ الآية أخرج هناد بن السري في «كتاب الزهد» عن مجاهد قال: أنزلت: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ في رجل أضاف رجلًا بالمدينة، فأساء قراه، فتحول عنه فجعل يثني عليه بما أولاه، فرخص له أن يثني عليه بما أولاه. [١٥٣] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله فأتانا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿بِئْتَانًا عَظِيمًا﴾.. فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئًا، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية. [١٤٨] ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [آخر النساء: ١٤٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: أي: إن الله سميع لأقوال عباده، عليم بما يخفون، أما ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، أي: أن الله سميع لأقوال عباده، بصير بأعمالهم ونياتهم، وسيجازيهم على ذلك. [١٤٩] ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]. قوله في آية النساء: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾، لأن الخير فيها وقع في مقابلة السوء في قوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٤٨]، فناسب أن يكون مقابل السوء الخير، أما سورة الأحزاب ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى أَتْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِهُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِجِدِّثَ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُوْذَى الْتَنَّى فَيسْتَحْيَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فكلها أفعال ينهى الله تعالى صحابة النبي ﷺ عنها، فاقضى العموم، وأعم الأسماء كلمة ﴿شَيْءٍ﴾، ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. [١٤٩] ﴿عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [آخر النساء: ١٤٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾: قوله تعالى: ﴿عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: أي: من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم، أما ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾، أي: أن الله تعالى كان عفوًا عنكم، غفورًا لكم. [١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ...﴾ [النساء: ١٥٢]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]. في الآية الأولى كان الحديث عن الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم، فكان الجزاء ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾، أما في الآية الثانية فكان الجزاء للذين جاء تفصيل أعمالهم، فهم علاوة على الإيمان بالله ورسوله راسخون في العلم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة ويؤمنون باليوم الآخر، فلما كانت الآية أكثر تفصيلًا لأعمالهم كان الجزاء العظيم، ومن كلام الله مباشرة ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. [١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ...﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾ [المائدة: ١٣]. بسبب نقض اليهود للعهد، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغشية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أما آية المائدة: فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهدهم المؤكدة طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان... [١٤٨-١٤٩] ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [١٤٨] ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٨-١٤٩]. موقع هذه الآية عقب الآية التي قبلها: أن الله لما شوه حال المنافقين، وشهر بفضائحتهم تشهيرًا طويلاً، حذر تعالى المسلمين من أن يغضبهم ذلك على من يتوسمون فيه النفاق، فيجأهروهم بقول السوء، ورخص لمن ظلم من المسلمين أن يجهر لظالمه بالسوء، لأن ذلك دفاع عن نفسه. قال الرازي رحمه الله تعالى: اعلم أن معاهد الخير على كثرتها محصورة في أمرين: صدق مع الحق وخلق مع الخلق، والذي يتعلق مع الخلق محصور في قسمين: إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله: ﴿أَوْ تُعْفَوْا﴾ إشارة إلى دفع الضرر عنهم. فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر. [١٥٢] ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ قرئ: (يؤتيهم) بالياء والضمير لله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾. وقرئ: (نؤتيهم) بنون العظمة التفتا، وهو إخبار من الله جل ذكره عن نفسه. [١٥٤] ﴿وَقَلْنَاهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَعْدُوا﴾ قرئ: (تعدوا) بإسكان العين مع تشديد الدال، وقرئ: باختلاس حركة العين مع تشديد الدال أيضًا. وقرئ: (تعدوا) بفتح العين وتشديد الدال وأصلها على هذا: تعتدوا، نقلت حركة تاء الافتعال إلى العين لأجل الإدغام وقلبت دالًا وأدغمت. وقرئ: (تعدوا) بإسكان العين وتخفيف الدال من عدا يعدو كغزا يغزو، حذف ضمة الواو الأولى التي هي لام الكلمة ثم حذفت هي لالتقاء الساكنين فوزنه تفعوا. وقيل: إن قراءة إسكان العين وتخفيف الدال على = [١٤٨] ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر) بمشتقاته، مع لفظ (العلانية) بمشتقاته (وقد ورد كل منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم).

١٥٥- ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع أغلف، وهو المغطى بالغلاف، أي قلوبنا في أغطية فلا نفقه ولا نفهم ما تقول. ١٥٦- ﴿بُهْتَنًا﴾: هو رميها بيوسف النجار، وكان من الصالحين. والبهتان: الكذب المفرط الذي يتعجب منه. ١٥٧- ﴿شَيْبَةً لَّهُمْ﴾: ألقي الله شبهه على رجل من أصحابه فقتلوه، ورفع الله عيسى وهم يظنون أنهم قتلوه. ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يعني: اليهود الذين أحاطوا بالبيت الذين كان فيه عيسى عليه السلام، وعرفوا عدة من كان معه، فلما دخلوا فقدوا واحداً من العدد، وهو عيسى؛ إذ رفع فالتبس عليهم الأمر ولحقهم الشك. ١٥٩- ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: قبل موت عيسى، وذلك أنه ينزل في آخر الزمان، فتصير الملل واحدة، وهي ملة الإسلام، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا أسلم. وقيل: لا يموت الكتابي ولا تخرج روحه حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وأن أعجل بغيره، أو ضربة عنق، أو سقوط جدار عليه. ﴿شَهِيدًا﴾: بمعنى: شاهد. يشهد عيسى عليه السلام على أهل الكتاب: يشهد على اليهود بالكذب له والطعن فيه، وعلى النصارى بالغلو فيه حتى زعموا أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة. ١٦٠- ﴿فِطْرِهِمْ﴾: بمعنى: بسبب ظلمهم وبغيهم. ﴿حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيتَ أُحِلَّت لَّهُمْ﴾: تشديداً عليهم، ولأن هذه الشدة تصلحهم أو تصلح لهم. والطيبات هذه: قيل: هي التي نص عليها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا...﴾ الآية. ١٦٢- ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: العالمون بكتب الله المنزلة عليهم، والراسخ هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه، ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾: من آمن من أهل الكتاب، أو المسلمون، أو من الجميع.

١٥٥ ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]. في آية البقرة قولهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، قالوه على سبيل الاستفهام بمعنى الإنكار، يعني ليست قلوبنا فيه مغلفة أو مغلقة أو مغطاة، بل قوية ومستتيرة، ولقد تأملنا في دلائلك يا محمد فلم نجدك على الحق، فلما صدر عنهم هذا الكبر، وهذا التصلف الكاذب لعنهم الله على كفرهم الحاصل بسبب هذا القول، أو أنهم كذبوا في ادعائهم محمد ﷺ فكان كفرهم كفر العناد، فلذلك لعنهم الله على ذلك الكفر، أمّا في آية النساء فإنه تعالى كذبهم في ادعائهم أن قلوبهم أوعية للعلم - واستثنى الراسخين في العلم منهم - وبين أنه تعالى طبع عليها وختم عليها فلا يصل أثر الدعوة والبيان إليها.

١٥٦، ١٥٥ ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّثْقَهُمْ وَيَايَبُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَعَقْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ﴾ [النساء: ١٥٦]. كرهه لتكرار الكفر منهم، فإنهم كفروا بموسى وعيسى، ومحمد ﷺ. ١٥٧ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧]. إن قيل: اليهود الداخلون تحت أهل الكتاب كانوا كافرين بعيسى، فكيف أقروا بأنه رسول الله؟ **الجواب**: قاله استهزاء، كما قال فرعون: ﴿قَالَ إِنِّي رَسُولُكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. = أن أصل الكلمة تعتدوا - بواوين - لأنه من عدا يعدو، ثم أعل فصار (تعدوا) مثل قولك: لا تدعوا ولا تعدوا إذا نهيت جماعة، وشاهده قوله تعالى: ﴿يَعْدُونَكَ فِي﴾ ونحو: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ونحو: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فكل هذا من عدا يعدو، ولا خلاف في تخفيف موضع الأعراف: ١٦٣.

١٦٢ ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ قرئ: (سيؤتيهم) بالياء التحتية، وذلك جرياً على السياق، والفاعل ضمير تقديره هو يعود على الله تعالى. وقرئ: (سنؤتيهم) بنون العظمة التفتاً من الغيبة إلى التكلم، والفاعل ضمير مستتر وجوباً.

١٥٧-١٥٨ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. **عجازه تاريخي**: قصة الصلب: من أبناء الأولين التي ظل الناس في شك من حقيقة أمرها القصة التي تذكر صلب عيسى عليه السلام، كما في الأناجيل عند النصارى، فقد شهد قوم عيسى عليه السلام، وكذلك جماهير الرومان حادثة صلب، ولم يساورهم شك في أن عيسى عليه السلام قُتل وصلب، إلا أن الحوارين شاهدوا عيسى عليه السلام - بعد حادثة الصلب المزعومة - حياً، كما ورد ذلك في إنجيل لوقا: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحاً، فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكاراً في قلوبكم، انظروا يدي ورجلي إني أنا هو، جسوني وانظروا، فإن الروح ليس لها لحم وعظام كما تروني، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون، قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل، فأخذه وأكل قدامهم». وقد أصبح الجميع في حيرة من حقيقة الأمر، فالتناس يقولون: إنه صُلب، وقد رأوا ذلك رأي العين، والحواريون يقولون: إنهم قبلوه بعد حادثة الصلب المزعوم - بجسده وروحه - حياً يُرزق، ولم يجدوا تفسيراً لهذا التناقض إلا قولهم: إنه صُلب ومات ودفن، ثم بُعث من بين الأموات، ولكن القرآن الكريم جاء ليكشف عن هذا السر ويُزيل ذلك الغموض، فقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. فالحقيقة: أن الذي صُلب هو الشبه، فالذين قالوا: «رأيناه مصلوباً» أخبروا بما رأوا إذ ظنوا الشبه هو عيسى عليه السلام نفسه، والذين قالوا: «رأيناه بعد الحادث» هم على حق، لأنه لم يُصلب، وأتى القرآن الكريم بالعلم الذي يكشف الحقيقة، ويُخرج الناس من الاختلاف، وهذا النوع من الإعجاز يُعد من أدلة صدق الرسول ﷺ، لأن القصة وقعت بعيدة عن زمن النبي وصار أهلها في ارتباك وحيرة، ويأتي نبي أمي في أمة أمية بعد قرون، يكشف لهم السر، ويبين لهم التفسير الحقيقي للمشاهدات التي تبدو متناقضة، فيرفع عنها التناقض، ويُزيل الإشكال. ١٥٩ ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ **عجازه عددي**: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. ١٦٢ ﴿لَنَكُنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ **عجازه عددي**: تكرر لفظ (اليوم) و(يوماً) في القرآن الكريم (٣٦٥) مرة - أي بعدد أيام السنة -.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا ﴾ [١٦٣] وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا الرُّسُولَ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكَمْ فَتَأْمُرُوا بِالْحَقِّ وَالْكَافِرُونَ لَا تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

١٦٣- ﴿زُبُورًا﴾: الزبور: كتاب داود، وهو مائة وخمسون مزموراً. قال القرطبي: ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هي حكم ومواظ. اهـ. والزبور: الكتابة، والزبور بمعنى المزبور، أي: المكتوب. ١٦٤- ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: أي: كلمه الله تعالى بحيث أسمع موسى كلاماً علم منه أن المتكلم هو الله تعالى لا غيره. قال ابن قتيبة: الفعل إذا أكد بالمصدر، دل على الحقيقة، ونفي عنه المجاز. ولهذا سمى موسى عليه السلام بالكليم. أي الذي كلمه ربه سبحانه. ١٦٥- ﴿حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: لئلا يقولوا: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤]. ١٦٦- ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾: أي: بعلمه الذي لا يعلمه غيره من كونك أهلاً لما اصطفاك له من النبوة، وأنزله عليك من القرآن ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: تسلياً لرسول الله، أي: فلا تحزن لتكذيب من كذبك من الكفار، فإن شهادة الله لك كافية سبحانه وتعالى. ١٦٧- ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الإسلام، بإنكارهم نبوة محمد ﷺ. ١٦٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾: بإقامتهم على الكفر، وبصددهم غيرهم عن الإيمان.

[١٦٦] معنى اسم الله الشهيد: أي المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات، خفيها وجليها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده، وعلى عباده، بما عملوه. [١٧٠] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعلم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عدي بن زيد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى، فأنزل الله الآية. [١٦٦] قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾.

[١٦٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُلَ...﴾ [محمد: ٣٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ...﴾ [محمد: ٣٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن الذين جحدوا أن الله تعالى هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وتبين آية النساء أن هؤلاء قد بعدوا عن طريق الحق بعداً شديداً، وآية سورة محمد الأولى توضح أن هؤلاء الذين خالفوا رسول الله ﷺ، فحاربوه من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله تعالى، لن يضرروا دين الله شيئاً، وسيظل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى، وأما آية سورة محمد الثانية فتبين أنهم لو ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقاباً لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

[١٦٣] ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا﴾ [النساء: ١٦٣]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [٨٤] وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ [٨٥] وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا [٨٦]. رتب الأنبياء في النساء غير ترتيبهم في الأنعام لماذا؟ **الجواب:** آية النساء نزلت ردّاً إلى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾ [النساء: ١٥٣]، وردّاً على قول المشركين: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾ [الإسراء: ٩٣]، فبين هنا أنه ليس كل الأنبياء أنزل عليهم كتاباً، بل بعضهم بوحي، وبعضهم بكتب، وبعضهم بصحف، فقدم نوحاً لعدم وجود كتاب نزل عليه مع نبوته، وأجل النبيين من بعده، ثم فصلهم: فقدم إبراهيم لإنزال صحفه، وتلاه بمن لا كتاب له، ثم قدم عيسى للإنجيل، ثم تلاه بمن لا كتاب له، وهم: أيوب ومن بعده، ثم قدم داود وزبور، وتلاه بمن لا كتاب له ممن قصصهم أو لم يقصصهم، ثم ذكر موسى لبيان أن تشريفه للأنبياء ليس بالكتب، ولذلك خص بعضهم بما شاء من أنواع الكرامات: إما بتكليم أو إسرائ، أو إنزال كتاب، أو صحيفة، أو وحي على من يشاء، فناسب هذا الترتيب ما تقدم، أما آيات الأنعام: فساقها في سياق نعمه على إبراهيم ومن ذكره من ذريته، ففرق بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما، فداود وسليمان بالملك والنبوة، وأيوب ويوسف بنجاتهم من الابتلاء، ذاك بالمرض وهذا بالسجن، وموسى وهارون بالأخوة والنبوة، وزكريا ويحيى بالشهادة، وعيسى وإلياس بالسياحة، وإسماعيل واليسع بصدق الوعد، ويونس ولوط بخروج كل واحد منهما من قرية من بُعث إليه، ونجاة يونس من الحوت، ولوط من هلاك قومه، والله أعلم. [١٦٣] ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا﴾ قوله تعالى: ﴿زُبُورًا﴾ هنا، و"الإسراء: ٥٥، والأنبياء: ١٠٥" قرئ: ﴿زُبُورًا﴾ بضم الزاي. وقرئ: ﴿زُبُورًا﴾ بفتح الزاي، والضم والفتح لغتان في اسم الكتاب المنزل على نبي الله داود عليه السلام. [١٦٣] ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرر بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة **الرسل** بمشتقاتها، **والنبي** ومشتقاتها، **والبشير** ومشتقاتها، **والنذير** ومشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الرسل** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة **النبي** (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **النذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: قد تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [١٧٠] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا الرُّسُولَ بِالْحَقِّ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظ **(الرسل)** ومشتقاته، ولفظ **(الناس)** ومشتقاته ومرادفاته (٣٦٨) مرة في القرآن الكريم. إذاً تساوى عدد مرات تكرار لفظة **(الرسل)** بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة **(الناس)** بمشتقاتها ومرادفاتها، وكل منهما ذكر (٣٦٨) مرة في القرآن.

١٧١- ﴿لَا تَقُولُوا﴾: أصل «الغلو»: مجاوزة الحد والإفراط، يقال: غلا بالجارية لحمها وعظمها؛ إذا أسرع الشاب فجاوزت لِدَاتِهَا. ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾: رسالته التي بشر بها عيسى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: قيل: نفخة جبريل في درعها بأمر الله، وإنما سُمِّيَ النفخ روحاً لأنها ريح تخرج عن الروح وهذا الوصف أو الإضافة ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ للتفضيل، وإن كان جميع الأرواح من خلقه تعالى. أو لأنه خلق بشراً من غير أب؛ ولهذا جاءت هذه الإضافة في خلق آدم بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ لأنه خلق من غير أب ولا أم. وهذه من مسائل عالم الغيب التي عبر عنها القرآن الكريم بلغة عالم الشهادة، وسبيلها أن تفهم في ضوء الآيات المحكمات. وقيل: روح منه: رحمة منه، أو برهان منه، وكان عيسى برهاناً وحجة على قومه. ﴿وَكُنِّي بِاللَّهِ﴾: بمعنى: حسب ما في السماوات والأرض الله مدبراً ورازقاً. ١٧٢- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾: لن يأنف عن العبودية ولن يتنزه عنها. ١٧٤- ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾: جميع الأمة ﴿بُرْهَنٌ﴾: حجة، وهو محمد ﷺ ﴿نُورًا مُبِينًا﴾: القرآن.

[١٧١] معنى اسم الله الوكيل: فهو سبحانه المتولي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أوليائه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه. [١٧٦] قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية. روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: اشتكت فدخل علي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث قال: أحسن، قلت: بالشرط، قال: أحسن، ثم خرج ثم دخل علي قال: لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله أنزل أو بين ما لأخواتك وهو الثلثان. فكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في. [١٧١] ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتِبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ...﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكَتِبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ...﴾ [المائدة: ٧٧]. يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبة ولا

يَتَأَهَّلَ الْكَتِبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ وَفَضْلِ وَهَدْيٍ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

(١٥٥)

ولداً. إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخلقته بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: "كن"، فكان... فهذا ما دلت عليه آية النساء، أما آية المائدة: قل أيها الرسول للنصارى: لا تتجاوزوا الحق فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيراً من الناس على الكفر بالله تعالى، وخرجوا عن طريق الاستقامة... [١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء: ١٧٦]. الأول لما اتصل بما بعده وهو قوله: ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ وصله بما قبله بـ «و» العطف والعائد جميعاً، والثاني لما انفصل عما بعده اقتصر من الاتصال على العائد، وهو ضمير المستفتين، وليس في الآية متصل بقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، لأن ذلك يستدعي: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ أي: في الكلاله، والذي يتصل يستفتونك محذوف يحتمل أن يكون ﴿فِي الْكَلَالَةِ﴾، ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع.

[١] ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآفَاقُ﴾ [الحج: ٣٠]. الأنعام: المواشى من الإبل والبقر والغنم، وإذا وضع أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، فمن المعلوم أن غيرها من الوحشي الذي لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام في عمله قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَلَيْكُمْ صَيْدٌ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، ولما كانت آية سورة الحج منافية بما أمر به الحاج في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، والأمر بتعظيم تلك الحرمات والشعائر الإيمانية في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وصل بها ما يحل أكل لحمه للمحرم حال إحرامه فقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآفَاقُ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ﴾، ولم يكن ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، لأن المراد بهيمة الأنعام الوحشي، قال القرطبي "بهيمة الأنعام وحشيها"، وقال الزمخشري في أحد تفسيريه: "الطباع وبقر الوحشي" ووجه وقوعها في آية المائدة، أن آية المائدة من آخر ما نزل، وقد تضمنت متمات من الأحكام كآية الوضوء والتميم وتفاصيل الصيد واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشروبات، وأحكام هذه السورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة وفيها ورد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فناسب هذا ذكر حلية بهيمة الأنعام إلحاقاً لها بالأنعام، إذ لم يذكره الله في غيرها على ما ورد في تحرير ذلك، وبين العوارض التي قد تحرم لأجلها وذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ﴾، ثم أتبع بقوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، لأن هذه العوارض تكثر في الوحشي، والله أعلم. [٢] ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩، الحشر: ٨]. آية المائدة مبنية على تأنيس وتقريب واستلطاف، وقد أحرز قوله: ﴿رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾، هذه المعاني الثلاثة، ومن التأنيس أيضاً افتتاح خطاب من قصد بها بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ﴾، ثم يحكمه ويقويه ما وصف به البيت الحرام من ابتغاء الفضل والرضوان، والمعصية قد تكون واحدة ثم تعظم بإيقاعها على صفة ما، =

[١٧٤] ﴿قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا﴾ [إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة: أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل. [١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ وَفَضْلِ وَهَدْيٍ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتهما، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذاً يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومترادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكل ورد (٤٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة المائدة: نزلت بعد سورة الفتح، وهي مدنية بالإجماع سوى آية واحدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإنها نزلت يوم عرفة في الموقف. عدد كلمات سورة المائدة: ألفان وثمانمائة وأربع. عدد حروف سورة المائدة: وحروفها أحد عشر ألفاً، وتسعمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً. أسماء سورة المائدة: واسمها سورة المائدة، لاشتغالها على قصة نزول المائدة من السماء، وسورة الأحبار؛ لاشتغالها على ذكرهم في قوله: ﴿وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]. مواضع سورة المائدة: وجلة مقاصد السورة المشتملة عليها: الأمر بوفاء العهود، وبيان ما أحله الله تعالى من البهائم، وذكر

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْعَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجُلًا وَامْرَأَةً فَلِلَّذِي كَرِهَ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا وَاللَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءً عَلَيْهِمْ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الشَّعَرِ ١٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَيِّنُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آتِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

١٠٦

١٧٦ - ﴿الْكَلْعَةِ﴾: ما عدا الوالد والولد. (راجع ص ٧٩) ﴿أَنْ تَضْلُوا﴾ بمعنى: ألا تضلوا.

سُورَةُ الشَّعَرِ ١٠٦

١ - ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: بالعهود التي عاهدتموها بركم. وأصل «العقد»: عقد الشيء بغيره وصلته به؛ كما يُعقد الحبل بالحبل. وقيل: عنى به: عقد العهد واليمين والشركة والحلف وعقد النكاح. ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: قيل: الأنعام كلها. والبهيمة: اسم لكل ذي أربع. وقيل: التي توجد في بطون الأنعام إذا ذبحت أو نحرّت. ﴿إِلَّا مَا يُبَيِّنُ عَلَيْكُمْ﴾: بعد هذا؛ من تحريم الميتة، والدم إلى آخر الآية. وقيل: «إلا ما يتلى عليكم» من صيد الوحش، ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: فلا يحل لكم. ٢ - ﴿شَعِيرَ اللَّهِ﴾: معالم حدوده، وأمره ونهيه وفرائضه. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: قيل: هو رجب؛ لأن «مضر» كانت تحرم فيه القتال ﴿وَالْهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى الله؛ من بعير وشاة وبقرة؛ يقول: لا تحولوا بينهم وبين ما أهدوا إلى أن يبلغ به محله من الحرم. ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾: قيل: هي الهدايا المقلدات منها، و«الهدى»: غير المقلدات. وقيل: القلائد التي كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج في إقبالهم إلى مكة، من لحاء السمر، جمع سمرّة: نوع من الشجر؛ وإذا خرجوا منها إلى منازلهم من الشعر، فمن كان يلقيهم من سائر العرب لم يعرض لهم بسوء. ﴿وَالْآتِينَ﴾: عامدين قاصدين. وقيل: نسخ ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ هذه الآية قوله عز وجل: ﴿فَأَقْضُوا الْفَرَائِجَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُنَّ وَاجْتَنِبُوا كَبْرَهُنَّ﴾ [التوبة: ٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ [التوبة: ٢٨] الآية. ﴿يَنْتَعُونَ﴾: يطلبون ﴿فَضْلًا﴾: ثوابًا، وقيل: ربحاً في تجارتهم ولا مانع من الجمع بين الأمرين. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾: إن شئتم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم: ﴿شَنَاَنُ قَوْمٍ﴾: بغض وعداوة ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾: لصددهم إياكم عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾: تتجاوزوا ما أمركم الله، فالزموا طاعته فيما أحببتم وكرهتم ﴿عَلَى الْبَيْتِ﴾: العمل الصالح.

٢٢ قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطيم بن هند البكري المدينة في غير له يحمل طعاما فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فباعه وأسلم، فلما ولى خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده: لقد دخل عليّ بوجه فاجر وولى بقفاً غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في غير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ نهياً للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقطعوه في غير، فأنزل الله ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ الآية، فأنتهى القوم، وأخرج عن السدي نحوه. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صددهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية.

= وتأمل ما ورد في الزنا بحليلة الجار، والزنا كله كبيرة، ولكن وقوعه بحليلة الجار زيادة لحرمة، وكذلك ما عظم الشرع من الإلحاد في البيت الحرام، والإلحاد كله كفر، ولكن في وقوعه في البيت الحرام زيادة. فإن قلت قد ترد هذه الإضافة حيث لا يقصد التلطف ولا التأنيس كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ السُّوءُ﴾ [الملك: ٦]، إلى أمثال هذا مما يكثر؟ فالجواب: أمّا آية الفتح فلم ينجر فيها تخويف مرتكب، ولا بنيت على ذلك، ولا هي داعية إلى ما يستدعي التأنيس كما في آية المائدة، وهذا مع أن المذكورين في آية الفتح أعظم الأمة قدراً وأجلهم خطراً، وهم أهل المزية والاختصاص، فلم تبني الآية إلا على مدحهم وبيان مزيتهم التي لا يدركها غيرهم، ولم يتخللها نهي ولا تخويف ولا ورود تفضيل بذكر مخالفتي تلك الأحوال، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، فقد وضع الوجه في ورود كل من هذه الآي على ما ورد، وإن عكس الوارد فيها لا يناسب على ما تمهد. ٢٢ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْدُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]. لماذا حذف الحرف "على" في الآية الأولى وذكر في الثانية؟ الجواب: إذا كان الحرف "على" موجوداً في الجملة فإنه يؤكد المعنى، ويكون من باب التوسع فيه، وهذا جائز نحويًا، وإذا نظرنا إلى الآيتين السابقتين نجد أن الثانية مؤكدة عن الأولى، لأن الحرف ذكر، والآية الأولى نزلت في حادثة واحدة حصلت وانتهت وهي تخص قريشاً عندما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام، أمّا الآية الثانية فهي عامة، وهي محكمة إلى يوم القيامة، وهي الأمر بالعدل إلى يوم الدين، ثم إن الآية الأولى تدخل في الثانية؛ لأن العدوان هو الظلم، وهو عدم العدل، لذا اقتضى حذف الحرف "على" في الأولى، وذكره في الثانية. ٢٢ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ قوله تعالى: ﴿شَنَاَنُ﴾ في الموضعين: ٢، ٨، قرئ: (شَنَاَن - شَنَاَن) بإسكان النون وفتحها، والقراءتان بمعنى واحد مصدر شناه بالغ في بغضه، والسكان مخفف من المفتوح، وقيل: الساكن صفة كبغضان بمعنى: بغض قوم. قوله تعالى: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ قرئ: (إِنْ) بكسر الهمزة على أنها شرطية، والتقدير "إن وقع صد فيما يستقبل فلا يكسبنكم الاعتداء" لأن معنى "لا يجرمنكم" يكسبنكم. وقرئ: (أَنْ) بفتح الهمزة مفعول من أجله و"أن تعتدوا" مفعول ثانٍ ليجرمنكم، والكاف والميم مفعول أول، التقدير: لا يكسبنكم بغض قوم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء، وذلك أن المشركين صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن البيت الحرام ومنعوه دخول مكة، فأنزل الله هذه الآية، فعلى هذا يجب أن تكون "أن" مفتوحة؛ لأن المفتوح لما مضى، والمكسور لما يستقبل.

٢٢ ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ (الشهر وشهراً) في القرآن الكريم (١٢) مرة، - أي بعدد شهور السنة. - ٢٢ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود) ومشتقاته (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

= تحريم المحرمات، وبيان إكمال الدين، وذكر الصيد، والجوارح، وجل طعام أهل الكتاب، وجواز نكاح المحصنات منهن، وتفصيل الغسل، والطهارة، والصلاة، وحكم الشهادات، والبيّنات وخيانة أهل الكتاب القرآن، ومن أنزل عليه، وذكر المنكرات من مقالات النصارى، وقصة بني إسرائيل مع العالقة، وحبس الله تعالى إياهم في التّيه بدعاء بلعام، وحديث قتل قابيل أخاه هابيل، وحكم قُطَاع الطريق، وحكم السرقة، وحَد السَّراق، وذم أهل الكتاب، وبيان نفاقهم، وتجنسهم

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ﴾: وهي كل نفس سائلة من دواب البر وطيره، أهلها ووحشها، مما أباح الله أكله، فارقته الروح بغير تذكية ﴿وَالْدَّمُ﴾: هو الدم المسفوح، دون ما كان منه غير مسفوح كالكدب والطحال، وما كان منه في اللحم والعروق غير منسفع، وهو الجاري ﴿وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾: أهلها وبريه، وجميعه حرام ﴿وَمَا أَهْلٌ﴾: ذبح ﴿لَا يَذْبَحُ لِلْأوثانِ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ﴾: التي تختنق فتموت. ﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾: التي تضرب فتموت، وليس في الصيد وقيد ﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾: من علو، أو في بئر فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: المنطوحة، وذلك أن تنطح الشاه أو البقرة الأخرى فتموت من النطاح بغير تذكية فتحرم إن لم تدرك ذكاتها قبل موتها. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: ما أخذ فأنفذ، ولم تدرك ذكاته. وقيل: «السبع»: الصائد غير المعلم مما يصطاد به. ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهوراً. قال علي رضي الله عنه: إذا ركضت برجلها، أو طرفت بعينها، أو حركت ذنبها، فقد أدركت ذكاتها. وكان المشركون يأكلون كل ما تقدم ذكره دون تذكية. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: يعني: وحرم عليكم أيضاً ما ذبح على النصب: وهي الأوثان، وكانت حجارة تجمع ويذبح عليها ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا علم ما قسم لكم وهو مصيكم ﴿بِالْأَزْوَاجِ﴾: وهي قداح كان على بعضها مكتوب: «نهي ربي»، وعلى بعضها: «أمر ربي»؛ فإن هم بسفر وتجارة، وخرج له «الأمر» مضى؛ وإن خرج له «النهي» وقف. ﴿ذَلِكَمْ فُسُقٌ﴾: هذه الأمور المذكورة كلها خروج عن طاعة الله ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كان يوم عرفة، يوم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع بعد دخول العرب في الإسلام ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾: اضطره الجوع ﴿فِي مَخَصَّةٍ﴾: مجاعة إلى أكل ما ذكر تحريمه ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾: متعمد -ها هنا-، وأصله «الجنف»: الميل. ٤- ﴿الطَّيِّبَتُ﴾: الحلال ﴿الْجَوَارِحُ﴾: الكواصب، من سباع البهائم والطيور، يعني: كل ما علم منه الصيد فتعلم وأمسك على صاحبه، فأكله حلال ﴿مُكَيَّنٍ﴾: قيل: من الكلاب وغيرها، وفي هذا

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَفَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ ذَلِكُمْ فُسُقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخَصَّةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَيَّنِينَ يُعَلِّمُونَهُنَّ مَعَ أَمْثَلِكُمْ اللَّهُ فُكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٤ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥

(١٠٧)

اختلاف كثير. والمكَلَّب: معلَّم الكلاب لكيفية الاصطياد، وخص معلم الكلاب وإن كان معلم سائر الجوارح مثله؛ لأن الاصطياد بالكلاب هو الغالب. ﴿فُكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: أمسكت هذه الجوارح عليكم، وهو أن يسكها فلا يأكل، فإن صاد فأكل فعلى نفسه أمسك. وقيل: إذا أشلئت الجوارح، أي أغريتها بالصيد وأرسلتها عليه، فاستشلت، ودعوتها فأجابت ولم تفر منك، فكل ما أمسكت عليك، وإن أكلت. والاختلاف في هذا كثير. ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: قيل: إذا أرسلت الجوارح فقل: «بسم الله» وإن نسيت فلا حرج. ٥- ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: ذبائح اليهود والنصارى. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: الحرائر للزنا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾: يمحى ﴿بِالْإِيمَانِ﴾: بمحمد ﷺ وما جاء به ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾: بطل عمله. [٣] قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ﴾ الآية. أخرج ابن منده في كتاب الصحابة، من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن أبي جبر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فكأفأت القدر. [٤] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ الآية. روى الطبراني، والحاكم، والبيهقي، وغيرهم عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذن لك، قال: أجل ولكننا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع: لا تدع كلباً بالمدينة إلا قتلته، فأتاه الناس، فقالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ الآية. [٥] ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي﴾ [المائدة: ٥]. آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنث الإحصان، وآية سورة المائدة في من يحل في الرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان، فذكر إحصان الرجال أيضاً تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما. [٦] ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]. زاد في آية المائدة ﴿مِنْهُ﴾، لأنها ذكرت جميع أحكام الوضوء والتيمم فناسب الإثبات والبيان، وآية النساء ذكرت بعض أحكام الوضوء والتيمم، فحسن الحذف. [٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَفَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إعجاز علمي: تحريم الميتة: يأتي علم الكائنات الدقيقة بدقائق وأسرار هذا التحريم، ووجد العلماء أن جسم الحيوان محصن ضد غزو الجراثيم مادام الحيوان حياً. ولكن بمجرد موته بعد (١ - ٥) ساعات تتحول جثة الحيوان إلى مستودع للجراثيم والعفونات. تحريم الدم: اكتشف العلم أن الدم إذا سقطت عليه الجراثيم من السكين أو من يد الجزار، فإنها تتولد بسرعة هائلة، وتغزو الدم كله، وتتغذى بمواد الدم. تحريم لحم الخنزير: اكتشف العلم أن لحم الخنزير مستودع لأخبت أنواع الكائنات الدقيقة، وأخبت أنواع الفيروسات والطفيليات الضارة، بل إن لحم الخنزير نفسه تركيبه ضار جداً، يضرب بصحة الإنسان، وآخر الأبحاث أن لحم الخنزير من العوامل المهيئة لوجود السرطان في الأجساد. تحريم المنخفة: اكتشف العلم أن الموت البطيء بسبب الخنق يمكن أن يجعل الحيوان مستودعاً ضخماً للجراثيم، لأنه عندما يبدأ يموت خنقاً فإن مقاومة جدر الأمعاء الغليظة والمقاومة ضد الجراثيم تضعف، فتغزو الجراثيم الجسم، وتجدر الدماء الموجودة لتتغذى عليها في عروق الكائن الحي، وهو لا يزال حياً، فتدخل أجزاء جسم الحيوان كلها، وبذلك يكون مصدرًا للخطر الكبير على أكله. تحريم الموقودة: اكتشف العلم أن الضرب الشديد للحيوان يجعل العروق تتحطم وتختلط بالدماء، وتختلط باللحم، وهذا يفرز مادة أو مواد سامة، هي التي تسبب هذا التورم نتيجة الضرب، وهي عبارة عن سموم نشأت من تحطيم واختلاط اللحم مع الدم مع الخلايا. وهذه مواد سامة معروفة، وموت الكائن بالضرب يفقد جهاز المناعة مقاومته للجراثيم، كما أن الدماء الموجودة في جسم الكائن الحي، تمثل بيئة خصبة لنموه، فتغزوه مرة ثانية، ويصبح بيئة خصبة لذلك... تحريم المتردية والنطيحة وما أكل السبع: كذلك نفس الشيء يحدث في المتردية والنطيحة وما أكل السبع، تموت ببطء، والجراثيم تغزو، والدماء الموجودة في جسم الكائن تمثل مستودعاً خصباً للجراثيم. استثناء قرآني: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ اكتشف العلم الحديث أن الدم = وبيان الحكم بينهم، وبيان القصاص في الجراحات وغيرها، والنهي عن موالاة اليهود والنصارى، والرد على أهل الردة، وفضل الجهاد، وإثبات ولاية الله ورسوله للمؤمنين، وذم اليهود في قبائح أقوالهم، وذم النصارى بفاسد اعتقادهم، وبيان كمال عداوة الطائفتين للمسلمين، ومدح أهل الكتاب الذين قدموا من تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّعَمَلُوا بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

٦- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: على غير طهر، من نوم أو حدث ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾: «الوجه»: ما ظهر من بشرة الإنسان، من قصاص شعر رأسه منحدرًا إلى منقطع ذقنه طولاً، وما بين الأذنين عرضاً. واللحية، ويكفيها ما سال عليها من الماء عند مرور اليدين عليها في غسل الوجه، وقد ورد الدليل بتخليها، وفيه اختلاف. ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾: قيل: مع المرافق. ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: معطوف على ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾، وغير متصل بـ ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾. وفيه اختلاف وقد ثبت غسل الأرجل بالأحاديث الصحيحة الكثيرة، أما المسح على الخفين فهو ثابت بالأحاديث المتواترة. والمسح على الرأس يراد به بعض رؤوسكم، وقد ورد في السنة المطهرة ما يدل على أنه يكفي مسح بعض الرأس. ﴿مِنَ الْغَائِطِ﴾: من قضاء الحاجة، وقد تقدم تفسيره. ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: بالوضوء والغسل من الأحداث والنجاسات، ومن الخطايا، كما روي عن النبي ﷺ: «إن الوضوء يكفر ما قبله، ثم تصير الصلاة نافلة» أخرجه أحمد، وصححه الأرنؤوط. وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه توضأ، ثم قال: ألا إني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة» رواه مسلم. ٧- ﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّعَمَلُوا بِهِ﴾: بيعة المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ إياه على السمع والطاعة فيما أحبوا أو كرهوا. وقيل: ميثاق الله الذي أخذ على عباده حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، ﴿وَأَشْهَدُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا. ٨- ﴿قَوَّامِينَ﴾: قائمين: ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم ﴿شَنَاَنُ﴾: بغض. [٦] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية. روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة

شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر. [٦] ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ [النحل: ٨١]. آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب عليهم من الطهارة لصلاتهم وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك، وإنعام عليهم برخصة التيمم إذا عدموا الماء، وكل هذا مستوجب للشكر لله سبحانه، فقيل في ختام هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وأما آية النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات من آخرها، وغالب حالها أنها خطاب لكفار قريش ومن كان مثلهم من المرتابين في الساعة تكذيباً وكفراً بها، وقد تخلل سورة النحل من تذكيرهم بإنعام الله عليهم كثير، وكل هذا تذكير بعجائبه من إنعامه تعالى، لا يمكن نسبة شيء منها لغيره، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ أي: تدخلون في دين الإسلام الذي لا يقبل في الآخرة سواه، فهذا أوضح تناسب، والسورة مكية. [٧] ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. الموضوع الأول وقع على النية وهي ذات الصدور، والثاني على العمل. وعن ابن كثير أن الثانية نزلت في اليهود. [٨] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨]. الآيات المتصلة بآية النساء مبنية على الأمر بالعدل والقسط، كنشوز الرجال وإعراضهم عن النساء، والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين، يقول تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]، ويقول: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩] وتوالت الآي على هذا المعنى، فناسب تقديم القسط وهو العدل ليناسب ما ذكر، أما آية المائدة فجاءت بعد أحكام تتعلق بالوفاء بالعهود والمواثيق كما في أول السورة ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وكذلك أحكام تتعلق بالطهارة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]، إلى أن أمر عباده بتذكير نعمه عليهم فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّعَمَلُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٧]، فناسب تقديم ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [٩] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الفتح: ٢٩]. آية المائدة عامة غير مخصوصة بقوم بأعيانهم، وآية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون، فقال: ﴿مِنْهُمْ﴾ تمييزاً وتفصيلاً ونصاً عليهم بعد ما ذكر من جميل صفاتهم، وأيضاً في آية المائدة بعد ما قدم خطاب المؤمنين مطلقاً بأحكام، فكانه قال: من عمل بما ذكرناه له مغفرة وأجر عظيم، فهو عام غير خاص بمعينين. [٦] ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿ثُمَّ يَوَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ [المجادلة: ٣]. ما الفرق بين: «المَسَّ واللمس والمَسْحُ؟» الجواب: ١- كل من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمَسَّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. [٦] ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرئ: (وأرجلكم) بنصب اللام عطفًا على وجوهكم وأيديكم فإن حكمها الغسل. وقرئ: (وأرجلكم) بالخفض عطفًا على رؤوسكم لفظًا، ومعنى، ثم نسخ بوجوب الغسل أو بحمل المسح على بعض الأحوال، وهو لبس الخف، وللتنبية على عدم الإسراف في الماء؛ لأنها مظنة لصب الماء كثيرًا، فعطفت على الممسوح تنبيهًا على ذلك. وقيل: إنه أطلق المسح وأراد به الغسل؛ لأن العرب كثيرًا ما تقول بذلك، فتقول: تمسحت للصلاة، أي: توضأت لها فالمراد هنا: الغسل، أو خفض على الجوار. = له دورٌ كبيرٌ في انتشار الجراثيم في جسم الكائن الحي، فالتذكية هي إخراج الدماء من جسم الكائن، فلا تجد الجراثيم حينها مادةً سهلةً تُعينها على النمو والانتشار بسهولة. فالحيوان إذا أدركناه لم يمت، فمعنى ذلك أنه لا يزال يقاوم، وأن الحياة مازالت موجودة، وأن الخطر لم يوجد بعدُ بدرجة كبيرة، فإذا أزلنا الدماء شُفي الجسمُ من المادة التي تعينُ على تكوين هذه الجراثيم. فهل علمت الآن ما الحكمة من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير؟ وهل أدركت الآن لم حُرِّمت المنخقة والموقودة والمتريدة والنطيحة وما أكل السبع؟ وهل عرفت الآن: لم أحل أكل ما دُكي؟! فقل سبحان الله العظيم. = الحبسة، وحكم اليمين، وكفارتها، وتحريم الخمر، وتحريم الصيد على المحرم، والنهي عن السؤالات الفاسدة، وحكم شهادات أهل الكتاب، وفصل الخصومات، =

١٠- ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: المخلدون في النار. ١١- ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: كان رسول الله ﷺ قد دخل حائطاً لليهود، بستان نخل، يستعينهم في دية، فهموا أن يلقوا عليه حجراً، أو يقتلوه، فأوحى الله إليه بذلك، فانصرف وكفهم عنه. ١٢- ﴿أَتْنِي عَشَرَ نَقِيبًا﴾: «النقيب» في كلام العرب: شبه العريف على القوم، وهو فوق العريف، كالأمين والضامن، فالنقباء أمناء على أقوامهم. ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾: صدقتموهم. ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾: ووقرتموهم، ونصرتموهم بالسيوف، والذب دونهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾: أنفقتم في سبيل الله ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: أخطأ ﴿سَوَاءٌ﴾: وسط ونهج ﴿السَّبِيلِ﴾: الطريق. ١٣- ﴿فِيمَا﴾: الباء سببية، و«ما» صلة، أي زائدة للتأكيد؛ أي: فسبب نقضهم ميثاقهم، ﴿فَنَسِيَّةٌ﴾: غليظة صلبة ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يبدلون كلام ربه، وقد حرف اليهود الكلم بالتأويل، كما بدّلوه أيضاً. ﴿وَسُوا حَظًّا﴾: تركوا نصيباً ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: في كتاب الله المنزل عليهم. قال ابن عباس: نسوا الكتاب ﴿خَائِنَةٌ﴾: في هذا الموضع: خيانة. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾: قيل: نسخت هذه الآية ﴿فَتَلَوْنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩].

[١١] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن عكرمة، ويزيد بن أبي زياد، واللفظ له أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصحابه، فقالوا: نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شرّاً أبداً. فجاؤوا إلى رحي عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمت [هناك]، فأنزل الله ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمير بن قتادة، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، وأبي مالك، وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١٠٩)

هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو بيطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة، وبنو محارب، أن يفتكوا بالنبي ﷺ، فأرسلوا إليه الأعرابي، يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال: من يحول بيني وبينك؟ فقال: الله، فشام السيف، ولم يعاقبه. [١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، وهي تدل على أن الذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذبوا بأدلتها التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار الملازمون لها. [١١] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا...﴾ [المائدة: ١١]، ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ...﴾ [الأحزاب: ٩]. آية المائدة تدعو المؤمنين لأن يذكروا نعمة الأمن لهم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم الذين أرادوا أن يبطشوا بهم... أمّا آية الأحزاب فتدعو المؤمنين لأن يذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليهم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب، حين اجتمع عليهم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها... [١٣] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِكَيْبَتِ اللَّهِ...﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ...﴾ [المائدة: ١٣]. بسبب نقض اليهود للعهد، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلماً واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما نقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم... فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية المائدة: فسبب نقض هؤلاء اليهود لعهدهم المؤكدة طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان... [١٢] ﴿لَا تُكْرِرَنَّ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]. ما الفرق بين: "كَفَرٌ وَغَفَرٌ؟" [الجواب: ١- اختصت (كفر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفر) إلى (الله)، بينما أُسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ [الجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوع متعلق بمعاصي في حق الله - تعالى - وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبداً. ٢- ونوع يتعلق بمعاصي في حق العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوباً» أو «خطايا» والعفو عنها «غفراناً»، وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيراً). [١٣] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾ [المائدة: ١٣]. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به. وأنه لا بد أن يبتلي بالخيانة.. نسأل الله العافية.

[١٣] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَّةٌ﴾: قرئ: (نَسِيَّةٌ) بحذف الألف وتشديد الياء إما مبالغة أو بمعنى رديّة، من قولهم: درهم قسيّ مغشوش، ولأن "فعلية"، أبلغ في الذم من فاعلة فكان وصف قلوب من صرف كلام الله، ومال عن الحق بأبلغ صفات القسوة أولى من غيره. وقرئ: (فَاسِيَّةٌ) بالألف والتخفيف اسم فاعل من قسا يقسو، قياساً على قوله تعالى: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) ومعنى قاسية أي: بئنة عن الإيمان، وقد نزع منها الرحمة والرأفة. [٦] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...﴾ [المائدة: ٦]. إعجاز علمي: الوضوء والغسل والطهارة وأثرها في القضاء على الجراثيم: الإسلام دين نظافة وطهارة يجمع بين نظافة الظاهر والباطن، ففي مجال الباطن دعا إلى الصدق والإيمان وحب الخير للناس، ونهى عن الحسد والحقد. وفي مجال الطهارة الظاهرة أوجب الطهارة للصلاة، فالمسلم يتطهر للصلاة خمس مرات في اليوم، وإذا أصابته جنابة وجب عليه الغسل، ويستحب له الغسل للتطيف، إذ الإسلام يدعو إلى النظافة في كل وقت حسب النية والقصد والحاجة، وقد جاء العلم الحديث ليثبت سبق الإسلام إلى هذا، يقول الدكتور عبد الجواد الصاوي: تذكر المراجع الطبية أن الجلد يعتبر مخزناً لنسبة عالية من البكتريا والفطريات، ويكثر معظمها على البشرة وجذور الشعر، ويتراوح عددها من عشرة آلاف إلى مائة ألف جرثومة على كل سنتيمتر مربع من الجلد الطبيعي، وفي المناطق المكشوفة منه، = ومحاوره الأمام رسلهم في القيامة، وذكر معجزات عيسى، ونزول المائدة، وسؤال الحق تعالى إياه في القيامة تقريباً للنصارى، وبيان نفع الصدق يوم القيامة للصادقين. فضل سورة المائدة: قال رسول الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رواه أحمد وصححه الألباني. السبع الأول هي سور: "البقرة" =

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَادَاةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُو أَعْنَ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١١٠

١٤- ﴿فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَادَاةَ﴾: أي ألصقنا ذلك بهم، مأخوذ من الغراء: وهو ما يلصق الشيء بالشيء. وقيل: إن معنى «العداوة» والبغضاء -ها هنا-: الجدل، واختلاف بينهم في دينهم. حتى صاروا فرقا يكفر بعضهم بعضا. ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾: يخبرهم. ١٥- ﴿نُورٌ﴾: هو: النبي ﷺ، وقيل: الإسلام ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: يعني: القرآن فيه بيان. ١٦- ﴿رِضْوَانُهُ﴾: ما رضي الله تعالى به. ﴿سُبُلَ﴾: طرق ﴿السَّلَامِ﴾: هو الله عز وجل، و«سبل الله» دين الله، وقيل: المراد بسبل السلام: طرق السلامة والنجاة من عذاب الله. ١٧- ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي فمن يقدر أن يدفع شيئا من أمر الله، ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: أي: لا أحد يقدر على ذلك فإنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولو كان المسيح إلها لكان له من الأمر شيء! وكان قادرا على أن يدفع عن نفسه وعن أمه أو عن أحد من أهل الأرض. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: يفعل في ملكه ما يشاء فيخلق بأب وأم ككل البشر، وبلا أب ولا أم كآدم وحواء، ويخلق بأم ولا أب كما خلق عيسى عليه السلام، والكل عبيده سبحانه وتعالى. [١٥] قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكل، (أي: رعدة) فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. [١٣، ١٤] ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ. وَلَا تَزَالُ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ. فَأَعْرَضْنَا﴾ [المائدة: ١٤]. الآية الأولى في اليهود، والثانية في النصارى، وكلاهما ترك بعض ما أمروا به. [١٥، ١٩] ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرَقٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]. الآية الأولى نزلت في اليهود حين كتموا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، والنصارى حين كتموا بشارة عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ في الإنجيل، والآية الثانية تبين لليهود والنصارى شرائعهم بعد أن نسوها ﴿عَلَى فَرَقٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: على انقطاع منهم، مما يتسبب في نسيان الشرائع. [١٧] ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الفتح: ١١]. آية سورة الفتح نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذر، وتأخروا عن الجهاد، وقالوا: شغلنا أموالنا وأهلونا، ثم سأله ﷺ أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم، وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته، فقال عز وجل: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، فلما كان في قوم مخصوصين احتيج إلى «لكم» للتبيين، وأما في سورة المائدة فإنها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق، بل عم بها، ودليله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فلما سيقت الآية إلى العموم لم يحتج إلى «لكم» التي للخصوص. [١٣] ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ من أسباب قسوة القلب: ١- البعد عن طاعة الله والاشتغال بمعصيته. ٢- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل. ٣- نسيان الآخرة وما فيها من النعيم. ٤- الاشتغال بما يفسد القلب، ومفسدات القلب خمسة هي: كثرة المخالطة، والأمانى الباطلة، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم. ٥- التكاسل عن أداء الطاعات وإضاعته. ٦- عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده. ٧- الغفلة، وهي داء وبيل، ومرض خطير. ٨- مصاحبة أصدقاء السوء والجلوس في الأجواء الفاسدة. ٩- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله. ١٠- الإكثار من الفضوليات، فضول الأكل، والشرب، والكلام بغير ذكر الله، والنظر، والسمع، والنوم، والمخالطة، والاهتمام بما لا يعني المرء. ١١- كثرة الضحك. ١٢- كثرة الذنوب. ١٣- نقض العهد والميثاق مع الله عز وجل. ١٤- عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم. ١٥- التعصب للرأي وكثرة الجدل. ١٦- الابتداع في الدين. ١٧- ظلم الضعفاء وأكل المال الحرام وعدم التورع عن الشبهات. ١٨- كبر النفس واحتقار الآخرين. علاج قسوة القلب: ١- الدعاء والتضرع، وسؤال الله عز وجل. ٢- الإكثار من ذكر الله عز وجل. ٣- الإكثار من ذكر هادم اللذات. ٤- الإكثار من زيارة القبور للرجال. ٥- الإحسان لليتامى والأرامل والمساكين. ٦- أكل الحلال الطيب. ٧- ملازمة الاستغفار. ٨- النظر في آيات القرآن والتفكير في وعده ووعيده، وأمره ونهيه. ٩- تذكر الآخرة والتفكير في القيامة وأهوالها والجنة والنار. ١٠- الخلوة بالنفس ومحاسبتها ومجاهدتها. ١١- البعد عن مخالطة أصدقاء السوء، والحرص على مجالسة الصالحين.

= يتراوح العدد بين مليون إلى خمسة ملايين جرثومة/سم، كما ترتفع هذه النسبة في الأماكن الرطبة، كالإبط إلى عشرة ملايين جرثومة/سم. وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر، والغسل والوضوء خير مزيل لهذه الكائنات، إذ ينظف الغسل جميع جلد الإنسان كما جاء في غسل النبي ﷺ أنه يروي بشرته، ثم يفيض الماء على سائر جسده، وينظف الوضوء الأجزاء المكشوفة منه، وهي الأكثر تلوثا بالجراثيم، لذا كان تكرار غسلها أمرا مهما، وقد أثبتت عدة دراسات قام بها علماء متخصصون: أن الاستحمام يزيل عن جسم الإنسان ٩٠٪ من هذه الكائنات، أي بأكثر من مائتي مليون جرثومة في المرة الواحدة، وهذه الجراثيم تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية عديدة، لذا أمر الشارع بتدليك الجلد في الوضوء والغسل. [١٣] ﴿لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة: أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذاً تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كل (١٤٨) في كتاب الله تعالى. [١٤] ﴿فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَادَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله تعالى. = آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال - التوبة.

١٩- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: يعني: اليهود المجاورين لرسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰ فَرْقٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾: معنى «الفترة»- هاهنا-: الانقطاع، والفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، فيما روي، خمسمائة وستون سنة وقيل: ستمائة. واختلف في العدد. ﴿أَن تَقُولُوا﴾: بمعنى: لئلا تقولوا. ٢٠- ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾: امتن الله تعالى على بني إسرائيل بكثرة ما بعث فيهم من الأنبياء، وبأن جعل منهم ملوكًا، قال بعض المفسرين: تقدير الآية: وجعل منكم ملوكًا. علمًا بأن اليهود يسمون بعض أنبيائهم بالملوك، أو أنهم آباء بني إسرائيل. وقيل: المراد بالملك في الآية: أنهم ملوكوا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون؛ فهم جميعًا ملوك بهذا المعنى. ﴿وَأَتَيْنَكُمْ﴾: أعطاكم. ﴿مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: ممن كان في ذلك الزمان من المن والسلوى، والحجر، الذي ضربه موسى بعصاه، والغمام، وكثرة الأنبياء، وما خصهم به. ٢١- ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: المباركة. وقيل: هي الشام، وقيل: أرض بيت المقدس. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: كتب الله تعالى لهم دخولها وأمرهم بذلك، كما أمرهم بالأمر على أدبارهم. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: ترجعوا القهقري بترك ما تؤمرون به، من قتال الجبارين، ونحو ذلك مما أمرهم به. ٢٢- ﴿جَبَّارِينَ﴾: قاهرين لسائر الأمم؛ وأصل «الجبار»: المصلح أمر نفسه وأمر غيره، مأخوذ من جبر الكسر، وقيل: الجبار: فعال، من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه، وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد. ولهذا قال الزجاج: الجبار من الأدميين: العاتي. ٢٣- ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾: هما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وكانا من نقباء بني إسرائيل يخافان الله. [١٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآيات. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبجري بن عمر وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحبائه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية. [١٧، ١٨] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ. قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَرْقٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَدْرُكُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوَّمُ أَدْرُكُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمَ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمُ وَغَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

[المائدة: ١٧]، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: ١٨]. سبب تكرار ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أن الأولى نزلت في النصارى حين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، ليس فيهما معه شريك، ولو كان عيسى إلهاً لاقتضى أن يكون معه شريك، ثم من يذنب عن المسيح وأمه وعن في الأرض جميعاً إن أراد إهلاكهم، فإنهم كلهم مخلوقون له، وإن قدرته شاملة عليهم، وعلى كل ما يريد بهم، كما أن زيادة قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، يفيد أن الله خلق ما يشاء من أنواع الخلق باعتبار "ما" نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية، لا على المفعولية. أي: يخلق أي خلق يشاءه، فتارة يخلق من غير أصل كالسماوات والأرض، أو من أصل كخلق ما بينهما، ومن ذكر وأنثى، أو من ذكر فقط كآدم، أو من أنثى وحدها كعيسى، وبتوسط خلق الطير على يد عيسى... والآية الثانية نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾. [المائدة: ١٨]، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، والأب لا يهلك ابنه ولا يعذبه، وأنتم مصيركم إليه فيعذب من يشاء منكم ويغفر لمن يشاء. قول آخر: أمّا الآية الأولى فرد على قولهم في المسيح إنه الإله، فبين أن الألوهية لمن له ملك السماوات والأرض، وليس للمسيح ذلك، فكيف يكون إلهاً والله خالقه، والقادر على إهلاكه، ولذلك قال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى خلق المسيح، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إشارة إلى قدرته على إهلاكه وأمه، وأمّا الآية الثانية فرد على قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾ فهو تأكيد لقوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ خلقه وملكه، ولذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي كلّا على عمله، إما بمغفرة ورحمة أو بعذاب، ولو كنتم كما تقولون لما عذبكم، لأن المحب لا يعذب محبوبه. [٢٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَدْرُكُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ [المائدة: ٢٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [إبراهيم: ٦]. الخطاب بحرف النداء أو اسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى وتخصيصه بما يريد أن يقول له، فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك، وإيتاء ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو المن والسلوى، وهم ملتبسون به حالة النداء؛ حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء وتخصيص المنادى، ولذلك أيضاً قال: ﴿يَتَقَوَّمُ أَدْرُكُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]؛ لأن ذلك من أعظم النعم عليهم؛ فناسب التخصيص بذكر المنادى، ولما كانت آية إبراهيم تذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قبل فرعون، وكان ذلك مما مضى زمانه، لم يأت فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة. [٢٦] ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]. قال الحاكم: دل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ على أن من لحقه عذاب الله لا يجوز أن يحزن عليه لأن ذلك حكمه، بل يحمد الله إذا أهلك عدواً من أعدائه. [٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَعْبَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]. انظر كيف أهان الله قابيل، لم يبعث الله أيًا من الدواب غير الغراب ليري قابيل كيف يصنع بجثة أخيه، والغراب أحد الفواسق المنبوذة في الأمم كلها. [١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَرْقٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [عجاء عدد]. تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنها تكررت بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إيلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إيل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجد أنها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

قَالُوا يَمْشِي إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِذَا هُمَا فِيهَا فَاذْهَبَا
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾
وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لَيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بَيْنَنَا وَإِنَّمَا تَكُونُ
مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤْتِلْنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾

٢٥- ﴿فَافْرِقْ﴾: افصل؛ من قول القائل: فرقت بين الشئين؛ إذا فصلت بينهما. ٢٦- ﴿فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ﴾: يعني: الأرض المقدسة ﴿يَتِيهُونَ﴾: يترددون فيها، ولا يخرجون منها، وكان قدر موضع التيه ستة فراسخ، فكانوا يسرون كل يوم جادين، ليخرجوا منها، فإذا نزلوا إذا هم في الدار التي منها ارتحلوا ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا تحزن. ٢٧- ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾: ولديه لصلبه: هابيل، وقايل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾: قرب هابيل كبشاً من أفضل غنمه، وقرب الآخر حزمة زرع من دون غنمه، ﴿فَتَقَبَّلَ﴾: قربان هابيل، بأن أتت النار فأكلته ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾: و«القربان»: ما يتقرب به إلى الله. وقربان المسلم: الصلاة، والزكاة، والصيام، وما أشبهها من الأعمال لله. ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: حسده، وقال: لا يتحدث الناس إنك خير مني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: الخائفين من الله. وقيل: الذين اتقوا الشرك. ٢٨- ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَيَقْتُلَنِي﴾: أي لئن قصدت قتلي. ٢٩- ﴿إِن تَبُوءَا﴾: تذهب، ياثمى وإثمك وتحملهما وتتصرف بهما إذا قتلتني. ٣٠- ﴿فَطَوَّعَتْ﴾: فساعدت، من الطوع يقال: طاع له كذا: أناه طوعاً. ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: من البائعين أخراهم بدينهم. ٣١- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾: فقتل غراباً آخر، ثم بحث؛ أي حفر في الأرض فدفن صاحبه فيها، وحثا عليه التراب.

[٢٦] ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]. الآية الأولى بخصوص قوم موسى عليه السلام الذين امتنعوا عن القتال، فقال تعالى: ﴿قَالُوا يَمْشِي إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِذَا هُمَا فِيهَا فَاذْهَبَا قَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وقوم موسى ليسوا كفاراً، وإنما كانوا مؤمنين به، والله تعالى نزل عليهم المن والسلوى ولا يمكن أن يقال عنهم كافرون، أمّا الآية الثانية فالخطاب للرسول ﷺ في خطابه لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيُزِيدَكُمْ كَيْثَرًا مِّمَّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ طُعَيْنَا وَكُفِّرْنَا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، فهؤلاء كفره كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَيُزِيدَكُمْ كَيْثَرًا مِّمَّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ طُعَيْنَا وَكُفِّرْنَا﴾، ولهذا جاءت كلمة الكافرين في نهاية الآية. [٣١، ٣٠] ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [ثاني المائدة: ٣١]. بعد أن قتل أخاه أصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة، أمّا الآية الثانية فإنه أصبح من النادمين لأنه حمل أخاه على عنقه، ولعدم اهتدائه للدفن الذي تعلمه من الغراب. [٢٧-٣١] ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٢٩] ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٨] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بَيْنَنَا وَإِنَّمَا تَكُونُ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٣٠] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٢٧-٣١]. **فوائد من قصة ابني آدم:** ١- إن قتل النفس البريئة يوجب النار. ٢- التعامل مع الآخرين بالطيبة والتسامح والعفو والصفح، ومقابلة السيئة بالإحسان، والابتعاد عن الغضب والظلم والتعدي والحسد واتباع الهوى وتضليلات إبليس. ٣- والأفضل أن يكون أحداً مع إخوانه ((المقتول لا القاتل))، كما أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: "كن كابن آدم"، أو "فليكن كخير ابني آدم" أخرجه أبو داود وابن ماجه، وغيرهما، وصححه الألباني. -وهو هابيل-. ٤- "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار" متفق عليه.. لذلك يجب علينا الانتباه والحذر الشديد من التهاون في دماء الناس وقتالهم. ٥- الالتزام بنهج رسول الله صلى الله عليه وآله في الاستشارة والاستشارة، فعلى اللجوء إلى الله وطلب المعونة منه والإلهام لخيري الدنيا والآخرة فيما يشغل بالنا ويضايقنا. ثم أخذ رأي أهل العلم والخبرة والتخصص ومن شابههم من أهل الحكمة والمشورة. فلو أن قاييل استشار والده النبي آدم عليه السلام فيما كان يشعر به من حسد وغل نحو أخيه هابيل، ما كان ليقدم على تلك الجريمة النكراء العظيمة والعياذ بالله من غضبه. ٦- أن الله لا يتقبل الأعمال الصالحة إلا من المتقين. ٧- مراقبة الله عز وجل والخوف منه سبحانه وتعالى. [٢٧] ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. **تعريف التقوى:** قال طلق بن حبيب رضي الله عنه: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله تخاف عقاب الله. **من ثمرات وفوائد التقوى:** ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح. ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز بالجنة. ٢٦- التفكير والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى. [٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. تأمل الحكمة في إرسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغربة القاتل عن أخيه، وغربته هو عن رحمة الله، وغربته عن أبيه وأهله واستيحاشه منهم واستيحاشهم منه. قال بعض أهل الفضل من المفسرين: الغراب أحد الفواسق الخمسة، وفعل ابن آدم وهو القتل من أعظم الفسق، فناسب ما بعث إليه هذا الفعل، والله أعلم. [٣١] ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]. هذا يقتضي أن قاييل كان "نائباً" والندم توبة، لقوله ﷺ: "الندم توبة" فلا يستحق النار. والحديث أخرجه ابن ماجه، والحاكم، وقال: هذا الحديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني: صحيح. **الجواب:** لم يكن ندمه على قتل أخيه، بل على حمله على عنقه، أو على عدم اهتدائه للدفن الذي تعلمه من الغراب، أو على فقد أخاه، أو على قتل أخيه، لكن مجرد الندم ليس بتوبة؛ إذ التوبة إنما تتحقق بالإقلاع، والعزم على عدم العود وتدارك ما يمكن تداركه. [٣٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ... وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ قرئ: (من أجل) بكسر الهمزة ونقل حركتها إلى النون تخفيفاً. =

٣٢- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾: يعني: ابن آدم القاتل أخاه ظلمًا، أي بسبب هذه النازلة. ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: نفسًا بغير أن تقتل نفسًا فتستحق القتل من قتل. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: من قتل نفسًا واحدة، وانتهك حرمتها، فهو مثل من قتل الناس جميعًا، لأنه اعتدى على الحياة، أو على حق الحياة، ومن ترك مثل نفس واحدة، وصان حرمتها، فهو كمن أحيانا الناس جميعًا. ﴿لَمَسْرِقُوتٍ﴾: عاملون بمعاصي الله. و«السرف»: تجاوز الحد. ٣٣- ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: قيل: نزلت في قوم من غرينة وعُكُل، - قبيلتان - ارتدوا عن الإسلام، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأخذوا لِقاحه، ذوات الألبان من النوق. وسمّلوا أعين الرعاة. وقيل: «المحارب»: هو اللص الذي يقطع الطريق. وقيل: الذي يشهر السلاح في المصر على أهله ليلاً أو نهاراً. وقيل: هو الذي يخذع الصبي، فيدخله ويقتله ويأخذ ما معه، فالإمام ولي قتله دون المقتول. وفيه اختلاف كثير. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: وهي تبين للحرابة، قيل: هو الزنا، والسرقة، وإهلاك الحرث والنسل. والآية عامة في كل ما يعدّ فساداً في الأرض. ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَكْبَتُوا﴾: الآية. الإمام غير بين هذه العقوبات بما يناسب الجرائم التي يرتكبها المحاربون بحق المجتمع والناس. ﴿مَنْ خَلَفَ﴾: أن تقطع أئمن أيديهم، وأشمل أرجلهم ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: «النفي» في كلام العرب: الطرد. وقيل: النفي: السجن في البلد الذي نفى إليه حتى تظهر توبته، ونزوعه ﴿خِزْيٌ﴾: نكال وعقوبة. ٣٤- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ...﴾: قيل: هذا لأهل الشرك في عهد رسول الله ﷺ إذا فعلوا شيئاً في هذا، ثم تابوا وأسلموا. وقيل: هو المحارب من المسلمين، إذا أعجز الناس، واستأمن الإمام مستسلماً تاركاً للحرابة قبل القدرة عليه، وأمنه الإمام، فليس للناس أن يتبعوه بدم ولا مال. وقيل: يؤخذ بما كان منه قبل أن يكون محارباً، ولا يؤخذ منه في الحرابة. وفيه اختلاف كثير. ٣٥- ﴿وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: القربة. أي طلبوا القربة إليه بالعمل الذي يرضيه.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِقُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يَتَابَعُونَ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَيْنَاهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوهُ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

(١١٣)

[٣٩، ٣٤] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالفجران والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوهِ أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يُجِبُّ ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقَرَّباً لمغفرته. [٣٩، ٣٤] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدُلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشدُّ مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصول رحمته إلى من شاء من خلقه. [٣٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الملك ابن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين، ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل: الحديث. ثم أخرج عن جرير مثله وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ [المائدة: ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٠١]. إذا كانت الآية تتحدث عن الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: "رسلنا"، وإذا كان الكلام يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: "رسلهم"، فالآية في سورة المائدة جاءت عن الله تعالى وذكر فيها الأحكام، وأمَّا آية الأعراف فتتكلّم عن موقف القوم من الرسل، وكان عليهم أن ينتفعوا بالرسل. [٤١، ٣٣] ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣]، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [المائدة: ٤١]. لاحظ الآية: ٣٣، في سورة المائدة فيها ذكر عقوبات، والعقوبات منظورة مرئية أمام الناس فهي مخزية، يعني هم يحملون خزيهم ظاهراً أمام الناس فقدّم الخزي، أما الآية: ٤١، فأجلت عقوباتهم فتأخرت كلمة الخزي، وراجع الآيات. [٣٦] ﴿لَيَقْتَدُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٣٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَا قَتَدُوا بِهِ﴾ [الرعد: ١٨، الزمر: ٤٧]. ﴿لَا قَتَدُوا بِهِ﴾ في موضعي الرعد والزمر لأنها جواب جملة الشرط، وأمَّا في آية المائدة فقال: ﴿لَيَقْتَدُوا بِهِ﴾ لأن جواب الشرط فيها ﴿مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾. [٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَيْنَاهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَقْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشريعتَهُ، لو أنهم سلكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أن يفتدوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بما ملكوا، ما تقبل الله ذلك منهم، ولهم عذاب مُوجع، فهذا ما دلت عليه الآية المائدة، أمَّا آية الزمر: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعاً من مال وذخائر، ومثله معه مضاعفاً، لبدلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوا وافتدوا به ما قبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحسبون في الدنيا أنه نازل بهم. = وقري: (من أجل) بفتح الهمزة وسكون النون على الأصل وهما لغتان. قوله تعالى: ﴿رُسُلُنَا - رُسُلُهُمْ - رُسُلُكُمْ﴾ حيثما وقع قري: (رسلنا) بإسكان اللام. وقري: (رسلنا)، وهما لغتان. [٣٣] ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]. إعجاز شرعي: حد الحرابة: قد نصّ القرآن على عقوبة المحاربين بقطع اليد اليمنى، وترك بقية الأطراف سليمة كي يعمل بها لكسب رزقه من حلال إذا ارتدع. وتجمع هذه العقوبة من القسوة والرحمة في آية واحدة، وهذا ضرب من الإعجاز في العقوبة والردع معاً، وقد أحلّ الشرع بعد ذلك قتله إذا تمادى في الجريمة ولم يرتدع، ويُعاقب المحارب بالقتل إذا قتل سواء استولى =

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهُمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَاسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ سَمَعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخْفُونَ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

٣٧- ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا يزول. ٣٨- ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: يعني: أيماهما، وشروط القطع معروفة في كتب الفقه. ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾: عقوبة على ما اقترفاه من جريمة، وزجراً لغيرهما. ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهُمْ﴾: هم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: عني به يهود فذلك وهم ﴿سَمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾: يعني بالقوم: يهود المدينة الذين لم يأتوا مع يهود فذلك إلى النبي ﷺ في امرأة من أشرف اليهود زنت، فبعثت إحدى الطائفتين منهم إلى رسول الله ﷺ يسألونه عما يجب عليها، وقعدت الطائفة الأخرى، ومعنى ﴿سَمَعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أنهم عيون هؤلاء يتجسسون لهم الأخبار. ﴿يُخْفُونَ إِلَيْكَ﴾: ما أنزل الله في التوراة من الرجم ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾: أي إن أفتاكم محمد بالجلد والتحميم، أي تسويد الوجه بالفحم، في صاحبنا ﴿فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: وإن أفتاكم بالرجم فاحذروه. ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: ضلالته.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ الآية. أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو: أن امرأة سرت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ الآية. [٤١] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾ الآية. روى أحمد، وأبو داود، عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود، قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قاتل قتلته العزيرة من الذليلة فديته خمسون وسقاً، وكل قاتل قتلته الذليلة من العزيرة فديته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فقتلت الذليلة من العزيرة قتيلاً، فأرسلت العزيرة أن ابعثوا إلينا مائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حين قط دينهما واحد، ونسبتهما واحدة، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا أعطيناكم هذا ضيماً منكم وخوفاً ورفقاً، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما فأرسلوا إليه أناساً من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله. وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مر على النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» فقالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حد الزاني يكون في كتابكم؟» فقال: لا والله لولا أنك نشدتي بهذا لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فرجم، فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقولون: اتوا محمداً، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، إلى قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يُخَفِّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٤٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤، آل عمران: ١٢٩، المائدة: ١٨، الفتح: ١٤]. قدم المغفرة في جميع المواضع إلا موضع الثاني بسورة المائدة فقال: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، لأنها نزلت بعد ما ذكر في حق السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا أولاً ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، فقدم لفظ العذاب، وقدم المغفرة في غيرها رحمة وترغيباً منه تعالى. [٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾ [المائدة: ٤٠]. أما علمت أيها النبي أنت وأمتك أن الله تعالى هو المالك المتصرف في السماوات والأرض؟ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويأمر عباده وينهاهم كيفما شاء، وعليهم الطاعة والقبول. وليعلم من عصى أن ليس لأحد من دون الله من وليٍّ يتولاهم، ولا نصير يمنهم من عذاب الله، فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمّا آية المائدة: ألم تعلم أيها الرسول أن الله خالق الكون ومُدبِّرُه ومالِكُه، وأنه تعالى الفَعَّال لما يريد، يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء، وهو على كل شيء قدير. [٤١] ﴿يُخْفُونَ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يُخْفُونَ إِلَيْكَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦، المائدة: ١٣]. في آية النساء والأولى من المائدة قال تعالى: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة المحرفة لتلك النصوص، وليس في الآيتين بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب، وأمّا آية المائدة الوحيدة ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضاً من الكتاب، ونظيره قوله تعالى: ﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقيل إن آية المائدة الأولى نزلت في اليهود الأوائل، وآية المائدة الثانية نزلت في اليهود على عهد النبي ﷺ، فهم حرقوا الآيات بعد أن عملوا بها زمناً طويلاً، وكانوا قد أرسلوا نفرًا إلى النبي ﷺ في شأن زانٍ محصن: وقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقتلوه.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢]. قدم الرجال في المائدة وآخرهم في النور؟ **الجواب:** لأن قوة الرجال وجراحتهم وإقدامهم على السرقة أشد فقدموا فيها، وشهوة النساء وابتداء الزنا من المرأة لتزنيها وتمكينها حتى يقع الرجل بها، يناسب تقديم النساء في سياق الزنا. = على المال أم لم يستول عليه، وقد نصّت الآية على أنواع أخرى من العقوبات التي توقع على المحاربين الأثمين غير قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف لشل نصف الجسم المعجزم عن الحركة. وهذه الأحكام تدلُّ دلالة واضحة على أن الشريعة الإسلامية تنظر إلى آثار الجريمة التي فيها اعتداء شنيع على الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، وإزهاق أرواحهم وسلب أموالهم، وشدّت العقوبة بما يناسب ما أحدثته الحراة من عدوانٍ وترويعٍ للأمنين، ثم إن لهم في الآخرة عذاباً عظيماً هو عذاب الجحيم. [٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨]. **إعجاز تشريعي:** جريمة السرقة: قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أمر الله سبحانه وتعالى بقطع يد السارق والسارقة، وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية ففُكِرَ في الإسلام، وزيدت شروط أخرى كما سنذكر إن شاء الله تعالى، كما كانت القسامة والدية والقراض، وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه وزيادات هي من تمام المصالح. وذهب الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئاً قُطعت يده به سواء كان قليلاً أم كثيراً، لعموم هذه الآية، وتمسكوا بما قد ثبت في «الصحاحين» عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده». وأما الجمهور، فاعتبروا النصاب في السرقة، وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً» رواه البخاري ومسلم. قال أصحابنا: فهذا =

٤٢- ﴿أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾: المال الحرام، وأصله: الهلاك والشدة، من سَحَت الشيء، وأسحته: إذا استأصله هلاكاً، وسمي الحرام سحاً لأنه يسحت الطاعات. وقيل لعبد الله بن مسعود: ما السحت؟ قال: الرشوة. قالوا في الحكم؟ قال: ذلك الكفر. وقيل: السحت: الهدية ممن يستعينك على مظلمة فتعينه. وتقول العرب للحالق: أسحت، أي استأصل الشعر، ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾: قيل نسخ هذا قوله عز وجل: ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]. وعلى الحاكم إذا احتكم إليه أهل الذمة أن يحكم بينهم بالحق. ٤٣- ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾: الرجم الذي كانوا يحدونه. ٤٤- ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾: يعني: اليهود: ﴿وَالرَّبَنِيُّونَ﴾: جمع «رباني»؛ وهم الحكماء العلماء بسياسة الناس وتدبير مصالحهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾: العلماء. وقيل: عنى بـ«الربانيين والأحبار» هاهنا: ابني سوريا من اليهود اعترفوا للنبي ﷺ بآية الرجم في التوراة، إذ أنكرت اليهود ﴿يَمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: بما أمروا بحفظه أو وكّل إليهم حفظه. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا﴾: قليل: هو السحت من الرشاء، على تبديل كلمات الله وكتمان الحق فيه. روي عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أنها في الكافرين كلها. وقال ابن عباس: إنها في اليهود خاصة. وقيل: ليس في أهل الإسلام منها شيء؛ إنما هي في الكفار، إلا أن يفعل أهل الإسلام ذلك استخفافاً، أو استحلالاً، أو جحداً، واختلف في ذلك. ٤٥- ﴿وَالْجُرُوحُ﴾: جمع: جرح ﴿قِصَاصٌ﴾: أي ذوات قصاص، فمن جرح غيره اقتص منه مثل الجرح الذي جرحه. وذلك فيما يمكن فيه القصاص وتعريف بالمساواة، كما ذكر العلماء، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: عفا عن الجراح ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: هدم من ذنوب المجروح. هذا وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن شرع من قبلنا

شرع لنا إذا لم ينسخ. واحتجوا بأن الرجل يقتل بالمرأة لعموم هذه الآية الكريمة. [٤٩] قوله تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتته عن دينه، فجاؤوا فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى رسول الله ﷺ ذلك وأنزل الله فيهم ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إلى قوله ﴿لَقَوْمٌ يُقُوتُونَ﴾ [٥٠]. [٥١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن عباد بن الصامت، قال لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فتحالف إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولائهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ الآية. [٤٤، ٤٥، ٤٧] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. قيل إن الآية الأولى نزلت في حكام المسلمين، والثانية في حكام اليهود، والثالثة في حكام النصارى، وقيل إن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعم الله، ظالم في حكمه، فاسق في فعله. ولعل الأوجه ما قيل: من أن من لم يحكم بما أنزل الله إنكاراً له فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله مع اعتقاده بأنه حق ولكنه يحكم بضده فهو ظالم، ومن لم يحكم بما أنزل الله جهلاً به فهو فاسق. [٤٢] ﴿وَأِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]. ما الفرق بين: «القاسطون والمقسطون»؟ الجواب: قال صاحب اللسان: أقسط يقسط فهو مقسط، إذا عدل. وقسط يقسط فهو قاسط: إذا جار. فكان الهمة في أقسط للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه. إذن أقسط: عدل. وقسط: جار. [٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]. قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، وجميع الأنبياء مسلمون، فما فائدة الصفة وهي معلومة؟ الجواب: فائدتها: الرد على الذين قالوا إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى، فكذبهم بقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [٤٤] ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ يَمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. سئل القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي عن السر في تطرق التغير للكتب السالفة وسلامة القرآن من طرق التغير له؟ فأجاب: بأن الله تعالى أوكل للأحبار حفظ كتبهم فقال: ﴿اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، وتولى حفظ القرآن بذاته سبحانه وتعالى فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[٤٢، ٦٢، ٦٣] ﴿سَمِعُوكَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾ قرئ: (السُّحْتُ - السُّحْتُ) بأسكان الحاء وضمها، وهما لغتان. [٤٥] ﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ - وَالْأَنْفَ - وَالْأَذْنَ - وَالسِّنَّ - وَالْجُرُوحَ﴾ قرئ: (والعين - والأنف - والأذن - والسِّن - والجروح) بالرفع في الخمسة، فالواو عاطفة مجلاً إسمية على أن وما في حيزها باعتبار المعنى، فالمحل مرفوع كأنه قيل: (كتبنا عليهم النفس بالنفس، والعين بالعين) ... الخ. فإن الكتابة والقراءة يقعان على الجمل كالقول، وقال الزجاج: عطف على الضمير في الخبر يعني بالنفس، وحينئذ يكون الجار والمجرور حالاً مبينة للمعنى، وقرئ: (والعين - والأنف - والأذن - والسِّن - والجروح) بالنصب فيما عدا الجروح فإنهم يرفعونها قطعاً لها عما قبلها مبتدأ وخبره قصاص، وقرئ: (والعين - والأنف - والأذن - والسِّن - والجروح) بالنصب في الكل عطفاً على اسم ﴿أَنَّ﴾ لفظاً، والجار والمجرور بعده خبر، و﴿قِصَاصٌ﴾ خبر بعد خبر وهو من عطف الجمل عطفاً الاسم على الاسم، والخبر على الخبر، نحو: إن زيداً قائم وعمراً قاعد. قوله تعالى: ﴿وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ﴾ (أذن) حيثما وقعت، وكيفما وردت قرئت (أذن) بسكون الذال. وقرئت (أذن) بضم الذال، والإسكان والضم لغتان. = الحديث أصل في المسألة، ونص في اعتبار ربع الدينار وما ساواه، قالوا: وحديث ثمن المجن، أن النبي ﷺ: «قطع في محن ثمنه ثلاثة دراهم» رواه البخاري ومسلم. لا يُناقض، ولا يُنافي هذا؛ لأنه إذ ذاك كان الدينار بائني عشر درهماً، فهي ثمن ربع الدينار، فأمكن الجمع بهذا الطريق. [٢٣١] ﴿مَنْ أَلْكَتِبَ وَالْحِكْمَةُ﴾ إعجاز =

وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنِّي بَصِيرٌ أُنْصِبُهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْعُونَ وَمِنْ أَحْسَنٍ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٤٦- ﴿وَقَفَيْنَا﴾: أتبعنا. ٤٧- ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾: يأمر الله تعالى النصارى بأن يحكموا بالأحكام التي فرضها الله عليهم في الإنجيل. قيل: المراد: قبل البعثة المحمدية، وأما بعدها فقد أمروا بأن يعملوا بما أنزل على محمد ﷺ. وقيل: الخطاب عام. وأنه يشمل كذلك من عاصر التنزيل، وسائر أهل الإنجيل إلى يوم القيامة، لأن الإنجيل فيه وجوب الإيمان بمحمد ﷺ فليحتكموا إليه، أو يحكموا بما فيه. ٤٨- ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾: شهيداً. وأصله «الهيمنة»: أي الحفظ والارتقاب يقال: قد هيمن الرجل على الشيء، إذا حفظه ورقبه وشهده. وقيل: «مهيمن»: مؤتمن عليه. والمعنى: أن الله تعالى جعل القرآن مهيمناً على ما سبقه من الكتب يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسب المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف. ﴿شِرْعَةً﴾: لكل أمة منكم جعلنا شريعة ومنهاجاً، أي لليهود شريعة ومنهاج، وللنصارى كذلك، وللمسلمين كذلك والمراد: الأحكام، وأما في المعتقد فالدين واحد. ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: الأصل: الطريق البين الواضح، ثم يستعمل في كل شيء كان بيناً واضحاً. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: أنزل من الكتب عليكم ﴿فَأَسْتَبِقُوا﴾: بادروا: الصالحات من الأعمال. ٤٩- ﴿وَأَن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: أي: أنزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه. ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾: أن يصدوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: ويحملوك على ترك العمل به ﴿أَن يُصِيبَهُمْ﴾: يعاقبهم في الدنيا ﴿وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾: يعني: اليهود. ٥٠- ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْعُونَ﴾! يعني اليهود. [٤٦] ﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا يَعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧]. آية سورة المائدة تتحدث عن الإنجيل بعد ذكر التوراة، فناسب أن يقول مباشرة: ﴿وَقَفَيْنَا يَعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، أما آية سورة الحديد فأتت بعد ذكر رسالتي نوح وإبراهيم عليهما السلام وذريتهما، فكأنه قيل: أتبعنا على آثار الذرية، أو على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم إلى الأمم اللاحقة، كموسى وإلياس وداود وسليمان وغيرهم: ﴿وَقَفَيْنَا يَعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، أي: أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى بن مريم عليه السلام. [٤٦] ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨، المائدة: ٤٦] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بدون لفظ ﴿وَهُدًى﴾ [البقرة: ٦٦، النور: ٣٤]. زاد ﴿وَهُدًى﴾ في آل عمران وصفاً لكلام الله تعالى وبيانه، وزادها في آية المائدة بمعنى أن الإنجيل اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراعة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل وال ضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، ولم يذكر الهدى في آيتي البقرة والنور، لأن الخطاب في سياق الوعيد والتحذير من فعل المعاصي. [٤٩] ﴿وَأَن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. من محاسن الشريعة الإسلامية: ١- بالنسبة للأحكام الشرعية وقانون العقوبات، فلا يوجد مثل الشريعة الإسلامية في العدل وبسط الأمن والاستقرار من خلالها. ولناخذ مثلاً حكم قطع اليد للسارق، هل تعلم أن رادع قطع اليد هو أفضل من السجن، هل تعلم أنه خلال ٤٠٠ سنة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام لم يطبق هذا الرادع سوى أربع مرات... قل لي بالله عليك كم حالة سرقة تحدث اليوم، أعلم أن سيدنا عمر كان قاضياً أيام خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، ولم يحكم بقضية واحدة خلال سنة كاملة، والأمثلة على ذلك كثيرة... ٢- بالنسبة إلى شؤون الحكم... انظر إلى الرقي الذي وصل إليه الإسلام في عهد الخلافة الراشدة لتطبيق الأحكام الإسلامية فيها، وانظر إلى حكم سيدنا عمر بن عبد العزيز وما حدث أيام خلافته من رخاء بعد الفساد في الحكم أيام الخلفاء قبله، علماً بأنه حكم سنتين وثلاثة أشهر بالشريعة الإسلامية الحققة. ولنا في رسول الله أسوة حسنة... مثلاً لم يدخل معركة بدر قبل أن يصنع سلاحه حتى لا يعتمد على اليهود... وانظر حالنا الآن نستجدي السلاح وباليته سلاح فعال. مثال آخر هو عفة الحاكم، فقد قال: سيدنا علي لسيدنا عمر "عففت فعففت أمتك ولو رعت لرتعوا". وفوائد تطبيق الشريعة الإسلامية لاحصر لها وأهمها عزة الدولة وصلاح الأمة، وأخيراً فإنه موضوع يطول الشرح فيه، وأذكركم بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحشرنا معه ومع نبينا وصحابته الكرام "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله". وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْعُونَ وَمِنْ أَحْسَنٍ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، لا أحد أحسن من الله تعالى حكماً. [٤٧] ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ قرئ: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ (وليسحكم) بكسر اللام ونصب الميم جعلها (لام) كي فأضمر أن بعدها، وقرئ: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بالسكون والجزم على أنها لام الأمر سكنت وأصلها الكسر. [٥٠] ﴿يَبْعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْعُونَ﴾ قرئ: ﴿تبغون﴾ بتاء الخطاب والمخاطب به أهل الكتاب، وقرئ: ﴿يبغون﴾ بالغيب إخباراً عنهم. = عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. [٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِنَّ فِيهَا أَنَّهُنَّ بِالنَّفْسِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥]. إعجاز تشريعي: القصاص في القرآن، وقفة تأمل: إن قُتل القاتل عمداً كما شرع الله، هل سيقتل غيره عمداً بعد ذلك؟ هل تُلزم من قتل خطأ بالدية كما شرع الله هل سيقتل غيره عمداً بعد ذلك؟ هل تعلم أن الدول التي تطبق الحدود لا يحدث فيها من الجرائم والحوادث كما يحدث في غيرها من الدول التي لا تطبق الحدود؟ هل تعلم أن حوادث القتل والسرقة في الدول التي تطبق الحدود الشرعية على السارق والقاتل تكاد تكون منعدمة، حتى إنه ربما يمر العام ولا تسجل إلا حالة واحدة لقتل أو سرقة؟ بالله عليك... إن كان في قانون العقوبات لينٌ وضعفٌ وعقابٌ أقل هل سيكون العقاب رادعاً للجنة كما يردعهم العقاب الإلهي بتطبيق الحد الشرعي؟ كيف يقتل القاتل متعمداً... وهو يعلم أن مصيره القتل كما قُتل؟ وأخيراً... هل وجدت أماناً وأماناً كما هو الحال في الدول التي تطبق فيها الحدود الشرعية كما أمر رب البرية؟ [٤٨] ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

٥١- ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ﴾: من والاهم دون المسلمين، ونصرهم عليهم ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾. ٥٢- ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك. قيل: نزلت في ابن أبي سلول. ﴿يُسِرُّوْنَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ونصرتهم وتأسيسهم وتجميل ذكركم. ﴿أَنْ تُصَيِّبَنَا دَائِرَةٌ﴾: أن تدول للدهر دولة، وتكون الدائرة لليهود، فيظفروا بالمسلمين! ﴿بِالْفَتْحِ﴾: بظهور النبي والمسلمين على الكافرين. وقيل: هو فتح مكة. ٥٣- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: المعنى: إذا أتى الله بالفتح وأمر من عنده، وأصبح المنافقون نادمين ﴿أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: إنهم لمعنا تعجباً من كذبهم ونفاقهم! ﴿حِطَّتْ﴾: بطلت. ٥٤- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: المراد بهؤلاء القوم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجيشه من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قاتل بهم أهل الردة. ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين. وقيل: هم أهل اليمن، فقد أتت الروايات بذلك عن رسول الله ﷺ. ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أرقاء رحماء خاضعين ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أشداء غلاظ ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾: في جنب الله عز وجل. ٥٥- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: نزلت في عبادة بن الصامت إذ تبرأ من حلف يهود بني قينقاع إلى الله ورسوله والمؤمنين. وهي عامة في المؤمنين. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، مر به سائل في ركوع فنبذ إليه خاتمه، وقد تكلم العلماء في إسناد هذا الخبر. ويراد بالركوع في الآية: الخضوع والتواضع لله. كما أن الزكاة في الآية هي المفروضة، ولا يراد بها صدقة التطوع. ﴿وَالَّذِينَ﴾: جمع وليس مفرداً، بل إن اسم الموصول هذا لا يراد به غير جمع المذكر، لأنه جمع (الذي) للمفرد المذكر. ٥٦- ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾: أنصار الله. ٥٥ ﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية. أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل، وهو راكع في تطوع فترع خاتمه، فأعطاه السائل، فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، وله شاهد. قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسِرُّوْنَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصَيِّبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

٥٤ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ...﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ...﴾ [المائدة: ٥٤]. آية البقرة تبين أن هؤلاء الكفار لا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك. ومن أطاعهم منكم أيها المسلمون وارتد عن دينه فمات على الكفر فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبداً، وأما آية المائدة فتخاطب الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرع: من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضروا الله شيئاً، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ٥٦ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، آية المائدة تتحدث عن الذين يجاهدون في سبيل الله، وأن الله وعد هؤلاء المؤمنين بأن وليهم الله ورسوله وأنه ناصرهم، فختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أما الآية الثانية التي في سورة المجادلة فنجد أنها تتحدث عن جزاء هؤلاء المؤمنين الذين لم يتخذوا الذين يحادون الله ورسوله أولياء وأحباء، فجزاؤهم أنه سبحانه يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضى الله عنهم ورضوا عنه، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، لأنه تحقق فيهم الفلاح بأن رضي الله عنهم وأدخلهم جناته، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا جميعاً منهم. ٥١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ...﴾ ٥٢ ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ [المائدة: ٥٢]. إن الله تعالى قد أتى في الآية التي بين أيدينا ﴿بِالْفَتْحِ﴾ معرفاً، وب﴿أَمْرٍ﴾ منكرًا، وقدم الفتح على ذلك الأمر، وهذا الأسلوب الرائع سببه - والله أعلم - أن أول ما يتبادر إلى أذهان المؤمنين من كسر لشوكة أعدائهم يكون بالفتح المعهود لديهم، فبدأ به، ثم ثني بقوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ وكلمة ﴿مِّنْ عِندِهِ﴾ عامة تشمل كل ما يخطر على البال، وما لا يخطر فيه. ثم إن الله تعالى وصف كلمة: ﴿أَمْرٍ﴾ بقوله: ﴿مِّنْ عِندِهِ﴾، وهذا في غاية الروعة والبيان، فالفتح يكون من الله تعالى لكنه بأيدي المؤمنين، أما الآخر فمن عند الله وحده خالصاً، كإرسال الريح على الكفار، والخسف بهم، وإهلاكهم بالطوفان والزلازل والأمراض وغيرها. ٥٣ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيسَخِرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. ما الفرق بين: "الجهد والجهد"؟ [الجواب: الجهد (بالفتح): المشقة أو المبالغة في الشيء، والجهد (بالضم): الطاقة. جاءت كلمة (الجهد) مضافة (خمس مرات) إلى اسم ظاهر (إيمان)، بينما جاءت (الجهد) مضافة إلى ضمير، وليس إلى اسم ظاهر. ٥٣ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ﴾ قرئ: (يقول) بغير واو قبل الياء ورفع اللام جملة مستأنفة على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون؟ أو استغني عن حرف العطف؟ لأن في الجملة ضميراً يعود على الأول فكذلك الضمير قد أغنى عنه، ونظيره في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقال: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وإثبات حرف العطف حسن كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ ولأن مصحف المدينة ومكة والشام بغير واو. وقرئ: (ويقول) بإثبات الواو ونصب اللام عطفاً على أن يأتي باعتبار المعنى، فكأنه قال: (عسى الله أن يأتي بالفتح)، ويقول، أو عطفاً على (فيصبحوا على) جعله منصوباً بأن في جواب الترجي على مذهب الكوفيين. وقرئ: (ويقول) بالرفع على الاستئناف أو جعل الواو عطفاً جملة على جملة لم تعطف مفرداً على مفرد، ويقوي الرفع: قراءة من قرأ بغير واو فلا يجوز مع حذف الواو إلا الرفع على الاستئناف.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ هَلْ تَقِمْوْنَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِأَلَلِّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُمْ فَسِيقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَّبِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْثِلَهُمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّنِيُّونَ وَالْأَنْبَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِزِيدَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَةُ بَيْنَهُمْ الْعُدَاةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٥٨ - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: إغناء على اليهود وتبيين لسوء فعلهم، فإنهم كانوا إذا سمعوا قيام المؤمنين إلى الصلاة قال بعضهم لبعض: قد قاموا لاقاموا! إلى غير ذلك من الألفاظ التي يستخفون بها في وقت الأذان وغيره. روي أن نصرانياً كان بالمدينة، فكان إذا سمع «أشهد أن محمداً رسول الله» قال: حرق الكاذب! فدخلت خادمة بيتاً - كان ينام فيه - بنار، وهو نائم، فسقطت شرارة فاحترق البيت وهو فيه، وأهله. ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لأن الهزؤ واللعب بالعبادة شأن أهل السفه. ٥٩ - ﴿هَلْ تَقِمْوْنَ مِنَّا﴾: هل تتكرونا؟ ٦٠ - ﴿مُتَّبِعُونَ﴾: ثواباً ﴿مَنْ لَعْنَةُ﴾: أبعده من رحمته ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾: ومن عبد الطاغوت، والطاغوت: الشيطان أو الكهنة، أو غيرهما مما عُبد من دون الله. ٦١ - ﴿دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾: وهم يقررون بالإيمان ويسرون بغيره، وخرجوا به. ٦٢ - ﴿يُسِرُّونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ﴾: قيل: «الإثم» هاهنا: الكفر. و«العدوان»: الظلم وتجاوز حدود الله ﴿وَأَكْثِلَهُمُ السُّحْتُ﴾: الرشوة. ٦٣ - ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾: الكذب. ٦٤ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾: قالوا - لعنهم الله - إن الله يدخل علينا ويمنعنا فضله، كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يسطها بعباء ولا بذل. «غلت أيديهم»: قبضت عن الخيرات، وهو دعاء عليهم بالبخل والنكد، ﴿بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: ليس الأمر كما زعموا، بل هو سبحانه في غاية ما يكون من الجود. ﴿وَلَئِزِيدَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: حسداً ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: تمرداً وجحوداً ﴿وَالْقِيَامَةُ بَيْنَهُمْ﴾: يعني: اليهود والنصارى ﴿الْعُدَاةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾: كلما أجمع رأيهم على شيء واستقام شتته الله وأفسده بسوء أفعالهم. [٥٧] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُوًا﴾ الآية. روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرتا الإسلام وناققا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُوًا﴾ إلى قوله: ﴿يَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾. [٦٤] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية. وأخرج أبو الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية. وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ في فحاص رأس يهود قينقاع. [٦١] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١]. زاد ﴿كَانُوا﴾ في آية المائدة؛ لأنها نزلت في حادثة عين في ناس من اليهود كانوا يدخلون على الرسول ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً، فأخبره الله عز وجل بشأنهم، وآية آل عمران عامة في المنافقين. [٥٥] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَوْنَ﴾ [المائدة: ٥٥]. إنما أفرد (الولي) ولم يجمع مع أنه متعدد للإيدان بأن الولاية لله أصل، ولغيره تبع لولايته عز وجل، فالتقدير: وكذلك رسوله والذين آمنوا. [٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٨]، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الأنبياء: ٨٩]. ما الفرق بين «النداء والدعاء»؟ **الجواب**: أولاً: النداء في القرآن: جاء «النداء» في القرآن على أحوال، هي: ١ - إسناد النداء إلى الله. ٢ - النداء بين العباد بعضهم لبعض. ٣ - نداء من الملائكة للناس. ٤ - نداء من الله تعالى للناس. ٥ - طلب الإقبال إلى الصلاة سماءاً القرآن نداء. ٦ - طلب الإقبال للإيمان سماءاً القرآن نداء. **سؤال**: لم كان النداء بـ (رب) دون اسم الجلالة (الله)؟ قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ وليس «ونادى نوح الله». **والجواب**: أن المنادي راجع لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل، ولذلك تعلق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكان الله سبحانه بذلك يُقرر حقيقة هامة وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظ «رب» تشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياء وإماتة ونفع وضرر... **لم النداء وليس الدعاء**؟! ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، وليس «وأَيُّوبُ إِذْ دَعَا رَبَّهُ» فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟! **والجواب**: أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروف واحدة من الشدة والكره العظيم والبلاء المبين، فنادى كل منهم ربه رافعاً صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت) فهو أخص من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد والله قريب وهو أقرب إلينا من جبل الوريد، فالتباعد هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلو وليس تباعد مكان.. ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء، وله خواص تختلف عن الدعاء، بل هو أخص وأصفى وأخلص وأظهر تفاؤلاً وأظهر وأنقى معنى.. رغم أن كلا من الدعاء والنداء عبادة وفيه خير. [٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم. [٦٠] ﴿مَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ قرئ: (وعبد الطاغوت) بضم الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت، على أن عبد اسمٌ يبنى على فعل كعَصَدَ وهو واحد يراد به الكثرة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ وليس بجمع، إذ ليس من صيغ التكثير، والطاغوت مجرور بإضافته إليه، أي: وجعل منهم عبد الطاغوت، أي: خدمه. وقرئ: (وعبد الطاغوت) بفتح العين والباء على أنه فعل ماضٍ، ونصب الطاغوت مفعولاً به لـ «عبد» ونصب (الطاغوت) به في هذه القراءة، وحذف الموصول؛ لأن التقدير: وجعل منهم من عبد الطاغوت. [٦٤] ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ **إعجاز عددي**: ورد ذكر لفظ (الحرب) بمشتقاته (٦) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى) بمشتقاته (٦) مرات أيضاً في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (الأسرى) بمشتقاته، وقد ورد كل (٦) مرات في كتاب الله تعالى. [٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. **إعجاز تاريخي**: لقد بلغت خسة الطبع وفساد الخلق بالمرابين اليهود إلى أن يتأمرؤا على المجتمعات التي فتحت أبوابها لهم، بل على العالم بأسره، ويوقدوا نار الحروب، ويسعوا في الأرض الفساد، وقد نبأنا القرآن من خبرهم، وكشف لنا جرمهم، ونبه كثير من الكتاب المحققين إلى أن أباطرة المال اليهود هم الذين كانوا وراء إشعال نيران الحروب في القرن الماضي. كما أنهم هم الذين أوقدوا نيران الحربين العظميين في القرن الماضي، لقد سالت الدماء أنهاراً، وأهدرت ملايين من الأموال، كل ذلك ليربو مال اليهود، وتعتظم سيطرة اليهود في العالم.

٧١- ﴿وَحَسِبُوا أَن لَّا تَكُونُ فِتْنَةً﴾: بلاء واختبار للذين أخذ عليهم الميثاق أي: ظن هؤلاء الذين أخذ عليهم الميثاق أن لا يقع عليهم ابتلاء واختبار بالشدائد، كما ظنوا ألا يقع عليهم عذاب على تكذيب الرسل. ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾: عن الحق. فلم يبصروه ولم يسمعه. ٧٢- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: القائلون لهذه المقالة فرقة من النصارى، قالوا: إن الله تعالى تجلّى في ذات المسيح، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: والحال أنه قد قال المسيح هذه المقالة، فكيف يدعون الألوهية لمن يقرّ على نفسه بالعبودية، وبأنه عبد لله تعالى مثلهم. ٧٥- ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: مضوا ﴿وَأُمَةٌ صِدِيقَةٌ﴾: من التصديق وبه سمّي أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وهذه الصفة لمريم عليها السلام تدفع قول من قال: هي نبية. و«الصدّيق»: تابع النبي عليه السلام ومصدقّه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: كسائر البشر المحتاجين إلى الغذاء، وليس هذا من صفة الخالق لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره!! ﴿أَن يَوْفُوكُون﴾: بمعنى: كيف عن الهدى يضلّون ويصرفون؟ وكل مصروف عن شيء عند العرب: مافوك عنه. ٧٦- ﴿مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: يعني: المسيح عليه السلام.

[٧٦] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٧٦] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات،

والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء. وسمّعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمّعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمّعه الإجابة منه للسائلين والداعين والعاشرين فيجيهم ويشيهم. [٧٦] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٧٢، ٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ﴾ [المائدة: ٧٣]. لماذا كرر الآية وختم كل آية بخاتمة مختلفة عن أختها؟ **الجواب:** لأنّ يعقوبية من النصارى زعموا أن الله تجلّى في زمن على شخص عيسى فظهرت منه المعجزات، فصار إلهاً، والملكانية منهم زعموا أن الله اسم يجمع أمّاً وابناً وروح القدس، فصار كل منهم إلهاً واحداً، أخذاً من قوله تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِي الْهَيْئَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فكرر الآية لذلك، وأخبر تعالى عنهم أنهم كلّهم كفّار. والآية الثانية برهان للقرآن من وجهين: ١- أن تكرار كلمة "ثلاثة" دلّت على المذهبين اللذين ذهب إليهما النصارى في شخص المسيح. ٢- أن قوله تعالى عقيبها: ﴿وَمَنْ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، يصلح ردّاً على المذهبين، فهو رد على من قال: إن المسيح إله من حيث تجلّى الله في المسيح. ومعناها: ما من إله إلا إله واحد، من حيث مصدر الموجودات، ورد على من قال: إن الله جوهر في ثلاثة أقانيم ومنها المسيح. ومعناها: ما من إله إلا إله واحد بالذوات؛ منزّه عن العدد، فهو بيان للمذهبين، ورد عليهما مع إيجاز معجز، ووفاء بالغرض أشدّ إعجازاً. = حقيقة في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائر فيها طريقاً يطمئن إليه للخروج منها، ويُسْتَعَار (العمه) للحيرة والتردد النفسي. [٧٦] ﴿مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]. قدم الضر على النفع هنا، وفي مواضع أخر قدم النفع على الضر؟ **الجواب:** أن دفع الضر أهم من جلب النفع وإن كانا مقصودين؛ ولأنه يتضمنه أيضاً، فإذا تقدم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضر أهم، وإذا كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم؛ لأنه المقصود غالباً بالسؤال، ولذلك قال في الحج: ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣]، أي: يدعو لنفع لمن ضره أقرب من نفعه المطلوب بالدعاء. [٧٦] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿وَالضَّيِّقِينَ فِي الْأَسْأَةِ وَالضَّرَّاءَ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿أَوْسَرُوهُنَّ مَعْرُوفٍ وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّعَعْدُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]. ما الفرق بين: "ضَرَّ، ضَرَّرَ، ضَرَّاءَ، ضَرَّارٌ"؟ **الجواب:** جاءت كلمتا (الضرّ) و(ضرّاً) من الفعل الثلاثي (ضَرَّ). بينما جاءت كلمتا (ضرر) و(ضرار) من الفعل الرباعي ضارّ. وفرق بين كلمتي (ضرر) و(ضرار) يتضح من قول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». رواه مالك في الموطأ، وابن ماجة في سننه وغيرهما، وصححه الألباني. فمعنى قوله (لا ضرر): أي لا يضر الرجل أخاه، وهو ضدّ النفع. ومعنى قوله (ولا ضرار): أي لا يضر كل واحد صاحبه، فالضرار منهما معاً، والضرر فعل الواحد فقط. وفرق بين كلمتي (ضرّ) بضم الضاد، و(ضرّ) بفتح الضاد. حيث لم ترد كلمة (ضرّاً) إلا وردت معها كلمة نفعاً وهذا يعني أن: ١- ضرّاً ونفعاً متماثلان في الوزن. ٢- متناقضتان (تماماً) في المعنى. أما كلمة (ضرّ) بضم الضاد فلم ترد في سياقها كلمة (نفع) ثم هي أقرب في معناها إلى الشدة وشظف العيش. كما قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]. أما كلمة (الضرّاء) فهي الصيغة الوحيدة من الصيغ الخمس المذكورة التي تدل على معنى الشدة - شدة الضرر - دلالة مطلقة غير مقيدة. وتتضمن الصيغ الأربع الأخرى معنى الضرر فحسب كما أن (الضرّاء) تزيد درجة في التوكيد على الصيغ الأربع الأخرى. فهي على وزن (فعلاء)، فهذا الوزن يدل على المبالغة والتوكيد. ووردت كلمة (الضرّاء) سبع مرات من تسع مرات مقرونة بكلمة (البأساء)، ومعلوم أن غيرها من الصيغ الأربع الأخرى لا تقوم مقامها، ولا تتسق ولا تتسجم موسيقياً مع كلمة البأساء، غير كلمة واحدة هي (الضرّاء).

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا أَن لَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا تَكُونُ﴾ قرئ: (تكون) برفع النون على أن (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، أي: أنه، و(لا) نافية، و(تكون) تامة، و(فتنة) فاعلها، والجملة خبر (أن) وهي مفسرة لضمير الشأن، و(حسب) حينئذ للتيقن لا للشك؛ لأن (أن) المخففة لا تقع إلا بعد تيقن. وقرئ: (تكون) بالنصب على أن (أن) الناصبة للمضارع دخلت على فعل منفي بلا و(لا) لا تمنع =

...

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَعَافِرُ فَوَاسِقٍ يُقَالُونَ رِيبًا أَمْ نَأْمَنُكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٥﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٦﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٧﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٨﴾

٨٢- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: هم وفد النجاشي إلى رسول الله ﷺ، لما سمعوا القرآن وتلاه عليهم فاضت أعينهم وبكوا. ﴿ءَمَنَّا﴾: صدقنا ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: يعنون: محمداً ﷺ وأصحابه. أي مع الشاهدين بصدق محمد ﷺ، وأنه رسولك إلى الناس. ٨٦- ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: سكانها واللايئون فيها. و«الجحيم»: ما اشتد حره من النار، وهو «الجاحم»؛ بمعنى واحد. ٨٧، ٨٩- ﴿لَا تَحَرَّمُوا طَيبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: نزلت في قوم من المسلمين حرموا على أنفسهم اللحم والنساء تعبدًا، وحلفوا على ذلك، فثبت أن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله، وسنته لأمته. ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: الآية. و«الغو اليمين»: ما لم يُتعمد فيه الحنث، -وقد مضى تفسيره- ولا كفارة فيه. ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: بما أوجبتم على نفوسكم، وعزمت عليه قلوبكم. ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: من أعدله مما ليس بارتفاعه ولا دونه؛ وأعلاه الخبز واللحم، وأوسطه الخبز والتمر، أو السمن. وفيه اختلاف. ﴿كِسْوَتُهُمْ﴾: قيل: ثوب كالقميص، أو الرداء، أو الإزار، وقال ابن عباس: كل ما ذكر الله تعالى في القرآن «أو، أو» فهو تخيير للمكفر، يفعل أيها شاء، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: على أي صفة كانت من أسر الرق. وأصل «التحرير»: الفك من الأسر. ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾: قيل: متتابعات. وفيها اختلاف. ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: بعدم المسارعة إليها. أو إلى الحنث فيها. [٨٧] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا﴾ الآية، روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجلاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة، فنزلت. وفي رواية السدي: أنهم كانوا عشرة، منهم: ابن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون، وعلي، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر. [٩٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الآية. روى أحمد عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون المسكر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال إنهم كبير، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم من الأيام صلى =

٨٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠، ٨٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، وهي تبين أن الذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذبوا بأدلتها التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار الملازمون لها. [٨٨] ﴿... وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]، ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]. تمتعوا أيها المؤمنون بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الأنفال: فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. ٨٩ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [المائدة: ٨٩]. لا يعاقبكم الله بسبب إيمانكم التي تحلفونها بغير قصد، ولكن يعاقبكم بما قصدته قلوبكم. والله غفور لمن تاب إليه، حلیم بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة... فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمّا آية المائدة: أنه لا يعاقبكم الله أيها المسلمون فيما لا تقصدون عقده من الأيمان، مثل قول بعضكم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم، فإذا لم تقوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدّمونه مما شرعه الله لكم كفارة... ٨٩ ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ من ثمرات الشكر: ١- الزيادة من الله عز وجل. ٢- حفظ النعم ودوامها، ومن المآثرات التي يتناقلها الناس، وبالشكر تدوم النعم. ٣- الجزاء الذي ادخره الله تعالى للساكرين. ٤- شكر الله تعالى لهم سعيهم. ٥- الشاكرون خاصة الله وأحبّاءه؛ لأنهم في عالم العباد قليل. ٦- فرح الشاكرين وشوقهم لما خبي لهم من عظيم الجزاء وشوقهم لنيله. ٧- إكثارهم من صنائع المعروف في العباد، فشكرهم نفع لمن حولهم من الناس. ٨- لا يجحدون معروفًا وفد إليهم من أحد، بل تلهج ألسنتهم بشكر من فعله معهم. ٩- الصبر والحلم خلق الشاكرين، فتراهم يسعون في حاجة الخلق من حولهم، ويتحملون ما يصدر عنهم من إساءة، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة. تخلقوا بأخلاق الله. ١٠- الكرم والسخاء دأب الشاكرين، تخلقوا بخلق الله وتأسيًا برسوله ﷺ. أركان الشكر: الشكر مبني على ثلاثة أركان: ١- الاعتراف بالنعمة باطنًا. ٢- التحدث بها ظاهرًا. ٣- تصرفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. [٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ قرئ: (عاقَدم) بالألّف وتخفيف القاف على وزن قاتلم كقولك: قاطعته وقطعته. وقرئ: (عقدتم) بحذف الألف وتخفيف القاف على الأصل لأنه أراد به عقد اليمين مرة واحدة فيلزمه البر أو الكفارة. وقرئ: (عقدتم) بحذف الألف وتشديد القاف على التكرير وهو يدل على تأكيد العزم بالالتزام، ويدل كذلك تكرر الفعل على معنى عقد بعد عقد، أو يكون أراد تكثر العاقدين للأيمان بدلالة قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾ فخاطب، أو يكون التشديد لوقوع لفظ الأيمان بالجمع بعده، فكأنه عقد يمين بعد عقد يمين، فالتشديد يدل على كثرة الأيمان. ٨٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم) بمشتقاتها (٢٦) مرة في القرآن الكريم، كما وردت لفظة (العقاب) بمشتقاتها (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم) بمشتقاتها مع عدد ورود لفظة (العقاب) بمشتقاتها) وكل ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. [٨٩] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

٩٠- **﴿الْخَمْرُ﴾**: ما أسكر كثيره. **﴿وَالْمَيْسِرُ﴾**: ما يتيسر منه، أي يجزؤه وهو القمار، **﴿وَالْأَنْصَابُ﴾**: الأصنام، التي كانوا يذبحون عندها **﴿وَالْأَزْلَمُ﴾**: التي كانوا يستقسمون بها، أي يطلبون بها معرفة ما قسم لهم، **﴿رَجَسُ﴾**: إثم **﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾**: بتزيينه ودعائه. وقيل: «رجس»: شر. **﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾**: اتركوه. ٩١- **﴿أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾**: قيل: شرب سعد بن أبي وقاص رحمه الله مع رجل من الأنصار، فتفاخرا حتى غضبا، فضرب الأنصاري أنف سعد فكسره، فنزل تحريم الخمر. **﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾**: قال أصحاب رسول الله ﷺ: انتهينا يا ربنا. ٩٢- **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾**: أعرضتم عما نهيتكم عنه **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ﴾**: وفيه زجر شديد. ٩٣- **﴿جُنَاحٌ﴾**: حرج **﴿وَيْسَاطُ طَعْمُوا﴾**: أي: أصابوا من الخمر قبل تحريمها **﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾**: خافوا بعد التحريم **﴿وَأَمَّا طَعْمُوا﴾**: صدقوا. ٩٤- **﴿يَتَلَوْنَكُمْ﴾**: ليختبرنكم **﴿بَشَى مِنْ الصَّيْدِ﴾**: في حال إحرامكم **﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ﴾**: نصيب ما كان من صغار الصيد، كالفراخ والبيض، وما لا يقدر أن يفر. **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾**: لكبير الصيد **﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْعَيْبِ﴾**: يعني: في الدنيا حيث لا يراه. **﴿فَمَنْ أَعْدَى﴾**: استحلّه بعد تحريمه **﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**: موجه. ٩٥- **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾**: محرمون بحج أو عمرة. و«حرم»: جمع حرام، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد؛ فإذا قيل للرجل: محرم؛ قيل: للمرأة محرمة. و«الإحرام»: هو الدخول فيه. **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾**: قيل: إن قتله المحرم متعمداً قتله وهو ناس لإحرامه في حال قتله؛ فعلية الجزاء الذي ذكر الله عز وجل، وإن قتله متعمداً قتله ذاكراً لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره والانتقام منه إلى الله عز وجل. وهذا أجل من أن يحكم عليه، وأن تكون له كفارة!! **﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾**: قيل: الجزاء على كل محرم قتل صيداً - عامداً قتله، ذاكراً لإحرامه، أو عامداً لقتله، ناسياً لإحرامه - ما أمر الله به؛ أن يهدي من النعم ما **﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾**: من المسلمين؛ وهو أن يكونا فقيهين عالين فاضلين **﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾** وقيل في صفة الجزاء: ينظر إلى أشبه الأشياء بما قتل شهاً من النعم ويهديه إلى الكعبة. وقيل: إن قتل نعمة أو حمراً، أهدى بدنة. وإن قتل أَيْلاً أو

يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَلَوْنَكُمْ ﴿٩٤﴾ بَشَى مِنْ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْعَيْبِ فَمَنْ أَعْدَى بِذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٥﴾ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٦﴾

أروى (الذكر والأنثى من الوعول) فعلية بقرة، وإن قتل غزلاً أو أرنباً فعلية شاة. و«كفارة إطعام المساكين»، أن يطعم بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدى **﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾**: يعني الصيد المقتول **﴿صِيَامًا﴾**: و«عدل الشيء»: قدره من غير جنسه، وهنا: قدره من الصيام، وذلك أن يقوم الصيد حياً غير مقتول بقيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم، ثم يصوم مكان كل مذبذباً يوماً. **﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾**: نكال ما أحدث من قتل ما نهاه الله عن قتله؛ بإلزامه للغرامة في ماله، أو العمل ببذنه ما يشق عليه. وأصل «الوبال»: الشدة. **﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُ سَلَفٌ﴾**: في الجاهلية، وما كان قبل النهي. **﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾**: قيل: يحكم على من قتل صيداً وهو محرم بالكفارة كلما أخطأ، ومن فعله متعمداً حكم عليه مرة واحدة، وإن عاد متعمداً فلا يقضى عليه بالكفارة، ويقال له: ينتقم الله منك. = رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أشد منها: **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾**. ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾** إلى قوله: **﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾** قالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس: يا رسول الله ﷺ ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم، وكانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان، فأنزل الله **﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾** إلى آخر الآية. [١٠٠] قوله تعالى: **﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾** الآية. أخرج الواحدي والأصبهاني في الترتيب عن جابر: أن النبي ﷺ ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتني فاعتقت منها ما لا فهل ينفع ذلك المال بطاعة الله تعالى، فقال النبي ﷺ: «إن الله لا يقبل إلا الطيب»، فأنزل الله تعالى تصديقاً لرسوله ﷺ **﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾** الآية. [٩٢] **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾** [المائدة: ٩٢]، **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾** [التغابن: ١٢]. آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع ذلك بذكر العلة في تحريمها فقال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ...﴾** [المائدة: ٩١]، فحتمت بالتهديد بما يشعر بشديد الوعيد، ناسب ذلك قوله تأكيداً لما تقدم من الإشعار بمخوف الجزاء: **﴿وَأَحْذَرُوا﴾** وقوله: **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا﴾** لما في ذلك من التأكيد لما تقدم، أمّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [التغابن: ١١]، فلما لم يرد هنا نهي عن محرم متأكد التحريم بما أتبع النهي من التهديد والتأكيد، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك، فجاء كل على ما يجب ويناسب. [٩٥] **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾** قوله تعالى: **﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ﴾** قرئ: (فجزاء مثل) فجزاء بالتونين والرفع على الابتداء، والخبر محذوف، أي: فعلية جزاء مثل ما قتل. وقرئ: (فجزاء مثل) برفع جزاء من غير تنوين، و(مثل) بخفض اللام، فجزاء مصدر مضاف لمفعوله، أي: "فعلية أن يجزي المقتول من الصيد مثله من النعم"، ثم حذف المفعول الأول لدلالة الكلام عليه. قوله تعالى: **﴿كَفَّارَةٌ طَعَامُ﴾** قرئ: (كفارة طعام) كفارة بغير تنوين، طعام بالخفض على الإضافة، وهي للتعيين كخاتم فضة. وقرئ: (كفارة طعام) بالتونين ورفع (طعام) بدل من (كفارة) أو عطف بيان لها أو خبر لمحذوف، أي: هي طعام.

[٩١-٩٠] **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾** **﴿إِعْجَازٌ تَشْرِيعِي﴾**: تحريم الخمر: قال أحد العلماء: إن هناك مسألة أخرى لفتت نظري وزادتني علماً بمكانة الدين الإسلامي وهي انفراده بتحريم الخمر، وهي ميزة لا نجدها في كتب الديانات الأخرى، ومن عهد قريب جندت أمريكا جيوشها لمكافحة الخمر، ولكنها فشلت في النهاية رغم جميع وسائل الحضارة التي تدرعت بها، فأين ذلك من هداية سيدنا محمد الذي لم يكذب ليبلغ المسلمين تحريم الخمر حتى أريقحت أكوابها، فسالت بها الشوارع أنهاراً. فالعقلاء في أمريكا وأوروبا الذين نصحوا وقالوا بتحريم الخمر لا شك أنهم يعتقدون باطناً بضرر الخمر. وكان المؤتمر الدولي التاسع عشر الذي عُقد في بلجيكا وعُرضت فيه مسألة الخمر وتدفعها للأجسام قد قرّر بلا شك أنهم يعتقدون باطناً بضرر الخمر.

الْبَحْرُ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ. ﴿٩٦﴾ أَجَلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ. فَصِيدَهُ: مَا صِيدَ مِنْهُ، و«طَعَامُهُ» كُلُّ مَا فِيهِ مِمَّا مَاتَ فِيهِ، وَقَذْفُهُ الْبَحْرُ إِلَى سَاحِلِهِ وَقِيلَ: مَا مَلَحَ مِنْهُ وَبَقِيَ ﴿مَتَعَا لَكُمْ﴾: مُنْفَعَةٌ، ﴿وَاللَّسْيَارَةُ﴾: جَمْعُ «سَيَّارٍ»، وَهُمْ الْمَسَافِرُونَ أَنْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهُ؛ أَيْ السَّمَكُ، ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ مَا دُمْتُ حُرْمًا﴾: قِيلَ: حُرْمٌ عَلَى الْمُحَرَّمِ كُلِّ مَعَانِي صَيْدِ الْبَحْرِ، مِنْ أَصْطِيَادِهِ وَأَكْلِهِ وَبَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَمَلَكِهِ. وَقِيلَ: مَا اسْتَحْدَثَ الْمُحَرَّمُ صَيْدَهُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا كَانَ فِي مَلَكِهِ قَبْلَ إِحْرَامِهِ فَهُوَ حَلَالٌ. وَالْاِخْتِلَافُ كَثِيرٌ فِي هَذَا. ٩٧- ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: قِيلَ: سُمِّيَتْ «كَعْبَةً»، لِتَرْبِيعِهَا، وَكُلُّ بِنَاءٍ مَرِيعٍ عِنْدَ الْعَرَبِ: كَعْبَةٌ. ﴿فَيَمَّا لِلنَّاسِ﴾: قَوَامًا لِأَمْرِهِمْ وَصِلَاحِ شَأْنِهِمْ، حَتَّى كَانُوا لَا يَرْجُونَ جَنَّةَ وَلَا يَخَافُونَ نَارًا، فَسَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْإِسْلَامِ. وَإِنَّمَا الْأَصْلُ: قَوَامًا كَمَا يُقَالُ: صَمِتَ صِيَامًا، فَحَوَّلَ الْوَاوُ يَاءً ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: كَانَ الرَّجُلُ لَوْ جَرَّ كُلَّ جَرِيرَةٍ، ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ لَمْ يُعْرَضْ لَهُ فِيهِ، وَلَوْ لَقِيَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الشَّهْرِ لَمْ يُعْرَضْ لَهُ، وَلَوْ لَقِيَ الْهُدْيَ مُقْلَدًا وَهُوَ يَأْكُلُ الْعَصَبَ مِنَ الْجُوعِ لَمْ يُعْرَضْ لَهُ. وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ الْبَيْتَ تَقْلِدَ قِلَادَةٍ مِنْ شَعْرِ فُتَمْنَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلِذَا انْصَرَفَ تَقْلَدَ قِلَادَةً مِنَ الْإِذْخَرِ، أَوْ مِنْ لَحَاءِ السَّمَرِ، أَيْ قَشَرَ بَعْضَ الْأَشْجَارِ، فَلَا يُعْرَضُ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَوَاجِزَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلنَّاسِ، وَقَوَامًا لِأَمْرِهِمْ. ١٠٠- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾: لَا يُعْدَلُ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، وَالْمُطِيعُ وَالْعَاصِي، وَلَوْ كَثُرَ أَهْلُ الْمَعَاصِي ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: الْعُقُولُ. ١٠١- ﴿لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّلَكُمْ سَعَادًا﴾: أَنْزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسَائِلَ كَانَ يُسَالُّهُ عَنْهَا أَقْوَامٌ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ -قَدْ أَضَلَّ نَاقَتَهُ-: أَيْنَ نَاقَتِي؟ وَكَانَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُسَالُّونَهُ عَنْ فَرَائِضَ لَمْ يُفَرِّضْهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَتَحْرِيمَ أَشْيَاءٍ لَمْ يُحَرِّمْهَا عَلَيْهِمْ؛ فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَقِيلَ لَهُمْ: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِيهَا بِتَغْلِيظٍ سَاءَ كَمْ، وَلَكِنْ انظُرُوا مَا يَنْزِلُ بِهِ الْقُرْآنُ، فَإِنَّكُمْ لَا تَسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَجَدْتُمْ تَبْيَانَهُ فِيهِ. ﴿عَمَّا اللَّهُ﴾: عَنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، وَسُئِلَ كَمْ عَنْهَا. ١٠٢- ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾: قَدْ سَأَلَ الْآيَاتِ ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: كَأَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ سَأَلُوا الْمَائِدَةَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهَا كَفَرُوا بِهَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. ١٠٣- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ﴾: «السَّائِيَةُ»: مَا يُسَيَّبُ مِنْ مَالِهِ، وَلَا يُمْنَعُ مِنْ حَوْضٍ وَلَا حَمَى. ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: «الْوَصِيلَةُ»: الشَّاةُ إِذَا وَلَدَتْ سَبْعًا عُمِدَ إِلَى السَّابِعِ، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا ذُبِحَ لَأَهْلَتِهِمْ. وَإِنْ كَانَ أُنْثَى تَرَكْتَ، وَإِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا اثْنَانِ: ذَكَرٌ وَأُنْثَى فَوَلَدْتُهُمَا قَالُوا: وَصَلَتْ أَخَاهَا، فَيَتَرَكَانِ جَمِيعًا لَا يُذْبَحَانِ! ﴿وَلَا حَامٍ﴾: «الْحَامِي»: الْفَحْلُ يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ؛ فَإِذَا لَقِيَ عَشْرَ سَنِينَ، قِيلَ: قَدْ حَمَى ظَهْرَهُ، وَسُمِّيَ بِ«حَامٍ». [١٠١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأُولِي الْبُيُوتِ أَمْوَالًا لَاشْتَرَوْا﴾ الْآيَةُ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خُطِبَ النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: فَلَانٌ، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. ﴿لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾ الْآيَةُ. وَرَوَى أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يُسَالُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتَهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ فَانْزَلُ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَتَأُولِي الْبُيُوتِ أَمْوَالًا لَاشْتَرَوْا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾. [٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَيَمَّا لِلنَّاسِ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَمَّا﴾ قُرِئَ: (قِيَمًا) بِغَيْرِ أَلِفٍ هُنَا وَفِي النِّسَاءِ ٥، عَلَى أَنَّ «قِيَمًا» مُصَدَّرٌ كَالْقِيَامِ وَلَيْسَ مُقْصُورًا مِنْهُ، وَقِيلَ: عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ قِيَمَةٍ كَدِيمَةٍ وَدِيمٍ. وَقُرِئَ: (قِيَامًا) بِالْأَلِفِ فِيهِمَا، مُصَدَّرٌ قَامٌ. لِلتَّفْصِيلِ أَكْثَرَ انْظُرْ سُورَةَ النِّسَاءِ ٥.

= وَقَرَّرَ أَنَّ التَّأثيرَ الظَّاهِرَ لِلخَمْرِ فِي التَّدْفِئَةِ، إِنَّمَا هُوَ شَعُورٌ وَقَتِيٌّ كَاذِبٌ، إِذْ لَا تَلْبَثُ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ أَنْ تَنْخَفِضَ، وَقَدْ أَوْضَحْتَ الْمَشَاهِدَاتِ الْحَسِيَّةَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَضُوحًا جَلِيلًا. وَاكْتَشَفَ الْعِلْمُ الْحَدِيثَ أَنَّ الْخَمْرَ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ بِالْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ، مِثْلُ: ١- ضَعْفُ الْمَنَاعَةِ، ٢- تَدْمِيرُ الْكَبِدِ، ٣- تَدْمِيرُ الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ وَتُصِيبُ الْإِنْسَانَ بِالْجَنُونِ، ٥- كَمَا يُؤْدِي إِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَى تَصَلُّبِ الشَّرَائِينِ، وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنْ مَضَاعِفَاتٍ كَأَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَالْكُلَى وَالتَّرْيِيفِ الْمُخْيِ، كَمَا يُوَثِّرُ عَلَى الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ تَأثيرًا أَشَدَّ ضَرَرًا وَأَبْعَدَ أَثَرًا، حَيْثُ يَزُولُ الْعَقْلُ زَوَالًا تَدْرِيجِيًّا، فَيَنْقَلِبُ الشَّخْصُ مِنْ حَيْثُ أَعْمَالُهُ وَنِزَوَاتِهِ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَضِيضِ الْبَهِيمِيَّةِ. وَإِذَا اسْتَمَرَّ فِي إِدْمَانِهِ زَمَانًا طَوِيلًا ضَعُفَتْ مَدَارِكُهُ الْحَسِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى طُورِ الْجَنُونِ أَوِ الشَّلَلِ، ٦- الْخَمْرُ سُمُّ قَاتِلٌ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَقْلٌ شَكٌّ أَوْ رَيْبٌ فِي أَنَّ الْخَمْرَ سُمٌّ فَلْيَتَبَرَّ بِمَا يَكُونُ عِنْدَ وَصُولِهَا إِلَى الْمَعْدَةِ، فَإِنَّ الْغَشَاءَ الْمُخَاطِيَّ لِلْمَعْدَةِ يَصِيرُ مُحْتَقِنًا، وَيُخْرِجُ مَقْدَرًا مِنَ الْمُخَاطِ لِيَحْمِيَ نَفْسَهُ، وَتَرَى غَدَدَ الْمَعْدَةِ وَقَوَاهَا الدَّفَاعَةُ تُسْرِعُ فِي إِخْرَاجِ مَا وَصَلَ إِلَيْهَا بِأَسْرَعٍ مَا يَكُونُ، أَلَيْسَ هَذَا كَافِيًا لِإِزَالَةِ شَكِّ الشَّاكِينِ، وَرَيْبِ الْمُرْتَابِينَ فِي أَنَّ الْخَمْرَ مِنْ أَنْوَاعِ السَّمُومِ. **إِعْجَازٌ تَشْرِيعِيٌّ:** تَحْرِيمُ الْمَيْسِرِ... أَضْرَارٌ وَأَخْطَارٌ: قَالَ الدُّكْتُورُ سَالِمُ مُحَمَّدٍ: إِنَّهَا (أَيُّ الْمَقَامَرَةِ وَالْمَيْسِرِ) دَاءٌ خَبِيثٌ، فَقَدْ يَسْهَلُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْمَخْدَرَاتِ وَالْمَكِيفَاتِ دُونَ أَنْ يَقْدَرَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ. وَكَمْ لَعِبَ إِنْسَانٌ بِرَأْسِ مَالِهِ فَأَضَاعَهُ كُلَّهُ!! وَكَمْ قَامَ رَبٌّ عَائِلَةً بِقُوَّتِهَا وَتَرَكَهُمْ جُوعَى مُحْرَمِينَ!! وَكَمْ كَانَ إِدْمَانُ رَبِّ الْبَيْتِ الْقِمَارِ وَالسَّهْرِ بِسَبَبِهِ سَبَبًا لَخْرَابِ الْبَيْتِ وَدِمَارِهِ!! وَلَا عِبَ الْقِمَارِ مَهْمَا تَمَالَكَ أَعْصَابُهُ أَوْ أَبْدَى تَحَكُّمًا ظَاهِرًا فِيهَا، فَهُوَ وَأَعْصَابُهُ فِي ثَوْرَةٍ وَمَعْرَكَةٍ دَائِمَةٍ، وَسِيرُ اللَّعِبِ كَمَا لَا يَرَى، وَفَلَتَاتُ الْحِظِّ تَتَرَكُهُ كَأَنَّهُا تَتَعَمَّدُهُ هُوَ لَا غَيْرَهُ، تَهْزُ أَعْصَابُهُ هَزًّا عَنِيفًا، وَلَا شَكَّ مُطْلَقًا فِي سُوءِ أَثَرِهِ عَلَى صِحَّتِهِ، وَتَسْبِيهِ فِي مَرَضِهِ، وَرَبْمَا وَفَاتِهِ. [٩٠-٩١] ﴿يَتَأُولِي الْبُيُوتِ أَمْوَالًا لَاشْتَرَوْا﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِيٌّ:** ١- ذَكَرَتْ (الْأَصْنَافُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَاتٍ. ٢- ذَكَرَتْ (الْخَمْرُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَاتٍ، ٣- ذَكَرَتْ كَلِمَةَ (الْخَزِيرِ بِمَشْتَقَاتِهَا) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَاتٍ، ٤- ذَكَرَتْ (الْبَغْضَاءُ) فِي كِتَابِ اللَّهِ (٥) مَرَاتٍ، ٥- ذَكَرَ (الْحَصْبُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَاتٍ، ٦- ذَكَرَ (التَّنْكِيلُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَاتٍ، ٧- ذَكَرَ (الْحَسَدُ) فِي كِتَابِ اللَّهِ (٥) مَرَاتٍ، ٨- ذَكَرَ (الرَّعْبُ) فِي كِتَابِ اللَّهِ (٥) مَرَاتٍ، ٩- ذَكَرَتْ مُشْتَقَاتُ كَلِمَةِ (الْخَبِيَّةِ) (٥) مَرَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. وَبِذَلِكَ يَتَسَاوَى عَدَدُ ذِكْرِ كُلِّ مِّنَ (الْأَصْنَافِ) وَ(الْخَمْرِ) وَ(الْخَزِيرِ) وَ(الْبَغْضَاءِ) وَ(الْحَصْبِ) وَ(التَّنْكِيلِ) وَ(الْحَسَدِ) وَ(الرَّعْبِ) وَ(الْخَبِيَّةِ). بِمَشْتَقَاتِهَا، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (٥) مَرَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. [١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِيٌّ:** تَسَاوَى عَدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْأَفْتَدَةِ بِمَشْتَقَاتِهَا) مَعَ لَفْظِ (الْأَلْبَابِ) وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (١٦) مَرَّةً. أَوَّلًا: وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْأَلْبَابِ) (١٦) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ، ثَانِيًا: وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْأَفْتَدَةِ بِمَشْتَقَاتِهَا) (١٦) مَرَّةً أَيْضًا فِي كِتَابِ اللَّهِ. وَبِذَلِكَ يَتَسَاوَى عَدَدُ مَرَاتِ (كَلِمَةِ الْأَلْبَابِ) مَعَ عَدَدِ مَرَاتِ كَلِمَةِ (الْأَفْتَدَةِ بِمَشْتَقَاتِهَا)، وَكُلُّ وَرَدَ (١٦) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

١٠٤- ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾: اكتفيننا — ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ١٠٥- ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾: قيل: لا يضركم كفر من كفر إذا اهتديتم. وروي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «اثمروا بالمعروف، وثناؤوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام، فإن وراءكم أياماً الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله». أخرجه أبو داود وغيره، وقال الألباني: ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة. وجاء في هذا اختلاف كثير. ١٠٦- ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: يعني: من المسلمين ﴿أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير أهل ملتكم؛ وذلك إذا كان الرجل بأرض غريباً، فحضره الموت، ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته، فله أن يشهد على وصيته من اليهود أو النصارى أو المجوس، وشهادتهم مقبولة في الوصية في السفر، ولا تجوز في غير ذلك؛ فإن أشهد الموصي غير المسلمين على ما يوصي به، ودفع ما كان معه من مال وتركه إليهما ليؤديه إلى ورثته، فإذا شهدا بما أوصى به الميت أو أديا حملاً، وصدقهما الورثة قبل قولهما، وإن اتهمهما في مال أو شهادة حلفاً بعد صلاة العصر - وقيل: بعد صلاة أهل ملتهم - ما كتنا، ولا كذبنا، ولا خنا، ولا غيرنا. ١٠٧- ﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾: أطلع. وأصل «العثر»: الوقوع على الشيء ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي اختانا شيئاً من مال الميت، ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: أي فشاهدان آخران أو حالقان آخران يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا إثمًا، فيحلفان بالله أن شهادة هذين الكافرين باطلة، وأنا لم نعتد. وفيه خلاف يطول اجتلابه. ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾: تنبيه أولى، قيل: بالميت. ١٠٨- ﴿ذَلِكَ أَدْقُ﴾: أقرب وأحرى ﴿أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا﴾: أن يصدقوا فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آمَنِهِمْ﴾: فتبطل إيمانهم، وتتخذ إيمان الورثة. ١٠٦ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةَ بَيْنَكُمْ﴾

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ١٠٤- ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنْ تَكُنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٠٥- ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّ مِنَ الْآثِمِينَ﴾ ١٠٦- ﴿فَإِنْ عُرِيَ عَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِهِمَا وَمَا أَغْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠٧- ﴿ذَلِكَ أَدْقُ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آمَنِهِمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَاسْمُوعُوا لِلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ١٠٨

١٢٥

الآية. روى الترمذي وضعفه، وغيره، عن ابن عباس، عن تميم الداري في هذه الآية. ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةَ بَيْنَكُمْ﴾ قال: برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بدء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة، فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بدء. فلما قدما إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره، فلما أسلمت تأثمت من ذلك، فأتيت أهله فخبرتهم الخبر، ودفعت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدا، فأمرهم أن يستحلفوه فحلف، فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةَ بَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آمَنِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا، فزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بدء (تنبيه) جزم الذهبي بأن تميم النازل فيه غير تميم الداري، وعزاه لمقاتل بن حبان قال الحافظ ابن حجر: وليس بجيد؛ للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري. ١٠٤ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]. آية النساء تتحدث عن المنافقين، وأنهم إذا نُصِّحُوا، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول محمد ﷺ وهدية، أبصرت الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر، يعرضون عنك، وأمّا آية المائدة فتتحدث عن المشركين المحرّمين ما أحل الله، وأنهم إذا قيل لهم: تعالوا إلى تنزيل الله، وإلى رسوله ﷺ ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفينا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل. ١٠٤ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْحَادِ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ في آية المائدة، لأن العلم أبلغ درجة من العقل جاز وصف الله به ولم يجز وصفه بالعقل، فكانت دعواهم في المائدة أبلغ بقولهم: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ فزعموا النهاية بـ ﴿حَسْبُنَا﴾، فنفي عنهم ذلك بالعلم وهو النهاية، وأمّا في آية البقرة فقالوا: ﴿بَلْ نَسْتَعِذُّكَ بِاللَّهِ عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾، ولم تكن النهاية، فنفي بما هو دون العلم، ليكون كل زعم لهم منفيًا بما يناسبه. ١٠٦ ﴿ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [المائدة: ١٠٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ آية سورة المائدة ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾، لا نشترى به ثمنًا في هذه الآية بدون وصف، لأن الأمر هنا يتعلق بمصالح الدين لهم وصية، وذكرت كلمة "ثمنًا" حتى يشمل الحقير والعظيم والمادي والمعنوي والنفس والتافه، ليقطع الطرق لأي تأويل أو شهادة لصالح الورثة، وفي مواضع أخرى من القرآن يكون وصف الثمن بالقليل عندما يرد الكلام عن شراء آيات الله وهو مهما بلغ فهو ثمن قليل، ولا يستطيع أحد أن يقابله بثمن، فهو قليل بأي وصف.

٩٤ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِبَلْوَنَكُمْ أَنَّ هَذَا مِنْ الصِّدْقِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [المائدة: ٩٤]. قال المهيامي: لأن قتله تجبر، والمحرّم في غاية التذلل. ١٠١ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ سَأَلَكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا جَاءَ بِكُمْ اللَّهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. قال الإمام ابن القيم: وكذلك لا ينبغي للبعد أن يسأل أن يبدي له من أحواله وعاقبته ما طواه عنه وستره، فلعله يسوؤه إن أبدى له، فالسؤال عن جميع ذلك تعرض لما يكرهه الله، فإنه سبحانه يكره إبداءها؛ ولذلك سكت عنها. ١٠٥ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنْ تَكُنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]. قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد. ١٠٧ ﴿فَإِنْ عُرِيَ عَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِهِمَا﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿اسْتَحَقَّ﴾ قرئ: (استحق) بفتح التاء والحاء مبنيا للفاعل، وهو الأوليان، فرفعه باستحق، والتقدير: "من الذين استحق عليها أوليان بالميت وصيته التي أوصى بها إلى غير أهل دينه أو إلى غير قبيلته". وقرئ: (استحق) بضم التاء وكسر الحاء فهو مبني لما لم يسم فاعله، واسم ما لم يسم فاعله محذوف، والتقدير: "من الذين استحق عليهم الإيصال". قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ قرئ: (الأولين) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون، جمع أول المقابل لآخر مجرور صفة للذين، أو بدل منه، أو من الضمير في عليهم، وقرئ: (الأوليان) =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَنَا الْغُيُوبَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جَسَّتْهُمُ الْبَلَاءُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّثَبِّتٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

١٠٩- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾: يوم القيامة ﴿مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾: يعني: ما الذي أجابكم به أممكم ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾: قيل: معناه: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا. وقيل: هو تفويض منهم، وإظهار للعجز. ١١٠- ﴿أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: بجبريل عليه السلام. ﴿وَكَهْلًا﴾: لا يتفاوت كلامك في الحالتين، ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي: تصور طيرًا مثل صورة الطير، ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾: تشفي الأعمى، ﴿تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾: من قبورهم أحياء، فيكون ذلك آية عظيمة لك، ﴿كَفَفْتُ﴾: صرفت ودفعت. ١١١- ﴿وَأُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: قذفت في قلوبهم. ١١٢- ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾: هم تلاميذ عيسى، لم يشكوا في قدرة الله تعالى وإنما طلبوا الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الآية، ويدل على هذا قولهم من بعد ١١٣- ﴿وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾. ١١٣- ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا﴾: أي: نعلم علمًا يقينًا بأنك قد صدقت حين حدثتنا عن نبوتك، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: عند من لم يحضرها من بني إسرائيل أو من سائر الناس.

[١١٠] ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِمْ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ [المائدة: ١١٠]. كلمة طير تستعمل للواحد وللجمع، وآية آل عمران من كلام عيسى عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم تكن صورة بعد، فحسن التذكير والإفراد، وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم القيامة معدداً نعمه عليه بعد ما مضت، وكان قد اتفق ذلك منه مرات، فحسن التأنيث لجماعة ما صورته من ذلك ونفخ فيه، هذا من التناسب البديع في الألفاظ، وقال في آل عمران: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ مرتين، لأنه من كلام عيسى عليه السلام، بينما قال في المائدة: ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات، لأنه من كلام الله تعالى. قول آخر: ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَحَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤] إلى قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ نحو عشرين ضميراً من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ضميراً مذكراً ليناسب ما تقدمه، ويشاكل الأكثر الوارد قبله، أمّا آية المائدة فمفتحة بقوله تعالى: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾... فناسب ذكر تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك... [١١١] ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٦٤]. آية المائدة أول كلام الحوارين فجاء على الأصل ﴿بِأَنَّا﴾، وأمّا في موضعي آل عمران فاستطرد لكلام الحوارين في الآية الأولى، وكلام المسلمين في الثانية. [١١٢] ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]. كيف قال الحواريون - وهم خلص أتباع عيسى عليه السلام - ذلك، وهو كفر لأنه شك في قدرة الله تعالى؟ **الجواب:** الاستفهام المذكور استفهام عن الفعل لا عن القدرة، كما يقول الفقير للغني القادر: "هل تقدر أن تعطيني شيئاً" وهذه تسمى استطاعة المطاوعة، لا استطاعة القدرة، والمعنى: هل يسهل عليك أن تسأل ربك؟ كقولك لآخر: هل تستطيع أن تقوم معي؟ وأنت تعلم استطاعته لذلك. فإن قيل: لو كان ما ذكر مراداً لما أنكر عليهم عيسى عليه السلام بآخر الآية؟ **الجواب:** إنكاره عليهم، إنما كان لإتيانهم بلفظ لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره. [١١٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ مِمَّا يَكُونُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. ما الفرق بين **"عرف وعلم"**؟ **الجواب:** في اللغة: لا تكاد تحسّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت =

بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون مثني أولى، أي: الأحقان بالشهادة لقربتهما ومعرفتهما وهو خبر لمحدوف، أي: وهما الأوليان، أو خبر آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان. [١٠٩] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ قوله تعالى ﴿الْغُيُوبِ﴾ بحسب الغين. وقرئ: (الغُيُوب) بضم الغين، والكسر والضم لغتان. [١١٠] ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جَسَّتْهُمُ الْبَلَاءُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّثَبِّتٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ هنا وفي آل عمران: ٤٩، قرئ: (الطائر - طائراً) بألف بعدها همزة مكسورة في "طير" المعرف والمنكر من السورتين على إرادة الواحد، قيل: إنه لم يخلق إلا الخفاش. وقرئ: (الطير - طيراً) المعروف والمنكر بالياء بغير ألف ولا همز في السورتين، فيحتمل أن يراد به اسم الجنس، أي: جنس الطير، ويحتمل أن يراد الواحد فما فوقه، ويحتمل أن يراد به الجمع. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْحَرٌ مُّثَبِّتٌ﴾ هنا وأول يونس: ٢، هود: ٧، الص: ٦، قرئ: (ساحر) بالألف بعد السين وكسر الحاء في الأربعة اسم فاعل. وقرئ: (سحر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف في الأربعة على المصدر، أي: ما هذا الخارق إلا سحر، أو جعلوه نفس السحر كرجل عدل مبالغه. [١١٢] ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرئ: (يستطيع) بقاء الخطاب والمخاطب عيسى - عليه السلام - وربك بالنصب على التعظيم، أي: هل يستطيع سؤال ربك؟ والمعنى: هل تفعل لنا وربك؟. وقرئ: (يستطيع) بياء الغيب وربك بالرفع على الفاعلية، أي: هل يفعل بمسألتك؟ أي: هل يجيبك؟ واستطاع بمعنى: أطاع، ويجوز: أن يكونوا سألوه سؤال مستخبر هل ينزل أو لا؟ وذلك لأنهم لا يشكون في قدرة الله لأنهم مؤمنون، وإنما هو كقولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي؟ وقد علمت أنه يستطيع لكنك تريد علم دلالة وخبر ونظر ومعينة. [١٠٦] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** تكرار كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذا تساوى عدد مرات تكرار لفظه «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظه «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. [١١٠] ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ **إعجاز عددي:** ١- وردت كلمة (محمد) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

١١٤- ﴿مَا يَدَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أصل «المائدة»، من ماد فلان القوم ميّداً، إذا أطعمهم ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾: معناه: نتخذ يوم نزولها عيداً نعظمه، ويعظمه من بعدنا. ١١٦- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾: أخبر الله بهذا عما يكون في الآخرة لقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَبْعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ﴾: واختلف في ذلك. ﴿قَالَ سُبْحٰنَكَ﴾: أي: أنزهك تنزيهاً. ١١٧- ﴿مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾: من توحيدك وتنزيهك عن الشريك والصاحبة والولد. ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾: قبضتني، قيل: أي رفعتني إلى السماء. وقيل: إن الوفاة جاءت في كتاب الله على ثلاثة أوجه: بمعنى الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وبمعنى النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِأَنبَإٍ﴾ أي ينيمكم. وبمعنى الرفع، ومنه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحافظ لهم، والعالم بهم، والشاهد عليهم. ١١٨- ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: العزيز في قدرتك، الحكيم في أفعالك، قيل: قاله على جهة الاستعطاف، فكأنه قال: إن يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك، وإن يكن مغفوراً لهم، فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله، قاله ابن عطية رحمه الله. [١١٤] معنى اسم الله الرزاق: وهو مبالغة من: رازق للدلالة على الكثرة، والرزاق من أسمائه سبحانه. ورزقه لعباده نوعان: عام، وخاص. ١- فالعام لإصالة لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسَهَّلَ لها الأرزاق، ودبَّرَها في أجسامها، وساقَ إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرِّ والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها. وعام أيضاً من وجه آخر في حق المكلفين؛ فإنه قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ويسمى رزقاً ونعمة بهذا الاعتبار، ويقال: ((رزقه الله)) سواء ارتزق من حلال أو حرام، وهو مطلق الرزق. ٢- وأما الرزق المطلق فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي علمناه على يد الرسول ﷺ، وهو نوعان: النوع الأول: رزق القلوب بالعلم

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ فَلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٧﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا إِلَهًا رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٨﴾ إِن تَعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَبْعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغُورُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٠﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢١﴾

(١٢٧)

والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألّفة لله متعبّدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها. النوع الثاني: رزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه؛ فإن الرزق الذي خصَّ به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى ((اللهم ارزقني)) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعثره. [١١٧] معنى اسم الله الرقيب: الرقيب: المطلع على ما أكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. والرقيب: هو سبحانه الذي حفظ المخلوقات وأجراها، على أحسن نظام، وأكمل تدبير. [١١٩] ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿وَيَدْخُلُوهَا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. لما تقدم وصفهم بالصدق في آية المائدة ونفعه إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكد بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، وكذلك أكد بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. = كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينها مثل: ١- العلم يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علماً بالمعلوم، كلياً وجزئياً)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلم لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهل. ٣- العلم لا يكون عن تفكير وتدبير، والمعرفة لابد فيها من التفكير والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولاً: (علم): ١- كثرة الورد في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفاً لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانياً: (عرف): ١- ذكرت بتصرفات أقل من تصرفات كلمة (علم). ٢- ذكرت في القرآن وصفاً لفعل المخلوق، ولم ترد وصفاً لفعل الخالق قط. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، نجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدراً من المعرفة. [١١٨] ﴿إِن تَعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. آية المائدة مبنية على التسليم لله سبحانه وأنه المالك لكل يفعل فيهم ما يشاء فلو ورد هنا عقب آية المائدة: "وإن تغفر لهم فأنْتَ الغفور الرحيم" لكان تعريضاً بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك بالآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تبرئاً وتسليماً لله سبحانه وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تنصل من حالهم وتسليم لله فيهم، قال القرطبي رحمه الله: لم يقل "الغفور الرحيم" لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر الغفور تعريضاً للسائل والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيها، وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك، ولا تخرج عن حكمتك. [١١٧] ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ما الفرق بين: (شاهد وشهيد)؟ الجواب: كلمة (شاهد) اسم فاعل، بينما كلمة (شهيد) صفة مشبهة على وزن (فعل) تستخدم في ألوان السياق التي تستدعي توكيداً، وقد جاءت بمعانٍ عدّة: ١- شهادة على المعاملات في الدنيا، وهذا يقتضي توكيد الشهادة ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٢- شهادة عيسى - عليه السلام - لينفي عن نفسه أن يكون قد قال للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله، ويقتضي المعنى تأكيد نفي التهمة عن نفسه حتى قال: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ٣- شهادة الرسول ﷺ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ٤- شهادة الله - سبحانه وتعالى - وقد وردت خمساً وعشرين مرة من مجموع خمس وثلاثين مرة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] وناسب خطاب الله هنا للناس التوكيد؛ لأن منهم المؤمن والمكذب الذي يقتضي خطابه التوكيد ليصدق. أما (شاهد) وهي اسم فاعل، فتأتي في السياق الذي لا يستدعي توكيداً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. [١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿مُنَزِّلُهَا﴾ قرئ: (منزلها - منزلها) بتخفيف الزاي وتشديدها، وبالتخفيف اسم فاعل من أنزل، والتشديد اسم فاعل من نزل، وقد جاء القرآن بهما جمعاً. [١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَبْعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمٌ﴾ قرئ: (يوم) بالنصب على الظرف، وهذا إشارة لقوله تعالى: (أأنت)، مبتدأ وخبره متعلق الظرف، والتقدير: "قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين صدقهم". وقرئ: (يوم) بالرفع على المبتدأ والخبر، أي: هذا اليوم يوم ينفع، والجملة محلها نصب بالقول.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ

١- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله وحده دون غيره ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: ظلمات الليل، و«النور»: نور النهار، وجعل بمعنى: وأظلم ليلاً، وأنار نهاراً ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يشركون، يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به. ٢- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾: خلق آدم عليه السلام من طين، وبنيه من سلالة. ﴿أَجَلًا﴾: ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾: ما بين أن يموت إلى أن يبعث. ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تشكون. ٤- ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾: من حجة ودلالة على توحيد الله، وحقيقة نبوة محمد ﷺ ﴿مُعْرِضِينَ﴾: صادين عنها! ٥- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وعيد من الله لهم بعذاب رآه يوم بدر إذ قتلوا بالسيوف. والآية وعيد شديد للمكذبين بالإسلام الذي جاءهم من الله تعالى. ٦- ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة ﴿مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ﴾: يعني: المكذبين، وإن كان ظاهر المخاطبة لغيرهم؛ تقول العرب في مثل هذا: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت لعبد الله ما أكرمك، في معنى واحد ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر ﴿وَمِدْرَارًا﴾: غزيراً دائماً ﴿وَأَنْشَأْنَا﴾: ابتدأنا وأحدثنا. ٧- ﴿فِي قُرْطَاسٍ﴾: في صحيفة يعاينونه معلقاً بين السماء والأرض. ﴿فَلَمَّسُوهُ﴾: بمسونه بأيديهم وينظرون إليه!! ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: إمعاناً في الكفر والتكذيب، حتى إنهم ليقولون: إن ما رآه أبصارهم ولمسته أيديهم، ليس إلا سحراً من السحرا! ٨- ﴿لَقَصَى الْأَمْرَ﴾: لجأهم العذاب عاجلاً ولم يؤخروا؛ كما فعل بمن سأل الآيات ولم يؤمن بها إذا جاءته.

٢٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢، الأنعام: ١، الكهف: ١، سبأ: ١، فاطر: ١]. ذكر لفظ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في فواتح السور خمس مرات؛ انظر سورة الفاتحة آية: ٢. ﴿٤﴾ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤، يس: ٤٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام ويس، وهي تبين أن هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله جل وعلا وصدق محمد ﷺ في نبوته، وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها. ﴿٥﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء: ٦]. سورة الأنعام متقدمة فقيد التكذيب بقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ على التمام، وذكر في الشعراء ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ مطلقاً؛ لأن تقييده في هذه السورة يدل عليه، ثم اقتصر على السين هنا بدلاً من ﴿فَسَوْفَ﴾ ليتفق اللفظان فيه على الاختصار. ﴿٦﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأنعام: ٦، الأعراف: ١٤٨، النحل: ٧٩، النمل: ٨٦، يس: ٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في بعض المواضع بغير واو كما في هذه السورة وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين، أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة فذكره بالألف والواو لتدل الألف على الاستفهام والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالاً بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال، فاقتصر على الألف دون الواو، والفاء لتجري مجرى الاستئناف. ﴿٦﴾ ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦، السجدة: ٢٦، ص: ٣] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾. قوله تعالى: ﴿مِنْ﴾، إنما تزداد في هذه الآيات حيث يراد تأكيدها لما تحويه من وعيد وتخويف، فقد ورد في هذه الآيات تفصيل وعيد في أمة بعينها أو أكثر أو تكرر التهديد وشدة التخويف، فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها، أما إذا لم يتقدم الآيات وعيد أو تخويف فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها. ﴿١١﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. ما الفرق بين ﴿خَلَقَ﴾ و﴿جَعَلَ﴾؟ **الجواب:** أن السماوات والأرض أجرام، فناسب فيهما: ﴿خَلَقَ﴾، والظلمات والنور أعراض ومعان فناسب فيهما: ﴿جَعَلَ﴾، ومثله كثير كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، أي: لا تصفوا، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وهو كثير.

﴿١١﴾ ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. لماذا جمع الظلمات وأفرد النور؟ **الجواب:** أما عند من جعل الظلمات الكفر، والنور الإيمان، فظاهر لأن أصناف الكفر كثيرة، والإيمان شيء واحد، ومن قال بأن المراد حقيقتيهما فلائه يقال: رجل نور ورجال نور، فيقال للواحد وللجماعة، وواحد الظلمات ظلمة، فجمعت جمع التأنيث، ولأن حقيقة النور واحدة، وحقائق الظلمات مختلفة. ﴿٧﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿فَتَنِيْمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ما الفرق بين: «المَسُّ واللمس والمَسْح»؟ **الجواب:** ١- كل من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقة جسم لآخر. ٢- الفرق بين **اللمس** و**المس** هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- **المسح كاللمس والمس** إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما **اللمس** و**المس** فيكونان مع سكون الجسم اللامس = ﴿٣﴾ ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** ورد ذكر **(الجهر)** بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر **(الإعلان)** بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذا تساوي عدد مرات ورود لفظ **(الجهر)** بمشتقاته مع لفظ **(العلانية)** بمشتقاته وقد ورد كل منهما (١٦) مرة. ﴿٨﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَوْجِدَةٍ لَكُنَّا نَمُوتُ﴾ [الأنعام: ٨] تكرار لفظ «الشيطان» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) تساوي عدد مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساو أيضاً (٨٨) مرة.

نزول سورة الأنعام: نزلت بعد سورة الحجر، وهي مكية، سوى ست آيات منها: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] إلى آخر ثلاث آيات، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات. هذه الآيات الست نزلت بالمدينة في مرتين، وباقي السورة نزلت بمكة دفعة واحدة. **عدد كلمات سورة الأنعام:** ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة. **عدد حروف سورة الأنعام:** اثنا عشر ألفاً ومائتان وأربعون. **أسماء سورة الأنعام:** وهذه السورة اسنان: سورة الأنعام، لما فيها من ذكر الأنعام مكرراً ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَتَعْبَدُ وَحَرَّثُ... وَأَنْتُمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ﴿وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، =

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْأَلْنِي رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ
كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْإِلَى وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ مِيزٍ فَقَدْ
رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْغَاثُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

129

بين الفعلين، فجاء كل على حدة. [١٢، ٢٠] ﴿الَّذِينَ
فِي حَقِّ أَهْلِ الْكِتَابِ. [١٠]﴾ وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا مِنْ أَعْيُنِهِمْ
الآية مرتين في القرآن بنفس النص في سورتي الأنعام
التي كان مَثَارِ سَخَرْتَهُمْ وَاسْتَهْزَأَهُمْ. [١٥] ﴿قُلْ
كريم بنفس النص في الأنعام والزمر، ومقصدها: قل أُولَئِكَ
فِي عِبَادَتِهِ، أَنْ يَنْزَلَ بِهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
رَأَى الْأَنْعَامَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، والمراد من يصرف عنه العذاب في الآخرة
ورد قبلها قوله تعالى مخبراً عن قوم منكري البعث
﴿إِنَّا جَاءْنَا الدُّنْيَا﴾، أن هذه الحياة هي الخاصة لهم ولا
فيها فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُ
رَبِّي آيَةً الْجَائِيَةِ مَا يَسْتَعِدِّي الْعُطْفَ. [١٧]﴾ وَإِنْ يَمَسُّ
كَ اللَّهُ بَصِيرَةٌ فَلَا تُكْشِفُ لَهُ: إِلَّا هُوَ وَإِنَّكَ يُبْخِرُ مَا تُخِ
، وَأَمَّا الْخَيْرُ فَقَدْ يَرَادُ قَبْلَ نِيْلِهِ بَزْمَنٌ إِمَّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ
يُرْغَبُ عَنْهُ بِالْمَسِّ الْمَشْعُورِ بِوُجُودِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، أَي: إِذَا
نَزَلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
(قَهَّار) ست مرات. (القاهر) اسم فاعل من الفعل الثلاثي
(قَهَّ) أمر واضح جلي لا يحتاج إلى تفصيل، بينما كلمة (قَهَّار)
أن كل المواضع التي أتت فيها كلمة (قَهَّار) مواضع
(ر). ٢- أن كل المواضع الستة التي أتت فيها كلمة
زعه في هذه الصفة أحد، لذا ناسب وصف الواحد بصيغة
إلى كلمة (الواحد).

فتفتح الياء وكسر الراء بالبناء للفاعل والمفعول محذوف
(ف) بضم الياء وفتح الراء بالبناء للمفعول، والنا
والتقدير: "من يُصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه ا
هِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [الأنعام: ٩
وات والأرض، وتقدير النور والظلمة، وقضاء آجا

٢٨- ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ﴾: ظهر لهم ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: ما كانوا يخفون في الدنيا من أعمالهم.
 ٣٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أي: حسبوا على ما يكون من أمر ربهم فيهم، لشاهدت أمراً عظيماً! فيقول لهم ﴿الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: يعني: البعث والنشر الذي كانوا به يكذبون. ٣١- ﴿يَلْقَاءُ اللَّهَ﴾: المراد: البعث. ﴿بَعْتَهُ﴾: فجأة. ﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا﴾: الحسرة: الندم الشديد. ﴿فَرَطْنَا﴾: ضيعنا ﴿أَوْرَاهُمْ﴾: آثامهم. ٣٣- ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾: كان أبو جهل لعنة الله عليه يقول: لا تكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به! والمعنى: أنهم لا ينسبونك أنت إلى الكذب، فإنهم يعلمون صدقك، وهذا من تناقضهم وعنادهم، لذا قال بعدها ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾. ٣٤- ﴿وَلَا مُبْدِلَ﴾: لا مُغيِّر ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: عز وجل: من وعده بالنصر على من خالفه ﴿مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾: من خبرهم مع أمهم. ٣٥- ﴿كَبُرَ﴾: عظم ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن تصديقك. كان النبي ﷺ يكبر عليه إعراض قومه ويتعاضمه ويحزن له، فبين له الله سبحانه أن هذا الذي وقع منهم من التولي والإعراض واقع، وأنه ليس في استطاعته حملهم على الاستجابة إلا أن يأذن الله تعالى بذلك. ﴿نَفَقًا﴾: سرّاً ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعداً. علق إجابتهما بما هو محال، أو بما لا يستطيعه النبي ولا يقدر عليه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: هذه السنة من سنن الخلق. ولما كان النبي ﷺ عالماً بها، فالمراد أن يدع الحزن عليهم. ولا تذهب نفسه عليهم حسرات. [٣٣] قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيُكْذِبُونَكَ﴾ الآية. روى الترمذي، والحاكم، عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]. تكررت مرتين؛ لأنهم أنكروا النار في القيامة، وأنكروا جزاء الله ونكاله في الآية الأولى، أمّا الآية الثانية ﴿وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾، أي: على جزاء ربهم ونكاله في النار. [٢٩] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَإِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٠﴾ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ ﴿٣١﴾ بَعْتَهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا مِنْهَا وَإِنَّهُمْ بِحَمْلِهِمْ أَزَارُهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِغَتْ أَنْ تَنْبَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

(١٣١)

[الأنعام: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع بزيادة ﴿نُفُوتٌ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧، الجاثية: ٢٤]. ما في سورة الأنعام عند كثير من المفسرين متصل بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٨-٢٩]، ولم يقولوا ذلك، أي: ﴿نُفُوتٌ وَنَحْيَا﴾، بخلاف ما في سائر السور، فإنهم قالوا ذلك فحكى الله عنهم ذلك. [٣١] ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ ...﴾ [الأنعام: ٣١]، ﴿... قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]. الآيتان تحدثان عن الذين خسروا بكفرهم وتكذيبهم بلقاء الله وثوابه وعقابه، وآية الأنعام تبين أنهم إذا قامت القيامة، فوجئوا بسوء المصير...، وأمّا آية يونس فتوضح أنهم ما كانوا موقفين لإصابة الرشد فيما فعلوا. [٣٢] ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. آية الأنعام تقدمها قوله تعالى معرفاً بحال الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ومعنى التأكيد في هذا حاصل من سياق الكلام، لأنك إذا قلت: "ما المال إلا الإبل" فكانك نفيت عن غير الإبل أن يكون مالاً، وأثبت ذلك لها ثباتاً مؤكداً، وأنها المال حقيقة، وكأن ما سواها ليس بمال، ومثل هذا هو المعنى الحاصل من لفظ القسم الصريح فناسبه هذا مجيء لام القسم في قوله تعالى: ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ﴾، وكأنه نص قولك: والله للدار الآخرة خير، وتناسب ذلك مع ما تقدم قبله من تقدير القسم المؤكد كما بين، وليس في آية الأعراف ما يقتضي هذا لأنها مناقطة بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ثم قال: ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ﴾، وعلى هذا نظم الكلام، وليس فيه ما يقتضي قسماً، فلم تدخله تلك اللام. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِثَ مِنْ شَأْنِهِمْ﴾ [يوسف: ١١٠]. القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له "أتى"، يقول تعالى في آية يوسف: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، وفي آية الأنعام: ﴿أَتَتْهُمْ نَصْرُنَا﴾، ومن الواضح أن الحالة في آية يوسف أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب بهم الظن إلى أنهم كذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّي من شاء وعوقب المجرمون، في حين ذكر في آية الأنعام أنهم كذبوا، أي: كذبهم الكافرون، وأودوا فصرخوا، وفرق بعيد بين الحاليتين، فقد يكذب الرسل وأتباعهم ويؤذون، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمر كبير، ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحاً، فما ذكره من نجات المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام يدل على الفرق بينهما. [٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ﴾ قرئ: (ولدار - الآخرة) بلام واحدة كما في المصحف الشامي، وهي لام الابتداء وتخفيف الدال، و﴿الْآخِرَةُ﴾ بخفض التاء على الإضافة إما على حذف الموصوف، أي: الدار الحياة، أو الساعة الآخرة، كمسجد الجامع، أي: المكان الجامع، وإما للاكتفاء باختلاف لفظ الموصوف وصفته في جواز الإضافة. وقرئ: (وللدار - الآخرة) بلامين لام الابتداء ولام التعريف مع التشديد للإدغام، ورفع الأخيرة على أنها صفة للدار. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هنا و"الأعراف: ١٦٩، يوسف: ١٠٩، القصص: ٦٠، يس: ٦٨"، قرئ: (تعقلون) بناء الخطاب في الأربعة على الالتفات. وقرئ: (يعقلون) بالغيب في الأربعة لمناسبة ما قبله. [٣٣] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ قوله تعالى: ﴿لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ قرئ: (لا يكذبونك) بالتخفيف من أكذب، وقرئ: (لا يكذبونك) بالتشديد من كذب، قيل: هما بمعنى كنزل وأنزل، وقيل: بالتشديد لنسبة الكذب إليه، والتخفيف نسبة الكذب إلى ما جاء به. روي أن أبا جهل كان يقول: ما نكذبك وإنك عندنا لصادق، وإنما نكذب ما جئتنا به. [٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ إعجاز عدي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. =

التأففين ومؤانستهم، وإثبات البعث والقيامة، وولادة الخليل عليه السلام، وعرض الملكوت عليه، واستدلاله، حال خروجه من الغار، ووقوع نظره على الكواكب، والشمس، والقمر، ومناظرة قومه، وشكاية أهل الكتاب، وذكرهم حالة النزاع، وفي القيامة، وإظهار برهان التوحيد ببيان البدائع والصنائع، والأمر =

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ سَمْعَ كِتَابِ اللَّهِ فَاتَنَفَعَ بِهِ، وَعَقْلَهُ، وَأَخَذَهُ ﴿وَالْمَوْتَى﴾: يَعْنِي: الْكَفَّارَ، لِأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتَى؛ فَهَمَّ صَمٌّ بِكُمْ عَمِي، لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَبْصُرُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ. ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: يَحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: أَيِ إِلَى سَطْوَتِهِ وَعِقَابِهِ. وَهَذَا وَعْدٌ لِلْكَفَّارِ، وَفِي تَفْسِيرِ آيَةِ وَجْهِ أُخْرَى. ٣٨- ﴿أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾: أَصْنَافٌ وَخَلْقٌ ﴿مَافَرَطْنَا﴾: مَا تَرَكْنَا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: فِي الْلَوْحِ الْمَحْفُوظِ، ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: إِلَّا وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ، وَقِيلَ: إِنْ الْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنُ؛ أَيِ مَا تَرَكْنَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ إِمَّا تَفْصِيلاً أَوْ إِجْمَالاً، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. ﴿يُحْشَرُونَ﴾: قِيلَ: «الْحَشَرُ» هَاهُنَا: الْمَوْتُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَوْتُ الْبَهَائِمِ حَشَرُهَا. وَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ. ٣٩- ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا. ٤٢- ﴿يَبْلُغُ اللَّهُ﴾: شِدَّةُ الْفَقْرِ، وَالضِّيقُ فِي الْعَيْشِ ﴿وَالضَّرَاءُ﴾: الْأَسْقَامُ وَالْعِلَلُ ﴿يَضُرَّعُونَ﴾: يُخْلَصُونَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِنَابَةِ. ٤٣- ﴿فَلَوْلَا﴾: بِمَعْنَى: هَلَا ﴿تَضَرَّعُوا﴾: اسْتَكَانُوا وَخَضَعُوا لِرَبِّهِمْ فَيَصْرِفُ عَنْهُمْ بَأْسَهُ، وَهُوَ عَذَابُهُ. ٤٤- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: تَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا أُمِرُوا بِهِ ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: مِنْ الرِّخَاءِ وَالسَّعَةِ وَالصَّحَّةِ، مَكَانَ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ. ﴿بَغْتَةً﴾: فَجَاءَةً، أَعْجَبَ مَا كَانَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ! وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الْاسْتِدْرَاجِ، ﴿مُبْلِسُونَ﴾: الْمُبْلِسُ: الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِ شَرٌّ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ، وَأَصْلُ «الْبِلَاسِ» فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: انْقِطَاعُ الْحُجَّةِ، وَالسَّكُوتُ عِنْدَهَا. وَقِيلَ: الْحُزْنُ عَلَى الشَّيْءِ وَالنَّدَمُ. وَقِيلَ: الْمُبْلِسُ: الْمَخْذُولُ الْمَتْرُوكُ.

٣٧ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]. لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَ آيَةِ الْأَنْعَامِ ذِكْرُ دَلَائِلِ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، وَالتَّنْبِيهَ بِحَالِ مَنْ كَذَبَ وَعَانَدَ، إِلَى مَا تَبَعَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى النَّظَرِ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالِاعْتِبَارِ، وَكَانَ مِظَنَّةً لِتَغْيِظَ الْجَاهِدَ، فَطَلَبُوا آيَةً تَبْهَرُ... فَافْتَتَحُوا فِيمَا ذَكَرَهُ سَبْحَانَهُ عَنْهُمْ بِأَدَاةِ

لَوْلَا التَّحْضِيضِيَّةُ حَرْصًا عَلَى مَا طَلَبُوهُ، وَأَتَوْا بِالْفِعْلِ مُضَعَفًا لَمَّا أَرَادُوهُ مِنَ التَّأَكُّدِ، فَقَالُوا: "نَزَّلَ"، وَأَفْرَدُوا "آيَةً" لَمَّا قَصَدَهُ مِنْ أَنَّهُ ﷺ مَا جَاءَهُمْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي طَلَبُوهُ، وَهَذَا مُنَاسِبٌ، أَمَّا آيَةُ الْعَنْكَبُوتِ فَلَمْ يَتَقَدَّمْهَا مِنَ التَّهْدِيدِ وَشَدِيدِ الْوَعِيدِ مَا تَقَدَّمَ آيَةُ الْأَنْعَامِ، فَنَاسِبٌ ذَلِكَ وَرُودُ الْفِعْلِ غَيْرِ مُضَعَفٍ، أَمَّا جَمْعُ آيَاتٍ؛ فَلأنَّهُ تَقَدَّمَهَا: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْيُتُّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِآيَاتِنَا﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وَتَأَخَّرَ بَعْدَهَا: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]، فَلَمْ يَكُنْ لِنَاسِبٍ بَعْدَ اكْتِنَافِ هَذِهِ الْجُمُوعِ تَوْحِيدَ آيَةٍ. ٣٨ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] لَيْسَ فِي الْأَرْضِ حَيَوَانٌ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ طَائِرٌ يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا جَمَاعَاتٌ مُتَجَانِسَةٌ الْخَلْقِ مِثْلَكُمْ... فَهَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الْأَنْعَامِ، أَمَّا آيَةُ هُودٍ: لَقَدْ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِ جَمِيعِ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ... [٤٠، ٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤٧] لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُهُمَا، وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ لَيْسَ لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ نَظِيرٌ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ عَلَامَتِي خُطَابٍ، وَهُمَا التَّاءُ وَالْكَافُ، وَالتَّاءُ اسْمٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَالْكَافُ حَرْفٌ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ يَفِيدُ الْخُطَابَ فَحَسْبُ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى شَيْءٍ مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ، وَهُوَ ذِكْرُ الِاسْتِصْالِ بِالْهَلَاكِ، وَلَيْسَ فِيمَا سِوَاهُمَا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَافْتَتَى بِخُطَابٍ وَاحِدٍ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ. أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ: أَنَّ تَرَادُفَ الْخُطَابِيِّينَ "التَّاءُ، الْكَافُ" لَا يَكُونَانِ إِلَّا عِنْدَ الْمُبَالِغَةِ فِي التَّنْبِيهِ، وَالْمُبَالِغَةُ فِيهِ: أَنَّ يَعْلَمَ الْمُخَاطَبُ أَلَّا تَنْبِيهِ بَعْدَهُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ كَلَامٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ لَمْ يَنْفَعِ عِنْدَهُ زَجْرٌ وَتَنْبِيهِ. فَإِتْيَانُ الْعَذَابِ، أَوْ قِيَامُ السَّاعَةِ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ، وَإِتْيَانُ عَذَابِ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً فِي الْمَوْضِعِ الثَّانِي لَا يَنْفَعُ عِنْدَهُ تَنْبِيهِ وَلَا زَجْرٌ؛ وَلِذَلِكَ تَنَاهَتْ الْآيَةُ فِي التَّخْوِيفِ فَتَرَادَفَ الْخُطَابُ مَعًا. أَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي جَاءَ بِهَا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ فَلَمْ يَهْدِدِ اللَّهُ فِيهَا وَلَمْ يَصْرَحْ بِالِاسْتِصْالِ، حَتَّى يَنْذِرَ بِأَقْصَى أَدْوَاتِ الْإِنذَارِ. ٤٢ ﴿يَبْلُغُ اللَّهُ وَالضَّرَاءُ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿يَبْلُغُ اللَّهُ وَالضَّرَاءُ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. آيَةُ الْأَنْعَامِ تَتَحَدَّثُ عَنْ أُمَمٍ سَابِقَةٍ، وَهَذَا يَعْنِي تَطَاوُلَ الْإِرْسَالِ عَلَى مَجْرَى التَّارِيخِ، فَلَمَّا طَالَ الْحَدُوثُ وَاسْتَمَرَّ جَاءَ بِمَا هُوَ أَطْوَلُ بِنَاءً، فَقَالَ: ﴿يَضُرَّعُونَ﴾، أَمَّا آيَةُ الْأَعْرَافِ فَكَانَ الْإِرْسَالُ فِيهَا إِلَى قَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فَنَاسِبَ الْإِدْغَامُ الَّذِي يَعْدُ أَحَدُ وَجْهِهِ اخْتِصَارُ الْفَلْظِ.

٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ [الأنعام: ٤٤]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْءِ...﴾ [الأعراف: ١٦٥]. آيَةُ الْأَنْعَامِ تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمَّا تَرَكُوا الْعَمَلَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى مُعْرِضِينَ عَنْهَا، فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ، فَأَبْدَلْنَاهُمْ بِالْبِئْسَاءِ رِخَاءً فِي الْعَيْشِ، وَبِالضَّرَاءِ صَحَّةً فِي الْأَجْسَامِ؛ اسْتِدْرَاجًا مِنْهُمْ...، وَأَمَّا آيَةُ الْأَعْرَافِ: فَلَمَّا تَرَكْتَ الطَّائِفَةَ الَّتِي اعْتَدْتَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ مَا ذُكِّرْتَ بِهِ، وَاسْتَمَرْتَ عَلَى غِيَّهَا وَاعْتَدَائِهَا فِيهِ، وَلَمْ تَسْتَجِبْ لَمَّا وَعَظْتُهَا بِهَ الطَّائِفَةِ الْوَاعِظَةِ، أَنْجَى اللَّهُ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ... [٤٢-٤٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [٤٤] فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴿[الأنعام: ٤٢-٤٣]﴾. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ: "بِئْسَ وَبِئْسَاءُ؟" الْجَوَابُ: الْبِئْسُ: الشَّدَّةُ، وَالشَّدَّةُ فِي الْقِتَالِ، وَالْجِهَادِ، وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْعَذَابِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَهَذِهِ مَعَانِ كُلِّهَا صَحِيحَةٌ. الْبِئْسَاءُ: الْفَقْرُ، وَالْبُؤْسُ، وَالْجُوعُ، وَالشَّدَّةُ، وَهِيَ ضِدُّ النِّعَمِ. ٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَحْنَا﴾ هُنَا وَ"الْأَعْرَافِ: ٩٦، الْأَنْبِيَاءِ: ٩٦، الْقَمَرِ: ١١"، قَرَأَ: ﴿فَتَحْنَا﴾ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ فِي الْأَرْبَعَةِ لِلتَّكْثِيرِ. وَقَرَأَ: ﴿فَتَحْنَا﴾ بِتَخْفِيفِ التَّاءِ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ فَتَحِ الثَّلَاثِيِّ. = وَوَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْآخِرَةِ) أَيْضًا وَحْدَهَا فِي (٥٠) مَوْضِعًا فِي الْقُرْآنِ. وَوَرَدَتْ كَلِمَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُجْتَمِعَةً (٦٥) مَرَّةً. ٣٦ ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [إِعْجَازٌ عَدَدِي: تَكَرَّرَ كُلٌّ مِنْ لَفْظِ (الْحَيَاةِ) بِمَشْتَقَاتِهَا، وَلَفْظِ (الْمَوْتِ) بِمَشْتَقَاتِهِ (١٤٥) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. إِذَا يَتَسَاوَى عِدَدُ مَرَاتِ تَكَرُّارِ لَفْظَةِ (الْحَيَاةِ) بِمَشْتَقَاتِهَا مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ تَكَرُّارِ لَفْظَةِ (الْمَوْتِ) بِمَشْتَقَاتِهَا، وَكُلٌّ مِنْهُمَا وَرَدَ (١٤٥) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. ٣٦ ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [إِعْجَازٌ عَدَدِي: تَكَرَّرَ كُلٌّ مِنْ لَفْظَةِ الْبَعْثِ بِمَشْتَقَاتِهَا وَمُتَرَادِفَاتِهَا، وَلَفْظَةِ الصِّرَاطِ بِمَشْتَقَاتِهَا (٤٥) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. إِذَا يَتَسَاوَى عِدَدُ مَرَاتِ وَرُودِ لَفْظَةِ (الْبَعْثِ) بِمَشْتَقَاتِهَا وَمُتَرَادِفَاتِهَا مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ وَرُودِ لَفْظَةِ (الصِّرَاطِ) بِمَشْتَقَاتِهَا، وَكُلٌّ وَرَدَ (٤٥) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ =

= بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَشْرِكِينَ، وَالنَّهْيِ عَنِ سَبِّ الْأَصْنَامِ، وَعِبَادَتِهَا، وَمُبَالِغَةِ الْكُفَّارِ فِي الطُّغْيَانِ، وَالنَّهْيِ عَنْ أَكْلِ ذَبَائِحِ الْكُفَّارِ، وَمُنَازَرَةِ الْكُفَّارِ، وَمُحَاوَرَتِهِمْ فِي الْقِيَامَةِ، وَبَيَانِ شَرْعِ عَمْرُو بْنِ لُحْيٍ فِي الْأَنْعَامِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتَفْصِيلِ مَحْرَمَاتِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمُحْكَمَاتِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: =

٤٥- ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ﴾: استؤصلوا، و«دابر القوم»: الذي يسايرهم ويأتي في آخرهم. ٤٦- ﴿إِنْ أَخَذَ﴾: أذهب. ﴿وَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: طبع، حتى لا تفقهوا قولاً، ولا تفهموا مفهوماً. وتصريف الآيات: المجيء بالأدلة والبراهين على جهات مختلفة من إنذار وإعذار وترغيب وترهيب ونحو ذلك، ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون. ٤٧- ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة. ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: أي يأتي العذاب بعد ظهور مقدمات تدل عليه. و«الإجهار» إظهار الشيء للعين. وقيل: «البغته»: مخيئة العذاب ليلاً، والجهرة: إتيانه نهاراً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠]. ٤٩- ﴿يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ﴾: يباشرهم. ﴿يَقْسُقُونَ﴾: يكذبون. ٥٠- ﴿الْأَعْمَى﴾: الكافر الذي قد عمي عن أمر الله. ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: المؤمن. والاستفهام في الآية للإنكار؛ أي لا يستوي المؤمن والكافر، أو الضال والمهتدي والآية تبين أن الرسول بشر لا شيء عنده من خزائن الله تعالى، ولا من قدرته، ولا يعلم الغيب. ولكنه بشر رسول، أو يوحي إليه. ٥٢- ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ﴾: كان المشركون يقولون: لو طردت هؤلاء -يعنون: ضعفاء المسلمين مثل عمار وصهيب وخباب وبلال- لغشيناك وحضرنا مجلسك وقيل: إنما قال هذه المقالة أبو طالب، على جهة النصح للنبي ﷺ، قال له: لو أزلت هؤلاء لا تتبعك أشرف قومك! ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: وجه الله. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من حساب ما رزقناهم من شيء. ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: ولا عليهم من حساب ما رزقناك من الرزق من شيء. ورجح ابن عطية أن يكون الضمير يعني في (حسابهم) و(عليهم) للكفار الذين أرادوا طرد المؤمنين، أي: ما عليك منهم أمناً أو كفراً، فطرد هؤلاء رعيّاً لذلك. والضمير في (فطردهم) عائد على الضعفة من المؤمنين. [٤٥] معنى اسم الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٤٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُربِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٥٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ اللَّهَ﴾ الآية. روى ابن حبان، والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا، وعبد الله بن مسعود، وأربعة، قالوا لرسول الله ﷺ: اطردهم فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء. فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ اللَّهَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ وروى أحمد، والطبراني، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: مر الملاء من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الارت، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء، وهؤلاء ممن بيننا، لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُكُمْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا بِمُؤَيَّدٍ إِلَىٰ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُربِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٥٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ اللَّهَ﴾ الآية. روى ابن حبان، والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا، وعبد الله بن مسعود، وأربعة، قالوا لرسول الله ﷺ: اطردهم فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء. فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ اللَّهَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ وروى أحمد، والطبراني، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: مر الملاء من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الارت، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء، وهؤلاء ممن بيننا، لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤٦] ﴿أَنْظَرُكُمْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: ٤٦، ٤٥]. تكررت مرتين بالأنعام؛ لأن التقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون عنها فلا تعرض عنهم بل تكررها لهم لعلهم يفقهون. [٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ...﴾ [الأنعام: ٤٨]، ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ وآية الأنعام تبين أنه من آمن وصدق الرسل وعمل صالحاً فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم...، وأمّا آية الكهف فتوضح أنه مع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعتناً... [٥٠] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١]. الوارد في سورة هود إنما هو حكاية نوح عليه السلام لقومه متلفظاً، ومشفقاً من حالهم، ألا ترى استفتاح خطابه لهم بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبُوتَ مِنْ رَبِّي وَأَنْتُمْ رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِي﴾ [هود: ٢٨] وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَا سَأَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ﴾ [هود: ٢٩]، ﴿وَيَقُولُونَ مَن نُّصْرَتِي مِنَ اللَّهِ﴾ [هود: ٣٠]... فتأمل جليل ملاطفته عليه السلام، وما يفهم من كلامه من عظيم الإشفاق من حالهم، وإرادته ما به نجاتهم من العذاب، ومن أخذهم بمركباتهم، فهذا كله استلطاف في الدعاء لا يلائمه تكرار كلمة تفهم تعنيفاً أو توبيخاً، والتأكيد والتكرار يفهمان ذلك، ويردان حيث يقصد، وأمّا قوله تعالى في آية الأنعام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ فوارد طي كلام أمره ﷺ بتبليغه عتاة قريش والعرب توبيخاً لهم، وتقرعاً، فقيل: ﴿قُلْ﴾، والمراد قل يا محمد ﷺ: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾... فتكرر فيها قوله: ﴿لَكُمْ﴾ تأكيداً يفهم التعنيف، ويناسب التوبيخ والتقرع. [٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ﴾ قوله تعالى: ﴿بِالْغَدْوَةِ﴾ هنا والكهف: ٢٨، قرئ: (بالْغَدْوَةِ) بضم الغين وإسكان الدال وو او مفتوحة، والأشهر أنها معربة بالعلمية الجنسية كأسامة في الأشخاص فهي غير مصروفة، وقيل: (غدوة) علم وضع للتعريف فلا ندخل عليها (ال) كسائر الأعلام، وأمّا كتابتها بالواو فكالصلاة والزكاة. فجوابه: أن تنكير (غدوة) لغة ثابتة حكاها سيبويه والخليل، وتقول: أتيتك غدوة بالتثنية على أن صاحب هذه القراءة لا يعرف اللحن لأنه عربي خالص النسب. وقرئ: (بالْغَدَاة) بفتح الغين والدال وبالألف لأن غداة اسم لذلك الوقت، ثم دخلت عليها لام التعريف. [٥٤] ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ﴾ - ﴿فَأَنَّهُ﴾ = [٤٦] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة: أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذاً تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كل (١٤٨) في القرآن.

= ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات، وظهور أمارات القيامة، وعلاماتها في الزمن الأخير، وذكر جزاء الإحسان الواحد بعشرة، وشكر الرسول على تربيته من الشرك، والمشركين، ورجوعه إلى الحق في حياته ومماته، وذكر خلافة الخلائق، وتفاوت درجاتهم، وختم السورة بذكر سرعة عقوبة الله لمستحقّيها، ورحمته، ومغفرته لمستوجبّيها، بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. فضل سورة الأنعام: قال ﷺ: =

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَسِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْعِ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ أَوْمَأْتُ مِنَ الْفَهِشِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقُضُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

٥٣- ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلينا واختبرنا؛ جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، فقال: الأغنياء ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾: الذين ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾: يعنون: هداهم؛ يقولون ذلك، استهزاء بهم. ٥٤- ﴿قُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أمانة الله لكم ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾: ذنباً ﴿بِجَهْلَةٍ﴾: من عمل بمعصية الله فذلك منه جهل حتى يرجع. ٥٥- ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: بيان وبرهان ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: أمر أن يقول: ليس عندي ولا بيدي ما تستعجلون به من عذاب الله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: خير من ميز بين الحق والباطل وأعد لهم. قيل: بما يقضي به بين عباده، ويفصله لهم في كتابه. ٥٨- ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: أي ما تطلبون تعجيله بأن يكون إنزاله بكم مقدوراً لي وفي وسعي؟ ﴿لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: لعاجلتكم به. ٥٩- ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾: قال ابن عباس: هن خمس يجمعها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] وتنص الآية الكريمة على شمول العلم الإلهي جميع الموجودات، وعلى أنه تعالى المتفرد بعلم الغيب، وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية، من كاهن أو منجم أو رملي أو إمام! ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: في اللوح المحفوظ. [٥٤] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصَّفْح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفو ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها... [٥٤] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخص المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْعِ أَهْوَاءَكُمْ...﴾ [الأنعام: ٥٦]، ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ...﴾ [غافر: ٦٦]. الآيتان فيهما توجيه للنبي ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاه أن يعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وآية الأنعام تبين أنه لو اتبع أهواءهم ضل عن الصراط المستقيم... أما آية غافر فتوضح أنه قد جاءت الآيات الواضحات من عند ربه عز وجل...

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ﴾: أسلوب قصر، فمن أساليب القصر في اللغة تقديم ما حقه التأخير، وأصلها (مفاتيح الغيب عنده) فقدم سبحانه وتعالى الخبر على المبتدأ فأصبح المعنى أن مفاتيح الغيب ليست عند أحد غيره، لكن لو قال (ومفاتيح الغيب عنده) يحتمل المعنى أنها عنده وعند غيره. ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: النفي مع الاستثناء أيضاً من أساليب القصر... مفاتيح الغيب أمر لا يعلمه إلا الله، لا يعطى لأحد، أما الغيب الباقي فيمكن أن يطلع عليه جل وعلا بعض عباده إن شاء.

[٥٩] ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الصافات: ١١٧]. ما الفرق بين: "مبين، مستبين؟" الجواب: وردت كلمة (مبين) تسع عشرة مرة ومائة في القرآن الكريم. جاء منها وصف للكتاب في تسع مرات. بينما وردت كلمة (مستبين) مرة واحدة. الكتاب (المبين): هو: كتاب يحفظ كل شيء، ولذلك فهو مبين (في أحد معانيه). وهو (القرآن) (في المعنى الآخر له). أما الكتاب (المستبين): فهو التوراة. وبيان الشيء: ظهر دفعة واحدة. واستبان الشيء: ظهر شيئاً فشيئاً. قال الفخر الرازي: إنما وصف القرآن بأنه مبين لوجوه: ١- أن القرآن معجزة ظاهرة وآية بيّنة لمحمد ﷺ. ٢- أنه بُيِّن فيه الهدى والرشد والحلال والحرام، ولما بُيِّن فيه هذه الأشياء كان الكتاب مبيناً لها. ٣- أنه بُيِّن فيه قصص الأولين وُشِّرت فيه أحوال المتقدمين. أما التوراة: فكل إصحاح منها يعالج جانباً من قضية واحدة. وعلى هذا فهو يظهر بالتدرج والتتابع.

= قرئ: (أَنَّ - إِنَّ) بفتح الهمزة في الأولى وكسرها في الثانية على أنه بدل من الرحمة، والثانية استئناف لمجيئها بعد الفاء. وقرئ: (أَنَّ) بفتح الهمزة فيهما، على أنه بدل من الرحمة، وهو فاعل فيها، والتقدير: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل منكم سوء. وأما الثانية فعلى أن محلها رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي: فغفرانه ورحمته حاصلان. وقرئ: (إِنَّ) بكسر الهمزة فيهما، وكسر الأولى: على أنها مستأنفة وأن الكلام قبلها تام، وكذا كسر الثانية بمعنى: أنها صدر جملة وقعت خبراً لـ "من" الموصولة أو جواباً لها إن جعلت شرطاً. [٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَسِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَسِينَ سَبِيلَ﴾ قرئ: (ولتستبين سبيل) ببناء الخطاب، و﴿سَبِيلَ﴾ بالنصب ووجهه: أنه استبنت الشيء المعدي، أي: ولتستوضح يا محمد سبيل المجرمين. وقرئ: (ولتستبين سبيل) بالتأنيث والرفع، على أن الفعل لازم من استبان الصبح ظهر، وأسند إلى السبيل على لغة تأنيثه على حد قول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾. وقرئ: (ولتستبين سبيل) ببناء التذكير والرفع وهو مثل التوجيه الثاني، ولكن على لغة تذكيره على حد قوله: ﴿وَلِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ﴾. [٥٧] ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقُضُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُضُّ الْحَقُّ﴾ قرئ: (يقض الحق) بصاد مشددة مرفوعة من قص الحديث أو الأثر تتبعه. وقرئ: (يقض الحق) بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء ولم ترسم، إلا بضاد، كأن الياء حذفت خطأ تبعاً لالتقاء الساكنين كما في قوله: ﴿تَعْنِ الثُّدُرُ﴾ وكحذف الواو في قوله: ﴿سَنَعُ الزَّيَّاتِ﴾ و﴿وَمَنْحَ اللَّهِ﴾، ونصب ﴿الْحَقُّ﴾ بعده صفة لمصدر محذوف، أي: "القضاء الحق" أو ضمن معنى: يفعل، فعدها للمفعول به، أو قضى بمعنى: صنع، فيتعدى بنفسه بلا تضمين أو على إسقاط الباء، أي: يقضي بالحق على حد "يمرون الديار" وقيل: بالضاد من القضاء، وبالصاد من القص، والله أعلم.

= "نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك، لهم رَجُلٌ بالتسبيح، والتحميد" أخرجه الطبراني، وفي إسناده ضعف. وقال ﷺ أيضاً: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رواه أحمد وصححه الألباني. السبع الأول هي سور: "البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال - التوبة".

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ عِبَادًا وَهَؤُلَاءِ غَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلُوبَ هَؤُلَاءِ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا نَالِ السَّلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَنَّا الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦٩- ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ﴾: ليس على الذين يتقون الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من حساب المستهزين، وإثمهم من شيء ﴿وَلَكِنْ ذَكَرُوا﴾: إذا ذكرت فقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾: الخوض فيها، ويتركون ذلك، لقيامكم عنهم. ٧٠- ﴿وَذَكَرَ بِهِمْ﴾: بالقرآن ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تسلم وتؤخذ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من ذنوبها وكفرها ﴿لَيْسَ لَهَا﴾: يعني: النفس ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾: يبصرها ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفع لها عنده ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ﴾: النفس ﴿كُلُّ عَدْلٍ﴾: تقتدي بكل فداء. ﴿أُبْسِلُوا﴾: أسلموا لعذاب الله ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: حار، أي شراب حار يشربونه فيقطع أمعاءهم. ٧١- ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: حجراً، أو خشباً يابساً ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾: نرجع القهقري إلى ما كنا عليه من الضلال. ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾: «استفعلت»؛ من قولك، هوى فلان يهوى إلى كذا من قول الله عز وجل: ﴿فَأَجْعَلْ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] بمعنى: تنزع إليهم، وتسرع ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾: لا يهتدي ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾: يشيرون على الطريق، وعنى به الإسلام، و«الأصحاب»: المؤمنون ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾: هو الإسلام -هاهنا- ﴿أَتَيْنَا﴾: يقولون له: هلم إلينا. وهذا مثل ضربه الله للكافر، يقول: الكافر حيران، يدعوهم المسلم إلى الهدى فلا يجيبه، ويتبع الشيطان الذي يغويه. ٧٢- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: معناه: يوم يقول لكل ما فني من خلقه: «كن فيكون»، فيعيده وينشئه. [٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

الآيات تبين أن الجميع مردهم إلى الله الحكم العدل، وآية الأنعام توضح أن الله القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسبين، وأمّا آية يونس فتبين أن هؤلاء المشركين ذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. [٦٣] ﴿لَنْ أَجِدَ مِنْ هَذِهِ لَنُكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، ﴿لَنْ أَجِدَ مِنْ هَذِهِ لَنُكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]. الآيات تبين أن المشركين عندما يوقنون

بالهلاك في الشدائد، يخلصون الدعاء لله وحده، ويتركون ما كانوا يعبدون من دونه يقولون: لئن أنجانا ربنا من هذه المخاوف لنكونن من الشاكرين بعبادته عز وجل وحده لا شريك له. [٦٥] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: ٤٦، ٦٥]. تكررت مرتين؛ لأن التقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون عنها فلا تعرض عنهم، بل تكررها لهم لعلهم يفقهون. [٧١] ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]، ﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١]. قدم النفع على الضر بالأنعام، وفي مواضع آخر قدم الضر على النفع مثل موضع المائدة. لماذا؟ **الجواب**: أن دفع الضر أهم من جلب النفع، فلما تقدم ذكر نفي الملك والقدرة عنهم؛ كان تقديم ذكر دفع الضر وانتفاء القدرة عليه أهم، ولما كان السياق غير ذلك في العبادة والدعاء -والمقصود بهما غالباً طلب النفع وجلبه- كان تقديم النفع أهم؛ ولذلك قال في الحج: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَوْ قُرَّبَ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣]، أي المقصود بالدعاء. [٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَنَكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا بِأَسْوَاقٍ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]. استئناف ابتدائي عقب به ذكر النعمة التي في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ﴾ بذكر القدرة على الانتقام. [٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]. مجالسة الفساق تبعث على مساوقة طباعهم وأخلاقهم الرديئة، وهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين، وذلك أنه قل أن يجالس الإنسان فاسقاً مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه إلا لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقاً في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هيناً على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه. فإذا رزقت بقظة فصنها في بيت عزلة فإن أيدي المعاشرة نهابة، احذر معاشرة البطالين فإن الطبع لص، لا تصادق فاسقاً ولا تثق به، فإن من خان أول منعم عليه لا يفي لك. [٦٨] ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ما الفرق بين: (ذكرى، ذكر، تذكرة) **الجواب**: وردت كلمة (ذكرى) إحدى وعشرين مرة. وكلمة (ذكر) ثلاثاً وستين مرة. وكلمة (تذكرة) تسع مرات. كلمة (ذكرى) لها معنيان: أ - التذكر: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ب - القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكلمة (ذكر) لها أربع معان: أ - ذكر اسم يوسف أمام عزيز مصر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]. ب - الشهرة والصيت والمكانة كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. ج - كتاب منزل قبل الزبور كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى الذكر في هذه الآية: أكتب منزل هو أم الإنجيل أم التوراة، أم العلم. د - القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وكلمة (تذكرة) لها معنيان: أ - التذكير: كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ب - القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]. والفرق بين (تذكرة) و(ذكرى): أن الأولى مصدر، والثانية اسم مصدر، ولا يسد اسم المصدر في الاستعمال الدقيق مكان المصدر. كما أن كلا منهما جاءت متسقة مع السياق الواردة فيه، ومنسجمة موسيقياً. كلمة (تذكرة) جاءت من فعل متعدٍ لمفعولين: ذكرٌ يُذكرُ تذكرةً. أما كلمة (ذكر) فقد جاءت من فعل متعدٍ لمفعول واحد.

[٧١] ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ [الأنعام: ٧١] وردت كلمة (النفع) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن الكريم، كما وردت كلمة (الفساد) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن الكريم. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد) بمشتقاته وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله عز وجل.

٧٤- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ﴾: هو اسم أبيه. فإن قيل: إن اسم أبيه «تارح»، فغير بعيد أن يكون له اسمان كما لكثير من الناس، مثل يعقوب وإسرائيل، أو شيء كان يعرف به. ٧٥- ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: قيل: آيات السماوات والأرض، وما فيها من الخلائق. وقيل: تفرّجت له السماوات السبع والأرضون السبع حتى نظر فيهن إلى ملك الله وقدرته. ﴿وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾: ليعلم حقيقة ما هداه الله إليه. ٧٦- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: واره وغيبه. ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾: نجماً. ﴿أَقْلَ﴾: غاب. ٧٧- ﴿بَارِعًا﴾: طالعاً. وقيل: كان هذا القول من إبراهيم ﷺ في حال طفولته، وقيل: معنى ﴿هَذَا رَيْيَ﴾: أهذا ربي؟! بمعنى الإنكار. ٧٩- ﴿حَنِيفًا﴾: خلصاً، مائلاً إلى الدين الحق. ٨٠- ﴿وَحَاجَّةً قَوْمَهُ﴾: أي: جادلوه في التوحيد وأرادوا إقناعه بصحة آلهتهم: وخوفه من ضررها وغضبها، ﴿قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ﴾: أي في كونه هو الإله الحق، ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾: أي: إني لا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله الذي هو حجر لا يضر ولا ينفع، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: من الضروري، فالأمر إليه ومنه لا من معبوداتكم. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: علم كل شيء وأحاط به. ٨١- ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: به من الأوثان، وهي لا تمنع، ولا تضر، ولا تنفع. ﴿سُلْطَنًا﴾: حجة.

[٨٣] ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. نرفع من نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة. إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم، فهذا ما دلت عليه الآية الأنعام، أمّا آية يوسف: نرفع منازل من نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علم من هو أعلم منه. [٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، الآيات الثلاث تتحدث عن منة الله على إبراهيم عليه السلام بأن رزقه الله إسحاق

١٣٧
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهًا﴾ [٧٤]، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [٧٥]، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [٧٦]، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [٧٧]، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [٧٨]، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٧٩]، ﴿وَحَاجَّةً قَوْمَهُ﴾ [٨٠]، ﴿أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ﴾ [٨١]، ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [٨٢]، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [٨٣]، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤]

ابنًا ويعقوب حفيداً، وآية الأنعام تبين أن الله قد وفق كلا منهما لسبيل الرشاد... أمّا آية الأنبياء فتوضح أن كلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحاً مطيعاً له، وأمّا آية العنكبوت فتبين أن الله جعل في ذرية إبراهيم الأنبياء والكتب... [٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهًا﴾ [الأنعام: ٧٤]، لما كانت السورة تتكلم عن عقيدة التوحيد التي بعث الله بها الرسل، ومن أجلها أنزل الكتب ذكر الله جل وعلا في هذه السورة إمام الموحدين خليل الله إبراهيم عليه السلام فهو أبو الأنبياء وشيخ الحنفاء ونسب الله جل وعلا الملة إليه في كتابه ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٧٦] ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْنَا أَلْعَمَى عَلَى الْهَدْيِ﴾ [فصلت: ١٧]. ما الفرق بين: (أحب، استحب)؟ **الجواب:** وردت صيغة (أحب) (بجميع مشتقاتها مع المفرد والجمع ستين مرة. و(أحب) ومشتقاتها مع المفرد والجمع.. جاءت على الأصل ولا تحتاج إلى تحليل ولا دليل. أما (استحب) فلها ثلاثة معان: ١- طلب المحبة (ذكره الرازي) أي بمعنى (استحبوا الكفر). ٢- التمكن: أي تمكن الكفر من نفوسهم. ٣- أن الألف والسين والتاء. في الكلمة، جاءت لتعديتها بـ(على)، لأن استحب تضمنت معنى - أثر - كأن مضمون التعبير: إن استحبوا الكفر مؤثرين له على الإيمان. إذا فرق كبير بين (أحب) و(استحب). فلكل منهما معنى.. ولكل منهما فائدة، ولا يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى. [٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. فهو عليه السلام إمام الحنفاء وشيخ الأنبياء وإليه تنسب الملة، وكان شيخ الحنفاء لأربعة أمور: جعل ماله للضيافان، وجعل بُدْنَهُ للنيران، وجعل ولده للقربان، وجعل قلبه للرحمن... [٨٠] ﴿أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٠]. ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]. ما الفرق بين "الرُّشْدُ والهُدَى"؟ **الجواب:** يستعمل القرآن (هُدًى) في الخير والشر معاً، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعم، وورودها في الشر لم يتعد موضوعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ [الحج: ٣ - ٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رُشْد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشْد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحد هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رُشْدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حق كان أو إلى باطل، إلى صواب كان أو إلى خطأ، إلى خير كان أو إلى شر. (الرُّشْد) في القرآن أخص من (الهدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رُشْدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلة للرشد. الرُّشْد هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعالية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ﴾ [٧٤]، قوله تعالى: ﴿أَرَزَّرَ﴾ قرئ: (أَزَّر) بضم الراء على أنه نادى. وقرئ: (أَزَر) بفتح الراء نيابة عن الكسرة للعلمية أو الوصفية والعجمة وهو بدل من أبيه، أو عطف بيان له إن كان لقباً، ونعت لأبيه أو حال إن كان وصفاً بمعنى: المعوج، أو المخطئ، أو الشيخ الهرم، وقيل: اسم صنم، فنصبه بفعل تقديره: "أتعبد". [٨٠] ﴿وَحَاجَّةً قَوْمَهُ﴾ [٨٠]، ﴿قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ﴾ [٨١]، قوله تعالى: ﴿أَتُحِبُّونَنِي﴾ قرئ: (أتحاجوني) بنون خفيفة. وقرئ: (أتحاجوني) بنون ثقيلة على الأصل لأن الأولى: نون الرفع، والثانية: نون الوقاية، وفيها لغات ثلاث: الفك مع تركهما، والإدغام، والحذف لإحداهما، والمحذوفة هي الأولى عند سيبويه ومن تبعه، والثانية عند الأخفش ومن تبعه.

[٧٤] ﴿أَصْنَامًا إِلَهًا﴾ **إعجاز عددي:** ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات في القرآن. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ
وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٦﴾ وَبَلَكَ حُجَّتْنَا أَيْتِنَاهَا أَنِزْهِيمَ عَلَى
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَأْنِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٨٩﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا أَفَضَّلْنَا عَلَى
آلِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمِنَ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩١﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي
بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَآكِنُهُمْ
يَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ
﴿٩٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَقْتَدَهُ قُلُوبُهُمْ
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٤﴾

[٨٣] ﴿رَفَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ قوله تعالى: ﴿دَرَجَتٍ﴾ هنا ويوسف: ٧٦، قرئ: (درجات) بالتثنية فيهما فيحتمل النصب على الظرف و(من) مفعول، أي: (نرفع من نشاء مراتب ومنازل) أو على أنه مفعول ثان قدم على الأول، بتضمين نرفع معنى فعل يتعدى لاثنتين وهو نعطي مثلاً، أي: نعطي بالرفع من نشاء درجات، أي: رتباً، فالدرجات هي المرفوعة، وإذا رُفِعَتْ رُفِعَ صاحبها، أو على الحال، أي: ذوي درجات، وقرئ: (درجات) بغير تنوين فيهما على الإضافة فدرجات مفعول (نرفع). [٨٦] ﴿وَأَسْمِعِمْ وَأَلْسِعْ﴾ واختلف في ﴿وَأَلْسِعْ﴾ هنا ووص: ٤٨، قرئ: (وَالْيَسِعُ) بتشديد اللام المفتوحة وإسكان الياء في الموضعين على أن أصله لَيْسَعَ كضيعم، وقدر تنكيره فدخلت (أل) للتعريف ثم أدغمت اللام في اللام. وقرئ: (وَالْيَسِعُ) بتخفيف اللام وفتح الياء فيهما على أنه منقول من مضارع والأصل يوسع كيوسع، وقعت الواو بين ياء مفتوحة وكسرة تقديرية؛ لأن الفتح إنما جيء به لأجل حرف الحلق، فحذفت كحذفها في دع ويضع ويهب، وبابه.

[٧٥] ﴿مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: ١ - وردت كلمة (محمد) ﴿﴾ (٤) مرات في القرآن، ٢ - وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن، ٣ - وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن، ٤ - وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات في القرآن، ٥ - وردت (الشريعة) بمشتقاتها (٤) مرات في القرآن. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.



﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾: يفلق الحب والنوى عن النبات، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النامي من النبات والشجر من الحبة الميتة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: إشارة إلى إخراج الحب اليابس من النبات والشجر. وقيل: خرج النطفة الميتة من الحي، وقال الحسن البصري: المعنى: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته. ٩٦- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: شاق عمود الصبح عن سواد الليل وظلمته، والإصباح: إضاءة الفجر ﴿سَكَنًا﴾: يسكن فيه كل متحرك بالنهار، ويهدأ فيستقر في مكانه ومأواه ﴿حُسْبَانًا﴾: أي: يجريان بحساب في أفلاكهما، فإذا كملت أيامهما فذلك آخر الدهر، وأول الفزع الأكبر. و«الحسبان»: جمع حساب، وقيل: المعنى: جعلهما عل حساب تتعلق به مصالح العباد. ٩٧- ﴿فِي ظِلْمَتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾: إذا ضلوا الطريق فتحيروا ولم يهتدوا. ٩٨- ﴿مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾: يعني آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: المستقر: ما استقر في الأرحام، والمستودع: حيث يموت. وقيل: المستودع: ما كان في أصلاب الرجال. ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: يفهمون. ٩٩- ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: يعني: من الماء ﴿خَضْرَاءَ﴾: هو الأخضر الرطب من الزرع ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: هو ما في السنبل من الحب ﴿فَتَوَّانٌ﴾: جمع قنو، وهي: العذوق، والمعنى: أن القنوان أصله من الطلع. والعذوق هو عنقود النخل، ﴿دَانِيَةً﴾: متهدلة قصار قريبة من الأرض. أي أنها سهلة المجتبي. ﴿مُتَشَبِّهَةٌ﴾: ما يشابه ورقه، ويختلف ثمره وطعمه ﴿وَبَيَّعَ﴾: نضجه وانتهائه. ١٠٠- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾: بمعنى: والله خلقهم ﴿وَحَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: تخرصوا وكذبوا، من قول العرب في الملائكة: بنات الله، وقول اليهود في عذير، والنصارى في المسيح ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾: تنزه وعلا ﴿عَمَّا يَصِفُون﴾: ١٠١- ﴿بَدِيعٌ﴾: مبدع، وخالق على غير مثال سبق، ﴿أَنَّى﴾: بمعنى: من أي وجه. ولم تكن له، صَحْبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

١٤٠

٩٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾: يفلق الحب والنوى عن النبات، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النامي من النبات والشجر من الحبة الميتة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: إشارة إلى إخراج الحب اليابس من النبات والشجر. وقيل: خرج النطفة الميتة من الحي، وقال الحسن البصري: المعنى: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته. ٩٦- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: شاق عمود الصبح عن سواد الليل وظلمته، والإصباح: إضاءة الفجر ﴿سَكَنًا﴾: يسكن فيه كل متحرك بالنهار، ويهدأ فيستقر في مكانه ومأواه ﴿حُسْبَانًا﴾: أي: يجريان بحساب في أفلاكهما، فإذا كملت أيامهما فذلك آخر الدهر، وأول الفزع الأكبر. و«الحسبان»: جمع حساب، وقيل: المعنى: جعلهما عل حساب تتعلق به مصالح العباد. ٩٧- ﴿فِي ظِلْمَتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾: إذا ضلوا الطريق فتحيروا ولم يهتدوا. ٩٨- ﴿مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾: يعني آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: المستقر: ما استقر في الأرحام، والمستودع: حيث يموت. وقيل: المستودع: ما كان في أصلاب الرجال. ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: يفهمون. ٩٩- ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: يعني: من الماء ﴿خَضْرَاءَ﴾: هو الأخضر الرطب من الزرع ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: هو ما في السنبل من الحب ﴿فَتَوَّانٌ﴾: جمع قنو، وهي: العذوق، والمعنى: أن القنوان أصله من الطلع. والعذوق هو عنقود النخل، ﴿دَانِيَةً﴾: متهدلة قصار قريبة من الأرض. أي أنها سهلة المجتبي. ﴿مُتَشَبِّهَةٌ﴾: ما يشابه ورقه، ويختلف ثمره وطعمه ﴿وَبَيَّعَ﴾: نضجه وانتهائه. ١٠٠- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾: بمعنى: والله خلقهم ﴿وَحَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: تخرصوا وكذبوا، من قول العرب في الملائكة: بنات الله، وقول اليهود في عذير، والنصارى في المسيح ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾: تنزه وعلا ﴿عَمَّا يَصِفُون﴾: ١٠١- ﴿بَدِيعٌ﴾: مبدع، وخالق على غير مثال سبق، ﴿أَنَّى﴾: بمعنى: من أي وجه.

[٩٥] ﴿وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧، يونس: ٣١، الروم: ١٩]. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مناسب في المعنى لفلق الحب والنوى عن الخارج عنهما؛ فجاء بالياء كالشرح له، ثم عطف ﴿وَيُخْرِجُ﴾ على ﴿فَالِقُ﴾، لأن عطف الاسم على الاسم أنسب وأفصح، ولما فيه من المقابلة للجملة المتقدمة، وسائر المواضع بالياء؛ لأن الجملة قبلها فعلية فعطف عليها بفعلية. [٩٧-٩٩] ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. من أحاط علماً بما في الآية الأولى صار عالماً لأنه أشرف العلوم فحتم الآية بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والآية الثانية مشتملة على ما يستدعي تأملاً وتدبراً، والفقه علم يحصل بالتدبر والتأمل والتفكير، ولهذا لا يوصف به الله سبحانه وتعالى، فحتم الآية بقوله: ﴿يَفْقَهُوهُ﴾، ومن أقر بما في الآية الثالثة صار مؤمناً حقاً فحتم الآية بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. [٩٨] ﴿أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ [النساء: ١، الأعراف: ١٨٩، الزمر: ٦]. ﴿أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ بالأنعام لموافقة ما قبلها وهو: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، وما بعدها: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]. [٩٩] ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِّهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِّهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤١]. الاشتباه هو شدة التشابه إلى حد يؤدي للالتباس، أما التشابه فلا يصل إلى حد اللبس، فلا اشتباه أدق وأقوى وأكثر دلالة على القدرة، والآية الأولى فيها بيان القدرة وتعداد الأعمال في موضع تدبر ودعوة للنظر: ﴿أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾، فكان من المناسب أن يأتي بما هو أدل على القدرة، أمّا الآية الثانية فهي في سياق ذكر الأطعمة وتعدادها وليس التدبر والنظر، وفي نهايتها قال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، وليس مقام توجيه النظر إلى دلائل القدرة مباشرة، وقد نفى التشابه في الحاليتين ﴿وَعَمَّا يُتَشَبَّهُ﴾، ولكنه لم ينفِ الاشتباه، لأن نفى التشابه ينفي الاشتباه، ونفى الاشتباه لا ينفي التشابه، فلو نفى الاشتباه لبقى التشابه. [٩٩] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ [الأنعام: ٩٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾. [١٠٠] ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾. آية الأنعام تتحدث عن المشركين الذين كذبوا على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات، جهلاً منهم بما يجب له من صفات الكمال. [١٠١] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآيتان تبيينان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وموجدهما على غير مثال سبق، وآية البقرة توضح أنه سبحانه إذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: "كن" فيكون، وأمّا آية الأنعام فتبين أن الله منزّه عن الولد والصاحبة... [٩٦] ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ (وجعل الليل) بفتح العين واللام من غير ألف فعلاً ماضياً، و﴿الَّيْلَ﴾ بالنصب مفعول به مناسبة لما بعده من ﴿جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ﴾... الخ. وقرئ: ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ بألف بعد اللام وكسر العين وضم اللام، وكسر اللام الثانية عطفاً، على "فالق الإصباح". [٩٨] ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (فمستقر) بكسر القاف اسم فاعل مبتدأ والخبر ومحدوف، أي: فمنكم شخص قارٌّ في الأصلاب، أو البطون، أو القبور. وقرئ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتحها اسم مكان أو مصدر، أي: فلکم مكان تستقرون فيه أو استقرار، وهو مرفوع أيضاً بالابتداء. [٩٩] ﴿أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ (ثمرة) بضم الثاء والميم جمع ثمرة كخشبة وخشب. وقرئ: ﴿ثَمَرِهِ﴾ بفتح الثاء والميم فيهن اسم جنس، كشجر وشجرة، وبقر وبقرة. [١٠٠] ﴿وَحَرَقُوا لَهُ بَنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَحَرَقُوا لَهُ بَنِينَ﴾ (وخرقوا) بتشديد الراء للتكثير. وقرئ: ﴿وَحَرَقُوا﴾ بالتخفيف بمعنى الاختلاق، يقال: زعم الإفك وخرقه واختلقه وافتراه وافتعله بمعنى كذب، لأن المشركين ادعوا أن لله بنات، والنصارى: أن المسيح ابن لله، واليهود: ادعت العزيز ابن الله، فكثر ذلك من كفرهم، فتشديد الفعل لمطابقة المعنى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

= ثم اكتشف علماء النباتات التمثيل الضوئي أو التمثيل الكلوروفيلي، حيث وجدوا أن في النبات مصانع خضراء صغيرة "بلاستيدات خضراء"، هي التي تعطي النبات لونه الأخضر، ومنها تخرج المواد الغذائية التي تتكون منها الحبوب والثمار وسائر أجزائه، وبعد سقيه بالماء يخرج النبات من البذور في الأرض، وهذه المصانع الخضراء هي أول ما يخرج من الحبة عند بدء نموها، كما قالت الآية الكريمة في سورة الأنعام، فالآية أشارت لحقيقة المادة الخضراء، وأنه سبحانه وتعالى - يخرج منها الحبوب والثمار متراكبة، فالحديث هنا عن الصبغة الخضراء المعروفة بالكلوروفيل، لا عن النبات.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
فَدَجَّكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا أَدْرَسْتَ وَلِيُقْنِئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْأَلِ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوكَ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنَقَلِبْ أَقْدَارَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ ۚ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرْتَهُمْ فِي طَعْنِهِمْ يَعْهَمُونَ ﴿١١٠﴾

151

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات اعجاز متنوع التعريف بالسور

وَلَوْ أَنَّا زُلْزَلْنَا لِإِيْمَانِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمُهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِرِضْوَانِهِ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذَبِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

١١١- ﴿قُبُلًا﴾: جمع قبيل، أي: وجعنا عليهم كل شيء، ضُمناء وكُفلاء بالذي نعدهم به، ونوعدهم، أو بصدق محمد ﷺ - ما آمنوا. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: وقيل: «قبلاً»: معانية. والمعنى: أن الله تعالى لو جاءهم بجميع ما اقترحوه من إنزال الملائكة، وإحياء سلفهم... فيخبر بصدق محمد، أو يجمع عليهم كل شيء يعقل أن يحشر عليهم، ما آمنوا إلا بالمشيئة واللفظ الذي يخلقه في نفس من شاء من لا ربَّ غيره. وقيل: نزلت هذه الآية في المستهزين. ١١٢- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾: بمعنى: من شياطين الإنس والجن، وهم مردتهم ﴿يُوحِي﴾: يلقي ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: المزين بالباطل ﴿غُرُورًا﴾: خداعاً وصدأً عن الصواب إلى الخطأ ﴿فَذَرْهُمْ﴾: يعني: الشياطين من مشركي قومه، الذين كانوا يجادلونه فيما يوحى إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن. ١١٣- ﴿وَلِنَصْغِي﴾: تميل ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾: وليكتسبوا ما هم مكتسبون. يقال: خرج الرجل يقترب أهله، أي يكسبهم، ويقال: قارب فلان الأمر؛ إذا عمله وواقعه. ١١٤- ﴿مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: الشاكين. ١١٥- ﴿وَتَمَّتْ﴾: أي استمرت وصحت في الأزل. وليس بتمام من نقص. ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قرأ الكوفيون: ﴿كَلِمَتُ﴾ بالإفراد. وقرأ الباقون بالجمع. والمراد: نفاذ كلمات الله ﴿صِدْقًا﴾: فيما تضمنته من خبر، ﴿وَعَدْلًا﴾: فيما تضمنته من حكم. ١١٦- ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: أي أنهم في أمرهم على ظن وحسبان لا على صحة عزم عليه، وإن كان خطأ في الحقيقة ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يظنون. ١١٨- ﴿مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: ما ذُكِّرْتُمْ من ذبائحكم، أو ما ذبحه من ذان بتوحيد الله من أهل الكتاب؛ دون ما يذبحه أهل الأوثان، والقصد من الآية: النهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة وأنواعها. ١١٩ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله قريشاً، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصاً يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم الناقة فاتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: «أي شيء تحبون أن آتيكم به؟» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال: «فإن فعلت تصدقوني؟» قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبهم، وإن شئت فاطرهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿يَجْهَلُونَ﴾. ١١٨ قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا﴾ الآية. روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله، أناكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ وأخرج أبو داود، والحاكم، وغيرهما عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ﴾ قال: قالوا: ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون؟ فأنزل الله الآية. وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ﴾ قال: الشياطين فارس، وأولياؤهم قريش. ١١٢ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. الآيات تبين أن للأنبياء أعداء، وآية الأنعام تبين نوع هؤلاء الأعداء بأنهم من الجن والأنس... أمّا آية الفرقان فنصف هؤلاء الأعداء بالمجرمين... وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ. ١١٢ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. لماذا جاء بالآية الأولى ذكر "الرب" والآية الثانية "الله"؟ **الجواب:** لأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقع عقب آيات فيها ذكر الرب مرات ومنها: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، فختتم بذكر الرب ليوافق آخرها أولها، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقع بعد قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] فختتم بما بدأ فيه. ١١٧ ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١١٧]، ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النحل: ١٢٥]، النجم: ٣٠، القلم: ٧. الأصل إثبات الباء كما جاء في غير سورة الأنعام، لأن "أفعل" فيه معنى الفعل، وهو لا يعمل في المفعول به، فيزيد بعده حرف الجر "الباء" تقوية للعمل، والحذف في آية الأنعام إنما هو لموافقتها مع آية أخرى في السورة نفسها، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقد عدل إلى لفظ المستقبل، لأن أكثر ما يستعمل "أفعل" مع الماضي، والباء إذا حذفت قبل "من" التيسر اللفظ بالإضافة، لأن أكثر الإضافة تكون مع الماضي، فلو قلنا: الله أعلم بمن ضل، بالماضي، سيكون هناك التباس في المعنى، أي: أن هناك عالماً بمن ضل، والله تعالى أعلم منه، تعالى الله وتنزه عن ذلك، ومن هنا لما حذفت الباء جيء بالمستقبل تحاشياً من توهم الإضافة. = أي: لعلمهم يؤمنون إذا جاءتهم، فيكون تأخير الآية عنهم عذراً لهم في ترك الإيمان، وهذا لا يجوز؛ لأن (الله قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) وذلك بمشيئته وإرادته، فإن جعلت (لا) زائدة حسن عمل (يشعركم) في (إن) لأن التقدير على ذلك يكون: (وما يشعركم إنها إذا جاءت يؤمنون) أي: لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية التي اقترحوها، وهذا كله إنما يصح على قراءة من قرأ "يؤمنون" بالياء، فأما من قرأ (تؤمنون) بالتاء فالخطاب في يشعركم للكفار المقترحين الآية، وهي في مصحف أبي كذلك، أو على تقدير لام العلة، والتقدير: إنما الآيات التي يقترحونها عند الله لأنها إذا جاءت لا يؤمنون، و(ما يشعركم) اعتراض بين العلة والمعلول. قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قرئ: (لا تؤمنون) بالخطاب مناسبة ليشعركم على أنها للمشركين، وقرئ: (لا يؤمنون) بالغيب على توجيه الكاف للمؤمنين والياء للمشركين. ١١١ ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا﴾ قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ قرئ: (قُبُلًا) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى مقابلة، أي: معانية، ونصب على الحال وقيل: بمعنى ناحية وجهة، فنصبه على الظرف نحو: في قُبُل زيد دين. وقرئ: (قُبُلًا) بضم القاف والياء جمع قبيل كـرغيف ورغف، ونصبه على الحال أيضاً، وقيل: بمعنى جماعة جماعة، وصنفاً صنفاً، أي: حشرنا عليهم كل شيء فوجاً فوجاً، ونوعاً نوعاً من سائر المخلوقات. ١١٤ ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿مُنْزَلٌ﴾ قرئ: (منزل) بتشديد الزاي من نزل، والتضعيف للتكثير. وقرئ: (منزل) بتخفيفها من أنزل. ١١٥ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قوله تعالى: ﴿كَلِمَتُ﴾ هنا ويونس: ٣٣، ٩٦، وغافر: ٦، قرئ: (كلمة) بغير ألف على التوحيد في الثلاثة على إرادة الجنس، وقيل: المراد من كلمة بالتوحيد هو: قول لا إله إلا الله عند

١١٩- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: يعني: أي شيء يمنعكم من أن تأكلوا: ﴿يَمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ﴿لِيُضِلُّوهُم بِأَهْوَاهِهِمْ﴾: باتباعهم أهواءهم، ﴿بَغْيَرٍ عَلَيْهِ﴾: منهم بصحة ما يقولون. ١٢٠- ﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: سره وعلايته. وقيل: معناه هاهنا: الظاهر منه: ﴿مَا نَكَحَّ أَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾: وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾. الآية. و«الباطن»: الزنا. ١٢١- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي: مما مات فلم تذبحوه أنتم ولا موحد يدين الله بشرائع شرعها له في كتاب منزل. ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ﴾: مما ذبحه المشركون لأوثانهم، ﴿وَأَنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ معصية ﴿وَأَنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ﴾: قيل: عنى بذلك مجوس فارس، كانت تكتب إلى مشركي قريش بما كانت تحتج به في أكل الميتة، فكانوا يقولون: تأكلون ما قتل الكلب والصقر، ولا تأكلون ما قتل الله! ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: أي: قد صرتم مثلهم، إذا استحلتتم الميتة بعد تحريمها عليكم، كما استحلوها هم. ١٢٢- ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: قيل: هديناه: قيل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾: يعني الشرك هاهنا. وقيل: غني بهذا أبو جهل لعنه الله. ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: أبدأ ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: زين إليهم الكفر، وكره إليهم الإيمان. ١٢٣- ﴿أَكْبَرُ مُجْرِمِيهَا﴾: عظماء مجرميها، و«الأكابر»: جمع أكبر كما يقال: الأفاضل جمع أفضل ﴿لِيَمَكُرُوا فِيهَا﴾: بغرور من الباطل؛ أو بباطل من الفعل. و«المكر»: الخديعة والاحتيال للممكور به ليورطه مكروهاً من الأمور. ﴿وَمَا يَمَكُرُونَ إِلَّا أَنفُسِهِمْ﴾: أي: ما يحيق مكروهم إلا بهم. ١٢٤- ﴿وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ آيَةٌ﴾: حجة من الله على نبوة محمد ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾: لن نصدق ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ﴾: نعطى ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: هو أعلم بمن تخير لرسالته، وإليه الخيار لا لمن أرسل إليه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: يعني: المكذبين المذكورين ﴿صَغَارٌ﴾: ذلة. [١٢٢] قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا﴾ الآية.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرٌ لِّيُضِلُّوهُم بِأَهْوَاهِهِمْ بَغْيَرٍ عَلَيْهِمْ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَجِرُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ آلِيَآبِهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمَكُرُونَ إِلَّا أَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمَكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١٤٣

أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال نزلت في عمر وأبي جهل وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله. [١٢٢] ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]. موضع سورة الأنعام الكلام قبله كان عن الذين هم في الظلمات وأنهم ليسوا بخارجين منها، وأولئك هم الكفار، فناسب: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أما موضع سورة يونس فالكلام قبله عن الإنسان، وأنه إذا مسه الضر تضرع إلى الله، فلما كشف عنه الضر نسي ما كان فيه من الضر وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء، فناسب: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والمُسرفون هم: المتجاوزون للحد. [١٢٥] ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]. كذلك يجعل الله العذاب على الذين لا يؤمنون به، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، وأما آية يونس: ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه. [١٢٨] ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣، ١٢٨، ١٣٩، الحجر: ٢٥، النمل: ٦] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ متى تذكر ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟ **الجواب:** أنه إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء تقدم الحكمة، وحتى تتضح المسألة فتأمل هذه الآيات: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، السياق في العلم تقدم العلم، وكذلك ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وفي يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمِعْ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، فيهما حديث عن العلم، فقدم العلم، ونأتي للجزاء، الجزاء حكمة وحكم: ﴿قَالَ النَّارُ مَثُونٌ خَلْدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، هذا جزاء، هذا حاكم يحكم تقدير الجزاء والحكم، فقدم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، فليس كل عالم حاكماً، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئِكِ خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، هذا تشريع والتشريع حكم وحكمة، والله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع، وعلى هذا عندما يكون السياق في العلم يقدم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم تقدم الحكمة.

[١٢٢] ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ [النحل: ١١٥]. ما الفرق بين: (الميت والميتة)؟ **الجواب:** استعمل القرآن الكريم كلمة (ميت) بتحريك الياء وتشديدها، للدلالة على: ١- ما كان له روح نشأت عنها الحياة، وسيموت يوماً ما، مثل قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فلقد أطلق القرآن كلمة (ميتة) و(ميتون) على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو حي وهم أحياء، وكلمة (ميتون) تشمل كل حي بعد صحابة رسول الله ﷺ من الناس جميعاً، فالموت سنة من سنن الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿فَسَقَنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (ميت) بتسكين الياء، للدلالة على من كان حياً حياة حقيقية، ثم مات موتاً حقيقياً وفارقت روحه بدنه. وقد جاءت كلمة (ميت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفاً مجازياً خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع، و(الأرض) في موضع واحد، و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. ووصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(ميتة) تشبيهاً لهما بالميت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حُذف فيها المشبه وذكر المشبه به. ووصف الجاهل أو الضال أو الكافر بـ(ميتة)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتاً حقيقياً وبين الجاهل والضال والكافر هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. = أكثر المفسرين، والواحد في مثل هذا يدل على الجمع. وقرئ: (كلمات) بالجمع لأن كلماته تعالى متنوعة أمراً ونهياً وغير ذلك، وقد أجمع على الجمع في ﴿لَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، ﴿وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [١١٩] ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرٌ لِّيُضِلُّوهُم بِأَهْوَاهِهِمْ بَغْيَرٍ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قرئ: (فصل - حرم) بضم الفعلين، على بنائهما للمفعول. وقرئ: (فصل - حرم) بالفتح فيهما على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل. قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّوهُم بِأَهْوَاهِهِمْ﴾ (ليضلون) بفتح الياء، ومعناه: ليضلون في أنفسهم. ويكون معنى "بأهوائهم": باتباع أهوائهم.

فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ فَمَا يَهْدِيهِ، يُشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشِرُ الْإِنْسَانَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوِيكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشِرُ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُذَكِّرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

١٢٥- ﴿يُشْرَحُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: ويقذف فيه نوراً يفسح به. ﴿حَرَجًا﴾: «الخرج»: أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذ منه شيء من شدة ضيقه؛ وأصله من الخرج، جمع «خرجة»، وهو الشجر الملتف الذي لا ينفذ بينه، فيجعل صدر الكافر لا تصل إليه موعظة ولا هدى ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾: إذا كُلِّفَ بالإيمان، فكأنما يتكلف الصعود إلى السماء ﴿الرَّجْسَ﴾: العذاب. وقيل: هو كل ما لا خير فيه. ١٢٦- ﴿قَدْ فَضَّلْنَا﴾: بينا ﴿لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾: آيات الله ويعتبرون بها. ١٢٧- ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾: الجنة، و«السلام»: اسم من أسماء الله ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: ناصرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من طاعة الله. ١٢٨- ﴿يَمْعَشِرُ الْإِنْسَانَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: يعني: أضللتهم منهم كثيراً ﴿رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا﴾: حيث قبلوا منهم تحسين المعاصي فوقعوا فيها وتلذذوا بها. وقيل: كان في الجاهلية ينزل الرجل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي؛ وذلك استماعتهم، أي: استفادتهم المؤقتة. فيعتذرون به يوم القيامة ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوِيكُمْ﴾: منزلكم، مأخوذ من ثوى فلان مكان كذا؛ إذا أقام فيه ﴿خَلِيلِينَ﴾: باقين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: قيل: إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم، فتلك المدة هي المستثناة هنا. ١٢٩- ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾: قيل: نجعل بعضهم لبعض أولياء على الكفر. وقيل: يتبع بعضهم بعضاً في النار. ١٣٠- ﴿قَالُوا شَهِدْنَا﴾: بأن الرسل قد بلغت ولم يؤمنوا. ﴿وَعَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: بطلب الرياسة والمنافسة فيها لا أن يسلموا أو يؤمنوا، واتبعوا ما كان أولياؤهم من الجن يأمرونهم من عبادة الأوثان. ١٣١- ﴿أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾: معناه: غافلون عن النار والإنذار بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. ولم يكن الله ليهلكهم بظلمهم -إذا ظلموا- دون أن ينذرهم. [١٢٨] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة به في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربتها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟.. [١٢٨] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [١٣١] ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿يَمْعَشِرُ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فقد سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات وتعريف الخلق بالجزاء الأخروي، فلا عذر لأحد، فلم يتركوا سدى، ولا عذر لمغض ولا متغافل بعد تنبيهه، ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، فهذا مناسب، وتقدم آية هود قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، ولو كانوا يهتدون عن الفساد في الأرض لكانوا مصلحين، فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، فقد ناسب كلا الآيتين ما أعقبت به، ولم يكن ليناسب الأنعام ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ولا هود ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، والله أعلم. [١٣٠] ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾، كرر شهادتهم على أنفسهم؛ لاختلافها باختلاف المشهود به، لأن الأولى شهادتهم بتبليغ الرسل إليهم، والثانية شهادتهم بكفرهم. فإن قيل: شهادتهم بكفرهم تضمنت إقرارهم به، وهو منافٍ لجحدهم له في قوله حكاية عنهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. الجواب: مواقف القيامة مختلفة، ففي موقف أقروا، وفي آخر جحدوا، أو المراد بشهادتهم شهادة أعضائهم عليهم، حين يُخْتَمُ على أفواههم، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، والمراد بجحدهم جحدهم بأفواههم قبل أن يختم عليها. [١٢٢] ﴿أَوْمَن كَانَ مِيثًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتضمن أموراً: أحدها: أنه يمشي به في الناس بالنور وهم في الظلمة. وثانيها: أنه يمشي فيهم بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور. وثالثها: أنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم... [١٢٤] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام: ٤]، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. من حيث الحكم النحوي يجوز تذكير وتأنيث الفعل، لكن يبقى السر البياني لهذا التذكير والتأنيث، عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الدليل والبرهان يأتي الفعل مذكراً، وإذا كانت كلمة آية بمعنى الآية القرآنية أنث الفعل. [١٢٤] ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿رِسَالَتَهُ﴾ قرئ: (رسالته) بالإفراد مع نصب التاء على إرادة الجنس، وقرئ: (رسالاته) بالجمع مكسور التاء لأن الرسالات متعددة، وقد تقدم الكلام عليها في المائدة. [١٢٥] ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا﴾ قرئ: (ضيقاً) بسكون الباء مخففاً. وقرئ: (ضيقاً) بالكسر مشدداً، وهما لغتان كميت وميت. قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قرئ: (حرجاً) بكسر الراء مثل: دنف وحذر، ومعناه: الضيق، والمعنى: يجعل صدره ضيقاً، يقال: حرج فلان، أي: أثم. وقرئ: (حرجاً) بفتح الراء وهما بمعنى واحد. قوله تعالى: ﴿يَصْعَدُ﴾ قرئ: (يصعد) بإسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف، مضارع صعد: ارتفع، وقرئ: (يصاعد) بتشديد الصاد وبعده ألف، وتخفيف العين وأصلها يتصاعد، أي: يتعاطى الصعود ويتكلفه، فأدغمت التاء في الصاد تخفيفاً، وقرئ: (يَصْعَدُ) بفتح الصاد مشددة وتشديد العين دون ألف بينهما من تصعد، أي: تكلف الصعود.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. قلة الأكسجين: آية محكمة تشير بكل وضوح وصراحة إلى حقيقتين كشف عنهما العلم الحديث. الأولى: أن التغير الهائل في ضغط الجو الذي يحدث عند التصاعد السريع في السماء، يسبب للإنسان ضيقاً في الصدر = تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات هوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا
تُوعَدُونَ لَأْتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَاءَهُمْ لِيَزْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات اعجاز متنوع التعريف بالسور

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ جَبْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ
نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرِّمَتْ طُهُورَهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ
أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ
مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ فَذَخِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
فَذُكِّلُوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَمٌ وَّحَرْتُ جَعْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَزْتُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ **إعجاز عددي**: ١- ذكر لفظ **(الحرت)** بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ **(الزرع)** بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ **(الفاكهة)** بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ **(العطاء)** بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ **(الحرت)** بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ **(الزرع)** ومشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ **(الفاكهة)** بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ **(العطاء)** بمشتقاته، وورد كل (١٤) مرة في كتاب الله.

١٤٣- ﴿ثَمِينَةَ زَوْجٍ﴾: معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، وقال عز وجل: «ثمانية» وهي أربعة، لأن كل واحد من الاثنين زوج، فالأثنى زوج الذكر، والذكر زوج الأنثى، كما قال عز وجل: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» [الأحزاب: ٣٧] ويقال للأثنين أيضاً زوج. ﴿قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾: يعني: هل تشتمل الأرحام إلا على ذكر أو أنثى، فلم تجلّون بعضاً وتحرمون بعضاً؟ يقول عز وجل: إنه لم يحرم شيئاً من ذلك، بل كله حلال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: أخبروني إن كنتم علمتم ذلك عن الله. ١٤٤- ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: أم شهدتم، ﴿إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾: التحريم الذي تكذبون فيه على الله. والمراد بالآية التبكيت والزام الحجة. ١٤٥- ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾: مسالاً مهراقاً، تقول: سفحت دمه؛ إذا أرقته، لا ما خالط اللحم ﴿فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾: قدر وتنن ﴿أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ذبح لغير الله ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾: إلى هذه المحرمات. وقد مضى تفسير هذا في سورة البقرة آية: ١٧٣. ١٤٦- ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود. ﴿كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾: هو ما كان من البهائم والطير غير مشقوق الأصابع؛ كالإبل والنعام والإوز والبط ﴿شُحُومَهُمَا﴾: قيل: هي شحوم الثروب خاصة، والثروب: جمع ثرب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والأمعاء، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: يعني: شحوم الجنب وما علق بالظهر ﴿الْحَوَايَا﴾: جمع حاوية، وهي المباعر، التي يجتمع البعر فيها، والمبايض التي تكون فيها الأمعاء؛ وهي بنات اللبن- أي الأمعاء الصغيرة- وقال أبو عبيدة: الحوايا: ما تحوى من البطن، أي استدار، وهي متحوية؛ أي مستديرة. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: من الشحم في القوائم والعين والراس وغيرها؛ فذلك حلال لهم ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُم﴾: عاقبناهم ﴿بِغَيْبٍ﴾: بإسرافهم وكذبهم في قولهم: إن إسرائيل حرم ذلك على نفسه! [١٤٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

ثَمِينَةَ زَوْجٍ مِنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ يَتَّبِعُونَ يَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فِي مَا أُوحِيَ إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ هَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْبٍ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

(١٤٧)

[١٤٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصّبح عن عبادته موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عبادته = [١٤٥] ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ [الأنعام: ١٤٥] والوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، النحل: ١١٥]. لفظ الرب تكرر في سورة الأنعام عدة مرات، وفيها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفيها ذكر الحبوب والثمار، وأتبعها بذكر الحيوان من الضأن والمعز والإبل والبقر، وبها تربية الأجسام، فكان ذكر الرب أنسب لما فيه من المعاني التي توافق سياق الآيات عن هذه النعم، أما عن سر اختصاص آية البقرة والنحل بقوله تعالى: "إن الله"، أنه تقدم على الآيتين الحديث عن الألوهية وما يختص بها، فتقدم في آية البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وختم بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ...﴾ كذا وكذا، فتقدم لفظ "الله" وتقدم التحريم ولا يملكه إلا الله، والعبادة وهي واجبة لله، وفي النحل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، فأشبه ما في البقرة، وكان لفظ "الله" أولى وأخص بالآيتين. [١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ...﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَنَنْتُمْ ...﴾ [النحل: ١١٨]. واذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين ما حرّمنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام... فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية النحل: وعلى اليهود حرّمنا ما أخبرناك به أيها الرسول من قبل، وهو كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حملته ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطاً بعظم... [١٤٣] ﴿ثَمِينَةَ زَوْجٍ مِنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمَعَزِ﴾ قرئ: (المعز) بفتح العين. وقرئ: (المعز) بسكونها، وهما لغتان في جمع ماعز كخادم وخدم، وتاجر وتجر، ويجمع أيضاً على معزى، وقيل: من فتح جعله جمع ماعز كحارس وحرس، وخادم وخدم، ومن أسكن جعله أيضاً جمع ماعز كصاحب وصحب. [١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ قرئ: (يكون ميته) بالتذكير (ميته) بالنصب، واسم يكون يعود على قوله محرماً. وقرئ: (تكون ميته) بالتأنيث والرفع على أنها تامة، بمعنى: توجد ميته. وقرئ: (تكون ميته) بالتأنيث والنصب على أن اسمها ضمير يعود على محرماً، أو المأكول، وأنت الفعل لتأنيث الخبر.

[١٤٥] ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كُلُّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٤٥] ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ هَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضاً في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كُلُّ (١٠) مرات في كتاب الله تعالى. [١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْبٍ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ إعجاز عددي: ذكر (البغي) في القرآن (٢٤) مرة، وذكرت (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلُّ (٢٤) مرة في كتاب الله.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شُهِدَآ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنِ الْفُتُورِ شَيْئًا وَالْيَاثِمَاتِ الْحَسَنَاتِ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلِي تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٧- ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ﴾: أي اليهود فيما ذكرته مما حرّمه الله عليهم، وقالوا: لم يحرم الله علينا شيئاً، وإنما حرّمنا ما حرّم إسرائيل على نفسه. ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: إذ لم يعالجكم بالعقوبة مع شدة جرمكم. وقيل: ذو رحمة واسعة بمن آمن ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه. ١٤٨- ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: نتيقن به أن ربكم رضي الشرك منكم في عباده، وما كانوا يحرمونه ويأتونه ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: كذباً على الله، وتخربصاً بغير حق ولا برهان! ١٤٩- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التي تنقطع عندها معاذيرهم، وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم. ١٥٠- ﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدَآ كُمْ﴾: أي: هاتوهم وأحضروهم، يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرم تلك الأشياء، ﴿إِنْ شَهِدُوا﴾: بغير علم، بل مجازفة وتعصّباً، ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾: فلا تصدقهم ولا تسلم لهم. ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: الأزلام والأصنام؛ فيجعلونها له عدلاً، أي نظيراً ومساوياً. ١٥١- ﴿مِنْ أَمَلِي﴾: من فقر واقع بهم، أو يعانون منه ولهذا ضمن رزقهم هم قبل أولادهم فقال تعالى: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: قيل: إن ذلك في الزنا الخفي والظاهر. وقيل: الفواحش كلها ظاهرها وباطنها. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: إلا بحقتها، ومنه: قتل النفس قصاصاً، ونحوه مما شرعه الله تعالى.

= من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو غفورٌ يحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفو: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفو أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرّيمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها. [١٤٥] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع

الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته... [١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: ٣٥]. زاد ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ مرتين، وزاد ﴿نَحْنُ﴾ بالنحل؛ لأن لفظ الإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته، ودل على تحريم أشياء وتحليل أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى لفظ "من دونه"، بخلاف لفظ العبادة، فإنها غير مستنكرة، وإنما المستنكرة عبادة شيء مع الله سبحانه وتعالى، ولا يدل على تحريم شيء كما يدل عليه "أشرك"، فلم يكن لله هنا من يعتبره بقوله: "من دونه"، ولما حذف "من دونه" مرتين حذف معه "نحن" لتطرد الآية في حكم التخفيف، أمّا ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد جاء قبلها: ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، على حين جاء قبل آية النحل: ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا حَرَمْنَا﴾ وقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. [١٥١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلِي تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَئِي تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. الخطاب في آية الأنعام مع قوم فقراء يهتمهم رزقهم أولاً، ثم رزق أولادهم، فقدم رزقهم لأنه عندهم أهم، أمّا آية الإسراء فالخطاب فيها مع قوم غير فقراء، لكنهم يخشون الفقر مستقبلاً فيظهر أثره على أولادهم، فرزق أولادهم أهم عندهم لأنه مظنة القلة المتوقعة، أمّا رزقهم فهم حاصلون عليه، فقدم رزق الأولاد على رزقهم لأنه أهم، ولهذا جاء التعبير في الآية الأولى بقوله: ﴿مِنْ أَمَلِي﴾، أي: من فقر واقع، أمّا الثانية فجاء فيها قوله: ﴿خَشْيَةً إِمْلَئِي﴾ أي فقر متوقع. [١٥٣-١٥١] ﴿ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. الآية الأولى مشتملة على خمسة أشياء كلها عظام جسام، فكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا، فختم الآية الأولى بما في الإنسان من أشرف السجاياء وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان، والآية الثانية مشتملة على خمسة أشياء يقبح تعاطي ضدها وارتكابها، وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ، فختم الآية بقوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي: تتعظون بمواعظ الله، والآية الثالثة مشتملة على ذكر الصراط المستقيم والتحريض على اتباعه واجتناب مناهيه، فختم الآية بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد. [١٥١] ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنِ الْفُتُورِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَقْبَلَ كَفًّا لِمُتَّعْتُهُ فِي صَرْفِ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَكَ كُنْتَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيئُ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: (أقبل، تعال، ائت، هاؤم)؟ الجواب: (أقبل) أمر متعين طلباً للإقبال، ونهياً عن الإدبار الملبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلمّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة). إذاً، (أقبل) يراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطاباً لمن هو في حالة إدبار حسي ملبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلِيٍّ مُدِيرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، وفرق كبير بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيئُ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعض اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤْتَى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعَادِلُهُ فرح، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظير، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم.

[١٥٠] ﴿إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة في القرآن (٦٥) مرة.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١٥٢- ﴿لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا يَتْلُوا﴾: اختلف في ذلك، وقيل فيه: أن يستعفف إن كان غنياً، أو يأكل بالمعروف إن افتقر ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: الحلم حين تكتب عليه الحسنات والسيئات ﴿وَالْقِسْطَ﴾: بالعدل ﴿وَسَعَهَا﴾: ما لا يضيق عنها ﴿فَاعْدِلُوا﴾: قولوا الحق. ١٥٣- ﴿صِرَاطِي﴾: يعني طريقه ودينه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: التي ليست لله بسبيل، وهذه السبل تعم أهل الملل وأهل البدع والضلالات. وروى الإمام أحمد وغيره من حديث ابن مسعود، قال: خط رسول الله خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾ الآية. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. ١٥٤- ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى﴾: معناه: ثم قل يا محمد آتينا موسى ﴿الْكِتَابَ تَمَامًا﴾: لنعمتنا عنده ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: على إحسانه في طاعة ربه ﴿وَنَقْصِيلًا﴾: تبياناً. ١٥٦- ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: بمعنى: كراهية أن تقولوا ﴿طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: عن تلاوة كتبهم ولغاتهم. ﴿لَعَنَافِلِكَ﴾: لا ندري ولا نعلم ما فيها، فيخذلوا ذلك حجة. ١٥٧- ﴿وَصَدَفَ﴾: اعرض ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شديده. [١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانَ...﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ...﴾ [الإسراء: ٣٤]. الآيتان تبيان أن لا تصرفوا في أموال الأطفال الذين مات أبائهم، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التمشير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سن البلوغ، وحسن التصرف في المال، وآية الأنعام تحت على إيفاء الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء...، أمّا آية الإسراء فتدعو إلى الوفاء بالعهد... [١٥٥] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. تدل الآيتان على أن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك أيها الرسول عظيم النفع، والآية الأولى تبين أن هذا القرآن مصدق لما تقدمه من الكتب السماوية... وأمّا الآية الثانية ففيها الدعوة إلى اتباع القرآن...

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ كُمْ وَصَنِّعْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [١٥٢] وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنِّعْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَنَقْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٤] وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَنْعَامَ...﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ...﴾ [الإسراء: ٣٤]. الآيتان تبيان أن لا تصرفوا في أموال الأطفال الذين مات أبائهم، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التمشير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سن البلوغ، وحسن التصرف في المال، وآية الأنعام تحت على إيفاء الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء...، أمّا آية الإسراء فتدعو إلى الوفاء بالعهد... [١٥٥] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. تدل الآيتان على أن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك أيها الرسول عظيم النفع، والآية الأولى تبين أن هذا القرآن مصدق لما تقدمه من الكتب السماوية... وأمّا الآية الثانية ففيها الدعوة إلى اتباع القرآن...

(١٤٩)

[١٥٥] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. لماذا قدم الإنزال في الأنعام وآخره في الأنبياء؟ **الجواب:** قدم الإنزال في آية الأنعام ردّاً على قول فنحاص بن عازوراء: ما أنزل الله على بشر من شيء، فبدأ به اهتماماً به، ولأن الكتب سماوية فناسب البداية بالإنزال، وآية الأنبياء في الذكر فجاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة. [١٥٧] ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانَ﴾ [الأعراف: ٨٥]. ما الفرق بين: (جاءكم البينة، جاءكم بينة)؟ **الجواب:** وردت كلمة (جاءكم) مع كلمة (بينة) مرتين. ووردت كلمة (جاءكم) مع كلمة (بينة) مرة واحدة. ذهب كل من الطبري والرازي والزمخشري في تفاسيرهم إلى أن (البينة) في الآية الأولى هي الناقة؛ لقوله تعالى بعدها: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ وفي الآية الثانية هي المعجزة أو الحجة، وهذا هو سبب مجيء كلمة (جاءكم) بصيغة مؤنثة؛ لأن الفاعل (البينة) مؤنثة. أما (البينة) في الآية الثالثة ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فهي (القرآن) والقرآن لفظ مذكر... ولذلك جاء الفعل (جاءكم) مذكراً (أي بدون تاء التأنيث). **سؤال:** لم جاءت كلمة (جاءكم) في سورة البينة بالصيغة المؤنثة؟ قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. **والجواب:** أن (البينة) هنا في الآية المذكورة تعني الرسول والصحف والكتب القيمة؛ لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣] وقد غلب عليها التأنيث؛ لأن فيها شيئين مؤنثين مقابل شيء واحد مذكر، فالاسم المذكر هو الرسول ﷺ، والاسمان المؤنثان هما الصحف المطهرة، والكتب القديمة (والكتب جمع تكسير يُعامل معاملة المفرد المؤنث في الصفة وفي دخول الفعل عليه). لذا قال (جاءكم) ولم يقل (جاءهم)، والله أعلم. [١٦٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْيَةِ فَلَا تَجْزِيهِ إِلَّا مِثْلُهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تَجْزِي إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. ما الفرق بين "نجزي - نجازي"؟ **الجواب:** وردت (نجزي) تسع عشرة مرة، ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة بسورة سبأ، **والجواب:** أن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافئ) أو (نثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَتَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ تَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دلّ على معنيهما في الممرتين هو السياق، فقد وردت الأولى مع (الشَّاكِرِينَ)، والشَّاكِرُونَ يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد... وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ تَجْزِي إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي) وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟ **والجواب:** أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحالتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة، لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافئ المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْيَةِ فَلَا تَجْزِيهِ إِلَّا مِثْلُهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباط بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثاً بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة. [١٥٢] ﴿ذَلِكُمْ وَصَنِّعْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء فقط خطاباً، قرئ: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال حيث وقع على حذف إحدى التاءين؛ لأن الأصل: تذكرون. وقرئ: (تَذَكَّرُونَ) بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء في الذال. وفي التشديد معنى التذكير لتكرير التذكير كأنه تذكّر بعد تذكّر. [١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ﴾ قرئ: (إِنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون على الاستئناف، وهذا محله نصب اسمها و(صراطي) خبرها، و(فاء) فاتبعوه عاطفة للجملة. وقرئ: (أَنَّ) بفتح الهمزة وتخفيف النون، (فَأَنَّ) مخففة من الثقيلة وتعلق بما تعلق به المشددة، وقرئ: (أَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير الكلام، أي: ولأن هذا صراطي مستقيماً اتبعوه، وقال الفراء: معمولة أن، وأجاز جرّها بتقدير وصاكم به، وبأن، فتكون نسقاً على المضمر على طريق الكوفيين، ووجه قراءة الفتح والتخفيف: أنها خففت من الثقيلة على اللغة القليلة. [١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظة **البعث** بمشتقاتها و مترادفاتهما، ولفظة **الصراط** بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذاً يتساوى عدد مرات ورود (**البعث** بمشتقاتها ومترادفاتهما) مع عدد مرات ورود (**الصراط** بمشتقاتها) وكل قد ورد ٤٥ مرة.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَةً مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْيَ رِبَاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(١٥٠)

١٥٨ - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: يعني عبدة الأوثان، هل ينتظرون ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: بالموت ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: في موقف القيامة لفصل القضاء ومعناه: يأتي أمر ربك أو حساب ربك. وقيل: المعنى: يأتي كل آيات ربك، بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: يوم تطلع الشمس من مغربها يسد باب التوبة فـ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَةً مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ ١٥٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: دين الله واحد، وهو الحنيفية ملة إبراهيم، فتنصر قوم وتهود قوم ﴿شِيَعًا﴾: متفرقين، والآية عامة في جميع الكفار، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله. ١٦٠ - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: لا إله إلا الله، وهي خير الحسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: الشرك، والآية عامة في جميع الحسنات. وقد ثبت تضعيف الحسنات في آيات أخرى؛ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ﴾، كما ثبت في السنة بأحاديث كثيرة أن العبد إذا هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة. ١٦٢ - ﴿وَنُسُكِي﴾: ذبحي، والنسك: جمع نسيكة، وهي الذبيحة، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: يعني: وفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالصاً له ذلك كله دون ما أشركتم. ١٦٣ - ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: أول من أذعن وأخلص وخضع من هذه الأمة لربه. ١٦٤ - ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: ولا تجترح نفس إنمأ فيؤخذ به غيرها. ١٦٥ - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: جمع خليفة - كـ «وصائف»، و«وصيفة» - بأن أهلك من كان قبلكم من القرون خلفتموهم في الأرض ﴿دَرَجَاتٍ﴾: عام في المال والجاه والقوة والأذهان وغير ذلك. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعتبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: أعطاكم لأن المزايا تكليف وأعباء ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: لمن أسخطه ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن أطاعه.

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [النحل: ٣٣]. الآيتان تتحدثان عن الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله هل ينتظرون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، وآية الأنعام تبين أنهم ينتظرون أن يأتي ربك أيها الرسول للفصل بين عباده يوم القيامة... أمّا آية النحل فتوضح أنهم ينتظرون أن يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم... [١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، أي: من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فلهم عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفرز الأكبر آمنون. [١٦٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٦٠]، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. المراد في آية الأنعام: أول المسلمين من أهل مكة، لأنه أول المسلمين منهم، وأمّا ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من قول موسى، فأراد به أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يرد الإيمان الذي هو الدين. [١٦٥] ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤، فاطر: ٣٩]. قوله تعالى: ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالأنعام، وفي يونس وفاطر ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، لأن هذه العشر الآيات تكرر فيها ذكر المخاطبين مرّات، فعرفهم بالإضافة؛ وقد جاء في سورة يونس وفاطر على الأصل، وهو ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. [١٦٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. في آية الأنعام الكلام قبلها كان عن الحسنات والهداية لصراط الله، فجاء التعبير باللام مع المغفرة والرحمة، وأمّا آية الأعراف فالكلام قبلها عن أخذ الذين ظلموا بالعذاب، وذكر مرتكباتهم السيئة فجاء التعبير باللام لتأكيد سرعة العذاب الذي يستحقونه. [١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْيَ رِبَاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. لقد افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ وقال في خاتمة السورة: ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْيَ رِبَاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فناسب بين البدء والختام، فقد ذكر أن الذين كفروا بربهم يعدلون، أما هو فلن يعدل بربه شيئاً، فانظر هذه المناسبة والملاءمة في التعبير حتى كأن التعبيرين في البدء والختام آية واحدة. [١٦٤] ﴿إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، إن قيل هو مناف لنحو قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، ولقوله: ﴿... وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيئةً فَعَلِيهِ وَزَرَاهَا وَوزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء﴾ أخرجه السيوطي، وصححه الألباني. **فالجواب:** لا منافاة إذ الوزر في الآية الأولى محمول على مَنْ لم يتسبب في الفعل بوجه، وفيما عداها على مَنْ تسبب فيه بوجه، كالأمر به والدلالة عليه، فعليه وزر مباشرته له، ووزر تسببه فيه. [١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾ بالتأنيث لأن لفظه مؤنث، وهكذا كل جمع تكسير، فالتأنيث: مراعاة لـ «اللفظ»، والتذكير: مراعاة للجمع. [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هنا والروم: ٣٢، قرئ: ﴿فَرَّقُوا﴾ بآلف بعد الفاء، وتخفيف الراء من المفارقة وهي الترك؛ لأن من آمن بالبعض وكفر بالبعض فقد ترك الدين القيم، أو فاعل بمعنى فعل من التفرقة والتجزئة، أي: آمنوا ببعضه، وقرئ: ﴿فَرَّقُوا﴾ بتشديد الراء بلا ألف فيهما وهو راجع للمعنى الأول، وهو من التفريق على معنى: أنهم فرقوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. [١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قوله تعالى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ بالتثنية و(أمثالها) بالرفع صفة لعشر. وقرئ: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (عشر) بغير تنوين وأمثالها بالخفض على الإضافة. [١٦١] ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ قوله تعالى: ﴿قِيَمًا﴾ بـ (قِيَمًا) بكسر القاف وفتح الياء مخففاً، كالشعب مصدر قام. وقرئ: ﴿قِيَمًا﴾ بفتح القاف وكسر الياء مشددة كسيد مصدر على فيعل، فأصله: قيوم، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، وقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، أي: ديناً مستقيماً، على جعله صفة للدين. [١٦٢] ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة. إذاً يتساوى عدد مرات تكرار لفظة الحياة بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة الموت بمشتقاتها، وكل منهما تكرر (١٤٥) مرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُذِرَ بِهِ. وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَلَوَزْنٌ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

(١٥١)

١- ﴿الْمَصِّ﴾: بمنزلة: ﴿الْمَةِ﴾ في أول سورة البقرة، و«آل عمران»: وقد تقدم القول في ذلك.
٢- ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: بمعنى: هذا كتاب ﴿حَرَجٍ﴾: ضيق. وقيل: شك. ﴿لِنُذِرَ بِهِ﴾: لتبلغه من أمرتك بإبلاغه إياه ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكرة. ٣- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ﴾: من دون كتاب الله، شيئاً غير ما أنزل إليكم، كما كان يفعل أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يخللونهم ويحرمونه عليهم، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون وتعتبرون. وقيل: معناه لتنذر به المؤمنين، فتقول لهم: اتبعوا ما أنزل إليكم. ٤- ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ليلاً، وكل عمل عمل ليليل فهو تبين. ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: في وقت القائلة، وهي القيلولة. ٥- ﴿دَعْوَاهُمْ﴾: اعترافهم على أنفسهم، و«الدعوى» في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الدعاء، والآخر: الادعاء بالأحقية في الشيء. ٦- ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ﴾: يعني الأمم عما عملوا فيما أرسل إليهم ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: الرسل والأنبياء هل بلغوا أم فرطوا؟ ٧- ﴿فَلَنَقْصُصَ﴾: فلنخبرن، قال ابن عباس في معنى ﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾: أنه ينطق لهم كتاب عملهم، فيقص بذلك أعمالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾: رأي الله وسمع كل ما كانوا يعملون. ٨- ﴿وَالْوَزْنُ﴾: القضاء ﴿الْحَقُّ﴾: العدل، يؤخذ من حسنات الظالم فتزد على المظلوم، والموازين جمع ميزان، وثقلها يكون بمقدار ما يوضع فيها من (صحائف) الأعمال الصالحة. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بـ«لا إله إلا الله». ٩- ﴿وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: يجحده آيات الله، وعظمت ذنوبه. ١٠- ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾: وطأننا لكم مهاداً وقراراً. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشَةً﴾: مطاعم ومشارب تعيشون بها. ١١- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾: في صلب آدم. وقيل: في أصلاب آبائكم. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: في أرحام النساء. وقيل: حين أخذنا عليكم الميثاق ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: الاستثناء منقطع، لأن إبليس ليس من الملائكة. ولكنه أمر بالسجود

لآدم معهم، وعنصرهم النوراني أشرف من عنصره الناري. [٩] ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١، فصلت: ١٥-٢٨]. قوله تعالى: ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، أي: كانوا يتجاوزن الحد ويجحدون بآيات الله تعالى ولا يتقادون لها، أمّا ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، أي: كانوا ينكرون أدلة الله وبراهينه مع علمهم بأنها الحق. [١٢] ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ [ص: ٧٥]. قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ﴾ هنا، وفي ص: ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا مَنَّكَ﴾ وفي الحجر: ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا لَكَ﴾ بزيادة ﴿يَبْنَيسُ﴾ في السورتين؛ لأن خطابه قُرب من ذكره في هذه السورة وهو قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [١١-١٢] [الأعراف: ١١-١٢] فحسن حذف النداء والمنادي، ولم يقرب في ص قربه منه في هذه السورة؛ لأن في ص: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤] بزيادة ﴿اسْتَكَبَرَ﴾، فزاد حرف النداء والمنادي، فقال: ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا مَنَّكَ﴾، وكذلك في الحجر فإن فيها: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَيْ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١] بزيادة ﴿أَيْ﴾، فزاد حرف النداء والمنادي فقال: ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا لَكَ﴾. وأمّا قوله: ﴿إِلَّا تَسْجُدَ﴾ وفي ص: ﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾ وفي الحجر: ﴿إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فزاد في هذه السورة «لا»، وللمفسرين في «لا» أقوال: قال بعضهم: «لا» صلة، كما في قوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ [الحديد: ٢٩]، وقال بعضهم: الممنوع من الشيء مضطر إلى ما مُنِع منه، وقال بعضهم: معناه: مَنْ قال لك لا تسجد. والذي يليق بهذا الموضوع ذكر السبب الذي خَصَّ هذه السورة بزيادة «لا» دون السورتين. قال تاج القراء: لَمَّا حُذِفَ مِنْهَا ﴿يَبْنَيسُ﴾ واقتصر على الخطاب، جمع بين لفظ المنع ولفظ «لا» بزيادة في النفي، وإعلاماً أَنَّ المخاطب به إبليس؛ خلافاً للسورتين؛ فإنه صرَّحَ فيهما باسمه. وإن شئت قلت: جمع في هذه السورة بين ما في ص والحجر، فقال: ما منعك أن تسجد، مالك ألا تسجد، فحذف «أن تسجد» وحذف «مالك» لدلالة الحال، ودلالة السورتين عليه، فبقي: «ما منعك ألا تسجد».

[٤] ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣]. ما الفرق بين: (جاءها، أجاها)؟ لقد وردت كلمة (جاءها) ثلاث مرات. ووردت كلمة (أجاها) مرة واحدة. فماداً أفادت كلمة (أجاها)؟ والجواب: أن كلمة (جاء) هي الأصل ولا تحتاج إلى دليل ولا إلى تحليل. أما كلمة (أجاها) فإن لها خصوصية، حيث تتضمن معنى الإرجاع إلى جانب معنى المجيء، إذا هذه الكلمة تتكون من معنى مركب من المعنيين: فقد لجأت مريم -عليها السلام- إلى النخلة راجعة (أي راجعة إليها بعد أن كانت قد تجاوزتها) أي جاءت إليها، والمجيء لا يكون إلا عندما يكون المرء في طريق الرجوع. فقد كانت النخلة أقرب إليها من مقامها عند زكريا -عليه السلام- فعندما لجأت إليها كانت قد رجعت إليها رجوعاً أو جاءت إليها مجيئاً. ونحن نقول: ذهب فلانٌ من بيته: عندما يغادره. ورجع إليه أو جاء إليه: عندما يعود إليه. وقد أدرك الطبري هذا المعنى عندما قال: «وإنما تأول ذلك بمعنى: أَلجأها، لأن المخاض لما أجاها إلى جذع النخلة كان قد أَلجأها إليه». فالإلجاء هو تأول للمعنى.. وليس هو ذات المعنى. لهذا كانت كلمة (أجاها) ولم تكن (أَلجأها) أو (جاء بها). ولو كانت إحداهما.. لما أمكن أن تحل محلها. [٣] ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (يتذكرون) بياء قبل التاء مع تخفيف الذال، والمعنى: قَلِيلًا يا محمد ما يتذكر هؤلاء الذين بعثت إليهم. وقرئ: (تذكرون) بقاء فوقية بلا ياء قبلها على الخطاب؛ لأنه رده على الخطاب قبله في قوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾. [١٢] ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (المساجد) و(السجود) بمشتقاته (٩٢) مرة أيضاً في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد) و(السجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة الأعراف: نزلت بعد سورة ص، وهي مكية إجماعاً. عدد كلمات سورة الأعراف: ثلاثة آلاف وخمسون وعشرون كلمة. عدد حروف سورة الأعراف: وحروفها أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرة أحرف. أسماء سورة الأعراف: وهذه السورة ثلاثة أسماء: سورة الأعراف؛ لاشتغالها على ذكر أصحاب الأعراف في ﴿وَأَدْنَى أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨]. الثاني: سورة الميقات؛ لاشتغالها على ذكر ميقات موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. =

٢٣- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾: الآية، قيل: هذه الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ قَاتِبَ عَلَيْهِ﴾. ٢٤- ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ﴾: موضع استقرار تتمتعون به وبلاغ، ﴿إِلَىٰ حَيْنٍ﴾: قيل: يوم القيامة. ٢٥- ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾: يعني: من أهبط إلى الأرض ﴿وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ﴾: لبعث القيامة. ٢٦- ﴿لِبَاسًا﴾: تلبسون ﴿يُورِي﴾: يستر ﴿سَوَاءَ تَكُنْ﴾: عوراتكم عن أعينكم، وكان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة. ﴿وَرِيشًا﴾: وقرئ «رياشاً»؛ فمن قرأ «رياشاً» فيحتمل أن يكون أراد به جمع «الريش» كدثب وذئاب، و«الرياش» في كلام العرب: الأثاث وما ظهر من المتاع و«الريش» أيضاً: المتاع والأموال. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: هو الإيمان والعمل الصالح. وقيل: هو الإسلام. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: قيل: من قرأ «لباس التقوى» بالرفع، كان المعنى: ولباس التقوى خير من الرياش. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: من حججه. ٢٧- ﴿لَا يَفْنَىٰكُمْ﴾: يخدعنكم ﴿هُوَ قَبِيلُهُ﴾: نسله. ٢٨- ﴿فَجِئْتَهُ﴾: هي ما تبالغ في فحشه وقبحه من الذنوب، سواء أكان الطواف بالبيت عراة، أم نحوه من القبائح والمنكرات. ٢٩- ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ﴾: وجوهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ﴿مُخْلِصِينَ﴾: غير مشركين به ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم في ابتداء الخلق، كذلك تبعثون يوم القيامة. فيكون المقصود: الاحتجاج على منكري البعث.

[٢٣] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٢٨] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. = البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَتَقَادُمُ﴾، ناسب ذلك الزيادة الدالة على عظم كرمه، وجليل فضله، فجاء بكلمة ﴿رَغَدًا﴾ لزيادة التوسعة والإكرام، أمّا آية الأعراف فخلت من ذلك. وهناك سبب آخر مبني على تأمل السياق، وهو أن سياق آية البقرة حديث عن نعمة الله على عبده آدم، وفضله عليه، وتكريمه إياه، فجاءت كلمة ﴿رَغَدًا﴾ لتزيد ذلك المعنى، فأصبحت نعمة تضاف إلى تلك النعم العظيمة، أمّا آية الأعراف فسياقها في شأن إبليس وإعراضه وصدده، فلم يقتض السياق زيادة الكلمة. [١٨] ﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَذْمُومًا﴾ [الإسراء: ١٨، ٢٢]، قوله تعالى: ﴿مَذْمُومًا﴾ من الذم، وهو أبلغ في العيب من الذم. [٢٧، ٣١، ٣٥] ﴿يَبْنِيَّ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿يَبْنِيَّ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿يَبْنِيَّ آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأعراف: ٣٥]. لمخاطبة الناس ببني آدم وقع عجيب بعد الفراغ من ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان، وذلك أن شأن الذرية أن تثار لأبائهم وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شركه.

[٢٢] ﴿فَذَلَّهْمَا يُغْوِيَنَّ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَفَادَهُمَا رَبُّهُمَا آتَاهُمَا مِنْ تَلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]. ظهور السوءات وبدؤ العورات إنما هو عقوبة من عقوبات الذنوب والمعاصي، وليس علامة على المدنية والتحضر، وإنما هو ارتكاس وبعد عن الفطرة، وقد امتنَّ الله عز وجل على بني آدم باللباس الذي يوارى السوءات والرياش التي يتجمل بها... [٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ﴾: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ﴾ هنا والروم: ١٩، الأول منها، والزخرف: ١١، وأول الجاثية: ٣٥، قرئ: ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بفتح التاء وضم الراء مبنياً للفاعل، فقد أسند الفعل إليهم لأنهم إذا أخرجوا خرجوا، فهم مفعولون فاعلون في المعنى. وقرئ: ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بضم التاء وفتح الراء مبنياً للمفعول؛ لأنهم لا يخرجون حتى يخرجوا. [٢٦] ﴿يَبْنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُنْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ (ولباس) بنصب السين عطفًا على (وريشًا) والريش هو: ما يظهر من اللباس، وقيل: أنه ما يستر من لباس أو معاش. وقرئ: (ولباس) بالرفع إما مبتدأ (ذلك) مبتدأ ثان، و(خير) خبر الثاني، وهما خبر الأول، والرباط اسم الإشارة، وإما خبر محذوف، أي: وهو، أو ستر العورة لباس التقوى، وعلى كل فهو مستأنف، والمعنى: ولباس التقوى خير لصاحبه عند الله مما خلق من لباس الثياب والريش والرياش مما يتجمل به، وأضيف (اللباس) إلى (التقوى) كما أضيف إلى الجوع في قوله: (لباس الجوع).

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ﴾: إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظ (الحياة) بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظ (الموت) بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة. [٢٩] ﴿وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والمسجود) ومشتقاته (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد والمسجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن. [٣١] ﴿يَبْنِيَّ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: إعجاز طبّي ووقائي: في رحاب الآية القرآنية: لعل هذه الآية أساس لحياة الإنسان ودستور صحي لمعيشته، فقد صورت ما يحفظ المرء ويحفظ حياته وصحته وشبابه، في ألفاظ قليلة بليغة دقيقة جمعت علمًا طبيًا وسبقًا علميًا يربو ما كُتب فيه على عشرات الكتب. الإسراف في الطعام والشراب مهلك للأبدان: فالإسراف يؤدي حتمًا إلى السمّة، وكل ما زاد عن الوزن الطبيعي للجسم فهو حمل ثقيل على الأعضاء الرئيسة. يقول الدكتور سالم محمد: إن القلب هو مضخة ماصة كاسّة يرفع الدم من هنا ليدفعه إلى هناك، وهو عضو في = الأعمال يوم القيامة، وذكر خلق آدم، وإبائ إبليس من السجدة لآدم، ووسوسته لهما لأكل الشجرة، وتحذير بني آدم من قبول وسوسته، والأمر باتخاذ الرينة، وستر العورة في وقت الصلاة، والرّد على المكذّبين، وتحريم الفواحش ظاهراً وباطناً، وبيان مذلّة الكفّار في النّار، ومناظرة بعضهم بعضاً، وبأسهم من دخول الجنة، وذكر المناوذي بين الجنة والنّار، ونداء أصحاب الأعراف لِكلا الفريقين وتمنيهم الرجوع إلى الدّنيا، وحُجّة التوحيد، والبرهان على ذات الله تعالى وصفاته، وقصة نوح =

فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حَيْنٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُنْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيَّ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَمَآ أَنَّهُ يَدْرِكُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْرِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَفِي الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَالْأَنَامُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُخَوِّفُهُمْ قَالُوا بَلْ أَتَيْنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا أَضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

(١٥٤)

٣١- ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾: يعني: البسوا الثياب الساترة. والآية تدل على وجوب ستر العورة في الصلاة ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: عند كل موضع سجود. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: مما أحل لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: تتجاوزوا حدود ما أحل لكم، وما حرم عليكم. ٣٢- ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾: ما خلق لعباده ليتجملوا به، ويتزينوا بلباسه. ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: الحلال من رزق الله، وقال الإمام الشافعي: هي المستلذات. ﴿هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: لا يشركهم فيها كافر، لأن الكافر يشركهم فيها في الدنيا. ٣٣- ﴿الْفَوَاحِشِ﴾: القبائح والمعاصي ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ﴾: سرها وجهرها ﴿وَالْأَنَامُ﴾: العصية ﴿وَالْبَغْيُ﴾: الاستطالة على الناس ﴿مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا﴾: حجة وبرهاناً ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾: أن تقولوا: إنه أمركم بما لم يأمر. ٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله ﴿أَجَلٌ﴾: وقت لحلول العقاب بهم، والأولى أن تحمل الآية على ما هو أعم من هذا التفسير، فللشعوب والأقوام آجال كما للأفراد، والله أعلم. ٣٥- ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: أي: يجيئكم. ٣٦- ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب عليهم في اللوح المحفوظ من العذاب. وقيل: ينالهم نصيبهم مما كتب الله تعالى لهم من خير وشر ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ﴾: يعني: الكفار ﴿رُسُلَنَا﴾: ملك الموت وجنده ﴿صَلُّوا عَنَّا﴾: تركونا وأخذوا غير طريقنا ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: كانوا كافرين بالله مشركين. ٣٧- قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية. روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة، وعلى فرجها خرقة، وهي تقول: (اليوم يبدو بعضه أو كله *** وما بدا منه فلا أحله) فنزلت: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ الآيتين.

٣٤ ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ما الفرق بين (تَأَخَّرَ، اسْتَأْخَرَ)؟ **الجواب**: وردت كلمة (تَأَخَّرَ) مرتين في القرآن بصيغة الماضي. وجاءت مرة واحدة بصيغة المضارع، في قوله تعالى: ﴿لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]. ووردت كلمة (تَسْتَأْخِرُونَ) للمخاطب مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وللغائب خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤]. (يَتَأَخَّرُونَ) معناها أنهم هم يفعلون التأخر بإرادتهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: ومن فعل التأخير بإرادته. ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. أما (يَسْتَأْخِرُونَ) فمعناها أن عدم التأخر ليس بإرادتهم، وإنما يكون خارجاً عن إرادتهم؛ أي هو بإرادة الله، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يسمح لهم الحق -تعالى- بالتأخر ولا بالتقدم، ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. كما أن (تَأَخَّرَ) منسجمة موسيقياً مع سياقها... و(استأخَرَ) كانت كذلك مع سياقها. (تَأَخَّرَ) في آية البقرة تجاوزت مع (تعجل) من حيث الوزن... و(يَتَأَخَّرَ) في المدثر تجاوزت مع (يتقدم). و(يَسْتَأْخِرُونَ) في سبأ تجاوزت (السين) فيها مع (السين) في (ساعة) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. والمد في (تَسْتَأْخِرُونَ) تجاوزت مع المد في (ميعاد). [٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

فأنت ترى أن الشيطان نزع عن أبويها اللباس في الجنة، وهو في هذه الدار حريص على أن يفتننا للتعرى من اللباس الظاهر والباطن، ولا يرضى في الآخرة إلا بأن تنسربل من سراويل جهنم أعادنا الله منها، وأن يكون لنا منها مهاد وغواش نسال الله العافية. ٣٢ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً﴾ بالرفع خبر هي، و(للذين آمنوا) متعلق بـ (خالصة) وجعلها الفاضي خبراً بعد خبر، والمعنى: قل الطيبات والزينة خالصة للمؤمنين في الآخرة، فأما في الدنيا فقد شاركهم فيها الكفار. وقرئ: ﴿خَالِصَةً﴾ بالنصب على الحال من الضمير المستقر في الظرف، وهو - أعنى الظرف - خبر المبتدأ، والتقدير: قل هي ثابتة أو مستقرة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة. = الجسم عليه أن يؤدي عمله المستمر الذي لا ينقطع، ولا شك أن القلب الذي يقوم بالخدمة لجسم يزن ثمانية كيلو جرامات أقل إجهاداً وإرهاقاً من مثيله الذي يخدم جسماً يزن مائة كيلو جرام، وكلنا يعلم أن الساقية التي تقوم برّي ثلاثين فداناً أكثر جهداً وتبلى أسرع من أخت لها تقوم بخدمة عشرة فدادين فقط، ويُعبر عن الأخيرة بالساقية المرتاحة، فما بال الإنسان لا يُريح قلبه فيخفف عنه العبء الملقى على عاتقه بأن يخفف عنه وزنه، ويضبط أكله وشربه من غير ما تفريط ولا إفراط، ولا إسراف في الطعام ولا الشراب. وليت الأمر يقف على القلب وحده، ولكن الجهد والإرهاق يصيب باقي أجهزة الجسم. فالكلّي والبنكرياس في جسم يزيد على المائة كيلو جرام مثلاً تحمل حملاً ثقيلاً عليها، وكلما خفف الحمل ضمن الجسم السلامة أطول مدة ممكنة. من أخطار السمّة: يقول الدكتور/ محمد زكي شافعي زميل معهد الصحة العالمية بلندن: إن من أخطار السمّة تهيئة الجسم للأمراض المعدية والحادة، والإنذار السيئ للعمليات الجراحية، وكذلك لالتهاب الحوصلة المرارية وحصواتها، والتهاب المفاصل ودوالي الأطراف، وارتشاح عضلات القلب، والنزلة الشعبية المزمنة والذبحة الصدرية. والتوقّي من السمّة أول ما يلزم المستعدين لها، القابلة أجسامهم لها، وذلك بالإقلال من الطعام وعدم الإسراف فيه كما أمر بذلك الله الخالق... ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. قال جلّ وعلا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. فهل أن لنا نعود لرَبنا بطاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى؟! وأخيراً... نصيحة... قال الدكتور/ جورج صبحي في محاضراته في علم الأمراض الباطنة: إنه يجب على المطبخ المصري الذي ورثناه أن يتطهر من السمّة والدهنيات والمواد الحريفة وزيادة الوجبة، مما يفتك بالمعدة ويهدد كيان الكبد ويصلب الشرايين، ويفني القلب.

٣٣ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَفِي الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَالْأَنَامُ وَالْبَغْيُ﴾ **إعجاز عددي**: ذكر لفظ (البغي) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر لفظ (البغي)، وقد ورد كل (٢٤) مرة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

= والطوفان، وذكر هود وهلاك عاد، وحديث صالح وقهر ثمود، وخبر لوط وقومه، وخبر شعيب وأهل مدين، وتخويف الآمنين من مكر الله، وتفصيل أحوال موسى وفرعون والسحرة، واستغاثة بني إسرائيل، وذكر الآيات المفصلات، وحديث خلافة هارون، وميقات موسى، وقصة عجل السامري في غيبة موسى، ورجوع موسى إلى قومه، ومخاطبته لأخيه هارون، وذكر النبي الأمي العربي ﷺ، والإشارة إلى ذكر الأسباط، وقصة أصحاب السبب، وأهل أيلة، وذم علماء أهل =

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارَ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَئِنْ أَفَاضَ اللَّهُ بِكُمْ مَاءً وَكُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

(١٥٦)

٤٤- ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارَ﴾: هذا النداء تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب. ٤٥- ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الله ﴿عِوَجًا﴾: ميلاً. ٤٦- ﴿وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ﴾: بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا لِّمَن بَابُ﴾ [سورة الحديد: ٣١] ﴿الْأَعْرَافِ﴾: تل أو مكان مرتفع بين الجنة والنار، يُحبس عليه ناس من أهل الذنوب قصرت بهم ذنوبهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فهم كذلك حتى ينفذ الله فيهم أمره. وجاء في ذلك اختلاف كثير. فقد قيل إن أهل الأعراف: هم أهل الدرجات العليا في الجنة. وقيل: هم ملائكة يرون في صورة الرجال. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾: يعرف هؤلاء الرجال أهل الجنة بسيماهم؛ من بياض وجوههم، ونضرة النعيم، ويعرف أهل النار، بسواد وجوههم وزرقة عيونهم، ويسلمون على أهل الجنة وهم يطعمون في دخولها. ٤٧- ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾: يعني: أصحاب الأعراف. ٤٨- ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ﴾: من أهل النار ﴿بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: ما: مصدرية، أي: وما أغنى عنكم استكباركم. وهذا من كلام أصحاب الأعراف أي قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقالة. وقيل: هكذا قول الملائكة للجبابرة من أهل النار. ٤٩- ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: يعني: أصحاب الأعراف. ٥٠- ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾: أوسعونا، والإفاضة: التوسعة. ٥١- ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾: نتركهم ونؤخرهم ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: بمعنى: وكما كانوا بآياتنا يجهلون. ٤٤ ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ويقول الأشهد هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. زاد في آية هود ضمير الفصل ولم يزد في الأولى، فلماذا؟ **الجواب**: أن ابتداء الإخبار في الأعراف بحال هؤلاء الملعونين في الآيتين هو قوله تعالى في الأولى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وابتداء الإخبار عنهم في سورة هود ورود الظاهر في موضع المضمرة من قوله: ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل "عليهم"، فناسب زيادة ضمير الفصل، وفي آية الأعراف إيجاز ناسبه سقوطه، ولو لم يكن ما بين "أن" و"ألا" فإن ذلك مراعى فيما قصدناه ف"أن" أوجز من "ألا" و"أن" هنا حرف وتفسير، وهي كالواردة في قوله: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُقِذُ بِهَا عَنْكُمْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وفي قوله: ﴿وَنُطْلَقُ إِلَىٰ مِثْلُ مَنَاسِبِ الْأَشْيَاءِ وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، وتقع بعد ما يرد به القول، وليس بلفظه، وتفسر بـ"أي"، وأما "ألا" فاستفتاح، وجاء كل من الموضعين على ما يجب ويناسب. ٤٥ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥]، ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ ما في سورة الأعراف جاء على القياس، وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدّم "بالآخرة" تصحيحاً لفواصل الآية، وفي هود لما تقدّم ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، ثم قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ولم يقل "عليهم" - والقياس ذلك - التبس أنهم هم أم غيرهم، فكرر وقال: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾، ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم. قول آخر: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ بهود اختصت بزيادة ضمير التوكيد الذي يفيد التقوية، لأن المقام هنا تسجيل إنكارهم البعث وتقديره، إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب، فحكي به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أدخلوا النار وظهر عقابهم، فلا غرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلتا المقاليتين واقع، وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة لمقام الحكاية. ٥١ ﴿قَدِمَ اللَّهُ عَلَى اللَّعِبِ﴾ [الأعراف: ٥١]، العنكيوت: ٦٤ ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع قدم "اللعب على الله" [الأنعام: ٣٢، ٧٠، محمد: ٣٦، الحديد: ٢٠]. قدم اللعب في أكثر المواضع، لأن اللعب زمانه الصبا، واللغو زمانه الشباب، وزمان الصبا مقدّم على زمان الشباب، يُبينه ما ذكر في الحديد: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ [الحديد: ٢٠] كلعب الصبيان، ﴿وَهُوَ﴾ كلعو الشبان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ كتفاخر الإخوان، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر السُلطان، وقريب من هذا في تقديم لفظ اللعب على الله قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لَعَجِينٌ﴾ [١٦] لَوَ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧]، وقدم الله في الأعراف، لأن ذلك في القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحاليتين، أما العنكيوت فالمراد بذكرها زمان الدنيا، وأنه سريع الانقضاء، قليل البقاء، ﴿وَلَا تَدَارُ الْآخِرَةُ لِهَيْ أَلْحَوَانٌ﴾، أي: الحياة التي لا أمد لها، ولا نهاية لأبدها، فبدأ بذكر الله لأنه في زمان الشباب، وهو أكثر من زمان اللعب، أي: زمان الصبا. ٤٨ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ [الأعراف: ٤٨]. ما الفرق بين "عرف وعلم"؟ **الجواب**: في اللغة: لا تكاد تحسّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلم يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علماً بالمعلوم، كلياً وجزئياً)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلم لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهل. ٣- العلم لا يكون عن تفكير وتدبر، والمعرفة لابد فيها من التفكير والتدبر. **منهج القرآن في ذكر الصيغتين**: أولاً: (علم): ١- كثيرة ورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشقاتها، ترد وصفاً لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانياً: (عرف): ١- ذكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذكرت في القرآن وصفاً لفعل المخلوق، ولم ترد وصفاً لفعل الخالق قط. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدراً من المعرفة. ٤٤ ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ هنا والأعراف: ١١٤، الشعراء: ٤٢، الصافات: ١٨، قرئ: (نعم) بكسر العين. وقرئ: (نعم) بفتح العين، وهما لغتان. قوله تعالى: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ قرئ: (أن لعنة) بإسكان النون مخففة ورفع لعنة على أن (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، و(لعنة) مبتدأ، والظرف بعده خبره، والجملة خبر أن، وقرئ: (أن لعنة) بتشديد النون ونصب (لعنة)، وفتحت (إن) لوقوع الفعل عليه، أي: بأن، ولعنة اسمها والظرف خبرها. = القرآن، وخطبة الخطباء يوم الجمعة، والإخبار عن خضوع الملائكة في الملكوت، وانقيادهم بحضرة الجلال في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. **فضل سورة الأعراف**: قال رسول الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رواه أحمد وغيره وصححه =

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا هَدْيٌ مِّن قَبْلُ قَدْ جَاءَ رُسُلُ آبَائِنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَّنَا
 مِن شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٥٣﴾
 قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٤﴾
 إِنَّا نَبِّئُكُمْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
 وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
 وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَنسُوا فِي
 الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
 اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
 الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا
 ثِقَالًا لَّسْقَنَهُ لِيلًا مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَاهُ لَمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ أَلَمَّا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

١٥٨

٥٨- ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: الطيبة تربته، العذبة مشاربه ﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾: الذي تربته رديئة، ومشاربه مالحة: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: عسراً في شدة. وهذا مثل ضربه الله في المؤمن والكافر. ٦٠- ﴿قَالَ أَلَمَّا﴾: أشرف القوم ورؤسائهم، وقيل: الملاء: الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم. ﴿فِي صَلَاتٍ﴾: باطل. ٦٣- ﴿ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: وحي فيه تذكير وموعظة ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾: أي على لسان رجل منكم تعرفونه. ٦٤- ﴿فِي الْفُلْكِ﴾: السفينة ﴿عَمِينَ﴾: عامين عن الحق، أي: أغرقنا المكذبين لكونهم غمّي القلوب، لا تنجع فيهم موعظة تذكير. ٦٥- ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: يقول الله عز وجل؛ ولقد أرسلنا إلى عاد. «أخاهم» أي صاحبهم أو واحداً من قبيلتهم. ٦٦- ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾: ضلالة عن الحق، وأصل معنى السفاهة: الخفة والحق. ٦٧- ﴿رَسُولٌ﴾: أمين على وحي الله.

[٥٧] ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا فَأَلَّا سَفْنَةً لِبَدٍ مِثَّتْ فَأَرْسَلْنَا بِهِ أَلَمًا فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسَفْنَةً إِلَى بَدٍ مِثَّتْ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. الفارق بين الموضوعين هو أن قوله تعالى في الأعراف: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا فَأَلَّا سَفْنَةً لِبَدٍ مِثَّتْ﴾ كلام يستدعي جواباً وليس مما يجاب بالفاء، وإنما جواب مثل ذلك يكون الفعل فيه مجرداً من الفاء، وغيرها، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، فالجواب هنا قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، أمّا قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسَفْنَةً إِلَى بَدٍ مِثَّتْ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فكلام معطوف بعضه على بعض بالفاء المقترضة الترتيب والتعقيب، ليطابق اللفظ ما تحته من المعنى، فلزمت الفاء هنا لبيان معناها، ولما استدعى لفظ ﴿سَفْنَةً﴾ المكان المسوق إليه، وإنما يصل إليه بلام الجر أو بلى - فقيل: ﴿لِبَدٍ﴾ ليناسب المجرور فعله في الوجازة، بينما طال الفعل في الآية الأخرى فناسبه تعديته بلى إسهاباً.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف: ٥٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [هود: ٢٥، المؤمنون: ٢٣، العنكبوت: ١٤، الحديد: ٢٦]. في الأعراف بغير واو، وفي هود والمؤمنون بالواو، لأنه لم يتقدم في سورة الأعراف ذكر رسول فيكون هذا عطفاً عليه، بل هو استئناف كلام. وفي هود تقدم ذكر الرُّسل مرات، وفي المؤمنون تقدم ذكر نوح ضمناً، لقوله: ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢]، لأنه أول من صنع الفلك، فعطف في السورتين بالواو. [٦٠] ﴿قَالَ أَلَمَّا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ أَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٦٦]. في قصة نوح يحذف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وسبب هذا الحذف في قصته عليه السلام هو أن في دعائه عليه السلام ما يفيد أنهم على الكفر والضلال، يقول تعالى على لسان نبيه نوح: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فاكتمى بذلك عن ذكر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مما يقتضيه الإيجاز، أمّا دعاء هود عليه السلام فلم يقع فيه ما وقع في دعاء نوح عليه السلام؛ لأنه قال في دعائه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٦٢، ٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]. الضلال فعل يتجدد بترك الصواب إلى ضده، ويمكن تركه في الحال، فقابله بفعل يناسبه في المعنى، فقال: ﴿وَأَنْصَحُ﴾، والسفاهة صفة لازمة لصاحبها فقابله بصفة في المعنى فقال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ [٦٤]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]. "أنجيناً" و"نجيناً" للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس قوله: ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾، ولفظ ﴿مَنْ﴾ يقع على أكثر مما يقع عليه ﴿الَّذِينَ﴾، لأن ﴿مَنْ﴾ يصلح للواحد والاثنتين والجماعة والمذكر والمؤنث بخلاف الذين، فإنه لجمع الذكور فحسب، فكان التشديد مع ﴿مَنْ﴾ أنسب، أمّا زيادة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ [يونس: ١٣]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وقوم نوح عليه السلام أول أمة أهلكت بتكذيبها، ثم خلفها غيرها، فذكر المتقدم مجعلاً، وأنهم جُعِلُوا خلائف كما جرى فيمن بعدهم. [٦٥] ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [هود: ٥٠]. الآيتان تبيان أن الله قد أرسل إلى قبيلة عاد أخاهم هوداً فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تدعوهم إلى تقوى الله عز وجل، وأمّا آية هود فتبين أنهم كاذبون في إشراكهم بالله. [٦٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ **الجواب:** وردت كلمة (ضلال) سبعاً وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضَلَّ يَضِلُّ ضَلَالًا وَضَلَالَةً). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضَلَّلَ يَضِلُّلُ تَضْلِيلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثاً وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة (في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلاً: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١].

= ورُسُل، وكتاب وكُتِب، وقرئ: (نُشِرًا) بضم النون والشين جمع ناشر كنازل ونَزَّل، وشارف وشُرِف، فجعل الريح ناشرة للأرض، أي: محية لها إذ تأتي بالمطر الذي يكون النبات به. [٥٨] ﴿وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَكِدًا﴾ بفتح الكاف، على أنه مصدر بمعنى ذا نكد. وقرئ: (نَكِدًا) بكسر الكاف، على الحال. والنكد على شيء الخروج إلى طلبه بتعسر. [٥٩] ﴿مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾ في مواضع القرآن قرئ: (غيره) بخفض الراء وكسر =

٦٩- ﴿خُلَفَاءَ﴾: خلفتم قوم نوح في الأرض ﴿بِضَلَّةٍ﴾: طولاً وعظماً وقوة ﴿ءَالَاءَ اللَّهِ﴾: نعم الله. ٧٠- ﴿وَنَذَرَ﴾: ترك. ﴿فَأَنبَأَ بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: هذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يعدهم به لشدة تمردهم على الله تعالى. ٧١- ﴿رَجَسَ﴾: عذاب وسخط، و«الرجس» و«الرجز» بمعنى واحد. ﴿أَتَجِدُ لُنُوفِي﴾: أناخصموني؟ ﴿فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾: أصنام لا تضر ولا تنفع. أي أنهم يخاصمونهم في أن تسمى آلهة، فالجلد إنما وقع في التسميات لا في المسميات. لكنه ورد في القرآن الكريم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [يوسف: ٤٠]. فهنا لا يريد إلا ذوات الأصنام، فالاسم يراد به المسمى نفسه. ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة ولا معذرة تعتذرون بها ﴿فَانظُرُوا﴾: حكم الله في، وفيكم. فعذاب الله واقع بكم لا محالة. ٧٢- ﴿وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾: استأصلناهم. فلم يبق منهم أحد يخلفهم. ٧٣- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾: أي معجزة ظاهرة وهي إخراج الناقة من الحجر الصلد. وفي إضافة الناقة إلى الله تعالى تشريف لها وتكريم. ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ﴾: بعقر ولا نحر.

[٧١] ﴿أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: ٧١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠، النجم: ٢٣]. "أفعل" للتعدي، و"فعل" للتعدي والتكثير، فذكر في الموضع الأول بلفظ المبالغة ليجري مجرى ذكر الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع، فيكون الأول كالجنس وما سواه كالنوع. قول آخر: "نزل" تفيد التدرج والتكرار، و"أنزل" عامة، لكن الذي يبدو أن الفرق بين "نزل" و"أنزل" أن "نزل" تفيد الاهتمام، نظير وصى وأوصى، وكرم وأكرم، ففي المواطن التي فيها تأكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ"نزل"، والتي دونها يأتي بـ"أنزل"، ففي آية سورة يوسف لم يرد عليه السجينان وليس فيها تهديد، فقال: "أنزل"، أمّا الموقف في آية سورة الأعراف ففيه محاورة شديدة

وتهديد، وكلام عنيف من أولئك، كيف تأمرنا أن نترك آلهتنا ونعبد الله فقال: "نزل"، إذا "نزل" أكد وأقوى في مواطن الاهتمام وأشد من أنزل. [٧٣] ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكْفُورُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكْفُورُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ [هود: ٦١]، الآيتان تبيان أن الله قد أرسل إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تبين أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوكم إليه... وآية هود تبين أن الله هو الذي بدأ خلقهم من الأرض بخلق أبيهم آدم منها... [٧٣] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِذَا جَاءَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِذَا جَاءَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِذَا جَاءَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابُ إِلِيمٍ﴾، وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابُ قَرِيبٍ﴾، وزاد في الشعراء ذكر اليوم، لأن قلبه: ﴿هَذَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. [٧٤] ﴿وَنُجِثُونَ إِلَى الْجِبَالِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الأعراف: ٧٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الحجر: ٨٢، الشعراء: ١٤٩]. لأن ما في هذه السورة تقدّمه: ﴿مِنَ سُوءِهَا فَصُورًا﴾ فاكتمل بذلك. [٧٨] ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١، العنكبوت: ٣٧] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾ [الحجر: ٧٣، ٨٣، المؤمنون: ٤١]. ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾، أي: الزلزلة الشديدة، وأمّا ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾، أي: صيحة جبريل عليه السلام التي أهلكتهم. [٧٩] ﴿أَتَبْلُغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿رَسُولَ رَبِّي﴾: قوله تعالى: ﴿رَسُولَ رَبِّي﴾ في جميع قصص الأنبياء إلا في قصة صالح؛ فإن فيها ﴿رَسُولَ﴾ على الواحدة؛ لأنه سبحانه حكى عنهم بعد الإيمان بالله والتقوى أشياء أمروا بها إلا في قصة صالح؛ فإن فيها ذكر الناقة فقط، فصار كأنه رسالة واحدة.

[٦٦] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّكُم لَنُرِيدُكُمُ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكُم مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٦٦] ﴿قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦ - ٦٧]. ما الفرق بين: "سَفَاهَةً" و"سَفَاهًا". وردت كلمة (سَفَاهًا) مرة واحدة بسورة الأنعام. بينما وردت صيغة (سَفَاهَةً) مرتين بسورة الأعراف. (السفه) من الفعل المكسور العين (سَفِهَ) بينما (السفاهة) من الفعل المضموم العين (سَفِهَ). والفرق بين المصدرين أن (السفاهة) مصدر يدل على الثبات والرسوخ، أما (السفه) فمصدر يدل على التغير. أي أن (السفه) يدل على أن صاحبه قد وقع في (السفه) إلى حين ثم قد يعود عنه. بينما (السفاهة) حالة مزمنة دائمة لازمة. [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِننَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]. من ثمرات وفوائد الصدق: ١- الصدق دليل على الإيثار والتقوى. ٢- الصدق يؤدي إلى الخير وحسن العاقبة. ٣- الصدق دليل على البراءة من النفاق، قال الإمام ابن القيم: «الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر». ٤- الصدق يؤدي إلى الجنة وينجي من النار. ٥- الصدق سبب لنيل مرتبة الصديقية التي تلي مرتبة النبوة. ٦- الصدق ينجي صاحبه من أهوال يوم القيامة. ٧- الصدق يورث الطمأنينة والراحة النفسية. ٨- الصدق يورث منازل الشهداء. ٩- الصدق يورث محبة الله تعالى، فمن أراد أن يكون الله معه ويحبه فليلتزم الصدق. ١٠- الصدق يورث البركة في كل شيء. ١١- الصدق سبب في شرف القدر وعلو المنزلة. ١٢- الصدق سبب لطيب العيش. ١٣- الصدق سبب لعزة النفس.

=الهاء بعدها على النعت أو البدل من (إله) لفظاً، وقرئ: (غيره) برفع الراء وضم الهاء على النعت أو البدل من موضع (إله) لأن (من) مزيدة فيه، وموضوعه رفع إما بالابتداء أو الفاعلية. [٦٢] ﴿أَتَبْلُغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَتَبْلُغْتُمْ﴾ في الأعراف: ٦٢، ٦٨، الأحقاف: ٢٣، قرئ: (أَبْلُغْتُمْ) بسكون الباء وتخفيف اللام في الثلاثة من أبلغ. وقرئ: (أَبْلُغْتُمْ) بفتح الباء وتشديد اللام، من بلغ.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ﴾ [إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضاً في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كل (١٠) مرات في كتاب الله تعالى.

أَتَبْلُغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا لَآلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِننَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَصَبْتُمْ أَتَجِدُ لُنُوفِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَنَظَرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَظَرِّينَ ﴿٧١﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَأَلْزَمْنَاهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكْفُورُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِذَا جَاءَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ ﴿٧٣﴾

٨٢- ﴿أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ﴾: يتنزهون عما فعله. ٨٣- ﴿مِنَ الْفَرِيقَيْنِ﴾: من الباقيين الهالكين. ٨٤- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: أمطرنا عليهم مطراً من حجارة من سجيل. ٨٥- ﴿مَدِينٍ﴾: اسم قبيلة وقيل: اسم بلد ﴿وَلَا يَخْشَوُا النَّاسَ﴾: تظلموهم وتقصوهم أشياءهم وحقوقهم. ويكون هذا بالتعيب للسلعة أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وغير ذلك.. ٨٦- ﴿وَلَا تَفْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾: تهددون بالقتل من قصد شعيباً عليه السلام ممن يريد الإيمان، وتقولون إنه كذاب. ﴿وَتَسْبُغُونَهَا﴾: تلتمسونها لمن سلك سبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ عن الحق والقصد. والمعنى: أنهم يطلبون لسبيل الله أن تكون معوجة غير مستقيمة. ٨٧- ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة منكم ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾: هذا من باب التهديد والوعيد الشديد لهم، وليس هو من باب الأمر بالصبر على الكفر. وحكم الله بين الفريقين هو نصر المحقين على المبطلين. [٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٨٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [النمل: ٥٦، العنكبوت: ٢٤، ٢٩]. لأن ما قبله اسم، والفاء للتعقيب، والتعقيب يكون مع الأفعال، فقال في النمل ﴿تَجْهَلُونَ﴾ ﴿فَمَا كَانَتْ﴾ [النمل: ٥٥-٥٦]، وكذلك في العنكبوت ﴿وَتَأْتُونَ فِي كَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وفي هذه السورة ﴿مُسْرِفُونَ﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ﴾ [الأعراف: ٨١-٨٢].

[٨٢] ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦]. ما في آية سورة الأعراف كناية فسرناها ما في السورة التي بعدها، وهي سورة النمل، ويقال: نزلت النمل أولاً، فصرح في الأولى، وكُنِيَ في الثانية. [٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا﴾ [الأعراف: ٨٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣، النمل: ٥٨]. لأن ما في هذه وافق ما بعده وهو قوله: ﴿وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُقْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]. [٨٥] ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ﴾ [هود: ٨٤]. الآيتان تبيان أن الله قد أرسل إلى قبيلة "مدین" أخاهم شعيباً فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تبين أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوههم إليه.. وآية هود تدعوهم ألا ينقصوا الناس حقوقهم في مكابيلهم وموازينهم... [٨٥] ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ﴾ [هود: ٨٥]، ﴿وَلَا تَقْسِدُوا﴾ [أي: بالكفر والظلم بعد إصلاح الأرض بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام، أمّا ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾، أي: ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي. [٨٥] ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١، العنكبوت: ١٦، الصف: ١١، الجمعة: ٩]. أي: ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقي فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله، أمّا ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم. [٨٦] ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، ﴿لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩]. في الأعراف بزيادة "به" و"الواو"، ذلك أن ﴿تَصُدُّونَ﴾ بآل عمران حال، وإذا كان الفعل حالاً لم تدخله الواو، وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون.

= بين: "نَجَى وَأَنْجَى؟" الجواب: وردت كلمة (نَجَى) سبعاً وثلاثين مرة، بينما وردت كلمة (أَنْجَى) عشرين مرة. يرجع الفرق بين (نَجَى) و(أَنْجَى) إلى سببين: ١- أن التشديد في كلمة (نَجَى) يدل على الكثرة والمبالغة (أي التوكيد) مثال: قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]. فهذا الموضع لا يستدعي توكيداً، فالإخبار هنا عن إنجاء الله تعالى للوط وأهله، عندما عزم قومه على إخراجهم وأهله من قريتهم، فهو إخبار عام لا يلزمه التوكيد. أما في سورة العنكبوت: ﴿لَنُنْجِيَنَّه وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. فهنا أتى التعبير طمأنة وتطميناً لإبراهيم عليه السلام (الذي خاف) عندما أخبرته الملائكة أنهم مرسلون لإهلاك قرية قوم لوط فجاء التعبير لهذا مؤكداً باللام والتشديد في كلمة (لننجينه). ٢- تأتي (أحياناً) كلمة (نَجَى) مسبوقة أو متبوعة بكلمات مشددة مثلها. مثال: في سورة فصلت [الآية ١٨] سُبِقَتْ كلمة (نَجَى) بكلمات (فُصِّلَتْ - زَيَّنَا) وبعدها (فزيّنوا). - كما تأتي (أحياناً) كلمة (أَنْجَى) مسبوقة أو متبوعة بأفعال متعدية بالألف، مثال: في سورة النمل [الآية ٥٧] أُتْبِعَتْ كلمة (أَنْجَى) بالأفعال (أمطرنَا - أنزل - أنبتنا). إلا أن السبب الثاني (الذي نحن بصددده) ليس مطرداً في القرآن كله؛ لذا يمكن الاستئناس به في بعض ألوان السياق لا في كل ألوان السياق.

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]. تعريف الكبر: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالاتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدماً عليهم حريصاً جداً أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظاً بصدر المجلس مستقلاً به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصغير الخد، والنظر شزراً، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغته كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبخيره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى = [٨٥] ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [إعجاز عددي]: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاتها) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد).

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَفْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُقْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٩٦- ﴿بَرَكَتٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: الأمطار، ومن ﴿وَالْأَرْضِ﴾: نباتها وثمارها. وما في بطنها، والمعنى: يسرنا لهم خير السماء والأرض فحازوا منهما الخير الوفير. ٩٧- ﴿بِأَسْنَا﴾: غذائنا ﴿بَيْتًا﴾: ليلاً. ٩٨- ﴿ضَحَى﴾: نهاراً. ٩٩-: ﴿مَكْرًا لِلَّهِ﴾: استدراج الله عز وجل لهم بالنعم ﴿الْخَيْرُونَ﴾: الهالكون. ١٠٠- ﴿أُولَئِكَ يَهْدِي﴾: يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ﴾: الذين خلفوا الأُمم في الأرض ﴿وَنَطِيعٌ﴾: عطف على «أصبنا»، ويحتمل أن يكون منقطعاً؛ إخباراً عن وقوع الطبع لا أنه متوَعَد به. قاله ابن عطية رحمه الله. ومعنى: نطيع: نختم. ١٠١- ﴿نَقْصٌ﴾: تخبرك عنها وعن أهلها ﴿فَمَا كَانُوا لِلْيَوْمِ نَاقَةً﴾: عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخذهم من صلب آدم عليه السلام. ١٠٢- ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾: يعني: أهل هذه القرى ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾: من وفاء ما وصاهم به من توحيده واتباع رسوله. ١٠٣- ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: فكفروا بها. وقيل: فظلموا أنفسهم فيها وبسببها، وظلموا أيضاً مظهرها ومتبعي مظهرها. و(الآيات) عام في التسع وغيرها. والمراد بالآيات التسع: المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [المائدة: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [الأعراف: ٩٦]. آية المائدة في سياق الكلام عن أهل الكتاب، أمّا آية الأعراف فعامّة بعد أن ذكرت قصص عدد من الأنبياء مع أقوامهم، وبعد أن قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، فناسبها قوله بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾. [١٠١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ [المائدة: ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٠١]. إذا كانت الآية تتحدث عن الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: "رسلنا"، وإذا كان الكلام يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: "رسلهم"، فالآية في سورة المائدة جاءت عن الله تعالى وذكر فيها الأحكام، وأمّا آية الأعراف فتتكلّم عن موقف القوم من الرسل، وأنه كان عليهم أن يتفعّلوا بالرسول. [١٠١] ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]، ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهٖ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤]. أول القصة في سورة الأعراف ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي الآية ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ وليس بعدها الباء، فحتم القصة بمثل ما بدأ به، فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، وكذلك في سورة يونس وافق ما قبله وهو: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ﴾ [يونس: ٧٣]، ثم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، فحتم بمثل ذلك، فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهٖ مِنْ قَبْلُ﴾. وذهب بعض أهل العلم إلى أن ما في حق العقلاء من التكذيب بغير الباء؛ نحو قوله: "كذبوا رسلنا"، و"كذبوه"، وغيره؛ وما في حق غيرهم بالباء؛ نحو كذبوا بآياتنا وغيرها. وعند المحققين تقديره: فكذبوا رسلنا برّد آياتنا، حيث وقع. وأمّا ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، وفي يونس ﴿نَطْبَعُ﴾ بالنون؛ لأنه قد تقدّم في سورة الأعراف ذكر الله سبحانه بالتصريح والكناية، فجمع بينهما فقال: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] بالنون، وختم الآية بالتصريح فقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، وأمّا في يونس فمبني على ما قبله من قوله: ﴿فَجَبَّيْنَاهُ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ [يونس: ٧٤]، بلفظ الجمع، فحتم بمثله، فقال: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾. = تَمَسَّسَهُ نَارٌ [النور: ٣٥]، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [٧٨] لَأَيِّمُسَّهُ إِلَّا الْمَطْهَرُونَ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩]. ٢- ثلاثة مواضع أخرى كناية عن مباشرة النساء، هي: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ٣- تسعة مواضع جاء فيها المس مجازاً بمعنى (الإصابة) وهي: ﴿مَسَّ آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانُ أَنْفُسَهُ﴾ [يونس: ١٢]، ﴿مَسَّيَ الْكَبِيرِ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿مَسَّيَ الشَّيْطَانِ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَلَا تَمْسُوهُا بِسُوءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ] [المائدة: ٦]، ﴿رُدُّوهُا عَلَى فُطُوفٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]. [٩٦] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٩٦]. بعض آثار الكذب: ١- الكذب وسيلة لدمار صاحبه أمّا وأفراداً. ٢- الكذب سراب يقرب البعيد ويبعد القريب. ٣- الكذب يذهب المروءة والجمال والبهاء. ٤- الكاذب مهان ذليل. ٥- الأُمم التي كذبت الرسل لاقت مصيرها من الدمار والهلاك. ٦- يورث فساد الدين والدنيا. ٧- دليل على خسة النفس ودناءتها. ٨- احتقار الناس له وبعدهم عنه. ٩- الكذاب لص؛ لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. ١٠- الكذب فجور. ١١- الكذاب لا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه. ١٢- الكذاب لا يفلح أبداً. ١٣- الكذب من علامات النفاق. ١٤- الكذاب توعد الله بهجته. ١٥- إحداث الريبة عند الإنسان. ١٦- محق البركة في البيع والشراء. ١٧- انعدام الثقة بين الناس. ١٨- آثاره على الجوارح: أول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها، كما أفسد على اللسان قوله؛ فيعم الكذب أقواله وأفعاله فيستحكم عليه الفساد ويتراعى به داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن منشؤه الكذب. ١٩- ومن آثار الكذب في الآخرة سواد الوجه. ٢٠- الكذاب يكتب عند الله سبحانه وتعالى كذاباً. الأسباب التي تعين على ترك الكذب، منها: ١- معرفة الكاذب لحرمة الكذب وشدة عقابه، وتذكر ذلك مع كل حديث وفي كل مجلس. ٢- تعويد النفس على تحمل المسؤولية وقول الحق حتى وإن كان هناك نقص ظاهري يراه، فإن الخير =

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أُولَئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُفِرُّونَ فِي رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(١٦٣)

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظِيرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغَلَبُوا
هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾

(١٦٤)

١٠٥ - ﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾: بمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول. ومعنى «حقيق»: حريص. وقيل: جدير
وخليق. ١٠٧ - ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: تبين لمن رآها أنها حية تسعى، و«الثعبان»: الذكر من الحيات.
١٠٨ - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾: فإذا هي أشد بياضاً من اللبن، وكان
موسى عليه السلام رجلاً آدم: أسمر اللون، وفي طه أضاف: ﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ [طه: ٢٢] أي: من
غير برص. ١١٠ - ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون. وهو من كلام الملأ بعضهم إلى بعض، وقيل: هو من كلام
فرعون لهم. ١١١ - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾: أخره. وقيل: احبسه. ﴿الْمَدَائِنِ﴾: المدن: جمع مدينة.
﴿حَاشِرِينَ﴾: يحشر السحرة: يجمعهم، وهم الشرط. ١١٣ - ﴿إِنْ كُنَّا لَأَجْرًا﴾: ثواباً. قيل: كان
السحرة خمسة عشر ألفاً. وقيل: اثنا عشر ألفاً! وذكر آخرون أنهم كانوا اثنين وسبعين رجلاً.
١١٦ - ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾: خيلوا لها، وغيروها عن صحة إدراكها بما جاؤوا به من التمويه.
﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: أربعهم ورفقوهم. ١١٧ - ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يكذبون
ويخيلون، حتى ألقى موسى عصاه فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله. ١١٩ - ﴿صَغِيرِينَ﴾:
مقهورين. ١٢٠ - ﴿سَجْدِينَ﴾: لما رأوا عرفوا أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر فخرؤا سجداً،
و١٢١-١٢٢ ﴿قَالُوا أَمَّا رَبُّ الْمَلِئِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

١٠٨-١٠٧ ﴿قَالَ لَقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [١٠٧] ونزع يده فإذا هي بيضاء للنظرين ﴿الأعراف: ١٠٧-١٠٨﴾
١٠٨، الشعراء: ٣٢ - ٣٣]. تكررت هذه الآيات مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي
الأعراف والشعراء، وهي تبين المعجزات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام.
١٠٩ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ
هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: ٣٤]. التقدير في آية الإعراف: قال الملأ من قوم فرعون وفرعون بعضهم
لبعض، فحذف فرعون لاشتغال الملأ من قوم فرعون على اسمه؛ كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾
[الأعراف: ١١١] بلفظ
التوحيد، والملأ هم المقول لهم؛ إذ ليس في الآية مخاطبون بقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] غيرهم. [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]، ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ سِحْرَهُ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥]. آية الأعراف بنيت على الاختصار وليس كذلك آية
الشعراء؛ ولأن لفظ الساحر يدل على السحر. قول آخر: آية الأعراف من كلام الملأ، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدهم في رد أمر موسى عليه
السلام صرح بأنه سحر، ويؤيده: ﴿قَالَ أَجئْنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُ﴾ [طه: ٥٧]، قاصداً بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى عليه السلام.

١١١ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]. الإرسال يفيد معنى البعث، ويتضمن
نوفاً من العلو؛ لأنه يكون من فوق؛ فخصت سورة الأعراف به لما التبس؛ ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره.
١١٢ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]. لأنه راعى ما قبله في سورة الأعراف وهو قوله: ﴿إِنَّ هَذَا
لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وراعى في الشعراء الإمام، أي المصحف الإمام المعتمد رسمه في كتابة المصحف، فإن فيه: ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾، بالألف. وقرئ
في سورة الأعراف ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ أيضاً طلباً للمبالغة، وموافقة لما في الشعراء، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف.
١١٣ ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾
[الشعراء: ٤١]. القياس في سورة الأعراف فلما جاء السحرة فرعون وقالوا، أو فقالوا، لا بد من ذلك. لكن أضمير فيه ﴿فَلَمَّا﴾ فحسُن حذف الفاء، وخص هذه
السورة بإضمار ﴿فَلَمَّا﴾، لأن ما في هذه السورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق. وأما تقديم فرعون وتأخير في الشعراء فلأن التقدير فيهما: فلما
جاء السحرة فرعون قالوا لفرعون، فأظهر الأول في هذه السورة لأنها الأولى، وأضمر الثاني في الشعراء؛ لأنها الثانية.
١١٤ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]. ﴿إِذَا﴾ في سورة الأعراف مضمرة مقدرة؛
لأن "إذا" جزء، ومعناه: إن غلبتم قربتكم ورفعتم منزلتكم، وخص هذه السورة بالإضمار اختصاراً. [١١٥-١١٦] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ
نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥-١١٦]، ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: ٦٥-٦٦]. كل آية من الآيتين
جرت وفق فواصل تلك السورة ورؤوس آياتها، ففي الأعراف: "الغالبين، الملقيين، عظيم، يؤفكون"، وفي طه: "النجوى، المثلى، ألقى، تسعى".

= في الصدق ٣- المحافظة على اللسان ومحاسبته. ٤- استبدال مجالس الكذب وفصول الكلام بمجالس الذكر وحلق العلماء. ٥- أن يعلم الكذاب أنه متصف
بصفة من صفات المنافقين. ٦- أن يستشعر أن الكذب طريق للفجور وأن الصدق يهدي إلى الجنة. ٧- تربية الأطفال تربية إسلامية صحيحة وتعويدهم على الصدق
والظهور بمظهر الصادقين أمامهم. ٨- أن يعلم الكاذب أن ثقة الناس به تزول وهذا من خسران الدنيا والآخرة. ٩- أن يستشعر عظم الضرر الذي سيلحق بالمسلم
من جراء كذبه. [٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. قال الزمخشري: فعلى العاقل أن يكون في خوف من مكر
الله، كالمحارب الذي يخاف من عدوة الكمين والبيات والغيلة... وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت: مالي أرى الناس ينامون، ولا أراك تنام، فقال: يا بنتاه! إن
أباك يخاف البيات، أراد قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْتًا﴾ انتهى.

١١٢ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ قوله تعالى: ﴿سَاحِرٍ﴾ هنا ويونس: ٧٩، قرئ: ﴿سَحَّارٍ﴾ بتشديد الحاء وألف بعدها فيهما على وزن فعال للمبالغة، ففيها
معنى التناهي في علم السحر وقد وصف بعليم. وقرئ: ﴿سَاحِرٍ﴾ بألف بعد السين، وكسر الحاء خفيفة كفاعل؛ لأن اسم الفاعل من سحر ساحر. [١١٧] ﴿فَإِذَا
هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ﴾ هنا وطه: ٦٩، الشعراء: ٤٥، قرئ: ﴿تَلْقَفُ﴾ بسكون اللام وتخفيف القاف في الثلاثة من لقف كعلم يعلم، يقال: لقت
الشيء أخذته بسرعة فأكلته وابتلغته، وقرئ: ﴿تَلْقَفُ﴾ بفتح اللام وتشديد القاف فيهن من تلقف، جعلوه مستقبلاً فهي تلقف، وحذفت إحدى التاءين تخفيفاً.

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١٢٣- ﴿قَبْلَ أَنْ مَادَنَ لَكَ﴾: كَانَ الْإِيمَانُ بِمُوسَى أَوْ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهِ! ﴿لَمَكَرْ مَكْرَتَهُ﴾: أَي حِيلَةٍ تَوَاطَمَتْ فِيهَا مَعَ مُوسَى لِتُخْرِجُوا مِنْ مِصْرَ أَهْلَهَا مِنَ الْقِبْطِ، وَتَسْكُنُوا فِيهَا أَنْتُمْ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ! ١٢٤- ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾: أَنْ يَقْطَعَ مِنْ أَحَدِهِمْ يَدَهُ الْيَمْنَى وَرِجْلَهُ الْيُسْرَى، أَوْ يَدَهُ الْيُسْرَى وَرِجْلَهُ الْيَمْنَى. ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾: قِيلَ: فِرْعَوْنُ أَوَّلُ مَنْ صَلَبَ. وَقَطَعَ الْبِدَ وَالرَّجْلَ مِنْ خَلْفٍ. ١٢٥، ١٢٦- قَالَتِ السَّحْرَةُ: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ فَقَتَلَهُمْ وَقَطَعَهُمْ، وَكَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحْرَةً، وَفِي آخِرِهِ شُهَدَاءُ! قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ فِرْعَوْنَ تَوَعَّدَ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ نَصٌّ عَلَى أَنَّهُ أَنْفَذَ ذَلِكَ وَأَوْقَعَهُ. ١٢٧- ﴿أَنْذَرُ﴾: أَتَرَكَ ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضَكَ، وَهِيَ أَرْضُ مِصْرَ. وَيُؤَلِّبُ عَلَيْكَ عَيْدَكَ وَخَدَمَكَ ﴿وَيَذَرُكَ﴾: يَتْرِكُ عِبَادَتَكَ ﴿وَالْهَيْتَ﴾: مَا كَانَ يَعْبُدُهُ فِرْعَوْنُ. وَقِيلَ: إِنَّمَا أَرَادَ: وَيَتْرِكُ مُوسَى، عِبَادَتَكَ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْيَلُ﴾ [النَّازِعَات: ٢٤]. ١٢٩- ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾: بِرِسَالَةٍ، فَقَتَلَ فِرْعَوْنُ أَوْلَادَهُمْ مِنَ الذَّكَوَرِ، حِينَ أَظْلَمَهُ زَمَنُ مُوسَى، وَتَخَوَّفَ مِنْهُ ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾: حِينَ ذَكَرَ فِرْعَوْنُ بِشَدِيدِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، لَمَّا غَلَبَتْ سِحْرَتُهُ بِسَبَبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ حِينَ تَرَاءَى الْجَمْعَانِ: إِذْ طَلَبَهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالُوا: ﴿إِنَّا لَمَذْرُوكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١، ١٣٠]- ﴿بِالْيَسِينِ﴾: بِالْجُدُوبِ وَالْفُحُوطِ.

[١٢٢-١٢١] ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الأعراف: ١٢١-١٢٢، الشعراء: ٤٧-٤٨]. تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مَرَّتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِنَفْسِ النَّصِّ، فِي سُورَتِي الْأَعْرَافِ وَالشُّعَرَاءِ، وَهِيَ تَبِينُ حَالَ السَّحْرَةِ عِنْدَمَا عَلِمُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. [١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٣] الْوَحِيدَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]. وَزِيَادَةُ فِرْعَوْنَ بِسُورَةِ الْأَعْرَافِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَقْدَمَةٌ عَلَى السُّورَتَيْنِ فَصَّرَحَ فِي الْأَوَّلَى، وَكُنِيَ فِي الْآخِرَتَيْنِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَقَالَ الْخَطِيبُ: لِأَنَّهُ بَعْدَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَنْ ذِكْرِ فِرْعَوْنَ بِآيَاتِ فَصَّرَحَ، وَقُرْبَ فِي السُّورَتَيْنِ ذَكَرَهُ فَكُنِيَ، وَأَمَّا الْبَاءُ فِي ﴿أَمَنْتُمْ بِهِ﴾ وَاللَّامُ فِي ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ﴾، فَالْبَاءُ تَفِيدُ التَّصْدِيقَ، وَاللَّامُ تَفِيدُ الْإِنْقِيَادَ وَالْإِذْعَانَ، وَكُلٌّ مِنَ التَّصْدِيقِ وَالْإِنْقِيَادِ مَعْنِيَانِ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِرْعَوْنُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، فَبَدَأَ بِالْبَاءِ الْمَعْطِيَةِ مَعْنَى التَّصْدِيقِ، وَالضَّمِيرُ فِيهَا "بِهِ" يَعُودُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى هُنَا وَهِيَ أَخْصَصَ بِالْمَقْصُودِ مِنَ اللَّامِ، فَاقْتَضَى التَّرْتِيبُ تَقْدِيمَهَا، ثُمَّ أَعْقَبَ فِي السُّورَتَيْنِ بَعْدَ اللَّامِ، فَالْهَاءُ "لَهُ" تَعُودُ عَلَى مُوسَى، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]، حَتَّى كَأَنَّ قَدَّ قِيلَ لَهُمْ أَصْدَقْتُمُوهُ مُنَادِينَ لَهُ فِي دَعَائِهِ إِيَّاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَحَصَلَ الْمَقْصُودُ عَلَى أَكْمَلِ مَا يُمْكِنُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [١٢٤] ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٤] الْوَحِيدَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ ﴿وَلَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]. "ثُمَّ" تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّلْبَ يَقَعُ بَعْدَ التَّقْطِيعِ، وَإِذَا دَلَّ فِي الْأَوَّلَى، عَلِمَ فِي غَيْرِهَا، وَلِأَنَّ الْوَاوَ تَصْلَحُ لَمَّا تَصْلَحُ لَهُ "ثُمَّ". [١٢٥] ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]، ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٠]. قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الشُّعَرَاءِ بِزِيَادَةِ: ﴿لَا صَبْرَ﴾، لِأَنَّ سُورَةَ الْأَعْرَافِ اخْتَصَرَتْ فِيهَا الْقِصَّةَ، وَأَشْبَعَتْ فِي الشُّعَرَاءِ، وَذَكَرَ فِيهَا أَوَّلَ أَحْوَالِ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ إِلَى آخِرِهَا، فَبَدَأَ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرْيِكْ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨] وَخَتَمَ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٦]، فَلِهَذَا وَقَعَتْ زَوَائِدُ لَمْ تَقَعْ فِي الْأَعْرَافِ وَطَهُ، فَتَأَمَّلْ وَتَدَبَّرْ تَعْرِفَ إِعْجَازَ التَّنْزِيلِ.

[١٢٦] ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا يَأْتِي رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَرَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. مِنْ فَوَائِدِ وَثَارِ الصَّبْرِ: ١- مُضَاعَفَةُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ٢- تَعْلِيقُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ عَلَى الصَّبْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ٣- مَعِيَةِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ٤- صَلَاةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَايَتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ] [البقرة: ١٥٥-١٥٦]. ٥- تَوَقُّفُ النَّصْرِ عَلَى الصَّبْرِ، قَالَ ﷺ: "اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. [١٢٦] ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا يَأْتِي رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَرَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

إِنَّهُ مَوْقِفٌ حَاسِمٌ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ بِإِعْلَانِ إِفْلَاسِ الْمَادِيَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْذُ لِحِظَةٍ تَسْأَلُ فِرْعَوْنَ الْأَجْرَ عَلَى الْفَوْزِ، وَتَتَمَنَّى الْقُرْبَ مِنَ السُّلْطَانِ، فَإِذَا هِيَ ذَاتُهَا الَّتِي تَسْتَعْلِي عَلَى فِرْعَوْنَ وَتَسْتَهِينُ بِالْتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، وَيَذْهَبُ التَّهْدِيدُ، وَيَتَلَاشَى الْوَعِيدُ، وَيَمْضِي الْإِيمَانُ فِي طَرِيقِهِ لَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَتَرَدَّدُ وَلَا يَحِيدُ. [١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] تَعْرِيفُ التَّقْوَى: قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ. مِنْ ثَمَرَاتِ وَفَوَائِدِ التَّقْوَى: ١- الْبَشَرِيَّةُ بِمَا يَسِرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ٢- الْبَشَرِيَّةُ بِالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ. ٣- التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ. ٤- الْهُدَايَةُ لِلصَّوَابِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. ٥- الْبَشَرِيَّةُ بِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَتَعْظِيمِ أَجْرِ الْمُتَّقِينَ. ٦- الْبَشَرِيَّةُ بِالْمَغْفِرَةِ. ٧- الْيُسْرُ وَالسَّهُولَةُ فِي كُلِّ أَمْرٍ. ٨- الْخُرُوجُ مِنَ الْغَمِّ وَالْمُحَنَةِ. ٩- الرِّزْقُ الْوَاسِعُ دُونَ عَنَاءٍ أَوْ مُشَقَّةٍ. ١٠- النِّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ = [١٢٧] ﴿وَيَذَرُكَ وَالْهَيْتَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَنَقْتُلُ﴾ قَرَأَ: (سَنَقْتُلُ) بَفَتْحِ النُّونِ وَإِسْكَانِ الْقَافِ وَضَمِ التَّاءِ مُخَفَّفَةً مِنْ قَتَلَ يَقْتُلُ. وَقَرَأَ: (سَنَقْتُلُ) بِضَمِ النُّونِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ التَّاءِ مُشَدَّدَةً لِلتَّكْثِيرِ لَتَعْدُدِ الْمَحَلَّ، أَوْ لِيَدُلَّ عَلَى تَعَدُّدِ الْقَتْلِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

[١٢٦] ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا يَأْتِي رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَرَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: وَرَدَ ذِكْرُ لَفْظِ (الصِّيَامِ) بِمَشْتَقَاتِهِ (١٤) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَيْضًا وَرَدَ ذِكْرُ لَفْظِ (الصَّبْرِ) بِمَشْتَقَاتِهِ (١٤) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكَذَلِكَ وَرَدَ ذِكْرُ لَفْظِ (الدَّرَجَاتِ) بِمَشْتَقَاتِهِ (١٤) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَبِذَلِكَ يَسَاوَى عَدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ (الصِّيَامِ) بِمَشْتَقَاتِهِ وَ(الصَّبْرِ) بِمَشْتَقَاتِهِ وَ(الدَّرَجَاتِ) بِمَشْتَقَاتِهِ، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (١٤) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

[١٢٧] ﴿أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: وَرَدَتْ كَلِمَةُ (النَّفْعِ) بِمَشْتَقَاتِهَا (٥٠) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْفُسَادِ) بِمَشْتَقَاتِهَا (٥٠) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. إِذَا تَسَاوَى عَدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (النَّفْعِ) بِمَشْتَقَاتِهِ مَعَ عَدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْفُسَادِ). وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (٥٠) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكَرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا يَأْتِي رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَرَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَالْهَيْتَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْيَسِينِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَخْنُكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا مَاءً طَيِّبًا ﴿١٣٤﴾ فَاسْتَكْبَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا لَكَ وَلِيُزِيلَنَّ عَنْكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ غَارَ قُلُوبِهِمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا أَلَنَّا بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

(١٣٦)

١٣١ - ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾: الخصب والرخاء ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: قحوط وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ﴾: وقالوا ما رأينا شراً حتى رأيناك ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: قيل: مصائبهم وأنصباؤهم من الخير والشر من عند الله عز وجل. وقيل: الأمر كله من الله عز وجل. ١٣٢ - ﴿مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾: بمعنى: ما تأتينا به من آية ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: لتقلعنا عما نحن عليه. كما يفعله السحرة بسحرهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين. ١٣٣ - ﴿الطُّوفَانَ﴾: هو الموت الذريع. وقيل: هو المطر الشديد ﴿وَالْقُمَّلَ﴾: قيل: هو السوس الذي يخرج من الخنطة وقيل: هو صغير الجراد الذي لا أجنحة له. وقرأ الحسن «والقمل» يريد القمل المعروف، ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾: كثر الله عندهم الجراد والقمل والضفادع، حتى كانت تدخل بيوتهم وأنبتهم وفراشهم، وتاكل أقاتهم، وتدخل بين ثوب أحدهم وجلده ﴿وَالدَّمَ﴾: كان أحدهم إذا أراد أن يشرب ماء فرفعه إلى فيه تحول دماً. وقيل: إن الرجل منهم كان يستقي من البئر، فإذا ارتفع إليه الدلو عاد دماً. وقيل: هو الرعاف. ١٣٤ - ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: معلومات يتلو بعضها بعضاً. عتوا. ١٣٥ - ﴿لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: عذاب الله وسخطه. وقيل: كان طاعوناً. ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: بما أوصاك وأمرتك ﴿لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا مَاءً طَيِّبًا﴾: إلى أجل هم بلغوه: إلى وقت هلاكهم ﴿يَنْكُتُونَ﴾: ينقضون ما عاهدوا به ربهم عز وجل وموسى عليه السلام. ١٣٦ - ﴿فِي الْيَمِّ﴾: في البحر ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: يعني: النعمة. ١٣٧ - ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾: هم بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ﴾: يعني: الشام، ما ولي الشرق منها والغرب ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾: وفي الله تعالى بما عاهد به بنو إسرائيل، بصرهم من تمكينهم في الأرض. ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾: من العمارات والمزارع والأبنية ﴿يَعْرِشُونَ﴾: يبنون.

١٣٥ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهدهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيرون على كفرهم وضلالهم، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، والقصة في سورة الأعراف فيها تفصيل، أمّا القصة في الزخرف فموجزة، وآية الزخرف تبين أنه لما دعا موسى برفع العذاب عنهم، فرفعه الله عنهم إذا هم يغدرون، ويصرون على ضلالهم. [١٣٨] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ﴾ [يونس: ٩٠]. وقطعنا ببني إسرائيل البحر، فمروا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم، قال بنو إسرائيل: اجعل لنا يا موسى صنماً نعبده ونتخذة إلهاً، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، قال موسى لهم: إنكم أيها القوم تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية يونس: وقطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتبعهم فرعون وجنوده ظمأ وعدواناً، فسلخوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

١٤١ ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ كُفَرٍ﴾ [الأعراف: ١٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُفَرٍ﴾ [البقرة: ٤٩، إبراهيم: ٦]. الذبح منبئ عن القتل وصفته، وأما اسم القتل فلا يفهم منه إلا إعدام الحياة، ويتناول من غير المقتول في الغالب، فعبّر أولاً بما يوفي المقصود من الاخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع الصفة لما كان إيجازاً، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقل: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنه أوجز من لفظ يذبحون لأجل التضعيف، إذ لفظ يذبحون أثقل لتضعيفه، وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة، فأحرز الإيجاز في الكل، وجاء على ما يناسب، والله أعلم.

= والعقوبة. ١١ - التزكية بالكرامة. ١٢ - البشارة بالمحبة. ١٣ - حصول الفلاح. ١٤ - نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥ - القبول وعدم الرد. ١٦ - الفوز بالجنة. ١٧ - الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨ - عز الفوقية على الخلق. ١٩ - تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠ - القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١ - سلامة الصدر. ٢٢ - إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣ - البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤ - عظم الأجر. ٢٥ - الفوز برضى الله. ٢٦ - التفكير والتدبر. ٢٧ - النجاة من النار. ٢٨ - الفوز بالخيرية. ٢٩ - حسن العاقبة. ٣٠ - الفوز بولاية الله تعالى. [١٣٧] ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]،

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧]. كيف نجمع بين آية الأعراف وآية الشعراء؟ الجواب: معنى ﴿وَدَمَرْنَا﴾، أي: أبطنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد بموسى عليه السلام، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، أي: يبنون من الصرح الذي أمر فرعون هامان ببنائه؛ ليصعد بواسطته إلى السماء، وقيل: هو على ظاهره من أن معنى ﴿وَدَمَرْنَا﴾، أي: أهلكنا؛ لأن الله تعالى أورث ذلك بني إسرائيل مدة ثم دمره. [١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا أَلَنَّا بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وهذا آخر ما اقتض الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم، ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعابنتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر، من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة، وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي، ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفه (لظلم كفار)، جهول كنود إلا من عصمه الله (وقليل من عبادي الشكور)، وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة. [١٣٧] ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ هنا والنحل: ٦٨، قرئ: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بضم الراء فيها وكسرها، يقال: عرش الكرم يعرشه بضم الراء وكسرها وهو أفصح، والضم والكسر لغتان.

١٣٤ ﴿لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا مَاءً طَيِّبًا﴾ [الأعراف: ١٣٤] ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضاً في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كل (١٠) مرات في كتاب الله سبحانه وتعالى.

١٣٨- **﴿وَجَوَزْنَا﴾** : قطعنا **﴿يَعْكُفُونَ﴾** : يقيمون، وأصل العكوف: حبس النفس على الشيء. **﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾** : صنمًا نتخذها إلهاً كما لهؤلاء. ١٣٩- **﴿مُنْتَبِرٌ﴾** : مهلك ومخسر. والتبار: الهلاك. ١٤٠- **﴿قَالَ﴾** : موسى: **﴿أَعِزَّ اللَّهُ﴾** : أسوى الله **﴿أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا﴾** : التمس لكم إلهاً **﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** : من أهل عصركم، بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم واستخلافكم في الأرض، وإخراجكم من الذل والهوان إلى العز والرفعة. ١٤١- **﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** : ممن كان على منهاجه وطريقه **﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾** : يميلونكم ويكلفونكم؛ تقول: سامه خطة خسف. **﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾** : أشده **﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾** : يستبقون إناث أولادكم **﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾** : اختبار وامتحان. ١٤٢- **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾** : لمناجاة ربه عز وجل **﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾** : قيل: كانت شهر ذي القعدة **﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾** : من ذي الحجة **﴿فَتَمَّ﴾** : كمل **﴿مِيقَتَ رَبِّهِ﴾** : الوقت الذي وعد الله موسى عليه السلام. ١٤٣- **﴿تَجَلَّى﴾** : أطلع وقيل: ظهر وبدا سلطانه. **﴿جَعَلَهُ﴾** : يعني: الجبل **﴿دَكًّا﴾** : يعني: مستوياً بالأرض. **﴿صَعِقًا﴾** : مغشياً عليه، أي صار حاله لما غشي عليه كحال من يغشى عليه عند إصابة الصاعقة له، **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** : ثاب إليه فهمه من غشيته **﴿ثَبَّتْ إِلَيْكَ﴾** : من سؤال الرؤية. وقال ابن عطية: ويحتمل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول ما اطلع، ولم يعن به التوبة من شيء معين، ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام. **﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** : المصدقين أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة! [١٤١] **﴿يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾** [البقرة: ٤٩]، **﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾** [الأعراف: ١٤١]، **﴿وَيُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾** [إبراهيم: ٦]، **﴿يُذَيِّحُونَ﴾** في البقرة، و**﴿يُقَتِّلُونَ﴾** في الأعراف بغير واو، ثم **﴿وَيُذَيِّحُونَ﴾** في إبراهيم بالواو، لأن ما في البقرة والأعراف من كلام الله تعالى، فلم يرد أن يعدد عليهم المحن، فوقع الفصل، وأمّا الذي في إبراهيم، فمن كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم وكان مأموراً بذلك في قوله تعالى قبلها: **﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمَنِ اللَّهِ﴾** [إبراهيم: ٥]، فكان الوصل للآية أنسب. [١٤٢] **﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** [البقرة: ٥١]، **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتَ رَبِّهِ﴾** [الأعراف: ١٤٢].

أربعين ليلة [الأعراف: ١٤٢]. القصّة طويلة والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف، ولم تذكر بهذا التفصيل في سورة البقرة، بل أوجزت. قول آخر: إن الله سبحانه أمر موسى بالصيام ثلاثين يوماً، وشهر الصوم في كل الأديان شهر، فلما تهيأ موسى لمقابلة ربه بالطيب والعطر وتزيت أسنانه ورائحة فمه لمقابلة الله سبحانه وتعالى، سأله الله: مالي لا أشم رائحة الصيام في فمك، فإني أحب أن أشم رائحة فم الصائم، فلتقى موسى أمراً من الله بصيام عشرة أيام أخرى. [١٤٣] **﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام: ١٦٣]، **﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأعراف: ١٤٣]. المراد: أول المسلمين من أهل مكة، لأنه أول المسلمين منهم ﷺ، وأمّا "وأنا أول المؤمنين" من قول موسى عليه السلام، فأراد به أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يرد الإيمان الذي هو الدين. [١٤٢] **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾** : ما فائدة قوله: **﴿فَتَمَّ مِيقَتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾** مع علمه بما قبله؟ **﴿الجواب﴾** : فائدته التوكيد، والعلم بأنها عشر ليالٍ لا ساعات، ورفع توهم أن العشرة داخلة في الثلاثين، بمعنى أنها كانت عشرين، وأتمت بعشر. [١٤٣] **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾** : قال **﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾** قال **﴿لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾** فلما تجلّى ربه للجبل جَعَلَهُ دَكًّا ... [الأعراف: ١٤٣]. هذه الآية سبقت مساق الامتحان على موسى عليه السلام، باصطفاء الله تعالى له، وتخصيصه إياه بتكليمه، وهذا ما بينه الله تعالى له في الآية التالية حيث يقول: **﴿قَالَ يَمْوسَى إِنَّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾**، وتخبرنا الآية الكريمة السابقة أن موسى عليه السلام، لما سمع كلام الله تعالى، أحب أن ينظر إليه، وهذا شأن كل محب مع من يحب، فسأل ربه ذلك، فأعلمه سبحانه وتعالى بأنه لن يقدر على رؤيته؛ لأن رؤيته جل ثناؤه في الدنيا لا يطيقها أحد من خلقه، بخلاف الآخرة فإن رؤيته تعالى فيها جائزة، ولهذا أمره الله تعالى أن ينظر إلى الجبل؛ ليتحقق من ذلك، فحصل ما حصل، كما أخبرت عنه بقية الآية الكريمة. ويفهم مما تقدم أن رؤية الله تعالى للمؤمنين فقط في الدنيا جائزة عقلاً، كما هي جائزة شرعاً في الآخرة، ولكنها في الدنيا ممتنعة للسبب الذي ذكره الله تعالى، بدليل أن الجبل لم يطق النظر إلى الله تعالى، لما تجلّى له، فكيف يطيقها الإنسان؟ وكأن الله تعالى قال لموسى: لا تطلب النظر إليّ، ولكن عليك بطلب آخر؛ وهو أن تنظر إلى الجبل، ومن أقوى الأدلة على أن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلاً قول موسى عليه السلام: **﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾**؛ لأن موسى عليه السلام لا يخفى عليه الجائر، والمستحيل في حق الله تعالى، فإذا ثبت أن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، وممتنعة شرعاً، وأن موسى عليه السلام لم يطلب مستحيلاً، لم يؤاخذه الله تعالى على طلب الرؤية، أو يلمه، أو يؤنبه؟

[١٣٨] **﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾** قوله تعالى: **﴿يَعْكُفُونَ﴾** قرئ: **﴿يَعْكُفُونَ﴾** بكسر الكاف لغة أسد عَكَفَ يَعْكُفُ. وقرئ: **﴿يَعْكُفُونَ﴾** بضمها لغة بقية العرب من عَكَفَ يَعْكُفُ، وهما لغتان. [١٤١] **﴿وَإِذْ أُنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾** قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أُنْجَيْنَاكُمْ﴾** قرئ: **﴿أُنْجَاكُمْ﴾** بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون مسنداً إلى ضمير الله تعالى. وقرئ: **﴿أُنْجَيْنَاكُمْ﴾** بياء ونون وألف بعدها مسنداً إلى ضمير العظمة على طريقة الإكبار والتعظيم لله تعالى فهو أعظم العظماء. قوله تعالى: **﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾** قرئ: **﴿يَقْتُلُونَ﴾** بفتح الياء وسكون القاف وضم التاء مخففة على الأصل، وقرئ: **﴿يَقْتُلُونَ﴾** بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة للمبالغة. [١٤٣] **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** قوله تعالى: **﴿دَكًّا﴾** قرئ: **﴿دَكَاءً﴾** بالمد والهمز من غير تنوين بوزن حمراء من قولهم: ناقة دكاء، أي: منبسطة السنام غير مرتفعة، أي: أرضاً مستوية، وقرئ: **﴿دَكًّا﴾** بالتنوين بلا مد ولا همز مصدر واقع موقع المفعول به، أي: مذكوكاً مُفْتَتًا، قال ابن عباس: صار تراباً، وقال الحسن: ساح في الأرض، وهو مفعول ثان لجعل على المشهور فيهما.

[١٣٨] **﴿عَلَى أَصْنَامٍ﴾** إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التكبير) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ فَأَتَوْا مُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ [١٣٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُهُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٣٩] قَالَ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [١٤٠] وَإِذْ أُنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [١٤١] وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ [١٤٢] وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [١٤٣]

١٦٧

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ فَأَتَوْا مُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ [١٣٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُهُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٣٩] قَالَ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [١٤٠] وَإِذْ أُنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [١٤١] وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ [١٤٢] وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [١٤٣]

١٦٧

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلْمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءِيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَُوا سَبِيلَ الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَُوا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٦٨

١٤٤- ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك. ١٤٥- ﴿مَّوْعِظَةً﴾: لمن آمن بالعمل بما كتب في الألواح ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: تبيناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: من أمر الله ونهيه ﴿فَخُذْهَا﴾: يعني الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾: باجتهاد وجد ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما تجدون فيها. قيل: مما ثوابه أعظم، مثل العمل بالعزيمة دون الرخصة، والصبر على الغير والعفو عنه، ونحو ذلك. وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾. ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: يعني النار في الآخرة، وقيل: دار فرعون وقومه، وهي مصر. سأريكم كيف أفقرت منهم، وكيف دُمروا لفسقهم لتعبروا فلا تفسقوا مثلهم. ١٤٦- ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ﴾: أنزع عنهم فهم القرآن. وقيل عن حجج الله أن يتفكروا فيها، وأن يعتبروا. ﴿وَإِنْ يَرَُوا كَلَاءِيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: هم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ﴿سَبِيلَ الرَّشْدِ﴾: الهدى. ﴿سَبِيلَ الْغِيِّ﴾: الهلاك. قال ابن عطية: والمتكبرون بغير حق في الأرض هم الكفرة. والمعنى في هذه الآية: سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم. ١٤٧- ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: التي كانوا يرجونها، وبقيت عليهم أوزارهم. ١٤٨- ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ﴾: بعد مسيره لمناجاة ربه عز وجل ﴿عِجْلًا﴾: شبيهاً بولد البقرة ﴿جَسَدًا﴾: جثة وجهاذا. ﴿لَّهُ خَوَارٌ﴾: له صوت. ١٤٩- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: ظهرت إليهم الفضيحة، وندموا، ويقال للنادم المتحير: قد سقط في يده. [١٤٨] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأعراف: ١٤٨، النحل: ٧٩، النمل: ٨٦، يس: ٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾. في بعض المواضع بغير واو، كما في هذه السورة، وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين، أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة فذكره بالألف والواو، لتدل الألف على الاستفهام والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالاً بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال فاقصر على الألف دون الواو والفاء، لتجري مجرى الاستئناف.

[١٤٦] ﴿وَإِنْ يَرَُوا سَبِيلَ الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَُوا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]. ما الفرق بين "الرشد والهدى"؟ **الجواب:** يستعمل القرآن (هدى) في الخير والشر معاً، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعم، ووردوها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَتَهُ بُضْلُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رشد) أو (رشد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحد هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد به (هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حق كان أو إلى باطل، إلى صواب كان أو إلى خطأ، إلى خير كان أو إلى شر. (الرشد) في القرآن أخص من (الهدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، إذ جعل الهدى وسيلة للرشد. الرشد هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر.

[١٤٨] ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين: "جسم وجسد وبدن". **الجواب:** الجسم: يطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يطلق على العقلاء بعد الموت. أمثلة قرآنية: **الجسم:** ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، **الجسد:** ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. **بدن:** ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

[١٤٤] ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلْمِي﴾ قوله تعالى: ﴿بِرِسَالَتِي﴾ قرئ: (برسالتى) بالتوحيد، على أن رسالة تجري مجرى المصدر، والمصدر بدل على القليل والكثير من جنسه، ولأن بعده وبكلامي وهو مصدر موحد يراد به أيضاً الكثير، فجرت الرسالة في توحيد لفظها على مثل توحيد الكلام. وقرئ: (برسالاتي) بالجمع على أن موسى - عليه السلام - أرسل بضرب من الرسائل، فاختلفت أنواعها، فجمع المصدر لاختلاف أنواعه. [١٤٦] ﴿وَإِنْ يَرَُوا سَبِيلَ الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَُوا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ قوله: ﴿الرشد﴾ قرئ: (الرشد) بفتح الراء والشين. وقرئ: (الرشد) بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان في الصلاح والدين، وقيل: إن من فتح الراء والشين أراد به الدين، لأن قبله ذُكر الغي والدين ضد الغي، ومن ضم أراد به الصلاح. [١٤٨] ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾ قوله تعالى: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ قرئ: (حليهم) بكسر الحاء واللام وتشديد الياء مكسورة على الإتيان لكسرة اللام. وقرئ: (حليهم) بفتح الحاء وسكون اللام وتحقيق الياء: مفرداً أريد به الجمع، مفردة حلية كقمح وقمحة. وقرئ: (حليهم) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة، جمع حلي كفلس وفلوس، والأصل (حلولى) اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون، وقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. [١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرْحَمَنَا رَبُّنَا﴾ قرئ: (ترحمنا ربنا) بالخطاب فيهما، ونصب الباء من (ربنا) على النداء، وقرئ: (يرحمنا ربنا) بالغيب فيهما، ورفع الباء على أنه فاعل.

= في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله.

١٥٠ - ﴿أَسِفًا﴾: حزينا ﴿يَسْمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾: يعني: بئس الفعل فعلتم بعد فراقني إياكم، ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: سبقتم أمر ربكم في أنفسكم؟ أي: أعجلتم عن انتظار ميعاده الذي وعدنيه - وهو الأربعون - ففعلتم ما فعلتم؟ ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾: بسبب غضبه على قومه في عبادتهم العجل، وغضبه من أخيه لإهمال أمرهم. ﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ﴾: استعطاف برحم الأم إذ هو أقرب القرابات. ١٥١ - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾: كأنه تذمُّر مما فعله بأخيه وأظهر أنه لا وجه له، فطلب المغفرة منه، ومن عجلته في إلقاء الألواح، كما طلب المغفرة لأخيه إن وقع منه تقصير في موقفه من بني إسرائيل. ١٥٢ - ﴿أَتَخَذُوا الْعِجْلَ﴾: إلها! ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: كل صاحب بدعة ذليل. ١٥٤ - ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن. ﴿أَتَخَذُوا الْأَلْوَحَ﴾: التي ألغاهها عند غضبه، ﴿وَفِي شَحَابٍ﴾: أي فيما نسخ من الألواح المتكسرة ونقل إلى الألواح الجديدة. ١٥٥ - ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾: من قومه، قيل: ممن لم يعبد العجل من خيارهم، أفاضلهم لينطلقوا إلى الله عز وجل معتردين إليه من عبادة العجل. ﴿لَمِيقَاتِنَا﴾: للوقت الذي وقتناه له بعد أن وقع من قومه ما وقع ﴿الرَّجْفَةَ﴾: صعقوا فماتوا. قيل: لأنهم لم يفارقوا قومهم إذ عبدوا العجل، ولم يخرجوا عنهم، ولا نهوهم عنه؛ وإن كانوا لم يرضوا بذلك ولا عبوده ﴿وَلَا فِتْنَتُكَ﴾: التي تختبر بها من شئت، وتمتحن بها من أردت.

[١٥٣] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يحبُّ

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي شَحَابٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِأَبَائِهِمْ بَازُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلَئِنِّي أَتَّهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(١٦٩)

العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوهِ أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يُحبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقَرَّباً لمغفرته. [١٥٣] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدُلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشدُّ مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٥٠] ﴿رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي...﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي...﴾ [طه: ٨٦]. ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل غضباناً حزينا؛ لأن الله قد أخبره أنه قد فُتِن قومه... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية طه: فرجع موسى إلى قومه غضباناً عليهم حزينا، وقال لهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإنزال التوراة... [١٥٠] ﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ [طه: ٩٤]. إن ذكر الحرف وعدم ذكره له دوافع، والقاعدة العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر الحرف، سواء كان "ياء" أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز، ويحذف الحرف إذا لم يؤد ذلك إلى التباس في المعنى، وقد يكون مقام التوكيد بالحرف، ففي سورة الأعراف حذف الحرف، لأن الموقف جاء ذكره باختصار: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، أمّا في طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسطة، وذكرت فيها كل الجزئيات، لذا اقتضى ذكر "يا" بداية من قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي﴾ [طه: ٨٦]، حتى قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢-٩٣]. [١٥١، ١٥٥] ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. أن الرحمة موجودة في الحالتين، فجعل خاتمة آية رحمة والثانية مغفرة، والملاحظ أنه إذا ذكر ذنباً عقب بالمغفرة، وإذا لم يذكر ذنباً عقب بالرحمة، ففي الآية الأولى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، هذا قول موسى حين لم يذكر لهما ذنباً فقال: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [بينما الآية الثانية: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلَئِنِّي أَتَّهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، عندما ذكر ذنباً قال: ﴿خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ قَرِيْبٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، هنا لم يذكر ذنباً، فإذا ذكر ذنباً ذكر الغافرين، وإذا لم يذكر قال الراحمين. [١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]. عن كعب، قال: "رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله فقام أحدهما يصلي فرد الله صلاته، ودعاه فلم يرد عليه من دعائه شيئاً، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: يارب أخي فلان اغفر له، فغفر له وهو نائم". [١٥٠] ﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [طه: ٩٤، ٩٥]، قرئ: (أُم) بكسر الميم، كسرة بناء عند البصريين لأجل ياء المتكلم، ووجهه أنه لما لم يدخل الكلام تغيير، قيل: استخف حذف الياء لدلالة الكسرة عليها، ولكثرة الاستعمال، فهو نداء مضاف بمنزلة يا غلام غلام. وقرئ: (أُم) بفتحها فيهما لتركيبهما كخمسة عشر بالشبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافاً لأُم، إنما مركب معها فجعل الاسمين اسماً واحداً، وبناءه على الفتح ففتح ابن أُم كفتحة الثاني: خمسة عشر. ومذهب الكوفيين: أن ابن مضاف لأُم، وأُم مضافة للياء، وقلبت الياء ألفاً تخفيفاً فانفتحت الميم كقوله: يا ابنة عمٍّ لا تلومي واهجمي. ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالة عليها.



وَأَكْتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا نَالِيكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَنْتَعِبُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا يَخْلُجِلْ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَىٰهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٧٠

١٥٦- ﴿إِنَّا هَذَا نَالِيكَ﴾: ثبنا إليك ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: يعني: يتقون الشرك. ١٥٧- ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾: محمداً ﷺ والأُمِّي: نسبة إلى الأمة التي لا تقرأ، أو التي ليس لها كتاب (من غير أهل الكتاب) ولم يكن النبي ﷺ يكتب أو يقرأ في كتاب، قال بعض العلماء: «وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه، واعتماده على ضمان الله له بقوله: ﴿سَنَقُرُّكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦] ولتقوم الحجة بذلك على العالمين: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]». ﴿وَيَضَعُ﴾: يسقط ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: التشديد الذي كان على بني إسرائيل من التكليف الشاقة الثقيلة. ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾: التي جعلها الله عليهم في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾: بالنبي الأُمِّي ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: عظموه ووقروه وحموه ﴿النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾: القرآن. ١٥٨- ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾: آياته. ١٥٩- ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: يعني من بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وقيل: هم سبط من بني إسرائيل لما رأوا عدوان قومهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء تبرؤوا إلى الله منهم، أن يفرق بينهم وبينهم، فضرَبوا بعيداً في الأرض حنفاء مسلمين، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكَ لَافِيكًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] و«وعد الآخرة»: عيسى بن مريم ومعه يخرجون.

١٥٥ [معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. ١٥٨ [معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

١٥٣ ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السَّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ﴾ [النحل: ١١٩]. والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا من بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية النحل: ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله - فكل عاص لله مخطئاً أو متعمداً فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم - ثم رجعوا إلى الله عما كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك - من بعد توبتهم وإصلاحهم - لغفور لهم، رحيم بهم. ١٥٨ ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨، التغابن: ٨] وفي غيرهما ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩، النساء: ١٧١]. المقصود من آية الأعراف والتغابن الإيمان بالنبي محمد ﷺ، وباقي المواضع المقصود الإيمان به ﷺ. وبجميع الرسل. ١٥٨ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [التوبة: ١١٦، الحديد: ٢]. قل أيها الرسول للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض، الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهما، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفائه وبعثه، والآية فيها دعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده، وباقي المواضع ليست كذلك. ١٥٤ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. في هذا النظم الكريم، يعني قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب، الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزله الأمر بذلك، المغري عليه، بالتحكم والتشديد، وفي التعبير عن سكونه بالسكون ما لا يخفى.

١٥٧ ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قرئ: (أَصَارَهُمْ) بالجمع مثل أعمالهم، وهو جمع إصر، والإصر: الثقل من الإثم وغيره، وهو مصدر لكن جمع لاختلاف ضروب الآثام، وقرئ (إصرهم) بالتوحيد، مثل إثمهم فاكثفوا بالواحد؛ لأنه مصدر يدل على القليل والكثير جنسه مع إفراذ لفظه، لكن إضافته لضمير الجمع تدل على أن المراد به الجمع.

١٥٧ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [عجازه عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجد أنها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبیین والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. ١٥٧ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [عجازه عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

١٦٠ - ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾: يعني: قوم موسى من بني إسرائيل، فرقمهم الله ﴿اِثْنَتَيْ عَشَرَ﴾: قبيلة ﴿أَمَّا﴾: جماعات ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾: انصبت وانفجرت ﴿كُلُّ أَنْاسٍ﴾: من الأسباط الاثني عشر ﴿مَشَرِبَهُمْ﴾: لا يدخل سبط على سبط في مشربه ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾: صار عليهم الغمام ظلاً يكنهم من الشمس وأذاها ﴿الْمَرِّ وَالسَّلْوَى﴾: طعام كان ينزل عليهم، قد تقدم تفسيره (سورة البقرة: ٥٧) ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: وما أدخلوا علينا نقصاً في سلطانتنا بمسالتهم ما سألوه، وفعلهم ما فعلوه.

١٦١ - ﴿أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس أو أريحاء ﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾: من ثمارها وجوبها ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: يقول: قولوا هذه الفعل «حطة» تحط ذنوبنا. أي: حط ذنوبنا حطة. وقيل: هي: «لا إله إلا الله»، وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة ﴿سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: المطيعين لله. أي سنزيدهم على المغفرة للذنوب ما نشاء من النعم. ١٦٢ - ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: قيل: إنه قيل لهم: قولوا هذه «حطة»، فكانوا يقولون: «حبة في شعرة أو حطة في شعيرة» تحريفاً لما أمروا به ﴿رَجَرًا﴾: عذاباً. ١٦٣ - ﴿وَسَأَلَهُمْ﴾: قال الله عز وجل: يا محمد واسألهم، يعني: اليهود الذين كانوا يجاورونه في المدينة ﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: أيلة، أي: العقبة، وقيل: طبرية. ومعنى «حاضرة البحر»: أي بقربه وعلى ساحله، أو بمعنى أهم مدنه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يعتدون، وكان اعتداؤهم فيه أن الله حرم عليهم الصيد فيه والعمل. ﴿شُرْعًا﴾: جمع: شارع، أي ظاهرة على الماء من كل مكان، وكانت الحيتان لا تأتيهم في غير السبت شرعاً، فإذا أمسى ذهب فلا يرى شيء منها إلى السبت الثاني، فاتخذوا خيوطاً وجعلوا يأخذون الحيتان في السبت ويربطونها في الخيوط إلى أوتاد في الماء ويتركونها فيه، فإذا أمسوا ليلة الأحد أخرجوه فاكلوه!! وقيل: كان لهم في حجز الحيتان وسائل أخرى.

١٦٠ ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. قوله في البقرة ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾، لأن الانفجار معناه انصباب الماء بكثرة وغزارة، والانبجاس معناه ظهور الماء، وفي البقرة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فبالغ فقال: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وليس فيه ﴿وَاشْرَبُوا﴾ فلم يبالغ فيه. ١٦١ ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]. في البقرة ﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء؛ لأن الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، وفي الأعراف ﴿وَكُلُوا﴾ بالواو، ومعناه: أقيموا فيها، وذلك ممتد فذكر بالواو، وزاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾، لأنه سبحانه أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، خلاف ما في الأعراف فإن فيه: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾، ثم قدم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ على قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ في البقرة، وأخرها في الأعراف، لأن السابق في البقرة ﴿ادْخُلُوا﴾ فبين كيفية الدخول، وجمع ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾، لأن خطايا صيغة الجمع الكثير، ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه، وزاد واواً ﴿وَسَزَيْدُ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿سَزَيْدُ﴾ بغير واو؛ لأن اتصالها في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين، واختلفا في الأعراف، لأن اللاتق في ﴿سَزَيْدُ﴾ محذوف الواو ليكون استثناءً للكلام. قول آخر: آية البقرة لما افتتح ذكر بني إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، ناسب ذلك نسبة القول إليه، وناسب قوله: ﴿رَغَدًا﴾، لأن النعم به أتم، وناسب تقديم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ وناسب ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَزَيْدُ﴾ لدلالاتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا﴾، لأن الأكل مترتب على الدخول، فناسب مجيئه بالواو، وأما آية الأعراف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، فناسب ذلك ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا﴾، وناسب ترك رَغَدًا والسكنى لجامع الأكل، فقال: ﴿وَكُلُوا﴾، وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا، وتلك الواو في ﴿سَزَيْدُ﴾. ١٦٢ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. لما سبق في الأعراف تبعض الهادين بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [١٥٩]، ناسب تبعض الظالمين منهم بقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، ولم يتقدم مثله في البقرة، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا، لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾، والإرسال أشد وقعاً من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في سورة البقرة، وختم الآية بـ ﴿يَفْسُقُونَ﴾، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظ منهم سياقه.

١٦٣ ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾ [الأعراف: ١٦٣]. اعتدوا فكان الجزاء: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، عوقب هؤلاء المتحيلون بأنهم مسحوا قردة خاسئين، والذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئاً صورته صورة المباح ولكن حقيقته غير مباح، فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل. الذي فعله اليهود هو إلقاء الشباك يوم الجمعة فتدخل فيها الحيتان، ويخرجونها يوم الأحد حتى يظفروا بصيد السبت الذي نهوا عن الصيد فيه.

١٦١ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ قرئ: (تغفر - خطيئاتكم) بناء مضمومة في تغفر، وخطيئاتكم بجمع السلامة، ورفع التاء على النيابة عن الفاعل. وقرئ: (تغفر - خطيئتيكم) بالإنفراد ورفع التاء كذلك وهو واقع موقع الجمع لفهم المعنى. وقرئ: (تغفر - خطاياكم) على وزن (عطايكم) بجمع التكسير مفعولاً لتغفر. وقرئ: (تغفر - خطيئاتكم) بجمع السلامة وكسر التاء نصباً على المفعولية، وقد أثر أبو عمرو فجعله جمع تكسير لكثرة الخطايا منهم، ولأن جمع التكسير أدل على الكثرة من جمع السلامة. ١٦٤ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَا إِلَهَ مَعَهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعِذَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعْلَهُمْ﴾

وَقَطَعْنَهُمْ اِثْنَتَيْ عَشَرَ آسَاطًا أَمَّا وَأَوْحَيْتَ إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ: أَيْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرِّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ١٦٢ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ إِلَّا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ١٦٣

١٦٤- ﴿لَمْ تَعْطُونَ﴾: تنهون وتذكرون؟ ﴿مَعْدَرَةٌ﴾: قرأ حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. ١٦٥- ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد، وذلك أنه مسخهم، فجعل منهم القردة والخنازير. ١٦٦- ﴿خَسِيسَةٍ﴾: بُدء من الخير، والخاسي: المباعد المطرود. أو: الصاغر الذليل. ١٦٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُ﴾: أمر وأعلم ﴿لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ﴾: يعني اليهود ﴿مَنْ يَسُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: قال ابن عباس: هي إشارة إلى محمد ﷺ وأمه. قال ابن عطية: والصحيح أنها عاملة في كل من حال اليهود معه هذه الحال. ١٦٨- ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: فرقناهم، ففي كل أرض قوم من اليهود. ﴿مِنْهُمْ أَصْلِحُوا وَبَيْنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: وصفهم الله عز وجل بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم، وقبل مبعث عيسى عليه السلام ﴿وَيَلُونَهُمْ﴾: اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾: بالرخاء والسعة ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾: الشدائد والمصائب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ينتهون إلى طاعة الله. ١٦٩- ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: يعني خلف سوء؛ أي بدل سوء، يقال في الذم «خلف سوء» - بتسكين اللام - وفي المدح بفتح اللام، وقد يقال كل واحد منهما في المدح والذم. وقيل: عنى بهم النصارى ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾: يرتشون في حكم الله ويؤثرون الأدنى، وهو الأقرب من عرض الدنيا ﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾: قنياً على الله ﴿وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾: قيل: يعملون الذنب ويستغفرون منه الله، فإن عرض لهم ذلك الذنب أخذوه وعادوا فيه ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: ما عملوا في الكتاب وضيعوه، وتركوا العمل به. ١٧٠- ﴿يُمَسِّكُونَ﴾: معناه: يعملون بما في كتاب الله عز وجل. ١٦٥ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ [الأنعام: ٤٤]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْنَحْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ...﴾ [الأعراف: ١٦٥]. فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالبأساء رخاء في العيش، وبالضراء صحة في الأجسام، استدراجاً منا لهم... فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية الأعراف: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكرت به، واستمرت على غيها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظْتُهَا به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته... [١٦٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. في آية الأنعام الكلام قبلها كان عن الحسنات والهداية لصراط الله، فجاء التعبير باللام مع المغفرة والرحمة، وأمّا آية الأعراف فالكلام قبلها عن أخذ الذين ظلموا بالعذاب، وذكر مرتكباتهم السيئة فجاء التعبير باللام لتأكيد سرعة العذاب الذي يستحقونه. ١٦٩ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ...﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ...﴾ [مريم: ٥٩]. فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم أتباع سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية مريم: فأتى من بعد هؤلاء المنعم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها... [١٦٩] ﴿وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، آية الأنعام تقدمها قوله تعالى معرّفاً بحال الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ومعنى التأكيد في هذا حاصل من سياق الكلام، لأنك إذا قلت: "ما المال إلا الإبل" فكأنك نفيت عن غير الإبل أن يكون مالا، وأثبت ذلك لها ثباتاً مؤكداً وأنها المال حقيقة، وكأن ما سواها ليس بمال، ومثل هذا هو المعنى الحاصل من لفظ القسم الصريح، فناسب هذا مجيء لام القسم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ﴾، وكأنه نص قولك: والله للدار الآخرة خير، وتناسب ذلك مع ما تقدم قبله من تقدير القسم المؤكد كما بين، وليس في آية الأعراف ما يقتضي هذا لأنها مناطة بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ثم قال: ﴿وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ﴾، وعلى هذا نظم الكلام وليس فيه ما يقتضي قسماً فلم تدخله تلك اللام. ١٧٦ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. أخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع، لا يرفع أحد به رأساً، فإن الرب الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه. ١٧٦ ﴿فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. هذا تمثيل لحال "بلعام" فكيف قال بعده: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧] ولم يضرب إلا لواحد؟ **الجواب:** المثل في الصورة وإن ضرب لواحد، فالمراد به كفار مكة كلهم؛ لأنهم صنعوا مع النبي ﷺ، بسبب ميلهم إلى الدنيا، من الكيد والمكر، ما يشبه فعل "بلعام" مع موسى، أو أن ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، لا إلى أول الآية. ١٧٧ ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ﴾ [الأعراف: ١٧٧]. حيث شبهوا بالكلاب إما في استواء الحالتين في النقصان (استواء إتياء الآيات والتكليف وعدم ذلك) وأنهم ضالون وعطوا لم لم يعطوا، وإما في الخسة فإن الكلاب لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة. واتصال الآية بما قبلها: = يَنْتَقُونَ ﴿قوله تعالى: ﴿مَعْدَرَةٌ﴾ قرئ: (معدرة) بالنصب على المصدر كأنهم لما قيل لهم: ﴿لَمْ تَعْطُونَ﴾ قالوا: نعتذر من فعلهم اعتذاراً إلى ربكم فكأنه خبر مستأنف وقوعه منهم، ويجوز أن يكون قد وقع ذلك منهم على معنى اعتذرنا اعتذاراً. وقرئ: (معدرة) بالرفع على إضمار مبتدأ دل عليه الكلام كأنهم لما قيل لهم: ﴿لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا﴾ قالوا: موعظتنا معدرة لهم، فهو أمر قد مضى منهم فعله. [١٦٥] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿قوله تعالى: ﴿بَئِيسٍ﴾ قرئ: (بيس) بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة بعدها من غير همزة مثل عيس. وقرئ (بئس) كذلك إلا أنه بالهمزة الساكنة بلا ياء على أنه صفة، أي: بعذاب ذي بئس، أي: ذي بؤس على فعل كحذر، نقلت كسرة الهمزة إلى الباء بعد حذف حركتها ثم سكنت. وقرئ: (بئيس) بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة على وزن فاعيل كشديد للمبالغة. وقرئ: (بئأس)، أي: بفتح الباء وياء ساكنة بعدها همزة مفتوحة على وزن فاعيل كبرزخ، وكلها لغات. [١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿قوله تعالى: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ قرئ: (يمسكون) بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك، وهو متعد فالمفعول محذوف، أي: دينهم وأعمالهم بالكتاب، والياء للحال أو الآلة. وقرئ: (يمسكون) بفتح الميم وتشديد السين، من مسك يمسك على التكثير.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْتَقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْنَحْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّنْهُمْ أَصْلِحُوا وَبَيْنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَيَلُونَهُمْ بِالْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثْقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٧٢

١٧١- ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِي جُودِ عَادَ﴾: اقتلعناه فرفعناه فوق بني إسرائيل ﴿كَانَتْ ظِلَّةً﴾: غمام ﴿خُذُوا﴾: اقبلوا ﴿مَاءَ آتَيْنَكُم﴾: أنزلنا من فرائضنا ﴿يَقُوتُ﴾: اجتهد وجد. قيل: إن موسى عليه السلام قال لهم: هذا كتاب الله، يعني التوراة تقبلونه بما فيه؛ ففيه بيان ما حرم عليكم وأحل لكم، ونهاكم عنه. فقالوا: انشر علينا بما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها! قال: اقبلوا ما فيها. قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها، فراجعوه مراراً فأوحى الله إلى الجبل، فاقطع وارفع إلى السماء، حتى كان بين رؤوسهم والسماء، فقال لهم: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل. وأصل «التنق» و«التنوق»: كل شيء قلعت من موضعه فرميت به. ١٧٢- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: مسح الله عز وجل ظهر آدم فخرجت منه كل نسيمة، أي نفس، هو خالقها إلى يوم القيامة؛ فأخذ مواعيقهم وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾: قيل: معناه: قال الله وملائكته: شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾: وقيل: إن معنى «وأشهدهم على أنفسهم..» دهم بخلقه على أنه خالقهم، فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد. والله أعلم. ١٧٣- ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: اتبعنا منهاجهم ﴿أَفْهَلْ كُنَّا﴾: بإشراك من أشرك من آبائنا المبطلين، واتبعنا منهاجهم على جهل منا بالحق. و«المبطل»: المدعي غير الحق. ١٧٤- ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يعني: قومه المشركين. ١٧٥- ﴿وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: قيل: هو بلعام بن باعر، وقيل: كان أوتي اسم الله الأعظم. ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾: تبرا منها، وله حديث طويل. وقيل: إنه عنى به أمية بن أبي الصلت. ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: صيره لنفسه تابعا ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾: الهالكين. ١٧٦- ﴿لَرْفَعَهُ يَهَا﴾: بما كان أوتي الآيات ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: سكن إلى الحياة الدنيا، وشهواتها، وأصل الإخلاد: اللزوم، ﴿فَنَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَذَّابِ﴾: إن طرد أو ترك لا يدع الله، ومعنى هذا أن

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِي جُودِ عَادَ﴾: اقتلعناه فرفعناه فوق بني إسرائيل ﴿كَانَتْ ظِلَّةً﴾: غمام ﴿خُذُوا﴾: اقبلوا ﴿مَاءَ آتَيْنَكُم﴾: أنزلنا من فرائضنا ﴿يَقُوتُ﴾: اجتهد وجد. قيل: إن موسى عليه السلام قال لهم: هذا كتاب الله، يعني التوراة تقبلونه بما فيه؛ ففيه بيان ما حرم عليكم وأحل لكم، ونهاكم عنه. فقالوا: انشر علينا بما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها! قال: اقبلوا ما فيها. قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها، فراجعوه مراراً فأوحى الله إلى الجبل، فاقطع وارفع إلى السماء، حتى كان بين رؤوسهم والسماء، فقال لهم: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل. وأصل «التنق» و«التنوق»: كل شيء قلعت من موضعه فرميت به. ١٧٢- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: مسح الله عز وجل ظهر آدم فخرجت منه كل نسيمة، أي نفس، هو خالقها إلى يوم القيامة؛ فأخذ مواعيقهم وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾: قيل: معناه: قال الله وملائكته: شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾: وقيل: إن معنى «وأشهدهم على أنفسهم..» دهم بخلقه على أنه خالقهم، فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد. والله أعلم. ١٧٣- ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: اتبعنا منهاجهم ﴿أَفْهَلْ كُنَّا﴾: بإشراك من أشرك من آبائنا المبطلين، واتبعنا منهاجهم على جهل منا بالحق. و«المبطل»: المدعي غير الحق. ١٧٤- ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يعني: قومه المشركين. ١٧٥- ﴿وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: قيل: هو بلعام بن باعر، وقيل: كان أوتي اسم الله الأعظم. ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾: تبرا منها، وله حديث طويل. وقيل: إنه عنى به أمية بن أبي الصلت. ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: صيره لنفسه تابعا ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾: الهالكين. ١٧٦- ﴿لَرْفَعَهُ يَهَا﴾: بما كان أوتي الآيات ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: سكن إلى الحياة الدنيا، وشهواتها، وأصل الإخلاد: اللزوم، ﴿فَنَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَذَّابِ﴾: إن طرد أو ترك لا يدع الله، ومعنى هذا أن

١٧٣

هذا التارك للعمل بآيات الله التي كان أوتيتها لا يترك ما هو عليه من خلافه لأمر ربه؛ وعظ أو لم يعظ. وقيل: هو مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله. وجاءت فيه روايات مختلفة. ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ﴾: الذي اقتصصنا عليك. ١٧٧- ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾: بمعنى: بش مثلاً.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الأعراف: ١٧٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧، الكهف: ١٧]. المهتدي أطول من المهتد، وذلك لأن زيادة بناء الكلمة تدل على هداية أكثر، إضافة إلى أمر آخر: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾، قال قبلها: ﴿وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هل كان مهتدياً أول مرة أو لا؟ كان مهتدياً، ولكنه كان يحتاج إلى قدر من الهداية أكبر حتى تعصمه من الانسلاخ، لذلك عقب عليها بـ ﴿الْمُهْتَدِ﴾، أما في سورة الإسراء ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ في قوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنْفِرُ عَنْهُمْ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فهو لاء من أصحاب النار، وهؤلاء كان يكفيهم قدر بسيط من الهداية ليخرجهم من النار، منه أن ينطقوا بالشهادتين وقسم من الفروض، وموضع الكهف قريب من موضع الإسراء. قيل لما نهي عن تقليد الآباء في الدين، بين في هذه الآية حال علماء السوء نهباً عن تقليدهم واتباعهم، كما نهي عن تقليد الآباء. وقيل: لما تقدم ذكر أخذ الميثاق، بين حال من آتاه الله الآيات فانسلخ منها ولم يتبعها. [١٧٩] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]. قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألستها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو. حامض. عذب. أجاج. وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه. [١٧٢] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هنا (يس: ٤١)، والموضع الأول والثاني من (الطور: ٢١، ٢٠)، قرئ: (ذريتهم) بالافراد في الأربعة مع ضم تاء أول (الطور) وفتحها في الثلاثة. وقرئ: (ذريتهم) بإفراد أول (الطور) والجمع في الثلاثة، وبالإفراد في (يس) مع فتح تائه لأن الذرية تقع للواحد والجمع، قال تعالى: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ فهذا للواحد لأن زكريا لما سأل ربه الولد بشر بـ "يحيى"، ويقع للجمع مثل: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ وقوله: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ومثله لفظ البشر يقع للجمع وللواحد، قال تعالى: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ فهذا للجمع، وقال: ﴿وَلَكِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ فهذا للواحد. وقرئ: (ذرياتهم) بالجمع في الأربعة مع رفع تاء أول "الطور"، وظهر على قراءة التوحيد هنا: "أن ذريتهم" مفعول أخذ على حذف مضاف، أي: ميثاق ذريتهم، أما على الجمع فيحتمل أن يكون ذرياتهم بدلاً من ضمير ظهورهم، كما أن ظهورهم بدل من بني آدم بدل بعض من كل، ومفعول أخذ محذوف، والتقدير: "وإذ أخذ ربك من ظهور ذريات بني آدم ميثاق التوحيد"، ووجه من جمع قال: لما كانت الذرية تقع للواحد وللجمع أتى هنا بلفظ لا يقع للواحد، فجمع ليخلص الكلمة إلى معناه المقصود إليه لا يشركها فيه شيء، وهو الجمع؛ لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة أعقاباً بعد أعقاب لا يعلم عددهم إلا الله فجمع لهذا المعنى. قوله تعالى: ﴿أَنْتَ تَقُولُوا﴾ - ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ قرئ: (يقولوا) بالغيب فيهما جرياً على ما تقدم، أي: أشهدهم لثلاثا يعتذروا فيقولوا ما شعرنا، أو الذنب لأسلافنا، فجاء بالياء فيهما لمناسبة ما قبله من قوله: قالوا: بلى وما بعده من قوله: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وقوله: ولعلمهم، وفي ﴿يَقُولُوا﴾ ضمير الذرية على معنى أشهدهم على أنفسهم لثلاثا يقولوا: بلى شهدنا، أي: شهد بعضنا على بعض. وقرئ: (تقولوا) بالخطاب على الالتفات أو لمناسبة لفظ الخطاب المتقدم في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ لثلاثا (تقولوا أو تقولوا) وقيل: إن معنى ذلك أنهم لما قالوا: بلى فأقروا بالربوبية، قال الله جل ذكره للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا بإقراركم لثلاثا تقولوا أو تقولوا، وقد روى مجاهد عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال: "أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم كما يأخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا "أي: شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لثلاثا تقولوا" رواه ابن جرير في تفسيره، وقال فيه: ولا أعلمه صحيحاً.

[١٧٩] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [عجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجیه للمتشابهات فوائد متنوعة توجیه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٨﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَبِيحُ زُورٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٢﴾ أُولَئِكَ يَنْفَكُّوْنَ مَا بَصَحِيحِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٣﴾ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٤﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادِي لَهُ، وَيُذَرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٥﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرُسَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْإِبْرَةِ يَسْتَلُونَكُمْ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾

١٧٩ - وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ: خلقنا. ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾: كالبهائم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: الساهون عن آياتي وحججي، غير المهتدين والمعتبرين بها. ١٨٠ - ﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون. وقيل: إن المشركين اشتقوا «العزى» من «العزيز»، و«اللات» من «الله». وأصل «الإلحاد» في كلام العرب: العدول عن القصد، ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم. ١٨١ - ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: هي أمة محمد ﷺ. وظاهر لفظ هذه الآية يقتضي كل مؤمن من لدن آدم إلى قيام الساعة. قال النحاس: فلا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق. ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: يأخذون ويعطون ويقضون. ١٨٢ - ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: أصل الاستدراج: أخذ المستدرج برفق حتى يورط في المكروه. ١٨٣ - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم وأوفر عنهم العقوبة ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: قوي، والكيد: المكر، سمى الله تعالى إمهاله لهم بالكيد لأنه يشبهه من حيث إنه في الظاهر إحسان، وفي الحقيقة خذلان. ١٨٤ - ﴿مَا بَصَحِيحِهِمْ﴾: يعني محمداً ﷺ ﴿مِّنْ جَنَّةٍ﴾: من خيل وجنود. ١٨٥ - ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: سلطان الله فيهما وقدرته ﴿قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: قرب فيهلكون على طغيانهم وكفرهم ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن، وقيل: المراد به محمد ﷺ. وقيل: الضمير عائد على الأجل، إذ لا عمل بعد الموت. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون. ١٨٦ - ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: تمردهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يضلون ويترددون. ١٨٧ - ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن القيامة ﴿أَيَّانَ مَرُسَهَا﴾: متى قيامها؟ ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾: لا يأتي بها ولا يرسلها ﴿لَوْ قَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كبرت على أهل السماء والأرض فلا يعلمون متى تقوم؟ وقيل: «ثقلت»: عظمت في السماوات والأرض لأنها إذا جاءت انشقت السماء وانثرت النجوم وكوّرت الشمس وسيرت الجبال. ﴿بَعَثَهُ﴾: فجأة على غفلة ﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا﴾: قيل: معنى ذلك: كأنك استخفيت السؤال عنها، أي استقصيته، فعلمتها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا عند غيره. [١٨٤] قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَنْفَكُّوْنَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا، فدعا قريشاً، فجعل يدعوهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لجنون بات يهوت (أي: ينادي) إلى الصباح فأنزل الله ﴿أُولَئِكَ يَنْفَكُّوْنَ مَا بَصَحِيحِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾. [١٨٧] قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال جبل بن أبي قشير وسموئل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول، فإننا نعلم ما هي؟ فأنزل الله: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرُسَهَا﴾ الآية. وأخرج أيضاً عن قتادة: قال: قالت قريش، فذكر نحوه. [١٨٣] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣، القلم: ٤٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الأعراف والقلم ومعناها: وأمهل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفراً وطغياناً، وبذلك يتضاعف لهم العذاب، إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدْفَعُ بقوة ولا بحيلة. [١٨٤] ﴿أُولَئِكَ يَنْفَكُّوْنَ مَا بَصَحِيحِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ...﴾ [الأعراف: ١٨٤]، ﴿أُولَئِكَ يَنْفَكُّوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الروم: ٨]. أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون؟ ما هو إلا نذير لهم من عقاب الله على كفرهم به إن لم يؤمنوا، ناصح مبين... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الروم: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون برسول الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً... [١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. إن العلم بأسماء الله الحسنى ومعرفة معناها أصل عظيم من أصول الدين، بل إن هذا المطلوب العظيم من أشرف العلوم. وهو باب المحبين حقاً لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا لأحدهم منه علم ازداد شوقاً ومحبة وظمناً، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به، فأعرفهم الله أشدهم حباً له. وقد أمر سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه ويدعوه بأسمائه الحسنى، وقد بشر النبي ﷺ من أحصى أسماء الله الحسنى بجنة عرضها السماوات والأرض، كما قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً. من أحصاها دخل الجنة» رواه البخاري ومسلم. وإحصاء أسماء الله يعني إحصاء ألفاظها وعدّها، وفهم معانيها ودعاء الله بها والتعبد لله بمقتضاها. قال مالك بن دينار رحمه الله: «خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله عز وجل».

[١٨٠] ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ هنا، و«النحل: ١٠٣»، و«فصلت: ٤٠» قرئ: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء في الثلاثة من «لحد» ثلاثياً. وقرئ: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء في الثلاثة من «لحد» وقيل: هما بمعنى، وهو الميل، ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه بخلاف الضريح فإنه يحفر في وسطه، وهما لغتان، يقال: لحد وألحد إذا عدل عن الاستقامة. [١٨٦] ﴿وَيُذَرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيُذَرُّهُمْ﴾ قرئ: ﴿وَيُذَرُّهُمْ﴾ بنون العظمة ورفع الراء على الاستئناف. وقرئ: ﴿وَيُذَرُّهُمْ﴾ بياء الغيبة ورفع الراء لمناسبة صدر الآية. وقرئ: ﴿وَيُذَرُّهُمْ﴾ بالياء وجرم الراء عطفاً على محل قوله تعالى: ﴿فَكَلا هَادِي لَهُ﴾ التي هي جواب الشرط في قوله: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِي لَهُ﴾ لأن موضعها وما بعدها جزم إذ هي جواب الشرط. [١٩٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَليحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا أَتَاهُمَا﴾ قوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾ قرئ: ﴿شُرَكَاءَ﴾ بالمد على الجمع، أي: جمع شريك، واختاروا ذلك لقيام المعنى في الذم دون تقدير حذف مضاف، وقرئ: ﴿شُرَكَاءَ﴾ بكسر الشين وسكون الراء والتونين، وفيه وجهان، أحدهما: تقديره: جعلاً لغيره شركاء، أي: نصيباً، والثاني: جعلاً له ذا شريك، فحذف في الموضعين المضاف. [١٩٣] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاَ عَلَيْكُمْ آدَعُوهُمْ آمَ أَنتُمْ صَاحِبُونَ﴾ واختلف في ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ هنا و(يتبعهم) في الشعراء: ٢٢٤، قرئ: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بسكون التاء وفتح الباء الموحدة فيهما، وقرئ: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح التاء = مرة في كتاب الله. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كل (١٤٨) مرة في كتاب الله تعالى. [١٨٥] ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: ١ - وردت كلمة (محمد) (٤) مرات، ٢ - وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣ - وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤ - وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات، ٤ - وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة» تكرر كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يُؤْتِي الصَّلَاحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ تَايِةٌ فَالَوْ لَا أَجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١٩٦

١٩٦- ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾: نصيري وظهيري. ١٩٨- ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾: يعني ما كان يتخذ المشركون من الآلهة ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: يعني الآلهة. أو الأصنام. وقيل: عنى بما تقدم ذكره: المشركين لا الأصنام. ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، إذ لم يحصل لهم عن النظر والاستماع هداية أو فائدة. ١٩٩- ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: من أخلاق الناس، وهو ما لا يجهدهم، يقال: أخذت حقي عفوًا أي سهلًا. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف. وفيه اختلاف. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: أمره بالاحتمال والصفح. ٢٠٠- ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾: يغضبك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: غضب يصدك عما أدبك الله به من الإغراض عن الجاهلين، وأصل النزغ: الفساد، يقال: نزغ بيننا: أي أفسد، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: استجر. ٢٠١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: خافوا الله عز وجل ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: قيل: هو الغضب، وكل ما طاف بالإنسان من نزغ الشيطان ووسوسته. ﴿تَذَكَّرُوا﴾: قيل: يعني: إذا زلوا تابوا. وقيل: تذكروا أمر الله فانتبهوا إلى أمره ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾: متبهون مطيعون، عاصون للشيطان. ٢٠٢- ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: يعني: وإخوان الشياطين من المشركين ﴿يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ﴾: أي يزيدونهم ﴿فِي الْغَىِّ﴾: في المعاصي ﴿ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ﴾: يكفون. وقيل: بمعنى: ولا الشياطين يقصرون عن إمدادهم في الغي. ٢٠٣- ﴿لَوْ لَا أَجْتَبَيْتَهَا﴾: هلا اختلقتها وأخرجتها من نفسك. ﴿هَذَا بَصَائِرٌ﴾: حجج. ٢٠٤- ﴿فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾: اسكتوا ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: قيل: في الصلاة. وقيل: في خطبة الجمعة، وأنت في ذلك روايات واختلاف. ٢٠٥- ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾: استكانة وتواضعًا وتحشعًا ﴿وَخِيفَةً﴾: مخافة الله عز وجل ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: في إخفاء القول. العشايا. وقيل: عنى بـ«الغدو والآصال»: صلاة الصبح، وصلاة العصر. ٢٠٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: لا يتعالون عن التواضع له عز وجهه، لا إله إلا هو. [٢٠٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ الآية.

أخرج ابن أبي حاتم، وغيره عن أبي هريرة قال: نزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ، وأخرج أيضًا عنه قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ الآية. وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله. وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئًا قرأه. وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلففون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئًا قرؤوا معه، حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٦]. آية فصلت تقدمها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، فالحسنة لا تستوي مع السيئة وكذلك العكس، فالإيمان لا يساوى بالكفر، والتقوى لا تساوى بالفجور، وكذا العدل لا يساوى بالظلم، فما يشق على الإنسان فعله هو أن يدفع السيئة بالحسنة، ويقابل غلظة عدوه بالملاينة، استنكافًا لشره وأذاه، حتى يعود إلى اللطف في المقال الجميل والفعل، فيصير وإن كان عدوًا كأنه صديق قريب القربى، وهذه لا تكون إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة، فلما كان هذا الأمر من الأمور الشاقة العسيرة قال: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥]، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُجُوعٌ عَظِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٥]، فناسب الآية التوكيد بالضمير المنفصل والتعريف بالألف واللام، فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أمّا آية الأعراف فلم يتقدمها مثل ما تقدم آية فصلت، فقبلها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ففيها الحث على أحسن الأخلاق التي أمر بها الشرع، ولم يكن فيها من المشاق ما في السورة الأخرى، فجاء اللفظ على الأصل ولم تحصل المبالغة. [٢٠٣] ﴿... هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، ﴿هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]. وإذا لم تجيء أيها الرسول هؤلاء المشركين بآية قالوا: هلا أحدثتها واختلقتها من عند نفسك، قل لهم أيها الرسول: إن هذا ليس لي، ولا يجوز لي فعله؛ لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده، وهو هذا القرآن الذي أتوه عليكم حجبًا وبراهين من ربكم، وبيانا يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة يرحم الله بها عباده المؤمنين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الجاثية: إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أيها الرسول بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. [٢٠٥] ﴿وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣، الأعراف: ٥٥]. "خيفة" هي من الخوف، و"خفية" من خفي الشيء إذا استتر.

= الخوف في آية الأنعام، وإنما قال: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والخفية نقيض الجهر؟ **الجواب:** إن الدعاء والذكر المذكورين في آيتي الأعراف إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله دعاء وذكرًا. وأمّا آية الأنعام فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالناس في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لا ينصرف إلى هذه الأمور المخوفة، ولم ينصرف إلى الخوف من الله. = مجرى الوصل كما في (اخشون اليوم) و﴿يَقْضَىٰ بِالْحَقِّ﴾ وقرئ: (ولي) بياءين مشددة مكسورة، فمخففة مفتوحة على الأصل. [٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿طَائِفٌ﴾ قرئ: (طيف) بياء ساكنة من غير ألف ولا همز على وزن بيع مصدر من طاف يطيف، كباع يبيع، وكال يكيل. وقرئ: (طائف) بألف وهزمة مكسورة من غير ياء، اسم فاعل من طاف يطوف، فجعله مصدرًا كالعافية، وفعل أكثر في المصادر من فاعل. فقد حكى أنه قيل: طاف الرجل طوافًا إذا أقبل وأدبر، وأطاف يطيف إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواصبيهم، وطاف الخيال يطوف إذا ألم في المنام، وقيل: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف من الحلم والمس والجنون. وقيل: الطيف اللهو، والطائف كل ما طاف حول الإنسان، وعن ابن جبير، ومجاهد: الطيف الغضب، وعن ابن عباس: طائف لمسه من الشيطان. [٢٠٢] ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ﴾ قوله تعالى: ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ قرئ: (يُمدونهم) بضم الميم من أمد. وقرئ: (يَمُدُّونهم) بفتح الياء وضم الميم من مدّ يمدّ، وهما لغتان من مدّ وأمد، ومدّ بغير ألف أكثر ويقال: مددت في الشر وأمددت في الخير، قال تعالى في الخير: ﴿أَنَّمَا يُدِثُّ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ﴾ وقال: ﴿وَأَمَدَدْنَهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ وقال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

١- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: هي الغنائم التي غنمها رسول الله ﷺ وأصحابه بيدر. وأصل «النفل» في كلام العرب: الزيادة ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: حكمها مختص بهما ويعود إليهما. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال بينكم: معنى ذلك: فسلموا لله ورسوله يحكمان فيها بما شاء، ويضعانها حيث أرادا. ولا تختلفوا في قسمة الغنائم. ٢- ﴿وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: خافت، خشية لله، وتهيأ من جلاله وعزة سلطانه. وفيه تذكير بما هم عليه من صفات المؤمنين. ٤- ﴿دَرَجَتْ﴾: مراتب رفيعة ﴿وَرَزَقَ كَرِيمٌ﴾: قيل: الجنة. ٥- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾: قيل: معناه: إن هذا خير لكم، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيراً لك. وقيل: من بيتك، يعني: المدينة إذ أخرجه منها إلى بدر، «لكارهون» لطلب المشركين. ٦- ﴿يُحَدِّثُونَكَ﴾: قيل: يخاصمونك ﴿فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾: لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به ﴿كَلَّمَائِسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: كراهية للقاء العدو، وقيل: كان خوفهم لقلّة العدد، وأنهم كانوا رجالاً. ٧- ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: وعدهم الله العير المقبلة مع أبي سفيان، أو من نفر من مكة لاستنقاذ العير ﴿وَتَوَدُّونَ﴾: تحبون ﴿أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ﴾: التي لا قتال فيها، وهي العير. وأصل «الشوكة» من الشوك، والمعنى: وتودون أن الطائفة غير ذات الشوكة تكون لكم، دون ذات الشوكة، والمراد بها: ذات السلاح، ﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾: الإسلام ويعليه ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾: ما أمركم به من قتال الكفار ﴿وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾: يبحث أصل الجاحدين توحيد الله، بما أوقع بقريش يوم بدر، والدابر: الآخر، وقطعه: عبارة عن الاستئصال. ٨- ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: أي: ليظهره وينصره، ويذهب الباطل ويعدمه. وقيل: ليحق الإسلام، ويبطل عبادة الأوثان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ يُحَدِّثُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَلَّمَائِسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

[١] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية. روى أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا» فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإننا كنا لكم رداءً ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا. فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ فقال: «أذهب فاطرحه في القبض» فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلمي فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبي ﷺ: «أذهب فخذ سيفك». وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنهم سألوا النبي ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية.

[٥] قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: «ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا» فخرجنا فسرنا يومًا أو يومين.. فقال: ما ترون فيهم فقلنا: يا رسول الله ما لنا من طاقة بقتال القوم، إنما أخرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

[٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هل تصيب الطمأنينة أو الوجع لقلوب المؤمنين عند ذكر رب العالمين؟ الجواب: أن المراد «بذكر الله» في الآية الأولى، ذكر عظمة الله وجلاله وشدة انتقامه ممن عصاه، و«الذكر» في الآية الثانية يراد به ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأصاب إليه. [٨] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨]. فيه تحصيل الحاصل؟ الجواب: لا؛ لأن المراد بالحق الإيمان، وبالباطل الشرك. فإن قيل: ما فائدة تكرار ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ هنا مع قوله قبله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]. الجواب: فائدته أنه أريد بالأول تثبيت ما وعد الله به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، بقرينة قوله عقبه: ﴿وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، وبالثاني تقوية الدين ونصرة الشريعة، بقرينة قوله عقبه: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [١١] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْآيَةَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنَّا وَمُبَازِلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١]. ما الفرق بين «أمن، أمانة». الجواب: وردت كلمة (الأمن) خمس مرات، بينما وردت كلمة (أمانة) مرتين. ارتبطت كلمة (أمانة) بكلمة (نعاس) في المرتين اللتين وردت فيهما، ولم يحدث هذا مع كلمة (الأمن). توالي الفتحات على أحرف كلمة (أمانة) يمنحها معنى التدرج في تسرب الأمن إلى النفس، ولا يحس بهذا المعنى في كلمة (أمن) ساكنة الوسط، إذ إنها تعبر عن حالة ساكنة مستمرة.

[٩] ﴿إِنِّي مُيَدِّدُكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قرئ: (مردفين) بفتح الدال اسم مفعول، أي: مردفين بغيرهم، فقد أردفهم الله يوم بدر بألف من الملائكة. وقرئ: (مردفين) بكسر الدال اسم فاعل، أي: مردفين خلفهم ملائكة آخر، أو قادمين بعدكم. [١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنَّا﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْشَاكُمْ﴾ قرئ: (يغشاكم) بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وألف بعدها، ولفظ (النعاس) بالرفع على الفاعلية من غشي يغشى، وقرئ: (يغشاكم) بضم الياء وسكون الغين وبياء بعدها من أغشى، و(النعاس) بالنصب مفعول به وفاعله ضمير البارئ تعالى. وقرئ: (يغشاكم) بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مشددة وياء بعدها ونصب (النعاس) من غشى بالتشديد، قال تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَفَّى﴾ وفي التخفيف: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَفَّى﴾ و(يغشاكم) بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مشددة وياء بعدها ونصب (النعاس) من غشى بالتشديد، قال تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَفَّى﴾ وفي التخفيف: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَفَّى﴾ و(يغشاكم) بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مشددة وياء بعدها ونصب (النعاس) من غشى بالتشديد، قال تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَفَّى﴾ وفي التخفيف: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَفَّى﴾ وكلها لغات.

[١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنَّا وَمُبَازِلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ...﴾ [الأنفال: ١١]. علاقة المطر بالخوف: يقول الأطباء عند الخوف تفرز في الدماء مادة معينة ترتعد منها الأطراف فلا تثبت، ومن وسائل تثبيت الأطراف بتقليل هذه المادة أن يرش من هذه حالته بالماء، وقد كان نزول الماء أيضًا من الأسباب المادية التي جعلها الله وسيلة لتثبيت الأقدام، بتثبيت الأرض التي يسير عليها المجاهدون مع رسول الله، لأن الرمال إذا ابتلت تماسكت وسار عليها السائر بعزم وثبات.

[١٢] ﴿الرُّعْبَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخير) في القرآن (٥) مرات. ٣- ذكرت كلمة (الخزير) بمشتقاتها = نزول سورة الأنفال: نزلت بعد سورة البقرة، وهي مدنية بالإجماع. عدد كلمات سورة الأنفال: ألف ومائة وخمس وتسعون كلمة. عدد حروف سورة الأنفال: =

١٧- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: يعني إذ أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب يوم بدر، ورمى بها في وجوه المشركين وقال «شاهت الوجوه»! فانهزموا، وقيل: لم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء. ﴿وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾: أي: ليُعرف المؤمنين نعمته عليهم في إظهارهم على عدوهم - على قلة عددهم وكثرة عدوهم - النعمة العظيمة الحسنة؛ ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا نعمته. ١٨- ﴿مُوهِنٌ﴾: مضعف. ١٩- ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: الاستفتاح: طلب النصر. والخطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، قالت كفار قريش: ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه، وقال أبو جهل: أئنا أقطع للرحم وأئنا بما لا يعرف، فأحنه الغداة، أي: فأهلكه اليوم، فكان ذلك استفتاحه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: فقد جاءكم حكم الله عز وجل للمحق على المبطل، وللمظلوم على الظالم، ﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾: يعني: يا معشر قريش والكفرة، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾: لحربه ﴿نَعْدٌ﴾: بمثل الوقعة التي أوقعت بكم. ﴿وَلَنْ نَعْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ﴾: جماعتكم. ٢٠- ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: لا تدبروا عن رسول الله ﷺ مخالفين أمره ونهيه. ٢١- ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون المعصية، واختلف في ذلك. وقيل: المشركون. ٢٢- ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: قيل: الخلق، وقيل: إن شر ما دب في الأرض ﴿الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يبتغون الحق، وإنما أراد صم القلوب وبكمها وعميها؛ فكانت الكفار تقول: نحن صم بكم عما تدعوننا إليه يا محمد!! ٢٣- ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي: لو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا لأسمعهم سماعا ينتفعون به، ويتعلقون عنده الحجاج والبراهين. وقيل: عنى المشركين أو المنافقين. ٢٤- ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: للحق الذي في القرآن. وقيل: هو الإيمان لأنه أحياهم به من موت الكفر. ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَقَلْبِهِ﴾: أي: بين المرء وهو معدن الشهوات والصفات البدنية والكفر

والمعاصي، وبين قلبه فينوره بنوره. وقيل: يحول بين المؤمن أن يكفر، وبين الكافر أن يؤمن إلا بإذنه. وقيل: بين المرء وعقله فلا يعرف ما يعمل. ٢٥- ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾: أي اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح، أو تعم الظالم وغيره. [١٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه بجريته فسقط أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلع من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم أن رسول الله ﷺ قال «بل أنا أقتل أبيًا ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أبي قبل أن يقدم مكة» فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الآية. [١٩] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ الآية. روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتى بما لا يعرف، فأحنه الغداة، وكان ذلك استفتاحا، فأنزل الله ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أعز الفتنين، وأكرم الفرقتين، فنزلت. [٢٢] ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]. إن شر ما دبَّ على الأرض - من خلق الله - عند الله الضمُّ الذين انسدت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خرسست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمَّا الآية الثانية: إن شر ما دبَّ على الأرض عند الله الكفار المصرون على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يُقرون بوحانيته، ولا يتبعون شريعته. [٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلكُمْ وَأَوْلَدَكُم فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ﴿إِنَّمَا آمَوَلكُمْ وَأَوْلَدَكُم فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. واعلموا أيها المؤمنون أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمَّا آية التغابن: ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم، والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة غيره، وأدَّى حق الله في ماله. [١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]. كيف نفى عن المؤمنين قتل الكفار مع أنهم قتلوهم يوم بدر؟ ونفى عن النبي ﷺ رميه مع أنه رماهم يوم بدر بالحصباء في وجوههم؟! **الجواب:** نفى الفعل عنهم وعنه باعتبار الإيجاد، إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى، وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة. [٢٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الأنفال: ٢٠]. لماذا ثنى في الأمر، وأفرد في النهي؟ **الجواب:** تحرُّرًا بالأفراد عن الإخلال بالأدب مع النبي ﷺ، عند نبيه الكفار، في قرانه بين اسمه واسم الله تعالى، في ذكرهما بلفظ واحد، كما روي أن خطيبا خطب فقال: "من أطاع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى" فقال له النبي ﷺ: "بس خطيبُ القوم أنت، هَلَّا قلت: ومن عصى الله ورسوله فقد غوى"، رواه مسلم، أو أفرد باعتبار عوده إلى الله وحده، لأنه الأصل، مع أن طاعة الله وطاعة رسوله متلازمان، أو أن الاسم المفرد يأتي في لغة العرب ويراد به الاثنان والجمع، كقولهم: "إنعام فلان ومعروفه يُعْنِي" "والإنعام والمعروف لا ينفع مع فلان"، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

[٢٤] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الأنفال: ٢٤]. كما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك الذي هو رسول الله من روحه، فيصير حيًا بذلك النفخ، وكان قبل ذلك من جملة الأموات، فذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول صلي الله عليه وسلم من الروح الذي ألقى إليه. [١٨] ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُوهِنٌ﴾ بقرئ: (موهن) بسكون الواو وتخفيف الهاء والتونين على أنه اسم فاعل من أوهن معدي بالهمزة والتونين على الأصل في اسم الفاعل، و(كيد) بالنصب على المفعولية به. وقرئ: (موهن) بالتخفيف من غير تنوين و(كيد) بالخفض على الإضافة. وقرئ: (موهن) بفتح الواو وتشديد الهاء، وبالتونين ونصب "كيد" مفعول به أيضًا وماضيه: (وهن).

بدر، وما جرى فيها. **مواضيع سورة الأنفال:** مقصود السورة مجملًا قطع الأطماع الفاسدة من الغنيمة التي هي حق الله ورسوله، ومدح الخائفين الخاشعين وقت

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوْبَكُمْ وَيَنْصَرُّوَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا نُنِیَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذِهِ آيَاتِ هَذَا إِلَّا أُسْطِيزُوا الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَآبِ الْإِيمِ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(١٨٠)

٢٦- ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾: إلى آخر الآية، يعني: إذ كانوا بمكة مع رسول الله ﷺ قبل الهجرة ﴿أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ﴾: الخطف: الأخذ بسرعة. و«الناس» عنى به قريشاً. وقيل: فارس والروم. ﴿فَتَأْوِيَكُمْ﴾: يعني إلى المدينة. ٢٧- ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: نزلت في أبي لبابة لما أشار على بني قريظة، وقد سألوه ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح لو نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وقيل: في نفر من المسلمين كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ فيفشونه حتى يتصل بالمشركين ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾: قيل: هي الأمانة المعلومة، وقيل: هي فرائض الله التي تخفى على الأعين، ومعنى «تخونوا» حينئذ: لا تنقصوها. وأصل معنى الخيانة: التنقص للشيء باختفاء. ٢٨- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي اختبار من الله عز وجل لينظر كيف شكركم على ما وهبكم، وكيف أداؤكم حقوقه فيما خولكم. ٢٩- ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾: فصلاً بينكم وبين أعدائكم، بأن ينصركم ويظهر حقكم. وقيل: مخرجاً. ٣٠- ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: قيل: ليقيدوك ويحبسوك، وكانت قريش همت بذلك ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: ومكر الله بهم: أن خلص نبيه ﷺ من كيدهم ومنعه، وأهلك الذين آذوه. ٣١- ﴿أُسْطِيزُوا الْأَوَّلِينَ﴾: أسجاعهم وأحاديثهم. أو قصصهم المكتوبة المسطورة. وأساطير: جمع أسطورة. ٣٢- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾: إلى آخر الآية، هذا قول النضر بن الحارث بن كلدة، فقتل بيدر بعد أسره. ٣٣- ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: يعني أهل مكة ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾: مقيم بين أظهرهم، حتى يخرجوك، ولم تعذب أمة عذاب استتصال ونبيتها فيها. ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: بمعنى: لو أنهم يستغفرون. وقيل: إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم. أي: وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وفيهم من يستغفر من المسلمين.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال: نزلت هذه الآية ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في أبي لبابة بن عبد المنذر سألوه بنو قريظة يوم قريظة

ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه، يقول الذبح فتزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أنني خنت الله ورسوله. وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله: أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فخرجوا إليه واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: أن محمداً يريدكم فخذوا حذركم، فأنزل الله ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية. غريب جداً، في سنده وسياقه نظر، وأخرج ابن جرير عن السدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فتزلت. [٣٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن نفراً من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رآه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن يعدكم مني رأي ونصح، قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء - زهير والنابغة - فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائد من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوك من بلادكم، فانظروا غير هذا الرأي، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يُستمع من حديثه، والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، ليجتمعن عليه، ثم ليسرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا، فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذوا من كل قبيلة وسيطاً شاباً جلداً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال النجدي: هذا والله هو الرأي، والقول ما قال الفتى، لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك في الخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية: [٣١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنِیَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول، قال: وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا نُنِیَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ الآية. [٣٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَآبِ الْإِيمِ﴾ الآية. قال: نزلت في النضر، بن الحارث، وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتينا بعذاب اليم، فتزلت ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك، غفرانك، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس، قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية. فلما أمسوا منه ندموا على ما قالوا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٣] ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾، هذا يُنافي قوله أولاً؟ **الجواب:** لا منافاة، لأن الأول مقيّد بكونه ﷺ فيهم، والثاني بخروجه عنهم، أو المراد بالأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذاب الآخرة. [٣٣] ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. من فوائد الاستغفار: ١- سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أمان من العقوبة والعذاب. ٣- سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- سبب لتزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفردى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصه لله = سماع القرآن، وبعث المؤمنين أحقاً، والإشارة إلى ابتداء حرب بدر، وإمداد الله تعالى صحابة نبيه ﷺ بالملائكة المقربين، والنهي عن الفرار من صف الكفار، وأمر =

٣٤- ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ﴾: يعني: الله عز وجل أو المسجد الحرام؛ وفي هذا رد على ما كانوا يقولونه من أنهم ولاة البيت، وأن أمره مفوض إليهم. ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ﴾: عنى: أصحاب محمد ﷺ والمؤمنين ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾: يعني المشركين. ٣٥- ﴿إِلَّا مَكَّاءَ﴾: هو الصفير ﴿وَتَصَدِيَّةَ﴾: تصفيقاً باليدين. ٣٦- ﴿يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ليمنعوا المؤمنين عن دين الله، قيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب لأنه استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش، من قبائل العرب حالفوا قريشاً وانضموا إليها، لقتال رسول الله ﷺ. وقيل: إنه لما قُتل من قتل بيدر، اجتمع أبناؤهم وقرباتهم وقالوا لمن خلص ماله في العير: إن محمداً قد نال منا ما ترون، ولكن أعينونا بهذا المال الذي كان سبب الوقعة، فلعلنا أن ننال منه ثاراً، ففعلوا فنزلت الآية في ذلك. وعلى القولين فإنما أنفق المال في غزوة أحد. والآية عامة إلى يوم القيامة. ٣٧- ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْحَيِّثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن من الكافر، وأهل السعادة من أهل الشقاء. ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: فيجعلهم ركاماً، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا. ٣٨- ﴿إِنْ يَنْتَهُوْا﴾: عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقاتله وذلك بالدخول في الإسلام، ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: من عداوة وغيرها؛ فإن الإسلام لا يجب ما قبله. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾: في المشركين بيدر، والقرون الخالية. ٣٩- ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾: شرك. ٤٠- ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أصروا ﴿نِعَمَ الْمَوْلَى﴾: نعم المعين ونعم الناصر.

[٣٩] شرح اسم الله البصير: البصير هو الذي أحاط بصره بجميع المُبْصِرات في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها، يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقّتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيّر العقول في عظمتها، وسعة متعلقات

صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خائئات الأعين. عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[البروج: ٩]﴾، أي مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات. [٤٠] شرح فهو: الربُّ، والمالكُ، والسَّيِّدُ، والمُنْعَمُ، والمُعْتَقُ، والناصرُ، والمُحِبُّ، والتابعُ، والجارُّ، وابنُ العم، وفي الحديث، فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مو - بالفتح - في النسب، والنصرة والعق. والولاية - بالكسر - في الإمارة، والولاء للمُعْتَق، والموالاتة من وهو الذي يتولى نصر المؤمنين وإرشادهم كما يتولى يوم الحساب ثوابهم جزاءهم. [٤٠] شرح اسم اد واحد من المتناصرين ناصرٌ ومنصورٌ، وقد نصره ينصره نصراً إذا أعانه على عدوه وشدَّ منه. والنصير هو

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ الآية. أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصليّون في كل صلاة ركعتين. ثم قرأ الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمير بن قتادة أصيب قريش يوم بدر، ورجعوا إلى مكة، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم، وقتل خيركم ففعلوا، ففيهم كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يُخْشِرُونَ﴾ و سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب، وأخرج ابن جرير عن ابن أبزي، وسعيد بن جبیر قال: نزّل ليقاتل بهم رسول الله ﷺ [٣٩] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

قول آخر: آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جحش وعمر بن الحضرمي، وصلى على تلك الحال، وآية الأنفال نزلت بعد وقعة بدر، وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرحم رجاءهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ أُعْيَا وَيَكُونُ لَكَ أُعْيَا﴾، أي: لا يُعبد سواه. = مؤمنة. ٧- أنه سبب وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفياقي والقفار. ٨- إغاية الشيطان. ٩- المستغفرون يمتنعهم ربهم من بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيداً من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون الكتاب والسنة. ١٢- المتاع الحسن في الدنيا، وإتياء كل ذي فضل فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء تُجلب النعم وتُدفع النقم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنه سبب العويصة. ١٩- سبب لانسراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبد لربه عز وجل ويقر له بصفة الغفار. ٢١- وغير ذلك من الفوائد والثمرات. [٣٤] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]،

يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ ﴿٣٣﴾ هَذَا يُبَيِّنُ قَوْلَهُ أَوَّلًا؟ **الجواب:** لا منفاة، لأن الأول مقيد بكونه **يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ**، والثاني بخروجه ع **﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** [الأنفال: ٣٣] إذا كان في القلب، فإن الله لا يعذبهم إلا في الدنيا ولا في الآخرة. وإذا كان وجود الرسول في القلب مانعًا من المؤمنين بإجابة الله ورسوله، والتحذير من الفتنة، والنهي عن خيانة الله ورسوله، وذكر مكر كفار مكة

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ۚ إِنْ أُولَآئِهِمْ إِلَّا الْمُنْفُونَ
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا انْتَفِقُوا
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٢٦﴾ لِيُمِيزَ اللَّهُ الْأَخْيَثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْأَخْيَثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ
فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَآ قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي اللَّهِ فَإِنْ
انْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوَلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٣٠﴾

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤١] إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خَقَلْتُمْ فِي الْمِعَادِ وَلَكِنَّ لِقَاضِي اللَّهِ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلْبًا لَفُتِلَتْ وَلَنَنْزَعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَذَاتُ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلَكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُتَّةً فَاقْبَلُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

٤١ - ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: الغنمة: مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر أو بعد قتال، فيقسم على الغنائم أربعة أخماس، وأما الخمس الخامس فيكون لمن ذكر في الآية هذه. ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾: كل شيء لله، والمعنى: أن للرسول خمسة يصرفه حيث شاء في مصالح المسلمين. ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: قرابة رسول الله ﷺ: بنو هاشم وبنو المطلب، وحلفاؤهم ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، فرق الله به الحق والباطل. ٤٢ - ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾: إلى المدينة، والعدوة: جانب الوادي. والدنيا: تأنيث «الأدنى»، ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾: مما يلي مكة، والقصوى: تأنيث «الأقصى» ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: العير، وأبو سفيان ﴿لَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خَقَلْتُمْ﴾: أي: لو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في هذا الموضع لخالف بعضهم بعضًا. ﴿لِيَهْلِكَ﴾: ليموت ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: أي بعد ظهور الحجة. ٤٣ - ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾: رأى رسول الله ﷺ جيش أبي سفيان في منامه قليلاً، فقص ذلك على أصحابه فكان ذلك سبباً لثباتهم. ﴿لَفُتِلَتْ﴾: لضغفتم وخفتم، بمعنى: لفشلت أنت ولفشل أصحابك إن رأوا ذلك في وجهك. ٤٤ - ﴿فُتَّةً﴾: جماعة ﴿فَاقْبَلُوهَا﴾: لا تنهزموا. [٤٥] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحَفًا...﴾ [الأنفال: ١٥]، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُتَّةً فَاقْبَلُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تولوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمّا الآية الثانية: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، وادكروا الله كثيراً داعين مبتلين لأنزال النصر عليكم والظفر بعدوكم؛ لكي تفوزوا.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلَكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

فائدة تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهرة، وهي زوال الرب من قلوب المؤمنين، فما فائدة تقليل المؤمنين في أعين الكفار، في قوله: ﴿وَقَلِيلَكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾؟ **الجواب:** فائدته أن لا يبالغوا في الاستعداد لقتال المؤمنين، لظنهم كمال قدرتهم، فيقدموا عليهم ثم تفجؤهم كثرة المؤمنين فيدهشوا، ويتحيروا، ويفشلوا. [٤٥] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُتَّةً فَاقْبَلُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. **من ثمرات الذكر:** ١ - يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. ٢ - يرضي الرحمن عز وجل. ٣ - يزيل الهم والغم عن القلب. ٤ - يجلب للقلب الفرح والسرور. ٥ - يقوي القلب والبدن. ٦ - ينور الوجه والقلب. ٧ - يجلب الرزق. ٨ - يكسو الذكور المهابة والخلاوة والنضرة. ٩ - يورث المحبة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليهلج بذكره. ١٠ - يورث المراقبة حتى يدخل العبد في باب الإحسان. ١١ - يورث الإنابة وهي الرجوع إلى الله عز وجل. ١٢ - يورث القرب من الله فعلى قدر ذكر العبد لله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلة العبد عن الله عز وجل يكون بعده منه. ١٣ - يفتح للعبد باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة. ١٤ - يورث العبد الهيبة لربه عز وجل. ١٥ - يورث ذكر الله سبحانه وتعالى للعبد. ١٦ - يورث حياة القلب، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟ ١٧ - قوت القلب والروح فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. ١٨ - يورث جلاء القلب من صدائه، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار. ١٩ - يحط الخطايا ويذهبها. ٢٠ - يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه. ٢١ - أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسميحه وتحميدته يذكر بصاحبه عند الشدة. ٢٢ - أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة. ٢٣ - ينجي من عذاب الله تعالى. ٢٤ - سبب تنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة. ٢٥ - سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل. ٢٦ - مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين. ٢٧ - يسعد الذّاكر بذكره ويسعد به جلسيه. ٢٨ - يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة. ٢٩ - البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر. ٣٠ - الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين. ٣١ - أسير العبادات وهو من أجلها وأفضلها. ٣٢ - غراس الجنة. ٣٣ - العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال. ٣٤ - دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعهاده. ٣٥ - الذكر يسير، فالعبد يذكر وهو في فراشه وفي = [٤٢] ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِالْعُدْوَةِ قُرَى﴾: **(بالعدوة - بالعدوة)** بكسر العين فيهما وبضمهما، وهما لغتان لأهل الحجاز، وإنكار بعضهم الضم محمول على أنه لم يبلغه، والكسر: عند الأخفش أكثر اللغتين. قوله تعالى: ﴿مَنْ حَيَّ﴾ قرئ: **(حَيَّ)** بكسر الياء الأولى مع فك الإدغام وفتح الثانية، ووجهه أنه أتى بالفعل على أصله، واستثقل الإدغام والتشديد في الياء أيضاً، فإنه شبهها بياء "يحى" التي لا يحسن فيها الإدغام في حال نصب، ولا رفع. وإنما شبهها لأنها قد تتغير بالسكون إذا اتصل بها المضمّر المرفوع كما تتغير ياء (يحى) في النصب، ولا تدغم فيها لأن تغييرها عارض، وقد ذكر سيبويه أنه ورد "أحيا" و"أحييته" بالإظهار، وقد قالوا: أعياء ولم يدغموا، وإن كانت حركة اللام لا تتغير، فكذلك لم يدغموا في (حي) لأن حركة اللام قد تتغير مع المضمّر. وقرئ: بياء مشددة مفتوحة، وهما لغتان مشهورتان في كل ما آخره ياءان من الماضي أولاهما مكسورة نحو: (عَيَّ وَحَيَّ) وقد قال بعضهم في وجه الإدغام: إن الياء الأولى من "حَيَّ" يلزمها الكسر كما يلزم عين "عضضت" و"شممت" فصار يلزمه الحركة لها كغيرها من حروف السلامة، فصارت كالصحيح في نحو: (شَمَّ وَعَضَّ) فأجرى هذا مجراه، فأدغم إذ صارت الياء الأولى بالحركة في حكم الصحيح، فإذا لزمت الحركة لام الفعل جاز الإدغام، وإذا لم تلزمه الحركة لم يحسن الإدغام نحو: (يحى الموتى) فهذا لا يحسن فيه الإدغام لأن حركة الياء الثانية غير لازمة، وهي تتنقل بالإعراب إلى السكون، فلما لم تلزمه الحركة لم يعتد بها، فصارت الياء الثانية كأنها ساكنة، والساكن لا يدغم فيه، إنما يدغم في المتحرك، فلم يجز الإدغام فيما ليست حركته لازمة، كما لم يجز فيه الرفع لثلاث يلتقي ساكنان.

= وذكر إضاعة نفقاتهم في الضلال والباطل، وبيان قسّم الغنائم، وتلاقي عساكر الإسلام وعساكر المشركين، ووصية الله المؤمنين بالثبات في صف القتال،

٤٦- ﴿وَلَا تَسْرِعُوا﴾: لا تختلفوا ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: تضعفوا وتنكسروا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: مثل، يقال للرجل إذا أقبل عليه ما يحبُّه: «الريح مقبلة عليه». وقيل: «ريحكم»: قوتكم ونصركم، وذهب ريحكم يوم أحد حين نازعوه وخالفوا أمره. ٤٧- ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾: يعني: المشركين إذ خرجوا إلى بدر؛ وقالوا بعد أن أحرزوا العير: لا نصرف دون بدر، حتى ننحر به الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف القيان بما كان منا. ٤٨- ﴿وَإِنْ جَارَ لَكُمْ﴾: تصور لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي وقال لهم: إني جار لكم من بني بكر بن عبد مناة. وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم. ﴿نَكْصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾: رجع القهقري مدبراً. ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾: رأى جبريل عليه السلام والملائكة. أي تبرأ منهم لما رأى أمارات النصر مع المسلمين بإمداد الله تعالى لهم بالملائكة. ٤٩- ﴿مَرَضٌ﴾: شك. ﴿عَرَهُوْلَاءَ دِيْنَهُمْ﴾: حتى تكلفوا ما لا طاقة لهم به من قتال قريش. ٥٠- ﴿وَأَذْبَرَهُمْ﴾: أستاذهم، ولكن الله عز وجل كفى. ٥٢- ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كفعلهم وستهم.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ الآية. [٤٩] قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآية. روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعَ وَيُولُونَ الذَّبْرَ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلاً بالسيف يقول: ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعَ وَيُولُونَ الذَّبْرَ﴾ فكانت ليوم بدر. فأنزل الله فيهم ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمُ بِالْعَذَابِ﴾ [المؤمنون: ٦٤] الآية، وأنزل ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] ورماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية، وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقول عينيه وفاه، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَ رَبُّهُ الرَّحْمَنُ﴾. وأنزل في إبليس ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ [٤٩] الآية. وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: ﴿عَرَهُوْلَاءَ دِيْنَهُمْ﴾. فأنزل الله ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَرَهُوْلَاءَ دِيْنَهُمْ﴾. [٤٩] الآية. ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: عَرَهُوْلَاءَ المسلمين دِيْنَهُمْ، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعدده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه، فهذا ما دلت عليه الأنفال، أمّا آية الأحزاب: وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: ما وعدنا الله ورسوله إلا باطلاً من القول وغروراً، فلا تصدقوه. [٥١] ذلك يحا قَدَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في آل عمران والأنفال، ومعناها: أن ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدّمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد.

٣٦- الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في آخرته. ٣٧- في القلب خلة وفاق لا يسدها شيء إلا البتة إلا ذكر الله عز وجل. ٣٨- الذكر رأس الأصول. ٣٩- الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهوميه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمة وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطايا وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل. ٤٠- الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته. ٤١- الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون. ٤٢- الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق. ٤٣- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل. ٤٤- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم والمقيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتصرون ويجاهدون، فقال ﷺ: "ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟" قالوا: بلى يا رسول الله قال ﷺ: "تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة" الحديث، متفق عليه. فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا - إلى صدقاتهم وعبادتهم بإلهم - التعب بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين، فنفسهم الفقراء وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا لهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال ﷺ: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". رواه البخاري ومسلم.

[٤٦] ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا﴾ قرئ: (أن) بفتح همزة (إن) على تقدير لام العلة (وأن الله) في موضع نصب بحذف لام الجر منها، والتقدير: ولن تغني عنكم فتتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين، أي: ولأن الله مع المؤمنين لن تغني عنكم فتتكم شيئاً ولو كثرت، أي: من كان الله في نصره لن تغلبه فئة ولو كثرت. وقرئ: (إن) بالكسر على الاستئناف، وفيه معنى التوكيد لنصره للمؤمنين لأن (إن) تكسر في الابتداء لتوكيد ما بعدها من الخبر.

= وغرور إبليس طائفة من الكفار، وذم المنافقين في خذلانهم لأهل الإيمان، ونكال ناقضي العهد ليعتبر بهم آخرون، وتهية عذر المقاتلة والمحاربة، والميل إلى الصلح عند استدعائهم الصلح، والمن على المؤمنين بتأليف قلوبهم، وبيان عدد عسكر الإسلام، وعسكر الشرك، وحكم أسرى بدر، ونصرة المعاهدين لأهل الإسلام، وتخصيص الأقارب وذوي الأرحام بالميراث في قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَسْرِعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَآعِمْلُون مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لِغَالِبٍ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَرَهُوْلَاءَ دِيْنَهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَاتَّ اللَّهُ عَلَيْهِ غَيْرَ حَكِيمٍ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ أَإِلَٰهٌ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ فِي قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَنْهُمْ لَا يَعْبُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَحَحُوا لِّلْسَلَامِ فَاْجَنَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

٥٣- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾: إلى آخر الآية: أنعم الله على قريش بأنه ابتعث نبيه منهم وفيهم، فكذبوه وأخرجوه؛ فنقله إلى الأنصار، وغير نعمته عليهم، وعذبهم، وأهلك من شاء منهم. وهذا مثال لهذه السنة من سنن الله تعالى: أنه إذا أنعم على قوم بلطفه ورحمته، فإنه لا يغير تلك النعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال بكفران نعم الله، وغمط إحسانه، وإهمال أوامره. ٥٤- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: ما دب على وجه الأرض. ٥٥- ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾: يعني بني قريظة؛ لأنهم نقضوا العهد ومالوا على رسول الله ﷺ أعداءه يوم الخندق. ٥٦- ﴿فَمَا تَتَّقُهُمْ﴾: تلقاهم وتقدر عليهم ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾: نكل وافعل بهم فعلاً يكون إخافة لمن وراءهم، والشريد: التفريق مع الاضطراب. ٥٧- ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾: يعني: من عدو بينك وبينه عقد وعهد ﴿خِيَانَةً﴾: نكثاً لعهد وغدراً ﴿فَإَنْزِلْ إِلَيْهِمْ﴾: ارمهم بحرب، واطرح إليهم العهد الذي بينك وبينهم. ٥٨- ﴿سَبَقُوا﴾: فاتوا ﴿أَنْهُمْ لَا يَعْبُرُونَ﴾: لا يفوتون. ٥٩- ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: يقوي على العدو. ﴿تُرْهِبُونَ﴾: تخيفون ﴿وَأَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾: قيل: هم المنافقون ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: قيل: يخلف عليكم في الدنيا، ويدخر لكم في الآخرة. ٦٠- ﴿وَإِنْ جَحَحُوا﴾: مالوا، يعني: بني قريظة ﴿لِّلْسَلَامِ﴾: إلى المسالة بدخول الإسلام أو الجزية لأنهم كانوا أهل الكتاب، فأما عبدة الأوثان فلا يجوز قبول الجزية منهم.

[٤٧] معنى اسم الله المحيط: هو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. [٤٩] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم

الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضره فيضره، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٤٩] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتلاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟...

[٥٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبيرة قال: نزلت ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في ستة رهط من اليهود فيهم «ابن التابوت». [٥٨] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ قَوْمٍ﴾ الآية. روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعت السلاح، وما زلت في طلب القوم، فأخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الآية.

[٥٤، ٥٥] ﴿كَذَّابٌ أَإِلَٰهٌ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، ﴿كَذَّابٌ أَإِلَٰهٌ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، ﴿كَذَّابٌ أَإِلَٰهٌ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤]. آية آل عمران قال فيها: ﴿فَآخَذَهُمُ اللَّهُ﴾، ولم يقل فأخذناهم على القياس لأنه قال قبلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٩]. والتشابه بين آيتي الأنفال ذكرت فيه أقوال عديدة لعل أقربها: أن الآية الأولى بينت عقوبتهم عند الموت، والثانية بينت عقوبتهم بعد الموت. أو أن الأولى بينت عقوبة لم يمكن الله أحداً من فعلها، وهي ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزاع أرواحهم، والثانية عذاب مكن الله الناس من فعله، وهو الإهلاك والإغراق. وقيل: إن الأولى كذاب آل فرعون فيما فعلوا، والثانية كذابهم فيما فعل بهم. [٤٧] ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (يعملون - تعملون) بالغيب لمناسبة ما قبله وبالخطاب على الالتفات. [٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى﴾ قرئ: (تتوفى) بالتاء على التانيث، والفاعل الملائكة، وقرئ: (يتوفى) بالتذكير لكون الفاعل مجازي التانيث والفصل بينهما. [٥٩] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ [النور: ٥٧]، قرئ: (يحسبن - تحسبن) بالغيب والخطاب، و"الذين" مفعول أول على قراءة الخطاب، و"سبقوا" ثان، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم، والفاعل على قراءة الغيب ضمير يعود على الرسول أو يفسره السياق. وإن جعل "الذين" فاعلاً فالمفعول الأول محذوف، أي: أنفسهم، والثاني: سبقوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ قرئ: (أنهم) بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا لأنهم لا يعجزون، وقرئ: (إنهم) بكسر الهمزة على الاستئناف والقطع مما قبله لما فيه من معنى التأكيد. [٦٠] ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ قرئ: (ترهبون) بتشديد الهاء من رهب المضاعف، وقرئ: (ترهبون) بتخفيفها من أَرهَب المزيد بالهمزة. [٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولاً: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانياً: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن.

٦٢- ﴿يَعْدُوكَ﴾: بإرادة الصلح، وهم مضمرون الغدر والخداع. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: كافيك الله ﴿أَيْدِكَ﴾: قواك ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني الأنصار. ٦٣- ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾: يعني الأوس والخزرج، وكانوا متعادين. ٦٤- ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الله حسبك وحسبهم، يكفيك ويكفيهم، وقيل: حسبك الله، وحسبك المؤمنون. ٦٥- ﴿حَرِصٌ﴾: حث، والتحريض في اللغة: المبالغة في الحث. ٦٦- ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: يقال: أثخن فلان في الأمر؛ إذا بالغ فيه، والمعنى: حتى يبلغ في قتل المشركين. أو حتى يقوى ويتمكن، نزلت في أخذ الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به، وقال رسول الله ﷺ للمسلمين معه: «إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم، واستشهد منكم بعدتهم» أي: فيما بعد، فقالوا: بل نأخذ الفداء فنستمتع به، ويستشهد منا بعدتهم، فكان آخر السبعين ثابت بن قيس، استشهد باليمامة، رواه الحاكم والبيهقي، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: يعني: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بقتلهم والتمكين للمسلمين. ٦٨- ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾: لأهل بدر ألا يعذبهم. بل أن يغفر لهم ذنوبهم - كما في الحديث الصحيح - (لستكم فيما أخذتم) أي بسبب ما أخذتم من المال، فداء لأسرى بدر. [٦٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ الآية. روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وله شواهد. وأخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم إن عمر أسلم فكانوا أربعين، نزل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. [٦٥] قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكِيرُونَ﴾ الآية. أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ إلى آخر الآية. [٦٧] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي﴾ الآية. روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تغفر عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية. [٦٨] ﴿... لَمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]، ﴿... لَمَسْكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]. لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة، لنالكم عذاب عظيم بسبب أخذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنهما تشريع... فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أما آية النور: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجل عقوبتكم، وتاب على من تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم "وهي حادثة الإفك". [٥٣] ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُمُ اللَّهُ لَمَّ يَكُ مُعَذِّبًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]. تشير الآية إلى أن الله إذا عاقب قوماً وابتلاهم لم يغير ما بهم من العقوبة والبلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة، كما قال ابن عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة) ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة" متفق عليه. فإذا منع الكلب والصورة دخول الملك إلى البيت، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبة في قلب ممتلئ بكلا الشبهات وصورها. [٦٠] ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أمر سبحانه وتعالى بإعداد القوة للأعداء، فإن الله تعالى لو شاء لهنهم بالكلام وبحفنة من تراب كما فعل صلى الله عليه وسلم، ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، فأمر بإعداد القوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بإمداد الملائكة العليا... [٦٦] ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]. من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْعَوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهديته، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّغَرِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] الذين إذا أصابتهم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]. ٥- توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر وأن الكرب مع العسر يسراً" صححه الألباني. ٦- محبة الله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ٧- اجتماع خصال الخير في الصابر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]. [٦٥] ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَكُنْ﴾ قرئ: (يكن) بالياء من تحت فيهما للفصل بالظرف، ولأن التأنيث مجازي، ولأن المخاطبين مذكورون فردوه على المعنى، فذكروا كما قال: ﴿يَغْلِبُوا﴾ وقرئ: (يكن - تكن) بالتذكير في الأول والتأنيث في الثاني، وصفه بالمؤنث، وهو صابرة قواه. وقرئ: (تكن) بالتأنيث فيهما لأجل اللفظ، فلفظ مائة مؤنث. [٦٦] ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّكُمْ ضَعْفًا﴾ قوله تعالى: ﴿ضَعْفًا﴾ قرئ: (ضعفاً - ضعفاً) بفتح الضاد وضمها وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في الفعل والرأي، والضم في البدن، وقرئ: (ضعفاء) بفتح العين والمد وهمزة مفتوحة بلا تنوين جمعاً على فعلاء كظريف وظرفاء، وكلها لغات في لفظ ضعف. [٦٧] ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ﴾ قرئ: (تكون) بالتأنيث مراعاة للفظ الأسرى لأن فيها ألف التأنيث، وقرئ: (يكون) بالتذكير حملاً على تذكير معنى الأسرى لأن المراد به الرجال. قوله تعالى: ﴿أَسْرَى﴾ و﴿مِنَ الْأَسْرَى﴾ قرئ: (أسرى - الأسارى) بفتح الهمزة وسكون السين في الأول، وضم الهمزة وفتح السين = [٦٧، ٥٧] ﴿فَمَا تَتَفَقَّهُنَّ مِنَ الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾، ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب) بمشتقاته (٦) مرات في كتاب الله تعالى، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى) بمشتقاته (٦) مرات أيضاً في كتاب الله تعالى. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (الأسرى) بمشتقاته، وقد ورد كل (٦) مرات في كتاب الله تعالى.

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يُخَدُّوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصَبْرِهِ. وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَبْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّا لَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٧٠﴾ مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٢﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنفِقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٣﴾

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٧١- ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾: المكر والخداع بأن يقولوا ما ليس في أنفسهم. ٧٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: صدقوا ﴿وَهَاجَرُوا﴾: هجروا قومهم وتركوا أوطانهم وعشائيرهم، يعني المهاجرين ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا﴾: رسول الله ﷺ والمسلمين، ﴿وَنَصَرُوا﴾: يعني الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أنصار بعض، وأعوان على من سواهم. أي أن بعضهم ينصر بعضاً، ويتولاه في أموره. وقيل: عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض، وأن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام، أي أنه عنى بذلك الميراث خاصة - ثم نسخ ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. وقيل: كان لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، ثم نزل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يهاجَرُوا﴾: لم يفارقوا دار الكفر ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني: من نصرهم وميراثهم. وقيل: الولاية هاهنا: الميراث ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ﴾: أي هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿فِي الدِّينِ﴾: يعني بأنهم من أهل دينكم على المشركين، ﴿مِيثَاقٌ﴾: عهد. ٧٣- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: قيل: بعضهم أحق ببعض من أقاربهم المؤمنين ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: الضمير يعود إلى ما أمروا به قبل هذا من موالة المؤمنين، وترك موالة الكافرين، والموالة المشار إليها عامة في النصرة والتأييد. أو أنها خاصة بالميراث. والمعنى على هذا: إلا تأخذوا في الميراث بما أمركم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة، والأنصار بالإيمان، دون أقربائهم من أعراب المسلمين، ودون الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ﴾: يقول: يحدث بلاء ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، بسبب ذلك يعني: معاصي الله. [٧٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ﴾ الآية. روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: في والله نزلت، حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألت أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي، فأعطاني الله تعالى بها عشرين عبداً كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله. [٧٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن السدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورت أرحامنا المشركين، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. [٧٥] قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل ثرتي وأرثك، فنزلت ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك قال الزبير: لقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته، فنزلت هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فصارت الموارث بعد للأرحام والقرابات، وانقطعت تلك الموارث في المؤاخاة. [٦٩] ﴿وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٨٨]، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]. تمتعوا أيها المؤمنون بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الأنفال: فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. [٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ أَوْلَىٰ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠]. في سورة الأنفال تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، و﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨]، أي: من الفداء، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٩]، فقدم ذكر المال، وفي براءة تقدم ذكر الجهاد، وهو قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ١٦]، وقوله: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، فقدم ذكر الجهاد. [٧٥] ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]. وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين، إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية الأحزاب: وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة "وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نسخ ذلك بآية الموارث" إلا أن تفعلوا - أيها المسلمون - إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ. [٦٣] ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]. روى الحاكم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: (إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يرححها شيء، ثم يقر: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. = وبالألف بعدها في الثاني، وقرئ: (أسارى) بضم الهمزة فيهما وفتح السين بعدها ألف على وزن فعالي. وقرئ: (أسرى) بفتح الهمزة وسكون السين بلا ألف فيهما على وزن فعلي كقتيل وقتلي، وهو قياس فعيل بمعنى مفعول، وهو أصل باب أسير فيجمع على فعلى كقتيل وقتلي، وصريع وصرعى، وذلك أن "فعيلاً" إذا كان بمعنى مفعول فبابه في الجمع فعلاء، وقيل: إن (أسرى) حمل على كسلى كما حمل كسلى على (أسرى) لشبهه به فكُل حُمِلَ على الآخر، وإنما اشتبهت لأن معناهما متقارب، وذلك أن الكسل أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته، وكذلك الأسر يدخل عليه بغير شهوته، فلما اتفقا في المعنى امتزجا في الجمع، فحمل كل على الآخر في باب. فباب أسير يجمع على أسرى كجريح وجرحى، وباب كسلان يجمع على كسالى كسكران وسكاري، فحمل أسير على باب كسلان فجمع على أسارى، وحمل كسلان على باب أسير فجمع على "كسلى" وقد خرج أيضاً أسير عن باب فجمع على أسراء لمشابهته في اللفظ "ظريف وظرفاء" وقد قال الأخفش: الأسرى الذين لم يدخلوا في الوثاق، والأسارى الذين دخلوا في الوثاق. [٧٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يهاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَلَعَلَّكُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قوله: ﴿مِنْ وَلِيَّتِهِمْ﴾ هنا (الولاية) بالكهف: ٤٤، قرئ: (ولايتهم) بكسر الواو فيهما. وقرئ: (ولايتهم) بفتح الواو وهما لغتان؛ أو الفتح من النصرة والنسب، والكسر من الإمارة.

يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيُعْطِ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يهاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَلَعَلَّكُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

ابن جرير، وأبو الشيخ، عن السدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورت أرحامنا المشركين، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. [٧٥] قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل ثرتي وأرثك، فنزلت ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك قال الزبير: لقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته، فنزلت هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فصارت الموارث بعد للأرحام والقرابات، وانقطعت تلك الموارث في المؤاخاة. [٦٩] ﴿وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٨٨]، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]. تمتعوا أيها المؤمنون بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الأنفال: فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. [٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ أَوْلَىٰ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠]. في سورة الأنفال تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، و﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨]، أي: من الفداء، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٩]، فقدم ذكر المال، وفي براءة تقدم ذكر الجهاد، وهو قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ١٦]، وقوله: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، فقدم ذكر الجهاد. [٧٥] ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]. وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين، إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية الأحزاب: وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة "وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نسخ ذلك بآية الموارث" إلا أن تفعلوا - أيها المسلمون - إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ. [٦٣] ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]. روى الحاكم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: (إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يرححها شيء، ثم يقر: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. = وبالألف بعدها في الثاني، وقرئ: (أسارى) بضم الهمزة فيهما وفتح السين بعدها ألف على وزن فعالي. وقرئ: (أسرى) بفتح الهمزة وسكون السين بلا ألف فيهما على وزن فعلي كقتيل وقتلي، وهو قياس فعيل بمعنى مفعول، وهو أصل باب أسير فيجمع على فعلى كقتيل وقتلي، وصريع وصرعى، وذلك أن "فعيلاً" إذا كان بمعنى مفعول فبابه في الجمع فعلاء، وقيل: إن (أسرى) حمل على كسلى كما حمل كسلى على (أسرى) لشبهه به فكُل حُمِلَ على الآخر، وإنما اشتبهت لأن معناهما متقارب، وذلك أن الكسل أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته، وكذلك الأسر يدخل عليه بغير شهوته، فلما اتفقا في المعنى امتزجا في الجمع، فحمل كل على الآخر في باب. فباب أسير يجمع على أسرى كجريح وجرحى، وباب كسلان يجمع على كسالى كسكران وسكاري، فحمل أسير على باب كسلان فجمع على أسارى، وحمل كسلان على باب أسير فجمع على "كسلى" وقد خرج أيضاً أسير عن باب فجمع على أسراء لمشابهته في اللفظ "ظريف وظرفاء" وقد قال الأخفش: الأسرى الذين لم يدخلوا في الوثاق، والأسارى الذين دخلوا في الوثاق. [٧٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يهاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَلَعَلَّكُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قوله: ﴿مِنْ وَلِيَّتِهِمْ﴾ هنا (الولاية) بالكهف: ٤٤، قرئ: (ولايتهم) بكسر الواو فيهما. وقرئ: (ولايتهم) بفتح الواو وهما لغتان؛ أو الفتح من النصرة والنسب، والكسر من الإمارة.

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۚ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا الْبَيْعَ الَّتِي هُمْ فِيهَا ۚ فَمَن يَتَذَكَّرْ لَّهِ فَإِنَّهُ لَمُحِبٌّ ۚ فَإِذَا نَسَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَةً ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۚ

١- ﴿بَرَاءَةٌ﴾: بمعنى: هذه براءة. والبراءة: انقطاع العصمة، أي براء الله إلى المشركين من العهود التي عاهدهم النبي ﷺ والمؤمنون، وانقطعت العصمة منها. وقيل: انقطعت لانقطاع مدة العهد. ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: العهود إنما كان عقدها لرسول الله ﷺ ولمن يعقدها بأمره. فخطب الله المؤمنين بـ«عاهدتم»، لعلمهم بمعنى المخاطبة. ٢- ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾: فسيروا مُقْبِلِينَ ومُدْبِرِينَ، آمنين غير خائفين من رسول الله ﷺ وأتباعه ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: جعلها الله أجلاً لمن كان له عهدٌ منه عليه السلام فنقضه وظاهر عليه؛ أولها عشر ذي الحجة إلى عشر من ربيع الآخر، ومن لم ينقض عهده ولا ظاهر عليه ثم له عهده إلى مدته وأجله ﴿أَنْتُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: لا تفوتونه حيثما ذهبتم. ٣- ﴿وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: يوم عرفة. وقيل: يوم النحر. واختلف في ذلك ومعنى: أذان: إعلام. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾: أن الله ورسوله من عهد المشركين بريثان ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من كفركم ورجعتم إلى الإيمان بتوحيد الله وبما جاء به رسوله عليه السلام ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أدبرتم. ٤- ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: لم يُعاونوا. ﴿فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ﴾: إلى الأجل المسمى. ٥- ﴿فَإِذَا نَسَخَ﴾: خرج وانقضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾: هاهنا: الأربعة المتقدمة التي جعلها الله أجلاً وحرم على المسلمين دماء المشركين فيها، وأن يعرضوا لهم ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: لقيتموهم ﴿وَخُذُواهُمْ﴾: اسسروهم ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ﴾: امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد المسلمين ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: كل طريق ومرقب. ٦- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾: إن طلب مشرك عهداً يأمن به حتى يسمع القرآن ويرى حال الإسلام ﴿فَأَجِرْهُ﴾: آمنه ﴿ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَةً﴾: إلى حيث يأمن منك وعن في طاعتك، إذا لم يرض بالإسلام ولم يهد إليه.

[١] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصَّفْح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحِبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوهِ أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرِّمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يُجِبُّ ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقَرَّباً لمغفرته. [٥] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدُلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٢، ٣] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣]. ﴿أَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾، تكررت مرتين، لأنَّ الأول للمكان، والثاني للزمان المذكورين قبل في قوله: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]. [٥] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ١١]. ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾، تكررت مرتين؛ لأنَّ الأول في المشركين، والثاني في اليهود، فيمن حمل قوله تعالى: ﴿أَشْتَرُوا بِقَائِبِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] على التوراة. وقيل: هما في الكفار وجزاء الأول تخليه سبيلهم، وجزاء الثاني إثبات الأخوة لهم، ومعنى ﴿بِقَائِبِ اللَّهِ﴾ القرآن الكريم.

[١] ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]. لم ترك البسملة فيها دون غيرها؟ **الجواب:** لاختلاف الصحابة في أن براءة والأنفال سورتان أو سورة واحدة، نظراً إلى أن كلا منهما نزل في القتال، فترك بينهما فُرْجة، عملاً بالأول، وتركت البسملة عملاً بالثاني. أو لأنَّ البسملة أمانٌ، وبراءة فيها قتل المشركين ومحاربتهم فلا مناسبة بينهما. أو لأنَّ الأنفال لما تَضَمَّت طلب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، وأن ينقطعوا عن الكفار بالكلية، وكان قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، تقريراً وتأكيذاً، لذلك تركت البسملة بينهما. [٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَةً ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. لم لا تكون الدعوة بالقرآن؟ لو تأملنا في حوار النبي ﷺ مع المدعويين وماذا كان يقول لهم، لوجدنا أنه في كثير من المواقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم ويحدث هذا أثراً عظيماً في النفوس، لقد كانت قراءة النبي ﷺ لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرِك وتبين له الحق، ولم يقل = [١] ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من **الرسول والأنبياء والبشير والنذير** ومشتقاتها في القرآن الكريم ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء **الرسول والأنبياء والمنذرين** نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، = نزول سورة التوبة: نزلت بعد سورة المائدة، وهي مدنية بالاتفاق. **عدد كلمات سورة التوبة:** ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. **عدد حروف سورة التوبة:** عشرة آلاف وسبعمئة وسبعة وثلاثون حرفاً. **أسماء سورة التوبة:** وهذه السورة ثمانية أسماء: الأول براءة؛ لافتتاحها بها. الثاني سورة التوبة؛ لكثرة ذكر التوبة. الثالث =

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلْ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا آيَمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْبَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدْعُكُمْ أَوْلَكُم مَرَّةٌ أَنْتَحُونَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

(١٨٨)

٧- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾؟ الاستفهام على جهة التعجب والاستبعاد، أي: على أي وجه يكون للمشركين عهد وهم قد نقضوا وجاهاروا بالتعدي؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: هم بعض بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من كان أقام على عهده، ولم يدخل في نقض ما كان بين رسول الله ﷺ وبينهم يوم الحديبية من العهد مع قريش، حين أعانت قريش بني عبد الدئل على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة. ٨- ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ الآية، يعني عز وجل: كيف يكون هؤلاء الذين نقضوا عهدهم عهد وذمة، وهم إن يظهروا عليكم فيغلبوكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾: «الإل»: القرابة، و«الذمة»: العهد. ٩- ﴿أَشْتَرُوا﴾: ابتاعوا ﴿بِعَايَتِ اللَّهِ﴾: بجسته ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يسيراً من عرض الدنيا. ١٠- ﴿الْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون بالظلم والاعتداء إلى ما ليس لهم. ١١- ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾: الإسلام. ١٢- ﴿وَأِنْ نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾: من بعد ما عاهدوا ألا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾: عابوه وثلبوه ﴿فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ﴾: أئمة: جمع إمام. والمراد: صناديد المشركين وأهل الرئاسة فيهم. والآية عامة. ١٣- ﴿وَهُمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدْعُكُمْ أَوْلَكُم مَرَّةٌ﴾: يعني: ما كان من قريش في نقض العهد، والعون على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ

[٨، ١٠] ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]. ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، تكررت مرتين: لأن الأول للكفار والثاني لليهود. وقيل: ذكر الأول، وجعله جزاء للشرط، ثم أعاد ذلك؛ تقييحاً لهم، فقال: ساء ما يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة. [١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلْ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]. قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾، تكررت مرتين، لأن الأول في المشركين، والثاني في اليهود، فيمن حمل قوله: ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] على التورية. وقيل: هما في الكفار، وجزاء الأول تخلية سبيلهم، وجزاء الثاني إثبات الأخوة لهم، ومعنى ﴿بِعَايَتِ اللَّهِ﴾ القرآن الكريم.

= أحد إن هذا خاص بالنبي، بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به، وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك إذ يقول: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٥﴾ سورة ق، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ سورة التوبة، وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَنْتَاهِيَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ سورة النمل، فمتى استشعر الداعية عظيمة القرآن، وكان معاشاً له متعمقاً فيه فإن أثر قراءته لبضع آيات لا يقارن بأثر قصة أو طرفة أو مشهد من هنا وهناك، وجرب تجد. [٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]. تعريف التقوى: قال طلق بن حبيب رحمه الله تعالى: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. من ثمرات وفوائد التقوى: ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح. ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز برضا الله تعالى. ٢٦- التفكير والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخير. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى.

[١٢] ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا آيَمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَيَمَنَ﴾ قرئ: (إيمان) بكسر الهمزة مصدر آمن من الإيمان، أي: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقرئ: (أيمان) بالفتح جمع يمين، ودل عليه قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ والمعاهدة: تكون بالآيمان. = هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إيلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدتها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ إعجاز عددي: ذكرت الشهور (١٢) مرة في القرآن الكريم، والسنة (١٢) شهر. [٧] ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم. [١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إعجاز عددي: ذكرت كلمة زكاة (٨٨) مرة في القرآن الكريم، كما ذكرت كلمة بركة (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= الفاضحة؛ لأن المنافقين افتضحوا عند نزولها. الرابع المبعثرة؛ لأنها تبعثر أسرار المنافقين. وهذان الاسمان رُويَا عن ابن عباس. الخامس المَقْشِقْشَة؛ لأنها تبرىء المؤمن، فتَنْظِفُه من النفاق، وهذا عن ابن عمر. السادس البَحْثُ؛ لأنها تَبْحَثُ عن نفاق المنافقين. وهذا عن أبي أيوب الأنصاري. السابع سورة العذاب؛ لما فيها من =

١٤- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: ممن لم يشهد القتال ولا حضره، لأن كل ما يضع من شأن الكفر. هو شفاء من هم صدور المؤمنين. وقيل: يشف صدور قوم مؤمنين ممن آذاهم من المشركين. وقيل: هم حلفاء رسول الله ﷺ يشفي صدورهم من بني بكر. ١٦- ﴿وَلِجَنَّةٍ﴾: بطانة من المشركين. ١٧- ﴿شَهِيدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾: بأحوالهم وأفعالهم، وإن أبوا ذلك بالسنتهم وأقوالهم. وربما شهد بعضهم على نفسه بالإلحاد والكفر. ﴿حِطَّتْ﴾: بطلت. ١٨- ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا﴾: بمعنى: أن أولئك هم المفلحون، وكل «عسى» في القرآن واجبة. وقيل: هي - ها هنا - بمعنى: أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين. ١٩- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾: ... إلى آخر الآية، أخرج الإمام مسلم وأبو داود وغيرهما أن رجلاً قال: ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام عملاً إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام عملاً إلا أن أعمّر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل؛ فزجرهم عمر بن الخطاب وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وكان يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه؛ ففعل. فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقيل: افتخر طلحة بن شيبه فقال: أنا صاحب البيت، وعندني مفتاحه، ولو شئت بت فيه؛ فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو شئت بت في المسجد. قال علي رضي الله عنه: لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فنزلت هذه الآية وما بعدها إلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. وقد روي معنى هذا من عدة طرق.

[١٤] قوله تعالى: ﴿فَتَلَوْتُمْ بِعِذَّةِ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة، وأخرج عن السدي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ يشف صدورهم من بني بكر. ١٧-١٩ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات. أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية. وأخرج مسلم، وابن حبان، وأبو داود، عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل الله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله، خير مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله ﷺ؟ فقال: أعمّر المسجد، وأحبب البيت، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية. وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرننا ومساكننا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية كلها. وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه، وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه والعباس، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة، أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية كلها. ١٥- ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]. الآية الأولى تقدمها ما حدث من كفار مكة، وفعلهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه من التضيق، وبدئهم القتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خزاعة في صلح الحديبية، فأمر الله بقتالهم وخزيعهم، وحتى تشفى صدور من آمن من خزاعة وغيرهم ممن آذوهم، قال تعالى: ﴿فَتَلَوْتُمْ بِعِذَّةِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِعْهُمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾، كأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل إلى من أسلم منهم بعد ما صدر منهم في الصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: بما في القتال، وفي طي ما جرى من ذلك كله. وأمّا الآية الثانية فقد تقدمها الحديث عمّا جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم، فلم تغن عنهم شيئاً، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ومكنهم من أعدائهم، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، تأنيساً لمن فر من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم رحمة منه سبحانه تعالى. ١٦- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَاهِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وفي آية آل عمران لأهل أحد تسلياً لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم. يوجد قول آخر في هذه الآيات فيه توسع، انظر سورة البقرة آية: ٢١٤.

﴿فَتَلَوْتُمْ بِعِذَّةِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِعْهُمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٤ وَيَذْهَبَ عِظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٦ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ١٨ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَالْحَاجَّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٩ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٢٠

١٨-١٩ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات. أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية. وأخرج مسلم، وابن حبان، وأبو داود، عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل الله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله، خير مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله ﷺ؟ فقال: أعمّر المسجد، وأحبب البيت، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية. وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرننا ومساكننا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية كلها. وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه، وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه والعباس، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة، أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية كلها. ١٥- ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]. الآية الأولى تقدمها ما حدث من كفار مكة، وفعلهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه من التضيق، وبدئهم القتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خزاعة في صلح الحديبية، فأمر الله بقتالهم وخزيعهم، وحتى تشفى صدور من آمن من خزاعة وغيرهم ممن آذوهم، قال تعالى: ﴿فَتَلَوْتُمْ بِعِذَّةِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِعْهُمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾، كأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل إلى من أسلم منهم بعد ما صدر منهم في الصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: بما في القتال، وفي طي ما جرى من ذلك كله. وأمّا الآية الثانية فقد تقدمها الحديث عمّا جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم، فلم تغن عنهم شيئاً، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ومكنهم من أعدائهم، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، تأنيساً لمن فر من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم رحمة منه سبحانه تعالى. ١٦- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَاهِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وفي آية آل عمران لأهل أحد تسلياً لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم. يوجد قول آخر في هذه الآيات فيه توسع، انظر سورة البقرة آية: ٢١٤.

٢٠- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠]. فضل الجهاد في سبيل الله: ١- المجاهدون يرجون رحمة الله. ٢- ثمن الجهاد دخول الجنة. ٣- الجهاد اختبار وامتحان لقوة إيمان المؤمنين. ٤- فيه تمحيص للناس. ٥- في الجهاد بيان لمعرفة الصابرين من غيرهم. ٦- شتان بين المجاهدين في سبيل الله والقاعدين. ٧- الجهاد في سبيل الله سبيل الفلاح في الدارين. ٨- المجاهدون في سبيل الله أولياء بعضهم بعض. ٩- الله تعالى يحب المجاهدين في سبيله وهم = [١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ قرئ: (مسجد - مساجد) بالتوحيد وبالجمع، أي: جمع المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولاً أولياً، وقيل: هو المراد، وجمع لأنه قبلة المساجد، وهذان الاحتمالان على قراءة التوحيد أيضاً، وقيل: الإفراد على إرادة المسجد الحرام، والجمع على إرادة جميع المساجد. = انعقاد الكفار بالعذاب مرة بعد أخرى، في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]. الثامن الحافرة؛ لأنها تحفر قلوب أهل النفاق بمثل قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ =

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَوَرْضٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوِلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ءَوَالَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

(١٩٠)

٢١- ﴿نَفِيسٌ﴾: دائم مستمر لا يفارق صاحبه. ٢٢- ﴿أَبَدًا﴾: لا نهاية لذلك ولا حد. ٢٣- ﴿لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوِلِيَاءَ﴾: بطانة وإخواناً يؤثرون المكث بينهم على الهجرة إلى دار الإسلام، وتفشون إليهم أسراركم، ويطلعون على عورات المسلمين، والآية دالة على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وهو حكم باق إلى يوم القيامة. ٢٤- ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: أصبتموها. ﴿فَرَبَّصُوا﴾: انتظروا، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾: تخويف وإنذار للمتخلفين عن الجهاد بالأعداء الواهية. ٢٥- ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: ونصركم يوم حنين، ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: أما فيما قبل يوم حنين فكان المسلمون قلة، وحينئذ: واد بين مكة والطائف، التقى فيه النبي ﷺ، والمسلمون بكفار هوازن وأهل الطائف، وكان المسلمون اثني عشر ألف مقاتل، فقال قائلهم: لله لا تغلب اليوم من قلة، ثم انهزموا، وثبت رسول الله ﷺ في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان رسول الله ﷺ قد اكتنفه العباس عمه، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وبين يديه أيمن ابن أم أيمن - وثم قتل رحمه الله - ثم رجع المسلمون فكان النصر، والعبرة والدروس. ٢٦- ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: أمنت وطمانيته ﴿جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾: من الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالهزيمة والقتل. [٢٥] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس: أن رجلاً قال يوم حنين: لن تغلب من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ الآية.

[٢٤، ١٩] ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]، ﴿فَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة: ٢٤]، ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سَوْءٌ أَعْمَلْتُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧]. الآية الأولى نزلت في الذين فضلوا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام على الإيمان والجهاد، فوضعوا الأفضل في غير موضعه، وهو معنى الظلم، أو نقصوا الإيمان بترجيح الآخر عليه، والظلم النقص أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَطْلُبْ لَهُنَّ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣]، والآية الثانية في المسلمين الذين اتخذوا أقاربهم الكفار أولياء، وبعض الفسق لا ينافي الإيمان، والآية الثالثة في الكفار الذين كانوا ينسئون الشهور فيحلون حرامها ويحرمون حلالها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾. [٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠]. في سورة الأنفال تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، و﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقُ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨]، أي: من الفداء، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٩]، فقدم ذكر المال، وفي براءة تقدم ذكر الجهاد، وهو قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ١٦] وقوله: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، فقدم ذكر الجهاد.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرُدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿سَكِينَتَهُ﴾: مضاف إلى ضميره سبحانه وتعالى، والملاحظ في السكينة بالذات أنه حيث ذكر الرسول ﷺ أو كان موجوداً في السياق يقول سكينة، مثل هذه بالإضافة إليه تعظيماً له، وحيث كان الأمر عاماً ليس فيه الرسول يقول السكينة، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ليس فيها ذكر الرسول ﷺ، وحيث صرح بالرسول كما في الآية: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذه خصوصية للرسول ﷺ تعظيماً وإكراماً له ﷺ.

= يحبونه كذلك سبحانه عز وجل. ١٠- الجهاد في سبيل الله ينفي عن المؤمن النفاق. ١١- من جاهد في سبيل الله كان من المؤمنين الصادقين. ١٢- في الجهاد في سبيل الله زيادة إيمان المؤمنين ويقينهم بالله. ١٣- في الجهاد في سبيل الله إغاظة للكفار. ١٤- لا يستوي الجهاد في سبيل الله وغيره أبداً. ١٥- في الجهاد في سبيل الله سعادة الدارين. ١٦- مغفرة ذنوب المجاهدين. ١٧- من جاهد فلنفسه. ١٨- من جاهد في سبيل الله هدي للحق. ١٩- الجهاد في سبيل الله هو التجارة الرابحة. ٢٠- في القتال في سبيل الله خير كثير. ٢١- لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ. ٢٢- إظهار آيات الله في القتال بين المؤمنين والكافرين. ٢٣- في قتالنا لأهل الكتاب سنتنصر عليهم بإذن الله. ٢٤- من قاتل في سبيل الله فهو من الأخيار والأبرار. ٢٥- من قتل في سبيل الله فهو حيٌّ. ٢٦- شراء الحياة الدنيا بالآخرة... فضائل الشهادة وكرامة الشهداء عند الاستشهاد: ١- دم الشهيد أحب شيء إلى الله. ٢- الشهيد لا يجد ألم القتل، ويغفر له مع أول قطرة من دمه. ٣- الشهيد يرى مقعده من الجنة. ٤- الشهيد تبتدره زوجته من الحور قبل أن يرفع من مصرعه. ٥- من الشهداء من تغسله الملائكة. ٦- من الشهداء من تظله الملائكة بأجنحتها. ٧- الحياة للشهيد بعد الاستشهاد مباشرة. فضائل الشهداء في البرزخ: ١- من الشهداء من لا تأكل الأرض جسده. ٢- الشهداء لا يُفْتَنُونَ في قبورهم. ٣- الشهداء يفرحون لما آتاهم الله من فضله. ٤- الشهداء يستبشرون بفضل الله. ٥- الشهداء أرواحهم في جوف طير خضر في ظل العرش. ٦- الشهداء على بارق نهر بباب الجنة. فضائل متفرقة للشهيد: ١- لا يغسل كما يغسل الموتى فالغسل تطهير لجسد الميت والشهداء أطهار بما فيهم من حياة، ويكفون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، لأنهم بعد أحياء. ٢- أحياء فلا يشق قتلهم على أهل والاصدقاء.. لأنهم مكرمون عند الله مأجورون. ٣- يشفع الشهيد في سبعين من أهله. ٤- يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقول عشرات المرات لما يراه من الكرامة. ٥- الشهداء هم أول من يدخلون الجنة. ٦- قبورهم برائحة المسك كذلك رائحة الشهيد رائحة طيبة كالمسك، ولون دمه في الظلام نور ينبعث من الجرح. ٧- أعلى درجات الجنة للشهداء. ٨- الأمن من الفزع وغيره. ٩- يضحك إليهم ربهم. ١٠- دمه الذي أريق اللون لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ... [٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ قرئ: (وعشيرتكم) بألف بعد الراء جمع سلامة؛ لأن لكل منهم عشيرة. وقرئ: (وعشيرتكم) بغير ألف على الأفراد، أي: عشيرة كل منكم.

[التوبة: ١١٠]. مواضع سورة التوبة: مقصود السورة إجمالاً: وشم قلوب الكفار بالبراءة، ورد العهد عليهم، وأمان مستمع القرآن، وقهر أئمة الكفر وقتلهم، ومنع الأجانب من عمارة المسجد الحرام، وتخصيصها بأهل الإسلام، والنهي عن موالة الكفار، والإشارة إلى وقعة حرب حنين، ومنع المشركين من دخول الكعبة، =

٢٨- ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس﴾: قيل: من الجنباء. وقيل: جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم لأنهم لم يتطهروا من الشرك. وقال الحسن البصري: لا تُصافحهم فمن صافحهم فليتوضأ، والذي عليه الجمهور أن الكافر ليس بنجس الذات. لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فاقة وفقراً؛ وذلك أن المشركين كانوا يحجون البيت ويأتون بالطعام والتجارة، فلما بُنِيَ أن يأتوا البيت قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ وخافوا العيلة، فأنزل الله هذه الآية. ٢٩- ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: «الجزية: فَعْلَةٌ من جزی فلان ما عليه: إذا قضاه، كـ«القعدة» و«الجلسة»، من قعد وجلس، ومعنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي: مواتية غير ممتنعة. أو: عن نعمة منكم عليهم، واليد في اللغة: النعمة والصنع الجميل، لأنها مقابل تأمينهم. وقيل: عن قدرة، فلا تفرض الجزية إلا على القادرين على دفعها، ولذلك أعفى منها الصغار والعاجزون والرهبان والفقراء والنساء. ﴿وَهُمْ صَغُورٌ﴾: خاضعون منصاعون لقوانين الدولة وسلطان الإسلام. وقد ربط بعض الفقهاء بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَاجِبُ الْمُعْذِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] - والآيتين ٨، ٩ من سورة الممتحنة - فقال: إن هذه الآية تجعل الجزية غاية لقتال أهل الكتاب حين تغلب عليهم، وليس كل أهل الكتاب يجب علينا أن نقاتلهم، فأهل الكتاب الذين يعيشون في الدولة مع المسلمين، ويشاركونهم في الإخلاص والولاء لها، ليسوا ممن يجوز قتالهم، فلا تفرض عليهم الجزية التي هي ثمرة القتال بعد النصر. ٣٠- ﴿يُضَاهَوْنَ﴾: يشابهون وقرأ باقي السبعة: (يضاهون)، أي يحاكون ويبادرون ويمائلون. ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾: ضاهت النصارى بقولهم في عيسى قول اليهود قبلهم في عزيز ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: لعنهم الله! ﴿أَنْفُ يُؤْفَكُونَ﴾: بمعنى: أي وجه يُذهب بهم؟ وكيف يصدون عن الحق؟ ٣١- ﴿أَجْبَارُهُمْ﴾: علماءهم، والخبر: العالم. ﴿وَرَهْبَنَهُمْ﴾: قراءهم وأصحاب صوامعهم وأهل الاجتهاد منهم ﴿أَرْبَابًا﴾: سادة لهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بطاعتهم لهم، فما أحلوا لهم أحلوه، وما حرّموا عليهم حرّموه.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَغُورٌ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْفُ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويحيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما بُنِيَ عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: فمن أين لنا الطعام؟ فأنزل الله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية. [٣٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، ومحمد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعج أن عزيزاً ابن الله، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية. [٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]. الآية الأولى تقدمها ما حدث من كفار مكة، وفعلهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه من التضييق وبدئهم القتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خزاعة في صلح الحديبية، فأمر الله بقتالهم وخزيهم وحتى تشفى صدور من آمن من خزاعة وغيرهم ممن آذوهم قال تعالى: ﴿قَتَلْتَهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورٌ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، كأي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل إلى من أسلم منهم بعد ما صدر منهم في الصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: بما في القتال وفي طي ما جرى من ذلك كله. وأما الآية الثانية فقد تقدمها الحديث عما جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ومكنهم من أعدائهم، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، تأنيساً لمن فر من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم، رحمة منه سبحانه تعالى. [٢٩] ﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَاللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عدا [النساء: ٣٨، التوبة: ٢٩] ﴿يَاللَّهُ وَلَا يَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. قوله تعالى: ﴿يَاللَّهُ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الوحيدة في القرآن بالبقرة التي تكرر فيها العامل "الباء"، مع حرف العطف "و"، ولا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين وهم أكدوا كلامهم نفياً للريبة وإبعاداً للتهمة فكانوا في ذلك كما قيل: "يكاد المريب يقول خذوني"، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ثم جاءت مع النفي في موضعي النساء والتوبة، ووضح فيهما معنى التوكيد.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ [التوبة: ٢٥]، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمُ عَلَيْهِمُ﴾ [الفتح: ٢٤]. ما الفرق بين: "النصر والظفر". الجواب: أولاً: (النصر): وردت كلمة النصر بمشتقاتها في القرآن الكريم عدد (١٤٤) مرة. ثانياً: (الظفر): جاءت هذه الكلمة كفعل متعدٍ في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمُ عَلَيْهِمُ﴾ [الفتح: ٢٤] مرة واحدة في القرآن الكريم. الفرق بين الكلمتين ١- (النصر) يأتي في القرآن الكريم وصفاً عاماً لكل غلب أو فوز حققه المؤمنون، أما (الظفر) فهو مقصور على (الغلب) الذي يحدث بدون قتال يُذكر بين المؤمنين وعدوهم، ولقد عبر عن نصر المسلمين بفتح مكة المبين بالظفر دون النصر، وقد تم فتحها بدون قتال وإراقة للدماء، وكان فتحاً مبيناً ونصراً سهلاً ميسوراً. ٢- بين (النصر) و(الظفر) في الاستعمال القرآني عمومٌ وخصوص، فكل (ظفر) نصر، وليس كل (نصر) ظفر. ٣- الظفر يلحظ فيه المعنى اللغوي الذي هو (نشب الأظفار) في الفريسة وهو أيسر وسيلة في الحصول على المطلوب، فالعرب كانوا يخصون الظفر بالفوز والغلب الذي يتم بسهولة ويسر، واللغويون ذكروا أن (الظفر) مشتق من (نشب الأظفار)، ونشب الأظفار أيسر وسيلة للحصول على المطلوب. [٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قوله تعالى: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ قرئ: (عزيز) بالتثنية مكسوراً وصلاً على الأصل وهو عربي من التعزير، وهو التعظيم فهو اسم أمكن مبتدأ مخبر عنه بابن لا موصوف به، وقيل: عبراني، واختلف: هل هو مكبر كسليمان أو مصغر عزز كنوح؟ وعليه تصرفه لكونه ثلاثياً ساكن الوسط ولا نظر لياء التصغير. وقرئ: (عزيز) = واحرم، وحضور الموسم، والأمر بقتل كفرة أهل الكتاب وضرب الجزية عليهم، وتقبيح قول اليهود والنصارى في حق عزيز وعيسى عليها السلام، وتأكيد رسالة الرسول الصادق المحق، وعيب أحبار اليهود في أكلهم الأموال بالباطل، وعذاب مانعي الزكاة، وتخصيص الأشهر الحرم من أشهر السنة، وتقديم الكفار

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ كَثُرَ مَكِّ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَبْشِرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

(١٩٢)

٣٢- ﴿أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾: دين الله الذين ابتعث به رسوله عليه السلام ويدد به الظلمات. ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بتكذيبهم. أو بوسيلة تعبّر عن قلة حيلتهم. وقيل: بأقوال لا برهان عليها، فهي لا تجاوز الأنفاه إلى فهم سامع أو عقل عاقل. ٣٣- ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليعلي الإسلام على الملل كلها. وقيل: ذلك عند خروج عيسى عليه السلام تصير الملل كلها واحدة هي ملة الإسلام. ٣٤- ﴿لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: بالرشا في الحكم. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: قيل: الكنز هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته. وقال ابن عمر: كل مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً. وأصل «الكنز» في اللغة: الضم والجمع. وليس من شروط الكنز: الدفن! لكن كثر في حفظة المال أن يدفونه، حتى تعورف في المدفون، اسم الكنز. ٣٥- ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾: تدخل النار فيوقد عليها. ٣٦- ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: الذي كتب فيه ما هو كائن ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمُحَرَّم؛ وكانت الجاهلية تُحَرِّم فيها القتال حتى لا يعرض أحدهم لقاتل أبيه وابنه لو لقيه فيها، وكان رسول الله ﷺ والمسلمون لا يقاتلون فيها، حتى نزلت «براءة» فأحل قتال المشركين فيها ﴿الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾: المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾: يعني: الأشهر الحرم، معناه: لا تستحلوا فيها ما حرم الله عليكم فتكسيبوا فيهن أنفسكم من سخط الله ما لا قبل لكم به ﴿كَافَّةً﴾: جميعاً. [٣١] شرح اسم الله الواحد: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة. والأحد، يعني: الذي تفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال. فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقبوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات. ومن تحقيق أحديته وتفرده بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم.

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. حذف اللام من الآية الأولى، لأن مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، وهو المفعول به، والتقدير: ذلك قولهم بأفواههم، ومرادهم إطفاء نور الله بأفواههم. والمراد الذي هو المفعول به في الصف مضمّر تقديره: ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب، يريدون ذلك ليطفئوا نور الله، فاللام لام العلة. وذهب بعض النحاة إلى أن الفعل محمول على المصدر. أي: إرادتهم لإطفاء نور الله. قول آخر: إن زيادة آية براءة مقابل بها ما ورد من الطول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى، قال الله تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]، فوقع في المحكي هنا طول اقتضى ما بني جواباً عليه ليتناسب. وأمّا آية الصف فمقابل بها قول عيسى عليه السلام لما قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وإنما الجواب على المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وليس هذا في الطول وعدة الكلم المحكي في سورة براءة، ألا ترى أن الواقع في سورة براءة ست كلمات "عزير ابن الله - المسيح ابن الله"، وفي الصف ثلاث كلمات "هذا سحر مبين"، ثم إن الواقع في سورة براءة مقال طائفتين منهم اليهود والنصارى مفصلاً به، والواقع في الصف مقالة طائفة واحدة، وهذا مراعى، فقد وضع ورود كل من الآيتين مناسباً لما اتصل به، وعلى ما يجب في السورتين، والله أعلم. [٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، الصف: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والصف، ومعناها: هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق - الإسلام - وظهوره على الأديان.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ كَثُرَ مَكِّ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَبْشِرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. نجاسة المشرك عينية؛ ولهذا جعل سبحانه المشرك نجساً بفتح الجيم، ولم يقل إنما المشركون نجس بالكسر، فإن النجس عين النجاسة، والنجس "بالكسر" هو المتنجنس، فأنجس النجاسة الشرك، كما أنه أظلم الظلم. [٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]. بدأت الآية بذكر كي جباه الذين يكتزون الذهب والفضة ثم الجنوب ثم الظهور، قيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم، وولوه ظهورهم، فتدرجت الآية حسب الرتبة.

= بغير تنوين إما لكونه غير منصرف للعجمة والتعريف، أو لالتقاء الساكنين تشبيهاً للنون بحرف المد وهو مبتدأ، أو ابن صفة لعزير والخبر محذوف، أي: نبينا أو معبودنا، وقد تقرر أن لفظ (ابن) متى وقع صفة بين علمين غير مفصول بينه وبين موصوفه حذفت ألفه خطأ، والتقدير: عزير بن الله نبينا. قوله تعالى: ﴿يُضَاهَوْنَ﴾ (قري: (يضاهون) بالهمزة وكسر الهاء. وقري: (يضاهون) بترك الهمزة وضم الهاء وهو معتل اللام مثل "قاضون" وهما لغتان، يقال: ضاهيت وضاهنت، وترك الهمزة أكثر، والمضاهاة: المشابهة. [٣٦] ﴿إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أثْنَا عَشَرَ﴾ - ﴿عَشَرَ﴾ - ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (قري: (عشر) بإسكان العين، أي وسطه، من الثلاثة ولا بد من ألف (اثنا) للساكنين وهو صحيح ومسموع عن العرب. وقري: (عشر) بفتح العين في الكل وهو الأصل في هذا اللفظ، وهما لغتان صحيحتان عند العرب.

= شهر المحرم، وتأخيرهم إياه، والأمر بغزوة تبوك، وشكاية المتخلفين عن الغزو، وخروج النبي ﷺ مع الصديق رضي الله عنه من مكة إلى الغار بجبل ثور، واحتراز المنافقين من غزوة تبوك، وترصدهم وانتظارهم نكبة المسلمين، ورد نفقاتهم عليهم، وقسم الصدقات على المستحقين، واستهزاء المنافقين بالنبي ﷺ، =

٣٧- ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾: كانوا في الجاهلية يحرّمون المحرم عاماً، ويحلّون صفر، فإذا كان في العام بعده أحلوا المحرم وحرّموا بعده صفر، فيؤخرون التحريم من شهر إلى شهر، ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي إن الذي سنّ لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة السيئة. ﴿لِيُؤْاطُوا﴾: ليوافقوا. والمعنى: إنهم لم يحلّوا شهراً إلا حرّموا شهراً، لتبقى الأشهر الحرم أربعة. ٣٨- ﴿أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: اخرجوا إلى مغزاكم. وأصل «التفر»: مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك ﴿أَتَأْقَلْتُمْ﴾: تآقلتُم ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: إلى لزومكم منازلكم. ٤٠- ﴿فَإِنَّكَ أَنتَين﴾: رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على أبي بكر رضي الله رضي الله عنه، أي أن الله تعالى سكّن جأشه وأذهب عنه الروع الذي كان يجده خوفاً على النبي ﷺ أن تدركه قريش أو يصيبه مكروه. وقيل: إنه - أي الضمير - يعود على النبي ﷺ، ويكون المراد بالسكينة النازلة عليه، ليس سكون النفس والجأش، «ولكن ما ينزل الله تعالى على أنبيائه من الحياطة، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم» كما يقول ابن عطية رحمه الله. قال الشوكاني: ويؤيد كون الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ للنبي ﷺ: الضمير في: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فإنه للنبي ﷺ، لأنه المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة. وقيل: إنه لا محذور في رجوع الضمير من ﴿عَلَيْهِ﴾ إلى أبي بكر، ومن ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ إلى النبي ﷺ، فإن هذا كثير في القرآن وفي كلام العرب. فكان الآية خصّت (الاثنتين) كل واحد منهما بحكم. وهذا نحو قوله تعالى في سورة الفتح ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ فالضمير في (سبحوه) يعود على الله تعالى، وفي ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعود على رسول الله ﷺ، وفي الحديث في هذه الآية عن الله والرسول، وفي آية التوبة عن الرسول وأبي بكر. علماً بأن وصف النبي ﷺ بأنه (ثاني اثنين) وإن كان يراد به مطلق الجمع بين الأول والثاني، فإن فيه إشارة إلى أن أبا بكر رضي الله عنه سيتقدم للدفاع عن النبي إذا تعرض لأي مكروه، وأن القوم لن يصلوا إلى النبي الكريم بعد هلاك أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾: كلمة الشرك ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾: لا إله إلا الله.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كانوا يحرّمون المحرم عاماً، ويحلّون صفر، فإذا كان في العام بعده أحلوا المحرم وحرّموا بعده صفر، فيؤخرون التحريم من شهر إلى شهر، ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي إن الذي سنّ لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة السيئة. ﴿لِيُؤْاطُوا﴾: ليوافقوا. والمعنى: إنهم لم يحلّوا شهراً إلا حرّموا شهراً، لتبقى الأشهر الحرم أربعة. ٣٨- ﴿أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: اخرجوا إلى مغزاكم. وأصل «التفر»: مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك ﴿أَتَأْقَلْتُمْ﴾: تآقلتُم ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: إلى لزومكم منازلكم. ٤٠- ﴿فَإِنَّكَ أَنتَين﴾: رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على أبي بكر رضي الله رضي الله عنه، أي أن الله تعالى سكّن جأشه وأذهب عنه الروع الذي كان يجده خوفاً على النبي ﷺ أن تدركه قريش أو يصيبه مكروه. وقيل: إنه - أي الضمير - يعود على النبي ﷺ، ويكون المراد بالسكينة النازلة عليه، ليس سكون النفس والجأش، «ولكن ما ينزل الله تعالى على أنبيائه من الحياطة، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم» كما يقول ابن عطية رحمه الله. قال الشوكاني: ويؤيد كون الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ للنبي ﷺ: الضمير في: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فإنه للنبي ﷺ، لأنه المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة. وقيل: إنه لا محذور في رجوع الضمير من ﴿عَلَيْهِ﴾ إلى أبي بكر، ومن ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ إلى النبي ﷺ، فإن هذا كثير في القرآن وفي كلام العرب. فكان الآية خصّت (الاثنتين) كل واحد منهما بحكم. وهذا نحو قوله تعالى في سورة الفتح ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ فالضمير في (سبحوه) يعود على الله تعالى، وفي ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعود على رسول الله ﷺ، وفي الحديث في هذه الآية عن الله والرسول، وفي آية التوبة عن الرسول وأبي بكر. علماً بأن وصف النبي ﷺ بأنه (ثاني اثنين) وإن كان يراد به مطلق الجمع بين الأول والثاني، فإن فيه إشارة إلى أن أبا بكر رضي الله عنه سيتقدم للدفاع عن النبي إذا تعرض لأي مكروه، وأن القوم لن يصلوا إلى النبي الكريم بعد هلاك أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾: كلمة الشرك ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾: لا إله إلا الله.

١٩٣

٣٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي مالك قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، ويجعلون المحرم صفرًا فيستحلّون فيه المحرمات، فأنزل الله ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾. [٣٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وحين أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج، ﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. [٣٩] قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنفِرُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن نجدة بن نفع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ أحياء من العرب فتآقلوا عنه، فأنزل الله ﴿إِلَّا أَنفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم. [٣٧] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤، التوبة: ٣٧]، وباقي المواضع ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أو ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. آيتا البقرة والتوبة سبقهما من الأفعال والأقوال ما هو من الكفر فختما: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، وأما باقي مواضع القرآن فقد جات على ما يناسب ما سبقها من الأفعال والأقوال. [٣٩] ﴿وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا﴾ [هود: ٥٧]، ﴿وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا﴾ معطوف على قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي﴾ فهو مرفوع، وفي التوبة معطوف على "يعذبكم ويستبدل" ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، وهما مجزومان فهو مجزوم. [٤٠] ﴿إِلَّا تَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا ...﴾ [التوبة: ٤٠]. من أصح الإشارات إشارة هذه الآية، وهي أن من صحب الرسول ﷺ وما جاء به، بقلبه وعمله وإن لم يصحبه ببذنه فإن الله معه. وفيها أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة. [٤١] ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]. ما الفرق بين: "الجهاد والقتال"؟ الجواب: الجهاد معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالاً. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، ويشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقتال في سبيل الله، ويشمل كل قول أو عمل خير يعمل به المؤمن في سبيل الله. [٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ قرئ: (النسي) بتشديد الياء من غير همزة، وذلك أنه خفف الهمز على ما يجب من الأصول المذكورة فلما أراد تخفيفها وجد قبلها ياء زائدة كياء هنيئاً؛ لأن قولك: "نسيء" وزنه فعيل كهنئيء، فأبدل من الهمزة ياء، وأدغم فيها الياء التي قبلها كقولهم في تخفيف خطيئة. وقرئ: (النسيء) بالهمز على الأصل لأنه "فعيل" من أنسأته الدين، أي: أخرته عنه، فمعناه: أنهم أخرّوا حرمة شهر حرام وجعلوا ذلك في شهر ليس بحرام؛ لبيحوا لأنفسهم القتال والغارات في الشهر الحرام، وقد كان ذلك محرماً في الشهر الحرام وغيره، ولكن كانت حرمة الشهر الحرام في ذلك أعظم، والذنب فيه أكبر منه في غيره، و(النسيء) مصدر كالنذير والنكير. قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ قرئ: (يُضِلُّ) بضم الياء وكسر الضاد من أضل مبنياً للفاعل، وقد أضافوا الفعل فيه إلى الكفار لأنهم هم الضالون في أنفسهم بذلك التأخير؛ لأنهم يحلون ما حرم الله من الشهور، وقرئ: (يُضِلُّ) بضم الياء وفتح الضاد من أضل معدى ضل مبنياً للمفعول، على معنى أن كبراءهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام فيضلونهم بذلك. [٤٠] ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ قرئ: (وكلمة) بنصب التاء عطفًا على كلمة الذين. وقرئ: (وكلمة) بالرفع على الابتداء وهو أبلغ؛ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها.

- وبالقرآن، وموافقة المؤمنين بعضهم بعضاً، ونيلهم الرضوان الأكثر بسبب موافقتهم، وتكذيب الحق للمنافقين في إيمانهم، ونهي النبي عن الاستغفار لأحيائهم، وعن الصلاة على أمواتهم، وغيب المقصرين على اعتذارهم بالأعداء الباطلة، وذم الأعراب في صلابتهم، وتمسكهم بالدين الباطل، ومدح بعضهم بصلابتهم في

أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
 لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ
 عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَبَحْنَاهُ لِيُخْرِجَنَا مَعَكُمْ لِيَكُونَ أَنفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَنَاتُ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
 فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ
 لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِنُعَايَتِهِمْ فَبَطَلَهُمْ
 وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ
 مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
 الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤١- ﴿أَنفِرُوا﴾: اخرجوا ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: شبابا وكهولا وقيل: مشاة وركبانا. ٤٢- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾: غنيمة حاضرة ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: قريبا سهلا ﴿بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: يعني في غزوة تبوك، والشُّقَّة: السفر البعيد الشاق، ﴿لِيَكُونَ أَنفُسُهُمْ﴾: يوجبون على أنفسهم الهلاك بجلفهم بالله كاذبين. ٤٣- ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾: عاتب الله نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين في غزوة تبوك. ٤٤- ﴿وَأَزَنَاتُ قُلُوبُهُمْ﴾: شكّت في وحدانية الله تعالى ووعدته ووعيده. ٤٥- ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: لتأهبوا ﴿أَن يُعَايَنَهُمْ﴾: خروجهم ﴿فَبَطَلَهُمْ﴾: ثقل عليهم الخروج. ٤٦- ﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: أي مع أولي الضرر، من العميان والمرضى وغيرهم! ٤٧- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فسادا ﴿وَلَا وُضْعُوا﴾: لأسرعوا؛ وأصله من إضضاع الخيل والركاب؛ وهو الإسراع بها في السير ﴿خِلَالَكُمْ﴾: بينكم، والمعنى: لسعوا بينكم بالإفساد بما يخلقونه من الأكاذيب ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: يطلبون لكم ما تفتنون به في دينكم، ويشبطكم عن مغزاكم ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمُ﴾: عيون لهم عليكم يسمعون حديثكم ويلغونهم إليهم.

[٤٠] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُسبب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت. ٢- وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضره، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته متقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٤٠] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين

المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشملا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللا، ولا نقصا، ولا فطورا... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا، فيقول: إني آثم! فأرسل الله ﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. [٤٣] قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير: عن عمرو بن ميمون الأودي قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأرسل الله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾.

[٤٢] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧، الحشر: ١١، المنافقون: ١]. الاستطاعة وعدمها حكم لا يطلع عليه في الغالب، بل ينفرده به الله إلا أن يعلم ذلك بقرينة، فقول المنافقين في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، غير مشاهد من ظاهريهم، فقد كان يمكن تصديقهم أو تصديق بعضهم لولا أنه سبحانه أعلم نبيه ﷺ بحالهم وما يكون من اعتذارهم قبل أن يقع منهم، وبتقاعسهم عن الخروج فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَبَحْنَاهُ لِيُخْرِجَنَا مَعَكُمْ لِيَكُونَ أَنفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فأعلم تعالى بما يكون منهم قبل أن يكون وذلك غيب، وأعلم بوجه تقاعسهم وتثبطهم، ثم أعلم بكذبهم فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فحصل العلم بحالهم بإخباره تعالى، ثم تكاثرت الشواهد عنهم، فلما كان حال الاستطاعة على ما ذكرنا من الخفاء حتى لا يطلع عليها، ناسب ذلك التعريف عن اطلاعه تعالى على ما أخفوه من حالهم بالعلم، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. أمّا قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فآية التوبة في أهل مسجد الضرار، وأمرهم مما قد كانوا تواطؤوا عليه، ولم يخف حال بعضهم عن بعض، وذلك بخلاف الاستطاعة وما يمكن فيها من الخفاء، فكان هذا مما يرجع إلى حكم الظهور والشهادة، وكذلك آية الحشر، ففيها ادعاء أهل النفاق نصرة الكافرين والخروج معهم إن خرجوا، وكل ذلك مما كان يشاهد لو وقع، وليس شيء من ذلك كالأستطاعة في خفائها وغيبها، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. وأمّا الوارد في سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنِفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنِفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، لأن قولهم: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، قول مدرك بالسمع، فطابق هذا وناسبه قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنِفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وجاء كل على ما يجب.

[٤٦] ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِنُعَايَتِهِمْ فَبَطَلَهُمْ وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]. الإعداد للعمل علامة التوفيق وأمانة الصدق في القصد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾، والطاعة لا بد أن يُمهّد لها بوظائف شرعية كثيرة حتى تتهيأ أكلها ويُجتنى جناها. [٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]. أي قابلون مستجيبيون لهم، فإذا كان جيل القرآن كان بينهم منافقون، وفيهم سماعون لهم، فما الظن بمن بعدهم، فلا يزال المنافقون في الأرض، ولا يزال في المؤمنين سماعون لهم، لجعلهم بحقيقة أمرهم، وعدم معرفتهم بغور كلامهم. [٥١] ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. قال الوزير ابن هبيرة: إنما لم يقل: ما كتب علينا، لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له، إن كان خيرا فهو له في العاجل، = دين الحق، وذكر السابقين من المهاجرين والأنصار، وذكر المعترفين بتقصيرهم، وقبول الصّدقات من الفقراء، ودعائهم على ذلك، وقبول توبة التائبين، وذكر بناء مسجد ضرار للغرض الفاسد، وبناء مسجد قباء على الطاعة والتقوى، ومبايعة الحق تعالى عبيده بأشترائهم وأموالهم، ومعاوضتهم عن ذلك بالجنة، ونهي =

لَقَدْ ابْتَغُواُ الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُواْ لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا تَذُنْ لِي آلَافِ الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسْوَهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوَلُوا
وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَتْ آلَاءُ مَا كُتِبَ
لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْنُ
تَتَرَبَّصُ بِكُم أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ
أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرْبَصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنِفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِن كُنتُمْ
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

190

أَوْ كَرِهًا لَّنَ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ﴿٥٠﴾ قال: لقوله: أعينك بمالي
سَكَنَةً تَسْوَاهُمْ ﴿[التوبة: ٥٠]﴾. الآيتان تستكما
ي نوع من أنواع المنفعة للمسلمين، ومرتقبون نز
الإصابة، لكنه يعبر عن أية حسنة ولو كانت قلي
م سيكون أبلغ، فناسبه هذا اللفظ ﴿تَمَسَّكُمُ
ة: [٥٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ي
وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْه
كذلك الآيتان بعده؛ فَإِنَّهُمَا خَلَّتَا مِنَ التَّأْكِيدِ.
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴿[البقرة: ٢٥٦]﴾، ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْ
بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليل على ذل
ان المعاناة النفسية والجسدية معًا، لذا فإن الكلمت
كره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكره»، و«الكره»
تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهَمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولُ
فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة
غير حقيقي وللفاصل بين الفعل وفاعله، وقر
﴿مُدْخَلًا﴾ قرئ: (مُدْخَلًا) بفتح الميم وإسكان الد
الدال في تاء الافتعال بعد إبدالها دالًا.

لفظ **(الحياة)** ومشتقاته، ولفظ **(الموت)** ومشتقاته
موت بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة.
دي: ١- ذكر لفظ **(الحرق)** بمشتقاته في القرآن (٤)
 مرة، ٤- ذكر لفظ **(العطاء)** بمشتقاته في القرآن (٤)
 مع عدد مرات ذكر لفظ **(الفاكهة)** بمشتقاته، مع ع
لَنَبِيِّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِأَ
من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القر
من نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦،
 ب العلم والفقه في الدين، وفضيحة المنافقين، وفتنتهم
سَلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَ
 هو حبر" رَوَاهُ أَحْمَدُ وصححه الألباني.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَنْتَعِمُوا بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِّمُوا
كَالَّذِي خَاصُّوا أَوْلِيَّكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٢﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٣﴾
وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٤﴾

١٩٨

٦٩- ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا﴾: يقول عز وجل: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا: «إنما كنا نخوض ونلعب» قل: أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الذين فعلوا فعلكم ﴿فَاسْتَمْتَعُوا﴾: تمتعوا ﴿بِخَلْقِهِمْ﴾: بنصيبيهم من دنياهم، ورضوا به عوضاً من نصيبهم في الآخرة والخلاق: الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء. وخلاق المرء: الشيء الذي هو به خليق. ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾: أي: سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم، كما فعل الذين من قبلكم ﴿وَخُضِّمُوا﴾: في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاصُّوا﴾: أي: خلطتم كالذين خلطوا، وهو مستعار من المائعات، ولا يستعمل إلا في الباطل. لأن التصرف في الحقائق إنما هو على ترتيب ونظام. ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ﴾: بطلت ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: المغبونون. ٧٠- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾: خبر ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: يعني: قرى قوم لوط عليه السلام، اثتفكت بهم أرضهم، أي: انقلبت بهم فجعل عاليها سافلها! ٧١- ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساين ﴿عَدْنٍ﴾: إنما قيل لها جنات عدن لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه؛ من قول العرب: عدن فلان بأرض كذا؛ إذا أقام بها. وقيل: هي مدينة الجنة. [٧٢] ﴿... جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، ﴿يَقْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢]. وعده الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها، ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم، فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمّا آية الصف: إن فعلتم أيها المؤمنون ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ومساكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده.

= من هذه الصفات فعليه التخلص منها قبل أن تنمو وتزاد وتنتشر فيه، ويجب الحذر من المدخل الشيطاني الذي يشعر صاحب الذنب والخلق المنحرف أنه منافق، ويجب أن يترك الصالحين فتزداد مصائبه. وبعد أن تحدثنا عن المنافقين وصفاتهم، نتحدث عن المخلصين وصفاتهم. تعريف الإخلاص: أن يقصد المسلم بأقواله وأفعاله وجه الله تعالى؛ فيرجو الثواب، ويخشى العقاب، ويحذر الرياء والسمعة بين الناس، فلا يكون قصده إلا ابتغاء وجه الله ورضاه سبحانه وتعالى. فالإخلاص الصادق لله تعالى سجل للمخلصين ثواب المجاهدين رغم بقائهم في منازلهم. قال أحد السلف: إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكل وشربي ونومي. وقال آخر من السلف: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك. من ثمرات الإخلاص: ١- نصر الأمة. ٢- السكينة وطمأنينة القلب والشعور بالسعادة والرضا، فيتحرر الإنسان من جميع هموم الدنيا. ٣- قبول الدعاء واستجابة الله لعبده المخلص. ٤- حب أهل السماء للمخلص، وبعدها وضع القبول في الأرض. ٥- عون الله تعالى في المحن وتأييده لعبده المخلص وكفايته له. ٦- سبب للنجاة من المحن. ٧- التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص. ٨- حسن الخاتمة. ٩- رفع درجات المسلم في الدنيا والآخرة. من الأسباب المعبية على الإخلاص: ١- ملازمة تقوى الله. ٢- الحرص على نيل الأجر من الله والإكثار من العمل الصالح. ٣- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى فهو المعين والملجأ سبحانه وتعالى، والدعاء سلاح المؤمن. كيف يحصل الإخلاص: ١- أن يعرف العبد أهمية الإخلاص وثمراته دنيا وآخرة. ٢- المجاهدة: يسلك ذلك الطريق صاحب الإرادة القوية. ٣- مصاحبة المخلصين والتأسي بهم والتخلق بأخلاقهم، وقال أحد السلف: "حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل" يعنون بحاله: سلوكه وخلقه وعمله. ٤- قراءة سير السلف ومن بعدهم من الصالحين...

دلائل الإخلاص: للمخلص علامات يُعرف بها: ١- حب العمل في صمت. ٢- الزهد في الشهرة: قال الفضيل بن عياض: "إن قدرت على ألا تُعرف فافعل، وما عليك ألا تُعرف، وما عليك أن يُثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى. ٣- الحذر من تركية النفس. ٤- الفرح والترحيب بكل من يبرز في مجاله: وخاصة مجال الدعوة فالمخلص من يتنحى عند وجود من هو أفضل منه. ٥- ألا ييخل بمدح من يستحق المدح والتزكية. ٦- ألا يطلب المدح ولا يغتر به: قال ابن عطاء الله في حكمه: الناس يمدحونك لما يظنونهم فيك، فكن دائماً لنفسك لما تعلمه منها. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس. ولا يُنكر بشر جميل ستر الله تعالى على عبادته، فكم من عيوب وذنوب سترها سبحانه تعالى بينه وبينهم.. ولو بدت لمن حوله لكان له شأن آخر بينهم.. لكنه أرحم الراحمين.. السستير.. العفو الغفار.. الثواب!! ٧- السلامة والنجاة من آفة العُجب. كيف نعالج الإعجاب بالعمل: ١- أن تعلم أن وعد الله حق. ٢- الحياء من الله. ٣- الثقة بأن الذي وفقك لهذا العمل الله وحده فإنما هو منة من الله، وليست منة من نفسك.. ٤- عدم ترك الأعمال الصالحة إن خيف عليه الاختلاط، فكثير من الناس يهجر الأعمال الصالحة خشية دخول العُجب أو الرياء عليها، ومن الخطأ الجسيم ترك العمل من أجل الناس، ففي ذلك جهل.. ٥- لا يضر فساد النية عند بدء العمل؛ فقد يعتقد البعض أن ذلك مبرر لترك العمل.. لكن الكيس من يصحح نيته فلا يخسر ولا يحبط عمله. ٦- جواز إظهار بعض الأعمال الصالحة بنية حسنة.. ٧- إن للإخلاص الخالص صعوبة لا تخفى، فهو صعب المنال يخفى على الكثيرين، لذا كان السلف كثيري الدعاء في طلبه. [٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. فانظر كيف بدأ في هذه الآية بذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الصلاة والزكاة وما ذلك إلا لعظم شأنه وعموم نفعه وتأثيره في المجتمع. وتدل الآية أيضاً على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أخلاق المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الواجبة التي لا يجوز لهم التخلي عنها والتساهل بها. [٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٦٩] وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن الكريم.

٨٧- ﴿يَأْنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: اللواتي يخلفن الرجال في القعود في البيوت لأنه ليس عليهن فرض الجهاد **﴿وَطُيْعَ﴾**: ختم. ٩٠- **﴿رَبَّنَا الْمَعْدُونُونَ﴾**: المعتذرون بالكذب، وقرأ ابن عباس: «المعذرون» بالتخفيف، وهم أهل العذر. ٩١- **﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾**: وهم النساء والصبيان، **﴿حَرْجٍ﴾**: ضيق. **﴿إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**: النصح لله: الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما يخالفها كائناً ما كان، ويدخل تحته دخولاً أولياً: نصح عباده، ومحبة المجاهدين في سبيله، وبذل النصح لهم في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم بوجه من الوجوه، والنصيحة للرسول ﷺ، والتصديق بنبوته، وبما جاء به أو ينهى عنه، وموالة من والاه، ومعاودة من عاداه، ومحبة وتعظيم سنته.. وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. ثلاثاً. قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» متفق عليه. **﴿مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ﴾**: أي: ليس على الناصحين المعذورين من مواخذة وعقاب. ٩٢- **﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾**: هم نفر من الأنصار طلبوا منه ما يركبونه من الدواب، وقيل: طلبوا الزاد أو النعال، فهم يرغبون في الجهاد لكنهم لا يجيدون ما يستكملون به العدة، ولا يوجد عند رسول الله ﷺ ما يعاونهم به. [٩٩، ٩١] **﴿مَعْنَى اسْمِ اللَّهِ الْغَفُورُ﴾**: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوهِ أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرأته: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته.

[٩١] قوله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾** الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكتبت براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى، فنزلت **﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾** الآية. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فولوا وهم بكاء، وعز عليهم أن يُحسبوا عن الجهاد. [٨٧، ٩٣] **﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ﴾** [التوبة: ٨٧]، **﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [التوبة: ٩٣]. الآية الأولى صدرت بما لم يسم فاعله في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا﴾** [التوبة: ٨٦] مع العلم بالفاعل، فختمت كذلك مناسبة بين صدر الكلام وختمه، والثانية جاءت بعد بسط الكلام في عذر المعذورين، فناسب البسط في توبيخ مخالفتهم والتوكيد فيه بتصريح اسم الفاعل، ولذلك صدرت الآية بـ"إنما" الحاصرة للسبيل عليهم، وأما ختم الأولى بـ **﴿لَا يَفْقَهُوهُ﴾** والثانية بـ **﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾**، فلأنهم في الأولى لو فهموا ما في جهادهم مع رسول الله ﷺ من الأجر لما رضوا بالقعود ولا استأذنوا عليه، ولأن الثانية جاءت بعد ذكر الباكين لفوات صحبة رسول الله ﷺ، لعلمهم بما في صحبته من الفوز والمنزلة عند الله تعالى، فلو علم المستأذنون ما علمه الباكون لما رضوا بالقعود، لكنهم لا يعلمون. [٨٩] **﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [النساء: ١٣]، **﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ٨٩]. لماذا جاءت الواو زائدة في آية النساء؟ **الجواب**: آية النساء اختلفت عن آية التوبة لوجهين: الأول: موافقة ما قبلها، وهو جملة مبدوءة بالواو، وذلك قوله: **﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾** [النساء: ١٣]، الثاني: موافقة ما بعدها وهو قوله: **﴿وَلَهُ﴾** بعد قوله: **﴿خَلِيدًا فِيهَا﴾** [النساء: ١٤]، أما آية التوبة فخلت من ذلك. [٩٢] **﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾** [التوبة: ٩٢]، **﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّ بْنِ وَحُرِّ إِلَى اللَّهِ﴾** [يوسف: ٨٦]. ما الفرق بين: **«الْحَزَنُ وَالْحَزَنُ؟»** **الجواب**: وردت كلمة **«الْحَزَنُ»** مرتين، بينما وردت كلمة **«الْحَزَنُ»** ثلاث مرات. **الْحَزَنُ** (بضم الحاء): ضد الفرح. وهي حالة تتجملد فيها المشاعر فلا ينطلق صاحبها بالشكوى ولا تجري في عينيه الدموع، بل ينطوي على إحساس عميق بالحزن، فيبدو للناس كأنه غير حزين، مع أن **الْحَزَنُ** يقطع نياط قلبه، كذلك كانت حالة يعقوب عليه السلام، فقد ابيضت عيناه من كظم حزنه على فقد ولده يوسف عليه السلام، ولم يرسل بكاء ولا دموعاً، وإنما كظم حزنه، وليس أدل على هذا من قول الله تعالى حكاية عنه: **﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّ بْنِ وَحُرِّ إِلَى اللَّهِ﴾** [يوسف: ٨٦]. **والْحَزَنُ** (بفتح الحاء): هو حالة من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على هذا من قول الله تعالى: **﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾** [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله -تعالى- حالة الذين أصابهم **الْحَزَنُ** من جرأ تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنهم ما وجدوا ما ينفقون. أمثلة قرآنية: **الْحَزَنُ**: قال تعالى: **﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُفِي عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَاطِمٌ﴾** [يوسف: ٨٤]، وقال تعالى: **﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّ بْنِ وَحُرِّ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾** [يوسف: ٨٦]. **الْحَزَنُ**: قال تعالى: **﴿قَالَ لَنْفَضَهُنَّ أَلْ فَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَحَزَنًا﴾** [الفصص: ٨]، **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾** [فاطر: ٣٤]. [٩٠] **﴿وَجَاءَ الْمَعْدُونُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** قوله تعالى: **﴿وَجَاءَ الْمَعْدُونُونَ﴾** قرئ: **«المعذرون»** بسكون العين وكسر الذال مخففة من أعذر يعذر كأكرم يكرم. وقرئ: **«المعذرون»** بفتح العين وتشديد الذال إما من فعل مضعف بمعنى التكلف، والمعنى: "أنه يومهم أن له عذراً له ولا عذر له"، أو من افعل، والأصل: اعتذر فأدغمت التاء في الذال بعد إبدالها.

= مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات تكرار لفظة **«الحياة»** بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة **«الموت»** بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة.

[٨٧] **﴿وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ﴾** **﴿عِجَازٌ عَدَدِي﴾**: تساوى عدد مرات ذكر لفظ **البصر والبصيرة** ومشتقاتهما مع لفظ **القلب والفؤاد** ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة: أولاً: ورد لفظ **«البصر والبصيرة»** بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ **«القلب والفؤاد»** ومشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ (٨٧) لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) الْمَعْدُونُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣)

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْنُهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ رِجْسٌ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَالْأَعْرَابُ مِنْ يَتَّخِذُ مَائِثُقًا مَعَرَّمًا وَيَتْرَبُّ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَالْأَعْرَابُ مِنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَائِثُقًا فَرِيقٌ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْآنٌ لَهُمْ سَيَذِخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٩٤- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: إخبار عن المنافقين بأنهم سوف يعتذرون إلى المؤمنين إذا رجعوا من الغزو، ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لا نصدقكم، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: فيما بعد هل تفلحون عما أنتم عليه من الشر أو تبقون عليه؟ ٩٥- ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: رجعتهم ﴿لَعْنُهُمْ﴾: لئلا تؤنبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: دعوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: نجس. ٩٦- ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾: جُحوداً بتوحيد الله عز وجل وأشد نفاقاً من أهل الحضر؛ لجفائهم، وقسوة قلوبهم ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أحق وأخلق ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾: السنن، وقيل: من الشريعة والأحكام. ٩٧- ﴿وَالْأَعْرَابُ مِنْ يَتَّخِذُ مَائِثُقًا مَعَرَّمًا﴾: هؤلاء المنافقون من الأعراب إنما ينفقون رياء وافتاء أن يغزوا ويحاربوا ﴿وَيَتْرَبُّ﴾: يرتقب. ﴿الدَّوَابِّ﴾: أن تدور الليالي عليكم بمكره. جمع دائرة، وهي الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: أي أن الأيام ستدور عليهم هم فتقع بهم الهزيمة والشر في الدنيا، والعذاب في الآخرة. ٩٨- ﴿فَرِيقٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: جمع قرينة، وهذه صفة المؤمنين من الأعراب ﴿وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ﴾: ييغون دعاءه واستغفاره لهم.

[٩٧] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٩٧، ٩٨] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٩٧] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتماً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟ [٩٨] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء. وسمعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٩٩، ٩٨] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[٩٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد: أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَتَذْلَمُنَّ﴾ وأخرج عبد الرحمن بن معقل المزني؛ قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية. [٩٤، ١٠٥] ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤]، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ١٠٥]. الآية الأولى في المنافقين بدليل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، وكانوا يخفون من النفاق ما لا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله بإعلامه إياه، والآية الثانية في المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُنَّ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وأعمالهم ظاهرة فيما بينهم من الصلاة والزكاة والحج وأعمال البر، فلذلك زاد قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وأما ﴿ثُمَّ﴾ في الآية الأولى فلاها وعيد، فبين أنه لكرمه لم يؤاخذهم في الدنيا فأتى بـ"ثم" المؤذنة بالتراخي، والثانية وعد، فأتى بالواو والسين المؤذنين بقرب الجزاء والثواب، ويعد العقاب، فالمنافقون يؤخّر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم، فناسب: ﴿ثُمَّ﴾، والمؤمنون يثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [النحل: ٩٧]. [١٠٠] ﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. آية التوبة تدل على أن بداية جريان الأنهار ليس من تحتها، أي: من تحت الجنات، وهي منزلة أقل؛ لأن هذه الآية جاءت في ذكر السابقين الأولين ولم يذكر معهم الأنبياء، أمّا باقي مواضع القرآن ﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فذكر فيها المؤمنون مع الأنبياء، وزادت فيها من، وهي دلالة على أن بداية الجريان من تحت هذه الجنات، وهذه منزلة أكبر، لأن بين أهل هذه الجنات أنبياء الله تعالى وهم الأعلى منزلة. [٩٦] ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]. وتأمل كيف قال: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ولم يقل: (فإن الله لا يرضي عنهم)، ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم ويرضي عنهم. وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضي عنهم، لوجود المانع من رضاه. [٩٨] ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿السَّوْءِ﴾ قرئ: (السَّوْءِ) بضم السين فيهما وهو الضرر. وقرئ: (السَّوْءِ) بالفتح فيهما وهو الذم، وقيل: المضموم: العذاب والضرر والبلاء، ومعنى المفتوح: الفساد. [٩٥] ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضاً في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كل (١٠) =

وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفَرًا وَتَفَرَّقَ بِأَنْتِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلِيَحْلُلْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
 (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ
 يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
 عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
 عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهُ رِيحُهُ فِي نَارِجَتِهِمُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)
 إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
 بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
 وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
 وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
 بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

١٠٧ - ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا﴾: لمسجد رسول الله ﷺ. ﴿وَكُفَرًا﴾: بالله لأنهم أرادوا
 بينائه تقوية أهل النفاق. ﴿وَتَفَرَّقَ بِأَنْتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ييغون تفريق جماعتهم، حتى لا يحضروا مسجد
 قباء فقتل جماعة المسلمين. ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعني: رجلاً منهم يقال له: أبو عامر
 كان محارباً لرسول الله ﷺ، وكان انطلق إلى ملك الروم ليأتي بجند من الروم، يزعم أن يخرج النبي
 ﷺ وأصحابه من المدينة، والإرصاد: الإعداد، أي أعدوه لأجل من حارب الله ورسوله. وأبو عامر
 هذا هو الذي أمر ببناء مسجد الضرار، وهو الذي قال للنبي ﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك
 معهم! ١٠٨ - ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾: مسجد رسول الله ﷺ الذي فيه منبره وقبره. وقيل: هو
 مسجد قباء. ١٠٩ - ﴿عَلَى شَفَا﴾: على حرف، وشفير: حافة، ﴿جُرْفٍ هَارٍ﴾: الجرف: ما يتجرف
 بالسيول، وهي الجوانب التي تنهدم بالماء. و«المار»: الساقط، وأصله: هائر، ﴿فَأَتَاهُ رِيحُهُ﴾: فانتشر
 الجرف الهاري، جعله سبحانه مثلاً لما بنوا عليه دينهم الباطل المضمحل بسرعة. ١١٠ - ﴿لَا يَزَالُ
 بُنْيَانُهُمُ﴾: يعني مسجد الضرار ﴿رِيبَةً﴾: شكاً ونفاقاً، ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: يموتوا. والمعنى أن
 هذه الريبة قائمة ما داموا أحياء. وقيل: معناه: إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على
 ما فعلوه. [١٠٧] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا﴾ الآية. أخرج ابن مردويه عن طريق ابن
 إسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع
 أبا رهم - وكان ممن بايع تحت الشجرة - يقول: أتى من بنى مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز
 إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا
 نحب أن تأتينا فنصلي لنا فيه قال: «إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم
 فيه»، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فانزل الله في المسجد: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا
 ضَرَارًا وَكُفَرًا﴾ الآية. إلى آخر القصة فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، أو أخاه عاصم بن
 عدي، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه، ففعلوا. أخرج عمر بن شبة في أخبار المدينة، من طريق الوليد بن أبي سندر الأسلمي عن يحيى بن
 سهل الأنصاري عن أبيه: أن هذه الآية نزلت في أهل قباء كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفَرًا﴾ الآية. [١١١] قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ
 اشْتَرَى﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: اشترط لربي أن
 تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقبل ولا
 نستقبل، فنزلت ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع قدمت فيها
 "الأموال على النفس". دائماً يتقدم ذكر المال على الأولاد وعلى النفس حيث يردان مجتمعين في القرآن الكريم، والسبب في هذا أن المال أظهر من الأولاد،
 يعني قديماً كان مال فلان يُرى: الأغنام والإبل وما أشبه ذلك، والمال يمكن أن يفخر به الإنسان وقد لا يفخر بأولاده، فقد يكونوا سيئين بحيث لا يستحقون أن
 يفخر بهم، والمال هو الزينة أكثر من الأولاد، ففي سورة كهف: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]،
 فزينة المال أظهر من زينة الأولاد وأوضح للناس والمجتمع، يرون المركب الفارحة والقصر المنيف، يرون أكثر من رؤية الأولاد، لكنه في موضع واحد في سورة
 التوبة قدم النفس على الأموال، والسبب في ذلك أن التعامل هنا مع الله عز وجل، وهذا يعني أن يقدم الأسمى، وتقديم المال في آية سورة الكهف ليس لأنه
 أسمى، ولكن لأنه أظهر وأوضح، أمّا في التعامل مع الله تعالى فلا بد أن يقدم الأسمى "النفس"، والله سبحانه وتعالى أعلم.

= (التوب) لذا وردت كل منهما في موضعها المناسب. أما (متاب) فلها معنيان: ١ - اسم مكان من التوبة: أي مرجعي (معنى بالتوبة وحسباً بالمعاد). ٢ - مفعول
 مطلق (يتوب متاباً). كما أن (متاباً) اتسقت مع الفواصل التي اكتنفتها (سلاماً - قياماً - غراماً - مقاماً - قواماً - مهاتاً - متاباً - كراماً - إماماً - سلاماً - مقاماً - لزماً).
 [١٠٧] ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفَرًا وَتَفَرَّقَ بِأَنْتِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧]. كل عمل يراد به تفريق
 الناس أمر محرم شرعاً يؤدي إلى الكفر ولو كان في مسجد، فلا يوجد مصلحة في الدين أعظم من اجتماع كلمة الناس، وكل من حمل لواء يريد به أن يفرق بين
 المسلمين يجب نبذه وتركه، ولو تستر بألف ستار. [١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ
 هَارٍ...﴾ [التوبة: ١٠٩]. فالأعمال والدرجات بنیان، وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل
 تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان، أو كاد. [١١١] ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ =
 لأن الصلاة وأدبها: الدعاء والدعاء صنف واحد، وقرئ: (صلواتك) بالجمع فيهما وكسر التاء هنا، على أن الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه فجمع المصدر لهذا.
 [١٠٦] ﴿وَأَخْرُوجُ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿مُرْجُونَ﴾ قرئ: (مرجؤون) بالهمزة على أنها لغة تميم وقيس، ومعناه التأخير. وقرئ: (مرجون) بغير همز من
 أرجيت الأمر، يعني: أخرته، وهي لغة قريش والأنصار، وأصله: "مرجيون" فلما انضمت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وبعدها واو ساكنة فحذفت الألف
 لالتقاء الساكنين، وبقيت فتحة الجيم تدل على الألف المحذوفة، فهي مثل قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ اعتلا لهما واحد. [١٠٧] ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا
 وَكُفَرًا وَتَفَرَّقَ بِأَنْتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا﴾ قرئ: (الذين) بغير واو قبل (الذين) كمصاحف أهل المدينة والشام، "فالذين" مبتدأ خبره
 محذوف، أي: وفيمن وصفنا، وقال الداني: خبره "لا يزال بنيانهم". وقرئ: (والذين) بالواو كمصاحف غير المدينة والشام عطفًا على ما تقدم من القصص نحو:
 "وآخرون"، أو مستأنف، و"الذين" مبتدأ على ما تقدم في قراءة الحذف. [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ قوله تعالى: ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ﴾ -
 ﴿أُسِّسَ بُنْيَانَهُ﴾ قرئ: (أُسس) بضم الهمزة وكسر السين فيهما على البناء للمفعول، ورفع النون فيهما على النيابة عن الفاعل، وقرئ: (أُسس) بفتحها على =
 [١٠٧] ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب) بمشتقاته (٥) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى) بمشتقاته (٦)
 مرات أيضاً في كتاب الله، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (الأسرى) بمشتقاته، وقد ورد كل (٦) مرات في كتاب الله.

١١٢- ثم ذكر الأوصاف التي هي من صفات المؤمنين الذين ذكر الله أنه اشترى منهم أنفسهم. وهي أوصاف الكملة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليسبق إليها أهل التوحيد، حتى يكونوا في أعلى رتبة: ﴿التَّائِبُونَ﴾: من الشرك، ولم ينافقوا في الإسلام وهو عام في الرجوع من الشر إلى الخير، كان ذلك من كفر أو معصية. ﴿الْعَصِيدُونَ﴾: الذين ذلوا خشية الله وتواضعاً ﴿الْحَمِيدُونَ﴾: حمدوا الله على كل حال في السراء والضراء ﴿السَّائِحُونَ﴾: الصائمون. وقال بعض المفسرين: السائحون: هم الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته. قال ابن عطية: وهذا قول حسن، لأنه من أفضل العبادات. ﴿الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ﴾: المصلون ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: القائمون على طاعة الله، المنتهون إلى أمره. ١١٣- ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾: لما مات أبو طالب قال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» متفق عليه، فنزلت هذه الآية. وأنزل الله تعالى في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ والآية عامة في قطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم. ١١٤- ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾: قيل: «الأواه»: الدعاء. وقيل: هو الرحيم بعباد الله عز وجل. وقيل: هو الخاشع المتضرع. ١١٥- ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَّا يَتَّقُونَ﴾: في طاعته ومعصيته. ١١٧- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته محمداً ﷺ وأصحابه المهاجرين والأنصار، الذين اتبعوا رسول الله ﷺ ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾: من النفقة، والظهر، أي ما يحمل عليه ويترك. والزاد، والماء، وكان ذلك في غزوة تبوك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾: يميل عن الحق ويترك المناصرة للذي ناله من المشقة والشدة.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية. أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزال يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية. وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية. وظاهر أن الآية نزلت بمكة. [١١٧] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ الآيات. روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدرًا حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها، وأذن الناس بالرحيل، فذكر الحديث بطوله، وفيه: فأنزل الله توبتنا ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قال وفيها أنزل أيضاً ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. [١١٤] ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]. الأواه الكثير التأوه، وفي كتاب ابن عطية أن التأوه: التفجع، فالمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة أبيه وقساوته حتى قال له: ﴿لَنْ تَنْتَهِيَ لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِكًا﴾ [مريم: ٤٦]، وإبراهيم عليه السلام مع ذلك يتأوه تأسفاً وتحسراً على رفض أبيه إجابته واتباعه مع تلطف إبراهيم عليه السلام في قوله دعاء لأبيه إلى الإيمان في إخبار الله تعالى عنه: ﴿يَتَابَتِ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، إلى قوله: ﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، فكان عليه السلام لفرط ترحمه ورأفته وحلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع الرجاء من حاله، وتبين له أنه عدو الله فتبرأ منه، فإخبار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقندي به ويهتدي بهديه، فقال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأعلمه تعالى بعذر إبراهيم في استغفاره، وأن ذلك كان عن موعدة تقدمت منه لأبيه، فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه "أواه"، وذلك مناسب لما بيناه، أما في آية هود ففيها أنه عليه السلام جادل الرسل بحرص المجادل في صرف العذاب عن قوم لوط، ووضع المضارع موضع الماضي إشارة إلى تكرار المجادلة مع تصوير الحال، أي: جادلنا فيهم جداً كثيراً؛ وهذا من صبره وحلمه فكان وصفه هنا ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ أنسب، إذ إنه بسبب ما عنده من هذه الصفات الحسنة الجميلة لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة.

﴿وَأَمَّا قَارُونَ﴾: وقحة: أي، لؤم هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل. وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصول الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع. غير أن الرياضة، أي: ترويضها على الطاعة، والمجاهدة تذهب ذلك. فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند، ولا تصلح سلعته لعقد: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فما اشترى إلا سلعة هذبه الإيمان، فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون. [١١٤] ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾ [التوبة: ١١٤]. ما الفرق بين: "وعد، موعدة"؟ **الجواب**: وردت كلمة (وعد) ستين مرة. بينما وردت كلمة (موعدة) مرة واحدة. (وعد) المصدر الأصلي للفعل (وعد) لذلك تكرر ورودها كثيراً في القرآن، بينما (الموعدة) هي المصدر الميمي، = البناء للفاعل ونصب (بنائه) بعدهما مفعول به، والفاعل ضمير بعد (أسس). [١٠٩] ﴿أَمْ مَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْئِي هَارٍ﴾ قوله تعالى: ﴿جُرْئِي﴾ قرئ: (جرف) بإسكان الراء تخفيفاً. وقرئ: (جرف) بالضم على الأصل، والجرف ما يجرف من الوادي في السيل. [١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَّا﴾ قرئ: (إلى) بتخفيف اللام على أنها حرف جر. وقرئ: (إلا) بتشديد اللام على أنها حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف، أي: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلا حال تقطيعها بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار. قوله تعالى: ﴿تَقَطَّعَ﴾ قرئ: (تقطع) بفتح التاء مبني للفاعل وأصله: تقطع مضارع تقطع، حذف إحدى التائين. وقرئ: (تقطع) بضم التاء بالبناء للمفعول مضارع قطع بالتشديد.

[١١٢] ﴿الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ﴾ **إعجاز عددي**: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن.

التَّائِبُونَ الْعَصِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْثُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ
أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ
فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى
يُبَيِّنَ لَهُمْ مَآيَتَقَوْا إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

١٢٣- ﴿الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾: الأقرب فالأقرب. وبعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فالفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم دون الأبعد، ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من بلاد الإسلام، فإن اضطروا إليه لزمهم نصرهم لأن المسلمين يد على من سواهم. ١٢٤- ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين. ١٢٥- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: نفاق ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾: شكاً إلى شكهم، أو خبثاً إلى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد الاعتقاد، وإظهار غير ما يضمرونه. ١٢٦- ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: عجب الله المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبخ المنافقين بقلة تذكرهم وسوء تبيينهم لمواعظ الله عز وجل التي يعظم بها، وما يريهم من نصرة رسوله عليه السلام، عندما كانوا يُختبرون معه بالغزو والجهاد. وقيل: كان اختبارهم بالقحط والمرض ونحو ذلك. ١٢٧- ﴿هَلْ يَرْتَدَّكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾: بمعنى: أكان معكم أحد سمع كلامكم فأخبره به؟ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عن الخير والتوفيق ﴿يَا نَفْسُ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: عن الله استكباراً ونفاقاً. ١٢٨- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: تعرفونه، لا من غيركم! ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة والمكروه عليكم ﴿حَرِيصٌ﴾: على هذي ضلالتكم وتوبتكم. ١٢٩- ﴿حَسْبِيَ﴾: كفاني ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

[١] ﴿الر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخْرُ مَشْدِهَتْ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أوائل السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن الكريم حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم.

= **الصدق** ﴿[التوبة: ١١٩]. كل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعه ويثبته عن مصالحه ومنافعه، ويثب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دينه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدهما ولا مضرتهما بمثل الكذب، كما قال تعالى: ﴿رَبَّاهُ الْمَعْدُونُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَدْ أَلَيْنَ كَذِبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. [١١٩] ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. من فوائد الصدق: ١- الصدق دليل على الإيمان والتقوى. ٢- الصدق يؤدي إلى الخير وحسن العاقبة. ٣- الصدق دليل على البراءة من النفاق، قال الإمام ابن القيم: الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر. ٤- الصدق يؤدي إلى الجنة وينجي من النار. ٥- الصدق سبب لنيل مرتبة الصديقية التي تلي مرتبة النبوة. ٦- الصدق ينجي صاحبه من أهوال يوم القيامة. ٧- الصدق يورث الطمأنينة والراحة النفسية. ٨- الصدق يورث منازل الشهداء. ٩- الصدق يورث محبة الله تعالى، فمن أراد أن يكون الله معه ويحبه فليلزم الصدق. ١٠- الصدق يورث البركة في كل شيء. ١١- الصدق سبب في شرف القدر وعلو المنزلة. ١٢- الصدق سبب لطيب العيش. ١٣- الصدق سبب لعزة النفس. [٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [يونس: ٥]. جعل الشمس ضياءً لا تنفاد الناس بضيائها في = [١٢٦] ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ﴾ (ترون) بالخطاب للمؤمنين على جهة التعجب. وقرئ: (يرون) بالغيب رجوعاً على الذين في قلوبهم مرض. [١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. إعجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١- مبدأ التوحيد: فقد جمع الله - تعالى - أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله - تعالى - دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِيَذَّبُوا ٓءَابَائِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَالِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجُنَّةُ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثاً عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿وَأَنبَغَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغْ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم ألقاهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيها صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بَالِئًّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرفقة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ١٢٣ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ١٢٤ أَيْمَانًا فَاَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٢٥ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَّاهُمْ كَفُورُونَ ١٢٦ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ١٢٧ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرْتَدَّكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ١٢٨ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٢٩ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٣٠

سُورَةُ يُوسُفَ

٢٠٧

١- **الرَّ**: قيل: هو من اسم الله، الذي هو «الرحمن»، بتقطيع الهجاء، إذا جُمع بـ«حم». و«نون» كان «الرحمن». وقيل: هو من أسماء القرآن. وقد تقدم القول في «الم» بما قيل في مثلها من فواتح السور. [ص: ٢] **تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ**: يعني: القرآن **الْحَكِيمِ**: الذي قد أحكمه الله وبينه لعباده.

٢- **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا**: إيجازنا القرآن **إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ**: بإنذارهم عقاب الله، كأن لم يعلموا أن الله قد أوحى قبله إلى مثله من البشر فتعجبوا من وحينا إليه الآن! **أَن لَّهُمْ قَدَمٌ صَدِيقٌ**: أي: منزل صدق، قيل: أعمالاً صالحة يستوجبون بها ثواب الله تعالى. وقيل: إنه محمد ﷺ شفيع لهم. وقيل: سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة **إِنَّ هَذَا السَّحْرُ مِثْنُ**: يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه. ٣- **يَذِيرُ الْأَمْرَ**: يقضيه، ويقدره وحده **مِمَّنْ شَفِيعٌ**: يشفع يوم القيامة لأحد. ٤- **إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**: يحييه، ثم يميتة، ثم يحييه **لِيَجْزِيَ**: ليشيب **بِالْقِسْطِ**: بالعدل **شَرَابٍ مِّنْ حَمِيمٍ**: قد أغلى فاشتد حره **وَعَذَابُ أَلِيمٌ**: موجع. ٥- **وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ**: أي قدر مسير القمر في منازل، أو: قدره ذا منازل، لا يجاوزها ولا يقصر دونها، يعني: القمر خاصة، لأنه بالأهلة يعلم انقضاء الشهور والسنة. وأفرد القمر - بعد أن ذكر الشمس والقمر - لأنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، كما قال **وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ** [سورة التوبة: ٦٢]. ٦- **إِنْ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**... إلى آخر الآية، في اعتقاب الليل والنهار وعجائب الخلق دلالات وحجج لمن صحت فطرته وعقله، واتقى الله؛ على أن الله الخالق الصانع والمدير لكل شيء.

[٢] قوله تعالى: **﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾** أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدًا رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: **﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾** الآية، وأنزل **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا ﴾**

[يوسف: ١٠٩] الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشراً، فغير محمد كان أحق بالرسل. **﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴾** يقولون: أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل راداً عليهم: **﴿ أَمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾** [الزخرف: ٣٢] الآية.

[١] **﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾** [يونس: ١، لقمان: ٢] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع **﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾** [يوسف: ١، الشعراء: ٢، القصص: ٢]. أي: هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده، أمّا **﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾**، أي: هذه آيات الكتاب البين الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهده. [٣] **﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ ... ﴾** [الأعراف: ٥٤]، **﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ ... ﴾** [يونس: ٥]، **﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا نَقْصِيلاً ﴾** [الإسراء: ١٢]. الله هو الذي جعل الشمس ضياءً، وجعل القمر نوراً، وقدر القمر منازل، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله تعالى الشمس والقمر إلا لحكمة عظيمة، ودلالة على كمال قدرة الله وعلمه، يبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون الحكمة في إبداع الخلق، فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الإسراء: وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا، فمَحَوْنَا علامة الليل - وهي القمر - وجعلنا علامة النهار - وهي الشمس - مضية؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكن والراحة، وليعلم الناس - من تعاقب الليل والنهار - عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم. وكل شيء بيّنه تبييناً كافياً. [٦] **﴿ إِنْ فِي اخْتِلَافِ أَلْيَلٍ وَالنَّهَارِ ﴾** [يونس: ٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع **﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** [البقرة: ١٦٤، آل عمران: ١٩٠]. آية البقرة ليس فيها تعلق بترتيبها بالآيات قبلها، فجاءت على الأصل في ترتيب الخلق، أما آية آل عمران فذكر قبلها مباشرة: **﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** [آل عمران: ١٨٩]، فأتبعه بخلقها، ثم **﴿ وَاخْتِلَافِ أَلْيَلٍ وَالنَّهَارِ لَا يَتَرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾** [آل عمران: ١٩٠]، أما في آية يونس فسبقها قوله تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾** [يونس: ٥] ومن اختلافهما ينشأ الليل والنهار، فناسب أن يتبعها بقوله: **﴿ إِنْ فِي اخْتِلَافِ أَلْيَلٍ وَالنَّهَارِ ﴾** أولاً، ثم يذكر خلق السماوات والأرض.

= مشاهدة ما تهمهم مشاهدته بما به قوام أعمال حياتهم في أوقات أشغالهم، وجعل القمر نوراً للانتفاع بنوره انتفاعاً مناسباً للحاجة التي قد تعرض إلى طلب رؤية الأشياء في وقت الظلمة وهو الليل، ولذلك جعل نوره أضعف لينتفع به بقدر ضرورة المنتفع، فمن لم يضطر إلى الانتفاع به لا يشعر بنوره، ولا يصرفه ذلك عن سكونه الذي جعل ظلام الليل لحصوله. [٥] **﴿ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾** [يونس: ٥]، **﴿ وَرُسُلٌ عَلَيْهِمْ حُسْبَانًا ﴾** [الكهف: ٤٠]. ما الفرق بين: "حساب، حُسابان؟" **الجواب**: وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعاً وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسابان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. وردت كلمة (حساب) بثلاثة معان، هي: ١- الفصل والجزاء في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: **﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾** [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: **﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾** يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يشغله حساب بشر عن حساب آخر. ٢- الإحصاء والعُد، كما قال تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾** [يونس: ٥]. = نزول سورة يونس: نزلت بعد سورة الإسراء. وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة يونس: ألف وأربعمائة وتسع وتسعون كلمة. عدد حروف سورة يونس: سبعة آلاف وخمسة وستون. أسماء سورة يونس: وسُمّيت سورة يونس لما في آخرها من ذكر كشف العذاب عن قوم يونس ببركة الإيمان عند اليأس في قوله: =

وَأَذَاتُ عَلَيْهِمْ إِيَّا نَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتِ بِشِرَارٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَائِدَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٦- ﴿وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ﴾: يقول: ولا أعلمكم الله به ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: أربعين سنة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل أن أتله عليكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أني لو كنت مُتَحَلِّلاً ما ليس لي بحق لانتحلته قبل هذا! ١٨- ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾: يعنون الأصنام ﴿شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: وهي لا تضرهم ولا تنفعهم ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؟ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله لا في السماوات ولا في الأرض؛ وكانوا يزعمون أنها تشفع لهم، فقال الله: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيها. ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾: تنزيهاً لله عما يقولون وما يشركون. ١٩- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على ملة واحدة، ودين واحد ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: في دينهم وافتقرت بهم السبل ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: أنه لا يهلك قوماً إلا بعد انقضاء آجالهم ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بأن يهلك أهل الباطل، وينجي أهل الحق. ٢٠- ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾: يعنون محمداً ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: دليل نعلم أنه مُحَقِّقٌ فيما يقول، أو آية تضطر الناس إلى الإيمان ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: أي: لا يعلم أحد بما يفعل إلا هو ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: قضاء الله، وفي الآية وعيد، وقد صدقه الله بنصرته محمداً ﷺ يوم بدر وغيره.

١٧ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَائِدَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَائِدَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]. الآيات التي تقدمت في سورة الأنعام عطف بعضها على بعض بالواو، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ثم قال: ومن أظلم، وختم الآية بقوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ ليكون آخر الآية موافقاً لأول الأولى، وأمّا في سورة يونس فالآيات التي تقدمت عطف بعضها على بعض بالفاء وهو قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، ثم قال فمن أظلم بالفاء، وختم الآية بقوله: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٣]، فوصفهم بأنهم مجرمون، وقال بعده:

﴿ثُمَّ جَعَلْتُكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس: ١٤]، فختم الآية بقوله: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلم أن سبيل هؤلاء من تقدمهم.

١٨ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]. لما تقدم آية يونس قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، ناسب تقديم الضمير، أي: لا يضرهم إن عصوه ولا ينفعهم إن أطاعوه، وفي الفرقان تقدم ذكر النعم وعدّها، فناسب تقديم النفع، أي: ما لا ينفعهم بنعمة من النعم.

١٩ ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩]، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣]. لأن آية يونس تقدمها فاختلفوا، فأكثف بها عن إعادة الضمير.

١٢ ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢]. ما الفرق بين: "المس واللمس والمسح"؟ **الجواب:** ١- كل من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمس هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفتقر عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم. أمثلة قرآنية: أولاً- **اللمس**: ﴿وَلَوْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣]، والمائدة: ٦، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. كل الآيات السابقة استعمل فيها (اللمس) مراداً منه المعنى اللغوي الحقيقي أي ملاقة جسم لآخر، لكن هناك سؤالاً هاماً؟ لم كُنِي (باللمس) عن الطلب في آيتي الجن والحديد (الأخيرتين) المذكورتين، ولم يُكُنْ باللمس أو المسح؟ والجواب: أن طلب الشيء يُفْضِي إلى ملاقاته وأخذه، لذلك ساغت الكناية باللمس دون المس أو المسح. ثانياً- **المس**: وردت صيغ (المس) على اختلافها في أربع عشرة آية (في صيغ مختلفة بين الأفعال الماضية والمضارعة والاسم والمصدر)، ووردت هذه الصيغ المتعددة بصور مختلفة بين الحقيقة والكناية والمجاز كما يلي: ١- ثلاثة مواضع منها أُريد بها المعنى الحقيقي للمس (من جسم لآخر مساً خفيفاً)، وهي: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿يَكَادُ زَيْتُنَا يُضِئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَطْهَارُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩]. ٢- ثلاثة مواضع أخرى كناية عن مباشرة النساء، هي: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ [المجادلة: ٣]، ٣- تسعة مواضع جاء فيها المس مجازاً بمعنى (الإصابة) وهي: ﴿مَسَّ آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢]، ﴿مَسَّنِيَ الْكَبَرُ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ﴾ ... ﴿وَإِنْ يَمَسَّكَ بَحِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿الَّذِي يَخَبِّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ثالثاً- **المسح**: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ... ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿رُدُّوهُا عَلَى قَطْفِ مَسْحَاٍ لِسُوقٍ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

١٨ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (تشركون) بالخطاب جرياً على ما سبق من قوله: (أتنبئون الله)، فحمل آخر الكلام على أوله في الخطاب. وقرئ: (يشركون) بالغيب في الأربعة، استأنف فنهز نفسه عن إشراكهم، ورده إلى الهاء في سبحانه.

= لمصالح الخلق، وذم القانعين بالذنيا الفانية عن النعيم الباقي، ومذم أهل الإيمان في طلب الجنان؛ واستعجال الكفار بالعذاب، وامتحان الحق تعالى خلقه باستخلافهم في الأرض، وذكر عدم تعقل الكفار كلام الله، ونسبته إلى الافتراء والاختلاف، والإشارة إلى إبطال الأصنام وعبادها، وبيان المنّة على العباد بالنجاة =

٢١- ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: فرجاً من كرب، ومطراً بعد محل **﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ﴾**: شدة **﴿إِذَا لَهِمَّ مَكْرًا﴾**: استهزاء وتكذيب **﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾**: استدراجاً لهم، والمعنى أن الله تعالى أعجل عقوبة. **﴿إِنْ رُسُلَنَا﴾**: حفظتنا عليهم. ٢٢- **﴿حَقِّقْ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ﴾**: في السفن في البحر **﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾**: شديدة **﴿وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾**: أن الهلاك قد أحاط بهم وأحرق بهم، **﴿مِنْ هَذِهِ﴾**: المحنة، وكأنها الأخيرة التي لن يعودوا بعدها إلى البغي والفساد. **﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**: وحده، دون آلهتهم وأوثانهم. «الدين»: الطاعة، لا يدعون سواه. ٢٣- **﴿فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ﴾**: يعني الذين أحيط بهم **﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾**: يتجاوزون أمر الله إلى الكفر والعصيان **﴿إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾**: إياها تظلمون، وعليها تعتدون، لما توجبون عليها من سخط الله ونقمته **﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾**: أي: إنما هو متاع لكم في الحياة الدنيا. ٢٤- **﴿حَقِّقْ إِذَا أَخَذْتَ لَأَرْضٍ زُرْفَهَا﴾**: زيتها وبهاءها **﴿وَأَزَيْتَ﴾**: تزيت **﴿وَوَظِنَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾**: أي: على حصاها والانتفاع بها، والتمكن من ناصيتها. **﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾**: يعني: جعلنا ما عليها **﴿حَصِيدًا﴾**: مقطوعاً مقلوعاً من أصله **﴿كَأَن لَّمْ تَعْنِ﴾**: كأن لم تعش، وكان لم تنعم بزرع كان فيها بالأمس. و«غني بالمكان»: أقام فيه. والمراد بالأمس: الوقت القريب. ٢٥- **﴿إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾**: الله عز وجل هو السلام، وداره: جنته.

[٢١] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ ...﴾ [يونس: ٢١]، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ ...﴾ [الروم: ٣٦]. وإذا أذقنا المشركين يسراً وفرجاً ورخاءً بعد عسر وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذبون، ويستهزئون بآيات الله، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجًا وعقوبة لكم... فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الروم: وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطر وأشر، لا فرح شكر...

[٢٢] ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَيُنْشِرُهُمُ الْمُقْسِدُونَ﴾ [لقمان: ٣٢]. الآيات تبين حال الكفار عند الشدائد وتضرعهم إلى الله بكل إخلاص حتى يكشف عنهم ما حل بهم من الكرب والبلاء. [٢٣] ﴿فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ﴾ [يونس: ٢٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع **﴿فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ﴾** [العنكبوت: ٦٥]، ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَيُنْشِرُهُمُ الْمُقْسِدُونَ﴾ [لقمان: ٣٢]. بالالف؛ لأنه وقع في مقابلة **﴿أَجْمَعْنَاهُ﴾** [يونس: ٢٢]. [٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ...﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ...﴾ [الكهف: ٤٥]. إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفاخرون به فيها من زينة وأموال، = [٢٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَاقٍ﴾ [يونس: ٢٢]، ما الفرق بين **«الريح والرياح»**. أولاً: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقرر بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- **﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَاقٍ﴾** [يونس: ٢٢]، وهي الريح اللينة. ب- **﴿وَلُسْلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾** [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان- عليه السلام- «عاصفة» لأنها جند من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمة بؤساً، والقوة ضعفاً. ٢- استعمالها في الشر: وفي هذه الحالة تقرر بها أوصاف تدل على الشر. أمثلة: **﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾** [الروم: ٥١]، **﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾** [الذاريات: ٤١]، **﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَبُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾** [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آن واحد: مثال: **﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا﴾** [الأحزاب: ٩]، فهي خير بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشر بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانياً: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائماً. أمثلة: **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاثَرْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْتَفْتِنَكُمْوَهُمْ وَمَا أُنْشِرُوا لَهُ يَخْرُجِينَ﴾** [الحجر: ٢٢]، **﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾** [الفرقان: ٤٨].

[٢١] ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا نَمَكُرُوه﴾: قوله تعالى: **﴿نَمَكُرُوه﴾** قرئ: (يمكرون) بالغيب جرياً على ما مر من يكتبون. وقرئ: (تمكرون) بالخطاب التفاتاً لقوله: **﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾** أي: قل لهم ذلك، فناسبه الخطاب في «تمكرون». [٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: قوله تعالى: **﴿يُسِرُّكُمْ﴾** قرئ: (يسركم) بفتح الياء وبنون ساكنة بعدها فشين معجمة مضمومة من النشر ضد الطي، أي: ييثكم في البر والبحر ويفرقكم، وقرئ: بضم الياء (يسركم) وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشدودة، أي: يحملكم على السير ويمكنكم منه والتضعيف للتعدية. [٢٣] ﴿إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: قوله تعالى: **﴿مَتَّعَ﴾** قرئ: (متاع) بنصب العين على أنه مصدر مؤكد، أي: تتمتعون متاع، أو ظرف زمني نحو: مقدم الحاج، أي: زمن متاع، والعامل فيه الاستقرار الذي في على أنفسكم، أو مفعول به مقدر، أي: تبغون متاع، أو من أجل أي: لأجل متاع. وقرئ: (متاع) بالرفع على أنه خبر «بغيتكم» و«على أنفسكم» صلة، أي: بغى بعضكم على بعض انتفاعاً قليل المدة، ثم يضمحل ويشقى ببغيه، قاله الجعبري كغيره، أو خبر محذوف، أي: ذلك أو هو متاع، و«على أنفسكم» خبر «بغيتكم».

[٢٢] ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَاقٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]. **الرياح العاصف**: يقول العلم الحديث: إن الرياح العاصفة إذا هبت فإن الموج يأتي من كل جانب، والعواصف تحدث عندما تصطدم كتلة من الهواء الحار بكتلة من الهواء البارد، وتقاس بسرعة سيرها في الساعة، فتسمى ريحاً هوجاء حين تكون قوتها كافية لاقتلاع الأشجار وهدم المداخل، أو حين تثير في البحار أمواجاً عالية ذات قمم منحنية طويلة تتقلب، ثم تتكسر بقعاً كبيرة من الزبد. وهذا هو السبب في كون الموج يأتي من كل مكان، وتبلغ سرعتها ٦٢ كيلو متراً في الساعة، وقد تصل إلى ١٢٨، وربما ١٦٠ كيلو متراً في الساعة. وقد أشارت الآية إلى هذه الحقيقة. = من الهلاك في البر والبحر، وتمثيل الدنيا بنزول المطر، وظهور ألوان النبات والأزهار، ودعوة الخلق إلى دار السلام، وبيان ذل الكفار في القيامة، ومشاهدة الخلق في العقبى ما قدموه من طاعة ومعصية، وبيان أن الحق واحد، وما سواه باطل، وإثبات البعث والقيامة بالبرهان، والحجة الواضحة، وبيان فائدة نزول القرآن، والأمر =

وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكرًا
آياتنا قل الله أسرع مكرًا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون
هو الذي يسركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ربيع عاصف
وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا
الله مخلصين له الدين لئن أجبتنا من هذه لنكونن من
الشكرين فلما أجبتهم إذا هم يبغون في الأرض بغير
الحق يأبى الناس إنمابغيتكم على أنفسكم ممتع الحياة
الدنيا ثم ألتنا مخرجكم فنيبكم بما كنتم تعملون
إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض
زخرفها وأزمنت وظرب أهلها أنهم قديرون عليها
أتتها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن
بالأمس كذلك نفصل الآيات لعلهم ينفكرون والله
يدعوا إلى دار السليم ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

(٢١١)

التعريف بالسور
إعجاز متنوع
توجيه للقراءات
فوائد متنوعة
توجيه للمتشابهات
أسباب النزول
الأسماء الحسنى
تفسير الطبري

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا وَنَزَّهَتْهُمْ ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ مُّظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاعِبِدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَتَّبِعُونَ بَيْنَكُمْ أَنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ غَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمِنْ يَمَلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ مَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ لَكُمْ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: المثوبة الحسنی، وقيل: هي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: أي: ما يزيد على المثوبة من الفضل. وقيل: الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل في الآخرة. ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: لا يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: كآبة وكسوف، حتى تصير من الحزن كأنما عليها قتر، وهو الغبار. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: هوان. ٢٧- ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الكفر والمعاصي. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا﴾: يجازي بمثل عمله في الدنيا، من عقاب الله ﴿وَنَزَّهَتْهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾: شدة، وهوان وخزي، ﴿وُجُوهَهُمْ قِطْعًا﴾: جمع قطعة بمعنى: سواد من الليل وبقية ﴿خَالِدُونَ﴾: باقون. ٢٨- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: نجمعهم لموقف الحساب ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾: أي، قفوا في مواضعكم، وامكثوا مكانكم ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: فرقنا بين المشركين وأهنتهم ﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾: آهنتهم التي كانوا يعبدون - إذا نصبت لهم يوم القيامة وقيل لهم: اتبعوا -. ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاعِبِدُونَ﴾: لأننا ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعلم ولا نعقل؛ فيقولون: والله لإياكم كنا نعبد، فتقول لهم آهنتهم. ٢٩- ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أيها المشركون، فإنه علم أنا ما علمنا ما تقولون ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ غَافِلِينَ﴾: لا نعلم ولا نشعر. ٣٠- ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ﴾: تختبر، وقيل: تعانين، ﴿مَا أَسْلَفَتْ﴾: عملت من حسنة وسيئة ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾: يعني: المشركين ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾: الذي لا شك فيه. ﴿وَصَلَ﴾: ذهب وبطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يشركون ويكذبون في قولهم إنها ثقتهم منه زلفى. ٣١- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾: قل يا محمد للمشركين ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾: أمر السماء والأرض ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافون عقابه على أن تشركوا به من لا يرزقكم ولا ينفعكم ولا يضركم؟ ٣٢- ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: أي: أي شيء سوى الحق إلا الضلال ﴿فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ﴾: عنه، وهو الحق. ٣٣- ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ لَكُمْ رَبِّكَ﴾: وجب قضاؤه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: خرجوا من طاعة الله وكفروا به.

= كمثّل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات.. فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الكهف: واضرب أيها الرسول للناس وبخاصة ذوو الكبر منهم - صفة الدنيا التي اغترّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، كما أنزل الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُخْضَرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح إلى كل جهة... [٢٨] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعَمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾... [يونس: ٢٨]. وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أين آلهتكم التي كنتم تدعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليسفَعُوا لكم، فهذا ما دلت عليه الآية الأنعام، أمّا آية يونس: واذكر أيها الرسول يوم نحشر الخلق جميعًا للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يُفعل بكم... [٣٠] ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]. الآيتان تبينان أن الجميع مردهم إلى الله الحكم العدل، وآية الأنعام توضح أن الله هو الذي يقضي ويفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسبين، وأمّا آية يونس فتبين أن هؤلاء المشركين ذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. [٣١] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمِنْ يَمَلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]. آية يونس وردت في سياق الاحتجاج عليهم بما أقروا به، ولم يمكنهم إنكاره من أنه سبحانه هو رازقهم، ومالكهم، ومدبر أمورهم، فلما كانوا مقرين بهذا كله حين الاحتجاج عليهم، فكيف يعبدون معه غيره، ويجعلون له شركاء من دونه، ولهذا قال بعد ذلك "فسيقولون الله" والمخاطبون بهذه الآية كانوا مقرين بنزول الرزق من السماء التي يشاهدونها، ولم يكونوا مقرين بنزوله من سماء إلى سماء حتى ينتهي الأمر إليهم، ولم يكونوا مقرين بنزول الأرزاق العظيمة على القلوب والأرواح، وأعظمها الوحي، فأفرد لفظ السماء في هذه الآية، فهم لا ينكرون مجيء الرزق منها، لا سيما والرزق ها هنا إن كان هو المطر، فمجئته من السماء التي هي السحاب، فلذلك يسمى سماء لعلوه، فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم لم يصلح فيه إلا أفراد السماء، أمّا آية سبأ فالأمر فيها مختلف، ولهذا أرى سبحانه نبيه أن يتولى الجواب فيها، فلم ينتظم ذكر إقرارهم بما ينزل من السماوات، ولهذا قال في الجواب "قل الله" ولم يقل: "سيقولون الله"، كما في آية يونس، فإله سبحانه هو وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السماوات السبع.

[٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠ - ٤٢]. ما الفرق بين: "قَتَرٌ، قَتَرَةٌ؟" الجواب: مثل صيغتي غم، وغمة، صيغتا (قتر، وقتره). فالقتر: المصدر المجرد. والقتره: اسم الذات. فالقتر حالة نفسية تظهر انعكاساتها على الوجه وكأنها الغبار. ووردت كل من كلمتي (قتر)، (قتره) مرة واحدة في القرآن الكريم. [٢٧] ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ مُّظْلِمًا﴾ قوله تعالى: ﴿قِطْعًا﴾ قرئ: (قِطْعًا) بإسكان الطاء قيل: هي ظلمة آخر الليل، وقيل: سواد الليل فيكون مظلماً صفة لقطع، أو حالاً من الضمير في قوله: ﴿مِنْ آتِلٍ مُّظْلِمًا﴾. وقرئ: (قِطْعًا) بفتح الطاء جمع قطعة كدمته ودمن، ففيه معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون "مظلماً" حالاً من الليل، ولا يكون حالاً من القطع ولا من الضمير في الليل؛ لأن ذلك جمع، ومظلماً واحد. [٣٠] ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ وقوله تعالى: ﴿تَبْلَوْنَ﴾ قرئ: (تبلو) بتاءين من فوق، أي: تتطلب وتتبع ما أسلفت من أعمالها؛ أو المراد: تقرأ كل نفس ما عملته مسطراً في مصحف الحفظة؛ لقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾. وقرئ: (تبلو) بالتاء من فوق والباء الموحدة من البلاء، أي: تختبر ما قدمت من عمل فتعانين قبحه وحسنه.

= بإظهار السرور والفرح بالصلاة والقرآن، وتمييز أهل الولاية من أهل الجناية، وتسليّة النبي ﷺ بذكر شيء من قصة موسى، وواقعة بني إسرائيل مع قوم فرعون، وذكر طمس أموال القبطيين، ونجاة الإسرائيليين من البحر، وهلاك أعدائهم من الفرعونيّين، ونجاة قوم يونس بإخلاص الإيمان في قوت اليأس، وتأكيّد نبوة النبي ﷺ، وأمره بالصبر على جفاء المشركين وأذاهم، في قوله: ﴿وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُفُّكُمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَافِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا بَصِيرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّوْثِبُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ فَإِنَّمَا رَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَنُتَّكُم عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ بَعْضُهُ لَكُنْ وَفَدَّكُمْ بِهِ سَتَعَجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعِزُّونَكَ أَفَقُ هَوِّكُلِّ إِي وَرَقٍ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

٤٣- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: يبصره، لكنه لا يعتبر ولا ينظر ببصيرته، فهو أعمى البصيرة، أفتريد ان تهدي هؤلاء الذين تعذر عليهم الإدراك؟ ٤٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾: لا يفعل بخلقه ما لا يستحقونه، ولا يعاقب إلا على معصيته. جلّ وعلا ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بتعطيل العقل والحواس، أو بالتعصب والمكابرة للحق، والمجادلة بالباطل. ٤٥- ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾: جميعاً في موقف الحساب ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: ثم تنقطع المعرفة تلك الساعة. ٤٦- ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: يعني في حياتك، ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب أو القتل والأسر ﴿أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ﴾: قبل هذه الإراءة. ٤٧- ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: يعني في الآخرة يوم القيامة. ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل. ٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: يعني: المشركين، يسألون سؤال المستنكر المستبعد لنزول العذاب أو قيام الساعة. ٤٩- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ رداً للحجة: إني لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً من دون الله، فأحرى ألا أعرف غيبه ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ولا أنعطى شيئاً من أمره، ولكن لكل أمة أجل انفرد الله تعالى بعلم حده ووقته. إن للأمم آجالاً، كما للأشخاص أو الأفراد آجالاً.. وكل ذلك في علم الله تعالى وحده. ٥٠- ﴿إِن أَنُتَّكُم عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ﴾: ليلاً. ٥١- ﴿أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: في هذا الموضع ﴿أَنُتَّكُم عَذَابُهُ﴾: أهالك عذاب الله ﴿أَمْ أَنْتُمْ بِهٖ﴾: صدقتم به، في حال لا ينفعكم التصديق! ٥٢- ﴿وَيَسْتَعِزُّونَكَ﴾: يستخبرونك ﴿أَفَقُ هُوَ﴾: ما تقول؟ ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: لا تفوتونه وأنتم في قبضته. ٥٣- ﴿وَلَوْ كَذَّبُواكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [يونس: ٤١]، ﴿وَلِإِنْ جَدَدُكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨]. وإن كذبت أيها الرسول هؤلاء المشركون فقل لهم: لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم... فهذا ما دلت عليه آية يونس، وأمّا آية الحج: وإن أصرّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون. ٤٢- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، محمد: ١٦. آية الأنعام نزلت في أبي سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة وأمّية وأبي بن خلف، فلم يكثروا كثرة من في يونس؛ لأن المراد بهم في يونس جميع الكفار، فحمل هاهنا مرة على لفظ من، فوحد لقلتهم، ومرة على المعنى فجمع؛ لأنهم وإن قلوا كانوا جماعة، وجمع ما في يونس ليوافق اللفظ المعنى، وأمّا آية محمد فتحدثت عن المنافقين. ٤٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ...﴾ [يونس: ٤٤]. إن الله تعالى لا ينقص أحداً من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثواباً كبيراً هو الجنة، فهذا ما دلت عليه آية النساء، وأمّا آية يونس: إن الله لا يظلم الناس شيئاً بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أوامر الله. ٤٥- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ...﴾ [الأنعام: ٣١]، ﴿... قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين خسروا بكفرهم وتكذيبهم بلقاء الله وثوابه وعقابه، وآية الأنعام تبين أنهم إذا قامت القيامة، فوجئوا بسوء المصير، وأمّا آية يونس فتوضح أنهم ما كانوا موفقين لإصابة الرشد فيما فعلوا. ٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]. يقول الكافرون والمشركون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تعدّنا به يا محمد، إن كنت أنت ومن اتبعك من الصادقين فيما تعدّونا به؟ ٤٩- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [يونس: ٤٩]. آية الأعراف تقدمها ذكر الساعة، فناسب في حقها تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وتأخير الضر الذي هو عذابها، وآية يونس تقدمها ذكر استعجال الكفار العذاب في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، فناسب تقديم الضر على النفع، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَنُتَّكُم عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠]، وكذلك كل ما قدم فيه النفع والضرر يتقدم فيه ما يناسب ذلك التقديم أو التأخير، وذلك ظاهر لمن ينظر فيه. ٤٩- ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ [يونس: ٤٩] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١، فاطر: ٤٥]. جاءت في هذه السورة فقط؛ لأنّ التقدير فيها: لكل أمة أجل، فلا يستأخرون إذا جاء أجلهم، فكان هذا فيمن قُتل بيدر والمعنى: لم يستأخروا. ٣٤- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]. ما الفرق بين: "يبدأ- يبدئ"؟ **الجواب:** وردت كلمة (يبدأ) ست مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤]. بينما لم ترد كلمة (يبدئ) إلا مرة واحدة.. في مثل هذا السياق، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]. فما الحكمة من ورود الصيغتين معاً في القرآن الكريم؟ إذا نظرنا إلى السياق الذي وردت فيه كلمة (يبدأ) وجدنا أنه يشير إلى الخلق الأول.. لأنه يذكر فيه خلق السماوات والأرض. ففي سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] وقد سبقت هذه الآية كلمة (يبدأ) في الآية التالية.. مما دلّ على أن المقصود منها الخلق الأول.. وهكذا في المواضع الخمسة الأخرى. أما السياق الذي وردت فيه كلمة (يبدئ) فنجد أن المعاني التي سبقتها تشير إلى الخلق الثاني، وهكذا... دلت كل كلمة من الكلمتين على معنى خاص في موضعها... فكانت أفضل من أي كلمة أخرى في موضعها... ولا يسوغ تبديل أي منهما مكان الأخرى... ٤٢- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢]. لماذا في الأولى ﴿يَسْمَعُونَ﴾ وفي الثانية ﴿يَنْظُرُونَ﴾ وليس (ينظرون)؟ **الجواب:** (الآيات المرئية بالعين التي أيد بها رسولنا صلى الله عليه وسلم لم تكن بكثرة آيات القرآن الكريم التي سمعها المشركون، ولذا عاد الضمير مفرداً على ﴿من﴾ مع النظر، ومجموعاً مع الاستماع. وتأمل الآيتين تدرك دلالتهما على تفضيل السمع على البصر حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلفاقان النظر). ٤٧- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٧]. أول من يقضى له يوم القيامة أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونالت ذلك لشرف رسولها عليه الصلاة والسلام، بالرغم من أنها آخر الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٥٤ - ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: جعلته فدية لها من العذاب ﴿وَأَسْرُوا﴾: أخفوا ندمهم لئلا يشمت بهم المؤمنون، أو أسروها خوفاً من توبيخ أتباعهم لهم. ٥٧ - ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ﴾: ذكرى، والمراد بها القرآن، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾: من الجهل. أو من الشبهات والشكوك. ٥٨ - ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾: بالإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: بالقرآن الذي علمتم به ما لم تكونوا تعلمون، والآية عامة في كل ما تفضل الله تعالى على عباده في الآجل والعاجل. ورحمته بهم. ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من حطام الدنيا. ٥٩ - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ يعني: المشركين ﴿فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: قد تقدم ذكره في الأنعام من البحيرة والسائبة وغير ذلك [الآية ١٣٦ - سورة الأنعام]. والتحريم والتحليل لا يكون بالتشهي أو بالافتراء على الله. ٦٠ - ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يحسبون أن يصفح عنهم؟ كلا بل يدخلهم جهنم خالدين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: على خلقه، بتركه معاملة من افترى على الله بالعقوبة في الدنيا، وإمهاله إلى الآخرة. ٦١ - ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: في عمل ﴿إِذْ تُفَيْضُونَ فِيهِ﴾: تأخذون فيه وتعملونه. ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ﴾: يغيب ﴿مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: وزن ذرة، وهي النملة الصغيرة.

[٥٤] ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾ [يونس: ٥٤]، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْدَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [سبأ: ٣٣]. الآيتان تبيان حال الكافرين وإسراهم الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم في الآخرة، وآية يونس تبين أن الله يقضي بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً إلا بذنبه، وأمّا آية سبأ فعرض صورة من صور العذاب الذي أعد لهم... [٥٥، ٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنِّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥]، ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [يونس: ٦٦]. مناسبة السياق اقتضت لفظ "ما" في الأولى، فقبل الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي

الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ [يونس: ٥٤]، والمقصود بذلك المال والمأخذ، فلفظ "ما" هو لغير العقلاء. أما الآية الأخرى فجاء التعبير فيها بلفظ "من"، والآية نزلت في قوم آذوا رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] فأنسه ربه وثبته، فهم لن يضره بشيء، مما يتوعدونه من القتل وأنواع المكروه، ثم أخبره أن العزة لله وحده، وأنه يعز عباده المؤمنين بعزه، فالملك له وحده سبحانه، له من في السماوات ومن في الأرض، وعلى هذا جاء لفظ "من" لأن المراد العقلاء الذين يعزون دينهم وينصرون نبيهم. [٦٠] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠]، ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١]. في سورة يونس تقدم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥]، فوافق قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وكذلك في النمل تقدم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فوافق، وفي غيرهما جاء بلفظ التصريح.

[٦١] ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿لَا يَعْرِزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]. قدم ذكر السماوات على الأرض في سورة سبأ؛ لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة، وهو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] فقدم ذكر السماوات؛ لأن ملكها أعظم شأنًا وأكبر سلطاناً... وأمّا التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفَيْضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتاه بقوله: ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، واستوعب جميع ما في الأرض ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها.

[٤٩] ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [يونس: ٤٩]. ما الفرق بين: (تَأَخَّرَ، اسْتَأْخَرَ)؟ الجواب: وردت كلمة (تَأَخَّرَ) مرتين في القرآن بصيغة الماضي. وجاءت مرة واحدة بصيغة المضارع، في قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]. ووردت كلمة (يَسْتَأْخِرُونَ) للمخاطب مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وللغائب خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤]. (يَسْتَأْخِرُونَ) معناها أنهم هم يفعلون التأخير بإرادتهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: ومن فعل التأخير بإرادته. ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. أما (يَسْتَأْخِرُونَ) فمعناها أن عدم

٥٨ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ قرئ: (فلتفرحوا) ببناء الخطاب، وهي لغة قليلة لأن الأمر باللام إنما يكثر في الغائبين كقراءة الباقين، والمخاطب المبني للمفعول نحو: لنعن بحاجتي يا زيد، ويضعف الأمر باللام للمتكلم نحو: لأفهم ولنقم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "قوموا فلاصل لكم". وقرئ: (فلتفرحوا) بالغيب لمناسبة ما قبله. قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قرئ: (يجمعون) بالخطاب على الالتفات. وقرئ: (يجمعون) بالغيب لمناسبة ما قبله. [٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفَيْضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ﴾ قرئ: (يعزب) بكسر الزاي. وقرئ: (يعزب) بضم الزاي، لغتان مضارع عزب يعزب، أي: غاب. قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ﴾ قرئ: (أصغر) برفع الراء فيها عطفًا على محل مثقال لأنه مرفوع بالفاعلية، و"عن" مزيدة فيه على مثال: ﴿كُنَّا بِاللَّهِ﴾، ومنع صرفها الوزن. وقرئ: (أصغر) بالفتح عطفًا على لفظ "مثقال" أو "ذرة"، فهما مجروران بالفتح لمنع صرفهما كما مر.

[٥٧] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ معجزة الشفاء بالقرآن: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم - لديغ -، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه برقية، فراقه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأمر الكتاب - الفاتحة -، قلنا: لا تحدثوا شيئًا، حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ، فلما قدما المدينة ذكرناه للنبي ﷺ، فقال: «وما كان يدرى أنها رقية، اقساموا واضربوا لي بسهم» رواه البخاري ومسلم. وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث: أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم (يعني اللديغ). قام فريق عمل طبي بأبحاث في (أكبر) عيادات في مدينة بنماسيتس بولاية فلوريدا، وقُدِّم هذا البحث =

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنِّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفَيْضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

الآيات أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ شَيْئًا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ الْآيَاتِ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُلْحِقُهُمْ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٣ - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. أي: أن أولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة. أي أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله. قال ابن عطية: «وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي. وإنما نبهنا هذا التنبيه حذراً من بعض الصوفية وبعض الملحدين في الولي». ٦٤ - ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: قيل: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له». وقيل: ذلك عند الموت ومعينة الملائكة تبشره برحمة الله، وفي الآخرة الجنة. ٦٥ - ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾: لا تغير لوعده وقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ٦٥ - ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾: يعني: في ربهم وإشراكهم. ٦٦ - ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: معناه: وأي شيء يتبع من يدعون من دون الله، يعني غير الله، والله المنفرد بملك كل شيء، في سماء كان أو في أرض؟ والمعنى: أنهم وإن سموا معبوداتهم شركاء لله، فليست شركاء له على الحقيقة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: الشك ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون الكذب، تظنناً وتخربصاً للإفك. ٦٧ - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: لتهدؤوا فيه وتريحوا أنفسكم عن الكد والكسب. ٦٨ - ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: يعني: المشركين ﴿وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾: بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عن الولد، وعن جميع خلقه ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا﴾: يعني: ما عندكم أيها القوم بما تقولون من حجة تحتجون بها، وهي السلطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: حقيقة، وتضيفون إليه ما لا يجوز! ٧٠ - ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا﴾: بلاغ، أي: افترأهم هذا منفعة قليلة في الدنيا يتمتعون به. [٦٥] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

[٦٥] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلان، وبالأجانب، والمستحيات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٦٨] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، برّاً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحائب الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

[٦٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: ذكر بلفظ ﴿مَنْ﴾ وكرّر؛ لأن هذه الآية نزلت في قوم آذوا رسول الله ﷺ، فنزل فيهم ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، فاقضى لفظ ﴿مَنْ﴾ وكرّر؛ لأن المراد: من في الأرض هاهنا لكونهم فيها؛ لكن قدّم ذكر ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ تعظيماً، ثم عطف ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ على ذلك. [٦٨] ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس: ٦٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: ١١٦]، مريم: ٨٨، الأنبياء: ٢٦. في يونس بغير واو؛ لأنه اكتفى بالعائد عن الواو والعاطف. ومثله في البقرة على قراءة ابن عامر. [٦٨] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]. ذكر بلفظ "ما" فكرّر؛ لأن بعض الكفار قالوا: اتخذ الله ولداً، فقال سبحانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: اتخذ الولد إنما يكون لدفع أذى، أو جذب منفعة، والله مالك ما في السماوات وما في الأرض، فكان الموضع موضع "ما"، وموضع التكرار؛ للتأكيد والتخصيص.

= التأخر ليس بإرادتهم، وإنما يكون خارجاً عن إرادتهم؛ أي هو بإرادة الله، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يسمح لهم الحق تعالى بالتأخر ولا بالتقدم، ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. كما أن (تأخر) منسجمة موسيقياً مع سياقها... و(استأخر) كانت كذلك مع سياقها. (تأخر) في آية البقرة تجاوزت مع (تعجل) من حيث الوزن... و(يتأخر) في المدثر تجاوزت مع (يتقدم). و(يستأخرون) في سبأ تجاوزت (السين) فيها مع (السين) في (ساعة) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. والمد في (يستأخرون) تجاوب مع المد في (ميعاد). [٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. الفرح بالله ورسوله وبالإيمان والسنّة، وبالعلم والقرآن من أعلى المقامات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ =

٧١- ﴿إِنْ كَانَ كِبَارُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: عظم وشق عليكم ﴿مَقَامِي﴾: بين أظهركم، فعزمتهم على قتالي وطردي ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقت ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾: اعزموا على ما تعزمون عليه، وادعوا ﴿وَشُرَكَاءَكُم﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: ملتبساً أو مبهماً. والغمة: التغطية. ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾: معناه: امضوا إلى ما في أنفسكم وافرغوا منه ﴿وَلَا تُنْظِرُون﴾: لا تؤخروا. ٧٢- ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عما دعوتكم إليه ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجَرٍ﴾: ثواب على دعائي لكم ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: من المذعنين لله بالطاعة. ٧٣- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً﴾: يعني: من كان في السفينة مع نوح عليه السلام. والخلائف: جمع خليفة. والمعنى: أنه سبحانه جعلهم خلفاء يسكنون الأرض التي كانت للمهلكين بالغرق، ويخلفونهم فيها. ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُ الْمُذْذَرِينَ﴾: الذين أنذرهم نوح عليه السلام. ٧٤- ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج والأدلة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: ليصدقوا بما جاءهم رسلهم، بما كذب به قوم نوح، والأمم الخالية ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾: نختم ﴿الْمُتَعَدِّينَ﴾: المجاوزين ما أمرهم الله به. ٧٥- ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: أشراف قومه ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون عليهما السلام. ٧٦- ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾: لمن عاينه أنه سحر لا حقيقة له. ٧٨- ﴿أَجِئْنَاكَ لِتُخْلِفَ﴾: لتصرفنا وتلويثنا ﴿وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءُ﴾: الطاعة والسلطان. عللوا عدم قبولهم دعوة موسى عليه السلام بأمرين: التمسك بالتقليد للأباء، والحرص على الرئاسة الدنيوية.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ﴾ [يونس: ٧٣]. أنجينا ونجينا للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾، ولفظ ﴿مَنْ﴾ يقع على أكثر مما يقع عليه ﴿الَّذِينَ﴾، لأن ﴿مَنْ﴾ يصلح للواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث، بخلاف الذين فإنه لجمع الذكور فحسب، فكان التشديد مع ﴿مَنْ﴾ أنسب. أمّا زيادة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً﴾ [يونس: ١٣] إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وقوم نوح عليه السلام أول أمة أهلكت بتكذيبها ثم خلفها غيرها، فذكر المتقدم مجملاً، وأنهم جُعلوا خلائف كما جرى فيمن بعدهم. [٧٤] ﴿يَمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]، ﴿يَمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ﴾ [يونس: ٧٤]. أول القصة في سورة الأعراف ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي الآية ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ وليس بعدها الباء، فحتم القصة بمثلما بدأ به، فقال: ﴿يَمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾. وكذلك في سورة يونس وافق ما قبله، وهو: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ﴾ [يونس: ٧٣]، ثم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، فحتم بمثل ذلك، فقال: ﴿يَمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، وذهب بعض أهل العلم إلى أن ما في حق العقلاء من التكذيب بغير الباء؛ نحو قوله: "كذبوا رسلي"، و"كذبوه"، وغيره؛ وما في حق غيرهم بالباء؛ نحو كذبوا بآياتنا وغيرها، وعند المحققين تقديره: فكذبوا رسلنا برد آياتنا، حيث وقع، وأمّا ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، وفي يونس ﴿نَطْبَعُ﴾ بالنون؛ لأنه قد تقدم ذكر الله سبحانه في سورة الأعراف بالتصريح، والكناية، فجمع بينهما فقال: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] بالنون، وختم الآية بالتصريح فقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، وأمّا في يونس فبني على ما قبله من قوله: ﴿فَجَبَّيْنَاهُ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ [يونس: ٧٤] بلفظ الجمع، فحتم بمثله، فقال: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ﴾.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥]. ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذكرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجحلدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً، فانظر أيها الرسول متبصراً كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك نهاية المفسدين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية يونس: ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما، فاستكبرا عن قبول الحق، وكانوا قوماً مشركين مجرمين مكذبين.

= يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًىٰ إِيْمَانًا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وقال: ﴿ءَانِيتُهُمْ أَلْكَتَبَ يَقْرُوحَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له، وإيثاره له على غيره، فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله على قدر محبته له ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة. [٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [يونس: ٥٩]. مناسبة لما قبلها: (فقد بين تعالى أن من فضله على الناس تبين الحرام من الحلال على السنة الرسل، لئلا يفتروا عليه الكذب بتحريم ما أحل أو عكسه، كما فعل المشركون). [٦٢-٦٣] ﴿إِلَّا إِلَهٌ أَوْلِيَاءُ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا فِي شُكٍّ﴾ [٧١] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنْ كَانَ كِبَارُكُمْ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُون﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَجْمَعُوا﴾ قرئ: (فاجمعوا) بوصل الهمزة وفتح الميم من "جمع" ضد "فرق" وقيل: جمع وأجمع بمعنى. وقرئ: (فأجمعوا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الميم من جمع، يقال: أجمع في المعاني وجمع في الأعيان، كأجمعت أمري وجمعت الجيش. قوله تعالى: ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ قرئ: (وشركاءكم) برفع الهمزة عطفاً على الضمير المرفوع المتصل بأجمعوا، وحسنه الفصل بالمفعول، ويجوز أن يكون مبتدأ حذف خبره. وقرئ: (وشركاءكم) بالنصب نسقاً على أمركم.

= وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن للذرة ثقلاً يمكن تقسيمه لأثقال أقل يمكن حسابها وتقديرها بالجرامات أيضاً. وكان العرب وقت نزول القرآن لا يعرفون شيئاً عن الذرة، ويأتي العلم الحديث ليكشف لنا عن هذه الحقيقة في القرن العشرين.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كِبَارُكُمْ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُون﴾ [٧١] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجَرٍ مِنْ آجَرٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٧٢] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِيبُ الْمُذْذَرِينَ﴾ [٧٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ﴾ [٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [٧٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [٧٦] ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [٧٧] ﴿قَالُوا أَجِئْنَاكَ لِتُخْلِفَ لَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٧٨]

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ تَمُنُّ بِاللَّهِ فَلْيَحْذَرُوا أَكْثَرُ الْيَوْمِ أَن تَكُونُوا مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْفُلِ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُرْفَعُ أَعْيُنُهُمْ فَيُجَنَّبُوا السُّبُلَ فَضَالَهَا سَبِيلُ إِنَّكُمْ تَعْبَهُونَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّكُمْ كُنتُمْ مِثْلَ الْيَوْمِ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيَّ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ يَوْمَ الْبَاطِلِ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَوَلَّيَا الْقَوْمَ كَمَا يُبَصِّرُ بُؤْسًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٨١- ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ﴾ أي: السحر الذي وصفتم به ما جئتمكم من الآيات هو هذا الذي جئتم به أنتم، لا أنا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلَهُ﴾ يذهب. ٨٢- ﴿وَيُحْيِي اللَّهُ﴾ ثبت ﴿الْحَقُّ﴾ الذي جئتمكم به من عنده، فيعليه، ويظهره ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: العاصون لربهم، المكتسبون للإثم. ٨٣- ﴿فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾: قيل: من بني إسرائيل قوم موسى. وقيل: من قوم فرعون ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يحملهم على الرجوع عن الإيمان ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾: جبار مستكبر على الله في أرضه ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين الحق إلى الباطل. ٨٤- ﴿فَلْيَحْذَرُوا أَكْثَرُ الْيَوْمِ﴾: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا، ويزدادوا طغياناً. ٨٥- ﴿وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: اتخذوا ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مساجد تصلون فيها نحو القبلة. ٨٦- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَوَلَّيَا الْقَوْمَ كَمَا يُبَصِّرُ بُؤْسًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: بمعنى: فضلوا عن سبيلك، كقوله عز وجل: ﴿فَالْقَلْبَ يَوْمَ﴾: قال فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً [سورة القصص: ٨] ﴿لِيُضِلُّوهُ﴾: يجوروا عن سبيلك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: غيرها، وطمس الشيء: إذهابه عن صورته، فطمس الله على أموالهم فصارت حجارة. وقيل: المعنى: أهلك أموالهم ودمرها. ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: بالضلالة حتى لا تلين للإيمان ﴿الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: الموع. [٨٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَيْ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٨٣] ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ [ثاني يونس: ٨٣] الوحيدة، وباقي المواضع ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾. هنا فحسب بالجمع، وفي غيرها بالفراد، لأن الضمير في هذه السورة يعود إلى الذرية، وقيل: يعود إلى القوم، وفي غيرها يعود إلى فرعون. [٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ...﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا...﴾ [يونس: ٩٠]. وقطعنا ببني إسرائيل البحر، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وعدوانًا، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال آمنت... [٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا...﴾ [يونس: ٩٠]، ﴿فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ...﴾ [طه: ٧٨]. الآيتان في السورتين تحكيان قصة غرق فرعون، وفي يونس استخدم واو العطف في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾، وهذا التعبير قطعي، يعني أن فرعون خرج مع جنوده وأتبع موسى، أمّا في سورة طه فاستخدم الباء في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، والباء في اللغة تفيد المصاحبة والاستعانة، بمعنى أمدهم بجنوده ولا يشترط ذهاب فرعون معهم، والتعبير في سورة يونس يوحى بأن فرعون عازم بنفسه على البطش والتكبل بموسى وقومه، لذا خرج مع جنوده؛ لأن سياق الآيات يفرض هذا التعبير، فذكر أنهم مستكبرون ومجرمون، وذكر أنه ما آمن لموسى إلا قليل من قومه على = يَتَّقُونَ [يونس: ٦٣]. وإذا كان أولياء الله المؤمنين المتقين، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالتاس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق. [٧١] ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ قَاتِبِكُمْ عَمَّا بَعْثَ لَكُمْ لِيُخْزِلَكُمْ وَأَكْبَلَكُمْ إِلَى الْيَمِّ فَأَصْبَحْتُمْ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْفُلِ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُرْفَعُ أَعْيُنُهُمْ فَيُجَنَّبُوا السُّبُلَ فَضَالَهَا سَبِيلُ إِنَّكُمْ تَعْبَهُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. ما الفرق بين "غَم" "غُمَّة"؟ [الجواب: وردت كلمة (غَم) ست مرات، بينما وردت كلمة (غُمَّة) مرة واحدة. (الغَم): هو المصدر المجرد. أما (الغُمَّة): فهي اسم المصدر. قال الزمخشري: الغمة: السترة، من غمه: إذا ستره. وقال الجوهري: الغم، غمه، فاغتم، والغُمَّة والغُمَّة: الكربة. لذلك استخدمت كل من الكلمتين في سياق خاص. وتأمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١]. شبه (الأمر) هنا بالسائر الذي يسترهم ويغطيهم، وهذا فإن الغمة (اسم الذات) بينما الغم (أي الكرب) هو (المصدر المجرد).

[٧١] ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ...﴾ [يونس: ٧١]. من فوائد القصص القرآني: ١- يتم به ويكمل الإيمان بالأنبياء، ومن ذلك أن في قصصهم تقرير الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العمل له والإيمان باليوم الآخر، ومن ذلك أيضا أنهم عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين: في مقام التوحيد والقيام بالعبودية وفي مقامات الدعوة والصبر والثبات، وفي مقام الصدق والإخلاص لله واحتساب الأجر والثواب من الله تعالى. ٢- والقصص القرآني فيه من الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية والأسرار الحكيمية شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها، وفيها أيضا من الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب والفرج بعد الشدة وتيسير الأمور بعد تعسرها. ٣- وفي القصص القرآني إثبات صدق الوحي المنزل على رسولنا ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأن النبي ﷺ لم يطلع على الكتب السابقة. ٤- وفي القصص القرآني التسرية عن رسول الله ﷺ والمؤمنين فيما يلاقونه من تكذيب وأذى واتهام بالسحر والجنون. ٥- ومن أهداف القصص القرآني إبراز حقيقة عقدية هامة هي أن الأنبياء والرسل جميعا جاؤوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على تنابع الأجيال كلمة واحدة هي لا اله الا الله، وقضية واحدة هي اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. ٦- ومن هذه الفوائد بيان أن الابتلاء لابد أن يحدث للمؤمنين. ٧- ومن فوائد القصص القرآني بيان أن وظيفة الرسل تبليغ وحي الله تعالى لعباده. ٨- ومن فوائد القصص القرآني بيان أن هداية الدين سبب لزيادة النعم وحفظها كما أنها هي التي تنال بها سعادة الآخرة. ٩- ومن فوائد القصص القرآني الانتفاع بنصائح الأنبياء ومواعظهم الخاصة بكل قوم بحسب حالهم. ١٠- ومن فوائد القصص القرآني محبة الأنبياء والمرسلين وموالاتهم، فمحبة الأنبياء من أعظم أسباب دخول الجنة (المرء مع من أحب)... [٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمْ كُفْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ﴾ قرئ: (ويكون) بالتذكير لأنه تأنيث مجازي. وقرئ: (وتكون) بالتأنيث نظرا للفظه. [٩٠] ﴿فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ [إعجاز عددي: ذكر (البغي) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وذكرت (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كل (٢٤) مرة في كتاب الله تعالى.

٨٩- ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾: لم يتقدم الدعاء إلا لموسى عليه السلام. قيل: إن هارون كان يؤمن على دعاء موسى؛ فلذلك نسب الدعوة إليهما: ويجوز أن يكونا جميعاً داعيين، وأضاف الدعاء إلى موسى لأصاليته في الرسالة، علماً بأنه قال: «ربنا». ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: امضيا لأمرى ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾: تسلكان ﴿سَبِيلَ﴾: طريق ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الذين يجهلون حقيقة وعد الله ووعدده. ٩٠- ﴿بَغْيًا﴾: على موسى ومن معه ﴿وَعَدُوا﴾: اعتداء عليهم. ٩١- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: نجعلك على نجوة، وهي المكان المرتفع عما حوله، «ببدنك»، أي بجسدك، ينظر إليك هالكا من كان يكذب بهلاكك ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾: عبرة وعظة. ٩٢- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أنزلنا ﴿مُبَآصِدٍ﴾: أي منزلاً محموداً مختاراً، قيل: هو مصر، وقيل: الشام. وقيل بيت المقدس ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من حلال الرزق ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: ما كانوا به عالمين، وذلك أنهم كانوا مجتمعين على معصية محمد ﷺ وعلى نبوته، غير مختلفين فيما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم؛ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [سورة البقرة: ٨٩]. ٩٣- ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من أهل التوراة والإنجيل، كعبد الله بن سلام. وأمثاله من مسلمي أهل الكتاب، فإنهم سيجدونك بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم من أمر نبوتك. وقيل: إن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «ما أشك ولا أسأل» - وهو حديث مرسل ضعيف - وقد علم الله ذلك منه. ومخرج هذا القول كقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فبرني، وهو لا يشك في أنه ابنه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الشاكين. ويدل سياق الآية على أن المراد بقوله: ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في أمره إلا من بعد مجيئه ﷺ. ٩٤- ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: ممن غبن حظه. والآية مما خوطب به النبي ﷺ والمراد سواه. قال ابن عطية: ولهذا فائدة ليست في مخاطبة الناس به، وذلك شدة التخويف، لأنه إذا كان رسول الله ﷺ يحذر من مثل هذا، فغيره من الناس أولى أن يحذر ويتقي. ٩٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: لعنته وسخطه لما عصوه.

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَنْبَعَثْهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، بَغْيًا وَعَدُوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْكَفَرِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَآصِدٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾

(٢١٩)

= خوف من فرعون وملئه، وذكر أيضاً أن فرعون عالٍ في الأرض ومسرّف وأنه يفتن قومه، وأن موسى دعا على فرعون وقومه، وقوله: ﴿بَغْيًا وَعَدُوا﴾ مناسب لسياق الآيات التي ذكرت عذاب فرعون وتنكيله بموسى وقومه، ولم يذكر في طه أن فرعون أذى موسى وقومه، ولم يتعرض لهذا الأمر مطلقاً، لذا فالسياق هنا مختلف، فاختلف التعبير ولم يذكر ﴿بَغْيًا وَعَدُوا﴾ ليناسب سياق الآيات، وبعد أن ضاق قوم موسى ذرعاً بفرعون وبطشه تدخل الله تعالى فتولى أمر النجاة بنفسه، وكان غرق فرعون وإيمانه عند الهلاك هو استجابة لدعوة موسى ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، أمّا في طه فقد جاء الأمر وحياً من الله تعالى لموسى، ولم يتول الله تعالى أمر النجاة بنفسه، وكل هذه الاختلافات بين المشهدين في القصة هي ما يقتضيه سياق الآيات في كل سورة، والله أعلم. ٩٣- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَآصِدٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣]. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٩٤] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَهُمْ مِنَ الْأُمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾ [الجاثية: ١٧]. آية يونس تقدم قبلها دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه، فأجاب سبحانه دعاء نبيه وطمس على أموال آل فرعون وملئه وأغرقه وآله، ونجى بني إسرائيل من الغرق وقطع دابر عدوهم، وأورث بني إسرائيل أرضهم وديارهم يتبوؤن منها حيث شاؤوا، فقال سبحانه معرفاً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَآصِدٍ﴾، أي: مكانهم ومهدنا لهم أمرهم بإهلاك عدوهم، وبما أورثناهم بعد ضعفهم من مشارق الأرض ومغاربها، فبعد تمكن أمرهم واستحكام حالهم واستقرار أمر دينهم، بما شاهدوه من الآيات وعظيم البراهين المعقبة لمن شاهدها عين اليقين، اختلفوا جرياً على ما سبق لهم ولغيرهم ممن أشار إليهم قوله تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، ويناسب هذا كله تناسباً = ٩٢- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَداً لَّهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين: "جِسْمٌ وَجَسَدٌ وَبَدَنٌ؟" **الجواب:** الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت. أمثلة قرآنية: **الجسم:** ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِكُ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، **الجسد:** ﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَداً لَّهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَداً لَّهُ خَوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. **بدن:** ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

٨٩- ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَتَّبِعَانِ﴾ بفتح التاء وتشديدها وكسر الباء وتخفيف النون على أن "لا" نافية ومعناه: النهي، نحو: لا تضار، أو يجعل حالاً من فاستقيما غير متبعين. وقرئ: ﴿تَتَّبِعَانِ﴾ بتشديد التاء الثانية وفتحها وكسر الباء وتشديد النون، فتكون "لا" الناهية، ولذا أكد بالنون، لأن تأكيد النفي ضعيف. ٩٠- ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ﴾ قرئ: (إنه) بكسر همزة أنه على الاستئناف. وقرئ (أنه) بفتحها على أن محلها نصب، مفعولاً به لا آمن؛ لأنه بمعنى: صدقت أو بإسقاط الباء، أي: بأنه، وهو كثير. ٩١- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]. **إعجاز تاريخي:** كشف الدكتور موريس بوكاي في كتابه القرآن والعلم الحديث عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليم مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آية للعالمين، قال الدكتور بوكاي: إن رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منفتح "Minphthah" خليفة رمسيس الثاني هو فرعون الذي في زمن موسى عليه السلام، وإن الدراسة الطبية لمومياء منفتح قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون، إن التوراة تذكر أن الجثة ابتلعها البحر، ولكنها لا تعطي تفصيلاً بشأن ما حدث لها لاحقاً، أما القرآن فيذكر أن جثة فرعون الملعون سوف تنفذ من الماء كما جاء في الآية السابقة، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ إنها لم تظهر عليها أي علامات للتلف التام بسبب المكوث =

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لِمَا ءَامَنُوا كُشْفًا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْعَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْذِبُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُنْتَظَرِ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِفَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٢٢٠

٩٨- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ﴾: يقول عز وجل: لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بهم بأس الله ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ﴾: قيل: إنهم لما أظلمهم العذاب وظنوا أنه قد دنا منهم، وفقدوا يونس؛ كذب الله في قلوبهم التوبة، وفرقوا بين كل أنثى وولدها، من الناس والبهائم، وعجُّوا إلى الله أربعين ليلة، أي رفعوا صوتهم بالتلبية والدعاء، فلما عُرف صدق توبتهم كشف عنهم العذاب ﴿وَمَنْعَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: لم نعالجهم العقوبة، واستمتعوا بأجالتهم في الدنيا إلى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم. ٩٩- ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ...﴾: لو شاء ربك مشيئة القسم والإجلاء لأمن من في الأرض جميعاً، أما أنت فلا تستطيع أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرهم إلى ذلك. وقيل: المعنى: أفأنت تكبره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان! ١٠٠- ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: يا محمد لمشركي قومك الذين يسألونك، الآيات: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من الآيات الدالة على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله؛ من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، وصنوف عجائب خلق الله عز وجل، فإن في ذلك موعظة ومعتبراً ﴿وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ﴾: الآيات هي التي عبر عنها بقوله: ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: والنذر: جمع نذير، وهم الرسل. ١٠١- ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي لا يتنفعون بأدلة النظر والعقل، ولا بأدلة السمع والنقل، بل يؤثرون الجحود والنكران. ١٠٢- ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾: يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما جاءني من عنده. ١٠٣- ﴿وَأَنْ أَقِفَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: دين الإسلام. ﴿حَنِيفًا﴾: مستقيماً عليه غير مغوج عنه. = لا توقف في وضوحه، ولم يتقدم في السورة ما يستدعي من حالهم أكثر من هذا، أمّا آية الجاثية فتقدم قبلها بسط الدلالة والبراهين من لدن قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣]، إلى ما تبع هذا من التنبيه بخلقها، وما بث سبحانه فيهما من أصناف المخلوقات، واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها بما ينزل من الرزق إليها، وتصريف الرياح، ثم ذكر سبحانه أن هذه الآيات إنما يعتبر بها ويهتدي بأنوارها من منحه الله تعالى العقل وهداه إلى الاعتبار، ولما كان الاستدلال بهذه الجمل المفصلة أوضح شيء أتبعها سبحانه بقوله: ﴿فَإِنِّي حَادِثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَإِنَّ لِي لَبِئْسَ مَوْمِنًا﴾ [الجاثية: ٦]، ولكونه أسطى ما ذكر به من خوطب بالقرآن، ثم لم يجد ذلك في حق من سبق له الشقاء منهم إلا المنافرة والمخالفة، أعقبت بذكر من ترادفت وتوالت عليه الآيات وكثرت في حقه الشواهد، ثم لم يعقبه ذلك إلا الاختلاف والعدول عن سلوك المنهج الواضح وهم الممتحنون بالاختلاف من بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [١١] وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، فاقترضى ذلك ما قدم من بسط الآيات، ووضح ما خصه تعالى من واضح الدلالات في صدر هذه السورة، بسط ما منحه بني إسرائيل... ولما لم يكن تقدم آية سورة يونس من الدلالات مثلما بسط في سورة الجاثية من الاعتبار لما يناسبه الواقع في الجاثية من الإطناب، فنوسب الإيجاز بالإيجاز والإطناب بالإطناب، وجاء كل على ما يجب ويناسب، مع اتحاد المقصود في السورتين.

١٠٠ ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]. آية الأنعام تبين أن الله يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به، وأمّا آية يونس فتوضح أن الله يجعل العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه. ١٠٤ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]. قبل آية يونس ﴿نُجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] فوافقه، وفي النمل أيضاً وافق ما قبله، وهو قوله: ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]، وقد تقدّم في يونس: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]. ٩٤ ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]. في الآية تنبيه على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

١٠٠ ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قوله: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ قرئ: (ونجعل) بالنون على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بذلك، ولمناسبة ما قبله من قوله: ﴿كُشِفْنَا عَنْهُمْ﴾ وقرئ: (ويجعل) بالياء لمناسبة قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. = الطويل في الماء، وذكر موريس بوكاي ما نصه: وجاءت نتائج التحقيقات الطبية لتدعم الفرضية السابقة، ففي عام ١٩٧٥ م جرى في القاهرة انتزاع جزة صغيرة من النسيج العضلي، بمساعدة الأستاذ مايكل دوريجون "Mickel Dorigon"، وأظهر الفحص الدقيق بالميكروسكوب حالة الحفظ التام لأصغر الأجزاء التشريحية للعضلات، وتشير إلى أن مثل هذا الحفظ التام لم يكن ممكناً لو أن الجسد بقي في الماء بعض الوقت، أو حتى لو بقي خارج الماء طويلاً قبل أن يخضع لأول عمليات التحنيط، وفعلنا أكثر من ذلك، ونحن مهتمون بالبحث عن الأسباب الممكنة لموت فرعون، جرت الدراسات الطبية الشرعية للمومياء بمساعدة سيكالدي "Ceccaldi" مدير مخبر الهوية الفضائية في باريس، والأستاذ دوريجون، وظهر لنا بالتحقيق وجود سبب لموت سريع بفعل كدمات حجمية مخية سببت فجوة ذات حجم كبير في مستوى صاقورة القحف مترافقة مع آفة أرضية، ويتضح أن كل هذه التحقيقات متوافقة مع قصص الكتب المقدسة التي تشير إلى أن فرعون مات حين ارتد عليه الموج، وقال الدكتور بوكاي: وفي العصر الذي وصل فيه القرآن للناس عن طريق محمد ﷺ كانت جثث كل الفراعنة الذين شكّ الناس في العصر الحديث أن لهم علاقة بالخروج - كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية، في عصر محمد ﷺ، كان كل شيء مجهولاً عن هذا الأمر، ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وبالتالي فإن جثة فرعون موسى التي ما زالت ماثلة للعيان إلى اليوم تعدّ شهادة جلية في جسد محتط لشخص عرف موسى - عليه السلام - وعارضه وطارده ومات أثناء هذه المطاردة، وأنقذ الله جثته من التلف التام ليصبح آية للناس، كما ذكر القرآن الكريم، وهذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حياة أحد من البشر عند نزول القرآن، ولا بعد نزوله بقرون عديدة.

سُورَةُ هُودٍ

نزول سورة هود: نزلت بعد سورة يونس، وهي مكيّة بالإجماع. عدد كلمات سورة هود: ألف وتسعمائة وسبعة آلاف وستمئة وخمسة. أسماء سورة هود: وسميت سورة هود لاشتغالها على قصة هود عليه السلام.

۲۲۱

اصليها. مواضع سورة هود: المقصود الإجمالي من

حجیه للقراءات اعجاز متنوع التعريف بالس

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْكُمْ وَلَئِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى
أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَارَحِمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
لَيَكْفُرُ بِكَفُورٍ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ
مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَنَفْحٍ فَخُورٍ ﴿١٠﴾
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني: كل ما دب على الأرض، والناس منهم ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: مستقرها: محل استقرارها في الأرض، أو محل قرارها في الأصلاب. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: إيجاب تفضل. «ومستودعها»: حيث يودعها بموت أو دفن، أو موضعها في الأرحام، ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: عند الله عز وجل مكتوب مثبت. ٧- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: أي كان عرشه قبل خلقهما على الماء، والعرش من مخلوقات الله تعالى بل هو أعظمها. وتدل الآية على أن خلق العرش والماء، متقدم على خلق السماوات والأرض. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم. ٨- ﴿أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾: إلى أمد محدود ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾: أي شيء يمنعه من تعجيل ما يتوعدنا به ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: مما جاء به أنبياءهم من الحق. أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء منهم. ٩- ﴿لَيَكْفُرُ بِكَفُورٍ﴾: من الياس يظل قانطاً من رحمة الله وخيره ﴿كَفُورٍ﴾: قليل الشكر. ١٠- ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾: يعني: الشدائد والعسر ﴿إِنَّهُ لَنَفْحٍ فَخُورٍ﴾: بالنعم ﴿فَخُورٍ﴾: بما نال، غير شاكر لله. ١١- ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: عند البلاء، والشدّة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: في النعمة. ١٢- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: أي: فلعلك لعظم ما تراه منهم من الكفر والجحود، والتكذيب لآياته أو اقتراح الآيات عليك على حسب هواهم! تارك بعض ما أنزل عليك، وهذا الكلام خارج مخرج الاستفهام، أي: هل أنت تارك؟ وقيل: هو في معنى النفي مع الاستبعاد، أي: لا يكن منك ذلك، بل بلّغهم جميع ما أنزل الله عليك أجبوا ذلك أم كرهوه، شأؤوا أم أبوا. والآية الكريمة واضحة الدلالة في أن النبي ﷺ في مقام النبوة والتبليغ ﷺ. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: قيم على كل شيء، وإليه تديره.

[١] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها الثلاثة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا...؟ [١] معنى اسم الله الخبير: الخبير هو العالم بما كان وما يكون، أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. والفرق بين العلم والخبير: أن الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقيقتها؛ ففيه معنى زائد على العلم.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نزل ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] قال ناس: إن الساعة قد اقتربت ففناها، ففناها القوم قليلاً ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله ﴿وَلَئِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله. = فهي أيضاً من التشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا...﴾ [هود: ٦]. ليس في الأرض حيوان يدب على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم.. فهذا ما دلت عليه الآية، أمّا آية هود: لقد تكفل الله برزق جميع ما دب على وجه الأرض فضلاً منه، ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته... [٧] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾. الله عز وجل هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك؛ فهذا ما ورد بموضع سورة هود، أمّا باقي مواضع القرآن فتبين أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن في ستة أيام ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، يدبر أمور خلقه، لا يضاده في قضائه أحد... [٣] ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يَتَّبِعْكُم مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣]. من فوائد الاستغفار: ١- أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أنه أمان من العقوبة والعذاب. ٣- أنه سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- أنه سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفردى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصه الله مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفيافي والقفار. ٨- إغاظة الشيطان ٩- المستغفرون يمتنعهم ربهم متاعاً حسناً، ويرزقهم رزقاً رغيداً، وعيشاً هنيئاً، فيهنئون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيداً من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس [٧] ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْكُمْ﴾: إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة.

= السورة بيان حقيقة القرآن، وإطلاع الحق سبحانه على سرائر الخلق وضائيرهم، وضائيرهم تعالى لأرزاق الحيوانات، والإشارة إلى تخليق العرش، وإبتداء حاله، وتفاوت أحوال الكفار، وأقوالهم وتحدي النبي ﷺ بالإتيان بمثل القرآن، وذم الطلاب المعرضين عن العقبي، ولعن الظالمين وطردهم، وقصة أهل الكفر =

١٤- ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا﴾: لم يفعلوا ما طلبته منهم وتحديتهم به. ١٥- ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾: يؤفون أجور أعمالهم فيها، ولا ينقصون شيئاً. ١٦- ﴿وَحِطُّ﴾: بطل. ﴿مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: ما عملوا من أعمالهم. ﴿وَيَبْطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: لأنهم عملوا لغير الله. ١٧- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَعٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: يعني النبي ﷺ. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾: وقيل: هو لسانه عليه السلام يتلو به القرآن. وقيل: «أفمن كان على بينة من ربه» يعني محمداً ﷺ هو على بينة من ربه «ويتلوهُ شاهد منه»: هو جبريل عليه السلام: شاهد من الله عز وجل، يتلو على محمد ما بعث به ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى﴾: قيل: معناه: ومن قبله جاء بالكتاب إلى موسى ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: نصب على القطع، على الحال، من «كتاب موسى»، كقوله عز وجل: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتِيلٌ أَنَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [سورة الزمر: الآية ٩] ﴿أُولَئِكَ يَوْمُنْ يَوْمَهُ﴾: يقولون: هؤلاء الذين ذكرت يصدقون به، إن كفر به هؤلاء المشركون ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾: ييحد به، يعني القرآن ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: من أهل الملل كلها، والكفار أحزاب كلهم على الكفر ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك أن القرآن من عند الله وأنه حق. ولم يمر رسول الله ﷺ، ومعنى هذا الكلام كقوله في سورة يونس الآية ٩٤: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ وقد تقدم القول فيه. (ص ٢١٩). ١٨- ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ﴾: الملائكة والأنبياء، وهو: جمع «شاهد»، كما «الأصحاب»: جمع «صاحب». ١٩- ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الإسلام، قيل: هم مشركو قريش الذين كانوا يصدون الناس عن الإيمان بالله عز وجل ويفتنونهم ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يلتمسون سبيل الله زيفاً وميلاً.

[١٠] ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعَمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ [هود: ١٠]، ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠]. والله أعلم: أنه لم يرد في هود ما يستدعي تلك الزيادة، أما سورة فصلت فتقدم فيها قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتَيْنَ شُرَكَاءَ﴾ [فصلت: ٤٧]، تنبيهاً على سوء مرتكبهم، فلما تقدم ذكر الشركاء قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا﴾، ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله: «مِمَّا»، وأما زيادة: «مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَه﴾، فمناسب لإطناب هذا الغرض في هذه السورة، فناسب ذلك الزيادة، ولا يجاز هذا القصد في سورة هود ناسبه سقوط «مِنْ»، فجاء كل على ما يناسب ويجب، ولم يكن ليلائم كلاً من الموضوعين إلا ما ورد فيه، والله أعلم.

[١٧] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ عَرَبِيٍّ ...﴾ [الأحقاف: ١٢]. الآيتان تبيان أن الله أنزل من قبل هذا القرآن التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وآية هود تبين جزاء المؤمنين والكافرين بهذا القرآن...، وأما الأحقاف فتوضح أن هذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب... [١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥]، ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ [هود: ١٩]. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ بالأعراف جاء على القياس، وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدم «بالآخرة» تصحيحاً لفواصل الآية، وفي هود لما تقدم ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، ثم قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ولم يقل «عليهم» والقياس ذلك- التبس أنهم هم أم غيرهم، فكرر وقال: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾، ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم. قول آخر: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ جهود اختصت بزيادة ضمير التوكيد الذي يفيد التقوية؛ لأن المقام هنا تسجيل إنكارهم البعث وتقديره إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب- فحكى به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أدخلوا النار وظهر عقابهم فلا غرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلتا المقالتين واقع، وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة لمقام الحكاية.

= وأخفهم أوزاراً. ١١- الاستجابة لنصوص الكتاب... ١٢- المتاع الحسن في الدنيا، وإيتاء كل ذي فضل فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممن شملتهم رحمة الله ووده. ١٥- به تجلب النعم وتُدفع النقم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنه سبب في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تحل المشاكل الصعبة والعويصة. ١٩- أنه سبب لانشرار الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبد لربه عز وجل ويقر له بصفة الغفار. ٢١- ومن أهم فوائده الاستغفار وثمراته أنه دواء الذنوب... وغير ذلك من الفوائد والثمرات. [٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ فضلاً لا وجوباً. قيل لأبي أسيد: من أين تأكل؟ فقال: سبحان الله والله أكبر! إن الله يرزق الكلب أفلا يرزق أبا أسيد؟

[١٣-١٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾... [١١] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ [هود: ١٣-١٥]. ولما كان الذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً: إما الجهل وإما = [١٢] ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الضيق)، مع مشتقات كلمة (الطمأنينة)، وقد ورد كل (١٣) مرة في كتاب الله عز وجل. [١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذاً يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة. [١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) مرة.

= والإيمان، وتفصيل قصة نوح، وذكر الطوفان، وحديث هود، وإهلاك عاد، وقصة صالح وثمرود، وبشارة الملائكة لإبراهيم وسارة بإسحاق، وحديث لوط، وإهلاك قومه، وذكر شعيب، ومناظرة قومه إياه، والإشارة إلى قصة موسى وفرعون، وبيان أن فرعون يكون مقدم قومه إلى جهنم، وذكر جميع أحوال القيامة، =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَصَنَعَ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عِثَابَ مِقْيَمٍ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجَّيْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَاَرْضُ أَبْلِغِي مَاءَكَ وَتَسْمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِّي الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨- ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا، وقالوا: تحولت نجاراً بعد النبوة! ٤٠- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: وعدنا بالطوفان ﴿وَقَارَ﴾: نبع ﴿التَّنُورُ﴾: قيل: وجه الأرض. وقيل: «التنور» الذي كان يُخبز فيه أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام «إذا رأيت ثوراً أهلك يخرج منه الماء فاركب السفينة، فإن تلك الآية آية هلاك قومك». وقيل: معنى فار التنور: التمثيل بحضور العذاب، كقولكم: حيي الوطيس: إذا اشتدت الحرب. ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: من كل صنف ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾: نساءك وولدك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾: العذاب، وهي امرأته. وقيل: ابنه. ٤١- ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾: قال نوح لمن معه ﴿بِسْمِ اللَّهِ نَجَّيْنَاهَا﴾: مسيرها ﴿وَمُرْسَاهَا﴾: وقفها. ٤٢- ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: عنه لم يركب معه. ٤٣- ﴿يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾: يمنعني. ٤٤- ﴿أَبْلِغِي مَاءَكَ﴾: اشربي ﴿أَقْلِي﴾: أمسكي المطر ﴿وَغِيصَ الْمَاءِ﴾: ذهب به الأرض ونشفته ﴿وَفُصِّي الْأَمْرُ﴾: هلاك القوم ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾: السفينة ﴿الْجُودِيُّ﴾: جبل بناحية الجزيرة والموصل، وكان ذلك يوم عاشوراء، فصامه نوح ومن كان معه شكر الله عز وجل. ٤٥- ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾: الذي لا خلاف فيه، من أن تُنجي لي أهلي.

[٤٠] ﴿وَقَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠]، ﴿وَقَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]. لفظ "احمل" أوسع موقعاً في اللغة وأكثر تصرفاً في الكلام تقول: حملت الشيء إلى فلان، وحملته على كاهلي... ولا تقول في شيء من هذا "سلك"، وأما "سلك" فإن العرب تقول سلكت الشيء في الشيء وأسلكته، أي: أدخلته... وقليلاً ما تخرج كلمة "سلك" عن هذا المعنى من الدخول حقيقة ومجازاً، ففيها من حيث معناها خصوص، وأما "حمل" ففيها اتساع لا يكون في "سلك". فوجه ورودها في سورة هود مناسبة من حيث المعنى، ومن حيث ما اقترن بها من لفظ: "قلنا"، فطال الكلام لفظاً مع ما أشرنا إليه من سعة المحامل، وإن لم يرد جميعها هنا، لكن ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من استيفاء قصة نوح، عليه السلام، وطول الكلام بذلك، وأما آية المؤمنون ففي قصة نوح فيها إيجاز وإجمال، ألا ترى أنها -أي آية هود- على الضعف، أو أطول مما في سورة المؤمنون، فلذلك ورد في سورة المؤمنون لفظ "اسلك" لإيجازه من حيث معناه مما يحرز الطول، بخلاف ما في سورة هود، ومما يعضد هذا المقصود ويشهد له قوله تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، فتأمل تنظير "حتى" وهي على أربعة أحرف بفاء التعقيب في سورة المؤمنون في قوله: "فإذا"، وإنما الفاء على حرف واحد، فنوسب بالفاء موضعها المبني على الإيجاز، وبـ"حتى" موضعها المبني على الاستيفاء والطول، فقد وضع ورود كل من ما في السورتين على ما يجب ويناسب، والله سبحانه أعلم.

[٤٠] ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. سورة هود فيها تفصيل وتعميم بدليل قوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾، ويقصد بـ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، أي: امرأته وابنه لأنهما كانا كافرين، ثم زاد ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾، أي: من آمن من غير أهلك، وكأنما التركيز هنا على المؤمنين، أمّا سورة المؤمنون فقد أكد ألا يركب معك في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بزيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ مع ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وكأن التركيز هنا على الكافرين، وهذه فيها خصوصية عما جاء في سورة هود من العموم. = نوح الله. وكذلك: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ وليس «أيوب إذ نادى الله». وكذلك ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ وليس «وزكريا إذ نادى الله». والجواب: أن المنادي راجع لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل، ولذلك تعلق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكأن الله سبحانه بذلك يقرر حقيقة هامة وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظ «رب» يشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياء وإماتة ونفع وضرر... لم النداء وليس الدعاء!! ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ﴾، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، وليس «ودعا نوح ربه» و«أيوب إذ دعا ربه» و«وزكريا إذ دعا ربه»، فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟! والجواب!! أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروف واحدة من الشدة والكرب العظيم والبلاء المبين، فنادى كل منهم ربه رافعاً صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت)، فهو أخص من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد والله قريب، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالتباعد هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلو وليس تباعد مكان.. فالله هو العلي العظيم يعلو بسلطانه على مخلوقاته علواً كبيراً فإذا نادى العبد ربه، فليس لأنه بعيد عنه في المكان، بل بُعْدُهُ يعني انحطاط رتبة العبد أمام قِيُوم السماوات والأرض العلي الحكيم. ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء، وله خواص تختلف عن الدعاء بل هو أخص وأصفى وأخلص، وأظهر تفاقلاً، وأظهر وأنقى معنى.. رغم أن كلا من الدعاء والنداء عبادة، وفيه خير. [٤٤] ﴿وَقِيلَ يَتَاَرْضُ أَبْلِغِي مَاءَكَ وَتَسْمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِّي الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

عن مجاهد ﴿الْجُودِيُّ﴾: جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يوم الغرق، وتواضع هو لله فلم يغرق، وأرسيه عليه سفينة نوح. = عليها نصب حالاً. [٤١] ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجَّيْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَاهَا﴾ قرئ: بفتح الميم مع الإمالة من جرى الثلاثي. وقرئ: بالضم من أجرى المزيد. [٤٢] ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْنَئُ﴾ حيث جاءت، قرئ: (يابني) بفتح الياء في الستة، وذلك لأن أصل ابن "بنو" صُغِرَ على "بنو"، فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ثم لحقتها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقلبت ألفاً، ثم حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة. وقرئ: (يابني) بسكون الياء للتخفيف. وقرئ: (يابني) بكسر الياء مشددة فيها، قيل: إن الأصل في هذه الكلمة ثلاث ياءات: الأولى: للتصغير، والثانية: لام الفعل في ابن لأن أصله بني على فعل، والتصغير يرد المصغرات إلى أصلها فردت إليها لأنها أصلية، وامتنعت ياء التصغير عن دخول الحركات فيها، والثالثة: ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة التي ينكسر ما قبلها أبداً، فأدغمت ياء التصغير في الثانية، وفي لام الفعل، وكسرت لأجل ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة لاجتماع ثلاث ياءات، وبقيت الكسرة تدل على ياء الإضافة؛ وكلها لغات.

١٠٠ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بَعْضُ الْعِلْمِ بِمَا يَسْئَلُونَ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ
 ١٠١ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُ فِي
 ١٠٢ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
 ١٠٣ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ١٠٤ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
 ١٠٥ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
 ١٠٦ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
 ١٠٧ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٠٧﴾ وَتِلْكَ آدَاءُ جَعَلُوا يُعَانِتُ
 ١٠٨ رِبِّهِمْ وَعَصُوا أَرْسُلَهُ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبَعُوا
 ١٠٩ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رِبِّهِمْ إِلَّا
 ١١٠ بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْمٌ هُودٍ ﴿١١٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
 ١١١ يَتَقَوْمِ آبَاءُ اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ آلِهِ عِزَّةً هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 ١١٢ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِمْ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ
 ١١٣ قَالُوا لَيْصَلْحَ فَمَا كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ
 ١١٤ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١١٤﴾

۲۲۸

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٦٣- ﴿فَأَنزِلْنَا دُونَهُ عَيْنَ تَحْسِيرٍ﴾: يقول: ما تزدادون أنتم إلا خساراً يخسركم حظوظكم من رحمة الله عز وجل، أي: فما تعطوني - فيما أطلبه منكم من الإيمان والإنابة - غير تحسير أنفسكم. ٦٤- ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾: حجة ودلالة على ما أَدْعُوكُمْ إليه ﴿فَذَرُوهَا﴾: اتركوها تأكل من أرض الله ليس عليكم رزقها ولا مؤنتها. ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾: بعقر، أو غيره. ٦٥- ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: بقية آجالهم. ٦٧- ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا﴾: خوداً بأفئدتهم، قد هلكوا، أي ساقطين على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت. ٦٨- ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كان لم يعيشوا ﴿أَلَا بُعْدَ لِثَمُودَ﴾: يقول الله عز وجل: ألا أبعد الله ثمود. ٦٩- ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ﴾: بالبشارة. وقيل: هي بإسحاق. وقيل: بهلاك قوم لوط، ولوط هو ابن عم إبراهيم عليهما السلام. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: سلموا عليه سلاماً ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: يعني عليهم السلام: ﴿فَمَا لَيْتَ﴾: أبطاً حتى جاء ﴿بِعِجْلٍ﴾: ولد البقرة ﴿حَنِيدٍ﴾ مشوي يقطر ماؤه، و﴿المخنوذ﴾: المشوي. ٧٠- ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ﴾: يعني: رسل الله عز وجل من الملائكة عليهم السلام ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: كفوا عن أكله، لم يكونوا ممن تأكله ﴿نَكِرَهُمْ﴾: و﴿أنكرهم﴾ بمعنى واحد؛ وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فعرضوا عليه الطعام فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير، وأنه يحدث نفسه بشر ﴿وَأَوْجَسَ﴾: أحس وأضمر ﴿خِيفَةً﴾: خوفاً. ٧١- ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾: سارة ابنة عمه ﴿قَائِمَةً﴾: من وراء الستر، تسمع كلامهم. وقيل: بل كانت تخدم الرسل ﴿فَضَحِكَتْ﴾: تعجباً من خدمتها، وخدمة زوجها للأضياف إكراماً لهم؛ وهم مسكونون عن أكل طعامها! وقيل: ضحكت من أن قوم لوط في غفلة وقد جاءت رسل الله بإهلاكهم ﴿وَمِنْ وَرَاءِ﴾: من خلف. بشروها كذلك بولد الولد.

[٦٦] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَأَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله عز وجل هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٦٦] معنى اسم الله القوي والعزيز: العزيز، القدير، القادر، المُقَدِّر، القوي، المَتِينُ: هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُسَبُّ إليه قوة المخلوقات وإن عَظُمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضَرَّهُ فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٦٤] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾، وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابُ قَرِيبٍ﴾، وزاد في الشعراء ذكر اليوم لأن قبله: ﴿هَذَا يَشْرِبُ وَلَكِنَّ يَشْرِبُ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. [٩٤، ٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧]، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤]. إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها "الرجفة" في سورة الأعراف: ٧٨، ومنها "الصيحة" في سورة هود: ٩٤، ومنها الظلة في سورة الشعراء: ١٨٩، وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لهم لإهلاكهم واحدة بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم، فانزعجوا لها عن الكن - أي الستر - إلى البراح، فلما أصرحوا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها، وهي سحابة سكنوا إلى روح تحت ظلها، فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به، غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه المؤنثات.

قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَنِيهِ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَصْرِفُ مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَأَنزِلْنَا دُونَهُ عَيْنَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقُولُ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴿٦٤﴾ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ ﴿٦٥﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِجَنَّتَيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا ﴿٦٧﴾ كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَظْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ بَمَشَرْنَاهَا إِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

(٢٢٩)

[٦٦] معنى اسم الله القوي والعزيز: العزيز، القدير، القادر، المُقَدِّر، القوي، المَتِينُ: هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُسَبُّ إليه قوة المخلوقات وإن عَظُمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضَرَّهُ فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٦٤] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾، وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابُ قَرِيبٍ﴾، وزاد في الشعراء ذكر اليوم لأن قبله: ﴿هَذَا يَشْرِبُ وَلَكِنَّ يَشْرِبُ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. [٩٤، ٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧]، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤]. إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها "الرجفة" في سورة الأعراف: ٧٨، ومنها "الصيحة" في سورة هود: ٩٤، ومنها الظلة في سورة الشعراء: ١٨٩، وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لهم لإهلاكهم واحدة بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم، فانزعجوا لها عن الكن - أي الستر - إلى البراح، فلما أصرحوا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها، وهي سحابة سكنوا إلى روح تحت ظلها، فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به، غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه المؤنثات.

[٦٧] ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا﴾ [هود: ٦٧، ٩٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمًا﴾. في موضعين في هذه السورة فحسب، لأنه اتصل بالصيحة، وكانت من السماء، فازدادت على الرجفة؛ لأنها الزلزلة، وهي تختص بجزء من الأرض فجمعت مع الصيحة، وأفردت مع الرجفة. [٧٢] ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُكْرًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿قَالَتْ يَوَلَيْتُكَ إِذْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلٌ شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]. ما الفرق بين استخدام القرآن الكريم لكلمة: "أَمْرَأَةٌ وَزَوْجٌ وَبَعْلٌ"؟ **الجواب:** ١ - يُطْلَقُ القرآن الكريم كلمة (امراة) في حالة الأفراد على (الزوجة) إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال بين الزوجين: أ - كالنزاع بين الزوجين (سواء أدى إلى طلاق أم لا): مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُكْرًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]. أو لا اختلاف الدين بين الزوجين: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ﴾ [هود: ٨١]، لأن امرأة لوط كانت على دين قومها. ج - أو كانت العلاقة الزوجية على دين غير صحيح: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]. د - أو كانت الحياة الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٨]. ٢ - ويطلق القرآن كلمة (امراة) على المرأة غير المتزوجة: مثل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدْنَاهُمْ أَمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]. = [٦٦] ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ هنا، والمعارج: ١١، قرئ: (يوم) بفتح الميم فيهما على أنها حركة بناء لإضافته إلى غير متمكن. وقرئ: (يوم) بالكسر فيهما إجراء لليوم مجرى سائر الأسماء، فأعرب، وإن أضيف إلى (إذ) لجواز انفصاله عنها، والبناء إنما يلزم إذا لزمت العلة، وهي: وجوب الإضافة، ولكنها هنا جائزة. [٦٨] ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ثَمُودَ﴾ قرئ: (بكر الدال مع التنوين. وقرئ: (ثمود) بغير تنوين مع فتحها، ووجه التنوين وعدمه مبني على صرف هذه الكلمة وعدم صرفها، فصرفها على أنها اسم للاب أو للحي، والأصل في الأسماء الصرف ولا تمنع منه إلا لعله، وعدم صرفها على أنها اسم للقبيلة، فمنع من الصرف للتعريف والتأنيث. ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ هنا والذاريات: ٢٥، قرئ: (سلم) بكسر السين وسكون اللام بلا ألف فيهما. وقرئ: (سلام) بفتح السين واللام وبألف =

قَالَتْ يَوْنَيْقَىٰ ۖ أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَلَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِ ۚ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ مُجْدِلَانِ فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ تَبَايَرَهُمْ أَغْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَفِي عَذَابٍ غَيْرَ مُرْدُوذٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوهُنَّوَلَا بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۚ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ نَأْتِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُلُ رَبِّكَ ۖ لَنْ يَصْلَوْا بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۖ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٢٣٠

٧٢- ﴿يَوْنَيْقَىٰ﴾: كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، أو الاستكبار ﴿أَلِدْتُ﴾: تقول: أتى يكون لي ولد؟ ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: مستنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾: زوجي، ٧٣- ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: تسمى زوجة الرجل أهل بيته. وقيل: هي من أهل بيته. وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى الجمع لقصد التعميم. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: ذو مدح وثناء وكرم. أي: فاعل ما يستوجب ذلك من عباده ﴿مَجِيدٌ﴾: كثير الإحسان إليهم. ٧٤- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: الفزع ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ﴾: يأسحاق ﴿يُجْدِلَانِ﴾: يحاج الرسل، في شأن قوم لوط وأمرهم، وكان جداله مع ضيفه أن قال لهم: أرايتم إن كان فيهم خسون من المؤمنين أمعذوبهم؟ قالوا: لا، حتى صار ذلك إلى عشرة، قال: أرايتم إن كان فيهم عشرة، أمعذوبهم أنتم؟ قالوا: لا، وهي ثلاث قرى، فيها العدد الكثير. ٧٥- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: بطيء الغضب ﴿أَوَّهٌ﴾: متذلل خاشع ﴿مُنِيبٌ﴾: رجاع إلى ربه. ٧٦- ﴿أَغْرَضَ عَنْ هَذَا﴾: الجدال في أمرهم ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: بعذابهم. ٧٧- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم، وساء ظنه بقومه ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: ضاقت نفسه غمًا بمجيئهم، وعلم أنه محتاج إلى المدافعة عن أضيافه ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديد شره، عظيم بلاؤه. ٧٨- ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يسرعون، ويرعدون من سرعة المشي؛ لما بهم من طلب الفاحشة. تقول العرب: أهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى؛ إذا أرعد ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: إتيان الذكران ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: يعني: نساء أمته، انكحوهن فهن أطهر لكم، وقوله ﴿أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: واضح الدلالة في أنه لم يرد نكاح الأدبار كما زعم بعض المفسرين: كان هذا القول منه على طريق المدافعة، ولم يرد الحقيقة ولهذا قالوا له: ٧٩- ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ﴾. ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾: لا تُذلوني. ٨٠- ﴿آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: عشيرة مانعة، لحالت بينكم وبين ما جئتم له. ٨١- ﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾: قالت الرسل ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: أخرج أهلك من بين أظهرهم، يقال: أسرى، وأسرى، إذا سار بليل ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾: ببقية من الليل. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: لا ينظر وراءه.

[٧٣] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدراً حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء - فإن الله سبحانه وتعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله تعالى هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى إليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يشنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى = [٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]. الأواه الكثير التأوه، وفي كتاب ابن عطية أن التأوه التفجع، فالمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة أبيه وقساوته حتى قال له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، وإبراهيم عليه السلام مع ذلك يتأوه تأسفاً وتحسراً على رفض أبيه إجابته واتباعه مع تلطف إبراهيم عليه السلام في قوله دعاء لأبيه إلى الإيمان في إخبار الله تعالى عنه: ﴿يَتَابَتِ لَمْ تَقْبَدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، إلى قوله: ﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، فكان عليه السلام لفرط ترحمه ورأفته وحلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع من حاله وتبين له أنه عدو الله فتنبرأ منه، فإخبار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقنّدي به ويهتدي بهديه، فقال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأعلمه تعالى بعذر إبراهيم في استغفاره، وأن ذلك كان عن مودة تقدمت منه لأبيه، فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه أواه، وذلك مناسب لما بيناه، أما في آية هود ففيها أنه عليه السلام جادل الرسل بحرص المجادل في صرف العذاب عن قوم لوط، ووضع المضارع موضع الماضي إشارة إلى تكرار المجادلة مع تصوير الحال، أي: جادلنا فيهم جداً كثيراً؛ وهذا من صبره وحلمه فكان وصفه هنا ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ أنسب، فكان بسبب ما عنده من هذه الصفات الحسنة الجميلة لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة.

٣- ويطلق القرآن كلمة (امراة) حينما يكون لا دخل للزوج في المعنى المراد: مثل قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٤- أطلق القرآن الكريم كلمة (بعل) على (الزوج الذكر)، إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال بين الزوجين: أ - كالنزاع والشقاق: مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُكْرًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]. ب - مخالفة الزوجات لأزواجهن بإبداء زيتهن لغير أزواجهن: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُفَّيْنِ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. ج - أو كانت العلاقات الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَوْنَيْقَىٰ ۖ أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]. ٥- يطلق القرآن كلمة (زوج) إفراداً لا جمعاً، في كل الأحوال التي لا يعكّر صفو الحياة الزوجية فيها شيء. ٦- في حالة جمع الزوجات يؤثر القرآن كلمة (أزواج) دون (امرات: جمع امرأة) لأن (امرات) جمع غير مستعمل لغة، فضلاً عن ثقله وخشونة جرسه. مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المتحنة: ١١].

= بعد اللام فيهما وهما لغتان، كجرم وحرّام وحلّ وحلال، ويجوز أن يكون "سلام" بمعنى المسالمة التي هي خلاف الحرب، كأن إبراهيم يقول: كلوا من طعامي هذا فأنا "سلام"، ولست بحرب عليكم تمنعون من أكل طعامه، كالامتناع من أكل طعام العدو" ثم قال: "سلام" مبتدأ خبره محذوف، أي: عليكم، وهو رد السلام عليهم إذاسلموا عليه حين دخلوا عليه. [٧١] ﴿فَبَشِّرْهُنَّ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْقُوبَ﴾ (٧١) قالت: ﴿قُرَى﴾: (يعقوب) بفتح الباء علامة جر عطفاً على لفظ "إسحاق"، أو نصباً بفعل مقدر يفسره ما دل عليه الكلام، أي: وهبنا لها يعقوب، وقرى: (يعقوب) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم قبله. [٨١] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ و﴿أَنْ أَسِرَّ﴾ حيث جاءت، قرى: (اسر) بهمزة وصل =

٨٢- ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين. ﴿مَنْضُودٍ﴾: من نعت سجيل. قيل: نُضِدُّ بعضه إلى بعض فصيّر حجارة. ٨٣- ﴿مُسَوَّمَةً﴾: من نعت الحجارة، مُعْلَمَةً؛ أي التي لها علامة، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعْدٍ﴾: لم يؤمن الله عز وجل منها ظالماً بعدهم، من قريش وغيرهم. ٨٤- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: يقول تعالى: وأرسلنا إلى مدّين، وهم قوم شعيب، أخاهم في النسب شعيباً، ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ﴾: في سعة ونعمة ﴿مُحِيطٍ﴾: من نعت العذاب، وإن كان محمولاً على اليوم، لأنه مفهوم المعنى، أي: وصف اليوم بالإحاطة والمراد العذاب، لأن العذاب واقع في اليوم. ٨٥- ﴿وَيَقُومُوا أَلْمِكَالَ﴾: أوفوا الناس المكيال ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: ولا تنقصوهم حقوقهم ﴿وَلَا تَعْوُوا﴾: تصيروا ﴿مُفْسِدِينَ﴾: بنقصان الميكال والميزان. ٨٦- ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ما يبقيه الله لكم بعد أن تؤفوا الناس حقوقهم في الكيل والميزان حلالاً، خير لكم مما تجمعونه أو يبقى لكم ببخسكم الناس، وقيل: «بقية الله»: حظكم من طاعة الله خير لكم ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ﴾: برفيق أرقبكم عند كيلكم ووزنكم. ٨٧- ﴿أَصَلُّوا تِلْكَ﴾: جمع صلاة ﴿أَن تَرَكُوا مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأصنام والأوثان ﴿أَوْ أَن تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾: من الكيل والميزان، وفيما كانوا يقطعون من الدنانير والدرهم، وكان نهاهم عن ذلك ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾: قالوا ذلك استهزاء به. ٨٨- ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: على بيان وبرهان فيما أدعوكم إليه وأنهاكم عنه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ﴾: أي: لا أنهاكم عن أمر وأفعل خلافه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾: يقول: لا أصيب الحق الذي أدعوكم إليه إلا بالله وعونه عز وجل: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: وثقت، وعليه اعتمادي في أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع.

= والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفصيل حمده وما يُحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام. [٧٣] معنى اسم الله المجيد: ((المجيد)) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور أو نقصان.

[٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [العنكبوت: ٣٣]. "لَمَّا" تقتضي جواباً، وإذا اتصلت بها "أن" دل ذلك على أن الجواب اكتمل ووقع في الحال من دون تراخ، وهذا ما حصل في آية العنكبوت، فالجواب قوله: ﴿سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، ومثل هذه الآية ما ورد في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦]، أمّا آية هود فالحديث فيها متصل آية بعد آية إلى خمس آيات، فبعد عن الجواب فحسن الحذف. [٨١] ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [هود: ٨١]، ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [الحجر: ٦٥]. استثنى في سورة هود من الأهل قوله: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُ﴾، ولم يستثن في الحجر اكتفاء بما قبله، وهو قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَجْرِمِثٍ﴾ [٨٥] ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُ﴾ [الحجر: ٥٨-٦٠]، فهذا الاستثناء الذي انفردت به سورة الحجر قام مقام الاستثناء من قوله: ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾، وزاد في الحجر ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾؛ لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم. [٨٢] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ [هود: ٨٢]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ [الحجر: ٧٤]. كل من الموضعين مراعى فيه مناسبة ما تقدمه، ولما تقدم آية سورة الحجر قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَجْرِمِثٍ﴾ [الحجر: ٥٨]، فذكر قوم لوط الموصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم، روعي هذا المتقدم فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ونظير هذا قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَجْرِمِثٍ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، فقيل "عليهم" لما تقدم قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمِ ثَجْرِمِثٍ﴾، وأمّا آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا، فاكتفى بضمير القرية فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، وأغنى ذلك عن ذكر المهلكين إذ هم المقصودون بالعذاب. [٨٤] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِكَالَ ...﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِكَالَ ...﴾ [هود: ٨٤]. الآيتان تبيينان أن الله قد أرسل إلى قبيلة "مدّين" أخاهم شعيباً فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف توضح أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوههم إليه.. وآية هود تدعوهم ألا ينقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم...

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]. التائب من الذنب كما يُسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه، فإن الله تعالى يحبه ويودّه، ولا عبرة بقول من يقول: (إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود) فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. من فوائد التوبة: ١- سبب الفلاح، والفوز بسعادة الدارين. ٢- تكفر السيئات. ٣- تبدل السيئات حسنات. ٤- سبب للمتاع الحسن، ونزول الأمطار، وزيادة القوة، والإمداد بالأموال والبنين. ٥- أن الله يحب التوبة والتوابين. ٦- أن الله يفرح بتوبة التائبين. ٧- توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدون التوبة. ٨- تطهر قلوب التائبين. ٩- سبب في الحياة الهادئة المطمئنة. ١٠- سبب في سعة الرزق...

= تثبت ابتداء مكسورة مع كسر نون "إن" للساكنين. وقرئ: (أسر) بهمزة قطع مفتوحة تثبت درجاً وابتداءً، يقال: سرى وأسرى للسرى، وقيل: أسرى لأول الليل، وسرى لآخره، وأمّا سار فمختص بالنهار. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُ﴾ [الحجر: ٨١] برفع التاء بدل من أحد، واستشكل ذلك بأنه يلزم منه أنهم نهوا عن الالتفات إلا المرأة، فإنها لم تنه، وهذا لا يجوز، لكنه حُمِلَ على أن النهي نفى؛ لأن النهي في معنى النفي والتقدير، ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرتكم؛ ولذا جعله =

وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرَمُكُمْ شِقَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمُ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّا لَنُرِيكَ ضَعِيفًا ﴿٩١﴾ وَإِنَّا لَنُرِيكَ ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَهْطِ اعْزُّوا عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٣﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعْبَاءٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيحًا ﴿٩٥﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الْبَعْدُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ نُحُودٌ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَوْفَرَ عُورٍ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٨﴾

٢٣٢

٨٩- وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرَمُكُمْ: لا يمحونكم **شِقَاقَ**: فراقى وعداوتى وبغضى، على الإصرار على ما أنتم عليه، فيصيبكم **مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ**: ومن ذكر بعدهم. **وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ**: أي: أنتم حديثو عهد بما نزل بهم. وقيل: وما منازل قوم لوط منكم بعيد. ٩٠- **إِنَّا لَنُرِيكَ ضَعِيفًا**: ضعيف الانتصار والقدرة. وقيل: كان ضرير البصر **وَلَوْلَا رَهْطُكَ**: سببناك، أو قتلناك بالرجم! هابوا عشيرته، وما هابوا جلال ربهم! **وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**: ممن يُكرّم علينا. ٩١- **وَإِنَّا لَنُرِيكَ ضَعِيفًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٢- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٣- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٤- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٥- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٦- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٧- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. ٩٨- **وَأَتَّخِذْكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا**: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظهره، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل **إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**: لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

[٩٠] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدّل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٩٠] معنى اسم الله الودود: والودود مأخوذ من الودّ بضم الواو بمعنى خالص المحبة، فالودود هو المحب المحبوب بمعنى وادّ فهو مودود، فهو الواد لأنبيائه وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، وغالبة لكل محبة، ويتعيّن أن تكون بقية المحاب تبعاً لها.

[٩٢] معنى اسم الله المحيط: وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء.

[٩٣] وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾، قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ [الزمر: ٣٩]. آية الزمر ورد فيها ذكر الفاء وهي متعلقة بقوله: ﴿أَعْمَلُوا﴾، فهي خطاب من الله تعالى للكفار من العرب، وفيها وعيد لهم وتهديد، ولهذا تقدمها "قل"، وهو أمر لنبيه ﷺ بوعيدهم، وهذا يفيد قوة تقدير معنى الشرط ثم قال: "اعملوا"، فاستدعى ذلك الجواب بالفاء، فجاءت الفاء في الجواب المبني على الشرط المقدر، فكان المعنى: اعملوا فستجزون، أي: اعملوا على طريقكم فسوف تعلمون، فالعمل سبب للجزاء، أما آية هود فهي على الاستئناف، فلا حاجة لدخول الفاء، لأن الآية إخبار للنبي ﷺ بضعف فيها تقدير الشرط، فلم تدخل الفاء.

[٩٦] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ [هود: ٩٦، غافر: ٢٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي هود وغافر، والآية تبين أن الله قد أرسل موسى بآياته العظيمة لتدل على حقيقة ما أرسل به، وكحجة واضحة بيّنة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه من أرسل إليهم.

[٩٣] سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ﴿٩٣﴾ [هود: ٩٣]، وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ ﴿٩٤﴾ [ص: ٤]. ما الفرق بين: "كاذب" و"كَذَّابٌ"؟ **الجواب**: وردت كلمة (كاذب) أربع مرات، بينما وردت كلمة (كَذَّابٌ) خمس مرات. وردت كلمة (كَذَّابٌ) وهي من صيغ المبالغة على وزن (فَعَال) في المواطن التي اقتضت تأكيد صفة الكذب، على العكس من كلمة (كاذب)، وهي اسم فاعل تستخدم في الإخبار - فقط - عن صفة الكذب دونما مبالغة. مثال: قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، فجاءت كلمة (كَذَّابٌ) في هذا السياق على لسان الكافرين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فوصفوا النبي ﷺ الذي أرسل إليهم بهذه الصفة مبالغين فيها ومؤكدين لمعناها بصيغة المبالغة (كَذَّابٌ) وليست (كاذب). كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [٢٣] فَقَالُوا أَشْرًا مِنَّا وَجِدًا تَنْبَعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَتِ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَلْفَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ [القمر: ٢٣ - ٢٥]. حيث وصف قوم ثمود نبهم صالحاً بهذه الصفة البذيئة مبالغين ومؤكدين بصيغة المبالغة (كَذَّابٌ) بدل (كاذب)، وهكذا أتت (كَذَّابٌ) الدالة على المبالغة وشدة التوكيد في كل المواضع القرآنية التي اقتضت ذلك. على العكس من الصيغة الأخرى (كاذب) التي لا تدل إلا على مجرد الإخبار عن هذه الصفة دون توكيد ولا مبالغة. مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣].

[١٠١] ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]. ما الفرق بين: "تباب وتتبب"؟ **الجواب**: **تباب**: هلاك وخسار. قال الطبري: «في تباب»: أي في ضلال وخسار، وهي آتية من الفعل الثلاثي (تَبَّ)، و**تتبب**: إهلاك وإخسار. قال أبو عبيدة: «غير تتبب»: أي تدمير وإهلاك. وهي آتية من الفعل الرباعي المتعدي (تَبَّبَ). وقد جاءت كلمة (تَبَابٌ) مع كيد فرعون، على معنى الفاعلية، فالمعنى (تَبَّ كَيْدُ فِرْعَوْنَ)، وجاءت كلمة (تتبب) مع أهل القرى الذين اتخذوا آلهة غير الله - تعالى -، على معنى المفعولية، فالمعنى (تَبَّبَ الْآلِهَةُ أَهْلَ الْقُرَى). وقد جاءت كل صيغة مناسبة = في المعنى مرفوعاً بالابتداء، والجملة بعده خبر، والمستثنى جملة. ونظيره ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [٢٢] إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ (أمرأتك) بالنصب مستثنى من بأهلك، وجعله في المعنى استثناءً منقطعاً لثلاث تكون قراءة الأكثرين مرجوحة، على أن المراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته.

١١٨ - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على ملة واحدة. ١١٩ - ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾: بالهداية إلى الدين الحق، وهم أهل الجنة والخنيفة. ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: قيل: هؤلاء لرحمته، وهؤلاء لعذابه. وقيل: للاختلاف خلقهم. وقيل: للرحمة خلقهم ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: أي: نفذ قضاؤه وحق أمره. واللام في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: لام القسم. ١٢٠ - ﴿وَكَلَّا نَقْصُصَ عَلَيْكَ﴾: يقول عز وجل: وكل ذلك نقصص عليك ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾: من أخبارهم، وأخبار أهمهم ﴿مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ﴾: لتعلم ما لقيت الرسل قبلك، فلا تجزع من تكذيب من كذبك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾: يعني: في هذه السورة ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ﴾: تعظ الجاهلين ﴿وَذِكْرٌ﴾: تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ١٢١ - ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: على تمكينكم ما أنتم عاملوه ﴿فَإِنَّا عَمِلُونَ﴾: ما نحن عاملوه. ١٢٢ - ﴿وَأَنْظُرُوا﴾: ما وعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾: ما وعدنا الله به. ١٢٣ - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ملك كل ما غاب عنك في السماوات والأرض ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: فوض أمرك إلى الله، وثق بكفايته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يعني: المشركين، بل هو سبحانه عالم بجميع ذلك ومجاز عليه.

سُورَةُ يُوسُفَ

١ - ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: فيه بيان حاله وحرامه، وهداه ورشده. وقيل: تلك الآيات التي أنزلت عليك في هذه السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر.. أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف. ٢ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: يعني: هذا الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوه وتفهموه. ٣ - ﴿لِمَنِ الْغَفْلِينَ﴾: لا تعلمه ولا شيئاً منه. [٣] قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن قتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثنا، فنزل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الآية، زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله: ﴿الْمُتَّبِعِينَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُخَشِعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله. [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ...﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾ [النحل: ٧٧]. الآيتان تبينان أن الله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السماوات والأرض، وآية هود توضح أن الله تعالى إليه يرجع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده أيها النبي وفوض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله، وأمّا آية النحل: وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هي أسرع من ذلك، إن الله على كل شيء قدير. [١] ﴿الر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. تكررت هذه الآية ﴿الر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُشَجَّهَاتٍ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدوا ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. آية سورة يوسف لما كانت توطئة لذكر قصصه عليه السلام، ولم تتضمن السورة غير ذلك إلا ما أعقبت به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيباً عند قريش والعرب، مستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أمته، ومعرفة من قصصه العجيب، ومؤدية أكمله وأعمه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب والجميع أن نبينا محمداً ﷺ لم يتلق ذلك = [٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. اعلم أن الله ذكر أنه يقصص على رسوله أحسن القصص، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل، وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ذكر جماعة من المفسرين أن القمر تأويله الأب، والشمس تأويلها الأم، فاستقرأ بعض الناس من تقديمها وجوب بر الأم وزيادة على بر الأب. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. في هذه الآيات الكريمات أسلوب رائع من أساليب التعامل بين الأب وابنه، فيعقوب عليه السلام يربي أبناءه على الرجوع إليه كلما حدث لهم ما يثير انتباههم، حتى يوجههم التوجيه = [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُرْجَعُ﴾ قرئ بالبناء للفاعل وللمفعول، وسبق الكلام عليه. وقوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقرئ: (يعملون) بالغيبة لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا﴾ وفيه معنى الوعيد والتهديد للكفار على عدم الإيمان. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ﴾ في أربعة مواضع: قرئ: (يا أبت) بفتح التاء في الأربعة. وقرئ (يا أبت) بالكسر فيهن، وأصله: يا أبي فعوض عن الياء بتاء التأنيث، فالكسر يدل على أن الياء محذوفة في النداء كما تقول: يا غلام أقبل، وهي اللغة المستعملة الفاشية، والفتح لأنه حركة أصلها، فقدرة أنه مثل: يا طلحة أقبل، فجعل حركة التاء كحركة ما قبلها.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرِثُ الْوَنَ مُخْلِفِينَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿وَكَلَّا نَقْصُصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿وَأَنْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

[٢٣٥]

٢ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: يعني: هذا الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوه وتفهموه. ٣ - ﴿لِمَنِ الْغَفْلِينَ﴾: لا تعلمه ولا شيئاً منه. [٣] قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن قتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثنا، فنزل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الآية، زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله: ﴿الْمُتَّبِعِينَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُخَشِعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله. [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ...﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾ [النحل: ٧٧]. الآيتان تبينان أن الله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السماوات والأرض، وآية هود توضح أن الله تعالى إليه يرجع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده أيها النبي وفوض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله، وأمّا آية النحل: وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هي أسرع من ذلك، إن الله على كل شيء قدير. [١] ﴿الر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. تكررت هذه الآية ﴿الر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُشَجَّهَاتٍ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدوا ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. آية سورة يوسف لما كانت توطئة لذكر قصصه عليه السلام، ولم تتضمن السورة غير ذلك إلا ما أعقبت به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيباً عند قريش والعرب، مستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أمته، ومعرفة من قصصه العجيب، ومؤدية أكمله وأعمه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب والجميع أن نبينا محمداً ﷺ لم يتلق ذلك = [٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. اعلم أن الله ذكر أنه يقصص على رسوله أحسن القصص، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل، وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ذكر جماعة من المفسرين أن القمر تأويله الأب، والشمس تأويلها الأم، فاستقرأ بعض الناس من تقديمها وجوب بر الأم وزيادة على بر الأب. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. في هذه الآيات الكريمات أسلوب رائع من أساليب التعامل بين الأب وابنه، فيعقوب عليه السلام يربي أبناءه على الرجوع إليه كلما حدث لهم ما يثير انتباههم، حتى يوجههم التوجيه = [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُرْجَعُ﴾ قرئ بالبناء للفاعل وللمفعول، وسبق الكلام عليه. وقوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقرئ: (يعملون) بالغيبة لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا﴾ وفيه معنى الوعيد والتهديد للكفار على عدم الإيمان. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ﴾ في أربعة مواضع: قرئ: (يا أبت) بفتح التاء في الأربعة. وقرئ (يا أبت) بالكسر فيهن، وأصله: يا أبي فعوض عن الياء بتاء التأنيث، فالكسر يدل على أن الياء محذوفة في النداء كما تقول: يا غلام أقبل، وهي اللغة المستعملة الفاشية، والفتح لأنه حركة أصلها، فقدرة أنه مثل: يا طلحة أقبل، فجعل حركة التاء كحركة ما قبلها.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: يعني: هذا الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوه وتفهموه. ٣ - ﴿لِمَنِ الْغَفْلِينَ﴾: لا تعلمه ولا شيئاً منه. [٣] قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن قتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثنا، فنزل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الآية، زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله: ﴿الْمُتَّبِعِينَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُخَشِعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله. [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ...﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾ [النحل: ٧٧]. الآيتان تبينان أن الله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السماوات والأرض، وآية هود توضح أن الله تعالى إليه يرجع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده أيها النبي وفوض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله، وأمّا آية النحل: وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هي أسرع من ذلك، إن الله على كل شيء قدير. [١] ﴿الر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. تكررت هذه الآية ﴿الر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُشَجَّهَاتٍ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدوا ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. آية سورة يوسف لما كانت توطئة لذكر قصصه عليه السلام، ولم تتضمن السورة غير ذلك إلا ما أعقبت به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيباً عند قريش والعرب، مستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أمته، ومعرفة من قصصه العجيب، ومؤدية أكمله وأعمه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب والجميع أن نبينا محمداً ﷺ لم يتلق ذلك = [٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. اعلم أن الله ذكر أنه يقصص على رسوله أحسن القصص، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل، وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ذكر جماعة من المفسرين أن القمر تأويله الأب، والشمس تأويلها الأم، فاستقرأ بعض الناس من تقديمها وجوب بر الأم وزيادة على بر الأب. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. في هذه الآيات الكريمات أسلوب رائع من أساليب التعامل بين الأب وابنه، فيعقوب عليه السلام يربي أبناءه على الرجوع إليه كلما حدث لهم ما يثير انتباههم، حتى يوجههم التوجيه = [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُرْجَعُ﴾ قرئ بالبناء للفاعل وللمفعول، وسبق الكلام عليه. وقوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقرئ: (يعملون) بالغيبة لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا﴾ وفيه معنى الوعيد والتهديد للكفار على عدم الإيمان. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ﴾ في أربعة مواضع: قرئ: (يا أبت) بفتح التاء في الأربعة. وقرئ (يا أبت) بالكسر فيهن، وأصله: يا أبي فعوض عن الياء بتاء التأنيث، فالكسر يدل على أن الياء محذوفة في النداء كما تقول: يا غلام أقبل، وهي اللغة المستعملة الفاشية، والفتح لأنه حركة أصلها، فقدرة أنه مثل: يا طلحة أقبل، فجعل حركة التاء كحركة ما قبلها.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

قَالَ يَبْنِيْ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰى اِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوْا لَكَ كَيْدًا ۚ اِنَّ الشَّيْطٰنَ لِلْاِنْسٰنِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿٥﴾ وَكَذٰلِكَ يَجْنِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَحَادِيْثِ وَيُزَيِّنُ نِعْمَتَهٗ عَلَیْكَ وَعَلٰى اٰلِ يَعْقُوْبَ كَمَا اَتَمَّتْهَا عَلٰى اَبُوَيْكَ مِنْ قَبْلِ اِزْهٰقِهِمْ ۚ وَاسْمَعْ اِنْ رَبُّكَ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِيْ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايٰتٍ لِّلْاَسْلٰمِيْنَ ﴿٧﴾ اِذْ قَالُوْا لِيُّوسُفَ وَاَخُوْهُ اٰحِبُّ اِلٰى اٰبِنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ اِنَّ اٰبَانَا لَفِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٨﴾ اَقْتُلُوْا يُوسُفَ اَوْ اَطْرَحُوْهُ اَرْضًا يَجْعَلْ لَّكُمْ وِجْهًا اَيْكُمُ وَتَكُوْنُوْا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صٰلِحِيْنَ ﴿٩﴾ قَالَ قَايِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوْا يُوسُفَ وَالْقَوْهٗ فِيْ غِيْبَتِ الْاُجْبِ يَلْقَظُهٗ بَعْضُ السَّيَّارَةِ اِنْ كُنْتُمْ فَعٰلِيْنَ ﴿١٠﴾ قَالُوْا اَيُّاْنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلٰى يُوسُفَ وَاِنَّا لَنَنْصَحُوْنَ ﴿١١﴾ اَرْسَلْهُ مَعَاغِدًا يَّرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَاِنَّا لَنَحْفَظُوْنَ ﴿١٢﴾ قَالَ اِنِّيْ لَخَيْرُنِّىْ اَنْ تَذٰهَبُوْا بِهِ وَاَخَافُ اَنْ يَّاْكُلَهُ الدَّيْبُ وَاَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُوْنَ ﴿١٣﴾ قَالُوْا لَئِنْ اَكَلَهُ الدَّيْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ اِنَّا اِذَا لَخٰسِرُوْنَ ﴿١٤﴾

(٢٣٦)

٥- ﴿يَكِيدُوا لَكَ﴾: يحسدوك ويغوك الغوائل. ﴿عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾: مبین لعداوته مظهر. ٦- ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيْكَ﴾: يصطفيك ﴿اِنْ رَبُّكَ عَلِيْمٌ﴾: لمن هو اهل للاجتباء. ﴿حَكِيْمٌ﴾: في تدبير خلقه. ٧- ﴿ءَايٰتٍ لِّلْاَسْلٰمِيْنَ﴾: عبر، لمن سال عن قصتهم وعرفها. ٨- ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة، عشرة فصاعداً، ليس لها واحد من لفظها. ٩- ﴿اَوْ اَطْرَحُوْهُ اَرْضًا﴾: في ارض ﴿يَجْعَلْ لَّكُمْ وِجْهًا اَيْكُمُ﴾: من شغله بيوسف، فإنه قد شغله وصرف وجهه عنا إليه؛ فإذا فقد يوسف رجعت إليكم محبته. ﴿وَتَكُوْنُوْا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صٰلِحِيْنَ﴾: تتوبون مما صنعتهم. ١٠- ﴿وَالْقَوْهٗ فِيْ غِيْبَتِ الْاُجْبِ﴾: غور البئر، حيث يغيب خبره، وقرأ نافع: (غيايات). ﴿يَلْقَظُهٗ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: مارة الطريق والمسافرون ﴿اِنْ كُنْتُمْ فَعٰلِيْنَ﴾: ما أقول لكم. ١١- ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلٰى يُوسُفَ﴾: فتركه معنا إذا خرجنا إلى الصحراء ﴿وَاِنَّا لَنَنْصَحُوْنَ﴾: نحوطه ونحفظه. ١٢- ﴿يَّرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾: من الرثوع، وهي الإقامة في الخصب والمرعي في اكل وشرب. واللعب بالخیل والرمي ونحوه من اللعب المباح. ١٣- ﴿لَئِنْ اَكَلَهُ الدَّيْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة ﴿اِنَّا اِذَا لَخٰسِرُوْنَ﴾: عجزة هالكون. = القصص من أحد من العرب، إذ لم يكن عندهم منه نبأ، ولا رحل في تعرفه إلى أحد، فكان قصصاً وآية معلماً بصحة رسالته ﷺ، وعظيم تلك العناية، فالتعبير بالانزال هنا بين، وأمّا آية الزخرف فلم تبين على أخبار، بل أعقبت بأي الاعتبار والتلطف في التنبيه والتذكار قال تعالى: ﴿اَفَنْصَرِبُ عَنْكُمْ اَلَّذِيْ كَرَّ صَفْحًا اَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِيْنَ﴾ [الزخرف: ٥]، وهذا أعظم التلطف، وقال تعالى بعد: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيْزُ اَلْعَلِيْمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ثم مضت أكثر آي هذه السورة على نحو الاعتبار وما يناسبه. وقد ذكر سبويه، رحمه الله تعالى، في أقسام "جعل" كونها بمعنى صير ملحقا لها بظن وأخواتها، ومنه وقولهم: جعل الطين خزفاً، وذلك انتقال وتصيير، فالمراد بالآية جعل الكتاب معتبراً هدى ونوراً، والمنبهين به والمعتبرين بآياته المخاطبين به مخلوقين تقدمهم العدم، وإنما صح خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم، فصح بانتقال حالهم التصيير، وجل عن التغير والحدوث كلام الحكيم الخبير، فكرمه سبحانه قديم ليس بمخلوق فيبدي، ولا صفة لمخلوق فينفد، فقد وضع معنى الجعل هنا ومسوغه، وأنه لا يناسب هنا غير ذلك، ولا يناسب الآية الأخرى غير "أنزل"، فجاء كل على ما يجب.

= المناسب، فأنت ترى ابنه يوسف عليه السلام يرى الرؤيا فيبادر بقصها على أبيه ولا يتردد، وهذا يشير إلى طبيعة العلاقة الحميمة بينهما. [٥] ﴿قَالَ يَبْنِيْ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰى اِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوْا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]. يعقوب عليه السلام عرف تأويل الرؤيا ولم يبال بذلك، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيراً منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه. [٥] ﴿قَالَ يَبْنِيْ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰى اِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوْا لَكَ كَيْدًا اِنَّ الشَّيْطٰنَ لِلْاِنْسٰنِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾ [يوسف: ٥]. لما قص عليه ابنه الصغير رؤياه أولها الأب النبي - وحسبك بالنبوة شغلاً - ما تستحقه من الاهتمام، فلا هو أهملها كما يفعل الكثيرون، ولا هو بالغ في الاهتمام بها والتحذير من عواقبها، وكثير من الناس يظن أن رؤيا الأطفال لا أهمية لها، ولا يُعبأ بها، ولا يضع الوقت بالالتفات إليها، والواقع أنها قد تكون أصدق من رؤى الكبار، لأنهم مازالوا على الفطرة ولم يتعودوا الكذب وفي الحديث الصحيح: "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً". رواه مسلم. وهنا تلحظ أمرين: أن النهي جاء معللاً، وأن التعليل تعليل حكيم، مع أنه يخاطب غلاماً صغيراً فلم يكتف يعقوب عليه السلام بأسلوب الزجر العسكري الذي يسلكه كثير من الآباء، ولم يعلل له الزجر بتعليلات سمجة كما يفعله من يستخف ببعض الأبناء. [٦] ﴿وَكَذٰلِكَ يَجْنِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَحَادِيْثِ وَيُزَيِّنُ نِعْمَتَهٗ عَلَیْكَ وَعَلٰى اٰلِ يَعْقُوْبَ﴾ [يوسف: ٦]. إن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف ﴿وَكَذٰلِكَ يَجْنِيْكَ...﴾ ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف. [١٣] ﴿قَالَ اِنِّيْ لَخَيْرُنِّىْ اَنْ تَذٰهَبُوْا بِهِ وَاَخَافُ اَنْ يَّاْكُلَهُ الدَّيْبُ﴾ [يوسف: ١٣]. إن الإنسان إذا ظن سوءاً بإنسان، فلا يصلح أن يلقنه حجة؛ لأنه يستخدمها عليه، وذلك ما فعله يعقوب لما قال ﴿وَاخَافُ اَنْ يَّاْكُلَهُ الدَّيْبُ﴾ لئن أبناءه حجة استعملوها بعد ذلك. [١٦] ﴿وَجَاءُوْا اَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُوْنَ﴾ [يوسف: ١٦]. قال علماؤنا: هذه الآية تدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدُّهُ ءَايٰتِنَا حُكْمًا وَعَلَّمَا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ﴾ [يوسف: ٢٢]. في هذه الآية دليل على أن الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى العباد سبب ينال به العلم، وتنال به خيرات الدنيا = [٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِيْ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايٰتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿ءَايٰتٍ﴾ قرئ: (آية) بالافراد على إرادة الجنس، أو على أن شأن يوسف كله آية على جملة، وإن كان في التفصيل آيات، كما قال: ﴿وَحَمَلْنَا بَيْنَ مَرْيَمَ وَآمَنَةَ ءَايَةً﴾. وقرئ: (آيات) بالجمع تصريحاً للمراد، وذلك لتعدد الحوادث واختلاف الأحوال، ففي كل حال جرت آية فجمع لذلك. [١٠] ﴿وَالْقَوْهٗ فِيْ غِيْبَتِ الْاُجْبِ﴾ قوله تعالى: ﴿غِيْبَتِ﴾ قرئ: (غيايات) بالجمع في موضعي ذكرها، كأن لتلك الجب غيايات، وهي أي: الغياية قعره أو حفرة في جانبه. وقرئ: (غياية) بالافراد لأنه لم يُلَقَّ إلا في واحدة منها؛ لأن الإنسان لا تحويه أمكنة متعددة وإنما يحويه مكان واحد، والجب البئر التي لم تطو. [١١] ﴿قَالُوْا اَيُّاْنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْمَنَّا﴾ قرئ: بالإدغام المحض بلا إشمام ولا روم فينطق بنون مفتوحة مشددة. وقرئ: بالإدغام مع الإشارة إلى وجه الإشمام، أو الإشارة إلى أن حركة النون ضمة، ووجه الاختلاس التخفيف، وقيل: للإشارة كالإشمام. [١٢] ﴿اَرْسَلْهُ مَعَاغِدًا يَّرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَّرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ قرئ: (يرتع ويلعب) بالياء من تحت فيها إسناداً إلى يوسف، وكسر عين يرتع من غير ياء جزماً بحذف حرف العلة من ارتعى: افتعل، والفعالان مجزومان على جواب الشرط المقدر. وقرئ: (يرتع ويلعب) بالياء كذلك فيها لكن مع سكون العين. وقرئ: (نرتع ونلعب) بالنون فيهما وسكون العين مضارع "رتع" انبسط في الخصب، فيكون صحيح الآخر جزمه بالسكون. وقرئ: (نرتع ونلعب) بالنون فيهما وكسر العين من غير ياء. وقرئ: (نرتعي ونلعب) كذلك إلا أنه أثبت الياء وصللاً ووفقاً على لغة من يثبت حرف العلة في الجزم، ويقدر حذف الحركة المقدرة على حرف العلة، وأصله من يرتعي، فوزنه يفتعل.

= إجماًلاً: عَرَضَ العجائب الَّتِي تتضمنها: من حديث يوسف ويعقوب، والوقائع التي في هذه القصة: من تعبير الرؤيا، وحسد الإخوة، وحيلهم في التفريق بينه وبين أبيه، وتفصيل الصبر الجميل من جهة يعقوب، وبشارة مالك بن دعر بوجدان يوسف، وبيع الإخوة أخاهم بثمان بخس، وعرضه على البيع والشراء، بسوق =

١٥- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: يعني يوسف عليه السلام، قيل: بإلهام أو بنوم. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾: لتخبرنهم.
 ١٧- ﴿تَسْتَقِي﴾: من السباق ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: بمصدق ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: أي من أهل الصدق والدين، لسوء ظنك بنا وثمعتك لنا. ١٨- ﴿يَدْمُ كَذِبٍ﴾: بدم غير دم يوسف. وقيل: ذبحوا جدياً من الغنم، ولطخوا به القميص ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾: زينت وحسنت لكم أنفسكم ﴿أَمْرًا﴾: في يوسف ففعلتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: في غير جزع ولا شكوى. ١٩- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مارة الطريق، جمع: سيار ﴿فَارْتَسَلُوا وَإِرْدَهُمْ﴾: أي الرجل الذي يرد المنهل، ليستقي للقوم ﴿فَأَذَلُّ دَلْوُهُ﴾: أرسلها في البئر ﴿قَالَ يَبْشُرِي﴾: هو من البشارة، وأراد حضورها في هذا الوقت، وقرئ: (يا بُشراي) ﴿وَأَسْرُوهُ﴾: قيل: صاحب الدلو ومن معه من أصحابه، أخفوا وجدانهم له في الحب، خيفة منهم أن يستشركهم السيارة فيه، وقالوا لهم: هو ﴿يَضَعُهُ﴾: أبضعها معنا أهل الماء. أو أهل المصر؛
 ٢٠- ﴿وَشَرُّوهُ﴾: باعوه. قيل: هم السيارة تبايعوا يوسف ﴿بِشَمْسٍ بَخِيسٍ﴾: قليل. وقيل: حرام، لأنه كان حراماً عليهم، لا يحل لهم أكل ثمنه ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: قيل: هم السيارة كانوا فيه زاهدين، لا يعلمون كرامته على الله. ٢١- ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾: منزلته وموضع مقامه. ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: أن يكفيننا بعض ما نعاني من أمور دهرنا إذا فهم. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾: بما أنقذناه من إخوته وقد هموا بقتله، وبأن أخرجه - سبحانه - من الحب، وصيره إلى الكرامة والسعة عند العزيز بمصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: عبارة الرؤيا، أي تفسير ما تؤول إليه الأحلام، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: مستول على أمر يوسف، يسوسه ويدبره ويحوطه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما الله صانع بيوسف، وما يؤول إليه أمره. ٢٢- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: متناه في وقته وشبابه: ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: حكمة وتمكيناً في الأرض ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: المهتدين.

[١٨] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، تكررت في موضعين، الموضوع الأول حين نعي إليه يوسف، والثاني حين رفع إليه ما جرى على بنيامين. [٢٢] ﴿وَلَمَّا﴾ [يوسف: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩،

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبِّيَّ ﴿٢٤﴾ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ
أَهْلِهَا أَنَّ كَانَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَتْ إِنَّهُ
مِنْ كَيْدِكُنِ إِنَّ كَيْدَكُنِ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٠﴾
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣١﴾



٢٣- ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: هلم لك، تعال. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: اعتصم بالله ﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: قال: إن صاحبك وزوجك سيدي، أحسن مَثْوَايَ وأكرماني، واثممني على أهله وماله فلا أخونه. ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: هذا الذي تدعوني إليه ظلم ولا يفلح من عمل به. ٢٤- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾: امرأة العزيز ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبِّيَّ﴾: يقال: هم بالأمر: إذا حدثه نفسه به. والمعنى: هم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه، وهو تذكره عهد الله وميثاقه وما أخذه على عباده. وقيل غير ذلك. ٢٥- ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: يوسف هارباً، وامرأة العزيز طالبة ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾: تعلقت بقميصه من خلفه فجذبه لتمسكه فشقت قميصه من خلف ﴿وَأَلْفَيَا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها ﴿لَدَا الْبَابِ﴾: جالساً عند الباب، أو مقبلاً يريد أن يدخل، وابن عمها معه، فلما رآته هابته، فـ ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾. ٢٦- ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَنَّ كَانَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: رجل ذو رأي حكيم من أهلها. وقيل: صبي أنطقه عز وجل ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾: فإنه كان مقيلاً إليها. ٢٧- ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾: فإنه كان مولياً عنها. ٢٨- ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنِ﴾: من صنعك، يعني: من صنع النساء. ٢٩- ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: لا تذكر ما كان منها إليك لأحد ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: يعني: ما كان منك؛ يخاطب زوجته! ٣٠- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾: إذ شاع الأمر وتحدث بذلك. ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: قد دخل حبه شغاف قلبها، فغلب عليه. وشغاف القلب: وسطه، أو حجابها الذي هو فيه، ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: خطأ من الفعل مبين. = التأويل، أمّا موسى عليه السلام فلم يعلم المراد منه، ولا بُدَّ عليه قبل بلوغ الأربعين، فناسه "واستوى" ولا سيما على قول الأكثرين إن الاستواء بلوغ الأربعين، لأنها كمال العقل. ٢٣ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٩]. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾، تكررت

في موضعين، الموضع الأول حين دعت به إلى الواقعة، والثاني حين دُعي إلى تغيير حكم السرقة. = أمره، ثم باعوه ليكون مملوكاً، فغلب أمره حتى ملك، وأرادوا أن يعطفوا أباهم فأباهم، ثم أرادوا أن يغروا يعقوب بالبكاء والدم الذي ألغوه على القميص فلم يخف عليه، ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قومًا صالحين، ففسدوا ذنبهم إلى أن أقروا به بعد سنين، فقالوا: (إنا كنا خاطئين)، ثم أرادوا أن يمحووا محبته من قلب أبيه، فازدادت، ثم أرادت امرأة العزيز أن تلقي عليه التهمة بقولها: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً)، فغلب أمره، حتى شهد شاهد من أهلها، وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقى، فنسي الساقى حتى لبث في السجن بضعة سنين. ٢٣ ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]. مع أن هذا المقطع يتعلق بقصة حب أعمى وشهوة جامحة إلا أنك تجد العفة أثناء التصوير الدقيق، والأسلوب البديع الذي لم يحترق بتأجج النزوات وإثارة الشهوات من أجل الحكمة والإثارة الأدبية. فما بال أقوام ينتسبون إلى الأدب لا يجدون سبيلاً لإظهار البراعة إلا بقلة الأدب. فنجد أحدهم يفحش كل الفحش ثم يقال: ما أحذقه! فيا لفسفه من فرح من الأدباء بقول الناس له: هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أحذق!! ٢٣ ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: ٢٣]. لماذا وحَّد الباب في الموضع الثاني، وجمعه قبل في الموضع الأول؟ **الجواب:** إغلاق الباب للاحتياط لا يتم إلا بإغلاق الجميع، وأمّا هروبه منها فلا يكون إلا إلى باب واحد، حتى لو تعددت أمامه لم يقصد منها أولاً إلا الأول، فلهذا وحَّد الباب في الموضع الثاني، وجمعه في الموضع الأول. ٢٤ ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. محبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصاً وأشد توحيداً كان أبعد من عشق الصور، ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها، ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه. ٢٤ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. كلمة "المخلصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أمّا "المخلصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. ٢٤ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبِّيَّ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية ما نصه: وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته - يعني قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٨٢ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣].

٢٥ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]. تأمل: المتبادر للذهن أن يكون الخطاب وألفيا سيدهما؛ لأن يوسف مملوك لدى العزيز فلماذا نسبت السيادة للمرأة فقط؟ **الجواب:** لأن يوسف عليه السلام مسلم والعزيز كافر، ولا تكون أبداً السيادة للكافر على المسلم. قول آخر: وإنما لم يقل سيدهما؛ لأن ملكه ليوسف لم يكن صحيحاً فلم يكن سيِّداً له لأن استرقاق يوسف غير شرعي، وهذا كلام ربه العليم بأمره لا كلام من استرقه. ٣٠ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠]. لماذا قلن امرأة العزيز ولم يصرحوا باسمها؟ **الجواب:** أضفنها إلى زوجها؛ إرادة لإشاعة الخبر، فإن النفس إلى سماع أخبار أولي الأخطار والمكانة أميل. ٢٣ ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿هَيْتَ﴾ قرئ: (هَيْتَ - هَيْتَ) بكسر الهاء وفتحها وياء ساكنة وتاء مفتوحة، وفتح الهاء وكسرها لغتان، ومن فتح التاء بناها على نحو: كيف. وقرئ عن هشام كذلك إلا أنه بالهمز، ومعناها: تهبأ لي أمرك أو حسنت هيئتك، ولك: متعلق بمحذوف على سبيل البدل كأنها قالت: القول لك. وقرئ: (هَيْتُ) بفتح الهاء وياء ساكنة وضم التاء تشبيهاً لها بحيث. والجمهور على أنها عربية اسم فعل، كلمة حث وإقبال بمعنى: هلم، وكلها لغات في اسم الفعل، وقيل: المهموز فعل من هاء يهبيء كجاء يجيء، والباقي اسم فعل. ٢٤ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿المخلصين﴾ حيث جاء بأل وفي (مخلصاً) = يوسف للساقى بأن يذكره عند ربه، وحديث رؤيا مالك بن الرِّيان، وعجز العابرين عن عبارتها، وتذكر الساقى يوسف، وتعبيره لرؤياه في السجن، وطلب مالك يوسف، وإخراجه من السجن، وتسليم مقاليد الخزان إلى يده، ومقدم إخوته لطلب الميرة، وعهد يعقوب مع أولاده، ووصيتهم في كيفية الدخول إلى مصر، وقاعدة =

٣١- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: يعني: بقولهن، وسمي مكرراً لأنهن توسلن به إلى رؤية يوسف! ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: أعدت ﴿مُتَّكِّئًا﴾: مجلساً للطعام ﴿وَأَتَتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: وروي أنها أطعمتهن الأترج ﴿وَقَالَتْ﴾: له، ﴿أَخْرِجْ عَلَيَّ﴾: ﴿أَكْبَرُهُ﴾: أعظمه وأجللته ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي جرحنها، وهن لا يشعرن. وقال بعض علماء اللغة: يقال: قطع يد صاحبه: إذا خدشها. وقيل: المراد بأيديهن: أكمامهن! ﴿حَسَّ لِلَّهِ﴾: معاذ الله ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾: من الملائكة. ٣٢- ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: وقد أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن من ذهاب العقل والفكر ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: أقرت عندهن ﴿فَاسْتَعَصِمَ﴾: امتنع ولم يطاوعني ﴿وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: من الأذلين. ٣٣- ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي﴾: من الزنا ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل، من: صبا يصبو: إذا مال واشتاق. ٣٥- ﴿ثُمَّ بَدَّلَهُمُ﴾: العزيز زوج المرأة، ومن رأى رايه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾: في القميص، وشهادة الشاهد، وقطع أيدي النساء ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّىٰ جِئَ﴾: سبع سنين، وقال أكثر المفسرين: إلى مدة غير معلومة. ٣٦- ﴿نَيْفَتَا﴾: أخبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: بتأويل رؤيانا ﴿إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إلى أهل السجن، فقد كان إذا مرض في السجن إنسان قام عليه، وإذا احتاج جمع له. وقيل: من المحسنين: من الذين يحسنون عبارة الرؤيا. ٣٧- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَاهُ﴾: في النوم ﴿لَا نَبَأُ كَمَا بَأْسَ وَيَلِهُ﴾: في اليقظة.

٣١ ﴿وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿قُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٥١]. ﴿وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول في حضرة يوسف عليه السلام حين نفين عنه البشرية، أي: النسوة، بزعمهن، والثاني بظهر الغيب حين نفين عنه السوء. ٣٤ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴿[يوسف: ٣٤]﴾: قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم ﴿[يوسف: ٨٣]﴾: عندما كان الدعاء من يوسف عليه السلام استجاب له ربه فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ولما كان الشك من يعقوب عليه السلام في أولاده بأن سولت لهم أنفسهم الكيد لأخيهم والله أعلم بما مكروا، ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

٣٦ ﴿نَيْفَتَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: ﴿إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]، ﴿قَالُوا يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَّكَانَهُ﴾: ﴿إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]. ﴿إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول من كلام صاحبي السجن ليوسف، والثاني من كلام إخوته له.

٣٠ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠]، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤]. لماذا ذكر الفعل في سورة يوسف وأنته في الحجرات؟ **الجواب:** القاعدة النحوية أنه يجوز تذكير جمع التكسير وتأنيثه، ويؤث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يذكّر الفعل، لذا استخدم الفعل "وقال" مذكراً في "نسوة" وهن حاشية امرأة العزيز، وفي الحجرات استخدم الفعل "قالت" مؤنثاً، لأن "الأعراب" كثر، وعلى هذا فإن تذكير الفعل يستعمل مع جمع التكسير ليفيد القلة كما جاء في الآية في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾، لأن النسوة كانوا قلة، وهذا بخلاف تأنيث الفعل، فإنه يفيد الكثرة كما قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾، لأن الأعراب كثرة وفيهم قبائل متعددة، فتاء التأنيث في الفعل تفيد التكثير، والله أعلم. ٣١ ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ﴾ [يوسف: ٣١]. إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم ﴿أَخْرِجْ عَلَيَّ﴾، استغرقت إحساس الناظرين ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، وماشعرن، فكيف بالحال يوم المزيدي؟! لو أحببت المعبود لحضر قلبك في عبادته. ٣٢ ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيْسَ جُنَّتْ وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. ما الفرق بين ﴿لَيْسَ جُنَّتْ﴾ بتشديد النون، و﴿وَلْيَكُونَنَّ﴾ بتخفيف النون. **الجواب:** المعروف في اللغة أن نون التوكيد الثقيلة أكد من الخفيفة، لأن تكرار النون بمثابة تكرار التوكيد، فالنون الثقيلة هي عبارة عن نونين، ففي الفعل ﴿لَيْسَ جُنَّتْ﴾ ثلاث نونات، نون الفعل الأصلية المبنية على الفتح، ونون التوكيد الثقيلة وهي نونان، فتكرار النون بمثابة تكرار التوكيد، وسبب الاختيار أن امرأة العزيز أكدت على دخوله السجن فجاءت بالنون الثقيلة فسُجن، بينما هي لم ترده من الصاغرين وإنما تريد سجنه، فلم تقل ليكونن من الصاغرين، لأنها لن تقدر على ذلك، وإنما تقدر على سجنه، كما أنها لن تكون حقيقة مستقبلة، وإنما سيصير عزيز مصر، ولن يكون من الصاغرين.

= "بمريم" قرئ: (المخلصين) بفتح اللام منهما اسم مفعول، ومعناه: الذين أخلصهم الله لعبادته وكرامته. وقرئ: (المخلصين) بالكسر اسم فاعل، ومعناه: الذين أخلصوا أنفسهم ودينهم لله. ٣١ ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿حَسَّ لِلَّهِ﴾ قرئ: (حاشا لله) بألف بعد الشين وصلّاً فقط على أصل الكلمة. وقرئ: (حاش لله) بالحذف: حرف جر يفيد معنى البراءة؛ وبهذا المعنى استعمل في الاستثناء ثم وضع موضع البراءة فاستعمل كاستعمال المصادر، فلما نزل منزلة الأسماء تصرفوا فيه بحذف ألفه الأولى أو الثانية.

٣٠ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ آمَرَاتُ الْعَزِيزِ يُرْوَدْنَ فَهَكَذَا نَفْسُهُ﴾: **إعجاز تاريخي:** عندما يذكر القرآن حكام مصر القدامى لا يذكرهم إلا بقلب (فرعون) وذلك في حوالي ستين آية كريمة إلا في سورة واحدة ذكر فيها حاكم مصر بقلب (ملك) وهي سورة يوسف، ولم يذكر فيها لقب (فرعون) مع أن يوسف عليه السلام عاش في مصر، وذكر في ثلاث آيات في سورة يوسف هي الآيات رقم: (٣٠، ٥٠، ٥٤) أن حاكم مصر كان لقبه (ملكاً) - حينها في زمن يوسف عليه السلام - وليس (فرعون). فكيف هذا؟! بقيت هذه الآيات الثلاث إعجازاً قرآنياً، حتى فكّ (شاميليون) حجر رشيد، وتعرف على الكتابة الهيروغليفية في أواخر القرن التاسع عشر، فتعرف العالم على تاريخ مصر في مطلع القرن الحالي بشكل دقيق، فظهرت المعجزة: إن حياة يوسف عليه السلام في مصر كانت أيام الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة وظلوا في مصر من عام ١٥٨٠ قبل الميلاد إلى عام ١٧٣٠ قبل الميلاد، حتى أخرجهم أحسن الأول، وشكّل الدولة الحديثة (الإمبراطورية) لذلك كان القرآن العظيم دقيقاً جداً في كلماته فلم يقل: قال (فرعون) اتنوني به، ولكن قال: وقال (الملك) لأن يوسف - عليه السلام - عاش في أيام الملوك الرعاة حيث تربع على عروش مصر ملوك بدل الفراعنة الذين انحسر حكمهم إلى الصعيد، وجعلوا عاصمتهم طيبة، أليس هذا معجزة قرآنية تاريخية تشهد بدقته وصحته، وتشهد بالتالي بنبو محمد ﷺ؟! = تعريف يوسف نفسه لبنيامين، وقضائه حاجة الإخوة، وتغيبه الصّاع في أحلامهم، وتوقيف بنيامين بعلّة السرقة، واستدعائهم منه توقيف غيره من الإخوة مكانه، وردّه الإخوة إلى أبيهم، وشكوى يعقوب من جور المهجران، وألم الفراق، وإرسال يعقوب إليهم في طلب يوسف وأخيه، وتضرّع الإخوة بين يدي يوسف،

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصِمَ وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيْسَ جُنَّتْ وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ٣٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤١ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٤٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥١ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٥٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦١ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٦٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧١ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٧٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨١ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٨٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩١ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٢ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٣ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٤ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٥ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٦ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٧ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٨ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٩٩ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ١٠٠ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ

٢٣٩

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِيِ إِتْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَاءُ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَاءُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُ لِلرَّءْيِ بِصِيرًا ﴿٤٣﴾

٢٤٠

٣٨- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾: سَمَّاهُمْ آبَاءَ جَمِيعًا، لَأَنَّ الْأَجْدَادَ آبَاءَ، وَقَدْ جَاءَ الْأَعْلَى، ثُمَّ الْجَدُّ الْأَقْرَبُ ثُمَّ الْأَبَ. ٣٩- ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَاءُ﴾: يَعْنِي: يَا مَنْ هُمَا فِي السَّجَنِ ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾: يَقُولُ: أَعْبَادَةُ أَرْبَابٍ شَتَّى مُتَفَرِّقِينَ لَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَضُرُّونَ. ٤٠- ﴿تَعْبُدُونَ﴾: خُطَابُ جَمْعٍ، لِأَنَّهُ قَصْدُ بِهِ صَاحِبِي السَّجَنِ وَمَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: مِنْ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: الْمُسْتَقِيمُ الثَّابِتُ. ٤١- ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: سَيِّدُهُ ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: فُرِغَ مِنْهُ، وَوَجِبَ حُكْمُ اللَّهِ بِهِ. ٤٢- ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: عِنْدَ الْمَلِكِ ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: قِيلَ: لَمَّا قَالَ لِلسَّاقِي ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: قِيلَ: يَا يَوْسُفَ اخْتَذَتْ مِنْ دُونِي وَكِيلًا لِأُطِيلَنَّ سَجْنَكَ ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾: وَ"الْبِضْعُ": مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ. ٤٣- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: مَلِكُ مِصْرَ ﴿إِنِّي أَرَى﴾: فِي الْمَنَامِ ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾: الْجَمَاعَةُ. ﴿أَفْتُونِي فِي رَأْيِي﴾: أَيُّ: أَخْبِرُونِي بِحُكْمِ هَذِهِ الرُّؤْيَا، ﴿تَعْبُرُونَ﴾: تَفْسِّرُونَ. [٣٩، ٤١] ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَاءُ أَرْبَابٌ﴾ [يُوسُفَ: ٣٩]، ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَاءُ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [يُوسُفَ: ٤١]. ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَاءُ﴾ تَكَرَّرَتْ فِي مَوَاضِعٍ، الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ ذَكَرَهُ يَوْسُفَ حِينَ عَدَلَ عَنْ جَوَابِهِمَا إِلَى دَعَائِهِمَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَالثَّانِي حِينَ دَعَاوَاهُ إِلَى تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُمَا تَنْبِيْهُمَا عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ قَدْ تَمَّ. [٤٠] ﴿أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: ٧١]، ﴿أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يُوسُفَ: ٤٠]. "أَفْعَلُ" لِلتَّعْدِي، وَ"فَعَّلُ" لِلتَّعْدِي وَالتَّكْثِيرِ، فَذَكَرَ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ بِلَفْظِ الْمُبَالَغَةِ لِيَجْرِيَ مَجْرَى ذِكْرِ الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ وَذَكَرَ الْجِنْسَ وَالنَّوْعَ، فَيَكُونُ الْأَوَّلُ كَالْجِنْسِ وَمَا سِوَاهُ كَالنَّوْعِ. قَوْلُ آخَرٍ: "نَزَلَ" تَفِيدُ التَّدْرِجَ وَالتَّكَرُّارَ، وَ"أَنْزَلَ" عَامَةٌ، لَكِنْ الَّذِي يَبْدُو أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ "نَزَلَ" وَ"أَنْزَلَ" أَنَّ "نَزَلَ" تَفِيدُ الْإِهْتِمَامَ، نَظِيرَ وَصَى وَأَوْصَى، وَكَرَّمَ وَأَكْرَمَ، فَفِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي فِيهَا تَوْكِيدٌ وَاهْتِمَامٌ بِالسِّيَاقِ يَأْتِي بِ"نَزَلَ"، وَالَّتِي دُونَهَا يَأْتِي بِ"أَنْزَلَ"، فَفِي آيَةِ سُورَةِ يَوْسُفَ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ السَّجْنَانِ وَلَيْسَ

فِيهَا تَهْدِيدٌ، فَقَالَ: "أَنْزَلَ"، أَمَّا الْمَوْقِفُ فِي آيَةِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ فَفِيهِ مُحَاوَرَةٌ شَدِيدَةٌ وَتَهْدِيدٌ، وَكَلَامٌ شَدِيدٌ مِنْ أَوْلَيْكَ، كَيْفَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرِكَ آلِهَتِنَا وَنَعْبُدَ اللَّهَ فَقَالَ: "نَزَلَ"، إِذَا "نَزَلَ" أَكَّدَ وَأَقْوَى فِي مَوَاطِنِ الْإِهْتِمَامِ وَأَشَدَّ مِنْ أَنْزَلَ. [٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يُوسُفَ: ٤٢]. مَا دَلَالَةُ كَلِمَةِ "ظَنَّ"؟ **الجواب:** "الظَّنُّ" فِي الْآيَةِ هُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعِلْمِ، وَهُوَ الشُّعُورُ فِي الذَّهْنِ الَّذِي يَصِلُ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعِلْمِ؛ وَهَذَا هُوَ الظَّنُّ الَّذِي يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ التَّوَكُّدِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ كُفُّوا عَنْهُمُ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابٌ يُخَالِفُ مَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. [٤٢] ﴿وَأَمَّا يُبْسِتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٤٢]، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ (ذَكَرَى، ذَكَرَ، تَذَكَّرَ)؟ **الجواب:** وَرَدَتْ كَلِمَةُ (ذَكَرَى) إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَرَّةً وَكَلِمَةُ (ذَكَرَ) ثَلَاثًا وَسِتِينَ مَرَّةً وَكَلِمَةُ (تَذَكَّرَ) تِسْعَ مَرَّاتٍ. كَلِمَةُ (ذَكَرَى) لَهَا مَعْنَانِ: أ- التَّذَكُّرُ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ اللَّهُ فَيُهْدِئُهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وَكَلِمَةُ (ذَكَرَ) لَهَا أَرْبَعُ مَعَانٍ: أ- ذَكَرَ اسْمَ يَوْسُفَ أَمَامَ عَزِيزِ مِصْرَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٤٢]. ب- الشُّهُرَةُ وَالصِّيتُ وَالْمَكَانَةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. ج- كِتَابُ مَنْزِلِ قَبْلِ الزُّبُورِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَاتِ الْأَرْضُ يَرُدُّهَا عِبَادِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَى الذِّكْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَكْتُابُ مَنْزِلٍ هُوَ أَمُّ الْإِنْجِيلِ أَمُّ التَّوْرَةِ، أَمُّ الْعِلْمِ. د- الْقُرْآنُ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وَكَلِمَةُ (تَذَكَّرَ) لَهَا مَعْنَانِ: أ- التَّذَكُّرُ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ب- الْقُرْآنُ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]. وَالْفَرْقُ بَيْنَ (تَذَكَّرَ) وَ(ذَكَرَى): أَنَّ الْأَوَّلَى مُصَدَّرٌ، وَالثَّانِيَةُ اسْمُ مُصَدَّرٍ، وَلَا يَسُدُّ اسْمُ الْمُصَدَّرِ فِي الِاسْتِعْمَالِ الدَّقِيقِ مَكَانَ الْمُصَدَّرِ. كَمَا أَنَّ كِلَا مَنُهَا جَاءَتْ مُتَسَقَةً مَعَ السِّيَاقِ الْوَارِدَةِ فِيهِ، وَمُنْسَجَمَةٌ مُوسِيقِيًّا. كَلِمَةُ (تَذَكَّرَ) جَاءَتْ مِنْ فِعْلِ مُتَعَدٍّ لِمَفْعُولَيْنِ: ذَكَرَ يُذَكِّرُ تَذَكَّرَ. أَمَّا كَلِمَةُ (ذَكَرَ) فَقَدْ جَاءَتْ مِنْ فِعْلِ مُتَعَدٍّ لِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ. [٤٣] ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ [يُوسُفَ: ٤٣]. مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ أَكْثَرُ مِنْ جَمْعٍ، فَتَجْمَعُ مَرَّةً جَمْعَ مُذَكَّرٍ وَمَرَّةً أُخْرَى جَمْعَ تَكْسِيرٍ، وَقَدْ تَجْمَعُ الْكَلِمَةُ جَمْعَ مُؤَنَّثٍ سَالِمًا تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى جَمْعَ تَكْسِيرٍ، نَحْوُ كَلِمَةِ ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ الَّتِي تَجْمَعُ عَلَى سُنْبُلَاتٍ وَسَنَابِلٍ، وَيَقُولُ النَّحَاةُ إِنْ الْجَمْعُ السَّالِمُ بِنَوْعِهِ "مُذَكَّرٌ - مُؤَنَّثٌ" يَفِيدُ الْقَلَّةَ "أَيُّ: مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ" وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ يَفِيدُ الْكَثْرَةَ "أَيُّ: فَوْقَ الْعَشْرَةِ" وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ كَلِمَةَ ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ جُمِعَتْ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ ﴿سَنَابِلٍ﴾ جَمْعَ تَكْسِيرٍ الَّذِي يَفِيدُ الْكَثْرَةَ، وَفِي آيَةِ يَوْسُفَ ﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ جَمْعُ مُؤَنَّثٍ الَّذِي يَفِيدُ الْقَلَّةَ. وَبَيَّانُ ذَلِكَ أَنَّ آيَةَ الْبَقَرَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِهِ وَمَا يَضَاعِفُهُ لَهُ مِنْ أَجْرِ حَتَّى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ، فَبِنَاءُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى التَّكْثِيرِ، لِذَا جَاءَتْ كَلِمَةُ ﴿سَنَابِلٍ﴾ عَلَى جَمْعِ الْكَثْرَةِ، أَمَّا الْآيَةُ فِي سُورَةِ يَوْسُفَ فَإِنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى إِخْبَارِ الْمَلِكِ عَنْ رُؤْيَاهُ ﴿سَبْعَ سُنبُلَاتٍ﴾ وَهُوَ الْعَدَدُ الَّذِي رَأَاهُ فَعَلًّا بِدُونِ كَثْرَةٍ وَلَا قَلَّةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٤١] ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِي:** ١- ذَكَرَتْ (الْأَصْنَامُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٢- ذَكَرَتْ (الْخَمْرُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٣- ذَكَرَتْ كَلِمَةُ (الْخَنْزِيرُ) بِمَشْتَقَاتِهَا فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٤- ذَكَرَتْ (الْبَغْضَاءُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٥- ذَكَرَ (الْحَصْبُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٦- ذَكَرَ (التَّنْكِيلُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٧- ذَكَرَ (الْحَسَدُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٨- ذَكَرَ (الرَّعْبُ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ، ٩- ذَكَرَتْ مُشْتَقَاتُ كَلِمَةِ (الْخِيَةِ) فِي الْقُرْآنِ (٥) مَرَّاتٍ. وَبِذَلِكَ يَتَسَاوَى عَدَدُ ذِكْرِ كُلِّ مِنْ (الْأَصْنَامِ) وَ(الْخَمْرِ) وَ(الْخَنْزِيرِ) وَ(الْبَغْضَاءِ) وَ(الْحَصْبِ) وَ(التَّنْكِيلِ) وَ(الْحَسَدِ) وَ(الرَّعْبِ) وَ(الْخِيَةِ) بِمَشْتَقَاتِهَا، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (٥) مَرَّاتٍ فِي الْقُرْآنِ. = وإِظْهَارُ يَوْسُفَ لَهُمْ مَا فَعَلُوهُ مَعَهُ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَعَفْوُهُ عَنْهُمْ، وَإِرْسَالُهُ بِقَمِيصِهِ صَحْبَتَهُمْ إِلَى يَعْقُوبَ، وَتَوَجُّهُ يَعْقُوبَ مِنْ كَنْعَانَ إِلَى مِصْرَ، وَحَوَالَةِ يَوْسُفَ ذَنْبِ إِخْوَتِهِ عَلَى مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ، وَشُكْرُهُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا حَوَّلَهُ مِنَ الْمُلْكِ، وَدُعَاؤُهُ وَسُؤَالُهُ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، وَجَمِيلَ الْعَاقِبَةِ، وَطَلَبَ السَّعَادَةِ، وَالشَّهَادَةِ، وَتَعْيِيرَ الْكَفَّارِ =

٤٤- ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ﴾: أضغات: رؤيا، و«الضُّغْتُ» أصله: الحزمة من الحشيش. ٤٥- ﴿وَأَذْكُرُ﴾: تذكر ما كان من أمر يوسف عليه السلام ﴿بَعْدَ أَمَةٍ﴾: حين. ٤٧- ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾: كعادتكم وما كنتم تزرعون، و«الداب»: العادة؛ وقيل: سبع سنين متوالية متتابعة، ﴿فَذَرَوْهُ فِي سَبِيلِهِ﴾: أشار عليهم بما بقي به طعامهم. ٤٨- ﴿سَبْعَ شِدَادٍ﴾: سنون فيها قحوط ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: بمعنى: يؤكل فيهن ما تقدمتم في إعدادهن في سني الخصب. ﴿مِمَّا تَخْتِصُونَ﴾: مما تحرزونه. وقيل: تدخرون. ٤٩- ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: قيل: العنب والزيت والسمسم. وقيل: «يعصرون»: ينجون من الجذب والقحط، مأخوذ من العصرة والعصر، وهما: المنجاة. ٥٠- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ﴾: إلى آخر الآية. أراد ﴿إِذَا عَزَا ذُو الْحَبْلِ﴾: عني: سيده العزيز زوج المرأة. ٥١- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ؟﴾: ما شأنك؟ ﴿إِذَا رَأَوْهُ تَوَّضَعُوا لِحَدِّهِ﴾: نسب المراودة لمن لوقعها منهن في الجملة، كما كان من امرأة العزيز. ولم يفرد لها بنسبة ذلك إليها. ﴿قُلْتُ حَشَشَ اللَّهُ﴾: معاذ الله. ﴿حَصَصَ الْحَقُّ﴾: تين وظهر، وذهب الباطل. ٥٢- ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: قيل: هو من كلام يوسف عليه السلام: ليعلم العزيز أنني لم أخنه، ولم أخالفه، في أهله بظهر الغيب. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز وكلامها متصل، أي: قولي هذا وإقاراري ليعلم يوسف أنني لم أخنه في غيبته بأن أكذب عليه، أو أرميه بذنب هو منه بريء، وهذا التفسير أرجح. ﴿لَا يَهْدِي﴾: لا يسدد ﴿كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: صنعهم.

[٥١] ﴿وَقُلْتُ حَشَشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿قُلْتُ حَشَشَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]. ﴿وَقُلْتُ حَشَشَ اللَّهُ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول في حضرة يوسف عليه السلام حين نقّين عنه البشرية، أي: النسوة، بزعمهن، والثاني بظهر الغيب حين نقّين عنه السوء. [٤٦] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ ...﴾ [يوسف: ٤٦]. ينبغي

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ أَنَا أَنْتُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سَبِيلِهِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَاعٍ لِيَّامِنَ فَسَيَكُنْ إِلَى رَبِّهِمْ أَعْلَمُ فَذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْتَصُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْتَصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَعَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَعَ عَيْنَيْهِمْ إِنْ رَبِّي يَكِيدُ هُنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَأَوْهُ تَوَّضَعُوا لِحَدِّهِ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَشَشَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

(٢٤١)

ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه، وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلان مستفتيان عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره، بل أجابه عن سؤاله جواباً تاماً من كل وجه. [٤٦] ﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]. كرر ﴿لَعَلِّي﴾ مراعاة لفواصل الآي، ولو جاء على مقتضى الكلام لقال لعلّي أرجع إلى الناس فيعلموا، بحذف النون على الجواب، ومثله في هذه السورة قوله: ﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بَصَنَّتُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، أي: لعلهم يعرفونها فيرجعوا. [٤٩] ﴿وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]، ﴿قَوْمِهِ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: ١٤]. ما الفرق بين كلمة "سنة" و"عام" و"حول". الجواب: كلمة "سنة" تستعمل في القرآن الكريم أحياناً للقط والتعب والشدة وطول المدة، مثلما جاء في آية الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ السِّنِينَ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، ويقال أسنت الناس أي أصابهم قحط، وكذلك في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فالآية تعني ألف سنة فيها شدة وتعب، وارتاح منها خمسين سنة فقط، أما كلمة "عام" فهي بمعنى الخصب والرخاء وقصر المدة، مثلما جاء في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]، وكلمة "حول" يعني العام الذي يتم فيه فعل الشيء بلا انقطاع، فمعناه يختلف عن معنى السنة ويختلف كذلك عن معنى العام؛ لأن السنة والعام هي فترات زمنية يأتي خلال أي جزء منها الحدث أو الفعل، وليس شرطاً أن يكون الحدث أو الفعل مستمراً خلالها، أما الحول فيكون الحدث أو الفعل فيه مستمراً بدون انقطاع، مثلما جاء في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وهي تعني أن يكون المتاع طوال العام مستمراً بدون انقطاع. ومن الدراسة السابقة يتبين لنا الفروق الجوهرية بين معنى السنة ومعنى العام ومعنى الحول، وأنها يجب أن يتم فهمهما على النحو الصحيح حتى تندبر آيات القرآن ونفهمها على أحسن وجه. [٥١] ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُكْرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. القرآن يعبر عن الرجل بـ "الزوج" أحياناً وبـ "البعل" أحياناً أخرى، وعن المرأة بـ "الزوج" وبـ "المرأة" في بعض المواضع، فما السر في ذلك؟ الجواب: معنى "الزوج" يقوم على الاقتران القائم على التماثل والاتفاق والانسجام التام، فالزوج فرد انضم إليه مماثل له من جنسه، ولذا تستعمل للرجل والمرأة، ولذلك لا يطلق القرآن كلمة زوج على الرجل أو المرأة إلا إذا كانت الحياة الزوجية متفقة ومستقرة، وأما [٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ قوله تعالى ﴿دَابًّا﴾ بفتح الهمزة. وقرئ: (دَبًّا) بكسرها، وهما لغتان في مصدر دأب يدأب: داوم ولازم. [٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ قوله تعالى ﴿يَعْصِرُونَ﴾ قرئ: (تعصرون) بالخطاب. وقرئ: (يعصرون) بالغيب تقدم نظيره. [٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ إيجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع) ومشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في القرآن. [٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سَبِيلِهِ﴾ [يوسف: ٤٧]. أفضل طريقة لتخزين الجواب: أثبت العلم الحديث أن أفضل وسيلة للحفاظ على الحبوب هو تركها في سنايلها لتحافظ على رطوبتها الطبيعية وتمنع تأثير الجو على الحبوب مباشرة، وهذا سبق علمي للقرآن، وأحد = بالإعراض من الحجّة، والإشارة إلى أن قصة يوسف عبّرة للعالمين في قوله: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾ [يوسف: ١١١].

﴿وَمَا أَتَيْنَا نَفْسِي﴾: من الخطأ والزلل، ولا أزيكها، وهذا كذلك من كلام امرأة العزيز. لأن يوسف عليه السلام لم يكن موجوداً، أو حاضراً لهذا الحوار ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي أَنْ رَبِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٥٣. وقال الملك أنثوني به: استخلصه لنفسه فلما كلمه. قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ٥٤. قال أجعلني على خزائن الأرض ٥٥. يعني: أرضه التي أمرها إليه ﴿إِنِّي خَفِيطٌ﴾: لما استودعني ﴿عَلِيمٌ﴾: عالم بما أوليتني. ٥٦. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا﴾: وطانا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض ملك مصر ﴿يَبْنُو﴾: يتخذ من أرض مصر منزلاً ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾: بعد الضيق والسجن. ٥٧. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: الذين صدقوا الله ورسوله، خير مما أعطي يوسف في الدنيا من التمكين في أرض مصر. ٥٨. ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: لا يعرفونه. ٥٩. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾: أوقر لكل رجل منهم بغيره طعاماً، والمراد أنه أعطاهم ما طلبوه من الميرة، وما يصلحون به سفرهم، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: خير لكم من غيري، لما فعلته بكم من حسن الضيافة، وأنا خير المنزلين لمن نزل بي. ٦٠. ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾: لا تقربوا بلادي. ٦١. ﴿قَالُوا سُرُودُ عَنْهُ﴾: سنسأل أباه أن يخليه معنا. ٦٢. ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْهِ﴾: غلامانه ﴿أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ﴾: أثمان طعامهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: في أوقارهم، أي أحمالهم، وهم لا يعلمون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إذا عرفوا أن بضاعتهم - أو أثمانها - قد ردت عليهم، وأنهم قد أخذوا الميرة أو الطعام بلا ثمن، فإنهم سوف ينشطون للعودة إلى يوسف. ٦٣. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلُ﴾: بمعنى: نكتل نحن وهو.

٥٣ [معنى اسم الله الرب: الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. ٥٣] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصَّفْح عن عبادته موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يُجِبُّ ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقَرَّباً لمغفرته. ٥٣] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب: هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

٥٣ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، ﴿وَمَا أَتَيْنَا نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي أَنْ رَبِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]. جاء بالتأكيد باللام في سورة هود في قصة سفينة نوح ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ ليطمئن الذين اتبعوا نوح أنهم بركوبهم السفينة ناجون برحمة الله من الغرق المحقق. ٥٦ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَبْنُو مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: ٥٦]. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول عن تعلمه تأويل الرؤى، والموضع الثاني حين منَّ الله عليه بالخلاص من السجن ومكَّن له في أرض مصر ينزل منها أي منزل شاءه. ٥٩ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٥٩]، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِي ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يوسف: ٧٠]. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول حكاية عن تجهيزه إيَّاهم أول ما دخلوا عليه، والموضع الثاني حين أرادوا الانصراف من عنده في المرة الثانية، وذكر الأول بالواو؛ لأنه أول قصصهم معه، والثاني بالفاء، عطفًا على ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، وتعقيباً له.

= إذا حدث خلل في الحياة الزوجية، مثل: عدم الإنجاب، أو خلافات في الحياة الزوجية، أو عند حدوث نزاع، أو عند الاختلاف في الدين، فإن القرآن يطلق على كل منهما، بعل وامرأة. ٦٠ ﴿إِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ [يوسف: ٦٠]. في مشروعية المقاطعة الاقتصادية لتحصيل غرض مشروع ما دامت المصلحة الشرعية اقتضتها، فيوسف عليه السلام بين لإخوته أنه ليس بينهم أي تعاون اقتصادي ما لم ينفذوا ما أمر به.

٥٦ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَبْنُو مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ يَشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَشَاءُ﴾ قرئ: (نشاء) بالنون على أنها نون العظمة لله تعالى. وقرئ: (يشاء) بالياء والضمير ليوسف. ٦٢ ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لِفَتْنَيْهِ﴾ قرئ: (لفتيانه) بألف بعد الباء ونون مكسورة بعدها جمع كثرة لفتى. وقرئ: (لفتيته) بغير ألف وبتاء مثناة بدل النون جمع قلة، فالتكثير: بالنسبة للمأمورين، والقلة: بالنسبة للمتناولين. ٦٣ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَكْتَلُ﴾ قرئ: (يكتل) بالياء والضمير راجع إلى الأخ. وقرئ: (نكتل) بالنون، والضمير راجع إلى الإخوة.

= الأدلة التي لا تُحصى على أنه من لدن عليم خبير. ٥٨ ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي ومشتقاتها، والبشير ومشتقاتها، والنذير ومشتقاتها، بالآعداد الآتية: ذكرت =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٦٤- ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾: خيركم حفظاً. ٦٥- ﴿وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: البضاعة التي حملوها إلى مصر، ﴿مَا نَبَغِي﴾: أي شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان برد البضاعة والإكرام عند القدوم إليه، وقيل: أي ما نبغي في القول وما نتزید فيما وصفنا لك، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نجلب إليهم الميرة، وهي الطعام ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ﴾: حمل بعير على أحمالنا. ٦٦- ﴿حَتَّى تَوْتُونِ﴾: تعطوني ﴿مَوْثِقَاتِ اللَّهِ﴾: ما يتوثق به من عهد وميثاق ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرُونَ معه على أن تأتوا به، وقيل: إلا أن تهلكوا جميعاً ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شهيد. ٦٧- ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾: يعني: لا تدخلوا مصر من طريق واحد؛ خشي العيون لجمال فيهم وهيئة. وقيل: خشي أن يرتاب فيهم فيتعرضوا للأذى. إن دخلوا مجتمعين مع اختلاف هيئتهم ولباسهم عن أهل مصر. ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: لا أقدر دفع شيء من قضائه عنكم ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: القضاء ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: فليفوض أمرهم المفوضون. ٦٨- ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾: أي: ولكن حاجة كانت في نفس يعقوب، وهي شفقتهم عليهم ومحبة لسلامتهم، وقيل: حاجته: ما تخوف عليهم من العين. ٦٩- ﴿ءَاوَيْتَ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمه إليه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: تحزن وتستكن ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ما عملوا بأخيكم من أمك؛ وما كانوا يفعلون بك قبل اليوم. ٦٥ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاءَنَا مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ سِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]، ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْزَدَا عَلَىٰ عَنَابِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]. فما الحكمة من إثبات ياء "نبغي" في سورة يوسف وحذفها في سورة الكهف؟ **الجواب:** في سورة يوسف جاء إثبات الياء على الأصل، وذلك لبيان أن ذلك هو غاية ما يريدونه ويطلبونه، فالطعام الذي أحضروه من مصر هو المراد لذاته، فكمال تمام الحرف ناسب كمال تمام الغاية، أما في سورة الكهف فلم يكن فقدان الحوت هو الغاية والهدف الرئيس؛ لأن غايته هي الالتقاء بالخضر، فكان فقدان وسيلة وليس غاية، فناسب نقصان تمام الحرف نقصان تمام الغاية. ٧٠ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالُوا تَوْتُونِي بِأَجْلٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُم﴾ [يوسف: ٥٩]، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّفِينَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يوسف: ٧٠]. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول حكاية عن تجهيزه إياهم أول ما دخلوا عليه، والموضع الثاني حين أرادوا الانصراف من عنده في المرة الثانية، وذكر الأول بالواو؛ لأنه أول قصصهم معه، والثاني بالفاء، عطفاً على: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَيْتَ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، وتعقيلاً له. ٦٤ ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]. ما الفرق بين: "حافظ، حفيظ"؟ **الجواب:** وردت كلمة (حافظ) مرتين، بينما وردت كلمة (حفيظ) إحدى عشرة مرة. كلمة (حافظ) اسم فاعل، بينما كلمة (حفيظ) صيغة مبالغة على وزن (فعليل). في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] لم يكن المقصود التوكيد على الحفظ وإنما بيان نوع القائم على كل نفس. ثم إن توكيد السياق والمعنى ورد بلفظي (إن)، و(لما). وفي قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤] كان المقصود بيان النوع لذا جاءت كلمة (حافظ) تمييزاً وما احتاج المعنى إلى كلمة (حفيظ). أما في المواضع التي احتاجت إلى توكيد ومبالغة في الحفظ فقد جاءت كلمة (حفيظ)، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، فالإشراك فعلٌ بالغٌ في السوء، ولذلك ناسبه ذكر صيغة فيها توكيد (حفيظ). وهكذا في باقي المواضع الأخرى. ٧١ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِثْلَ شَأْنِ آلِ عَادَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْرَظَ كَتَبَتْهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبل - تعال - آت - هاؤم"؟ **الجواب:** (أقبل) أمر متعين طلباً للإقبال ونهياً عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة) - راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان -، إذاً، (أقبل) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطاباً لمن هو في حالة إدبار حسي ملتبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلِيٍّ مُذَبِّراً﴾ [القصص: ٣١]. أما (آت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (أذهب) كقوله تعالى: ﴿آتَيْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: أذهب إلى القوم الظالمين، ففرق كبير بين كلمة (آت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعض اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح من يؤتى كتابه يمينه يوم القيامة لا يُعادل فرح، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظير، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. ٧٦ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]. فكاد الله له أحسن كيد، وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي إخوته بغير اختيارهم، كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجته من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه في الأرض يتبوأ منها حيث شاء، وكاد له في تصديق النسوة اللاتي كذبته وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له تكذيب امرأة العزيز لنفسها واعترافها بأنها هي التي راودته، وأنه من الصادقين، فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد بغياً وعدواناً. ٧٦ ﴿نَزَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. في هذه الآية بيان فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، = ٦٤ ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ حَفِظًا﴾ قرئ: (حافظاً) اسم فاعل بفتح الحاء وألف بعدها، وكسر الفاء (تمييزاً، أو حالاً). وقرئ: (حفظاً) بكسر الحاء وسكون الفاء، والنصب على التمييز فقط لأنه مصدر جامد، والحال مشتقة.

قال هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاءَنَا مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تَوْتُونِ مَوْثِقَاتِ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَدَخُلُونَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَيْتَ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

(٢٤٣)

= لفظة **الرسول** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة **النبي** (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **نذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسول والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إيجاز متنوع التعريف بالسور

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالُوا أَنْتُمْ سَرَمَكَا أَفَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَّكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾: قضى حاجتهم وأخذوا ميرتهم ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾: الإناء الذي يشرب فيه الملك ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: ابن أمه، وهو بنيامين أخوه الشقيق ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: أيتها القافلة. ٧١- ﴿قَالُوا﴾: يعني: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾: على المنادى ومن يحضرهم. ٧٢- ﴿صُوعَ الْمَلِكِ﴾: إناءه الذي يشرب به؛ وكان من فضة ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: وافر بعير ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل. ٧٣- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: يعني: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾: قيل: كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم؛ فقالوا: لو كنا سارقاً لم نرد البضائع التي وجدناها في أرحلنا؛ وكانوا معروفين في طريقهم أنهم لا يظلمون أحداً، ولا يتناولون ما ليس لهم. ٧٤- ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾: السرقة، أن يسلم إلى من سرق منه ليسترقه ويستعبده. ٧٥- ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: يقول عز وجل: من سرق إلى من سرق منه ليسترقه ويستعبده. ٧٦- ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: يقول عز وجل: من سرق إلى من سرق منه ليسترقه ويستعبده. ٧٧- ﴿قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِخًا كَبِيرًا﴾: يقول عز وجل: من سرق إلى من سرق منه ليسترقه ويستعبده. ٧٨- ﴿فَخُذْ أَحَدًا مَّكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: يقول عز وجل: من سرق إلى من سرق منه ليسترقه ويستعبده.

٧٣ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُوا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: ٨٥]، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَكْرُرْتَ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، الْمَوْضِعَ الْأَوَّلَ يَمِينُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا سَارِقِينَ، وَأَنَّ أَهْلَ مِصْرَ بِذَلِكَ عَالِمُونَ، وَالْمَوْضِعَ الثَّانِي يَمِينُ مِنْهُمْ أَنَّكَ لَوْ وَاضَبْتَ عَلَى هَذَا الْحَزَنِ وَالْجَزَعِ تَصِيرُ حَرَضًا، أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ، وَالْمَوْضِعَ الثَّلَاثَ يَمِينُ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا خَاطِئِينَ، وَالْمَوْضِعَ الرَّابِعَ يَمِينُ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَلَى مَحَبَّةِ يُوسُفَ. ﴿٧٦﴾ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَاءٍ إِنْ رَّبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ﴿تَرْفَعُ مَنَ شَاءَ مِنْ نِّشَاءٍ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الْأَنْعَامِ، أَمَّا يُوسُفَ: تَرْفَعُ مَنَازِلَ مَنَ نِّشَاءٍ فِي الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِهِ كَمَا رَفَعْنَا مَنَزْلَةَ يُوسُفَ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ مِنْهُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ. = وَعِلْمُ التَّدْبِيرِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَلَوْ بَلَغَتْ فِي الْحَسَنِ جَمَالَ يُوسُفَ، فَإِنَّ يُوسُفَ - بِسَبَبِ جَمَالِهِ - حَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الْمَحَنَةُ وَالسَّجَنُ، وَبِسَبَبِ عِلْمِهِ حَصَلَ لَهُ الْعِزُّ وَالرَّفْعَةُ وَالتَّمَكُّنُ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَثَارِ الْعِلْمِ وَمَوْجِبَاتِهِ. ﴿٧٨﴾ قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨]، ﴿الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ﴾ ما دلالة استخدام هذه الألفاظ في القرآن؟ **الجواب:** التعريف اللغوي: **الأب** في اللغة: هو **الوالد**. **والوالد**: هو **الأب**. **والأم**: هي **الوالدة**. **والوالدة**: هي **الأم**. جاء في المصباح المنير: **الوالد** الأب، وجمعه بالواو والنون (الوالدون)، **والوالدة** الأم، وجمعه بالالف والتاء (الوالدات). ففروق الكلمات في آيات القرآن: ١- خص القرآن الكريم كلمة (أب) بالرجل، وما استخدم هذه الكلمة للدلالة على الأم، أمثلة: قال تعالى: ﴿قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨]، ﴿يَتَّخَذَتْ هَئُونٌ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، ﴿يَتَّخَذَتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٣]، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، ٢- وأطلق كلمة (أبوين) أو (والدين) على كل من الأب والأم مجتمعين. أمثلة الكلمة الأولى (أبوين): قال تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: ١١]، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، أمثلة الكلمة الثانية (والدين): قال تعالى: ﴿وَيَا لَوْلَاذَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَاذَيْنِكَ﴾ [لقمان: ١٤]، لم التثنية بصيغة (أبوين) أحياناً، وبصيغة (والدين) أحياناً أخرى؟ الإجابة: أنه في المواضع التي يكون فيها جانب الأبوة أقوى من جانب الأمومة تأتي صيغة (أبوين). مثل قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: ١١]، فمقام الحديث في الآية هو الميراث، والذكر في موضوع الميراث أقوى من الأنثى غالباً، والله يقول: ﴿لِّلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، كما أن الذكر يكون عصبه المتوفى فيرث ماله كله إن لم يكن للميت وارث آخر، ويأخذ نصيبه إن كان للميت وارث آخر، ثم يأخذ الباقي بعد استيفاء أصحاب الفروض نصيبهم. مثال آخر: قال تعالى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، والرفع هنا هو الظهور، والظهور أصل في الرجال في كل عصر ومصر وليس للنساء فيه حظ. أما في المواضع التي يكون فيها جانب الأمومة أقوى من جانب الأبوة فتأتي صيغة (والدين). فمثلاً: جميع الآيات التي تأمر أو توصي الأبناء بالإحسان إلى الأب والأم، يُغلب القرآن الحكيم جانب الأمومة على الأبوة، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فسمي الله تعالى الأم والأب: والدين، لأن الأمهات أحوج إلى العطف والإحسان من الآباء. وليس أدل على ذلك في سنة النبي ﷺ من قوله لمن سأل: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحَسَنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أَبُوكَ». رواه مسلم. ٣- عند الجمع، يأتي القرآن الكريم بكلمة (آباء) ليدل على واحدة من ثلاثة معانٍ: أ- الآباء الذكور: مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ب- الآباء والأمهات: مثل قوله تعالى: ﴿مَّا جِئْتُمْ لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ [عجاء عدددي: وردت كلمة (النفعة) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفعة) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد) بمشتقاته وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيْهِ وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يٰٓاَيُّهَا الْعَزِيْزُ مَسْنَا وَاهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ قَالُوْا فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِيْنَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَآخِيْهِ اِذَا اَنْتُمْ جَهِلُوْنَ ﴿٨٩﴾ قَالُوْا اِنَّكَ لَآَنْتَ يُوسُفُ قَالَ اَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا اَخِيْ قَدَمَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا اِنَّهٗ مِنْ يَتَّقُ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٩٠﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاتٰكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِيْئِيْنَ ﴿٩١﴾ اَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّحِيْمِيْنَ ﴿٩٢﴾ اَذْهَبُوْا بِقِمِيصِيْ هٰذَا فَالْقُوْهُ عَلَى وَجْهِ اَيِّ بَابٍ بَصِيْرًا وَاَتُوْنِيْ بِاَهْلِكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ قَالَتْ اَبُوْهُنَّ اِنِّيْ لَاجِدُ رِيْحَ يُوسُفَ لَوْلَا اَنْ تُفَيِّدُوْنِ ﴿٩٤﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ اِنَّكَ لَفِيْ ضَلٰلِكَ اَلْفَكِيْدِيْ ﴿٩٥﴾

٨٧- ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا﴾: إلى البلاد التي منها جئتم ﴿فَحَسَّسُوْا﴾: التمسوا وتعرفوا ﴿مِنْ يُوسُفَ وَآخِيْهِ﴾: من فرجه أن يرد يوسف وأخاه. ٨٨- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوْا﴾: على يوسف، إذ انصرفوا راجعين إلى مصر ﴿مَسْنَا وَاهْلَنَا الضُّرُّ﴾: الشدة من الجذب والقحط ﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ﴾: غير نافقة أي: لا يقبلها التجار، ولا تبلغ ما كان يشتري به منك إلا أن تتجاوز لنا؛ وأصل «الإزجاء»: السوق والدفع ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: تفضل بما بين الجياد والرديّة في بضاعتنا، أي اجعل بضاعتنا الرديّة كالجيدة في إيفاء الكيل بها، وقيل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: باخيّنا، لأن الصدقة لم تحل لني، وجاء في ذلك اختلاف كثير. ٩٠- ﴿قَالُوْا اِنَّكَ لَآَنْتَ يُوسُفُ﴾؟ كان هذا الاستفهام منهم على طريق التعجب والاستغراب ﴿قَدَمَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا﴾: جمع بيني وبين أخي، بعد أن فرقتم بيننا. ٩١- ﴿لَقَدْ ءَاتٰكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا﴾: فضلك وأثرك، بالحلم والعلم ﴿وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِيْئِيْنَ﴾: فيما كان منا إليك. ٩٢- ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾: لا تأنيب، ولا أذكركم بذنبكم ﴿يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ﴾: عفا الله عنكم، وستر عليكم ظلمكم لي. ٩٣- ﴿يٰٓاَيُّ بَصِيْرًا﴾: يَعد بصيراً. وفي هنا دلالة على أن هذا كان بوحى وإعلام من الله تعالى. ٩٤- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ﴾: خرجت من مصر متوجهة إلى موضع يعقوب من بلاد الشام. ﴿اِنِّيْ لَاجِدُ رِيْحَ يُوسُفَ﴾: قيل: استأذنت الريح ربها أن تأتي بريح يوسف إلى يعقوب قبل أن يأتيه البشير، فاذن لها ﴿لَوْلَا اَنْ تُفَيِّدُوْنِ﴾: تسفهون، وأصل «الفئد»: تغير العقل من الهرم. ٩٥- ﴿اِنَّكَ لَفِيْ ضَلٰلِكَ اَلْفَكِيْدِيْ﴾: في خطئك القديم، لا تنسأ ولا تتسلى، أو تفتّر عنه. [٩٤] ﴿وَلَمَّا﴾ [يوسف: ٢٢، ٥٩، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٩٤] وفي باقي المواضع ﴿فَلَمَّا﴾ [هذا الموضع خاص بسورة يوسف فقط]. الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، أمّا الواو فهي لمطلق الجمع، يأتي بالفاء عندما يكون هناك تعقيب: ﴿قَالُوْا لِيْن اَكْكَلُهُ الذُّرْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ اِنَّا اِذَا لَخٰسِرُوْنَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا دَهَبُوْا بِهِ وَاَجْمَعُوْا اَنْ يَّجْعَلُوْهُ فِيْ غَيْبَتِ الْجُبِّ وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [يوسف: ١٤-١٥]، لا يوجد فاصل زمني بين الأمرين، وهذا يدل على الترتيب والتعقيب، وكذلك في قصة يوسف مع امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿وَاِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَاَ قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ اِنَّهٗ مِنْ كٰذِبِيْنَ اِنْ كُنْتُمْ عٰظِمِيْنَ﴾ [يوسف: ٢٧-٢٨]، جاء بـ«فلما» لأن الآية في نفس المشهد والموقف ولا يحتمل التأخير، والأحداث تسلسلت وتعاقبت، وتأتي واحدة تلو الأخرى بترتيب وتعقيب، وليس بين الأحداث أي تراخ أو فترة زمنية فاصلة طويلة لذا استخدم «فلما»، أمّا في الآية التي جاء فيها «ولما» فقد استغرق سنوات طويلة حتى بلغ أشده: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاَتَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ يُجْزٰى الْمُحْسِنِيْنَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وكذلك لما ذهب إخوة يوسف إليه في مصر، استغرق الأمر زمناً حتى سافروا، ووصلوا إلى يوسف بعد أن كلمهم أبوهم: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوْا مِنْ حَيْثُ اَمْرُهُمْ اَبُوْهُمَ مَا كَانَتْ يَغْنٰى عَنْهُمْ مِّنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا حَاجَةً فِىْ نَفْسٍ يَّعْقُوْبُ قَضٰىهَا وَاِنَّهٗ لَذُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنٰهٗ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾ [يوسف: ٦٨]. = من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على هذا من قول الله تعالى: ﴿تَوَلّٰوْا وَاَعْيَنُهُمْ فَبِئْسَ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا اَلَّا يَجِدُوْا مَا يَنْفِقُوْنَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله - تعالى - حالة الذين أصابهم الحزن من جراء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون. [٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يٰٓاَيُّهَا الْعَزِيْزُ مَسْنَا وَاهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ قَالُوْا فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِيْنَ﴾ [يوسف: ٨٨]، ﴿قُلْ اَعْبُدُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقٰنِعُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ عِوٰى اُولٰٓئِ الضّٰرِرِّ وَالْمُجَاهِدُوْنَ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿وَلَا تُنْكِحُوْهُنَّ ضَرًا اَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا تَصْنَعُوْنَ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿وَالضّٰرِرِّيْنَ فِى الْبَاسِءِ وَالضّٰرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ما الفرق بين: «ضَرَّ، ضَرَّ، ضَرَّ»؟ **الجواب:** وردت كلمة (ضَرَّ) بضم الضاد تسع عشرة مرة. ووردت كلمة (ضَرَّ) بفتح الضاد عشر مرات. ووردت كلمة (ضَرَّ) بضم الضاد، ووردت كلمة (ضَرَّاء) تسع مرات. ووردت كلمة (ضَرَّار) مرتين. جاءت كلمتا (الضَّرَّ) و(ضَرًّا) من الفعل الثلاثي (ضَرَّ). بينما جاءت كلمتا (ضرر)، و(ضرار) من الفعل الرباعي ضارَّ. وفرق بين كلمتي (ضرر)، و(ضرار) يتضح من قول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». فمعنى قوله (لا ضرر): أي لا يضر الرجل أخاه، وهو ضد النفع. ومعنى قوله (ولا ضرار): أي لا يضرار كل واحد صاحبه، فالضرار منهما معاً، والضرر فعل الواحد فقط. وفرق بين كلمتي (ضَرَّ) بضم الضاد، و(ضَرَّ) بفتح الضاد. حيث لم ترد كلمة (ضَرًّا) إلا ووردت معها كلمة نفعاً وهذا يعني أن: ١- ضَرًّا ونفعاً متماثلان في الوزن. ٢- متناقضتان (تماماً) في المعنى. أما كلمة (ضَرَّ) بضم الضاد فلم ترد في سياقها كلمة (نفع) ثم هي أقرب في معناها إلى الشدة وشظف العيش. كما قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يٰٓاَيُّهَا الْعَزِيْزُ مَسْنَا وَاهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]. أما كلمة (الضَرَّاء) فهي الصيغة الوحيدة من الصيغ الخمس المذكورة التي تدل على معنى الشدة-شدة الضرر- دلالة مطلقة غير مقيدة. أما الصيغ الأربع الأخرى فتتضمن معنى الضرر فحسب كما أن (الضرراء) تزيد درجة في التوكيد على الصيغ الأربع الأخرى. فهي على وزن (فعلاء) فهذا الوزن يدل على المبالغة والتوكيد. كما أن كلمة (الضرراء) وردت سبع مرات من تسع مرات مقرونة بكلمة (البأساء) ومعلوم أن غيرها من الصيغ الأربع الأخرى لا تقوم مقامها، ولا تتسق ولا تنسجم موسيقياً مع كلمة البأساء، وليس إلا كلمة واحدة وهي (الضرراء). [٨٩] ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَآخِيْهِ اِذَا اَنْتُمْ جَهِلُوْنَ﴾ [يوسف: ٨٩]. قيل: من تلطفه بهم قوله تعالى: ﴿اِذَا اَنْتُمْ جَهِلُوْنَ﴾ كالأعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه، أسهل من فعله على علم. وهم ولو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلقوا عذراً كهذا. [٩٧-٩٨] ﴿قَالُوْا يٰٓاَبَانَا اَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوْبًا اِنَّا كُنَّا خٰطِيْئِيْنَ﴾ [٩٧] ﴿قَالَ سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيْ اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوْرُ﴾ [٩٠] ﴿قَالُوْا اِنَّكَ لَآَنْتَ يُوسُفُ﴾ قوله تعالى: ﴿اِنَّكَ﴾ قرئ: (أَنْتَ) بالاستفهام وذلك للإثبات والإلزام، فلم يستخبروا عن أمر جهلوه، إنما أتوا بلفظ يحققون به ما صح عندهم، من أنه هو يوسف؛ ووجه من قرأ بالإخبار: (إِنَّكَ) أنهم لما عرفوا وتيقنوا أنه يوسف أتوا بإن التي هي لتأكيد ما بعدها واستغنوا عن الاستفهام؛ لأنه أمر قد ثبت عندهم فلا معنى للاستفهام عنه. [٩٠] ﴿اِنَّهٗ، مَنْ يَتَّقُ وَيَصْبِرْ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضاً ورد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

٩٦- ﴿فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾: عاد إليه بصره بعد ذهابه. ٩٧- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: أي: أسأل لنا ربك أن يعفو عنا، ويغفر لنا ذنوبنا فيك وفي يوسف. ٩٨- ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: قيل: أخرهم إلى السحر. وقيل: إلى ليلة الجمعة، وذلك ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها. وقيل: أراد الدوام على الاستغفار لهم. ٩٩- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: أبوه وإخوته ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ﴾: ضم إليه أباه وأمه. وقيل: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾: خرج إلى أبيه يتلقاه ومعه ملوك مصر. وقيل: ﴿أَبُوهُ﴾ عنى بهما: أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت. ١٠٠- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: السرير ﴿وَحَرَّوْا لَهُ سُجَّدًا﴾: أبواه وإخوته، وكانت يومئذ تحية الناس السجود، أي كان السجود سجود تحية لا سجد عباد. ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: من بادية فلسطين. و«البدو» مصدر يبدو وبدوا، إذا كان من أهل بدو وماشية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ﴾: أفسد. ١٠١- ﴿ءَاتَيْنِي﴾: أعطيني ﴿مِنَ الْمَلِكِ﴾: ملك مصر ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: عبارة الرؤيا ﴿فَاطَّرَ﴾: منادى. والفاطر: الخالق والمنشئ. ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ﴾: ناصري ﴿تُوفِّي مُسْلِمًا﴾: امتني. قال ابن عباس: ما تمنى قط نبي قبل يوسف الموت، والراجح أن يوسف إنما طلب الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توفي مسلماً، ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾: بأبائه صلى الله عليهم. ١٠٢- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: مما غاب عنك ولم تشهده ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: نعرفه ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: حاضرهم ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: يعني: بني يعقوب بيوسف، إذ يلقونه في الحب. ١٠٣- ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين.

[١٠٠] معنى اسم الله اللطيف: ((اللطيف)) من أسمائه الحسنى، وهو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر. وهذا من آثار: علمه، وكرمه، ورحمته؛ فلهذا كان اللطف نوعين: النوع الأول: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبائيا والخفايا، ومكنونات الصدور، ومغيبات الأمور، وما لطف ودق من كل شيء. النوع الثاني: لطفه بعبده ووليّه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية فيسيره لليسرى ويجنبه العسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرها وتشتق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعاده، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله، وكما ذكر الله عن يوسف ﴿وَكَيْفَ تَرَفَّتْ بِهِ الْأَحْوَالُ﴾، ولطف الله به وله بما قدره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العقبى في الدنيا والآخرة، وكما يمتحن أوليائه بما يكرهونه؛ ليثبثهم ما يحبون. فكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية، أو رياسة، أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمة به لئلا تضربه في دينه، فيظل العبد حزيناً من جهله وعدم معرفته بربه، ولو علم ما أدخر له في الغيب وأريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك؛ فإن الله بعباده رؤوفٌ رحيم لطيف بأوليائه.

[٩٦] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [هود: ٧٧]، ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦]، ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [العنكبوت: ٣٣]. "لَمَّا" تقتضي جواباً، وإذا اتصلت بها "أن" دل ذلك على أن الجواب اكتمل ووقع في الحال من دون تراخ، وهذا ما حصل في آية سورة العنكبوت، فالجواب قوله: ﴿سَوَاءٌ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، ومثل هذه الآية ما ورد في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾، أمّا آية هود فالحديث فيها متصل آية بعد آية إلى خمس آيات، فبعد عن الجواب فحسن الحذف. [١٠٢] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]. الفرق واضح بين الآيتين من خلال سياق القصة، فآية آل عمران تتحدث عن مريم وأبيهم أحق بكفالتها... وأمّا آية يوسف فتتحدث عن إخوته وما كان من مكرهم له. = الرّجيم [يوسف: ٩٨]. قال المهايمي: صرحوا بالذنوب دون الله، لمزيد اهتمامهم بها، وكأنهم غلب عليهم النظر إلى قهره. وصرح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمته التي ربي بها الكل. انتهى. وهذا من دقائق لطائف التنزيل ومحاسنها فيه. [١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَحَرَّوْا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]. كيف جاز لهم أن يسجدوا ليوسف، والسجود لغير الله حرام؟ **الجواب:** المراد أنهم جعلوه كالقابلة، ثم سجدوا لله تعالى شكراً لنعمة وُجدان يوسف، كما تقول: سجدت وصليت للقابلة، أو اللام للتعليل؛ أي: لأجله سجدوا لله، ومنه قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾، أي: الكواكب، ﴿لِي سَجِدِينَ﴾، أي: إنما سجدت لله لأجل مصلحتي، والسعي في إعلاء منصبه. [١٠٠] ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. لم ذكر يوسف عليه السلام نعمة الله عليه في إخراجه من السجن دون إخراجه من الحب، مع أنه أعظم نعمة؛ لأن وقوعه في الحب كان أعظم خطراً؟ **الجواب:** لأن مصيبة السجن كانت عنده أعظم؛ لطول مدتها، ولمصاحبتها الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الحب؛ لقصر مدتها، ولكون المؤمن له فيه جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة، أو لأن في ذكر الحب توبيخاً وتقريعاً لإخوته بعد قوله: ﴿قَالَ لَا تَتَرَبَّصَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]. [١٠٥] ﴿وَكَايْنِ مِنَ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]. كم للإنسان من آيات وعبر في السماوات والأرض يمرُّ عليها فيعرض عنها! خلقت لنا الأبصار والأسماع والعقول لننظر ماذا في السموات والأرض مما ذرأ المبدع في الكون، فأعرض العقلاء فضلاً عن العامة! فما للعامة لا يتعلمون؟ وما لذوي البصائر لا ينصَحون ولا يبينون؟ وما للناس لا يكادون يفقهون؟ [١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. تحذير من الشرك الخفي الذي يدب إلى قلب الإنسان، أخفى من ديب النمل، إن الآية تتحدث عن المؤمنين، لكنها لا تبرئهم من وقوع الشرك منهم. فالتوحيد أهم ما يحمله المرء في قلبه عند لقاء الله، إذ به يضمن الجنة بإذن الله، وما أعظم صدق اللهجة وإعجاز الإيجاز، وأسلوب الحصر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]. والعبرة من الاعتبار والاتعاظ والتذكر. وإذا تأملت الآية السابعة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (٧) والآية الأخيرة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وما بينهما وما قبلهما من آيات، وجدت بعضها يصدق بعضها، ووجدت فيما بينهما الإكسير الذي يمكن أن يكون له عظيم الأثر في حياة الأمة إذا أخذت به كما أخذ به محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا تأثرت به كما تأثر السلف. فتأمل =

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ءَامِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبْنَوتُ هَذَا أَوَّلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

٢٤٧

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
 وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا
 وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ
 أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
 سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ
 اللهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى
 إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
 نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
 حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٥- ﴿وَكَأَيِّنْ﴾: بمعنى: وكثيرة. ﴿مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من عبرة وحجة، كالشمس والقمر وغيرهما من آيات الله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يعاينونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يفكرون فيها.

١٠٦- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾: إذا سئلوا عن الله قالوا: هو ربنا وخالقنا، ثم يشركون به الولد والأوثان. وكانت العرب تلي: «ليكن اللهم ليكن، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك!». ١٠٧- ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾: وقعة، من العذاب، تغشاهم، وتغرهم كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة.

١٠٨- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾: طريق التي أنا عليها ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: علم يقين، والبصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل. ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: هذه البصيرة في المتبوع والتابع، أو في الداعي والمدعو، فلا اتباع لأحد، وبخاصة علماء الدين، على عماية! ١٠٩- ﴿رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: الوحي والنبوة في الرجال دون النساء. والأنبياء (أو النبوات) من أهل القرى، أي المدن. ويقول مؤرخو الأديان. إن النبوة لم تكن في بلاد الدول المتسلطة، ولا في البوادي. ولكنها كانت في (مدن القوافل)، وهي التي يجتمع فيها أحوال الدولة وأحوال البادية. ١١٠- ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾: أيست الرسل التي أرسلناها من إيمان من أرسلوا إليه ﴿وظَنُّوا﴾: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم، فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا. ١١١- ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾: خبرهم ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لأولي العقول، لو اعتبرتم ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: يُخْتَلَقُ وَيُكْذَبُ ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من كتب الله ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: كل ما بالعباد إليه حاجة، من بيان أمر الله ونهيه. [١٠٩] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرٍ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [محمد: ١٠]. أفلم يسر هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حل بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث، وآية يوسف تبين أن ثواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم، أفلا تفكرون فتعتبروا، وأما آية غافر فتوضح أن هذه الأمم السابقة كانت أكثر منهم عددًا وعدة وآثارًا في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حل بهم بأس الله، وأما آية محمد فتبين أن الله دمر عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم. [١٠٩] ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [يوسف: ١٠٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢، الأعراف: ١٦٩]. لفظ "يتقون" ورد في السورتين على بابه، وهو إفادة التجدد، وعن آية يوسف فقد تقدم قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، والحاصل منه أنهم ظلموا أنفسهم فأهلكوا، ولو اتقوا النجوا، فناسب هذا المعنى المقدر ورود الماضي في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أوضح مناسبة، وإذا نظرنا إلى آية يوسف وجدنا أنها تتحدث عن حال مضت: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، فناسب ذلك التعبير بلفظ الماضي. [١١٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]. القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له "أتى"، قال تعالى في آية يوسف: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، وفي آية الأنعام: ﴿أَتَتْهُمْ نَصْرُنَا﴾، ومن الواضح أن الحالة في آية يوسف أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب بهم الظن إلى أنهم كذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذلك جاءهم نصره سبحانه فنجي من شاء وعوقب المجرمون، في حين ذكر في آية الأنعام أنهم كذبوا، أي: كذبهم الكافرون، وأودوا فصبروا، وفرق بعيد بين الحالتين، فقد يكذب الرسل وأتباعهم ويؤذون، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمر كبير، ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحًا، فما ذكره من نجات المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام يدل على الفرق بينهما.

[١١١] ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ [يوسف: ١١١]. آية يونس تبين أن هذا القرآن فيه بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد ﷺ، ولا شك في أن هذا القرآن الكريم موحى من رب العالمين، وأما آية يوسف فتوضح أن هذا القرآن فيه بيان لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه، وإرشاد من الضلال... وغير ذلك.

= كيف كانت هذه السورة يقرؤها القارئون، ويسمعها الجاهلون، وهم عن آياتها معرضون! فإذا سمعوا صوتًا حسنًا ظنوا أن هذا هو جمال القرآن، فقالوا للقارئ: سبحان من أعطاك! وفرحوا بما عندهم من العلم بظواهر ورواق القراءة أو مجرد التفسير ومعرفة القصة، ولم ينظروا إلى الحكم المودعة فيها! فقبح الله الجهل! يترك الرجل أعمى وإن لبس الحلل، وارتي ثياب الفخار الكاذب والسراب الخادع.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ في أربعة مواضع في القرآن، قرئت: (نوحى) بنون العظمة وكسر الحاء مبنيا للفاعل، وليناسب و(ما أرسلنا) قبله. وقرئ: (يُوحى) بضم الياء من تحت وفتح الحاء مبنيا للمفعول. [١١٠] ﴿قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿كُذِّبُوا﴾ قرئ: (كذبوا) بالتخفيف، والمشهور عن ابن عباس وغيره، أن الضمائر كلها ترجع إلى المرسل إليهم، أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوا من النبوة وفيما يوعدون به من لم يؤمن من العقاب، ويحكى: أن سعيد بن جبير لما أجاب بذلك. قال الضحاك وكان حاضرا: لو رحلت في هذه المسألة إلى اليمَن كان قليلا. وقرئ: (كذبوا) بالتشديد على عود الضمائر كلها على الرسل، أي: وظن الرسل أنهم قد كذبهم أمهم فيما جاؤوا به لطول البلاء عليهم، ولما لحق الرسل من الضرر، والمؤمنين من الفتن على الإيمان، فيكون الظن هنا بمعنى الشك. قوله تعالى: ﴿فَنُجِّيَ﴾ قرئ: (فنجى) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء على أنه فعل ماض مبنى للمفعول، و(من) نائب فاعل. وقرئ: (فُنَجِّي) بنونين مضمومة فساكنة، وياء ساكنة، مضارع أنجى و"من" مفعوله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِّغَاءُ رُسُلِهِ تَوْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانٍ زُرْعًا وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذْكَاتُ تَرْبَاءٍ نَأْتِي خَلْقَ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِسْمِهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

(٢٤٩)

١- ﴿الْمَرْ﴾: قد ذكرنا ما قيل في نظائرها من حروف المعجم التي افتتح بها أوائل بعض السور. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، يقول الله عز وجل: تلك التي قصصت عليك خبرها آيات الكتاب الذي أنزلته - يعني: التوراة والإنجيل - قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك؛ يريد القرآن، وقيل: «تلك» إشارة إلى «المر» قبلها. أي إلى آيات هذا الكتاب؛ وهو القرآن، والإشارة بـ«تلك» بدل «هذا» لبيان علو مقامه ومنزلته. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون. ٢- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: «العمد»: جمع عمود، وهو ما يعمد به البنيان. ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾: علا ﴿وَسَخَّرَ﴾: أجرى ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: لمصالح خلقه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لوقت معلوم؛ وذلك إلى فناء الدنيا، وقيام القيامة التي عندها تَكْوَرُ الشمس ويخسف القمر. ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾: أمر السماوات والأرض وحده، بلا ظهير ولا معين ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: يبينها لكم احتجاجاً بها عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ بَلِّغَاءُ رُسُلِهِ تَوْفِقُونَ﴾: وبوحدانيته ووعده ووعيده. ٣- ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾: بسطها وجعلها صالحة للتسخير والانتفاع ﴿فِيهَا رِوْاسٍ﴾: جبلاً ثابتة؛ وهي: جمع راسية، يقال: أرسيت الوتد في الأرض، إذا أثبتته. ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: معنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات، وعنى بقوله: ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: نوعين وضربين ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾: يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته، والنهار الليل فيلبسه ضياءه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: استدلالاً وحجج لمن فكر، فيعلم أن العبادة لا تجوز إلا لحالها عز وجل. ٤- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ﴾: متقاربات فيها سباخ، جمع سبخة، وهي الأرض المالحة، لا تنبت شيئاً، وعذبة طيبة إلى جنبها تنبت ﴿وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ﴾: مجتمع وغير مجتمع، و«الصنون»: المجتمع، أصله واحد. «وغير صنون»: المفترق أصله، وواحد «الصنون»: صنو، كما يقال: قنو وقنوان. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾: من السماء ومن شرب واحد ﴿وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾: فمنها حلو، ومنها حامض ومن. وقيل: هو مثل في بني آدم؛ أبوهم واحد ومنهم الصالح والخبيث. ٥- ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾: يقول عز وجل: وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة من دوني ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: إلى آخر الآية: تكذيبهم بالبعث ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: يوم القيامة. [١] ﴿الْمَرْ﴾ [الرعد: ١] الوحيدة في القرآن وباقي المواضع ﴿الْمَرْ﴾ أو ﴿الرَّ﴾ عدا [الأعراف: ١] ﴿الْمَرْ﴾. هي من الحروف المقطعة التي بدأ بها بعض سور القرآن، فهي من المتشابهة لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا شَجَرَةً﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابهة لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾ [الرعد: ٢]، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنْبِذَ بِكُمْ...﴾ [لقمان: ١٠]. الله تعالى هو الذي رفع السماوات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى - أي علا وارتفع - على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلل الشمس والقمر لمنافع العباد، كل منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة، يدبر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته، وأنه لا إله إلا هو؛ لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتخلصوا العبادة له وحده، فهذا ما دلت عليه آية الرعد، أمّا آية لقمان: خلق الله السماوات، ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبلاً ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزل من السحاب مطراً، فأثبت به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر.

[٣، ٤] ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]. لماذا ختم الآية هنا بـ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ وختمها بعد بـ﴿يَعْقِلُونَ﴾؟ **الجواب:** لأن التفكير في الشيء سبب لتعقله، والسبب مقدم على المسبب، فناسب تقدم التفكير على التعقل.

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]. من دلائل قدرة الله في الأرض أنه مدها ليستقر عليها البشر، وجعل لها جبلاً وأنهاراً، والفرق بين الجبال والأنهار في حفظ توازن الأرض: أن الجبال توازنها وهي ثابتة، والأنهار تحدث توازنها وهي جارية، وكل ذلك يحتاج إلى تفكير عميق لإدراك عظيم القدرة، والوصول من خلالها إلى الوحداية. [٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: ٣]، ﴿وَأَنفِقُوا الَّذِي أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]. ما الفرق بين: "مَدَّ وَأَمَدٌ"؟ **الجواب:** قصر القرآن الكريم دلالة (أَمَدٌ) على (الخير) دائماً، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشر، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحسوب أو الخير. أما كلمة (أَمَدٌ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. [٦] ﴿وَسَتَجِدُنَا فِي سِيقِ قَبْلِ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْأَمْثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. أكد ربك المغفرة بثلاث مؤكدات وهي: إن، واللام، وإطباب المبالغة - ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ - إذهو إطناب اعتراضى أفاد الإعان في المغفرة رغم الظلم. وأكد العقاب بمؤكدتين هما: إن، واللام، ليدل على أنه إلى المغفرة أقرب، خصوصاً وقد قدم المغفرة على العقوبة، ولا غرو فهو جل جلاله أهل التقوى وأهل المغفرة.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانٍ زُرْعًا وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿زُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ﴾ قرئ: ﴿زُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ﴾ برفع الأربعة فرفع (زرع، ونخيل) بالعطف على قطع، ورفع (صنون) لكونه نعتاً (لنخيل) و(غير) لعطفه عليه. وقرئ: ﴿زرع ونخيل صنون وغير﴾ بالخفض عطفاً على (أغصان). قوله تعالى: ﴿يُسْقَى﴾ قرئ: (يسقى) بالياء من تحت أي: يسقى ما ذكر. وقرئ: (تسقى) بالتأنيث مراعاة للفظ ما تقدم، أي: تسقى هذه الأشياء. قوله تعالى: ﴿وَنُفِضِلُ﴾ قرئ: (يفضل) بالياء من تحت رداً إلى اسم الله تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ﴾ وقرئ: (نفضل) بالنون للعظمة، والضمير فيها راجع إلى الله تعالى.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿سورة الأنفال: ٣٢﴾. **﴿الْمَثَلُ﴾**: العقوبات؛ فمنهم من أهلك بالرجفة والخسف، وبالمسخ، وغير ذلك من عقوبات الله **﴿وإن ربك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم﴾**: إذا تابوا **﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾**: لمن هلك مصرأ. **٧- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾**: إنما أنت منذرٌ ولكل قوم هاد **﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْأَقُولَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنُّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾**

٦- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: المشركون. **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾**: [سورة الأنفال: ٣٢]. **﴿الْمَثَلُ﴾**: العقوبات؛ فمنهم من أهلك بالرجفة والخسف، وبالمسخ، وغير ذلك من عقوبات الله **﴿وإن ربك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم﴾**: إذا تابوا **﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾**: لمن هلك مصرأ. **٧- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾**: علامة وحجة؛ كقولهم: [هود: ١٢]. **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾**: يدعوهم إلى الله عز وجل. وقيل: نبي. وقيل: محمد المنذر، والله عز وجل: الهادي. **٨- ﴿وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ﴾**: الغيظ في اللغة: النقص، **﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾**: لعل المراد بالزيادة: ما يبلغ الحمل به تمامه في الأرحام. والنقص بخلافه. وفي الآية إشارة إلى أن ما تحمله وتضعه كل أنواع الإناس محسوب مقدر في علم الله. قال تعالى: **﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾** [فاطر: ١١] **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾**: لا يجاوز شيئاً، قدره تقديرأ؛ ولا يقصر عما خدأ له من القدر. **٩- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾**: ما غاب عن أبصارهم **﴿وَالشَّهَادَةِ﴾**: ما تشاهدونه **﴿الْكَبِيرُ﴾**: الذي كل شيء دونه **﴿الْمُتَعَالِ﴾**: المستعلي على كل شيء. **١٠- ﴿سَوَاءٌ﴾**: معتدل: أي هذا مثل هذا **﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنُّيْلِ﴾**: في ظلمته بمعصية الله عز وجل **﴿وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾**: ظاهر، يقال: سرب الشيء؛ إذا ظهر وبرز. يقول عز وجل: لا يخفى عليه شيء، سواء عنده سر خلقه وجهرهم. **١١- ﴿لَهُ﴾**: قيل: هذا المستخفي له **﴿مَعْقِبَاتٌ﴾**: قيل: حرس وجلاوزة يحفظون هذا المستخفي بالليل **﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾**: من أمر الله. فأخبر عز وجل أن حرسه تلك، لا تغني عنه شيئاً إذا جاءه أمره عز وجل. وقيل: «المعقبات»: الملائكة التي تتعاقب على العبد بالليل والنهار. وقال **﴿يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ..﴾** متفق عليه. وقيل: هم الحفظة من الملائكة في هذه الآية، يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء القدر خلوا عنه **﴿مِنْ آلٍ﴾**: يليهم ويلي أمرهم، وعقوبتهم. **١٢- ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾**: خوفاً من مشقته وأذاه، وطمعاً أن يُمطر فينتفع به **﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾**: الذي فيه الماء؛ و«السحاب»: جمع سحابة، ولذلك نعت بالثقال. **١٣- ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾**: يُعظم الرعد الله ويمجده. **﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾**: من خيفة الله عز وجل ورهبة. وقيل: إن من قال حين يسمع الرعد: سبحان الله وبجمده، لم تصبه صاعقة **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾**: جمع صاعقة، وأصل «الصاعقة»: كل أمر هائل يؤدي إلى هلاك، أو ذهاب عقل، أو فقد بعض الجسم. **﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾**: يجادل المشركون في أمر توحيد الله، وينكرون البعث، أو يستعجلون العذاب.. **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾**: شديد الماحلة في عقوبة من طغى وعتا عليه، و«الحال»: مصدر ماحلت فلاناً محالاً، إذا عرضته لما يهلكه. وقيل: شديد الأخذ شديد القوة.

١٢- ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: خوفاً من مشقته وأذاه، وطمعاً أن يُمطر فينتفع به **﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾**: الذي فيه الماء؛ و«السحاب»: جمع سحابة، ولذلك نعت بالثقال. **١٣- ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾**: يُعظم الرعد الله ويمجده. **﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾**: من خيفة الله عز وجل ورهبة. وقيل: إن من قال حين يسمع الرعد: سبحان الله وبجمده، لم تصبه صاعقة **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾**: جمع صاعقة، وأصل «الصاعقة»: كل أمر هائل يؤدي إلى هلاك، أو ذهاب عقل، أو فقد بعض الجسم. **﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾**: يجادل المشركون في أمر توحيد الله، وينكرون البعث، أو يستعجلون العذاب.. **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾**: شديد الماحلة في عقوبة من طغى وعتا عليه، و«الحال»: مصدر ماحلت فلاناً محالاً، إذا عرضته لما يهلكه. وقيل: شديد الأخذ شديد القوة.

[٩] معنى اسم الله الكبير: وهو **﴿الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِ الْمَجْدِ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَظِيمُ، وَالْجَلَالُ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَجَلُّ وَأَعْلَى. وَلَهُ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ، فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ. قَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَالتَّذَلُّلِ لِكِبْرِيائِهِ سُبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ.﴾**

[٩] معنى اسم الله المتعال: العُلِّيُّ، الأَعْلَى، المُتَعَالِ: وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه. فله علو الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علو القدر: وهو علو صفاته وعظمتها، فلا يماثلها صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾** [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علو القهر؛ فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصبيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأ الله لم يقدرُوا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

[٨] قوله تعالى: ﴿لَهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: أن أربد بن قيس، وعامر بن الطفيل قدا المدينة على رسول الله **ﷺ**، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم»، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال «ليس ذلك لك ولا لقومك». فخرجا فقال عامر لأربد: إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف فرجعا، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه، وسل أربد السيف فلما وضع يده على قائم السيف ييست، والتفت رسول الله **ﷺ**، فرآه فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله **﴿لَهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾** إلى قوله: **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾**. **[١٣] قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾** أخرج النسائي والبخاري عن أنس قال: بعث رسول الله **ﷺ** رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال: أيش ربك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس، أو من فضة أو ذهب، فأثنى النبي **ﷺ** فأخبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية: **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾** إلى آخرها.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٧]، **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾** قل إن الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنَاقِبُ **﴿الرعد: ٢٧﴾**. المراد بالموضع الأول آية مما اقترحوا؛ نحو ما في قوله: **﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾** [الإسراء: ٩٠]، والمراد بالموضع الثاني **﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾**، لأنهم لم يهتدوا إلى أن القرآن آية فوق كل آية، وأنكروا سائر آياته **ﷺ**.

[٦] ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ **﴿إعجاز عددي﴾**: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، وإذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكل ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم.

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْأَقُولَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ **﴿إعجاز عددي﴾**: ورد ذكر (الجهر بمشتقاتها) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاتها) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وإذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجهر بمشتقاتها) مع لفظ (الإعلان بمشتقاتها) وقد ورد كل منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم.

أنزل سورة الرعد: نزلت بعد سورة محمد، وهي مكية. **عدد كلمات سورة الرعد:** ثمانمائة وخمس وستون. **عدد حروف سورة الرعد:** ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف. **أسماء سورة الرعد:** وتسمى سورة الرعد؛ لقوله فيها: **﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾** [الرعد: ١٣]. **مواضيع سورة الرعد:** مقصود =

١٤ - ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: يعني: آلهة المشركين ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: أي: كالرجل العطشان يمد كفيه مبسوطتين إلى الماء يغترف منه، ثم يرفعها إلى فمه! ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِغٍ﴾: حتى يموت عطشاً. وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو من دونه آلهة لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: في غير هدى ولا استقامة. ١٥ - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾: المؤمن يسجد طوعاً، والكافر كرهاً ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ أَيْضاً ظلال كل من يسجد لله طوعاً وكرهاً بالغدوات والعشايا؛ وذلك أن ظل كل شيء وشخص يفيء بالعشي، فظل المؤمن يسجد طائعاً، وظل الكافر يسجد كارهياً، و«الأصايل»: جمع «أصل» و«أصل»: جمع أصيل، وهو العشي، و«العشي»: ما بين العصر إلى مغيب الشمس. ١٦ - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يقول عز وجل: قل يا محمد هؤلاء المشركين: من رب السماوات والأرض؟ فإنهم سيقولون الله، وأمر الله نبيه أن يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: يعني: الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾: الهدى والضلالة ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾: يقول الله عز وجل: قل هؤلاء المشركين: أخلق أولياؤكم الذين اتخذوهم أولياء من دون الله خلقاً كخلق الله؟ ﴿فَتَشَبِهَ الْخَلْقُ﴾: أشبه عليكم الأمر فيما خلقوا وخلق الله، فجعلتموهم لله شركاء من أجل ذلك؟ أم أصابكم الجهل والذهاب عن الصواب؟ إذ لا يشكل على كل ذي عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع جهل. ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾: الفرد الذي لا ثاني له. ﴿الْقَهَّارُ﴾: بقدرته على كل شيء، ولا يقهره شيء جل وعلا. ١٧ - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: يقول الله عز وجل: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبيره، والصغير بصغيره ﴿فَاتَّخَذَ السَّيْلُ مَتْنِفَخاً﴾: الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء ﴿زَيْدًا رَابِياً﴾: عالياً على السيل متنفخاً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾: يعني: من الذهب والفضة ﴿أَبْتَقَاءَ حَلِيزَةٍ﴾: طلب حلية ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾: من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به ﴿زَيْدٌ مِثْلُ﴾: يعني: مثل زبد السيل يذهب ولا ينتفع به، كما لا ينتفع بزبد السيل. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾: يُمَثِّلُ بهما ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾: الذي علا السيل ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾: أي: تَشْتَفُّهُ الأرض؛ يقال: أَجْفَتِ الْقِدْرُ: إذا غلت فانصب زبدُها، أو سكنت فلم يبق منه شيء، وكذلك زبد الذهب والفضة والنحاس وغيره، وهو خبثهما وكدرهما، يذهب كما يذهب الزبد ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: من الماء ﴿فَيَمَكُّهُ فِي الْأَرْضِ﴾: ويبقى الخالص مما يوقدون عليه بأيديهم عندهم. وهذا مثل ضربه الله في الحق وثباته، والباطل واضمحلاله. ١٨ - ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾: للذين آمنوا بالحسنى، وهي الجنة. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾: أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئاً ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾: سكناهم ﴿وَيْسَ لِهَؤُلَاءِ﴾: الوطاء والفراش. [١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]. في سورة الرعد تقدم آية السجدة ذكر العلويات من البرق والسحاب والصواعق، ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم، وذكر بأخرة، أي: أخيراً، الأصنام والكفار، فبدأ في آية السجدة بذكر من في السماوات لذلك، وذكر الأرض تبعاً، ولم يذكر من فيها استخفافاً بالكفار والأصنام، وأما في النحل فقد تقدم ذكر ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقضى سياق الآية ما في السماوات وما في الأرض؛ وأما في الحج فقد تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدم ذكر من في السماوات؛ تعظيماً لهم ولها، وذكر من في الأرض؛ لأنهم هم الذين تقدم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها. [١٦] ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا شَوْراً﴾، وقدم قبلها ما عطف عليها بالواو أيضاً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين، ففي الأولى عدم الخلق في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ﴾، مقابل للخلق والإيجاد في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وفي الثانية الضر مقابل بالنفع، وفي الثالثة الموت والحياة، وبني مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين، ففي الأولى الإشارة إلى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وكذا في الثانية الضر والنفع وأشرف، وفي الثالثة الموت والحياة وأشرف، فروعي تناسب الآي على ما أوضحنا، فقدم الضر على النفع في آية الفرقان، أما آية الرعد فلم يعرض فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب، فجاءت من حيث أفردت على ما يجب من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل، وكأن قد قيل فيها: إذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم؟ ثم أتبع بما يكمل به التعريف بحال من اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع، فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه.

[١١] ﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا يَنْفُسُهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. يعقب بعضهم بعضاً، كلما ذهب بدل جاء بدل آخر، يثبتونه ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه، ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه، ويقولون: إنما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الأبد. [١٥] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهاً وَوَضَعَتْهُ كَرْهاً﴾ [الأحقاف: ١٥]. ما الفرق بين: "الكَرْه - الإكْرَاه"؟ **الجواب:** ١ - الكَرْه = [١٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي﴾ الثانية، قرئ: **(يستوي)** بالياء من تحت. وقرئ: **(تستوي)** بالتاء لمرعاة لفظ (الظلمات) وبالياء: نظراً لأن تأنيثها غير حقيقي.

[١٦] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ **إعجاز عددي:** تساوي عدد مرات ذكر لفظ **البصر والبصيرة** ومشتقاتهما مع لفظ **القلب والفؤاد** ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة في القرآن. أولاً: ورد لفظ **(البصر والبصيرة)** بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ **(القلب والفؤاد)** بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. = السورة بيان حجة التوحيد في تخليق السماوات والأرض، واستخراج الأنهار والأشجار والثمار، وتهديد الكفار، ووعيدهم، وذكر تخليق الأولاد في أرحام الأمهات، على تباين الدرجات، ومع نقصان الزيادات، في الأيام والساعات، وإطلاع الحق تعالى على بواطن الأسرار، وضائر الأخيار والأشرار، وذكر =

﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: يقول الله عز وجل: أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك الحق ويصدق به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾: كالذي هو أعمى لا يعرف موقع حجة الله عليه، ولا يتذكر ولا يتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَتَّابُ﴾: أهل العقول. ٢١- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: يعني: الأرحام. قال ابن عطية: ووصل ما أمر الله به أن يوصل، ظاهره في القرابات، وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات. ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾: هو الاستقصاء فيه، والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عُدَّ ب. ٢٢- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: تعظيماً له أن يخالفوه في أمره، أو يأتوا ما يكرهه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصلاة المفروضة، أدوها بمحدودها في أوقاتها ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: لا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعونه بالخير. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبٌ الْدَارِ﴾: أعقبهم الله دار الجنان من دارهم التي لو لم يكونوا بها مؤمنين لكانت لهم النار. ٢٥- ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: أي ما عقده من العهود ووثقوه. ﴿لَهُمْ اللَّعْنَةُ﴾: البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: سوء العاقبة. ٢٦- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾: قليل وشيء حقير، ذاهب؛ من «مَتَعَ النَّهَارَ» إذا ارتفع فلا بد له أن يزول. ٢٧- ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من تاب إليه وأقبل. ٢٨- ﴿وَنُطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾: تسكن وتستأنس ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: قلوب المؤمنين. وفيه حُضٌّ وترغيب في الإيمان، والمعنى: أنه بهذا تقع الطمأنينة لا بالآيات التي اقترحوا- أو طلبوا- نزولها من السماء كسقوط السماء عليهم كسفاً، ونحو ذلك. [٢٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النحل: ٣١]، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]. الآيات الثلاث تتحدث عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعده الله لهم. [٢٥] ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الرعد: ٢٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكدّه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ويخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، وآية البقرة تبين أن أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، وأمّا آية الرعد فتوضح أن أولئك لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوؤهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة. [٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُهْدِ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الزمر: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الرعد: ٢٥].

﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: يقول الله عز وجل: أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك الحق ويصدق به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾: كالذي هو أعمى لا يعرف موقع حجة الله عليه، ولا يتذكر ولا يتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَتَّابُ﴾: أهل العقول. ٢١- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: يعني: الأرحام. قال ابن عطية: ووصل ما أمر الله به أن يوصل، ظاهره في القرابات، وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات. ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾: هو الاستقصاء فيه، والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عُدَّ ب. ٢٢- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: تعظيماً له أن يخالفوه في أمره، أو يأتوا ما يكرهه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصلاة المفروضة، أدوها بمحدودها في أوقاتها ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: لا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعونه بالخير. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبٌ الْدَارِ﴾: أعقبهم الله دار الجنان من دارهم التي لو لم يكونوا بها مؤمنين لكانت لهم النار. ٢٥- ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: أي ما عقده من العهود ووثقوه. ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: سوء العاقبة. ٢٦- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾: قليل وشيء حقير، ذاهب؛ من «مَتَعَ النَّهَارَ» إذا ارتفع فلا بد له أن يزول. ٢٧- ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من تاب إليه وأقبل. ٢٨- ﴿وَنُطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾: تسكن وتستأنس ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: قلوب المؤمنين. وفيه حُضٌّ وترغيب في الإيمان، والمعنى: أنه بهذا تقع الطمأنينة لا بالآيات التي اقترحوا- أو طلبوا- نزولها من السماء كسقوط السماء عليهم كسفاً، ونحو ذلك. [٢٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النحل: ٣١]، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]. الآيات الثلاث تتحدث عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعده الله لهم. [٢٥] ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الرعد: ٢٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكدّه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ويخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، وآية البقرة تبين أن أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، وأمّا آية الرعد فتوضح أن أولئك لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوؤهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة. [٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُهْدِ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الزمر: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الرعد: ٢٥].

«الكفرة» «بالطوع» في قوله ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكفرة: استعمالها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معاً، لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثم لا يمكن ولا يساغ أن تأتي إحداها مكان الأخرى. ٣- الإكراه: هو مصدر الفعل «أكراه»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكفرة»، و«الكفرة» أن الإكراه فعل المَكْرَه (اسم فاعل)، و«الكفرة» فعل المَكْرَه (اسم مفعول). أمثلة: أولاً: «الكفرة» بفتح الكاف: قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَقْبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. ثانياً: «الكفرة» بضم الكاف: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثالثاً: «الإكراه»: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [١٦] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرده. [٢٨] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هل تصيب الطمأنينة أو الوجع قلوب المؤمنين عند ذكر رب العالمين؟ الجواب: أن المراد "بذكر الله" في الآية الأولى، ذكر عظمة الله وجلاله وشدة انتقامه ممن عصاه، و"الذكر" في الآية الثانية يراد به ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأناب إليه. [٢٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]. قال أبو السعود: وفي التقييد بالصالح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد جبل الأنساب. [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هذا لا يأتي بشيء سوى ذكر الله تعالى، وذكره البتة، وأما ما عداه = [١٧] ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرَدٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُوقِدُونَ﴾ قرئ: (يوقدون) بالياء من تحت. وقرئ: (توقدون) بالتاء على الخطاب. قرئ: بالياء لمناسبة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلُوا لِلَّهِ﴾ وبالتاء خطاباً للمشركين. [١٧] ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد) بمشتقاته وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله. [٢٨] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كل (١٣) مرة. [٢٨] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة: أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة) بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد) بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. = السحاب، والرعد، والبرق، والصواعق، والإنكار والرّد على عباد الأصنام، وقصة نزول القرآن من السماء، والوفاء بالعهد، ونقض الميثاق، ودخول الملائكة بالتسليم على أهل الجنان، وأنس أهل الإيمان، بذكر الرحمة، وبيان تأثير القرآن، في الآثار والأعيان، وكون عاقبة أهل الإيمان إلى الجنان، ومرجع الكفار إلى =

٢٩- ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾: قيل: خير لهم وفرح وفرّة عين. وقيل: «طوبى»: اسم شجرة في الجنة. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَطَلَّ تَمْدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠]. ٣٠- ﴿وَالْيَهُ مَتَابٌ﴾: مرجعي وأوبتي، وهو مصدر من تبت متاباً وتوبة. ٣١- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سِيرَتْ بِهَ الْجِبَالِ أَوْ قُطِعَتْ بِهَ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهَ الْمَوْتُ﴾: قيل: معنى ذلك لو أن القرآن سَيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض لكفروا بالرحمن! وقيل: المعنى: لو أن قرأنا سَيرت به الجبال، أو صُدعت به الأرض أو صار الموتى أحياء بقراءته عليهم؛ لكان هذا القرآن. ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: معناه: أفلم يعلم ويتبين. ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً﴾: بما يقرعهم من البلاء والعذاب بالقتل وبالجدوب. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: قيل: موتهم، أو قيام الساعة عليهم. ٣٢- ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أطلت لهم في المهل. و«الإملاء» في كلام العرب: الإطالة. ٣٣- ﴿أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: هو الله لا إله إلا هو قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: معنى الكلام: كشركائهم الذين اتخذوها آلهة ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: يقول عز وجل: قل سموا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله، فإنه إن قالوا آلهة فقد كذبوا ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ؟ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: يقول عز وجل: أخبرونه بأن في الأرض إلهاً ولا إله غيره ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾: يقول عز وجل: أم تتبؤونه بظاهر من القول مسموع، وهو في الحقيقة باطل لا صحة له ﴿بَلْ رَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: قولهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: رُدُّوا عن إصابة الحق والهدى. ٣٤- ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أفعّل؛ من المشقة ﴿مِنْ وَاقٍ﴾: من أحد يقيهم عذاب الله، عز وجل. [٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سِيرَتْ بِهَ الْجِبَالِ﴾ الآية. أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ: إن كان كما تقول فأرنا أشياءنا الأول من الموتى نكلمهم، وافسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سِيرَتْ بِهَ الْجِبَالِ﴾ الآية.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ ﴿٣١﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ يَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٢﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سِيرَتْ بِهَ الْجِبَالِ أَوْ قُطِعَتْ بِهَ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهَ الْمَوْتُ بَلْ لَئِنْ أَلَامْتُكُمْ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٤﴾ أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ رَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٥﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٦﴾

٢٥٣

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: ٣٢] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾ [الأنعام: ١٠، الأنبياء: ١٤]. وإذا كانوا قد سَخَرُوا من دعوتك أيها الرسول فلقد سَخَرَتْ أُمَمٌ من قبلك برسُلهم، فلا تحزن فقد أمهلت الذين كفروا، ثم أخذتهم بعقابي... فهذا ما دل عليه موضع الرعد، أمّا باقي المواضع: ولقد استهزئ برسُل من قبلك أيها الرسول، فحلّ بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مثار سخريتهم واستهزائهم. [٣٢] ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]. العقاب أشد موقفاً من النكير؛ لأن الإنكار يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل وعلى ما فيه العقاب بالفعل، وأما مسمى العقاب فإنما يراد به في الغالب أخذ بعذاب مناسب لحال المجرم إثر معصيته وعقوب جريمته، وقد تقدم في آية الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، والاستهزاء أمر مرتكب زائد على التكذيب من التهاون، والاستخفاف بجريمة مرتكبة أشنع جريمة، فناسبها الإفصاح بالعقاب، أمّا آية الحج فإن الوعيد بها للمذكورين بالتكذيب ولم يذكر منهم استهزاء، قال تعالى: ﴿وَلَن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤]، فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب، وليس كالاستهزاء ذنب، فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله، أما المستهزئ فلا يصلح، وقد كفى الله نبيه إياهم، قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَأْتُمُورٍ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّا كُنْهِكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥]، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب مرتكب من قدم، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم. [٣٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ﴾ [محمد: ١٥]. صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص... أمّا آية محمد: صفة الجنة التي وعد الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغير، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ بها الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفّي من القذى، ولهاؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها...

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الرعد: ٣٧]، ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]. سورة الرعد لم يتقدم فيها شيء من القصص الإخبارية، وإنما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها إلى اختلاف أحوال المكلفين جرباً على ما سبق من قضائه فيهم، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه في أزلّه، وما حكم به عليهم، ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم، ثم أعقب بمآل الفريقين فتحدثت الآيات عمّن هداهم الله تعالى وما أعد لهم، وأتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه، وأخبر بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار، وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء وقبضه عمّن يشاء... ودارت الآي بعد على أن كل جار في خلقه بفتقده، وتناسب ذلك مع الآية، وكل ما تقدم فهو حكمه السابق في خلقه، فأعقب = فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عجز، قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنًا من كان، ليعلم عباده وأوليائهم أن المتعلق بغيره مقطوع، والمطمئن إلى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع.

[٣٣] ﴿بَلْ رَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا﴾ قرئ: ﴿وَصُدُّوا﴾ بضم الصاد على أنه أسند الفعل إلى المفعول على ما لم يسم فاعله، فأقيم "الذين حملوا" على المصدر مقام الفاعل، وفاعل الصد هو عظماء الكفار وكبرائهم، وكذا في سورة غافر: ٣٧، ﴿وَصَدَّ﴾ هناك، أي: "زين لفرعون" على ما لم يسم فاعله، فحمل صد على ذلك. وقرئ: ﴿وَصُدُّوا﴾ بفتح الصاد على أنه بناء على الإخبار عن الصادين الناس عن سبيل الله.

[٣٢] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ إيجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم) بمشتقاتها (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب) بمشتقاتها (٢٦) مرة في القرآن الكريم. القرآن الكريم، إذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم) بمشتقاتها مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب) بمشتقاتها وكل ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. = النيران، والمحو والإثبات في اللوح بحسب مشيئة الديان، وتقدير الحق في أطراف الأرض بالزيادة والنقصان، وتقرير نبوة المصطفى بنزول الكتاب، وبيان القرآن في قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُكْرِهُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُونُ عَلِيمًا بِذُنُوبِهِمْ فَلَمَّا أَتَتْهُمُ الرُّسُلُ أَنْ أَتَوْا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ إِلَهًا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٨﴾ وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٩﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ مَأْنِيَّتْكَ أَوْتَوْفَيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٢﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٣﴾

(٣٥٤)

٣٥- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: معنى ذلك: صفة الجنة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: معناه: لله الصفة العليا ﴿أَكُلُهَا﴾: ما يؤكل مما فيها ﴿دَائِمٌ﴾: لا ينقطع ﴿وُظِلُّهَا﴾: أيضاً دائم، لأنه لا شمس فيها: ﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾: عاقبة. ٣٦- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: هم أصحاب رسول الله ﷺ. وقيل: هم من آمن من أهل الكتاب. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾: أهل الملل المتحزبين عليك، يعني اليهود والنصارى والمجوس. وقيل: أحزاب الجاهلية من العرب. ﴿وَاللَّهُ يَكُونُ عَلِيمًا بِذُنُوبِهِمْ﴾: مصري. ٣٧- ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: يقول عز وجل: وكما أنزلنا إليك الكتاب فإنكره بعض الأحزاب، كذلك أيضاً أنزلنا الحكم والدين حكماً عربياً؛ لأنه نزل على محمد ﷺ، وهو من العرب، فنسب الدين إليه. وقال الزمخشري: «حكماً عربياً»: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب. ٣٨- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾: جعلناهم بشراً مثلك لهم أزواج ونسل، ولم نجعلهم ملائكة ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: يقول عز وجل: وما يقدر رسول الله أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فهو عنده. ٣٩- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾: قيل: يقدر الله عز وجل أمر السنة في ليلة القدر، فيمحو ما يشاء ويثبت، إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فذلك ثابت لا يغير، وجاء في ذلك روايات مختلفة ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: الذكر، وقيل: أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ. ٤٠- ﴿وَإِنْ مَأْنِيَّتْكَ﴾: في حياتك ﴿بَعْضَ الَّذِي﴾: نعد هؤلاء الكفار من العقاب ﴿أَوْتَوْفَيْنَاكَ﴾: قبل ذلك. ٤١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ، وتحول المدائن والقرى إلى دار الإسلام، أفلا يعتبرون ويخافون ظهورهم على أرضهم؟ ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾: لا راد لحكمه، و«المعقب» في كلام العرب: الذي يكره على الشيء. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: يحصي الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها، وهو من وراء جزائهم عليها. ٤٢- ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يقول عز وجل: وقد مكرت الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورسله، قبل هؤلاء المشركين من قريش ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: بيد الله عز وجل أسباب المكر كلها، فلا يضر مكر من مكر منهم أحداً، إلا من أراد الله تعالى ضربه به. ٤٣- ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ما نراك يا محمد تملك من شيء، لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾.

= هذا بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، قال الزمخشري: حكمة عربية أي مترجمة بلسان العرب، ولما تقدم آية سورة طه قصص موسى عليه السلام، وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل السامري، وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره إياهم، وما كان من عناد بني إسرائيل... أتبع هذا بما يلائمه إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، أي: قصصاً مقروءة بلسان العرب، مذكراً من وفق لاعتباره والاعتاظ به: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، فناسب كل من العبارتين موضعه أتم مناسبة، والله أعلم. [٣٧] ﴿وَلِيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [أول البقرة: ١٢٠]، ﴿وَلِيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [ثاني البقرة: ١٤٥]، ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، ﴿وَلِيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الرعد: ٣٧]. في آية سورة البقرة الأولى الوحيدة التي جاء فيها ﴿الَّذِي﴾، لأن العلم المشار إليه فيها هو علم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله ومعناه: أن دين الله الإسلام، وأن القرآن كلام الله، وليس وراء ذلك علم، فكان لفظ ﴿الَّذِي﴾ أنسب لأنه في التعريف أبلغ، وجعل في آية البقرة الثانية ﴿مَا﴾؛ لأن المعنى: من بعدما جاءك من العلم بأن قبله الله هي الكعبة، وذلك قليل من كثير من العلم، وزيدت معه ﴿مِنْ﴾؛ لأن تقدير الكلام: من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة، وجاء في آية الرعد ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ فعبر بلفظ ﴿مَا﴾ ولم يزد ﴿مِنْ﴾، لأن العلم هنا هو الحكم، أي: القرآن، فكان بعضاً من الأول، ولم يزد فيه ﴿مِنْ﴾؛ لأنه غير مؤقت، وقريب من معنى القبلة ما في آية آل عمران. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، تكررت مرتين بالرعد وغافر، وقال فيهما ابن عباس: عيروا رسول الله ﷺ باشتغاله بالنكاح والتكثير منه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾، فكان المراد من الآية قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾، بخلاف ما في غافر؛ فإن المراد منه: لست بدعاً من الرسل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ قرئ: (ويثبت) بسكون الثاء وتخفيف الباء الموحدة من أثبت، والمفعول محذوف هو الهاء، أي: ويثبته. وقرئ: (ويثبت) بالفتح والتشديد من ثبت مضاعف، ومفعوله محذوف، أي: (ما يشاء)، وثبت وأثبت بمعنى: لكن في التشديد معنى التكثير. [٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ﴾ قرئ: (الكفار) بضم الكاف وتقدير الفاء وفتحها جمع تكسير. وقرئ: (الكافر) بفتح الكاف وتأخير الفاء مع كسرهما على الأفراد، وأريد به الجنس اسماً شائعاً كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ فهو يدل على الجمع بلفظه فهو أخصر، ولأن ألفه محذوفة في الخط لأنه على وزن فاعل ولم تحذف من وزن فعال، لثلاث تغيير صورة الجمع بالحذف.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. [نقصان الأرض]: آراء العلماء في ظاهرة نقصان الأرض: ١- أن الأرض تنكمش بسبب هروب ملايين الأطنان من الغازات والأبخرة والمواد السائلة والصلبة من فوهات البراكين مما يؤدي إلى إنقاص الأرض من أطرافها. ٢- نتيجة دوران الأرض حول محورها فقد انبعجت قليلاً عند خط الاستواء وتفلطحت قليلاً عند القطبين مما يؤدي إلى إنقاص للأرض من أطرافها. ٣- عوامل التعرية تأكل من قمم الجبال، وتلقي في المنخفضات، وهذا إنقاص للأرض من أطرافها. ٤- إن في طغيان البحار على اليابسة إنقاص للأرض من أطرافها. وقد جمعت الآية القرآنية هذه المعاني وغيرها، ومن يدري فقد يرى العلماء في هذه الآية ما لا نراه اليوم.

٤٣- ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: حسيباً، حسي الله شهيداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: قيل: عنى بمن عنده علم الكتاب: علم جنس الكتاب، كالتوراة والإنجيل، فإن أهلها العالمين بهما يعلمون صحة رسالة رسول الله ﷺ وقد أخبر بذلك من أسلم منهم، كعبد الله بن سلام وتميم الداري. وقد كان المشركون من العرب يسألون عن أهل الكتاب ويرجعون إليهم. وقيل: «ومن عنده علم الكتاب»: الله تعالى، وأن المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

سُورَةُ الْاَنْعَامِ

١- ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الإيمان وضيائه ﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ﴾: بتوفيقه ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: طريقه المستقيم؛ وهو دينه الذي ارتضاه. ٢- ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾: قيل: واد في جنهم، والأرجح أنها كلمة تقال للعذاب والهلكة. ٣- ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: ويؤثرونها على الآخرة ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يلتمسون سبيل الله، وهي دينه ﴿عِوَجًا﴾: تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: في ذهاب عن الحق بعيد. ٤- ﴿إِلَّا يَلْسَانَ قَوْمِهِ﴾: بلغتهم. وقد بلغ النبي ﷺ قومه بلغتهم - في سياق مراحل التبليغ - ولكن رسالته لما لم تكن خاصة بقومه، لأنه بعث إلى الناس كافة على اختلاف ألسنتهم، بل بُعث إلى الثقلين جميعاً؛ فقد نصّر القرآن الكريم على أنه روعي في القرآن، وفي رسالة الإسلام: لسان المبلغ - صلوات الله وسلامه عليه - لا لغة القوم؛ قال تعالى: ﴿فَاتِمَّا يَسْرِتْهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]. ٥- ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: من الضلالة إلى الهدى ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بنعم الله عليهم، وبآياته التي انتقم فيها من الأمم قبلهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لعبر ومواعظ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾: على ما أنعم به عليه. [٨] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى المطلق من كل الوجه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، برّاً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكَعَاتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

(٢٥٥)

[١] ﴿الر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. تكررت هذه الآية ﴿الر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ مُتَشَابِهٌ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [١] ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرد. [٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ [إبراهيم: ٤]. وما بعثنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك أيها الرسول في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله تواباً رحيماً، فهذا ما دلت عليه آية النساء، وأمّا آية المائدة: وما أرسلنا من رسول قبلك أيها النبي إلا بلغته قومه؛ ليوضح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وفق الحكمة. [١] ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. في ذكر ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ بعد ذكر الصراط الموصل إليه، إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعر الله، قوي، ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة. [٢-٣] ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣]. وهذا المعوق - حب الدنيا على الآخرة - يمكن اعتباره في الحقيقة الداء الأصيل لكل من وضع أمام الدعوة عائقاً أو اعترض طريقها بعقبة أو نحوها، فالذي يعمل للدنيا يتخطب في كل أوديتها ويسير وراء كل هوى، فكلما عارض الشرع ودعوة الحق هواه أخذ يضع من العوائق والعقبات ما يحجب دعوة الحق عنه لتخلي بينه وبين هواه. [٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ [إبراهيم: ٤]. ونزول القرآن بلسان عربي إيدان بأن الله جل جلاله سيحرس اللغة العربية إلى يوم القيامة، ويرد عن حماها كيد كل متآمر حقود على القرآن = [٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾ قرئ: (الله) برفع لفظ الجلالة الشريفة وصلاً، وابتدئ بها على أنه مبتدأ خبره الموصول بعده، أو الموصول وصلته صفة الله، والخبر مضمّر، أي: هو الله؛ وقرئ: (الله) بالجر على البدل مما قبله، أو على أنه عطف بيان؛ لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبيته على المعبود بحق، وكذلك الخلاف في "عالم الغيب" في سورة "غافر".

[١] ﴿الرَّكَعَاتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إيجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة: أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرّر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرّر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرّر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة إبراهيم: نزلت بعد سورة نوح، وهي مكية إجماعاً، غير آية واحدة: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا فَعِمَتَ اللَّهُ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. عدد كلمات سورة إبراهيم: ثمانمائة وإحدى وثلاثون. عدد حروف سورة إبراهيم: ستة آلاف وأربعمئة وثلاثون. أسماء سورة إبراهيم: وتسمى سورة إبراهيم؛ =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إيجاز متنوع التعريف بالسور

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُقَفِّرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوْخِّرَ كُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١٠

(٢٥٦)

٦- ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يُذيقونكم شديد العذاب ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون على قيد الحياة ﴿نِسَاءَكُمْ﴾: فلا يقتلونهم، قيل: إن الكهنة أخبروا فرعون بأنه يولد في بني إسرائيل مولود يكون هلاكه على يده. ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ﴾: اختبار. وقيل: من البلاء ما يصيب الناس من الشدائد. ولا يخفى ما في قتل الأبناء، واستحياء البنات للخدمة ونحوها، من الذل والعار، وأنه من الابتلاء الشديد. ٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: قال ربكم وأعلم، «وتأذن»: تفعل، من آذن، والعرب تقول ذلك كما تقول: توعده وأوعده بمعنى واحد. ٨- ﴿إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: تجحدوا نعمة الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحمد، أي مستوجب للحمد بكثرة نعمه وأياديه، وإن لم يحمدوا حامدون. ٩- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: يبلغكم ﴿نَبَأٌ﴾: خبر ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج والبراهين على حقيقة ما كانوا يدعونهم إليه ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: فعضوا على أصابعهم تغيطاً عليهم؛ إذ دعوهم إلى الحق ﴿مُرِيبٌ﴾: موجب للريبة والتهمة. ١٠- ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبتدعها وخالقها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى الوقت الذي كتب به في أم الكتاب ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ﴾: بحجة على ما تقولون ﴿مُبِينٌ﴾: يبين لنا حقيقته وصحته.

(٨، ١٠) [معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدراً حيثما تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء، فإن الله تعالى مستحق من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى إليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يشنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفصيل حمده وما يُحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تُحصيها الأقلام.]

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]. الخطاب بحرف النداء أو اسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى وتخصيصه بما يريد أن يقول له، فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك، وإيتاء ما لم يؤت أحداً من العالمين وهو المن والسلوى، وهم ملتبسون به حالة النداء؛ حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء وتخصيص المنادى، ولذلك أيضاً قال: ﴿يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]؛ لأن ذلك من أعظم النعم عليهم؛ فناسب التخصيص بذكر المنادى، ولما كانت آية إبراهيم في ذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قتل فرعون، وكان ذلك مما مضى زمانه، لم يأت فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة. [٦] ﴿يَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ﴿وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]. ﴿يَدْعُونَ﴾ في البقرة، و﴿يَقْتُلُونَ﴾ في الأعراف بغير واو، ثم ﴿وَيَدْعُونَ﴾ في إبراهيم بالواو، لأن ما في البقرة والأعراف من كلام الله تعالى، فلم يرد أن يعدد عليهم المحن، فوقع الفصل، وأمّا الذي في إبراهيم، فمن كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم، وكان مأموراً بذلك في قوله تعالى قبلها: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فكان الوصل للآية أنسب. [٨] ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]. آية إبراهيم أكد لأنه ذكر اللام في قوله: ﴿لَغَنِيٌّ﴾، وأمّا آية لقمان فقد ذكرت صنفين من الخلق وهما من شكر ومن كفر، وآية إبراهيم افترضت كفر أهل الأرض جميعاً لذا جاء قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، أعم وأشمل، وكذلك ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾، تحتاج إلى الاستمرار وتحتاج إلى التوكيد. [٩] ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢]، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [إبراهيم: ٩]. آية هود الكلام في قصة صالح فجاء بلفظ "تدعوننا" خطاب للمفرد، أمّا في سورة إبراهيم فالكلام عن مجموعة من = والإسلام، وهذا ما أثبتته الأحداث عبر القرون المتتابعة، فقد انقضت لغات رغم حرص أهلها عليها، وبقيت اللغة العربية رغم تفريط أهلها. [٥] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [إبراهيم: ٥]، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَقِمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]. ما الفرق بين: "صابر وصَبَّار"؟ **الجواب**: وردت كلمة (صابر) مرتين، بينما وردت كلمة (صَبَّار) أربع مرات. وردت كلمة (صَبَّار) وهي صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال) في المواطن التي اقتضت تأكيد صفة الصبر. مثال: = [١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ **إعجاز عددي**: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسمائهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إيلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة **الرسل** بمشتقاتها، و**النبي** بمشتقاتها، و**البشير** بمشتقاتها، و**النذير** بمشتقاتها، نجد أنها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الرسل** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة **النبي** (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **النذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

= لتضمنها قصة إسكانه ولده إسماعيل بواد غير ذي زرع، وشكره الله تعالى على ما أنعم عليه من الولدين: إسماعيل وإسحاق. **مواضيع سورة إبراهيم**: مقصود السورة بيان حقيقة الإيمان، وبرهان النبوة، وأن الله تعالى أرسل كل رسول بلغة قومه، وذكر الامتنان على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون، وأن القيام بشكر =

١١- ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾: يتفضل ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: من خلقه فيهديه ويوفقه. وقيل: التفضل على من يشاء منهم بالنبوة. ١٢- ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾: بصّرنا طرق النجاة من عذابه. ١٤- ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾: يقول عز وجل هكذا فعلني بمن خاف مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعَبِدَ﴾: فاتقاني. ١٥- ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾: يقول عز وجل: واستفتحت الرسل على قومها، أي استنصرت الله عليهم ﴿وَخَابَ﴾: هلك ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: متكبر ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق مجانبه. ١٦- ﴿مَنْ رَأَاهُ جَهَنَّمَ﴾: في هذا الموضع: من أمامه، كما يقال: إن الموت من ورائك، أي من قدامك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَأَاهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ عَصَبًا﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿مَاءٍ صَدِيدٍ﴾: القيح والدم. ١٧- ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يتحساه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: ولا يكاد يبتلعه ويزدريه، ومعناه: ولا يقارب أن يسيفه، فكيف تكون الإسافة، كقوله: ﴿لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: ٤٠] أي: لم يقرب من رؤيتها، فكيف يراها، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع جهاته الست، أو من كل موضع من مواضع بدنه. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: لا تخرج نفسه فيستريح. ١٨- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الآية. ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾: يعني: التي عملوها في الدنيا يزعمون أنها لله عز وجل ﴿كَرَّمَادٍ﴾: عصفت عليه الريح فذهبت به، ووصف اليوم بالعصف وهو من صفة الريح، لأن الريح تكون فيه، كما يقال: يوم بارد ويوم حار، ولأن البرد والحار يكونان فيه. وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذكرت قبل ذلك.

= الرسل لذا جاء قوله: "تدعوننا"، أمّا "إننا" فهي تأتي للتوكيد سواء كانت النون مشددة أو مخففة، وقد يأتي التوكيد في أول الأسماء مثل "إننا"، أو في آخر الأفعال مثل "ولتكونا"، "ليذهبن" بغرض التوكيد، ويلاحظ أن استعمال "إننا" يحتمل معنيين: في مقام التفصيل "إننا"، أو في مقام التوكيد "إننا"، فلوا قرأنا القصتين في السورتين نجد في سورة هود قصة صالح عليه السلام فيها تفاصيل كثيرة، فاقتضى التفصيل استخدام "إننا"، وكذلك التوكيد بلفظ "إننا"، بينما الكلام في سورة إبراهيم موزج فاستعمل "إننا" وهذا يناسب الإيجاز، والله أعلم. [١٠] ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠، الأحقاف: ٣١، نوح: ٤] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١، الأحزاب: ٧١، الصف: ١٢]. عندما يكون الخطاب على لسان الرسل إلى قومهم لعبادة الله تأتي الآية: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعض ذنوبكم، وعندما يكون الخطاب من الله تعالى في حق المؤمنين يكون متسمًا بالكرم الواسع: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: جميع ذنوبكم. [١٠] ﴿قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ نُصَدِّقُوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾ [إبراهيم: ١٠]. ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لَا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [يس: ١٥]. قال الكافرون لرسولهم ما نراكم إلا بشرًا صفاتكم كصفاتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلًا، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما تقولون، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية يس: قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا، وما أنزل الرحمن شيئًا من الوحي، وما أنتم أيها الرسل إلا تكذبون. [١١، ١٢] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. وبعده ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن الإيمان سابق على التوكل. [١٨] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [النور: ٣٩]. صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبرص وصاله الأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثرًا... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية النور: والذين كفروا ببرهم وكذبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماءً، فإذا أتاه لم يجد ماءً... =

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، فلقد صابر موسى ومن معه في اضطهاد فرعون ومطاردته لموسى عليه السلام، وصابر موسى، وظل يدعو قومه ويذكرهم بالله، وجديرٌ بمن صابر وصبر على كل المضاعف والمشاق التي لاقاها من الطاغوت (فرعون) وجنده، وثابر على دعوتهم ونصحهم، أن يوصف (بالصَّابِر) لذا جاءت الصيغة التي تحمل معنى التوكيد والمبالغة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [١٨] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]. في تشبيه أعمال الكفار بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم، وبين الرماد في إحراق النار وإذهاها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله، وعلى غير مراده طعمة للنار، وبهذا تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطنة نارا وعذابًا. فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار. [١٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوُا صَلَاتَهُمْ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] = [١٥] ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٥] ﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات الجبر مع مشتقات القهر مع مشتقات العتو، وقد ورد كل (١٠) مرات. أولاً: وردت مشتقات كلمة (الجبر) في كتاب الله (١٠) مرات. ثانيًا: وردت مشتقات كلمة (القهر) (١٠) مرات في كتاب الله. ثالثًا: وردت مشتقات كلمة (العتو) (١٠) مرات في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الجبر) مع مشتقات كلمة (القهر) مع مشتقات كلمة (العتو)، وقد ورد كل (١٠) مرات.

= النعم يوجب المزيد، وكفرانها يوجب الزوال، وذكر معاملة القرون الماضية مع الأنبياء، والرسل الغابرين، وأمر الأنبياء بالتوكل على الله عند تهديد الكفار إياهم، وبيان مذلة الكفار في العذاب، والعقوبة، وبطلان أعمالهم، وكمال إدلالهم في القيامة، وبيان جزعهم من العقوبة، وإلزام الحجة عليهم، وإحالة إبليس اللأمة =

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرَنَّ عَلَىٰ مَاءٍ أَذْيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لِنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُلَاقِيَنَّكَ أَظْلَمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبِدَ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ وَمِنْ رَأْيِهِ جَهَنَّمَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ رَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

الْمُتَرَاتِكُ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

١٩- ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أي يعدمكم ويطمس آثاركم. ﴿يَخْلُقُ جَدِيدًا﴾: من بني آدم، أو من نوع آخر. ٢٠- ﴿بِعَزِيزٍ﴾: بممتنع. ٢١- ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: للقادة ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾: من مزاح نزوح إليه، يقال: حاص عن كذا، أي زاغ، يحيص حصاً. أي: لا نجاة لهم ولا مهرب من العذاب. ٢٢- ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: يعني: لما أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقر بكل فريق قرارهم ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة بُنيت لكم تصديق قولي ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾: إلى طاعتي ومعصية الله ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثي ﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾: جحدت ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾: من عبادتكم بأن أكون شريكاً لله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: في الدنيا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجه. ٢٣- ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمره ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾: الملائكة يسلمون عليهم في الجنة. ٢٤- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: يريد: كلمة الإسلام، وهي: لا إله إلا الله، أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الخير. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: الشجرة. وقيل: عنى بها: النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: راسخ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾: ترتفع علواً نحو السماء. قيل: «الشجرة الطيبة: المؤمن، «أصلها ثابت»: قول لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، و«فرعها في السماء»: يرفع عمل المؤمن بها إلى السماء، فالؤمن في الأرض، ويبلغ عمله وقوله إلى السماء. ١٨ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]. آية البقرة في سياق الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسباً ولذلك آخر الكسب، وأما آية إبراهيم فهي في سياق العمل، والعامل كاسب فقدم الكسب. [٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي إبراهيم وفاطر، ومعناها: وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله، بل هو سهل يسير. ٢١ ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ...﴾ [إبراهيم: ٢١]، ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]. يقول الأتباع لقادتهم يوم القيامة إنا كنا لكم في الدنيا أتباعاً، نأتمر بأمرهم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً كما كنتم تعدوننا... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية غافر: يقول الأتباع المقلدون لرؤسائهم المستكبرين الذين أضلوهم... هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بتحملكم قسطاً من عذابنا؟ [٢٥] ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية النور: ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

= ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ **الجواب:** وردت كلمة (ضلال) سبعاً وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضَلَّ يَضِلُّ ضَلالاً وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضَلَّلَ يَضِلُّلُ تضليلاً). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثاً وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بد (في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر عنها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فرد عليهم قائلاً: ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١]. ٢١ ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]. من اللطائف البلاغية في الآيات: تنوع الأساليب فيها على حسب أصحابها، فالضعفاء في أسلوبهم انكسار كما = ١٩ ﴿الْمُتَرَاتِكُ أَنْتَ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، و﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ في النور: ٤٥، قرئ: (خالق السماوات والأرض) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف اسم فاعل، وخفض (السماوات) على الإضافة و(الأرض) على العطف عليه، و(وكل) في النور، على الإضافة. وقرئ: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) بفتح الخاء واللام بلا ألف وفتح القاف فعلاً ماضياً ونصب (السماوات) بالكسرة و(الأرض) بالفتحة و(كل) على المفعولية. ٢٢ ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ قوله تعالى: ﴿بِمُصْرِخِي﴾ قرئ: (بمصرخي) بكسر الياء لغة بني يربوع، فإنهم يزيدون على ياء الإضافة - ياء، وأنشد بعضهم شاهداً على ذلك، قال: ماضٍ إذا ما هم بالمضي * قال لها: هل لك يا بغني. وقد وجهت بوجوه منها: أن الكسرة على أصل التقاء الساكنين، وأصله: مصرخين لي حذف النون للإضافة فالتقى ساكنان. وقرئ: (بمصرخي) بفتح الياء لأن الياء أخف من غيره. ٢٢ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشیطان» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) مرة. إذا أُضيف إلى عدد ورود لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أُضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشیطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضاً (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= عليهم، وبيان سلامة أهل الجنة، وكرامتهم، وتشبيه الإيمان والتوحيد بالشجرة الطيبة وهي النخلة، وتمثيل الكفر بالشجرة الخبيثة وهي الحنظل، وتثبيت أهل الإيمان على كلمة الصواب عند سؤال منكرو ونكير، والشكوى من الكفار بكفران النعمة، وأمر المؤمنين بإقامة الصلوات، والعبادات، وذكر الجنة على المؤمنين بالنعم =

٢٥- ﴿تَوَقَّأْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: كل وقت؛ تُؤكل شتاءً وصيفاً. وقيل ﴿تَوَقَّأْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: يقوم المؤمن بذكر الله عز وجل كل ساعة من الليل والنهار. ٢٦- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ﴾: يعني: الإشراف بالله أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشر. ﴿كَشَجَرَةٍ خَيِّثَةٍ﴾: قيل: هي شجرة الخنظل ﴿أَجْتَنَّتْ﴾: استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: لا أصل لها في الأرض يثبت عليه ويقوم ضرب الله هذا مثلاً في الشرك أنه لا يقوم له أصل يأخذ به الكافر، ولا برهان، ولا يرتفع معه عمل إلى الله عز وجل. ٢٧- ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: بالقول الحق، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي أنهم يستمرون على القول الثابت في الحياة الدنيا. وقيل: المراد: في قبورهم عند مسألة الملكين لهم، وذلك أن الميت تعاد روحه في جسده في قبره، فيأتيه الملكان فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. فيقال له: صدقت، ويوسع له في قبره مد بصره؛ فذلك التثبيت في الحياة الدنيا بـ«لا إله إلا الله» ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: وقت الحساب. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: لا يوفق الله المنافقين والكافرين في الحياة الدنيا، ولا في الآخرة. ٢٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: قيل: هم كفار قريش أنعم الله عليهم بمحمد وابتعثه منهم، فصوروا نعمة الله عليهم به كفرًا. وهي عامة في جميع المشركين. ﴿وَأَحَلُّوا﴾: أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾: من أهلك منهم بيد، والبوار: الهلاك، بار الشيء يبور؛ إذا هلك وبطل، والمراد بدار البوار: جهنم. ٣٠- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شركاء، وهو جمع «ند» ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾: في الحياة الدنيا- والأمر، بمعنى التوخيخ والتهديد. ٣١- ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾: البيع هاهنا: الفداء، أي: لا تقبل فيه فدية ولا عوض ﴿وَلَا خَلَلَ﴾: ولا مخاللة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة، بل العدل والقسط، و«الخلال»: مصدر خاللت فلاناً. ٣٣- ﴿دَابِّينَ﴾: في إخلافهما، أي تعاقبهما، عليكم. وقيل: دائبين في طاعة الله عز وجل. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾: للسكن ﴿وَالنَّهَارَ﴾: للتصرف. والمراد: التذليل والانتفاع. [٢٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ الآية. أخرج ابن

تَوَقَّأْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيِّثَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

(٢٥٩)

جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر من المشركين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ الآية. أخرج ابن [٢٩] ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]، ﴿فَقَسَّ الْأَنْفَارُ﴾ [ص: ٦٠] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، آل عمران: ١٢، ١٩٧، الرعد: ١٨، ص: ٥٦. جهنم يدخلونها ويقاسون حرها، وَقَبَّحَ المستقر مستقرهم، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم وص، أما باقي المواضع: مقامهم جهنم تكون لهم فراشا، وبئس الفراش الذي مهَّده لأنفسهم. [٣١] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا...﴾ [إبراهيم: ٣١]، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [الإسراء: ٥٣]. قل أيها الرسول لعبادي الذين آمنوا يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيتهم من المال في وجوه الخير.. فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أما آية الإسراء: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام... [٣١] ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ...﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿وَيُؤْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]. الآيتان تحثان المؤمنين على أن يخرجوا بعض ما أعطاهم الله من المال في وجوه الخير الواجبة والمستحبة مسرِّين ذلك ومعلنين، وآية البقرة تدعوهم إلى أن يتصدقوا قبل مجيء يوم القيامة حين لا بيع فيكون ربح، ولا مال تفتدون به أنفسكم من عذاب الله، ولا صداقة صديق تنفذكم، ولا شافع يملك تخفيف العذاب عنكم... وأما آية إبراهيم فتدعوهم إلى الصدقة كذلك من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء ولا صداقة. [٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ...﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾ [النمل: ٦٠]. آية إبراهيم قد تقدمها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقد علم المؤمنون أن الله غني عن العالمين، وأن المنزل من ماء السماء إنما هو رحمة للعباد وإحياء للأرض بعد موتها، ليخرج ما بث فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمرات، وغير ذلك مما به صلاح أحوال العباد وتتميم معاشهم، ولم يرغب عن المؤمنين المذكورين قبل أن ربه غني عن ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به، فلم يحتج هنا إلى تنبيههم بأن ذلك لهم، إذ حالهم التذكر وموالاته الاعتبار لا الغفلة، وآخر ذكر ذلك إلى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة والطيب من الرزق: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أما آية النمل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَمَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، فلما تضمنت تعنيًا للمشركين على سوء مرتكبهم، وعماهم عن التفكير والاعتبار، قصد تحريكهم وإيقاظهم من رقدة الغفلة، فقيل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾، فحصل تنبيههم وإعلامهم أن إنزال الماء من السماء إنما هو لهم، وأنه لا حاجة به سبحانه إليه، فاستوجب الكلام تعنيفهم، = هي حالهم من المذلة في الدنيا، والجملة التي يقولونها تعكس ذلك الانكسار: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنشَرْنَاهُ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، أما الذين استكبروا ففي أسلوبهم ضيق وسامة كما كان فيهم أيام الحياة ضيق وسامة، واستمع إلى الجملة التي يقولونها طافحة بذلك الضيق: ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ هَذِهِ نَبْذَكُمْ﴾. [٣١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]. ما الفرق بين: "خُلَّةٌ، خِلَالٌ؟" **الجواب:** وردت كل منهما مرة واحدة في القرآن الكريم. **الخلال:** المخاللة، وهو مصدر من خاللت خللاً ومخاللة وهي المصادقة. وردت كلمة **(الخلال)** في القرآن بمعنيين: ١- المصادقة. ٢- الصداقة (وهي تشترك بهذا المعنى مع كلمة = [٣٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ هنا والحج: ٩، لقمان: ٦، الزمر: ٨، قرئ: **(لِيُضِلُّوا)** بفتح الياء في الأربعة من (ضل)، ولبعضهم الخلاف في لقمان. وقرئ: **(لِيُضِلُّوا)** بضم الياء في الأربعة من أضل رباعياً، واللام للجر مضمرة (أن) بعدها وهي للعاقبة حيث مآلهم في ذلك أو للتعليل. = السابغات، ودعاء إبراهيم بتأمين الحرم المكي، وتسليمه إسماعيل إلى كرم الحق تعالى. ولطفه وشكره لله على إعطائه الولد، والتهديد العظيم للظالمين بمذلتهم في القيامة، وذكر أن الكفار قرناء الشياطين في العذاب، والإشارة إلى أن القرآن أبلغ وعظ، وذكرى للعقلاء في قوله: ﴿هَذَا بَلَدٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُذْذَرُوا بِهِ...﴾ [إبراهيم: ٥٢].

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَأَتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَسَاسٍ لِنُؤْمِنَ بِهِ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَنَنْبَغِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَتَيْتُكَ بِبُذُرٍ ذَرِيٍّ وَإِنِّي خَشِيتُكَ مِنَ النَّاسِ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ دُعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

٣٤- ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾: أعطاكم ﴿مِنْ كُلِّ مَسَاسٍ لِنُؤْمِنَ بِهِ﴾: هذا على معنى التكثير، كقوله عز وجل: ﴿فَتَحْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]. وقيل: ليس شيء إلا وقد سأل به بعض الناس فأوتي بعضهم شيئاً، وأوتي آخر شيئاً. ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾: لا تطبقوا إحصاء عددها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: يقول عز وجل: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً لظلم كفار في شكره غير من أنعم عليه. ﴿كَفَّارٌ﴾: جحود لنعمة الله بصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه. ٣٥- ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾: يعني: الحرم آمناً أهله وسكانه ﴿وَاجْنُبْنِي﴾: أبعدني. ﴿الْأَصْنَامَ﴾: واحداً: صنم، وهو التمثال المصور، وما لم يكن صنماً فهو وثن. ٣٦- ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا﴾: يعني الأصنام. أي أنها سبب ضلالتهم. ٣٧- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَتَيْتُكَ بِبُذُرٍ ذَرِيَّتِي﴾: إسماعيل عليه السلام ﴿وَبَنِيَّ﴾: مكة، لم يكن بها يومئذ زرع ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: من استحلال حرمة الله والاستخفاف بحقه. ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: ليؤدوا فرائضك التي أوجبتها عليهم في بيتك المحرم ﴿فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾: قلوباً ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾: تسرع إليهم. وقيل: لو قال عليه السلام: أفئدة الناس لَحَجَّتْ اليهود والنصارى والناس أجمعون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: على ما ترزقهم وتنعم به عليهم. ٣٩- ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾: على كبر من السن. ٤١- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يعني: يوم يقوم الناس للحساب. ٤٢- ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: يعني يوم القيامة تشخص أبصارهم، فلا ترتد، بل تبقى مفتوحة جامدة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة. = ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنَبِّئُوا شَجَرَهَا﴾ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَلَّغَ لَكُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [النمل: ٦٠]، أي: يعدلون ببرهم غيره، ويعدلون بعبادته إلى عبادة غيره، وكل هذا شرك لا فلاح معه، فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور، وشأنه أبداً إذا قُدِّمَ إحراز معنى التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لذي غفلة، أما إذا تأخر فلا يحرز هذا المعنى على الصفة التي يحرزها متقدماً، والله أعلم. قول آخر: زيادة "لكم" في النمل؛ لأن "لكم" في إبراهيم مذكورة في آخر الآية: ﴿رَزَقْنَا لَكُمْ﴾ وسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِي وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ [إبراهيم: ٣٢]، فاكْتَفَى بذكره، ولم تكن في النمل في آخرها، فذكرت في أولها، وليس قوله: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنَبِّئُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠]، يكفي من ذكرها؛ لأنه نفي لا يفيد معنى الأول. ٣٤ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ثم قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ثم ذكر إنعامه على عباده في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، إلى قوله: ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَسَاسٍ لِنُؤْمِنَ بِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه وإحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل وجعل الأنداد، وصف الإنسان بأنه ظلم كفار، أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه إليه عباده المؤمنين من متوالي آياته وإحسانه، وما ابتدأهم به من نعمة من لدن قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، ثم تواتت آيات الامتنان والإحسان، فقال تعالى: ﴿وَالْأَنْفَعُ خَلْقُهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، فذكر تعالى بعضاً وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منها وموقفاً من الغفلة والنسيان: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، ثم أتبع بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾، فناسب ختام هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم. ٣٥ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ في آية البقرة قبل بناء الكعبة وقبل أن تعمر مكة، و﴿الْبَلَدَ آمِنًا﴾ في آية إبراهيم بعد بناء الكعبة. قول آخر: اسم الإشارة في آية البقرة لم يقصد أن يكون له تابع يوضحه ويبيّنه؛ لأنه واضح غير مفتقر إلى التابع المبيّن جنسه اكتفاء بالواقع قبله كقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ = خُلة. (الخلال) فيها تأكيد أكثر وأبلغ من كلمة (خلة) لزيادة المبنى التي تدل على زيادة المعنى. (الخلال) ساءت كفاصلة (خاتمة آية) لما فيها من مد، على العكس من (الخلة) التي لم تصلح كفاصلة. لذا ناسبت كل منهما موقعها وموضوعها في الآيات بدقة بالغة. وما يسوغ أن تحل إحداها محل الأخرى. ٣٤ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ﴾ [ق: ٢٩]، ما الفرق بين: "ظلم، ظلام"؟ الجواب: وردت كلمة (ظلم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعلول) والثانية على وزن (فَعَال). وردت كلمة (ظلم) وصفاً للإنسان. بينما وردت كلمة (ظلام) وصفاً منفياً عن الله تعالى. فلم يختصص كل بما ذكر؟ الجواب: حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسباً أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ (ظلم و جهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصف آخر فيه مبالغة (كفار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلم موسيقياً، كما أنه شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كليهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلام) فقد جاءت وصفاً منفياً عن الذات الإلهية، وأرى أن ذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنيا (الظلم) غالباً. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استُخدمت كلمة (ظلام) كما قال القاضي الباقلاني: لأن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يوصف بأقصى حد للظلم وهو (ظلام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلى على ذنب فليس بظلام أبداً. ٣٧ ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَفْعِدَةً﴾ قرئ: (أفئدة) بياء بعد الهمزة لغرض المبالغة على لغة المشيعين من العرب على حد الدراهم والمصاريف، وليست ضرورة بل لغة مستعملة معروفة، وقرئ: (أفئدة) بغير ياء جمع فؤاد كغراب وأغربة. ٣٨ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ﴾ [عجاء عددي: ورد ذكر (الجهر) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر) بمشتقاته مع لفظ (العلانية) بمشتقاته، وقد ورد كل منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم.

٤٣- ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُدْعِي النظر، و«الإهطاع»: النظر الدائم الذي لا يطرف ﴿مُنْعِي رُؤُسِهِمْ﴾: رافعيها إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: خاشعة أبصارهم، وأصل الطرف: تحريك الأجفان ﴿وَأَفْقِدَتْهُمْ﴾: قلوبهم. ﴿هَوَاءٌ﴾: خالية، ليس فيها من الخير شيء، ولا تعقل. ٤٤- ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾: يعني: في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ﴾: من تحول أو انتقال من الدنيا إلى الآخرة، إنما تموتون ثم لا تُبعثون! ٤٥- ﴿فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: الذين كفروا من الأمم الخالية. ٤٦- ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: أشركوا كشركم بالله وافتراءكم عليه، كقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا أَن دَعَا لِلزَّحْمَنِ وَلَذَا﴾ [سورة مريم: ٩٠-٩١]، أي: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فإن الله تعالى مجازيهم عليه. ٤٨- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾: يُبدلها الله عز وجل يوم القيامة بأرض لم تعمل عليها الخطايا. وأكثر المفسرين على أن المراد: تغيير صفاتها، وأنت روايات كثيرة في هذا. ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾: أي: وتبدل السماوات غير السماوات، بتبديل عين السماوات أو صفاتها كذلك. ٤٩- ﴿مُفَرِّقِينَ﴾: مُفَرِّقَةً أيديهم وأرجلهم، ومشدودة، إلى رقابهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: في الوثاق من غُلٍّ أو سلسلة أو قيد. ٥٠- ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾: قمصهم. ﴿مِّنْ قِطْرَانٍ﴾: قيل: قطران الإبل. وقيل: القطران: النحاس المذاب ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمْ﴾: تلفح. ٥١- ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: عالم بعمل كل عامل، فهو سريع الحساب لا يحتاج إلى معاناة. ٥٢- ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾: أبلغ الله إليهم في الحجة عليهم وأعذر ﴿وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: بما احتج من حججه، وأظهر من براهينه ﴿وَلْيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ الْأَلْبَابُ﴾: العقول. [٤٨] معنى اسم الله الواحد: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفردّه بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة. والأحد، يعني: الذي تفرد بكل كمال، ومجد وجلال،

وجمال وحمد، وحكمته ورحمة، وغيرها من صفات الكمال. فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات. ومن تحقيق أحديته وتفردّه بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم تبقَ صفة كمال إلا اتّصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تُحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم. [٤٨] معنى اسم الله القهار: هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيتته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضرراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليفة إلا بتمام حياته وقوة عزته واقتداره. إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان. = [البقرة: ١٢٥]، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، ولو تعرّف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بياناً زائداً على ما تحصل مما تقدم، بل كان يكون كال تكرار، فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود، وأمّا آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بُد من إجراء البلد عليه تابعا له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة، ومعنى الكلام في الآيتين دعاء، ففي آية إبراهيم الدعاء للبيت والآية مكية، وأمّا الدعاء في آية البقرة فللبلد، فجاء اللفظ مشاكلاً للمعنى في الآيتين. [٣٨] ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. قدّمت الأرض على السماء في هذه المواضع: [آل عمران: ٥، يونس: ٦١، إبراهيم: ٣٨، طه: ٤، والعنكبوت: ٢٢]، وجاءت عكسَ الغالب في سائر الآيات؛ لأن المخاطبين في السور الخمس كانوا في الأرض فقط، بخلافهم في غيرها.

٥٢ ﴿وَلْيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ الْأَلْبَابُ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿وَلْيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ الْأَلْبَابُ﴾ [ص: ٢٩]. كلا الموضوعين حاصل فيه التناسب، أمّا آية ص ففي قوله: ﴿لْيَذْكُرُوا﴾ حرفان من الحروف الشديدة، وهما الباء والذال وثنائهما مضعف، فنسق عليهما قوله: ﴿وَلْيَذْكُرُوا﴾، وفيه أيضاً حرفان من حروف الشدة وهما الكاف والتاء وثنائهما مضعف، والتناسب بهذا واضح، وأمّا آية إبراهيم فورد فيها: ﴿وَلْيَذْكُرُوا بِهِ﴾ و«لْيَعْلَمُوا»، وقد عريت الكلمتان من حروف الشدة، وإنما جميعها من الرخوة وهي ضد الشديدة، فناسبها عطفاً عليها قوله: ﴿وَلْيَذْكُرُوا﴾، إذ ليس فيه من الحروف الشديدة غير الكاف، وأيضاً فإن يذكر ويتذكر معناهما واحد، والأصل للمدغم مفكوكه، فلفظ يذكر ثان عن يتذكر، وهو أكثر استعمالاً وأخف لفظاً، فقدم في سورة إبراهيم، وأخر الأثقل في سورة ص. [٤٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. ما الفرق بين: "قاهر وقهّار"؟ الجواب: وردت كلمة (القاهر) مرتين؛ بينما وردت كلمة (قَهَّار) ست مرات. (القاهر) اسم فاعل من الفعل الثلاثي (قَهَرَ)، بينما (قَهَّار) صيغة مبالغة على وزن فعّال. وردت كلمة قاهر للإخبار عن صفة القهر دون مبالغة وهو أمر واضح جلي لا يحتاج إلى تفصيل، بينما كلمة (قَهَّار) التي تحمل المبالغة والتوكيد، هي التي تحتاج إلى تعليل. والمتأمل في النصوص الواردة سيجد الآتي: ١- أن كل المواضع التي أتت فيها كلمة (قَهَّار) مواضع تحتاج إلى توكيد وإظهار لصفة القهر مع المبالغة والتشديد، فناسب ذلك ذكر الصفة بصورة المبالغة (قَهَّار). ٢- أن كل المواضع الستة التي أتت فيها كلمة (القَهَّار) سُبقت بكلمة الواحد، وحيث إن الله واحد لا إله غيره ولا رب سواه فهو المتصف بالقهر، ولا ينافيه في هذه الصفة أحد، لذا ناسب وصف الواحد بصفة (القَهَّار) التي تؤدي إلى هذا المعنى الدقيق دون غيرها من الأسماء والصفات، لذا أسندت كلمة (القَهَّار) إلى كلمة (الواحد).

٤٦ ﴿وَلِإِن كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ قوله تعالى: ﴿لِنَزُولٍ﴾ قرئ: (لِنَزُولٍ) بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية على أن (إن) مخففة من الثقيلة والهاء مقدره و"اللام" الأولى هي الفارقة بين المخففة والنافية، والفعل مرفوع، أي: أنه كان مكرهم. وقرئ: (لِنَزُولٍ) بكسر الأولى ونصب الثانية على أنها نافية، و"اللام" لام الجحود والفعل منصوب بعدها بأن مضمرة. ويجوز جعلها أيضاً مخففة من الثقيلة، والمعنى: أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الثابتة ثباتاً وتمكناً من آيات الله تعالى وشرائعه، فالمراد بالجبال: ما ثبت من الحق والدين والقرآن، والمراد بضمير مكرهم قيل: هو لقريش، وقيل: لمن تقدم من الجبابرة الماضية.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

قَالَ يٰٓإِبْرٰهِيْمُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنُ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَمَ اَكُنْ لِّلْاَسْجِدِ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَٰصِلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُوْنٍ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَاَخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَٰحِيْمٌ ﴿٣٧﴾ وَاِنَّ عَلٰٓيْكَ اللّٰعْنَةَ اِلٰى يَوْمٍ اَلَّذِيْنَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِيْ اِلٰى يَوْمٍ يُعْبَثُوْنَ ﴿٣٩﴾ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ ﴿٤٠﴾ اِلٰى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ لَا تَزِيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَلَا تُوَفِّيْهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٤٢﴾ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِيْنَ ﴿٤٣﴾ قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلٰٓى مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٤٤﴾ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَن اَتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰوِيْنَ ﴿٤٥﴾ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٤٦﴾ لَهَا سَبْعَةُ اَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُوْمٌ ﴿٤٧﴾ اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّتٍ وَعِيُوْنَ ﴿٤٨﴾ اَدْخُلُوْهَا سِلَٰسِيَةً اٰمِنِيْنَ ﴿٤٩﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ اِخْوَانًا عَلٰٓى سُرُرٍ مُّقَدِّلِيْنَ ﴿٥٠﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيْهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنَ ﴿٥١﴾ نَتَقَىٰ عِبَادِيْ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٥٢﴾ وَاَنْ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ ﴿٥٣﴾

٣٥- ﴿فَاِنَّكَ رَاحِيْمٌ﴾: مشتوم ملعون. ٣٥- ﴿وَاِنَّ عَلٰٓيْكَ اللّٰعْنَةَ﴾: غضب الله تعالى ﴿اِلٰى يَوْمٍ اَلَّذِيْنَ﴾: يوم المجازاة، وذلك يوم القيامة. ٣٦- ﴿فَاَنْظِرْنِيْ﴾: اُخْرِنِي ﴿اِلٰى يَوْمٍ يُعْبَثُوْنَ﴾: يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم. ٣٧- ﴿قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ﴾: ممن اُخْر هلاكه. ٣٨- ﴿اِلٰى يَوْمٍ اَلْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ﴾: هلاك الخلق، وذلك حين لا يبقى على الارض من بني آدم احد. ٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ﴾: اُخرجه مخرج القسم، بقوله: بالله، وبعزة الله ﴿لَا تَزِيْنَنَّ لَهُمْ﴾: لا تحسن لهم معاصيك، ولا تحبينها اليهم. ٤٠- ﴿اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِيْنَ﴾: المؤمنين الذين استخلصتهم من العباد. ٤١- ﴿قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلٰٓى مُّسْتَقِيْمٍ﴾: معنى الكلام: هذا طريق مرجعه اليّ فاجازي كلّا بعمله، و«عليّ» هاهنا بمعنى: اليّ. وقرأ يعقوب: «صراط عليّ» صفة للصراط، أي: رفيع. ٤٢- ﴿اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ﴾: حجة ﴿اِلَّا مَن اَتَّبَعَكَ﴾: على ما دعوته اليه من الضلالة ممن غوى وهلك. ٤٣- ﴿لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾: يقول عز وجل: وان جهنم لموعدهم اجمعين. ٤٤- ﴿لَهَا سَبْعَةُ اَبْوَابٍ﴾: بعدد اطباق جهنم ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾: من اتباع ايليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُوْمٌ﴾: معلوم، وهي منازل الأعمال. ٤٥- ﴿اَدْخُلُوْهَا سِلَٰسِيَةً اٰمِنِيْنَ﴾: من عقاب الله عز وجل، والا تأسلبوا ما انعم به عليكم. ٤٦- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾: ما كان فيها من الدنيا من شحناء، وضغائن وعداوة ﴿عَلٰٓى سُرُرٍ﴾: جمع سرير، كجديد وجدد ﴿مُقَدِّلِيْنَ﴾: يقابل بعضهم بعضاً، لا يستدبره فينظر في قفاه. ٤٧- ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيْهَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنَ﴾: يعني الجنة، ذلك دائم لهم ابداً. ٤٨- ﴿وَنَتَقَىٰ عِبَادِيْ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ﴾: اُخبرهم ﴿عَنْ صَیْفِ اِثْرِهِمْ﴾: الملائكة المرسلون الى قوم لوط. ٤٩- ﴿وَاَنْ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ﴾: قوله تعالى: ﴿اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ﴾ الآية. اُخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾ فر ثلاثة ايام هارباً من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله انزلت هذه الآية ﴿وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فانزل الله ﴿اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ﴾

في جَنَّتٍ وَعِيُوْنَ ﴿٤٧﴾. قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية. اُخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ قيل وأي غل؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تميم، وبني عدي، وبني هاشم، كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فاخذت أبا بكر الخاصة، فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية. ٤٩- ﴿نَتَقَىٰ عِبَادِيْ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ﴾ الآية. اُخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال: مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون فقال: أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟! فنزلت هذه الآية ﴿نَتَقَىٰ عِبَادِيْ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ﴾ وَأَنْ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ ﴿٥٣﴾.

٣٩ ﴿قَالَ فَاِنَّكَ رَاحِيْمٌ﴾: في الأعراف: ١٦، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ لَا تَزِيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩]. قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ﴾ في الأعراف، وفي ص: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ﴾، وفي الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ﴾، لأن ما في سورة الأعراف موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء، وما في الحجر موافق لما قبله في مطابقة النداء، وزاد في سورة الأعراف الفاء التي هي للعطف ليكون الثاني مربوطاً بالأول، ولم تدخل في الحجر، فاكتفى بمطابقة النداء لا امتناع النداء منه؛ لأنه ليس بالذي يستدعيه النداء؛ فإن ذلك يقع مع السؤال والطلب، وهذا قسم عند أكثرهم، بدليل ما في ص، وخبر عند بعضهم، والذي في ص على قياس ما في الأعراف دون الحجر؛ لأن موافقتهما أكثر على ما سبق، فقال: ﴿فَاعْرِزْكَ﴾ وهو قسم عند الجميع، ومعنى ﴿بِمَا اَعُوْٓيْنِيْ﴾ يؤول إلى معنى ﴿فَاعْرِزْكَ﴾، والله أعلم. ٤٠ ﴿اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [الحجر: ٤٠، ص: ٨٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر و ص، ومعناها: إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحدك دون سائر خلقك. ما الفرق بين كلمة "المخلصين" بفتح اللام، وكلمة "المخلصين" بكسر اللام؟ الجواب: كلمة "المخلصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما "المخلصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. ٤٢ ﴿اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَن اَتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰوِيْنَ﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ وَكَفٰى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]. الآيتان تبيان أن عباد الله المؤمنين المخلصين الذين أطاعوه ليس لك قدرة على إغوائهم أيها الشيطان، وآية الحجر توضح أن سلطان إبليس على من اتبعه من الضالين، وأما الإسراء فتبين أنه كفى بربك أيها النبي عاصماً وحافظاً للمؤمنين من كيد الشيطان وغروره.

= تقديم كلمة ﴿لَهُ﴾ تأكيد، واللام في ﴿لَحْفَظُوْنَ﴾ مؤكدة. وقد حقق الله جل جلاله وعده بحفظ القرآن رغم المؤامرات عبر التاريخ. ٤٣ ﴿اِنَّكَ اَنْتَ اَلَّذِيْ تَخْلُقُ الْاَلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾ [الحجر: ٤٣]، ﴿وَمَا كَانَتْ اَسْتَغْفَارُ اِبْرٰهِيْمَ لَآيِهِ اِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا اِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. ما الفرق بين: "موعد، ميعاد، موعدة"؟ الجواب: (الموعد) ورد اسماً للزمان واسماً للمكان. ومن أمثلة اسم الزمان ﴿بَلْ زَعَمْتَ اَنْ لَّنْ جَعَلْ لَّكَ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ومن أمثلة اسم المكان ﴿وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾ [الحجر: ٤٣]. (الميعاد) لم ترد إلا للزمان، فهي للزمان في كل المواطن التي أتت فيها (ولا يُمنع ورودها للمكان - لغة - كما قال ابن منظور). (موعدة) اسم للعة. وردت كلمة (موعد) اثنتي عشرة مرة، وكلمة (ميعاد) ست مرات، وكلمة (موعدة) مرة واحدة. (الميعاد) فيها زيادة المني التي تدل على زيادة المعنى، ففيها تأكيد أكثر من (موعد)، و(موعدة) لذا أضيفت كلمة (الميعاد) أربع مرات إلى لفظ الجلالة (الله). أما (موعد) فأضيفت إلى البشر في معظم المرات. ٤٧ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ اِخْوَانًا عَلٰٓى سُرُرٍ مُّقَدِّلِيْنَ﴾ [الحجر: ٤٧].

أُخبرت عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم، وفي الصحيحين: "أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام، ستون ذراعاً في السماء". ٤٩ ﴿نَتَقَىٰ عِبَادِيْ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّا يٰٓاِبْرٰهِيْمُ اَنَّا نَبَآءُكَ هٰذَا قَالَ نَبَآءُ الْعٰلِمِ الْخَيْرِ﴾ [التحریم: ٣]. ما الفرق بين: = ٤١ ﴿صِرَاطٌ عَلٰٓى﴾ قوله تعالى: ﴿عَلٰٓى﴾ قرئ: (عليّ) بكسر اللام وضم الياء منونة من علو الشرف. وقرئ: (عليّ) بفتح اللام والياء بلا تنوين، أي: من مر عليه مر عليّ، والمعنى: أنه، أي: المشار إليه بهذا طريق عليّ يؤدي إلى الوصول إلى، ويجوز: أن يكون المراد حق عليّ أن أراعيه، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَاٰتَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾.

= والمتأخرين عنها، وبيان الحكمة في تخليق آدم، وأمر الملائكة المقرّين بالسجود له، وتعبير إبليس، وملامته على تأيئه واستكباره وجحوده، واستحقاقه اللعنة من الله بعصيانه وطغيانه، وجراءته بالمناظرة لخالقه ومعبوده، وبيان قسم الدركات على أهل الزلات والضلالات، وذكر مستوجبي الجنة من المؤمنين، وإخبار الله تعالى

٥٢- ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفون. ٥٤- ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾: أي: فبأي شيء تبشرون؟! وهو تعجب من كبره وكبر امرأته. ٥٥- ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِطِينَ﴾: من الذين يقنطون من فضل الله، فيياسون منه. ٥٧- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: ما شأنكم ما أمركم؟ ٥٩- ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: أتباع لوط، على ما هو عليه من الدين. ٦٠- ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾: من الباقرين للهلاك، والخابرين: الباقي. ٦٢- ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: نئركم لا نعرفكم. ٦٣- ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يشكون من عذاب الله أنه نازل بهم. ٦٥- ﴿فَاسْرِبْ بِهَٰلِكَ﴾: سر بأهلك ﴿وَقِطِّعْ﴾: ببقية ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: سر خلف أهلك، وهم أمامك ﴿وَلَا يَلْبِغْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: وراءه ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيث أمرهم الله عز وجل. قيل: جهة الشام. ٦٦- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾: وأوحينا إلى لوط أن آخر قومك وأولهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾: مجذوذ مستأصل ﴿مُصْبِحِينَ﴾: صباح ليلتهم. ٦٧- ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾: مدينة سدوم، وهم قوم لوط، والواجب أن يقال فيمن فعل فعلهم: سدومي أو إنه ارتكب فاحشة قوم لوط، ولا ينسب إلى سيدنا لوط عليه السلام! ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بأضياف نبي الله، حين نزلوا المساء أن يأتوا إليهم المنكر. ٦٩- ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: تهينوني وتذلوني، بالتعرض لضيفي. ٧٠- ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنهَكَ﴾: أن تضيف أحداً من العالمين. أو أن تكلّمنا في شأن أحدٍ من الناس إذا قصدناه بالفاحشة! وقد سبق الحديث عن قوم لوط هؤلاء (الآية ٧٨ من سورة هود: ص ٢٣٠).

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥، الذاريات: ١٥]، تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر والذاريات، ومعناها: إن الذين اتقوا الله بامثال ما أمر واجتناب ما نهى في بساتين وأنهار جارية. [٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْصِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. الآيات تبيان أن الله تعالى أذهب ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، وآية الأعراف تبين أنه من كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحتهم... وآية الحجر توضح أنهم يعيشون في الجنة إخواناً متحابين، يجلسون على أسرة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلًا وتحابيًا، لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء... أما عن زيادة قوله تعالى: "إِخْوَانًا" في الحجر؛ فلأنها نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ، وأما آية الأعراف فعامّة في المؤمنين. [٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبرَاهِيمَ﴾: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥١-٥٢]، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبرَاهِيمَ الْكُتُبِيِّ﴾: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٥]. لماذا لم يرد السلام في الحجر، ولم يستكمل القصة كما في سورة الذاريات؟ **الجواب:** هذا ليس اختلافاً في القصة، ولكنه اختلاف في ذكر المشاهد للقصة، في سورة الذاريات قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبرَاهِيمَ الْكُتُبِيِّ﴾: ذكر المكرمين، فذكر ما يقتضي الإكرام وهو ردّ التحية والإكرام، أما في سورة الحجر فإنه لم يذكر التكريم فاستغنى المقام عن ذكر ردّ إبراهيم عليه السلام. [٥٧-٥٨] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٧، الذاريات: ٣١]. تكررت هذه الآيات بالحجر والذاريات وهي تتحدث عن قصة هلاك قوم لوط عليه السلام وإنجاء المؤمنين منهم. [٦٥] ﴿فَاسْرِبْ بِهَٰلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْبِغْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُكَ﴾ [هود: ٨١]، ﴿فَاسْرِبْ بِهَٰلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبِغْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمضُوا﴾ [الحجر: ٦٥]. استثنى في سورة هود من الأهل قوله: ﴿إِلَّا أَمْرُكَ﴾، ولم يستثن في الحجر اكتفاء بما قبله، وهو قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [٥٨] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٥٩] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ [الحجر: ٥٨-٦٠]، فهذا الاستثناء الذي انفردت به سورة الحجر قام مقام الاستثناء في قوله: ﴿فَاسْرِبْ بِهَٰلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾، وزاد في الحجر: ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾؛ لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم، علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم.

"نَبَأٌ وَأَنْبَاءٌ؟" **الجواب:** وردت كلمة (نَبَأٌ) ستّاً وأربعين مرة، بينما وردت كلمة (أَنْبَاءٌ) أربع مرات فقط. وردت كلمة (أَنْبَاءٌ) مع ورود كلمة (نَبَأٌ) لسببين: ١- أن (نَبَأٌ) أبلغ من (أَنْبَاءٌ)، لذا جاءت في الإخبار عن إنباء النبي ﷺ، وإنباء الله في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَتَّهَا بِهَٰيَةٍ قَالَتْ مَنَ أَنْبَأُكَ هَٰذَا قَالَ نَبَأُنِي الْعَلِيمُ الْحَيُّ﴾ [التحريم: ٣]. ٢- أن (نَبَأٌ) تحمل معنى اليقين، أما (أَنْبَاءٌ) فتحمل معنى غلبة الظن، لذا وُصف بالأولى إنباء النبي ﷺ، وإنباء الله تعالى. وُوصف بالثانية إنباء حفصة: ﴿مَنْ أَنْبَأُكَ هَٰذَا؟﴾ [التحريم: ٣]؛ لأنها كان يغلب على ظنها أنه الوحي، وخطر ببالها أنه ربما كانت عائشة هي التي أنبأته وأخبرته، لذا جاءت كلمة (أَنْبَأُكَ) التي تدل على غلبة الظن، لا عن اليقين والجزم (كما هو الحال مع كلمة نَبَأٌ- الدالة على اليقين)، وكذلك كل منهما في كل المواضع القرآنية. [٥٠] ﴿بَنَىٰ عِبَادِي أَيُّهَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]. وقال: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّكَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]. لما أمر أن ينسب بدأ بالمغفرة ولما أخبر عن نفسه بدأ بالعقوبة، لأن المقام مقام سلطان وعلو. [٧٢] ﴿لَعَنَّاكَ إِنَّهُمْ لَغَفَّارٌ يَّعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يعرف عن السلف نزاع في أن هذا قسم من الله بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته، وهذه مزية لا تعرف لغيره. [٧٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِّنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] ما الفرق بين: "المطر والغيث؟" **الجواب:** المطر والغيث كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ يَكُمُ﴾ [٥٤] ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾: قوله تعالى: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾: قرئ: (تبشرون) بتخفيف النون وفتحها على أنها علامة الرفع. وقرئ: (تبشرون) بكسر النون على أن الكلمة بنونين تبشرونني فحذفت الياء حملاً على نظائرها في رؤوس الآي، وبقيت كسرة النون دالة على الياء المحذوفة. وقرئ: (تبشرون) كذلك مع إدغام النون الأولى في = عباد بالرحمة والغفران، وتهديدهم بالعذاب والعقاب، والإشارة إلى ذكر أضياف الخليل عليه السلام، والنهي عن القنوط من الرحمة، وذكر آل لوط، وسكرتهم في طريق العمية والضلالة، وتسليية النبي ﷺ عن جفاء الكفار، وبذئ أقوالهم، والمن عليه ﷺ بنزول السبع المثاني، وسور القرآن العظيم، والشكوى من =

١٠

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [٥٢] قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ [٥٣] قَالَ أَشَرُّ رُفُوفٍ عَلَيَّ أَنْ مَسَّنِيَ الْكَرْبُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [٥٤] قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِطِينَ﴾ [٥٥] قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [٥٦] قَالُوا فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٥٧] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [٥٨] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٥٩] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَىٰ أَنَّهُا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [٦٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ [٦١] قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [٦٢] قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [٦٣] وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [٦٤] ﴿فَاسْرِبْ بِهَٰلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبِغْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [٦٥] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ تَابِعَ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [٦٦] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [٦٧] قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾ [٦٨] وَأَنْفُوا إِلَهُ وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [٦٩] قَالُوا أَوَلَمْ نَنهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٠]

(٢٦٥)

فَالْهَوْلَاءُ بَنَاتِي أَنْ كُنْتُ فَطَلِيلَيْنِ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَلْسَبِيلُ مَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنقَضْنَا مَتْنَهُمْ وَإِنَّمَا لِيَا مَامُ مَبِينٌ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْجِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الثَّمَانِي وَالْفُرْعَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٧١- ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: تزوجوا النساء، ولا تفعلوا ما حرم الله عليكم، وقيل: أراد بيناته نساء قومه، لكون النبي بمنزلة الأب لقومه. ٧٢- ﴿لَعَمْرُكَ﴾: كما تقول: وحياتك، وما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون. ٧٣، ٧٤- ﴿مُشْرِقِينَ﴾: حين أشرقت الشمس من سيجيل: من طين. ٧٥- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: لعلامات ودلالات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: الناظرين المفكرين المعتبرين، من الذين يتوسمون الأشياء ويعتبرون. وإنما يعني تعالى قوم رسول الله ﷺ من قريش، يقول: فلقومك في قوم لوط وما حل بهم على تكذيبهم، معتبر. ٧٦- ﴿وَإِنَّهَا لَلْسَبِيلُ مَقِيمٍ﴾: إن هذه المدينة سدوم لبطريق واضح مقيم، وهي الطريق من المدينة إلى الشام. يراها المجتاز بها لا تحفى ولا تبرح من مكانها. ٧٨- ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾: «الأيكة»: الشجر الملتف المجتمع، وهم قوم شعيب عليه السلام. وقيل: الأيكة اسم القرية التي كانوا فيها. ٧٩- ﴿وَإِنَّمَا﴾: يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة ﴿لِيَا مَامُ﴾: لبطريق يأتمن به، ويهتدون في سفرهم ﴿مَبِينٍ﴾: ظاهر. ٨٠- ﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾: مدينة ثمود. ٨١- ﴿ءَامِنِينَ﴾: قيل: آمنين من عذاب الله. وقيل: آمنين من الخراب. ٨٢- ﴿مُضْجِحِينَ﴾: حين أصبحوا من اليوم الرابع. ٨٣- ﴿فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: يجتريون من الأعمال الخبيثة. ٨٤- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والإنصاف، يعني: أنه لم يظلم أحداً من ذكر من الأمم تقوم فيها القيامة ﴿فَاصْفَحْ﴾: عنهم، أعرض عنهم. ﴿الصَّفْحَ﴾: الإعراض ﴿الْجَمِيلَ﴾. ٨٥- ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾: أعطيناك ﴿سَبْعًا مِنَ الثَّمَانِي﴾: قيل: السبع السور من أول القرآن، ثني فيهن الفرائض والحدود والأمثال والعبر. وقيل: فاتحة الكتاب، وبه قال جمهور المفسرين، ﴿وَالْفُرْعَانَ الْعَظِيمَ﴾: الكتاب كله. ٨٦- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لا تتمنين ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعاً للأغنياء من قومك المشركين ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أصنافاً، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: يقول: لا تحزن على ما متعوا به، فالذي لك في الآخرة خير منه مع ما عجل لك في الدنيا من الكرامة، وما أوتيت من السبع المثاني والقرآن العظيم. وقيل: لا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا. ٨٧- ﴿وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: ألن لهم جانبك وقربهم، ولا تغلظ عليهم. و«الجناحان» من ابن آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان. ٨٩- ﴿النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾: الذي أبان إنذاره لكم. ٩٠- ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾: عني بهم كفار قريش، تقاسموا على الطعن في القرآن وصد الناس عنه.

[٧٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً﴾ [هود: ٨٢]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ [الحجر: ٧٤]. كل من الموضوعين مراعى فيه مناسبة ما تقدمه، ولما تقدم آية سورة الحجر قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٨]، ذكر قوم لوط الموصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم فروعياً هذا المتقدم، فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ونظير هذا قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، فقيل "عليهم" لما تقدم قوله: ﴿إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، وأما آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا، فاكتمى بضمير القرية، فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا﴾، وأغنى ذلك عن ذكر المهلكين إذ هم المقصودون بالعذاب. [٧٥، ٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، لماذا جمع "الآيات" في الأولى وأفردها في الثانية؟ **الجواب**: قصة إبراهيم ولوط اتفق فيها آيات متعددة من إرسال الملائكة إليهما، وما جرى بينهما من المحاورة وبين لوط وقومه وكيفية هلاكهم، فلذلك جمع ﴿لَآيَةً﴾، وقصة عاد وهلاكهم هنا آية واحدة فلم يذكر سواه، فأفرد الآية. [٨٢] ﴿وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، ﴿الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩]. وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتاً، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أما آية الشعراء: وتنتحون من الجبال بيوتاً ما هرين بنحتها، أشربين بطرين. [٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [طه: ١٣١]. الآيتان تدعوان النبي ﷺ أن لا ينظر بعينه ويتمنى ما متع الله به أصنافاً من الكفار من متع الدنيا، وآية الحجر تدعوه ﷺ أن لا يحزن على الكافرين، وأن يتواضع للمؤمنين، أما آية طه فتوضح أن هذه المتع زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعها بها الكافرين؛ لنبتليهم بها... [٨٨] ﴿وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. لم يتقدم آية الحجر تخصيص بمدعو بل تقدمها خطابه عليه السلام بالتأنيس والتسلية عمن أعرض، والرفق بمن آمن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ولم يحتج هنا إلى زيادة، ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك تعالى تلطفاً وإنعاماً على من آمن من عشيرته عليه الصلاة والسلام وغيره، بقوله: ﴿وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقيل هنا: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾، ليكون أنص في تعميم المؤمنين مطلقاً من العشيرة وغيرهم...

= أَدَّى مِنْ مَطَرٍ ﴿[النساء: ١٠٢]﴾ ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمْثَلْ غَيْثٍ أَحْبَبَ الْكَافَرِينَ بَنَانَهُ﴾ [الحديد: ٢٠]. [٨٧] ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الثَّمَانِي وَالْفُرْعَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. قال الرازي: إنه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خصه بها، لأن الإنسان إذا تذكر نعم الله عليه، سهل عليه الصفح والتجاوز.

= الثانية كما في ﴿أَتَحْكُمُونِي﴾. [٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقْنَطُ﴾ هنا، و﴿يَقْنَطُونَ﴾ بالروم: ٣٦، و﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ بالزمر: ٥٣، قرئ: (يقنط- يقنط) بكسر النون وفتحها كعلم يعلم، والأول كضرب يضرب لغة أهل الحجاز وأسد؛ وهي الأكثر، ولذا أجمعوا على فتح الماضي نحو: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا﴾. [٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرًا تَهُدَّ فَتَدْرَنَّا﴾ قوله تعالى: ﴿فَدْرَنَّا﴾ هنا والنمل: ٥٧. قرئ: (فَدْرَنَّا- فَدْرَنَّا) بتخفيف الدال وتشديدها، وهما لغتان بمعنى، يقال: قَدَرَ وَقَدَّرَ.

= الطَّاعِنِينَ فِي الْقُرْآنِ، وَذَكَرَ الْقَسَمَ بِوُقُوعِ السُّؤَالِ فِي الْقِيَامَةِ، وَأَمَرَ الرَّسُولَ ﷺ بِإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ، وَالْمَنْ عَلَيْهِ بِإِهْلَاكِ أَعْدَاءِ دِينِهِ، وَوَصِيَّتَهُ بِالْعِبَادَةِ إِلَى يَوْمِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

٩١- ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾: أجزاء أو فرقاً متفرقة، مأخوذة من قولك: عضيت الشيء: إذا فرقته، فقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. ويدخل فيه من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، كما يدخل فيه بعض الضالين المكذبين. ٩٤- ﴿فَأَصْدَعْ﴾: امض وافرق ﴿بِمَا تَوَمَّرُ﴾: بالقرآن: وقيل: بالجهر بالقرآن في الصلاة. ٩٥- ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: الذين كانوا يستهزئون برسول الله ويسخرون، وهم كفار قريش، فاهلكهم الله كلهم يوم بدر. ٩٦- ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: ما يلقون يوم القيامة بما يقولون من تكذيبك. ٩٨- ﴿فَسَيَحْجَمِدْرَبُّكَ﴾: فافزع فيما نابك مما تكره إلى الله، وإلى شكر الله والثناء عليه. ٩٩- ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: الموت.

سُورَةُ الْجِنِّ

١- ﴿أَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ﴾: قرب؛ وهذا وعيد للمشركين، «أمر الله»: القيامة. وقيل: هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم. وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه. ٢- ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكُ الْرُوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾: بالروح والرحمة ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: الذين اصطفاهم للرسالة. ٣- ﴿وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: علا عن الخلق، وتقصد عن إشراكهم. ٤- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: خلقه من ماء مهين خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث. ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا ورزقه، حتى إذا استوى على سوقه كفر نعمة ربه، وجحد مدبره ورازقه، وعبد من لا يضره ولا ينفعه، وخاصم إلهه فقال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [سورة يس ٧٨] ﴿حَصِيمٌ مُبِينٌ﴾: يبين عن خصومته بمنطقه، ويجادل بلسانه، وعنى بالإنسان هاهنا: جميع الناس. ٥- ﴿وَالْأَنفَعُ خَلْقُهَا﴾: يقول عز وجل: ومن حججه عليكم ما خلق لكم من الأنعام وسخرها ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: لباس ﴿وَمَنْفَعٌ﴾: مركب ولين ولحم. ٦- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: يعني: في هذه الأنعام ﴿حِينَ تَرْتَجُونَ﴾: يعني: حين تردونها بالعشي من مسارحها إلى مرايحها ومباركها التي تأوي إليها، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: إذا سرحت لرعيها. يقال: سرحت الإبل: إذا غدت بها إلى المرعى. وقدم الإراحة على التسريح لأن منظرها عند الإراحة أجمل.

[٩٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الآية. أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: مر النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً حتى تنفوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله ﷻ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [١] قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت الآية ذعر أصحاب رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فسكتوا، وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: لما نزلت ﴿أَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ﴾ قاموا، فزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [١١-١٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]. سبب الأفراد في الآية الأولى أن جميع ما أخبر عنه أنه خلقه إنما هو في جنس من صنعه ونوع من خلقه، وهو كل ما نجم من الأرض، مما فيه قوت الخلق، فكان ذكر الآية أحق، لأنه فيما يطلع من الأرض بالماء، وكأنه جمع، وجميعها شيء واحد، وجاء الأفراد أيضاً في الآية الثالثة، لأن المعنى جميع جواهر الأرض كالذهب والفضة والحديد وغيرها، وهي كالشيء الواحد، فلذلك أفرد، أمّا الآية الثانية فجاءت بالجمع، لأنها خلاف ما سبق، فذكر فيها الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وفي كل واحد منها آيات كثيرة، فكان الجمع أولى. وأمّا وصف المعبرين في الآية الأولى بالتفكير، وفي الثانية بالعقل، وفي الثالثة بالتذكر، فلأن إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات بالماء المنزل من السماء مع كونه واحداً والمنبت مختلف الأنواع والطعوم والمنافع أمر يوصل إلى تعرفه وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك وإن لم يطل، بشرط السلامة من الغفلة، فيحصل بمجرد الفكر على عظيم المعبر، وأمّا تسخير الليل والنهار إلى ما ذكر معهما فلا يكتفي في معرفة ذلك والحصول على الاعتبار به بمجرد الفكر، فإن العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفى إلا على = [٩٢] ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَذِّنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]. كيف نفى عنهم الكلام في آية البقرة وأثبت لهم في آية الحجر؟ **الجواب:** المنفي في آية البقرة الكلام بلطف وإكرام، والمثبت في آية الحجر، سؤال توبيخ وإهانة، أو في يوم القيامة مواقف، ففي موقف لا يكلمهم، وفي موقف يكلمهم، ومن ذلك آية النفي المذكورة مع قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سَخَرْنَاكُمْ ...﴾ [الأنعام: ٢٢].

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله، وقتله شر قتله. [١] ﴿أَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قرئ: (تشركون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وقرئ: (يشركون) بالغيبة، ووجهها الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة لإسقاط المخاطبين عن درجة الاعتبار لعدم اهتدائهم بأدلة التوحيد وتدنسهم بالقول بالشركة. [٢] ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكُ الْرُوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكُ﴾ فيه ثلاث قراءات: الأولى: (تنزل الملائكة) بناء مفتوحة، وزاي مفتوحة مشددة ولا م مشددة، و(الملائكة) بالرفع، ووجهها: أن تنزل مضارع، وأصله تنزل حذف منه إحدى التائين تخفيفاً وأصله تنزل و(الملائكة) فاعل، وهو كذلك في سورة القدر إجماعاً. الثانية: (يُنْزِلُ) بياء مضمومة وبعدها نون ساكنة وزاي مكسورة مخففة، ووجهها: أن ينزل مضارع أنزل، وفاعله ضمير يعود على الله. الثالثة: (يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ) مثلها إلا أنها بنون مفتوحة بعد الباء وتشديد الزاي على أنه مضارع نزل بتشديد الزاي و(الملائكة) بالنصب فيها مفعول.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ **إعجاز عددي:** تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الضيق)، مع مشتقات كلمة (الطمأنينة)، وقد ورد كل (١٣) مرة. [٩٨] ﴿فَسَيَحْجَمِدْرَبُّكَ وَكَنَّ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ **إعجاز عددي:** ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد) (السجود) ومشتقاته (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد) (السجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن.

نزول سورة النحل: نزلت بعد سورة الكهف، وهي مكية، إلا قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السورة. عدد كلمات سورة النحل: ألفان وثمانمائة وأربعون. عدد حروف سورة النحل: سبعة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف. أسماء سورة النحل: وسُميت =

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

يُنْزِلُ الْمَلَكُ الْرُوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَتَذَرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۚ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۚ وَالْأَنفَعُ خَلْقُهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ

٢٦٧

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَافِيهِ إِلَّا يَشِقَّ
الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّعْنَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

٧- ﴿يَشِقُّ الْأَنْفُسُ﴾: يجهد الأنفس. ٨- ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: أن مخلوقات الله تعالى من
الحيوان وغيره لا يحيط بها البشر. وقيل: يخلق ما لا تعلمون في الجنة والنار لأهلها، مما لم تره عين،
ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر. ٩- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أي: على الله تعالى تقويم
طريق الهدى وتبيينه، وذلك بنصب الأدلة وبعث الرسل، ولكنه تعالى لا يحمل أحداً على الإيمان. ولهذا
قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. و«القصد» من الطريق: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ﴿وَمِنْهَا
جَائِرٌ﴾: معوج عن الاستقامة. ١٠- ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: منه أشجاركم، وحياة غروبكم ﴿فِيهِ
تُسِيمُونَ﴾: ترعون، يقال: أسام فلان إبله يسميها إساماً، إذا أراحها. وسامت هي: إذا رعت،
فهي سائمة. ١١- ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: خلق لكم، وسخر لكم ما ذراً لكم ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾: من
الدواب والثمار: نعم الله متتالية عليكم فاشكروها له. ١٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: اللؤلؤ
والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: يعني: السفن: ﴿مَوَاجِرَ فِيهِ﴾: مواقع، أي محملات،
و«المخر» في كلام العرب: صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري
السفينة بالريح إذا عصفت، وشقت الماء حينئذ بصدرها. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: بالتجارة في
البر والبحر.

= ذري البصائر والفتن السليمة والعقول الراجحة، فلم يقنع التفكير هنا بل وصف المعبر بها بما هو
فوق الفكر، ولما كان في الاعتبار بما انطوت عليه الآية غموض وخفاء، قيل: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وأما
الآية الثالثة وهي قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾، فهي دعوة للنظر فيما تخرجه
الأرض مما هو واضح لكل ذي عينين، فقصد التذكير كاف في حصول الاعتبار بذلك، فإذا تأملت ما ذكرناه
ألفيت ذلك كله وارداً على أجل مناسبة، وعلمت أن كل آية من هذه الثلاث لا يناسبها إلا ما أعقبت به.

﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿النحل: ١٤﴾، ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]. في هذا الموضع نرى أن آية النحل جاءت على الأصل في الترتيب، فمواخر حال، ثم جاء بعدها الظرف
﴿فِيهِ﴾، أما تقديم ﴿فِيهِ﴾ في فاطر فجاء على خلاف الأصل، وقد أجاب الإسكافي عن سر التقديم بمناسبتين: الأولى معنوية، وهي تعلق قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ﴾ به، فالتقدير: وتري الفلك فيه تمخر الماء، أي: تشقه لتبتغوا من فضله، فأخر ﴿مَوَاجِرَ﴾ ليجاور معموله ﴿لِتَبْتَغُوا﴾، والأصل عدم الفصل، ولهذا
حذفت واو العطف في قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ بينما لم تحذف في الموضع الأول، والسر في أن آية النحل بدأت بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ﴾ هو
ما عطف عليه من استخراج الحلية، وجري السفن، وابتغاء الفضل، أما آية فاطر فليس فيها ما يصلح لعطف الابتغاء عليه، وإنما هو متعلق بمواخر كما عرفنا، أما
المناسبة اللفظية التي اقتضاها تقديم الضمير المجزور، فهي أنه تقدم في الآية تقديم الجار والمجرور على الفعل نفسه في قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾.

قول آخر: تقدم الكلام في النحل عن وسائل النقل فذكر الأنعام، وأنها تحمل الأثقال، وذكر الخيل والبغال والحمير وهي مما يركب، ثم ذكر الفلك وهي من واسطة
النقل، فقدم المواخر في النحل؛ لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم مناسب في سياق وسائل النقل، وليس السياق كذلك في فاطر، وإنما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] ثم
قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]، فالكلام هنا عن البحر وأنواعه، وما أودع الله فيه من نعم، فلما كان الكلام عن البحر قدم ضمير البحر على المواخر، ولما كان
الكلام على وسائل النقل والفلك قدم حالة الفلك. ٩- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩]. لما ذكر تعالى من
الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية، نبه على الطرق المعنوية الدينية، وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية.
كما قال تعالى: ﴿وَتَكَرَّذُوا فَاِنَّ خَيْرَ لَّزَادِ الْقَبْرِ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَافِيهِ إِلَّا يَشِقَّ الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿يَشِقُّ﴾ فيها قراءتان: (بَشَق - بِشَق) فتح الشين على أنه مصدر قياسي والكسر على أنه مصدر سماعي، وقيل (الشَّق) بالفتح: مصدر،
وبالكسر: اسم. ١١- ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّعْنَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ﴾ قرئ: (ينبت) بالياء جرياً على الأسلوب السابق وهو الغيبة في قوله
تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ وقرئ: (نبت) بالنون على أن الفعل مسند لضمير المتكلم المعظم نفسه، ووجه الالتفات عن الغيبة إلى
التكلم: للتنبيه على عظم تلك النعم نظراً لأنها لا تصدر إلا عمن له العظمة والقدرة العامة. ١٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ قرئ: (والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ) بنصب الجميع على عطف الثلاثة الأول على
(الليل) و(مسخرات) حال مؤكدة للعامل وهو سخر، أو عطف الأولين وهما (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) على الليل (والنجوم) مفعول أول لفعل محذوف تقديره: وجعل
النجوم، ومسخرات مفعول ثان. وقرئ: (والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ) برفع الجميع على الابتداء بقوله: والشَّمْسُ، وما بعده معطوف عليه (مسخرات)
خبر. وقرئ: بنصب الأولين، وهما: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) عطفاً على مفعول سخر، ورفع (النجوم مسخرات) على الابتداء والخبر.

١١- ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّعْنَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزَّعْنَ) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة،
٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث)
بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الزَّعْنَ) ومشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل عدد (١٤) مرة.

= سورة النحل لما فيها من عجائب ذكر النحل. مواضع سورة النحل: معظم ما اشتملت عليه السورة تحويف العباد بمجيء القيامة، وإقامة حجة الوحداية، وذكر
ما في الأنعام من المنافع والنعم، وما في المراكب من التَّجَمُّل والزينة، وذكر المُسِيم والنبات والشجر، وتسخير الشمس والقمر، وتثبيت الأرض والجبال =

١٥- ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا﴾: أثبت ﴿رَوًسًا﴾: جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: يعني: لئلا تميد بكم، و«الميد»: هو الاضطراب. وفي هذا إشارة إلى أن حركة الأرض موزونة، لا أثر فيها للاضطراب. والله أعلم. ﴿وَسُبُلًا﴾: طرقاً. ١٦- ﴿وَعَلَّمَنَّا﴾: قيل: معالم الطرق بالنهار، وكل علامة استدلل بها على الطريق من الجبال والفجاج وغيرها داخله فيها ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: «النجم» هاهنا: اسم جنس؛ أي: نجومًا تهتدون بها ليلكم في سبلكم. ١٧- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾: هذه الخلائق العجيبة المذكورة. وهو الله عز وجل ﴿كَمَن لَا يَخْلُقُ﴾: يعني: الأوثان والأصنام. وكل ما عبد من دون الله. ١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: إن حاولتم إحصاءها عدداً حتى لا يشد منها شيء، لم تقدروا على ذلك. و«النعمة» هنا مفردة يراد بها الجمع. وقيل: لا تطيقوا أداء شكرها. ٢١- ﴿أَمَوْتَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾: يعني الأوثان ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يقول تعالى: وما تدري أصنامكم متى تُبعث؟ وقيل: عنى بذلك الكفار. ٢٢- ﴿قُلُوبُهُمْ مُّكْرَهُ﴾: مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله عز وجل، وأن العبادة له لا لغيره ﴿وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: يستكبرون عن إفراد الله بالوحدانية اتباعاً منهم لما مضى عليه سلفهم من الشرك. ٢٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾: كلمة تحقيق، ولا تكون إلا جواباً، يعني: حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من أقوالهم وأفعالهم. ٢٤- ﴿مَا ذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أي: أي شيء أنزل ربكم؟ ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: هذه أحاديث الأولين وباطلهم. ٢٥- ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾: أثقالهم وأثامهم ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾: بقبولهم منهم ﴿الَّذِينَ لَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾: فقال: ألا ساء الإثم والثقل الذي يتحملون. ٢٦- ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هؤلاء المشركين، وقيل: عنى عز وجل: نمروذ بن كنعان الذي رام الارتقاء إلى السماء لحرب من فيها؟ وبنى الصرح ﴿فَأَنفَكَّ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: قيل: أتاهم العذاب من السماء، وقيل: سقط السقف بعد سقوط البناء، وإنما

قال «من فوقهم» ليعلمك أنهم كانوا حاليين تحته، وتحقيقاً لصورة الدمار الكامل الشامل الذي أصابهم. ١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: [النحل: ١٨]. آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ثم قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ثم ذكر إغماظه على عباده في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، إلى قوله: ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ مِن كُلِّ مَسَآئِلُتُمُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فناسب ما ذكره تعالى من توالي إغماظه وإحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل وجعل الأنداد، وصف الإنسان بأنه ظالم كفار، أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه إليه عباده المؤمنين من متوالي آلائه وإحسانه، وما ابتدأهم به من نعمة من لدن قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، ثم توات آيات الامتنان والإحسان، فقال تعالى: ﴿وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، فذكر تعالى بضعا وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منبهاً وموقظاً من الغفلة والسيان: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، ثم أتبع بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، فناسب ختام هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم. ٢٩- ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُكْفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُكْفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢، غافر: ٧٦]. آية النحل نزلت في قوم قد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم.. وهم الذين قالوا إن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو أساطير الأولين، وهؤلاء أكثر الناس أثاماً وأشدهم عقاباً، ومن هذه صفته اختير -عند تغليظ العقاب له- المبالغة في تأكيد لفظه، فاخترت اللام هنا لذلك، ولأن بعدها في ذكر أهل الجنة قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، فاللام في "لنعم" بإزاء اللام في "ليس"، وليس كذلك الآيتان في سورة الزمر وغافر، لأنهما في ذكر جملة الكفار.. فلما كان المذكورون في سورة النحل فيمن لزمهم وزران عن ذنوبهم التي أتوها، وعن ذنوب غيرهم التي حملوا عليها، ولم يذكر من سواهم في الآيتين الآخرين يحمل أثقالاً مع أثقالهم، حسن التوكيد هناك فضل حسن؛ فلذلك خص باللام. ١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. العباد عاجزون عن عدّ نعم الله عز وجل فضلاً عن القيام بواجب شكرها، وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: (من لم ير لله عليه نعمة في غير مطعم أو مشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه) فأين نعمة الطعام والشراب من نعمة الهداية للإسلام؟ ٢٠- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾ قرئ: (يدعون) بالغيبة على الالتفات من الخطاب في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ إلى الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار. وقرئ: (تدعون) بالخطاب تناسلاً لما سبق في الخطاب السابق للكاترين، أو الالتفات عن الخطاب العام إلى الخطاب الخاص، يعني: أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ التفات عن الخطاب العام إلى خطاب

١٥- ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]. و«ظيفة الجبال»: بما أن قشرة الأرض وما عليها من جبال وهضاب وصحاري تقوم فوق الأعماق السائلة والرخوة المتحركة المعروفة باسم "طبقة السيما" فإن القشرة الأرضية وما عليها ستميد وتتحرك باستمرار وسينجم عن حركتها تشققات وزلازل هائلة تدمر كل شيء... ولكن شيئاً من هذا لم يحدث... فما السبب؟ لقد تبين منذ عهد قريب أن ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض وفي "طبقة السيما" وثلاثة فقط بارز فوق سطح الأرض، لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة بالأرض كما في الآية السابقة. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة هو دلالة اللفظ "أوتاداً" على وظيفة الجبال، فهي تحفظ الأرض من الاضطراب والميلان وتؤمن لها الاستقرار، وهذا ما كشف عنه الجيولوجيون في النصف الثاني من القرن العشرين. ١٩- ﴿وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن، وورد ذكر (الإعلان) بمشتقاته (١٦) مرة في القرآن، إذا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر) بمشتقاته مع لفظ (العلانية) بمشتقاته وقد ورد كل منهما (١٦) مرة. = والحجر، وهداية الكواكب في السّفر والحضر، والنعم الزائدة عن العد والإحصاء، والإنكار على أهل الإنكار، وجزاء مكر المكّار، ولعنة الملائكة على الأشرار، عند الاحتضار، وسلامهم في ذلك الوقت على الأبرار والأخيار، وبيان أحوال الأنبياء والمرسلين مع الأمم الماضية، وذكر الهجرة والمهاجرين، وذكر التوحيد، =

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْيَمُ وَالْأُولَىٰ خَيْرٌ ۚ وَالْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُم مَّا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۖ فِيهَا كُذِّبَتْ ۖ يَجْرَىٰ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُم مَّا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۚ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧- ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾: أصله، من شاققت فلاناً فهو يشاقني، وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه، والمعنى: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين فيهم. ٢٨- ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، يعني: وهم على كفرهم وشركهم بالله عز وجل. قيل: نزلت في ناس بمكة أقروا بالإسلام ولم يهاجروا. وخرج بهم كرهاً إلى بدر، فقتل بعضهم. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: ما كنا نعصي الله اعتصاماً بالباطل، ورجوا أن ينجوا بذلك. ٢٩- ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: يعني: طبقاتها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين فيها. ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: منزل ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: من تكبر على الله، ولم يقر بوحدايته. ٣٠- ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾: بمعنى: أنزل خيراً، وسئل عباد الله المتقون، فقالوا: أنزل خيراً. ٣١- ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: بتطيب الله تعالى إياهم بنظافة الإيمان وطهر الإسلام. ٣٢- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: يعني: هل ينتظر هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾: مجبرهم لموقف الحساب ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أسلافهم من الكفرة. ٣٣- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: نزل بهم، على وجه الإحاطة، من عذاب الله عز وجل. ٣٤- ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْ لَوْ﴾ [فاطر: ٢٣]، ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل: ٣١]. تتحدث هذه الآيات عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعدّه الله تعالى لهم. ٣٢- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٢٣]. الآيات تتحدثان عن الدين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله هل ينتظرون إلا أن يأتيتهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، وآية الأنعام تبين أنهم ينتظرون أن يأتي ربك أيها الرسول للفصل بين عباده يوم القيامة... أمّا آية النحل فتوضح أنهم ينتظرون أن يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم...

= وأين نعمة الطعام والشراب من نعمة شرح الصدر لقيام الليل وصيام النهار؟ ثم أين نعمة الطعام والشراب من التوفيق لمناجاة رب الأرض والسموات، والرضا به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً؟ وأين هذه النعمة من استشعار الأُنس بالله ومحبة واللهج بذكره والشوق إلى لقائه؟ [٢٧] ثم يوم الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْيَمُ وَالْأُولَىٰ خَيْرٌ ۚ وَالْكَافِرِينَ [النحل: ٢٧]. وفي هذه فضيلة أهل العلم، وأهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه. [٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]. تكرر هذا المعنى في هذه السورة دون غيرها في أربعة مواضع لسر بديع، فإنها سورة النعم التي عدد الله سبحانه فيها أصول النعم وفروعها، فعرف عباده أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعاف هذه بما لا يدرك تفاوته، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعماً أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تمام التوفية. [٢٩] ﴿فَلْيَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]. بعض آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدماً عليهم حريصاً جداً أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظاً بصدر المجلس مستقلاً به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصغير الخد، والنظر شزراً، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغته كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبخره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى المتكبر شغلاً في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله"، يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله. ٨- ومن آثاره إمالة العقل أو ما يشبهه إلى الجهة أو إلى جانب الرأس فخراً وتكبراً وبطراً. ٩- ومن آثاره إسبال الثياب مع التفاخر بها، والتزين والتجمل بذلك للشهرة والمخيلة. ١٠- ومن آثاره أن المتكبر يحب قيام الناس له أو بين يديه. ١١- ومن آثاره أن لا يتواضع بالاحتمال إذا سُب أو وُذِي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. ١٢- ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. ١٣- ومنها أن المتكبر لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه. ١٤- ومنها أن المتكبر يعامل غيره معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ١٥- ومنها أنه لا يرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم. بعض أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- الكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش، والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. قال ابن القيم: أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة. فالكبر: يمنعه الانقياد. والحسد: يمنعه قبول النصيحة وبذلها. والغضب: يمنعه العدل. والشهوة: يمنعه التفرغ للعبادة. وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمّن بُلي بها، ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وصفات ثابتة، فإنه لا يستقيم له معها عمل البتة، ولا تركو نفسه مع قيامها بها، وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة. علاج الكبر: ١- أن يعرف الإنسان ربه ويعرف = المشركين خاصة لأنه أظهر في التوبيخ والتبكي. [٢٧] ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تُشْفِقُونَ﴾ قرئ: (تشاقون) بكسر النون، ووجهها حذف إحدى النونين للتخفيف، والراجع أن يحذف الفعل عما على معنى: تشاقون الله ورسوله والمؤمنين، أما على الأولى فالمفعول ياء المتكلم المحذوفة التي دلت عليها كسرة النون. [٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ قرئ: (تتوفاهم) بالتاء ووجهها: أن الفاعل جمع تكسير يجوز تأنيث فعله لتقدير الجماعة. قرئ: (يتوفاهم) بآلاء على معنى الجمع، وكذلك القول في تأنيثهم الملائكة، وقد وُجّه في الأنعام.

= وتعريف المنعم، ونعمه السابغات، ومدمة المشركين بوأد البنات، وبيان الأسماء والصفات، والمنّة على الخلائق بإنزال الرّحمت، وعدّها من الإنعام في باب الأنعام والحيوانات، وبيان فوائد النحل، وذكر ما اشتمل عليه من عجيب الحالات، وتفضيل الخلق في باب الأرزاق والأقوات، وبيان حال المؤمن والكافر، =

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ فَعَلُوا مَا هَلَكُوا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ لَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٧٣﴾
﴿٢٧٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَقْلِيلِهِمْ فَهُمْ يَمْجُرُونَ ﴿٢٧٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَنْفَقُوا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
﴿٢٧٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴿٢٧٩﴾ يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَقُولُونَ مَا تَوْحَىٰ مَوْعِدٌ ﴿٢٨٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا الْيَهُودَ
أَتَشِينُ إِنَّهُمْ هُمُ اللَّهُ وَحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهُمْ ﴿٢٨١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٢٨٢﴾ وَمَا يَكُمُ مِنْ
نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٢٨٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كُفِيَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٨٤﴾

٤٣- ﴿فَسَلِّطُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَخْبِرُونَكُمْ عَمَّا عِنْدَهُمْ.
٤٤- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: متعلقة بـ«أرسلنا»، يقول عز وجل: أرسلنا بالبينات والزبر رجالاً يوحى إليهم. و«الزبر»: الكتب، زبرت الكتاب. إذا كتبه ﴿الذِّكْرُ﴾: القرآن ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يعتبرون.
٤٥- ﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾: أفامن الماكرون العقوبات السيئات؟ أو: أفامن الذين مكروا المكرات السيئات؟ مثل سعيهم في إيذاء الرسول وأصحابه على وجه الخفية، واحتياهم في إبطال الإسلام. ٤٦- ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾: في تصرفهم في البلاد ليلاً ونهاراً ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: لا يعجزون الله تعالى إذا أرادهم، ولا يفوتونه سبحانه. ٤٧- ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي: ويهلكهم بتخوف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم، الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوف مال فلان الإنفاق. أي تنقصه. ٤٨- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من جسم قائم، شجر أو جبل، أو غير ذلك ﴿يَنْفَقُوا ظِلُّهُ﴾: أي يرجع من موضع إلى موضع، فهو في أول النهار على حال، ثم يتقلص، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: أول النهار وعن ﴿وَالشَّمَائِلِ﴾: آخر النهار ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾: سجود الظلال: ميلانها من جانب إلى جانب، ومن ناحية إلى ناحية. وقيل: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله. ﴿دَاخِرُونَ﴾: صاغرون، يقال: دخر فلان يدخر دخرًا، إذا ذل له وخضع. ٤٩- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: إلى آخر الآية. يعني: يخضع ويخشع ويستسلم. ٥٠- ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾: دائماً ثابتاً واجباً، يقال: صبب الدين يصب وصبوا ووصباً، إذا وجب. ٥١- ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: المرض وشدة العيش ﴿فَالِإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾: تستغيثون وتصرخون بالدعاء. ٥٢- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢، العنكبوت: ٥٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والعنكبوت، وهي تصف المؤمنين الذين صبروا على أوامر الله وعن نواحيه وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في كل شأنهم.

﴿٤٨﴾ ﴿يَنْفَقُوا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨]. لماذا أفرد اليمين وجمع الشمائيل؟ **الجواب:** أن الآية نزلت بمكة والظل فيها إلى جهة اليمين، وهو يمين الكعبة مدة قليلة، والظل إلى جهة الشام وهو شمال الكعبة تطول مدته، وتكثر مساحته، فناسب أفراد اليمين لقلة مسافته ومدته، وجمع الشمائيل لطول مدته ومسافته، وقيل فيه غير ذلك، وهذا أنسب ما قيل فيه، والله أعلم. ﴿٤٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]. في سورة الرعد تقدم آية السجدة ذكر العلويات من البرق والسحاب والصواعق، ثم ذكر الملائكة وتسيبهم، وذكر بأخرة، أي: أخيراً، الأصنام والكفار، فبدأ في آية السجدة بذكر من في السماوات لذلك، وذكر الأرض تبعاً، ولم يذكر من فيها استخفافاً بالكفار والأصنام. وأما في النحل فقد تقدم ذكر ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقضى سياق الآية ما في السماوات وما في الأرض؛ وأما في الحج فقد تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدّم ذكر من في السماوات؛ تعظيماً لهم ولها، وذكر من في الأرض؛ لأنهم هم الذين تقدم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها.

= أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله. ﴿٥٢﴾ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]. له جل وعلا الطاعة والذل والخضوع دائماً، لأنه لا يضعف سلطانه، ولا يعزل عن سلطانه. ولا يموت، ولا يغلب، ولا يتغير له حال بخلاف ملوك الدنيا، فإن الواحد منهم يكون مطاعاً، ثم بعد برهة من الزمن يعزل أو يموت. ﴿٥٣﴾ ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]. ما الفرق بين: "النعمه والنعيم"؟ **الجواب:** ١- استعمل القرآن كلمة (النعمه)، (النعمه)، (النعمه)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواء أكانت «مادية» أم «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. لم جاءت كلمة «النعيم» في الآية دون «النعمه» أو «النعمه» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ **والجواب:** أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. أمثلة قرآنية: **أولاً- النعمه:** قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. **ثانياً- النعيم:** قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، قال تعالى: ﴿وَالْجَنَّةِ مِنْ رِزْقِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [في جَنَّاتِ النَّعِيمِ] [الواقعة: ١١ - ١٢].

﴿٤٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَقُوا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ قرئ: (يروا) بالغيب مناسبة لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الخ. وقرئ: (تروا) بالخطاب على الالتفات مناسبة لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. قوله تعالى: ﴿يَنْفَقُوا﴾ قرئ: (تنفياً- يتفياً) بالتأنيث والتذكير ووجهها: أن الفاعل جمع تكسير يجوز تأنيثه على تقدير الجماعة، وتذكيره على تقدير الجمع.

﴿٤٢﴾ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **إعجاز عددي:** ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضاً ورد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

﴿٤٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾ **إعجاز عددي:** ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد) و(السجود) بمشتقاته (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد) و(السجود) بمشتقاته، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن.

= والمؤمنات، وتبديل الآيات بالآيات، لمصالح المسلمين والمسلمات، والرخصة بالتكلم بكلمة الكفر عند الإكراه والضّرورات، وبيان التحريم والتحليل في بعض الحالات، وذكر إبراهيم الخليل وما مُنح من الدرجات، وذكر السبب والدعاء إلى سبيل الله بالحكمة والعظمت الحسنات، والأمر بالتسوية في المكافآت =

إن الأنعام في سورة النحل، وإن أطلق لفظ جميعها فإن المراد به بعضها، ألا ترى أن الدَّر لا يكون لجميعها، وأن اللبَن لبعض إنائها، فكأنه قال: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم ممَّا في بطونها... وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنون، لأنه قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّئَلَّا تُكْفِرُوا بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١-٢٢]، فأخبر عن النعم التي في أصناف النعم إنائها وذكرها فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك. [٧٠] ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠]... فكان هذا موضع جمل لا تفصيل معها ولا تحديد، ولم يكن كذلك الأمر في الحج، لأنه قال: ﴿يَكَايُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]... فذكر تفصيل الأحوال ومبانيها فقال: من كذا ومن كذا الابتداء، كل ينتقل منه إلى غيره، فبنى ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم إلى فقدته على الأحوال التي تقدم ذكرها، فكما حدد أوائلها بمن، كذلك حدد الحال الأخيرة المنتقلة عما قبلها بمن، فقال: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾، أي: فقد العلم بعد أن كان عالماً فباين الموضع الأول لذلك. قول آخر: للتناسب وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ، فقد تكررت لفظة "من" في آية الحج ست مرات، وكلها محرزة معناها الذي جيء بها من أجله، إلا التي في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾، إذ النظم مع سقوطها ملتبس والمعنى تام، فاستوى وجودها وعدمها، فاستدعاها سياق آية الحج للتشاكل والتناسب في النظم، ولم يكن في آية النحل ما يستدعيها، إذ لم يرد ما يقتضيها. [٦١] ﴿وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [النحل: ٦١]. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه لو عاجل الخلق بالعقوبة لأهلك جميع من في الأرض ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة، لأن العجلة من شأن من يخاف فوات الفرصة، ورب السماوات والأرض لا يفوته شيء أراده. [٦٩] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوعِظَةٌ مِّن رَّبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: لم يصف الله في كتابه بالشفاء إلا القرآن والعسل فهما الشفاءان، القرآن شفاء القلوب من أمراض غيها وضلالها وأدواء شبهاتها وشهواتها، والعسل شفاء الأبدان من كثير من أسقامها وأخلاطها وآفات، ولقد أصابني أيام مقامي بمكة أسقام مختلفة ولا طبيب هناك ولا أدوية فكنت استشفي بالعسل وماء زمزم ورأيت فيهما من الشفاء أمراً عجباً. وتأمل إخباره سبحانه وتعالى عن القرآن بأنه نفسه شفاء، وقال عن العسل فيه شفاء للناس، وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء. [٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]. كل هذه الأشربة ينجلي فيها إعجاز الصنعة، لأنها تخرج من أماكن لا يتصور خروجها منها كنزول الماء من السماء بعد برق شديد الحرارة، وخروج اللبن عذباً سائغاً من بين فرث ودم، وخروج العصير حلواً من تراب الأرض، وخروج العسل شافياً شهداً من حشرة، مع أن معظم الحشرات ضارة. [٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠]. قال (من قرأ القرآن لم يرد إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [٥]، قال: إلا الذين آمنوا، قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: إلا الذين قرؤوا القرآن). رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. صحيح الترغيب والترهيب للألباني. [٦٨] ﴿أَن تَأْخُذَ مِن لِّجَالِ بَيْتُونَا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ قرئ: (يعرشون - يعرشون) بكسر الراء وضمها وهما لغتان، يقال: عرش يعرش من باب ضرب يضرب، والثاني: من باب نصر ينصر. [٧١] ﴿أَفِينَعَمَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ قرئ: (يجحدون) بالخطاب لمناسبة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. وقرئ: (يجحدون) بالغيبة لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أو هو التفات عن الخطاب إلى الغيبة لسقوطهم عن درجة الاعتبار، فهو خطاب الكفار على معنى: قل لهم يا محمد: قوله تعالى: ﴿أَفِينَعَمَ اللَّهُ﴾... الآية، وفيه معنى التوبيخ.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٧٤- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: لا تشبّهوا له الأشياء، ولا تجعلوا معه لها غيره. وقيل: لا تجعلوا لله مثلاً لأنه واحد لا مثيل له. ٧٥- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: هذا مثل الكافر الذي لا يأتي بخير، ولا يعمل بطاعة الله، ولا ينفق في سبيل الله لغلبة الخذلان عليه، فهو كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا﴾: هذا مثل المؤمن الحر الذي آتاه الله مالاً ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: بعلم من الناس وبغير علم، فكما لا يستويان هذان، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: خالصاً دون غيره ممن يعبدونه. ٧٦- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾: إلى آخر الآية. ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ﴾ يعني: الصنم المنحوت من خشب، أو المصنوع من نحاس، والأبكم: العبي المفحم ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: متعلق بنفسه أو بغيره، مما فيه جلب نفع أو دفع ضرر. ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: عيال وعبء ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾: على من والاه من قريب أو صديق ﴿لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ﴾: لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يقدر أن يعبر عما في نفسه ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾: يعني هذا الأبكم الكلُّ ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: وهو الله الواحد الذي يدعو عباده إلى الحق في توحيده وطاعته ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: غير معوج ولا زائل عن الحق. ٧٧- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب عن أبصاركم فيهن ﴿إِلَّا كَمَنْجِ الْأَبْصَرِ﴾: كنظرة من البصر ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: من لمح البصر، لأنه يقول: «كن فيكون» لا يمتنع عليه شيء أراد. ٧٨- ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: وعلمكم بها - بعدما أخرجكم من بطون أمهاتكم - ما لم تكونوا تعلمون، «والأفئدة»: القلوب. ٧٩- ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾: في كبد السماء ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يقرؤون بوجودان ما تعينه أبصارهم وتحسه حواسهم! [٧٥] قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ﴾ قال: نزلت في عثمان بن عفان ومولى له كان يكره الإسلام

ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما. [٧٢] ﴿أَفِيَ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتُ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾
[العنكبوت : ٦٧]. الكلام في سورة النحل نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم،
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَقْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ثم انتقل الكلام من الخطاب العام إلى الإخبار الخاص
فأكد الكلام بقوله: ﴿هُمْ﴾، لثلاثيهم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخبر
الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغني عما يحصره للخبر دون غيره، وهو قوله: ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي
الشَّرَاكِ لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَسْتَمْعُوا قِسْوَةَ فُسُوْفٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْتَحِفُّونَ فِيهِ
الْعَنَكَبُوتُ : ٦٥-٦٧، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده، بما يحصره على الخبر، وذلك واد
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلَّهُ... ﴿[هود : ١٢٣]، ﴿وَاللَّهُ غَيَّبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ دَهْنٍ
وتعالى علم كل ما غاب في السماوات والأرض، وآية هود توضيح أن الله تعالى إليه يُرجع الأمر كله يوم
وما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلا بعمله، وأمّا آية النحل : وما شأن القيامة في سرعة مجيئها
كل شيء قدِير. [٧٨] ﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْأَفْيِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل : ٧٨] الوحيدة في القرآن
السجدة : ٩، الملك : ٢٣]. آية النحل مبتدأة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
قبل تعيين التكليف وورود الترجي لأن يكون منهم الشكر لذكره إياهم، في حال لم يتهيؤوا فيها بعد لقبول
فناسب هذا ذكر الترجي، أمّا الآيتان بعد فالإخبار فيهما عن أحوال من استوفى سن التكليف وعقل
بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ [المؤمنون : ٧٦]، إلى ما اتصل بهذا، فقد صدر عن هؤلاء
شكرهم، وأمّا آية الملك المخاطب بها من قيل له تعريفًا وتوبيخًا: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَصْرِفُهُ مِمَّنْ دُونِ الَّذِينَ
الَّذِينَ أَنْشَأَكُمُ﴾ [الملك : ٢٣]، والآي مشيرة إلى موالاته إنعامه سبحانه على عبادة وإدارار أرزاقهم إلى ما
إحسانه ومتوالي إنعامه - أن نفى شكرهم. [٨١] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرًّا
الْحَرُورُ﴾ [فاطر : ٢١]. ما الفرق بين: "الحَرُّ والحَرُورُ"? [الجواب: وردت كلمة (الحَرُّ) ثلاث مرات
البرد. بينما (الحروور): ريحٌ حارة بالليل (كما أن السموم: ريح حارة بالنهار). ويدلُّ على كونها ريحاً حارة بـ
أي: ولا المكان الذي حُجبت عنه الشمس وكان هادئًا لا ريح فيه، ولا الذي حُجبت عنه الشمس (لغياب

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قرئ: بكسر الهمزة وصلًا وإتباعًا للإتباع في الحرفين وصلًا. وقرئ: (أُمَّهَاتِكُمْ) بضم الهمزة وفتح الميم على الأصل. [٧٩] ﴿الْمَرْيُورَ إِلَى الْخَطَابِ لِمُنَاسِبَةٍ﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ وقرئ: (بروا) بالغيبة على الالتفات، أو لمناسبة = أن اللبن يُصَفَّى أولاً من الفضلات "الفرث" التي تنتج عن الهضم، ثم يصفى وينقى ثانيًا من الدم، وهما الْفَرْثُ فَاسْتَكْبَرْتُ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرَجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ الآية القرآنية الكريمة أن النحل يخرج من بطونها شراب فيه شفاء وهو العسل، وهذا ما أكدته الأبحاث إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته)

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا تَضُرُّهُمُ الْأَمْثَالُ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا فَاَحْسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْاَحْمَدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَتَىٰكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَلِلَّهِ عِثْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٨١﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾

٢٧٥

لنحل : [٧٢]، ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ بَيْنِهِمَا نَحْوًا وَمِنْ بَيْنِهِمَا وَلَهُ غُصَصٌ كَثِيرَةٌ لَا تُفَسَّرُ لِقَوْمٍ أَعْيُنُهُمْ أَغْرِيَتْ﴾ فقال: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَّةِ اللَّهِ هُم بِكَافِرُونَ﴾ بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت، إنما ذلك دعواً لله مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا خَجَّسْتَهُم إِلَى الْبَرِّ إِذَا تَنَاسُّوا مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ لمن تدبره. [٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَىٰ عَرْشِهِ قُرْبٌ...﴾ [النحل : ٧٧]. الآيتان تبينان أن الله سبحانه وتعالى فاعبه أيها النبي وفوض أمرك إليه، وما ريك بغا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك، إن الله عز وجل وباقي المواضع ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨] شيئاً﴾ [النحل : ٧٨]، فناسب هذا، لكونه وصف من أعجز أو نبى أو إعراض عن ذلك، ولا يتعلق بهم التكليف بطاب، ألا ترى أن قبل آية المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ أَن يَتَّبِعُنَا بِهِمْ وَاتَّقُوا خَلْقَنَا﴾، فخالف الوارد في آية النحل، فناسب ذلك هنا ما لم ترد كلمة (الحرور) إلا مرة واحدة. (الحُرُّ) : قال تعالى - تعالیٰ : ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر : ١٦] وكانت تهب عليه ريح حارة.

مكسرة قبلها؛ وقرئ: **(إمّهاتكم)** بكسر الهمزة والميم
﴿طَيْرٌ مُّسَخَّرَاتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرَوُا﴾ قرئ: **(نر)**
له: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ﴾ ... الآية.
ما كشف عنه العلم الحديث. [٦٩] ﴿ثُمَّ كُنِيَ مِنْ﴾
﴿[النحل: ٦٩]. **عسل النحل**: وجه الإعجاز

علمية الحديثة. [٧٥] ﴿فَهُوَ يُفْقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾
(مرة في القرآن الكريم، إذا تساوى عدد مرات

بِهِ لِلْقَرَاءَاتِ إِعْجَازٌ مُتَنَوِّعٌ التَّعْرِيفُ بِالسُّورِ

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوُ مِثْقَالٍ إِلَى حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ
مِنَ الْجِبَالِ آكِنَاتًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيرًا تَقِيكُمْ
الْحَرَّ وَسَرِيرًا تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتَرَفَعُ نِعْمَتُهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلْعُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُكِّرُونَهَا
وَكَثُرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَشْرَكَاءَ هُمْ
قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا ندْعُو مِنْ دُونِكَ
فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقُوا
إِلَى اللَّهِ يَوْمَ ذَلِكَ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٣] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٨٣]. ما الفرق بين "عرف وعلم"؟ **الجواب:** في اللغة: لا تكاد تحسّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلم يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علماً بالمعلوم، كلياً وجزئياً)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلم لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهل. ٣- العلم لا يكون عن تفكير وتدبير، والمعرفة لابد فيها من التفكير والتدبير. **منهج القرآن في ذكر الصيغتين:** أولاً: (**علم**): ١- كثيرة الورد في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (**علم**) ومشتقاتها، ترد وصفاً لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانياً: (**عرف**): ١- ذكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (**علم**). ٢- ذكرت في القرآن وصفاً لفعل المخلوق، ولم ترد وصفاً لفعل الخالق قط. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (**علم**، **عرف**) بمشتقاتهما، تجد أن (**العلم**) أشرف وأفضل، وأعظم قدراً من المعرفة. [٨٠] ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ قرئ: (**ظعنكم** - **ظعنكم**) بسكون العين وبفتحةا وهما لغتان كالشعر والشعر، والسمع والسمع.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٨٨- **عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ** : زادهم الله عذاباً لأجل الإضلال لغيرهم فوق العذاب الذي استحقوه لأجل ضلالهم. ٨٩- **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** : يقول عز وجل: نسأل نبينهم الذي بعثناه إليهم منهم **تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ** : مما أحلّ وحرّم، وأمرهم به ونهاهم عنه. وما أمر به: اتباع الرسول ﷺ فيما أمر به ونهى عنه. ٩٠- **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ** : في هذا الكتاب المنزل عليك يا محمد **بِالْعَدْلِ** : الإنصاف، ومن الإنصاف، الإيمان بما خلق وأنعم والشكر له. وقيل: «العدل» هاهنا: شهادة أن لا إله إلا الله **وَالْإِحْسَانَ** : أداء فرائضه **وَأَيُّ ذِي الْقُرْبَىٰ** : صلة الأرحام **وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ** : المعاصي التي شنيعتها ظاهرة، وقيل: هو هاهنا: الزنا **وَالْمُنْكَرِ** : ما أنكره الشرع بالنهي عنه. وقيل: هو الشرك. **وَالْبَغْيِ** : الكبر والظلم - هاهنا - وأصل البغي: التعدي ومجاوزة الحد والقدر في كل شيء. ٩١- **وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** : لا تخالفوا ما تعاقدم فيه بالآيمان، «بعد توكيدها»: تشديدها **وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ** : بالوفاء **عَلَيْكُمْ كَيْلًا** : مراعىا يرعى الموفى والناقض. ٩٢- **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا** : ضربه الله مثلاً لمن نكث عهده وعقده: لا تكونوا كناقضة غزلها من بعد إحكامه وإبرامه **مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ** : من بعد إبرام **أَنْكَاثًا** : أنقاضاً، وكل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث، كان حبلاً أو غزلاً. وقيل: كانت امرأة خرقاء بمكة تغزل ثم تنقض غزلها بعد أن أبرمتها **دَخَلًا بَيْنَكُمْ** : «الدخل» في كلام العرب: كل أمر لم يكن صحيحاً، يقول عز وجل: تتخذون إيمانكم خديعة وغروراً ليطمنثوا إليكم بها وأنتم تظمرون الغدر وترك الوفاء والنقلة عنهم إلى غيرهم! **أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** : أكثر وأعز، وقيل: عنى بذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم، فنهوا عن ذلك **إِنَّمَا يَتْلُوَكُمْ اللَّهُ يَهْدِي** : يختبركم به: بأمره بالوفاء بعهده. ٩٣- **لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** : على ملة واحدة لا تختلفون، ولا تفترون.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْلًا إِنْ أَلَّيْتُمْ مَا نَفَعَلْتُمْ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَتْلُوَكُمْ اللَّهُ يَهْدِي وَيُنْفِقُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيهِمُ الْيَوْمُ الْآخِرُ ﴿٩٢﴾ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٣﴾

(٢٧٧)

[٩١] قوله تعالى: **وَأَوْفُوا** الآية. أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ. [٩٢] قوله تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة، تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا**. [٨٨] **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ** ... [النحل: ٨٨]، **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ** [محمد: ١]. الآيتان تبيين أن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه هم كفار ضالون، وآية النحل توضح أن الله قد زادهم عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدّهم الناس عن اتباع الحق... وأمّا آية محمد فتبين أن الله أذهب أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهاهم بسبب جحودهم وصدّهم عن سبيل الله عز وجل. [٨٩] **وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** [النساء: ٤١]، **وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ** [النحل: ٨٩]. آية النحل تقدمها قوله تعالى: **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**، فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه، فورد على ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته ﷺ على أمة مرتباً على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب، فقيل: **وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ**، متوازناً مع قوله: **شَهِيدًا عَلَيْهِمْ**، وذلك على ما يجب، والله أعلم. وأمّا آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: **وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيهِمُ الْيَوْمُ الْآخِرُ** [النحل: ٨٩]، **وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** [النحل: ٨٩]، **وَهَدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** [النحل: ١٠٢]. الآية الأولى مقصود بها بشارة وإنعام لا يشوبه غيره، وقد تبين ذلك، أمّا الثانية فواردة مورد الزجر والتعنيف لمن لم يؤمن مع البشارة للمؤمنين، فاكتنف الآية الثانية ما يفهم التعنيف لهم والوعيد على مرتكبهم، وزيادة قوله: **وَرَحْمَةً** في الأولى مناسب لمقصودها من البشارة والإنعام المجرد عن اتصال ما يفهم تعنيفاً أو وعيداً. [٩٠] **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [النحل: ٩٠]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر، آية في سورة النحل **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** [٩١] **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** [البقرة: ٦٢]، **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** [النحل: ٩١]. ما الفرق بين: **عَمِلَ وَفَعَلَ**؟ [الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقال في المكروه. بينما تستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أسندت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة - ولكن ما يجيء مسنداً إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله - تعالى - أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديساً لله وتنزيهاً له - سبحانه وتعالى - . لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ **والجواب:** أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العمل (كما قال بعض أهل العلم) يحتاج إلى تفكير ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صورته، واختيار ما يهدي إليه النظر فيها، والله - سبحانه وتعالى - لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيره (أي يقوم بعمله غيره)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقير إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أسندت (فعل)، (يفعل) = [٩٦] **مَا عِنْدَكُمْ يَفْعَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ** قوله تعالى: **وَلَنَجْزِيَنَّهُ** [قرئ: (لنجزين) بالنون على الالتفات من الغيبة إلى التكلم وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة لتعظيم الجزاء. وقرئ: (ليجزين) بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير يعود على الله في قوله: **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**]. [٨٤] **وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا** **إِعْجَازٌ عَدِيدٌ**: تكرر كل من لفظة **البعث** بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة **الصراط** بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكل قد ورد (٤٥) مرة في القرآن الكريم. [٩٠] **وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ** **إِعْجَازٌ عَدِيدٌ**: ذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، كما ذكر لفظ (البغي) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك =

وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثَوْتِهَا
وَيَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ
عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤ - ﴿وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: خديعة ودغلاً تغرون الناس بها ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثَوْتِهَا﴾: تهلكوا. وهذا مثل لكل مبتلي بعد عافية، وساقط في ورطة بعد سلامة ﴿وَيَذُوقُوا الشَّوْءَ﴾: عذاب الله عز وجل الذي يُعَذِّبُ به أهل معاصيه في الدنيا ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة. وقيل: المراد بهذه الآية من بايع رسول الله ﷺ على الإيمان، ثم نقض يمينه وصدَّ عن سبيله، دون من ينتقل من حلف قوم إلى آخرين. ٩٥ - ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عَرْضًا من الدنيا قليلاً. ٩٦ - ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾: يعني: في الدنيا مما تملكونه ﴿يَنْفَدُ﴾: يذهب ويفنى. ٩٧ - ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾: قيل: هو الرزق الحلال في الدنيا. وقيل: بالقناعة في الدنيا، والمعنى أعم من ذلك. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: في الآخرة. ٩٩ - ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: إلى آخر الآية: ليست له حجة عليهم. وقيل: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفره الله. ١٠٠ - ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يطيعونه ويعبدونه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾: بالله عز وجل. وقيل: إن الضمير في «به» يعود على الشيطان، والمعنى: والذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله. ١٠١ - ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ﴾: أي: نسخنا حكماً بحكم آية أخرى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾: هو أعلم بالذي هو أصلح لخلقه، فيما يبدل ويغير من أحكامه ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: كاذب مدَّعٍ. ١٠٢ - ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ليزدادوا ثباتاً وتقوية لإيمانهم، وتصديقاً بناسخه ومنسوخه.

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]. المراد من آية النحل التي افتتحت بـ "ما" الموصولة في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ الإطلاق والعموم، فكانت في هذا الموضع أولى من "الذي" ... فالإطلاق أملك بها وهو المقصود هنا... وتكررت في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد... ثم ناسبها ووافقها ورودها في قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وأمّا آية الزمر الواردة في معنى الخصوص المقصود به طائفة بعينها، ألا ترى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، والمراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، والذي صدَّق به متقدمو الصحابة ممن سبق وحسن تصديقه، كأبي بكر رضي الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره، وهؤلاء مخصوصون لا يشاركونهم في حالهم غيرهم، وفيهم ورد ما بعد، وإليهم ترجع الضمائر من قوله: ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الزمر: ٣٥]، فلم يكن ليصلح هنا غير الأداة العهدية، فجاء بـ "الذي" في الموضعين من قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

= إلى لفظ الجلالة (الله)؟ **الجواب:** ١ - انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢ - و(الفاعل) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣ - و(الفعول) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. [٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. فهذا خبر أصدق الصادقين، ومخبره عند أهله عين اليقين، بل حق اليقين، فلا بد لكل من عمل صالحاً وهو مؤمن أن يحييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله، ولكن يغلط الجفافة الأجلاف في مسمى الحياة الطيبة، حيث يظنونها التنعم في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح، أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء والتفنن في أنواع الشهوات، ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين البهائم، بل يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان، ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر، إذا خالط بشاشته القلوب، سلا عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن ورضي بتركها كلها والخروج منها رأسها، وعَرَّضَ نفسه لأنواع المكار والمشارق وهو متحل بهذا منشراح الصدر به؟ والمقصود أن الهدى مستلزم لسعادة الدنيا وطيب الحياة والنعيم العاجلي. [٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ما الفرق بين: "الحياة، الحيوان"؟ **الجواب:** وردت كلمة (الحياة) (معرفة ونكرة) إحدى وسبعين مرة. بينما وردت كلمة (الحيوان) مرة واحدة بسورة العنكبوت. (الحياة) ضد (الموت). أما الحيوان: فهي الحياة المستمرة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها. والحيوان: مصدر حيي، وقياسه (حييَّان) فقلبت الياء الثانية واواً. وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليست في بناء (الحياة). و(حيوان) على وزن (فعلان) الذي فيه معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان.. وما أشبه ذلك. و(الحيوان) فيها مبالغة وتوكيد، لذلك لم تطلق إلا على الحياة الآخرة لأنها الدائمة فليس لها فناء، والنظيفة فليس فيها رجس ولا وباء، وهي الحق فليس فيها باطل ولا مراء، وهي الباقية فليس لها انتهاء.

[١٠١] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُزِيلُ﴾ وبابه من كل فعل مضارع من غير همزة مضموم الأول سواء أكان مبنياً للفاعل أو المفعول حيث أتى. قرئ: (يُزِيلُ) بفتح النون وتشديد الزاي مضارع (نَزَلَ) المتعدي بالتضعيف، وقرئ: (يُنْزِلُ) بسكون النون وتخفيف الزاي من (أَنْزَلَ) المتعدي بالهمزة إلا قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، فقد أجمع على قراءته بالتشديد، وبقيد خرج الماضي نحو: (وما أنزل الله - نزلنا على عبدنا)، وبغير همزة، سأنزل، وبالمضموم خرج، و(ما ينزل من السماء). [١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿الْقُدُسُ﴾ حيث جاء في القرآن قرئ: (الْقُدُس) بضم الدال على الأصل، وهو لغة أهل الحجاز، وقرئ: (الْقُدُس) بإسكان الدال للتخفيف كي لا تتوالى ضمتان نحو "الحلم - الحلم" وهو لغة تميم. = يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلُّ (٢٤) مرة في كتاب الله تعالى. [١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤ - وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥ - وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوكوت»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

١٠٣- ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾: من بني آدم غير ملك ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يميلون إليه، ﴿أَعْجَمِي﴾: أي: لغة الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك أعجمية، فكيف يعلم النبي القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين؟ وكانت قريش تقول: إنما يعلمه عبد بني الحضرمي، وكان يقرأ الكتب، وكان نصرانياً. ١٠٦- ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾: نطق بلسانه بكلمة الكفر. ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: قيل: نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنهما، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بثر وقالوا: اكفر بمحمد، فبايعهم على ذلك وقلبه كاره. ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾: من اختاره وباح به طائعاً. ١٠٧- ﴿أَسْتَحَبُّوا﴾: آثروا. ١٠٨- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ﴾: ختم على قلوبهم وأولئك هم الغافلون عما أعد لهم من العذاب، وعما يراد بهم. ١٠٩- ﴿لَا جَرَمَ﴾: أي: حقاً هم الكاملون في الخسران. ١١٠- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: تركوا ديارهم وعشائرتهم فانتقلوا عنها إلى دار الإيمان. ﴿ثُمَّ جَهَدُوا﴾: المشركين بالسيف من بعدما فتنهم المشركون، إذ كانوا بين أظهرهم ﴿رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: بهم.

[١٠٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له: يسار والآخر: جبر، وكانا صقليين، فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا إنما يعلم منهما، فنزلت. [١٠٦] قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالاً وخباباً وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدثه، فقال: كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشراً بالذي قلت؟ قال: لا، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. وأخرج عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنهم فكفروا مكرهين، ففهم نزلت هذه الآية.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾ [هود: ٢٢]، ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩]. آية هود تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فصدوا عن سبيل الله، وصدوا غيرهم صدأً، فاستحقوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلوا وأضلوا فهذا موجب الأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى، أمّا آية النحل فإنه لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب، ويوجد وجه آخر وهو عن طريق اللفظ، وهو موافقة الفواصل، ففي هود قبل قوله: "الأخسرون" قوله: "يبصرون، يفترون"، فما قبل الواو والنون متحركان لا يعتمدان على ألف قبلها، بخلاف "الخاسرين" في آية النحل فإنها موافقة لما تقدمها ك"الكافرين والغافلين". [١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

كرر ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ مرتين لطول الكلام بين اللفظين، قيل ومثله: ﴿أَيُّدُهُمْ أَتَمُّ وَإِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَتَمُّ تُخْرِجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]. [١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ [النحل: ١١٥]، ﴿فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. ما الفرق بين: "الميتة والميت"؟ **الجواب:** استعمل القرآن الكريم كلمة (ميت) بتحريك الياء وتشديدها، للدلالة على: ١- ما كان له روح نشأت عنها الحياة، وسيموت يوماً ما، مثل قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فلقد أطلق القرآن كلمة (ميت) على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو حي وهم أحياء، وكلمة (ميتون) تشمل كل حي بعد صحابة رسول الله ﷺ من الناس جميعاً، فالموت سنة من سنن الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (ميت) بتسكين الياء، للدلالة على من كان حياً حياة حقيقية ثم مات موتاً حقيقياً، وفارقت روحه بدنه. وقد جاءت كلمة (ميت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفاً مجازياً خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع، و(الأرض) في موضع واحد، و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. ووصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(ميت) تشبيهاً لهما بالميت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حذفت فيها المشبه وذكر المشبه به. - ووصف الجاهل أو الضال أو الكافر بـ(ميت)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتاً حقيقياً وبين الجاهل والضال والكفار هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. **سؤال:** أصل وصف (البلد) بالميت، فلم يوصف =

[١٠٣] ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ﴾ قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ هنا، والأعراف: ١٨٠، فصلت: ٤٠، قرئ: (يلحدون) بفتح الياء والحاء في الثلاثة من "لحد" ثلاثياً. وقرئ: (يلحدون) بضم الياء وكسر الحاء في الثلاثة من "لحد" وقيل: هما بمعنى، وهو الميل ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه، بخلاف الضريح فإنه يحفر في وسطه، وهما لغتان، يقال: لحد وألحد إذا عدل عن الاستقامة. [١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قرئ: (فتنوا) بضم الفاء وكسر التاء على صيغة المبني للمجهول، والمعنى: من بعدما فتنهم المشركون بالتعذيب، فأكره منهم من أكره على النطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان كعمار بن ياسر وإخوانه. وقرئ: (فتنوا) بفتح الفاء والتاء وهذه تحتمل معنيين: الأول: أن الفعل لازم بمعنى افتتن، فتتحد القراءتان، والثاني: أنها نزلت في المشركين الذين فتنوا المستضعفين من المسلمين، ثم أحرزوا شرف الهجرة بعد الفتنة كصفوان، وعكرمة، وعمر بن الخطاب، فتختلف القراءتان في المعنى: إذا هي على الأولى: نزلت في المفتونين، وعلى الثانية: نزلت في الفاتنين.

[١٠٣] ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ **إعجاز عددي:** ذكر لفظ (اللسان) بمشتقاته في القرآن الكريم (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة) بمشتقاته في القرآن الكريم (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (الموعظة) بمشتقاتها وكل ورد (٢٥) مرة في القرآن الكريم.

[١٠٦] ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ **إعجاز عددي:** تساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كل (١٣) مرة.

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِيدٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ قَرِيبَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ أَنْزَلَهُمْ اللَّهُ حُلَاالَ طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِنِعْمَتِ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَآئِهِمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِكُمْ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١١- ﴿تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾: بالحجج، وتخاصم لها. ١١٢- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾: قيل: هي مكة كان أمنها أن العرب كانت تتغاور، أي يغير بعضها على بعض، ويقتل بعضها بعضاً، وأهل مكة لا يُعرض لهم فيها ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾: قارة بأهلها، لا يحتاج إهلها إلى النجج، أي الرحلة في طلب الرزق، ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾: بدعاء رسول الله ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» متفق عليه. ١١٣- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾: يعني أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾: محمد ﷺ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: من الجوع والخوف، والقتل يوم بدر ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: مشركون. ١١٥- ﴿وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: ذبح للأصنام ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾: لمجاعة حلت له. ﴿وَلَا عَادٍ﴾: أن يعتدي حلالاً إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة. ١١٦- ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: في البحائر والسبب (راجع تفسير الآية ١٠٣ سورة المائدة والآية ١٤٥ سورة الأنعام). ١١٨- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود ﴿حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: في سورة الأنعام: من كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم: ﴿لَا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمْ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ - الآية ١٤٦.

[١١٥] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

[١١٥، ١١٠] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرّمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته.

[١١٥، ١١٠] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[١١١] ﴿وَأَنْقُضُوا يَوْمَآ تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِيدٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]. آية البقرة جاءت في سياق الأموال قبلها أمور مادية من ترك الربا، وهو كسب محرم، وكذلك آية المعسر وآية الدين، وكلها جاءت في سياق الأموال فناسب ذكر الكسب، أمّا آية النحل فليس لها علاقة بالكسب، قال قبلها: ﴿ثُمَّ آتَكَ رَبُّكَ لِلدِّينِ هَاجِرًا مِنْ بَعْدِ مَا قُضُوا ثُمَّ جَنَّهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فآية النحل ليس فيها كسب، فالجهاد والفتنة والصبر ليست كسباً، ففي سياق الأموال قال كسب، وفي سياق الأعمال قال عمل. [١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ...﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ...﴾ [النحل: ١١٨]. واذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين ما حرمنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما علق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك... فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية النحل: وعلى اليهود حرمنا ما أخبرناك به أيها الرسول من قبل، وهو كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حملته ظهورها أو أمعائها، أو كان مختلطاً بعظم، وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

= بالميت أحياء؟ والجواب من وجهين: ١- أن يكون المراد بالبلد في الآيتين أهل البلد لا نفسها وهم قطعاً (أي أهل البلد) أحياء سيموتون، وهذا يناسب وصفه بكلمة (ميت) عن (ميت). كما أطلق الله المكان وقصد أهل المكان في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]. ٢- أن الآيتين اللتين وُصف فيهما (البلد) بـ (ميت) اتفقتا في أمرين: أ- أن السحاب مسوق في كلتا الآيتين: ب- أن السوق للسحاب قد عُدِّي بحرف الجر (لـ) (بلد) أو (إلى) (إلى بلد)، وهذا معناه أن مسافة ممتدة بين منشأ السحاب وبين البلد الذي سيق إليه السحاب، فلا يبعد أن يكون في (البلد) آثار من حياة، ريشما يصل إليها السحاب، فيُجدد أسباب الحياة فيها، فعومل (البلد) معاملة الحي الذي سيموت، والله أعلم.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمَيْتَةَ﴾ أينما وردت مادتها في القرآن عدا ما استثنى مما يأتي بعد، قرئ: (الميتة) بتخفيف الياء ساكنة. وقرئ: (الميتة) بتشديد الياء مكسورة، وهما لغتان جيدتان، والتشديد أصل التخفيف، والتشديد متفق عليه فيما لم يمت نحو: ﴿وَمَا هُوَ بِحَيٍّ﴾ و﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ قرئ: (اضطر) بضم الطاء على الأصل. وقرئ: (اضطر) بكسر الطاء إذا أصله اضطرر بكسر الراء، ولما أدمغ الراء نقلت حركة الراء الأولى إلى الطاء. من هذا تبين أن كسر الطاء وضمها لغتان.

[١١٥] ﴿الْخَنَازِيرِ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخية) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَنَّةٍ﴾: عصوا الله عز وجل وجهلوا، أو سفهوا بذلك، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: ثم راجعوا أنفسهم، وتابوا واستغفروا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: من بعد توبتهم. ١٢٠- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾: «الأمّة»: الذي يُعَلِّمُ الناس الخير ويُقْتَدَى به ويؤْتَمُّ به ﴿قَانِتًا﴾: مطيعاً ﴿حَنِيفًا﴾: مسلماً. ١٢٢- ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: ذكراً وثناءً باقياً على الأيام؛ فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾: لمن صلح شأنه وأمره، وحسنت منزلته وكرامته. ١٢٤- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: أي جعل وبال السبت وهو المسخ، على الذين اختلفوا فيه. وقيل: جعل فرض تعظيم السبت على الذين اختاروه واتبعوه، وتركوا الجمعة التي أمرهم بها موسى، فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم، وتركوا تعظيم يوم الجمعة واستحلوه. ١٢٥- ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى شريعة ربك، دين الإسلام الذي ارتضاه عز وجل ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: أي: بالأنانة والتلطّف. والحكمة -ها هنا-: الكلام الصواب القريب، الذي يقع في النفس أجمل موقع. ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾: بالعبر الجميلة التي جعلها الله في كتابه المنزل عليك. وقيل: الموعظة الحسنة: الترغيب والترهيب، وأن تضع المدعو في موضع من يقبل الأخلاق والفضائل. ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: فإن مال المدعو إلى المعارضة والمناقضة فاسلك معه سبيل المجادلة، وتخيّر منها أحسن وجوها، كأن تكون من غير مخاشنة، ونحو ذلك. ١٢٦- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: من ظلمكم وتعدّى عليكم. ١٢٧- ﴿وَلَا تَكُ فِي صَبَقٍ﴾: -بفتح الضاد-: أي لا يضق صدرك بما يقولون ﴿وَمِمَّا يَمْكُرُونَ﴾: من الجهل وما يحتالون من الخدع، بالصدء عن سبيل الله عز وجل.

[١٢٦] قوله تعالى: ﴿وَلِإِن عَاقَبْتُمْ﴾ أخرج الحاكم، والبيهقي في الدلائل، والبزار عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال: لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وَلِإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر السورة الترمذي، وحسنه، والحاكم، عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا ليزیدن عليهم في التشيل، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ﷻ إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزوها بأحد، وجمع ابن الحصار: بأنها نزلت أولاً: بمكة، ثم ثانياً، بأحد. **[١١٩]** ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ٣] مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ [النحل: ١١٩]. والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا بعد التوبة النصوح لغفور لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل مَنْ كان مثلهم من التائبين، فهذا للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله - فكل عاص لله مخطئاً أو متعمداً هو إلى الله عمداً كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك - مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ **[١٢٧]** ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ بِإِثْبَاتِ النَّوْنِ، وهذه الكلمة كثر دَوْرُهَا فِي الْكَلَامِ، فحذف النون فيها تخفيفاً من غير قياس بل موضعاً تسعة منها بالتاء، وثمانية بالياء، وموضعان بالنون، وموضع بالهمزة، وخصت هذه السورة بالْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، والثاني أن هذه الآية نزلت تسلياً للنبي ﷺ حين قتل حمزة ومثل به فقال عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِإِلَهِ **[النحل: ١٢٦-١٢٧]**، فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاء في النمل على القياس، ولأن

= (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(ال)
[١٢٥] ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
إِعْجَازٌ تَشْرِيعِي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١ - مبدأ التوحيد: فقد جمع الله تبارك وتعالى أ
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سُوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا
[آل عمران: ٦٤]. ٢ - مبدأ الاتصال المباشر بالله - تعالى - دون وساطة: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ
التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿ لَيَقَرَّبَنَّ أَهْلَهُ وَلْيَذَكِّرْ أَهْلَهُ وَأُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]. ٤ - مبدأ إحاطة ال
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ١٣]
وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة، وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثاً

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِهِمْ لَا يَخْفَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ ثُمَّ تَأْتُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنْ إِيْرَاهِمُ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَافًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعِمَهُ أَحْبَبَهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَمَا يَنْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَنْعِمْ مِلَّةَ إِيْرَاهِمَ خَافًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد. وآخر من المهاجرين ستة منهم حمزة، فمشلوا بهم، فقال **لَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا** الآية، وظاهر هذا تأخر نزولهم. ثم ثالثاً: يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده.

﴿فِي صَبِيحٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل : ٧٠]. في النمل: ﴿وَلَوْ يَكُنُ السَّلَامُ: لَا أَفْعَلَنَّ بِهِمْ وَلَا صُنْعَنَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبِيحٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ حزن هنا دون الحزن هناك.

بمشتقاتها، وقد ورد كُلُّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى ﴿صَلِّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ٢٥] الكتاب كله على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ عَوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة
باعتبار الأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى
٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا الله سبحانه
قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْدِي إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ أُولُوا كَيْدٍ ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ أَلْفَ كَفَّةٍ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْأَوْا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

(٢٨٢)

١- ﴿سُبْحَنَ﴾: تنزيهاً لله، وتبرئة له سبحانه عما يقول المشركون، ومن كل نقص، ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾: «الإسراء» و«السري»: سِرَّ الليل ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: قيل: الحرم كله مسجد. وروي أنه كان ليلة أسري به في بيت أم هانئ بنت أبي طالب. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: بيت المقدس. وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ابتغاء فضل الله ورحمته ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾: لسكانه في معاشهم وأقواتهم ﴿لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْدِي﴾: من عبرنا وقدرتنا. واختلف في أنه أسري بروحه ﷺ دون جسده، وفي أنه أسري بجسده، والأصح والأثبت أنه أسري بروحه وجسده على دابة يقال لها البراق، وليس فيما قيل من أنه أسري بروحه دون جسده حجة على رسالته، ولا كان أهل الشرك يدفعونه عن صدقه، إذ لم يكن منكراً عند أحد أن يرى الرائي في منامه ما على مسيرة سنة، أو سنوات، فكيف بما هو على مسيرة شهر؟ ٢- ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾: حفيظاً. وقيل: شريكاً في هذا الموضع. ٣- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: بمعنى: يا ذرية من حملنا. والناس أجمعون من ذرية نوح ﷺ. ٤- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: معنى القضاء: الفراغ من الشيء، وتستعمل في كل مفروق منه، والمعنى: أعلمناهم. وقيل: وقضينا على بني إسرائيل في أم الكتاب، وقيل في التوراة، ﴿وَلِتَعْلَنَ أُولُوا كَيْدٍ﴾: لتستكبرن عن طاعة الله، ولتستعلن عن الناس بالظلم والبغي. ٥- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾: فالمرّة الأولى قتل زكريا، والآخرة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام. وقيل غير ذلك. ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: بطش في الحرب شديد. قيل: كان سابور ذو الأكتاف وأهل فارس المبعوثين عليهم ﴿فَجَاسُوا﴾: تردّدوا ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: بين الدّور والمساكن جائين ذاهبين. وقيل: جاسوا خلال الديار يقتلونهم جائين وذاهبين. ٦- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ أَلْفَ كَفَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾: نصرناكم على المبعوثين عليكم، فأصبتم منهم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أكثر عدداً منهم. والنفير: من ينفر مع الرجل من قومه وعشيرته. ٧- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: ظهر بُخْتَصَرٌ عليهم بقتلهم يحيى بن زكريا ﴿لِيُسْتَفْأَوْا وَجُوهَكُمْ﴾: ليُقبَحوها، ويجعلوها ظاهرة المساء والكآبة، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾: يدمروا ما غلبوا عليه من بلادك.

[٢٢] ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣]. وكما كَرَّمَ الله محمداً ﷺ بالإسراء، كَرَّمَ موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بياناً للحق وإرشاداً لبني إسرائيل، متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى ولياً أو معبوداً يفوضون إليه أمورهم، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية السجدة: ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك أيها الرسول القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

[١] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْدِي إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. بدأها الله تعالى بالتسبيح لأن هناك إشعاراً أن الحديث بعدها سيكون عن أمر عظيم لا يقدر عليه إلا الله، والعلماء يعدون التسبيح لله أحد طريقين أثنى الله تعالى بهما على نفسه: إما التسبيح أو الحمد. قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ قيل: سر قوله: ﴿لَيْلًا﴾ إفادة تقليل الوقت الذي كان الإسراء والرجوع فيه. أي أنه كان في بعض الليل أخذاً من تنكيره. وفي تخصيص الليل لإعلام بفضلته؛ لأنه وقت السر والنجوى والتجلى الأسمى، ولذلك كان أكثر عبادته صلى الله عليه وسلم بالليل.

[٢] ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُوا﴾ قرئ: (يتخذوا) بياء الغيبة جرياً على أسلوب الكلام السابق، وهو: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ و"أن" مصدرية مجرورة بحرف جر محذوف، أي: "لثلاث يتخذوا من دوني وكيلًا". وقرئ: (تتخذوا) بقاء الخطاب على الالتفات و"أن" مفسرة بمعنى: أي، و"لا" ناهية، والمفسر ما تضمنه لفظ الكتاب السابق في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ﴾ والمعنى: أن متضمن هذا الكتاب النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد، وإن كان متضمن الكتاب أحكاماً كثيرة، لكن ذلك هو عمادها وأصلها، وقيل غير ذلك. [٧] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْأَوْا وَجُوهَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيُسْتَفْأَوْا﴾ قرئ: (لنساء) بالنون وفتح الهمزة من غير مد بعد الهمزة على أنه مضارع مسند إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه لمناسبة قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ و﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾ و﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾. وقرئ: (ليسوء) باليااء وفتح الهمزة كذلك على أن الفعل مسند إلى ضمير الوعد بمعنى الموعود وهو العذاب، والإسناد مجازي؛ أو هو التفات عن التكلم إلى الغيبة، والفاعل ضمير يعود على الله. وقرئ: (ليسووا) بياء في أوله، وهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة؛ والفعل مسند إلى واو الجماعة، أي: العباد المبعوثين عليهم، فقله: ﴿لِيُسْتَفْأَوْا وَجُوهَكُمْ﴾ متعلق بفعل محذوف هو جواب إذا وتقدير الكلام، = ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيها صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَاتِيَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ ظَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

نزول سورة الإسراء: نزلت بعد سورة القصص، وهي مكية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الإسراء: ألف وخمسمائة وثلاث وستون. عدد حروف سورة الإسراء: ستة آلاف وأربعمائة وستون. أسماء سورة الإسراء: وهذه السورة اسمان: سورة سبحان، لافتتاحها بها، وسورة بني إسرائيل لقوله فيها: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمَّا أَفِي وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِی صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ بَنَدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْبَدْرَيْنِ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

١٨ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا بعمله وسعيه، لا يؤمن بمعاد ولا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾: يجعل الله له ما يشاء، من بسط أو تقثير ﴿مَذْمُومًا﴾: من الذم ﴿مَذْحُورًا﴾: مبعداً مقصياً في النار. ٢٠ - ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ﴾: نغطي من الدنيا. ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾: البر والفاجر ﴿مَحْظُورًا﴾: ممنوعاً من بر ولا فاجر. ٢١ - ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: العاملين للآخرة على العاملين للدنيا. وقيل: المراد: تفضيل العباد بعضهم على بعض في الدنيا في العقل والصحة والمال والمكانة، ونحو ذلك. ﴿أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم، يرى في مشارق الأرض ومغاربها». أخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلًا. وقال رسول الله ﷺ «أن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء». أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما. وصححه الألباني. ٢٢ - ﴿مَخْذُولًا﴾: قد أسلمت إلى من يبغيك السوء. ٢٣ - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أمر وأوجب عليكم. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: أن تحسنوا إليهما، وتبروهما ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمَّا أَفِي﴾: لا تأنف من شيء تراه من أحدهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر. وقيل: معنى «أف»: ما غلظ من الكلام، أو كل ما ينبي عن الضجر والاستئثار. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: تزجرهما، والنهر: الزجر والغلظة. ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: أحسن ما تجد من القول. ٢٤ - ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: كن لهما ذليلاً، ولا تمتنع من شيء يجبانه، رحمة منك بهما. ٢٥ - ﴿لِلْأَوَّلِينَ﴾: للتائبين بعد الهفو، الراجعين من المعصية إلى التوبة والطاعة، من قولك: آب فلان من سفره، إذا رجع. ٢٦ - ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾: قرابة المرء من قبل أبيه وأمه التي أمر الله عز وجل بصلتها ﴿حَقَّهُ﴾: من البر والصلة والعطف عليه. ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾: ذا الذلة من أهل الحاجة ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع به ﴿وَلَا تَبْذُرْ﴾: في غير حق، والتبذير: إنفاق المال في إفساد، أو في سرف لا في مباح. [١٥] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الآية. أخرج ابن عبد

البر بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «هم من آبائهم» ثم سأله بعد ذلك، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، ثم سأله بعدما استحكم الإسلام، فنزلت ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال: «هم على الفطرة أو قال: في الجنة». [٢٦] قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ الآية. أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما فذك. قال ابن كثير: هذا الحديث مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية. والمشهور خلافه، وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله والحديث ضعيف جداً. [٢٠] ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، أي: وما كان عطاء ربك ممنوعاً من أحد مؤمناً كان أم كافراً، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، أي: إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يحذره العباد، ويخافوا منه. [٢٦] ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ بَنَدِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ...﴾ [الروم: ٣٨]. وأحسن إلى كل من له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين المحتاج والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أما آية الروم: أعط أيها المؤمن قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير المحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه. [٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ زَرْفُهُمْ وَإِنَّا لَكُنَّا بِمَا تَقْتُلُونَ أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ زَرْفُهُمْ وَإِنَّا لَكُنَّا بِمَا تَقْتُلُونَ أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ زَرْفُهُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. [١٩] ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]. ما الفرق بين: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بالمضارع، و﴿وَمَنْ أَرَادَ﴾ بالماضي؟ الجواب: أنه عندما تحدث عن الدنيا قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، لأن إرادة الثواب تتكرر دائماً، كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذاً يتكرر والشئ المتكرر جاء به بالمضارع، أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩]، فقد ذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة.

[٢٣] ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمَّا أَفِي﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ قرئ: (يبلغان) بمد الغين وكسر النون مشددة على أن الفعل مسند إلى ألف الاثنين وهو الفاعل، وكسرت نون بعدها تشبيهاً لها بنون المثني، وأحدهما بالرفع بدل من الألف، بدل بعض من كل. وقرئ: (يبلغن) بقصر الغين وفتح النون مشددة على أنه مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد (أحدهما): فاعل، وكلاهما معطوف عليه. قوله تعالى: ﴿أَفِي﴾ قرئ: (أف) بالكسر من غير تنوين. وقرئ: (أف) بالكسر والتنوين. وقرئ: (أف) بالفتح من غير تنوين والكسر والفتح لغتان، فالكسر: لغة أهل الحجاز واليمن، والفتح: لغة قيس، والتنوين للتذكير، وعدمه لقصد عدم التذكير، وهذا الكلمة اسم فعل مضارع، بمعنى: أتضجر بنيت لمشايتها الحرف في النيابة عن الفعل وعدم التأثر بالعمل، وبنيت على حركة لانتقاء الساكنين الأول سكون أحرف المدغم، والثاني: الأخير، فمن نطق بالكسر فلائنه أصل التخلص من التقاء الساكنين، ومن نطق بالفتح فلنقص الترخيف.

= بعد أن كان مشتعلاً. وإذا عدنا إلى الآية القرآنية فإننا نلاحظ استعمال لفظ "محو" والمحو عند اللغويين هو الطمس والإزالة، والمعنى أن الله تعالى أزال وطمس ضوء القمر، والمحو المقصود ليس إزالة كوكب القمر، فهو لا يزال موجوداً، ولكن إزالة نوره وضوئه، وهذا واضح من العبارة القرآنية "آية الليل" وهي القمر و"آية النهار" وهي الشمس. والطمس يكون للنور، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُورَةً﴾ فجاء بكلمة مبصرة وهي وجه المقارنة لتدل على أن المقارنة هي بين نور آية الليل "القمر" ونور آية النهار "الشمس"، فالأول انطفأ والأخرى بقيت مضيئة بنصر من خلالها. فإنا نرى من بلغ محمداً صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة، والتي تحتاج للمركبات الفضائية والأقمار الاصطناعية والتحليل الجيولوجية، التي لم يمتص على اكتشافها سوى عشرات السنين؟

= والنهار، وبيان الحكمة في سير الشمس والقمر ودورها، وقراءة الكتب في القيامة، وبيان الحكمة في إرسال الرسل، والشكوى من القرون الماضية، وذكر طلب الدنيا والآخرة، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وجعل بر الوالدين والتوحيد في قرن واحد، والإحسان إلى الأقارب، والأمر بترك الإسراف، وذم البخل، =

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كُنَّا مَعَهُ إِلهًا كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعُوتُ
 السَّعْبُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَسُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبُّكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ آدَمَ رَأَى نُفُورًا
 ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا آءِذَا نَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

٢٨٦

٣٩- ﴿ذَلِكَ﴾: الإشارة إلى هذه الآداب والأحكام التي تضمنتها الآيات المتقدمة. وهي تصل إلى خمسة وعشرين تكليفاً. ﴿مِنَ الْحِكْمَةِ﴾: من التكاليف المحكمة التي يعترها الفساد والبطلان. ﴿مَدْحُورًا﴾: مقصى في النار. ٤٠، ٤١- ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ﴾: أفخصكم؟! ﴿إِنثًا﴾: بنات. ﴿إِلَّا﴾: نفوراً. ٤٢- ﴿وَإِذَا لَا بُدَّوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: طريقاً للمغالبة والممانعة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض من المطاولة والمصاولة. وقيل: المعنى: إذا لا ابتغت تلك الآلهة القربة والزلفة من الله ذي العرش العظيم، ولعرفوا فضله ومنزلته عليهم. ٤٣- ﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيهاً له و﴿عُلُوًّا﴾: عما وصفه به المشركون. ٤٤- ﴿حِجَابًا مَسُورًا﴾: قيل: «مستوراً»: ساتراً. وقيل: حجاباً ذا ستر. وقيل: هو حجاب لا يرى فهو مستور. والمعنى: أنهم لإعراضهم عن قراءتك، وتغافلهم عنك، كمن بينك وبينه حجاب. ٤٥- ﴿أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أغطية كراهة أن يتفهموا به. ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً وصمماً. ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبُّكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾: إذا قلت: لا إله إلا الله ﴿وَلَوْ أَنَّ آدَمَ رَأَى نُفُورًا﴾: يعني: المشركين، ينهضون عنك ويذهبون ﴿نُفُورًا﴾: من قولك: لأنهم يكرهون التوحيد. ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]. ٤٦- ﴿إِذْ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ﴾: وأنت تقرأ ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾: النجوى: فعلهم، فجعلهم هم النجوى كما تقول: قومٌ رضا، وإنما «رضا» فعلهم. وقد كانوا يتناجون بالكذب والاستهزاء. ﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: يعنون أن السحر قد خبل عقله وأفسد كلامه! وهذا إنما ينطبق على أمثالهم من المشركين والضالين. ٤٨- ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: مثلك بالشاعر والساحر والمجنون، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: مخرجاً من كفرهم. ٤٩- ﴿وَرَفْنًا﴾: ثراباً وغباراً، لا واحد له، بمنزلة: الدقاق، أي الفتات، والحطام ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾: نعاد كما بدنا! [٤٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ الآية.

أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا: يهزؤون به: ﴿فَلَوْ نَفِئُ فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُوا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرًا وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾. فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ الآية. [٣٩] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُقْعِدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهُمَا كُلِّ بَسْطٍ فَتَقْعِدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. الآية الأولى في الدنيا، والثالثة في العقبى، والخطاب فيهما للنبي ﷺ، والمراد به غيره، كما في قوله: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقيل: القول مضمراً، أي: قل لكل واحد منهم لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذمومًا مخذولاً في الدنيا، وتلقى في جهنم ملومًا مدحوراً في الآخرة، وأما الثانية فخطاب للنبي ﷺ وهو المراد به، وذلك أن امرأة بعثت صبيّاً لها إليه مرة بعد أخرى، سألته قميصاً، ولم يكن عليه ولا له ﷺ قميصٌ غيره، فزعه ودفعه إليه، فدخل وقت الصلاة فلم يخرج حياءً، فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصفة فلاموه على ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿فَتَقْعِدَ مَلُومًا﴾. يلوّمك الناس ﴿مَحْسُورًا﴾: مكشوفاً، وهذا هو الأظهر من تفسيره، والله أعلم. [٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ [الكهف: ٥٤]. جاءت الآية الأولى بحذف "للناس" اكتفاءً بذكرهم قبل بلفظ: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]، وأما الآية الثانية فإنها جاءت بعد أمثال ضربت نحو: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وبعد تخويف النبي ﷺ وتحذيره كتحدير الناس كلهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً﴾ [الإسراء: ٧٣]، إلى قوله: ﴿إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥]، فقال بعده، وقدم الناس: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩] تنبيهاً للناس، وليهتموا بفهمه، ويعنوا بتدبره، ويقفوا عند أوامره، وينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب في تقديم ما عنايتهم بذكره أتم، وأما الثالثة فإنها وقعت في السورة التي تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الإخبار به مما لم يقدر عليه إلا بأن يوحى إليه.. فقال في هذا المكان: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤]، للدلالة على ما طلبوه من النبي ﷺ وما قد أوحى الله تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى، والله أعلم. [٤٨] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨، ٤٩، الفرقان: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الإسراء والفرقان، ومعناها: انظر أيها الرسول كيف قال المكذبون في حقتك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه - لغرابتها - الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فباعدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء. [٤٩] ﴿وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا آءِذَا نَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩، ٩٨]. لماذا تكررت هذه الآية بالإسراء مرتين؟ **الجواب:** الموضع الأول من كلام الكفار في الدنيا، حين جادلوا الرسول ﷺ وأنكروا البعث، والثاني من كلام الله حين جازاهم على كفرهم وقولهم ذلك وإنكارهم البعث، فقال: ﴿مَا وَنُهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٧٧] ذَلِكَ جَزَاءُ هُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا آءِذَا نَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٩٧-٩٨].

[٣٣] ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُسْرِفُ﴾ قرئ: (يسرف) بياء الغيبة جرياً على الأسلوب السابق وضمير الغائب عائد على الولي في قوله: ﴿جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا﴾ كما هو ظاهر، والإسراف المنهي عنه التعدي في القصاص كأن يقتل بالواحد جماعة، أو يقتل غير القاتل أو يمثل به، ويجوز عود الضمير على القاتل المفهوم من قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ والمنهي هو القاتل ابتداءً، نهي عن الإسراف في القتل، وعلى هذا تكون في بمعنى الباء، أي: لا يسرف القاتل ويتعدى حدود الغضب بارتكاب جريمة القتل أو القاتل استيفاءً، وهو الذي يستوفي القصاص، ويرجع هذا للمعنى الأول. وقرئ: (تسرف) بناء الخطاب على الالتفات، والمخاطب هو الولي أو القاتل على ما سبق حتى لا يتعدى فيقتل أحداً ظلماً، واعلم أن من قتل ظلماً فدمه منصور يؤخذ له القصاص. [٣٥] ﴿وَرَبُّوْا بِالْقِسْطِ﴾ قوله = الجلال، وإهلاك القرى قبيل القيامة، وفتنة الناس برؤيا النبي ﷺ، وإبائ إبليس السجدة لأدم، وتسليط الله إياه على الخلق، وتعيد النعم على العباد، وإكرام بني آدم، وبيان أن كل أحد يدعى في القيامة بكتابه، ودينه، وإمامه، وقصد المشركين إلى ضلال الرسول ﷺ وإذلاله، والأمر بإقامة الصلوات الخمس في =

٥٠ - ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: إن قدرتم على ذلك، فإني أحبيكم وأبعثكم كما بدأتكم أول مرة.
 ٥١ - ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: أي: يعظم عندكم مما هو أكبر من الحجارة والحديد مبينة للحياة؛ فإنكم مبعوثون لا محالة. ﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: يحركون رؤوسهم تكديبا واستهزاء، و«النفض» في كلام العرب: حركة بارتفاع ثم انخفاض. ٥٢ - ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: للخروج من قبوركم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾: بأمره. وقيل: بأن يقولوا: لله الحمد في الأرض. ٥٣ - ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: قل لعبادي المؤمنين عند مخاطبة المشركين ومحاورتهم: يقولوا الكلمة الحسنى، أو التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾: يفسد ما بينهم ويهيج الشر ﴿عَدُوًّا مُبِينًا﴾: قد أبان عداوته بما أظهر لآدم من الحسد والغرور. ٥٤ - ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ﴾: قيل: هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ يوفقكم للإيمان فتموتوا عليه ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: بأن يُميتكم على الشرك. ٥٥ - ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ﴾: الخطاب لعبدة من يعقل، وليس لعبدة الأصنام. ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: تحويله عنكم. ٥٦ - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الآية: أي أن هؤلاء المعبودين من الجن والملائكة والعزير والمسيح وأمه يبتغون إلى ربهم سبحانه ﴿الْوَسِيلَةَ﴾: القربى والزلفى، بالطاعة والعبادة، أي يتضرعون إلى الله في طلب ما يقرّبهم إلى ربهم عز وجل. ٥٨ - ﴿وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾: إلى آخر الآية: مهلكو أهلها بالفناء والاستئصال ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾: بالقتال، أو غيره من صنوف العذاب. وقيل: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله بهلاكها ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في أم الكتاب، اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوبا مثبتا. [٥٦] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ الآية.

[٥٣] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَمْضُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا...﴾ [إبراهيم: ٣١]، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا أَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [الإسراء: ٥٣]. قل أيها الرسول لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيتهم من المال في وجوه الخير... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية الإسراء: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام... [٥٦] ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]. اختير الإضمار في سورة بني إسرائيل لقوة الذكر قبل، ألا ترى أنه يكون في عشرة مواضع مضمرًا ومظهرًا، لقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤]، إلى قوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، فكان الإضمار تلو الإضمارات أولى بهذا المكان، فلذلك قال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وأمّا في سورة سبأ فإن الذي تقدمه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بَالِ الْآخِرَةِ مَنَ هُوَ مِنْهَا فِي شِكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١]، فالذكر تقدم في ثلاثة مواضع، وهناك أكثر من عشرة مواضع، فحسن الإظهار هنا، وقوي الإضمار هناك، فلذلك اختلفا. [٣٦] ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. في ذكر الفؤاد هنا مع السمع والبصر دليل على المؤاخذه على الأمور القلبية، كما أن الإنسان يؤاخذ على ما يسمع ويبصر. ففيما يتعلق بالقلب فإن الإنسان يؤاخذ على المعتقدات التي يعتقدها، فيثاب على التوحيد، ويعاقب على الشرك، كما يؤاخذ على الأعمال القلبية الأخرى، فيثاب على اليقين والرضا والتوكل، ويعاقب على الأدواء التي تصيبه كالحسد والغل ونحو ذلك من سوء الظن، وهكذا العزم المصمم على المعصية. [٥٦] ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، ﴿خَلْدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. ما الفرق بين: "حَوْلًا، تحويلًا"؟ الجواب: وردت كلمة (حَوْلًا) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (تحويلًا) ثلاث مرات في القرآن الكريم. (حَوْلًا) مصدر حال يحوّل، وهو مصدر فعل لازم. بينما (تحويلًا) مصدر حَوَّلَ يُحوِّلُ، وهو مصدر فعل متعدّد. ﴿خَلْدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] أي: (لا يحوّلون عنها إلى غيرها). أما قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] أي: لا يملكون أن يكشفوا الضّر عنكم، ولا أن يحولوكم عن النار التي أنتم تحرقون فيها. وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْدِلَسْتُ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] أي ولن تجد من يحوّل سنة الله عن = تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ قرئ: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بضم القاف وكسرها وهما لغتان، والضم لغة الحجازيين والكسر لغة غيرهم. [٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ قوله تعالى: ﴿سَيِّئُهُ﴾ قرئ: ﴿سَيِّئُهُ﴾ بضم السين المهملة وبعدها هاء مضمومة على أنها اسم كان مضافًا إلى هاء الضمير الراجع إلى اسم الإشارة، والمشار إليه ما ذكر من الأوامر والنواهي السابقة من ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى هنا، ولا شك أن فيما سبق خيرًا مأمورًا به، وشيئًا من المنهي عنه صريحًا أو ضمّنًا فأخبر بأن سيئه وهو المنهي عنه كان عند ربك مكروهًا. وقرئ: ﴿سَيِّئُهُ﴾ بفتح الهمزة بعدها تاء منصوبة منونة على أنه خبر لكان، واسمها ضمير يعود على كل، واسم الإشارة عائد في هذه القراءة على ما ذكر من النواهي السابقة صريحًا أو ضمّنًا، و(عند ربك) متعلق بـ(مكروهًا) متقدم عليه، و(مكروهًا) خبر بعد خبر، والمعنى على ذلك: كل ما سبق من النواهي المتقدمة كالشرك وعقوق الوالدين وقتل الأولاد إلى آخره كان سيئه مكروهًا عند ربك مستوجبة لعقابه وغضبه. [٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكِّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَذَكِّرُوا﴾ قرئ: ﴿لِيَذَكِّرُوا﴾ بتشديد الذال والكاف مفتوحتين على أنه مضارع تذكّر وأصلها: يتذكر فأبدلت التاء ذالًا، وأدغمت في الذال، والتذكير التيقظ والمبالغة في الانتباه من الغفلة، وقرئ: ﴿لِيَذَكِّرُوا﴾ بسكون الذال وضم الكاف مخففة على أنه مضارع ذكر من الذكر ضد النسيان. [٤٢] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَتَّبَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ قرئ: ﴿يَقُولُونَ﴾ بالغيبة لمناسبة قوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾. وقرئ: ﴿تَقُولُونَ﴾ بالخطاب مراعاة لحكاية ما يقوله الرسول لهم، والغيبة والخطاب في مثل هذا المقام جائزان؛ لأن كل أحد أمر بتبليغ كلام غيره، فالمبلغ له غائب في حالة الأمر وحاضر في حالة التبليغ، فإذا روعيت حالة الأمر ألقى إليه الكلام على صيغة الأمر تقول: قل لفلان كذا؛ ومثله قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ = أوقاتها، وأمر الرسول ﷺ بقيام الليل، ووعده بالمقام المحمود، وتخصيصه بثدخل صدق، ومُخْرَج صدق، ونزول القرآن بالشفاء، والرّحمة، والشكايّة من إعراض العبيد، وبيان أن كل أحد يصدر منه ما يليق به، والإشارة إلى جواب مسألة الروح، وعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن، واقتراحات المشركين على رسول الله =

٥٠ - ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: أو خلقًا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من بعيدًا قل الذي فطركم أول مرة فسيقولون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبًا ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ وتظنون إن لننتم إلا قليلًا ﴿وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا أَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إن الشيطان ينزع بينهم إن الشيطان كاذب للإنس عدوًا مبينًا ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخِفُونَ عَذَابَهُ إِنْ عَذَابُ رَبِّكَ كَانَ مُحْذَرًا﴾ ﴿وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَنبِئَانَا مُؤَدَّاتِ النَّاقَةِ مَبْصُرَةً فُطِّلُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦٠
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَارًا
كَرَّمْتُ عَلَى لَيْلٍ أُخْرَتْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ٦٣ وَأَسْفَرْنَا مِنْ أَشْجَرَتِ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجَلَكَ وَسَارَكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيَنْبِغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦

٥٩- ﴿أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾: التي سألكها قومك ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: إذ سألوها وأنتهم
فعوجلوا بالعقاب. ولو أن الله تعالى استجاب لقريش ما طلبوه من الآيات حتى يؤمنوا، ثم إذا
جاءتهم لم يؤمنوا؛ لعوجلوا بالعذاب كما عوجل الأولون. ﴿مُبْصِرَةً﴾: عنى بها: آية مبصرة: بينة
كما يقال للشجعة: موصحة ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: لعلمهم يعتبرون. ٦٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: إنهم في
قبضته، وإنه مانعه منهم، فأمره ألا يتهيب منهم أحداً، وأن يمضي لما أمر به ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
أَرَيْنَاكَ﴾: ليلة أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وهي رؤيا عين، وليست رؤيا منام ﴿إِلَّا فِتْنَةً
لِّلنَّاسِ﴾: وكذب بها المشركون، وارتد قوم عن الإسلام وقالوا: أمسيت فينا، وأصبحت فينا،
وثخبرنا أنك أتيت بيت المقدس! ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾: قيل: هي شجرة الزقوم، والمراد
بلعنها: لعن أكلها. وقال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر ﴿إِلَّا
طُغْيَانًا﴾: غمادياً وبغياً. ٦٢- ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾: لأستولين عليهم، ولأستميلهم، بالإغواء
والإضلال. ٦٣- ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾: وافراً. ٦٤- ﴿وَأَسْفَرْنَا مِنْ أَشْجَرَتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله تعالى ﴿وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجَلَكَ﴾: يقول:
واجمع عليهم من ركبنا جنديك ومشاتهم من تجلب عليه بالدعاء إلى طاعتك، يقال: أجلب فلان
على فلان إجلاباً: إذا صاح عليه ﴿وَسَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾: هو كل ما أنفق في غير طاعة الله، وما
كانوا يذبحونه لأهنتهم ويحرمونه لها ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾: قيل: عنى به أولاد الزنا، ومن كانوا يقتلون من
أولادهم، ومن كانوا يسمونه عبد شمس وعبد الحارث. ٦٥- ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: الذين أطاعوني
واتبعوا أمري ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: حجة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: حفيظاً. ٦٦- ﴿رَبُّكُمْ
الَّذِي يُرْسِلُ﴾: يجري، والإجزاء: السوق والإجراء والتسير. ٥٩ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ الآية.

أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً
وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقبل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت تؤتهم الذي سألوه، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: بل أستأني بهم،
فأنزل الله ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآية، وأخرج الطبراني، وابن مردويه، عن الزبير نحوه أبسط منه. ٦٠ قوله تعالى: ﴿وَمَا
جَعَلْنَا﴾ الآية، أخرج أبو يعلى عن أم هانئ أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفرًا من قريش يستهزؤون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم
قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية، أخرج ابن
أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال: ذكر الله الزقوم خوفاً به هذا الحي من قريش، قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد
قالوا: لا قال: الثريد بالزبد، أما لئن أمكننا منها لنزقمها زقماً، فأنزل الله ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ وأنزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ
الزُّقْمِ ١٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾. ٦٢ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ [الإسراء: ٦٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَرَأَيْتَ﴾. ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بالأسراء وفي غيرها ﴿أَرَأَيْتَ﴾،
لأن تراؤف الخطاب يدل على أن المخاطب به أمر عظيم، وخطب فطيع، وهكذا هو في السورة؛ لأنه لعنه الله ضمن احتياك ذرية آدم عن آخرهم إلا قليلاً. ٦٥ ﴿إِنَّ
عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]. الآيتان
تبينان أن عباد الله المؤمنين المخلصين الذين أطاعوه ليس لك قدرة على إغوائهم أيها الشيطان، وآية الحجر توضح أن سلطان إبليس على من اتبعه من الضالين،
وأما آية الإسراء فتبين أنه كفى بربك أيها النبي عاصماً وحافظاً للمؤمنين من كيد الشيطان وغروره. ثباتها ومنهجها. ومثلها قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحِدْ لِسِتْنَا
تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]. = بالخطاب والغيبة، ووجهه ما سبق. ٤٤ ﴿سُجِّدَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ قوله تعالى: ﴿سُجِّدَ﴾ قرئ: (يسبح - تسبح) بالتذكير والتأنيث
نظراً لأن الفاعل مؤنث مجازي، فالتذكير جائز والتأنيث للفظ. ٥٥ ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَأَنبِئْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿زَبُورًا﴾ هنا، والنساء: ١٦٣،
الأنبياء: ١٠٥، قرئ: ﴿زَبُورًا﴾ بضم الزاي جمع زبر، نحو: فلس وفلوس، ودرهم ودهور، وجاز جمعه لأنه مصدر وقع موقع الاسم، وقيل: إنه بالضم: جمع زبور بالفتح على
تقدير حذف الواو كما هو في ظريف وظروف، كأنه جمع (ظرف)، والتقدير: وأتينا داود كتباً وصحفاً. وقرئ: ﴿زَبُورًا﴾ بفتحها على الأفراد كالحلوب، اسم مفعول،
والمعروف أن داود صلى الله عليه وسلم أوتي كتاباً اسمه الزبور، كالتوراة، والإنجيل، والقرآن؛ فهو كتاب واحد، فالفتح أولى لأنه اسم لكتاب واحد، وهو الاختيار لصحة
معناه، وقيل: هما لغتان. ٦١ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ في جميع مواضعها. قرئ: (للملائكة) بكسر التاء على
الجر، وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر (للملائكة) بضم تاء الملائكة وصلاً، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم
إتباعاً لضم الجيم، إجراء للوصل مجرى الوقف (اسجدوا) واستقلالاً للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة بهمة الوصل، فالهزمة تسقط في
الدرج، وتسقط التاء كذلك من الملائكة، فقد قالوا: ملائكة كما قالوا: ملائكة. وقرئ: (للملائكة) بإشمام الكسرة بالضم مزجاً بين الحركتين. تبييناً على أن الهزمة
المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. ٦٤ ﴿وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجَلَكَ وَسَارَكُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَجَلَكَ﴾ قرئ:
(ورجلك) بكسر الجيم على أنها صفة مشبهة بمعنى راجل ضد الراكب. وقرئ: (ورجلك) بإسكان الجيم على أنه اسم جمع لراجل، كصاحب وصحب وراكب وركب.

٦٤ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ
«الملائكة» عدد (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشیطان» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ
الشیطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشیطان» عدد ٢٠ مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة
«الملائكة» عدد (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة =
= ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الدِّينِ كِبَرًا﴾ =

٧٦- ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم، ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: التي أنت بها. قيل: همت قريش بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، ولو أخرجوه لعدبوا وما نظروا، أي ما أمهلوا. ولكن الله عز وجل كفهم حتى أمره بالخروج ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: لا يبقون بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً. ٧٧- ﴿سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾: أي سنة الأمم والرسل قبلك كذلك، إذا أخرجوا رسلكم وكذبوهم عوقبوا ولم ينظروا. ٧٨- ﴿أَفَمِ الصَّلَاةِ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾: من وقت دلوها. دلوها: زوالها عن بطن السماء وهي صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل ﴿إِلَى عَسَىٰ﴾: بدء الليل وإظلامه و﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: أي: صلاة الصبح. وفي هذا دلالة على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة. وهو ما يقرأ في صلاة الفجر ﴿كَاتِبٌ مَّشْهُودًا﴾: تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار، فيصعد هؤلاء، ويقوم هؤلاء. ٧٩- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: «التهجد»: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: خاصة لرسول الله ﷺ: أمر بقيام الليل وكتب عليه. ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾: «عسى»، «والعل» من الله واجبة. ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: تحمده وتغبط به. قال أكثر أهل التأويل: هو المقام الذي يقوم به يوم القيامة للشفاعة للناس، ليرجهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. وقيل: هو الشفاعة يشفعه الله عز وجل في أمته. ٨٠- ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾: قيل: نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة، يريد: إدخال المدينة، والإخراج من مكة. وقيل: المعنى: امتني إمامة صدق، وابعني يوم القيامة مبعث صدق ﴿سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾: ينصرني. أمره الله تعالى بالرغبة إليه في أن يؤتیه سلطاناً ناصراً على من بغاه، وكاده، وحاول منعه من إقامة فرائض الله تعالى. ٨١- ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: هلك وذهب ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾: ذاهباً. ٨٢- ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: لأنهم لا يتفعلون به، ولا يحفظونه. ٨٣- ﴿أَعْرَضَ﴾: عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغنياً دون كل أحد في حال الشدة و﴿وَنَاجِيًا﴾: تباعد منها ﴿كَانَ يَتُوسَا﴾: قنوطاً. ٨٤- ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾: على ناحيته وطريقته. ٨٥- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: يعني: جميع الخلق «إلا قليلاً»: لا يؤهلكم لمعرفة حقيقة الروح. ٨٦، ٨٨- ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَّنْذَهَبَ بِالَّذِي أُوحِيَآ إِلَيْكَ﴾: يقول عز وجل: لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك، وتفضلاً عليك، يعني: لكنه لا يشاء ذلك تعالى، رحمة منه، فترك القرآن غير مذهب به. وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً، بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه. ﴿ظَهِيرًا﴾: معيناً. [٧٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا إن كنت نبياً فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا، فعزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك، وفيها تبعث، وقال له جبريل: سل ربك فإن لكل نبي مسألة، فقال ما تأمرني أن أسأل: قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِّي مِّن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [٨٠]. فهؤلاء نزلن في رجعتهم من تبوك. هذا مرسل ضعيف الإسناد، وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم. [٨٥] قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [٨٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِالْحَقِّ لَوِ اتَّخَذْتُمُ الْحَدِيثَ لَكُنَّ بِآيَاتِنَا لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [٨٨] الآية. أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ ابن مشكم - في عامة من يهود سماهم - فقالوا: كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تتناسق التوراة فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية.

[٨٣] ﴿وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَنَاجِيًا﴾: وإذا أنعمنا على الإنسان أغرضه ونجّاه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطاً؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرّائه وضرّائه، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية فصلت: وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترفع عن الانقياد إلى الحق، فإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء. [٨٨] ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِالْحَقِّ لَوِ اتَّخَذْتُمُ الْحَدِيثَ لَكُنَّ بِآيَاتِنَا لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [٨٨] الآية. أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ ابن مشكم - في عامة من يهود سماهم - فقالوا: كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تتناسق التوراة فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِالْحَقِّ لَوِ اتَّخَذْتُمُ الْحَدِيثَ لَكُنَّ بِآيَاتِنَا لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية.

[٨٣] ﴿وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَنَاجِيًا﴾: وإذا أنعمنا على الإنسان أغرضه ونجّاه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطاً؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرّائه وضرّائه، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية فصلت: وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترفع عن الانقياد إلى الحق، فإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء. [٨٨] ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِالْحَقِّ لَوِ اتَّخَذْتُمُ الْحَدِيثَ لَكُنَّ بِآيَاتِنَا لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [٨٨] الآية. أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ ابن مشكم - في عامة من يهود سماهم - فقالوا: كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تتناسق التوراة فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِالْحَقِّ لَوِ اتَّخَذْتُمُ الْحَدِيثَ لَكُنَّ بِآيَاتِنَا لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١٠٥- ﴿وَالْحَقِّ﴾: بالعدل والإنصاف، والأمور الحميدة ﴿أَنْزَلَتْهُ﴾: يعني القرآن ﴿وَالْحَقِّ نَزَلَ﴾: من عند الله على نبيه ﷺ. ١٠٦- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾: بيناه وأحكامناه وجعلناه فرقاناً ﴿عَلَى مُكْتَفٍ﴾: أي على تطاول في المدة، وقيل: على ثودة وترسل. ١٠٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: بالله وبآياته ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل نزوله، من مؤمني أهل الكتاب ﴿إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾: تعظيماً له ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: للوجوه، و﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: جمع ذقن وهو: مجتمع للحيين سُجَّدًا لله عز وجل. ١٠٩- ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾: خضوعاً لله واستكانة. ١١٠- ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾: سمع المشركون النبي ﷺ يدعو تارة بـ"يا الله"، وتارة بـ"يا رحمن" فظنوا أنه يدعو إلهين ﴿أَيُّمَا مَادَّعُوا﴾: بأي أسمائه تدعوا ربكم، فلما تدعون واحداً لا شريك له ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: روي عن النبي ﷺ - أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً كلهن في القرآن، من أحصاهن دخل الجنة» متفق عليه. ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾: بدعائك، و﴿الصلاة﴾ في هذا الموضع: الدعاء ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾: لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنك ﴿وَابْتَغِ﴾: اطلب ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: الجهر والتخافت ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً لا جهراً شديداً، ولا خافتاً لا يسمع أذنك. وقيل: عني بالجهر: القراءة في الصلاة، ورفع صوته بها، فكان يسمع المشركين فيؤذونه ويسبون القرآن، ومن جاء به، ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾: من أصحابك. فلما هاجر إلى المدينة سقط، وكان يفعل في ذلك ما شاء. ١١١- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾: لم يحالف أحداً، ولا ابتغى نصرة أحد، لذل يلحقه، أو لأن من احتاج إلى نصرة غيره فهو ذليل.

سُورَةُ الْكَهْفِ

١- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾: بمعنى: الحمد لله الذي برسائله خص محمداً وانتخبه لبلاغها، وأنزل عليه كتابه ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾: أي: لا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا ميل عن الحق. ٢- ﴿فَيَمَّا﴾: من نعت الكتاب: مستقيماً منتصباً، لا عوج فيه، بأي نوع من أنواع الاختلال في اللفظ والمعنى، ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾: لينذر عذاباً من الله حاضراً، ونكالاً عاجلاً، والمعنى: لينذر الكافرين. ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بالله ورسوله ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾: ثواباً جزيلاً. ٣- ﴿مَنْ كَفَرَ﴾: لا يثبت ﴿فِيهِ﴾. ٤- ﴿وَيُنْذِرَ﴾: يُحَذِّرُ ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: - تعالى الله عن ذلك - يعني كفار قريش في قولهم: إنما نعبد الملائكة، وهي بنات الله، عز الله عن ذلك. [١١٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾: يا الله يا رحمن فقال في دعائه: «يا الله يا رحمن» فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين، فأنزل الله ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَادَّعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾: أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخفياً بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به، فنزلت. [١١١] قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: «إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: - نستغفر الله تعالى من قولهم - لولا أولياء الله لذل، فأنزل الله ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾. [١٠٩، ١٠٧] ﴿يَخْزُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، ﴿وَيَخْزُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]. ﴿يَخْزُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، كرره لأن الأول واقع في حال السجود، والثاني في حال البكاء، أو الأول واقع في قراءة القرآن أو سماعه، والثاني في غير ذلك. [١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَ نَقِيرُهُ﴾ [الفرقان: ٢]. وقيل أيها الرسول: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظمته تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية الفرقان: فتبين أن الله هو الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء، فسوّاه على ما يناسبه من الخلق وفق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل. [٢] ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢]. الأجر في السورتين الجنة، والكبير والحسن من أوصافها؛ لكن خصت سورة الإسراء بالكبير لفواصل الآي قبلها وبعدها، وهي: "حصيراً" و"أليماً" و"عجولاً" وجُلِّها وقع قبل آخرها مدة، وكذلك في سورة الكهف جاء على ما تقتضيه الآيات قبلها، وبعدها وهي: "عوجاً" وكذا "أبداً" وجُلِّها وقع قبل آخرها متحرك. [١] ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ قوله تعالى: ﴿عِوَجًا﴾ قرئ: (عوجاً) بالسكت على الألف دفْعاً لإيهام أن يكون (قيماً) نعتاً (لعوجاً) فيفسد المعنى، مع أن (قيماً) حال من (الكتاب) فهي من أوصافه أو مفعول لفعل محذوف تقديره جعله (قيماً). وقرئ: (عوجاً) بعدم السكت على الأصل اعتماداً على أن التأمل في المعنى قرينة على دفع هذا الإيهام، وقد تقدم ذلك في الحديث عن السكت، فارجع إليه إن شئت.

١٢-٩ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا...﴾ [الكهف: ٩-١٢]. معجزة تاريخية: أصحاب الكهف: وفقاً للاعتقاد السائد فإن أصحاب الكهف الذين أثنت عليهم المصادر الإسلامية والمسيحية تعرضوا لطغيان الإمبراطور الروماني (دقيانوس)، وفي محاولة من هؤلاء الفتيّة للتصدي لظلم (دقيانوس) وطغيانه، حذروا قومهم مراراً من أن يتركوا دين الله، ولكن أمام إغراض قومهم واشتداد ظلم الإمبراطور وتوعده لهم بالقتل، ترك الفتيّة مساكنهم، ويُعتبر (دقيانوس) إلى جانب (نيرو) هو الإمبراطور الروماني الذي نكّل بالمسيحيين تنكيباً شديداً، وأثناء فترة حكمه القصيرة أجبر (دقيانوس) كل من يخضع لحكمه أن يقدم القرابين للآلهة، بل وأن يأتي بما يُثبت أنه فعل ذلك، ويعرضه على كبار الدولة، ومن لم يستجب منهم كان يأمر بقتله. أين مكان الكهف؟ أما بالنسبة للمكان الذي كان يعيش فيه أصحاب الكهف فإن الآراء تتعدد وتساين، ولكن أكثر الآراء اعتدالاً هو مدينتي (أفسوس)، و(طرسوس) ويمكن القول بأن جميع المصادر نزول سورة الكهف: نزلت بعد سورة الغاشية، وهي مكيّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة الكهف: ألف وخمسمائة وتسع وسبعون. عدد حروف سورة الكهف: ستة آلاف وثلاثمائة وستة. أسماء سورة الكهف: ما لها اسم سوى سورة الكهف، وسميت سورة الكهف؛ لاشتغالها على قصّة أصحاب أهل الكهف بتفصيلها. مواضع =

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ لَا يَأْمُرُهُمْ إِلَّا نَزْلُ الْوَحْيِ الْوَحِيدِ أَسْفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَّبِعُوا مَعَهَا أَجْرًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَمْ يَشَأْ أَمَّا ﴿١٢﴾ فَتَحْنُ نَقْصَ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٥- ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: معنى الكلام: ما هؤلاء القائلين بهذا القول من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: منصوب على التفسير، لأنها في معنى: أكبر بها من كلمة!! مثل نصب قوله: ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. ٦- ﴿فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: حزنًا عليهم. ٧- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَّبِعُوا مَعَهَا أَجْرًا﴾: حزنًا عليهم. ٨- ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا﴾: يعني من هذه الزينة، فمصيروها ﴿صَعِيدًا﴾: «الصعيد»: ظهر الأرض ﴿جُرًّا﴾: لا نبات عليه ولا زرع ولا غرس. وقيل: «جرزاً»: بلقعا، يعني: إن ما على الأرض فان. ٩- ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾: ما خلقت من عجائب السماوات والأرض أعجب من أمرهم، يقول تعالى: ليسوا بأعجب آياتنا. «الكهف» الذي أوى إليه الفتية. «الرقيم»: الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: «الرقيم»: لوح من حجارة كتب فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على بابها. ١٠- ﴿وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: ما نلتبس من رضاك والهرب من الكفر بك، وكانوا فتية هربوا بدينهم، وكان ملكهم دعاهم إلى عبادة الأصنام. ١١- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾: أي ألقينا عليهم النوم ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودة، فيحتمل أن يريد الكثرة، وأن يريد القلة، لأن الكثير قليل عنده سبحانه. ١٢- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: من رقدتهم ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: أي: أي الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مكث الفتية في كهفهم رقوداً ﴿أَحْصَى﴾: أصوب لقدر لبثهم فيه ﴿أَمَّا﴾: غاية. ١٣- ﴿تَحْنُ نَقْصَ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾: خبر هؤلاء الفتية ﴿بِالْحَقِّ﴾: باليقين الذي لا شك فيه ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾: بصيرة حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب بدينهم. ١٤- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: ألهمناهم الصبر، وقويناهم، حتى عرفت أنفسهم عما كانوا فيه من خفض العيش، واختاروا المكث في كهف جبل ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾: غالباً من الكذب، يقال: أشط فلان في السوم، إذا جاوز القدر وارتفع.

١٥- ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾: هلا يأتون على عبادتهم إياها ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: بحجة وعذر بين. [٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها.. ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالوا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: «أخبركم غدا بما سألتهم عنه ولم يستثن» فانصرفوا، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياً، ولا يأتيه جبريل حتى أرحف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف. وقول الله ﷻ ﴿وَسْئَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ﴾: أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأممية بن خلف، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البخترى، في نفر من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة، فأحزنه حزناً شديداً، فأنزل الله ﷻ ﴿فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: الآية. [٦] ﴿فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: أي الفتية، وقد يكون الترجي هنا من قبيل الخبر، وليس إنشاء. وجاء في آية الشعراء بمضارع الكون ﴿الْأَيُّكُنُوزُ﴾ للإشارة إلى أنه ﷺ لا يأسف على عدم إيمانهم، ولو استمر ذلك في المستقبل، فيكون انتفاؤه فيما مضى أولى بأن لا يؤسف له. وجاء في آية الكهف بحرف نفي الماضي وهو ﴿لَمْ﴾؛ لأن سورة الكهف متأخرة النزول عن سورة الشعراء، فعدم إيمانهم قد تقرر حينئذ وبلغ حد المأبوس منه. [٨، ٤٠] ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا﴾ [الكهف: ٨]، ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]. "الصعيد" وجه الأرض، و"الجرز" الذي لا نبات فيه، وهذه هي نهاية الدنيا، فكانه قال: وإننا لجاعلون ما عليها فانيًا وبائداً وأن المرجع إلى الله، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى، فهذه ستكون حال الأرض وإن كانت بطبيعتها قابلة للإنبات، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ [السجدة: ٢٧]، أما في قصة صاحب الجنتين فقال: ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، فوصف الأرض بأنها ذات زلق، أي: هي مزلفة غير قابلة للإنبات، مبالغة في انعدام النفع بها بالمرّة، فأتى في كل موضع بما يليق به، والله أعلم. [٢] ﴿فِيمَا لَيْتَذَرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ قرئ: ﴿لَدُنْهُ﴾ (ياسكان الدال مع إشمام الضم وكسر النون والهاء مع صلتها بياء، ووجهها: التخفيف، وأصلها: "لدن" على وزن فعل، كعضد، فخففت بإسكان الوسط، وأشير إلى الضم بالإشمام تنبيهاً على أنه الأصل؛ وكسرت النون لأنه الأصل في التخلص من التقاء الساكنين كما في أمس، وكسرت الهاء إتباعاً لكسر ما قبلها، ووصلت لوقوعها بين محركين، وكانت الصلة من جنس حركة ما قبلها على الأصل إذ أصل الكلمة مبنية على السكون على الأصل في البناء، وضمت الهاء على الأصل في هاء الضمير. قوله تعالى: ﴿وَيُنَشِّرُ﴾ قرئت: ﴿وَيُنَشِّرُ﴾ بفتح الياء، وبعدها شين مضمومة مخففة على أنه مضارع بشر الثلاثي كنصر ينصر. وقرئت: ﴿وَيُنَشِّرُ﴾ بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة على أنه مضارع بشر المضعف، وهما بمعنى واحد، والتضعيف للتكثير.

= المسيحية على وجه التقريب تعتبر مدينة (أفسوس) هي مكان الكهف الذي التجأ فيه هؤلاء الفتية المؤمنون، ويتفق بعض الباحثين المسلمين ومفسرو القرآن الكريم على أن (أفسوس) هي المكان. حقائق تاريخية ١- استشهاد (جيون) المؤرخ الشهير في كتابه «تدهور وسقوط الدولة الرومانية» بالكثير من دراسة = سورة الكهف: مقصود السورة مجملًا ببيان نزول القرآن على سنن السداد، وتسليية النبي ﷺ في تأخر الكفار عن الإيمان، وبيان عجائب حديث الكهف، وأمر النبي ﷺ بالصبر على الفقراء، وتهديد الكفار بالعذاب، والبالاء، ووعد المؤمنين بحسن الثواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأخوين الإسرائيليين، وتمثيل =

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رُبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءُ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۚ وَلِئِشْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيْشْوَا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۚ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۚ

٢١- ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾: أطلعنا عليهم، يقول عز وجل: كما بعثناهم بعد طول رقدتهم، قد أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى، وليعلم من كذب بهذا الحديث ﴿أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ﴾: يعني: الذين عثروا على الفتية، تنازعوا بينهم تدبير أمرهم حين توفوا، ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾: على أمر أصحاب الكهف. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾: قال الزجاج: هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم، غلب المؤمنون بالبعث والنشور، لأن المساجد للمؤمنين. ٢٢- ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: قذفًا بالظن ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: لا تمار في عدتهم، أي لا تجادل، حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: إلا ما أظهرنا لك من أمرهم ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: من أهل الكتاب، ولا تسألهم عن أمرهم. ٢٣، ٢٤- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءُ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أمر الله عز وجل نبيه عليه السلام ألا يجزم شيئاً فيما ما يحدث به من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله عز وجل، فيقول بعده: إن شاء الله، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: استثنى في يمينك، أي قل إن شاء الله، إذا ذكرت. ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾: يقول: قل لعل الله أن يهديني فيسددني، فيتحقق ما وعدتكم، وأخبرتكم أنه سيكون إن شاء الله. ٢٦- ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيْشْوَا﴾: بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم ذلك غير الله عز وجل، وغير من أعلمه الله بذلك ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: يقول عز وجل: أبصر بالله وأسمع. بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه! ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: يلي أمورهم وتدبيرهم. ٢٧- ﴿لَا مُبْدِلَ﴾: لا مغير ﴿لِكَلِمَتِهِ﴾: أي لكتاب الله الذي أوحى إلى النبي ﷺ، وأمر بتلاوته. وهذا نص إلهي في حفظ القرآن من التغيير والتبديل، وأن من يأتي بعد النبي الكريم سوف يتلوهُ على النحو الذي كان يتلوهُ النبي ﷺ. ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ، و«ملتحد»، مفتعل، من لحدت إلى كذا: إذا ملت إليه.

[٢٥] أخرج ابن مردويه أيضا عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿وَلِئِشْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقيل: يا رسول الله سنين أو شهورا، فأنزل الله ﴿سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. [٢٦] ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]. قال في مريم ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ وعكس في الكهف، لأن معناه في مريم أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعها وتدبرها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه في الكهف أنه تعالى له غيب السماوات والأرض، فأجل بصيرتك بالتفكر في مخلوقاته، وتدبرها بحيث تصل إلى معرفته، وأسمع بصفاته، ووحدته، فناسب تقديم السمع هنا، والبصر ثم. [٢٧] ﴿وَآتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ...﴾ [الكهف: ٢٧]، ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ...﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وائل أيها الرسول ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدل لكلماته لصدورها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، ولا معاداة تعوذ به، فهذا ما دلت عليه آية الكهف، أمّا آية العنكبوت: اتل ما أنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأد الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات... = وثامنهم كلبهم، وأن هذا ليس داخلا تحت ما تقدم من أنه رجم بالغيب، وأن الوصف بتلك الحال إنما يرجع لما قبله من قولهم: ثلاثة رابعهم كلبهم، وخمسة سادسهم كلبهم، وهذا كلام ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه من المفسرين، وحكى سيبويه أن العرب تستعمل الحذف كثيرا في كلامهم، ومنه قولهم فيما حكى سيبويه، رحمه الله، "اللهم ضبعا وذيبا"، إذا كان القائل يدعو بذلك على غنم رجل قال: وإذا سألتهم ما يعنون؟ قالوا: اللهم اجمع فيها ضبعا وذيبا، والعرب يحذفون الجملة الاسمية برأسها إذا دل الدليل عليها كما يفعلون في الجملة الفعلية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي يَنْسَى مِنَ الْمَجِيزِ مَنْ نَسِيَكُمُ إِنَّا رَبُّكُمْ فَعَدْتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَا يَحْصُنُ﴾ [الطلاق: ٤]، أي فعدتهن ثلاثة أشهر، والحذف في كلامهم كثير إذا كان في الكلام ما يدل على المحذوف، فيظهر والله أعلم أن الواو في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ إنما عطف بها على جملة اسمية محذوفة كما قدمنا، ومن المفسرين من جعل هذه الواو داخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة، في نحو جاءني زيد ومعه أخوه، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَهْلُكُنَّ مِنْ قَرْبَى إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافها بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي أذنت بأن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجعوا بالظن كما فعل غيرهم، والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، وأتبع القول الثالث بقوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنه: "حين وقعت الواو انقطعت العدة"، أي: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثابت، وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾، أي: من أهل الكتاب، والضمير في ﴿سَيَقُولُونَ﴾ على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم لهم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظن وتخمين. انتهى ما قاله الزمخشري وحكا، وقد حصل منه أن قليلا من أهل الكتاب قد كان يعلم عددهم وهذا لا ينافره المأخذ المتقدم. وحكى المفسرون أن ابن عباس رضي الله عنه كان يقول في قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أنا من ذلك القليل، وهذا القدر كاف، والله أعلم. [٢٥] ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مِائَةٍ﴾ قرئ: (مائة) بتونين مائة على أن ما بعده عطف بيان لثلاث المميز بمائة. وقرئ: (مائة) بعدم التنوين على الإضافة إلى ما بعده على القياس في تمييز المائة والألف في مجيئه مجرورا بالإضافة، وإنما وقع جمعا، والقياس أن يكون مفردا رعاية للأصل إذ الأصل أن يكون التمييز مطابقا للمميز، لكنهم التزموا في تمييز ما فوق العشرة أن يكون مفردا ميلا إلى الاختصار، فمجيء التمييز مفردا مخالف للأصل موافق للقياس، ومجيئه جمعا موافق للأصل، ولا يرد على القراءتين أن تمييز الثلاث إلى العشرة يجب أن يكون جمعا، وهنا وقع مفردا، وكان القياس = [١٩] ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتهما، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومترادفاتهما) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكل قد ورد (٤٥) مرة.

= وعجائب أحوالهم، وقصة ذي القرنين، وإتيانه إلى المشرقين والمغربين، وبنائه لسد يأجوج ومأجوج، وما يتفق لهم آخر الزمان من الخروج، وذكر رحمة أهل القيامة، وضياع عمل الكفر، وثمرات مساعي المؤمنين الأبرار، وبيان أن كلمات القرآن بحور علم: لا نهاية لها، ولا غاية لأمدّها، والأمر بالإخلاص في العمل =

٢٨- ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُورِ وَالْعَشِيِّ﴾: يذكرونه بالتسبيح والتحميد والدعاء والأعمال الصالحة ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تجاوزهم إلى غيرهم، ولا تحقرهم ﴿زَيْدٌ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مجالسة العظماء والأشراف. وروي أن المؤلفة قلوبهم: عيينة والأقرع بن حابس وأمثالهما قالوا: يا نبي الله لو جلست في صدر المجلس، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم- يعنون: سلمان وأبازر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، ولم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ فقام نبي الله ﷺ يلتسمهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تبارك وتعالى، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات. أخرجه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية. ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: منعنا قلبه. وقيل: جعلناه غافلاً بالخطم عليه. ﴿وَأَتَّبَعْهُ هَوْنَهُ﴾: وهم فيما قيل: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾: ضياعاً. ٢٩- ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾: هذا كله وعيد، وتهديد، وليس تفويضاً وقيل: إنه تخيير. ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، ﴿كَأَلْهَمَلٍ﴾: كعكر الزيت. وقيل: كالقيح والدم ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: مثكاً، من المرفق. أي وساءت جهنم مجلساً. ٣١- ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: من دونهم ومن بين أيديهم ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾: جمع واحدتها سندسة، وهي ما رق من الديباج ﴿وَأِسْتَبْرَقٍ﴾: «والإستبرق»: ما غلظ منه وثخن، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السرر في الحجال ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: مثكاً، وخص الاتكاء لأنه هيئة المتعمين والملوك على أسرتهم. ٣٣- ﴿وَلَمْ تَطْلُم مِّنْهُ شَيْئًا﴾: آتت ذلك كاملاً تاماً، من ظلم فلان فلاناً حقه: إذا بخسه ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: سيلنا ﴿خِلَالَهُمَا﴾: بينهما. ٣٤- ﴿وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ﴾: قيل: من كل المال، من ثمر ماله؛ إذا كثر، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يخاطبه ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: كما قال عيينة والأقرع لرسول الله ﷺ: نحن سادات العرب وأرباب الأموال، فتح عنا سلمان وخباباً وصهيباً، احتقاراً لهم وتكبراً.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُورِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٢٩﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنْفَخُونَ فِيهَا مِنَ الْأَشْجارِ خُضْرًا يُدْرِكُونَ فِيهَا مِنْ خُضْرٍ يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٣﴾ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٤﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَانَتَا أَكُلَهُمَا وَلَمْ نَطْلُم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٥﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٦﴾

(٢٩٧)

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله، من طرد الفقراء عنه، وتقريب صنائيد أهل مكة، فنزلت. [٢٦] ﴿أَبْصُرْ بِهِ، وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿رَبَّنَا أَبْصُرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]. لماذا قدم البصر على السمع في الآيتين؟ **الجواب:** الكلام في سورة الكهف عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لثلاث يراهم أحد ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد، لكن الله تعالى يراهم في قلوبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم، فمسألة البصر هنا أهم من السمع، فاقضى تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في آية سورة السجدة الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعه كان يدخل في مجال الشك والظن ولو يبقوا آمنوا، أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه؛ لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر "عين اليقين"، والآخرة ميدان الرؤية، وليس ميدان السمع، وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعون فيه تغير الحال، ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع. [٣٢] ﴿وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]. من اللطائف أن هذه القصة جاءت بعد أمر الله تعالى لنبيه أن يصبر نفسه مع ضعفاء المؤمنين، خلافاً لكبراء قريش، الذين تكبروا عن الجلوس معهم، فكان عاقبتهم الخسار كما كان عاقبة صاحب الجنتين. = ثلاث مئين أو ثلاث مئات؛ لأننا نقول: إن المائة وإن كان واحداً في اللفظ فهو جمع في المعنى كالرھط والنفر، وتقدم في الهمز المفرد تحقيق همزة وإبدالها. [٢٦] ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿يُشْرِكْ﴾ قرئ: (يشرك) بالياء مرفوعاً على أن "لا" نافية والمضارع مسند إلى ضمير يعود على الله في قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾، والعطف على الجملة وهي: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُؤَا﴾ فهي من جملة ما أمر أن يقول صلى الله عليه وسلم. وقرئ: (تشرك) بالخطاب مجزوماً على أن "لا" ناهية، والمخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد أمته، والجملة معطوفة على الأمر قبلها وهو: قل. [٢٨] ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُورِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿بِالْغَدُورِ﴾ هنا والأنعام: ٥٢، قرئ: (بالغدوة) بضم الغين وإسكان الدال وواو مفتوحة، والأشهر أنها معربة بالعلمية الجنسية كأسامة في الأشخاص فهي غير مصروفة، وقيل: إن (غدوة) علم وضع للتعريف فلا تدخل عليها (ال) كسائر الأعلام. وجوابه: أن تنكير (غدوة) لغة ثابتة حكاها سيبويه والخليل، وتقول: أتيتك غدوةً بالتثنية، على أن صاحب هذه القراءة لا يعرف اللحن لأنه عربي خالص النسب. وقرئ: (بالغداة) بفتح الغين والدال وبالألف لأن غداة اسم لذلك الوقت، ثم دخلت عليها لام التعريف. [٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَانَتَا أَكُلَهُمَا وَلَمْ نَطْلُم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿أَكُلَهُمَا﴾ هنا وحيث وقعت في القرآن الكريم، و(أكله - أكل - الأكل)، قرئ: (أكلها - أكله - أكل - الأكل) بالضم في الكاف، وقرئ: (أكلها - أكله - أكل - الأكل) بالإسكان، والضم والإسكان لغتان. [٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُشْرِكْ﴾ قرئ: (نمر) بفتح الشاء والميم على أنه اسم جمع لثمرة. وقرئ: (نمر) بضمه على أنه جمع ثمرة كخشبة وخشب، أو جمع ثمار ككتاب وكتب، أو جمع نمر كأسد وأسد. وقرئ: (نمر) بضم الشاء = [٢٥] ﴿وَلِيَتُؤَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]. السنة الشمسية والقمرية: كانت مدة رقاد أصحاب الكهف في كهفهم (٣٠٠) سنة شمسية وتعادل (٣٠٩) سنين قمرية حيث إن الفرق بينهما (١١) يوماً للسنة الواحدة، ولمدة (٣٠٠) سنة شمسية يتراكم الفرق ليكون (٩) سنوات فتصبح (٣٠٩) سنوات قمرية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيَتُؤَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]. وفي هذه إشارة إلى التقويمين الشمسي والقمرى "الميلادي والهجري" كما ذكره معظم المفسرين قديماً وحديثاً. وهذه الحقيقة الكونية قد سبق إليها القرآن الكريم في سرده لقصة أصحاب الكهف. = الصالح أبداً، في قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. فضل سورة الكهف: قال رسول الله ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول الكهف عصم من الدجال"، وفي لفظ: "من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم يضره فتنة الدجال". رواه مسلم. وقال ﷺ: "من قرأ سورة الكهف =

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَيْكَأَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ اللَّهُ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾

٣٥، ٣٦- ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾: أن تفتي وتخرّب هذه أبدًا، ثم تفتي على شك منه فقال: ﴿وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾: أقسم أنه إن رُدّ إلى ربه - على سبيل الفرض، وكما يزعم صاحبه - ليجد في الآخرة خيرًا من جنته في الدنيا، ظنًا منه أنه لم يُعط هذه الجنة في الدنيا إلا وله عند الله أفضل منها! يدعي بذلك الكرامة والاستحقاق «منقلبًا»: مرجعًا وعاقبة. ٣٧- ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾: عدّلك بشراً سوياً. ٣٨- ﴿لَيْكَأَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: بمعنى: لكن أنا أقول ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾. ٣٩- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾: بمعنى: هلاً إذ دخلت بستانك فأعجبك ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ما شاء الله كان. ٤٠- ﴿حُسْبَانًا﴾: عذاباً من السماء تُرمى به رميًا، و«الحسبان»: جمع حسبانة؛ وهي المرامي ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا﴾: يعني: جنته ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً ملساء لا شيء فيها، لا يثبت في أرضها قدم، لا ملاسها ودُروس ما كان نابتاً فيها. ٤١- ﴿مَاوًا غَوْرًا﴾: قد غار في الأرض. ٤٢- ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾: أحاط الهلاك والجوائح بشمره. ﴿يَقْلِبُ كَفَيْهِ﴾: يصفق كفيه متلفهاً، على ما فاته، ندماً وتحسراً ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: خالية ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: بناثها ويوتها. ٤٣- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾: عشيرة وجماعة ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يمنعونه من عقاب الله عز وجل إذا عذبه. ٤٤- ﴿هُنَالِكَ﴾: حين حلّ عذاب الله عز وجل بصاحب الجنتين في القيامة ﴿الْوَلِيَّةُ﴾: بفتح الواو: من النصرة والتولي، وبكسر الواو، من الملك والسلطان ﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾: عاقبة. ٤٥- ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يعني: اضرب هذا المثل، للذين قالوا: اطرّد عنا هؤلاء، وقيل: هو عام للناس. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: مفتتاً ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾: تطيره. [٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا﴾ [الكهف: ٣٦]، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ﴾ [فصلت: ٥٠]. بعد تنويع الخطاب: فإن في لفظ "الرد" من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ "الرجوع"، فلما كان آية صاحب الكهف وصف جنته بغاية المراد بالجنان كانت مفارقتها لها أشد على النفس من مفارقة صاحب "فصلت" لما كان فيه؛ لأنه لم يبالغ في وصف ما كان فيه، كما بالغ صاحب آية الكهف؛ فناسب ذلك لفظ "الرد" هنا ولفظ "الرجوع" ثمة.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥]. ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥]. ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا تَتَفَاخَرُونَ بِهِ فِيهَا مِنْ زِينَةٍ وَأَمْوَالٍ، كَمَثَلِ مَطَرٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَنَبَتَ بِهِ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّبَاتِ مَخْتَلَطٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مِمَّا يَأْكُلُهُ الْبَهِيمَةُ مِنَ النَّبَاتِ، وَحَتَّى إِذَا ظَهَرَ حُسْنُ هَذِهِ الْأَرْضِ وَبَهَاؤُهَا، وَظَنَّ أَهْلُ هَذِهِ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى حَصَادِهَا وَالْإِنْتِفَاعِ بِهَا، جَاءَهَا أَمْرُنَا وَقَضَاؤُنَا بِهَلَاكِهَا مَا عَلَيْهَا مِنَ النَّبَاتِ...، فَهَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ يُونُسَ، أَمَّا آيَةُ الْكَهْفِ: واضرب أيها الرسول للناس - وبخاصة ذوو الكبر منهم - صفة الدنيا التي اغترّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كماء أنزله الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُخْضَرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح إلى كل جهة...

[٣٧] ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿وَأَرْزُقْنَاهُ الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤]. ما الفرق بين "ثُمَّ" و"ثُمَّ" في القرآن الكريم؟ **الجواب:** "ثُمَّ" بضم الثاء هي حرف عطف تفيد الترتيب والتراخي كما في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾، أما "ثُمَّ" بفتح الثاء فهي اسم ظرف بمعنى هناك، كما في قوله تعالى في آية الشعراء: ﴿وَأَرْزُقْنَاهُ الْآخِرِينَ﴾.

[٤٠] ﴿لِيَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [يونس: ٥]، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ [الكهف: ٤٠]. ما الفرق بين: "حَسَاب، حُسْبَان"؟ **الجواب:** وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعًا وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسْبَان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. ووردت كلمة (حَسَاب) بثلاثة معان، هي: ١- الفصل والجزاء في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يشغله حساب بشر عن حساب آخر. ٢- الإحصاء والعد، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [يونس: ٥]. ٣- نفي المحاسبة، حيث لا عد ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي يجزي عليه الرزق متدفقًا وكأنه لا يُعد ولا يُحصى. أما كلمة (حُسْبَان) فلها معنى واحد = وإسكان الميم على أنه جمع على فعل سكنت عينه للتخفيف، وقال بعضهم: الثمر بالإسكان: المال، وبالفتح: المأكول، وبالضم: النخل والشجر بما فيها. [٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾ قرئ: (منها) بإفراد الضمير على أنه عائد إلى جنته في ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾. وقرئ: (منها) بتثنية الضمير لعوده على الجنتين، وأما في قوله: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾ وقوله: ﴿لَنَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ فالمراد (جنتيه)، ولكنه قصد الجنس بالإضافة، فيصدق بالواحد والمتعدد. [٣٨] ﴿لَيْكَأَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْكَأَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرئ: (لكننا) بإثبات الألف وفقًا للدلالة على أن (لكن) للاستدراك وليست هي الناصبة، وأصلها: "لكن أنا هو الله ربي" فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وأدغمت النون في مثلها للتخفيف. وقرئ: (لكن) بحذف تلك الألف وصلًا على الأصل؛ لأن الأصل حذف ألف (أنا) وصلًا تخفيفًا وإثباتًا وقفًا. [٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾ قرئ: (يكن) بالياء على أنها مذكر في الحقيقة، أو للفصل بين الفعل والفاعل بالظرف. وقرئ: (تكن) بالتاء على أنه مؤنث مجازي رعاية للفظه.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبَابًا﴾ **إعجاز عددي:** ١- ذكر لفظ (الحرث) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع) ومشتقاته مع عدد ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته مع عدد ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله. = يوم الجمعة، أضواء له من النور ما بين الجمعيتين "حسنه الألباني". وقال: "من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورًا يوم القيامة" صححه الألباني.

٤٦- ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾: اختلف فيها، فقيل: الصلوات الخمس. وقيل: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». وقيل: العمل بطاعة الله تعالى، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة. ٤٧- ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾: يعني: على الأرض فنجعلها «هَبَاءً مُنْبَثًا» [سورة الواقعة ٦] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة لرأي العين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: جمعنا الخلائق إلى موقف الحساب، ومعنى الحشر: الجمع ﴿فَلَمْ نَقَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لم نترك منهم أحداً بدون حشر. ٤٨- ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ تَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾: وذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذباً بالبعث! ٤٩- ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ﴾: كتاب أعمال عباده في أيديهم ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: يعني: المشركين بالله ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين وجلين، ﴿مِمَّا فِيهِ﴾: مما أحصاه عليهم كتابهم من الكفر والأعمال السيئة، أن يؤخذوا بها ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: حفظها. ﴿حَاضِرًا﴾: مكتوباً مثبتاً. ٥٠- ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: قيل لهم «جن» لأنهم استجنوا، أي استخفوا واستتروا عن عيون بني آدم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: خرج عن أمر ربه، وعصى في السجود له. ٥١- ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾: ما أحضرتهم، أي الشركاء الذين يدعون من دون الله، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فاستعين بهم على خلقها. ﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: ولا أشهدتهم بعضهم خلق بعض ﴿عَصَدًا﴾: أعواناً. ٥٢- ﴿مَوْبِقًا﴾: عداوة. وقيل: مهلكاً. وقيل: حاجزاً، أي جعلنا بين هؤلاء المشركين وبين من جعلوهم شركاء لله موبقاً، وقيل: هو اسم واد في جهنم فصل بين أهل الجنة وأهل النار. ٥٣- ﴿فَقُضُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا﴾: علموا أنهم داخلوها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: معدلاً يعدلون إليه، أو انصرافاً، لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب.

[٤٦] ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]. لو تدبرنا الآية السابقة في سورة الكهف لوجدنا أن المال والبنين مما يحرك في النفوس بواعث الأمل في الحياة، كما قال تعالى في صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، فجاءت ﴿أَمَلًا﴾ لمناسبة معنى الآية، والإقرار أن الباقيات الصالحات هي ما يؤمل به عند الله تعالى وليس المال والبنون، أمّا ﴿مَرَدًّا﴾، فلأن السياق القرآني قبل هذه الآية يتحدث عن القيامة ومشاهدها... قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ خِثْيًا﴾ [مريم: ٦٨]، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]، ثم قال: ﴿وَلَنَمَكِّنَنَّ الْأَوَّادِينَ كَانُوا عَلَى رَبِّكَ خَتَمًا مَقْصِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، ثم قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا﴾ [مريم: ٧٢]، إذا فالآيات تتكلم عن مرد الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، فجاء في الآية بلفظ ﴿مَرَدًّا﴾ لمناسبة سياق الآيات. [٤٨] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادًى كَمَا خَلَقْتُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ﴾ [الكهف: ٤٨]. سياق آية الأنعام فيه إشارة إلى ما عبد من دون الله تعالى، فجاء بلفظ: ﴿فَرَادًى﴾ لتحقيق أن تلك الآلهة وتلك المعبودات لا تتفعهم، وأنهم يلاقون مصيرهم يوم القيامة منفردين كما خلقوا، أمّا آية الكهف فخلا سياقها من تلك الإشارة التي في الأنعام، فجاء سياق الآية بحذف ﴿فَرَادًى﴾.

= وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئاً مدمراً محسوباً حساباً دقيقاً مضبوطاً. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب). [٤٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَرَبِّ فِيهِ إِنَّكَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْقَارًا لِبَرِّهِمْ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ تَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ما الفرق بين: "موعد، ميعاد، موعدة"؟ **الجواب:** (الموعد) ورد اسماً للزمان واسماً للمكان. ومن أمثلة اسم الزمان ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ تَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ومن أمثلة اسم المكان ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]. (الميعاد) لم ترد = [٤٤] ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْخَلْقُ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ قوله تعالى: ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ قرئ: (الولاية - الولاية) بفتح الواو وكسرها، وتقدم في "الأنفال: ٧٢" أنها "بالفتح" النصر، وبالكسر من الإمارة أو ولاية السلطان. قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْخَلْقُ﴾ قرئ: (الحق) برفع الحق على القطع فهو خبر لمبتدأ محذوف، أو على أنه نعت للولاية، أي: الولاية ذات الحق ثابتة لله، وعلى الأول: الولاية ثابتة لله هو الحق. وقرئ: (الحق) بجره على أنه نعت لله على حد قوله ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾. قوله تعالى: ﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ قرئ: (عقبا - عقبا) بإسكان القاف وضمها وهما لغتان بمعنى العاقبة، فالضم هو الأصل، والإسكان للتخفيف كالعقن والعنق.

[٤٧] ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَقَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾ قرئ: (نُسِرُّ الجبال) بضم التاء وياء مفتوحة مشددة، و(الجبال) بالرفع على أنه مضارع مبني للمجهول و(الجبال) نائب فاعل. وقرئ: (نُسِرُّ الجبال) بضم النون وكسر الياء مشددة و(الجبال) بالنصب على أنه مضارع مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة و(الجبال) مفعول، وهو مناسب لقوله قبل: و(حشرناهم) و(إذ قلنا)، فهو من إخبار الله جل ذكره عن نفسه إذ هو فاعل كل الأفاعيل ومدبرها ومسيرها، فطابق أول الكلام على آخره. [٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿أَشْهَدْتُهُمْ﴾ قرئ: (أشهدناهم) بنون وألف على الجمع للعظمة. وقرئ: (أشهدتهم) بياء مضمومة من غير ألف ضمير المتكلم، فهو إخبار من الله عز وجل عن نفسه أنه لم يحضر أحداً من الظالمين معه عند خلق أي شيء من خلقه. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ﴾ قرئ: (كنت - كنت) بضم التاء على أنه ضمير المتكلم، وبفتحها على الخطاب، والمخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود نفى اتخاذهم المضلين أعواناً على نجاح دعوته، والمراد بالمضلين: هم الظالمون في قوله: ﴿يَسِّرُ لِلْظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ والمعنى على هذا متصل بقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعُشِيِّ﴾، وما بينهما اعتراض كأنه يقول: ما أشهدناهم خلق السماوات والأرض ولا خلق بعضهم لبعض حتى يقترحوا علينا ما يقترحون من إبعاد بعض الخلق، وما كنت متخذهم أعواناً لك على = [٤٦] ﴿الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة. **إعجاز عددي:** تكرر كل من الدنيا =

وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَيَتَّخِذُوا أَتَيْنِي وَمَا أَنْزَرُوا هُزُؤًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ يُثَابِتَ رَبَّهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذْ أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا عَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتِلْغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَيْلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤ - ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾: خوفنا ورجينا، وبالغنا في البيان ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: ينفع الناس في الهداية والإيمان. ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: خصومة ومراء، لا يُتَّيَّبَ لحق، ولا يَنْزَجِر لموعظة. ٥٥ - ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾: وهي الإهلاك، في أمثالهم من الأمم المكذبة ﴿قُبُلًا﴾: فجأة ومعينة. ٥٦ - ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ﴾: ليبتلوا الحق الذي جاءهم به رسولي. ٥٧ - ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من الذنوب ﴿أَكِنَّةً﴾: أغطية، جمع: كنان. ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: لئلا يفقهوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً أن يسمعه. ٥٨ - ﴿مَوْيلًا﴾: ملجأ يؤولون إليه. و«الموعِد» هو يوم القيامة، وقيل: يوم بدر. ٥٩ - ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: يعني: أهلك قومها، والمراد بها قرى الأولين من عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم. ٦٠ - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ﴾: هو يوشع بن نون. وقيل ليوشع: فتى موسى لما لامته إياه ﴿لَا أُبْرَحُ﴾: لا أزال أسير ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحر الروم وبحر القلزم، أي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. ومكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح. وقيل: مجمع البحرين: ملتقى خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: أو أسير زماناً ودهراً، وقال عبد الله بن عمرو: «الحُقْب»: ثمانون سنة. ٦١ - ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نسي يوشع، وأضيف النسيان إليهما كما قال: «يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ» وإنما يخرج من البحر الملح دون العذب. ﴿فَاتَّخَذَ سَيْلُهُ فِي الْبَحْرِ﴾: يعني: الحوت ﴿سَرَبًا﴾: مسلكاً ومذهباً. وقيل: صار طريقه في البحر جامداً.

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]، ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤]. آية سورة الإسراء جاءت بعد أمثال ضربت نحو: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وبعد تخويف النبي ﷺ وتحذيره كتحدير الناس كلهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [الإسراء: ٧٣]، إلى قوله: ﴿إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥]، فقال بعده وقدم الناس: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً للناس، وليهتموا بفهمه، ويعنوا بتدبره، ويقفوا عند أوامره، ويتنزهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب في تقديم ما عنايتهم بذكره أتم، وأما الثانية فإنها وقعت في السورة التي تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الإخبار به مما لم يقدر عليه إلا بأن يوحى إليه... فقال في هذا المكان: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤]، للدلالة على ما طلبوه من النبي ﷺ وما قد أوحى الله تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى، والله أعلم. ٥٥ - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ﴾ [الكهف: ٥٥]. جاءت آية سورة الكهف بزيادة ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾، لأن ما في سورة الإسراء معناه: ما منعهم عن الإيمان بمحمد ﷺ إلا قولهم: أبعث الله بشراً رسولاً، هلاً بعث ملكاً؟ وجهلوا أن التجانس يورث التانس، والتغاير يورث التنافر، وما في الكهف معناه: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار إلا إتيان سنة الأولين، قال الزجاج: إلا طلب سنة الأولين وهو قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا أَلَلَّهُمْ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْفُ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فزاد: "ويستغفروا ربهم"، لاتصاله بقوله: ﴿سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وهم قوم نوح، وصالح، وشعيب، كلهم أمروا بالاستغفار، فلما خوفهم سنة الأولين أجرى المخاطبين مجراهم. قول آخر: انظر الإسراء: ٩٤. ٥٦ - ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ يُثَابِتَ رَبَّهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٦]. الآية الثانية تقدمها قصة موسى والخضر وذو القرنين وسؤال اليهود ذلك؛ فناسب: ﴿وَرُسُلِي﴾.

= إلا للزمان، فهي للزمان في كل المواطن التي أتت فيها (ولا يُمنع ورودها للمكان - لغة - كما قال ابن منظور). (موعدة) اسم للعدّة. وردت كلمة (موعد) اثنتي عشرة مرة، وكلمة (ميعاد) ست مرات، وكلمة (موعدة) مرة واحدة. (الميعاد) فيها زيادة المبني التي تدل على زيادة المعنى، ففيها تأكيد أكثر من (موعد)، و(موعدة) لذا أضيفت كلمة (الميعاد) أربع مرات إلى لفظ الجلالة (الله). أما (موعد) فأضيفت إلى البشر في معظم المرات. = التبليغ حتى تطيعهم في إبعاد من شأؤوا عن مجلسك. ٥٢ - ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا﴾ قرئ: (يقول) بياء الغيبة على أن الفعل مسند إلى ضمير يعود على الله، أو على ربك في قوله: ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا﴾ وقرئ: (نقول) بالنون على أن الفعل مسند إلى ضمير العظمة وهو مناسب لقوله قبل؛ و(إذ قلنا)، ولقوله بعد: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾. ٥٥ - ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ وقرئ: (قُبُلًا) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى مقابلة، أي: معانية، ونصب على الحال وقيل: بمعنى ناحية وجهه، فنصبه على الظرف نحو: لي قبل زيد دين. وقرئ: (قُبُلًا) بضم القاف والباء جمع قبيل، كرجف ورجف، ونصبه على الحال أيضاً، وقيل: بمعنى جماعة جماعة، وصنفًا صنفًا، أي: حشرنا عليهم كل شيء فوجًا فوجًا، ونوعًا نوعًا من سائر المخلوقات. ٥٦ - ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْزَرُوا هُزُؤًا﴾ قوله: (هزوا) أينما وقع وكذا (كفوا) (بسورة الإخلاص) قرئ: بإبدال الهمزة التي هي الأصل في كليهما واوًا للتخفيف بعد ضم ما قبلها وهو عين الفعل أو إسكانه. كما قرئ: (هزوا) بإبقاء الهمزة على أصله، ووجه إسكان العين أنه: لغة تميم، وأسد، وعامة قيس، ووجه ضمها أنه لغة الحجازيين. ٥٩ - ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ فيها ثلاث قراءات: = والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة (٦٥) مرة. وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة (٦٥) مرة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصْجِحَنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

(٣٠٢)

٧٦- ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾: قد بلغت العذر في شأني. ٧٧- ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا﴾: استضافاهم، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا﴾: وكانوا أهل قرية لثاماً ﴿جِدَارًا﴾: حائطاً ﴿أَنْ يَنْقَضَ﴾: أن يسقط وأن ينهدم. ومعنى الانقضاض... السقوط بسرعة. وجعل الإرادة للجدار، ولا إرادة حقيقية له، إلا أن هيئة السقوط قد ظهرت عليه كما تظهر أفعال المريدين القاصدين. فوصف بالإرادة كما قال عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [سورة الأعراف ١٥٤] والغضب لا يسكت. ﴿فَأَقَامَهُ﴾: فسواه وعدل ميله. ﴿لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: لو شئت لم تقمه، حتى يقرونا، فإنهم قد أبوا أن يقدموا لنا الطعام. ٧٨- ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: سأخبرك ﴿بِمَا أُوِيلُ﴾: بما تقول إليه عاقبة أفعالي التي أنكرتها، ولم تستطع السكوت عنها. ٧٩- ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾: أمامهم، كقوله عز وجل: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ وهي بين أيديهم، و"وراء" من أسماء الأضداد؛ وقيل: خلفهم، وكان طريقهم في الرجوع عليه. ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: أي كل سفينة صالحة، وإنما عتبا لأرده عنها. ٨٠- ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: يُغشيها ﴿طُغْيَانًا﴾: هو الاستكبار على الله تعالى. ٨١- ﴿خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ﴾: ولدا أبر بهما من المقتول ﴿زَكَّوْهُ﴾: صلاحاً وديناً ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: أبر بهما. ومعنى: الرُحِم: الرحمة، يقال: رحمه الله. ٨٢- ﴿كَنْزٌ لَهُمَا﴾: كنز مال، والكنز هو المال المجموع أو المدفون. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: حفظاً بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح. وقيل: كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نَسَاجاً. والله أعلم.

[٧٨، ٨٢] ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]. سبب مجيء الفعل "تَسْتَطِعُ" في الأول، لأنه الأصل، وجاء في ختام القصة "تَسْتَطِعُ" على التخفيف، لأنه الفرع. وقد ذكر الألوسي أن الحذف للتخفيف لما تكرر في القصة فناسبه ذلك، وذكر تعليلاً آخر للفظ "تَسْتَطِعُ" وهو: أنه لما خف على موسى عليه السلام ما لقيه ببيان سببه، خص بذلك. وهذا توجيه فيه تأمل وبعد نظر؛ لأنه بني على هذه الملاحظة اللطيفة، وهي أن موسى عليه السلام لما فسر له الخضر ما كان مبهمًا، لا يعرف له وجهًا خف عنه ما كان يعانيه من أفعال غريبة عليه. وشيء آخر يهدينا إليه تعليل الألوسي، وهو أن اللفظ المخفف وقع عليه النفي، يعني نفى عنه الاستطاعة المخففة، أي: هو لم يصبر ولم يتحمل أي قدر من التحمل، لأنه عليه السلام كان يبادر الخضر بالاستنكار والتعجب: ﴿أَخْرَقَهَا لِنَارٍ غَرْقًا أَهْلُهَا...﴾ [الكهف: ٧١]، ﴿أَقْلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ...﴾ [الكهف: ٧٤]، ﴿لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾ [الكهف: ٧٧]، والخضر قد اشترط عليه إن صاحبه ألا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرًا، فيقول له في المرة الأولى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا...﴾ [الكهف: ٧٢]، وفي المرة الثانية: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا...﴾ [الكهف: ٧٥]، وفي هذه المرة زاد حرف اللام للتوكيد، وهو فيها يكرر نفى الاستطاعة، وفي النهاية ذكر أنه لم يستطع أي قدر من الاستطاعة.

[٧٩] ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا...﴾ [الكهف: ٨١]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا...﴾ [الكهف: ٨٢]. إن هذا حُسْنُ أدب من الخضر مع الله تعالى؛ أمّا في الأول: فإنه لما كان عيباً نسبته إلى نفسه، وأمّا الثاني: فلما كان يتضمن العيب ظاهراً وسلامة الأبوين من الكفر ودوام إيمانها باطناً قال: "أردنا"، كأنه قال: أردت أنا القتل وأراد الله سلامتهما من الكفر وإبداهما خيراً منه، وأمّا الثالث: فكان خيراً محضاً ليس فيه ما يُنكر لا عقلاً ولا شرعاً؛ فنسبه إلى الله وحده فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ...﴾ [٧٦] ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصْجِحَنِي﴾ [الكهف: ٧٦]، ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْهُ فَيُخَفِّصْكُمْ تَبَلَّوْا وَخُذُوا أَصْحَابَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧]. لماذا جاء الفعل بسورة محمد بصيغة المضارع وبسورة الكهف بصيغة الماضي؟ **الجواب:** جاء الفعل بسورة محمد بصيغة المضارع؛ لأن سؤال الأموال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع الذي يدل على التكرار، وأمّا آية الكهف فالسؤال بها حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي الذي يدل على عدم التكرار.

= نون التوكيد كسرت لمناسبة الياء، والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. وقرئ: (تسألني) بتخفيف النون وإسكان اللام على أن الفعل معرب والنون للوقاية، وبحذف الياء للتخفيف اكتفاء بكسرة ما قبلها، وبإثباتها على الأصل واتباعاً لخط المصحف إذ هي ثابتة في الخط. [٧١] ﴿قَالَ أَخْرَقَهَا لِنَارٍ غَرْقًا أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قرئ: (لنغرق أهلها) بقاء مضمومة وكسر الراء، و(أهلها) بالنصب على أن الفعل مسند إلى ضمير المخاطب، وهو مضارع من أغرق، و(أهلها) مفعول. وقرئ: (لنغرق أهلها) بياء وراء مفتوحين و(أهلها) بالرفع على أنه مضارع من غرق الثلاثي، و(أهلها) فاعل فهو بمنزلة مات زيد لأنه أمر دخل عليهم من غير اختيار منهم له. [٧٣] ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿عُسْرًا﴾ قرئ: (عسراً) بضم السين، وقرئ: (عسراً) بسكون السين، وهما لغتان. [٧٤] ﴿قَالَ أَقْلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا﴾ قوله تعالى: ﴿زَكِيَّةً﴾ قرئ: (زاكية) بمد الزاي وبياء خفيفة اسم فاعل، وزكا يزكو بمعنى طهر. وقرئ: (زكينة) بدون مد وياء مشددة على وزن فعيلة صيغة مبالغة من الزكاة، بمعنى: الطهارة أيضاً، وقيل: زكية بمعنى: أنها لم تبلغ الخطايا، وقيل: مطهرة فزاكية، وزاكية بمعنى: صالحة تقية. قوله تعالى: ﴿نُكْرًا﴾ في الموضعين: ٧٤، ٨٧، بالكهف والطلاق: ٨، قرئ: (نكراً) بضم الكاف. وقرئ: (نكراً) بسكون الكاف، وهما لغتان. [٧٦] ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَدُنِّي﴾ فيها أربع قراءات: الأولى: (لدني) بضم الدال وتشديد النون على أنه الأصل في "اللدن" من ضم الدال وسكون النون والإدغام للتماثل، وألحقت نون الوقاية بهذه الكلمة لتقي السكون الأصلي في البناء من الكسر. الثانية: (لدني) بضم الدال وتخفيف النون على الأصل في ضم الدال وحذف نون الوقاية اكتفاء بكسر النون الأصلية لمناسبة الياء. الثالثة: (لدني) بإسكان الدال مع الإشارة بالشفيتين للملح الأصل، وتخفيف النون لما سبق من حذف نون الوقاية، واكتفاء بكسر النون الأصلية لمناسبة الياء. الرابعة: (لدني) كذلك لكن = إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة **الرسول** بمشتقاتها، **والنبي** بمشتقاتها، **والبشير** بمشتقاتها، **والنذير** بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الرسول** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة **النبي** (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **النذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر **الرسول** و**النبيين** و**المبشرين** و**المنذرين** (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

٨٤- ﴿وَأَتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: مما يتعلق بمطلوبه ﴿سَبَّأً﴾: طريقاً يتوصل بها إلى ما يريده. والسبب: ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة. ٨٥- ﴿فَأَنْبَغُ سَبَّأً﴾: منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب. ٨٦- ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذات حمأة وطين أسود. وقيل: في عين حارة. ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾: يقول: إما أن تعذبه - قيل: بالقتل! - إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله تعالى، وما تدعوهم إليه من طاعته. ﴿وَأِمَّا أَنْ نُلَخِّذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: أن تأسرهم وتبصرهم الرشاد، وتعلمهم الشرائع. ٨٧- ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: كافر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: نعاقبه، وقيل: نقتله. ﴿عَذَابًا نَكِرًا﴾: عظيماً، وهو عذاب جهنم. ٨٨- ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى﴾: قيل: له الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ آسِرًا﴾: معروفاً. وقيل: عنى بذلك: سنعلمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يُقربُه إلى الله تعالى. ٨٩- ﴿ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَّأً﴾: طرقاتاً ومنازل. ٩٠- ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾: يسترهم من البيوت أو من اللباس، وقيل: هم حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة، بل هم في أرض لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتل البناء فيسكنوا في البيوت، فإذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب، فإذا زالت عنهم خرجوا إلى معاشهم! ٩١- ﴿يَمَّا لَدَيْهِ خَيْرٌ﴾: علماً. ٩٢- ﴿بَيْنَ السَّدِّينِ﴾: الجبلين. و«السَّدُّ» و«السُّدُّ» جميعاً: الحاجز بين الشيتين، وهما جبلان سد ما بينهما، فردم ذو القرنين حاجزاً ما بين يأجوج ومأجوج وما وراءه، ليقطع عبثهم وفسادهم عنهم ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْهَوْنَ قَوْلًا﴾: يعني: قول قائل سوى كلامهم. ٩٣- ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: أي جُعلاً وأجراً، نخرجه من أموالنا، ﴿عَلَى أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: حاجزاً يمنعهم من الخروج إلينا. ٩٤- ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خرّجكم وأموالكم. ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بفعلته وصنّاع يحسنون البناء ﴿رَدْمًا﴾: حاجزاً. ٩٥- ﴿زُبُرُ الْحَدِيدِ﴾: قطع الحديد ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: بين الجبلين، والصدفان: جانبا الجبل إذا تمازيا، لأنهما يتصادفان، أي يتقابلان، ﴿قَالَ أَنْفِخُوا﴾: النار. ﴿فَظَرًا﴾: نحاساً مذاباً.

إِنَّمَا مَكْنَالُهُ، فِي الْأَرْضِ وَأَتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَّأً ٨٤ ﴿فَأَنْبَغُ سَبَّأً﴾ ٨٥ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا إِذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تُلَخِّذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا ٨٧ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ آسِرًا ٨٨ ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَّأً ٨٩ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ٩٠ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ٩١ ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَّأً ٩٢ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدِّينِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَقْهَوْنَ قَوْلًا ٩٣ قَالُوا إِذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٩٤ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥ وَأَتَوْنِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٦ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ٩٧

٩٧- ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه لارتفاعه. ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: لبعد عرضه وقوته. [٨٥، ٨٩، ٩٢] ﴿فَأَنْبَغُ سَبَّأً﴾ [الكهف: ٨٥]، ﴿ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَّأً﴾ [الكهف: ٨٩، ٩٢]. "الفاء" تفيد الترتيب والتعقيب، و"ثم" تفيد الترتيب والتراخي، وفي سورة الكهف الكلام عن ذي القرنين، ففي الآية الأولى ﴿فَأَنْبَغُ سَبَّأً﴾، لم يذكر قبلها أن ذي القرنين كان في حملة أو في مهمة معينة، وإنما جاء قبلها ﴿وَأَتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَّأً﴾ [الكهف: ٨٤]، هذا في الجملة الأولى ولم يكن قبلها شيء، وإنما حصل هذا الشيء بعد التمكين لذي القرنين مباشرة، أمّا في الجملة الثانية ﴿ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَّأً﴾، فهذه حصلت بعد الحالة الأولى بمدة، ساق ذو القرنين حملة إلى مغرب الشمس، وحملة أخرى إلى مطلع الشمس، وحملة أخرى إلى بين السدين، وهذه الحملات كلها تأتي الواحدة بعد الأخرى بمدة وزمن، ولهذا جاء استعمال "ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي. [٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ [الكهف: ٨٧]. من قدر على أعدائه وتمكن منهم، فلا ينبغي له أن تسكره لذة السلطة بسوقهم بعضا الإذلال، وتجربهم غصص الاستعباد والنكال، بل يعامل المحسن بإحسانه، والمسيء بقدر إساءته. [٩٦] ﴿أَتَوْنِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]. في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه. [٩٧] ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]. "استطاع" هو الأصل، وقد تحذف التاء أو الطاء تخفيفاً، فجاء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجاء بالفعل مخففاً مع الأخف، = مع اختلاس حركة ضمة الدال، ووجهها: قصد التخفيف على ما سبق، مع الإشارة بالاختلاس إلى الأصل. [٧٧] ﴿قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَخَذْتُ﴾ قرئ: (لَتَخَذْتُ) بقاء خفيفة بعدها خاء مكسورة على أنه ماض على وزن فعل يفعل، يقال: اتخذ يتخذ من باب علم. وقرئ: (لَتَخَذْتُ) بقاء مشددة بعد اللام بعدها خاء مفتوحة على أنه ماض على وزن افتعل من اتخذ، أدغمت تاء الافتعال في فائه للتمائل ومنها: إدغام الدال في التاء وإظهارها مع التخفيف. [٨١] ﴿قَالُوا إِذَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا رَكَّبَهُمْ وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قوله تعالى: ﴿يُبْدِلُهُمَا﴾ قرئ: (يُبْدِلُهُمَا) بسكون الباء وتخفيف الدال مضارع من أبدل متعد بالهمزة. وقرئ: (يُبْدِلُهُمَا) بفتح الباء وتشديد الدال مضارع من بَدَّلَ متعد بالتضعيف، وكذا في "التحريم: ٥" في ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ﴾، وفي سورة "القلم: ٣٢": ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا﴾ وفي "النور: ٥٥" ﴿وَلْيُبْدِلْ لَهُمُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾. قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرئ: (رُحْمًا - رُحْمًا) بضم الحاء وإسكانها وهما لغتان، الإسكان: لغة أسد وتيمم وعامة قيس، والضم: لغة الحجازيين، وقيل: الضم هو الأصل والإسكان للتخفيف، وقيل: الإسكان هو الأصل والضم للإتباع. [٨٥] ﴿أَنْبَغُ سَبَّأً﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْبَغُ سَبَّأً﴾ الثلاثة قرئ: (أَنْبَغُ) بقطع الهمزة وسكون التاء ويلزمه التخفيف، ماض على وزن أفعل متعدياً بالهمزة؛ وهل يتعدى لواحد أو لاثنتين؟ اختلف فيه: فعلى أنه متعد لواحد فـ "سَبَّأً" مفعول، وعلى أنه متعد لاثنتين فـ "سَبَّأً" مفعول ثان، والأول محذوف تقديره: "وأَنْبَغُ أمره سَبَّأً" ليوصله إليه. وقرئ: (أَنْبَغُ) بوصل الهمزة بعدها تاء مشددة مفتوحة ماض على وزن افتعل من اتبع، أدغمت تاء الافتعال في فاء الكلمة وهي بمعنى: اتبع فهما لغتان بمعنى واحد، وقيل: إن اتبع معناه اقتفى أثره إذا قصد اللحاق به. [٨٦] ﴿وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ قوله تعالى: ﴿حَمِئَةٍ﴾ قرئ: (حَمِئَةٍ) بميم مكسورة بعد الحاء وبعدها همزة على وزن فَعْلَةٍ صفة مشبهة من حَمَّتِ البئر إذا كان فيها الحمأ، وهو: الطين الأسود، أي: ذات حمأة، وقد سأل معاوية كعباً فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال: تغرب في ماء وطين، فهو يدل على الهمز. وقرئ: (حَامِيَةٍ) باللف بعد الحاء وياء بعد الميم من غير همز، على وزن فاعلة اسم فاعل من حَمَّتِ البئر أيضاً، وأصله: حَامِيَةٌ، أبدلت الهمزة ياء، فتتحد القراءتان، أو اسم فاعل من قولهم: حيث الشمس إذا اشتدت حرارتها، أو من: حمى يحمي، فمعنى كونها حامية: حارة، ولا تنافي بين القراءتين إذ لا مانع من أن تكون العين ذات طين أسود وفيها حرارة. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: "أندري أين تغرب الشمس؟" فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم، فقال: "إنها تغرب في عين حامية"، أخرجه أبو داود وغيره، وصححه الألباني، وروى عنه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه نظر إلى الشمس حين غابت فقال: "في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرق ما على الأرض"، أخرجه أحمد، وقال الأرنبوط: إسناده ضعيف. [٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ آسِرًا﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿جَزَاءُ﴾ قرئت: بنصب (جزاء) مع التنوين على أنه حال من الحسنَى، =

١- ﴿كَهَيَّصَ﴾: قال المفسرون: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: بل هو مثل «آمر»، و«آل» من حروف المعجم، وقد مضى القول فيه. ٢- ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: ارتفع «الذكر»، بإضمار «هذا» بمعنى: هذا ذكر رحمة ربك عبده، «زَكَرِيَّا»: يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد. ٣، ٤- ﴿خَفِيًّا﴾: سراً. وقيل كان في جوف الليل. «وَهَنَ»: ضعف. «وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا»: يقول: وانتشر الشيب في الرأس ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: يقول: وقد كنت تُعرفني الإجابة فيما مضى؛ أي لم تخيبي في دعائي في وقت من الأوقات. ٥- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ﴾: خفت بني عمي وعصيتي من بعدي أن يرثوني. وقيل: كان مواليه مهملين للدين، فخاف بموته أن يضيع الدين، فطلب ولياً يقوم به من بعده «عَاقِرًا»: لا تلد؛ يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، بلفظ واحد. ٦- ﴿يَرْثِي﴾: مالي من بعد وفاتي «وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»: العلم والنبوة. «رَضِيًّا»: في دينه وخلقه، وهو «فعليل» صرف إليه من «مفعول». ٧- ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾: لم يُسم أحد بـ«يحيى» قبله. ٨- ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: من أي وجه يكون لي غلام وامراتي لا تحمل، أبأن تجعل زوجي ولوداً - وأنت القادر على ذلك -، أم بأن أنكح غيرها؟ «عِتِيًّا»: كل مُتَنَاهٍ إلى غاية من كبر أو فساد فهو عاتٍ، وعاس. ومعنى سؤاله: التعجب من قدرة الله وبديع صنعته؛ حيث يأتي ولد من امرأة عاقر وشيخ كبير. ٩- ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾: كناية عن خلق الغلام. ١٠- ﴿ءَايَةً﴾: دليلاً ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾: وأنت صحيح من غير مرض، فانتصاب «سويًّا»: على الحال، وقيل: عوقب بجس لسانه، إذ سأل الآية بعد مشافهته الملائكة بذلك مشافهة. ١١- ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾: أوماً وأشار. [٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٨]. الطبعي أن ينظر المرء لعلة نفسه أولاً، لذلك قدم ذكر

سُورَةُ مَرْيَمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَهَيَّصَ ١ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ ٢ ذَكَرِيَّا ٣
إِذَا نَادَى رَبَّهُ ٤ نِدَاءً خَفِيًّا ٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ٦ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٧ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ ٨ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٩ يَرْثِي ١٠ وَبِرِثِ ١١ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ١٢ يَزَكَرِيَّا ١٣ إِنَّا نَبِّئُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ١٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ١٥ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ١٦ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ١٧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٨ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٩ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٢٠

(٣٠٥)

الكبر أولاً في آية آل عمران، وقدم ذكر المرأة وآخر الكبر في آية مريم، لأنه كان تقدم ذكر الكبر فيها قبل ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. [١٠] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَازًا﴾ [آل عمران: ٤١]، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]. ذكر في آل عمران ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي مريم ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، فدل مجموع الآيتين على أن تلك الآية كانت حاصلة في الأيام الثلاثة مع لياليها، وفي آل عمران ﴿إِلَّا رَمَازًا﴾، والرمز يفهم منه الإشارة دون النطق، كالإشارة بالعين واليد، ولما لم يذكر الرمز في آية مريم ذكر فيها الليل؛ لأن الرمز لا يكون واضحاً بالليل. [٣-٢] ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [٢] ﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٢-٣]. ما الفرق بين «النداء والدعاء»؟ **الجواب:** أولاً: النداء في القرآن: جاء «النداء» في القرآن على أحوال، هي: ١- إسناد النداء إلى الله. ٢- النداء بين العباد بعضهم لبعض. ٣- نداء من الملائكة للناس. ٤- نداء من الله تعالى للناس. ٥- طلب الإقبال إلى الصلاة سماء القرآن نداء. ٦- طلب الإقبال للإيمان سماء القرآن نداء. **سؤال:** لم كان النداء بـ(رب) دون اسم الجلالة (الله)؟ قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾. وليس «ونادى نوحٌ الله». **والجواب:** أن المنادي راجع لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل، ولذلك تعلّق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكأن الله سبحانه بذلك يقرر حقيقة هامة وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظة «رب» تشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياء وإماتة ونفع وضرر... **لم النداء وليس الدعاء؟!!** ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبُ إِذَا نَادَى رَبَّهُ﴾. وليس «أيوب إذا دعا ربه» فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟!! **والجواب:** أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروف واحدة من الشدة والكره العظيم والبلاء المبين، فنادى كل منهم ربه رافعاً صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت) فهو أخص من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد والله قريب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالتباعد هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلو وليس تباعد مكان... ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء وله خواص تختلف عن الدعاء، بل هو أخص وأصفى وأخلص وأظهر تفاؤلاً وأنقى معنى... رغم أن كلا من الدعاء والنداء عبادة وفيه خير.

= على الرأس أو الأرض مع التكرار في كل عام، أي: فهل نجعل لك أجرة تؤديها إليك في كل وقت تنفق عليه كالجزية على أن تبني بيننا وبينهم سداً، وكذلك قرئ: ﴿أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ حَرَمًا﴾ بسورة «المؤمنين: ٧٢» ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ﴾. [٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ قوله تعالى: ﴿مَكْنِي﴾ قرئ: (مَكْنِي) بنون خفيفتين على أن الأولى: لام الفعل، والثانية: نون الوقاية، والأصل: الإظهار لتحرك المثليين ولعدم لزوم الثاني منهما، ولأنها هكذا في مصحف المكيين. وقرئ: (مَكْنِي) بنون واحدة مشددة على إدغام لام الفعل في نون الوقاية لوجود مسوغ الإدغام وهو التماثل. [٩٦] ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ﴾ وكذا ﴿قَالَ ءَاتُونِي﴾ قرئنا: (ءَاتُونِي) بقطع الهمزة مفتوحة بعدها ألف على أنه أمر من أتى بمعنى أعطى، فالفعل متعد لمفعولين: ضمير المتكلم، و﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾. وقرئ: (ائتوني) بهمزة وصل تثبت في الابتداء مكسورة بعدها ياء مبدلة من فاء الفعل، وتسقط في الوصل، ويلزم كسر التنوين الذي قبلها في الكلمة الأولى وصلاً لالتقاء الساكنين، تقول: ائتوني، وبعد اللام في الكلمة الثانية همزة ساكنة تقول: قال: ائتوني على أنه أمر من أتى بمعنى جاء، فلم يعد الفعل ائتوني إلى مفعول، و﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ معدى إليه بحرف جر مضمّر تقديره: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾. قوله تعالى: ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ فيه ثلاث قراءات: الأولى: (الصَّدَفَيْنِ) بفتح السين في الصاد والدال. والثانية: (الصَّدَفَيْنِ) بضم السين. والثالثة: (الصَّدَفَيْنِ) بضم فسكون، وكلها لغات، والفتح: لغة تميم، وضم الحرفين: لغة حمير كما في الألوسي، ونقل الفراء: أن الفتح: لغة الحجازيين، والضم: لغة القرشيين، والإسكان: لغة غيرهم. [٩٧] ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿اسْطَعُوا﴾ قرئ: (اسْطَعُوا) بطاء خفيفة بعد السين على حذف تاء الافتعال وأصله = نزول سورة مريم: نزلت بعد سورة فاطر، وهي مكية إجماعاً. عدد كلمات سورة مريم: ألف ومائة واثنان وتسعون. عدد حروف سورة مريم: ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان. أسماء سورة مريم: وهذه السورة اسمان: سورة كهيعص؛ لافتتاحها بها، وسورة مريم، لاشتمالها على قصتها مفصلة. مواضع سورة مريم: مقصود السورة =

يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٥﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٦﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٧﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٤﴾ فَوَدَّعْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَهَزَيَ إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ السُّقُوطَ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٦﴾

١٣- ﴿يَقُوءُ﴾: يجد وعزيمة ﴿الْحُكْمُ﴾: الفهم لكتاب الله عز وجل. وهو التوراة ١٣- ﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة ﴿زَكَاةً﴾: طهارة من الذنوب. ١٤- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: مسارعاً في طاعتهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: مستكبراً ذا عصيان. ١٥- ﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾: سلم الله عز وجل عليه، في هذه الأحوال العvisية ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: يقول عز وجل: وأمان من الله تعالى له من فتنة القبر، ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: يوم القيامة. وقيل إن عيسى عليه السلام قال له: «أنت خير مني، سلم الله عليك، وسلمت على نفسي». ١٦- ﴿انْتَبَذَتْ﴾: اعتزلت ﴿شَرْقِيًّا﴾: قبل مشرق الشمس، قيل: فاتخذت النصارى الشرق لذلك قبله. ١٧- ﴿رُوحَنَا﴾: جبريل عليه السلام ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾: في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق. ١٨- ﴿إِنِّي أَعُوذُ﴾: استجير ﴿بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾: ذا تقوى، أن تنال مني ما حرم الله عز وجل. ١٩- ﴿لَأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾: يقال: زالك وزكي، وهو الطاهر من الذنوب، وجعل الهبة من قبله لكونه سبباً فيها، لأن الإعلام كان من جهته، أو لأنه قام بالنفخ، في الظاهر. وقرأ نافع وأبو عمرو: «ليهب لك»؛ أي ليهب لك الله. ٢٠- ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾: على وجه الحلال ﴿بَغِيًّا﴾: زانية. ٢١- ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾: لا يتعذر خلقه من غير سبب ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: لك، ولمن آمن بك ﴿مَّقْضِيًّا﴾: مقراً قد قدره الله تعالى. ٢٢- ﴿قَصِيًّا﴾: نائياً عن الناس. ٢٣- ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾: ألبأها واضطرها النفاس ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: أصلها. ﴿نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾: كشيء ترك فلم يطلب، قالت ذلك استحياء. وقيل: «نسياً منسياً»: لم أكن في الأشياء. ٢٤- ﴿فَوَدَّعْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾: اختلف في أنه عيسى عليه السلام، أو أنه جبريل عليه السلام. وأصح الروايتين أنه عيسى عليه السلام ﴿سَرِيًّا﴾: قيل: نهر. وقيل: عنى نفسه. والسري: العظيم من الرجال. ٢٥- ﴿وَهَزَيَ إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ﴾: حرّكه. وقيل: كان جذعاً يابساً. وقيل: كان في الشتاء. ﴿جَنِيًّا﴾: مجنياً رطباً.

[١٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]. الموضع الأول إخبار من الله تعالى ببركته وسلامه عليه، والثاني إخبار عيسى عليه السلام عن نفسه، فناسب عدم التزكية لنفسه بنفي المعصية أدباً مع الله تعالى، وقال: ﴿شَقِيًّا﴾، أي: بعقوق أمي، أو بعيداً من الخير. [١٥] ﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥]، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ [مريم: ٣٣]. قال الإمام أبو القاسم السهيلي إن إدخال الألف واللام على "سلام" تفيد ثلاثة أمور: ١- أن يقصد به التبرك بذكر الاسم الذي هو السلام، فهو يشعر بذكر الله سبحانه، لأن السلام اسم من أسمائه. ٢- أن يقصد به طلب معنى السلامة منه، لأنك متى ذكرت اسماً من أسمائه، فقد تعرضت لطلب المعنى الذي اشتق ذلك الاسم منه. ٣- أن يقصد عموم التحية منه سبحانه، ومن غيره، فأنت ترى أنه ليس قولك: "سلام عليك" أي: سلام مني، بمنزلة قولك: "السلام" في العموم. أمّا سر تنكير اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ﴾، فإنه مستغن عن الفوائد الثلاث، لأن المتكلم ههنا هو الله تعالى فلم يقصد تبركاً بذكر الاسم الذي هو السلام، ولا تعرضاً وطلباً كما يقصده العبد، ولا عمومًا في التحية منه ومن غيره؛ لأن سلاماً منه سبحانه كاف عن كل سلام، ومغن عن كل تحية ومُزب على كل أمنية، فلم يكن لذكر الألف واللام معنى ههنا... وأمّا قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ في قصة عيسى عليه السلام، فإن للألف واللام معنى ومقصداً: لأن هذا العبد الصالح، أي: عيسى بن مريم، يحتاج كلامه إلى هذه الفوائد الثلاث، وأوكدها كلها العموم، لأنه مستحيل أن يقع سلامه على نفسه خاصة، ويبعد أيضاً رغبته عن ذكر مولاه، وتركه التعرض لمعنى الاسم ومقتضاه. وعند تطبيق ما ذكره السهيلي على ما جاء في كتاب الله تعالى، نجد ذلك موافقاً لقوله، وكأنه رحمه الله استقصى ما في القرآن فذكر ما ذكر، ولذلك نجد أن تسليم المولى جل جلاله على أنبيائه جاء بلفظ التنكير كما في الصافات: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [٧٩]، ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٠٩]، ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [١٢٠]، ﴿سَلِّمْ عَلَى إِيَّاسِينَ﴾ [١٣٠]، ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٨١]، وكذلك تحيته لأهل الجنة ﴿وَنَجِّنُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]، ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]، ﴿نَجِّنُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وغير ذلك كثير في القرآن الكريم، بينما جاء السلام معروفاً في تسليم الأنبياء والرسل كقول موسى وهارون لفرعون: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ شَايِئًا مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧].

[٢٣] ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]. لم قالت مريم عليها السلام: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾، رغم أنها بشرت قبل ذلك بالولد عن طريق الملك، قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]. الجواب: أنها ما قالت مقولتها هذه وما تمت الموت استنكاراً لما حدث ولا كراهة له، ولكن لخلجها وحياها عند قومها لما يعلموا بحالها، وخشية الشك في عفتها وطهارتها.

= استطاعوا، حذف منه تاء الافتعال تخفيفاً. وقرئ: (استطاعوا) بطاء مشددة بعد السين على إبدال تاء الافتعال طاء وإدغامها في الطاء التي هي فاء الكلمة، ويلزمه التقاء الساكنين، والحق جوازه، وإذا كان الساكن الثاني عارضاً للوقف أو للإدغام، فالوقف نحو: "القدر" و"الفجر" و"يسر" بالسكون غير ممتنع إجماعاً مع ما فيه من التقاء الساكنين واحتمل ذلك لعروضه، فكذا العارض للإدغام. [٩٨] ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ قوله تعالى: ﴿دَكَّاءَ﴾ قرئ: (دكاء) بالمد والهمز من غير تنوين بوزن حمراء من قولهم: ناقة دكاء، أي: منبسطة السنام غير مرتفعة، أي: أرضاً مستوية، وقرئ: (دكاً) بالتنوين بلا مد ولا همز مصدر واقع موقع المفعول به، أي: مذكوكاً مُفْتَتًا، قال ابن عباس: صار تراباً، وقال الحسن: ساح في الأرض، وهو مفعول ثان لجعل على المشهور فيهما. [١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَّكُنْتُ رَبِّي لَفُتْدَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ نَفْدَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْتُم بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَفْدَ﴾ قرئ: (نفد-ينفد) بالتاء وبالياء لأن الفاعل مؤنث مجازي يجوز تذكيره وتأنيثه، والتذكير على معنى جمع الكلمات، والكلمات أصلها: الكلام وهو مصدر، والمصدر مذكر، والتأنيث لمراعاة اللفظ. [٦] ﴿يَرْثِي وَيَرْثِي مَنَآلٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿يَرْثِي وَيَرْثِي﴾ قرئ: (يرثي ويرث) بجزم الفعلين على أن الأول: مجزوم في جواب الدعاء وهو قوله: ﴿فَهَبْ لِي﴾ لقصد الجزاء، والثاني: بالعطف عليه، والمعنى: أن تهب لي من لدنك ولياً يرثني الخ. وقرئ: (يرثي ويرث) بالرفع فيهما على أن الفعل = ومعظم المراد منها على سبيل الإجمال: وَعَدَ الله العباد بالكفاية والهداية، وإجابة دعاء زكريا، والمِنَّة عليه بولده: يحيى، وإعطاؤه علم الكتاب، وذكر عجائب ولادة عيسى وأمه، والخبر عن أحوال القيامة، ونصيحة إبراهيم لأبيه ومناظرة أبيه له، والإشارة إلى قربة موسى، وذكر صدق وعد إسماعيل، وبيان رفعة درجة إدريس، =

٢٦- ﴿وَقَرَىٰ عِيسَىٰ﴾: طيب نفساً، ولا تغتمّي ولا تحزني، ﴿صَوْمًا﴾: من الطعام والشراب والكلام.
 ٢٧- ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾: أي بعيسى تحمله إلى قومها من المكان القصي الذي انتبذت فيه. ﴿فَرِيًّا﴾: عظيمًا.
 ٢٨- ﴿يَتَأَخْتُ هَرُونَ﴾: يا شبيهة هارون في الصلاح، وكان هارون رجلاً صالحاً في بني إسرائيل. وليس هو هارون أخا موسى عليه السلام؛ لأن بين عيسى وموسى أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان! ٢٩- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أن كلموه ﴿فِي الْمَهْدِ﴾: في الحِجَر. ٣٠- ﴿آتَنِي الْكِتَابَ﴾: أي حكم لي بإيتائي الكتاب والنبوة في الأزل. ٣١- ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾: الأمانة من الله عز وجل يوم ولدت، ﴿وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: ذلك السلام الموجه إلى عيسى في المواطن الثلاثة السابقة موجه إلى أمه مريم. وفي هذا التعريف: «السلام» تعريض باللعنة على متهميها وأعدائها من اليهود. ٣٢- ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يقول عز وجل: هذا الذي وصفت لكم صفته وأخبرتكم خبره، من الغلام الذي حملته مريم هو عيسى، وهذه صفته. و«الحق»: هو الله عز وجل: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يختصمون، يعني اليهود والنصارى، فزعم اليهود أنه ساحر كذاب، وزعمت النصارى أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، ورب. تعالى الله عن ذلك. وسمي: قول الحق كما سمي: كلمة الله. ٣٣- ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: إلى آخر الآية. قيل: عهد عليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده، وموته، وبعثه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: طريق مستقيم من سلكه نجاً. ٣٤- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾: المختلفون في عيسى عليه السلام، من فرق النصارى أنفسهم، من حيث الحمل به، ووجود (زمان) لم يكن موجوداً فيه، والخلاف حول طبيعته أو طبيعته، ومشيته، ونحو ذلك، وهو كثير. ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: من شهودهم يوماً عظيماً. ٣٥- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾: ما أسمعهم وأبصرهم، يوم قدومهم على ربهم حين لا ينفعهم ذلك. ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾: أي في الدنيا.

٣٦- ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤]. آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام، وآية كلامه في المهدي مخبراً عن حاله النبوية، وما منحه الله من الخصائص الجليلة منسوقاً بعضها على بعض، فذكر حفظ الله له، وتكريمه إياه في أحواله الثلاث حال الولادة والموت والبعث وبغده، وهذه أحوال تنزه الربوبية عنها وتعالى، ثم لما كان تمام إخبار عيسى عليه السلام وتكميل ما قصد به الإقرار لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، فلما كان الكلام متصلاً بما تقدم في معناه، وقد ورد فيه ما أظهر أن كلام عيسى عليه السلام تم وانقضى، وذلك في قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، ثم جاء بعد ذلك قضية أخرى من التعريف بحقيقة عيسى عليه السلام فقال: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣١) ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه، إذا قضى أمراً فإنما يقول له، كُنْ فَيَكُونُ [مريم: ٣٤-٣٥]، فورد هذا مورد الجمل، التي كأنها مفصولة عما قبلها مع الحاجة إلى اتصال ما بعدها بما قبلها، فلا بد من حرف النسق، ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فالوجه العطف عليه مع الحاجة إلى ما توسط الكلامين، فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوهم انقطاعاً فيحتاج إلى الواو، وأما زيادة ﴿هُوَ﴾ بالزخرف فقد دعا إليها ما تقدم في الآية قبلها في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُّونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، تعلق بها الكفار، وقالوا قد عبدت الملائكة وعبد المسيح، وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب، وأن الملائكة عباد مقربون، فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد رضينا وجادلوا بهذا، فلما كان قد تقدم في الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم: ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨]، يعنون المسيح، ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكياً عن المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، فكان قد قيل: هؤلاء غيره، فأورد ﴿هُوَ﴾ ليؤكد المعنى، ولم يرد في آل عمران ومريم من ذكر آلهتهم ما ورد في الزخرف فلم يحتج إلى الضمير. ٣٧- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧]، ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥]. الكفر أبلغ من الظلم، وقصة عيسى في سورة مريم مشروحة، وفيها ذكر نسبتهم إياه إلى الله تعالى، حين قال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، فذكر بلفظ الكفر، والقصة في الزخرف مجملة، فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم. ٣٨- ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]. قال في مريم: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ وعكس في الكهف، لأن معناه في مريم أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعه وتدبرها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه في الكهف أنه تعالى له غيب السماوات والأرض، فأجل بصيرتك بالتفكر في مخلوقاته، وتدبرها بحيث تصل إلى معرفته، واسمعه بصفاته، ووحده، فناسب تقديم السمع هنا، والبصر ثم.

= صفة لـ (ولياً) والمعنى: فهب بي من لدنك ولياً وارثاً لي ووارثاً من آل يعقوب. ٧- ﴿يَنْزِكِرُنَا إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَى﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ﴾ و﴿نَبْشُرُكَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَبْشُرُكَ﴾ قرئ: ﴿نَبْشُرُكَ﴾ بفتح النون وإسكان الباء، وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة، وقرئ: ﴿نَبْشُرُكَ﴾ بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة في الجميع من بشر المضعف: لغة الحجاز، والتخفيف: لغة غيرهم من البشر، واللغتان بمعنى واحد. ٨- ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿عِتِيًّا﴾ قرئ: ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين، على أن مفردة «عاتٍ» فجمع على «عتوى» على وزن «فعلول» فأصل الحرف الثاني الضم، ثم كسر لمناسبة الياء التي بعده، والتي أصلها الواو؛ لأن الياء الساكنة يناسبها كسر ما قبلها، فلما كسر الحرف الثاني كسر الحرف الأول تبعاً له، ليعمل اللسان فيهما عملاً واحداً. وقرئ: ﴿عِتِيًّا﴾ بضم العين، وحجة ذلك أن الحرف الثاني كسر لتصح الياء كما سبق بيانه، وترك الحرف الأول مضموماً على أصله. ٩- ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ قرئ: ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ ببناء مضمومة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وحده لمناسبة قوله: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾، وقرئ: = والشكوى من الولد الخلف، أي الرديء والطالح، وحكاية أهل الجنة، وذلل الكفار في القيامة، ومرور الخلق على عقبة الصراط، وابتلاء بعضهم بالعذاب، والرد على الكفار في افتخارهم بالمال، وذلل الأصنام، وعبادها في القيامة، وبيان حال أهل الجنة والنار، والمينة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه، وتهديد الكفار

فكلى واشربى وقرى عيساً فاماتين من البشر أحداً فقولى
 إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً
 فأتت به قومها تحمله، قالوا يرميهم لقد جئت شيعة
 فرياً يتأخت هرون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت
 أمك بغياً فأشارت إليه قالوا كيف تكلم من كان في
 المهدي صبيلاً قال إني عبد الله آتني الكتاب وجعلني
 نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصني بالصلاة
 والزكاة ما دمت حياً وبرأ بولدي ولم يجعلني
 جباراً شقيلاً والسلم على يوم ولدت ويوم أُموت
 ويوم أبعث حياً ذلك عيسى ابن مريم قول الحق
 الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه
 إذا قضى أمراً فإنما يقول له، كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
 فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
 بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ
 وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَت إِنِّي قَدْ جَاءَ مِنِّي الْغَيْبُ مَا تَلَمَّ يَأْتِيكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَت لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَت إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ عِزِّ الْهَيْئِ يَتَابَتُ إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ لَازِحُكُمْ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزَلَكُم مَّوَادَّعُوتٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَادَّعَوْنِي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَتَتْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

(٣٠٨)

٣٩- ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: يوم القيامة، وما فيه من حشرات الكفرة والظلمة والعصاة. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحكم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: المشركون، غافلون في الدنيا الآن، عما الله فاعل بهم يوم يأتونه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بالقيامة والبعث. ٤١- ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾: من أهل الصدق في حديثه ومواعيده. ٤٣- ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾: طريقاً مستويّاً لا تضلُّ فيه. ٤٤- ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: أي لا تطعه فإن عبادة الأصنام هي من طاعة الشيطان ﴿عَصِيًّا﴾: عاصياً، حين ترك ما أمره به من السجود لآدم. ٤٦- ﴿لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ﴾: عن ذكرها بسوء ﴿لَازِحُكُمْ﴾: بالحجارة كناية عن إنزال العقوبة به والنكال، أو لأشمتك، ﴿وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا﴾: طويلاً. وقيل: اجتنبي سائلاً لا تُصيبك مني معرة. ٤٧- ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾: لطيفاً يحب دعائي إذا دعوته، والحفي: البليغ في البر والإلطف. ٤٨- ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: عسى ألا أشقى بدعائه؛ ولكن يجب دعائي ويعطيني ما أسأله. ٥٠- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: يقول: الثناء الحسن. وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل يحسن الثناء عليهم. ٥١- ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: قرأ أهل الكوفة: «مخلصاً» بفتح اللام، أي جعلناه مختاراً وأخلصناه. وقرأ الباقون بالكسر، أي: يخلص الله عز وجل العبادة. ٣٩ ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾ [مريم: ٣٩]، ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ...﴾ [غافر: ١٨]. اليوم المشار إليه يشتمل على موقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة، وبحسب ذلك تختلف العبارة والأخبار لاختلاف المقاصد والمواطن... فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي يحصل فيه العلم اليقين لأهل النار بتأييد خلودهم واستمرار عذابهم إلى غير نهاية، ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك، فلا أشد فرحاً من أهل الجنة يومئذ، ولا أشد حسرة من أهل النار... وأمّا آية سورة المؤمن [غافر: ١٤]، ثم تابع الكلام معهم إلى الآية من قوله: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾، فخوفوا بإسراع أمر الساعة وتعجيل وقوعها... ٤١ ﴿وُصِفَ كُلُّ نَبِيٍّ بِوَصْفٍ يَخْتَلِفُ عَنِ الْآخَرِ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: فَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِدْرِيسَ وَإِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١، ٥٦]، وعن موسى: ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وعن إسماعيل: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]. فما وجه تخصيص كل منهم بما وصف به؟ **الجواب:** ١- أن إبراهيم عليه السلام جاء الوصف له بصيغة المبالغة "صديقاً" لعله ينفي ما توهم في الثلاثة التي ورى فيها إبراهيم: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله عن سارة زوجه: "هي إختي" وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ٢- وأمّا موسى، فلأنه أخلص الله في منابذة فرعون مع ملكه وجبروته. ٣- وأمّا إسماعيل فلصبره كما في قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

= **(خَلَقْنَاكَ)** بنون وألف بدل التاء على إسناد الفعل إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله قبل: إنا نبشرك، وقوله بعد: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [١٩] ﴿لَا هَبَ لَكِ غُلَمًا زَكِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿لَا هَبَ﴾ قرئ: **(لَا هَبَ)** بالهمزة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم، وهو المَلَكُ القائل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ وإسناد الفعل إليه مجازي من إسناد الفعل إلى سببه المباشر؛ لأنه الذي باشر النفخ، أي: لأهب لك غلاماً بأمر ربك. وقرئ: **(لِهَبَ)** بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير ربك السابق عليه في قول: "إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به مني ليهب لك ذلك الرب غلاماً زكياً" والإسناد على هذا حقيقي. ٢٣ ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿نَسِيًّا﴾ قرئ: **(نَسِيًّا - نَسِيًّا)** بكسر النون وفتحها وهما لغتان بمعنى واحد، و(النسي) بالكسر والفتح، هو الشيء الحقيق الذي من حقه أن ينسى ولا يبالى به، وقيل: النسي بالكسر مصدر نسي، وبالفصح الاسم. ٢٤ ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾ قوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ قرئ: **(مِن تَحْتِهَا)** بكسر الميم وجر التاء على أن (من) حرف جر وما بعدها مجرور، وفاعل (ناداها) ضمير يعود على المولود عيسى المعلوم من المقام، والمعنى أن عيسى - عليه السلام - كلمها وهو تحتها، أي: تحت ثيابها؛ لأن ذلك موضع ولادته، أو المَلَكُ، و(من) ابتدائية وهو متعلق بالفعل قبله ليبيان مبدأ النداء، ومعنى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أي: دونها، وعلى هذا يكون ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي: دونك نهراً تستمتع به، فليس المعنى إذا جعلنا الفاعل جبريل أنه تحت ثيابها، فيكون ناداها إذا عاد الضمير لعيسى أبين وأعظم في زوال وحشتها وتسكين نفسها. وقرئ: **(مِن تَحْتِهَا)** بفتح الميم ونصب التاء على أن (من) اسم موصول فاعل نادى و(تحت) ظرف مكان متعلق بمحذوف صلته، والمراد بالموصول عيسى - عليه السلام - أو الملك على ما سبق. ٢٥ ﴿وَهَرَىٰ إِلَيْكَ الْجَنَّةُ نَسْفُطٌ عَلَيْنِكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿نَسْفُطٌ﴾ فيها أربع قراءات: الأولى: **(نَسَاقُطٌ)** بتاء مضمومة وتخفيف السين وكسر القاف على أنه مضارع ساقط فاعله يعود على الجنة، و(رطباً) مفعوله. الثانية: **(نَسَاقُطٌ)** بفتح القاف وتخفيف السين على أنه مضارع (نَسَاقُطٌ) حذف منه إحدى التاءين، وأصله تنساقط. والثالثة: **(نَسَاقُطٌ)** كذلك لكن مع التشديد في السين وإبدال التاء الثانية سيناً وإدغامها في السين، وفاعله على هذه القراءة والتي قبلها ضمير يعود على الجنة، و(رطباً) تمييز، أو الفاعل ضمير يعود على الثمرة المفهومة من المقام، و(رطباً) حال منه. الرابعة: **(نَسَاقُطٌ)** بياء مفتوحة وسين مشددة وقاف مفتوحة مضارع (نَسَاقُطٌ) أيضاً، وأصله يتساقط فادغمت التاء في السين بعد إبدالها مثلها، وفاعله يعود على (الجنة) و(رطباً) تمييز، أو على الثمر المفهوم من المقام، ورطباً حال. ٣٤ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قرئ: **(قَوْلُ)** بنصب (قول) على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله وعامله محذوف وجوباً تقديره: "أقول الحق" هذا إن أريد بالحق معنى الصدق، فإن أريد أنه اسم من أسمائه تعالى فنصبه على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: "أمدح قول الحق" أي: قول الله وكلمته الذي هو عيسى. وقرئ: **(قَوْلُ)** بالرفع على أنه خبر بعد خبر، أو بدل من عيسى أو صفة له، و(الحق) يحتمل فيه معنى الصدق، وكونه اسماً من أسمائه تعالى إن قدر خبراً بعد خبر، وتقدير البدلية أو الوصفية يتعين الثاني وهو كونه اسماً من أسمائه تعالى. ٣٦ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ﴾ قرئ: **(إِنْ)** بكسر الهمزة على الاستئناف أو على العطف على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ودليل الكسر كذلك أنها في قراءة ابن مسعود بغير واو، وحذف الواو لا يكون معه إلا الكسر على الاستئناف، ويدل على الاستئناف: أن الذي قبل و(إِنْ) رأس آية قد تم الكلام عليها، ثم وقع الاستئناف بعد تمام الكلام على رأس الآية. وقرئ: **(أَنْ)** بفتحها على أنه مجرور بلام محذوفة والجار والمجرور متعلق بالفعل بعده، = بعقوبة القرون الماضية، في قوله: ﴿هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مَنَ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

٥٢- ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: من جانب الجبل الأيمن، ويعني بالأيمن: يمين موسى عليه السلام. ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: أي أدنيه بتقريب المنزلة حتى كلمناه وسمع مناجاة ربه. ٥٤، ٥٥- ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: يفي بالعهد ولا يخلف ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾: عمله محموداً فيما كلفه. ٥٧- ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾: ذا علو وارتفاع. وفي الحديث أنه في السماء الرابعة، وقيل: المراد ما أعطيه من شرف النبوة. ٥٨- ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾: قيل: عنى بذلك إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: من ذرية من حملنا مع نوح يعني إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: إسحاق، وإسماعيل، ويعقوب عليهم السلام. ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾: موسى، وهارون، وزكريا، وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق عز وجل أنسابهم ولئن كان يجمع جميعهم آدم ﴿وَأَجْنِبْنَاهُ﴾: اصطفيناه واخترنا، ﴿وَبِكَيْ﴾: جمع: بالك، كعتي جمع عات. ٥٩- ﴿خَلَفَ﴾: حدث ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: يعني الأنبياء ﴿خَلَفَ﴾: خلف سوء خلفوهم في الأرض، يقال لعقب الخير، خلف، بفتح اللام، ولعقب الشر: خلف، بتسكينها، ﴿أَصَاغُوا﴾: أخروها عن مواقيتها. وقيل: تركوها. وقيل: هي صفة قوم يكونون في آخر الزمان من أمة محمد عليه السلام ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: خسرانا وشراً. ٦١- ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾: بساين عدن ﴿بِالْغَيْبِ﴾: لم يعاينوها ولم يروها. ﴿وَعَدَهُ مَائِيًّا﴾: «ووعده» في هذا الموضع: موعوده وهو الجنة. يأتبه أولياؤه وأهل طاعته، ومعناه: أنه هو الذي يأتي، ولم يقل: كان وعده آتياً لأن كل من أتاك فانت تأتيه؛ كما تقول آتيت على خمسين سنة، وأنت علي خمسون سنة. ٦٢- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: هذراً وباطلاً ﴿وَلَا سَلَامًا﴾: تحية الملائكة إياهم بالسلام ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: معناه: إن الذين بين غدائهم وعشائهم في الجنة بقدر ما كان في الدنيا لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار. وقيل: أراد دوام الرزق. ٦٤- ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: قيل: إن رسول الله ﷺ استبطأ جبريل عليه السلام، فقال له إذ نزل عليه: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فقال جبريل عليه السلام: «وما ننتزل إلا بأمر ربك». أخرجه البخاري.

وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢ وَهَبْنَاهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَخَرَّوْا سُجَّدًا وَقِيًّا ٥٨ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ٦٠ جَنَّتْ عَدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ٦٢ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٦٣ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ٦٤ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ يَدَيْكَ شَيْئًا ٦٥

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ يعني: الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفُنَا﴾: يعني: الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: يعني: الدنيا والآخرة. وقيل: ما بين النفتين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: ذا نسيان. [٦٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: الآية. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يوماً، فذكر نحوه، وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل: «أي البقاع أحب إلى الله، وأبغض إلى الله؟» فقال: ما أدري حتى أسأل، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: لقد أبطأت علي حتى ظننت أن ترى علي مودة، فقال ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس أن قريشاً لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، فلما نزل جبريل قال له: أبطأت، فذكره. [٥٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ...﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ...﴾ [مريم: ٥٩]. فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم أتباع سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دني المكاسب كالرشوة وغيرها.. فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية مريم: فأتى من بعد هؤلاء المنعم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها... [٦٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢ وَهَبْنَاهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾ [مريم: ٥٣]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ٣٥﴾ [الفرقان: ٣٥]. النبوة أعظم خصائص الأنبياء التي تساوا في تحمل أمانتها، وأفردوا عليهم الصلاة والسلام بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم، أما اسم الوزارة والوصف بها فليس مما يخصهم، ولا مما أفردوا به، فلم يكن وصف هارون عليه السلام هنا بها ليناسب هذا القصد العلي، ولا ليلائمه، وأما قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ٣٥﴾ فمرتب على سؤال موسى عليه السلام في سورة طه في قوله: ﴿وَجَعَلْنِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ٣١﴾ هَارُونَ أَخِي [طه: ٢٩-٣٠]، فأعطي عليه السلام مطلبه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ٣٥﴾، ورد هذا على الترتيب المتقرر في المصحف، ثم إن ما اتصل بهذه الآية وآية سورة مريم مما قبلهما وبعدهما يستدعي التناسب في مقاطع الآي وفواصلها، فلم يكن ورود الآيتين في السورتين على غير ما ورد ليناسب، فجاء ذلك على ما يجب.

= والمعنى: ولوحدانيته تعالى في الربوبية أطيعوه، وقيل: إن قوله (أن) بالفتح معطوف على الصلاة، أي: أوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم، أي: باعتقاد ذلك، وقيل: إن الفتح للعطف على سببانه فتكون (أن) في موضع نصب لأن سببانه في موضع نصب قاله الفراء. وأجاز الفراء أيضاً أن تكون (أن) في موضع رفع على الخبر، والمبتدأ مضمرة تقديره: "عنده" وذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ وتقدم جواز فتحها على إضمار اللام، أي: ولأن الله ربي فتكون (أن) في موضع نصب على حذف الخافض، أو في موضع خفض على إعمال الخافض لكثرة حذفه مع (أن). [٥١] ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قوله تعالى: ﴿مُخْلَصًا﴾ حيث جاء بـ"أل" وفي (المخلصين). قرئ: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام منهما اسم مفعول، ومعناه: الذين أخلصهم الله لعبادته وكرامته. وقرئ: ﴿مُخْلَصًا﴾ بالكسر اسم فاعل، ومعناه: الذين أخلصوا أنفسهم ودينهم لله. [٥٨] ﴿خَرَّوْا سُجَّدًا وَقِيًّا ٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَبِكَيْ﴾ وكذا ﴿جَنَّتْ﴾ و﴿صَلِيًّا﴾ و﴿عَيْنًا﴾ قرئت ﴿بِكَيْ﴾ جَنَّتْ صَلِيًّا عَيْنًا بالكسر على إتيان حركة الأول للشاني، وكلها على وزن فاعول غير أن منها ما لا مة ياء وهو (بكيًا) و(صليًا) أصله: بكويًا، وصلويًا، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون، فقلت الواو ياء وأدغمت في الياء، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء. ومنها: ما لا مة واو وهو: (جثيًا) و(عتيًا) وأصله: جثوا وعتوا، لأن الأول من: جثا يجثو، والثاني من: عتا يعتو، والأول: جمع جاث، والثاني: مصدر، وإذا وقعت الواو لا مة لفاعول جمعًا تقلت ياء وجوبًا، وإذا وقعت لا مة لفاعول مصدرًا جاز قلبها ياء حملاً على قلبها في الجمع فأبدلت لام جثوا وعتوا ياء، ثم قلبت الواو التي قبلها ياء كما قلبت بكياً وصلياً، ثم أدغمت في الياء وقلب الضمة كسرة للمناسبة. وهذه الكلمات الأربعة فيها جمان ومصدران فالجمع منها: بكياً، وجثيًا جمع باك وجاث؛ والمصدران: "صليًا، وعتيًا" وقد علمت أن منها ما هو واوي ومنها ما هو يائي. [٦٠] ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ٦٠﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ قرئ: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل. وقرئ: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء، وضم الخاء على البناء للفاعل، والواو فاعل. [٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ٦٣﴾ قوله تعالى: ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ٦٣﴾ =

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

٦٥، ٦٦ - هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾: مثلاً وشبهاً. ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: يعني: الكافر بالبعث ﴿أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا﴾: إنكاراً منه لذلك. ٦٨، ٦٩ - لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴿٦٨﴾: هؤلاء الجاحدون يحشرهم الله مع شياطينهم الذين أضلّوهم. ﴿جِثِيًّا﴾: جمع جاثٍ من قولهم: جثا على ركبتيه. ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾: لناخذن ﴿مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: الجماعة المتعاونون على الأمر ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾: معصية في الشرك. والعني ها هنا مصدر كالعتو، وهو التمرد في العصيان. ٧٠ - ﴿صِلِيًّا﴾: مصدر: صلي، فلان النار، يصلي صلياً: احترق فيها. ٧١ - ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: يعني: جهنم. واختلف في معنى الورود، فقيل: هو الدخول. وقيل: هو المرور في الصراط عليها. وقيل: عنى بقوله عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: الكفار دون المؤمنين ﴿حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: قسماً واجباً، قيل: قضاء مقضياً. ٧٢ - ﴿جِثِيًّا﴾: بروكاً على ركبهم. ٧٣ - ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أصحاب محمد ﷺ ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: منا ومنكم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾: أفضل مسكناً وأوسع عيشاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أحسن مجلساً، وأجمع عدداً! والندى: المجلس والجمتمع الذي كانوا يجتمعون فيه. والآية عامة في جمع الكفار وجماعة المؤمنين. ٧٤ - ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة، ﴿أَحْسَنُ أَثْنًا﴾: متاعاً ﴿وَرَدًّا﴾: منظراً. ٧٥ - ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: فلْيملأ له فيها إملاء ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾: بإزاء قولهم: (خيرٌ مقاماً) (وأضعفُ جنداً) بإزاء قولهم: (أحسنُ ندياً): مسكناً. ٧٦ - ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾: الذين آمنوا ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحُ﴾: كل عمل صالح يرفع الله به درجة عامله. قد ذكرنا ما جاء فيها في (سورة الكهف الآية ٤٦). ﴿ثَوَابًا﴾: جزاء ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾: عليهم، أي مرجعاً وعاقبة، من مقامات هؤلاء المشركين بالله عز وجل وأنديتهم التي يفخرون بها. ٧٣ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ﴾ [الأحقاف: ٧]. وإذا تلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أي الفريقين منا ومنكم أفضل منزلاً وأحسن مجلساً؟ فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الأحقاف: وإذا تلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. ٧٤، ٩٨ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٤]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحْشِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ...﴾ [ق: ٣٦]. وكثيراً أهلكنا قبل كفار قومك أيها الرسول من الأمم كانوا أحسن متاعاً منهم وأجمل منظراً، فهذا ما دلت عليه آية مريم الأولى، أمّا الثانية: وكثيراً أهلكنا أيها الرسول من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحداً وما تسمع لهم صوتاً، فكذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكنا السابقين من قبلهم. وفي هذا تهديد ووعيد بإهلاك المكذبين المعاندين، أمّا آية قاف: وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أمماً كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة، فطوفوا في البلاد وعمّروا ودمّروا فيها، هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟ ٧٥ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٤]. قل أيها الرسول لهم: من كان ضالاً عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى يقيناً ما توعدّه الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم حينئذ من هو شر مكاناً ومستقراً، وأضعف قوة وجنداً، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الجن: حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصراً ومعيناً وأقل جنداً؟ ٧٦ ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]. لو تدبرنا الآية السابقة في سورة الكهف لوجدنا أن المال والبنين مما يحرك في النفوس بواعث الأمل في الحياة، كما قال تعالى في صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يَبْدُ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]، ثم قال: ﴿وَلَمَّا رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّهِ لِأَجْدَنَ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، فجاءت ﴿أَمَلًا﴾ لمناسبة معنى الآية، والإقرار أن الباقيات الصالحات هي ما يؤمل به عند الله تعالى، وليس المال والبنون، أمّا ﴿مَرَدًّا﴾ فلأن السياق القرآني قبل هذه الآية يتحدث عن القيامة ومشاهدتها... قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ [مريم: ٦٩]، ثم قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، ثم قال: ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، إذا فالآيات تتكلم عن مردّ الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، فجاءت الآية بلفظ ﴿مَرَدًّا﴾ لمناسبة سياق الآيات.

٦٥ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ﴾ [مريم: ٦٥]. ما الفرق بين: "اصبروا وصابروا واصطبروا؟" (الجواب: وردت كلمة (اصبروا) ست مرات في القرآن الكريم. ووردت كلمة (صابروا) مرة واحدة فقط. ووردت كلمة: (اصطبر) ثلاث مرات. فها حكمة التنوع بين الصغ الثلاث؟ (الجواب: أن الصبر: هو الدرجة الطبيعية في التحمل. أما المصابرة: فهي درجة أعلى من التحمل تأتي بعد الترويض والمجاهدة. قال أبو السعود: المصابرة درجة أعلى من الصبر يبلغ بها المؤمنون في رياضة النفس ما لا يبلغه غيرهم من الناس. فمن الطبيعي إذا أن تأتي صيغة (اصبروا) ثم بعدها (صابروا) = (نورث) بالتشديد على أنه مضارع من ورث متعد للثاني بالتضعيف. وقرئ: (نورث) بالتخفيف على أنه مضارع من أورث متعد بالهمزة، ويقال: ورث المال متعد لواحد، ويتعدى للثانيين بالهمزة أو بالتضعيف، والمفعول الأول: الموصول وهو (من) والثاني محذوف وهو عائد الصلة، أي: نورثها المتقين.

٦٧ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ﴾ قرئ: (يذكر) بالتخفيف على أنه من الذكر الذي يكون عقب النسيان والغفلة. وقرئ: (يذكر) بالتشديد على أنه من التذكر الذي هو مبنى التدبر، فأصله يتذكر أدغمت التاء في الذال لأنه أبلغ في التدبر والاعتبار. ٧٣ ﴿مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿مَقَامًا﴾ قرئ: (مقاماً) بضم الميم على أنه مصدر ميمي أو اسم مكان من قام الثلاثي، أي: خير قيام أو مكان قيام فيه. وقرئ: (مقاماً) بفتح الميم، والمقام بالفتح مثل القيام. ٧٤ ﴿أَثْنًا وَرَدًّا﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَدًّا﴾ فيها تحقيق على الأصل والإبدال مع الإظهار رعاية لأن أول المثليين أصله الهمزة، والإدغام رعاية لاجتماع المثليين، وعدم الاعتداد بالأصل، وتقدم في الأصول، فوجه من حقق أنه يحتمل أن يكون من (ري الشارب) فلا أصل له في الهمز، أي: أحسن أثناً =

٧٧- ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾: نزلت في العاص بن وائل أبي عمرو بن العاص رضي الله عنه، وذلك أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبونه بدين، فأتوه يتقاضونه فقال: ألستم ترعمون أن في الجنة فضة وذهباً وحريراً ومن كل الثمرات؟ قالوا بلى. قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله، ﴿لَا وَتَيْتَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾: ولا وتين مثل كتابكم الذي جئتم به: فضرب الله مثله في القرآن. ٧٨- ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾: أعلم الغيب؟ ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: يقول: أم آمن بالله عز وجل، وعمل بما أمره فاتخذ بذلك عنده عهداً؟ ٧٩- ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: نزيده من العذاب في جهنم بكذبه. ٨٠- ﴿وَرِثَهُ مَا يَقُولُ﴾: يقول عز وجل: يهلك هذا القائل، ويصير لنا ماله وولده دونه، وقيل: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة، ونعطيه من يستحقه، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: لا مال له ولا ولد. ٨١- ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾: يمنعونهم من عذاب الله عز وجل. ٨٢- ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾: تكفر الآلهة بعبادة هؤلاء المشركين إياها يوم القيامة، ﴿ضِدًّا﴾: عوناً عليهم، وقيل: قرناء في النار يلعن بعضهم بعضاً. ٨٣- ﴿تُؤْزِرُهُمْ﴾: تُحرِّكُهُم بِالْإِغْوَاءِ وَالضَّلَالِ. وقيل: تُغريهم إغراء. ٨٤- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطلب العقاب، والهلاك، أي: لا تستبطن عذابهم، وتحب تعجيله ﴿إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا﴾: نُؤْخِرُهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا، ونعدُّ أعمالهم ونحصىها. ٨٥، ٨٦- ﴿وَفَدًّا﴾: رُكْبَانًا: ﴿وَرَدًّا﴾: عطاشاً. ٨٧- ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾: يعني: الكافرين حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله عز وجل ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: بالإيمان، وتصديق رسوله. ٨٩، ٩٠- ﴿شَيْئًا إِذَا﴾: عظيماً مُنْكَرًا. ﴿يَنْفُطِرْنَ مِنْهُ﴾: الانفطار: الانشقاق ﴿هَذَا﴾: سقوطاً وهدماً. ٩٥- ﴿فَرْدًا﴾: لا ناصر له من الله عز وجل، ولا دافع عنه. [٧٧] قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: جث العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَا وَتَيْتَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أطلع الغيب أم أخذ عند الرحمن عهداً ﴿٧٨﴾ سَنَكُتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَرِثَهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزِرُهُمْ إِذَا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

(٣١١)

لا أعطيتك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت وحتى تبعث، قال: فإني لميت ثم لمبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك ما لا وولداً فأقضيك، فنزلت.

[٩٠] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ إِسْجُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٥]. تكاد السماوات يتشققن من فضاة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطاً شديداً غضباً لله لينسيتهم له الولد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الشورى: تكاد السماوات يتشققن، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويتزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم. = وليس العكس. أمّا (اصطبر) فهي على وزن (افتعل) من صبر: أي فعل. وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى. فالاصطبار هو درجة أعلى من الصبر. والفرق بين الاصطبار والمصابرة أن الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصبر في وفي صيغتها معاني التحمل، واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر مما تحمله الثانية في وزنها وصيغتها، فالافتعال فيه معنى الشدة، والمفاعلة فيها معنى المطاوعة والتسابع والاستمرار. [٧١] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. كيف التوفيق بين آية مريم والأنبياء؟ **الجواب:** أن ورود المؤمنين هو الجواز على الصراط، لا الاقتراب من النار ولا سماع حسيسها، أما الكفار والعصاة فسيدخلونها. أو أن الخطاب لمن تقدم ذكرهم في الآيات ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا...﴾ [مريم: ٦٨-٧٠]. [٧٩] ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، ﴿وَأَنفِقُوا الَّذِي آمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]. ما الفرق بين: "مدّ وأمدّ"؟ **الجواب:** قصر القرآن الكريم دلالة (أمدّ) على (الخير) دائماً، بينما وردت كلمة (مدّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشر، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحسوب أو الخير. أما كلمة (أمدّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. [٨١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ إِلَهَهُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]. ما الفرق بين: "عِزّة، عِزّاً"؟ **الجواب:** وردت كلمة (عِزّة) إحدى عشرة مرة. بينما وردت كلمة (عِزّاً) مرة واحدة في القرآن الكريم. كلمة (عِزّة) هي المصدر الأصلي. عِزٌّ عِزّاً وعِزّة وعِزّاة. لذا جاءت كلمة (عِزّة) بكثرة (لأنها المصدر الأصلي المعروف) ولم تأت كلمة (عِزّاً) إلا مرة واحدة، وكأنها تشير إلى هؤلاء القوم الذين اتخذوا من دون الله آلهة، وتصفهم بأنهم غرباء غريبة هذه الصيغة الفريدة في القرآن (عِزّاً) التي تعدّ استثناء للصيغة الأصلية (عِزّة)، كما يعدّ هؤلاء استثناء لكل المبادئ القرآنية والقيم الأخلاقية والفطر السوية. ثم إن كلمة (عِزّاً) جاءت فاصلة (خُتِمَتْ بِهَا الْآيَةُ)، وناسبت الفواصل التي أتت حولها وانسقت معها سياقياً وموسيقياً (ولداً، عهداً، عدّاً، فرداً، عزّاً، ضدّاً، أزّاً، عدّاً، وفدّاً). [٩٦] ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿تَلْقَوْنَ فِيهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ١]. ما الفرق بين: = وأحسن شرباً، ويحتمل أن تكون من الرواء وهو ما يظهر من الزي في اللباس وغيره فيكون أصله الهمز، ولكن خُففت بالإبدال ياء، وأدغمت في الياء بعدها، وفيه قبح لتغيير الياء مرة بعد مرة، ولأن لفظ الياء الأولى عارض والهمزة منوية، وهي لا تدغم في الباء، فكذا لا يدغم ما عوض منها، ووجه من همز: جعله من الرواء، وهي الزينة فأتى به على أصله. [٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَا وَتَيْتَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿مَا لَا وَوَلَدًا﴾ قرئ: (وولداً) بفتح الواو واللام. وقرئ: (وولداً) بضم الواو وإسكان اللام، وهما لغتان بمعنى واحد، وقيل: الولد بالضم جمع ولد كالأسد جمع أسد، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا...﴾ (أن دعوا للرحمن ولداً) ... ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ هنا، وفي "الزخرف: ٨١" ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ وفي "نوح: ٢١" ﴿مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ﴾ حكم الجميع واحد. [٩٠] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ هنا وفي "الشورى: ٥" قرئاً: (تكاد-يكاد) بتأنيث الفعل وتذكيره؛ لأن الفاعل مؤنث مجازي يجوز تأنيثه نظراً لـ "اللفظ" وتذكيره نظراً للحقيقة. قوله تعالى: ﴿يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾ هنا، وكذا ﴿يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ في سورة "الشورى: ٥" قرئاً: (يَنْفَطِرْنَ) بناء مفتوحة بعد الياء وطاء مشددة مفتوحة على أنه مضارع "نظر" بمعنى: تشقق، مطاوع فطره بالتشديد، إذا شققة مرة بعد مرة، وذلك ليدل على التكثير الذي هو أليق بهذا المعنى؛ لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوه: من أن لله ولداً. وقرئ: (يَنْفَطِرْنَ) بالنون الساكنة بعد الياء وطاء مكسورة خفيفة على أنها مضارع "انفطر"، بمعنى انشق مطاوع فطره بالتخفيف إذا شقه.



٩٦- ﴿وَدَّ﴾: محبة في قلوب عباده في الدنيا. وقيل: إنه تعالى يؤنس المؤمنين في الآخرة بما يظله عليهم من نعمه وأمارات غفرانه. ٩٧- ﴿لَدَا﴾: ذوي جدل وشدة خصومة، يعني عز وجل قريشاً. ٩٨- ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة وجماعة من الناس ﴿رَكَزًا﴾: صوتاً. وقيل: الركن: ما لا يفهم من صوت أو حركة.

سُورَةُ طه

١- اختلف في ﴿طه﴾: ومعناه كاختلافهم فيما تقدم من سائر السور «الم»، «المر»، «الر» وغيرها. وقيل: إن (طه) اسم من أسماء محمد ﷺ. ٢- ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾: ما أنزلنا القرآن عليك لشكلك ما لا طاقة لك به من العمل. وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقي من النصب والعناء والسهر في قيام الليل. وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَذَبَتْ بَعْضُ نَجَسِكَ﴾، والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن لا يؤمنوا. ٤- ﴿تَنْزِيلًا﴾: يعني: نزلنا القرآن ﴿الْعَلَى﴾: جمع علياً. ٧- ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ما أسره الإنسان في نفسه ﴿وَأَخْفَى﴾: ما لا يعلم الإنسان عما هو كائن. وقيل السر: ما حدث به الإنسان غيره وأسرّه إليه. والأخفى: ما حدث به الإنسان نفسه وخطر بباله. ١٠- ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾: لما سار موسى بأهله ضل الطريق، وكان في الشتاء، ورفعت لهم أنوار، فلما رآها ظن أنها نار، وكانت من نور الله عز وجل ﴿ءَانَسْتُ﴾: وجدت ﴿بِقَبَسٍ﴾: «القبس»: النار في طرف العود، أو القصة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: من يدل على الطريق. ١١- ﴿فَلَمَّا أَنْنَهَا﴾: يعني: النار؛ فإذا هي شجرة من العليق. ١٢- ﴿فَخَلَعَ نَعْلَيْكَ﴾: قيل: أمره الله عز وجل بذلك، لأنه أبلغ في التواضع، وقيل: أمر بذلك ليأشركه بقدومه بركة الأرض المقدسة ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: المطهر المبارك. ﴿طُوًى﴾: قيل: هو اسم الوادي. وقيل: هو مصدر أخرج من غير لفظه كأنه قال: طويت الوادي طوى، وذلك أنه مر بالوادي ليلاً فطواه.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شبيهة وعتبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال: محبة في قلوب المؤمنين. [١١] أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل الله عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وأخرج عبد الله بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم: ٩٧]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]. فإنما يسرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الدخان: فإنما سهلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلمهم يتعظون وينزجرون. [٩-١٠] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَانِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ٩-١٠]، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَتَانِيكُمْ مِنْهَا نَارٌ كَذُوبٌ﴾ [النمل: ٧]، ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَكَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَانِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [القصص: ٢٩]. هذه الآيات تشتمل على ذكر رؤية موسى النار، وأمره أهله بالمكث، وإخباره إياهم أنه آنس ناراً، وإطعامهم أن يأتيهم بنار يصطلون بها، أو خبر يهتدون به إلى الطريق التي ضلوا عنها، لكنّه نقص في النمل ذكر رؤية النار، وأمرهم بالمكث؛ اكتفاء بما تقدّم، وزاد في القصص قضاء موسى الأجل المضروب، وسيره بأهله إلى مصر؛ لأنّ الشئ قد يُجمل ثم يفصل، وقد يفصل ثم يجمل، وفي طه فصل، وأجل في النمل، ثم فصل في القصص، وبالحق فيه، وقوله في طه: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أي: من يخبرني بالطريق فيهديني إليها، وإنما أخر ذكر الخبر فيها وقدمه فيها مراعاة لفواصل الآي في السور جميعاً، وكرّر ﴿لَّعَلِّي﴾ في القصص لفظاً، وفيه معنى؛ لأنّ ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ نائب عن ﴿لَّعَلِّي﴾ و﴿سَتَانِيكُمْ﴾ يتضمّن معنى ﴿لَّعَلِّي﴾، وفي القصص ﴿أَوْ كَذُوبٌ مِنْ نَارٍ﴾ وفي النمل ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ وفي طه ﴿بِقَبَسٍ﴾؛ لأنّ الجذوة من النار خشبة في رأسها قبس به شهاب، فهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد.

= "مَوْدَّةٌ، وَدٌّ؟" الجواب: وردت كلمة (مودة) ثمان مرات، بينما وردت كلمة (وَدًّا) مرة واحدة. في المرة التي وردت فيها كلمة (وَدًّا) كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. بينما في الثماني المرات التي وردت فيها كلمة (مودة) كان الفاعل البشر. (الودّ) يكون منبعثاً من طرف إلى آخر، سواء أشركه الطرف الآخر أم لا. بينما (المودة) تكون متبادلة بين الطرفين. جاءت كلمة (وَدًّا) مناسبة للسياق الذي وردت فيه، وقد خُتمت بها الآية (أي جاءت الكلمة كفاصلة للآية). ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ وهي في هذا الموضع أنسب من كلمة (مودة) حيث إنها وقعت (أي كلمة وَدًّا) بين فواصل متناسقة (عدداً، فرداً، وداً، لداً). بينما جاءت كلمة مودة في وسط السياق، كما أنها تخلو من المدّ، لذا فلا يسوّغ أن تأتي كفاصلة مثل كلمة (وَدًّا).

[٩٧] ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَتُبَشِّرَ﴾ قرئ: (لَتُبَشِّرَ) بفتح التاء وفتح الباء وضم الشين مع تخفيفها، من «البشر» وهو البشارة. وقرئ: (لَتُبَشِّرَ) بضم التاء وفتح الباء وكسر الشين مع تشديدها، والقراءتان لغتان بمعنى واحد.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ قوله تعالى: ﴿لِأَهْلِهِ﴾ قرئ: (لِأَهْلِهِ) بكسر هاء الضمير لوقوعها بعد كسر، وقرئ: (لِأَهْلِهِ) بضمها على الأصل في هاء الضمير، إذ الأصل في هاء الضمير الضم، وحسن ذلك هنا لمناسبة ضم الكاف التي بعدها، كذا موضع "القصص: ٢٩".

[٤] ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في القرآن. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في القرآن. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في القرآن. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في القرآن. [٢٧] ﴿وَأَحَلَّلَ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانٍ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان) بمشتقاته في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة) بمشتقاته (٢٥) مرة = نزول سورة طه: نزلت بعد سورة مريم، وهي مكّية إجماعاً. عدد كلمات سورة طه: ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون. عدد حروف سورة طه: خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً. أسماء سورة طه: وللسورة اسمان: طه لافتتاح السورة، وسورة موسى؛ لاشتغالها على قصّته مفصلة. مواضع سورة طه: مقصود السورة =

١٣- ﴿اخْتَرْتِكَ﴾: اجتبتك لرسالتك. ١٤- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾: تصليها حين تذكرها. وقيل: إذا صلى عبد ذكر ربه. ١٥- ﴿أَخْفِيهَا﴾: قيل معناه: أكاد أخفيها حتى لا تظهر البتة تعبيراً عن شدة خفاء وقت قيامها، ولكن لا بد من ظهورها ﴿تَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى﴾: لثاب بما تعمل من خير وشر. ١٦- ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾: لا يردُّك عن التأهب لها، والإيمان بها ﴿فَتَرَدِّي﴾: فتهلك إن أنت انصددت. ١٧- ﴿وَمَا تِلْكَ بِبِعْمِكَ يَمُوسَى﴾: سأله عز وجل - وهو بها أعلم - ليقرره أنها خشبة فيريه فيها ما أراه! ١٨- ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾: أضرب بها الشجر فيسقط ورقها فترعاه غنمي. ﴿مَتَّارِبُ﴾: حاجات ومنافع. وهي جمع ماربة. وقيل: «أخرى» ولم يقل «آخر» كما قيل: «له الأسماء الحسنی». ٢١- ﴿حَذَّاهَا وَلَا تَخَفْ﴾: من هذه الحية. ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾: عصا كهيتها الأولى. ٢٢- ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾: ضعها تحت عضدك. وقيل: «الجناحان» هما: اليدان. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: من غير عيب، قيل: كنى به عن البرص. ٢٣- ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾: من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا. وقال «الكبرى» فوحد على معنى التقديم؛ كأن معناه: لنريك الكبرى من آياتنا. وقيل: على مثل قوله عز وجل: «له الأسماء الحسنی». ٢٤- ﴿طَغَى﴾: تجاوز قدره وتمرد على ربه. ٢٥- ﴿رَبِّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي﴾: لأعي عنك وحيك. ٢٦- ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾: وسهل لي القيام بما تكلفني من الرسالة. ٢٧- ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾: قيل: عُجْمَة، للجمرة التي أدخلها في فيه حين اختبره بها فرعون إذ أخذ بلحيته. ٢٩- ﴿وَزَيْرًا﴾: عوناً ﴿مِنْ أَهْلِي﴾: من أهل بيتي. ٣١- ﴿أَشْدُّ بِهِ أَمْرِي﴾: معناه: قوَّ به ظهري. يقال منه: أزر فلان فلاناً، إذا أعانه وشد ظهره. ٣٢- ﴿وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي﴾: اجعله نبياً كما جعلتني، وأرسله معي إلى فرعون. ٣٣- ﴿كَيْ سَمِعَكَ كَثِيرًا﴾: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيراً. ٣٦، ٣٧- ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾: قد أعطيت ما سألت. ﴿مَنَّا﴾: تطولنا، من الطول والإنعام والإحسان، قبل هذه المرة، وذلك حين أوحينا إلى أمك إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر ولد من قومك. ١٥﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ﴾ [طه: ١٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ﴾ [الحجر: ٨٥، غافر: ٥٩]. اللام التي تقع في خبر إن أو اسمها، إذا حلت محل الخبر تؤكد الكلام، والعرب تحرص على التوكيد في موضعه، وتركه في غير موضعه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٥-٨٦]، وقال في سورة المؤمن: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، فهذان من مواضع التوكيد وتحقيق الخبر، أن الساعة حق، وأنها آية لا ريب فيها، والخطاب لقوم كفار ينكرونها، والتي في سورة طه خطاب لموسى عليه السلام، وهي ضمن كلام الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢]، وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ [طه: ١٤-١٥]، ولم يكن موسى عليه السلام ممن ينكر ذلك فيؤكد الكلام عليه توكيده على منكريه والجاحدين له. وقد ذكر البلاغيون أن الخبر يأتي مؤكداً، ويأتي خالياً من التأكيد حسب ما يقتضيه الحال، فإذا كان المخاطب خالي الذهن ألقى عليه الكلام بدون تأكيد، أما إذا كان شاكاً في الخبر فإنه يحسن أن تؤكد له الخبر حتى يزول ما في نفسه من شك، وأما إذا كان منكراً فيجب أن تؤكد له الخبر على قدر درجة إنكاره. ٢٢﴾ ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سِتْرٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ...﴾ [النمل: ١٢]، ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ...﴾ [القصص: ٣٢]. واضمم يدك إلى جنبك تحت العُصْد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص؛ لتكون لك علامة أخرى، فهذا ما دلت عليه آية طه، أمّا آية النمل: وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن أمر الله كافرين به، وآية القصص: أدخل يدك في فتحة قميصك وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص، واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أريتكما يا موسى: من تحوّل العصا حية، وجعل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه، إن فرعون وملاه كانوا قومًا كافرين. ٢٤﴾ ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي طه والنازعات، ومعناها: اذهب يا موسى إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته. ٢٤﴾ ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠-١١]، ﴿فَلَا تِلْكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [القصص: ٣٢]. اقتصر في طه على فرعون، لأنّه الأصل بالنسبة إلى قومه، مع سبق طه، واكتفى في الشعراء بذكره في الإضافة عن ذكره مفرداً، وجمع بينهما في القصص ليوافق قوله: ﴿فَلَا تِلْكَ بُرْهَانَانِ﴾ في التعداد. ١٢﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قوله تعالى: ﴿إِنِّي﴾ (بكسر همزة (إني) على تقدير القول، أو إجراء النداء مجرى القول، فعلى الأول: نودي يا موسى، فقيل: ﴿إِنِّي﴾ وعلى الثاني: يكون نودي بمعنى: قيل فيأخذ حكمه، وهو مذهب كوفي. وقرئ: ﴿أني﴾ بفتح الهمزة على تقدير حرف الجر، أي: نودي بأنّي أنا ربك، والجار والمجرور متعلق بنودي وهو يتعدى بالباء في بعض الأحيان كما تقول: ناديته باسمه، والأولى: أن يكون الفتح على تقدير: أن قوله: إني أنا، سدّت مسد مفعولي أعلم مقدراً وتقدير الكلام: يا موسى أعلم أنّي أنا ربك. قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ (طوى) بالتنوين، ووجه من نون جعله اسماً للوادي فصرفه، وقرئ: ﴿طوى﴾ (طوى) بترك التنوين ووجه من لم ينون: أنه جعله اسماً للبقعة أو للأرض فيكون قد سمّي مؤنثاً بمذكر؛ فلا ينصرف لانتقاله من الخفة إلى الثقل والتعريف، وقيل: ممنوع من الصرف للعلمية والعدل فهو معدول عن طوى كعمر عن عامر، ولأن بعض رؤوس الآي غير منونة فيجب أن تتبع رؤوس الآي بعضها بعضاً على مثال واحدة. ١٣﴾ ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ قوله تعالى: = وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكل ورد (٢٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّعَ هَوَاهُ فَتَرَدِّي ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِبِعْمِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَتَّارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفُوهَا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي زَيْرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشْدُّ بِهِ أَمْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ سَمِعَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾

٥٢- ﴿فِي كِتَابٍ﴾: يعني: في أم الكتاب لا علم لي بها، وما كان سبب ضلال من ضل منهم ﴿لَا يَصُلُّ رَبِّي﴾: لا يخطئ ربي في تدبيره. ٥٣- ﴿مَهْدًا﴾: هو مثل الفراش، قرأ الكوفيون: (مهذا)، وقرأ الباقون (مهذا) ﴿وَسَلَكَ﴾: نهج ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾: ألواناً ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾: مختلفة الطعوم والأرايح والمنظر. ٥٤- ﴿أَنعَمَكُمْ﴾: بهائمكم ﴿لَا يَنْتَبِهُنَّ﴾: لدلالات ﴿لَأُولَىٰ﴾: انتهى ﴿أهل العقول. ٥٥- ﴿مِنْهَا﴾: يعني من الأرض ﴿تَارَةً﴾: مرة. ٥٦- ﴿أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: أي أرينا فرعون وعرفناه. والآيات: هي الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَشِيعَ آيَاتِنَا بِبَيِّنَاتٍ﴾ - راجع ص ٢٩٣- أي أراه موسى كل ما جاء به من آيات، وأضاف الآيات إلى ضمير العظمة تشريفاً لها. ﴿فَكَذَّبَ وَإِنِّي﴾: كذب فرعون موسى، وأبى أن يجيبه إلى الإيمان. ٥٨- ﴿مَكَانًا سُوًى﴾: أي مكاناً منصفاً عدلاً بيننا وبينك. ٥٩- ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾: يوم عيد كان لهم ولعلمهم كانوا يتزينون فيه. ﴿وَأَن يُحْشِرَ النَّاسَ﴾: أن يساق الناس من كل ناحية. ٦٠- ﴿كَيْدَهُ﴾: جمع ما يكيد به من مكره وسحرته. ٦١، ٦٢- ﴿فَيَسْجَنُكُمْ﴾: يستأصلكم ويهلككم، وفيه لغتان: سحت وأسحت. ﴿فَنَنْزِعُوهُ﴾: تراءوا؛ أي رد السحرة بعضهم على بعض وتناظروا ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾: قال السحرة بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحراً فإننا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر. وقيل: لما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿لَا تَقْرَؤُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: الآية.. قالوا: ما هذا بقول ساحر. واختلف في ذلك، «النجوى»: المناجاة. ٦٣- ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾: «المثلى»: تأنيث الأمثل، والطريق: السنة. والمراد: أهل طريقتهم، أي إنهما إن غلبا مال إليهما السادة والأشراف منكم. ٦٤- ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾: معناه: وجها وأحكموا كيدكم ﴿صَفًّا﴾: صفوفاً ﴿مِنْ أَسْتَعْلَى﴾: فلع وغلب على صاحبه اليوم. ٥٣ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف: ١٠]. آية طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى

قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا يَنْتَبِهُنَّ لِأُولَى النَّهْيِ ﴿٥٤﴾ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ آَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ لَيْنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشِرَ النَّاسَ صُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجَنُكُمْ بِغَدَابٍ وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرِي ﴿٦١﴾ فَنَنْزِعُوهُ مِنْ أَرْضِهِمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرُ بَرِيدَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

(٣١٥)

الله عز وجل على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤]، فلما بني الكلام على هذا وأعقب بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، -ولا إشكال في أن هذا من التلطف والرفق في الدعاء- ناسب ذلك العبارة بـ"سلك" عما أنهج تعالى من السبل والطرق لمرافق العباد ومصلحهم، وهي منبئة عما تعطيه "جعل" في الآية الأخرى من زيادة الوضوح وكمال التهيئة، فهي أنسب لما قصد في هذه السورة، تقول: منهج سالك أي واضح، ولو قلت مجعول لم يعط هذا المعنى من الوضوح، أمّا آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقرعهم، ألا ترى قوله سبحانه: ﴿أَفَضَرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]، وقوله تعالى إخباراً عن مكذبي الأمم: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف: ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [الزخرف: ٨]، أي: من هؤلاء الذين كذبوك يا محمد، فهذا كله توبيخ للجاحدين والمعاندين، وتأمل ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، والتعقل لا يستلزم الاهتداء والإيمان، وقد اكتنف لفظ "جعل" في الزخرف قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقوله بعدها: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢]، فناسب هذا ذكر "الجعل"، ولم يناسب هنا هذه المناسبة لفظ "سلك"، والله أعلم. = والناس كثرة. أما المصدر الميمي فيناسب القلة والندرة، فاستعمل مع الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد. وإذا كان الحب حاصلًا من البشر جاء القرآن بكلمة (حب)، وإذا كان إلقاء من الله -تعالى- كان بكلمة (محبة). فجاءت كل كلمة متسقة ومنسجمة مع موسيقى السياق في كل المواضع التي وردت فيها. مثال قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّتُ أَمْالًا حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. فكل كلمة (حُبًّا) منسجمة مع كلمة (جَمًّا) فكل منهما ثلاثي الأحرف منون الآخر، ومشدد الوسط. مثال آخر مع كلمة (محبة): في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]. ولا يتسق أبدًا ورود كلمة (حُبًّا) بدل كلمة (محبة) هنا. ٥٣ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣]. لماذا التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع في هذه الآية؟ **الجواب:** التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع يسمى التفاتًا، ويستعمل لتطرية نشاط السامع، وقد ورد في القرآن كثيرًا، يلتفت من الغائب إلى الحاضر، ومن الجمع إلى الأفراد، ومن الغائب إلى المتكلم.

= في الدعاء، والمعنى: أن موسى سأل ربه أن يشد أزره بأخيه، وأن يشركه معه في النبوة. والأول: أمر من شدّ، والأمر من الثلاثي المضموم العين في المضارع يبدأ بهمزة وصل مضمومة لضم ثالثه، والثاني: أمر من أشرك، والأمر مما كان على هذا الوزن مبدوء بهمزة قطع مفتوحة كأكرم من أكرم. وقرئ: (أشدد-وأشركه) في الأول: بهمزة قطع مفتوحة، والثاني: بضم الهمزة على أنهما مضارعان مجزومان في جواب الدعاء، والأول: مضارع من شدّ، والمضارع من غير الرباعي يفتح أوله، وفك الإدغام للجزم، والثاني: مضارع من أشرك ومضارع الرباعي يضم أوله. [٣٩] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ قرئ: (ولتصنع) بكسر اللام ونصب آخره على أنها "لام كي" والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، والواو عاطفة على مقدر تقديره: "لتربي بعنايتي ولتصنع على عيني". وقرئ: (ولتصنع) بسكون اللام وجزم الفعل بعدها على أنها "لام الأمر"، والفعل مجزوم بها، ويلزم إدغام العين فيما بعدها لسكون أول المثليين. [٥٣] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قوله تعالى: ﴿مَهْدًا﴾ قرئ: (مهذا) بكسر الميم وفتح الهاء وبعدها ألف على أنها اسم لما يمهد، كالفراش لما يفرش، وقيل: المهاد جمع كعب. وقرئ: (مهذا) بفتح الميم وسكون الهاء وحذف الألف لغة في المهاد، يقال: مهد ومهاد لما يمهد، وقيل: المهد مصدر مهد يراد به اسم المفعول هنا بمعنى ممهودة، أو بتقدير المضاف، أي: ذات مهد، وكذا موضع "الزخرف". [٥٨] ﴿مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ قوله تعالى: ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ قرئ: (لا نخلفه) برفع الفعل على أنه مستأنف، أو في موضع نصب صفة لـ "موعد". وقرئ: (لا نخلفه) بسكون الفاء على أنه مضارع مجزوم في = وتعجيل موسى، والمجيء إلى الطور، ومكر السامري في صنعة العجل، وإضلال القوم، وانفعال موسى على هارون بسبب ضلالتهم، وحديث القيامة، وحال الكفار في عقوبتهم، ونسف الجبال، وانقياد المتكبرين في ربة طاعة الله الحي القيوم، وآداب قراءة القرآن. وسؤال زيادة العلم والبيان، وتعيير آدم بسبب النسيان، =

٦٦- ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾: أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر إذا ألغوا هم ما معهم، ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك، وإظهاراً لعدم المبالاة بسحرهم. ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ﴾: يتخيل على غير حقيقته.

٦٧- ﴿فَأَوْحَسَ﴾: أحس. ٦٩- ﴿تَلَقَّفَ﴾: تبتلع. ٧١- ﴿بَلْ لَكَيْزٌ كَذِبٌ﴾: أي إن موسى أسحركم، أو معلمكم وأستاذكم. وقد أراد فرعون بهذا أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لا صلة بينهم وبين موسى! ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾: مخالفاً بين ذلك، وذلك أن يقطع معنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين. ﴿فِي جُدُوعٍ﴾: أي: عليها ﴿أَيُّهَا﴾: أنا أو موسى. ٧٢- ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: فتبتلعك، ونكذب من أجلك موسى. ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: بمعنى: ولن نختارك أيضاً، على الذي فطرنا. وقيل: هو قسم، أي: والله الذي فطرنا لن نؤثرَكَ، وفطرنا: خلقنا. ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: اعمل ما بدا لك ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: إنما تقدر أن تُعذبنا في هذه الحياة الدنيا. ٧٣- ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾: جزاء منك لمن أطاعه ﴿وَأَنْتَ﴾: عذاباً لمن عصاه. وهذا جواب قوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَنْتَ﴾. ٧٤- ﴿مُجْرِمًا﴾: مكتسباً الجرم به، أي متلبساً بالكفر والمعاصي، ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾: فتستقر نفسه في مقرها، وقيل: ولا يحيا حياة ليس فيها ألم. ٧٥- ﴿الَّذِي رَحَّتْ أَلْقَى﴾: درجات الجنة. ٧٦- ﴿مَنْ تَرَكَنِي﴾: تطهر من أدناس الذنوب.

[٦٦-٦٥] ﴿قَالُوا يَمْيُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا ﴿١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦-١١٥]، ﴿قَالُوا يَمْيُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿١١٦﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿١١٧﴾ [طه: ٦٥-٦٦]. كل آية من الآيتين جرت وفق فواصل تلك السورة ورؤوس آياتها، ففي الأعراف: "الغالبين، الملقيين، عظيم، يؤفكون"، وفي طه: "النجوى، المثل، ألقى، تسعى". [٦٦-٦٥] ﴿قَالُوا يَمْيُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿١١٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿١١٦﴾ [طه: ٦٥-٦٦]. أخبر الله تعالى عن سحرة فرعون وقولهم: ﴿قَالُوا يَمْيُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿١١٦﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿١١٧﴾ [طه: ٦٥-٦٦]. فكيف أمرهم موسى عليه السلام بإلقاء

سحّره مع أن السحر محرم، وهو كبيرة من الكبائر؟ **الجواب:** أنه لما كان إلقاؤهم سبباً لظهور معجزته، وصدق دعوى نبوته صار حسناً بهذا الاعتبار، وخرج عن كونه قبيحاً، مع ملاحظة أنه ما أمرهم بالسحر على الإطلاق في كل الأحوال، بل في موقف ما لإظهار معجزته، وإبراز نبوته، وإعلامهم بصدق رسالته عليه السلام.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِي رَبَّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه : ٧٠] الوحيدة في القرآن، وباقى المواضع ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِي رَبَّ الْعَلَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف : ١٢١-١٢٢، الشعراء : ٤٧-٤٨]. أخر موسى عن هارون عليهما السلام في سورة طه مع أن هارون كان وزيراً له، لموافقة الفواصل. وقال صاحب التحرير والتنوير: الواو لا تفيد أكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه، فهم عرفوا الله بأنه رب هذين الرجلين، فحكى كلامهم بما يدل على ذلك.

= جواب الأمر قبله، وهو قوله: ﴿فَجَعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ على معنى: أن تجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه، و(لا) نافية في القراءتين على ما ذكرنا. قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ قرئ: (سوى - سوي) بضم السين وكسرها وهما لغتان بمعنى: مكانًا مستويًا منصفًا بيننا وبينك، بحيث تستوي مسافة الجائي إليه من الطرفين وهو مثل: طوى في التصريف والتوجيه. [٦١] ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ قرئ: (فيسحيتكم) بضم الياء وكسر الحاء على أنه مضارع من أسحته بمعنى: استأصله، وهي لغة تميم. وقرئ: (فيسحيتكم) بفتح الياء والحاء على أنه مضارع من سحت بمعنى: استأصله أيضًا، وهي لغة الحجازيين، ومعنى يسحيتكم: يسحيتكم ويهلككم. [٦٣] ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَحَرٌ لِّسِحْرَانِ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا هَٰذَا﴾ فيها أربع قراءات: الأولى: (إن هذان) بتخفيف النون من (إن) و(هذان) بالالف، بعدها نون خفيفة، على أن (إن) مخففة من الثقيلة، و(هذان) مبتدأ، و(ساحران) خبر، و"اللام" هي الفارقة بين إن المخففة والنافية. والثانية: (إن هذان) كذلك، لكن بتشديد النون من (هذان) ووجهه: أنه قصد بذلك التشديد التعويض عن ألف المفرد التي حذفت في الثانية فرقًا بينها وبين المعرب والمبني. الثالثة: (إن هذين) بتشديد النون من (إن) و(هذين) بالياء على أن (إن) هي المؤكدة العاملة، و(هذين) اسمها، و"اللام" للتأكيد، و(ساحران) خبرها، وهذه قراءة جيدة من حيث العربية، لكن أخذ عليها أنها مخالفة للرسم، ويمكن الجواب عنها بأن الرسم يحتملها، فإنها لم ترسم (هذان) بالياء ولا بالالف، فاحتمل أن يكون المحذوف الياء اختصارًا كما يختصر بحذف الألف. الرابعة: (إن هذان) بتشديد النون و(هذان) بالالف على أن (إن) هي الناصبة أيضًا، و(هذان) اسمها جاء على لغة من يلزم المثنى الألف في الأحوال الثلاثة، فقد حكى الكسائي عن بعض العرب قولهم: من يشتري مني خفان، وسمع عن العرب قولهم: ضربت بيد أذناه، وحسن ذلك في هذا الموضع لبناء المفرد، ففيه حمل المثنى على المفرد في التزامه طريقة واحدة في الرفع والنصب والجر كما حمل أكثر العرب الذين جمعًا على المفرد، فألزموه الياء في الأحوال الثلاثة. [٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا﴾ قوله تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا﴾ قرئ: (فاجمعوا) بهمزة قطع مفتوحة وكسر الميم على أنه فعل أمر من أجمع أمره، أي: أحكمه. وقرئ: (فاجمعوا) بهمزة وصل تسقط في الدرج فتلتقي الفاء بالجيم وميم مفتوحة على أنها فعل أمر من جمع، وهو الجمع بمعنى: الضم ويلزمه الإحكام، فتتحد القراءات في المعنى، فجمع وأجمع يتعديان بالواحد، قالوا: أجمع أمره وجمع أمره بمعنى واحد، وإن كان الثلاثي يتعدى للحسي والمعنوي، يقال: جمعت الأوراق، وجمعت أمري على كذا، بخلاف الرباعي، فإنه خاص بالمعنوي، يقال: أجمع أمره، ولا يقال: أجمع ورقة. [٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقَوْا فَإِذَا جَاهُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَاهَا تَعْنَى﴾ قوله تعالى: ﴿بِخَيْلٍ﴾ قرئ: (بخيل) بالياء على أنه مسند إلى المصدر المؤول من قوله: ﴿أَتَاهَا تَعْنَى﴾ فإن وما دخلت عليه في تقدير مصدر نائب فاعل، وهو مذكر، أي: يخيل إليه سعيها. وقرئ: (تخيل) بالتاء على أنها مسندة إلى ضمير مستتر يعود إلى الحبال والعصي، وهي مؤنثة، والمصدر المنسبك ﴿أَتَاهَا تَعْنَى﴾ بدل منها بدل اشتمال. [٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ﴾ قوله تعالى: ﴿تَلَقَفَ﴾ قرئ: (تلقف) برفع الفاء على الاستئناف. وقرئ: (تلقف) بسكون الفاء على أنها مجزومة في جواب الأمر وهو ألقى، وتقدم وجه تشديد = [٧٥] ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الدَّٰرِحَتُ الْعَلَى﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة. وكذلك = وتنبه على الوسوسة ومكر الشيطان، وبيان عقوبة نسيان القرآن، ونهي النبي عن النظر إلى أحوال الكفار، وأهل الطغيان، والالتفات إلى ما حوّلوا: من الأموال، والولدان، وإلزام الحجة على المنكرين إرسال الرسل بالبرهان، وتنبه الكفار على انتظار أمر الله في قوله: ﴿كُلُّ مَرْتَبِعٍ قَرِيبٌ...﴾ [طه: ١٣٥].

٧٧- ﴿أَنْ أَسْرِ﴾: ليلاً ﴿بِعِبَادِي﴾: يعني، بني إسرائيل، ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾: اتخذ لهم ﴿يَسًا﴾: يابسا أي أن انحسار الماء كان معجزة لموسى عليه السلام. ﴿لَا تَخَفْ دُرْكَ﴾: من فرعون وجنوده، أن يدركوك من ورائك، ﴿وَلَا تَخْشَى﴾: غرقاً من بين يديك. ٧٨- ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: غرق فرعون وجنوده جميعاً. ٧٩- ﴿وَمَا هَدَى﴾: تأكيد لإضلال فرعون، مقابل لقوله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. ٨١- ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾: يقول عز وجل: ولا تظلموا، وقيل: لا تكفروا النعمة، وتعصوا المنعم سبحانه وتعالى، ﴿فَيَحْلِلْ﴾: فيجب. ﴿فَقَدْ هَوَى﴾: تردى وشقى. ٨٢- ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾: لم يشك في إيمانه، وقيل: استقام على ذلك حتى يموت. ٨٣- ﴿وَمَا أَعْجَلَكْ﴾: أي شيء عجلك، فتقدمت قومك وخلفتهم ورائك. ٨٤- ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَى أَثَرِي﴾: تابعون لأثري، واصلون بعدي، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ﴾: فسبقتهم لكيما ترضى عني بمسارعتي إلى امتثال أمرك. ٨٥- ﴿قَدْ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾: بأن دعاهم إلى عبادة عجل. ٨٦- ﴿أَسِفًا﴾: متغيظاً على قومه، حزناً بما أحدثوا بعده. ﴿أَفْطَالَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ﴾: بي وبجميل نعم الله عندهم. ﴿فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي﴾: بترككم السير على أثري للموعد الذي كان وعدهم. ٨٧- ﴿بِمَلِكِنَا﴾: أقروا على أنفسكم بالخطأ، وقالوا: لم نطق حمل أنفسنا على الصواب، وأن نملك أمرنا. ﴿أَوْزَارًا﴾: أحمالاً وأثقالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: من حلي آل فرعون، ﴿فَقَدْ فَتَنَّا﴾: نبذناها ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾: كذلك صنع، فأخذ من تربة فرس جبريل، فألقاه في الحلي التي نبذها في حفرة أو نحوها، فأخرج منها عجلاً جسداً له خوار. [٧٨] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ [يونس: ٩٠]، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. الأيتان في السورتين تحكيان قصة غرق فرعون، وفي يونس استخدم واو العطف في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ وهذا التعبير قطعي يعني أن فرعون خرج مع جنوده وأتبع موسى، أمّا في سورة طه فاستخدم الباء في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، والباء "في اللغة تفيد

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دُرْكَ وَلَا تَخْشَى ٧٧ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ٧٩ وَبَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْنَحُوا مِنْ عَدُوِّهِ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ٨٠ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢ وَمَا أَعْجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى ٨٣ قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ٨٦ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَوْ كُنَّا جُنُودًا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّاكَ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٨٧

٣١٧

المصاحبة والاستعانة، بمعنى أمدهم بجنوده، ولا يشترط ذهاب فرعون معهم، والتعبير في سورة يونس يوحي أن فرعون عازم بنفسه على البطش والتكليف بموسى وقومه، لذا خرج مع جنوده لأن سياق الآيات يفرض هذا التعبير، فقد ذكرت أنهم مستكبرون ومجرمون، وذكرت أنه ما آمن لموسى إلا قليل من قومه على خوف من فرعون وملئه، وذكرت أيضاً أن فرعون عال في الأرض ومسرف، وأنه يفتن قومه، وأن موسى دعا على فرعون وقومه، فقوله: ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ مناسب لسياق الآيات التي ذكرت عذاب فرعون وتنكيله بموسى وقومه. ولم يذكر في طه أن فرعون آذى موسى وقومه ولم يتعرض لهذا الأمر مطلقاً، لذا فالسياق هنا مختلف، لذا اختلف التعبير. ولم يذكر ﴿بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ ليناسب سياق الآيات في التعبير، وبعد أن ضاق قوم موسى ذرعاً بفرعون وبطشه تدخل الله تعالى فتولى أمر النجاة بنفسه، وكان غرق فرعون وإيمانه عند الهلاك هو استجابة لدعوة موسى ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، أمّا في طه فقد جاء الأمر وحياً من الله تعالى لموسى ولم يتول الله تعالى أمر النجاة بنفسه، وكل هذه الاختلافات بين المشهدين في القصة هي ما يقتضيه سياق الآيات في كل سورة. ٨٦- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ يَنْفَسَا ...﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ ...﴾ [طه: ٨٦]. ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل غضبان حزينا؛ لأن الله قد أخبره أنه قد فتن قومه.. فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية طه: فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينا، وقال لهم: يا قوم أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا بِإِنْزَالِ التَّورَةِ..

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]. ما فائدة قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَى﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ﴾؟ **الجواب:** أن في ذلك ردّاً على كذب فرعون وإدعائه بالهداية لما قال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، كذلك فيه تهكم به. [٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْهُمْ نَفْسُهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. الهداية تكون أولاً، ثم يكون الإيمان والتقوى، كما في آية محمد، لكنه قال في آية طه: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾، وليس معناه تأخير الهداية، وإنما معناه: دام على هدايته، كقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: ثبتنا عليه وأدمنّا.

= القاف وتخفيفها في "الأعراف: ١١٧". قوله تعالى: ﴿سَجِر﴾ قرئ: (ساجر) بفتح السين وألف بعدها، وكسر الحاء على أنها اسم فاعل مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. وقرئ: (سحر) بكسر السين من غير ألف على أنه مصدر بمعنى: اسم فاعل، أو على تقدير مضاف، أي: كيد ذي سحر، فتحد القراءتان، إذ الإضافة بيانية، أي: كيد هو سحر، والكيد بمعنى: التخيل، والإضافة من إضافة المسبب إلى سببه، وقد أجمعوا على رفع "كيد" خبراً لأن، و"ما" موصول "اسمي" أو "حرفي"، فعلى أنه "اسمي" فهو اسم "أن"، والجملة صلته، والعائد: محذوف، وعلى أنه "حرفي" فالموصول وصلته في تقدير المصدر: هو اسم "أن" والمعنى على الأولى: أن الذي صنعه كيد، وعلى الثاني: أن صنعهم كيد ساحر، أو سحر على القراءتين. [٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِهِ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (يأتيه) كسر الهاء ممدود، ووجهه وقوع الهاء بعد كسرة، ووجه المد تقوية ما فيها من ضعف. الثانية: (يأتيه) بالكسر والقصر ووجه الكسر ما سبق، ووجه القصر: رعاية للأصل، وأصلها قبل دخول الجازم يأتيه، فوقعت بعد ساكن فتفتت بالاعتماد، ولم يعتد بالعارض في حالة الجزم، الثالثة: (يأتيه) بإسكان الهاء، ووجهها: التخفيف، وتنزيلها منزلة الحرف المحذوف، أو إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد سبق نظيره. [٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دُرْكَ وَلَا تَخْشَى﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ قرئ: (أسر-سر) بهمزة قطع مفتوحة، وبهمزة وصل مكسورة في الابتداء وتسقط في الدرج، وتكسر النون قبلها للساكن. يقال: أسرى وأسرى للسير، وقيل: أسرى لأول الليل، وسرى لآخره، وأما سار فمختص بالنهار. قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ قرئ: (تخاف) برفع الفاء من الفعل على الاستئناف، أو على أنها حال من فاعل اضرب، أو صفة لطريقاً مع حذف العائد، أي: فاضرب لهم طريقاً يبساً لا تخاف فيها دركاً ولا تخشى. وقرئ: (تخف) بسكون الفاء على الجزم في جواب الأمر، وهو أسر أو فاضرب، أي: إن تسر بعبادي أو تضرب لهم طريقاً في البحر لا تخف، ويحتمل أن يكون الجزم "بلا" وهي ناهية، والجملة حيثئذ: مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، أو في موضع نصب على = ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته)، و(الصبر بمشتقاته)، و(الدرجات بمشتقاته).

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْتَنُوْهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٤﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٩﴾

٣١٨

٨٨- ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾: فعكفوا عليه يعبدونه، وكان خواره بالريح إذا دخلته؛ لأنه كان جسد عجل لا روح فيه، ولكن كان له خوار. وهذا الصوت قد يوجد في الأجرام بالصنعة كما يقول ابن عطية. ويشير قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾: إلى أن طائفة من بني إسرائيل اشتروا مع السامري في دعوة قومهم، أو باقي هؤلاء القوم إلى عبادة هذا العجل. ﴿فَنَسِيَ﴾: اختلف فيه، فقيل: عنى الله به السامري، بمعنى أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى. وقيل: بل قاله السامري لبني إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه فأضل موضعه. ٨٩- ﴿أَلَّا يَرْجِعَ﴾: لا يرد عليهم جواباً ولا يكلمهم إذا كلموه. ٩٠- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل رجوع موسى ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم. ٩١- ﴿عَنكِفِينَ﴾: مقيمين على عبادته. ٩٢- ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾: تركت بعضهم وجئت ببعضهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: تحفظ، وتعمل بوصيتي لك فيهم. ٩٣- ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾: ما شأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ ٩٤- ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: يعني: فرس جبريل عليه السلام ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾: تراباً من أثر حافر فرس جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: ألقيتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾: حدثت، وزينت. ٩٥- ﴿لَا مِسَاسَ﴾: لا أمس، ولا أمس. وذكر أن موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه. ﴿مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾: لن تغيب عنه، يعني موقف الحساب ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾: أقمت عليه ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾: بالنار. ﴿لَنَنْسِفَنَّهُ﴾: لنذروه ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾: في البحر ذروا. ٩٦- ﴿وَسِعَ﴾: أحاط علمه بكل شيء. ٩٧- ﴿قَالَ يَبْتَنُوْهُمْ﴾: أن ذكر الحرف وعدم ذكره له [الأعراف: ١٥٠]، ﴿قَالَ يَبْتَنُوْهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤]. أن ذكر الحرف وعدم ذكره له دوافع، والقاعدة العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر حرف النداء، سواء كان ياء أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز ويحذف الحرف إذا

لم يؤد ذلك إلى التباس في المعنى، ولم يكن المقام مقام التوكيد بالحرف، ففي سورة الأعراف حذف الحرف، لأن الموقف جاء ذكره باختصار: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَنْسَا خَلْقَتُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، أمّا في طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسطة، وذكرت فيها كل الجزئيات لذا اقتضى ذكر "يا" بداية من قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦]، حتى قوله: ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ﴾ [طه: ٩٢-٩٣]. ﴿لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَعَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]. ما الفرق بين: "كفر وغفر"؟ **الجواب: ١-** اختصت (كفر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفر) إلى (الله)، بينما أسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ **الجواب:** أن التوبة نوعان: ١- نوع متعلق بمعاصي في حق الله -تعالى- وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبداً. ٢- ونوع يتعلق بمعاصي في حق العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوباً» أو «خطايا» والعفو عنها «غفراناً» وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيراً).

٩٦- ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]. قال ابن القيم: من أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها، شغلته بما يضره. ويقول أيضاً: دافع الخطرة؛ فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تداركه بضده صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها. ويقول أيضاً رحمه الله تعالى: للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الست الذي بينه وبين الناس. = الحال من فاعل اضرب، أو صفة لطريقاً بتقدير القول، بناء على أن الجملة الفعلية الطلبية لا تقع حالاً ولا صفة إلا بإضمار القول، أي: فاضرب كونك مقولاً لك: لا تخف. أو طريقاً مقولاً لك فيه: لا تخف دركاً ولا تخشى. ٨٠-٨١ ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْنَيْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَكُمْ جَانِبَ الظُّورِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَجْنَيْتُمْكُمْ وَوَعَدْنَكُمْ﴾ و﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ قرئت: (أجنيانكم- واعدناكم- رزقناكم) هذه الأفعال الثلاثة: بنون بعدها ألف قبل الكاف على إسنادها إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله: (ونزلنا عليكم). وقرئت: (أجنيانكم- واعدتكم- رزقناكم) بناء مضمومة موضع النون والألف على إسنادها إلى ضمير المتكلم وحده لمناسبة قوله بعد: ﴿فِيحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾. ٨١ ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ﴾ قوله تعالى: ﴿فِيحِلَّ- يَحِلُّ﴾ قرئ: (فيحل- يحل) بكسر الحاء في الأول واللام في الثاني على أنهما مضارعان من حل عليه الدين يحل بكسر الحاء، بمعنى: وجب، أي: "فيجب عليكم غضبي، ومن يجب عليه غضبي فقد هوى". وقرئ: (فيحل- يحل) بضم الحاء في الأول واللام في الثاني على أنهما من حلّ بالمكان يحل بضم الحاء إذا نزل، والمعنى على هذه القراءة: "فنزل عليكم غضبي" وفك الإدغام في الثاني على القراءتين للجزم. ٨٤ ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ قوله تعالى: ﴿أَثَرِي﴾ قرئ: (أثري- إثري) بفتح الهمزة والشاء، وبكسر الهمزة وسكون الشاء، وهما لغتان بمعنى: بعدي، يقال: جاء على أثره وعلى أثره بمعنى: جاء بعده، ولم يتخلف عنه طويلاً. ٨٧ ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَلَكِنَا﴾ قرئ: (بملكنا- بملكنا- بملكنا) بفتح الميم وكسرها وضمها وهي لغات في مصدر ملك، يقال: ملكك بالحركات الثلاثة، والاستعمال يجعل الملك بالكسر لحيازته لليد، والمُلك بالضم: للأمر والسلطان، وبالفتح: لغة في المصدر ترجع إلى معنى المكسور، والحق أن معانيها واحدة إذ هي متقاربة، والمعنى: ما أخلفنا موعداً بملكنا ولكن أخلفنا بخطيئتنا. قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا﴾ قرئت: (حملنا) بضم الحاء وكسر الميم المشددة على أنه فعل مزيد بالتضعيف مبني للمجهول متعد للثنتين، الأول: "نا" وهو نائب الفاعل، والثاني: أوزاراً، فأضاف الفعل إليهم؛ لأنهم ادعوا أن غيرهم حملهم على ما صاغوا منه العجل. وقرئ: (حملنا) بفتح الحاء والميم مخففة على أنه فعل ثلاثي مجرد مبني للمعلوم، ومتعدد لواحد هو "أوزاراً" و"نا" فاعله. ٩٤ ﴿قَالَ يَبْتَنُوْهُمْ لَا = ٩٧﴾ ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولاً: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانياً: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة.

٩٩- ﴿مِنْ أَنْبَاءٍ﴾: أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾: كان قبلك ﴿مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾: قرآنًا، وقيل: شرفًا، كقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾. ١٠٠- ﴿وَرَزَا﴾: إثمًا. ١٠١- ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾: بش ما حملوا. ١٠٢- ﴿زُرْقًا﴾: يحشرون أول قيامهم سود الألوان، زرق العيون. وقيل: أو عُمياً. وقيل: هو كناية عن شحوص البصر من شدة الهول. ١٠٣- ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾: يتسارون، أي يقول بعضهم لبعض سرًا، ﴿إِن لَّيْتُمُ﴾: في الدنيا. ١٠٤- ﴿أَمَّا لَهُمْ طَرِيفَةٌ﴾: أوفاهم عقلاً، لأنهم ينسون من عظيم ما يعاينون من هول القيامة، مدة ما عاشوا في الدنيا، أو أنهم يستقصرونها. ١٠٥- ﴿يَنسِفُهَا﴾: يذروها تدرية. ١٠٦- ﴿قَاعًا﴾: أرضاً ملساء ﴿صَفْصَفًا﴾: مستوياً، قال ابن الأعرابي: القاع الصفصف: الأرض الملساء بلا نبات ولا ارتفاع ولا بناء. ١٠٧- ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾: أودية ﴿وَلَا أَمْتًا﴾: رواابي ونشوزاً. ١٠٨- ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: صوت داعي الله إلى موقف القيامة ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: لا عوج لهم عنه ولا انحرافاً ﴿مَسًّا﴾: الهمس: الصوت الخفي، وهو هاهنا صوت وطء الأقدام إلى الحشر. وقيل: كلام الإنسان لا يسمع وهو يحرك شفثيه ولسانه. ١١٠- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا﴾: يصيرون إليه من ثواب وعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ﴾: معناه: أنه عز وجل محيط بعباده علماً، ولا يحيط بعباده به علماً. ١١١- ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾: سجدت. وقيل: هو وضع الوجوه واليدين وأطراف الأقدام على الأرض. وقيل: استأسرت واستسلمت لأن أصل «العنوت»: الذل. ﴿لِلْحَيِّ﴾: الذي لا يموت ﴿الْقَيُّومِ﴾: على خلقه بتدبيره ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: لم يظفر بطلبته من حمل إلى موقف القيامة ظلمًا، والظلم هاهنا: الشرك. ١١٢- ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾: أن يحمل عليه سيئات غيره ﴿وَلَا هَضْمًا﴾: أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابه. ١١٣- ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَكُمْ ذِكْرًا﴾: ورعاً. وقيل: شرفاً بإيمانهم به. ١٠٥ قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴿١٠٠﴾ خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حِمْلًا ﴿١٠١﴾ في الصور وتحشر المجرمين يومئذ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يتخفَتُونَ ﴿١٠٣﴾ بينهم إن لَّيْتُمْ ﴿١٠٤﴾ أَعْمَى ﴿١٠٥﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيفَةً إِن لَّيْتُمْ ﴿١٠٦﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٧﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٨﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴿١١٠﴾ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴿١١١﴾ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١١٢﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٣﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ ﴿١١٤﴾ عِلْمًا ﴿١١٥﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿١١٦﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٨﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٩﴾



الجبّال يوم القيامة؟ فنزلت ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ الآية: [١٠٥] ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾ [طه: ١٠٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَسْأَلُونَكَ... قُلْ﴾. كل ما جاء من السؤال في القرآن أجيب عنه بـ "قُلْ" بلا فاء إلا في قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾ فبالفاء، لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال، وفي طه قبله، إذ تقديره: إن سئلت عن الجبال فقل. [١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١١]، وقد خاب من حمل ظلمًا، لأن عنت الوجوه ذلتها في القيامة، فمن حمل ظلمًا خاب وخسر، ومن قدم خيرًا وعمل صالحًا فلا يخاف ظلمًا، أي: زيادة في سيئاته، ولا هضمًا، أي: نقصًا في حسناته، وهذا معنى الكلام والله أعلم، فهذا موضع الواو ولا مدخل فيه للفاء، أمّا قوله في الأنبياء: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ فافتتح تفصيل أحوال الفريقين لما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلْتِنَا رَجُوعًا﴾ [الأنبياء: ٩٣]، والمراد اختلافهم وافتراقهم في المذاهب والأديان، وأتبع ذلك تعالى ببيان حال المحسن والمسيء في افتراقهم، فاستؤنف تفصيل جزائهم فقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١١]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَكْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، إلى ما يتلوه من بيان جزاء المسمى وحكمه، وربطت الفاء ما فصل من الجزاء بما وقع من الجزاء المفصل مربوطًا به ومنبهاً عليه، فالמושوع للفاء ولا مدخل للواو هنا، وأمّا تعقيب آية طه بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، فإفصاح بالتأنيس المناسب لما بنيت عليه، ولم تبين آية سورة الأنبياء على ما ذكر فجيء فيها بما يناسب، والله أعلم. [١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣]. سورة الرعد لم يتقدم فيها شيء من القصص الإخبارية، وإنما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها إلى اختلاف أحوال المكلفين جرياً على ما سبق من قضائه فيهم، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه في أرزله وما حكم به عليهم، ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم، ثم أعقب بمآل الفريقين فتحدثت الآيات عمّن هداهم الله تعالى وما أعد لهم، وأتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه، وأخبر بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار، وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء = تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ﴿٩٦﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْتَوُّمُ﴾ قرئ: ﴿يَبْتَوُّمُ﴾ بفتح الميم وكسر ها. والكسرة بناء عند البصريين لأجل ياء المتكلم، ووجهه أنه لما لم يدخل الكلام تغيير، قيل: استخف حذف الياء لدلالة الكسرة عليها، ولكثرة الاستعمال، فهو نداء مضاف بمنزلة يا غلام غلام. وبفتحها فيهما لتركيهما كـ (خسة عشر) ويسمى بالشبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافاً لأم، إنما هو مركب معها فجعل الاسمين اسمًا واحد، وبناء على الفتح، ففتحة ابن أم كفتحة: خمسة عشر. ومذهب الكوفيين: أن ابن مضاف لأم، وأم مضافة للياء، وقلت الياء ألفًا تخفيفًا فانفتحت الميم كقوله: يا ابنة عمٍّ لا تلومي واهجعي. ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالة عليها. [٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْصُرُوا﴾ قرئ: ﴿يَبْصُرُوا﴾ بالياء على أن الفعل مسند إلى ضمير الغائبين وهم بنو إسرائيل. وقرئ: ﴿تَبْصُرُوا﴾ بالتاء على إرادة الخطاب والمخاطب موسى وقومه، وخوطف موسى بالأصالة وقومه تبعًا له، كأنه يقول: بصرت، أي: علمت بما لم تعلم به أنت ولا قومك، فأجرى على الجميع حكم الخطاب تغليبًا للحاضر على الغائب، وقيل: إن المخاطب موسى وحده وجمعه للتعظيم كما في قوله: رب ارجعون. [٩٧] ﴿لَنْ تَخْلَفَهُ﴾ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْتَحَرِّقَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿لَنْ تَخْلَفَهُ﴾ قرئ: ﴿تَخْلَفَهُ﴾ بفتح اللام على أنه مضارع مبني للمجهول من أخلفه الوعد إذا لم ينجزه إياه وهو يتعدى إلى مفعولين، أولهما: نائب الفاعل وهو ضمير المخاطب المستتر، والثاني: الهاء وهو ضمير (موعدًا) والأصل: لن تخلفه بل ننجز إياه، فحذف الفاعل للعلم به وأسند الفعل إلى المفعول الأول فارفع واستتر، وغيرت صيغة الفعل بضم أوله وفتح ما قبل آخره. وقرئ: ﴿تَخْلَفَهُ﴾ بكسر اللام على أنه = [١١١] ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٣- ذكرت كلمة (الخزير) بمشتقاتها في القرآن الكريم (٥) مرات. ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٥- ذكر (الحصب) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٦- ذكر (التكيل) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٧- ذكر (الحسد) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٨- ذكر (الرعب) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخية) في القرآن الكريم (٥) مرات. وبذلك يتساوى =

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّسَ الْيَتِيمَ إِلَى الْإِنْتِهَى ﴿١٢٠﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَكَلَ مِنْهَا فِطْرَتَهُمَا فَسَاءَ لِمَا سَوَّاهُمَا وَقَطَّفُوا مِنْ خِصْفَانٍ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٤ - ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: كان النبي ﷺ يُبَادِرُ جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على ما كان ينزل عليه منه، فنهاه الله عن ذلك. ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]. ١١٥ - ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ﴾: وصيناه بأن هذا عدو لك ولزواجك، فوسوس إليه الشيطان ﴿فَنَسَى﴾: فترك عهدي ﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾: صبراً. وقيل: حفظاً لما أمر به. وأصل «العزم»: اعتقاد القلب على الشيء. ١١٦ - ﴿فَنَسَى﴾: فيكون عيشك من كد يدك. ١١٩ - ﴿لَا تَظْمَأُ﴾: لا تعطش في الجنة. ﴿وَلَا تَصْحَى﴾: لا تصيبك شمس الضحى فيؤذيك حرها، والمعنى: كفاه الاشتغال بأمر المعاش والكسب في تحصيله. ١٢٠ - ﴿فَوَسَّسَ الْيَتِيمَ إِلَى الْإِنْتِهَى﴾: ألقى إليه وحده ﴿شَجَرَةَ الْخُلْدِ﴾: من أكل منها خُلد فلم يمِت، ﴿وَمُلْكٌ لَا يَبْلَى﴾: لا ينقضي. ١٢١ - ﴿سَوَّاهُمَا﴾: عوراهما، وكانت مستورة عن أعينهما ﴿وَقَطَّفُوا﴾: أقبلوا ﴿يَخِصْفَانِ عَلَيْهِمَا﴾: يوصلان ويغطيان عليهما. ﴿فَغَوَى﴾: تعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه. ١٢٢ - ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه بعد معصية. ﴿وَهَدَى﴾: وفقه للتوبة. ١٢٣ - ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أنتم أعدو إبليس وذريته، وإبليس عدوكما وعدو ذريتكما. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: يعني: آدم وحواء وإبليس. ﴿هُدًى﴾: بيان لسبيلي ﴿فَلَا يَصِلْ﴾: لا يزول عن محجة الطريق، ولكنه يرشد في الدنيا، ﴿وَلَا يَشْقَى﴾: في الآخرة. ١٢٤ - ﴿أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: أدبر معرضاً، وتولى عنه ولم يقبله ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: ضيقة. واختلف في أين يكون ذلك؟ فقيل: هو العذاب في القبر. وقيل: ما يصيبه في الدنيا من المتاعب وما يكابده فيها من الغم والحلم. ﴿أَعْمَى﴾: عن حجته وقيل: أعمى البصر. [١١٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: أخرج ابن أبي حاتم، عن السدي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ الآية. وتقدم في سورة النساء سبب آخر، وهذا أصح.

= وقبضه عمن يشاء... ودارت الآي بعد على أن كل جارٍ في خلقه بفتقديره، وتناسب ذلك إلى الآية، وكل ما تقدم فهو حكمه السابق في خلقه، فأعقب هذا بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، قال الزمخشري: حكمة عربية، أي: مترجمة بلسان العرب، ولما تقدم آية سورة طه قصص موسى عليه السلام، وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل السامري، وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره إياهم، وما كان من عناد بني إسرائيل... ثم أتبع هذا بما يلائمه إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، أي: قصصاً مقروءاً بلسان العرب، مذكراً من وفق لا عتباره والاعتاظ به: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذِرُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، فتناسب كل من العبارتين موضعها أتم مناسبة، والله أعلم. [١١٤] ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. فتزده الله سبحانه وارتفع، وتقدس عن كل نقص، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعدته حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق. ولا تعجل أيها الرسول بمسابقة جبريل في تلقي القرآن قبل أن يفرغ منه، وقل: رب زدي علماً إلى ما علمتني، فهذا ما دلت عليه آية طه، أمّا آية المؤمنون: فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعدته حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق، وتقدس عن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سفهاً، لا إله غيره، رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات. [١٢٣] ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [طه: ١٢٣]. سورة البقرة لم يرد فيها عن إبليس لعنه الله إلا ما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾، من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل، ولا إبداء علة ولا كبير معالجة، فتناسب هذا ﴿تَبِعَ﴾، ولما ورد في طه ذكر طريقة إغوائه بقوله: ﴿هَلْ أَذُكُّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لِي بَلِيلٍ﴾ فأفهمت الآية قوة كيد اللعين واستحكام حيلته، حتى احتنك الكثير من الذرية، وحملهم على عبادة الطواغيت، فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل، فتناسبه ﴿تَبِعَ﴾، فورد كل على ما يناسب معنى ونظماً، وإيجازاً بإيجاز، وإطالة بإطالة، وزاد الإمام ابن جماعة: أن "فعل" لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و"افتعل" يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم في البقرة لفعله، فجاء: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾، وفي طه جاء بعد قوله: ﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، فتناسب ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾، أي: جدد قصد الاتباع. [١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ [الكهف: ٥٣]، ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ﴾ [الإسراء: ١٤]. كيف التوفيق بين الآيات؟ هل الكافر يكون في الحشر أعمى أو مبصراً يرى النار ويقرأ كتابه؟ **الجواب:** من وجهين: أن القيامة مواطن ففي بعضها يكون عمى، وفي بعضها إبصار، ويختلف ذلك باختلاف أهل الحشر فيه. قال مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير: المعنى أعمى الحجة يعني مع تحقق رؤيته للأشياء، بصير كالأعمى الذي لا يهتدي.

= مضارع مبني للمعلوم من خلف إذا وجد الوعد خلفاً، أي: مخلفاً فمعنى لن تخلفه أي: لن تجد موعداً لله مخلفاً، ومن هذا قول الأعشى: أثنوى وقصر لئيلة ليزوداً * فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قَبِيلَةٍ مَوْعِدًا. قوله تعالى: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة على أنها مضارع من حرق بالتشديد فيه المبالغة في الحرق، والثاني: (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء على أنها مضارع أحرق، قالوا: أحرقه بالنار إحراقاً وأحرقه تحريقاً، الثالث: (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء مخففة على أنها من "حرق" الثلاثي، يقال: حرق الحديد بفتح الراء يحرقه بضمها إذا برده بالمبرد. [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْخِ فِي الصُّورِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُفْخِ﴾ قرئ: (يُفْخِ) بياء مضمومة وفتح الفاء على أنها مضارع مبني للمجهول نائب فاعله الجار والمجرور بعده، وقرئت: (نُفْخِ) بنون مفتوحة في أوله وفاء مضمومة على أنها فعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة إسناداً مجازياً من إسناد الفعل إلى سببه، إذ النافخ في الحقيقة الملك إسرئيل أو غيره. [١١٢] ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَخَافُ﴾ قرئ: (يَخَافُ) برفع الفعل على أن "لا" نافية والفعل بعدها مرفوع لتجرده من العوامل، أي: الناصب أو الجازم، وجملة الفعل والفاعل: خبر لمبتدأ محذوف تقديره، فهو لا يخاف، وجملة: المبتدأ والخبر في موضع جزم جواب الشرط. وقرئ: (يَخْفِ) بجزم للفعل على أن "لا" ناهية، والفعل بعدها مجزوم بها، والجملة: في موضع جزم جواب الشرط.

= عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الحية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في القرآن.

١٢٦ - ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ﴾: هكذا أنتك ﴿ءَايَتُنَا فَتَسِينَهَا﴾: تركتها وأعرضت عنها ﴿نَسَى﴾: نساك فتركك في النار. ١٢٧ - ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾: من المعيشة الضنك في الدنيا. ١٢٨ - ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: يبين لهم ﴿لَا يَنْتَ﴾: دلالات وعظات ﴿لَا أُولَى الْتَهَى﴾: أهل العقول. وقيل: لأهل الورع والتقوى. ١٢٩ - ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: يا محمد، أن كل من قضى له أجلاً فإنه لا يخترمه قبل بلوغ أجله. ﴿لِرَأْمَا﴾: موتاً، وللأزمهم الهلاك عاجلاً. ١٣٠ - ﴿فَبَلَّ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: إشارة إلى صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلِ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر ﴿وَمِنْ أُنَائِي اللَّيْلِ﴾: ساعات الليل. وقيل: عن صلاة العشاء الآخرة ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾: صلاة الظهر وصلاة المغرب، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين. والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب. ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾: -بفتح التاء- بمعنى: إن الله يعطيك حتى ترضى عطيته وثوابه. وقرئ بضم التاء، بمعنى: لعل الله يرضيك من عبادتك وطاعتك له. ١٣١ - ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أبلغ من: (لا تنظر) لأن الذي يد بصره إنما يحمله على ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه. ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أصنافاً منهم، وأشكالاً. زينة ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنختبرهم ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: مما أمتع به هؤلاء في الدنيا. ١٣٣ - ﴿بَيِّنَةٌ﴾: بيان ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾: التوراة والإنجيل. ١٣٤ - ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل بعثة محمد ﷺ، أو من قبل إتيان البينة بنزول القرآن. ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَخْزِيَ﴾: بدخول النار. ١٣٥ - ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: منتظر لمن يكون الفلاح. ﴿فَقَرَّبْصُوا﴾: انتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: إذا جاء أمر الله عز وجل، وقامت القيامة. ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: الطريق المستقيم ﴿وَمِنْ أَهْتَدَى﴾: من المهتدي منا ومنكم.

[١٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبخاري وأبو يعلى: عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود، أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ كلام لم يتقدمه ما يكون هذا معطوفاً عليه، وإنما هو كلام مستأنف مبتدأ، ألا ترى ما تقدم قبله من قوله تعالى إخباراً عما عرض عما جاءت به الرسل فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، إلى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧]، هذا إخبار عن جزاء من أعرض ولم يؤمن، ثم ورد ما بعده مستأنفاً وارداً مورد ما يرد من الكلام التفاتاً، ثم ابتداء توبيخهم وتذكيرهم، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، والضمير المجزور لكفار قريش ومن كان معهم... وأما آية السجدة فالواو فيها عاطفة على مقدر، لما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَرَّغَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، كأن قد قيل: أفلا تذكروا ولم يعرضوا، فالواو هنا للعطف. أما عن زيادة "من" بالسجدة؟ **الجواب:** أنه ورد في هذه الآية ما قبله استيفاء تفصيل وعيدين في أمة بعينها، أو أكثر، أو تكرار التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها، والتأكيد بإثباتها، وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون أي التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد في آي الأخر، فسورة السجدة تتميز بالشدة والإشارة إلى نفاذ الوعيد، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَرَّغَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وكان ختم السورة بقوله: ﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠]، وقد وقعت الآية بين هذين الوعدين والتهديدين، فناسب ذكر ﴿مِنْ﴾، وأما آية طه فلم يرد فيها من التعليل في الوعيد وتوالي التهديد ما في آية السجدة. [١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَخْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [طه: ١٣١]. الآيتان تدعوان النبي ﷺ أن لا ينظر بعينه ويتمنى ما متع الله به أصنافاً من الكفار من متع الدنيا، وآية الحجر تبين له ﷺ أن لا يحزن على الكافرين، وأن يتواضع للمؤمنين، أما آية طه فتوضح أن هذه المتع زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعها الكافرين؛ لنبتليهم بها...

[١١٤] ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ قرئ: (يُقْضَى - وَحْيُهُ) بياء مضمومة وفتح الضاد وألف بعدها، و(وحية) بالرفع على أن الفعل مبني للمجهول و(وحية) نائب فاعل. وقرئ: (نَقْضِي - وَحْيُهُ) بنون مفتوحة وكسر الضاد وبعدها ياء مفتوحة، و(وحية) بالنصب على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة منصوب بالفتحة الظاهرة، و(وحية) مفعول به. [١١٦] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ في جميع مواضعها. قرئ: (لِلْمَلَائِكَةِ) بكسر التاء على الجر، وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر (لِلْمَلَائِكَةِ) بضم تاء الملائكة وصلاً، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم إتياعاً لضم الجيم، إجراء للوصل مجرى الوقف، واستثقلاً للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة همزة الوصل، فالهمزة تسقط في الدرج، وتسقط التاء كذلك من الملائكة فقد قالوا: (ملائكة) كما قالوا: (ملائك). وقرئ: (لِلْمَلَائِكَةِ) بإشمام الكسرة بالضم مزجاً بين الحركتين. تنبيهاً على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. [١١٩] ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ﴾ قرئ: (أَنْتَ) بفتح الهمزة على العطف على اسم "أن" السابق، وهو: (أن لا تجوع) والكلام من عطف المفردات، وتقدير الكلام: أن لك عدم الجوع فيها، وعدم العري، وعدم الظمأ. وقرئ: (إِنْكَ) بكسر الهمزة عطفًا على أن الكلام من عطف الجمل. [١٣٠] ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ قوله تعالى: ﴿تَرْضَى﴾ قرئ: (تَرْضَى) بفتح التاء على أنه مضارع رضي الثلاثي مبني للمعلوم، وفاعله ضمير المخاطب تقديره: أنت. وقرئ: (تَرْضَى) بضم التاء على أنه مضارع من أَرْضَى المزيد بالهمزة مبني للمجهول، وأصله: يرضيك الله، حذف الفاعل للعلم به، وأسند الفعل إلى المفعول، وهو ضمير المخاطب، فاستتر وغيرت صيغة الفعل بضم أوله وفتح ما قبل آخره. [١٣١] ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ﴾ قرئ: (زَهْرَةَ - زَهْرَةً) بسكون الهاء وفتحها وهما لغتان بمعنى الزينة. [١١٦] ﴿إِلَّا إِلَيْسَ أَبَى﴾ **إعجاز عددي:** ورد ذكر (إيليس) بمشتقاته (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعانة) بمشتقاتها (١١) مرة. وبذلك يتساوي عدد مرات ذكر لفظ (إيليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعانة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (١١) مرة في القرآن الكريم.

قال كذلك أنتك ءايتنا فتنسها وكذلك اليوم نسى (١٢٦) وكذلك تجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مسكهم إن في ذلك لآيت لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لأمرنا أجل مسمى (١٢٩) فأصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أناني الليل فسيح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نستكرك زكاة من ثرك وأعطية للفقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربنا أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولولا أن أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولاً لينا رسولاً في الدنيا من قبل أن نزل ونخزي (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

(٣٢١)

عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود، أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ كلام لم يتقدمه ما يكون هذا معطوفاً عليه، وإنما هو كلام مستأنف مبتدأ، ألا ترى ما تقدم قبله من قوله تعالى إخباراً عما عرض عما جاءت به الرسل فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، إلى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧]، هذا إخبار عن جزاء من أعرض ولم يؤمن، ثم ورد ما بعده مستأنفاً وارداً مورد ما يرد من الكلام التفاتاً، ثم ابتداء توبيخهم وتذكيرهم، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، والضمير المجزور لكفار قريش ومن كان معهم... وأما آية السجدة فالواو فيها عاطفة على مقدر، لما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَرَّغَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، كأن قد قيل: أفلا تذكروا ولم يعرضوا، فالواو هنا للعطف. أما عن زيادة "من" بالسجدة؟ **الجواب:** أنه ورد في هذه الآية ما قبله استيفاء تفصيل وعيدين في أمة بعينها، أو أكثر، أو تكرار التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها، والتأكيد بإثباتها، وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون أي التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد في آي الأخر، فسورة السجدة تتميز بالشدة والإشارة إلى نفاذ الوعيد، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَرَّغَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وكان ختم السورة بقوله: ﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠]، وقد وقعت الآية بين هذين الوعدين والتهديدين، فناسب ذكر ﴿مِنْ﴾، وأما آية طه فلم يرد فيها من التعليل في الوعيد وتوالي التهديد ما في آية السجدة. [١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَخْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [طه: ١٣١]. الآيتان تدعوان النبي ﷺ أن لا ينظر بعينه ويتمنى ما متع الله به أصنافاً من الكفار من متع الدنيا، وآية الحجر تبين له ﷺ أن لا يحزن على الكافرين، وأن يتواضع للمؤمنين، أما آية طه فتوضح أن هذه المتع زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعها الكافرين؛ لنبتليهم بها...

[١١٤] ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ قرئ: (يُقْضَى - وَحْيُهُ) بياء مضمومة وفتح الضاد وألف بعدها، و(وحية) بالرفع على أن الفعل مبني للمجهول و(وحية) نائب فاعل. وقرئ: (نَقْضِي - وَحْيُهُ) بنون مفتوحة وكسر الضاد وبعدها ياء مفتوحة، و(وحية) بالنصب على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة منصوب بالفتحة الظاهرة، و(وحية) مفعول به. [١١٦] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ في جميع مواضعها. قرئ: (لِلْمَلَائِكَةِ) بكسر التاء على الجر، وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر (لِلْمَلَائِكَةِ) بضم تاء الملائكة وصلاً، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم إتياعاً لضم الجيم، إجراء للوصل مجرى الوقف، واستثقلاً للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة همزة الوصل، فالهمزة تسقط في الدرج، وتسقط التاء كذلك من الملائكة فقد قالوا: (ملائكة) كما قالوا: (ملائك). وقرئ: (لِلْمَلَائِكَةِ) بإشمام الكسرة بالضم مزجاً بين الحركتين. تنبيهاً على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. [١١٩] ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ﴾ قرئ: (أَنْتَ) بفتح الهمزة على العطف على اسم "أن" السابق، وهو: (أن لا تجوع) والكلام من عطف المفردات، وتقدير الكلام: أن لك عدم الجوع فيها، وعدم العري، وعدم الظمأ. وقرئ: (إِنْكَ) بكسر الهمزة عطفًا على أن الكلام من عطف الجمل. [١٣٠] ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ قوله تعالى: ﴿تَرْضَى﴾ قرئ: (تَرْضَى) بفتح التاء على أنه مضارع رضي الثلاثي مبني للمعلوم، وفاعله ضمير المخاطب تقديره: أنت. وقرئ: (تَرْضَى) بضم التاء على أنه مضارع من أَرْضَى المزيد بالهمزة مبني للمجهول، وأصله: يرضيك الله، حذف الفاعل للعلم به، وأسند الفعل إلى المفعول، وهو ضمير المخاطب، فاستتر وغيرت صيغة الفعل بضم أوله وفتح ما قبل آخره. [١٣١] ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ﴾ قرئ: (زَهْرَةَ - زَهْرَةً) بسكون الهاء وفتحها وهما لغتان بمعنى الزينة. [١١٦] ﴿إِلَّا إِلَيْسَ أَبَى﴾ **إعجاز عددي:** ورد ذكر (إيليس) بمشتقاته (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعانة) بمشتقاتها (١١) مرة. وبذلك يتساوي عدد مرات ذكر لفظ (إيليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعانة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (١١) مرة في القرآن الكريم.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾

لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَالْسَّحَرُ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٣﴾

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ أَفْتَرْنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

٣٢٢

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

١- ﴿أَقْرَبَ﴾: دنا ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾: وهم في هذه الدنيا غافلون ساهون عن الاستعداد ليوم الحساب. ٢- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾: ما يُحْدِثُ الله عز وجل من تنزيل القرآن ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾: يستمعونه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: لا يعتبرون به، ولا يتفكرون في وعده ووعيده! ٣- ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: غافلة ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَالسَّحَرُ لَا يَنْصُرُونَ﴾: أسر هؤلاء الناس المناجاة بينهم، أي بالغوا في الإخفاء ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾؟: أفتقبلون السحر، يعنون بذلك: القرآن. ٥- ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ﴾: لم يصدقوا أنه من عند الله، وقالوا: بل هو أهويل رآها في منامه. ﴿أَفْتَرْنَاهُ﴾: اختلقه. ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾: من الأنبياء بالمعجزات. ٦- ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: إذ سأل هؤلاء الآيات فأتوها فلم يؤمنوا بها، فلم يُنْظَرُوا بالهلاك والعذاب، بل أهلكوا واستؤصلوا. ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟: أفهؤلاء يصدقون إن جاءتهم آية؟! ٧- ﴿فَسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: قيل: أهل القرآن. وقال أكثر المفسرين: أهل التوراة والإنجيل. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أن رسل الله من البشر. وقد كان أهل الكتاب لا يجهلون ذلك. ٨- ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾: يعني: الرسل، يقول عز وجل: لم نجعلهم ملائكة أو بشرًا ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: ولكن أجساداً فيها أرواح مثلك ياكلون الطعام. ووحد «الجسد» وهو من صفة الجماعة بمعنى المصدر، كما يقال: وما خلقتهم خلقاً ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: يقول: لم نجعلهم أرباباً لا يموتون. ٩- ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: المشركين. ١٠- ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: حديثكم. وقيل: الذكر هاهنا: الشرف، لأنه شرف لمن اتبعه وعمل به. [٦] أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان، ثم لم يؤمنوا، لم ينظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]. التوجيه والله أعلم: أن هذين الاسمين العظيمين وهما: الرب والرحمن تواردا في الكتاب العزيز كثيراً، أول ذلك في الفاتحة، ثم إن اسمه سبحانه الرحمن يغلب وروده حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان، والرفق بالعباد والتلطف والتأنيس، وأما اسمه الرب فيعم وروده طرفي الترفع والترهيب، أما الترفع فبين، وأما الترهيب فحيث يرد معنى ملكيته سبحانه لهم، وانفراده بإيجادهم، وإدراج أرزاقهم، وبيان انفراده تعالى بذلك، ثم هم بعد ذلك على كفرهم، ولما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار ما طيه وعيد وترهيب، مع تطفئه سبحانه بهم بتذكيرهم - لم يكن ليناسب ذلك ورود اسمه الرحمن، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، أشد تخويفاً للمخاطبين، ثم إن لفظ الناس لفظ لا يخص به المؤمنون، إنما يرد حيث يراد عموم المخاطبين، ويكثر حيث يراد الوعيد والإنذار والتخويف، أما آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي ﷺ وإعلامه أن توقف قومه عن الإيمان إنما هو بقدرته تعالى عليهم، ولو شاء لأراهم آية تبهرهم كرفع الجبل فوق بني إسرائيل، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، ثم رجع الكلام إلى تعنيف المكذبين، فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا ﷺ، وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قُدر له الإيمان منهم، فأشار إلى هذا وناسبه اسمه الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]، فقد وضع ورود كل من الآيتين في موضعه على ما يجب ويناسب، والله أعلم. [٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، النحل: ٤٣. آية سورة يوسف قد تقدمها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ آيَاتِهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوة السياق في هذه الآية يدل على معنى القسم، فناسب ذلك زيادة ﴿وَمِنْ﴾ المقترضة الاستغراق، وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنُوتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ٤١]، يؤكد ذلك المعنى، فناسبه زيادة ﴿وَمِنْ﴾ لا استغراق ما تقدم من الزمان، أما قوله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء، فتقدم قبله إنكار الكفار كون الرسل من البشر في قوله: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، واقتراحهم الآيات ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، فلما تقدم هذا أتبع ببيان الطرف الآخر، وهو التعريف بأن الرسل إنما كانوا رجالاً، فقيل هنا: [٨] ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين: "جِسْمٌ وَجَسَدٌ وَبَدَنٌ؟" **الجواب:** الجسم: يطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يطلق على العقلاء بعد الموت. **أمثلة قرآنية: الجسم:** ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، **الجسد:** ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيقِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، **بدن:** ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

[١٣٣] ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ قرئ: (تأتهم) بناء أول الفعل نظراً إلى لفظ (بينه)، وللإجماع على تأنيث الفعل في قوله: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾. وقرئ: (يأتهم) بالياء نظراً إلى المعنى فإنه بمعنى البيان، أو يقال: إن تأنيث (بينه) مجازي يجوز تأنيثه وتذكيره، والله تعالى أعلى وأعلم.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ قرئ: (قال) بفتح القاف واللام بينهما ألف على أن الفعل ماضٍ مسند إلى ضميره صلى الله عليه وسلم، والكلام إخبار من الله تعالى حكاية عما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم الطاعنين في رسالته وفيما جاء به. وقرئ: (قل) بضم القاف وسكون اللام على أنه أمر من الله تعالى لنبيه أن يجيب الطاعنين بقوله: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ﴾ الآية. [٧] ﴿إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿نُوْحِي﴾ قرئ: (نوحى) بنون في أوله وكسر الحاء على أنه = نزول سورة الأنبياء: نزلت بعد سورة إبراهيم، وهي مكية بالاتفاق. **عدد كلمات سورة الأنبياء:** ألف ومائة وثمانية وستون. **عدد حروف سورة الأنبياء:** أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون. **أسماء سورة الأنبياء:** ما لها اسم سوى سورة الأنبياء، وسميت سورة الأنبياء لاشتغالها على قصصهم، ففيها قصص إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، =

١١، ١٢ - ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: كسرنا. ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا﴾: عاينوا ﴿بَاسَنَّا﴾: عذابنا ﴿يَرْكُضُونَ﴾: يهربون سراعاً. ١٣ - ﴿إِلَىٰ مَا أَتَرَقْتُمْ فِيهِ﴾: من عيشكم، وإلى مساكنكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تفقهون. وقيل: لعلمكم تسألون شيئاً من دنياكم: استهزاء بهم. ١٥ - ﴿دَعَوْنَهُمْ﴾: دعاؤهم، دأبهم وديدنهم، ﴿حَصِيدًا﴾: خُصِدُوا بالسيوف كما يُحصد الزرع ويستأصل بالمناجل. همدواً قد سكنت حركاتهم. وقيل: هم الذين بُعث عليهم بُخْتَنَصْر. ١٦ - ﴿لِالْعَيْنِ﴾: عبثاً وباطلاً. ١٧ - ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾: صاحبة وولداً ﴿لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: من أهل السموات، ولم نتخذ نساء وولداً من أهل الأرض، وفي ذلك ردٌّ على زعمهم في مريم والمسيح وعزير. ١٨ - ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: يهلكه، كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، فإذا بلغت ذلك فلا حياة له. ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: مضمحل هالك ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾: مما تشركون وتكذبون. ١٩ - ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: هم الملائكة ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يملّون ولا يعيرون. ٢٠ - ﴿لَا يَقْتُرُونَ﴾: لا ينقطعون، أي إن تسيبهم لا يتخلله فترة بفرار أو شغل آخر. وقيل: جعل لهم التسيب كما جعل لهم النفس، فلا يؤذيهم ذلك. ٢١ - ﴿هُمْ يُبْشِرُونَ﴾: يحيون الموتى، وينشئون الخلق. ٢٢ - ﴿لَفَسَدَتَا﴾: لفسد أهل السماوات والأرض. ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ﴾: تنزيهاً لله من البهتان الذي يصفون. ٢٣ - ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفْعَلُ﴾: لا يُردُّ عليه حكمه، ولا يقال له لم فعلت كذا؟ ٢٤ - ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حججتكم ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾، هذا القرآن فيه خبر من معي، بما لهم من ثواب الآخرة وعقوبة المعصية ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾: خبر الأمم السالفة قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا، وما هو فاعل بهم في الآخرة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: يعني: المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: الصواب فيما يقولون وما يذرون. ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: عنه جهلاً.

[٢٢] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع

إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٢٢] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ إِلَهًا ابْتِغَاءَ وَهْوَرُبِّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المربّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. = ﴿قَبْلَكَ﴾ كما قيل في نظيرتها: ﴿مَا أَمَنْتُ قَبْلَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦]، وذلك لإحراز التناسب والتحام الجملة المنطوية على طرفي مقصدهم. [١٤] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]، ﴿قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]. فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الأنبياء: فلم يكن لهم من جواب عند نزول العذاب بهم إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا. [١٤] ﴿قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]، ﴿قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٣١]. فلم يكن لهم من جواب عند نزول العذاب بهم إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية القلم فهي تتحدث عن أصحاب الجنة حين منعوا الفقراء حقهم فعاقبهم الله، فلما رأوا ما نزل بهم من العذاب قالوا: ويلنا إننا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء، ومخالفة أمر الله.

[١٨] ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ما الفرق بين: "زاهق، زهوق؟" [الجواب: وردت كلمة (زاهق) مرة واحدة، وكذلك وردت كلمة (زهوقاً) مرة واحدة. (زاهق) اسم فاعل، و(زهوقاً) صفة مشبهة. جاءت كل كلمة في سياقها متسقة معه، فقد جاءت كلمة (زهوقاً) فاصلة، لما فيها من مدّ في الحرف قبل الأخير (الواو) ولا يمكن أن تحل مكانها -هنا- كلمة زاهق التي لا تصلح أن تكون فاصلة. ثم إن كلمة (زهوقاً) قد سبقت بكلمة (زهق)، فلو ذكرت كلمة زاهق بعدها (أي مكان كلمة زهوقاً) لكان تكراراً للمعنى وزيادة لا فائدة منها في الآية، لذا جاءت كلمة فيها معنى أبلغ وأكثر تأكيداً، هي (زهوقاً) التي على وزن (فعلول). وأتت (زاهق) في سياق كان الهدف منه الإخبار بأن الباطل (زاهق) دون مبالغة في المعنى، فناسب ذكر (زاهق) عن (زهوق).

[٣٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشِّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. أخبر تعالى عن إدريس وعيسى، أنه رفعهما إليه فهما حيّان عنده تعالى، وهما من البشر، فكيف التوفيق بين الوجهتين؟ [الجواب: أن المراد من الخلد هو الخلد في الدنيا التي هي عالم الفناء المعهود عندهم، وإدريس وعيسى عليهما السلام في عالم آخر غير المعهود عندهم.

= مبني للمعلوم، وفاعله ضمير العظمة والمصدر المنسبك من "أن واسمها وخبرها" مفعول. وقرئ: (يُوحَى) بالياء بدل النون وفتح الحاء، ويلزمه قلب يائه ألفاً على أنه فعل مبني للمجهول والمصدر المنسبك من "أن واسمها وخبرها" نائب الفاعل، أي: إلا يوحى إليه كونه لا إله إلا أنا... إلخ.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهَا سَمَاءً وَكُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفْلاً يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ﴾ قرئ: (أولم) بواو بعد الهمزة على أنها عاطفة، وفي المعطوف عليه مذهبان: أحدهما: مذهب الزمخشري وهو: أنه مقدر بعد همزة الإنكار محذوف يدل عليه الكلام السابق، وهو هنا أنهم اتخذوا من دونه آلهة، عطف إنكار جهلهم بالدلائل الكونية على توبيخهم على عبادة غيره، والعدول عن عبادته وحده. وأصل الكلام: وألم، فقدمت الهمزة لأن لها الصدارة وأخرت الواو عنها، والتقدير: أعموا عن الحق ولم ير الذين كفروا؟ وقيل: فيه رد الكلام بالواو على ما قبله، وكذلك هو بالواو في جميع المصاحف إلا مصحف أهل مكة. وقرئ: (ألم) بترك الواو بعد الهمزة على أن الكلام مستأنف لتوبيخهم على تقصيرهم بعدم التدبر في الدلائل الكونية الدالة على وحدانيته وأن جميع الكون وما فيه خاضع لمشيئته ومسخر لإرادته، فلا ينبغي العدول عن عبادته، ومن كانت هذه صناعته فلا ينبغي الإعراض عنه إلى عبادة حجارة لا تضر ولا تنفع.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [إعجاز عددي]: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

= نوح، وسليمان، وداد، وأيوب، وإسماعيل، وصالح، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى. مواضع سورة الأنبياء: مقصود السورة: ما اشتملت عليه مجملًا: من التنبيه على الحساب في القيامة، وقرب زمانها، ووصف الكفار بالغفلة، وإثبات النبوة، واستيلاء أهل الحق على أهل الضلالة، وحُجّة الوحداية، والإخبار عن =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَكُنْ جَزَاءُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِِّينَ قَبْلَ الْخُلْدِ أَفَآئِينَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٢٦- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾: قالوا اتخذ ولدًا من الملائكة، ويصح أن تحمل الآية على كل من جعل لله ولدًا؛ فتزعه الله عن ذلك، وقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾: بل هم عباد أكرمهم الله عز وجل. ٢٧- ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به. ٢٨- ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾: لمن رضي الله عنه يوم القيامة ﴿مُشْفِقُونَ﴾: حذرون. ٢٩- ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾: المعنى: من يقل منهم كذا لو قاله. وليس منهم من قال هذا. ٣٠- ﴿كَانَتْ رَتْقًا﴾: وحّد «الرتق» وهو من صفة السموات والأرض لأنه مصدر مثل الصوم والفطر. وقيل: «كانتا رتقًا» كانت السموات لا تمطر، والأرض رتقًا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: أحينا بالماء الذي نزل من السماء كل شيء، والنبات والشجر وإن كان مما لا حياة له في معنى ذوات الأرواح؛ فليس شيء إلا له حياة وموت. ٣١- ﴿رَوَاسِيَ﴾: جبالاً راسية ثابتة. ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾: ألا تتكفأ بهم وتضطرب، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾: في الجبال، أو في الأرض لأن الجبال من الأرض ﴿فِجَاجًا﴾: أعلاماً ومسالك. قال الزجاج: كل مخترق بين جبلين فهو فج، ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: ليهتدوا السير فيها. ٣٢- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾: السقف: ما علاه أي فوقكم ﴿مَحْفُوظًا﴾: عام في الحفظ من الشياطين ومن الوهي والسقوط، ونحو ذلك من كل شيطان رجيم ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾: عن حجج الله عليهم، ودلالات ربوبيته في خلقها وشمسها، وقمرها ونجومها، معرضون عن الفكر فيها والاعتبار. ٣٣- ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾: يعني: في فلك السماء، وأصل الكلمة من الدوران، ومنه: فلك المغزل لاستدارتها، ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يحIRON. ٣٤- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ﴾: بالشدة والرخاء لنتنظر شكركم وصبركم ﴿فَتَنَةً﴾: بلاء واختباراً.

[٢٦] معنى اسم الله الرحمن: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود،

والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٢٤] وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه فقال: يا رب فمن لأمتي؟ فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِِّينَ قَبْلَ الْخُلْدِ﴾ الآية. [٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾ [١٩] لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا [نوح: ١٩-٢٠]. قدم الفجج على السبل في الآية الأولى وآخر في الثانية، وذلك أن الفجج في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال، قدم الفجج لذلك، بخلاف آية نوح، فإنه لم يرد ذكر للجبال فأخرها، فوضعت كل لفظة في الموضع الذي تقتضيه. [٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]. زاد في آية العنكبوت ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي، لأن الرجوع في آل عمران إلى الجنة أو النار، وجاء بالواو في آية الأنبياء لأنه حيل فيها بين الكلامين بقوله: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾، فقامت هذه الجملة المعترضة مقام التراخي.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. أي: أجسادها، إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاق الموت في حال موتها؛ لأن الحياة شرط في الرزق، وسائر الإدراكات، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، معناه: حين موت أجسادها. [٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَوْا كَذِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا تَأْخُذُوكَ إِلَّا هُزُوا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الكهف: ٣٦]. وفي ذكر اسمه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هنا، بيان لقباحه حالهم، وكيف أنهم قابلوا الرحمن - مُسْدي النعم كلها ودافع النقم، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو - بالكفر والشرك.

[٣٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. نشأة الكون: وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو تقريرها بأن نشأة الكون بدأت إثر الانفجار العظيم بعد أن كان كتلة واحدة متصلة، وهذا ما أوضحته وأكثته دراسات الفلكيين وصور الأقمار الاصطناعية في نهاية القرن العشرين. [٣٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. الماء والحياة: الآية الكريمة تبين أن أجساد الكائنات الحية خلقت من ماء، وأن الوظائف الحيوية لا تتم في غيبة الماء، وأن الحياة خلقت أصلاً في الماء، ثم بعد ذلك اليابسة، فهي آية دقيقة مبهرة محكمة تتحدث عن حقيقة كونية لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة. [٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. الغلاف الجوي: إن أحدث شيء يقرره العلماء وآخر وصف يصفون به هذا الغلاف هو أنه كالسقف الذي يحميننا في وسط هذا الكون المظلم والبارد، فهو يقوم بما يلي: يحفظ حياة الكائنات على ظهر الأرض، ففيه الأكسجين اللازم لاستمرار الحياة. يقوم بحفظ وتخزين الحرارة القادمة من الشمس، والمحافظة على حرارة معتدلة ومناسبة للحياة. ولولا هذه الميزة لأصبح كوكب الأرض كالقمر، درجة الحرارة على أحد وجهيه أكثر من مائة درجة، وعلى الوجه الآخر أقل من مائة درجة تحت الصفر. يتصدى لجميع الإشعاعات الضارة التي لو وصلت إلى سطح الأرض لأحرقت من عليها. فلا يصل من هذه الإشعاعات للأرض إلا الجزء الضروري واللازم لاستمرار الحياة. يتصدى لملايين الأحجار النيزكية التي تهوي على الأرض كل يوم، فتحترق بسبب احتكاكها معه قبل أن تصل إلى الأرض إلا القليل منها. كما أن الأرض تتمتع بحزام مغناطيسي قوي لأكثر من ألفي كيلو متر فوق سطحها، هذا الحزام يقي الأرض من كثير من الجسيمات الأولية السابحة في الفضاء. فسبحان القائل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

= الملائكة وطاعتهم، وخلق الله السماوات والأرض بكمال قدرته، وسير الكواكب ودور الفلك، والإخبار عن موت الخلائق وفنائهم، وكلاء الله تعالى وحفظه العبد من الآفات، وذكر ميزان العدل في القيامة، وذكر إبراهيم بالرشد والهداية، وإنكاره على الأصنام وعبادها، وسلامة إبراهيم من نار ثمود وإيقادها، ونجاة =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَيْلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ فَانْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَشْرَكًا بِمَا تُعْبُدُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِنِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ تَوَلُّوكمُ دُبُرَيْكُمْ ﴿٥٧﴾

٤٥ - ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ﴾ أي أحذركم وأخوفكم بالقرآن، وذلك شأني وما أمرني الله به. ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ أي إن من أصم الله سمعه وختم على قلبه لا يسمع الدعاء، أي لا ينتفع بما يسمع فاشبه الأصم. ٤٦ - ﴿لَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ نصيب وحظ وعقوبة ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: بعبادتنا الآلهة والأنداد. ٤٧ - ﴿الْقِسْطُ﴾: العدل. وجعل «القسط» - وهو موحد - نعتاً للموازين، وهو جمع، لأنه في معنى: عدل ورضاً. ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: لأهله ومن يرد على الله عز وجل فيه ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾: حسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين، لأنه لا أحد أعلم بهم وبأعمالهم منه. ٤٨ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾: المراد به هنا: التوراة؛ لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام. وقيل: الفرقان هنا هو النصر على الأعداء. ٤٩، ٥٠ - ﴿مُشْفِقُونَ﴾: حذرون. ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾: يعني: القرآن. ٥١ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: هديناه صغيراً، قيل: أعطيناه هداية من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال لما جنَّ عليه الليل. وقيل: أعطي رشده قبل إيتاء موسى وهارون التوراة. ٥٢ - ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: يعني: الأصنام لأنها كانت على صورة الإنسان من خشب. ﴿عَاكِفُونَ﴾: مقيمون عليها. ٥٣ - ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: خلقهن. ٥٤ - ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾: حلف بهذه اليمين سراً. وقيل: سمعه رجل منهم، أو قوم من ضعفهم ممن كان يسير في آخر الناس. ﴿بَعْدَ تَوَلُّوكمُ دُبُرَيْكُمْ﴾: معناه: إلى عيدهم. ٥٥ - ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]. قد اغتر الكفار وآبائهم بالإمهال لما رأوه من الأموال والبنين وطول الأعمار، فأقاموا على كفرهم لا يبرحونه، وظنوا أنهم لا يُعَذَّبون وقد غفلوا عن سنة ماضية، فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركون من بأس في كل ناحية ومن هزيمة، أيكون بوسع كفار "مكة" الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟ فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية الزخرف: بل متعت أيها الرسول هؤلاء المشركين من قومك وآبائهم من قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم. ٥٢، ٥٣ - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣]، ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٦]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [٧]، ﴿قَالُوا تَعْبُدُونَ أَصْنَامًا فَظَلُّوا لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [٧١]، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [٧٢]، ﴿أَوْ يَبْصُرُونَ﴾ [٧٣]، ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤]. جوابهم في الموضوعين ليس جواباً لسؤال واحد، وإنما ورد جواباً لسؤالين، فاختلف بحسبهما، فسأله في آية الأنبياء سؤال مطلع على معبوداتهم، بعد أن شاهد عبادتهم لها، ولزومهم إياها، وكيفية صورها، فقال: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، أي: ملازمون، فلم يجدوا جواباً إلا اعترافهم بتقليد آبائهم في عبادتها، فجابوه بقولهم: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، وحصل اعترافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة، فأقروا بالعجز عن جواب مقنع، فوقع جوابهم على ما تقدم، وأمّا آية الشعراء فإن سؤال إبراهيم عليه السلام إياهم بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ورد مورد سؤال عن ماهية معبوداتهم وكيفيتها، وكأنه عليه السلام لم يشاهدها، وعلم أنهم يعبدون ما لا يعبد، فسألهم عن ماهيته، فجابوه: ﴿قَالُوا تَعْبُدُونَ أَصْنَامًا فَظَلُّوا لَهَا عَاكِفِينَ﴾، فجابوه معترفين بماهية معبوداتهم على ما أمرهم عليه، وطابق جوابهم سؤاله، فأردف عليه السلام بسؤال آخر قاصداً تعجيزهم والقطع بهم، فقال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [٧٢]، ﴿أَوْ يَبْصُرُونَ﴾ [٧٣]، أي: إذا كانوا هكذا فهل يستجيبون دعاءكم، أو يملكون نفعكم أو ضرركم، فيكون لكم عذر في عبادتكم إياهم، فلما استشعروا ما يلزمهم عدلوا عن الجواب، إلى تقليد الآباء، وقالوا: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وهذا يفيد أن ألتهم لا تنفع ولا تضر. ٥١ - ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]. ما الفرق بين: "الرشد والهدى"؟ **الجواب:** يستعمل القرآن (هدى) في الخير والشر معاً، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعم، وورودها في الشر لم يتعد موضوعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ﴾ [٣]، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَتَهُ، يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رشد) أو (رشد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحد هو: ﴿أَمْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُتَبَّعَ بِكُمْ رُشْدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ (هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى = تعالى جاء لتسليته صلى الله عليه وسلم على كفرهم وعدم إيمانهم، أي: قل إنما أنذركم بالوحي، ولا عليك أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا، فعدم إيمانهم ليس لقصور فيك، ولا فيما جئت به، ولكن لكونهم بمنزلة الصم ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون. وقرئ: ﴿تَسْمِعُ الصَّمَّ﴾ ببناء مضمومة وكسر الميم ونصب "الصم" على أن الفعل مضارع من أسمع مسند إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، و"الصم" مفعول أول، و"الدعاء" مفعول ثانٍ، وهذه القراءة تؤيد الاحتمال الثاني في القراءة الأولى. ٤٧ - ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ﴾ بنصب (مثقال) على أنه خبر كان واسمها ضمير يعود على العمل المفهوم من قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ لأنه يدل على وزن العمل. وقرئ: (مثقال) برفع (مثقال) على أنه فاعل لكان وهي "تامة" بمعنى "وجد" فلا تحتاج إلا لمرفوع فقط. = وغيرها، ومن يدري فقد يرى العلماء غداً في هذه الآية ما لا نراه اليوم. ٥٧ - ﴿أَصْنَامَكُمْ﴾ إعجاز عددي: ١ - ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢ - ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات. ٣ - ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات. ٤ - ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات. ٥ - ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات. ٦ - ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات. ٧ - ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات. ٨ - ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات. ٩ - ذكرت مشتقات كلمة (الخية) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الرعب) و(الخية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله تعالى. = من الأزل إلى الأبد في جميع الأزمان، على علالي الجنان، وطبي السماوات في ساعة القيامة، وذكر الأمم الماضية، والمنزل من الكتب في سالف الأزمان، وإرسال المصطفى ﷺ بالرأفة والرحمة والإحسان، وتبليغ الرسالة، على حكم السوية من غير نقصان ورجحان، وطلب حكم الله تعالى على وفق الحق، والحكمة في قوله: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ...﴾ [الأنبياء: ١١٢].

٥٨ - ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾: يعني: الأصنام، كسرهما ﴿جُودًا﴾: قطعاً. والمجدوذ: المكسور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: أعظم أصنامهم، فإنه لم يكسره، وعلق فأساً في عنق الصنم أو يده. ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾: إلى إبراهيم فيحاجهم، أو إلى الصنم الكبير فيسألونه عن الكاسر. ٦٠ - ﴿سَمِعْنَا قَوْلَ يَدُكُمُ﴾: يعيها ويستعزى بها، لم نسمع ذلك من غيره. ٦١ - ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: عليه أنه فعل ذلك. وقيل: يشهدون ما يصنع به من العقوبة. ٦٣ - ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾: يعني: صنمهم العظيم، لأنه غضب من أن يعبدوا هذه الصغار معه! ٦٤ - ﴿فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمُونَ﴾: لهذا الرجل في مسالتكم إياه، وهذه ألهتكم حاضرة فاسألوها. ٦٥ - ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾: نكسوا في الفتنة. ونكس الشيء: قلبه على رأسه فيصير أعلاه أسفله، وإنما نكست حجتهم فاحتجوا بما كان حجة لإبراهيم عليه السلام. وقيل: إنهم رجعوا إلى جهلهم وعنادهم. ٦٧ - ﴿أَفِي لَكُمْ﴾: قبحاً لكم. ٦٨ - ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ﴾: للنصر، أي إن كنتم ناصريها. ٦٩ - ﴿بَرَدًا وَسَلَامًا﴾: لما القوه في النار قيل: لم تحرق النار منه يومئذ إلا وثاقه، وروي أن جبريل جاء إليه وهو يوثق ليلقى في النار، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. ٧١ - ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾: الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى عليه السلام، وفيها يهلك الدجال. ٧٢ - ﴿نَافِلَةً﴾: نافلة له. قيل: عنى به ابنه يعقوب. وقيل: سأل واحداً بأن قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٠] فوهب الله له واحداً، وزاده يعقوب نافلة. و«النافلة»: العطاء والفضل من الشيء يصير إلى الرجل، من أي شيء كان. [٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨]. في سورة الأنبياء كادهم إبراهيم؛ لقوله: ﴿لَا كَيْدَ أَنْتُمْ لَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وهم كادوا إبراهيم لقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الأنبياء: ٧٠]، فجرت بينهم مكيدة، فغلبهم إبراهيم؛ لأنه كسر أصنامهم، ولم يغلبوه؛ لأنهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم فكانوا هم الأخسرين، وفي الصافات: ﴿قَالُوا ابْنَاهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوَّةِ فِي الْحَجِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، فأحجوا ناراً عظيمة، وبنوا بنياناً عالياً، ورفعوه إليه، ورموه منه إلى أسفل، فرفعه الله، وجعلهم في الدنيا سافلين، ورددهم في العقبي أسفل سافلين، فخضت الصافات بـ«الأسفلين». [٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا...﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾ [العنكبوت: ٢٧]. الآيات الثلاث تتحدث عن منة الله على إبراهيم عليه السلام بأن رزقه الله إسحاق ابناً ويعقوب حفيداً، وآية الأنعام تبين أن الله قد وفق كلا منهما لسبيل الرشاد...، أمّا آية الأنبياء فتوضح أن كلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحاً مطيعاً له، وأمّا آية العنكبوت فتبين أن الله جعل في ذرية إبراهيم الأنبياء والكتب...

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا قَوْلَ يَدُكُمُ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْاهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَتَتْكَ فَقُلْتُ هَذَا إِبْرَاهِيمَ يَا نَبِيَّ رَبِّهِمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

(٣٢٧)

حق كان أو إلى باطل، إلى صواب كان أو إلى خطأ، إلى خير كان أو إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخص من (الهدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلة للرشد. الرشد: هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنوع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٥٤] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿صَلَاحٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤]، ﴿أَمْ يَجْعَلُ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ **الجواب:** وردت كلمة (ضلال) سبعاً وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضَلَّ يَضِلُّ ضَلَالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضَلَّلَ يَضِلُّلُ تَضْلِيلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثاً وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عن نفسه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقه بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقه بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر عنها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلاً: ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١]. [٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. قال تعالى عن تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾، تأمل هذا الاحتراز العجيب! فإن كل ممقوت عند الله لا يطلق عليه ألقاب التعظيم إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: إلى عظيم الفرس، إلى عظيم الروم، ونحو ذلك، ولم يقل إلى العظيم، وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾، ولم يقل كبيراً من أصنامهم، فهذا ينبغي التنبه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه.

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿جُودًا﴾ قرئ: (جُودًا-جُودًا) بضم الجيم وكسرهما وهما لغتان في مصدر جدّ، بمعنى: قطع وهي مصدر بمعنى اسم مفعول، ولكونه مصدر لا يثنى ولا يجمع، وقيل: المضموم جمع جذاة كزجاج وزجاجة، والمكسور جمع: جديذ ككريم وكرام، والجذاذ، والجديذ بمعنى المجذوذ أي: المقطوع، والمعنى: "فجعلهم قطعاً" وعليه قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُوزٍ﴾ أي: غير مقطوع.

[٦٦] ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ **إعجاز عددي:** وردت كلمة (النفع) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد) بمشتقاته، وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله. [٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولاً: لفظة =

٨٢- ﴿مَنْ يَغْضُوبْ لَهُ﴾: في البحر ﴿عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾: من البنيان والمحاريب والتماثيل ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾: لا يؤودنا حفظ أعمالهم وأعدادهم. ٨٣- ﴿أَفِي مَسْنَى الضَّرِّ﴾: اختلف في تفسير هذا الضر، ولا خلاف على إصابته بمرض أو وهن مما يصيب سائر الناس، أما أن يكون هذا المرض معدياً أو منفراً فليس بصحيح؛ لأن الأنبياء ليسوا معصومين فقط عن الكبائر، ولكنهم منزهون كذلك عما ينفر؛ لأن كلا الأمرين يتعارضان مع التبليغ وإن عم. ٨٤- ﴿وَأَتَيْنَهُ أَهْلَهُ وَمَنْ لَهُمْ مَعَهُمْ﴾: قيل: رد الله عليه أهله بأعيانهم وأحياءهم له، وقد كان مات أهله جميعاً إلا امرأته، وزاد إليهم مثلهم. ﴿وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾: وتذكروا لأولي الألباب، فأما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب، فليقل: قد أصاب من هو خير مني نبياً من الأنبياء. ٨٥- ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾: قيل: لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفل بعمل رجل صالح عند موته. وقيل: تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وألا يغضب، ويقضي بالعدل. ٨٧- ﴿وَذَا النُّونِ﴾: يونس بن متى عليه السلام، يعني: صاحب النون، و«النون» الحوت ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾: غضب على قومه وخرج عنهم، وقد أمره الله عز وجل بالبقاء بين أظهرهم. ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: ظن يونس أن لن نجسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته. ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾: ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ٨٨- ﴿وَكُنَّا لَهُمْ نَاصِرِينَ﴾: إذا استغاثوا بنا ودعونا. ٨٩- ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: لا ولد لي ولا عقب يرثني. ٩٠- ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: كانت عقيماً، فجعلنا له ولوداً حسنة الخلق. ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: في طاعة الله تعالى وما يقربهم منه ﴿وَيَذْعُونَكَ﴾: «الدعاء» في هذا الموضع: العبادة. ﴿رَبِّكَ﴾: فيما يرجون عند الله عز وجل ﴿وَرَهْبًا﴾: إشفافاً وخوفاً.

[٨٤] ﴿وَأَتَيْنَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّْا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣]. ختمت القصة في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾، وفي ص: ﴿رَحْمَةً مِنَّْا﴾، لأنه بالغ في الأنبياء في التضرع بقوله: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فبالغ سبحانه في الإجابة، وقال: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾، لأن "عند" حيث جاء دل على أن الله سبحانه تولى ذلك من غير واسطة. وفي ص لما بدأ القصة بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ٤١] ختم بقوله "منَّا" ليكون آخر الآية ملتصقاً بالأول. [٨٥] ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]. واذكر أيها الرسول عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية ص: واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل. [٩١] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِمَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِمَا مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢]. الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو "التي"، وهي مريم بنت عمران المفتوح باسمها في آية التحريم، أعيد الضمير في سورة الأنبياء إليها، وذلك تخصيص وتكريم جليل وآية باهرة، وقد قصد هنا تشريفها وتشريف ابنها عليهما السلام بالذكر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾، ولم يقع في آية سورة التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود في سورة الأنبياء بذكر من لم يذكر في سورة التحريم، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، فقيل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِمَا مِنْ رُوحِنَا﴾، وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص بمحل النفخ من غير إشكال. وقيل في آية التحريم: "فيه" لعوده إلى الموضع المخصوص على ما يجب، ولم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتها في القانتين. وأمّا عن وجه تخصيص آية الأنبياء بالتشريف دون الآية الأخرى، فإن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات تضمنت ذكر جملة من الرسل =

[٩٠] ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَهِلِّهَا شُحُورًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، وَجْهًا يَاجُوجَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. القرآن يعبر عن الرجل بـ"الزوج" أحياناً وبـ"البعل" أحياناً أخرى، وعن المرأة بـ"الزوج" وبـ"المرأة" في بعض المواضع، فما السر في ذلك؟ **الجواب:** معنى "الزوج" يقوم على الاقتران القائم على التماثل والاتفاق والانسجام التام، فالزوج فرد انضم إليه مماثل له من جنسه، ولذا تستعمل للرجل والمرأة، ولذلك لا يطلق القرآن كلمة زوج على الرجل أو المرأة إلا إذا كانت الحياة الزوجية متفقة ومستقرة، وأمّا إذا حدث خلل في الحياة الزوجية، مثل: عدم الإنجاب، أو خلافات في الحياة الزوجية، أو عند حدوث نزاع، أو عند الاختلاف في الدين، فإن القرآن يطلق على كل منهما، بعل وامرأة.

[٨٧] ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى﴾ قوله تعالى: ﴿نَقْدِرُ﴾ قرئ: ﴿نَقْدِرُ﴾ بنون مفتوحة وكسر الدال على أن الفعل مبني للمجهول والمجرور بعده في محل رفع نائب فاعل. [٨٨] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ نَاصِرِينَ﴾ قرئ: ﴿نَجِي﴾ بنون وجيم مخففة على أنه مضارع "أنجي" مسند إلى ضمير العظمة حذف منه نونه الثانية رسماً لكونها مخففة. وقرئ: ﴿نَجِي﴾ بنون واحدة بعدها جيم مشددة على أنها مضارع نجا، وأصله: نجي، فأدغمت النون في الجيم بعد قلبها جيمًا للتخفيف، ولتجانس النون والجيم في الجهر والاستفال والانفتاح ومع ذلك إدغام غير مقيس، أو مضارع نجى وأصله: نُجِّي، حذف نونه الثانية لاجتماع المثليين كما حذف التاء الثانية في نحو: (تظاهرون)، ورجح حذف الثانية لسكون الأولى، والثقل إنما حصل بالثانية، وأيد هذا الوجه قراءة الجمهور و"كذلك ننجي المؤمنين" بإظهار النونين وتخفيف الجيم، وقراءة التشديد مع حذف النون الثانية أوفق للرسم لموافقتها صريح الرسم. [٩٥] ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَ كُنْهَآ﴾ قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ﴾ قرئ: ﴿وَحَرَّمَ﴾ بفتح الحاء والراء بعدها ألف. وقرئ: ﴿وَحَرَّمَ﴾ بكسر الحاء وسكون الراء وحذف الألف، وهما لغتان في وصف الفعل الذي وجب تركه، يقال: هذا حرام وحرم، كما يقال فيما أبيح فعله: هذا حلال وحل، وأصل الحرام: مصدر سمي به الممنوع منه تسمية بالمصدر، والحرم لغة فيه.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْضُوبُ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفِي مَسْنَى الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ ﴿٨٤﴾ وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿٩٠﴾ وَيَذْعُونَكَ إِذَا اسْتَاغَاثُوا بِنَا وَدَعُونَا ﴿٨٩﴾ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴿٩٠﴾ لَا وَلَدَ لِي وَلَا عَقْبَ يَرِثُنِي. ﴿٩٠﴾ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ ﴿٩٠﴾ كَانَتْ عَقِيمًا، فَجَعَلْنَا لَهُ وَلَدًا حَسَنَ الْخَلْقِ. ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ﴿٩٠﴾ فِيمَا يَرْجُونَ عِنْدَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ﴿وَرَهْبًا﴾: إِشْفَافًا وَخَوْفًا.

[٨٤] ﴿وَأَتَيْنَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّْا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣]. ختمت القصة في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾، وفي ص: ﴿رَحْمَةً مِنَّْا﴾، لأنه بالغ في الأنبياء في التضرع بقوله: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فبالغ سبحانه في الإجابة، وقال: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾، لأن "عند" حيث جاء دل على أن الله سبحانه تولى ذلك من غير واسطة. وفي ص لما بدأ القصة بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ٤١] ختم بقوله "منَّا" ليكون آخر الآية ملتصقاً بالأول. [٨٥] ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]. واذكر أيها الرسول عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية ص: واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل. [٩١] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِمَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِمَا مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢]. الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو "التي"، وهي مريم بنت عمران المفتوح باسمها في آية التحريم، أعيد الضمير في سورة الأنبياء إليها، وذلك تخصيص وتكريم جليل وآية باهرة، وقد قصد هنا تشريفها وتشريف ابنها عليهما السلام بالذكر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾، ولم يقع في آية سورة التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود في سورة الأنبياء بذكر من لم يذكر في سورة التحريم، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، فقيل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِمَا مِنْ رُوحِنَا﴾، وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص بمحل النفخ من غير إشكال. وقيل في آية التحريم: "فيه" لعوده إلى الموضع المخصوص على ما يجب، ولم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتها في القانتين. وأمّا عن وجه تخصيص آية الأنبياء بالتشريف دون الآية الأخرى، فإن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات تضمنت ذكر جملة من الرسل =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١٠٣- ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أهوال يوم القيامة. وقيل: إذا أطبقت النار على أهلها. ١٠٤- ﴿كُطِيَ السَّجِلُ﴾: السجل: اسم الصحيفة التي يكتب فيها. أي كطي الصحيفة على الكتاب. واللام بمعنى «على»، والتقدير: نظوي السماء كما تطوى الصحيفة على ما فيها من الكتاب. وقيل: التقدير: كطي الصحيفة من أجل ما كتب فيها. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾: انقضى الخبر عن صلة قوله عز وجل: «لا يجزئهم الفزع الأكبر»، ثم ابتداء الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ، ومعناه: نعيد الخلق عراة حفاة غرلاً، كما خلقناهم في بطون أمهاتهم. ١٠٥- ﴿فِي الزُّبُورِ﴾: كتب الأنبياء كلها ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: الذي أنزل الله عليهم، والذكر هاهنا: أم الكتاب الذي عنده عز وجل في السماء ﴿أَنْتَ آتِ الْأَرْضَ بِرِثْهَا﴾: يعني: أرض الجنة. وقيل: هي أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ. ١٠٦- ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَآيَاتٍ لِّعُلَمَاءٍ﴾: يعني: القرآن ﴿لِّبَلَّغَا﴾: إلى رضوان الله عز وجل وإدراك الطلب عنده ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: قيل: هم أمة محمد ﷺ أصحاب الصلوات الخمس. ١٠٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم: بل لجميع العوالم من خلق الله تعالى؛ لأن شريعته إنسانية، وقامت على تكريم بني آدم، والرفق بجميع الخلائق. ١٠٩- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾: أدبروا ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾: يقول عز وجل، أعلم قومك من قريش أنك وهم على علم أن بعضكم لبعض حرب لا صلح بينكم ولا سلم ﴿وَإِنْ أَدْرَى﴾: ما الوقت الذي يحل بكم فيه عقاب الله تعالى الذي وعدكم به ﴿أَقْرَبُ﴾: ترويه ﴿أَمْبَعِيدُ﴾؟ ١١١- ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ﴾: لعل تأخير ذلك عنكم لفتنة يريدها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل مسمى قد جعله لعقابكم. ١١٢- ﴿أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾: فحكمك الحق ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: تقولون فيما أتيتكم به.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾. لما تقدم في سورة الأنبياء إثبات كون

الرسول عليهم السلام من البشر فيما حكاه تعالى من قول الكفار بعضهم لبعض: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، ثم قال ردًا لقولهم مثبتًا كون الرسل من البشر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، ثم تتابع في هذه السورة ذكر الرسل من البشر في عدة مواضع إفصاحًا وإشارة... لم يحتاج هنا أن يذكر كونه عليه السلام من البشر إذ قد تولى ذلك جملة وتفصيلاً. أمّا سورة الكهف فلم يتقدم فيها هذا فكان مظنة الإعلام بكونه ﷺ من البشر إرغامًا لأعدائه، ولما في ذلك من تلطفه تعالى بالخلق ورحمته إياهم... فكان الرسل من البشر من أعظم إنعامه سبحانه على الخلق، ويقال في موضع سورة فصلت مثل ما قيل في موضع الكهف.

= توكيدًا ومبالغة في الكفر، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها أيضًا، عندما يتنكب المرء الحق على معرفة وعلم. أو يأبى استماع الحق والإذعان إليه. و(الكفران) متعلق بالحقوق والنعم التي تخص المؤمنين، وفيها توكيد (ويمكن أن تأتي في غير القرآن بمعنى الكفور). جاءت كلمة (الكفر) في معظم المرات في سياق ذكر فيه (الإيمان) فكانت كلمة (الكفر) مقابل كلمة (الإيمان). أما كلمة (الكفور) فقد سبق في المرات الثلاث التي وردت فيها بكلمة (أبى)، ولم تستعمل كلمة (أبى) ولو مرة واحدة مع كلمة (كفر) أو (كفران). أما كلمة (كفران) فهي خاصة بجحود النعمة أو جحود السعي الطيب للإنسان. [١٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. كيف يكونون مبعدين عن جهنم، وقد قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وورودها يقتضي القرب منها؟ **الجواب:** معناه مبعدون عن ألمها وعذابها مع ورودهم لها، أو معناه مبعدون عنها بعد ورودها بالإنجاء المذكور بعد الورود. يوجد قول آخر انظر مريم: ٧١.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كُطَي السَّجِلِ لِّلْكُتُبِ﴾ قوله تعالى: ﴿نَطْوِي﴾ قرئ: (نَطْوِي السَّاء) بنون مفتوحة وكسر الواو، ونصب (السماء) على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة، و(السماء) مفعوله. وقرئ: (نَطْوِي السَّاء) بباء مضمومة وفتح الواو، ورفع (السماء) على أن الفعل مبني للمجهول حذف فاعله للعلم به، و(السماء) نائب فاعل؛ لأن الفاعل في الحقيقة هو: الله سبحانه وتعالى. قوله تعالى: ﴿لِّلْكُتُبِ﴾ قرئ: (لِّلْكُتُبِ) بكاف مضمومة وتاء مضمومة على أنه جمع كتاب بمعنى الصحف، ومعنى: "طي السجل لها كطي الكاتب للصحف" والإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله، قال في القاموس في مادة السجل: والسجل: الكاتب والرجل بالحشية، و(اللام) للتقوية، و(السماء) مفرد أريد به الجمع؛ لأن السموات كلها تطوى ليس تطوى سماء واحدة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾، والمعنى على ذلك: يوم نظوي السموات كطي الملك للكتب، فأنت الكتب بالجمع كالسموات. وقرئ: (لِّلْكُتَابِ) بكسر الكاف وفتح التاء بعدها ألف على الأفراد بمعنى الصحيفة، و(اللام) بمعنى (على) أي: كطي الصحيفة على المكتوب فيها. وقيل: إن السجل هو الرجل، والتقدير: كطي الرجل الصحيفة، وقيل: إن السجل ملك يطوي الكتاب، فيكون على هذين القولين: (طي) مصدر مضاف إلى الفاعل، و(اللام) في الكتاب زائدة، وقال قتادة: السجل هي الصحيفة بعينها، والمعنى: كطي الصحيفة فيها الكتب، والتقدير: "كطي الطاوي السجل فيه الكتب" وتوحيد الكتاب لتوحيد السماء.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ﴾ قوله تعالى: ﴿الزُّبُورِ﴾ هنا، و"الإسراء: ٥٥، النساء: ١٦٣" قرئ: (الزُّبُور) بضم الزاي. وقرئ: (الزُّبُور) بفتح الزاي، والضم والفتح لغتان في اسم الكتاب المنزل على نبي الله داود عليه السلام. [١١٢] ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ... عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قرئ: (قَالَ) بقاف ولام مفتوحين بينهما ألف على أنه فعل ماضٍ مسند إلى ضميره صلى الله عليه وسلم، والكلام إخبار عما قاله صلى الله عليه وسلم. وقرئ: (قُلْ) بضم القاف وسكون اللام على أنه فعلٌ أمرٌ ووجهٌ إلى النبي ﷺ تعليمًا له أن يدعو بهذا الدعاء. قوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾ قرئ: (رَبِّ) بكسر الباء على أنه منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والكسرة لمناسبة الباء المحذوفة، وهي لغة مشهورة في المنادي المضاف لياء المتكلم. وقرئ: (رَبِّ) بضم الباء على أنها ضمة بناء مع قطع النظر عن =

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كُطَي السَّجِلِ لِّلْكُتُبِ﴾ كما بدأنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا ﴿[الأنبياء: ١٠٤]. طي السماء: بعد أن أثبت العلماء أن الكون في توسع مستمر، قالوا لن يستمر هذا التوسع للأبد، بل سيأتي اليوم الذي يقف عنده هذا التوسع، ويعود الكون ليتقلص ويصغر حجمه وينتهي عند النقطة التي بدأ منها، هذا ما تدل عليه بعض الدراسات اليوم عن مستقبل الكون من خلال دورة كونية بدأها الكون من كتلة ثقيلة انفجرت وشكلت كل ما نراه اليوم في هذا الكون من كواكب ومجرات وإشعاعات وغازات وغيرها، وسوف تنطوي هذه الأجزاء على بعضها؛ لتعود مرة أخرى فتقترب من بعضها، وتشكل واحدة من جديد.

لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ لَا يَجْزِيهِمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنُلْقِيَهُمْ فِي الْمَلَكُوتِ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كُطَي السَّجِلِ لِّلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ﴿٩٧﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٩٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿٩٥﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٤﴾ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٩٢﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٣١

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُورَ رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝
يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمُ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰهَا الْمَاءُ أَهْرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ ۝

(٣٣٢)

١- ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾: أشراتها، وبدؤها قبل يوم القيامة. والزلزلة: شدة الحركة.
٢- ﴿تَذْهَلُ﴾: تنسى وتترك. ﴿وَتَضَعُ﴾: تسقط جنينها من شدة الهول. ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: «ما» بمعنى المصدر؛ أي تذهل عن الإرضاع، ولهذا قال: (مرضعة) أي التي تقوم بإرضاع ولدها. أما (المرضع) فهو اسم فاعل للمؤنث ولا تلحقه التاء. ٣- ﴿مَنْ يُجَادِلُ﴾: مَنْ يخاصم ويزعم أن الله لا يقدر أن يحيي من قد بلي وعاد تراباً، ونحو ذلك من المزاعم في الله تعالى وصفاته. ﴿مَرِيدٍ﴾: مارد، وهو العاصي لله عز وجل. ٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: يعني: الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾: اتبعه من خلق الله عز وجل. ٥- ﴿فِي رَيْبٍ﴾: في شك ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: يعني آدم عليه السلام أبا البشر ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: من ماء الرجل ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: من دم ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾: «المضغة»: القطعة من اللحم نحو ما يمضغ الماضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾: مُصَوَّرَةٌ خَلْقاً تاماً ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: لم يستن خلقها ولا ظهر تصويرها. وقيل: سقط قبل تمام خلقه ﴿لِّنَبِّئَنَّكُمْ﴾: قدرتنا على ما نشاء، وابتداءنا خلقكم ﴿وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ﴾: ممن كتبنا له بقاء وحياة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أمد وغاية، فلا تسقطه أمه، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله ووقت خروجه ﴿ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾: كمال عقولكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ﴾: يموت قبل أن يبلغ أشده ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾: يُعمر حتى يهرم ولا يعقل، فيعود كهيمته في حال صباه ﴿هَامِدَةً﴾: دارسة يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰهَا الْمَاءُ﴾: المطر ﴿أَهْرَتْ﴾: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾: نمت وزادت وحسنت ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾: من كل نوع ﴿بِهِجٍ﴾: حسن.

[٣] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال: نزلت في النضر بن الحرث. [١] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُورَ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُورَ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْنَ يَوْمًا لَا يُجْزَىٰ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ...﴾ [لقمان: ٣٣].

الآيات الثلاث تدعو الناس إلى أن يخافوا الله ويلتزموا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، وآية النساء تبين أن الله هو الذي خلقهم من نفس واحدة، هي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، ونشر منهما في أنحاء الأرض رجالاً كثيراً ونساء كثيرات...، وآية الحج توضح أهوال يوم القيامة، وماذا يحدث في هذا اليوم العظيم من زلزلة للأرض، وأمّا آية لقمان فتحذرهم من يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئاً. والفرق بين الآيات واضح وبين. [٥] ﴿وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ [الحج: ٥]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]. آية سورة الحج مقصود فيها إقامة البرهان على البعث الأخروي وبسط الدلالات على كيفية إرغام منكريه، ألا ترى أن هذه الأحوال والانتقالات على ما وضع من التدرج لا تكون إلا من فاعل قادر مختار عليم حكيم، وقد فسر مقصود هذه الآية وزاده إيضاحاً قوله تعالى في تعقيب آية الحج: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰهَا الْمَاءُ أَهْرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾ [الحج: ٥]، فهذا إحياء بعد الموت، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، فتأمل هذا التعقيب، وافتتاح الآية بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾، واعتبر ما انطوت عليه هذه الآية يلح لك ما تقدم من مقصودها. أمّا آية سورة المؤمن (غافر) فلم تتعرض لهذا الغرض وإن تضمنت ذلك بالإيجاز، وإنما بناؤها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وانفراده بالخلق والأمر، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، ونفي ما عبد من دونه تعالى، وتأمل ما تقدم من لدن قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّكُونِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، الآية المذكورة وما بعدها يظهر لك ما قصد بهذه الآية، وإنما اختصت عن آية سورة الحج بما ذكرنا، واختصت تلك بما تقدم، فلذلك زيد فيها من التفصيل ما تقدم، ولم يكن العكس ليناسب، والله أعلم.

= باء المتكلم المحذوفة، وهي أيضاً في المنادي المضاف لباء المتكلم والكسر أكثر، وحرف النداء محذوف في القراءتين. قوله تعالى: ﴿تَصِفُونَ﴾ قرئ: (تصفون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾. وقرئ: (يصفون) بالغيبة على الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار. [٢] ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمُ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ قوله تعالى: ﴿سُكَرَىٰ وَمَهُمُ بِسُكْرَىٰ﴾ قرئ: (سُكَارَى) بضم السين فيهما وكاف مفتوحة بمدها ألف على أنه جمع تكسير على وزن فعال، واحده: سكران، فقد أتى به على لفظ لا يشبه الواحد وهو الأصل في جمع سكران، ككسلان وكسالي. وقرئ: (سُكَرَى) بفتح السين فيهما بعدها كاف ساكنة على وزن فعل، واحده: سكران أيضاً؛ ويطردها هذا الوزن في كل وصف على وزن فاعل وفعل دالاً على علته أو زمانه كمرضى ومرضى، وجريح وجريح، وزمن وزمني؛ وألحق به ما دَلَّ على الهول نحو: ميت وموتى، وهالك وهلكى، كما ألحق به نحو: سكران للدلالة على علة هي ستر العقل، أي: تغطيته، كما قالوا: رويان وروبي للذين يسكرون من شرب اللبن الرائب، ويحتمل أن يكون سكرى جمع سكر على وزن زَمَن فيكون مقيساً فيه.

[٥] ﴿أَهْرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَبَّتْ﴾ قرئ: (وربت) بدون همز بين الباء والتاء على أنه فعل معتل حذف لامه لالتقاء الساكنين، = [٥] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥].

مرحلة خلق الإنسان: عندما تجتمع نطفة الرجل مع بويضة المرأة تبدأ بالتكاثر لتشكلا مجموعة ضخمة من الخلايا بعد أيام قليلة. هذه الخلايا تعلق في جدار الرحم، وهذه هي المرحلة الثانية "مرحلة العلقه"، وتبدأ هذه العلقه بالتغذي من جدار الرحم ليزداد حجمها ويكبر، ثم يزداد تكاثر هذه العلقه بشدة ويشكل متسارع حتى تشكل كتلة من الخلايا، وبالتصوير الملون لهذه الكتلة تظهر وكأنها قطعة لحم ممضوغة وعليها آثار مضغ الطعام! وهذه هي المرحلة الثالثة وهي "مرحلة المضغة"، وبعد اكتمال هذه المضغة تبدأ العظام بالتخلق من داخل هذه المضغة وهنا بدايات تخلق الهيكل العظمي للجنين، وهذه هي المرحلة الرابعة = نزول سورة الحج: نزلت بعد سورة النور، وهي مكيّة بالاتفاق، سوى ست آيات منها، فهي مدنيّة: من قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿صَرِطَ الْحَمِيدُ﴾. عدد كلمات سورة الحج: ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة. عدد حروف سورة الحج: خمسة آلاف وخمسة وسبعون. أسماء سورة الحج: ما لها اسم سوى سورة الحج، وسميت =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إيجاز متنوع التعريف بالسور

٦، ٧- ﴿ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ يَأْتِيَ بِالنَّاسِ الْخَيْرُ...﴾: الآيتان: هذا الذي نصّت عليه الآية السابقة من مراحل خلق الإنسان، ومن إحياء الأرض بعد موتها دليل على أنه تعالى هو الحق الغني المطلق، وأن البعث والنشور وإعادة الخلق والإحياء آت لا ريب فيه. ٨- ﴿وَلَا يَكْتِيبُ مِثْرًا﴾: ينير عن حجته. ٩- ﴿ثَانِي عَظِيمٍ﴾: عطف الرجل: جانباه من يمين وشمال. والمراد: من يلوي عنقه مستكبراً في نفسه، معرضاً عما يُدعى إليه ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ليصد المؤمنين بالله عن دينهم ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: ذل وهوان بأيدي المؤمنين، كما فعل بأهل بدر. ١١- ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾: على شك كالذي هو على حرف الجبل يضطرب ويضعف قيامه، وذلك بخلاف المؤمن لأنه يعبد الله على يقين وثبات، وأصله من حرف الشيء، وهو طرفه، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خِزْيٌ﴾: سعة في العيش، وما يشتميه ﴿أَطْمَأْنَنَ بِهِ﴾: استقر في الإسلام وثبت ﴿وَأَنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾: ضيق ومكروه ﴿أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾: ارتد إلى الكفر ﴿الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: يتبين لمن فكر فيه وتدبر أنه خسر الدنيا والآخرة. ١٣- ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾: يدعو آلهة لضربها في الآخرة أقرب من نفعها ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾: صاحب المعاشرة. ١٥- ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ﴾: يحسب ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾: أن لن ينصر نبيه محمداً ﷺ. وقيل: أن لن يرزق الله محمداً ﷺ فيوسع عليه من فضله ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: فليربط ﴿بِسَبَبٍ﴾: بجبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: سماء البيت: سقفه ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعْ﴾: ثم ليختنق ﴿هَلْ يَذْهَبَ كَيْدُهُ﴾: اختناقه ﴿مَا يَغِيظُ﴾: غيظه. وكذلك استعجال نصر الله محمداً ﷺ لن يتعجل، ولن يؤخر عن حينه. وقيل المعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً حتى يظهره على الدين كله، فليمت غيظاً وكمداً لأن الله تعالى ناصره.

[١١] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة (فيسلم) فإن امرأته ولدت غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء، فأنزل الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه عن طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده، فتشام بالاسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ الآية.

[٥] ﴿لَيْكُلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]. ذكر في سورة النحل الجملة التي فصلت في سورة الحج وكانت لفظة بعد لجملة الزمان المتأخر عن الشيء، قال: "والله خلقكم"، فأجل ما فصل في السورة الأخرى، وبعده: ﴿فَرُئِيَ نُفُوكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَا أَزْدِلَ الْعُمُرُ﴾ [النحل: ٧٠]. فكان هذا موضع جل لا تفصيل معها ولا تحديد، ولم يكن كذلك الأمر في الحج، لأنه قال: ﴿يَتَكَايَهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُمُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]... فذكر تفصيل الأحوال ومبادئها فقال: من كذا ومن كذا الابتداء، كل ينتقل منه إلى غيره، فبنى ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم إلى فقدته على الأحوال التي تقدم ذكرها، فكما حدد أوائلها بمن، كذلك حدد الحال الأخيرة المنتقلة عما قبلها بمن، فقال: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾، أي: فقد العلم بعد أن كان عالماً فباين الموضع الأول لذلك. [٥] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَنِيعةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]. وتري الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، فهذا ما دلت عليه الآيتان. [٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]، لقمان: ٢٠. ما في سورة الحج وافق ما قبلها من الآيات، وهي: "نذير، القبور"، وكذلك في لقمان وافق ما قبلها وما بعدها وهي "الحمير، السعير، الأمور". [١٠] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَكَ﴾ [الحج: ١٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، الأنفال: ٥١. آية سورة الحج نزلت في النضر بن الحارث، وقيل في أبي جهل فوحده، وفي غيرها نزلت في الجماعة الذين تقدم ذكرهم.

= وأصله من أربى يربو إذا زاد. وقرئ: (وربأت) بهزمة مفتوحة بين الباء والتاء على أنه فعل مهموز، يقال: ربأ يربأ بنفسه عن كذا إذا ارتفع، وكذا موضع "فصلت: ٣٩". [٢٩، ١٥] ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعْ فليَنْظُرْ هَلْ يُذْهَبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا﴾، ﴿وَلَيُوفُوا﴾، ﴿وَلَيُطَوَّفُوا﴾ قرئ: (ليقطع - ليقتضوا - ليوفوا - ليطوفوا) بسكون اللام في هذه الكلمات على التخفيف، وذلك أن أصل هذه اللام البناء على الكسر إذ هي "لام الأمر" فإذا وقعت بعد واو أو فاء أو ثم، توالي ثلاث متحركات حاصلة من العطف واللام وأوّل الفعل بعدها، فخفف بسكون اللام، كما خفف بسكون هاء هو بعد الواو والفاء وثم، والإسكان بعد الفاء أقرب لشدة اتصالها بما بعدها، فإنها تتصل به لفظاً وخطاً والاتصال لانفصالها عن اللفظ خطأ، ولكنها تصل بما بعدها لفظاً، ولا يمكن استقلالها لكونها على حرف واحد؛ ولهذا أجمع القراء على إسكان اللام بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ و﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ وقد منع المبرد إسكان اللام مع (ثم) بحجة أنها كلمات مستقلة يمكن الوقف عليها دون الفاء والواو. واختلفوا فيما بعد الواو، والإسكان بعد (ثم) أبعد من الإسكان بعد الفاء والواو لاستقلالها وانفصالها لفظاً وخطاً، فمن أسكن بعدها فيحملها على الواو والفاء لا شراكها معها في كون كل منها حرف عطف. وقرئ: (ليقطع - ليقتضوا - ليوفوا - ليطوفوا) بالكسر على الأصل لأنها لامات أمر = "مرحلة العظام"، ثم تأتي المرحلة الخامسة وهي "مرحلة اللحم" حيث يكسو الله تعالى بقدرته هذه العظام باللحم ويغلفها تغليفاً، إذا العظام تُخلق أولاً ثم تُكسى باللحم ثانياً، ثم تأتي المرحلة السادسة والأخيرة وهي المرحلة التي يتميز بها الجنين ويأخذ معالمه الأساسية، وهي مرحلة "الخلق الآخر"، أي تشكل الملامح الخارجية للجنين، وهذه المراحل الستة يقرها علم الأجنة، بل إن هذا التقسيم لمراحل تطور الجنين متوافق تماماً مع العلم الحديث، فسيحان الخالق. [٥] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. اهتزاز الأرض: يقول علماء النبات إن الأرض عند جفافها تكون يابسة قاحلة ساكنة، ويكون كل ما فيها ساكناً لا يتحرك.. فالبكتريا الموجودة في الأرض وكذلك الفطريات والطحالب والبذور، وأيضاً حويصلات الديدان وبويضات الحشرات، هذه كلها تعيش في الأرض الجافة القاحلة في سبات عميق، وكأن كل ما فيها ميت.. ثم ينزل عليها الماء، فإذا بملايين الكائنات = سورة الحج؛ لأشتائها على مناسك الحج، وتعظيم الشعائر، وتأذين إبراهيم للناس بالحج. مواضع سورة الحج: مقصود السورة على طريق الإجمال: الوصية بالتقوى، والطاعة، وبيان هول الساعة، وزلزلة القيامة، والحجة على إثبات الحشر والنشر، وجدال أهل الباطل مع أهل الحق، والشكاية من أهل النفاق بعد الثبات، =

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ
 (١٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يَسْجُدْ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
 وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا
 فِي رَيْبٍ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ
 مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
 وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)

[٢٣، ١٤ : الحج]

... [٢٣، ١٤ : الحج] هذه الآية مكررة بنفس السورة مرتين، وموجب التكرار قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج : ١٩]، لأنه لما ذكر أحد الخصمين وهو: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج : ١٩]، لم يكن بُدَّ من ذكر الخصم الآخر فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [١٨]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد : ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الدَّابَّةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ﴾ [النحل : ٤٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج : ١٨]، في سورة الرعد تقدم آية السجدة ذكر العلويات من البرق والسحاب والصواعق، ثم ذكر الملائكة وتسييحهم، وذكر بأخرة، أي: أخيرًا، الأصنام والكفار، فبدأ في آية السجدة بذكر من في السماوات لذلك، وذكر الأرض تبعًا، ولم يذكر من فيها استخفافًا بالكفار والأصنام.. وأما في النحل فقد تقدم ذكر ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقضى سياق الآية ما في السماوات وما في الأرض؛ وأما في الحج فقد تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدم ذكر من في السماوات؛ تعظيمًا لهم ولها، وذكر من في الأرض؛ لأنهم هم الذين تقدم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها، [١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة : ٦٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [الحج : ١٧]، النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في آية البقرة، ولكن الصابئين مقدمون على النصارى في الزمان فقدمهم بعد ذلك في آية الحج، ثم جمع بين المعنيين في آية المائدة حيث قدم الصابئين إشارة إلى تقدمهم في الزمان، ثم رفعها ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ بين منصوبات دلالة على نية تأخيرهم، وكأن تقدير الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون كذلك. [٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج : ٢٢]، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [السجدة : ٢٠]. السياق المتقدم لآية الحج يقتضي زيادة اللفظ، فالغم هو الكرب والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفسًا، وقبل الآية قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [١٩]، ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [٢٠]، ﴿وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج : ٢١-٢٠]، فاشتمل العذاب عليهم وأحاط بهم إحاطة الشوب للجسد، فبلغ بهم الغم والكرب غايته، أعادنا الله منها، فناسب الآية الزيادة، أما آية السجدة فلم يتقدمها ما تقدم آية الحج فناسبها الحذف، فزيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى. وخصت سورة الحج بالإضمار في قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا﴾، لطول الكلام بوصف العذاب، وخصت سورة السجدة بالإظهار في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا﴾، موافقة للقول قبله في مواضع منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْقَرْنَا بِلَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [السجدة : ٣]، ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة : ١٠] و﴿قُلْ يَتُوفَكُم مَلَكَ الْمَوْتِ﴾ [السجدة : ١١] و﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة : ١٣]، وليس في الحج منه شيء.

= أصلها الكسر كما لو ابتدأ بها لم تكن إلا مكسورة، فأجراها مع حرف العطف مجراها بغير حرف، هذا: ومما تقدم يُعلم وجه من سَكَنَ في الجميع، وكَسَرَ في الجميع، ووجه من سَكَنَ في البعض دون البعض. **وخلاصة ما تقدم:** أن من القراء من أسكن اللام في المواضع الأربعة تخفيفًا وإجراء لـ "ثم" مجرى (الواو- والفاء) وفيهم: من كسر في الجميع اعتبارًا بالأصل، ومنهم: من أسكن بعد الواو وكسر لام ليقضوا بعد ثم، وذلك للفرقة بين المستقبل وغيره في ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا﴾ وحملًا للمستقبل على غيره في قوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ﴾ جمعًا بين المذهبين، ولمناسبة ما قبلها فإن التي قبلها هي: ﴿فَلَيَمْدُدَنَّ﴾ خففت بالإسكان، وكان الحمل أقرب، بخلاف: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا﴾ فإنها لما لم تسبق بنظير تحمل عليه رجع إلى الأصل. [٢٣] ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرئ: (لؤلؤًا) بالنصب على أنه معطوف على محل الجار والمجرور، وهو ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ لأن محله النصب، ويجوز: الإتيان لمحله لأنه يظهر في الفصيح كما = الموجودة بها تدب فيها الحياة، ويظهر فيها النشاط وتمتلئ بالحركة، وتأخذ الديدان في شق الأنفاق في التربة وتفكيكها، فتهتز الأرض، وتزيد التربة في حجمها، وذلك كما يحدث عند وضع الخميرة في العجين، ثم تبدأ عمليات الانقسام، وتنبت البذور وتكبر الجذور.. وهكذا تحيا الأرض بعد موتها.

= وعيب الأوثان وعبادتها، وذكر نُصْرَةِ الرُّسُولِ ﷺ، وإقامة البرهان والحُجَّة، وخصومة المؤمن والكافر في دين التوحيد، وتأذين إبراهيم على المسلمين بالحج، وتعظيم الحُرَّمات والشعائر، وتفضيل القربان في الموسم، والمِنَّة على العباد بدفع فساد أهل الفساد، وحديث البئر المعطلة، وذكر نسيان رسول الله ﷺ وسهوه حال =

١٧- ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: قوم يعظمون النجوم والملائكة، ويقرؤون الزبور، وما زال لهم وجود بالعراق: حرانين ومندائين. ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يعدل في قضائه بينهم يوم القيامة ﴿شَهِيدٌ﴾: لا يغيب عنه شيء من ذلك. ١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدْ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من الخلق أي: يخضعون وينقادون لله ﴿وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾: تسجد ظلها، أو السجود الخاص بها ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: يعني: المؤمنين من عباده ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: وجب عليه الشقاء، وهو يسجد مع ظله ﴿وَمَنْ يُنِ اللَّهُ﴾: يشقيه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾: يسعده بالسعادة. ١٩- ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ﴾: المراد بـ«الخصمين»: جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا، وجميع المؤمنين. واختصامهم: معاداة كل فريق منهم الفريق الآخر، ومحاربتة على دينه، أو ادعاء كل فريق منهم أنهم أفضل دينًا ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾: قيل: إن النار مشتملة عليهم كاشتمال الثياب. قال مجاهد: الكافر قطعت له ثياب من نار، والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار. ﴿الْحَمِيمُ﴾: ماء مغلي. ٢٠- ﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب. ٢١- ﴿وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾: ضرب مقامع أي مطارق ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ على رؤوسهم.

[٢٢-١٩] قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ريب) في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ﴾ إلى قوله ﴿الْحَرِيقِ﴾ وأخرج من وجه آخر عنه قال: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابًا، ونبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله، أمنا بمحمد ونبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله. [٢٣، ١٤]

هذه الآية مكررة بنفس السورة مرتين، وموجب التكرار قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج : ١٩]، لأنه لما ذكر أحد الخصمين وهو: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج : ١٩]، لم يكن بُدَّ من ذكر الخصم الآخر فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [١٨]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد : ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الدَّابَّةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ﴾ [النحل : ٤٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج : ١٨]، في سورة الرعد تقدم آية السجدة ذكر العلويات من البرق والسحاب والصواعق، ثم ذكر الملائكة وتسييحهم، وذكر بأخرة، أي: أخيرًا، الأصنام والكفار، فبدأ في آية السجدة بذكر من في السماوات لذلك، وذكر الأرض تبعًا، ولم يذكر من فيها استخفافًا بالكفار والأصنام.. وأما في النحل فقد تقدم ذكر ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقضى سياق الآية ما في السماوات وما في الأرض؛ وأما في الحج فقد تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدم ذكر من في السماوات؛ تعظيمًا لهم ولها، وذكر من في الأرض؛ لأنهم هم الذين تقدم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها، [١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة : ٦٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [الحج : ١٧]، النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في آية البقرة، ولكن الصابئين مقدمون على النصارى في الزمان فقدمهم بعد ذلك في آية الحج، ثم جمع بين المعنيين في آية المائدة حيث قدم الصابئين إشارة إلى تقدمهم في الزمان، ثم رفعها ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ بين منصوبات دلالة على نية تأخيرهم، وكأن تقدير الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون كذلك. [٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج : ٢٢]، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [السجدة : ٢٠]. السياق المتقدم لآية الحج يقتضي زيادة اللفظ، فالغم هو الكرب والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفسًا، وقبل الآية قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [١٩]، ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [٢٠]، ﴿وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج : ٢١-٢٠]، فاشتمل العذاب عليهم وأحاط بهم إحاطة الشوب للجسد، فبلغ بهم الغم والكرب غايته، أعادنا الله منها، فناسب الآية الزيادة، أما آية السجدة فلم يتقدمها ما تقدم آية الحج فناسبها الحذف، فزيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى. وخصت سورة الحج بالإضمار في قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا﴾، لطول الكلام بوصف العذاب، وخصت سورة السجدة بالإظهار في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا﴾، موافقة للقول قبله في مواضع منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْقَرْنَا بِلَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [السجدة : ٣]، ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة : ١٠] و﴿قُلْ يَتُوفَكُم مَلَكَ الْمَوْتِ﴾ [السجدة : ١١] و﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة : ١٣]، وليس في الحج منه شيء.

= أصلها الكسر كما لو ابتدأ بها لم تكن إلا مكسورة، فأجراها مع حرف العطف مجراها بغير حرف، هذا: ومما تقدم يُعلم وجه من سَكَنَ في الجميع، وكَسَرَ في الجميع، ووجه من سَكَنَ في البعض دون البعض. **وخلاصة ما تقدم:** أن من القراء من أسكن اللام في المواضع الأربعة تخفيفًا وإجراء لـ "ثم" مجرى (الواو- والفاء) وفيهم: من كسر في الجميع اعتبارًا بالأصل، ومنهم: من أسكن بعد الواو وكسر لام ليقضوا بعد ثم، وذلك للفرقة بين المستقبل وغيره في ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا﴾ وحملًا للمستقبل على غيره في قوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ﴾ جمعًا بين المذهبين، ولمناسبة ما قبلها فإن التي قبلها هي: ﴿فَلَيَمْدُدَنَّ﴾ خففت بالإسكان، وكان الحمل أقرب، بخلاف: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا﴾ فإنها لما لم تسبق بنظير تحمل عليه رجع إلى الأصل. [٢٣] ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرئ: (لؤلؤًا) بالنصب على أنه معطوف على محل الجار والمجرور، وهو ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ لأن محله النصب، ويجوز: الإتيان لمحله لأنه يظهر في الفصيح كما = الموجودة بها تدب فيها الحياة، ويظهر فيها النشاط وتمتلئ بالحركة، وتأخذ الديدان في شق الأنفاق في التربة وتفكيكها، فتهتز الأرض، وتزيد التربة في حجمها، وذلك كما يحدث عند وضع الخميرة في العجين، ثم تبدأ عمليات الانقسام، وتنبت البذور وتكبر الجذور.. وهكذا تحيا الأرض بعد موتها.

= وعيب الأوثان وعبادتها، وذكر نُصْرَةِ الرُّسُولِ ﷺ، وإقامة البرهان والحُجَّة، وخصومة المؤمن والكافر في دين التوحيد، وتأذين إبراهيم على المسلمين بالحج، وتعظيم الحُرَّمات والشعائر، وتفضيل القربان في الموسم، والمِنَّة على العباد بدفع فساد أهل الفساد، وحديث البئر المعطلة، وذكر نسيان رسول الله ﷺ وسهوه حال =

٢٤- ﴿وَهْدُوا﴾: هداهم الله في الدنيا ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾: إلى طريق ﴿الْحَمِيدِ﴾: الدين الحميد الحمود. ٢٥- ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَكِينِ اللَّهِ﴾: يمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن «المسجد الحرام الذي جعلناه للناس» كافة ﴿سَوَاءَ الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾: «العاكف»: المقيم به، و«الباد»: الواصل من البادية، والمراد به: الطارئ عليه والمنتاب إليه من غيره. ليس أحد أحق بمنزله فيه من أحد، إلا أن يكون سبق إلى منزل ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾: يقول عز وجل: ومن يرد إلحاداً، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم، وأدخلت الباء في «الإلحاد» كما أدخلت في قوله: ﴿تَبَّتْ يُدُّهُنَ﴾ [سورة المؤمنين ٢٠] ﴿يُظْلِمُ﴾: يشرك، وهو أن يعبد فيه غير الله. وقيل: هو استحلال الحرام. وقيل: كل ما كان منهياً عنه من الفعل. وقيل: هم المحتكرون الطعام بمكة. والوعيد في الآية على النية والإرادة؛ لعظيم حرمة الحرم. ٢٦- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾: وطيناً، وبيتاً، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾: من الشرك وعبادة الأوثان، والدماء وسائر النجاسات ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: بالبيت ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: المصلين. ٢٧- ﴿وَإِذْ﴾: نادى في الناس أن حجوا البيت ﴿رِجَالًا﴾: مشاة على أرجلهم ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: ركبناً على ضوامر الإبل، وهي المهازيل. ورؤي أن من حج اليوم فقد أجاب إبراهيم يومئذ (فج): مكان ومسلك. وأصل الفج: الطريق الواسع ﴿عَمِيقٍ﴾: بعيد. ٢٨- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: أسواقهم وتجاراتهم، والأعمال الصالحة التي ترضي الله عز وجل ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾: أيام التشريق، وقد مضى ما جاء في ذلك في سورة البقرة ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: من هدي بهيمة الأنعام، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [سورة المائدة ٢] ﴿وَأَطِيعُوا﴾: منها ﴿الْبَاسِ﴾: الذي ييسط إليك يده للعطية. ٢٩- ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: أي ليؤدوا، ما عليهم من مناسك حجهم من حلق وطواف ورمي جمره وموقف وغيرها، وأصل معنى التفث: الوسخ، فكان المعنى: الخروج من الإحرام إلى الإحلال، ﴿وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ﴾: الهدى، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج ﴿وَلِيَطُوفُوا﴾: يطوفوا. وقيل: هو طواف الزيارة يوم النحر ﴿يَا أَيَّتُهَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ﴾: لأن الله اعتقه من الجبارة أن يصلوا إلى هدمه وتخريبه. ٣٠- ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ﴾: يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه، تعظيماً لحدود الله عز وجل أن يواقعها أو يستحل منها شيئاً ﴿إِلَّا مَا يَتْلِي عَلَيْكُمْ﴾: إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: اتقوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان. ٢٥ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري، ثم ارتد عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت فيه ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾ الآية. ٢٧ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ فأمروهم بالزاد، وخصص لهم في الركوب والمتجر.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَكِينِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يَظْلِمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتْلِي عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

(٣٣٥)

[٢٦] ﴿أَنْ طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦]. الأمر في آية الحج بعد بناء الكعبة، ولذلك جاء فيها: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: بالبيت من غير أهل مكة، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: أي: المقيمين بها، أي: بعد ما صارت عامرة. [٢٨] ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: ٢٨]، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمُ الْكُلَّ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ كرره، لأن الأول مرتب على ذبح بهيمة الأنعام الشاملة للبدن والبقر والغنم، والثاني مرتب على ذبح البدن خاصة، وإن وافقه في الحكم ذبح الآخرين. [٣٠] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ...﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. ذلك الذي أمر الله به من قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظموه، ومن يعظم حرمة الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة.. فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمّا الآية الثانية: ذلك ما أمر الله به من توحيده وإخلاص العبادة له. ومن يمثل أمر الله ويعظم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبائح التي تُذبح فيه، وذلك باستحسانها واستسمانها، فهذا التعظيم من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

= في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَأَسَاوَرُ﴾، وقوله: ﴿مِنْ أَسَاوَرٍ﴾ متعلق بـ (يُحْلُونَ) إن كان الفعل متعدياً لواحد، ويحتمل أن يكون متعدياً لاثنتين، الأول: نائب الفاعل و﴿مِنْ أَسَاوَرٍ﴾ متعلق بمحذوف صفة لمحذوف هو المفعول الثاني، وعلى ذلك يكون (لَوْلَا) معطوف على المفعول المحذوف؛ ويحتمل أن يكون معطوفاً على (أساور) بناء على زيادة "من" في الإثبات على مذهب الأخفش، والتقدير: "ويحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤ" كما يجوز: أن يكون مفعولاً لمحذوف يدل عليه المقام نحو: ويؤتون لؤلؤاً، هذا ما قاله في توجيه نصب (لَوْلَا). ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ على المعنى إذ هو منصوب على التمييز لأساور، فإنك إذا قلت: (عندي خاتم) جاز لك في بيان نوعه الإضافة تقول: خاتم ذهب، أو الجر بمن، أو النصب على التمييز، (فلَوْلَا) منصوب بالعطف على ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ على المعنى لأنه في موضع التمييز، وقد صرح المفسرون في قوله تعالى: (وبشرى للمحسنين) بجواز اعتبار (بشرى) منصوباً على أنها معطوف على قوله: (لينذر) قبلها بحسب المعنى، فهي مفعول لأجله بحسب المعنى. وقرئ: (ولَوْلَا) بالجر عطفاً على لفظ ذهب بناء على أن الأساور من ذهب مرصع باللؤلؤ، أو أساور من لؤلؤ خالص، وتقدم تخفيف الهمز عند الحديث عن الهمز المفرد، ومثله موضع "فاطر: ٣٣". [٢٥] ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكْفِ فِيهِ﴾ قوله: ﴿سَوَاءَ﴾ قرئ: (سواء) بالنصب على أنه مفعول ثان لجعلنا التي بمعنى: صيرنا، وللناس متعلق بجعل، أو هو المفعول الثاني، و(سواء) حال، و(العاكف) فيه و(الباد) فاعل (لسواء) لأنه اسم مصدر بمعنى مستويًا. وقرئ: (سواء) بالرفع على أنه خبر مقدم (والعاكف فيه)، و(الباد) مبتدأ مؤخر، والجملة في موضع النصب على المفعول الثاني لجعل، أو على الحال بناء على جواز وقوع الجملة الاسمية حالاً اكتفاء بالضمير، ويكثر فيها أن تقع بالواو والضمير، أو بالواو فقط.

= تلاوة القرآن، وأنواع الحجّة على إثبات القيامة، وعجز الأصنام وعبادها، واختيار الرسول من الملائكة والإنس، وأمر المؤمنين بأنواع العبادة والإحسان، والمِنَّة عليهم باسم المسلمين، والاعتصام بحفظ الله وحياطته في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

حُفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَشْرَكًا فَهُمْ هَدَاهُ اللَّهُ فَأَسْلَمُوا أُوبَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْرُوفَ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِعَمَلِكُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَذْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾



٣١- ﴿حُفَاءَ اللَّهِ﴾: مستقيمين لله عز وجل على الإخلاص بالتوحيد له. ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾: فيهلك، ويتفرق مزعاً ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد، من قولهم: أبعد الله وأسحقه. ٣٢- ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرُ اللَّهِ﴾: استسمان البدن، التي تُهدي إلى البيت الحرام، واستجاداتها، وأداء مناسك الحج. والشعائر: جمع شعيرة وهي ما جعله الله عملاً لخلقته. ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: من خشية الله وتعظيمه والإخلاص له. ٣٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: في ألبانها وظهورها إذا احتجتم واضطرتتم إليها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن تُقْلَدَ ﴿ثُمَّ يَحْمِلُهَا﴾: قيل: محل الشعائر. وقيل: عنى البدن، أي: حيث يحمل نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: إلى أن تبلغ مكة، وهي التي بها البيت العتيق. ٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾: ذبحاً يهرقون دمه ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: المتواضعين لله المطمئنين إلى الله عز وجل. ٣٥- ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: خشعت ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في الزكاة، ونفقة العيال، وسبيل الله. ٣٦- ﴿وَالْبُدْنَ﴾: جمع «بدنة» و«البدن»: الضخم من الرجال ومن كل شيء. وهي هاهنا: البقر والبعر ﴿وَمِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾: من أعلام أمر الله في مناسك حجهم ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: أجر في الآخرة وركوب وصدقة في الدنيا، وشرب من لبنها ﴿صَوَافٍ﴾: هو أن تُعقل، أي تُربط قائمة واحدة، وتُصَفُّها على ثلاث فتتحرها كذلك. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: إذا نُحِرت. ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ﴾: قيل: هو الذي يقنع بما أعطي وبما عنده ولا يسأل ﴿وَالْمَعْرُوفَ﴾: هو الذي يتعرض لك ولا يسألك. ٣٧- ﴿لَنْ يَبَالَ﴾: لن يصل ﴿التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾: ما أردتم به وجهه ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: على ذبحها في تلك الأيام. ٣٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَذْفِعُ﴾: غائلة المشركين. وقيل: عنى بذلك: دفع الله كفار قريش عن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل الهجرة. ﴿خَوَّانٍ﴾: يخون الله فيخالف أمره ﴿كُفُورٍ﴾: جحود لنعمة ربه عز وجل. [٣٧] قوله تعالى: ﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: «فنحن أحق أن نضمخ» فأنزل الله ﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا﴾ الآية. [٣٠] ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَقَرُ إِلَّا بِالْصَدَقَةِ﴾ [الحج: ٣٠]. الأنعام المواشى من الإبل والبقر والغنم، وإذا وضح أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، فمن المعلوم أن غيرها من الوحشي الذي لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام في عمله، قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، ولما كانت آية سورة الحج مناسكاً بما أمر به الحاج في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، والأمر بتعظيم تلك الحرمات والشعائر الإيمانية في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وصل بها ما يحل أكل لحمه للمحرم حال إحرامه فقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَقَرُ إِلَّا بِالْصَدَقَةِ﴾، ولم يكن ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، لأن المراد بهيمة الأنعام الوحشي، قال الإمام القرطبي: «بهيمة الأنعام: وحشيتها» وقال الزمخشري في أحد تفسيريه: «الطباء وبقر الوحشي» ووجه وقوعها في آية المائدة، أن آية المائدة من آخر ما نزل، وقد تضمنت متممات من الأحكام كآية الوضوء والتميم، وتفصيل الصيد واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشروبات، وأحكام هذه السورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة: وفيها ورد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فناسب هذا ذكر جليلة بهيمة الأنعام إلحاقاً لها بالأنعام، إذ لم يذكره الله في غيرها على ما ورد في تحرير ذلك، وبيان العوارض التي قد تحرم لأجلها، وذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ وَالَّذُومُ﴾، ثم أتبع بقوله: ﴿وَالْمُخَنَّفَةُ وَالْمُؤَوَّدَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾، لأن هذه العوارض تكثُر في الوحشي، وإن عكس الوارد في الآيتين لم يكن ليناسب، والله أعلم. [٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: ٦٧]. الآية الأولى تقدمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك؛ فحسن فيه العطف عليه، بخلاف الثانية فإنه لم يتقدمها ما يناسبها، فجاءت ابتدائية، وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٨]، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾. [٢٧] ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ فوائدها: ١- الفوز بالجنة. ٢- مغفرة الذنوب. ٣- مرضاة الله. ٤- التقوى وترك النكاح. ٥- تنمية الشعور لدى الحاج بالعزة والفخر للانتماء إلى هذه الأمة. ٦- تواصل بين المسلمين وتقوية أواصر الأخوة والمحبة بينهم. ٧- تعظيم شعائر الله. ٨- تربية المسلم على تحمل المشاق والسعي لمرضاة الله. ٩- سياحة إيمانية جميلة. [٢٩] ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قوله: ﴿وَلْيُوفُوا﴾ قرئ: ﴿وَلْيُوفُوا﴾ بسكون الواو وتخفيف الفاء على أنه مضارع أوفى ومتعد بالهمزة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾. وقرئ: ﴿وَلْيُوفُوا﴾ بفتح الواو وتشديد الفاء على أنه مضارع من وفي المتعدي بالتضعيف، يقال: أوفى نذره ووفاه ﴿وَابْتَهِمِ الَّذِينَ وَفَّ﴾. [٣١] ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ قوله: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ قرئ: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاء وفتح الطاء مخففة على أنه مضارع خطف بالكسر من باب فهم فالتاء في (فتخطفه) للاستقبال. وقرئ: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء مفتوحة على أنه مضارع تخطف حذف منه إحدى التاءين تخفيفاً، وأصله تتخطف. [٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قوله: ﴿مَنْسَكًا﴾ قرئ: ﴿مَنْسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها وهما لغتان، وهذا الوزن يصلح أن يكون مصدرًا ميميًا ومعناها: النسك، والمراد به هنا الذبح، ويصلح للمكان، أي: موضع النسك أو الزمان والمراد به: وقت النسك، والفتح هو القياس فيه، والكسر سماعي. [٣٧] ﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ قوله: ﴿يَبَالَ - يَبَالُ﴾ قرئ: ﴿يَبَالُ - يَبَالُ﴾ بتذكير الفعلين على أن الفاعل مؤنث مجازي وهو لحومها في الأول و«التقوى» في الثاني، وهو منصوب من عامله، والفصل وحده يجيز التذكير، كما أن مجازية التأنيث من مسوغات التذكير، وقرئ: ﴿تَبَالَ - تَبَالُ﴾ بتأنيث الفعلين لتأنيث الفاعل مجازاً. [٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَذْفِعُ﴾ قرئ: ﴿يَذْفِعُ﴾ بضم الياء وفتح الدال ممدودة وكسر الفاء على أنه مضارع دافع، والمفاعلة فيه ليست على بابها بل هي جانب واحد، ويحتمل أن تكون المفاعلة لقصد المبالغة في الدفع، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمُ اللَّهُ﴾ فيدافع محمول على تكرير الفعل، أي: يدافع عنهم مرة بعد مرة، فالفعل من واحد وليس من اثنين، لكن العرب تخرج (فاعل) من واحد نحو: (سافر زيد). وقرئ: ﴿يَذْفِعُ﴾ بفتح الياء وسكون الدال بعدها فاء مفتوحة على أنه مضارع دفع، فجعل الفعل مع واحد، وهو الله عز وجل يدافع عن يشاء.

٣٩- ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾: إلى آخر الآية.. يعني: النبي ﷺ وأصحابه، إذ خرجوا من مكة إلى المدينة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: قد فعل، وهي أول آية نزلت في القتال. والباء في «بأنهم ظلموا» للسببية. والآية عامة في كل مظلوم أن الله سيتولى نصره ولو بعد حين. ٤٠- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: دفع المشركين بالمسلمين، أي: لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض، ﴿صَوْمِعُ﴾: صوامع الرهبان. ﴿وَبِيعُ﴾: بيع النصارى ﴿وَصَلَوْتُ﴾: لليهود وهي كنائسهم. وقيل: مواضع الصلوات. ٤١- ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِيهِ إِجَابَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: ﴿وَلِلَّهِ عِنَقَةُ الْأُمُورِ﴾: آخر أمور الخلق إليه مصيرها. ٤٤- ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾: أمهلت ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي فانظر كيف كان إنكاري عليهم، وتغيير ما كانوا فيه من النعم وإهلاكهم. والنكير: اسم من المنكر. ٤٥- ﴿فَكَأَيِّنْ﴾: فكم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: خربة ليس فيها أحد، تساقطت ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها وبنائها ﴿وَبِئْسَ مِثْقَلَةٌ﴾: لا وارد لها ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾: رفيع بالصخور والجص. و«الشيد» في كلام العرب: الجص بعينه، يقولون: شاد القصر: إذا بناه بالشيد؛ أي الجص. والمعنى: وكم من قصر مشيد متروك مهمل بعد أن حاق بأهل القرية الهلاك بسبب ظلمهم. وهكذا تسقط الأمم والحضارات وتبقى الآثار. ٤٦- ﴿وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾: عن إبطار الحق ومعرفة، أي أن العمى الحقيقي هو عمى القلوب؛ لأنه عمى البصائر لا الأبصار. [٣٩] قوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ الآية. أخرج أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ من مكة، فقال أبو بكر: أخرجوا بنيهم ليهلكن، فأنزل الله ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. [٤٠] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَتْ صَوْمِعُ وَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ...﴾ [الحج: ٤٠]. ولولا أن يدفع الله

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَتْ صَوْمِعُ وَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُكُمْ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِنَقَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مِثْقَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

(٣٣٧)

ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له والإيمان به - بعضًا، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بغلبة الكفر، وتمكن الطغيان، وأهل المعاصي، ولكن الله ذو فضل على المخلوقين جميعًا، فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمّا آية الحج: ولولا ما شرعه الله من دفع الظلم والباطل بالقتال لَهْجَتْ الحق في كل أمة، ولخربت الأرض، وهُدمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيرًا... [٤٤] ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ﴾ [الرعد: ٣٢]، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]. العقاب أشد موقعًا من النكير، لأن الإنكار يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل وعلى ما فيه العقاب بالفعل، وأما مسمى العقاب فإنما يراد به في الغالب أخذ بعذاب مناسب لحال المجرم إثر معصيته وعقوب جريمته، وقد تقدم في آية الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْتُم مِّن قَبْلِكُمْ﴾، والاستهزاء "أمر" مرتكب زائد على التكذيب من التهاون، والاستخفاف بجريمة مرتكبة هو أشنع جريمة، فناسبها الإفصاح بالعقاب، أمّا آية الحج فإن الوعيد بها للمذكورين بالتكذيب، ولم يذكر منهم استهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]، فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب وليس كالاستهزاء، فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله، أما المستهزئ فلا = ١٠ - القيام بأحد أركان الإسلام التي لا يتم إلا بها، وهذا يدل على أهميته ومحبة الله له. ١١ - نوع من الجهاد في سبيل الله. ١٢ - الثواب الجزيل والأجر العظيم لمن قام به على الوجه المشروع. ١٣ - ما يحصل فيه من إقامة ذكر الله وتعظيمه وإظهار شعائره مثل التلبية، والطواف... ١٤ - تبييض المشاعر الإيمانية عند الحاج. ١٥ - ظهور المسلمين بهذا المظهر الموحد في الزمان والمكان والعمل والهيئة، فكلهم يقفون في المشاعر بزمان واحد، وعملهم واحد، وهيئتهم واحدة، إزار ورداء، وخضوع، وذلك بين يدي الله عز وجل. ١٦ - ما يحصل في الحج من مواسم الخير الديني والدنيوي وتبادل المصالح بين المسلمين. ١٧ - ما يحصل من الهدايا الواجبة والمستحبة من تعظيم حرمان الله، والتنعيم بها أكلاً وإهداء وصدقة للفقراء، فمصالح الحج وحكمه وأسراره كثيرة. ١٨ - تكفير كبائر الذنوب وتطهير النفس من الخطايا ومن شوائب المعاصي. ١٩ - تطهير النفس وعودتها إلى الصفاء والإخلاص. ٢٠ - تجديد حياة الحاج ورفع معنوياته. ٢١ - تقوية الأمل وحسن الظن بالله عند الحاج. ٢٢ - تجديد العهد مع الله سبحانه وتعالى. ٢٣ - يساعد على التوبة من الذنوب والمعاصي والكبائر. ٢٤ - تهذيب النفس وترقيق المشاعر والإحساس. ٢٥ - يذكر الحج بالماضي التليد للمسلمين وبالسلف الصالح وآثارهم. ٢٦ - يعين النفس على الصبر والتجمل لما فيه من المشاق. ٢٧ - تعلم النظام والانضباط والالتزام بالأوامر وتجنب المحظورات. ٢٨ - في الحج يظهر جلياً شكر النعمة الإلهية سواء نعمة المال أو نعمة الصحة، فالحج = [٣٩] ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ قوله تعالى: ﴿أَذِنَ﴾ قرئ: ﴿أَذِنَ﴾ (بفتح الهمزة على أنه فعل مبني للمعلوم فاعله ضمير يعود على الله و(للذين) في موضع نصب متعلق بأذن، وقرئ: بضم الهمزة على أنه مبني للمجهول حذف فاعله للعلم به، و(للذين) في موضع رفع نائب الفاعل. قوله تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ قرئ: ﴿يَقَاتِلُونَ﴾ بفتح التاء على أنه مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل، أي: يقاتلهم الكافرون. وقرئ: ﴿يَقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاء على أنه مبني للمعلوم والواو فاعل، أي: يقاتلون الكافرين. ولا تعارض في القراءتين لأن كل مقاتل بالكسر مقاتل بالفتح وعكسه لاقتضاء المفاعلة وقوع الفعل من الجانبين، غير أن القراءة الأولى أصرح في بيان اعتداء الكفرة وبدئهم بالعدوان على المؤمنين، وإن كان في القراءة الثانية ما يفيد ذلك وهو قوله: ظلموا، فهذا القول على = [٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. العقل في القلب: وإن كانت الحقائق العلمية ما زالت في طور التجدد والاكتشاف إلا أن ما وصلنا منها يشير إلى صحة القول بأن العقل هو في القلب وليس في الدماغ، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة بمجموعها، وإن كان بعضها أدل من بعض بهذا الخصوص، ولا أدل من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، على أن العقل الذي هو مناط التكليف وسيد الجسد وقائده إنما هو في القلب، فقوله: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ﴾، لا يحتاج إلى كثير تأمل في أن القلب هو محل العقل. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنَّمِنْ قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَكُنْ بِهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٧- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: تكذيباً لوقوعه! ويعني: مشركي قريش ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بعذابهم في الدنيا والآخرة. وقيل: فوقني بقتلهم يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: وعيد لهم بامتداد عذابهم في الآخرة. وقيل: المراد بيان كمال حلمه تعالى؛ كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ۖ﴾ [المعارج: ٦]. ٤٨- ﴿وَكَأَنَّمِنْ قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا﴾: كم من أمة أمهلناها وأخرنا عنها العذاب. ٥١- ﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: صدوا عن اتباع رسلنا ﴿مُعْجِزِينَ﴾: متشاقين. وعاجزة: سابقة، ظنوا أنهم يغلبون في تحريض الناس على الكفر بآيات الله. ٥٢- ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾: يعني بالتمني التلاوة والقراءة. وقال ابن عباس تمنى: تحدث، أي: ما من نبي يتلو وحياً أنزل عليه، أو يحدث عن ربه، إلا قام في وجهه رافضون ومشاغبون يجادلون فيما يتلوهم عليهم عن المراد منه، ويقولون عليه ما لم يقل ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾: فينسخ الله تلك الشبهة ويبحثها من أصولها: ويثبت آياته ويقررها. وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليميز الخبيث من الطيب، فإن الذين يفتنونك بهذه الشبهة والوساوس: هم الذين في قلوبهم مرض ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون القاسية من المعاندين. ٥٣- ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أصحاب محمد ﴿لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أن القرآن الذي أنزل عليه هو الحق الذي لا مرية فيه. ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: ويصدقوا به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ﴾: تخضع للقرآن وتذعن بالتصديق وتخضع وتقصد. ٥٤- ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: ساعة حشر الناس لموقف الحساب ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يوم لا ليلة له أو لا يوم بعده. وقيل: هو يوم بدر. ٥٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير قال: «قرأ النبي ﷺ بمكة: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فلما بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّى﴾ [النجم]:

١-١٩ [لقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترجي، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية. وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه، وقال: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد. وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور. وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي. وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس. وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب، وموسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وابن جرير عن محمد بن قيس، وابن أبي حاتم، عن السدي. كلهم بمعنى واحد. وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى. قال الشيخ الألباني في (نصب المجانيق) عن روايات قصة الغرائق: «وهي كلها كما رأيت معللة بالإرسال والضعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به لاسيما في مثل هذا الأمر الخطير، ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ما فيها من الاختلاف والندرة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة». وقد وسم القصة بالبطلان جمع من الأئمة منهم: ابن العربي، والقاضي عياض، وفخر الدين الرازي، والقرطبي، والعيني، والشوكاني، وغيرهم.

= يصلح، وقد كفى الله نبيه إياهم، قال تعالى: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٤] إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥]، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب مرتكب من قدم، والله أعلم. [٤٨، ٤٥] ﴿فَكَأَنَّمِنْ قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ [الحج: ٤٨]. "الفاء" في الآية الأولى بدل من قوله تعالى: ﴿فَكَيفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ [الحج: ٤٤]، فهو كالتفسير للنكرة، و"الواو" في الثانية عطف على الجمل قبلها، ولما قال قبل الأولى: ﴿فَأَمَلَيْتُمْ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ﴾ [الحج: ٤٤]، أغنى عن ذكر الإملاء فيما بعد، ولأن الإهلاك إنما كان بعد الإملاء المذكور، ولما تقدم في الثانية: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧]؛ ناسب ﴿أَمَلَيْتُمْ لَهَا﴾، أي: لم أعجل عليهم عند استعجالهم العذاب. [٥٦، ٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠]، ﴿فَالَّذِينَ سَعَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]. لما تقدم ذكر الإنذار في الآية الأولى وهو في الدنيا، ذكر جزاء إجابته في الدنيا وهي: ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، ولما تقدم في الثانية ذكر العقاب بقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]، وهو يوم القيامة، ناسب ذلك: ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾، أي: في يوم القيامة.

= من العبادات البدنية المالية. ٢٩- تحريك شعور المساواة بين المسلمين حاكمهم ومحكومهم فقيرهم وغنيهم أبيضهم وأسودهم، لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى. ٣٠- يساهم الحج في نشر الدعوة الإسلامية ودعم نشاط الدعاة في أنحاء المعمورة اقتداء بالرسول الكريم في بداية دعوته حيث كان يدعو وفود الحجاج كل عام. ٣١- تسهيل المخاطبة المباشرة لوفود المؤمنين الذين يجتمعون في مؤتمر شعبي على صعيد واحد. ٣٢- الحج فرصة لاجتماع أهل الخبرة والحل والعقد من جميع الأوطان الإسلامية لمناقشة قضايا المسلمين وإيجاد الحلول لمشاكلهم. ٣٣- في الحج والعمرة إظهار التذلل لله تعالى، وذلك لأن الحاج والمعتمر يترك أسباب الترف والتزين، ويلبس الإحرام، ويظهر فقره لربه...

= احتمال أن يكون الفعل من اثنين، والفعل بحذفها لا يحتمل ذلك، فجاء على الأرجح. [٤٠] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَلَكْتُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿هَلَكْتُمْ﴾ قرئ: (لهدمت) بتشديد الدال على أنه مضعف من التهديم للمبالغة، وقصده وقوع الهدم، وتخليص الفعل للتكثير والتهديم كثير لوقوعه في الصوامع والبيع والصلوات والمساجد، فالتشديد يدل على التكثير لهذا المعنى. وقرئ: (لهدمت) بتخفيف الدال على أنه فعل ثلاثي مجرد من هدم يهدم، فهو يقع للتقليل والتكثير. [٤٥] ﴿فَكَأَنَّمِنْ قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمَلَيْتُمْ لَهَا﴾ قرئ: (أهلكنها) بإسناد الفعل إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وللدلالة على تعظيم هذا الفعل وتهويله. وقرئ: (أهلكنها) بناء بين الكاف والهاء على أنه مسند إلى ضمير المتكلم لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾، قبله وحمله على لفظ التوحيد بعده في قوله: (ثم أخذتها)، فحمل الكلام على ما قبله وما بعده أليق وأحسن. [٤٧] ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعُدُّونَ﴾ قرئ: (تعدون) بالتاء في أوله على أنه خطاب للمؤمنين، فالواو في قوله: ﴿وَمَا تَعُدُّونَ﴾ ضمير يعود على المؤمنين، وفي الكلام التفات عن خطاب الواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطابه مع المؤمنين، إذ هو التفات عن الغيبة إلى الخطاب لشدة التوبيخ، والضمير يعود على الكافرين =

٥٦- ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَلَدَهُ﴾: إذا جاءت الساعة لا ينازعه فيه منازع، وقد كان في الدنيا من ينازعه الألوهية والربوبية بالقوة والفعل. ٥٧- ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مذل لهم في جهنم. ٥٨- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: فارقوا أوطانهم وعشائرهم في رضا الله عز وجل وجهاد عدوه، وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، ويتبعهم ويضاف معهم الذين هاجروا في سبيل الله مثلهم إلى يوم الدين. ٥٩- ﴿مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾: الجنة. ٦٠- ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾: أي من جازى الظالم فاقصص منه بمثل ما ظلمه ولم يزد عليه. ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ﴾: أي: عاوده الظالم بظلم آخر أو بُدئ بالقتال وهو له كاره ﴿لَعَفُوْهُ غَفُوْرٌ﴾: عمن انتصر من بعد ظلمه ممن ظلمه. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في الشهر الحرام، فأبى المؤمنون قتالهم، وأبى المشركون إلا القتال، فلما اقتتلوا جد المؤمنون، ونصرهم الله تعالى، فنزلت الآية فيهم. ٦١- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: يدخل ما نقص من ساعات هذا في ساعات هذا، وما نقص من طول هذا، زاد في طول هذا. ٦٢- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾: على كل شيء وفوقه ﴿الْكَبِيرُ﴾: الذي كل شيء دونه. ٦٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، وغير ذلك من ابتداع ما شاء.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ، فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يجرمون القتال في الشهر الحرام، فناشدتهم الصحابة وذكرهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم، فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام؛ فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]. الآية الأولى وقعت في مكان تقدمت فيه توكيدات مترادفة في ستة مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، فاللام والنون مؤكدتان، وبعده: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، واللام مع "هو" مؤكدتان، وبعده: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، واللام والنون سبيلهما تلك السبيل، وبعده: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩]، واللام التي في خبر "إن" كذلك، وبعده: ﴿لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ لَعَفُوْهُ غَفُوْرٌ﴾ [الحج: ٦٠]، فلما ترادفت التوكيدات جاء في هذا الموضع مؤكداً بقوله: "هو" في الآية... وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان، لأنه لم تقدمه التوكيدات التي تستتبع أمثالها كما تقدمت في الأولى.

قول آخر: سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا التأكيد بالضمير المنفصل ويناسبه، وهو تكرر الإشارة إلى آلهتهم والإفصاح بذكرها تعريفاً بوهن مرتكبهم وشنيع حالهم، وأوضح هذا المكرر وأشدّه ملاءمة الإتيان بهذا الضمير المعد فصلاً أو مبتدأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٣١]، وقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣]، فهذه الآية والتي ذكرنا قبلها أنسب شيء لقوله: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ...﴾ [الحج: ٦٢]، تمهيداً وتوطئة لما وبخا به بعدها وقرعوا مما لا يجدون عليه جواباً... ولما لم يقع في سورة لقمان مثل هذا لم يرد فيها التأكيد. [٦٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٦٤]، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ [لقمان: ٢٦]. الزيادة في سورة الحج للتأكيد، لا تدخل اللام الخبر لغير ذلك، وتكرار الموصول أيضاً لذلك، فدخلنا في آية الحج لما قامت الآيات قبلها في السورة على مقصود التأكيد، والله أعلم.

[٥٦] ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ **الجواب: ١-** استعمل القرآن كلمة (النَّعْمَة)، (النَّعْمَة)، (النَّعْمَاء) في نعم الحياة الدنيوية لا الآخروية سواء أكانت «مادية» أم «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النَّعِيم) استعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الآخروية. وهذه الدلالة مطردة أيضاً في القرآن الكريم... إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] لم جاءت كلمة «النَّعِيم» في الآية دون «النَّعْمَة» أو «النَّعْمَة»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ **والجواب:** أن كلمة (النَّعِيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النَّعِيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النَّعِيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. [٦٠] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ لَعَفُوْهُ غَفُوْرٌ﴾ [الحج: ٦٠]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوْهُ غَفُوْرٌ﴾ تعريض بالبحث على العفو والمغفرة. فإنه تعالى مع كمال قدرته، لما كان يعفو ويغفر، فغيره أولى بذلك، وتنبه على قدرته على النصر؛ إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده. فظهر سر مطابقة (العفو الغفور) بهذا الموضع.

= المستعجلين للعذاب. وقرئ: (يعدون) بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير الغائبين للمناسبة في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ (يعدون) عائدة إلى ما عاد إليه الضمير في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾. [٥١] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ (مُعْجِزِينَ) بـ(معاجزين) بمد العين وتخفيف الجيم على أنه من المعاجزة بمعنى المغالبة والمسابقة، وأصله يستعمل في مسابقة الخيل لأن كل واحد من المتسابقين يحاول سبق غيره وإظهار عجزه عن اللحاق به، ثم استعمل في المتخاصمين يحاول كل إعجاز الآخر وإبطال حجته، ومعنى مفاخرين: محاولين إبطال ما نطقت به الآيات من الحجج. وقرئ: (مُعْجِزِينَ) بقصر العين وتشديد الجيم على أنه اسم فاعل من عَجَزَ إذا ثبطه، ومعنى معجّزين: مثبطين للمؤمنين عن الإيمان بالآيات وإظهار عجزها، ومثله موضعاً "سبأ: ٥، ٣٨".

[٦٢] ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ﴾ (يَدْعُونَ) بالياء على إرادة الغيبة وهو ظاهر السياق إن كانت الكاف في قوله ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كما هو الظاهر. وقرئ: (تَدْعُونَ) بالتاء على إرادة خطاب المشركين الحاضرين التفاتاً لخطابهم؛ لأنه أدعى إلى التبكيت، ومناسبة لقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾.

الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَلَدَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ لَعَفُوْهُ غَفُوْرٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَفُصِّحَ بِهِ الْأَرْضُ تُخْضَرُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾

٧٣- ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: صرفوهم عن عبادة الله ﴿يَسْلُبُهُمُ الذِّبَابُ﴾: يأخذ منهم ﴿لَا يَسْتَقْدُوهُ مِنْهُ﴾: أي إذا أخذ منهم الذباب شيئاً، لا يقدرّون على تخليصه منه؛ لكمال عجزهم وفقر ضعفهم، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استقاذ ما أخذه منهم فهم عن غيره أعجز وأضعف. ﴿ضَعُفَ الطَّلِبُ﴾: الأصنام ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: الذباب. ٧٤- ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عظموه حق تعظيمه، ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا به غيره. ٧٥- ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾: يختار. ﴿مِنْ أَلْمَلِكَةِ رُسُلًا﴾: إلى الأنبياء وغيرهم، ويصطفي أيضاً رسلاً ﴿وَمِنْ النَّاسِ﴾: وهم الأنبياء. ٧٦- ﴿مَابَيْتِ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من قبل أن يخلفهم وبعد فنائهم. ٧٨- ﴿حَقَّ جِهَادُهُ﴾: لا تخافوا في الله لومة لائم، واستفرغوا الطاقة فيه ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: اختاركم وهداكم للجهاد في سبيله ﴿جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ﴾: الذي تعبدكم به ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾: ضيق جعله، وشرع من المرخص ما يسهل عليكم الالتزام به كالفطر للمريض، والتيمم والصلاة قعوداً أو اضطجاعاً للعاجز، ونحو ذلك. ﴿يَلَّةَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾: الله سماكم المسلمين ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: في الذكر، وفي الكتب كلها ﴿وَفِي هَذَا﴾: يعني: القرآن ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: أن الرسل قد بلغوا أمهم ما أرسلوا به ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾: تقووا به وتوكلوا عليه ﴿فَتَعْمَ الْمَوْلَى﴾: الوليُّ الله لمن فعل ذلك منكم ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: الناصر. [٧٨] معنى اسم الله المولى: ((المولى)) اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الربُّ، والمالكُ، والسَّيدُ، والمنعمُ، والمُعْتَقُ، والناصرُ، والمُحِبُّ، والتابعُ، والجارُّ، وابنُ العم، والحليفُ، والصَّهْرُ، والعبدُ، والمنعمُ عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاهُ، ووليُّه، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء: فالولاية -بالفتح- في النسب، والنصرة، والعِتق. والولاية -بالكسر- في الإمارة، والولاية للمُعْتَق، والمُوالي من وإلى القوم. فالله هو المولى المأمول في النصر والمعونة، وهو الذي يتولى نصر المؤمنين، وإرشادهم كما يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم. [٧٨] معنى اسم الله النصير: النصير: فيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصرٌ ومنصورٌ، وقد نصره ينصره نصراً إذا أعانه على عدوه وشدَّ منه. والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله.

[٧٨] ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول بالبقرة لأن الكلام المسوق بها لتقرير عدالة الأمة، وكونها شاهدة على الأمم، أمّا شهادة الرسول عليها فهي تركية لها لقبول شهادتها، والتركية تكون بعد أداء الشهادة نفسها، إذ هي أصل، والتركية تابعة لها، ولولا ذلك لما قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول، لتباين المنزلتين، وأمّا سورة الحج فقد جاء الترتيب فيها على الأصل بتقديم شهادة الرسول على شهادة الأمة، وذلك لأن معنى أن يشهد الرسول على أمته بأنه بلغها ما أنزل إليه من ربه، وأن تشهد الأمة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم ما أنزل إليهم من ربه، أن موضوع الشهادتين واحد هو التبليغ. [٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾ [الزمر: ٦٧]. الآيات تبين أنه ما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ وآية الأنعام توضح أنهم أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئاً من وحيه... أمّا آية الحج فتبين أنهم جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالب، وآية الزمر توضح أنهم عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة...

[٧٧] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. بدأت الآية بذكر الركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر، ثم عبادة الرب وهي أعم، ثم فعل الخير، فيتدرج في الآية من القلة إلى الكثرة. وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم. [٧٨] ﴿وَلَكِنْ قَاتِلْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَمِّمَةٌ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]. ما الفرق بين "الجهاد والقتال" الجواب: الجهاد معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالاً. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، يشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل كل قول أو عمل خير يعملُه المؤمن في سبيل الله.

[٧٧] ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وَفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقل في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسندت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله)، أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة - ولكن ما يجيء مسنداً إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله - تعالى - أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديساً لله وتنزيهاً له - سبحانه وتعالى - لما خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العمل (كما قال بعض أهل = [٧٣] ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (تدعون) بالتاء على الخطاب لمناسبة قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ﴾ وقرئ: (يدعون) بالغيبة على الالتفات لإسقاطهم عن درجة الاعتبار كذلك. [٧٣] ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذِّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّلِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. إنفاذ ما يسلبه الذباب: يقول العلم البيولوجي الحديث: إن الذباب إذا وقف على أي طعام، بحيث تعلق بأرجله جزئيات منه، فإنه يصب في الحال على هذه الجزئيات عصارات هاضمة بواسطة خرطوم، فتزيد ما علق بأرجله، ثم يمتصه الذباب، بحيث لا يستطيع أحد أن ينقذ أو يسترد ما سلبه الذباب، فسبحان الله الخالق الذي أعلم محمداً ﷺ، بهذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ أَبْغَىٰ ذِرَاءً فَاءُولَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي فَرْارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمَضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
ءَاخِرَ فَبَارَكْنَا اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾

(٣٤٢)

سورة المؤمنون

١- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: قد فازوا وأدركوا طلبتهم من عند ربهم. ٢- ﴿خَاشِعُونَ﴾: متذللون لله عز وجل. وقيل: نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون إلى السماء أبصارهم، فنهوا بهذه الآية عن ذلك، وكانوا بعد ذلك لا تجاوز أبصارهم مصلاتهم. ٣- ﴿اللَّغْوِ﴾: كل باطل وهو وهزل ومعضية، وما لا يجمل من القول والفعل. ٤- ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: مؤدبون. ٥، ٧- ٨- ﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ ذِرَاءً وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: متكحاً سوى زوجته وملك يمينه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: الذين يتعدون الحلال إلى الحرام. ٩- ﴿رَاعُونَ﴾: حافظون. ١٠- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: على وقتها. ١٠- ١١- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾: يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة، لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد منكم إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة مكانه، وذلك قوله عز وجل: «أولئك هم الوارثون» - أخرجه سعيد بن منصور وابن ماجه وابن أبي حاتم والبيهقي وغيرهم. ويحتمل أن يسمي الله تعالى الجنة ورائته، من حيث حصولهم عليها دون غيرهم ١٢- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: يعني آدم ﴿مِّن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾: أي كائنة من طين. والمعنى أنه سبحانه خلق جوهر الإنسان أولاً من طين. ١٣- ﴿فِي فَرْارٍ﴾: حيث استقرت نطفة الرجل في رحم المرأة ﴿مَّكِينٍ﴾: مكن بذلك وهبى له. ١٤- ﴿عِلْقَةً﴾: قطعة من دم. ﴿مَضْغَةً﴾: قطعة من اللحم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: نفخه الروح فيه، فيصير حينئذ إنساناً ﴿فَبَارَكْنَا اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: خير الصانعين. والعرب تسمي كل صانع: خالقاً، فلذلك قال الله عز وجل «أحسن الخالقين». ١٥- ١٦- ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبع سموات. والعرب تسمي كل شيء فوق شيء: طريقة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾: الذي تحت السماوات ﴿غَفِيلِينَ﴾: بل كنا لهم حافظين وبمصلحتهم قاطنين.

[٢] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾. أخرج الحاكم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فطأ رأسه، وأخرجه ابن مردويه بلفظ: كان يلتفت في الصلاة، وأخرجه سعيد بن منصور، عن ابن سيرين مرسلًا بلفظ: كان يقلب بصره، فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلًا: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فنزلت. [١٢] وأخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: وافقت ربي في أربع نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية، فلما نزلت قلت: أنا ﴿فَبَارَكْنَا اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾. [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]. إن التعبير في آية المؤمنين مناسب لما اكتنف هذا الوصف، فلما كان ذكر محافظتهم على صلاتهم قد اكتنفه ما تقدمه وما تأخر عنه من تفخيم الوصف في المتقدم، وتفخيم الجزاء في المتأخر ناسب ذلك تفخيم العبارة عن فعلهم، فورد بلفظ الجمع في قراءة الأكثرين، فقيل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. أمّا تفخيم الوصف المتقدم فذكرهم بالفلاح وهو الظفر بالمراد، والبقاء في الخير، وذكرهم بالخشوع في صلاتهم وإعراضهم عن اللغو، ولم يقع في متقدم وصفهم في سورة المعارج ما يوازن هذه الأوصاف.. وأمّا نعتهم الوارد في جزائهم فوصفهم بأنهم الوارثون، ثم تخصيصهم بإرث الفردوس، وهو أعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، ووصفهم بالخلود فيها، ولا يوازن هذا بقوله عقب آية المعارج: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]، فالجمع يفيد التفخيم، فجاء مع الآيات التي فيها تفصيل في فضائلهم، والجزاء الذي أعد لهم. [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]. ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء، فهذا ما دلت عليه آية المؤمنون، أمّا الزمر: ثم إنكم جميعاً أيها الناس يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف. = العلم) يحتاج إلى تفكير ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صورته، واختيار ما يهدي إليه النظر فيها، والله - سبحانه وتعالى - لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيره (أي يقوم بعمله غيره)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقير إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- (الفعل) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- (الفعل) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَأَمْنَتِهِمْ﴾ قرئت: (أمانتهم) هنا و"المعارج: ٣٣" بدون ألف بين النون والتاء على التوحيد؛ لأنه مصدر في الأصل يدل على القليل والكثير، يقال: أمانة على كذا يأمنه إذا استحفظه إياه، والمصدر لا يجمع أو لإرادة الجنس، فيصدق بالواحد والمتعدد. وقرئت: (أماناتهم) بألف بين النون والتاء لإرادة الأنواع، وهي أنواع مختلفة متعددة ولذلك يحسن جمعها؛ لأن الأمانات التي يلزم الناس مراعاتها مختلفة وكثيرة، فجمع لكثرتها. [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿صَلَوَاتِهِمْ﴾ قرئ: هنا: (صلاتهم) بالإنفراد على قصد الجنس. وقرئ: (صلواتهم) بالجمع على إرادة الأنواع وهي أنواع بين فرض ونفل، والفرض: صبح وغيره. [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظًا﴾ قرئ: (عظمًا)، بفتح العين وسكون الظاء فيهما وحذف الألف على الإفراد لقصد الجنس. وقرئ: (عظامًا) بكسر العين وفتح الظاء بعدها ألف على الجمع لقصد الأنواع، والعظام أنواع مختلفة بين دقيقة وغلظة ومستديرة ومستطيلة وغير ذلك.

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. مراحل خلق الإنسان: عندما تجتمع نطفة الرجل مع بويضة المرأة تبدآن بالتكاثر لتشكلا مجموعة ضخمة من الخلايا بعد أيام قليلة. هذه الخلايا تعلق في جدار الرحم وهذه هي المرحلة الثانية "مرحلة العلقه"، وتبدأ هذه العلقه بالتغذي من جدار الرحم ليزداد حجمها وتكبر، ثم يزداد تكاثر هذه العلقه بشدة وبشكل متسارع = نزول سورة المؤمنون: نزلت بعد سورة الأنبياء، وهي مكية إجماعاً. عدد كلمات سورة المؤمنون: ألف ومائتان وأربعون. عدد حروف سورة المؤمنون: أربعة آلاف وثمانمائة وواحد. أسماء سورة المؤمنون: وسميت سورة المؤمنون لافتتاحها بفلاح المؤمنين. مواضع سورة المؤمنون: مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه: =

١٨- ﴿فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: ماء الأرض هو ماء السماء. ٢٠- ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾:

انتصاب «شجرة» عطفاً على «الجنات» يعني بها: شجرة الزيتون ﴿مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل بمصر مبارك نودي منه موسى عليه السلام، واختلف فيه ﴿تَبَّتْ﴾: ثمر ﴿بِالدَّهْنِ وَصَبِغٍ لَّأَكْلِينَ﴾: ما ياتدمون به. أي تبت بالشيء الجامع بين كونه ذهنًا يدهن به، وكونه صبغًا يؤتدم به، وهو الزيت.

٢١- ﴿الْأَنْعَمِ﴾: هي الإبل والبقر والضأن والمعز. ﴿لَعَبْرَةٍ﴾: يستدل بخلقها وأفعالها على عظيم قدرة الله تعالى. ﴿مَنْفَعٌ كَثِيرَةٌ﴾: يعني: في ظهورها والبانها وأولادها وأصوافها وغير ذلك.

٢٢- ﴿وَعَلَى الْفَلَكَ﴾: السفن. ٢٤- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: أشرف قوم نوح ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ﴾:

أن يكون متبوعاً وأنتم له تبع. ٢٥- ﴿بِهِ حِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فَرَفَضُوا﴾: تلبثوا ﴿بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾: إلى وقت ما، لم يعنوا وقتاً معلوماً. وقيل: عنوا: حتى يفيق من جنونه فيترك هذه الدعوى، أو يموت فتستريحوا منه. ٢٧- ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾: بحفظنا، وأمرنا، وتعليمنا إياك لكيفية صنعها ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾: التنور هو بيت النار الذي ينضج فيه الخبز، جعل فوران الماء فيه علامة ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾:

فادخل في الفلك ﴿وَلَا تَخْطِئُنِي﴾: لا تسألني ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: فإني قد حتمت عليهم الغرق.

[١٩] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاوَكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاوَكُهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣].

ذكر الواو في الأولى "ومنها" وحذف الواو في الثانية "منها" لماذا؟ **الجواب:** في سورة المؤمنون السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم قال: "ومنها تأكلون"، فالفاوكة في الدنيا ليست للأكل فقط، فمنها ما هو للإدخار والبيع والمرييات والعصائر، فكأنه تعالى يقصد بالآية: ومنها تدخرون، ومنها تعصرون، ومنها تأكلون، وهذا ما يُسمى عطف على محذوف، أما في

سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة، والفاوكة في الجنة كلها للأكل ولا يُصنع منها أشياء

أخرى، والله أعلم. [٢١] ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لَعِبْرَةٌ شَقِيقَةٌ مِمَّا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَرَمِ لَبَنٍ﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿شَقِيقَةٌ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ﴾ [المؤمنون: ٢١].

الأنعام في سورة النحل، وإن أطلق لفظ جميعها فإن المراد به بعضها، ألا ترى أن الدر لا يكون لجميعها، وأن اللبن لبعض إنائها، فكأنه قال: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه... وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنون، لأنه قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ شَقِيقَةٌ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٢١] ﴿وَعَلَى الْفَلَكَ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١-٢٢]، فأخبر عن النعم التي في أصناف النعم إنائها وذكرها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في

الأول ذلك. [٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا...﴾ [هود: ٢٧]، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ...﴾ [المؤمنون: ٢٤]. فقال رؤساء الكفر من قوم نوح عليه السلام: إنك لست بملك ولكنك بشر، فكيف أوحى إليك من دوننا... فهذا ما دلت عليه

آية هود، أمّا آية المؤمنون: فقال رؤساء الكفر من قوم نوح: إن نوحاً إنسان مثلكم لا يميّز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلاً عليكم...

[٢٤] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]. آية سورة

المؤمنون تقدم قبلها ذكر الله، وليس فيه ذكر الرب، وفي فصلت تقدم ذكر "رب العالمين" سابقاً على ذكر لفظ الله، فصّرح في هذه السورة بذكر الله، وهناك بذكر الرب؛ لإضافته إلى العالمين وهم من جهلتهم، فقالوا إمّا اعتقاداً وإمّا استهزاء: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾، فأضافوا الرب إليهم.

[٢٧] ﴿وَفَارَ التَّنُورُ فَلَنَّا أَهْمِلُ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠]، ﴿وَفَارَ التَّنُورُ فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]. لفظ "أهمل" أوسع موقعاً في اللغة وأكثر تصرفاً في الكلام

تقول: حملت الشيء إلى فلان، وحملته على كاهلي... ولا تقول في شيء من هذا: سلك، إلا أن يكون المحصور فيه حسباً أعقب "سلك أو حمل" إن لم يعرض في المعنى ما يمنع، وأما سلك فإن العرب تقول سلكت الشيء في الشيء وأسلكته، أي: أدخلته... وقليلاً ما تخرج كلمة "سلك" عن هذا المعنى من الدخول حقيقة

ومجازاً، ففيها من حيث معناها خصوص، وأما "حمل" ففيها اتساع لا يكون في سلك. فوجه ورودها في سورة هود مناسبتها من حيث المعنى لما اقترن بها من لفظ: "قلنا"، فطال الكلام لفظاً مع ما أشرنا إليه من سعة المحامل، وإن لم يرد جميعها هنا، لكن ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من =

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَبَّتْ بِالدَّهْنِ وَصَبِغٍ لَّأَكْلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيْنَاءَ﴾ قرئ: (سيناء-سيناء) بكسر السين وفتحها على وزن فعلاء، جعل الهمزة بدلاً من ياء وليست للتأنيث إذ ليس في كلام العرب فعلاء بكسر أوله وهمزة للتأنيث، إنما يأتي هذا في الأسماء الملحقة به نحو: علباء وحرباء، فالهمزة فيه: بدل

من ياء لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة، فسيناء لم ينصرف لأنه اسم للبقعة، فلم ينصرف للعلمية والتأنيث، فهما لغتان، والكسر لغة كنانة، والفتح: لغة أكثر العرب جاءت على وزن فعلاء كحمراء فلم يصرفه للوصفية والتأنيث. قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ قرئ: (تَبَّتْ) بفتح أوله وضم ثالثة على أنه مضارع نبت اللازم وفاعله يعود

على الشجرة، والجار والمجرور بعده حال منه، والباء فيه للملابسة، وتقديره: تبت هي - أي الشجرة - حال كونها متلبسة بالدهن. وقرئ: (تَبَّتْ) بضم أوله وكسر ثالثة على أنه مضارع أثبت المزيد بالهمزة، فيحتمل أن يكون بمعنى تبت فيكون لازماً، وفاعله ضمير الشجرة، و(بالدهن) حال من الفاعل كما في القراءة الأولى، ويحتمل أن يكون متعدياً كما هو الكثير في استعماله، ومفعوله محذوف والجار والمجرور حال منه، أي: تبت ثمرتها حال كونها متلبسة بالدهن.

= حتى تشكل كتلة من الخلايا، وبالتصوير الملون لهذه الكتلة تظهر وكأنها قطعة لحم مضغوطة، عليها آثار مضغ الطعام! وهذه هي المرحلة الثالثة وهي "مرحلة المضغعة"، وبعد اكتمال هذه المضغعة تبدأ العظام بالتخلق من داخل هذه المضغعة، وهنا بدايات تخلق الهيكل العظمي للجنين، وهذه هي المرحلة الرابعة "مرحلة العظام"، ثم تأتي المرحلة الخامسة وهي "مرحلة اللحم" حيث يكسو الله تعالى بقدرته هذه العظام باللحم ويغلفها تغليفاً، إذا العظام تُخلق أولاً ثم تُكسى باللحم

ثانياً، ثم تأتي المرحلة السادسة والأخيرة وهي المرحلة التي يتميز بها الجنين ويأخذ معالمه الأساسية، وهي مرحلة "الخلق الآخر"، أي تشكل الملامح الخارجية للجنين، وهذه المراحل الستة يقررها علم الأجنة، بل إن هذا التقسيم لمراحل تطور الجنين متوافق تماماً مع العلم الحديث، فسبحان الخالق.

= الفتوى بفلاح المؤمنين، والدلالة على أخلاق أهل الإسلام، وذكر العجائب في تخليق الأولاد في الأرحام، والإشارة إلى الموت والبعث، ومنة الحق على الخلق بإنبات الأشجار، وإظهار الأنهار، وذكر المراكب، والإشارة إلى هلاك قوم نوح، ومدة الكفار، وأهل الإنكار، وذكر عيسى ومريم، وإيوائها إلى ربوة ذات قرار، =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَبَّتْ بِالدَّهْنِ وَصَبِغٍ لَّأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لَعِبْرَةٌ شَقِيقَةٌ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَى الْفَلَكَ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِنَّةٌ فَرَفَضُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَأَسْلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِزٍّ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَالْآخِرَةُ وَأَتَرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ بَرَأ كُلُّ مِمَّا تَكُونُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكْمَانَا ۖ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَحَيَّاءَ مِمَّا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عِمَّا قَلِيلٍ لِّيُصِحِّحُنَّ نَذِيرِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

٢٨- ﴿اسْتَوَيْتَ﴾: استقر بك وعلوت على الماء. ٢٩- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا﴾ - بضم الميم -: إنزالاً مباركاً. قيل: أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخوله السفينة. وقيل: عند خروجه منها، ولا مانع من الجمع بين الأمرين. ٣٠- ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: لمختبرين بآياتنا قبل نزول عقوبتنا بهم. ٣١- ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا﴾: أحدثنا ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾: أمة أخرى، وهم عاد قوم هود. ٣٢- ﴿وَأَتَرَفْتُهُمْ﴾: نعمناهم في حياتهم بما وسعنا عليهم من المعاش، وبسطنا لهم في الرزق. ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أنكروا أن يكون الرسول من البشر، وقد رد القرآن على هذه الشبهة في غير آية. ٣٣- ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾: بمعنى: بعيد بعيد. ٤٠- ﴿عِمَّا قَلِيلٍ﴾: عن قليل. ٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله بها فماتوا جميعاً ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾: بمنزلة الغشاء، وهو ما ارتفع على السيل مما لا ينفعت به ﴿فَبَعْدًا﴾: يقول: فأبعد الله القوم الكافرين. ٤٢- ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي من بعد إهلاكهم ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾: هم قوم صالح ولوط وشعيب؛ كما وردت قصصهم على هذا الترتيب في سورتي الأعراف وهود. وقيل: هم بنو إسرائيل. والقرون: الأمم.

= إستيفاء قصة نوح عليه السلام، وطول الكلام بذلك، وأمّا آية المؤمنون ففي قصة نوح فيها إيجاز وإجمال، ألا ترى أنها - أعني آية هود - على الضعف أو أطول مما في سورة المؤمنون، فلذلك ورد في سورة المؤمنون لفظ "اسلك" لإيجازه من حيث معناه مما يحرز الطول، بخلاف ما في سورة هود، ومما يعضد هذا المقصود ويشهد له قوله تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، فتأمل تنظير "حتى" وهي على أربعة أحرف بفاء التعقيب في سورة المؤمنون في قوله: "فإذا"، وإنما الفاء على حرف واحد، فنوسب بالفاء موضعها المبني على الإيجاز، وبـ "حتى" موضعها المبني على الاستيفاء والطول، والله سبحانه أعلم. [٢٧] ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. سورة هود فيها

تفصيل وتعميم بدليل قوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾، ويقصد بـ ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، أي: امرأته وابنه لأنها كانا كافرين، ثم زاد ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾، أي: من آمن من غير أهلك، وكأنما التركيز في سورة هود على المؤمنين، وأمّا سورة المؤمنون فقد أكد ألا يركب معك في السفينة ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بزيادة ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ مع ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وكأن التركيز هنا على الكافرين، وهذه فيها خصوصية عما جاء في سورة هود من العموم. [٢٤، ٣٣] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَالْآخِرَةُ﴾ [المؤمنون: ٣٣]. قدّم ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ في الآية الثانية، وأخر في الأولى؛ لأنّ صلة "الذين" في الأولى اقتضت على الفعل وضمير الفاعل، ثم ذكر بعده الجار والمجرور، ثم ذكر المفعول وهو المَقُول، وليس كذلك في الثانية، فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مرّة بعد أخرى، فقدّم الجار والمجرور؛ لأنّ تأخيرها يلتبس، وتوسيطه ركيك، فخصّ بالتقدم. [٣٨] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّضْصُورِيهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨]. الآية الأولى تبين مقالة قوم نوح له، حيث قالوا ما نوح إلا رجل به مس من الجنون، فانتظروا حتى يُفَيّق، فيترك دعوته، أو يموت، فتستريحوا منه، أمّا الآية الثانية فتوضح مقالة قوم هود له حيث قالوا: وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بمصدقين ما قاله لنا. [٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٣٩، ٢٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، وفي سياق قصة نوح وهود عليهما السلام حين طلبا النصرة من الله بسبب تكذيب قومهما لهما. [٤٤، ٤١] ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١]، ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤]. لماذا جاءت كلمة (قوم) في الآية الأولى معرفة والثانية منكرة؟ **الجواب:** أن القرن الأول معروف أنهم قوم هود لقوله تعالى: ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١]، فأول قرن بعد نوح: قوم هود، وقوله تعالى: ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، غير معروفين بأعيانهم، فجاء بلفظ التنكير بقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لأن عدم الإيمان هي الصفة العامة لجميعهم. وإذا نظرت للآيتين تجد أنهما تحكيان نهاية أولئك الأقوام، وما آل إليه حالهم من تكذيب الرسل، ولهذا قال: ﴿فَبَعْدًا﴾، والبعد هو اللعن والطرّد، وإذا تتبع ما جاء في كتاب الله لاحظت أن ما جاء بعد لفظ "بعداً"، جاء بالتعريف، وفي قصص معلومة أيضاً، كآيات التي وردت في سورة هود، ففي قوم نوح: ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]، ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدًا لَثَمُودٍ﴾ [هود: ٦٨]، ﴿أَلَا بَعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]، بينما لم يرد التنكير بعد "بعداً" إلا في موضع واحد، وهو الذي بين أيدينا في هذه المسألة. ٢٩- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا﴾ قوله تعالى: ﴿مُنزلاً﴾ فيها قراءتان: الأولى: (مُنزلاً) بضم الميم وفتح الزاي على أنه مصدر أنزل، مفعول مطلق بمعنى إنزالاً، أو اسم مكان منه، ظرف لأنزلي بمعنى مكان إنزال. الثانية: (مُنزلاً) فتح الميم وكسر الزاي على أنه مصدر نزل المجرد، أو اسم مكان منه، وهو مفعول مطلق على الأول، ووظف على الثاني، والمعنى: "أنزلي منزلاً مباركاً، أو مكان نزول مباركاً". [٣٦] ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾ قرئنا: (هِيَآتْ - هِيَآتْ) بكسر التاء وفتحها وهما لغتان، والكسر لغة تميم وأسد، وهو اسم فعل مبني، والكسر أصل في التخلص من التقاء الساكنين، والفتح للتخفيف.

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]. **السَّاء السَّاكن في الأرض:** يقول الجيولوجيون: إن مياه الأمطار تتسرب إلى باطن الأرض عبر الشقوق الموجودة في القشرة الأرضية، وكذلك عبر مسام الصخور الرسوبية، ثم تتجمع في آبار ضخمة في تراكيب جيولوجية تعمل كخزانات هائلة للمياه الجوفية.. وهذه التراكيب الجوفية قد تتصدع أثناء حدوث أحد الزلازل، فتنتقل المياه منها دون أن نشعر لتهاجر إلى مكان آخر.

[١٩] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرَةٌ﴾ **إعجاز عددي:** ١ - ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢ - ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣ - ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤ - ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله. = وإمهال الكُفَّار في المعاصي والمخالفات، وبيان حال المؤمنين في العبادات والطاعات، وبيان حُجَّة التَّوْحِيد وبرهان النبوات، وذلل الكُفَّار بعد الممات، وعجزهم

٣٤٥

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُفَّ
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِمَا يَفْعَلُ وَيَسْأَلُونَ أَهْلَ
 بَلِّ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا
 عَامِلُونَ ﴿٦٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ
 ﴿٦٣﴾ «لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَنَا بُعْدًا أَنَّا أَعْتَقْنَاكُمْ» فَذُكِّرُوا بَعْدَ مَا
 نُنْتَلِ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقِبِكُمْ نَكِصُونَ ﴿٦٤﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
 بِهِ سَمِرًا تَهَجَّرُونَ ﴿٦٥﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٦﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
 ﴿٦٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ
 كَارِهُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنبَتْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ
 ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧١﴾
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ

٦٠ - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ يعطون ما أعطوا من صدقاتهم، وحقوق الله في أموالهم ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾: خائفة ألا يتقبل منهم. ٦١ - ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: يُبادرون في الأعمال الصالحة ﴿وَهُمْ لَهَا سَاهُونَ﴾: أي من أجلها سباقون. وقيل: سبقت لهم السعادة من الله، قبل مسارعتهم في الخيرات. ٦٢ - ﴿لَا وُسْعَهَا﴾: ما يسعها ويصلح لها من العبادة ﴿وَلَدَيْنَا﴾: عندنا كتاب بأعمال الخلق. ٦٣ - ﴿فِي غَمَرٍ﴾: في عمى، وعنَى بـ«الغمرة»: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم مواعظ الله عز وجل ﴿مِّنْ هَذَا﴾: من القرآن أو من كتاب الإحصاء ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾: أعمال لا يرضاها الله عز وجل من دون أعمال أهل الإيمان بالله عز وجل. وقيل: أعمال لم يعملوها سيعملونها. ٦٤ - ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: عظماءهم أو الذين أمدهم الله بما تقدم ذكره من المال والبنين ﴿يَجْعَلُونَ وَيَسْتَفِثُونَ﴾: وقيل: أخذنا مترفيهم بالسيوف يوم بدر. ٦٥ - ﴿نَكِصُونَ﴾: ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، يعني: أهل مكة. ٦٦ - ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: يخرم البيت، يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد ﴿سَمِرًا﴾: يسمرون حول البيت، يقولون المنكر، والسامر: الجماعة يسمرون بالليل ﴿تَهَجَّرُونَ﴾: قيل: تهجرون ذكر الله والحق؛ أي تعرضون عنهما. وقيل: عنى بهما الهجر، وهو السعي من القول في القرآن. ٦٧ - ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾: تنزِيل الله عز وجل وكلامه، ويعرفوا حججه. ٦٨ - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: بالصدق والأمانة. ٦٩ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون يتكلم بما لا معنى له. ٧٠ - ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾: الحق: الصواب والمستقيم ﴿بَلْ أَنبَتْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: بشرفهم، لأنه نزل على رجل منهم. ٧١ - ﴿أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ خَرَجًا﴾: أجرًا على ما جتتهم به ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ﴾: فأجر ربك لك خير. ٧٢ - ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ﴾: عن محجة السبيل عادلون. [٨٥] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كانت قریش تسمر حول البيت ولا تطوف، به ويفتخرون به فأنزل الله ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾. [٦٦] ﴿فَدَكَاتْ مَا يَأْتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [المؤمنون: ٦٦]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَّا يَأْتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]. الآية الأولى في الدنيا عند نزول العذاب وهو الجذب عند بعضهم، ويوم بدر عند البعض، والثانية في القيامة، وهم في الجحيم؛ بدليل قوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. وأخرج البخاري ومسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن قریشًا أبطأت عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بطاعة الله وصلة الرحم، وإن قومك هلكوا، فادع الله، فقرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، فاستسقى لهم فسقوا، ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَبْطِشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، يعني: يوم بدر. ٦٠ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن. ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن. ٦١ ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]. هذا دليل على أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة، من صلاة في أول الوقت - وغير ذلك من العبادات - هو الأفضل، ومدح الباري أدل الدليل على صفة الفضل في الممدوح على غيره. [٧٥] ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَكُّوا﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿لَلْجَوَّارِ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]. ما الفرق بين: "العمى والعمه"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاص بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسببة ولا نقصًا) ويستعار (العمى) لضلal المذهب والرأي. أما (العمه) فخاض بفقد البصيرة، ويستعمل حقيقة في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائر فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويستعار (العمه) للحيرة والتردد النفسي. [٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ﴾ = خبر "أن" والجار والمجرور متعلق (باتقون) أيضًا، و(أمة) على القراءات الثلاثة منصوبة على الحال من الخبر، والعامل من تلك الحال معنى الإشارة. [٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهَجَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَهَجَّرُونَ﴾ قرئت: (تَهَجَّرُونَ) بفتح التاء وضم الجيم على أنه مضارع هجر بمعنى هذى، كقولهم هجر في القول إذا هذى فيه، أو هجر من الهجران بمعنى الترك. وقرئ: (تَهَجَّرُونَ) بضم التاء وكسر الجيم مضارع أهجر، يقال: أهجر يهجر بمعنى أفحش في القول. [٧٢] ﴿أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿خَرَجًا - فَخَرَجًا﴾ هنا و﴿خَرَجًا﴾ بالكهف: ٩٤، قرئ (خَرَجًا - فَخَرَجًا) بفتح الراء وإثبات ألف بعدها. وقرئ: (خَرَجًا - فَخَرَجًا) بإيكان الراء، وحذف الألف، والخرج والخراج لغتان في مصدر «خرج».

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفخ بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفخ بمشتقاتها) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاتها) وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله. [٧٣] ﴿وَلَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتهما، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن. إذا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومترادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكل ورد (٤٥) مرة في القرآن. [٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ (الأفئدة) ومشتقاتها مع لفظ (الألباب) وقد ورد كل (١٦) مرة. أولًا: وردت كلمة (الألباب) (١٦) مرة في كتاب الله، ثانيًا: وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة (الألباب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) وكل ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى. [٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة) ومشتقاتهما مع لفظ (القلوب والنفوس) ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة في القرآن الكريم.

٧٥- ﴿مَا يَهْمُ مِنْ ضَرٍّ﴾: من جوع وقحط وضيق ﴿لَلْجَوِّ فِي طَعْنِهِمْ﴾: لثمادوا في عتوهم وضلالهم يعمهون﴾: يترددون. ٧٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾: بالجوع والقحط، وقتل سراتهم بيدر، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾: خضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾: وما يتذللون. ٧٧- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قيل: المجاعة التي أصابت قريشاً. وقيل: هو ما نزل بهم يوم بدر ﴿مُبْلِسُونَ﴾: خزانى نادمون على ما سلف لهم من تكذيبهم بآيات الله تعالى. والمبلس: الذي قد نزل به شر ويثس من زواله ونسخه بخير. ٧٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾: أحدث لكم ﴿السَّمْعَ﴾، مصدر فلذلك وُحِدَ ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: القلوب التي تفقهون بها. جعل العقل والإدراك وراء حاسي السمع والبصر؛ لأنه العنصر الفاعل والأهم في تحصيل المعرفة عند الإنسان. ٧٩- ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ما سطره الأولون في كتبهم من الأخبار التي لا صحة لها ولا حقيقة. ٨٣- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك، قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم. ٨٧- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: جعل الجواب عن المعنى فقيل: لله، ولم يقل: الله، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو. ٨٨- ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خزان كل شيء ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: من أراد ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا أحد يمنع من إرادته الله عز وجل بسوء. ٨٩- ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: معناه: فمن أي وجه يخيّل لكم الكذب حقاً، فتصرفون عن الإقرار بالحق.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ الآية. وأخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾، وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أن ابن أياز الحنفي لما أتى به للنبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله وأسلم، فلحق بمكة، ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: أأنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين: قال: «بلى»، قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت. [٨٣]

[المؤمنون: ٨٣]، ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [النمل: ٦٨]. ذهب الإمام الزمخشري إلى أن التقديم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، يقول: «فإن قلت: قدّم في هذه الآية "هذا" على "نحن وآباؤنا"، وفي آية أخرى قدّم "نحن وآباؤنا" على "هذا"؟ قلت: إن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر، لأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على اتخاذ المبعوثين بذلك الصدد». وحين ننأمل توجيه الزمخشري، ثم نعود لسباق الآيات التي تقدمت الآيتين نلاحظ الحالة النفسية التي كان عليها منكرو البعث، فأية النمل جاء قبلها: ﴿أَوَ ذَا كُنَّا تَرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنِينًا مُّخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧]، فالإنكار قوي، فلما قالوا: ﴿أَوَ ذَا كُنَّا تَرَابًا﴾، أبعد احتمال وقوع البعث عندهم، كما لم يكن في قولهم ذكر للموت؛ فلهذا تقدم اسم الإشارة الدال على ذلك، لكونه محل إنكارهم، وحتى يكون حاضراً في أذهانهم، أمّا آية المؤمنين فجاء قبلها: ﴿أَوَ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا﴾ [المؤمنون: ٨٢]، فهم أقروا بالموت، وأنهم سيصبحون تراباً وعظاماً، فالإنكار هنا أضعف، وذلك لذكر العظام وذكر الموت، فتقدم "نحن وآباؤنا" وتأخر اسم الإشارة؛ لأنه موضع الاستغراب والإنكار. [٨٩، ٨٧، ٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُتُ﴾ [المؤمنون: ٨٧]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]. الأول جواب لقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٨٤]، جواب مطابق لفظاً ومعنى لأنّه قال في السؤال: "قل لمن" فقال في الجواب: "لله" وأمّا الثاني والثالث فالمطابقة فيهما في المعنى؛ لأنّ القائل إذا قال لك: مَنْ مَالِكُ هَٰذَا الْغُلَامِ؟ فلك أن تقول: زيد، فيكون مطابقاً لفظاً ومعنى. ولك أن تقول لزيد، فيكون مطابقاً للمعنى. ولهذا قرأ أبو عمرو الثاني والثالث: "الله" "الله"؛ مراعاة للمطابقة.

[المؤمنون: ٧٦]. ما الفرق بين: "يتضرعون ويضرعون"؟ الجواب: وردت كلمة (يتضرعون) مرتين؛ في سورة [الأنعام: ٤٢]، المؤمنين: ٧٦]. بينما وردت كلمة يضرعون مرة واحدة؛ في سورة [الأعراف: ٩٤]. لم جاءت (يتضرعون) في موضع، وجاءت (يضرعون) في موضع آخر؟ الجواب: أن كلمة (يتضرعون) جاءت في سورة الأنعام (غير مدغمة) لأسباب، هي: ١- بُنيت سورة الأنعام من بدايتها على التطويل في الآيات وفي الكلمات وفي تكرار بعض الآيات وتكرار بعض الحروف، فناسب ذلك أن تأتي الصيغة غير المدغمة (يتضرعون). ٢- جاءت هذه الصيغة في آية خوطب بها النبي ﷺ وأريد بها التورية عنه، والتورية هنا يناسبها بسط الحديث وإطالة الكلمات دون إدغام، فأئت كلمة (يتضرعون)، ولم تأت كلمة (يضرعون). ٣- سُبقت كلمة يتضرعون بكلمة (أرأيتمكم) وليس (أرأيتم) في الآية رقم [٤٠] من سورة الأنعام، فناسب بسط الكلمة الأولى وعدم إدغامها (أرأيتمكم) بسط الكلمة التالية وعدم إدغامها (يتضرعون). ٤- سُبقت كلمة (يتضرعون) بكلمتي: (يمسك) و(يمسك) في الآية رقم [١٧]. وبكلمة (يُضِلُّه) و(يُضِلُّه) في الآية رقم [٣٩]. فناسب إظهار الكلمتين وعدم إدغامهما إظهار كلمة (يتضرعون) وعدم إدغامها. ٥- وافق وناسب ذكر الكلمة المظهرة (يتضرعون) ذكر الفعل الماضي التالي لها في الآية التالية رقم [٤٣] بصورة مظهرة أيضاً (تضرعوا) وليس (أضرعوا). ٦- وناسب الإظهار في كلمة (يتضرعون) الإظهار في كلمة (تضرعاً) التي أتت بعدها في الآية رقم [٦٣]. هذا = [٨٩، ٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُتُ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في هذه والتي بعدها قراءتان: الأولى: (الله) بإسقاط اللام التي قبل لفظ الجلالة ورفع الهاء على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجواب على هذا مطابق للسؤال لفظاً ومعنى، فإن من سأل وقال: من رب الدار؟ فالجواب المطابق لفظاً زيد، أي: ربها زيد. الثانية: (الله) بزيادة اللام مكسورة قبل لفظ الجلالة وجر الهاء على أنه جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف، ومطابقة الجواب السؤال على هذه القراءة وقع بحسب المعنى، فالعرب تجيز في الجواب عن قولك: من رب هذه الدار؟ أن يقال: هي لزيد، فإن اللام تفيد الملك.

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ يَبْدُوهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) (٤) مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات، ٥- وردت (الشريعة) بمشتقاتها (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

٧٥- ﴿مَا يَهْمُ مِنْ ضَرٍّ﴾: من جوع وقحط وضيق ﴿لَلْجَوِّ فِي طَعْنِهِمْ﴾: لثمادوا في عتوهم وضلالهم يعمهون﴾: يترددون. ٧٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾: بالجوع والقحط، وقتل سراتهم بيدر، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾: خضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾: وما يتذللون. ٧٧- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قيل: المجاعة التي أصابت قريشاً. وقيل: هو ما نزل بهم يوم بدر ﴿مُبْلِسُونَ﴾: خزانى نادمون على ما سلف لهم من تكذيبهم بآيات الله تعالى. والمبلس: الذي قد نزل به شر ويثس من زواله ونسخه بخير. ٧٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾: أحدث لكم ﴿السَّمْعَ﴾، مصدر فلذلك وُحِدَ ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: القلوب التي تفقهون بها. جعل العقل والإدراك وراء حاسي السمع والبصر؛ لأنه العنصر الفاعل والأهم في تحصيل المعرفة عند الإنسان. ٧٩- ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ما سطره الأولون في كتبهم من الأخبار التي لا صحة لها ولا حقيقة. ٨٣- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك، قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم. ٨٧- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: جعل الجواب عن المعنى فقيل: لله، ولم يقل: الله، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو. ٨٨- ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خزان كل شيء ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: من أراد ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا أحد يمنع من إرادته الله عز وجل بسوء. ٨٩- ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: معناه: فمن أي وجه يخيّل لكم الكذب حقاً، فتصرفون عن الإقرار بالحق.

٣٤٧

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ الآية. وأخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾، وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أن ابن أياز الحنفي لما أتى به للنبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله وأسلم، فلحق بمكة، ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: أأنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين: قال: «بلى»، قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت. [٨٣]

[المؤمنون: ٨٣]، ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [النمل: ٦٨]. ذهب الإمام الزمخشري إلى أن التقديم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، يقول: «فإن قلت: قدّم في هذه الآية "هذا" على "نحن وآباؤنا"، وفي آية أخرى قدّم "نحن وآباؤنا" على "هذا"؟ قلت: إن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر، لأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على اتخاذ المبعوثين بذلك الصدد». وحين ننأمل توجيه الزمخشري، ثم نعود لسباق الآيات التي تقدمت الآيتين نلاحظ الحالة النفسية التي كان عليها منكرو البعث، فأية النمل جاء قبلها: ﴿أَوَ ذَا كُنَّا تَرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنِينًا مُّخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧]، فالإنكار قوي، فلما قالوا: ﴿أَوَ ذَا كُنَّا تَرَابًا﴾، أبعد احتمال وقوع البعث عندهم، كما لم يكن في قولهم ذكر للموت؛ فلهذا تقدم اسم الإشارة الدال على ذلك، لكونه محل إنكارهم، وحتى يكون حاضراً في أذهانهم، أمّا آية المؤمنين فجاء قبلها: ﴿أَوَ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا﴾ [المؤمنون: ٨٢]، فهم أقروا بالموت، وأنهم سيصبحون تراباً وعظاماً، فالإنكار هنا أضعف، وذلك لذكر العظام وذكر الموت، فتقدم "نحن وآباؤنا" وتأخر اسم الإشارة؛ لأنه موضع الاستغراب والإنكار. [٨٩، ٨٧، ٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُتُ﴾ [المؤمنون: ٨٧]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]. الأول جواب لقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٨٤]، جواب مطابق لفظاً ومعنى لأنّه قال في السؤال: "قل لمن" فقال في الجواب: "لله" وأمّا الثاني والثالث فالمطابقة فيهما في المعنى؛ لأنّ القائل إذا قال لك: مَنْ مَالِكُ هَٰذَا الْغُلَامِ؟ فلك أن تقول: زيد، فيكون مطابقاً لفظاً ومعنى. ولك أن تقول لزيد، فيكون مطابقاً للمعنى. ولهذا قرأ أبو عمرو الثاني والثالث: "الله" "الله"؛ مراعاة للمطابقة.

[المؤمنون: ٧٦]. ما الفرق بين: "يتضرعون ويضرعون"؟ الجواب: وردت كلمة (يتضرعون) مرتين؛ في سورة [الأنعام: ٤٢]، المؤمنين: ٧٦]. بينما وردت كلمة يضرعون مرة واحدة؛ في سورة [الأعراف: ٩٤]. لم جاءت (يتضرعون) في موضع، وجاءت (يضرعون) في موضع آخر؟ الجواب: أن كلمة (يتضرعون) جاءت في سورة الأنعام (غير مدغمة) لأسباب، هي: ١- بُنيت سورة الأنعام من بدايتها على التطويل في الآيات وفي الكلمات وفي تكرار بعض الآيات وتكرار بعض الحروف، فناسب ذلك أن تأتي الصيغة غير المدغمة (يتضرعون). ٢- جاءت هذه الصيغة في آية خوطب بها النبي ﷺ وأريد بها التورية عنه، والتورية هنا يناسبها بسط الحديث وإطالة الكلمات دون إدغام، فأئت كلمة (يتضرعون)، ولم تأت كلمة (يضرعون). ٣- سُبقت كلمة يتضرعون بكلمة (أرأيتمكم) وليس (أرأيتم) في الآية رقم [٤٠] من سورة الأنعام، فناسب بسط الكلمة الأولى وعدم إدغامها (أرأيتمكم) بسط الكلمة التالية وعدم إدغامها (يتضرعون). ٤- سُبقت كلمة (يتضرعون) بكلمتي: (يمسك) و(يمسك) في الآية رقم [١٧]. وبكلمة (يُضِلُّه) و(يُضِلُّه) في الآية رقم [٣٩]. فناسب إظهار الكلمتين وعدم إدغامهما إظهار كلمة (يتضرعون) وعدم إدغامها. ٥- وافق وناسب ذكر الكلمة المظهرة (يتضرعون) ذكر الفعل الماضي التالي لها في الآية التالية رقم [٤٣] بصورة مظهرة أيضاً (تضرعوا) وليس (أضرعوا). ٦- وناسب الإظهار في كلمة (يتضرعون) الإظهار في كلمة (تضرعاً) التي أتت بعدها في الآية رقم [٦٣]. هذا = [٨٩، ٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُتُ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في هذه والتي بعدها قراءتان: الأولى: (الله) بإسقاط اللام التي قبل لفظ الجلالة ورفع الهاء على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجواب على هذا مطابق للسؤال لفظاً ومعنى، فإن من سأل وقال: من رب الدار؟ فالجواب المطابق لفظاً زيد، أي: ربها زيد. الثانية: (الله) بزيادة اللام مكسورة قبل لفظ الجلالة وجر الهاء على أنه جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف، ومطابقة الجواب السؤال على هذه القراءة وقع بحسب المعنى، فالعرب تجيز في الجواب عن قولك: من رب هذه الدار؟ أن يقال: هي لزيد، فإن اللام تفيد الملك.

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩١﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٢﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٣﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي أَفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ أَمْ تُرِيدُ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدْ رُؤُونُ ﴿٩٤﴾ أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿١٠٠﴾ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٩١- ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ﴾: «من» في الموضعين لتأكيد النفي ﴿إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: أي لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله بخلقه واستبد به. ٩٢- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: الله تعالى وحده هو عالم الغيب والشهادة، ولا يعلم أحد سواه غير نزر يسير من عالم الشهادة. ٩٣- ﴿إِمَّا تُرِيدُنِي﴾: في هؤلاء المشركين ما تعدهم به من عذابك، فلا تُهلكني بما تُهلكهم، ونجني من عذابك. ٩٤- ﴿أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالخلَّة التي هي أحسن، وذلك: الإغضاء والصفح والصبر ﴿السَّيِّئَةِ﴾: أذى المشركين إياه وتكذيبهم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: من الفرية والتكذيب. ٩٥- ﴿هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: غمزهم وحقنهم. أو نزغاتهم ووساوسهم؛ يقال: همزه ولزّه ونخسه: أي دفعه. والنزغات وسورات الغضب من الشيطان. قيل: وهو المتعوذ منها في الآية. ٩٦- ﴿أَنْ يَحْضُرُونِ﴾: في شيء من أموري، لأنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر، والصرف عن الخير. ٩٧- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: عند المعاينة قبل ذوق الموت. ٩٨- ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: لا بد أن يقولها، قيل: إنها كلمة لا تعني أكثر من أن يقولها، ولا نفع فيها ولا غوث ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾: يعني: من أمهم ﴿بَرْزَخٌ﴾: حاجز، وهي الفترة بين البعث والموت. ٩٩- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: النفخة الأولى ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: يتواصلون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً، عن أحوالهم. ١٠٠- ﴿تَلْفَحُ﴾: تسفع وجوههم ﴿كَالِحُونَ﴾: الكلوح: أن تقلص الشفتان عن الأسنان، كالرأس المشيط بالنار، قد قلصت شفتاه، وبدت أسنانه.

= بالنسبة لسورة الأنعام، أما سورة المؤمنون، فقد جاءت فيها صيغة (يتضرعون) بصورة الإظهار أيضاً لأسباب هي: ١- أن سورة المؤمنون أيضاً ابتدأت بالبسط (كما في وصف المؤمنين بعدة صفات في عشر آيات متتالية)؛ لذا فإن البسط في البداية يناسبه البسط في كلمة (يتضرعون). ٢- أن كلمة (يتضرعون) جاءت بعد وصف تفصيلي لعناد المكذبين من أهل مكة وتكذيبهم للنبي ﷺ، وإصرارهم على العناد والاستكبار والإباء، فناسب هذا البسط إظهار الصيغة (يتضرعون) وليس إدغامها. ٣- جاءت كلمة (يتضرعون) في سورة (المؤمنون) مناسبة لوصف حال المعاندين الذين لا يخشون رب العالمين ولا يخافون عذابه، فما تطلب الأمر هنا إظهار حرصهم على التضرع؛ لأنهم معاندون مستكبرون، لا يرجون الله ولا يخافون عذابه، لذا ناسب ذلك الإتيان بكلمة (يتضرعون) لا (يضرعون). أما كلمة (يضرعون) فقد جاءت على صورة الإدغام لا الإظهار في سورة الأعراف، وذلك للأسباب الآتية: ١- أن الكلام هنا في سورة الأعراف لم يكن خطاباً للنبي ﷺ، وما احتيج معه إلى بسط الكلمات بل هو تقرير وإخبار، فناسب الإتيان بالكلمة في صورة الإدغام (يضرعون). ٢- جاءت أكثر كلمات السورة (من الكلمات التي يمكن إدغامها أو فك إدغامها) جاءت على الصورة المدغمة. كلمات: (يذكرون) في الآية رقم [٢٦]. (أذكركوا) في الآية رقم [٣٨]. (يذكرون) في الآية رقم [١٣٠]. (يطيروا) في الآية رقم [١٣١]. (يضرعون) في الآية [٩٤]. فناسب ذلك الإتيان بكلمة (يضرعون) أي في الصورة المدغمة لا الصورة المظهرة. بينما لم تأت إلا ثلاث كلمات في صورة مظهرة غير مدغمة: كلمات: (يتطهرون) في الآية رقم [٨٢]. (فاقصص) في الآية رقم [١٧٦]. (يضلل) في الآية رقم [١٨٦]. ٣- جاءت صيغة (يضرعون) بعد الحديث عن عذاب قوم شعيب، حيث أخذتهم الرجفة، وهي حالة شديدة تدل على شدة الضراعة وذلك يناسبه كلمة (يضرعون) بصورتها المدغمة. [٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٤]. بعض آثار الظلم ومضاره: الظلم يجلب غضب الرب سبحانه، ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار، ويسببه تنهار الدول، والظالم يُحرّم شفاعته رسول الله ﷺ بجميع أنواعها، وعدم الأخذ على يده يفسد الأمة، والظلم دليل على ظلمة القلب وقسوته، ويؤدي إلى صغار الظالم عند الله وذلته، وما ضاعت نعمة صاحب الجنتين إلا بظلمه، وما دمرت الممالك إلا بسبب الظلم، وما أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة إلا بسبب ظلمهم. وندم الظالم وتحسره بعد فوات الأوان لا ينفع، والظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فهو متعدٍ للغير وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت أكف الضراعة من المظلوم، فقال الله عز وجل: "وَعَزَّيْ وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ" أخرجه الترمذي وصححه الألباني. قال بعض السلف: الظلم ثلاثة أنواع: الأول: أن يظلم الناس فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. الثاني: ظلم بينه وبين الناس. الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه. [٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]. ومادام الشيطان هو الذي يهزم الإنسان كما يهزم الراكب الدابة لتسرع، فليحذر المسلم من الأمور التي يرى نفسه مندفعاً إليها بقوة شديدة خشية أن تكون من همز الشيطان.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفافات: ٢٧]. لا تعارض بين الآيتين؛ لأن في القيامة مواقف متعددة، ففي بعضها لا يتساءلون لا اشتغال كل بنفسه، وفي بعضها الآخر يتساءلون. [١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. الكالِح: هو الذي تقلصت شفتاه حتى بدت أسنانه، والنار والعياذ بالله تحرق شفاههم حتى تقلص من أسنانهم، كما يشاهد مثله في رأس الشاة المشوي في نار شديدة الحر. [١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]، ﴿أَهْرِيْقِيْمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. ما الفرق بين: "سُخْرِيًّا، سُخْرِيًّا"؟ **الجواب:** وردت كلمة (سُخْرِيًّا) بكسر السين: مرتين. بينما وردت كلمة (سُخْرِيًّا) بضم السين مرة واحدة. السُّخْرِي (بكسر السين) هو الهُزء والسُّخْرِيَّة. والسُّخْرِي (بضم السين) هو بمعنى السُّخْرَةِ والتسخير. وهذا المعنى الأخير يتضح في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. [١١٦] ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. **من فوائد التوحيد:** ١- التوحيد سبب في انشراح الصدر. = [٩٢] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَالِمُ﴾ قرئ: (عالم) بخفض الميم من عالم على أنه بدل من لفظ الجلالة أو صفة، فإنه معرفة بالإضافة على أن المراد منه الثبوت والاستمرار. وقرئ: (عالم) بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجملة: مقررة لكمال تزيهه عن الشريك والولد إذ هي بمثابة برهان آخر على وحدانيته لتفرد بكمال العلم. [١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ قوله تعالى: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ قرئت: =

١٠٦- ﴿عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: أي غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا؛ فسمى ذلك شقوة؛ لأنها آلت إليها، ولهذا قالوا: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾. ١٠٨- ﴿أَخْسَأُوا فِيهَا﴾: أي ابعادوا في النار. وهي كلمة زجر. وقال المبرد: الخسء: إبعاد بمكروه. روي أن الله عز وجل إذا قال ذلك لأهل النار يشسوا من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور. وقيل: صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار. ١٠٩- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ﴾: جماعة، وهم أهل الإيمان. ١١٠- ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا﴾: هزءاً ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلُكُمْ ذِكْرِي﴾: أنساكم استهزاؤكم بهم ذكري. ١١٢- ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾: من عدد سنين. ١١٣- ﴿فَسُئِلَ الْعَادِينَ﴾: الذين يعدون الشهور والسنين من الملائكة الحفظة وغيرهم فقد نسينا. ١١٥- ﴿عَبَسًا﴾: لعباً وباطلاً. ١١٦- ﴿فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ﴾: أي تنزه عن أن يخلق شيئاً عبثاً. ١١٧- ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾: لا بينة ولا حجة عند ربه إذا قدم عليه، وليس هناك رب غير الله عليه برهان! فقلوه (لا برهان له به) ليست قيداً أو شرطاً؛ بل هي وصف لحال كل من عبد من دون الله أنه كذلك، فهو في حكم الجملة المعترضة. والله تعالى أعلم.

[٣] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَوَايَاهُمْ﴾ أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها: أم مهزول، وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وأخرج أبو داود والترمذي، والنسائي، والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له: مزيد يحمل من الأنبار إلى مكة حتى يأتهم، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها: عناق، فاستاذن النبي ﷺ أن ينكحها، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَوَايَاهُمْ أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ يا «مزيد» ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَوَايَاهُمْ أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، فلا تنكحها. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما حرم الله الزنا، فكان زوانٍ عندهم جمال، فقال الناس: لينطلقن فليتزوجن، فنزلت. [٦-٩] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية. أخرج البخاري من طريق عكرمة، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية كذب امرأته عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ «البينة أو حد في ظهرك» فقال =

الْم تَكُنْ عَائِي تَتْلَىٰ عَلَيْكَ فَنَكَّهْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَاكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ لِّبَشَرٍ فِي الْأَرْضِ عَدَدُ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أُوتِ بَعْضُ يَوْمٍ فُسِّلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لِّبَشَرٍ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عِثًّا وَأَنْتُمْ إِلَىٰ آلِنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

٢- من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. ٣- يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة من خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية. ٤- به تغفر الذنوب وتكفر السيئات. ٥- هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة. ٦- يُحْتَرِزُ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. ٧- يدفع شر الحاسد. ٨- الموحدون يشفع لهم الرسول ﷺ. ٩- الموحدون يشفعون بإذن الله لذويهم يوم القيامة، مما يدل على عظيم مكانتهم عند الله. ١٠- يحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التام في الدنيا والآخرة. ١١- السبب الأساسي لنيل رضا الله وثوابه. ١٢- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد. ١٣- أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، ويسلّيه عن المصيبات. ١٤- بالتوحيد يحرم مال الموحد ودمه. ١٥- إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان. ١٦- أنه يخفف عن العبد المكاره، ويهون عليه الآلام. ١٧- يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي. ١٨- إذا تحقق تحققاً كاملاً تتضاعف به الأعمال. ١٩- تكفل الله لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير للسر وإصلاح الأحوال. ٢٠- يدفع الله تعالى عن الموحد شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة بذكره. ٢١- التوحيد الخالص يدفع الرياء والغل وغيرهما من كبائر الباطن. ٢٢- الصلاة والصدقة من الأبناء لا تنفع سوى الموحد. [١١٧] ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فيه ضرب من رد العجز على الصدر، إذ افتتحت السورة بـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمت بـ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٨]. هذه الآية فيها حذف لكي تفيد العموم، فقد حذف المفعول به لكلمة ﴿اغْفِرْ﴾ والمفعول به لكلمة ﴿وارحم﴾ فلم يقل: رب اغفر الذنوب للعباد، وارحم الناس، بل أطلقها إطلاقاً ليكون طلب المغفرة عاماً لجميع الذنوب وليكون الدعاء عاماً لجميع الخلائق. وفيه دليل على أن ذلك الفريق الذين كانوا يقولون: ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، موفقون في دعائهم ذلك، ولذلك أثنى الله عليهم به، وأمر به نبيه صلى الله عليه وسلم لتقتدي به أمته في ذلك.

= (شِقْوَتُنَا) بكسر الشين وسكون القاف وإسقاط الألف، مصدر شقي شقوة، كقسوة وفطنة ورده. وقرئت: (شِقَاوَتُنَا) بفتح الشين والقاف بعدها ألف وهما مصدران لشقي كرضي، قالوا: شقي يشقو شقوة وشفاعة: ضد سعد. [١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَاكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَخِرِيًّا﴾ قرئ: (سَخِرِيًّا-سَخِرِيًّا) بكسر السين وضمها بمعنى هزواً، اسمان من سخر به إذا استهزأ، والضم والكسر لغتان فيه بهذا المعنى، هذا هو الصحيح، وبعضهم خص الضم بالاستخدام بغير أجرة، والكسر بمعنى الاستهزاء. وترده قراءة الضم هنا، وقال يونس: إذا أريد منه معنى الاستهزاء جاز الكسر والضم، وإذا أريد معنى التسخير فالضم فقط، وعبرة القاموس: تفيد ورود الضم والكسر في المعنيين، وكذلك الخلاف في قوله: ﴿أَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا﴾ بـ (ص)، قرئت: بالكسر والضم كما سبق. [١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ قرئت: (إِنَّهُمْ) بكسر الهمزة على الاستثنا، ومفعول جزيتهم الثاني محذوف، أي - إني جزيتهم اليوم بما صبروا النعيم في الجنة - إنهم هم الفائزون: جملة مستأنفة. وقرئ: (أَنْهُمْ) بفتح الهمزة على أنه مفعول ثانٍ لجزيتهم، أي: إني جزيتهم اليوم بما صبروا فوزهم الكامل بالنعيم، أو على أنها مجرورة بحرف جر محذوف هو "لام العلة"، ومفعول جزيتهم الثاني محذوف كما في القراءة الأولى، أي: إني جزيتهم اليوم بما صبروا الجنة لأنهم هم الفائزون. [١١٢] ﴿قُلْ لِّبَشَرٍ فِي الْأَرْضِ عَدَدُ سِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّكُمْ﴾ [١١٤] ﴿قُلْ إِنْ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (قَالَ) فتح القاف واللام بينهما ألف على أنه فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الله أو الملك، واستعمال الماضي مكان المضارع الدال على الاستقبال لتحقيق وقوعه، فكأنه بمنزلة الذي وقع. الثانية: (قُلْ) بضم القاف بعدها لام ساكنة على صيغة الأمر من القول، والمخاطب بهذا الأمر الملك الموكل بهم والله أعلم. [١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَىٰ آلِنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تَرْجِعُونَ﴾ قرئ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على إضافة الفعل إلى المخاطبين. وقرئ: (تَرْجِعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله، لأنهم لا يرجعون حتى يرجعوا، إذ لا يبعثون أنفسهم من القبور حتى يُبعثوا.

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
 ١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَايُهَا أَوْ شَرِكُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَحُجْرَتُكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٣ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٤ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٦ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٨ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ٩

٣٥٠

١ - ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ معنى ذلك: هذه السورة أنزلناها ﴿وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا﴾: فرائض مختلفة. ٢ - ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: يقام حد الله عز وجل ولا يعطل، الرأفة: الرقة والرحمة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: تصدقون بأن الله ربكم ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: بأنكم فيه مبعوثون ﴿وَلَشَهِدَ عَدَايُهَا﴾: جلدتهما ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الطائفة: رجل واحد إلى الألف. وقيل: أقله رجلان. ٣ - ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾: إلى آخر الآية. قيل: نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات. وعنى بـ«النكاح» في هذا الموضع: العقد، أو الوطء، أي: الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا تزني إلا بزنان. وزاد ذكر المشركة والمشرک لكون الشرك أعم في المعاصي من الزنا. ومقصود الآية: تشنيع الزنا وتشنيع أهله، وأنه محرم على المؤمنين. ﴿وَحُجْرَتُكَ﴾: يعني الزنا. ونكاح الزواني ٤ - ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفاف من حرائر المسلمين بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: عدول ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الذين خالفوا أمر الله عز وجل وطاعته ففسقوا عنها. ٥ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: قيل: من تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته فيما استقبل، حد أو لم يحد. وقيل: لا تقبل شهادته لأن الله قد وصل ذلك بالأبد. ٨ - ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: يدفع عنها الحد. ١٠ - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: إلى آخر الآية، أي لولا ذلك لفضح أهل الذنوب منكم، ولكنه ستر عليكم. وقيل: ولولا فضل الله لنال الكاذب منها عذاب عظيم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: يعود على من تاب إليه ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه والمغفرة له. حكيم: فيما شرع لعباده من اللعان، وفرض عليهم من الحدود.

= يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل، فأنزل الله عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط ثم طلقها فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق، وأنها من الله، ولكنني تعجبت أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أنحيه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهن حتى يقضي حاجته، قال: فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء، فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يهجه حتى أصبح، فغدا إلى رسول الله ﷺ، وقال له: إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه، واجتمعت الأنصار، فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية، ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله اني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، فأنزل الله عليه الوحي، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية. وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس. وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: أسأل لي رسول الله ﷺ، أرايت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله، أيقتل به؟ أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب رسول الله ﷺ السائل، فلقبه عويمر، فقال: ما صنعت؟ = [٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي آل عمران والنور، وهي تتحدث عن التوبة والرجوع إلى الله عز وجل. [٩، ٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٧]، ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩]. لماذا قال: ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ثم قال: ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾؟ **الجواب:** إما ليتفنن في الخطاب لكرامة التكرار، أو لأن الغضب أشد من اللعن لأنه مقدمة الانتقام، واللعن: الإبعاد المجرد، وقد لا ينتقم. وخصها بذلك لاحتمال كذبها؛ لقلّة عقلها ودينها.

[٢، ٣] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢]، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣]. لماذا قدم الزانية أولاً والزاني ثانياً؟ **الجواب:** أن المرأة هي الأصل في الزنا غالباً لتزنيها وتطميع الرجل بها، وقيل: لأن شهوة النساء أشد من الرجال، فلذلك قدمها أولاً، وقدم الرجل ثانياً، لأن الرجل هو الأصل في عقد النكاح لأنه الخاطب، فناسب ما ذكرناه تقديم النساء أولاً، والرجال ثانياً. [٢] ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢]. انعطاف القلوب على أهل الفواحش والرأفة بهم، يدخل كثيراً من الناس في الديانة وقلة الغيرة، وقد يظن أن هذا من رحمة الخلق، ولين الجانب بهم، ومكارم الأخلاق، وإنما ذلك مهانة، وعدم دين وضعف إيمان. وتدخل النفس به في الديانة، كما دخلت عجوز السوء مع قومها في استحسان ما كانوا يتعاطونه من إتيان الذكران، والمعاونة لهم على ذلك.

[١] ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرئت: (وفرَضناها) بتخفيف الراء على أنها من الفرض بمعنى الإيجاب، وأصل الفرض القطع، والمعنى: وأوجبنا أحكامها، ففي الكلام مضاف محذوف. وقرئت: (وفرَضناها) بتشديد الراء للمبالغة في الإيجاب والإلزام والإشارة إلى كثرة الأحكام المفروضة في هذه السورة، كحد الزنا والقذف واللعان والاستئذان وغض البصر إلى غير ذلك، والتشديد للإشارة إلى زيادة التفصيل والبيان، قال أبو عمر: وفرَضناها أي: فصلناها أحكامها، وقد أجمعوا على قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾. وقيل: التخفيف على معنى أوجبنا أحكامها بالفرض عليكم. [٢] ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿رَأْفَةٌ﴾ قرئت: (رأفة- رأفة) بإسكان الهمزة وفتحها وهما لغتان في مصدر رأف، يقال: رأفة بالإسكان، ورأفة بالفتح، ومعناها: شدة الرحمة. [٦] ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أَرْبَعُ﴾ قرئت: (أربع) بالرفع على أنه خبر (شهادة أحدهم) أي: شهادة أحدهم المعبرة لدرء الحد عنه أربع شهادات بالله إلى آخره. وقرئت: (أربع) بالنصب على أنه مفعول مطلق، وناصبه قوله: (شهادة) مبتدأ على هذه القراءة، وخبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير على الأول: شهادة أحدهم أربع شهادات بالله واجبة، وعلى الثاني: فالواجب شهادة أحدهم ... إلخ. واتفقوا على نصب (أربع) في الموضع الثاني، وهو قوله: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ﴾ على أنه مفعول مطلق منصوب بالفعل قبله كما اتفقوا على رفع قوله سبحانه وتعالى: = نزول سورة النور: نزلت بعد سورة الحشر، وهي مدنية بالاتفاق. **عدد كلمات سورة النور:** ألف وثلاثمائة وست عشرة. **عدد حروف سورة النور:** خمسة آلاف وستمائة وثمانون. **أسماء سورة النور:** سميت سورة النور، لكثرة ذكر النور فيها "الله نور... مثل نوره... نور على نور... يهدي الله لنوره... ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من =

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾: بالكذب، والآيات نزلت في عائشة رضي الله عنها وأهل الإفك الذين افتروا عليها. ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: وهم المنافقون ومن صدقهم من المؤمنين في الافتراء على أم المؤمنين رضي الله عنها، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فيحصل به الثواب، ويميز الله بين الناس، وتظهر البراءة لأم المؤمنين في آيات تتلى ليوم الدين، فيكون فيه إكرام لها رضي الله عنها: وبيان شرع الله فيما يشبهه من الحوادث لو وقع ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: معظم ذلك القول، وبدأ بالقول فيه وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبي. ١٢- ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا﴾: لأن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن تفجر بابنها، لأن عائشة كانت أمًا، والمؤمنون بنين لها. ومعنى ﴿بأنفسهم﴾: بإخوانهم وأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة. ١٤- ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾: خضتم من أمرها ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: عاجل في الدنيا. ١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾: تتلقون الإفك، ويرويه بعضكم عن بعض. ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: أي تتداوله الألسنة دون تبصّر وتفكر، ولو نظرت فيه العقول والأفهام أو لو مرّ عليها مرور الكرام، لعلمت وأيقنت أنه حديث كاذب مفترى، وأكد هذا بقوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فهو حديث «أفواه»! ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا﴾: أي شيئًا يسيرًا يمكن أن تحدث به الألسنة والأفواه بدون عقل وعلم. ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: أي عظيم ذنب هذا الحديث وعقابه. ١٦- ﴿سَبِّحْكَ﴾: تنزيه لك يا رب، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء. ١٧- ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾: يذكركم وينهاكم. ١٩- ﴿أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: أن يذيع الزنا ويتشتر. والآية عامة في المنافقين وغيرهم، وفي جميع أنواع الفواحش.

= قال: ما صنعت، إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فغاب السائل، فقال عويمر: فوالله لأتينا رسول الله ﷺ فلاأسالنه، فسأله فقال: «إنه أنزل فيك وفي صاحبك. الحديث. قال الحافظ ابن حجر: اختلف الأئمة في هذه المواضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف جمعي عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد. قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سيق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال: فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله: قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلاً به؟» قال: كنت فاعلاً به شرًا، قال: «وأنت يا عمر؟» قال: كنت أقول لعن الله الأعجز، وإنه لخبث، فنزلت. قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

[١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ الآيات. أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل، فقامت فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدرتي، فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتصمت عقدي فحسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه، ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي عندما سار الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فقيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش، فأدلى فاصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي في الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكت حين قدمنا شهرًا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، [١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]. الآية الأولى لما انبنت على آية التلاعن، وفيها من الستر على المسلمين ممن امتحن بتلك البلية، ومن إخفاء الحكمة في حكم التلاعن وشرعيته على ما استقر عليه أمره، مما يعجز عن فهمه كل معبر، أعقب بالصفيتين المناسبتين لما ذكرنا مما هو غير خاف، فقيل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، ولما تقدم قبل الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾ [النور: ١٩]، وجري بظاهر هذه الآية من الوعيد ما يشتد خوف كل مؤمن منه، أعقب ذلك بصفيتين مبيتين رجاء المؤمنين، ومشعرتين بأن هذا العذاب إن نفذ الوعيد به ليس الخلود في النار، وما لم يكن من فاعل ذلك كفر باعتقاد جليّة تلك المعصية أو التكذيب بالوعيد أو التلبس بما هو كفر، وأنه إذا لم يكن شيء من هذا، فلا قاطع عن التوبة، فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾، فقد وضح أن ورود كل من هذه الصفات المعطوفة على ما يجب ويناسب. = (والخامسة) في الموضع الأول على أنه مبتدأ وما بعده خبر، واختلفوا في الثاني وسيأتي. [٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ لَعَنَ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (أَنْ لَعَنَ) تشديد النون من أن ونصب لعنة، ووجه التشديد أنه الأصل في "أن"، ووجه النصب في (لعنة) أنه اسمها وخبرها الجار والمجرور بعده. الثانية: (أَنْ لَعَنَ) تخفيف النون من (أن) ورفع (لعنة) ووجه هذه القراءة أن: (أن) بسكون النون هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لعنة) بالرفع مبتدأ، والجار والمجرور بعده خبر، والجملة خبر (أن) المخففة. [٩] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْخَمْسَةَ﴾ قرئت: (والخامسة) بالرفع على الابتداء وما بعدها خبر، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ﴿شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ الخامسة، أو على العطف على أربع شهادات بالنصب، فيستغنى عن تقدير فعل آخر. قوله تعالى: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ) بتشديد النون وفتح الضاد من غضب، ونصب الباء وجر الهاء من لفظ = "نور". مواضع سورة النور: مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه: بيان فرائض مختلفة، وآداب حدّ الزاني والزانية، والنهي عن قذف المحصنات، وحكم القذف، واللعان، وقصة إفك الصديقة، وشكاية المنافقين، وخوضهم فيه، وحكاية حال المخلصين في حفظ اللسان، وبيان عظمة عقوبة البهتان، وذم إشاعة =

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾: بالكذب، والآيات نزلت في عائشة رضي الله عنها وأهل الإفك الذين افتروا عليها. ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: وهم المنافقون ومن صدقهم من المؤمنين في الافتراء على أم المؤمنين رضي الله عنها، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فيحصل به الثواب، ويميز الله بين الناس، وتظهر البراءة لأم المؤمنين في آيات تتلى ليوم الدين، فيكون فيه إكرام لها رضي الله عنها: وبيان شرع الله فيما يشبهه من الحوادث لو وقع ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: معظم ذلك القول، وبدأ بالقول فيه وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبي. ١٢- ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا﴾: لأن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن تفجر بابنها، لأن عائشة كانت أمًا، والمؤمنون بنين لها. ومعنى ﴿بأنفسهم﴾: بإخوانهم وأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة. ١٤- ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾: خضتم من أمرها ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: عاجل في الدنيا. ١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾: تتلقون الإفك، ويرويه بعضكم عن بعض. ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: أي تتداوله الألسنة دون تبصّر وتفكر، ولو نظرت فيه العقول والأفهام أو لو مرّ عليها مرور الكرام، لعلمت وأيقنت أنه حديث كاذب مفترى، وأكد هذا بقوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فهو حديث «أفواه»! ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا﴾: أي شيئًا يسيرًا يمكن أن تحدث به الألسنة والأفواه بدون عقل وعلم. ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: أي عظيم ذنب هذا الحديث وعقابه. ١٦- ﴿سَبِّحْكَ﴾: تنزيه لك يا رب، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء. ١٧- ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾: يذكركم وينهاكم. ١٩- ﴿أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: أن يذيع الزنا ويتشتر. والآية عامة في المنافقين وغيرهم، وفي جميع أنواع الفواحش.

= قال: ما صنعت، إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فغاب السائل، فقال عويمر: فوالله لأتينا رسول الله ﷺ فلاأسالنه، فسأله فقال: «إنه أنزل فيك وفي صاحبك. الحديث. قال الحافظ ابن حجر: اختلف الأئمة في هذه المواضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف جمعي عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد. قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سيق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال: فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله: قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلاً به؟» قال: كنت فاعلاً به شرًا، قال: «وأنت يا عمر؟» قال: كنت أقول لعن الله الأعجز، وإنه لخبث، فنزلت. قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

[١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ الآيات. أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل، فقامت فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدرتي، فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتصمت عقدي فحسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه، ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي عندما سار الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فقيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش، فأدلى فاصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي في الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكت حين قدمنا شهرًا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، [١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]. الآية الأولى لما انبنت على آية التلاعن، وفيها من الستر على المسلمين ممن امتحن بتلك البلية، ومن إخفاء الحكمة في حكم التلاعن وشرعيته على ما استقر عليه أمره، مما يعجز عن فهمه كل معبر، أعقب بالصفيتين المناسبتين لما ذكرنا مما هو غير خاف، فقيل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، ولما تقدم قبل الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾ [النور: ١٩]، وجري بظاهر هذه الآية من الوعيد ما يشتد خوف كل مؤمن منه، أعقب ذلك بصفيتين مبيتين رجاء المؤمنين، ومشعرتين بأن هذا العذاب إن نفذ الوعيد به ليس الخلود في النار، وما لم يكن من فاعل ذلك كفر باعتقاد جليّة تلك المعصية أو التكذيب بالوعيد أو التلبس بما هو كفر، وأنه إذا لم يكن شيء من هذا، فلا قاطع عن التوبة، فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾، فقد وضح أن ورود كل من هذه الصفات المعطوفة على ما يجب ويناسب. = (والخامسة) في الموضع الأول على أنه مبتدأ وما بعده خبر، واختلفوا في الثاني وسيأتي. [٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ لَعَنَ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (أَنْ لَعَنَ) تشديد النون من أن ونصب لعنة، ووجه التشديد أنه الأصل في "أن"، ووجه النصب في (لعنة) أنه اسمها وخبرها الجار والمجرور بعده. الثانية: (أَنْ لَعَنَ) تخفيف النون من (أن) ورفع (لعنة) ووجه هذه القراءة أن: (أن) بسكون النون هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لعنة) بالرفع مبتدأ، والجار والمجرور بعده خبر، والجملة خبر (أن) المخففة. [٩] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْخَمْسَةَ﴾ قرئت: (والخامسة) بالرفع على الابتداء وما بعدها خبر، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ﴿شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ الخامسة، أو على العطف على أربع شهادات بالنصب، فيستغنى عن تقدير فعل آخر. قوله تعالى: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ) بتشديد النون وفتح الضاد من غضب، ونصب الباء وجر الهاء من لفظ = "نور". مواضع سورة النور: مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه: بيان فرائض مختلفة، وآداب حدّ الزاني والزانية، والنهي عن قذف المحصنات، وحكم القذف، واللعان، وقصة إفك الصديقة، وشكاية المنافقين، وخوضهم فيه، وحكاية حال المخلصين في حفظ اللسان، وبيان عظمة عقوبة البهتان، وذم إشاعة =

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْمَرُ بِوَفْيِهِمْ وَاللَّهُ بِهِمْ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ أُولَئِكَ مَبَرَّاتٌ وَمِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

(٣٥٢)

٢١- ﴿خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾: آثاره وسبله ﴿مَا زَكَا﴾: ما تطهر ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾: من دنس ذنوبه وشركه. ٢٢- ﴿وَلَا يَأْتِلُ﴾: لا يلحف بالله ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾: ذوو التفضل والجدّة، والسعة في المال ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾: يعطوا، وعنى بذلك أبا بكر رضي الله عنه لأنه حلف ألا ينفق على مسطح، وهو ابن خالته، وكان ممن هاجر من مكة إلى المدينة وشهد بدرًا، لما كان أشاع من الإفك، فرجع ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. ٢٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: يعني: العفيفات ﴿الْغَافِلَاتِ﴾: عن الفواحش. قيل: هذه الآية في أزواج رسول الله ﷺ خاصة. وقيل: وفيمن كان من النساء بالصفة التي وصفها الله عز وجل. ٢٤- ﴿يَوْمَ يُؤْمَرُ بِوَفْيِهِمُ اللَّهُ وَبِهِمُ الْحَقُّ﴾: «الدين» -ها هنا-: الجزاء والحساب ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: الذي يبين لكم حقائق ما كان يحذرهم في الدنيا من العقاب، ويزول حينئذ الشك. ٢٥- ﴿الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ﴾: يعني: الكلمات الخبيثات من القول ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: من الناس، أي لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء. وقيل المعنى: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ﴾: من القول ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: من الناس وقيل: الطيبات من النساء للطيبين من الرجال. وعلى كلا التفسيرين فالآية ذم للذين قذفوا عائشة رضي الله عنها، ومدح للذين برؤوها، وفيها بيان واضح أن عائشة رضي الله عنها طيبة؛ لأن زوجها رسول الله ﷺ طيب، بل هي حبيته وزوجته في الدنيا والآخرة ﴿أُولَئِكَ مَبَرَّاتٌ﴾: يعني: الطيبين. وقيل: عنى بذلك: عائشة وصفوان بن المعطل ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾: يعني: أهل الإفك من خبيثات القول. ٢٦- ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: «حتى تستأذنوا وتسلموا» وهي قراءة تفسيرية، وليست قراءة قرآنية، وقيل: «الاستئناس»: أن يؤذنه أن يدخل فيأمنوا إلى استئذانه.

= حتى خرجت بعدما نقهت، وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بش ما قلت، تسبين رجلاً شهد بدرًا قالت: أي هتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا إلى مرضي، فلما دخل علي رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن آتي أبي؟ وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فجنحت أبوي، فقلت لأمي، يا أمه ما يتحدث الناس؟ قالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قلت: سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا! فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: لن يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. فدعا بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟» قالت: «والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي، فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فلق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، فشهد ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت أَلَمْتَ بذنب فاستغفري الله ثم = [٢٢] ﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ﴾ [النور: ٢٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ﴾. لما أنزل الله تعالى براءة عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها في حادثة الإفك قال الصديق، وكان ينفق على مسطح لقربته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ...﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر: والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كانت عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً، رواه البخاري ومسلم، فتأمل في هذه القصة حتى تعلم لماذا لم يذكر لفظ «اليتامى» بالآية، فقد كان مسطح رضي الله عنه رجلاً، ولم يكن طفلاً، فتأمل وتدبر في ألفاظ القرآن. [٣٥] ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية النور: ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. عطف على جملة ﴿تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ عطف خاص على عام للاهتمام به لأنه قد يخفي أنه من خطوات الشيطان، فإن من كيد الشيطان أن يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير، إذا علم أن الموسوس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة، وأنه ممن يتعذر عليه ترويح وسوسته عنده إذا كانت مكشوفة. قال أحد العلماء تعليقا على هذه الآية: لا تكن سبباً في منع أرزاق الناس، إذا أردت أن تؤدب أخاً أدبه بأي طريقة كانت إلا أن تمنعه رزقه، لأنه لو كان منع الرزق سائغاً لساغ في حق مسطح، لكن الله جل وعلا عاتب الصديق فيه.

= الجلالة، ووجه التشديد أنه الأصل في (أن) المؤكدة، ووجه فتح الضاد أنه مصدر غضب غضباً، ووجه الجر في الهاء: أنه مجرور بالإضافة. الثانية: (أَنْ غَضِبَ اللَّهُ) (أن) بسكون النون وفتح الضاد ورفع الباء مع جر الهاء من لفظ الجلالة، ووجه هذه القراءة: أَنَّ (أن) هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (غضب) بالرفع مبتدأ على لفظ المصدر مضاف إلى لفظ الجلالة كما في القراءة الأولى، والجار والمجرور بعده خبر، والجملة خبر (أن). الثالثة: (أَنْ غَضِبَ اللَّهُ) كالثانية: في تخفيف النون من (أن) إلا أنها بكسر الضاد وفتح الباء، ورفع لفظ الجلالة على أنه فاعل غضب الذي هو فعل ماضٍ، و(أن) كما سبق هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وخبرها الجملة الفعلية، ولم تفصل عنها بفواصل من الأمور المعينة في النحو لكونها دعائية. [١١] ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿كِبْرَهُ﴾ قري: (كبره-كبره) بكسر الكاف وضمها على أنها مصدران لكبر بمعنى عظم، يقال: كبر كبراً بالكسر والضم، أي: عظم عظمًا، أي: والذي تولى عظم هذا الإفك - أي: = الفاحشة، والنهي عن متابعة الشيطان، والملة بتزكية الأحوال على أهل الإيمان، والشفاعة لمسطح إلى الصديق، في ابتداء الفضل والإحسان، ومدح عائشة بأنها حصان رزان، وبيان أن الطيبات للطيبين، ولعن الخائضين في حديث الإفك، والنهي عن دخول البيوت بغير إذن وإيدان، والأمر بحفظ الفروج، وغض =

٢٨- ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾: في البيوت ﴿أَحَدًا﴾: يأذن لكم بالدخول إليها. ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾: أظهر لكم عند الله عز وجل. ٢٩- ﴿يُوتَا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾: قيل: هي البيوت التي على ظهر الطريق ليس فيها ساكن، يعرفون أنها بُنيت لماراة الطريق، ولمن أوى إليها. وقيل: هي الخرب. و«المتاع»: قضاء الحاجة من الخلاء. والمتاع في اللغة المنفعة؛ فيكون المعنى: فيها منفعة لكم. وقال جابر بن زيد: وليس المراد بالمتاع: الجهاز، ولكن ما سواه من الحاجة. ٣٠- ﴿يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾: يكفوا من نظرهم إلى ما لا يحل لهم النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: يستروها باللباس لئلا يراها من لا يحل له، ويحفظوها كذلك عما يحرم عليهم. ٣١- ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: قيل: الزينة الظاهرة: الثياب. وقيل: الخاتم والكحل والوجه والكفان. واختلف في ذلك. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾: وليلقين ﴿بِحُجْرِهِنَّ﴾: جمع: حار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾: ليسترن شعورهن وأعناقهن وقرطهن، والجيوب: جمع جيب، وهو فتحة الصدر من الثوب. ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: الخفية التي ليست بالظاهرة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: ومن ذكر الله معهم ﴿أَوْ إِسَاءَتِهِنَّ﴾: من نساء المسلمين، لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها، إلا أن تكون أمة لها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: من الإماء المشركات ﴿أَوِ التَّائِبَاتِ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ﴾: الذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا أرب له في النساء ولا حاجة به إليهن، كالشيخ العاني، والزمن الموقود بزمانته، ونحو ذلك ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾: اسم جنس بمعنى الجمع، ويسمى «طفلاً» من لم يراهق الحلم. ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: لم يكشفوا على عوراتهن بجماعهن، لصغرهم. وقيل: الذين لم يبلغوا حد الشهوة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: لا يجعلن في أرجلهن من الحلبي ما إذا مشين علم الناس بحركة ما يخفين من ذلك ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾: راجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم.

= توبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى مقاتله قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول؟ فقلت وأنا جارية حديثة السن: والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني، وفي رواية: ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقني، واني والله لا أجد لي ولكم مثلاً، إلا كما قال أبو يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه وخرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فلما سرى عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما الله فقد براك» فقالت لي أُمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ عشر آيات. [٢٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ...﴾ قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح على مقربة منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ...﴾ قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه. وفي الباب عن ابن عباس، وابن عمر، عند الطبراني، وأبي هريرة، عند البزار، وأبي اليسر، عند ابن مردويه. [٢٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أخرج الطبراني عن خصيف قلت لسعيد بن جبیر، أيما أشد، الزنا أو القذف قال: الزنا، قلت: إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة، في إسناده يحيى الحماني ضعيف. وأخرج أيضاً عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ ضاحية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد ابن جبیر عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عائشة خاصة. وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي إذ أوحى إليّ ثم استوى جالساً فمسح وجهه، وقال: «يا عائشة أبشري» فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ: أولئك مبرؤون مما يقولون. [٢٦] قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: الخبيثات للخبيثات الآية. قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك. وأخرج الطبراني بسنتين فيهما ضعف عن ابن عباس قال نزلت الخبيثات للخبيثات الآية، للذين قالوا في زوج النبي ﷺ = [٣٠] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. فوائد غض البصر: قال ابن القيم: وفي غض البصر فوائد: ١- تخلص القلب من ألم الحسرة، فمن أطلق نظره دامت حسرته. ٢- أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح. ٣- أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته. ٤- أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته. ٥- أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه. ٦- أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير أسير الشهوة. ٧- أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة. = معظمه - له عذاب عظيم. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتَلِ﴾ قرئ: بالهمز الساكن بعد الياء، وبعدها تاء مفتوحة ثم لام مكسورة مخففة على أنه مضارع اتلى يأتلي، بمعنى حلف يحلف، والياء محذوفة للجازم. وقرئ: ﴿يَتَالٍ﴾ بناء بعد الياء ثم همزة مفتوحة بعدها لام مفتوحة مشددة على أنها مضارع تالى بمعنى حلف أيضاً، فتتحد القراءتان في المعنى، والألف محذوفة للجازم، والمعنى: ولا يحلف أولو الفضل والغنى على أن لا يؤتوا أولي القربى، ففي الكلام لا، مقدرة بين أن والفعل. ولا يأتل، أي: لا يقصر أولو القربى على أن يؤتوا، وأتلى كما تجيء بمعنى حلف تجيء بمعنى قصر. [٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَشْهَدُ﴾ قرئ: بالثاني، نظراً لأن الفاعل مؤنث مجازي. وقرئ: ﴿يَشْهَدُ﴾ بالتذكير نظراً لأن الفاعل جمع تكسير يجوز تذكيره وتأنيثه ومفرده مذكر، للفصل بينه وبين فعله. [٣١] ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِحُجْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ... أَوِ التَّائِبَاتِ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ... أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ قرئ: بضم الجيم على الأصل، لأنه جمع على وزن فُعول وهو الأصل. وقرئ: ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ بكسر الجيم لمناسبة الياء لأن الانتقال من الضم إلى الياء فيه ثقل لعدم المناسبة. قوله تعالى: ﴿غَيْرِ﴾ قرئ: (غير) بالجر على أنه بدل من (التابعين). وقرئ: (غير) بالنصب على الحال، أي: كون التابعين غير... إلخ. قوله تعالى: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ هنا ﴿يَتَابَةُ السَّاحِرِ﴾ الزخرف: ٤٩، و﴿أَيُّهُ الْمُتَقَلَّانِ﴾ الرحمن: ٣١، قرئ: ﴿أَيُّهُ﴾ بضم الهاء وصلأ، وإسكانها وقفاً. وقرئ: ﴿أَيُّهُ﴾ بإثبات الألف وقفاً.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ٢٩ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِحُجْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّائِبَاتِ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١

(٣٥٣)

٣٢- ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى﴾: زوجوا ﴿الْأَيْمَى﴾: من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، وهو جمع «أيم» ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: أهل الصلاح من عبيدكم وإمائكم. ٣٣- ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ﴾: وليتغفّر ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: ما ينكحون به، عن إتيان ما حرم الله من الفواحش ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾: يلتمسون المكتبة، وهي أن يتفق الرجل مع عبده على مال يؤديه مقسطاً، فإذا أذاه فهو حر، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: أمر من الله أذن فيه، وليس بواجب على الناس، وقيل: بل هو واجب بالشرط المذكور بعده. وهو: القدرة على أداء ما كُتِبَ عليه وإن لم يكن له مال. ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾: أعطوهم ﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾: من مال الكتابة أن يحط عنهم منه، واختلف في قدر ذلك. وقيل: أن يعطوا سهمهم من الصدقات المفروضة على الأغنياء. قال تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠] ﴿وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾: إماءكم ﴿عَلَى الْإِعَاءِ﴾: الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تعففاً ﴿لِلنِّسَاءِ﴾: لتلتمسوا بإكراههن على الزنا ﴿عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾: ما تعرض لهن إليه الحاجة من مالها ورياشها ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لهن، والوزر على من أكرههن. ٣٥- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره يهتدون إلى الحق ﴿مِثْلُ نُورٍ﴾: قيل: مثل نور من آمن به. وقيل: مثل نور محمد ﷺ. وقيل: نور القرآن ﴿كَمِشْكُورٍ﴾: المشكاة: كل كوة لا منفذ لها. وقيل: هي الحدائد التي يعلق بها القناديل. وهو مثل ضربه الله عز وجل لقلب محمد ﷺ. وقيل: مثل ضربه للقرآن في قلوب أهل الإيمان ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: وهو السراج، وجعل المصباح مثلاً لما في قلوب المؤمنين من القرآن والآيات البينات ﴿الْمِصْبَاحُ فِي نُجَاةٍ﴾: يعني: القنديل، وهو الزجاجة، ضربها مثلاً لصدر المؤمن ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: مثل صدر المؤمن في خلوصه من الكفر بالزجاجة، وشبه الزجاجة في صفاتها وحسنها بالكوكب الدرّي، وهو المضيء الحسن الصافي ﴿يُوقَدُ﴾: بمعنى: يوقد المصباح ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾: من دهن شجرة ﴿مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعمى، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية. وإنما وصف الله عز وجل الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، وإذا كان شجرة غربياً كان زيتُه أصفى وأضوأ. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾: من صفاتها وحسنه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: فكيف إذا مسته؟ ومعنى ذلك تكاد حجج الله تعالى من بيانها ووضوحها تضئ لمن فكر فيها ونظر، أو أعرض عنها، ولها ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: النار على الزيت. وهو مثل القرآن أنه نور على نور الله، وحججه التي كانت منصوبة قبل مجيء القرآن ونزوله. ٣٦- ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾: أن تُبنى. قيل: هذه المساجد ﴿يُسَبِّحُ﴾: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: صلاة الغداة وصلاة العصر. وقيل: الصلاة المفروضة.

وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٣٢ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْإِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٣٤ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي نُجَاةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣٥ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٦

٣٥٤

= ما قالوا من البهتان. وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتيبة. قال: لما خاض الناس في أمر عائشة أرسل رسول الله ﷺ إلى عائشة فقال: يا عائشة، ما يقول الناس؟ فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النور، ثم قرأ حتى بلغ: ﴿الْحَقِيقَتُ لِلْحَيِّثِينَ﴾ الآية، مرسل صحيح الإسناد. [٢٧] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا﴾ الآية. أخرج الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ الآية. [٣١] قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا أن جابر بن عبد الله، حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتررات فيبدو ما في أرجلهن، يعني: الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله في ذلك ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن حزمي: أن امرأة اتخذت صرتين من فضة واتخذت جزعاً، فمرت على قوم فضربت برجلها، فوقع الخلاخل على الجزع فصوت، فأنزل الله ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ يَأْرُجِلَهُنَّ﴾. [٣٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ = [٤٦، ٣٤] ﴿ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ [النور: ٣٤، ٤٦] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾. "مبينات" تعني توضحات، أي: دلائل على غيرها، أمّا "بينات" فتعني واضحات، أي: دلائل على نفسها. [٣٣] ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣]. العفة: هي الكف عن محارم الله كافة. وقد جاء لفظ الاستغفار في القرآن الكريم، وأريد به طلب العفة عن أسباب الفساد والبعد عن الزنا وفتنة النساء. والاستغفار من أسمى الأخلاق وأكرمها وأحبها إلى الله جل وعلا، وهو من صفات عباد الله الصالحين، الذين استحضروا عظمة الله وخافوا سخطه وعذابه، وطلبوا رضاه وثوابه، وصبروا وخافوا واعتبروا، وحسبوا النفس عن الهوى، والتزموا الورع والتقوى، فنالوا بذلك المنزلة والقربى عند الله سبحانه، بل إن الله جل و علا ليعجب من صنع الشاب العفيف، فقد قال ﷺ: "ليعجب ربك من الشاب ليست له صبوة" رواه أحمد، والحديث حسن لغيره. من مظاهر العفة: ١- غض البصر. ٢- البعد عن الزنا. ٣- اجتناب مصافحة النساء. ٤- اجتناب الخلوة بالأجنبية. ٥- البعد عن مواطن الفتنة. ومن فوائد العفة: ١- النجاة من الفاحشة. ٢- النجاة من أضرار الفواحش. ٣- العفة صوان للأسرة. ٤- الاستغفار برهان على الصبر. ٥- العفة كرامة في الدنيا ونجاة من النار في الآخرة. ٦- العفة تحقق الإيمان. ٧- العفيف مضاعف الأجر. ٨- العفيف في ظل الله يوم القيامة. ٩- قوة الإرادة. ١٠- طهارة الفرد ونقاء المجتمع. ١١- تفرج الهموم والكربات. ١٢- الشرف والرفعة في الدنيا. ١٣- الفوز بالثواب العظيم. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا﴾ قوله تعالى: ﴿مُبِينَاتٍ﴾ و﴿مُبِينَةٍ﴾ "النساء: ١٩، والأحزاب: ٣٠، الطلاق: ١" و﴿مُبِينَاتٍ﴾ بالنور: ٣٤، ٤٦، ﴿ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ بالطلاق: ١١، قرئ: (مبينات - مبينات) بالكسر والفتح فيهما، فالفتح فيهما على أنه اسم مفعول من (بين) المتعدي، فمعنى الواحد منها: بينها من يدعيها، ومعنى الجمع: أن الله بينها، وبالكسر اسم فاعل إما من (بين) المتعدي، والمفعول محذوف، أي: (مبينّة) حال مرتكبيها، أو من اللزوم، يقال: = بالتواضع والإذعان، وخلافة المؤمنين، وصلابة الإخوان، وبيان استئذان الصبيان، والعبدان، ورفع الحرج عن العُمَيَّان، والزَّمنِي، والعُرجان، والأمر بحرمة سيدِّ الإنس والجان، وتهديد المنافقين، وتحذيرهم من العصيان، وختم السورة بأن الله الملِّك والمَلَكُوت بقلوبه: "أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" إلى قوله: "عَلِيمٌ".

٣٧- ﴿رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَحْرٌ﴾: لا تشغلهم ﴿نَقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: من هوله، بين طمع بالنجاة وحذر من الهلاك، وهو يوم القيامة. ٣٩- ﴿كَمَرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾: السراب: ما لصق بالأرض نصف النهار حين يشتد الحر. و«الآل»: ما كان منه كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار. ﴿بِقِيَعَةٍ﴾: جمع: قاع، كجيرة جمع: جار. و«القاع»: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب ﴿بِحَسْبِهِ﴾: يظنه ﴿الظُّلُمَاتُ﴾: العطشان من الناس ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾: جاء الظمان السراب مستغيثاً به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾: أي بالمرصاد له. وقيل وجد حكمه وقضاه ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: يعني: يوم القيامة وفاه حساب أعماله وجزاه بها، وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله جزاء فلا يجده. ٤٠- ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: مثل آخر ضربه الله عز وجل لأعمال الكفار في أنها عملت على خطأ وضلالة ﴿فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ﴾: نُسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء. ولُجَّة البحر: معظمه ﴿يَغْشَىٰ﴾: يغشى البحر ﴿مَوْجٌ﴾: من فوق الموج موج آخر، من فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ﴾: وجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجي لقلب الكافر. يقول عز وجل: عمله بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلالة كما يغشى هذا البحر ما ذكره من الظلمات: الموج والسحاب ﴿لَمْ يَكِدْ يَرُوهَا﴾: لم يرها إلا من بعد يأس وشدة. وقيل: بمعنى لم يرها، نظير دخول الظن فيها هو يقين من الكلام، كقوله عز وجل: ﴿وَضَلُّوا مَا لَهُمْ مِّنْ حَافِظٍ﴾ [فصلت: ٤٨] ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: من لم يرزقه هدىً ولا إيماناً ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾: من هدى ولا معرفة بكتابه. ٤١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ﴾: إلى آخر الآية: الصلاة لبني آدم، والتسبيح صلاة غيرهم من الخلق، ﴿وَالطُّيُورُ صَفَرَتِ﴾: تصف أجنتها في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾: كل من ذكر من الخلق قد علم ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: الذي كلفه وألزمه. وقيل: كل مصل ومسيح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه. ٤٣- ﴿يُزَيِّجُ سَحَابًا﴾: يسوق سحباً، والإرجاء: السوق قليلاً قليلاً، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾: يجمع كل مفترقه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾: متراكماً بعضه على بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: الودق: المطر، «من خلاله»: من خلال السحاب ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من عال ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾: قطع عظام تشبه الجبال، ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: هن من برد، كما يقال: جبال من طين ﴿فَيُصِيبُ﴾: يُعَذِّبُ به ﴿يَكَادُ سَنَابِرُوهَ﴾: ضوء برقه. = الآية. أخرج ابن السكك في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكاً لحويطب بن عبد العزى فسأله الكتابة، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ﴾ [٣٣] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية. أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية، وأخرج أيضاً من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية، وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: كانت مسيكة جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حرم الزنا، قالت: لا والله لا أرزني أبداً، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمى الجارية معاذة، وأخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبي كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيراً فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية.

٣٩- ﴿رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَحْرٌ﴾: لا تشغلهم ﴿نَقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: من هوله، بين طمع بالنجاة وحذر من الهلاك، وهو يوم القيامة. ٣٩- ﴿كَمَرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾: السراب: ما لصق بالأرض نصف النهار حين يشتد الحر. و«الآل»: ما كان منه كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار. ﴿بِقِيَعَةٍ﴾: جمع: قاع، كجيرة جمع: جار. و«القاع»: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب ﴿بِحَسْبِهِ﴾: يظنه ﴿الظُّلُمَاتُ﴾: العطشان من الناس ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾: جاء الظمان السراب مستغيثاً به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾: أي بالمرصاد له. وقيل وجد حكمه وقضاه ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: يعني: يوم القيامة وفاه حساب أعماله وجزاه بها، وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله جزاء فلا يجده. ٤٠- ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: مثل آخر ضربه الله عز وجل لأعمال الكفار في أنها عملت على خطأ وضلالة ﴿فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ﴾: نُسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء. ولُجَّة البحر: معظمه ﴿يَغْشَىٰ﴾: يغشى البحر ﴿مَوْجٌ﴾: من فوق الموج موج آخر، من فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ﴾: وجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجي لقلب الكافر. يقول عز وجل: عمله بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلالة كما يغشى هذا البحر ما ذكره من الظلمات: الموج والسحاب ﴿لَمْ يَكِدْ يَرُوهَا﴾: لم يرها إلا من بعد يأس وشدة. وقيل: بمعنى لم يرها، نظير دخول الظن فيها هو يقين من الكلام، كقوله عز وجل: ﴿وَضَلُّوا مَا لَهُمْ مِّنْ حَافِظٍ﴾ [فصلت: ٤٨] ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: من لم يرزقه هدىً ولا إيماناً ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾: من هدى ولا معرفة بكتابه. ٤١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ﴾: إلى آخر الآية: الصلاة لبني آدم، والتسبيح صلاة غيرهم من الخلق، ﴿وَالطُّيُورُ صَفَرَتِ﴾: تصف أجنتها في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾: كل من ذكر من الخلق قد علم ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: الذي كلفه وألزمه. وقيل: كل مصل ومسيح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه. ٤٣- ﴿يُزَيِّجُ سَحَابًا﴾: يسوق سحباً، والإرجاء: السوق قليلاً قليلاً، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾: يجمع كل مفترقه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾: متراكماً بعضه على بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: الودق: المطر، «من خلاله»: من خلال السحاب ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من عال ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾: قطع عظام تشبه الجبال، ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: هن من برد، كما يقال: جبال من طين ﴿فَيُصِيبُ﴾: يُعَذِّبُ به ﴿يَكَادُ سَنَابِرُوهَ﴾: ضوء برقه. = الآية. أخرج ابن السكك في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكاً لحويطب بن عبد العزى فسأله الكتابة، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ﴾ [٣٣] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية. أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية، وأخرج أيضاً من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية، وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: كانت مسيكة جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حرم الزنا، قالت: لا والله لا أرزني أبداً، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمى الجارية معاذة، وأخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبي كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيراً فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ الآية.

[٣٩] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ذُو رِيحٍ شَدِيدَةٍ﴾... [إبراهيم: ١٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾... [النور: ٣٩]. صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبر وصلة الأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثراً... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، وأما آية النور: والذين كفروا ببرهم وكذبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماء، فإذا أتاه لم يجده ماء... = بان الشيء، وأبان واستبان، وبين، وتبين بمعنى واحد، أي: ظهر. [٣٥] ﴿الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿دُرِّيٌّ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (دريء) بكسر الدال والياء ساكنة مدية بعدها همزة على وزن فعيل، من الدرء بمعنى الدفع كفسق وسكير، يقال: الكوكب شديد الضوء دريء لشدة ضوئه، كأنه لذلك يدفع الظلمة أو يدفع بعض ضوئه بعضاً لشدة لمعانه ولألأته. الثانية: (دريء) بضم الدال وياء ممدودة بعدها همزة على وزن فعيل، وهو وزن نادر لم يثبت منه إلا مريق لحب العصفور، ولهذا أنكر بعضهم هذا البناء، واعترض على هذه القراءة، ووجهه بعضهم بأن أصله فعول كسبوح وقُدوس، وهو كثير في الصفات إذا أريد المبالغة قلبت ضمة الراء كسرة لتوالي ضميتين، ثم قلبت الواو ياءً فصارت دريء كما قالوا في عتوا عتياً، ويحتمل على هذا أن تكون القراءة الأولى من هذا: أتبع فيها الفاء للعين كما ترى في (عتياً) بالكسر، فكسرت الدال تبعاً لكسرة الراء. الثالثة: (دريء) بضم الدال وياء مشددة بعد الراء، فيحتمل أن تكون هذه الياء بالنسب، أي: منسوب إلى الدر لشدة ضوئه ولمعانه، فوزنه فعلي وهو من الدرء بمعنى الدفع في القراءتين كما سبق. قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (يوقد) بياء مضمومة بعدها واو ساكنة وقاف مفتوحة مخففة ودال مضمومة، على أنه مضارع مبني للمجهول من أوقد، ونائب فاعله ضمير يعود على المصباح. الثانية: (توقد) كذلك إلا أنها بقاء مضمومة على أنه مضارع مبني للمجهول نائب فاعله ضمير مستتر يعود على (الزجاجة). الثالثة: (توقد) بقاء مفتوحة وواو مفتوحة وقاف مشددة مفتوحة ودال مفتوحة على وزن تفعّل، وفاعله مستتر يعود على المصباح في المعنى، وعلى الزجاجة في اللفظ = [٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ يَغْشَىٰ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدِرُهَا﴾ [النور: ٤٠]. ظلمات البحار: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو تصريحها بوجود ظلمات في أعماق البحار متراكمة فوق بعضها البعض، ووجود أمواج داخلية في البحار والمحيطات العميقة، والتي غالباً ما تغطيها سحب ركامية تحجب قدرًا مهمًا من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علماء البحار في أواخر القرن التاسع عشر. [٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ =

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُنْ لَّكُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ جَاءُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِفَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَكُونَ لَكُمُ الْفَلَاحُ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِّرُوا لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾

٤٥ - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾: يعني: أن خلقة كل حيوان فيها ماء، كما خلق آدم من الماء والطين. قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾: كالحيات وما أشبهها. ٤٦ - ﴿مُتَّبِعِينَ﴾: تبين وتميز الهدى من الضلال. ٤٧ - ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: إلى آخر الآية. يعني: المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وينسبون إلى أنفسهم الإيمان بالله وبالرسول، والطاعة لله ولرسوله بمجرد اللسان لا عن اعتقاد صحيح. ﴿مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي من بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم من دعوى الإيمان والطاعة. ٤٨ - ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: عن الرضا بحكم رسول الله ﷺ. ٤٩ - ﴿مُذْعِنِينَ﴾: مقرين به طائعين. ٥٠ - ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: شك ﴿أَن يَحِفَّ اللَّهُ﴾: أن يجور الله ﷻ عليهم. ﴿وَعَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾: المعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، مثل قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: فافرد الرسول بالحكم، ولم يقل: لِيَحْكُمَا. ٥١ - ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أغلظ إيمانهم ﴿لَئِن أُمِّرُوا﴾: بالخروج إلى الجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾: معك ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾: لا تحلفوا ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: بمعنى: فإن هذه طاعة معروفة منكم، فيها التكذيب. أي أن الآية فيها النهي عن القسم الكاذب؛ إذ عرف أن طاعتهم دغلة، مراوغة، فكانه يقول: لا تغالطوا فقد عرف ما أنتم عليه. [٤٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة، فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن، وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض، فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله ﷻ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية. [٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ [النور: ٣٤]، ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ [النور: ٤٦]. الآية الأولى بعدما قدم قبلها من المواعظ والآداب والأحكام، ناسب العطف عليها "بالواو" و"إلى"، ثم ابتدأ كلاماً مستأنفاً بعد ما قدمه من عظيم آياته بإرسال الرياح والمطر وإنزال الماء والبرد، وقوله تعالى: "إليكم" في الآية الأولى دون الثانية، لأنه عقيب تأديب المؤمنين وإرشادهم، فكانها خاصة بهم، والثانية عامة لأن آيات القدرة للكل غير خاصة، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٦].

٤٧ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]. آية آل عمران فيها دعوة لليهود للتحاكم للقرآن ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فلم يوافق أهواءهم، فأبى كثير منهم حكم الله؛ لأن من عادتهم الإعراض عن الحق، وأمّا آية النور فتحدثت عن المنافقين الذين يقولون: صدّقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما، ثم تُعرض طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول ﷺ، ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾. ٥٢ ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. جاء أحد دهاقين الروم مسلماً عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال عمر: ألهذا سبب؟ قال: نعم! إني قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء، فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة، فعلمت أنه من عند الله، فأسلمت. قال: ما هذه الآية؟ قال: قوله تعالى ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، وفي السنن ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: فيما بقي من عمره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، والفائز من نجا من النار، وأدخل الجنة، فقال عمر: قال النبي ﷺ: "أوتيت جوامع الكلم". رواه مسلم وأحمد وغيرهما. = كذلك أنه، لكن لما التبس المصباح بالزجاجة حمل التأنيث على الزجاجة، وجعل الفعل ماضياً. [٣٦] ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿بُيُوتٍ - وَالْبُيُوتُ﴾ قرئ: (بُيُوت) حيث وقع في القرآن بضم الباء، وذلك في جمع "فعل" على وزن "فُعول". وقرئ: (بُيُوت) حيث وقع في القرآن بكسر الباء، وذلك لمجانسة الباء، من هذا تبين أن الضم والكسر لغتان. قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾ قرئ: (يُسَبِّحُ) بفتح الباء على أنه مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله الجار والمجرور بعده، ورجال مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف يدل عليه المقام، كأن سائلاً سأل فقال: من الذي يسبح له الرجال؟ وقرئ: (يُسَبِّحُ) بكسر الباء على أنه مبني للمعلوم، ورجال فاعله. [٤٠] ﴿مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ طَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ قوله تعالى: ﴿سَحَابٌ طَلَمْتُ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: بترك تنوين (سحابٌ) وجر (ظلماتٍ) على إضافة (سحابٌ) إلى (ظلماتٍ)، إما أن تكون الإضافة للبيان، أو أن تكون من إضافة السبب إلى المسبب كسحاب مطر وسحاب رحمة. الثانية: بتنوين (سحابٌ) وجر (ظلماتٍ) على أنه بدل من (ظلمات) الأولى. الثالثة: كذلك إلا أنها برفع (ظلماتٍ) على أنه خبر المبتدأ المحذوف تقديره: هي ظلمات، أو شدة ظلمات... إلخ. [٤٣] ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَذْهَبُ﴾ قرئ: (يَذْهَبُ) بفتح الهاء والياء على أنه مضارع ذهب الثلاثي المجرد، و(الباء) في قوله: بالأبصار هي للتعدي. وقرئ: (يَذْهَبُ) بضم الياء وكسر الهاء على أنه مضارع أذهب المزيد بالهمزة والباء زائدة و(الأبصار) مفعول بناء على جواز زيادة الباء في الإثبات، كما قيل به في قوله: ﴿وَلَا تُثْلِقُوا يَأْيَدِيكَ إِلَى الْهَيْكَلَةِ﴾، وقيل: (الباء) أصلية لكنها بمعنى (من) ومفعوله محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار، والفاعل في القراءتين يعود على ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ أي: لمعانه. [٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (خَلَقَ كُلَّ) بلام مفتوحة بعد الخاء ثم قاف مفتوحة و(كل) بالنصب على أن (خلق) فعل ماضٍ، وفاعله يعود على لفظ الجلالة و(كل) مفعول. وقرئ: (خَالِقُ كُلِّ) بزيادة ألف بعد الخاء ثم لام مكسورة، ويقاف مرفوعة على وزن فاعل، و(كل) بالجر من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله، و(خالق) خبر المبتدأ وهو لفظ الجلالة. [٥٥] ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِّبْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ قوله تعالى: ﴿اسْتَخْلَفَ﴾ قرئ: (اسْتَخْلَفَ) بضم = عن مَن يَشَاءُ [النور: ٤٣]. السحاب: رحلة تشكل الغيوم تبدأ بدفع ذرات بخار الماء من البحار باتجاه الأعلى بواسطة الرياح. ثم يتم التأليف بين هذه الذرات من البخار لتشكيل غيوماً. ثم تتراكم هذه الغيوم فوق بعضها حتى تصبح جاهزة لإنزال الماء منها، يتابع البيان الإلهي: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ والودق هو المطر الذي يخرج من خلال هذه السحب. ثم يأتي تصوير شكل هذه السحب على أنها جبال، يقول تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثَالُ جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ فالبرد الذي نراه هو في الحقيقة من الغيوم العظيمة كالجبال، ولا يمكن أن ينزل البرد من غيوم صغيرة. لذلك نجد أن البيان الإلهي دقيق جداً، فجاء الحديث عن البرد، وقبله حديث عن جبال من الغيوم للدلالة على أن البرد لا يتشكل إلا في حالة خاصة من حالات تشكل الغيوم، وهي الغيوم على شكل الجبال "الترامية" والباردة جداً. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. [٥٥] ﴿دِينَهُمْ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاتها) مع (المساجد والسجود بمشتقاتها)، (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

٥٤- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا وأدبروا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: من تبليغ الرسالة إليكم ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾: أن تفعلوا ما أمركم الله به. ٥٥- ﴿لَيْسَتْ خَلْفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ليورثهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فجعلهم ملوكها وساستها، وهذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، واثمته هداة للناس وولاة عليهم، وقيل: المراد بالأرض: البلاد والأصقاع التي قضى بامتدادهم إليها. ومعنى استخلافهم فيها هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها؛ كما جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب. ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: بني إسرائيل، وسائر الأمم ﴿وَلَيْمَكُنَّ لَهُمْ﴾: في الأرض، ليوطن ﴿وَيَنْهَى الَّذِينَ ارْتَضَى لَهُمْ﴾: ملتهم التي ارتضاها لهم ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بهذه النعمة، ولم يغن الكفر بالله عز وجل. ٥٧- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: يقال: أعجز الرجل إذا ذهب في الأرض فلم يقدر عليه. ومعنى الآية لا تظن أنهم يفوتوني إذا أردت بهم العذاب. ٥٨- ﴿لَيْسَتْ دِينُكُمْ﴾: في الدخول عليكم ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قيل: عنى بذلك: الرجال دون النساء، وقيل: عنى النساء خاصة، وسبيل الرجال أن يستأذنوا في كل وقت. وقيل: عنى الرجال والنساء ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾: في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾: أي هي ثلاث أوقات يختل فيها السر وقد تظهر العورة. ﴿جَنَاحٌ﴾: حرج. ﴿طَوُفُونَ﴾: يدخلون ويخرجون على مواليتهم وأقربائهم بغير إذن.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية. أخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وأوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: فينا نزلت هذه الآية، ونحن في خوف شديد.

[٥٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور: ٥٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. زاد "منكم" بسورة النور؛ لأنهم المهاجرون، وقيل: عام، و"من" للتبيين. [٥٨، ٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]، ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩]. الآية الأولى جاء فيها ذكر الأوقات التي يستأذن فيها: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ دِينُكُمْ﴾... [النور: ٥٨]، فلما قدم الأوقات التي يستأذن فيها، والاستئذان من أفعال العباد، ورد اللفظ بالتعريف فقال: "الآيات"، أي: العلامات على أحكامه تعالى، أما الآية الثانية فجاء فيها ذكر بلوغ الأطفال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]، وهو من فعله تعالى وأمره لا من فعل العبد، فناسب ذلك مجيء اللفظ بالإضافة لاختصاص المولى به. قول آخر: إن سبب الاختلاف بين الآيتين المتجاورتين في التعريف والتنكير هو أن العرب لا تكرر اللفظ الواحد، لكرهة استثقال اللفظ، ما لم يحمل على معنى من المعاني، وهو ضرب من التفتن في لغتهم.

= التاء وكسر اللام على أنه مبني للمجهول حذف فاعله للعلم به، والموصول بعده في موضع رفع نائب فاعل. وقرئ: (استخلف) بفتح التاء واللام على أنه مبني للمعلوم، وفاعله مستتر يعود على لفظ الجلالة قبله الذي في قوله "وعد الله" الخ، ومعلوم أن همزة (استخلف) همزة وصل تسقط في الدرج، وتثبت في الابتداء مضمومة على القراءة الأولى ومكسورة على القراءة الثانية كما هي قاعدتها. قوله تعالى: ﴿وَلْيَسِدْ لَهُمْ﴾ قرئ: (وليبدلنهم) بالتخفيف على أنه من أبدل. وقرئ: (وليبدلنهم) بالتشديد على أنه من بدل وفي التشديد معنى التكثير. [٥٨] ﴿مَنْ الظَّاهِرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ﴾ قرئت: (ثلاث) بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه ثلاث عورات، أي: الأوقات السابقة عورات لكم. وقرئ: (ثلاث) بالنصب على أنه بدل من (ثلاث مرات) المنصوبة على الظرفية، وبدل المنصوب منصوب، والتقدير: "أوقات ثلاث عورات".

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. إعجاز تشريعي: دعائم الشريعة الإسلامية في القرآن: من أهم دعائم الشريعة الإسلامية كما جاء في القرآن الكريم: ١- أنها شريعة سمحة لا تكلف الناس فوق طاقتهم، لأن تكاليفها كلها ميسرة لا مشقة فيها، فهي في حدود استطاعة كل مسلم، فقد قال تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ٢- أنها جاءت شريعة عامة لا نظر فيها إلى حالات فردية أو جزئية أو شخصية، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]. ٣- أنها سنت للناس رخصاً عند الضرورة دفعا للضرر ورفعاً للمشقة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. ٤- قلة تكاليف الشريعة، لتكون في استطاعة الجميع، كبيرهم، وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم. فإن تتبعنا القرآن والسنة وجدت الأوامر فيها قليلة وبسيطة. فقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾ [البقرة: ٤٣]. وفرض تعالى الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وأمر تعالى بطاعة الله والرسول وأولي الأمر فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَإِنْ كُنْتُمْ تَوَافُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وأمر تعالى بالدعوة والحسبة والجهاد.. فقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وأمر تعالى بالاعتصام بحبله وعدم التفرق، فقال: ﴿وَأَعِصُوا اللَّهَ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وأمر تعالى بالجهاد فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وأمر تعالى بتوحيده ونهى عن الشرك وأمر بالإحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأولاد خشية الإملاق، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونهى عن قتل النفس بغير حق، وعن قرب مال اليتيم إلا بالحسنى، وأمر بالوفاء بالكيل والميزان، والعدل في الأقوال، والوفاء =

وإذا بلغ الأطفال منكم الحُمَّ فَلْيَسْتَفْذُوا كَمَا اسْتَفَذَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالَكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِجُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٦٠- ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: اللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر، واحدتهن قاعد: ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: قد يئسن من البعولة فلا يطمنن في الأزواج ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: يعني: جلابيهن، وهي القناع فوق الخمار، والرداء فوق الثياب، لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال، وغير المحارم من الغرباء ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: إذا لم يردن بوضع ذلك أن يُبدن ما عليهن من الزينة للرجال. والتبرج: أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾: أن يعففن عن جلابيهن وأرديتهن فيلبسهن ولا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾. ٦١- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾: إلى قوله عز وجل: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: أن تأكلوا من بيوت مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ عز وجل فيها. وروي أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم مع رسول الله ﷺ، وتحلف أهل الزمانة منهم، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم، وأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله، فكان المتخلف يتخوف من ذلك، فأعلمهم الله عز وجل أنه لا حرج عليهم. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِجُهُمْ﴾: من البيوت التي ملكتم مفاتيحها. و«المفاتيح»: الخزائن. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: إذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم. وكان قتادة يقول: لو أكلت من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس. ﴿أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾: وحداناً ومجتمعين: قيل: كان قوم من العرب لا يأكل أحدهم شيئاً وحده دون غيره، فأذن له الله عز وجل في ذلك وأباحه ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾: بيوت أنفسكم ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: على عيالكم وأهلكم. وقيل: بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض ﴿تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: بمعنى: تُحيون أنفسكم تحية، لأن السلام تحية ﴿مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾: لما فيها من الأجر والثواب.

٦١- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكانت الزمى يتخرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ تخرج المسلمون: وقالوا الطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فنزل ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِجُهُمْ﴾ الآية. وأخرج عن الضحاك قال: كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ لا يخاطبهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج، لأن الأعمى لا يصير طيب الطعام، والمريض لا يستوفي الصحيح، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مؤاكلتهم. وأخرج عن مقسم قال: «كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج» فنزلت. وأخرج الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: خرج الحرث غازياً مع رسول الله ﷺ فخلف على أهله خالد بن زيد، فخرج أن يأكل من طعامه، وكان مجهوداً فنزلت. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية. أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى زمنهم، ويقولون لهم: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما أحببتهم، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا، إنهم أذنوا عن غير طيب نفس فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِجُهُمْ﴾ وأخرج ابن جرير عن الزهري أنه سئل عن قوله: ليس على الأعمى حرج، ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا، فقال: أخبرني عبد الله بن عبد الله قال: إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمنهم وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، ويقولون: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتخرجون من ذلك، ويقولون: لا ندخلها وهم غيب، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم. وأخرج عن قتادة قال: نزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ في حي من العرب، كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحمل به بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قال: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصة لهم.

= بعهد الله، واتباع الصراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أُنْثَى مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرُزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تُقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَدِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وأمر تعالى بذكره فقال: ﴿فَادْكُرُوا فِي أذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣]. وأمر تعالى بقراءة ما تيسر من القرآن، وإقراض الله قرضاً حسناً، واستغفاره سبحانه، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثِي اللَّيْلِ وَقَدْ يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا يُحْصِيهِ فَنَآبَ عَلَيْهِ فَاذْكُرْهُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَأَخْرُجُونَ بِضَعَوْنِ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاذْكُرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ فِي الْأَسْوَاقِ مِنَ الذَّلِيلِ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. وهذه أمثلة من الأوامر في الكتاب... أما في السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الأرئوط. قال أبو بكر السمعاني: هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، فمن عمل به فقد حاز على الثواب، وأمن العقاب، فكل من أدى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى بحقوق الدين؛ لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في الحديث. ٥- التدرج في الأحكام: لأن الشريعة عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئاً فشيئاً من غير تشديد ولا تعقيد في النهي عنها وتحريمها. فمثلاً: في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجة في تحريمها بأسلوب حكيم لم يشعر الناس معه بحرج أو مشقة. التدرج في تحريم الخمر: روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حُرِّمَتِ الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر =

٦٢- ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: يجمع جمعهم، من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نازل ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾: لم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: لبعض حاجاتهم. ٦٣- ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾: إن أسخطتموه، أي: لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم بإسخطائه، فإن دعوته موجبة. وقيل: لا تجعلوا دعوته إياكم كالدعاء من بعضكم لبعض في التساهل عن الإجابة أو الرجوع بغير استئذان أو رفع الصوت. وقيل: لا تجعلوا مخاطبتكم للرسول كمخاطبة بعضكم لبعض؛ فإنهم كانوا يتنادون بالأسماء على سبيل المثال، فأمرهم الله تعالى بأن يدعوا محمداً بنبي الله أو يا رسول الله، قال قتادة: أمرهم أن يشرفوه ويفخموه ﷺ ﴿الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾: الذين ينصرفون عن نبي الله بغير إذنه تستراً وخفية. و«اللواذ»: هو أن يلوذ القوم بعضهم بعضاً، يستتر هذا بهذا ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: قيل: «الفتنة» هاهنا: الكفر.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

١- ﴿تَبَارَكَ﴾: مأخوذ من البركة، والبركة: الكثرة من كل ذي خير. ولا تستعمل هذه اللفظة إلا في حق الله سبحانه، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي، وهو كقول القائل: تقدس ﴿الْفُرْقَانُ﴾: الفصل بين الحق والباطل، والمراد به القرآن، ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: محمد ﷺ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: لجميع الإنس والجن ﴿نَذِيرًا﴾: داعياً ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه. ٢- ﴿فَقَدَرَهُ نَفْدِيرًا﴾: سَوَّى كل ما خلق، وهياه لما يصلح له، فلا خلل ولا تفاوت. [٦٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بجمع الأسيال من رومة (بئر بالمدينة)، قائدها أبو سفيان، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمى إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه، وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال

من المنافقين، وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل، فيتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النابتة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك هو لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في الحقوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ...﴾ [النور: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ [الحجرات: ١٥]. إنما المؤمنون حقاً هم الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه... فهذا ما دلت عليه آية النور، أمّا آية الحجرات: إنما المؤمنون الذين صدّقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم.

[١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي لَكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [الفرقان: ١٠]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. "تبارك" هذه لفظة لا تستعمل إلا لله تعالى، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي، وجاءت في هذه السورة في ثلاثة مواضع تعظيماً لذكر الله، وخصت هذه المواضع بالذكر؛ لأنّ ما بعدها عظام: الأولى: ذكر الفرقان، وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله، والثانية: ذكر النبي وما خاطبه به ربه، والثالثة: ذكر البروج والسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، ولولاها ما وجد في الأرض حيوان، ولا نبات. [٢] ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَكِيلٌ مِنَ الدَّلِّ وَكِيرٌ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَفْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال أيها الرسول: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظمته تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية الفرقان فتبين أن الله هو الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء، فسوّاه على ما يناسبه من الخلق وفق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.

= ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله ﷻ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٦] إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حُرِّمًا علينا، إنما قال: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين، وقد أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبى، ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، قالوا: انتهينا ربنا. حسنه الأرئوط. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما صَحُّوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١] فقال ناسٌ من المتكلفين: هي رجسٌ وهي في بطن فلان قتل يوم بدر وقتل فلان يوم أحد، فأنزل الله ﷻ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾ [المائدة: ٩٣]. أخرجه النسائي وغيره، وقال الذهبي: على شرط مسلم. وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، =

نزل سورة الفرقان: نزلت بعد سورة يس، وهي مكِّيَّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة الفرقان: ثمانمائة واثنان وسبعون. عدد حروف سورة الفرقان: ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة الفرقان: سميت سورة الفرقان؛ لأنّ في فاتحتها ذكر الفرقان. مواضع سورة الفرقان: مقصود السورة ومعظم ما =

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَفْدِيرًا

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

١٥٩

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٣﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولَىٰ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تَمْلَأُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٦﴾ أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا أَوْ تَأْمُرُ بِهِ أَلْمُوتُ أَنْ تَنْتَعِبُ وَلَا تَنْتَعِبُ إِلَّا أَجْرًا مَسْخُورًا ﴿٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٨﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿٩﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

٣- ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: «النشور» مصدر نشر الله الموتى نشوراً، وهو بعثهم بعد الموت. ٤- ﴿إِفْكٌ﴾: كذب وبهتان ﴿افْتَرَاهُ﴾: اختلقه، والإشارة بقوله «هذا» إلى القرآن ﴿قَوْمٌ ءَاخِرُونَ﴾: يعنون اليهود وقد سُمي المشركون ثلاثة من اليهود، وجميعهم من الموالي. وهذا ونحوه من الطعن في القرآن يكرر فيه المستشرقون اليوم طعون أسلافهم من المشركين. ﴿فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا﴾: أن نسبوا كتاب الله وتنزله إلى الإفك. و«الظلم» معناه: وضع الشيء في غير موضعه ﴿وَزُورًا﴾: كذباً. ٥- ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولَىٰ﴾: أحاديث الأولين من الأمم الذين كانوا يُسْطَرُونَهَا في كتبهم، وكان النضر بن الحارث يقول هذا، «أَكْتَبَهَا» استكتبها محمد من اليهود ﴿فَهِيَ تَمْلَأُ عَلَيْهِ بُكْرَةً﴾: يعنون: الأساطير ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بالغداة والعشي. ٦- ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾: ليس القرآن- لمن نظر وعقل ما فيه- مما يفعله ويفترى! أيا كان «المعِين» عليه. ولكنه أمر سماوي أنزله الذي يعلم كل شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة. والسِر: الغيب، أي أنه تعالى يعلم الغيب في السموات والأرض. وقيل: يعلم ما يسرُّ أهل الأرض وأهل السماء. ٧- ﴿وَقَالُوا﴾: يعني: مشركي قريش ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾: كما نأكله ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾: كما نمشي ﴿لَوْلَا﴾: هلاً. ٨- ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾: المشركون للمؤمنين: ﴿إِنْ تَنْتَعِبُونَ إِلَّا أَجْرًا مَسْخُورًا﴾: له سحر، وهي الرثة، أي بشرأ له رثة لا ملكاً. وقيل: سحر فغلب على عقله. ٩- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى الهدى، إذ التمسوه في غير ما بُعثت به. ١٠- ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أعدنا ﴿سَعِيرًا﴾: ناراً تسعر عليهم وتثقل. [١] قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن خيثمة قال: «قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها، لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة، وإن شئت جمعتهما لك في الآخرة، قال: «بل اجمعهما لي في الآخرة» فنزلت ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ الآية.

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ [الفرقان: ٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [مريم: ٨١، يس: ٧٤]. آية الفرقان تقدمها آيتان جاء فيهما ذكر المولى سبحانه، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١] الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فحسن الإضمار على طريقة العرب في فصيح الكلام، أمّا آية مريم ويس فقد صرح بلفظ الجلالة كيلا يؤدي إلى مخالفة الضمير قبله، فإنه في السورتين بلفظ الجمع تعظيماً، ففي سورة مريم الضمائر التي في الآيات السابقة مباشرة للغائب المفرد، وتعود على الذي كفر بآيات الله، فلو لم يصرح بعدها بالنبس، فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾، وفي سورة يس أول ضمير غائب مفرد سبق قوله: «واتخذوا» يعود على سيدنا رسول الله ﷺ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، فكان المقام مقام التصريح بلفظ الجلالة.

[٣] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]. آية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشتركة في الإعراب والمعنى، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾، وقدم قبلها ما عطف عليه بالواو أيضاً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين، ففي الأولى عدم الخلق في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ﴾ مقابل للخلق والإيجاد في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وفي الثانية الضر مقابل بالنفع، وفي الثالثة الموت والحياة، وبني مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين، ففي الأولى الإشارة إلى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وكذا في الثانية الضر والنفع وأشرف، وفي الثالثة الموت والحياة وأشرف، فروع تناسب الآي على ما أوضحنا، فقدم الضر على النفع في آية الفرقان، أمّا آية الرعد فلم يعرض فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب فجاءت من حيث أفردت على ما يجب من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل، وكان قد قيل فيها: إذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم؟ ثم أتبع بما يكمل به التعريف بحال من اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع، فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه، والله أعلم. [٩] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨، الفرقان: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الإسراء والفرقان، ومعناها: انظر أيها الرسول كيف قال المكذبون في حَقِّك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه لغرابتها الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبعدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء.

[٨] ﴿جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْكُلُ﴾ قرئ: (يأكل) بالياء على أن الفاعل ضمير يعود على الرسول بمعنى: أنهم اقترحوا عليه جنة يأكل منها النبي ودل على ذلك قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ أو يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا. وقوله: (نأكل) بالنون على أن ضمير المتكلمين هو الفاعل على معنى "أنهم اقترحوا جنة يأكلون منها". [١٠] ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ﴾ قرئ: (يجعل) بالرفع على الاستئناف والقطع، أي: "وهو يجعل لك قصوراً أو سيجعل لك قصوراً" وفيه معنى الحتم، ليس بموقوف على المشيئة، أي: لا بد أن يجعل لك يا محمد قصوراً. وقري: (يجعل) بالجزم على العطف على محل الجزم وهو: "إن شاء جعل لك جنات" فهو داخل في المشيئة، أي: إن شاء الله فعل ذلك بك يا محمد، وهو فاعله بلا شك.

= وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسول الله ﷺ نادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حُرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سلك المدينة، فقال بعض القوم قد قُتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾ [المائدة: ٩٣]. متفق عليه. ٦- مسامرة مصالح الناس: وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذا كان في ذلك المصلحة العامة كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات الموارث، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة. [٣] ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= اشتملت عليه: المنة بإنزال القرآن، ومنشور رسالة سيد ولد عدنان، وتنزيه الحق تعالى من الولد، والشريك، وذم الأوثان، والشكايه من المشركين بطعنهم في المرسلين، بأكل الطعام في أحسن مكان، واستدعائهم مُحَالَات المعجزات من الأنبياء كل أوان، وذم المشركين في العذاب والهوان، وعز المؤمنين في ثوابهم =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١٢- ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾: جهنم، حقيقة. وقيل: المعنى صارت جهنم قدر ما يرى الرائي من البعد. وقيل: إذا رأتهم خزنتها. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾: يقال: فلان يتغيظ على فلان، إذا غضب عليه فعلى صدره من الغضب، وتبين في كلامه، بمعنى: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد ﴿وَزَفِيرًا﴾: هو: صوت النار. ١٣- ﴿مُقَرَّرِينَ﴾: قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ﴿ثُبُورًا﴾: ويلاً وهلاكاً. و«الثبور» في كلام العرب: انصراف الرجل عن الشيء، يقال ما ثبرك عن هذا الأمر؟ أي صرفك، وهو هاهنا: دعاء القوم بالندم. ١٦- ﴿خَلِيلِينَ﴾: لا يثن فيها ما كثر أبداً ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا﴾: سأل المؤمنون ربهم ذلك في الدنيا، إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [سورة آل عمران ١٩٤] وقيل: بمعنى: وعداً واجباً. ١٧- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: يعني: المشركين المكذبين بالساعة ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: ما عبدوا من الملائكة والجن والإنس ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾: أزللتهم عن طريق الهدى ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾: أم هم أخطؤوا طريق الرشيد. ١٨- ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾: تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء ﴿مِنَ أَوْلِيَآءَ﴾: أن تتولى غيرك ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾: بالمال والصحة ﴿حَتَّى سَأَوْا الذِّكْرَ﴾: ذكرك ﴿وَكَاثُورًا قَوْمًا بُورًا﴾: هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان. ١٩- ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾: أخبر عز وجل عما هو مقول للمشركين عند ذلك، أي عند تبري من كان يعبدونه منهم ﴿صَرَفًا﴾: لعذاب الله عنهم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنْكُمْ﴾: يقول عز وجل: ومن يظلم منكم أيها المؤمنون، يعني بشرك. وقيل: هو خطاب للكفار. ٢٠- ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: امتحنا بعضكم ببعض، خصصنا هذا بالرسالة، وهذا بالملك، وهذا بالدنيا وسعتها، وهذا بالفقر وبالصحة وبالبلاء، لنختبر شكر المنعم عليه، وصبر المبتلى، ونختبر طاعتكم ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: أي أم لا تصبرون؟ وقيل: المعنى اصبروا. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بمن يجزع ويصبر.

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: لما غير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ فنزل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس. ٢٧- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْتَمِئَنِي مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ويوم يعص الظالم على يديه إلى قوله خذولاً، وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم. [١٦-١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا﴾ ﴿وَقَوْمًا بُورًا﴾ ﴿وَمَا يَعْصُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ ﴿وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوءَ الذِّكْرَ وَقَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَآكُوتِ الْأَطْعَامَ وَيَمْسُوتِ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: لما غير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ فنزل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس. ٢٧- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْتَمِئَنِي مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ويوم يعص الظالم على يديه إلى قوله خذولاً، وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم. [١٦-١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا﴾ ﴿وَقَوْمًا بُورًا﴾ ﴿وَمَا يَعْصُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ ﴿وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوءَ الذِّكْرَ وَقَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَآكُوتِ الْأَطْعَامَ وَيَمْسُوتِ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

عن ابن عباس قال: لما غير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ فنزل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس. ٢٧- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْتَمِئَنِي مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ويوم يعص الظالم على يديه إلى قوله خذولاً، وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم. [١٦-١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا﴾ ﴿وَقَوْمًا بُورًا﴾ ﴿وَمَا يَعْصُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ ﴿وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوءَ الذِّكْرَ وَقَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَآكُوتِ الْأَطْعَامَ وَيَمْسُوتِ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

مرة في كتاب الله. وبذلك يتساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كل (١٣) مرة في القرآن الكريم. = بفرايس الجنان، وخطاب الحق مع الملائكة في القيامة تهديداً لأهل الكفر والطغيان، وبشارة الملائكة للمجرمين بالعقوبة في النيران، وبطلان أعمال الكفار يوم يُنصب الميزان، والإخبار بمقر المؤمنين في درجات الجنان، وانشقاق السهوات بحكم الهول وسياسة العُبدان، والإخبار عن ندامة الظالمين يوم الهيبة ونطق =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٢١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا ياملون لقاء ما وعدنا. وقيل: لا يخافون ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: تعظموا ﴿وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾: تجاوزوا في الكفر والاستكبار. ٢٢- ﴿وَيَقُولُونَ جَعَلْنَا مُحَمَّدًا عَبْدًا﴾: تقول الملائكة: حراماً محرماً عليكم اليوم البشرى. ٢٣- ﴿وَقَدِمْنَا﴾: عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾: الهباء: الذي كهيته الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة، يحسه الناظر غباراً وليس تقبض عليه الأيدي، ولا يرى ذلك في الظل. وقيل: ما تذروه الرياح من حطام الشجر وغيره. ٢٤- ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: في منازلهم من الجنة من مستقر هؤلاء المشركين - الذي يفخرون بما أوتوا من عرض الدنيا - في الدنيا والآخرة ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: معنى ذلك: في أوقات قائلتهم في الدنيا، والقائلة والقيولة: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وذكر أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وإنهم ليقبلون في رياض الجنة حتى يفرغ الله من الناس. ٢٥- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾: بمعنى: تشقق ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾: عن الغمام، وقيل: هو غمام أبيض كالذي ظلل على بني إسرائيل. وقيل: عنى به قوله عز وجل ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠] ﴿وَنُزُلًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: نُزُلٌ إلى الأرض. ٢٦- ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾: بطلت الممالك يومئذ، فلا ملك إلا لله ﴿عَسِيرًا﴾: صعباً شديداً. ٢٧- ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ﴾: المشرك ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: ندماً وأسفاً ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى النجاة. ٢٨- ﴿يَتَوَلَّىٰ لَتِي لَّمْ أَتَّخِذْ فَلَا تَخْلِيلًا﴾: دعاء على نفسه بالويل والثبور على مخاللة الكافر الذي أضله في الدنيا. و«فلان» كناية عن الأعلام. ٢٩- ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي﴾: صدني ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾: الإيمان ﴿خَذُولًا﴾: مسلماً لما نزل به من البلاء، غير مغيث ولا منقذ. ٣٠- ﴿مَهْجُورًا﴾: لا يريدون أن يسمعوه ﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ [سورة الأنعام: ٢٦]. ٣١- ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: هلاً نزل عليه كما أنزل التوراة على موسى جملة واحدة ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: لنصحح عزيمة قلبك ونفسك ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾: علماًناكه شيئاً بعد شيء حتى حفظته. و«الترتيل في القرآن»: هو

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ (٢١) ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ جَعَلْنَا مُحَمَّدًا عَبْدًا﴾ (٢٢) ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (٢٣) ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤) ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزُلًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾ (٢٥) ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٢٦) ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَتْنِي أَلْتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَتَوَلَّىٰ لَتِي لَّمْ أَتَّخِذْ فَلَا تَخْلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩) ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢)

الترسل والتثبت. [٣٢] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والضياء في المختارة، عن ابن عباس قال: قال المشركون إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأُنزل الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

[٣١] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. الآيتان تبيان أن للأنبياء أعداء، وآية الأنعام تبين نوع هؤلاء الأعداء أنهم من الجن والأنس...، أمّا آية الفرقان فتصف هؤلاء الأعداء بالمجرمين...، وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]، ﴿أَتَخْلَوْهَا بِسَلْطَنِكَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]. ما الفرق بين: "الخلد، الخلود"؟

الجواب: وردت كلمة (الخلد) ست مرات، بينما لم ترد كلمة (الخلود) إلا مرة واحدة في القرآن الكريم. هناك فرقان بين (الخلد) و(الخلود): ١- فرق سياقي: وهو أن كلمة (الخلود) جاءت فاصلة في المرة التي وردت فيها (أي خُتِمت بها الآية) وهي تناسب ختام الآية لما فيها من مد، بالإضافة إلى انتهائها بحرف الدال فهي مزيتان: أ - تناسبه مع معظم النهايات (الفواصل) في الآيات المجاورة (بعيد، حفيظ، منيب، الخلود، مريد، محيى، شهيد، لغوب). ب - القلقلة التي في حرف الدال حين الوقوف عليه، مما يجعله مناسباً للقلقلة الحاصلة بالفواصل المجاورة (بعيد، منيب، مريد، شهيد، لغوب). ٢- فرق خاص بالمعنى (فرق معنوي): هو أن كلمة (الخلود) فيها تأكيد ليس في كلمة (الخلد) لذلك استعملت مع كلمة (يوم) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤] لتجعل له معنى

يختلف دائماً عن معنى اليوم العادي.. وليس هذا في كلمة (الخلد). [٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. وفي هذه الشكوى من التخويف والتحذير ما لا يخفى، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا. وهذه الآيات وإن كانت في المشركين إلا أن العبرة بعموم لفظها، فنظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل بالقرآن، والأخذ بأدابه. لذا ينبغي على مسلم يخاف العرض على ربه أن يتأمل هذه الآية الكريمة، ويمعن النظر فيها مراراً وتكراراً؛ ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى والطامة الكبرى التي عمت جل بلاد المسلمين من هذه المعمورة وهي هجر القرآن الكريم. = عذاباً كبيراً ﴿قوله تعالى: ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ قرئ: ﴿تَقُولُونَ﴾ - ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بقاء الخطاب فيهما على:

أن المخاطبين هم العبد، و(الباء) بمعنى في بعدها، و"ما" مصدرية أو موصولة، و"الواو" في "كذبوكم" عائدة على المعبودين، والمعنى: فقد كذبوكم أيها المشركون من عبدتموهم بما تقولون، أي: فيما تقولون، أي: في قولكم بمعنى مقولكم، أو في الذي تقولونه من أنهم آلهة، فما تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم ولا نصراً لها. وقرئنا: ﴿يقولون﴾ - ﴿تستطيعون﴾ بالياء فيهما على أن الكاف للمشركين أيضاً، وضمير الغيبة في الفعلين للمعبودين، و(الباء) في قوله: "بما يقولون" للملابسة أو للاستعانة والمعنى: "قد كذبوكم أيها المشركون بما يقولون، وهو ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، فلا يستطيعون صرف العذاب عنكم ولا نصراً لكم". وقرئ: ﴿تقولون﴾ - ﴿تستطيعون﴾ بالخطاب في الفعل الأول، والغيبة في الثاني، والمخاطبون هم العبد، وضمير الغيبة للمعبودين "والباء" بمعنى "في" كما في الوجه الأول. [٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزُلًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾ ﴿قوله تعالى: ﴿تَشَقَّقُ﴾ قرئ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتشقيق الشين على أنه مضارع تشقق، وأصله تشقق بتاءين التاء الأولى للغائب، لأن الفاعل مؤنث مجازي حذف إحدى التاءين من أول الفعل تخفيفاً. وقرئ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتشديد الشين على أن أصله تشقق أيضاً خففت بإبدال الثانية شيئاً وإدغامها في الشين فصارت تشقق، وكذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ ﴿بقي فيها تشديد الشين وتخفيفها كما علمت هنا. قوله تعالى: ﴿وَنُزُلًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾ قرئ: ﴿وَنُزُلًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ بنون واحدة بعدها زاي مشددة ثم لام مفتوحة، ورفع التاء من "الملائكة" على أن الفعل ماض مبني للمجهول مزيد بالتضعيف و(الملائكة) نائب فاعل. وقرئ: ﴿وَنُزُلًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ بنونين في أول الفعل أولاهما مضمومة وثانيهما ساكنة، ثم زاي مخففة وبعدها لام مرفوعة و"الملائكة" بالنصب على أن الفعل مضارع من "أنزل" مسند إلى ضمير العظمة، و"الملائكة" بالنصب مفعوله.

= الأركان، وذكر الترتيب والترتيل في نزول القرآن، وحكاية حال القرون الماضية، وتمثيل الكفار بالأنعام، أحسن الحيوان، وتفضيل الأنعام عليهم في كل شأن، وعجائب صنع الله في ضم الظل والشمس وتخليق الليل والنهار، والآفات، والأزمان، والمئة بإنزال الأمطار، وإنبات الأشجار في كل مكان، وذكر الحجة في =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٣٣- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾: يعني: المشركين ﴿بِمَثَلٍ﴾: يضربونه لك، أو بسؤال واقتراح، ﴿جَنَانِكَ﴾
 بِالْحَقِّ: بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاؤوا به أو يجيب عنه ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾: تفصيلاً،
 وبياناً. ٣٥- ﴿أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾: مُعِينًا وظهيراً. ٣٦- ﴿أَذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ﴾: هم فرعون وملؤه من
 القبط ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: إذ كذبوهم. ٣٧- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾: عظة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أعدنا.
 ٣٨- ﴿وَأَصْحَابَ الرِّسِّ﴾: بشر كانت تسمى الرس كان ينزلها قوم ذكر الله عز وجل أنه دمرهم مع سائر
 القرون. وأتت في ذلك روايات واختلاف. قال ابن عباس: هم قوم من ثمود. وقال قتادة: أصحاب
 الرس وأصحاب الأيكة قومان أرسل إليهم شعيب عليه السلام. و«الرس» عند العرب: كل محفور،
 مثل البئر والقبر ونحو ذلك ﴿وَقُرُونًا﴾: أعماراً. ٣٩- ﴿وَكُلًّا صَبْرًا لِّأَمْتَلٍ﴾: أعدنا إليه، وأنذرنا
 وأقمنا الحجة ﴿وَكُلًّا تَبَرًّا تَنْبِيْرًا﴾: استأصلناهم بالعذاب وأبدناهم. والتبار: الهلاك. ٤٠- ﴿الَّتِي
 أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوءِ﴾: قرية قوم لوط، و«مطر السوء»: الحجارة. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾:
 فيعتبرون بها ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ شُؤْرًا﴾: لا يوقنون بالبعث والشواب والعقاب. ٤٢- ﴿كَأَدَّ
 لَيْضُنَا﴾: يصرفنا، ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: أي حبسنا أنفسنا على عبادتها، ولم نطعه في اجتنابها.
 ٤٣- ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾: تعجب ممن أطاع هواه طاعة كطاعة الإله. وقال الحسن: معنى
 الآية: لا يهوى شيئاً إلا اتبعه. [٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَخْذُوكَ﴾: إِذَا هَرُؤًا أَهَذَا
 الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ أَن يَخْذُوكَ﴾: إِذَا هَرُؤًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ
 رَسُولًا [الفرقان: ٤١]. الآيةان نزلتا في الكفار المعاصرين للرسول الله ﷺ ولم يتقدم قبل آية الأنبياء
 أو فيما يليها خطاب يعينهم ويخصهم، وإنما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ أَسْمَوَاتٍ
 وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَقًّا فَفَنَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وهذا يتناول
 كل الكفار بدون تخصيص، فلماذا تعين إظهار الفاعل في الآية، أمّا آية الفرقان فإن قبلها قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، فلما تقدم ذكر الكفار المعاصرين غير متناول غيرهم، وعنوا بالذكر، واحتجج إلى الإخبار عنهم
 أتى بضميرهم إذ هو أوجز. وأمّا عما أعقبت به آية الأنبياء: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ﴾، فإنه لما تقدم في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ
 الْأَرْضِ هُمْ يَشْرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١]، وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ [الأنبياء: ٢٤]، فنكرر ذكر مرتكبهم
 في اتخاذهم معبودات لا تغني عنهم - ناسبه قولهم: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ﴾. وأمّا آية الفرقان فقد تقدمها قوله: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
 الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فأذكروا كون الرسول من البشر، فجرى مع ذلك وناسبه قولهم: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ﴾، تعجباً واستبعاداً أن
 يكون الرسل من البشر، وقد رد ذلك عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا إِنِ هُمْ لَيَافْكُوتُ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].
 قول آخر: ما قبل الآية في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُوكُم بِالنَّارِ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فلم يجر للكفار ذكر في الآية التي قبل هذه، أي: التصريح
 بهم، فكان الاختيار الإظهار، وأمّا في سورة الفرقان فإن قبل الآية: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ شُؤْرًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، أي: ألم ير الكفار في
 زمانك القرية التي أمطرت مطر السوء فيحذروا، فلما كان الذكر متقدماً في أقرب الكلام إليها كان الاختيار الإضمار.
 [٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ حَافِظًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]. انظر أيها الرسول
 متعجباً إلى من أطاع هواه طاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظاً حتى تردّه إلى الإيمان؟ فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أمّا آية الجاثية: أفأنت أيها الرسول من أخذ
 هواه إلهاً له، فلا يهوى شيئاً إلا فعله، وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئاً،
 وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ذلك فلن
 يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً؟ والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمالهم.
 [٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ لُقْمَانَ الرُّسُولَ﴾ [الفرقان: ٤٠]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] ما الفرق بين: "المطر والغيث"؟
 الجواب: المطر والغيث كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناها واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو
 المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالاتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل
 الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]،
 ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ لُقْمَانَ الرُّسُولَ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى
 مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغيث والنجدة (أي يستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
 السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمْ ثَلَاثَ عَشْرِينَ مَرَّةً﴾ [الحديد: ٢٠].
 [٥٠] ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْرَ
 الْفَصْلِ لَحْدَةٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لَّسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].
 ما الفرق بين: "كفر، كفور، كفران"؟ الجواب: وردت كلمة (كفر) خمساً وعشرين مرة. ووردت كلمة (كفور) ثلاث مرات. بينما وردت كلمة (كفران) مرة
 واحدة. (الكفر) ضد الإيمان، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها، و(الكفور) أكثر توكيداً ومبالغة في الكفر، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها أيضاً، عندما
 يتنكب المرء الحق على معرفة وعلم، أو يأبى استماع الحق والإذعان إليه. و(الكفران) متعلق بالحقائق والنعم التي تخص المؤمنين، وفيها توكيد (ويمكن أن تأتي في غير
 المياه المختلفة في البحار، وذكر النسب، والصهر، في نوع الإنسان، وعجائب الكواكب والبروج، ودور الفلك، وسير الشمس والقمر، وتفصيل صفات العباد،
 وخواصهم بالتواضع، وحكم قيام الليل، والاستعاذة من النيران، وذكر الإقترار، والاقتصاد في النفقة، والاحتراز من الشرك والزنا وقتل النفس بالظلم والعدوان،=

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٤٥ - **كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس **﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾** : لا يزول، ممدوداً، لا تذهب الشمس ولا تنقصه **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾** : دللناكم عليه بالشمس عند طلوعها، بأنه خلق من خلق ربكم؛ يوجد إذا شاء، ويفنيه إذا أراد. ٤٦ - **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾** : يعني الظل، بالشمس التي يأتي بها فينسخه **﴿فَبَصَّاسِيرًا﴾** : خفياً سهلاً، من «السِّر» . ٤٧ - **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِثْلَ لِبَاسًا﴾** : سترأ تسترون به، كما تستترون بالثياب التي تلبسونها **﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾** : راحة للأبدان والجوارح **﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾** : يقظة وحياة. ٤٨، ٤٩ - **﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾** : أمام الحيا والغيث، **﴿أَنْعَمًا﴾** : من البهائم **﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾** : جمع، واحدة: إنسي. ٥٠ - **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾** : يعني: قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء بين عبادي **﴿لِيَذْكُرُوا﴾** : نعمتي عليهم **﴿فَأَنَّى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا﴾** : إلا جحوداً لنعمتي عليهم. ٥٢ - **﴿فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ﴾** : فيما يدعونك إليه **﴿وَجَهْدَهُمْ بِهِ﴾** : يعني بالقرآن **﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾** : حتى ينقادوا له طوعاً وكرهاً. ٥٣ - **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْخِلْطَ وَأَصَلَ الْمَرْجَ﴾** : الخلط، الخلط، **﴿الْبَحْرَيْنِ﴾** : مرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه **﴿هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ﴾** : شديد العذوبة. يقال: هذا ماء فرات؛ أي شديد العذوبة، يعني: مياه الأنهار والأمطار **﴿وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ﴾** : مر، يعني: ماء البحر **﴿بَرْزَخًا﴾** : حاجزاً يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر **﴿وَجَجراً تحجوراً﴾** : لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا. ٥٤ - **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾** : من النطف **﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾** : قيل: النسب سبع: وهو قوله عز وجل: **﴿حُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾** إلى قوله: **﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَالصَّهْرُ خَمْسٌ﴾** وهو قوله عز وجل: **﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾** إلى قوله: **﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾** [سورة النساء: ٢٣] **﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾** : على خلق ما يشاء. ٥٥ - **﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾** : معيلاً للشياطين، مظاهراً لهم على معصية ربه. ٤٨ - **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾** [الأعراف: ٥٧]، **﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾** [الفرقان: ٤٨]. أما عن مجيء الفعل مضارعاً للمستقبل في آية سورة الأعراف؛ فلأن قبلها قوله: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾** ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وأدعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين [الأعراف: ٥٥-٥٦]، فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرع وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله الخلق من النعمة، فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين وأدعى لهم إلى الدعاء. وأما في سورة الفرقان ومجيء هذا فيها بلفظ الماضي، فلأن قبل الآية: **﴿الَّذِي تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾** **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾** **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِثْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾** [الفرقان: ٤٥-٤٧]، فلما عدد أنواع ما أنعم به، وكان إرسال الرياح في جملته، عدّه بعدما تقدمه وأخبر منه عما فعله وأوجده. فالآيات التي تقدمت آية الأعراف كلها أفعال إما طلب فعل في الحاضر أو المستقبل، أو كف عن فعل في الحال والاستقبال، بينما جاءت الآيات التي تقدمت آية الفرقان بأفعال ماضية، لأن سياق الآيات يحكي ذلك الواقع. ٥٣ - **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَجراً تحجوراً﴾** **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾** **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٥].

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِثْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنَخْجِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُخْفِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآئِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدَهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَجراً تحجوراً ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٣٤٤

بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [الفرقان: ٤٨]. أما عن مجيء الفعل مضارعاً للمستقبل في آية سورة الأعراف؛ فلأن قبلها قوله: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾** ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وأدعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين [الأعراف: ٥٥-٥٦]، فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرع وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله الخلق من النعمة، فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين وأدعى لهم إلى الدعاء. وأما في سورة الفرقان ومجيء هذا فيها بلفظ الماضي، فلأن قبل الآية: **﴿الَّذِي تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾** **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾** **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِثْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾** [الفرقان: ٤٥-٤٧]، فلما عدد أنواع ما أنعم به، وكان إرسال الرياح في جملته، عدّه بعدما تقدمه وأخبر منه عما فعله وأوجده. فالآيات التي تقدمت آية الأعراف كلها أفعال إما طلب فعل في الحاضر أو المستقبل، أو كف عن فعل في الحال والاستقبال، بينما جاءت الآيات التي تقدمت آية الفرقان بأفعال ماضية، لأن سياق الآيات يحكي ذلك الواقع. ٥٣ - **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَجراً تحجوراً﴾** **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٥].

٥٥ - **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٥]. لما تقدم آية يونس قوله تعالى: **﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾** [يونس: ١٥]، ناسب تقديم الضر، أي: لا يضرهم إن عصوه ولا ينفعهم إن أطاعوه، وفي الفرقان تقدم ذكر النعم وعدها، فناسب تقديم النفع، أي: ما لا ينفعهم بنعمة من النعم. = القرآن بمعنى الكفور). جاءت كلمة (الكفر) في معظم المرات في سياق ذكر فيه (الإيمان) فكانت كلمة (الكفر) مقابل كلمة (الإيمان). أما كلمة (كفران) فهي خاصة سُبقت في المرات الثلاث التي وردت فيها بكلمة (أبى)، ولم تستعمل كلمة (كفر) أو (كفران). أما كلمة (كفران) فهي خاصة بجحود النعمة أو جحود السعي الطيب للإنسان. ٤٤ - **﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾** [الفرقان: ٤٤]. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم. ٤٩ - **﴿لِنَخْجِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾** [الفرقان: ٤٩]، **﴿بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ عَفُورٌ﴾** [سبأ: ١٥]. لماذا ذُكر وصف البلدة في الآية الأولى وأثت في الثانية؟ **الجواب**: أن التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ، وتارة يكون باعتبار المعنى، كقوله تعالى: **﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرُ يَوْمَ﴾** [المزمل: ١٨]، وقوله: **﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾** [الانفطار: ١]، وأيضاً فما لا روح فيه يقال: "ميت"، وما فيه روح يقال: "ميتة"، وبلدة "لا روح فيها، فناسبها كلمة "ميتة". ٥٣ - **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَجراً تحجوراً﴾** [الفرقان: ٥٣]، **﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقَاَانِ﴾** [يونس: ١٩] **﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾** [الرحمن: ٢٠-١٩]. **التقاء البحرين**: لقد تبين من خلال الدراسات الحديثة أن لكل بحر صفاته الخاصة به، والتي تميزه عن غيره من البحار كشدة الملوحة والوزن للماء حتى لونه الذي يتغير من مكان إلى آخر بسبب التفاوت في درجة الحرارة والعمق وعوامل أخرى، والأغرب من هذا اكتشاف الخط الأبيض الدقيق الذي يرتسم نتيجة التقاء مياه بحرين ببعضهما، وهذا تماماً ما ذكر في الآيتين السابقتين. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية أنها تتحدث عن بحرين متجاورين متداخلين ويحتفظ كل منهما بخصائصه، وكأن بينهما حاجزاً يمنعهما من الاختلاط وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

= والإقبال على التوبة، والإعراض عن اللغو والزور، والوعد بالغرف للصَّابرين على عبادة الرحمن، وبيان أن الحكمة في تخليق الخلق التضرع والدعاء =

٥٧- ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: بما يقربه إليه، من الصدقة والنفقة في سبيله.

٥٨- ﴿وَسَيَحْجِمَدُهُ﴾: اعبدته شكراً منك له. ٥٩- ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾: يقول لمحمد ﷺ: إذا أخبرتك شيئاً فاعلم أنه كما أخبرتك، فإنه سبحانه الخبير بعلم دقائق تلك المخلوقات. والمعنى: فاسأل الله عن كل أمر. ٦٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: يعني: الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾: خالصاً دون الآلهة. ﴿وَزَادَهُمْ ثُغُورًا﴾: بعداً وفراراً. ٦١- ﴿نَبَارَكَ﴾: تقدس الذي جعل في السماء برُوجاً: هي بروج النجوم. وقيل: هي النجوم الكبار. ﴿سَرَجًا﴾: يعني: الشمس قال تعالى ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] وسميت الشمس بالسراج، والسراج الوهاج؛ لأنها تجمع بين الضوء والحرارة. ٦٢- ﴿خَلْفَةً﴾: كل شيء واحد منهما خلف من الآخر، إن فات رجلاً من النهار عمل يعمل فيه الله، أدركه في الليل، فإن فات في الليل أدركه في النهار. وقيل: يخلف هذا إذا ذهب ﴿أَنْ يَذْكُرَ﴾: أن يتذكر أمر الله عز وجل ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: شكر الله على نعمته في اختلاف الليل والنهار. ٦٣- ﴿هَوْنًا﴾: بالسكينة والوقار والتواضع والحلم ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾: بما يكرهون من القول ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾: أجابوهم بالمعروف والسداد من القول. ٦٤- ﴿كَانَ غَرَامًا﴾: هلاكاً ملحاً دائماً، غير مفارق من عذاب به. ومنه قيل: الغريم، لإلحاحه في حقه. ٦٥- ﴿لَمْ يَسْرِفُوا﴾: لم يتجاوزوا الحد الذي أباحه الله إلى ما فوقه، و«الإقتار»: ما قصر فيه عن أمر الله عز وجل و«القوام» ما بين ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ إِلَٰهٍ إِلَٰهٍ لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. أشار في سورة الفرقان إلى الصفة التي يدوم معها نفع المتوكل عليه وهي في دوام الحياة؛ لأن من يموت ينقطع نفعه، وأشار في آية الشعراء إلى الصفتين اللتين ينفع معهما التوكل، وهي العزة التي يقدر بها على النفع، والرحمة التي بها يوصله إلى المتوكل، وخص آية الشعراء بختمها بذلك مع ما ذكرناه، أي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الذي تقدم وصفه مرة بعد مرة في إنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم. [٥٩] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، هود: ٧، الحديد: ٤]. يجوز أن يكون "الذي" في السورتين مبتدأ، و"الرحمن" خبره في الفرقان، "وما لكم من دونه" خبره في السجدة، وجاز غير ذلك.

[٥٢] ﴿وَلَكِنْ قُلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَّكُمْ لَمَغْفِرَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. ما الفرق بين "الجهاد والقتال" الجواب: الجهاد معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالاً. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، ويشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل كل قول أو عمل خير يعمل به المؤمن في سبيل الله. [٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [النور: ٦٣]. أضاف عبودية أنبيائه وأوليائه إلى اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته. وتأمل كيف جمعت الآية وصفهم في حركتي الأرجل والألسن بأحسنها وألطفها وأحكمها وأوقرها. [٦٨] ﴿جَفَّأً أَوْ يُتِمَّا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، ﴿يَلْقَ أَثَمًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿لَقُوا وَلَا تَأْتِيَا﴾ [الواقعة: ٢٥]، ما الفرق بين "إثم وأثم وتأثم"؟ الجواب: الإثم: هو مصدر الفعل (أثم) وهو ناتج الفعل الخطأ الذي يُعاقب عليه مرتكبه. والأثم: هو الإثم المضاعف، وتأثم: مصدرُ الفعل الرباعي المشدد (أثم)، ومعناه: سبب له الإثم. [٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ ثُغُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُنَا﴾ قرئ: (يأمرنا) بالياء على الإخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الإنكار منهم أن يسجدوا لما يأمرهم به محمد. وقرئ: (تأمرنا) بالياء على الخطاب منهم للنبي - عليه السلام - لأنهم أنكروا أمره لهم بالسجود لله فقالوا: أنسجد لما تأمرنا يا محمد؟. [٦١] ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿سِرَاجًا﴾ بكسر السين وبعدها راء مفتوحة ثم ألف على الأفراد، على أن المراد بالسراج الشمس لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ولا قترانها بالقمر. وقرئ: (سُرُجًا) بضم السين والراء وإسقاط الألف التي قبل الجيم على الجمع، على أن المراد به الكواكب السيارة والثوابت، ويمكن اتحاد القراءتين بحمل الأولى على إرادة الجنس فتتحد مع الثانية، أو حمل الجمع في الثانية على التعظيم فتتحد مع الأولى. [٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (يُقْتَرُوا) بضم الياء وكسر التاء على أنه من أقر يقر بمعنى مضيق على نفسه، الثانية: (يَقْتَرُوا) بفتح الياء وكسر التاء على أنه من قتر من باب ضرب يضرب، الثالثة: (يَقْتَرُوا) كذلك إلا أنها بضم التاء على أنه من قتر من باب قتل يقتل، وهما لغتان في الثلاثي، قالوا: قتر يقر، ويقر بمعنى ضيق. [٦٢] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ أَلْتَلْ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَذْكُرَ﴾ قرئ: (يذكر) بتخفيف الذال مسكنة، وتخفيف الكاف مضمومة، على معنى الذكر لله تعالى. وقرئ: (يذكر) بتشديد الذال والكاف مفتوحين، على معنى: التذكر.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. إيجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١- مبدأ التوحيد: فقد جمع الله - تعالى - أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آدِبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله - تعالى - دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِيَذَّبُوا ٕآيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثاً عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿وَأَبْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢١٥].

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ إِلَٰهٍ إِلَٰهٍ لَا يَمُوتُ وَسَيَحْجِمَدُهُ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ ثُغُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَلْتَلْ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۚ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۚ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۚ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۚ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أُغْنِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۚ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا ۚ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۚ قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۚ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ (٣٦٦)

٦٨- ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بكفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس فيقتل بها. ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾: عقاباً، ومعنى: أثمه الله: جزاءه جزاء الإثم. ٧٠- ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾: ينقلهم عما يسخط الله من العمل إلى ما يرضاه من الأعمال. ٧٢- ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: الزور: اسم جامع للباطل والكذب. وأصل «الزور»: تحسين الشيء ووصفه الشيء بخلاف صفته. ﴿وَلَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾: اللغو: كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل. ٧٣- ﴿ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: ذكرهم مذكراً بحجج الله عز وجل ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا﴾: لم يقعوا ويسقطوا على تلك الحجج ﴿صُمًّا﴾: لا يسمعونها ﴿وَعُمْيَانًا﴾: لا يبصرونها، ولكنهم أكبوا على تلك الحجج سامعين لها مبصرين، ويفقهون عن الله ما يذكرون به ويعون مواعظه. ٧٤- ﴿فَرَّةً أُغْنِي﴾: ما تقر به أعيننا من أن ثريانهم يعملون بطاعتك، وأن يكونوا من المؤمنين بك وأن يكونوا على خير ما نرجوه لهم، ونؤمله فيهم. ﴿إِمَامًا﴾: أئمة يقتدى بنا في التقوى والإيمان. ٧٥- ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾: منزلة من منازل الجنة رفيعة ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا﴾: تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية والسلام. ٧٧- ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي﴾: يقول عز وجل: أي شيء يصنع بكم ربكم ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: لولا عبادة من يعبد منكم. أخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم، إذ لم يكونوا مؤمنين ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: يقول الله عز وجل لمشركي قريش. فقد كذبتكم رسول الله إليكم ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾: تكذيبكم وخلافكم ﴿لِزَامًا﴾: هلاكاً وعذاباً ملازماً لكم.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية. أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾. وأخرج الشيخان عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ

فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿غُفُورًا رَحِيمًا﴾ ونزل ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. [٧٠] قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. أوجز في ذكر المعاصي في سورة مريم، فأوجز في التوبة، وأطال في الفرقان فأطال، والله أعلم. [٧١، ٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧١]. ما فائدة التكرار؟ **الجواب:** أن التكرار لتأكيد التوبة، وقطع الصلة بين العبد وبين معاصيه السابقة بالندم عليها والعمل الصالح.

[٧١] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١]، ﴿حَمْدٌ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١-٣]. ما الفرق بين: "التوبة والتوب والمتاب"؟ **الجواب:** وردت كلمة (توبة) سبع مرات، بينما وردت كلمة (التوب) مرة واحدة، ووردت كلمة (متاب) مرتين. (التوبة) و(التوب) مصدران، غير أن التوبة أقوى وأشد معنى من (التوب) لذا وردت كل منهما في موضعها المناسب. أما (متاب) فلها معنيان: ١- اسم مكان من التوبة: أي مرجعي (معنى بالتوبة وحسب بالمعاد). ٢- مفعول مطلق (يتوب متاباً). كما أن (متاباً) اتسقت مع الفواصل التي اكتنفتها (سلاماً- قياماً- غراماً- مقاماً- قواماً- مهاناً- متاباً- كراماً- إماماً- سلاماً- مقاماً- لزماً).

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ قوله تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ قرئ: (يضاعف- يخلد) بالرفع على الاستئناف أو على الحال من فاعل يلقى أثاماً. وقرئ: (يضاعف- يخلد) بالجزم على أن الأول بدل من يلقى بدل اشتغال، والثاني: معطوف عليه، ولأن لقيه جزاء الآثام تضعيف لعذابه، فلما كان إياه أبده منه، وذلك ليتصل الكلام ببعض، وتقدم في سورة "البقرة" الخلاف في قصر يضاعف مع تشديد عينه ومده وتوجيه ذلك.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أُغْنِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ (وذريأتنا) بفتح الباء بعدها ألف على الجمع لإرادة الأفراد. وقرئ: (وذريأتنا) بحذف الألف على التوحيد لإرادة الجنس. [٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا﴾ قرئ: (ويُلْقَوْنَ) بفتح الباء وسكون اللام وتخفيف القاف على أنه مضارع لقي المجرد و"تحية" مفعوله. وقرئ: (ويُلْقَوْنَ) بضم الباء وفتح اللام وتشديد القاف على أنه مضارع لقي مبنياً للمجهول تعدى بالتضعيف إلى مفعولين، أولهما: الواو الواقع نائب فاعل، وثانيهما: "تحية"، للمبالغة في كثرة تحيتهم من الملائكة، ومن الله، ومن بعضهم لبعض، والله تعالى أعلم.

﴿مِنْ الدُّنْيَا وَآخِرَتِهَا﴾ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم ألقاهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيها صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

١٢- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

١٣- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

١٤- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

١٥- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١- ﴿طَسَّرَ﴾: كسائر أوائل ما تقدم في فواتح السور من حروف الهجاء. ٣- ﴿بَنَحْ﴾: مهلك. و«البَنَحُ» في كلام العرب: الهلاك والقتل، ومعناه: لعلك مهلك نفسك عليهم حرصاً على إيمانهم! ٤- ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ﴾: فظلوا خاضعين يذلون بها، لا يلوي أحد عنقه إلى معصية الله تعالى و«خَضِيعِينَ»: خبر عن الهاء والميم في «أعناقهم»؛ لأنه لم يقل: «خاضعة» لأن الأصل: فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير والتصوير. ٥، ٦- ﴿تُحَدِّثُ﴾: مما يحدثه الله إليك، وينزل تبعاً، أي يحدث الإتيان ﴿فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَتُوا﴾: أخبار الأمر الذي كانوا به يسخرون. ٧- ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من نبات الأرض مما تاكل الناس والأنعام والزوج: النوع والصفة. ومعنى «كريم»: حسن، يقال: للخلعة الطيبة الحمل: كريمة، وللناقة إذا غُزِرَ لبنها. ٨- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: دلالة للمشركين على قدرته عز وجل أن ينشر الموتى أحياء من قبورهم. ٩- ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يمتنع عليه أحد ﴿الرَّحِيمُ﴾: ذو الرحمة لمن تاب إليه وأتاب. ١١- ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: بمعنى: فقل لهم ألا تتقون. وقد جمع في هذه العبارة نفي التقوى عنهم وأقرهم بها. ١٣- ﴿وَصَبِيقُ صَدْرِي﴾: من تكذيبهم ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾: للعقلة، الحبسة التي كانت بلسانه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾: ليؤازرني ويعيني. ١٤- ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾: يعني: قتله النفس التي قتلها منهم خطأ. ١٥- ﴿قَالَ كَلَّا﴾: أي: لن يقتلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾: جعل الاثنين جمعاً. وقيل: أرادهما والمبعوث إليهم وبني إسرائيل. ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾: ما يحييكم به. ١٨- ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿أَلَمْ تُرْكِبْ فِينَا وَلِيدًا﴾: مولوداً صغيراً. ١٩- ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الْيَاقُونَثُ﴾: قتل النفس ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: كفرت نعمتنا، وما كان مثلاً لك.

[١] ﴿طَسَّرَ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [الشعراء: ٢، القصص: ٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والقصص، وهي تبين أن هذه آيات القرآن الموضح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال. لتفسير الحروف المقطعة انظر الرعد آية: ١. [٣] ﴿فَلَعَلَّكَ بَنَحُّ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، ﴿لَعَلَّكَ بَنَحُّ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]. فلعلك أيها الرسول مهلك نفسك غمًا وحرًا على أثر تولي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدقوا بهذا القرآن ويعملوا به، فهذا ما دلت عليه آية الكهف، أمّا آية الشعراء: لعلك أيها الرسول مهلك نفسك غمًا وحرًا على أثر تولي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدقوا بهذا القرآن ويعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك. [٥] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]. إن هذين الاسمين العظيمين وهما: الرب والرحمن تواردا في الكتاب العزيز كثيرًا، أول ذلك في الفاتحة، ثم إن اسمه سبحانه الرحمن يغلب وروده حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان والرفق بالعباد والتلطف والتأنيس، وأما اسمه الرب فيعم وروده عند الترغيب والترهيب، أما الترغيب فيبين، وأما الترهيب فيحث يرد معنى ملكيته سبحانه لهم، وانفراده بإيجادهم، وإدراار أرزاقهم، وبيان انفراده تعالى بذلك، ثم هم بعد ذلك على كفرهم، ولما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار التي طيها وعيد وترهيب مع تلطفه سبحانه بهم بتذكيرهم - لم يكن ليناسب ذلك ورود اسمه الرحمن، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، أشد تخويفًا للمخاطبين، ثم إن لفظ الناس لفظ لا يخص به المؤمنون، إنما يرد حيث يراد عموم المخاطبين، ويكثر حيث يراد الوعيد والإنذار والتخويف، أمّا آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي ﷺ وإعلامه أن توقف قومه عن الإيمان إنما هو بقدرته تعالى عليهم، ولو شاء لأراهم آية تبهرهم كرفع الجبل فوق بني إسرائيل، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُ أَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، ثم رجع الكلام إلى تعنيف المكذبين، فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا ﷺ، وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قدر له الإيمان منهم، فأشار إلى هذا وناسبه اسمه الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾، فقد وضح ورود كل من الآيتين في موضعه، والله أعلم. [٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥]، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الشعراء: ٦]. سورة الأنعام متقدمة فقيد التكذيب بقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ على التمام، وذكر في الشعراء: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ مطلقًا، لأن تقييده في هذه السورة يدل عليه، ثم اقتصر على السين هنا بدل من ﴿فَسَوْفَ﴾ ليتفق اللفظان فيه على الاختصار. [٨] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء: ٩]. تكررت في ثمانية مواضع: أولها في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم في ذكر نبينا محمد ﷺ وإن لم يذكر صريحًا. [١٦] ﴿فَأَنبِئْهُمْ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكُمْ﴾ [طه: ٤٧]، ﴿فَأَنبِئْهُمْ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠] ﴿قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَنَّوْا إِلَيَّ كَلِمَةً﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ [يوسف: ٧١]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْتِبَهُ يُعِيبُهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَيْتِبَهُ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أَقْبَل - تَعَالَى - آتَى - هَؤُلَاءِ"؟ [الجواب: (أَقْبَل) أمر متعين طلبًا للإقبال ونهيا عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال تفكر في هذه المسألة) - راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان -، إذا، (أَقْبَل) يراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أَقْبَل) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي ملتبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَنَحُّ نَفْسِكَ ٣ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٤ إِنْ شَأْنُ أَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٥ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٦ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٨ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٠ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ١١ قَوْمُ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٣ وَصَبِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ١٤ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٥ قَالُوا فِرْعَوْنُ كَلَّا فَادْخُلْ إِثْنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٦ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٨ قَالُوا أَلَمْ تُرْكِبْ فِينَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ مُشْرِكِي سِينِ ١٩ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الْيَاقُونَثُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٢٠

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذْ أَتَانَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢١﴾ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴿٢٢﴾ نَبُوءَةً أَيْ النُّبُوَّةَ وَحُكْمَهَا. ﴿٢٣﴾ وَلَكَ نِعْمَةٌ مِّنَّا عَلَى أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٤﴾ قَالَ فَرَعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْوَيْلِ ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٠﴾ لَنْ أَخَذْتُ آلَ الْهَارِثِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ أَوْلَوْجِثْنِكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٣﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٤﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ ﴿٣٥﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٨﴾ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٩﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٠﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٤١﴾

(٣٦٨)

٢٠، ٢١- ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾: الجاهلين، فنفي عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك قبل أن يأتيه العلم والوحي الذي علمه الله. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: نبوءة أي النبوة وحكمتها. ٢٢- ﴿وَلَكَ نِعْمَةٌ مِّنَّا عَلَى أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: يقول: أئمن علي بأن ربيتي وليدا، وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي!! قال بعض المفسرين، وفيه تبيكيت للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم، فكانك تمن علي ما كان بلاؤك سببا له. ٢٣- ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي شيء رب العالمين؟ ٢٤- ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: أن ما ثعابينه كما تعابونه، وقيل: إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء فهذا أولى بالإيقان، وهو أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما. ٢٥- ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: مغلوب على عقله. ٢٦- ﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: مع من في السجن من أهله. ٢٧- ﴿بَشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾: يبين لك صدق ما أقول. ٢٨- ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: الثعبان: أعظم ما يكون من الحيات. ٢٩- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه ﴿بَيْضَاءُ﴾: تلمع ﴿لِلنَّظِيرِ﴾. ٣٠- ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون به. ٣١- ﴿أَرْجِهْ﴾: آخر موسى ﴿وَأَخَاهُ﴾: وألفظه، أي أخوه وأمهله ﴿حَاشِرِينَ﴾: يحشرون إليك السحرة. ٣٢- ﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: لوقت، واعد فرعون موسى الاجتماع معه فيه من ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: هو يوم الزينة؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [طه: ٥٦].

= [الشعراء: ١٦]. السياق في سورة طه مبني على التثنية من قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِمَا يَتَّبِعُ وَلَا تُبَيِّنْ فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا لَنَرِيكَ فُتْرًا كَثِيرًا وَلَٰكِنَّا نَسُوهُنَّ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [طه: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِن هَٰذَانِ لَسَاحِرَا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكَ الْمُنَىٰ﴾ [طه: ٦٣]، أما سورة الشعراء فالسياق فيها مبني على الإفراد والوحدة من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّنَا فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِيمَا مَنَ غُرْمَكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، مع العلم أن أول السورة فيها تثنية من قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِمَا يَتَّبِعُنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، إلى قوله تعالى: ﴿فَاتَّيَا فَرَعُونَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٦]، ثم يعيب هارون وتعود الوحدة، بل جاءت الكلمة المناسبة في السياق المناسب، فالسياق في سورة طه قائم على التثنية، والسياق في سورة الشعراء قائم على الجانبيين. قول آخر: ﴿قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، وبعده: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، لأن الرسول سُمي به، فحيث وحده حمل على المصدر، وحيث ثنى حمل على الاسم، ويجوز أن يقال: حيث وحده حمل على الرسالة؛ لأنهما أرسلتا لشيء واحد، وحيث ثنى حمل على الشخصين. [٢٨] ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. خوطب المؤمنون في آيات عديدة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ولم يخاطبهم بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إلا في آية آل عمران تنبيهًا على خطورة اتخاذ المؤمنين بطانة من غيرهم: ﴿يَتَّخِذُوا الْإِيمَانَ لَا تَخَذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ﴾، فكانه جعل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ للفصل بين ما يستحقه العدو والولي، والمقصود بعثهم على استعمال العقل في تأمل هذه الآية وتدبر هذه البينات، وأما آية الشعراء فالخطاب فيها من موسى عليه السلام لفرعون وقومه. [٣٢] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [طه: ٣٤]، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ﴾ [الشعراء: ٣٥]، تكررت هذه الآيات مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأعراف والشعراء، وهي تبين المعجزات التي أعطاها الله ع وجل لموسى. [٣٤] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فَرَعُونَ إِنَّ هَٰذَا لَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَأَخَاهُ﴾ [الشعراء: ٣٤]. التقدير في هذه الآية: قال الملأ من قوم فرعون وفرعون لبعض، فحذف فرعون لاشتغال الملأ من قوم فرعون على اسمه؛ كما قال: ﴿وَأَعْرِفْنَا آلَ فَرَعُونَ﴾ [الأنفال: ٥٤]، أي: آل فرعون وفرعون، فحذف فرعون، لأن آل فرعون اشتمل على اسمه. فالقائل هو فرعون نفسه بدليل الجواب، وهو ﴿أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: ١١١] بلفظ التوحيد، والملأ هم المقول لهم؛ إذ ليس في الآية مخاطبون بقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] غيرهم. فتأمل فيه فإنه برهان للقرآن شاف. [٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]، ﴿بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥]. آية الأعراف بنيت على الإقتصار وليس كذلك آية الشعراء؛ ولأن لفظ السحار يدل على السحر. قول آخر: آية الأعراف من كلام الملأ، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدهم في رد أمر موسى صرح بأنه سحر، ويؤيده: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ [طه: ٥٧] قاصداً بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى عليه السلام. [٣٦] ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ﴾ [الشعراء: ٣٦]. الإرسال يفيد معنى البعث، ويتضمن نوعاً من العلو؛ لأنه يكون من فوق؛ فخضت سورة الأعراف به لما التمس؛ ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره. [٣٧] ﴿يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]، ﴿يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]. لأنه = لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدمار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (أنت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (أذهب) كقوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَقْوَمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: أذهب إلى القوم الظالمين، إذا فرق كبير بين كلمة (أنت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن، في قوله تعالى: ﴿هَٰؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعض اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح من يؤتى كتابه يوم القيامة لا يعادله فرح، ونشاطه وخفة نفسه وهجته مشاعره، ليس لها نظير؛ لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. = "طسم". [١٣] ﴿وَصَبِّقْ صَدْرِي وَلَا يَطْلُقْ لِسَانِي﴾ قوله تعالى: ﴿وَصَبِّقْ - يَطْلُقُ﴾ قرئ: (ويصيق - ينطلق) برفع الفعلين على الاستئناف، أو العطف على أخاف قبل. وقرئ: (ويصيق - ينطلق) بنصبهما على العطف على "يَكْذِبُونَ" المنصوب بأن.

= ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]. مواضع سورة الشعراء: مقصود السورة وجل ما اشتملت عليه: ذكر القسم ببيان آيات القرآن، وتسلية الرسول عن تأخر المنكرين عن الإيمان، وذكر موسى وهارون، ومناظرة فرعون الملعون، وذكر السحرة، ومكرهم في الابتداء، وإيمانهم وانقيادهم في الانتهاء، وسفر موسى ببني =

فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصَحِّبْتُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَرْزَلْنَاهُمُ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ
نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْكِكِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَى وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ الْإِلَهِ الْعَلِيِّ
﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصِّدْقِ ﴿٨٣﴾

٦١ - ﴿تَرَكَ الْجَمْعَانَ﴾: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾: أي: سيلحقنا جمع فرعون
ولا طاقة لنا بهم. ٦٢ - ﴿سَيَهْدِينِ﴾: أي يدلني على طريق النجاة. ٦٣ - ﴿فَانْفَلَقَ﴾: أي فضرِب
موسى فانفلق البحر بإذن الله تعالى حتى بدا قاع البحر يابساً يمكن المشي فيه ﴿كُلُّ فَرَقٍ﴾ الفرق:
القطعة من البحر ﴿كَالطُّورِ﴾: كالجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾. ٦٤ - ﴿وَأَرْزَلْنَاهُمُ الْآخَرِينَ﴾: قَرَّبْنَا هُنَالِكَ قَوْمَ
فرعون من البحر، وقدمناهم إليه. ٧١ - ﴿فَنَظَّلُهَا عَنْكِكِينَ﴾: مقيمين على عبادتها وخدمتها.
٧٧ - ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾: بمعنى: فلاني بريء منهم لا أعبدهم، أي لا أعبد هذه الأصنام، لأنه إن عبدهم
كانوا له عدواً يوم القيامة، و«العدو» يطلق على الواحد والجماعة. ٨٢ - ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي﴾: قال إبراهيم: هذا هضماً لنفسه؛ لأن المراد بالخطيئة اسم جنس. وقيل: أن الطمع هنا بمعنى
اليقين في حقه. ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والحجزة. ٨٣ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: الحكم الذي دعا
به إبراهيم عليه السلام هو الحكمة والنبوة، وهو في معنى الثبوت والدوام ﴿وَالْحَقِّقْ بِالصِّدْقِ﴾:
اجعلي من عداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وأدخلني معهم جنتك ودار كرامتك.

= وقيل: إنه لما بسط ذكر القصة في الشعراء، وسمى موسى وهارون عليهما السلام، ناسب تعيين بنى
إسرائيل وتسميتهم في وراثته مصر، ولما اختصر القصة في الدخان ولم يسم موسى عليه السلام فيها بل
قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]، فأتى باسمه مبهماً، ناسب ذلك الإتيان بذكر بني إسرائيل
مبهماً بقوله تعالى: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾، وهذا على رأي من يجعل الضمير "الجنات" مصر وزروعها
وكنوزها، "وفيه نظر كما تقدم". [٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات: ٨٢، الشعراء: ٦٦]. ثم
أغرقنا فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه، فهذا ما دلت عليه
آية الشعراء، أما آية الصافات: ثم أغرقنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم تبق منهم عين
تطُرف، والآية تتحدث عن قوم نوح عليه السلام. وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص
في سورتي الشعراء والصافات. [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥]. "ما" لمجرد
الاستفهام، فأجابوا فقالوا: ﴿تَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الشعراء: ٧١]، و"ماذا" فيها مبالغة، وقد تضمنت في الصافات معنى التوبيخ، فلما وبَّخهم ولم يجيبوا، زاد في التوبيخ
فقال: ﴿أَيْفَاكَ إِلَهُهُ دُونَ اللَّهِ تَرْيَدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦]، فجاء في كل سورة ما اقتضاه ما قبله وما بعده.

= يجدوا جواباً إلا اعترافهم بتقليد آبائهم في عبادتها، فجابوه بقولهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَآؤُلَاءِ عِبَادِينَ﴾، وحصل اعترافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة، فأقروا
بالعجز عن جواب مقنع، فوقع جوابهم على ما تقدم. وأمّا آية الشعراء فإن سؤال إبراهيم عليه السلام إياهم بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، ورد مورد سؤال عن ماهية
معبوداتهم وكيفيةها، وكأنه عليه السلام لم يشاهدها، وعلم أنهم يعبدون ما لا يعبد، فسألهم عن ماهيتها فجابوه: ﴿تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْكِكِينَ﴾، فجابوه
معترفين بماهية معبوداتهم على ما أمرهم عليه، وطابق جوابهم سؤاله، فأردف عليه السلام بسؤال آخر قاصداً تعجيزهم والقطع بهم فقال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ﴾ [الصافات: ٧٢] أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ، أي: إذا كانوا هكذا لا يسمعون، ولا يملكون النفع أو الضرر، فما عذرهم في عبادتهم إياهم، فلما استشعروا ما يلزمهم عدلوا
عن الجواب، إلى تقليد الآباء وقالوا: ﴿قَالُوا بَلَى وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وهذا يفيد بأن آلهتهم لا تنفع ولا تضر. [٧٦] ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٦]،
﴿وَرَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٦]. وصف الآباء بالأقدمين لم يرد إلا في آية الشعراء، وذلك في سياق التأنيب والتوبيخ، فكان هذا الوصف إيغالا
في قلة الاكترات بتقليدهم؛ لأن عرف الناس عموماً أن الآباء كلما تقادم عهدهم كان تقليدهم أكد، فكان إبراهيم عليه السلام أراد أن يؤكد أن الباطل لا ينقلب حقاً
لمجرد قدمه. [٧٨-٨١] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [٧٨] وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ [الشعراء: ٧٨-٨١]. كرر
"هو" مع "يهدين" و"يطعمني" و"يسقين" و"يشفين"؛ لأن الهداية والإطعام والسقي والشفاء قد تضاف إلى الإنسان، فيقال: فلان يطعم فلاناً ويسقيه، فأراد أن الله
تعالى هو الفعال حقيقة لذلك كله، فأكد الحصر بقوله "هو"، أما الخلق والموت والحياة فلا يدعيهما مدع فأطلق. [٧٧-٨١] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧]
الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ [الشعراء: ٧٧-٨١]. تأمل كيف أسند إبراهيم عليه
السلام الخلق والهداية والإطعام والسقاية والشفاء والإمامة ولرب العالمين جل جلاله، وتأدب وهو يخبر عن المرض فأسنده عليه السلام لنفسه فقال:
﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾، مع يقين إبراهيم عليه السلام أنه لن يكون إلا بقدر الله، لكنه هدي الخليل عليه السلام في التأدب مع ربه عز وجل. [٨٢] ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَاْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. ما الفرق بين: "المخطئ والخاطئ"؟ **الجواب:** أخطأ، مخطئ، إخطأ، وخطأ. خطي،
خاطي، خطأ. أخطأ: تعني جانب الصواب: سواء أكان الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذن. أما خطي: فتعني دائماً مجانبه الصواب عمداً، لذا فإنها
تأتي دائماً بمعنى الإثم والذن. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خطي) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقاً، وسيرة.

= الحاء على أنه اسم فاعل بمعنى خائفون من حذر الشيء إذا خافه. وقرئ: (حذرون) بحذف الألف على أنه صفة مشبهة من حذر واحترز إذا تيقظ، وهو من باب
فرح، أي: إنا لجميع من عادتنا التيقظ والحزم، ويحتمل أن تكون صيغة مبالغة على وزن فَعِل، أي: شديد الحذر والخوف، فيرجع إلى معنى القراءة الأولى.
[١٤٧، ٥٧] ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَعُيُونٍ﴾ قرئ: (وعيون) بكسر العين في الموضعين. وقرئ: (وعيون) بضم العين، وهما لغتان.
= القرآن الكريم. [٧٣] ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾ **إعجاز عددي:** وردت كلمة (النفع) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن الكريم، كما وردت كلمة (الفساد) بمشتقاتها
(٥٠) مرة في القرآن الكريم. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد) بمشتقاته) وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله
تعالى. [٨١] ﴿وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. فتساوى
عدد مرات تكرار لفظه «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظه «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= وتنزيل جبريل على النبي بالقرآن العربي، وتفصيل حال الأمم السالفة الكثيرة، وأمر الرسول ﷺ بإنذار العشيرة، وتواضعه للمؤمنين، وأخلاقه اللينة، وبيان غواية
شعراء الجاهلية، وأن العذاب منقلب الذين يظلمون في قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

٨٤- ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ذكراً حسناً، وثناً جميلاً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: في القرون التي تأتي بعده.
 ٨٦- ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِثْمَةٍ كَانَتْ مِنَ الصَّالِينَ﴾: أي من المشركين الضالين عن طريق الهداية. وكان أبوه قد وعده أنه يؤمن به، فاستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. راجع الآية ١١٤ من سورة التوبة ص ٣٠٥.
 ٨٩- ﴿يَقْلِبْ سَلِيمٌ﴾: من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الموت. وقيل: سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم أحد منها. ٩٠- ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أدنيت وقربت. ٩١- ﴿وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ﴾: أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: الذين غواوا فضلوا. ٩٢، ٩٣- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: يعني: للغاوين. ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من الأنداد. ٩٤- ﴿فَكَيْفَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ﴾: رُمي بعضهم على بعض في الجحيم مُنكبين على وجوههم. وقيل: تأويل الكلام: فكُتِبَ هؤلاء الأنداد فيها ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: الشياطين والكفار. ٩٥- ﴿وَجُودُ إِلَيسَ﴾: ثبأه، من ذريته أو ذرية آدم. ٩٨- ﴿إِذْ سُوبِغَكُمْ﴾: نُعِدُّكُمْ - يخاطبون الأنداد-، ونعبدكم من دون الله. ٩٩- ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾: يعنون: إبليس، وولد آدم الذي سنُّ القتل. ١٠٠-١٠٢- ﴿مِنْ شَفِيعِينَ﴾: يشفعون لنا. ﴿وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾: قريب النسب شقيق. ﴿كُرَّةٍ﴾: رجعة إلى الدنيا. ١٠٧- ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: على وحي الله إلي. ١٠٩- ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من ثواب ولا جزاء. ١١١- ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: دون ذوي الشرف، وأهل البيوتات! والردالة: الخسة والدلة، استرذلهم لقلة أموالهم وجاههم. وقيل: لأنهم كانوا من ذوي الصناعات الخسيسة.

[١٠٦-١٠٩] ﴿نَنْقُوتُ﴾ (١٠٦) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٠٧) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٠٨) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٦-١٠٩]. قوله: ﴿... أَلَا نَنْقُوتُ﴾ إلى قوله: ﴿... رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مذكور في خمسة مواضع: في قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشُعيب عليهم السلام، ثم كرر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ في قصة نوح، وهود، وصالح تأكيداً فصارت ثمانية مواضع، وليس في ذكر النبي ﷺ، قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ لذكرها في مواضع أخرى في سور أخرى، وكذلك ليس في قصة موسى؛ لأنه رباه فرعون حيث قال: ﴿أَلَمْ تَرْكِبْ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨]، ولا في قصة إبراهيم، لأن أباه في المخاطبين حيث يقول: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ﴾ [الشعراء: ٧٠]، وهو رباه، فاستحيا موسى وإبراهيم أن يقولوا: ما أسألكم عليه من أجر، وإن كانا مترهين عن طلب الأجر.

[٨٥] ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ **الجواب:** ١- استعمل القرآن كلمة (النِّعْمَةُ)، (النِّعْمَةُ)، (النِّعْمَةُ)، (النِّعْمَةُ) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواء أكانت "مادية" أو "معنوية". وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النِّعِيم) استعملت في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. لم جاءت كلمة "النِّعِيم" في هذه الآية دون "النِّعْمَةُ" أو "النِّعْمَةُ" أو "النِّعْمَةُ"؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ **الجواب:** أن كلمة (النِّعِيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النِّعِيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النِّعِيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. أمثلة: أولاً- النِّعْمَةُ: قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثانياً- النِّعِيم: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١-١٢]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١١١] ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾ قرئ: (وَاتَّبَعَكَ) بهمة قطع بعد الواو بعدها تاء ساكنة، وألف بعد الباء، ورفع العين على أنها جمع تابع مبتدأ وما بعده خبر، والجملة: حال مما قبله. وقرئ: (وَاتَّبَعَكَ) بهمة وصل بعد الواو ثم تاء مشددة مفتوحة وإسقاط الألف التي بعد الباء وفتح العين على أنه فعل ماضٍ و"الأردلون" فاعله، والجملة: حال من الكاف كما في القراءة الأولى وهي بإضمار قد، أي: وقد اتبعك الأرذلون، أو بدون إضمار على الخلاف في مجيء الماضي حالاً، هل يتعين اقترانه بقد أو لا؟ [٨٤] ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ **إعجاز عددي:** ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاته) وكل ورد (٢٥) مرة في كتاب الله. [٩٥] ﴿وَجُودُ إِلَيسَ أَجْمَعُونَ﴾ **إعجاز عددي:** ورد ذكر (إبليس) بمشتقاته في كتاب الله (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعاذة بمشتقاته) في كتاب الله (١١) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (إبليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعاذة بمشتقاته) (١١) مرة في كتاب الله.

[١٢٨-١٣٥] ﴿أَنْتَبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةٌ تَنْبِئُونُ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٥]. **إعجاز تاريخي:** أشارت الآيات إلى أن قوم عاد كانوا مشهورين ببناء الصروح العظيمة والقصور الفارهة، ولما عصوا رسولهم أنزل الله - تعالى - عليهم العذاب، وذلك بأن أرسل عليهم ريحاً عاصفة محمولة بغبار وأتربة، غمرتهم وقضت عليهم ﴿وَأَمَّا عَادُ فَافْتَلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. وأهم النقاط التي تطرق القرآن لذكرها في قصة هود: ١- أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف، والأحقاف هي الأرض الرملية، ولقد حددها المؤرخون بين اليمن وعمان. ٢- كان لقوم عاد بساتين وأنعام وينابيع. ٣- أن قوم عاد بنوا مدينة عظيمة تُسمى (إرم) ذات قصور شاهقة لها أعمدة ضخمة لا نظير لها في تلك البلاد. ٤- أنهم كانوا يبنون القصور المترفة والصروح الشاهقة ﴿وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾. ٥- أرسلت عليهم ريحٌ صرصرٌ عاتيةٌ لما كذبوا رسولهم هوداً عليه السلام. **حقائق ومعجزات:** ١- في بداية عام ١٩٩٠م امتلأت الجرائد العالمية الكبرى بتقارير صحفية تعلن عن اكتشاف مدينة عربية خرافية مفقودة «اكتشاف مدينة عربية أسطورية» «أسطورة الرمال» «عبار» والأمر الذي جعل هذا الاكتشاف مثيراً للاهتمام هو الإشارة إلى تلك المدينة في القرآن الكريم، ومنذ ذلك الحين، فإن العديد من الناس الذين كانوا يعتقدون أن عاداً التي روى عنها القرآن الكريم أسطورة، وأنه لا يمكن اكتشافها، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم أمام ذلك الاكتشاف، وقد اكتشف عالم الآثار «نيكولاس كلاب» تلك المدينة الأسطورية (كما اعتقدوا) التي ذكرت في القرآن الكريم، وقد ألف الباحث الإنجليزي «بيرترام توماس» كتاباً عام ١٩٣٢م عنوانه (أرييا فيليكس) وهذا الاسم هو الاسم الروماني للجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، والتي تضم اليمن والجزء الأكبر من عمان، وأطلق اليونان على تلك المنطقة اسم «العرب السعيد». وأطلق عليها علماء العرب في العصور الوسطى اسم «اليمن السعيدة». وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة كانوا أكثر الناس =

وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِثْمَةٍ كَانَتْ مِنَ الصَّالِينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ (٩٣) فَكَيْفَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ (٩٤) أَنْ يُعْبُدَ اللَّهَ (٩٥) وَجُودُ إِلَيسَ (٩٦) وَجُودُ إِلَيسَ (٩٧) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُخَرِّجُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤) كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ (١١٠) قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)

قَالَ وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْبُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي ذُنُوبٌ ﴿١١٧﴾ فَأَفْضَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاوَجَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْتَنِي وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَنْتَبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَأَنْقُضُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَحَنْتٍ وَعْيُونٍ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٥﴾

١١٢- ﴿وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إنما لي ظاهر أمرهم، وعلى الله حسابهم، أي: إنني لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، فهو المعتبر وليس عندي اعتبار للحرف والصنائع، أو الغني والفقير. ١١٤- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من آمن بالله، واتبعني على التصديق بما جئت به. ١١٦- ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: لنشتنك، أو لنرجنك بالحجارة. ١١٨- ﴿فَأَفْضَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا﴾: أحكم بيني وبينهم حكماً تهلك به المبطل، وتنتقم من كفر بك. ١١٩- ﴿فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾: في السفينة الموقرة المملوءة. ١٢٨- ﴿بِكُلِّ رِيحٍ﴾: الرِّيح: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع؛ طريق أو وادٍ. ويقال بفتح الراء أيضاً. ﴿ءَايَةً﴾: علماً وتبياناً ﴿تَعْبَثُونَ﴾: تلعبون. والمعنى: أنكم تبنون بكل مكان مرتفع أبنية وأبراجاً تشرفون منها على الطريق فتؤذون المارة، وتسخرون منهم. ١٢٩- ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: قصوراً مشيدة. والعرب تسمى كل بناء: «مَصْنَعَةً» ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: بمعنى: كأنكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾: تبقون في الأرض فلا تموتون. ١٣٠- ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾: سطوتم، البطش: السطوة والأخذ بالعنف. ﴿بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ﴾: قتلاً بالسيوف، وضرباً بالسياط. ١٣٢- ﴿أَمَدَّكُمْ﴾: أعانكم. ١٣٦- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: أي إن وعظك وعدم وعظك لدينا سواء لا نبالي به، ولا نلتفت إلى ما تقوله!

[٩٤] ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤]. لم يقل (فكَّبُوا)، وإنما كرر الكلمة دليلاً على التكرير في المعنى، كأن الواحد منهم إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها. [١٠٠-١٠١] ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]. وإنما جمع الشافع لكثرة الشافعين، ووجد الصديق لقلته. وقال الحسن: ما اجتمع ملاً على ذكر الله، فيهم عبدٌ من أهل الجنة إلا شفعه الله فيهم، وإن أهل الإيمان ليشفع بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفعون. [١٣٢] ﴿كَأَنَّ سَنَكَبْتَ مَا يَقُولُ وَنَعْمُ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، ﴿وَأَنْقُضُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]. ما الفرق بين: "مَدٌّ وَأَمَدٌّ؟" [الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أَمَدٌ) على (الخير) دائماً، بينما وردت كلمة (مَدٌّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشر، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تخلص بالمحسوب أو الخير. أما كلمة (أَمَدٌ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. أمثلة: أولاً- (مَدٌّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: ٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨، وطه: ١٣١]، ثانياً- (أَمَدٌ): ﴿وَأَنْقُضُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]، ﴿وَأَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، ﴿وَأَمَدَّكُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّائِسْتُونَ﴾ [الطور: ٢٢]، ﴿كَلَّا نُمَدِّدْ هَهُؤُلَاءِ وَهَهُؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

= في عصورهم حظاً، وأسهب الباحث الإنجليزي «توماس» في وصف تلك القبائل، وكان قد اكتشف آثاراً لمدينة قديمة أسستها واحدة من تلك القبائل، أطلق عليها العرب اسم «عبار»، وبعد أن راجع «كلاب» ما كتبه الباحث الإنجليزي، اقتنع بوجود تلك المدينة المفقودة، واستخدم طريقتين لإثبات وجود «عبار». أ- عندما وجد الآثار التي ذكرها البدو بالفعل، قدم طلباً للالتحاق بوكالة «ناسا» الفضائية ليتمكن من الحصول على صور لتلك المنطقة بالقمر الصناعي، وبعد عناء طويل نجح في إقناع السلطات بأن يلتقط صوراً للمنطقة. ب- قام «كلاب» بدراسة المخطوطات والخرائط القديمة بمكتبة «هانتيجتون» بولاية كاليفورنيا. بهدف الحصول على خريطة المنطقة، وبعد فترة من البحث وجد خريطة رسمها «بطلمي» عام ٢٠٠ ميلادية، وهو عالم جغرافي يوناني مصري، وتوضح الخريطة مكان مدينة قديمة اكتشفت بالمنطقة، والطرق التي تؤدي إلى تلك المدينة. وفي الوقت نفسه تلقى أخباراً بالتقاط وكالة ناسا الفضائية للصور التي جعلت بعض آثار القوافل مرئية بعد أن كان من الصعب تمييزها بالعين المجردة. وبمقارنة تلك الصور بالخريطة القديمة التي حصل عليها، توصل «كلاب» أخيراً إلى النتيجة التي كان يبحث عنها، ألا وهي أن الآثار الموجودة في الخريطة القديمة تتطابق مع تلك الصور التي التقطها القمر الصناعي، وأخيراً تم اكتشاف مكان المدينة الأسطورية التي ظلت طويلاً موضوعاً للقصص التي تناقلتها ألسن البدو، وبعد فترة وجيزة بدأت عمليات الحفر، وبدأت الرمال تكشف عن آثار المدينة القديمة، ولذلك وُصفت بأنها «أسطورة الرمال (عبار)». ٢- قال الدكتور «زارينز»، وهو أحد أعضاء فريق البحث وقائد عملية الحفر: إنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعد من العلامات المميزة لمدينة «عبار» وحيث إن مدينة «إرم» وُصفت في القرآن الكريم ﴿إِرمَ ذَاتِ الْأَعْمَادِ﴾ أي الأعمدة الضخمة فإن ذلك يُعد دليلاً على أن المدينة التي اكتشفت هي مدينة «إرم» التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي أُنشئت لتكون فريدة حيث يظهر العديد من الأعمدة التي غُطيت بالذهب أو صُنعت من الفضة رائعة المنظر. ٣- إن الذي يسافر إلى جزيرة العرب يلاحظ انتشار الصحاري بكثرة في معظم المناطق باستثناء المدن والمناطق التي زُرعت لاحقاً، ولكن القرآن الكريم يذكر أن هذه الصحاري كانت يوماً ما جنات وغيوناً، ﴿وَأَنْقُضُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَحَنْتٍ وَعْيُونٍ﴾. ولقد كشفت السجلات التاريخية أن هذه المنطقة تعرضت إلى تغيرات مناخية حولتها إلى صحاري، والتي كانت قبل ذلك أراضي خصبة منتجة، فقد كانت مساحات واسعة من المنطقة مغطاة بالخضرة، كما أخبر القرآن، ولقد كشفت صور الأقمار الصناعية التي التقطها أحد الأقمار الصناعية التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» عام ١٩٩٠م عن نظام واسع من القنوات والسدود القديمة التي استعملت في الري في منطقة قوم عاد، والتي وُصفت بأنها كانت قادرة على توفير المياه لـ ٢٠٠.٠٠٠ شخص. ٤- كما تم تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عاد، وقال أحد الباحثين: لقد كانت المناطق التي حول مدينة مأرب خصبة جداً، ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة. ٥- كما وصف الكاتب اليوناني «بليني» pliny هذه المنطقة أنها كانت ذات أراضي خصبة جداً، وكانت جبالها تكسوها الغابات الخضراء، وكانت الأنهار تجري من تحتها. ٦- ولقد وُجدت نقوش في بعض المعابد القديمة قريباً من حضرموت تُصور بعض الحيوانات مثل الأسود التي لا تعيش في المناطق الصحراوية، وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على أن المنطقة كانت جنات. ٧- أما سبب اندثار حضارة عاد، فقد فسره مجلة M'Interesse الفرنسية التي ذكرت أن مدينة «إرم» أو «عبار» قد تعرضت إلى عاصفة رملية عنيفة أدت إلى غمر المدينة بطبقة من الرمال، وصل سمكها إلى حوالي ١٢ متراً، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ...﴾ [فصلت: ١٦].

١٣٧- ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾: عاداتهم وسيرتهم. وقيل: دين الأولين وأخلاقهم. ١٣٨- ﴿وَمَنْ يَعْتَدِينَ﴾: وما الله بمعذبنا على هذا. ١٤٦، ١٤٧- ﴿أَتَتَّكُونَ فِي مَا هُنَّاءَ﴾: في هذه الدنيا. ﴿فِي جَنَّتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾: ماء. ١٤٨- ﴿طَلَعَهَا هَظِيمٌ﴾: حملها قد أينع ونضج، فهو هضيم. وقيل: «الهضيم»: الرطب اللين. ١٤٩- ﴿وَنَتَّحَتُونَ مِنْ الْجِبَالِ﴾: تتخذون منها ﴿يُوتَا فَرِهِينَ﴾: حاذقين بنحتها. وقيل: متجبرين. واللفظة مأخوذة من الفراهة، وهي جودة منظر الشيء وقوة كماله في نوعه. ١٥٣، ١٥٤- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: قيل: من المسحورين. وقيل معناه: من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب ﴿مِثْلَنَا﴾: لست برب ولا ملك فطيعك، لأن كل من كان من إنسان أو دابة فهو مسحور، من «السحر» بفتح السين، وهي الرثة، أي أنت ابن آدم مثلاً، لا يصح أن تكون رسولاً عن الله تعالى. ١٥٥- ﴿لَهَا شَرِبٌ﴾: شرب يوم ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٌ﴾: آخر ﴿مَعْلُومٌ﴾: ليس لها أن تشرب في يومكم من شربكم، ولا لكم أن تشربوا في يومها من شربها؛ ويعني بـ«الشرب»: الحظ والنصيب من الماء. ١٥٦- ﴿يَسُوءُ﴾: يعقر، أو ما يؤذيها من قتل أو نحوه ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾: فيحل بكم. ١٥٧- ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾: على عقربا، لما عرفوا أن العذاب نازل بهم. ونسب عقر الناقة إلى جميعهم مع أن الذي فعله واحد منهم، من حيث اتفقوا على ذلك رأياً وتديراً.

[١٤٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَأَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباد، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٤٠] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢- وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته متقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١٤٠] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصول رحمته إلى من شاء من خلقه.

١٣٧- ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾: عاداتهم وسيرتهم. وقيل: دين الأولين وأخلاقهم. ١٣٨- ﴿وَمَنْ يَعْتَدِينَ﴾: وما الله بمعذبنا على هذا. ١٤٦، ١٤٧- ﴿أَتَتَّكُونَ فِي مَا هُنَّاءَ﴾: في هذه الدنيا. ﴿فِي جَنَّتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾: ماء. ١٤٨- ﴿طَلَعَهَا هَظِيمٌ﴾: حملها قد أينع ونضج، فهو هضيم. وقيل: «الهضيم»: الرطب اللين. ١٤٩- ﴿وَنَتَّحَتُونَ مِنْ الْجِبَالِ﴾: تتخذون منها ﴿يُوتَا فَرِهِينَ﴾: حاذقين بنحتها. وقيل: متجبرين. واللفظة مأخوذة من الفراهة، وهي جودة منظر الشيء وقوة كماله في نوعه. ١٥٣، ١٥٤- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: قيل: من المسحورين. وقيل معناه: من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب ﴿مِثْلَنَا﴾: لست برب ولا ملك فطيعك، لأن كل من كان من إنسان أو دابة فهو مسحور، من «السحر» بفتح السين، وهي الرثة، أي أنت ابن آدم مثلاً، لا يصح أن تكون رسولاً عن الله تعالى. ١٥٥- ﴿لَهَا شَرِبٌ﴾: شرب يوم ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٌ﴾: آخر ﴿مَعْلُومٌ﴾: ليس لها أن تشرب في يومكم من شربكم، ولا لكم أن تشربوا في يومها من شربها؛ ويعني بـ«الشرب»: الحظ والنصيب من الماء. ١٥٦- ﴿يَسُوءُ﴾: يعقر، أو ما يؤذيها من قتل أو نحوه ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾: فيحل بكم. ١٥٧- ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾: على عقربا، لما عرفوا أن العذاب نازل بهم. ونسب عقر الناقة إلى جميعهم مع أن الذي فعله واحد منهم، من حيث اتفقوا على ذلك رأياً وتديراً.

[١٤٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَأَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباد، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٤٠] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢- وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته متقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١٤٠] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصول رحمته إلى من شاء من خلقه.

[١٤٩] ﴿وَكَاوُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوتَا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، ﴿وَنَتَّحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوتَا فَرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩]. وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتاً، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمّا آية الشعراء: وتحتون من الجبال بيوتاً ما هرين بنحتها، أشيرين بطيرين. [١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣، ١٨٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة في قصة صالح وشعيب عليهما السلام، وهي تبين ما ادّعاه قومهما من أن صالحاً وشعيباً من الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهما. [١٥٤] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]. قوله في قصة صالح: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، لأنه في قصة صالح بدّل من الأول، وفي الثانية عطف، وخصّص الأولى بالبدل؛ لأنّ صالحاً قلل في الخطاب، فقللوا في الجواب، وأكثر شعيب في الخطاب، فأكثروا في الجواب. [١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءٌ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءٌ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءٌ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، وزاد في الشعراء ذكر اليوم لأن قبله: ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٌ مَعْلُومٌ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]. ما الفرق بين: «المطر والغيث»؟ الجواب: المطر والغيث كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناها واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالاتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ جَلَازَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [١٣٧] ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ قرئ: (خُلُقٍ) بفتح الخاء وسكون اللام على أنه بمعنى الكذب والاختلاق واسم الإشارة راجع إلى ما أخبرهم به من البعث وغيره، أي: ما هذا الذي أخبرتنا به إلا كذب الأولين واختلاقهم من غير أن يكون له حقيقة، كما قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. وقرئ: (خُلُقٍ) بضم الخاء واللام بمعنى العادة والطبيعة، أي: ما هذا الذي نحيا عليه من الحياة في الدنيا؟ ثم المصير إلى الممات إلا عادة الأولين يعيشون ما يعيشون ثم يموتون، ولا بعث ولا نشور. [١٤٩] ﴿وَنَتَّحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوتَا فَرِهِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُّوتَا فَرِهِينَ﴾ قرئ: (فارهيـن) بإثبات ألف بعد الفاء على أنه = [١٤٨] ﴿وَزُرُوعٌ وَخَلٌّ طَلَعَهَا هَظِيمٌ﴾ [عجـاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحـرث) بمشتقاته (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزـرع) بمشتقاته (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحـرث) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الزـرع) ومشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل.

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٠﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْزِلِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٧٢﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٧٣﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٧٤﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٥﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨١﴾ كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٦﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٧﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٨﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٩﴾

١٦٥- ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: هم بنو آدم، أو كل حيوان. ١٦٦- ﴿قَوْمٌ عَادُونَ﴾: تتجاوزون ما أباح لكم ربكم وتعتدون. ١٦٧- ﴿لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ﴾: عن نهينا عما نأتيه ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾: من بين أظهرنا وبلدنا. ١٦٨- ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾: المبغضين المنكرين. ١٦٩- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: امرأة لوط عليه السلام. ﴿الغديرين﴾: الباقيين، لأنها لم تهلك مع قومها في القرية، وإنما أصابها الحجر بعدما خرجت عن القرية مع قوم لوط عليه السلام. ١٧٢- ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا﴾: أهلكنا ﴿الآخرين﴾: من قوم لوط بإمطار الحجارة. قال ابن عطية: وبذلك جرت السير في رجم من يعمل عمل قوم لوط. ١٧٣- ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾: فبئس ذلك المطر مطر المنذرين، الذين أنذرهم نبينهم فكذبوه. ١٧٦- ﴿أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾: أصحاب الغيبة والشجر الملتف، وهي واحدة «الأيكة»، وكل شجر ملتف فهو أيكة. وهم أهل مدين فيما ذكر. ١٨١- ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: ممن ينقص الناس حقوقهم. ١٨٢- ﴿بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: الذي لا يخس فيه. ١٨٣- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾: لا تنقصوا. ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾: حقوقهم. ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾: لا تكثرُوا في الأرض الفساد. يقال: «عتا» إذا أفسد.

١٧٠ ﴿فَجَنَّبْنَاهُ﴾ [يونس: ٧٣، الأنبياء: ٧٦، الشعراء: ١٧٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَجَنَّبْنَاهُ﴾. أنجبنا ونجبنا للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة. ١٧١-١٧٢ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ [الشعراء: ١٧١-١٧٢، الصفات: ١٣٥-١٣٦]. تكررت هذه الآيات في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والصفات، وهي تبين حال المهلكين من قوم لوط، والعجوز الهرمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها، ثم أهلكنا الباقيين المكذبين من قومه. ١٧٣ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣، النمل: ٥٨]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والنمل، ومعناها: وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر أهلكتهم، ففتح مطر من أنذرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أنزل بهم أشد أنواع الهلاك والتدمير. ١٧٦-١٧٧ ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٧]. لماذا لم يثبت أخوة شعيب في سورة الشعراء؟

الجواب: أحسن ما قيل في هذا أنه لما نسب القوم إلى موطنهم وقبيلتهم "مدين" عد شعيباً عليه السلام أخاً لهم فهو يشترك معهم في الجد الذي إليه ينتسبون، أما عندما تحدث القرآن عن المعتقد الذي كان عليه قوم شعيب عليه السلام وهو عبادة الأيكة، والأيكة هي عبادة الأشجار، أعرض القرآن عن ذكر وصف شعيب بأنه أخ لهم، لأنه عليه السلام وإن كان أخاً لهم نسباً فهو من القبيلة نفسها، إلا أنه بريء كل البراءة مما يعبدون، فلما نسب القوم إلى معتقدهم وأهلتهم الباطلة قال: ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، فلم يثبت له الأخوة هنا؛ لأنه لا إخاء عقدي يجمعه مع عبدة الشجر، والله أعلم.

[الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ يَكُفُّكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمْثَلْ غَيْثٍ عَجَبَ الْكَفَّارِ بِنَائِهِ﴾ [الحديد: ٢٠]. ١٩٢ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]. تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة خرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين. ٢١٤ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. إشارة إلى أن يبدأ الإنسان في كل دعوة خير بأهل بيته وأقاربه، لعل الله أن يهديهم فيشتد بهم أزره ويقوي أمره. ٢٢١-٢٢٢ ﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [التكوير: ٢٢]، ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]. كما ورد الفعل (تنزل) ثلاث مرات أيضاً. ورد الفعل (تنزل) لسببين: ١- توالي التآيين في الفعل (تنزل) يدل على الهدوء والترتيب، مما يناسب ذكره مع التنزل على المؤمنين بهدوء ورحمة. ٢- سبق في مطلع سورة فصلت قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، فالمصدر (تنزيل) فعله المضارع (يتنزل) أو (تنزل) فناسب هذا الفعل ذلك المصدر (الذي هو مصدر الفعل نفسه). أما الفعل (تنزل) فقد ورد لأسباب: ١- في سورة الشعراء: أ- الآيات قصيرة، ويناسب الآيات القصيرة الألفاظ المختصرة؛ لذا كان ذكر كلمة (تنزل) أنسب هنا من (تنزل). ب- كثرة مادة (نزل) في السورة؛ إذ وردت خمس مرات في الآيات: الرابعة (تنزل)، والثانية والتسعين بعد المائة (تنزيل)، والثامنة والتسعين بعد المائة (نزلناه)، والعاشر بعد المائتين (تنزلت)، وكثيرة ورود هذه المادة في سورة الشعراء، ناسب ذلك ذكر الفعل المختصر (تنزل). ج- حذف التاء من أول الفعل (تنزل) والعدول عنه إلى الفعل (تنزل) يدل على السرعة والخفة والخفاء، وهذه الحالة = اسم فاعل من فره ككرم بمعنى حذق. وقرئ: (فرهين) بدون ألف على أنه صفة مشبهة من فره بمعنى: بطر وأشر. ١٧٦ ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾. قوله تعالى: ﴿لَيْكَةِ﴾ هنا وص: ١٣، قرئ (ليكة) في الموضعين بلام وتاء مفتوحة، ومن قرأها بهذه الطريقة جعلها اسماً للبلد. وقرئ: (الأيكة) بإسكان اللام، وهمة وصل قبلها، وهمة قطع مفتوحة بعدها وجر التاء. والأيكة: البقعة ذات الشجر الملتف. ١٨٢ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾. قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بضم القاف وكسرها وهما لغتان، والضم لغة الحجازيين، والكسر لغة غيرهم.

١٦٠ ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكررُوا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجد أنها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

١٨٤- ﴿وَالْحِجْلَةَ الْأُولَى﴾: الخلق الأولين. ١٨٥- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: معللٌ تُعللُ بالطعام والشراب كما تُعللُ نحن بهما، ولست ملكاً. ١٨٧- ﴿كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: قطعاً من السماء، وناحية من السماء. ١٨٩- ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾: أصابهم حر أفلقهم في بيوتهم، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة فابتدروها، فلما تناموا تحتها انتهت عليهم ناراً فأحرقتهم. ١٩٢- ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يقول: وإن هذا القرآن لتنزيل رب العالمين. ١٩٣- ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: جبريل عليه السلام. ١٩٤- ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: تلاه عليك حتى وعاه قلبك ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: من رسل الله. ١٩٦- ﴿وَإِنَّهُ﴾: يعني: القرآن ﴿لَفِي زُجُرِ الْأُولَى﴾: يعني: إن ذكره في بعض ما نزل من كتب الله تعالى على بعض رسله. ١٩٧- ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾: حجة ودلالة على أنك رسول من رب العالمين ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أن يعلم حقيقة وصحته عبد الله بن سلام ومن أشبهه، ممن كان آمن برسول الله ﷺ في عصره، وإنما صارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين؛ لأنهم كانوا يرجعون إليهم ويعتدون بقولهم. ١٩٨- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾: على رجل من الأعجميين الذين لا يقدرُونَ على التكلم بالعربية. ١٩٩- ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾: يعني: على كفار قريش ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: ولقالوا: ما نفقه هذا ولا نفهمه. ٢٠٠- ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾: أدخلناه، أي سلكنا القرآن حتى فهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه معجز. وقيل: في تفسير بعيد: سلكنا التكذيب والكفر ٢٠٢- ﴿فِي أَنفُسِهِمْ بَغْتَةً﴾: فجأة. ٢٠٣- ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: مؤخرون وممهلون حتى نتوب. ٢٠٤- ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: لقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِرَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنُوءًا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كَسَفًا﴾ [سورة الإسراء: ٩٠-٩٢]. ٢٠٥- ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ﴾: أخرنا في آجالهم، ومتعناهم بالحياة ﴿سِنِينَ﴾. ٢٠٦- ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب والهلاك على كفرهم بآيات الله.

[٢٠٥-٢٠٨] قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ...﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم

قال: رُئي النبي ﷺ كأنه متحير فسأله عن ذلك، فقال «ولم؟ وأريت عدوي يكون من أمتي بعدي»، فنزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ...﴾ فطابت نفسه. [١٩٠-١٩١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٩٠-١٩١]. تكررت الآيات هنا وبعد كل قصة في السورة تنبيهاً على أن آيات الوحداية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم، وكل قصة جديدة بأن تختم بما اختتمت به صاحبها؛ ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقرت عن الإنصات للحق، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح أذناً، أو يفتح ذهنًا. [٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]، ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]. سورة الحجر تناولت من أولها أخبار المكذبين من كفار قريش وما يحملونه من عداوة للرسول ﷺ ورسالته، فجاء التعبير في الآية بلفظ المضارع المشعر باستمرار عداوتهم، أمّا آية الشعراء فتقدمها ذكر أحوال الأنبياء مع أقوامهم، كنوح وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، بعد ذلك جاء الحديث عن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُجُرِ الْأُولَى﴾ [الشعراء: ١٩٦]، فالكتب السابقة تصدقه، وهو كائن فيها باسمه ووصفه، ثم جاءت الآية: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾، فلاجل ذلك ناسب ذكر الماضي في الآية. [٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولَى﴾ [الحجر: ١٣]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١]. إن كفار قريش لا يُصدِّقون بالذكر الذي أنزل إليك، وقد مضت سنة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مثلهم، سيهلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمّا آية الشعراء فتبين أنه لا سبيل لكفار قريش إلى أن يتغيروا عمّا هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعانوا العذاب الشديد الذي وعدوا به. [٢٠٤] ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤، الصافات: ١٧٦]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والصافات، ومعناها: أغرّ هؤلاء إمهالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟.

= تناسب حال نزول الشياطين على الأفاكين في خفة وسرعة وخفاء؛ لذا ناسب ذلك ورود الفعل (تنزل). ﴿هَلْ أُنِثُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]. ٢- في سورة القدر: أ- ورد في أول السورة الفعل (أنزلناه)، والسورة قصيرة، وليس ثمة فاصل بين هذا الفعل وفعل التنزيل التالي: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ [القدر: ٤]، لذا ناسب الإتيان بهذه الصيغة المختصرة التي تناسب الآيات القصيرة من ناحية، وفيها تنويع وعدم تكرار من ناحية أخرى. ب- الفعل (تنزل) كما سبق يدلُّ على الخفاء والسرعة، ويناسب ذلك تنزل الملائكة ليلة القدر.

[٢٢٤] ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ يدل على أن أتباع الشعراء من أتباع الشيطان، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]. وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [١٨٧] ﴿فَأَسْقِطَ عَلَيْنَا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿كَسَفًا﴾ بفتح السين على أنه جمع كسفة، كقطعة وقطع. وقرئ: ﴿كَسَفًا﴾ بإسكان السين على أنه اسم جمع كسفة كسفرة وسدر، أو هو مفرد كالكسفة، وكأنهم طلبوا أن يسقط السماء عليهم طبقاً واحداً يظللهم، ونصب (كسفاً) على الحال من السماء، فالمعنى: أو تسقط السماء علينا قطعة أو قطعاً. [١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (نزل-الروح الأمين) بتخفيف الزاي ورفع الروح والأمين، على أنه فعل ثلاثي مجرد، والروح فاعله، والأمين صفته. وقرئ: (نزل-الروح الأمين) بنصب الروح والأمين على أن الفعل مزيد بالتضعيف، فاعله ضمير يعود على الله والروح "بالنصب مفعوله، والأمين" صفته. [١٩٧] ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ قرئ: (أولم يكن لهم آية) بالياء ونصب "آية" على أن "يكن" فعل مضارع متصرف من كان الناقصة، و"آية" خبرها مقدم، والمصدر المنسبك من أن وما بعدها اسمها مؤخر، والجار والمجرور حال من "آية" والأصل "أولم يكن علم علماء بني إسرائيل آية لهم". وقرئ: (أولم تكن لهم آية) بتأنيث "يكن" ورفع "آية" على أنها تامة، و"آية" فاعلها، والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله، والمصدر بعده بدل من "آية" أو عطف بيان، أو خبر لمبتدأ محذوف وقع بيانياً للآية، ولأنها كذلك =

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَى﴾ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿لِيَسَانِ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُجُرِ الْأُولَى﴾ ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿فِي أَنفُسِهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

[٣٧٥]

التعريف بالسور

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَاهُمْ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاءُ آخَرَفْتَكُوتَ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْبُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ الشُّعْرَاءِ ﴿٣٧﴾

٢٠٧- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾: «ما» استفهامية، والمعنى: هل زادهم تمتيعنا إياهم إلا خبالاً؟ وهل ينفعهم شيئاً؟ ويمكن أن تكون «ما» نافية، والمعنى: لم يغن عنهم تمتيعهم شيئاً. ٢٠٨- ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾: إلا بعد إرسالنا إليهم الرسل، ينذرونهم. ٢٠٩- ﴿ذَكَرْنَاهُمْ﴾: تذكراً وتنبهاً. ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: لهم، إذ عذبناهم بعد أن عتوا وتمادوا بعد الإعذار إليهم. ٢١٠- ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾: يعني: القرآن. ٢١١- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: وما يصلح ذلك لهم. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أن يتنزلوا به. ٢١٢- ﴿إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ﴾: عن استماعه في المكان الذي هو به من السماء. ﴿لَمَعَزُونَ﴾: لا يصلون إلى استماعه. ٢١٤- ﴿عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: أكثر الناس إليك قرابة من قومك. وقيل: إنه بدأ ﷺ لما نزلت هذه الآية ببني جده عبد المطلب وولده فحذرهم وأنذرهم، وقال: «يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب: اتقوا النار ولو بشق تمرة». وروى أنه قال ﷺ لهما: «إني لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم» رواه مسلم. ٢١٥- ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: ألن جانبك. ٢١٦- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: يعني: عشيرته الأقربين. ٢١٨- ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: إلى صلاتك، وأينما كنت. ٢١٩- ﴿وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدِ﴾: ويراك إن صليت في الجماعة، راکعاً وقائماً، وساجداً وجالساً. ٢٢١، ٢٢٢- ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ﴾: أخبركم. ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾: من الناس. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: قلب. ﴿أَفَّاكٍ﴾: كذاب من الناس. ﴿أَثِيمٍ﴾: آثم. ٢٢٣- ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾: يلقي الشيطان السمع، وهو ما يستمعون مما استرقوا سمعه من خبر حدث في السماء، إلى كل أفَّاكٍ أثيم من أوليائهم من بني آدم. ﴿وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ﴾: فيما يجربون، يزيد إلى الكلمة مما يلقي إليه، أكثر من مائة كذبة. ٢٢٤- ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: قيل: أهل الغي، لا أهل الرشد والهدى. ٢٢٥- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾: يعني: الشعراء. ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾: يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد، وإنما هو مثل ضربه الله في اقتنائهم فيما يفتنون فيه، فيمدحون بالباطل قوماً، ويهجون آخرين بالكذب والزور، عنى بذلك: شعراء المشركين، وبذلك أتت الروايات. ٢٢٧- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يعني: من الشعراء، وهم شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك. ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في شعرهم وكلامهم. ﴿وَانْتَصَرُوا﴾: من هجاءهم من شعراء المشركين. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بشركهم من أهل مكة. ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم.

[٢١٤] قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فأنزل الله ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه. وأخرج ابن عروة قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أنني منهم، فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ الآية. جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية، وهو يعلم أنا شعراء، هلكننا، فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ، فثلاها عليهم.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]. وما أهلكنا من قرية إلا ولاهلكها أجل مقدّر، لا نهلكهم حتى يبلغوه، مثل من سبقهم، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمّا آية الشعراء: وما أهلكنا من قرية من القرى في الأمم جميعاً، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلاً ينذرونهم. [٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. لم يتقدم آية الحجر تخصيصاً بمدعو بل تقدمها خطابه عليه السلام بالتأنيس والتسلية عمن أعرض، والرفق بمن آمن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ولم يحتج في سورة الحجر إلى زيادة، ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك تعالى تلطفاً وإنعاماً على من آمن من عشيرته عليه الصلاة والسلام وغيره، بقوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقيل هنا: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾، ليكون أنص في تعميم المؤمنين مطلقاً من العشيرة وغيرهم...

= صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلي جوف أحدكم قبحاً حتى يريه خير من أن يمتلي شعراً" متفق عليه. [٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]. هذا الذي ذكره هنا عن الشعراء من أنهم يقولون ما لا يفعلون، بين في آية أخرى أنه من أسباب المقْت عند جل وعلا، وذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: ٢-٣]. [٢٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. ذكر ابن إسحاق: أنه لما نزلت: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء. فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، قال: "أنتم". والآية فيها تهديد شديد، ووعد أكيد لما في ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ من تهويل. وفي ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من إطلاق وتعميم. وفي ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ من إيهام وتهويل. كأنه لا يمكن معرفته، وقد رأوا ما لحق بهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

= في مصحف أهل الكوفة والبصرة ومكة. [٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ (وتوكل) بالواو على أنه عطف على قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ﴾ وقرئ: (فتوكل) بالفاء على أنه واقع في جواب شرط مقدر يعلم من السياق، أي: فإذا أنذرت عشيرتك فعصوك فتوكل، أو معطوف على فعل قبله مرتب عليه بدون حذف، ولأنها كذلك في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، والله أعلم. [٢٢٤] ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُهُمُ﴾ في سورة الأعراف: ١٩٣، و﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ هنا، قرئ: (يتبعهم) بسكون التاء وفتح الباء الموحدة فيهما. وقرئ: (يتبعهم) بفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة فيهما، وهما لغتان، وقال أهل اللغة: تبعه مخففاً إذا مضى خلفه ولم يدركه، واتبعه مشدداً إذا مضى خلفه فأدركه.

١- ﴿طَسَّ﴾: قد تقدم القول في مثله. ٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: إنا جعلنا جزاءهم على كفرهم أننا زيننا لهم ما هم فيه ﴿فَهُمْ يَحْمَهُونَ﴾: يترددون فيها حيارى. ٥- ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: في الدنيا، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾: الأوضعون تجارة باشراتهم الضلالة بالهدى. ٦- ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى﴾: لنحفظ ﴿الْقُرْآنَ﴾: وتعلمه يا محمد ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: إن القرآن ليس من تلقاء محمد ﷺ ولكنه يتلقاه من الله تعالى. ٧- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾: بمعنى: حين قال موسى ﴿لَأَهْلِيهِ﴾: لزوجته وهي بنت شعيب، وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم، ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾: أبصرتها وأحسستها ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾: على الإضافة، بمعنى: شعلة نار اقتبسها منه، ومن قرأ بتنوين «شهاب» ف«قبس» بدل منه أو صفة له، لأنه بمعنى مقبوس. ٨- ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾: أتاها ﴿تُورِي﴾: يا موسى ﴿أَنْ بُرِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾: قدس من في النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: وكانت النار نور رب العالمين في الشجرة، فعنى بذلك: نفسه عز وجل «ومن حولها» حول النار من الملائكة ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾: تنزيها له عز وجل. ٩- ﴿إِنَّهُ﴾: معنى «الهاء» هاهنا بمعنى: إن الشأن والأمر. ١٠- ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾: كأنها حية عظيمة. و«الجان»: جنس من الحيات معروف ﴿وَلَىٰ مُدْبِرٌ﴾: هاربا خوفا منها ﴿وَلَمْ يَعْقَبْ﴾: لم يرجع، من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ ﴿لَدَى﴾: عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: رسلي وأنبيائي. ١١- ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: منهم فعمل بغير الذي أذن له في العمل به. والمعنى: لكن من ظلم، ﴿فَرُبَّ بَدَلٍ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾: يقول: فمن أتى ظلما وركب ماثما من خلق الله، ثم تاب من ظلمه ذلك وأتاب ﴿فَإِنِّي عُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فإن الله سائر عليه بعفوه، رحيم به. ١٢- ﴿فِي جَبِيكُ﴾: في مذرعة كانت عليه من صوف ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: من غير برص ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: يقول: فهي آية من تسع آيات أنت بها مرسل ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: ﴿فَنَسِفِينَ﴾: كافرين بالله عز وجل. ١٣- ﴿ءَايَاتُنَا﴾: أدللتنا وحجبتنا ﴿مُبْصِرَةً﴾: يبصرها من نظر إليها، ويرى حقيقتها.

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِيهِ إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا تُورِي أَنْ بُرِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسُوكَ بِهِنَّ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْشِي لَاتَخَفْ إِنِّي لَا يَخِيفُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عُفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فَيَسِّعْ آيَاتِي إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

[١] ﴿طَسَّ﴾ [النمل: ١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿طَسَّرَ﴾. انظر سورة الرعد آية: ١، عن قول العلماء في الحروف المقطعة. [١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١]. لماذا قدم الكتاب على القرآن في الحجر والعكس في النمل؟ **الجواب:** قدم الكتاب على القرآن في الحجر لأنه جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، أما في النمل فيأتي بعد الآية ذكر آية أهل القرآن: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٢]، فتأمل. [٢] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣]، لقمان: ٤. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل ولقمان، وهي تبين حال المؤمنين، وأنهم يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون. [٦] ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣، ١٢٨، ١٣٩]، [الحجر: ٢٥]، [النمل: ٦] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. متى تذكر ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟ **الجواب:** انظر سورة الأنعام آية: ١٢٨. [٧] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [١] إِذْ رَأَاهَا تَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]. هذه الآيات تشتمل على ذكر رؤية موسى النار، وأمره أهله بالمكث، وإخباره إياهم أنه آنس نارا، وإطماعهم أن يأتيهم بنار يصطلون بها، أو خبر يهتدون به إلى الطريق التي صلوا عنها، لكنه نقص في النمل ذكر رؤية النار، وأمرهم بالمكث؛ اكتفاء بما تقدم، وزاد في القصص قضاء موسى الأجل المضروب، وسيره بأهله إلى مصر؛ لأن الشيء قد يُجمل ثم يفصل، وقد يفصل ثم يجمل، وفي طه فصل، وأجمل في النمل، ثم فصل في القصص، وبالع في طه، وقوله في طه: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، أي: من يخبرني بالطريق فيهديني إليها، وإنما أخر ذكر الخبر فيها وقدمه فيها مراعاة لنواصل الآي في السور جميعا، وكرر ﴿لَّعَلِّي﴾ في القصص لفظا، وفيهما معنى؛ لأن ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ نائب عن ﴿لَّعَلِّي﴾ و﴿سَآتِيكُمْ﴾ يتضمن معنى ﴿لَّعَلِّي﴾، وفي القصص ﴿أَوْ جَذَوْفَ رَبِّ النَّارِ﴾، وفي النمل: ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾، وفي طه: ﴿يَقْبَسُ﴾؛ لأن جذوة من النار خشية في رأسها قبس به شهاب، فهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد. [٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا تُورِي﴾ [النمل: ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَلَمَّا أَنهَا تُورِي﴾ = [٤] ﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوِينَ فَتَنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]، ما الفرق بين: "العمى والعَمَه"؟ **الجواب:** (العمى) حقيقة خاص بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسببة ولا نقصا) ويستعار (العمى) لضلال المذهب والراي. أما (العَمَه) فخاص بفقد البصيرة، ويستعمل حقيقة في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائر فيها طريقا يطمئن إليه للخروج منها، ويستعار (العمه) للحيرة والتردد النفسي.

[٧] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِيهِ إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾ قرئ: (بشهاب) بالتنوين على أن "قبس" بدل أو صفة بتأويله بمقبوس، قال أبو عبيدة: الشهاب: النار، والقبس ما اقتبس منه، فعلى هذا يصح البدل، وهو مذهب الأخفش، كما تقول: "هذه دار" للآخر و"سوار ذهب" فأما إن جعلت "القبس" صفة "الشهاب" فهو اسم المقتبس، فوضع الاسم موضع المصدر، ووصف به، ودليل الصفة قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كما قالوا: درهم ضرب الأمير. وقرئ: (بشهاب) بترك التنوين على أن الإضافة كإضافة (ثوب خز - ودار أجرة - وسوار ذهب).

[١] ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾ **إعجاز عددي:** تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة النمل: نزلت بعد سورة الشعراء، وهي مكية بالاتفاق. عدد كلمات سورة النمل: ألف ومائة وتسع وأربعون. عدد حروف سورة النمل: أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون. أسماء سورة النمل: وسميت سورة النمل؛ لاشتغالها على مناظرة النمل سليمان عليه السلام. مواضع سورة النمل: مقصود السورة =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْتُ أَنَّمَا طَلِقْتُ الْطَّيْرَ
وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَخَشَرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾
فَنَبَسَ بِصَوَارِحِكُمْ قَوْلَهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا أَغْنِيَنِي عَنْكَ غَدَابَةُ شَدِيدًا وَلَا أَذْبَحُكَ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

(٣٧٨)

١٤- ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾: علموا يقيناً أنها من عند الله، فعاندوا ووجدوا الحق ﴿ظُلُمًا﴾: اعتداءً
﴿وَعُلُوًّا﴾: تكبراً. ١٥- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾: بكلام الطير والدواب، وغير ذلك مما
خصهما به ﴿الَّذِي فَضَّلَنَا﴾: بما خصنا به. ﴿مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من بني آدم في زماننا هذا. ١٦- ﴿وَوَرِثَ
سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾: علمه الذي كان آتاه الله في حياته، والملك على قومه بعده ﴿عِلْمًا﴾: فهمنا ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ﴾: تدعو إليه الحاجة، كالعلم والنبوة، والحكمة، والمال، وتسخير الجن والإنس والطير والرياح
والوحش... ﴿الْمُبِينُ﴾: الظاهر. ١٧- ﴿وَخَشَرَ﴾: جمع له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُحبس ويرد أولهم على
آخرهم حتى يجتمعوا. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف، يزع من تقدم منهم. ١٨- ﴿لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسركم، وقد يشير هذا الفعل إلى أن أجسام النمل زجاجية. والله أعلم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:
أنهم يحطمونكم. ١٩- ﴿أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني وحرّضني. ٢٠- ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: فيما غاب من
سائر أجناس الطير. ٢١- ﴿لَا أَغْنِيَنِي عَنْكَ غَدَابَةُ شَدِيدًا﴾: كان تعذيبه للطير، فيما ذكر، أن يحبسه مع
أعداده ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بعذر بين. ٢٢- ﴿فَمَكَثَ﴾: سليمان ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: غير طويل من حين
تفقدته ﴿فَقَالَ﴾: الهدهد: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ﴾: علمت ما لم تعلم ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾: أدركت
ملكاً لم يبلغه ملكك. و"سبأ" اسم لمدينة كانت تحكمها بلقيس بنت شرجيل.

[طه: ١١، القصص: ٣٠]. قوله تعالى في النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾، وفي القصص وطه: ﴿فَلَمَّا أَنَهَا
نُودِيَ﴾، قال في هذه السورة: ﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْلَ لَعْنِكُمْ تَصْطَلُوتُ﴾ [النمل: ٧]،
فكرر ﴿بَشِيرٍ﴾، فاستثقل الجمع بينهما وبين ﴿فَلَمَّا أَنَهَا نُودِيَ﴾، فعدل إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾،
بعد أن كانا بمعنى واحد، وأما في السورتين - طه والقصص - فلم يكن "إِلَّا سَأَتِيكُمْ" "فَلَمَّا أَنَهَا".

[١٠] ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْقَبُ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾
[النمل: ١٠]، ﴿وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْقَبُ يَمُوسَى أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ

مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]. قوله تعالى في النمل: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾، وفي القصص: ﴿وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ﴾؛ لأن في هذه السورة ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾ [النمل: ١٠]، فحيل بينهما هذه الجملة فاستغني عن إعادة "أَن"، وفي القصص: ﴿أَن يَمُوسَى
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣٠-٣١]، فلم يكن بينهما جملة أخرى عطف بها على الأولى، فحُسن إدخال "أَن". أما قوله تعالى في
النمل: ﴿لَا تَخَفْ﴾، وفي القصص: ﴿أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ﴾، بزيادة ﴿أَقِيلَ﴾، لأن ما في النمل بُني عليه كلام يناسبه، وهو: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]، فناسبه
الحذف، وما في القصص لم يُبنَ عليه شيء، فناسبه زيادة ﴿أَقِيلَ﴾ جبراً له، وليكون في مقابلة ﴿مُدْبِرًا﴾، أي: أقبل آمناً غير مدبر ولا تخف.

[١٢] ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]. جاءت النمل بلفظ "أَدْخَلَ" وفي القصص
بلفظ "اسلك"، لأن الإدخال أبلغ من السلوك، وماضيه أكثر حروفاً من ماضي السلوك، فناسب "أَدْخَلَ" كثرة الآيات في قوله: ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ في سبع
آيَاتٍ، أي: معها مرسلًا إلى فرعون، وناسب "اسلك" قلتها، وهي سلوك اليد وضُم الجناح، المعبر عنهما بقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِ﴾. أما قوله تعالى في النمل: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾، وفي القصص: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، فلأن الملائة أشرف القوم، وكانوا في سورة النمل موصوفين
بما وصفهم الله به من قولهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَائِنُنَا مُبْصَرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: ١٤]، فلم يستهم ملاً، بل ستمهم قوماً، وفي القصص لم
يكونوا موصوفين بتلك الصفات، فستاهم ملاً، وعقبه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. [١٩] ﴿فَنَبَسَ بِصَوَارِحِكُمْ
قَوْلَهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الأحقاف: ١٥]. آية النمل في سياق قصة سليمان عليه السلام حين استشعر نعمة الله عليه، فتوجه إليه داعياً: رَبِّ أَلْهِمْنِي، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت
عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم، وأما الأحقاف: فهي
تحدث عن الإنسان حين يبلغ نهاية قوته البدنية والعقلية، وهي بلوغ الأربعين سنة، دعا ربه قائلاً: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والديّ،
واجعلني أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

[٢١] ﴿أَوْ لَاذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ لِيَأْتِنِي﴾ قرئ: (ليأتيني) بنونين: الأولى مشددة مفتوحة، والثانية مكسورة خفيفة على أن النون
الأولى للتوكيد، والثانية نون الوقاية. وقرئ: (ليأتيني) بنون واحد مشددة مكسورة على أنها نون التوكيد كسرت لمناسبة الياء، وحذفت "نون الوقاية" للتخفيف.
[٢٢] ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ... وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ﴾ قرئ: (فمكث-فمكث) بفتح الكاف وضمها وهما لغتان، والفتح أكثر وأشهر،
ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ﴾. قوله تعالى: ﴿سَبَإٍ﴾ فيها ثلاث قراءات: هنا وفي "سبأ: ١٥" قرئ: (سبأ) بالجر مع التثنية بناءً على أنه علم على الحي،
الثانية: (سبأ) بفتح الهمزة وترك التثنية بناءً على منعه من الصرف للعلمية والتأنيث، إذ هو علم على قبيلة معينة. الثالثة: (سبأ) بالسكون بناءً على إجراء الوصل
مجرى الوقف، أو أنه سكن تخفيفاً لتوالي سبع متحركات، وإن كان الإسكان في الوصل بعيد غير مختار.

[١٨] ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. النملة تحطم: في زمن نزول
القرآن لم يكن لأحد قدرة على دراسة تركيب جسم النملة أو معرفة أي معلومات عنه، ولكن وبعد دراسات كثيرة تأكد العلماء أن للنمل هيكلًا عظيمًا =
ومعظم ما تضمنته: بيان فضل القرآن، وما منه نصيب أهل الإيمان، والشكاية من مكر أهل الشرك والعصيان، وإشارة إلى ذكر الوادي المقدس وموسى بن عمران،
وذكر خبر داود وسليمان، وفضل الله تعالى عليهما بتعليمهما منطق الطير وسائر الحيوان، وقصة النمل، وذكر الهدهد وخبر بلقيس، ورسالة الهدهد إليها =

٢٣- ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: يعني: تملك سبأ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يُعْطَاهُ الْمَلُوكُ فِي الدُّنْيَا. ٢٤- ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا﴾: من سبأ ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: منعهم بتزيينه عن الطريق المستقيم، وهو دين الله تعالى. ٢٥- ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾: بمعنى: زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله. ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾: المخبوء ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من غيث السماء ونبات الأرض. ٢٦- ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: الذي كل عرش - وإن عظم - لا يشبهه. وهذا كله كلام الهدد من قوله: ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ إلى هاهنا. ٢٨- ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: كن قريباً منهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: ماذا يكون من مراجعة المرأة قومها. ٢٩- ﴿الْمَلَأُوا﴾: من أشرف قومها. ٣١- ﴿أَلَا تَتْلَوْنَ عَلَى وَأَتُونَ مُسْلِمِينَ﴾: أي: لا تتكبروا كما يفعله جبابرة الملوك. وكانت بارض يقال لها: «مارب» من صنعاء على ثلاثة أيام، ومعنى (مسلمين): مُدْعَيْنَ الله بالوحدانية والربوبية. ٣٢- ﴿أَفْتُونِي﴾: أشيروا عليّ ﴿حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾: حتى تحضروا عندي، فاشاوركم فيه. ٣٣- ﴿أُولُوا قُوَّةٍ﴾: على القتال ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: في الحرب. ٣٤- ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: عنوة، أو غزاة طامحين ﴿أَفْسَدُوهَا﴾: خربوها ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: هو من قول الله عز وجل، ليس من قول بلقيس يومئذ. ٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾: يعني: إلى سليمان ﴿بِهَدْيَةٍ﴾: لتختبره بها، فإن كان ملكاً قبلها وانصرف، وإن كان نبياً لم يقبلها، ولم يرضه منا إلا أن تبعه على دينه. ويدل هذا الذي حكاه الله تعالى من أقوال بلقيس ومواقفها وأعمالها على أنها كانت تتصف بالخصافة، وأنها حكمت قومها بالشورى. [٣٠] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله عَزَّ وَجَلَّ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٣٠، ٤٠] معنى اسم الله الرحمن الرحيم والكريم: قال الشيخ السعدي:

الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدُلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، =

[٢٤] ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. آية النمل تتحدث عن قوم سبأ، وتبين أن الشيطان قد حسن لهم أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده، وأمَّا آية العنكبوت فتتحدث عن عاد وثمود وما حل بهم، وذلك بسبب تحسين الشيطان لهم أعمالهم القبيحة، فصدهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسوله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

[٢٥] ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (أَلَّا) بلام مشددة بعد الهمزة على أن أصله "أن لا" أدغمت النون في اللام، و"يسجدوا" فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، و"أن" وما دخلت عليه بدل من (أعمالهم)، والتقدير: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا؛ لأن البدل على نية الطرح والرمي، أو مفعوله، ليهتدون، أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا، أو بدل من السبيل على زيادة "لا" فيها وفي الوجه الذي قبلها، والتقدير: وصدهم عن السجود، ولا يحسن في هذه الوجوه الوقف على ما قبل "ألا" ولا الابتداء "بالا" لأنك تفرق بين الفاعل والمفعول فيه. الثانية: (أَلَّا) بتخفيف اللام على أن "ألا" حرف تنبيه و"يا" هي حرف النداء والمنادي محذوف، وبقيت "يا" تدل عليه، وذلك جائز في لغة العرب، قد جاء ذلك في أشعارها وكلامها، فيكتفون بـ "يا" عن الاسم المنادي أو يحذفونه لدلالة الكلام، و"يا" عليه، يقولون: "ألا يا هؤلاء انزلوا" أراد: "ألا يا هؤلاء انزلوا" فتقدير الآية على ذلك: "ألا يا هؤلاء اسجدوا"، فلذلك قلنا: يقف على "ألا" وعلى "يا". ويبدأ "اسجدوا" بهمزة وصل مضمومة لضم ثالثها، وقد حذف في الوصل ألف يا، وهمزة الوصل كما حذف من يا بنؤم، وعلى هذه القراءة يتم الكلام، إذ لا تعلق له بما بعده من حيث الإعراب بخلافه على القراءة الأولى. إذ إن قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بدل مما قبله، والرسم يحتملها، فعلى قراءة التشديد حذف النون للإدغام، وعلى قراءة التخفيف حذف همزة الوصل من اسجدوا، وألف يا للساكن. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قرئ: (تخفون - تعلنون، يخفون - يعلنون) بالخطاب وبالغية فيهما، ومن قرأ بالخطاب فمنهم: من قرأ بتخفيف اللام من = خارجياً صلباً جداً، ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم، ولذلك قال تعالى على لسان النملة: ﴿لَا تَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ﴾ وبالتالي فإن كلمة "يَحْطُمَنَّكُمْ" دقيقة جداً من الناحية العلمية، فسبحان الله! [٢٤] ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود بمشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن. [٢٤] ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وإذا مشتقات كلمة (الملائكة) (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) (٢٠) مرة. وإذا أضيف إلى عدد المشتقات بالمتشقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة في القرآن.

= من سليمان، ومشاورتها أركان الدولة، وبيان أثر الملوك إذا نزلوا في مكان، وإهداء بلقيس إلى سليمان، وتهديدها، ودعوة آصف لإحضار تخت بلقيس في أسرع زمان، وتغيير حال العرش لتجربتها، وإسلامها على يدي سليمان، وحديث صالح ومكر قومه في حقه، وطرف من حديث قوم لوط أولى الطغيان، والبرهان في =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ إِيَّايَ الْفَىٰ إِلَىٰ كَيْتِبَ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونَ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَنْحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدُلُّ كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، =

[٢٤] ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. آية النمل تتحدث عن قوم سبأ، وتبين أن الشيطان قد حسن لهم أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده، وأمَّا آية العنكبوت فتتحدث عن عاد وثمود وما حل بهم، وذلك بسبب تحسين الشيطان لهم أعمالهم القبيحة، فصدهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسوله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

[٢٥] ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (أَلَّا) بلام مشددة بعد الهمزة على أن أصله "أن لا" أدغمت النون في اللام، و"يسجدوا" فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، و"أن" وما دخلت عليه بدل من (أعمالهم)، والتقدير: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا؛ لأن البدل على نية الطرح والرمي، أو مفعوله، ليهتدون، أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا، أو بدل من السبيل على زيادة "لا" فيها وفي الوجه الذي قبلها، والتقدير: وصدهم عن السجود، ولا يحسن في هذه الوجوه الوقف على ما قبل "ألا" ولا الابتداء "بالا" لأنك تفرق بين الفاعل والمفعول فيه. الثانية: (أَلَّا) بتخفيف اللام على أن "ألا" حرف تنبيه و"يا" هي حرف النداء والمنادي محذوف، وبقيت "يا" تدل عليه، وذلك جائز في لغة العرب، قد جاء ذلك في أشعارها وكلامها، فيكتفون بـ "يا" عن الاسم المنادي أو يحذفونه لدلالة الكلام، و"يا" عليه، يقولون: "ألا يا هؤلاء انزلوا" أراد: "ألا يا هؤلاء انزلوا" فتقدير الآية على ذلك: "ألا يا هؤلاء اسجدوا"، فلذلك قلنا: يقف على "ألا" وعلى "يا". ويبدأ "اسجدوا" بهمزة وصل مضمومة لضم ثالثها، وقد حذف في الوصل ألف يا، وهمزة الوصل كما حذف من يا بنؤم، وعلى هذه القراءة يتم الكلام، إذ لا تعلق له بما بعده من حيث الإعراب بخلافه على القراءة الأولى. إذ إن قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بدل مما قبله، والرسم يحتملها، فعلى قراءة التشديد حذف النون للإدغام، وعلى قراءة التخفيف حذف همزة الوصل من اسجدوا، وألف يا للساكن. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قرئ: (تخفون - تعلنون، يخفون - يعلنون) بالخطاب وبالغية فيهما، ومن قرأ بالخطاب فمنهم: من قرأ بتخفيف اللام من = خارجياً صلباً جداً، ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم، ولذلك قال تعالى على لسان النملة: ﴿لَا تَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ﴾ وبالتالي فإن كلمة "يَحْطُمَنَّكُمْ" دقيقة جداً من الناحية العلمية، فسبحان الله! [٢٤] ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود بمشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن. [٢٤] ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وإذا مشتقات كلمة (الملائكة) (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) (٢٠) مرة. وإذا أضيف إلى عدد المشتقات بالمتشقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة في القرآن.

= من سليمان، ومشاورتها أركان الدولة، وبيان أثر الملوك إذا نزلوا في مكان، وإهداء بلقيس إلى سليمان، وتهديدها، ودعوة آصف لإحضار تخت بلقيس في أسرع زمان، وتغيير حال العرش لتجربتها، وإسلامها على يدي سليمان، وحديث صالح ومكر قومه في حقه، وطرف من حديث قوم لوط أولى الطغيان، والبرهان في =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّوْنِي بِمَالِ فَمَاءَ اتْنِ﴾: أعطاني ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُون﴾:

يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتكم إلي، بل أنتم تفرحون بما يهدي إليكم لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله قد ملكني ما لا يملك أحدًا. ٣٧- ﴿لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا﴾: لا طاقة على دفعهم ﴿وَلَخَرَجَهُمْ مِمَّا آذَلَهُ وَهُمْ صَغُرُونَ﴾: إن لم يأتوني مسلمين، والصغار: الذلة. وقيل: المراد به هنا: الأسر والاستعباد. ٣٨- ﴿قَالَ﴾: سليمان: ﴿يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾: وهو سرير ملكها ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: طائعين. ٣٩- ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: رئيس منهم: ﴿مِّنْ مَّقَامِكَ﴾: مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم. ٤٠- ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾: رجل من الإنس. وقيل: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: قبل أن يرجع إليك طرفك، أي بصرك، من عند منتهى نظرك. ﴿لِيَبْلُوكَ﴾: ليختبرني. ٤١- ﴿تَكَرَّوْا لَهَا عَرْشَهَا﴾: غيروه وزيدوا فيه وانقصوا منه ﴿نَظَرُ أَهْنَدَى﴾: أتعرف عرشها الذي هو لها؟ وقيل: أنهتدي إلى الإيمان بالله. ٤٢- ﴿كَانَهُ هُوَ﴾: شككت فيه ﴿وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾: قال سليمان: وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: به من قبلها. ٤٣- ﴿وَصَدَّهَا﴾: ومنع هذه المرأة ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: منعناها عبادتها الشمس أن تعبد الله. ﴿إِنَّهَا كَانَتْ﴾: كافرة ﴿مِّن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾. ٤٤- ﴿أَدْخَلِي الصَّرْحَ﴾: ذكر أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا له صرحاً كهيئة السطح من زجاج، وأجرى من تحته الماء، وسحر فيه دواب البحر والحيتان والضفادع، ثم وضع له فيه سريره، وجلس فيه، وعكف عليه الطير والجن والإنس، ثم قال: «ادخلي الصرح» ليختبر عقلها، ويرى ما كان قد زعمت الجن، وقالت إن رجلها كحافر الحمار. ﴿حَبِيبَتُهُ لُجَّةٌ﴾: بجراً ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾: لتخوضه إلى سليمان ﴿إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾: بناء مماس مشيد من قوارير، فعلمت أنها قد غلبت. = وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. قال ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (١) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥): [العلق: ٥]: سمي ووصف نفسه بالكرم، وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق لبيتين أنه ينعم على المخلوقين، ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)﴾ [الأعلى: ٣]، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾ [طه: ٥٠]، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَهُوَ يُهْدِينِ (٧٨)﴾ [الشعراء: ٧٨]، فالخلق يتضمن الابتداء، والكرم يتضمن الانتهاء. كما قال في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ الْاَلَمِينَ﴾، ثم قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ولفظ الكرم جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه... والله سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها. فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم) فإنه لا يدل على الحصر. وقوله: ﴿الْأَكْرَمُ﴾ يدل على الحصر، ولم يقل: ((الأكرم من كذا)) بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه. معنى اسم الله الحكيم: والله سبحانه هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحتمل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه. وهو العدل في تقديره، وتديره، وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، وأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة كما قدمنا. [٤٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ غَيْرَ اللَّهِ أَغْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٤٠] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكماله صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، كريماً، ومخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

= "ألا" ومنهم من قرأ بالتشديد فيها، وكذلك من قرأ بالغيبة، فمن قرأ بالخطاب وهو يقرأ بتخفي "ألا" فهو لمناسبة النداء والأمر، والمخاطب مَنْ حُكِيَتْ لَهُمُ القصة، وهم المؤمنون والنبى صلى الله عليه وسلم. ومن قرأ بالخطاب مع التشديد فللالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن قرأ بالغيبة مع التشديد فعلى أصل: أسلوب الكلام نحو: "لا يهتدون، يسجدوا" فالضمائر كلها للغيبة. [٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّوْنِي بِمَالِ فَمَاءَ اتْنِ﴾: أعطاني ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُون﴾: قوله تعالى: ﴿أُمِدُّوْنِي﴾: قرئ: (أُمددون) بنون مشددة على الإدغام لاجتماع المثلين فيمد الواو لالتقاء الساكنين. وقرئ: (أُمددون) بنونين على الأصل: نون الرفع، ونون الوقاية. [٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيبَتُهُ لُجَّةٌ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾: صَرَحٌ مُّمرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: قوله تعالى: ﴿سَاقِهَا﴾: ساقها بعد السين. وقرئ: (سائقها) بهمز ساكن بعد الألف، وهما لغتان. وتقدم إبدال الهمز وتحقيقه في بابه، وقال أبو محمد: إن همز هذه الكلمة ونظائرها بعيد في العربية إذ لا أصل لها في الهمز، فحجة من همز أنه قال: الهمز على توهم الضمة قبل الواو، فكأنه همز الواو، وإذا انضم ما قبلها فيهمزها كأنها لغة، وهي قليلة خارجة عن = [٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾: إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد) بمشتقاتها (٥٠) مرة في القرآن. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد) بمشتقاته، وورد كل منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

= الحدائق، والأشجار، والبحار، والأنهار، وإجابة الحق دعاء أهل التضرع، والابتهاال إلى الرحمن، وهداية الله الخلق في ظلمات البر، والبحر، واطلاع الحق تعالى على أسرار الغيب، وتسلية الرسول ﷺ في إعراض المنكرين من قبول القرآن، وقبول الإيمان، وخروج الدابة، وظهور علامة القيامة، والإخبار عن حال الجبال في =

٤٥- ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فريق مؤمن يُصدق صالحاً، وفريق كافر يكذبه «يختصمون»: يختلِفون.
 ٤٦- ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالعذاب قبل العافية والرحمة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: هلاً تتوبون إلى الله ليرحمكم. ٤٧- ﴿قَالُوا أَطِيعُوا نَبِيَّكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ﴾: أي تشاء منا بك ومن معك، من أتباعك، زجرنا الطير بأننا ستُصيبنَا بك وبهم المكاره ﴿قَالَ طَبِيعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: علمكم عنده، وما زجرتم من الطير بما يصيبكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: يختبركم ربكم، أطيعونه أم تعصونه؟ ٤٨- ﴿وَكُنَّا فِي الْمَدِينَةِ﴾: التي فيها صالح وهي حِجْر ثمود ﴿سِتْعَةَ رَهْطٍ﴾: تسعة أنفس ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يكفرون بالله ويعصونه، وخص الله التسعة بالخبر عنهم دون الكفار من قومهم، لأنهم أصحاب «قدار بن سالف» عاقر الناقة. ٤٩- ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾: تحالفوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّ صَالِحًا بَغْتَةً فِي وَاقْتِ الْبَيَاتِ وَأَهْلَهُ﴾: فلنقتله ولنقتله لولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: أي: ما حضرنا قتلهم، ولا ندري مَنْ قتلهم وقتل أهله. فاتوه ليلاً ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة! ٥٠- ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾: بمصيرهم إليه ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكْرًا مَكْرًا﴾: عجلنا لهم العذاب. ٥١- ﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾: يعني: التسعة رهط المذكورين ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك لم يشذ منهم أحد. ٥٢- ﴿خَاوِيَةً﴾: خالية منهم. ٥٤- ﴿وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾: أنها فاحشة لم يسبقكم إليها أحد.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] الوحيدة في القرآن الكريم وباقي المواضع ﴿وَالْإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]. ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً: أن وحدوا الله، ولا تجعلوا معه إلهاً آخر، فلما أتاهم صالحٌ داعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه، فهذا ما دلت عليه آية النمل، أمّا باقي

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَبِيَّكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ قَالَ طَبِيعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكُنَّا فِي الْمَدِينَةِ سِتْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّكَ وَأَهْلَكَ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّكَ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُورُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَافَ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ ﴿٥٤﴾ أَيْتَكُمْ لَأَتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

(٣٨١)

المواضع: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً لِمَا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى، فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة... [٥٣] ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُورُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُورُونَ﴾ [فصلت: ١٨]. خُصَّتْ سورة النمل بـ "أنجيناً" موافقة لما بعده وهو: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٥٧]، وبعده: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ [النمل: ٥٨]، كلّه على لفظ "أفعل"، وخصّ حم بـ "نجينا" موافقة لما قبله: ﴿وَزَيْنًا﴾ [فصلت: ١٢]، وبعده: ﴿وَقِصَصَنَا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وكلّه على لفظ "فعل"، والتضعيف في ﴿وَأَنْجَيْنَا﴾ يفيد التكرير. [٥٤] ﴿وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾ [النمل: ٥٤] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿أَلْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٠، العنكبوت: ٢٨]. اختلاف مقالات الأنبياء لأمرهم إنما هو لا اختلاف مقاماتهم، إذ ليس دعاؤهم إياهم في موقف واحد ولا لقوم مخصوصين، بل يدعو النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتى، وقد يكون للطائفة منهم خصوص مرتكب فيراعى نبيهم ذلك في دعائهم، وقد يخاطب ملاهم الأعظم في مواطن، والفئة القليلة منهم في موطن آخر، وربما أطال في موطن وأوجز في موطن، وذلك بحسب ما يروونه عليهم السلام أجدى وأنفع، ولا اختلاف مجاوبة أمهم لهم. وقد تقدم في سورة النمل قوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَتَيْنَاهُمْ مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣]، أي: بينة واضحة، جحدوا بها، فلما تقدم هذا ناسبه في قصة لوط عليه السلام قوله: ﴿وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾، ولقبّح هذا التعامي أعقب بقوله بعد: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. [٥٥] ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. ﴿مُسْرِفُونَ﴾ هنا بلفظ الاسم، وفي النمل ﴿مُجْهَلُونَ﴾ بلفظ الفعل، لأنّ كلّ إسراف جهل وكلّ جهل إسراف، ثم ختم آية الأعراف بلفظ الاسم؛ موافقة لرؤوس الآيات المتقدمة، وكلها أسماء: "للعالمين، الناصحين، جاثمين".. وفي النمل وافق ما قبلها من الآيات، وكلها أفعال: "تبصرون، يتقون، يعملون".

[٤٧] ﴿قَالُوا أَطِيعُوا نَبِيَّكُمْ﴾ [النمل: ٤٧]، ﴿قَالُوا إِنَّا نَطِيعُكَ يَا نَبِيَّكُمْ﴾ [يس: ١٨]. ما الفرق بين: "نطيرنا واطيرنا"؟ الجواب: وردت كلمة (نطيرنا) وأيضاً كلمة (اطيرنا) مرة واحدة في القرآن الكريم. لعل إدغام حرف التاء في الطاء في كلمة (اطيرنا) (من غير ضرورة صوتية) يشير إلى الضيق المشعور به. على العكس من الصيغة الأخرى (نطيرنا) التي لا إدغام فيها، فهي تعبير طبيعي عن المعنى دونما شعور بالضيق. كما أن إدغام التاء في الطاء في كلمة (اطيرنا) فيه تضخيم للصوت وضغط على نطق الحرف ليكون ذلك أقوى تعبيراً عن الضيق. لم جاءت كلمة (اطيرنا) في موضعها؟ جاءت هذه الكلمة التي تعبر عن حالة الضيق في موقعها مناسبة جداً، حيث إن قوم صالح كانوا فريقين يختصمون، والقوم الذين يختصمون فيما بينهم وهم على ملة واحدة هم أشد خصومة مع النبي الذي أتاهم ليدعوهم إلى تغيير اعتقادهم الفاسد وسلوكهم الخاطيء إلى الوحدانية والإيمان برب البرية، فناسب ما هم فيه من ضيق الإتيان بكلمة تعبر عن ضيقهم وحالهم (اطيرنا). = القياس، ويقال: من همز في ساقها وسوقه، فلجواز همزه في الجمع في قولك: سؤق وهو أيضاً ضعيف؛ لأنه يلزم منه جواز همز (دار) فنقول في الجمع: (أدور)، وهمز دار لا يجوز. ووجه من لم يهمز فعلى الأصل لأن كل من ليس له أصل في الهمز فلا يهمز إلا لعله نحو: أن تكون فيه واو مضمومة. [٤٩] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّكَ وَأَهْلَكَ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّكَ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَنُبَيِّتَنَّكَ - لَنَقُولَنَّ﴾ قرئ: (لنبيتنّه - لنقولن) بنون في أول الفعلين وفتح ما قبل نون التوكيد على أن كلا منهما فعل مسند إلى ضمير جماعة المتكلمين، وهو حكاية لما قالوه، وبناء الفعلين على الفتح لمباشرتهما نون التوكيد لفظاً وتقديراً. وقرئ: (لنبيتنّه - لنقولن) بناء في أول الفعلين وضم ما قبل نون التوكيد، ووجه هذه القراءة أنه قصد حكاية ما قال بعضهم لبعض، أي: قال بعضهم لبعض، واحلفوا بالله لنبيتنّه... إلى آخره، فبعضهم يخاطب بعضاً بهذا الكلام، وأما ضم الفعلين لانفصالهما عن نون التوكيد تقديراً، إذ الأصل: "لنبيتنّه ثم لنقولنّه" حذف نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الجماعة لالتقاء الساكنين اكتفاء بالضمّة التي قبلها. قوله تعالى: ﴿مَهْلِكٌ﴾ قرئ: (مهلك) بفتح الميم واللام على أنه مصدر هلك فمهلك وهلاك، مصدران لهلك، و"الأهل" فاعلون في المعنى لأن هلك لا يتعدى في أكثر اللغات، وقد حكى أن بني تميم يقولون: (هلكني الأمر) = ذلك اليوم، وبيان جزاء المجرمين، وإعراض الرسول ﷺ عن المشركين، وإقباله على القرآن الكريم، وأمر الله له بالحمد على إظهار الحجة، أعني القرآن في قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرِيكُمْ إِلَيْهِ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَجْبَنَتْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بِهَجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمِنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرَائِكُمْ يَدَى رَحْمَتِهِ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٥٦- ﴿أَنْسَاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾: عما نفعه من إتيان الذكور في أدبارهم، قالوا ذلك استهزاء بهم وكراهية للطهارة والمتطهرين. ٥٧- ﴿قَدَرْنَاهَا﴾: جعلناها، وقدرنا كونها ﴿مِنَ الْغَيْرِينَ﴾: الباقين للعذاب. ٥٨- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: حجارة من سجيل ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾: ساء ذلك المطر مطراً لقوم أُنذِرهم الله عز وجل عقابه. ٥٩- ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على نعمه علينا بالهدى ﴿وَسَلَامٌ﴾: أمنة منه ﴿اصْطَفَى﴾: اختارهم محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه ﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾: يقول عز وجل: قل لمشركي قومك: الذي أنعم على أوليائه بما قصه عليكم خير، أم ما تشركون به من أوثانكم التي لا تنفع ولا تضر؟! ٦٠- ﴿حَدَائِقَ﴾: جمع حديقة، وهو البستان عليه حائطٌ مُحَوَّطٌ، فإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. ﴿ذَاتٍ بِهَجَةٍ﴾: منظر حسن، والبهجة على الحسن الذي ينتهج به من رآه ﴿يَعْدِلُونَ﴾: عن الحق، ويجورون عنه عن عمد، ومع علمهم بأنهم على خطأ. ٦١- ﴿قَرَارًا﴾: يستقرون عليها لا تميد بهم ﴿خِلَالَهَا﴾: بينها ﴿رَوَاسِيًا﴾: ثوابت الجبال ﴿حَاجِزًا﴾: بين العذب والملح أن يفسد أحدهما صاحبه. ٦٢- ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: تخلفون موتاكم فيها، وذلك تورأثم سكنائها، والتصرف فيها قرناً بعد قرن. ٦٣- ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: إذا ضللتكم واطلمت عليكم السبل. ﴿بِشْرَائِكُمْ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾: أي بين يدي المطر. وقرئ: «نُشْرًا» - بالنون - أي: نشراً لموتان الأرض. [٥٦] ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطُ﴾ [النمل: ٥٦]. ما في الأعراف كناية فسرهما ما في السورة التي بعدها، وهي النمل، ويقال: نزلت النمل أولاً، فصرح في الأولى، وكفى في الثانية. [٥٧] ﴿فَأَجْبَنَتْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا إِنَّهَا مِنَ الْغَيْرِينَ﴾ [الحجر: ٦٠]، ﴿فَأَجْبَنَتْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِينَ﴾ [النمل: ٥٧]. يعطي من المعنى ما يعطيه ﴿كَانَتْ﴾ من غير فرق، لأن المراد إلحاقها بالهاكئين وإخراجها من الناجين، وهذا المعنى هو المراد بـ ﴿قَدَرْنَاهَا﴾

مشدداً، وكذلك قوله في الحجر: ﴿قَدَرْنَاهَا إِنَّهَا﴾، وأما وجه اختصاص ﴿كَانَتْ﴾ بآية الأعراف فليناسب إيجازاً قوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقوله في النمل: ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ ليناسب: ﴿أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطُ﴾ [النمل: ٥٦]، وقوله في الحجر: ﴿قَدَرْنَاهَا إِنَّهَا﴾ ليجري مع ما وكد قبل بأن، ويناسبه كقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾ [الحجر: ٥٨]، وقوله: ﴿إِنَّا لَمُتَّجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩]، فقل مناسباً لذلك: ﴿قَدَرْنَاهَا إِنَّهَا﴾ [٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣، النمل: ٥٨]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والنمل، ومعناها: وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر أهلكتهم، ففجئ مطر من أُنذِرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أنزل بهم أشد أنواع الهلاك والتدمير. [٦٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بِهَجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، أي: يعدلون برهم غيره، ويعدلون بعبادته إلى عبادة غيره، وكل هذا شرك لا فلاح معه، فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور، وشأنه أبداً إذا قدم إحرار معنى التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لذي غفلة، أما إذا تأخر فلا يحرز هذا المعنى على الصفة التي يحرزها متقدماً، والله أعلم. قول آخر: زيادة "لكم" في النمل؛ لأن "لكم" في إبراهيم مذكور في آخر الآية: ﴿رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، فاكْتَفَى بذكره، ولم يكن في النمل في آخرها، فذكر في أولها، وليس قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ = [٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [النمل: ٥٨]، وهو الذي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا [الشورى: ٢٨]. ما الفرق بين: "المطر والغيث"؟ **الجواب:** المطر والغيث كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناها واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَى آلِ فِرْعَوْنَ الْمَطَرَ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠].

= بمعنى أهلكني. وقرئ: (مهلك) بفتح الميم وكسر اللام على أنه اسم مكان كالمجلس. [٥١] ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّا﴾ قرئ: (أنا) بفتح الهمزة على أن المصدر المنسبك منها ومن الفعل بدل من عاقبة، أو خبر لمبتدأ محذوف، و"عاقبة" فاعل: "كان" إن كانت تامة، أو اسمها إن كانت "ناقصة"، و"كيف" حال على الأول وخبر مقدم على الثاني. وقرئ: (إنا) بكسر الهمزة على الاستئناف و"كان" ناقصة. [٥٩] ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ قرئ: (يشركون) بالغيبة رعاية لحال الحكاية، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر =

= الرسول أن يحكي عنهم قائلاً : الله خير أما يشركون؟ أورده على لفظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحَكِّي، وهو ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم وهو حال القول يخاطبهم، وهكذا في كل أمر به إن تقول: قل لفلان كذا وكذا، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾. [٦٢] ﴿أَوَلَمْ نَذْكُرْكُور﴾ قرئ: (تذكرون) بقاء الخطاب لمناسبة قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ على الالتفات، ولمناسبة قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والالتفات تخفيف الذال وتشديدها مع بيان وجه ذلك. [٦٦] ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ قوله تعالى: ﴿

५८२

يَبْلُغُهُ لِلْغَيْرِ يَجُوزُ فِيهِ اعْتِبَارُ الْحِكَايَةِ وَاعْتِبَارُ الْمَحَادِثِ
لَهُ: ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ﴾. وقرئ: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ بِيَاءِ الْإِنْعَامِ "أَنْ
سَقَطَ عَنْ دَرَجَةِ الْإِعْتِبَارِ، وَسَبَقَ فِي "الْإِنْعَامِ" أَنْ
يَذْكُرَ" فِيهَا قَرَأَتَانِ: الْأُولَى: ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾ بِإِسْكَانِ لَا

سُورَةُ الْقَصَصِ

وأما آية القصص فتوضح أنه من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيهه للمتشابهات فوائد متنوعة

سُورَةُ الْقَصَصِ ٨٨

३८०

تفسير الطبري **الأسماء الجسني** **أسباب النزول** **توجيه للمتشابهات** **فوائد متنوعة** **توجيه للقراءات** **إعجاز متنوع** **التعريف بالسورة**

٦- ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: نوّطى ﴿لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض الشام، وأرض مصر ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: ما كان يحذر فرعون وقومه، من تأويل رؤيا كان فرعون رآها في منامه، فأولت له أن سيولد في بني إسرائيل غلام، يكون هلاك فرعون وقومه، وذهاب ملكهم به. ٧- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: ألهمناها وقذفنا في قلبها ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾: من فرعون بأن يبلغ خبره إليه ﴿فَكَالَتْ فِي الْمِصْرَ﴾: في النيل ﴿وَلَا تَخَافِ﴾: عليه الغرق أو الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِ﴾: لفراقه ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ﴾: عن قريب. ٨- ﴿فَالْقَطْعُ عَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أصابوه وأخذوه، وأصله من اللقطة، وهو ما وجد ضالاً، فأخذ، والالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: لما هو كائن في عاقبة أمرهم. وتسمى لام «ليكون» هذه لام العاقبة. ٩- ﴿فَرُتْ عَيْنٌ﴾: أي: هذا قرة عين ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بما هو كائن من أمره، وأمرهم. ١٠- ﴿فَرِعًا﴾: خالياً من كل شيء سوى ذكر ابنها موسى وهمه. ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾: أن تقول هو ابني، أو يا ابنه ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: بثبتناها وعصمناها ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بوعد الله فيه. ١١- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾: لأخت موسى: اتبعي أثره فانظري كيف يصنع به؟ ﴿فَبَصَّرَتْ﴾: أخت موسى ﴿بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾: عن بعد لم تذن منه؛ لتلا يعلم أنها منه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنها أخته. ١٢- ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاعَ﴾: معنا: أن يرتضع منهم، وهو تحريم تبغيض ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: يضمونه ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِصُونَ﴾: أي مشفقون عليه لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. قيل: إنها أخذت حين قالت ذلك، وقالوا قد عرفته، قالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون يبتغون مسرته. [١٣] ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [طه: ٤٠]، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [القصص: ١٣]. الرجوع إلى الشيء والرد إليه بمعنى واحد، والرد عن الشيء يقتضي كراهة المردود، وكان لفظ الرجوع اللطف، فخص به سورة طه، وخص بسورة القصص قوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ﴾؛ تصديقا لقوله: ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ١٧]، والله أعلم.

وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَالَتْ فِي الْمِصْرَ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعُ عَالِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمُّ رَأْسُ فِرْعَوْنَ فَرُتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قُصِّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِصُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

= حزنه، وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. والحزن (بفتح الحاء): هو حالة من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله - تعالى - حالة الذين أصابهم الحزن من جرّاء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنه لم يجدوا ما ينفقون.

[٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]. ما الفرق بين: "المخطئ والخاطئ"؟ **الجواب:** أخطأ، مخطئ، إخطأ، وخطأ. خاطئ، خاطئ، خطأ. أخطأ: تعني جانب الصواب: سواء أكان الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما **خاطئ**: فتعني دائماً مجانبه الصواب عمداً، لذا فإنها تأتي دائماً بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خطئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقاً، وسيرة. [٩] ﴿وَقَالَتْ أُمُّ رَأْسُ فِرْعَوْنَ فَرُتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. في قول آسية امرأة فرعون: ﴿فَرُتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ فضل الفأل الحسن، وقد نالها ما رجّت من النفع: أما في الدنيا فهداها الله به وجعل لها أحسن ثناء في الآخرين بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمُّرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]. فاستعملها الله سبحانه وتعالى بطاعته وصيرها إلى فسيح جنته. وقولها (قرة عين) كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدها، وهو سخنة العين التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن، فلما كنّوا عن الحزن بسخنة العين أتبعوا ذلك بأن كنّوا عن السرور بضد هذه الكناية فقالوا: قرة عين. [١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠]. إن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك على أن استمرار الجزع مع العبد دليل على ضعف إيمانه.

[٦] ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ فيها قراءتان: الأولى: (ونري فرعون وهامان وجنودهما) بنون مضمومة بعدها راء مكسورة ثم ياء مفتوحة ونصب "فرعون وهامان وجنودهما" على أن الفعل وهو نري مضارع أرى المزيد بالهمزة وهو رباعي، أصله: أراى، حذفت عنه بعد نقل حركتها إلى الفاء تخفيفاً، والمضارع من الرباعي ضمّ أوله ونصب بفتحة ظاهرة على الياء عطفاً على نمّن المنصوب بأن، وأسند إلى ضمير العظمة لمناسبة ما قبله وهو "نريد أن نمّن" وبعده "وأوحينا" وفرعون مفعوله، و"هامان وجنودهما" معطوفان عليه. الثانية: (ونري فرعون وهامان وجنودهما) بياء مفتوحة بعدها راء مفتوحة بعد ألف، و"فرعون وهامان وجنودهما" بالرفع على أن الفعل مضارع (رأى) الثلاثي منصوب بفتحة مقدرة للتعذر و"فرعون" فاعل، و"هامان وجنودهما" معطوفان عليه. [٨] ﴿فَالْقَطْعُ عَالِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَحَزَنًا﴾ قرئ: (حزناً - حُزناً) بفتح الحاء والزاي، وبضم الحاء وإسكان الزاي وهما لغتان، يقال: حزن من باب تعب يتعب تعباً، ويقال: حزن بفتح الزاي يحزن بضمها حزناً بضم الحاء وسكون الزاي، بمعنى، والأول: لازم، والثاني: متعد، قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وقد جاء غير هذا الموضع مجمّعاً عليه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ وقال: ﴿وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ فهما لغتان كما سبق كالعرب والعُرب.

[١٠، ١١] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قُصِّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ **إعجاز عددي:** تساوي عدد مرات ذكر لفظ **البصر والبصيرة** ومشتقاتهما مع لفظ **القلب والفؤاد** ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة) ومشتقاتهما مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد) ومشتقاتهما) وقد ورد كل (١٤٨) في كتاب الله تعالى.

= موسى من مصر إلى مدين، وسقّيه لبنات شُعيب، واستجار شعيب موسى، وخروج موسى من مدين، وظهور آثار النبوة، واليد البيضاء، وقلب العصا، وإمداد الله تعالى له بأخيه هارون، وحيلة هامان في معارضة موسى، وإخبار الله تعالى عما جرى في الطور، ومدح مؤمني أهل الكتاب، وقصة إهلاك القرون الماضية، =

١٤- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾: قيل: بلغ أربعين سنة. واختلف في عدد «الأشد» و«الاستواء». قيل: الأشد: ما بين الثانية عشرة إلى الثلاثين، والاستواء: من الثلاثين إلى الأربعين ﴿ءَايَتُهُ حُكْمًا﴾: نبوة. ١٥- ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾: مدينة «منف» من مصر ﴿عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ﴾: عند القائلة نصف النهار متبعا أثر فرعون؛ لأن فرعون ركب، وموسى غير شاهد ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ﴾: من أهل دين موسى، ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾: من القبط، ﴿فَوَكَرَهُ﴾: فلكره ﴿مُوسَى﴾: في صدره يجمع كفه، أي وأصابع كفه مجتمعة لا منشورة أو متفرقة ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾: قتله ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: بأن هيج غضيبي حتى ضربت هذا فهلك، ولم يتعمد قتله. قال ابن عطية: وكان فضل قوته عليه السلام بما أفرط في وقت غضبه بأكثر مما يقصد. ١٧- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: من القوة ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾: فلن استعملها إلا في مظاهرة ومناصرة أوليائك وأهل طاعتك. ١٨- ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: الأخبار من فعلته ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾: يستغيثه على فرعوني آخر، فالفى موسى نادما على ما سلف منه، ف﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾: ذو غواية ﴿مُئِينٌ﴾: قد بانت غوايتك بقتالك أمس رجلا، واليوم آخر، فخافه الإسرائيلي؛ إذ تبين الغضب في وجهه. ١٩- ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾: بالفرعوني ظن الإسرائيلي أنه يريد، ف﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلْتُ﴾: إلى آخر الآية. ﴿جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾: تسير بسيرة الجبابة. ٢٠- ﴿إِنِّي أَمْلَأُ﴾: الأشراف من قوم فرعون ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون، ويرتوون ليقتلوك، لما علموا من قتلك القبطي. وقيل: كان بحضرة موسى إذ قال له الإسرائيلي: «كما قتلت نفسا بالأمس» قبطيا، فأفشى الخبر، وأعلم به أهل القتل. ٢١- ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر ويتوقع التعرض له في الطريق.

١٤ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]. يوسف عليه السلام نبه على ما يراود منه قبل بلوغ الأربعين برؤيا الكواكب والوحي حين ألقى في الحب، وما ألهمه الله من علم التأويل،

أمّا موسى عليه السلام فلم يعلم المراد منه، ولا نبه عليه قبل بلوغ الأربعين فناسبه "واستوى" ولا سيما على قول الأكثر أن الاستواء بلوغ الأربعين، لأنها كمال العقل. [٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَمْلَأُ بِتَمْرُونٍ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠]، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ أَتَبْعُوكَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]. الذي يفاد به المخاطب أن يعرف أنه -أي الرجل- جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة، ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة، فقدّم ما تبيكت القوم به أعظم والتعجب منه أكثر، فقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾، ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولم يشهد من كلام الأنبياء ما يشهدونه... وأمّا آية سورة القصص فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدّم ما أصله التقديم وهو الفاعل، إذ لم يكن هنا تبيكت للقوم بكونه من أقصى المدينة، كما كان ذلك في آية يس. قول آخر: سر تقديم الجار على المجرور في آية يس، أن ما قبل هذه الآية دال على سوء معاملة أهل المدينة للرسل، فكان ذلك مظنة أن يسأل سائل: أكانت هذه المدينة كلها بهذه الصفة، أم أن فيها موطنا هو منبت خير؟ لذلك قدّم ما يشتمل على المدينة، لأنها أهم عند المخاطب. قول آخر: الرجل في آية القصص كان ناصحا، فجاء الترتيب على الأصل، أمّا في آية يس فالرجل جاء يدعو للإيمان، وفي هذا اهتمام، وثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد من الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط. قول آخر: لماذا قدم الله ﴿رَجُلٌ﴾ على ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ بالقصص والعكس في يس، الجواب: موافقة في القصص لقوله قبل: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ﴾ [القصص: ١٥]، واهتماما ثم بتقديم ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ لما روي من أن الرجل -واسمه حذقل، وقيل: شمعون، وقيل: حبيب- كان يعبد الله في جبل، فلما سمع خبر الرُّسل سعى مستعجلا. والآيتان تشملان جميع التوجيهات، وهذا من أسرار كتاب الله.

٢٢ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]. قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، وفيه تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه ويسأله أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين، ولا يدري الطريق المعين إليها قال: ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، وقد هداه الله وأعطاه ما رجاه وتمناه. [٢٣] ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ثُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ ثَمَنٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ فَاذْكُرُوا الَّذِي ذُهِبَ أَرْزَاقُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١١]. ما الفرق بين استخدام كلمة "امْرَأَةٌ وَزَوْجٌ وَبَعْلٌ" في القرآن؟ الجواب: ١- يُطلق القرآن الكريم كلمة (امْرَأَةٌ) في حالة الأفراد على (الزوجة) إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال بين الزوجين: أ- كالنزاع بين الزوجين (سواء أدى إلى طلاق أم لا): مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ثُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]. أو لاختلاف الدين بين الزوجين: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلْفَى مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ﴾ [هود: ٨١]، لأن امرأة لوط كانت على دين قومها. ج- أو كانت العلاقة الزوجية على دين غير صحيح: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]. د- أو كانت الحياة الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٨]. ٢- ويطلق القرآن كلمة (امْرَأَةٌ) على المرأة غير المتزوجة: مثل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]. ٣- ويطلق القرآن كلمة (امْرَأَةٌ) حينما لا يكون للزوج دخل في المعنى المراد: مثل قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ﴾

[١٩] ﴿أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات الجبر مع مشتقات القهر مع مشتقات العتو، وقد ورد كل (١٠) مرات. أولاً: وردت مشتقات كلمة (الجبر) في كتاب الله (١٠) مرات. ثانياً: وردت مشتقات كلمة (القهر) (١٠) مرات في كتاب الله. ثالثاً: وردت مشتقات كلمة (العتو) (١٠) مرات في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الجبر) مع مشتقات كلمة (القهر) مع مشتقات كلمة (العتو)، وقد ورد كل (١٠) مرات في كتاب الله. = ومناظرة المشركين يوم القيامة، واختيار الله تعالى ما شاء، وإقامة البرهان على وجود الحق، ووعد الرسول ﷺ بالرجوع إلى مكة، وبيان أن كل ما دون الحق فهو في عُرْضة الفناء والزوال، وأن زمام الحكم بيده تعالى في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَى الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلْتُ نَفْسًا بِأَلْسِنَةٍ أَوْ لَيْسَ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَمْلَأُ بِتَمْرُونٍ بِكَ لِيُقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقْيَ لَنَا سَقِيَ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّىٰ يَدْعُوكَ لِجَعَلِكَ آجُرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ مَجُوتٌ مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَىٰ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرَ الْقَوِيُّ الْوَلِيُّ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَ وَإِنَّكُمَا إِتَّيْتُمَا مِنَّا فَانْتَنَبَهْتُمْ عَلَيَّ أَنْ تَاجِرُنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتُمَا عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُمْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

(٣٨٨)

٢٢- ﴿تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾: نحو مدين قاصداً نحوها، ماضياً إليها ﴿أَن يَهْدِيَنِي﴾: يُبَيِّنُ لِي ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: قصد الطريق إلى مدين، لأنه لم يكن يعرف الطريق. ٢٣- ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾: مواشيهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تحبسان غنهما أن تشداً وتذهب، فيردانها عن الماء، حتى تصدر مواشي الناس، ويفرغ من سقيها ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا سَقْيَ﴾: لا نستطيع أن نسقي ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾: يرجعوا بمواشيهم، وينصرفوا عن الماء، حذراً من مخالطتهم، أو عجزاً عن السقي معهم، والرعاء: جمع راع ﴿وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: لا يطيق أن يسقي. ٢٤- ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾: أي: لما ترزقني من رزق ﴿فَقِيرٌ﴾: محتاج إلى ذلك. قيل: أراد بذلك الطعام. ٢٥- ﴿تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾: أي خيفة قد سترت بثوبها وجهها. ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾: قصصه مع فرعون وقومه من القبط. ٢٦- ﴿الْقَوِيُّ﴾: على حفظ ماشيتك ﴿الْوَلِيُّ﴾: وروي أن أباهما أحفظته الغيرة، فقال لها: وما يدريك أمانته؟ قالت: إنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أنني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إليّ حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: امشي خلفي، وانعتي الطريق، أي صفيه لي ودليني عليه، فلم يفعل ذلك إلا وهو أمين. ٢٧- ﴿عَلَيَّ أَنْ تَاجِرُنِي﴾: تشبني من تزويجكها: رعي ماشيتي ﴿ثَمَنِي حِجَجٍ﴾: ثماني سنين: ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتُمَا عَشْرًا﴾: أتممتها عشر حجج ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾: فإحسان من عندك، ليس فيما أشرطه عليك ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: باشرط الثماني الحجج عشرًا ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: في حسن الصحبة، والوفاء بما قلت. ٢٨- ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾: الثماني الحجج، أو العشر ﴿قَضَيْتُمْ﴾: وفيت به وفرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾: ليس لك أن تعتدي على مطالبي بأكثر منه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شهيد..

[٢٧] ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، أي: على الذبح.

[الصافات: ١٠٢]. ما في سورة القصص من كلام شعيب، والمعنى: ستجدني من الصالحين في حسن العشرة، والوفاء بالعهد، وفي الصفات من كلام إسماعيل حين قال له أبوه: ﴿إِنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، فأجاب: ﴿قَالَ يَأْبَىٰ أَفَعَلَ مَا تَوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، أي: على الذبح.

= رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴿[البقرة: ٢٨٢]. ٤- أطلق القرآن الكريم كلمة (بعل) على (الزوج الذكر)، إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال بين الزوجين: أ- كالنزاع والشقاق: مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا شُكْرًا وَآيْرًا﴾ [النساء: ١٢٨]. ب- مخالفة الزوجات لأزواجهن بإبداء زيتهن لغير أزواجهن: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. ج- أو كانت العلاقات الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَوْنَتَنِي ۖ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]. ٥- يُطْلِقُ القرآن كلمة (زوج) إفراداً لا جمعاً، في كل الأحوال التي لا يعكس صفو الحياة الزوجية فيها شيء. ٦- في حالة جمع الزوجات يؤثر القرآن كلمة (أزواج) دون (امرات: جمع امرأة) لأن (امرات) جمع غير مستعمل لغة فضلاً عن ثقله وخشونه جرسه. مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ فَنَاقَا الَّذِي ذَهَبَ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا نَفَقُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المتحة: ١١]. [٢٣] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقْيَ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿وَمَكْرُومًا كَبِيرًا﴾ [نوح: ٢٢]. ما الفرق بين: "كبير، كَبَارًا"؟ **الجواب:** وردت كلمة (كبير) ستاً وثلاثين مرة. ووردت كلمة (كَبَارًا) مرة واحدة في القرآن الكريم. قال الزمخشري: الكَبَارُ أكبر من الكبير، والكَبَارُ أكبر من الكَبَار. (كبير) صفة مشبهة من الفعل (كَبَر) لذا كثر ورودها في القرآن. أما (كَبَارًا) فهي صفة مشبهة تبلغ الغاية في المبالغة والتوكيد. اتسقت كل منهما كفاصلة مع الفواصل التي جاءت معها: فكلمة (كبير) اتسقت مع (السبيل)، و(فقير) في سورة القصص. أيضاً: اتسقت كلمة (كَبَارًا) مع الفواصل التي جاورتها مثل (سراجاً، نباتاً، إخراجاً، بساطاً، فجاجاً، خساراً، كَبَارًا، ضللاً، أنصاراً، دياراً، كَفَارًا، تَبَارًا) في سورة نوح. [٢٥] ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّىٰ يَدْعُوكَ لِجَعَلِكَ﴾ [القصص: ٢٥]. **تعريف الحياء:** تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به... ويقال: خلق يبعث على ترك القبح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق... **من فوائد الحياء:** ١- من خصال الإيمان وحسن الإسلام. ٢- هجر المعصية خجلاً من الله سبحانه وتعالى. ٣- الإقبال على الطاعة بوازع الحب لله تعالى. ٤- يبعد عن المرء فضائح الدنيا والآخرة. ٥- أصل كل شعب الإيمان. ٦- يكسو المرء الوقار، فلا يفعل ما يخل بالمرءة والتوقير، ولا يؤدي من يستحق الإكرام. ٧- هو دليل على كرم السجدة وطيب المنبت. ٨- صفة من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين. ٩- يعد صاحبه من المحبوبين من الله ومن الناس. [٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَىٰ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرَ الْقَوِيُّ الْوَلِيُّ﴾ [القصص: ٢٦]. قال الزمخشري: كلام حكيم جامع لا يزداد عليه. لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم، فقد فرغ بالك وتم مرادك. [٢٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُمْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ تَوَلَّىٰ وُكَيْلٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ما الفرق بين (العداوة، العدوان، العدو)؟ **الجواب:** وردت كلمة (العداوة) ست مرات. وكلمة (العدوان) ثمان مرات. وكلمة (العدو) مرة واحدة. (العداوة) تتعلق بالقلوب. ولذلك ارتبطت هذه الكلمة بكلمة البغضاء (وكلاهما قلبي)، و(العدوان) يتعلق بتجاوز العدالة (ويتعلق بالجوارح). و(عدواً) تتعلق بتجاوز العدالة تجاه الله -تعالى- خاصة. وقد جاءت هذه الكلمة على هذه الصورة الغريبة؛ لأن الاعتداء على حق من حقوق الله تعالى سلوك شاذ وغريب عن الفطرة السوية، لذا كانت الصيغة المعبرة عن ذلك شاذة غريبة، ولها من الظلال ما لها، فهي في سياقها تعني (الركض) والركض: هو العدو. ويعني تجاوز الاعتدال في المشي، فحُسن به المعنى تجسيدا.

[٢٣] ﴿قَالَتَا لَا سَقْيَ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿يُصْدِرُ﴾ قرئ: (يُصْدِرُ) بفتح الياء وضم الدال على أنه مضارع صدر الثلاثي تقول: صدر يصدر من باب نصر بمعنى يرجع. وقرئ: (يُصْدِرُ) بضم الياء وكسر الدال مضارع أصدر المزيد بالهمزة وهو متعد قد حذف مفعوله؛ لأنه لم يتعلق بذكرة غرض، وتقديره: حتى يصدر الرعاء مواشيهم من السقي، والمعنى: حتى يرد الرعاء مواشيهم عن الماء، فهو من باب، أصدرت الإبل إذا رددتها من السقي.

[٢٩] ﴿لَعَلَّيْكُمْ مِّنْهَا خَبَرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٌ﴾ قرئت: (جذوة- جذوة- جذوة) بفتح الجيم وكسرها =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَنْتَبِهَةً قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى **﴿٣٦﴾** وَقَالَ
مُوسَى **﴿٣٧﴾** أَعَلِمَ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِي وَمَن تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ **﴿٣٧﴾** وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَتَّبِعُكَ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
لِي يَهْمَنَّ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ **﴿٣٨﴾** وَاسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغِيرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهَانَا
لَا يُرْجَعُونَ **﴿٣٩﴾** فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي
الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ **﴿٤٠﴾**
وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْعُوبُ إِلَى الْنَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا يُصْرَبُونَ **﴿٤١﴾** وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ **﴿٤٢﴾** وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **﴿٤٣﴾**

الاولى عليه. [٣٨] ﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى

الْأَسْبَبُ (٢٦) سَبَبَ السَّمَوَاتِ فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي
 غَافِرٌ بِذِكْرِهِ، لِأَن مَا فِي الْقِصَصِ تَقَدَّمَهُ: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكَ﴾
 ﴿وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾
 أَمَا عَنْ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْقِصَصِ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾
 الْكَاذِبِينَ، فَرِيدٌ: ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ لِرُؤُوسِ الْآيِ، ثُمَّ أَضْمَرَ

= (يصدقني) بالرفع على الاستثناف أو صفة لـ (ردءًا)، أو،
والتقدير: ردءًا مصدقًا لي، والردء المعين، وتقدم الكلام
﴿وَقَالَ﴾ قرئ: (قال) بحذف الواو على أن الجملة مست
وطعنهم فيه بأنه سحر مفترى انساق الذهن إلى سؤال عم
قولهم: قالوا، وكأن القصد الجمع بين مقاتلتهم ومقالة مو

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَنَّهَا أَمَلًا مَّا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ الْكَذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. إعجاز تاريخي: تشير هذه غَيْرُ. والأبحاث الأثرية التي قامت حول الحضار (الشمس) عندهم، والذي كان يعبد قدام المصريين، الفراعنة لأنفسهم كما يقول (بريستد) عالم الآثار، والذي تخاطب مصر، في كلام طويل تحت حماية وسيادة إله ال من مصر، والأنشودة بأكملها تُعاد بوضع اسم فرعون أ بناء الصروح، فقد طلب فرعونُ من هامان أن يبني له سائداً عند المؤرخين أن الآجر لم يظهر في مصر القدي المحروق بُنيت به قبور، وأقيمت به بعض المنشآت، ت عليها في موقع أثري غير بعيد من (بي رعمسيس أو قنعا «هامان»، قال الدكتور «موريس بوكاي»: يذكر القرآن ا يسمح له (كما يقول ساخرًا من موسى أن يبلغ ربَّ عقي وثائق العصر الفرعوني، ولم أكن لأرضى بإجابة عن ذل بشكل جيد، فطرح السؤال على عالم للمصريات وهو عن إخبار مخاطبي بحقيقة معنى النص، واكتفيت بإخا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا نَافِرًا وَفَافِطًا وَوَلَّيْنَاهُمُ
الْعُمُرَ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّنَ رَبِّكَ لَتُذَذَّرَ قَوْمًا
مَّا أَتَيْتَهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ يَمَاقِدُ مَتَّيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
رِسَالُ لَّوْلَا أَتْرَسَلْتُ إِلَيْكَ يُرْسِلُ وَفَتَنَّاكَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أُوفِيَٰ مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَٰ
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ لِكُفْرُونُ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّكَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنَّ هُم مِّنْ أَضَلِّ سَبِيلٍ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ
بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

391

[٤٦] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنِي رَبِّي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادِهِ، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص

من هذا، تربيته لأصفياؤه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٤٦] ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنتَهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنتَهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].
الآيتان خطاب للنبي ﷺ أنه أرسل لإنذار قوم لم يأتهم من قبله من نذير؛ وآية القصص معناها: لعل هؤلاء القوم يتذكرون الخير الذي جئت به أيها الرسول به فيفعلوه، والشر الذي نهيت عنه فيجتنبوه، وأمّا آية السجدة فمعناها: لعل هؤلاء القوم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٤٧]. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ظاهره جواز عذابهم بما قدمت أيديهم قبل إرسال الرسل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]؟ **الجواب**: أن جواب "لولا" مقدر محذوف تقديره: لولا أنا إذا عذبناهم بمعاصيهم قبل الرسل، يقولون ذلك لعذبناهم بها قبل الرسالة، لكن يؤخر العذاب إلى ما بعد إرسال الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، أي: بعد إبراهيم كما أرسلت إلى بني إسرائيل وفرعون، فالزمهم الحجة بقوله: أولم يكفر الذين أرسل إليهم موسى به، وقالوا: ساحران، والله أعلم. [٥٠] ﴿فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَكْفُرُ بِالْآيَاتِ وَالنَّذِيرَاتِ﴾ [القصص: ٥٠]. عُدَّتْ هذه الآية من المتشابهة في فصلين: أحدهما حذف النون من "فَلَمْ" في سورة هود وإثباتها في غيرها، وهذا من خواص كتابة المصاحف، والثاني جمع الخطاب فيها، وتوحيده في القصص؛ لأنّ ما في سورة هود خطاب للكفار، والفعل لمن استطعتم، وما في القصص خطاب للنبي ﷺ، والفعل للكفار.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤]. لماذا كرر ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ بآخر الآية؟
الجواب: لأن معنى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي: ما كنت يا محمد حاضراً حين أحكمتنا إلى موسى الوحي، ومعنى: ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: الحاضرين قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، فاختلقت القصة. [٥٢] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢]. من صفات المؤمن: قال ابن القيم في صفات المؤمن الراغب بالآخرة: ١- هو في وإد والناس في واد. ٢- خاضع متواضع سليم القلب سريع القلب إلى ذكر الله. ٣- زاهد في كل شيء سوى الله تعالى. ٤- راغب في كل ما يقرب إلى الله. ٥- لا يفرح بموجود ولا يأسف على مفقود. ٦- لا يدخل فيما لا يعنيه ولا يبخل بما لا ينقصه. = [٤٨] ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَٰ مِثْلَ مَا أُوْتِيَٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوْتِيَٰ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سِحْرَانِ﴾ قرئ: (سِحْرَان) بكسر السين وسكون الحاء ثنية سحر على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هما سحران والضمير عائد على ما جاء به محمد وهو القرآن، وما جاء به موسى وهو التوراة، أو عائد على محمد وموسى - عليهما السلام - والكلام بتقدير مضاف، أي: ذو سحر، أو أخبر عنهما بالمصدر للمبالغة، أو بتأويله باسم الفاعل. وقرئ: (سَاحِرَان) بفتح السين بعدها ألف ثم حاء مكسورة ثنية ساحر اسم فاعل من السحر، أي: هما محمد وموسى ساحران تظاهرا، فيرجع إلى معنى القراءة الأولى.

= أن هذا الأصل مستحيل، لأنه لا يوجد نصٌ يحتوي على اسم علم من اللغة الهيروغليفية وله جرسٌ هيروغليفي، ويعود إلى القرن السابع الميلادي، وهو غير معروف حتى الآن، والسبب أن اللغة الهيروغليفية تأسست منذ زمن بعيد جدًا، بيد أنه نصحني بمراجعة معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة، والبحث فيه إن كان الاسم الذي يمثل عندي الهيروغليفية موجودًا فيه حقًا، لقد كان يفترض ذلك، وعند البحث، وجدته مسطورًا في هذا المعجم كما توقعته، ويا للمفاجأة، ها أنا فضلًا عن ذلك أجد أن مهنته كما عبّر عنها باللغة الألمانية «رئيس عمال المقالع» ولكن دون إشارة إلى تاريخ الكتابة، إلا أنها تعود إلى الإمبراطورية التي يقع فيها زمن موسى، وتشير المهنة المذكورة في الكتابة إلى أن المذكور كان مهتمًا بالبناء. مما يدعو إلى التفكير بالمقاربة التي يمكن إجراؤها بين الأمر الذي أصدره «فرعون» في القرآن، وبين هذا التحديد في الكتابة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَتُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَكْهَنُونَ عَلَى الْطِينِ فَأَجْهَلَ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قُلُوبَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ ذِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٧١- ﴿سَرْمَدًا﴾: دائماً لا ينقطع. ٧٣- ﴿لَسْكُونًا فِيهِ﴾: أي في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي في النهار بالسعي في المكاسب. وقيل: إن الآية تعبير عن الزمان. ومعناها: أنه في هذا الوقت الذي هو ليل ونهار يقع السكون فيهما وابتغاء الفضل. ٧٤- ﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾: ينادي الله المشركين. ٧٥- ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أحضرنا من كل أمة شهيداً، وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حجتكم على إسراككم بالله مع إعداء الله إليكم بالرسول ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: اضمحل وذهب ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يدعون ويكذبون. ٧٦- ﴿إِنَّ قُلُوبَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى﴾: كان ابن عمه، ابن أخي أبيه لأبيه وأمه ﴿فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ﴾: تجاوز حده في التكبر والتجبر عليهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنَ الْكُفَرِ﴾: كنوز الأموال ﴿مَا إِنَّ مَفَاحَهُ﴾: جمع: مفتوح؛ وهو الذي يفتح به الأبواب، ويحتمل أن يريد بها الخزانة والأوعية الكبار؛ لأن «المفتاح» في كلام العرب: الخزانة والكنز ﴿لَتَنْتَوُوا﴾: لتثقل أو تهض بتحامل. ﴿بِالْعَصْبَةِ﴾: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، وقال ابن عباس: العصبة ثلاثة: وقيل: أحد عشر حملاً على إخوة يوسف. والمعنى: أن العصبة تنوء بها ﴿تَفْرَحُ﴾: لا تبطر ولا تبغ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾: الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. ٧٧- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: خيرات الآخرة بالعمل بطاعة الله عز وجل ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: لا تضع حظك من دنياك في تمتعك بالخلال، ونظرك إلى عاقبة دنياك ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أحسن في الإنفاق للمالك على وجهه كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه. وأبواب الإحسان - فيما وراء المال - كثيرة.

٦٢، ٧٤ ﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢، ٧٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، ومعناها: ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟ [٧١-٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢]. لماذا قدم "الليل" على "النهار" في الآية الأولى، والعكس في الثانية، وختمت الأولى بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، والثانية: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟ **الجواب:** تقديم الليل على النهار جار على ما بنت العرب عليه حساب شهورها من تقديم الليل وجعل النهار تابعاً له، ولم يرد في كتاب الله تعالى على كثرة ترداده إلا ذلك، وأما قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، فمناسب للمدرك ليلاً من ضرب ما يعتبر به من المسموعات، إذ الليل حائل دون المبصرات، وإنما تدرك فيه المسموعات؛ لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها، فجاء بما يناسب، وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضاً، فقليل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، لأن المبصرات تدرك نهائراً ولا تدرك ليلاً، فجاء مع كل بما يناسب، والله أعلم. قول آخر: ختم آية الليل بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وآية النهار بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، لمناسبة الليل المظلم الساكن للسمع، ومناسبة النهار النير للإبصار، وإنما قدم "الليل" على "النهار"؛ ليسترخ الإنسان فيه، فيقوم إلى تحصيل ما هو مضطر إليه من عبادة وغيرها بنشاط وخفة، ألا ترى أن الجنة نهارها دائم، إذ لا تعب فيها يحتاج إلى ليل يسترخ أهلها فيه؟ = لا يَسَاءَ لَوْكَ [القصص: ٦٦]، ما الفرق بين: "العمى والعمه"؟ **الجواب:** (العمى) حقيقة خاص بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبباً ولا نقصاً) ويستعار (العمى) لضلال المذهب والرائي. أما (العمه) فخاص بفقد البصيرة، ويستعمل حقيقة في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائر فيها طريقاً يطمئن إليه للخروج منها، ويستعار (العمه) للحيرة والتردد النفسي. [٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّيْنَا لَكَ مِنْ الْأَمْوَالِ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [القصص: ٦٧]. التائب من الذنب كما يُسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه، فإن الله تعالى يحبه ويؤدبه، ولا عبرة بقول من يقول: (إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود) فإن الله تعالى قال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. **من فوائد التوبة:** ١- سبب الفلاح، والفوز بسعادة الدارين. ٢- تكفر السيئات. ٣- تبدل السيئات حسناً. ٤- سبب للمتاع الحسن، ونزول الأمطار، وزيادة القوة، والإمداد بالأموال والبنين. ٥- أن الله يحب التوبة والتوابين. ٦- أن الله يفرح بتوبة التائبين. ٧- توجب للتائب أثراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدون التوبة. ٨- تظهر قلوب التائبين. ٩- سبب في الحياة الهادئة المطمئنة. ١٠- سبب في سعة الرزق...

= [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم ألقاهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيهما صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِيَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرافة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ فَعَلْتُكَ الْفَرِحِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. [٧٧] ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن، ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة (٦٥) مرة في القرآن الكريم.

٧٨- ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ﴾: يعني: الكنوز ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾: عَلِمَهُ اللهُ مِنِّي فرضي بذلك عني، وفضلني به عليكم لعلمه بفضلي عليكم. وقيل: على علم عندي بوجوه اكتسابه وتحصيله ﴿وَلَا يُسْتَلَّ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: لا يسألون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها. وقيل: إن الملائكة لا تسأل عن ذنوبهم؛ لأنهم يعرفونهم بسيماهم، والآية تهديد وتخويف. ٧٩- ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾: خرج قارون على قومه ﴿فِي زِينَتِهِ﴾: أكثر المفسرون في تحديد زينة قارون، وما فيها من الجواني وزينة اللباس، والمراد أنها زينة اغتر بها الأغمار، وربما انبهر بها كثير من الناس. ﴿لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: لذو نصيب من الدنيا عظيم! ٨٠- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: بالله. ﴿وَلَا يُلْقُوهَا﴾: لا يوفق لقليل هذه الكلمة، وهي قوله: ﴿تَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنَ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾: عن زينة الحياة الدنيا، المجدين في طاعة الله عز وجل. ٨١- ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾: به وبأهل داره ومن كان معه من جلسائه. وروى في خبر طويل: أنه افترى على موسى عليه السلام، فأخذه الله بعقوبة ذلك. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾: جند يرجع إليهم. ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾: يمنعونه من عذاب الله عز وجل. ٨٢- ﴿لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾: تفضل الله علينا، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس، ﴿وَيَكَانَهُ﴾: معناه: ألم تر أنه؟ ٨٣- ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: تكبرا عن الخلق ﴿وَلَا فُسَادًا﴾: ولا ظلما للناس بغير الحق، وعملا بالمعاصي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: الخائفين الله عز وجل. ٨٤- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: بإخلاص التوحيد يوم يلقى الله ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا﴾: ذلك الخير: الجنة ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: الشرك. ومعنى الآية عام في جميع الحسنات والسيئات، وفي جزاء الدنيا وجزاء الآخرة.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهُمْ يَنْفَعُونَ بِمَعْمَدٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤]. الآيتان تبيان أنه من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وآية النمل تبين أنهم يوم الفرع الأكبر آمنون، وأما آية القصص فتوضح أنه من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزَى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون. [٨٤] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا...﴾ [القصص: ٨٤]. إنه من لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أما آية القصص: إنه من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزَى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

[٨٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٦٧]. فضل العلم والعلماء: ١- العلم مهذب للنفوس. ٢- العلم نور البصيرة. ٣- العلم يورث الخشية من الله تعالى. ٤- طلب الاستزادة من العلم. ٥- العلم أفضل الجهاد. ٦- التنافس في بذل العلم. ٧- العلم والفقه في الدين أعظم منة. ٨- العلم مقدم على العبادة. ٩- العلماء هم الثقات. ١٠- مديح الله تعالى للعلماء. ١١- العلماء ورثة الأنبياء. ١٢- رفع درجات أهل العلم والإيمان خاصة. ١٣- لا ينقطع عمل العالم بموته. ١٤- رحمة الله تنزل على العالم والمتعلم. ١٥- بالعلم يكثر أجر العامل. ١٦- الاستغفار للعالم. ١٧- طلبة العلم هم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. ١٨- إشراقه وجوه العلماء ونضارتها. ١٩- منة الله على أنبيائه بالعلم. ٢٠- شرف الانتساب إليه. [٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]. "ويكأن" أعاده بعد لاتصال كل منهما بما لم يتصل به الآخر، و"وي" قال سيبويه -غيره-: إنها صلة، وهي كلمة تدل على الندم، وقال الأخفش: أصلها "ويك" و"أن" بعده منصوب بإضمار "اعلم"، أي: أعلم أن الله، فعلى الأول يُوقف على "وي"، وبه قرأ الكسائي، وعلى الثاني يُوقف على "ويك"، وبه قرأ أبو عمرو، والجمهور يقفون على "ويكأن" تبعاً للرسم، ويجوزون الوقف عليه بهاء السكت. [٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. روى ابن جرير عن علي قال: (إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾)، وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم، وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل، فهذا لا بأس به. [٨٠] ﴿وَلَا يُلْقُوهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٦٧]. من فوائد وثبار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. ٥- توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً". رواه أحمد وصححه الألباني.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا﴾ قرئ: (لخسيف) بضم الخاء وكسر السين على بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل للعلم به وإقامة الجار والمجرور مقامه. وقرئ: (لخسف) بفتح الخاء والسين على بناء الفعل للمعلوم وإسناده إلى ضمير الجلالة والجار والمجرور بعده في موضع نصب. قوله تعالى: ﴿وَيَكَافُ﴾ روي عن أبي عمرو: أنه يقف (ويك)، وبيدئ (أنه)، وروى عن الكسائي أنه يقف (وي) على معنى التنبيه على التعجب مما عاينوا من خسف الله تعالى، وبيدئ (كأنه)، والمشهور عنهما مثل الجماعة، ومعنى "ويكأن" أما ترى؟ ألم تعلم؟ وقيل: معناها ويك، قال الفراء: هي كلمة استعملت للتقرير غير مفصولة بمعنى ترى، وقال الأخفش: معناها ألا ترى؟ ألم تر؟ أصلها عند الخليل (وي) منفصلة عن كأن، كأنهم كانوا في غفلة فانتبهوا فقالوا: وي كأن الله، قال قطرب: العرب تقول: وي ما أعقله، والصواب فيها اتباع الخط، وأن لا يفصل بعضها عن بعض.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْتَلَّ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِنَاثِلَةٍ مِّثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنَ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقُوهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنَّ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

٨٥- ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: أعطاكه وأنزله عليك، وقال الزجاج: فرض عليك العمل بما يوجهه القرآن. وتقدير الكلام: فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾: لمصيرك إلى الجنة. وقيل: إلى الموت. وقيل: باعثك بعد الموت. ٨٦- ﴿وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنَّ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: أن ينزل عليك هذا القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: إلا أن ربك رحيم، فأنزله عليكم ﴿ظَهِيرًا﴾: عوناً لمن كفر. ٨٧- ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾: يصرفك عن تبليغ آيات الله وحججه؛ أي بأقوالهم وكذبهم وأذاهم، فلا تلتفت نحوه وامض لشأنك.

سورة العنكبوت

٢، ١- ﴿الْم﴾: أحسب الناس: اظن الذين جزعوا من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء، بأن قالوا: آمنا ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا يبتلون! كلا لنختبرنهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب. وقد نزلت الآية في بعض المسلمين الذين عذبوا في الله تعالى. وقال ابن عطية: ولكن حكمها موجود بقية الدهر؛ وذلك أن الفتنة باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو، وغير ذلك من وجوه الفتنة في ديار المسلمين. ٣- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من المؤمنين مع الأنبياء في سالف الدهر؛ أي أن هذه هي سنة الله تعالى في عباده. ٤- ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الذين يشركون بالله ﴿أَنْ يَسْفِقُونَا﴾: أن يفوتونا بأنفسهم، ويعجزونا، فلا نقدر عليهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء حكمهم الذي يحكمون به. ٥- ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾: الذي أجله لعبث خلقه. ٦- ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: أي: ثواب ذلك له لا لغيره، وليس بالله عز وجل إلى فعله ذلك حاجة.

[٨٨] معنى اسم الله الإله: اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أن ((الله)) أصله ((الإله))، وأن اسم ((الله)) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾. [٢-١] قوله تعالى: ﴿الْم﴾ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿٢﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾. [٢-١] قوله تعالى: ﴿الْم﴾ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿٢﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾. [٢-١] قوله تعالى: ﴿الْم﴾ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿٢﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. من فوائد التوحيد: ١- التوحيد سبب في انشراح الصدر. ٢- من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. ٣- يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة من خردل، وإذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية. ٤- به تغفر الذنوب وتكفر السيئات. ٥- هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة. ٦- يحترز به من الشيطان. ٧- يدفع شر الحاسد. ٨- الموحدون يشفع لهم الرسول ﷺ. ٩- الموحدون يشفعون بإذن الله لذويهم يوم القيامة، مما يدل على عظيم مكانتهم عند الله. ١٠- يحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التام في الدنيا والآخرة. ١١- السبب الأساسي لنيل رضا الله وثوابه. ١٢- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد. ١٣- أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، ويسلّيه عن المصيبات. ١٤- بالتوحيد يحرم مال الموحد ودمه. ١٥- إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسق والعصيان. ١٦- أنه يخفف عن العبد المكارة، ويهون عليه الآلام. ١٧- يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي. ١٨- إذا تحقق تحققاً كاملاً تضاعف به الأعمال. ١٩- تكفل الله لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير للسر وإصلاح الأحوال. ٢٠- يدفع الله تعالى عن الموحد شرور الدنيا والآخرة، ويمنّ عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة بذكره. ٢١- التوحيد الخالص يدفع الرياء والغل وغيرهما من كبائر الباطن. ٢٢- الصلاة، والصدقة من الأبناء لا تنفع سوى الموحدين. [٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]. لما علم الله سبحانه أن قلوب المشتاقين إليه لا تهدأ إلا بلاقائه ضرب لهم أجلاً للقاء تسكيناً لقلوبهم فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾.

نزول سورة العنكبوت: نزلت بعد سورة الروم، وهي مكية إجماعاً. عدد كلمات سورة العنكبوت: تسعمائة وثمانون. عدد حروف سورة العنكبوت: أربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون. أسماء سورة العنكبوت: سميت سورة العنكبوت؛ لتكرر ذكره فيها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾.

٧- ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: بأحسن جزاء أعمالهم، وقيل: بجزاء أحسن أعمالهم، والمراد بـ«أحسن» مجرد الوصف لا التفضيل. وقيل: يعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن منه. ٨- ﴿بِوَلَدِهِ حَسَنًا﴾: بمعنى: أن يفعل حسناً. ﴿جَهْدًا﴾: طلباً منك والزماك أن تشرك بي. ٩- ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: في مدخل الصالحين. وذلك: الجنة. ١٠- ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: آذاه المشركون، لأجل إيمانه بالله، والعمل بما أمر به. ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: أذاهم وإضرارهم به، فارتد عن دينه ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: في الآخرة. ١١- ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾: أي: ليميزن الله بين الطائفتين، ويظهر إخلاص المخلصين، ونفاق المنافقين. ١٢- ﴿أَتَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: كونوا على ما نحن عليه. فإن كان عليكم شيء فهو علينا، تكديماً منهم بالبعث والثواب والعقاب! ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾: أي: إن كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور!! فلنحمل ذلك عنكم، فنؤاخذ به دونكم. ١٤- ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: بقي نوح يدعو قومه هذه المدة المديدة. ولم يقل: تسعمائة سنة وخمسين، لأن في الاستثناء تحقيق العدد، بخلاف الثاني فقد يطلق على ما يقرب منه. وفيه إشارة إلى معاناة نوح الشديدة من قومه، لأن من معاني «السنة» في كلام العرب الجذب والقحط، يقال: أصابتهم سنة. ومنه حديث النبي ﷺ في الدعاء على قريش: «واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» متفق عليه. فأخذوا بالجوع.

= فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوه، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ لِّلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنِّي بَعْدَ مَا قُتِلُوا﴾ [النحل: ١١٠] الآية. وأخرج عن قتادة قال: أنزلت ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ﴾ في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ، فعرض لهم المشركون، فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن، فخرجوا، فقتل من قتل، وخلص من خصلص، فنزل القرآن ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الآية. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد عن ابن عمر قال: نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ﴾ الآية. [٨] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ الآية. أخرج

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدِهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنَّا لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْرَوْنَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَيَّتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا الْخَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

(٣٩٧)

مسلم والترمذي، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، فنزلت ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدِهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية. [١٠] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ الآية. تقدم سبب نزولها في سورة النساء.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدِهِ حَسَنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدِهِ حَسَنًا وَهَذَا﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدِهِ حَسَنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. الجمهور على أن الآيات الثلاث نزلت في سعد بن مالك "هو سعد بن أبي وقاص" وأنها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه، ولم يذكر في لقمان "حسناً"؛ لأن قوله بعده: ﴿أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ [لقمان: ١٤] قام مقامه، ولم يذكر في سورة العنكبوت "حملة" ولا "وضعه"، موافقة لما قبله من الاختصار، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]، فإنه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام، وأحسن نظام، ثم قال بعده: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾، أي: ألزمناه "حسناً" في حقهما، وقياماً بأمرهما، وإعراضاً عنهما، وخلافاً لقولهما إن أمراً بالشرك بالله، وذكر في لقمان والأحقاف حاله في حملة ووضعه. [٨] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ [العنكبوت: ٨]، ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَيَّ أَن تَشْرِكَ بِي﴾ [لقمان: ١٥]. ما في سورة العنكبوت وافق ما قبله لفظاً، وهو قوله: ﴿وَمِنَ جَاهِدٍ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأن التقدير: وإن هلاك على أن تشرك.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ...﴾ [العنكبوت: ١٢]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ...﴾ [الأحقاف: ١١]. وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعد، للذين صدقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإننا نتحمل آثام خطاياكم، وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأما آية الأحقاف: وقال الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاء به خيراً ما سبقتونا إلى التصديق به، وإذ لم يهتدوا بالقرآن ولم ينتفعوا بما فيه من الحق، فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدِهِ حَسَنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. من فوائد بر الوالدين: ١- كمال الإيمان وحسن الإسلام. ٢- من أفضل العبادات وأجل الطاعات. ٣- طريق موصل إلى الجنة. ٤- الزيادة في الأجل والنماء في المال والنسل. ٥- رفع الذكر في الآخرة وحسن السيرة في الناس. ٦- من بر آباءه بره أبنائه والجزاء من جنس العمل. ٧- من حفظ ود أبيه لا يطفئ الله نوره. ٨- بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله. ٩- رضا الله في رضا الوالدين. ١٠- الوالدان أحق الناس بالمعاملة الحسنة. ١١- بر الوالدين أفضل من الجهاد. ١٢- إذا كنت باراً فأنت حاج ومعتبر ومجاهد. ١٣- الجنة تحت أقدام الأمهات. ١٤- بر الوالدين يجعل لك بابين مفتوحين من الجنة. ١٥- انشراح الصدور. ١٦- إجابة الدعاء. ١٧- تقبل العمل. ١٨- كفارة عظيمة للذنوب. ١٩- تفريج الكربات. ٢٠- الدعاء الصالح المستجاب من الوالدين. [٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]. ومن لطيف مناسبة هذا الظرف في هذا المقام أن المؤمن لما أمر بعصيان والديه إذا أمراه بالشرك، كان ذلك مما يثير بينه وبين أبيه جفاء وتفرقة، فجعل الله جزاء عن وحشته تلك التفرقة أنساً يجعله في عداد الصالحين يأنس بهم. [١٤] ﴿مَتَّعْنَا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]، ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: ١٤]. ما الفرق بين كلمة "سنة" و"عام" و"حول". الجواب: كلمة "سنة" تستعمل في القرآن الكريم أحياناً للخط والتعب والشدة وطول المدة، مثلما جاء في آية الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّعْرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، ويقال أسنت الناس أي أصابهم قحط، وكذلك في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَيَّتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فالآية تعني ألف سنة فيها شدة وتعب، وارتاح منها خمسين سنة فقط، أما كلمة "عام" فهي بمعنى الخصب والرخاء وقصر المدة، مثلما جاء = [العنكبوت: ٤١]. مواضع سورة العنكبوت: معظم مقصود السورة: توبيخ أهل الدعوة، وترغيب أهل التقوى، والوصية ببر الوالدين للأبرار، والشكاية من المنافقين في جرأتهم على حمل الأوزار، والإشارة إلى ابتلاء نوح والخليل، لتسلية الحبيب، وهجرة إبراهيم من بين قومه إلى مكان غريب، ووعظ لوط قومه باختيار =

٣٩- ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾: سابقينا بأنفسهم، فيفوتونا، بل كنا عليهم قادرين. يقال: سبق طالبه: إذا فاته. وقيل: وما كانوا سابقين في الكفر، بل قد سبقهم فيه أناس من أمم شتى. ٤٠- ﴿حَاصِبًا﴾: يعني: قوم لوط، والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار والثلج والبرد: حاصبًا ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: ثمود وقوم شعيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: قارون وأصحابه ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بتصرفهم في نعم الله، وعبادتهم غيره. ٤١- ﴿أَتَخَذَتِ بَيْتًا﴾: كيما يكتنّها، فلم يغن عنها شيئاً، لا في حر ولا قرو ولا مطر كذلك ما اتخذوه ولياً من دون الله، فإنه لا ينفعهم ولا يغني عنهم شيئاً. ﴿أَوْهَنَ﴾: أضعف. ٤٢- ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني أن الله يعلم الذين تدعونهم من دونه. ٤٣- ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: بالله وآياته. ٤٤- ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والقسط، وليدل على سلطانه، وينصب لعباده الدلائل ويصنع لهم الشرائع. ٤٥- ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: الفحشاء: ما قبح من العمل، والمنكر: ما لا يعرف في الشريعة. والمعنى أن الصلاة سبب للمنع عن معاصي الله، والابتعاد عنها. ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: معناه: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه، لأنه عز وجل يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]. وقال ابن عطية: وعندني أن المعنى: ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة. لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقب له. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: في صلاتكم، من إقامة حدودها وترك ذلك، وغيره من أموركم. الآية عامة.

٣٩ ﴿وَقُرُونٌ وَفَرَعُونَ وَهَمَنَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [العنكبوت: ٣٩]، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ وَقُرُونٌ﴾ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ [غافر: ٢٤]. ما سبب اختلاف ترتيب ذكر فرعون وهامان وقارون في الآيتين؟ **الجواب:** أنه لما قال: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿وَقُرُونٌ وَفَرَعُونَ وَهَمَنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَقُرُونٌ وَفَرَعُونَ وَهَمَنَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]، وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراه، وقرابة موسى، ومعرفته، فناسب تقديم ذكره واسمه عليهم، وفي سورة غافر كان سياق الرسالة إلى قارون، ولمخالفته وعداوته ذكر بعد فرعون وهامان وهلاكهما. [٤٣] ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. وهذه الأمثال نضربها للناس؛ ليتفكروا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأما آية الحشر: وتلك الأمثال نضربها للناس؛ ليتفكروا بها، وقدره الله وعظمته. [٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِشَجَرَيْنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ...﴾ [الجاثية: ٢٢]. خلق الله السماوات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرد به بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين؛ لأنهم الذين ينتفعون بذلك، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأما آية الجاثية: وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر... [٤٥] ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَقًا﴾ [الكهف: ٢٧]، ﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ...﴾ [العنكبوت: ٤٥]. واتل أيها الرسول ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به، فهذا ما دلت عليه آية الكهف، وأما آية العنكبوت: اتل ما أنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات... = وكذلك كلمة (مستبصرين) مرة واحدة. (مبصرون) جمع لاسم الفاعل من الفعل أَبْصَرَ يُبْصِرُ فهو مبصرٌ وهم مبصرون. والفعل أبصر: من الإبصار (أي بالعين). بينما الفعل بَصُرَ: من البصيرة (لا من البصر). جاءت كل من الكلمتين متسقة مع الفواصل المجاورة: فكلمة (مبصرون) جاءت مع الفواصل (صادقين- تنظرون- الصالحين- يبصرون- الجاهلين- عليم- مبصرون)- يقصرون- يؤمنون- ترحمون). وكلمة (مستبصرين) جاءت مع الفواصل: (يفسقون- يعقلون- جاثمين- مستبصرين)- سابقين- يظلمون).

٤٢ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ قرئ: (يدعون) بالغيبة على الأصل لعود الضمير على الموصول في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ وقرئ: (تدعون) بالخطاب للمشركون على الالتفات لأنه أشد في التوبيخ، وحسن ذلك لأن في الكلام معنى التهديد والوعيد، فإذا جرى الكلام على لفظ الخطاب كان أبلغ في الوعظ والزجر لهم. ٤٠ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ **إعجاز عددي:** ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخير) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخبية) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخير) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [٤١] ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ هذه الآية أثارت فضول بعض العلماء فقام بإجراء دراسة على خيوط العنكبوت فوجد أن خيوطه أقوى من الفولاذ لو كان بحجمه، فما هو سبب الوهن إذا؟ قام هذا العالم بدراسة طبيعة البيت العنكبوتي من الداخل، فوجد أن الذكر بعد أن يقوم بتلقيح الأنثى تقوم الأنثى بافتراسه، وتتغذى على لحمه طيلة فترة الحضانه للبيض، وبعد أن يفقس البيض تتغذى اليرقات على أضعفها، ثم بعد أن يقوى ويشد عود ما تبقى من الصغار تقوم بأكل أمها؛ لأنها أصبحت أضعف الموجودين، ثم يلحق الذكر الأنثى ثم تقوم بأكله، وهكذا دواليك، ومن هنا فإن الضعف في بيت العنكبوت في ضعف الترابط الأسري بين أعضائه.

٥٣- ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه. ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عاجلاً ﴿بِقَعْتِهِ﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بوقت مجيئه، لأن قريشاً كانت تقول: ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعُدُّنَا﴾ ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَحَازَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْنِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢]. وغير ذلك من استعجالهم على جهة التعجيز والتكذيب. ٥٦- ﴿إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةً﴾: إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدرُوا على تغييره، فاخرجوا منه. وقيل: إن رحمتي واسعة ورزقي لكم واسع فابتغوه في الأرض. ٥٨- ﴿لَنَبْرِئَنَّهُمْ﴾: لننزلنهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عُرْقًا﴾: علالي. ٥٩- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على مشاق التكليف الإلهي، بإلزام النفس بالطاعات وحجبها عن الشهوات والمنهيات، والصبر: حبس النفس على ما تكره. ٦٠- ﴿لَا تَحْمِلْ رِزْقَهَا﴾: غذاءها، فترفعه من يومها لغدها، لعجزها عن ذلك، وإنما يرزقها الله من فضله ويرزقكم. ٦١- ﴿فَأَنْ يُّؤْكَلُونَ﴾: يعدلون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن الإخلاص له. ٦٢- ﴿أَلَلَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: يُضَيِّقُ وَيُقْتَرِ على من شاء منهم. ٦٣- ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي احمدا الله على أن الحق معك، وأظهر حجتك عليهم.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُ الْعَذَابُ
وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَأِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُو الْقُوَىٰ أَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٤﴾ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنْ رِضَىٰ وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ
﴿٥٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاهُمْ وَهِيَ تَسْمِعُ الْعَلِيمَ ﴿٥٩﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْحِلِيهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء : ٣٥] ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا رَجَعُوهُمْ﴾ [العنكبوت : ٥٧] . زاد في آية العنكبوت ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي ؛ لأن الرجوع في آل عمران إلى الجنة أو النار ، وجاء بالواو في آية الأنبياء لأنه حيل فيها بين الكلامين بقوله : ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ ، فقامت هذه الجملة المعترضة مقام التراخي . [٥٨] ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا نِعَمًا وَنِعَمًا أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٦] ، ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا نِعَمًا أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [العنكبوت : ٥٨] . آية آل عمران فيها خبر بعد خبر فناسب العطف بالواو ، فكأنه قيل : جزاؤهم مغفرة الذنوب ، ودخول الجنة ، والخلود فيها ، وذلك كله تشريف وكرامة للعاملين ، وأمّا آية العنكبوت فمبنية على جملة واحدة وخبر واحد ، فناسبها حذف الواو . [٥٩] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل : ٤٢ ، العنكبوت : ٥٩] . تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والعنكبوت ، وهي تصف المؤمنين الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وتمسكوا بدينهم ، وعلى الله يعتمدون في كل شؤونهم . [٦٢] ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت : ٦٢ ، سبأ : ٣٩] ، [القصص : ٨٢ ، بحذف ﴿لَهُ﴾] ليس في القرآن غيرها ، وباقي المواضع ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ . أحوال الناس في الرزق ثلاثة : الأول : من يسطر رزقه تارة ويضيق عليه أخرى ، وهو يفهم من آية العنكبوت بقوله تعالى : "له" ، والثاني : يوسع على قوم مطلقًا ويضيق على قوم مطلقًا ، ويفهم من سورة القصص ، والثالث : الإطلاق من غير تعيين بسط ولا قبض ، فأطلق من غير ذكر "عباد" ، وخصت العنكبوت بالحال الأول ؛ لتقدم قوله تعالى : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ذَاتِ لَآ حَيْلٍ رِّزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت : ٦٠] ، ثم فصل حالهم في بسطه تارة وقبضه تارة ، وآية سبأ سبقها قوله تعالى : ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ : ٣٦] ، والمراد بهم الكفار ، ثم ذكر بعد قوله تعالى : ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ لأنهم المؤمنون ، وأمّا آية القصص فتقدمها قصة قارون ، فناسب الحال الثاني أنه يسطر الرزق لمن يشاء مطلقًا لا لكرامته كقارون ، ويقبضه عمن يشاء لا لهوانه كالأنبياء الفقراء منهم ، وأمّا بقية الآيات فمطلق من غير تعيين ؛ كأنواع بعض المخلوقات من آدميين وغيرهم . [٦٣] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٣] الوحيدة في القرآن ، وباقي المواضع ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عدا [البقرة : ١٠٠] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . قوله تعالى : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في البقرة ، وفي سائر المواضع ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، وموضع واحد في العنكبوت ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ، لأن أكثر الموصوفين بهذا بين ناقض عهد وجاحد حق إلا القليل منهم ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ، ولم يأت المعنيان معًا إلا في موضع سورة البقرة فقال : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . [٦٣] ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت : ٦٣] الوحيدة في القرآن ، وباقي المواضع بحذف ﴿مِنْ﴾ . زيادة "من" في قوله تعالى في العنكبوت : ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ ، زيادة بيان وتأکید نوسب به ما تقدم من قوله : ﴿مَنْ نَزَّلَ﴾ ، فصيغة "فعل" للمبالغة والتكثير ، وذلك مما يستدعي البيان والتأكيد فنوسب بينهما ، ولما لم يقع في آية البقرة وغيرها سوى لفظ "أنزل" ولا مبالغة فيها ولا تأكيد ، ولا انجر في الكلام ما يعطيه ، لم يوجد ما يستدعي زيادة "من" ليناسب بها .

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٦٤- ﴿إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ﴾: تعليل النفوس بما تلتذ به، ثم هو منقضى، ذاهب، عن قريب ﴿لَهُمُ الْحَيَاةُ﴾: لهي الحياة: لا موت فيها. ٦٥- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لا يستغيثون بالآلهة والأوثان. ٦٦- ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم بالخلاص من الغرق في البحر، وغير ذلك من إنعامه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: ماذا يلقون من عذاب الله تعالى. ٦٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعني: مشركي قريش ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾: حرّمناه على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، وأنه يأمن فيه ساكنه من القتل والسلب والنهب. ﴿وَنَخْطِفُ النَّاسَ﴾: نُسلب الناس ﴿مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: قتلاً وسلباً، وهم آمنون ﴿أَفِإِلْبَاطِلٍ﴾: بالشرك ﴿يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: يحدون. ٦٨- ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾: بما بعث به محمداً ﷺ ﴿مَتًى﴾: منزل ومسكن. ٦٩- ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا﴾: أي: في مرضاتنا وبغية ثوابنا. والآية مكيّة، فهو جهاد عام في دين الله تعالى. وقيل: قاتلوا هؤلاء المفترين على الله ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾: لنوفقنهم ﴿سُبُلَنَا﴾: لإصابة الطريق المستقيم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾: بالنصر والعون، ومن كان معه لم يُخذل.

سُورَةُ الرُّومِ

١، ٢- ﴿الْعَلَّ غُلَبَتِ الرُّومُ﴾: غلبت فارس الروم. ٣، ٤، ٥- ﴿فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾: في أقرب أرضهم من أرض العرب، أو في أقرب أرض العرب منهم. قيل: على ريف الشام، وكان قد شق على رسول الله ﷺ والمسلمين غلبة فارس لأنهم كانوا مجوساً، على الروم لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس. ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾: فالتقت الروم وفارس، فنصر الله الروم على فارس، وكان ذلك في يوم لقاء رسول الله ﷺ المشركين بيدر ففرح رسول الله ﷺ والمسلمون بنصرهم على المشركين، وبنصر الله أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: ينصرون الله ينصرون. ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ﴾. [٦٧] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الآية. أخرج جوير عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا

الناس لقتلنا، وإن الأعراب أكثر منا، فمتى ما بلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا، فكنا أكلة رأس، فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾. [٢-١] قوله تعالى: ﴿الْعَلَّ غُلَبَتِ الرُّومُ﴾ أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿الْعَلَّ غُلَبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ يعني: بفتح الغين. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسئلبكم فيه كما غلب فارس الروم، فأنزل الله ﴿الْعَلَّ غُلَبَتِ الرُّومُ﴾ وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يغمر وقتادة. فالرواية الأولى على قراءة: غلبت - بالفتح - لأنها نزلت يوم غلبتهم يوم بدر. والثانية: على قراءة الضم، فيكون معناه: وهم من بعد غلبهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى.

[٦٤] قدم "الله على اللعب" [الأعراف: ٥١، العنكبوت: ٦٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع قدم "اللعب على الله". قدم اللعب في أكثر المواضع، لأن اللعب زمانه الصبا، واللهو زمانه الشباب، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب، يبيّن ما ذكر في الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحْيٌ﴾ [الحديد: ٢٠] كلعب الصبيان، ﴿وَلَهُوَ كُلُّهُ الشَّبَانُ﴾، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النسوان، ﴿وَتَفَاحٌ﴾ كتفاخر الإخوان، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر السُّلطان، وقريب من هذا في تقديم لفظ اللعب على الله قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٌ﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا﴾ [الأنبياء: ١٦-١٧]، وقدم الله في الأعراف، لأن ذلك في القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحاليتين، أمّا العنكبوت فالمراد بذكرها زمان الدنيا، وأنه سريع الانقضاء، قليل البقاء، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، أي: الحياة التي لا أمد لها، ولا نهاية لأبدها، فبدأ بذكر الله لأنّه في زمان الشباب. [٦٥] ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَفِّرَنَّ مِنَ الشَّرِّ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ...﴾ [لقمان: ٣٢]. الآيات تبين حال الكفار عند الشدائد وتضرعهم إلى الله بكل إخلاص حتى يكشف عنهم ما حل بهم من الكرب.

[٦٦] ﴿وَلَيْتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. آيتا النحل والروم للمخاطبين فجاءت بغير "لام"، وفي العنكبوت للغائبين؛ فناسب ذكر "اللام" فيها. [٦٧] ﴿أَفِإِلْبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَعْبُدُونَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿أَفِإِلْبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَعْبُدُونَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. الكلام في سورة النحل نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم، وهو قوله سبحانه وتعالى: [٦٤] ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ما الفرق بين: "الحياة، والحيوان"؟ الجواب: وردت كلمة (الحياة) (معرفة ونكرة) إحدى وسبعين مرة. بينما وردت كلمة (الحيوان) مرة واحدة. (الحياة) ضد (الموت). أما الحيوان: فهي الحياة المستمرة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها. والحيوان: مصدر حيي، وقياسه (حيي) فقلبت الياء الثانية واواً. وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليس في بناء (الحياة). و(حيوان) على وزن (فعلان) الذي فيه معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والغصان.. وما أشبه ذلك. و(الحيوان) فيها مبالغة وتوكيد، لذلك لم تطلق إلا على الحياة الآخرة؛ لأنها الدائمة فليس لها فناء، والنظيفة فليس فيها رجس ولا وباء، وهي الحق فليس فيها باطل ولا مرأ، وهي الباقية فليس لها انتهاء. = الفعل إلى المجرور، فانتصب به، وهو معنى قولهم منصوب على نزع الخافض. [٦٦] ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلَيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَيَتَمَنَّعُوا﴾ قرئ: (وليتمنعوا-وليتمنعوا) بكسر اللام وإسكانها، وهما وجهان جائزان في "لام الأمر" بعد العاطف، وقد تقدم تفصيل ذلك في سورة "الحج".

[٤-١] ﴿الْعَلَّ غُلَبَتِ الرُّومُ﴾ في آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ [الروم: ١-٤]. أخفض مكان: إن سبب نزول هذه الآيات الكريمات هو وقوع معركة بين مملكتي فارس والروم في منطقة بين أذرعات وبصرى قرب نزول سورة الروم: نزلت بعد سورة الانشقاق، وهي مكيّة إجمالاً. عدد كلمات سورة الروم: ثمانمائة وسبع. عدد حروف سورة الروم: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون. أسماء سورة الروم: وسميت سورة الروم لما فيها من ذكر غلبة الروم. مواضع سورة الروم: معظم مقصود السورة: غلبة الروم على فارس، وعيب الكفار في إقبالهم

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِمُ الْحَيَاةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَنَخْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِإِلْبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَّتْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَتًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَلَّ غُلَبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

(٤٤)

٦- ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: يريد الكفار من قريش والعرب ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك كذلك، وأنه لا يكون في وعد الله إخلاف. وأن ما يورده نبيه حق. ٧- ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يعني: المكذبين بحقيقة خبر الله عز وجل يعلمون معاشهم وما يصلحهم. وقيل: كل ما يعلم بأوائل الرؤية فهو الظاهر. وربما كان المراد: معارف الحواس أو ما أدته إليه حواسهم. ٨- ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: معطوف على الحق، أي: وبأجل مسمى للسموات والأرض وما بينهما تنتهي إليه، وهو يوم القيامة. ٩- ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾: حرثوها وملكوها. ١٠- ﴿الَّذِينَ اسْتَوُوا﴾: بذلك من فعلهم ﴿السُّوءِ﴾: أي: الخلة التي هي أسوأ من فعلهم، بالهلاك في الدنيا، والنار في الآخرة. قال ابن عباس: «أسأوا» هنا بمعنى كفروا و«السوءى»: النار. ١١- ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: أنشأ جميعه منفرداً من غير شريك ولا ظهير ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بعدما في. ١٢- ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يياس الذين أشركوا بالله وعصوا الله من كل خير، ويكتتبون ويندمون. يقال: أبلس الرجل: إذا سكت وانقطعت حجته. ١٣- ﴿يَوْمَ يَذُوقُونَ﴾: يتفرق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به. ١٤- ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾: شيء أحسن منظراً، وأطيب نشراً من الرياض، والمراد بها هنا: الجنة. ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يسرون ويغبطون. والحبرة والخبور: السرور والنعيم.

= ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، ثم انتقل الكلام من الخطاب العام إلى الإخبار الخاص، فقال: ﴿أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، فأكد الكلام بقوله: ﴿هُمْ﴾ لثلاث يتوهم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخط بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت، لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغنى عما يحصره للخبر دون غيره، وهو قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَعْبُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا أَمْنًا وَنَحْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمِ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥-٦٧]، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده، بما يحصره على الخبر، وذلك واضح لمن تدبره.

[١] ﴿المر﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. انظر سورة العنكبوت آية: ١. [٨] ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بَصَاحِهِمْ مِّنْ حَنَّةٍ...﴾ [الأعراف: ١٨٤]، ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [الروم: ٨]. أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الروم: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون برسول الله ولقائه في خلق إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً... [٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩، فاطر: ٤٤، أول غافر: ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذاك مؤدياً إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا...﴾ [يوسف: ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالاً أرسلوا إليهم فخالفوه، فاعتبروا أنتم بأثارهم ومشاهدة ديارهم، لتجنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥]، فكانه قال: إذا كان كذا، فسيروا في الأرض واعتبروا، فأما قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه لم يتقدم ما يصير هذا كالجواب عنه، إذ لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيه فوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الروم: ٨]، فكان الموضوع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾ وهو بالواو، فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو هو الواجب، وكذلك ما جاء في سورة [١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِيبَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوءِ﴾ قوله تعالى: ﴿عَقِيبَ﴾ قرئت: بالرفع على أنها اسم كان وخبرها السوءى، أي: كان عاقبتهم أسوأ عاقبة، وأن وما دخلت عليه "في" أن كذبوا" مجرور بحرف جر محذوف، أي: ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى لتكذيبهم... إلخ. ويحتمل أن يكون أن كذبوا، خبر كان و"السوءى" مفعول مطلق لأسأوا من غير لفظه لأنه مصدر كال بشري، أو يكون مفعولاً به يجعل "أسأوا" بمعنى: اقترفوا، و"السوءى" صفة لمحذوف هو المفعول به على الحقيقة، أي: اقترفوا الفعل السوءى. وقرئت: (عاقبة) بالنصب على أنها خبر كان مقدم، والاسم "السوءى" وأن كذبوا مجرور بحرف جر محذوف، أو هو الاسم، والسوءى مفعول لأسأوا على ما سبق. [١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (ترجعون) بالخطاب على الالتفات لمكافحة المشركين بالوعيد. وقرئ: (يرجعون) بالغبية على مناسبة الكلام السابق واللاحق.

= البحر الميت حيث انتصر فيها الفرس، وكان ذلك سنة ٦١٩ م. ولقد أصاب المسلمين الحزن نتيجة لانهازم الروم لأنهم أهل كتاب وديانة سماوية بينما الفرس مجوس وعباد للنار، فوعد الله تعالى المسلمين بأن الفرس ستُغلب في المعركة الثانية بعد بضع سنوات، وأن نصر الروم سيتزامن مع نصر المسلمين على المشركين. وبضع سنوات هو رقم بين الخمسة والسبعة أو بين الواحد والتسعة كما يقول علماء اللغة العربية، وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات أي ضمن المدة التي حددها من قبل، حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة ٦٢٦ م، وانتصر فيها الروم وتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى. إن المتأمل في الآية القرآنية يلاحظ أنها قد وصفت ميدان المعركة الأولى بين الفرس والروم بأنه أدنى الأرض، وكلمة أدنى عند العرب تأتي بمعنيين أقرب وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر بـ ٣٩٢ مترًا، وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة.

= على الدنيا، وأخبار القرون الماضية، وذكر قيام الساعة، وآيات التوحيد، والحجج المترددة الدالة على الذات والصفات، وبيان بعث القيامة، وتمثيل حال المؤمنين والكافرين، وتقرير المؤمنين على الإيمان، والأمر بالمعروف، والإحسان إلى ذوي القربى، ووعد الثواب على أداء الزكاة، والإخبار عن ظهور الفساد في البر والبحر، =

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٢﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَجَعَلُوا لَهَا مَدَائِجَ حَبْرَوَاتٍ لِّمَنْ يَرْجُو ﴿٤﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوءِ ﴿٥﴾ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا إِشْرَاكَائِهِمْ كَفَرِينَ ﴿٩﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنْفَرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١١﴾

(٤٥)

٦٥-٦٧، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده،

انظر سورة العنكبوت آية: ١. [٨] ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بَصَاحِهِمْ مِّنْ حَنَّةٍ...﴾ [الأعراف: ١٨٤]، ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [الروم: ٨]. أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الروم: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون برسول الله ولقائه في خلق إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً... [٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩، فاطر: ٤٤، أول غافر: ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذاك مؤدياً إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا...﴾ [يوسف: ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالاً أرسلوا إليهم فخالفوه، فاعتبروا أنتم بأثارهم ومشاهدة ديارهم، لتجنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥]، فكانه قال: إذا كان كذا، فسيروا في الأرض واعتبروا، فأما قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه لم يتقدم ما يصير هذا كالجواب عنه، إذ لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيه فوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الروم: ٨]، فكان الموضوع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾ وهو بالواو، فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو هو الواجب، وكذلك ما جاء في سورة [١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِيبَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوءِ﴾ قوله تعالى: ﴿عَقِيبَ﴾ قرئت: بالرفع على أنها اسم كان وخبرها السوءى، أي: كان عاقبتهم أسوأ عاقبة، وأن وما دخلت عليه "في" أن كذبوا" مجرور بحرف جر محذوف، أي: ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى لتكذيبهم... إلخ. ويحتمل أن يكون أن كذبوا، خبر كان و"السوءى" مفعول مطلق لأسأوا من غير لفظه لأنه مصدر كال بشري، أو يكون مفعولاً به يجعل "أسأوا" بمعنى: اقترفوا، و"السوءى" صفة لمحذوف هو المفعول به على الحقيقة، أي: اقترفوا الفعل السوءى. وقرئت: (عاقبة) بالنصب على أنها خبر كان مقدم، والاسم "السوءى" وأن كذبوا مجرور بحرف جر محذوف، أو هو الاسم، والسوءى مفعول لأسأوا على ما سبق. [١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (ترجعون) بالخطاب على الالتفات لمكافحة المشركين بالوعيد. وقرئ: (يرجعون) بالغبية على مناسبة الكلام السابق واللاحق.

البحر الميت حيث انتصر فيها الفرس، وكان ذلك سنة ٦١٩ م. ولقد أصاب المسلمين الحزن نتيجة لانهازم الروم لأنهم أهل كتاب وديانة سماوية بينما الفرس مجوس وعباد للنار، فوعد الله تعالى المسلمين بأن الفرس ستُغلب في المعركة الثانية بعد بضع سنوات، وأن نصر الروم سيتزامن مع نصر المسلمين على المشركين. وبضع سنوات هو رقم بين الخمسة والسبعة أو بين الواحد والتسعة كما يقول علماء اللغة العربية، وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات أي ضمن المدة التي حددها من قبل، حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة ٦٢٦ م، وانتصر فيها الروم وتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى. إن المتأمل في الآية القرآنية يلاحظ أنها قد وصفت ميدان المعركة الأولى بين الفرس والروم بأنه أدنى الأرض، وكلمة أدنى عند العرب تأتي بمعنيين أقرب وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر بـ ٣٩٢ مترًا، وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة.

= على الدنيا، وأخبار القرون الماضية، وذكر قيام الساعة، وآيات التوحيد، والحجج المترددة الدالة على الذات والصفات، وبيان بعث القيامة، وتمثيل حال المؤمنين والكافرين، وتقرير المؤمنين على الإيمان، والأمر بالمعروف، والإحسان إلى ذوي القربى، ووعد الثواب على أداء الزكاة، والإخبار عن ظهور الفساد في البر والبحر، =

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَاطَ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

(٤٠)

١٦- ﴿مُخَضَّرُونَ﴾: قد أحضرهم الله العذاب ليدوقوه. ١٧- ﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ﴾: يقول الله عز وجل: فسبحوا الله أيها الناس، أي نزهوه عما لا يليق به. وقيل: صلُّوا له ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاة الصبح. ١٨- ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من سكان السماء من الملائكة، وأصناف الخلق في الأرض - قال ابن عطية: وهذه الجملة اعتراض في الكلام بين وقوع تعظيم الله تعالى والحض على عبادته - ﴿وَعَشِيًّا﴾: وسبحوه عشياً، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: تدخلون في وقت الظهيرة. ١٩- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. والطيب من الخبيث، والخبيث من الطيب [راجع تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران: ص ٥٣]. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد خرابها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: من قبوركم إلى موقف الحساب. ٢٠- ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: من أيكم آدم، الذي خلق من تراب ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾: تنصرفون، فيما هو قوام معاشكم. ٢١- ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: تألفوها وتميلوا إليها. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: أي وداداً وتودداً وتراحماً. وقيل: المودة هي الحب بين الزوجين في حال الوثام الدائم، والرحمة هي العطف والتذم في حال الشقاق العارض. وقيل: الرحمة: خشية كل من الزوجين على الآخر أن يصيبه سوء. ٢٢- ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: مواعظ الله فيعتبرون. ٢٣- ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: خوفاً للمسافرين أن يتأذوا به، وطمعاً للمقيم في الخصب. وقيل: خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث. وهذا التفسير أولى.

= فاطر، وسورة غافر... فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي أن يكون هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو... [٩] ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: ٢١]. قوله تعالى في الروم: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ إخبار عما كانوا عليه قبل الإهلاك، وخصت سورة الروم بهذا النسق لما يتصل به من الآيات بعده، وكله إخبار عما كانوا عليه، وهو: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾، وفي فاطر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا﴾ بزيادة الواو، لأن التقدير: فينظروا كيف أهلكوا وكانوا أشد منهم قوَّة، وخصت سورة فاطر به لقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، وفي سورة غافر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، فأظهر "كان" العامل في "من قبلهم" وزاد "هم"؛ لأن هذه السورة وقعت فيها أوائل قصة نوح، وهي تتم في ثلاثين آية، فكان اللاتق به البسط، وفي آخر المؤمن: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢] فلم ييسط القول؛ لأن أول السورة يدل عليه.

[٢١-٢٤] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، ﴿إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وختم الآية بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني التي خلقت لها، من التانس والتجانس، وسكون كل واحد منهما إلى الآخر. قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وختم بقوله: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، لأن الكل تظلمهم السماء، وتقلهم الأرض، فكل واحد منفرد بلطفة في صورته يمتاز بها عن غيره؛ حتى لا ترى اثنين في ألف يشابه صوتاهما، ويلتبس كلامهما؛ وكذلك ينفرد كل واحد بدقيقة في صورته، يتميز بها من بين الأنام، فلا ترى اثنين يشبهان، وهذا يشترك في معرفته الناس جميعاً؛ فلهذا قال: ﴿لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾. قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وختم بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ﴾، فإن من سمع أن النوم من صنع الله الحكيم لا يقدر أحد على اجتلابه إذا امتنع، ولا على دفعه إذا ورد، يتقن أن له صانعاً مدبراً، ومعنى "يسمعون" ههنا: يستجيبون إلى ما يدعوههم إليه الكتاب. قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ وختم بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾؛ لأن العقل ملاك الأمر في هذه الأبواب، وهو المؤدّي إلى العلم، فختم بذكره.

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَاطَ وَالْوَنُكُمُ...﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ...﴾ [الشورى: ٢٩]. ومن دلائل القدرة الربانية: خلق السماوات وارتفاعها بغير عمد، وخلق الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلاف لغاتكم وتباين ألوانكم، إن في هذا لَعِبْرَةً لكل ذي علم وبصيرة، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأمّا آية الشورى: ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا شاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَاطَ وَالْوَنُكُمُ...﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ...﴾ [الشورى: ٢٩]. ومن دلائل القدرة الربانية: خلق السماوات وارتفاعها بغير عمد، وخلق الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلاف لغاتكم وتباين ألوانكم، إن في هذا لَعِبْرَةً لكل ذي علم وبصيرة، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأمّا آية الشورى: ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا شاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.

٢٥- ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِ﴾: أي قيامهما واستمسакهما بإرادته سبحانه وقدرته بلا عمد يعمدها. ٢٦- ﴿كُلُّ لَهٗ قَلْبُونٌ﴾: مطيعون لله فيما أراد من حياة أو موت، أو رزق أو قدرة، وإن عصاه بعضهم، فيما يكتسب بقواه. ٢٧- ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: ينشئه ويخرجه من العدم. ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾: معناه: وهو عليه هين، وقيل: أهون عليه بالنسبة إلى قدرته أو في عُرف المخلوقين، فكيف ينكرون الإعادة في حق الخالق؟ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: أي الوصف الأعلى، ليس كمثله شيء. ٢٨- ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قال ابن عطية: ثم بين الله تعالى أمر الأصنام وفساد معتقد من يشركها بالله تعالى، بضرب هذا المثل، ومعناه: إنكم أيها الناس إن كان لكم عبيد تملكونهم فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ولا في شيء على جهة استواء المنزلة. وليس من شأنكم أن تخافوهم في أن يرثوا أموالكم أو يقاسموكم إياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض. فإذا كان هذا فيكم، فكيف تقولون إن من عبيده في ملكه شركاء في سلطانه والوهيته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجانبكم؟ ٣٠- ﴿فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: سدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك، وهو الدين ﴿حَنِيفًا﴾: أي مائلاً إليه، مستقيماً عليه، غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة، مسلماً لطاعته ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىهَا﴾: هي الإسلام ﴿لَا يَبْدِيلُ لِحَاقِ اللَّهِ﴾: لدين الله ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم الذي لا عوج فيه. ٣١- ﴿مُيَبِّينَ إِلَيْهِ﴾: مطيعين راجعين عن الكفر إلى الإسلام. ٣٢- ﴿وَكَانُوا شَيْعًا﴾: أحزاباً، فأحدثوا البدع التي أحدثوها ليكفروا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما هم متمسكون به من مذهب. ﴿فَرِحُوا﴾: مفتنونون بأرائهم، معجبون بضلالهم.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ الآية. [٢٨] قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الآية. أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان يلي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فأنزل الله ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الآية. وأخرج جوير مثله عن داود بن أبي هند، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَلْبُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُيَبِّينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

إذ الآيات والدلالات على توحيد الله عز وجل كما يشهدها العالم والجاهل آية للجميع، وحجة على كل الخلق فليست بحجة على العالم دون الجاهل كما في قراءة الكسر، فكان حملها على العموم أولى بذلك. [٣٩] ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَرْبُوا﴾ قرئ: (ليربو) بياء مفتوحة، وآخره واو مفتوحة كذلك، على أنه مضارع ربا يربو الثلاثي، وفاعله يعود على الربا، وهو منصوب بفتحة ظاهرة على الواو لخفتها، وناصبه "أن" المضمرة بعد "لام التعليل"، والمعنى: وما أعطيتكم من ربا ليزيد في أموال الناس فلا يربو ولا يبارك فيه في حكم الله وتقديره، ومعنى الربا في قوله: ﴿مِنْ رَبِّا﴾ أنه "الربا" المبين عنه شرعاً، فإن الخطاب للمدينين، فالربا مراد به حقيقة، أي: وما دفعتم من زيادة ليزداد ذلك الربا في أموال الناس الدائنين فلا يربو عند الله، ويحتمل أن يكون الخطاب لأكلة الربا وهم الدائنون، فالمراد بالربا في الآية سببه، أي: وما أعطيتكم من مال هو سبب في الربا ليزيد ذلك المال في أموال الناس بما تجرونه إليه من زيادة فلا يربو عند الله. وقرئ: (لتربو) بقاء مضمومة في أوله وسكون الواو في آخره، على أنه مضارع أربى المزيد بالهمزة و"التاء" فيه "تاء الخطاب" و"الواو" التي في آخره هي "واو الجماعة"، والفعل منصوب بحذف النون والخطاب فيه على نسق قوله: وما آتيتكم من ربا لتربو، أي: لتزيدوه في أموال الناس، فلا يربو عند الله، فيكون المخاطب أكلة الربا أو الدافعين له على ما سبق، هذا هو الظاهر في معنى الآية، وذهب بعض المفسرين إلى حمل الربا في الآية على الهدية يهديها الرجل ليريد من المهدى إليه أن يشبه عليها بأكثر مما أهدى، وذلك في مد "آتيتكم" جعلوه من باب الإعطاء، ومعناه: وما أعطيتكم من عطية، لتعوضوا أكثر منها فلا ثواب لكم فيها عند الله، وذلك مثل الرجل يهدي الرجل هدية ليعوضه أكثر منها، وهذا مباح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وغير مباح للنبي - عليه السلام - لقوله: [٣٩] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]. إعجاز اقتصادي: وأحلَّ الله البيع وحرم الربا: حكم الربا: محرم في جميع الأديان السماوية في اليهودية والمسيحية والإسلام. أنزل الله دينه ليقوم العباد على منهج العبودية الحق التي تعرج بهم إلى مراتب الكمال، وتسمو بهم إلى المراتب العليا، وبذلك يتخلصون من العبودية الفاسدة، ويقصرون أنفسهم على عبادة رب الخلائق، ويتخلصون بذلك من الفساد الذي يخالط النفوس. إن الإسلام يريد أن يطهر العباد في نفوسهم الخافية المستورة، وفي أعمالهم المنظورة، وتشريعات الإسلام تعمل في هذين المجالين، والقرآن الكريم سمّاها بالتزكية والتطهير، قال تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. من آثار الربا: الربا واحد من الأعمال التي تعمق في الإنسان الانحراف عن المنهج السوي، وذلك أن المرابي يستعبد المال، ويعمي ناظره بريقه، فهو يسعى للحصول عليه بكل السبل، وفي سبيل ذلك يدوس على كل القيم، ويتجاوز الحدود، ويتعدى على الحرمات، إن الربا ينبئ في النفس الإنسانية الجشع، كما ينبئ الحرص، والبخل، وهما مرضان ما أصابا نفساً إلا أفسدا صاحبها. ومع الجشع والبخل، تجد الجبن والكسل، فالمرابي جبانٌ يكره الإقدام، لذلك شعار المرابين: إن الانتظار هو صنعة المرابين، فهو يعطي ماله لمن يستثمره، ثم يجلس ينتظر إنتاجه لينال حظاً معلوماً بدل انتظاره، وهو كسولٌ لا يقوم بعمل منتج نافع، بل تراه يريد من الآخرين أن يعملوا، ثم يحصل هو على ثمرة جهودهم، وأشارت الآية القرآنية إلى هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وََمَا آتَيْتُمْ مِنْ دُكُورٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. فالآية تشير إلى أن المرابي يعطي ماله للآخرين كي ينمو من خلالهم. كما أن الله - سبحانه - يذهب بركة الربا، ويصيبه بالهلاك والدمار، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. الربا يحدث أثراً خبيثاً في نفس متعاطيه وتصرفاته، وأعماله وهيئته. ويرى بعض الأطباء أن الاضطراب الاقتصادي الذي يؤلّد الجشع، يسبب كثيراً من الأمراض التي تصيب القلب، فيكون من مظاهرها ضغط الدم والذبحة الصدرية والجلطة الدموية والتزيف بالمخ، أو الموت المفاجئ، وقد قرر عميد الطب الباطني في مصر الدكتور/ عبد العزيز إسماعيل في كتابه «الإسلام=

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا لَيْسَ بِهِمْ فَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٤١﴾

٣٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: من مرض أو قحط، أو أي لون من ألوان الشدائد. ﴿مُبِينِينَ إِلَيْهِ﴾: أي راجعين إليه ملتجئين. والإنسان بوجه عام يلجأ إلى الله في الشدة وقد ينساه في الرخاء. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: جماعة منهم. ٣٤- ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: إلى آخر الآية، وعيد من الله لهم، ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ما يعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الأليم في الآخرة. ٣٥- ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حجة وكتاباً بتصديق ما يقولون. ٣٦- ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: أي أن الله تعالى يمتحن الأمم، ويصيب منهم عند فشو المعاصي. ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: يياسون من الفرج و«القنوط»: هو اليأس من الفرج. ٣٨- ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْآنِ حَقَّهُ﴾: أعطِ ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة. ٣٩- ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّكَ﴾: أعطيتكم بعضكم بعضاً من عطية ﴿لِيُزَيِّنُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: ليشابوا عليها، وهو الرجل يعطي الرجل العطية ليشبه أفضل منها، لا تطلب أجر من الله عز وجل ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّكَ﴾: هي الصدقة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ﴾: الذين يتقبل الله منهم ويضاعف لهم الجزاء. ويحتمل أن يكون معنى الآية: النهي عن الربا في التجارات. والراجع أن الحكم في الآية: أخلاقي إيماني. ٤١- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها. ومعناه: ظهرت معاصي الله في كل مكان، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾: بذنوبهم، وبما انتشر من الظلم فيهم ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم ومعصيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون.

٣٤ [٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥، الروم: ٣٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والروم، وهي تبين أن المشركين يجحدون نعم الله عليهم، ومنها كشف البلاء عنهم، فاستمتعوا بدنياكم أيها المشركون، ومصيرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم. ٣٦ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ...﴾ [يونس: ٢١]، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ...﴾ [الروم: ٣٦]. وإذا أذقنا المشركين يسراً وفرجاً ورخاءً بعد عسر وشدة وكره أصابهم، إذا هم يكذبون، ويستهزئون بآيات الله، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجًا وعقوبة لكم... فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الروم: وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطر وأشر، لا فرح شكر... ٣٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢]. بسط الرزق مما يشاهد ويرى، فجاء في الروم على ما يقتضيه اللفظ والمعنى، وفي سورة الزمر اتصل بقوله: ﴿أَوَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ عِلْمٌ﴾ وبعده: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]، فحسن ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾. ٣٨ ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْآنِ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّ لِتَذِيرٍ﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْآنِ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]. وأحسن إلى كل من له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين المحتاج والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية الروم: أعط أيها المؤمن قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله، الناجون من عقابه.

= ﴿وَلَا تَمَنَّوْا نِعَتَكُمْ﴾ أي: لا تعط يا محمد عطية، لتأخذ أكثر منها. ٤١ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ قرئ: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالياء على أن الفعل مسند إلى ضمير لفظ الجلالة. وقرئ: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالنون على الالتفات عن الغيبة إلى إسناد الفعل إلى ضمير العظمة. = والطب الحديث «أن الربا هو السبب في كثرة أمراض القلب. تحبُّط المرابي»: وصف القرآن الكريم الحال التي يكون عليها المرابي بحال الذي أصابه الشيطان بمس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقْوَمُ الَّذِي يَخْبُطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. قال النووي: التخبط: الضرب على غير استواء. يقال: خبط البعير إذا ضرب بأخفافه. ويقال للرجل الذي يتصرف تصرفاً رديئاً ولا يهتدي فيه، هو يخبط خبط عشواء، وهي الناقه الضعيفة النظر. ولأن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله، فهذا هو المراد بالمس (مس الشيطان)، ومن كان كذلك كان في أمر الدنيا متخبطاً، فتارة يجرُّه الشيطان إلى النفس والهوى، وتارة يجرُّه المَلَك إلى الدين والتقوى، فتحدث حركات مضطربة، وأفعال مختلفة، فهذا هو التخبط الحاصل بفعل الشيطان. أثر الربا على المجتمعات: لا يمكن أن تقوم المجتمعات الإنسانية ما لم يترابط الناس فيما بينهم براوابط الود والمحبة القائمة على التعاون والتراحم والتكافل، بين أبناء الأمة الواحدة، والأفراد في المجتمعات أو القطاع من الأمة الذين لا تورقهم آلام إخوانهم وأوجاعهم ومصائبهم كالعضو المشلول الذي انعدم فيه الإحساس، وانقطعت روابطه بباقي الجسد، ومثله كمثل الحمار الذي يدور حول الرحي، ذلك لأن اهتماماته وتطلعاته وغاياته تدور حول أمر واحد هو مصالحه الذاتية، فلا تراه متأثراً بدموع الثكالي، ولا بآثات الحزاني، ولا بأوجاع اليتامي، يرى البؤساء والفقراء فلا يعرف من حالهم إلا أنهم صيد يجب أن تمتص البقية الباقية من دمائهم، استعبدوا أولئك المعسرين الذين لم يستطيعوا أن يفوا بديونهم وما ترتب عليها من ربا خبيث، ألم يخرج أبو لهب العاصي بن هشام إلى بدر لأن العاصي مدين لأبي لهب، ففرض عليه الخروج إلى المعركة بدلاً عنه. كيف ينعم مجتمع إذا انبث في جنباته أكلة الربا الذين يقيمون المصائد والحبائل لاستلاب المال بطريق الربا وغيره من الطرق (غير المشروعة)؟! وكيف يتألف مجتمع يسود فيه النظام الربوي الذي يسحق القوي فيه الضعيف؟ وكيف نتوقع أن يحب الذين نُهبت أموالهم وسُلبت خيراتهم ناهبيهم وسالبيهم؟! إن الذي يسود في هذه المجتمعات هو الحقد والكراهية والبغضاء. يقول المراغي - رحمه الله -: الربا يؤدي إلى العداوة والبغضاء والمشاحنات والخصومات، إذ هو ينزع عاطفة التراحم عن القلوب، حتى إن الفقير ليموت جوعاً، ولا يجد من يجود عليه ليسد رمقه، ومن جرّاء هذا مُنيت البلاد ذات الحضارة التي تعاملت بالربا بمشاكل اجتماعية. وقد بلغت خسة الطبع وفساد الخلق بالمرابية اليهود إلى أن يتآمروا على المجتمعات التي فتحت أبوابها لهم، بل على العالم بأسره، ويوقدوا نار الحروب، ويسعوا في الأرض الفساد، وقد نبأنا القرآن من خبرهم، وكشف لنا جرمهم عندما قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَيْدَهُمْ مِنْهُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَآلَفَيْنَا يَنْتَهِمُ الْعَدَاةَ﴾ =

٤٣- ﴿لَا مَرَدَ لَهُ﴾: لا صارف له ﴿يَصَدَّعُونَ﴾: يتفرق الناس إلى الجنة وإلى النار. وأصله: «يتصدعون» والتصدع: التفرق. ٤٤- ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: وزر كفره ﴿فَلَا نَفْسٍ يَمُدُّونَ﴾: يسوون المضاجع، ويوطئون لأنفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح. ٤٦- ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾: بالغيث والرحمة. ٤٧- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات والحجج النيرات فكفروا. ٤٨- ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾: قيل: كل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع: «الرياح» وما كان بمعنى العذاب فهو موحد: «الريح» ﴿فَتُفْثِرُ سَحَابًا﴾: تنشر الرياح سحاباً ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾: يجمعه ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾: قطعاً، والكسف جمع كسفة. وهي القطعة من السحاب. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: من بينه. ﴿أَصَابَ بِهِ﴾: أي: بالمطر. ٤٩- ﴿لَمَلْسَيْنِ﴾: مكتئين حزينين، أو آيسين من نزول المطر. ٥٠- ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾: الناشئة عن إنزال المطر، من النبات والثمار التي يكون بها الخصب ورخاء العيش. أي انظر نظر اعتبار لتستدل بذلك على توحيد الله، وتفرد به هذا الصنع العجيب. وعلى أنه تعالى قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، كما أحيا الأرض الميتة بالمطر.

[٤٣] ﴿فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَ يَمِيزُ يَصَدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَ يُمِيزُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]. آية الروم أعقبت بقوله: ﴿يَوْمَ يَمِيزُ يَصَدَّعُونَ﴾، تمهيداً لما اتصل بها من تفصيل الأحوال في قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُدُّونَ﴾ [الروم: ٤٤]؛ لأن تصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْفَرِّقُونَ﴾ [الروم: ١٤]، فالمراد يومئذ يصدعون إلى ما أعد لكل منهم بحسب مرتكبه وحاله في كفره وإيمانه، وأمّا آية الشورى فقد سبقها تحذير منه سبحانه لعباده من حال الظالمين في عدم الولي والناصر في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٦]، وأمر الله عباده

بالاستجابة قبل التورط وانقطاع الطمع والرجاء في التخلص، وعدم جدوى الإنكار لمن ظن التعلق به، فقال: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَ يُمِيزُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾، فحذرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امتحن. [٤٦] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]، ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾، أي: بالرياح بأمر الله تعالى، ولم يتقدم ذكر البحر، فلم يذكر القيد؛ لأنه ليس للضمير عائد يعود إليه، أما آية الجاثية فجاء فيها ذكر البحر: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ﴾ فجاء بالضمير العائد إليه على ما يجب.

[٥٠] ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ قوله تعالى: ﴿آثَرِ﴾ قرئ: (أثر) بهمزة غير ممدودة، وإسقاط الألف التي بعد الثاء على التوحيد لقصد الجنس. وقرئ: (آثار) بألف قبل الثاء وألف بعدها على الجمع بقصد الأنواع، نظراً إلى تنوع أثر المطر، وكثرة تلك الأنواع.

= وَالْبَعْضُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ [المائدة: ٦٤]. وقد نبّه كثير من الكتاب المحققين إل أن أباطرة المال اليهود هم الذين كانوا وراء إشعال نيران الحروب في القرن الماضي. كما أنهم هم الذين أوقدوا نيران الحربين العظمتين في القرن الماضي، لقد سالت الدماء أنهاراً، وأهدرت ملايين من الأموال، كل ذلك ليربو مأل اليهود وتعظم سيطرة اليهود في العالم. إذا أصبح المال دولة بين الأغنياء، شقي أغنياء ذلك المجتمع وفقرأوه، والربا يركز المال في أيدي فئة قليلة من أفراد المجتمع الواحد، ويحرم منه المجموع الكثير، وهذا خلل في توزيع المال. قال الدكتور (شاخنت) الألماني مدير بنك الرايخ الألماني (سابقاً) في محاضرة ألقاها في سوريا عام ١٩٥٣ م: إنه بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جميع المال صائر إلى عدد قليل جداً من المربين، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة، ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد بالحساب الرياضي أن يصير إلى ربح دائماً. وقد اعترف رجال الاقتصاد الكبار في العالم الغربي، ومن هؤلاء (شارل رست) اعترف بعجزه التام عن حل المشكلات في العالم الذي يعيش فيه، بعد أن بلغ قمة النضج، يقول: إنني وقد قاربت سن التقاعد أريد أن أوصي الجيل الأصغر مني سناً، في هذا القضية، لقد أصبحنا الآن بعد هذه الجهود الطويلة في بلبلة مستمرة، فكلنا يشقى بسبب توزيع الثروة، وتوزيع الدخل، سواء منها ما كان جزئياً، مثل قضية الفائدة والربا، أو ما كان مثل تفاوت الطبقات، تعبنا ولم نصل إلى شيء. إنه الشقاء حقاً، شقاء الحياة الدنيا وشقاء الآخرة أدهى وأمر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [١٢٦] وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [طه: ١٢٤ - ١٢٧]. ١- تعطيل الطاقة البشرية: الربا يعطل الطاقات البشرية المنتجة، ويُربغ في الكسل وإهمال العمل، والحياة الإنسانية ترقى وتتقدم ببذل الطاقات في التنمية والإعمار، أما المرابي فيجد المجال رحباً لإنماء ماله بالربا بسهولة، فيألف الكسل ويمقت العمل ولا يشتغل بشيء من الحرف والصناعات الشاقة، مما يُفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارب والعمارات. ٢- تعطيل المال: كما يُعطل الربا جزءاً من الطاقات البشرية العاملة كذلك يُعطل الأموال عن الدوران والعمل، المال للمجتمع يُعد بمثابة الدم الذي يجري في عروق الإنسان، وتوقف المال عن الدوران يصيب المجتمعات بأضرار فادحة، مثله كمثل انسداد الشرايين، أو الحواجز التي تقف في مجرى الماء، وقد رهب الله - تبارك وتعالى - الذين يكنزون المال، وتهدهم بالعذاب الأليم الموجع ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣٤] يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتُ بِهَا بُجَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة: ٣٤ - ٣٥]، وقد شرع الله من الأحكام ما يكفل استمرار تدفق المال إلى كل أفراد المجتمع، بحيث لا يصبح المال دولة بين الأغنياء دون غيرهم. ٣- التضخم: التضخم يقصد به وجود اتجاه صعودي في الأثمان بسبب وجود طلب زائد أو فائض بالنسبة إلى إمكانية التوسع في العروض، والتضخم له أسباب طبيعية وأسباب غير طبيعية، ومن الأسباب غير الطبيعية الربا، فالمرابي بما يفرضه من فائدة مرتفعة يُجبر أصحاب السلع والخدمات على رفع أثمان هذه السلع والخدمات، ولا شك أن التضخم =

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَ كَانُوا أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ [٤٣] فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَ يَمِيزُ يَصَدَّعُونَ [٤٣] مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُدُّونَ [٤٤] لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [٤٥] وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٤٦] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْفَسْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ [٤٧] اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُفْثِرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ [٤٨] وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَلْسَيْنِ [٤٩] فَانْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٥٠] (٤٩)

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَّاهُ مُضْفَرًا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَوْا آلَ الْعِمِّ الْأَيْمَنَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذَرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(٤١٠)

٥١- ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: مفسدة للنبات والزرع ﴿فَرَّاهُ مُضْفَرًا﴾: قد فسد بتلك الريح ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد استبشارهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾: بربهم. وفي هذا دليل على سرعة تقلبهم وعدم صبرهم.
٥٢- ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾: الآية: استعارة للكفار. (راجع تفسير الآية ٨٠ من سورة النمل).
٥٣- ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: خاضعون لله متذللون لمواعظ كتابه. ٥٤- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: من ماء مهين أي: من ذي ضعف. وقيل: المراد بيان مدى ضعف الإنسان، حتى كأنه أساس خلقه، أو خلق منه. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: من بعد الضعف قوة لكم على التصرف بعد الصغر والطفولة، وهي مرحلة الشباب، أو قوة الشباب. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾: الهرم والكبر.
٥٥- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، وسميت ساعة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يخلفون على الكذب وهم يعلمون. ٥٦- ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فيما كتب الله مما سبق في علمه. ٥٧- ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يسترجعون عما كانوا يكذبون به في الدنيا. ٥٨- ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: فيما تحيئوننا به من هذه الأمور. وتدل الآية على قسوة قلوب هؤلاء الكفار وعجرفة طباعهم! وأنهم عند رؤية الآية المعجزة يعمهون! ويقولون في الذين آمنوا: إنهم مبطلون. ٥٩- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾: يختم الله. ٦٠- ﴿فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم وعداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بنصرك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾: لا خلف فيه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: يستخفن حلمك ورايك ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: بالمعاد، ولا يصدقون بالبعث. أو الذين لا يوقنون بالدين، ولا يصدقون بالكتب والرسول والنبين. ٥٣ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١، الروم: ٥٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل والروم، وهي تبين أن النبي ﷺ ليس بهاد عن الضلالة من أعماء الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنه أن يُسمع إلا من يصدق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه. ٥٨ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]. ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جئتكم أيها الرسول بأي حجة تدل على صدقك ليقولن الذين كفروا بك: ما أنتم أيها الرسول وأتباعك إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأما آية الزمر: ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفاً وتحذيراً؛ ليتذكروا فينزعوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. ٦٠ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْفَا نَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تُوقِنُكَ ...﴾ [غافر: ٧٧]. الآيات الثلاث تدعو النبي ﷺ إلى الصبر وتوضح له أن وعد الله حق لا شك فيه، وآية الروم تحثه على أن لا يستفزرك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدقون بالبعث والجزاء، وأما آية غافر فتدعوه إلى الاستغفار لذنبه، وأن يداوم على تنزيه ربه عما لا يليق به، في آخر النهار وأوله، وآية غافر الثانية: فإما نريتك أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفيتك قبل أن يحل ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنديقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. ٤٤ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُون﴾ [الروم: ٤٤]. الحيوان البهيم يتأمل العواقب، وأنت لا ترى إلا الحاضر. ما تكاد تهتم بمؤونة الشتاء حتى يقوى البرد، ولا بمؤونة الصيف حتى يقوى الحر، والذر يدخر الزاد من الصيف لأيام الشتاء. وهذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، فهلا تأهبت للرحيل، وعملت لضجعة القبر ويوم الحساب: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُون﴾. ٥٤ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ...﴾ قوله تعالى: ﴿ضَعْفٍ﴾ في الثلاثة مواضع قرئ: (ضعف - ضَعْف) بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان. ٥٧ ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذَرَتُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ قرئ: (تنفع) الفعل بناء في أوله على أنها تاء التانيث، نظراً إلى أن فاعله وهو معذرة مؤنث مجازي. وقرئ: (ينفع) بالياء لكون ذلك التانيث مجازياً، وللفصل الفعل من الفاعل.

= يُسَيء إلى الناس كثيراً خاصة أصحاب الدخول الثابتة كالموظفين والعمال، ومن ثم تنخفض دخولهم الحقيقية. ٤- **الكساد والبطالة**: إذا ارتفعت أثمان الأشياء ارتفاعاً عالياً فإن الناس يكفون عن الإقبال على السلع والخدمات المرتفعة الأثمان، إما لعدم قدرتهم على دفع أثمانها، أو لأنها تهرق ميزانيتهم، وإذا امتنع الناس عن الشراء كسدت البضائع في المخازن والمتاجر، وبسبب ذلك تقلل المصانع من الإنتاج، وقد تتوقف عنه، ولا بد في هذه الحالة من تخفيض إنتاجها، والاستغناء عن عدد من عمالها وموظفيها، أو الاستغناء عن جميع عمالها وموظفيها إذا توقفت عن الإنتاج. ٥- **توجيه الاقتصاد وجهة منحرفة**: ومن بلايا الربا أنه يوجه الاقتصاد وجهة منحرفة، فالمرابي يدفع لمن يعطيه ربحاً أكثر، والمرابي لا يوظف المال الذي اقترضه إلا في مجالات تعود عليه بربح أكثر مما فرضه عليه المرابي، إذا القضية تكالب على تحصيل المال، وفي سبيل ذلك تتجاوز المشروعات النافعة التي تعود بالخير على المجتمع، ويوظف المال في المشروعات الأكثر إدراكاً للربح. ٦- **تشجيع المرابي على المغامرة والإسراف**: إن الحصول على المال بالربا سهل ميسور، ما دام المرابي يضمن عودة المال إليه، ولذا فإن الذين ليس لهم تجربة، وليس عندهم خبرة يُغويهم الطمع، فيأخذون القروض بالربا، ثم يشرعون في أعمال ومشروعات قد يكون محكوماً عليها بالفشل، أو يدخلون في أعمال هي أقرب إلى المقامرة منها إلى الأعمال الصالحة، ومتى كثر هذا النوع من الأعمال فإنه يضر باقتصاد الأمة، والمرابي لا يمتنع عن إمداد هؤلاء بالمال، لأنه لا يشغل ذهنه وفكره بالطريقة التي يوظف المال بها، وكل ما يشغله عودة المال برباه، وقد أوجب علينا الإسلام منع السفه من التصرف في ماله حفاظاً على ثروة الأمة من الضياع ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥]. **حقائق صحفية**: ١- ذكرت مجلة التايمز الأمريكية في الدراسة التي قامت بها عن ديون العالم الثالث في مطلع هذا العام أن دولة «ليبيريا» انغمست في الدين الربوي من أجل استضافة اجتماعات منظمة الوحدة الإفريقية. ٢- كما ذكرت أن جمهورية (أفريقيا الوسطى) قامت بإفناق خمسين مليون دولار أمريكي «نصف الميزانية السنوية لتلك الدولة تقريباً»، وذلك عام ١٩٧٧م، على حفل تنويع الإمبراطور (بوكاسا). يقول المراغي: يسهل على المقترضين أخذ المال من غير بدلٍ حاضر، ويزين الشيطان لهم إنفاقه في وجوه الكماليات التي كان يمكن الاستغناء عنها، ويغريهم بالمزيد من الاستدانة، ولا يزال يزداد ثقل الدين، ولا يزالون يماطلون ويؤجلون، ويزداد دينهم يوماً بعد يوم =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرِ لِهَوَى الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا ٧ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآءَةً فَأَنشَأَ بَشِيرًا بَدَآءِ أَلِيمٍ ٨ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٩ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٠ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَقَالُوا لَئِن لَّا فِى الْآرْضِ رُءُوسٌ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَيَتَّخِذَ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ مِّنْ أُنثَىٰ مِمَّا فَلَاحُهَا فِيمَا مِّنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ١١ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ لَعَلَّ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٢

(٤١١)

١، ٢- ﴿تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: هذه آيات الكتاب الحكيم بياناً وتفصيلاً. و«الحكيم» بمعنى ذي الحكمة، أو الحكيم قائله. ٦- ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾: قيل: الغناء والاستماع له. وقيل: كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله، مما نهى الله ورسوله عن استماعه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ليضل هو الحديث عن دين الله وطاعته، وقراءة القرآن وذكره. وقال ابن عباس: إنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية، وفي رواية: لتغني بهجاء رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث اشترى أحاديث الأعاجم، وكان يكتب الكتب من الحيرة إلى الشام، ويكذب بالقرآن ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مذل مخز في نار جهنم. ٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: هذا الذي اشترى هو الحديث ﴿وَقَرَأَ﴾: ثقلًا. ١٠- ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: قال ابن عباس: لعلها بعمد لا ترونها! وقال جمهور المفسرين: «ترونها» في موضع نصب على الحال، والضمير في «ترونها» يعود على السماء، فيكون المعنى: إن السماء بغير عمد، وأنها تُرى كذلك. ﴿رُءُوسٍ﴾: جبالاً ثابتة ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: لئلا تضطرب بكم ﴿مِن كُلِّ رَوْحٍ﴾: من كل نوع من النبات ﴿كَرِيمٍ﴾: حسن. وقال بعض المفسرين: وصفه بكونه كريماً لحسن لونه وكثرة منافعه. ١١- ﴿مِن دُونِهِ﴾: من ألهتكم التي تعبدونها. والاستفهام في الآية للتقريع والتوبيخ.

[١] ﴿الْم﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة].

انظر سورة العنكبوت آية: ١. [٢] ﴿تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١، لقمان: ٢] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يوسف: ١، الشعراء: ٢، القصص: ٢]. ﴿تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده، أمّا ﴿تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب البين الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهده. [٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣، لقمان: ٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل ولقمان، وهي تبين حال المؤمنين، وأنهم يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون. [٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥، لقمان: ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي البقرة ولقمان، وهي تدل على أن المتصفين بالصفات السابقة على بيان من ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة. [٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآءَةً فَأَنشَأَ بَشِيرًا بَدَآءِ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]، ﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرًا يَدْعَا بِأَلِيمٍ﴾ [البجائية: ٨]. إن هذا الكافر أخبر الله عنه في سورة لقمان بأنه يُعرض عن القرآن إذا سمعه غير منتفع به، حتى كأنه لم يسمعه، ويستمر به الحال، كما يستمر بمن به صمم، وقوله في البجائية: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [البجائية: ٨]، يدل على مادل عليه ﴿كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآءَةً﴾ [لقمان: ٧]؛ لأن الإصرار عزم لا يتهم معه بإقلاع، فإذا أصر على التصامم فهو كمن في أذنيه وقر، فصار أحد اللفظين يغني عن الآخر ويقوم مقامه، ويؤدي من المعنى أداءه، فلذلك لم يجمع بينهما، وكان الموضع الذي ذكر فيه: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ أحق بقوله: ﴿كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآءَةً﴾، والموضع الذي ذكر فيه الإصرار على ترك الاستماع أغني عن ذكر كأن في أذنيه وقرأ. [١٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾ [الرعد: ٢]، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَقَالُوا لَئِن لَّا فِى الْآرْضِ رُءُوسٌ أَن تَمِيدَ بِكُمْ...﴾ [لقمان: ١٠]. الله تعالى هو الذي رفع السماوات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى، أي: علا وارتفع، على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلل الشمس والقمر لمنافع العباد... فهذا ما دلت عليه آية الرعد، أمّا آية لقمان: خلق الله السماوات، ورفعها بغير عمد كما تشهدونها، وألقى في الأرض جبالاً ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم...

[٣] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾ قرئ: (رحمة) برفع "رحمة" لعطفه على "هدى" المرفوع تقديرًا على أنه خبر ثان لاسم الإشارة قبله، وهو تلك، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو والضمير يعود على الكتاب. وقرئ: (رحمة) بالنصب لعطفه على "هدى" المنصوب تقديرًا على أنه حال من آيات المضاف لكتاب، أو من الكتاب المضاف إليه، وشرط مجيء الحال من المضاف إليه مخفف؛ لأن المضاف جزء من المضاف إليه، والعامل في الحال ما في اسم الإشارة من معنى الفعل. [٦] ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قرئ: (ويتخذها) بالرفع على العطف على "يشترى" الواقع صلة لمن. وقرئ: (ويتخذها) بالنصب على عطفه على قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ المنصوب بأن مضمرة جوازًا بعد "لام التعليل".

= حتى يستولي الدائنون قسراً على كل ما يملكون، فيصبحوا فقراء معدمين، وصدق الله حيث قال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾. ٧- سيطرة اليهود على رؤوس أموال المسلمين، إذ أودع المسلمون الفائض من أموالهم في البنوك الربوية في دول الكفر، وهذا الإيداع يُجرّد المسلمين من أدوات النشاط الاقتصادي، ومن القوة القاهرة في المبادلات، ثم يضعها في أيدي أباطرة المال اليهودي، الذين أحكموا سيطرتهم على أسواق المال، وهذه الفوائد الخبيثة التي يدفعها لنا المرابون هي ثمن التحكم في السيولة الدولية. **نهاية المرابين وعاقبتهم**: اليوم تعاني أمريكا -زعيمة العالم الرأسمالي- من أزمة بطالة مخيفة، إن تكبيل الأمة بهذه القيود الرهيبة يجعلها تعمل وتعمل، ولا تستفيد شيئاً من عملها، كل عملها يذهب إلى خزائن المرابين، وعند ذلك لا يستطيع الأفراد الحصول على حاجتهم، ومع ذلك فإن الدولة تفرض المزيد من الضرائب، وترفع الأسعار فتقوم الثورات، وتحصل الاضرابات، وتزهق الأرواح، وقد يصل الأمر إلى درجة تعجز الدولة فيه عن سداد ديونها، وعند = نزول سورة لقمان: نزلت بعد سورة الصافات، وهي مكّية، سوى آيتين: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّيْسٌ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [لقمان: ٢٨]. عدد كلمات سورة لقمان: خمسمائة وثمان وأربعون. عدد =

وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ إِذْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لَبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَكَ شَرَكًا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ١٤ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تَعَالَى مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكَرَّرَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يَبْنِي أَقْمَرُ الصُّكُورَةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصُوتُ لَصُوتُ الْحَمِيرِ ١٩

١٢ - وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ: العقل والفقه في الدين، والإصابة في القول. وقيل: كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً، وقيل: كان نبياً. **فَاتَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**: لأن الله يجزل له على شكره الثواب، **وَمَنْ كَفَرَ** فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ: عن خلقه لا يزيد شكرهم في سلطانه **حَمِيدٌ**: محمود على كل حال. ١٣ - **وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لَبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ**: يَبْنِي لَكَ شَرَكًا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ: خطأ من الفعل عظيم. ١٤ - **وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ**: ضعفاً على ضعف، وشدة على شدة، وقيل: عنى: وهن الولد على وهن الوالدة في حمله **وَفِصْلَهُ**: فطامه **أَنْ أَشْكُرَ لِي**: على نعمتي عليك **وَلِوَالِدَيْكَ**: على ما عاجلنا من المشقة فيك حتى استحكمت قواك **إِلَى الْمَصِيرِ**: مصيرك، وأنا سائلك عما كان منك. ١٥ - **وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ**: بالطاعة لهما، فيما لا تبعه عليك، ولا إثم بينك وبين ربك **وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى**: طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، وهذا الخبر من الله، عن وصيته عباده، اعتراض بين وصيتي لقمان لابنه. ١٦ - **يَبْنِي لَهَا**: أي الخصلة من الإساءة أو الإحسان **إِنْ تَكَرَّرَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**: زنة حبة من خردل، من خير أو شر عملته **فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ**: أي في أخفى مكان وأحرزه **يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**: يوم القيامة حتى يوفيه جزاءه **إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ**: باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت، لأنه لا تخفى عليه خافية **خَبِيرٌ**: بموضعها. ١٧ - **وَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**: مما عزم الله عليه من الأمور، وأمر به. أو إن تنفيذ هذه الوصايا والأحكام يحتاج إلى عزيمة وقوة راسخة في الإرادة. ١٨ - **وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**: معناه: لا تعرض بوجهك عن كلمته، تكبراً واستحقاراً لمن ثكلمه. وأصل «الصعر» داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلتفت أعناقها عن رؤوسها، فشبه بذلك الرجل المتكبر على الناس **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**: بالخلاء **كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**: متكبر **فَخُورٍ**: يُعَدُّ مَا أُعْطِيَ وهو لا يشكر الله عز وجل. ١٩ - **وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**: لا تستكبر ولا تعجل، ولكن أثيد **وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**: اخفض، واجعله قصداً إذا تكلمت **إِنْ أَنْكَرَ الْأَصُوتُ**: أوحشها وأقبحها. [١٢] وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ إِذْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [١٢]. قوله تعالى: **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ** بصيغة المضارع لأن الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله، أما **وَمَنْ كَفَرَ** فجاء بصيغة الماضي لأن الكفر يحصل مرة واحدة فقط. قاعدة: الفعل الماضي بعد أداة الشرط مع المستقبل يفترض الحدث مرة واحدة، أما الفعل المضارع فيدل على تكرار الحدث. [١٢] **فَاتَّكَ اللَّهُ لَغْنِيٌّ حَمِيدٌ** [إبراهيم: ٨]، **فَاتَّكَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** [لقمان: ١٢]. آية إبراهيم أكد لأنه ذكر اللام في قوله: **لَغْنِيٌّ**، وأما آية لقمان فقد ذكرت صنفين من الخلق وهما من شكر ومن كفر، وآية إبراهيم افترضت كفر أهل الأرض جميعاً؛ لذا جاء قوله: **فَاتَّكَ اللَّهُ لَغْنِيٌّ حَمِيدٌ**، أعم وأشمل، وكذلك **إِنْ تَكَفَّرُوا**، تحتاج إلى الاستمرار وتحتاج إلى التوكيد. [١٤] **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا** [العنكبوت: ٨]، **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا** [لقمان: ١٤]، **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا** [الأحقاف: ١٥]. الجمهور على أن الآيات الثلاث نزلت في سعد بن مالك "وهو سعد بن أبي وقاص"، وأنها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه، ولم يذكر في لقمان "حسناً" لأن قوله بعده: **أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** [لقمان: ١٤]، قام مقامه، ولم يذكر في سورة العنكبوت "حملة" ولا "وضعه"، موافقة لما قبله من الاختصار، وهو قوله: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** [العنكبوت: ٧]، فإنه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام، وأحسن نظام، ثم قال بعده: **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ**، أي: ألزمنه "حسناً" في حقهما، وقياماً بأمرهما، وإعراضاً عنهما، وخلافاً لقولهما إن أمراً بالشرك بالله، وذكر في لقمان والأحقاف حاله في حملة ووضعه. [١٥] **وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي** [العنكبوت: ٨]، **وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي** [لقمان: ١٥]. ما في سورة العنكبوت وافق ما قبله لفظاً، وهو قوله: **وَمَنْ جَاهِدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ** [العنكبوت: ٦]، وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأن التقدير: وإن هلك على أن تشرك.

[١٨] **وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا** قوله تعالى: **تَصَعَّرَ** فقري: **تَصَاعِرَ** بألف بعد الصاد وتخفيف العين بعدها، كما قرئ: **تَصَعَّرَ** بتشديد العين وحذف الألف. والأول: من صاعر، والثاني: من صعر المزيد بالتضعيف، والمعنى: لا تمل خدك عن الناس تكبراً، وأصله: من الصعر، مرض يصيب الإبل والبقر فيلوي رقابها، فأطلق على كل من أعرض عن الناس تكبراً، فيقال: فلان يصعر خده أو يصاعره، أي: يتكبر على الناس فيعرض عنهم. وحكى سيبويه أن صاعر وصعر بمعنى، وقال الأخفش: لا تصاعر بالألف: لغة أهل الحجاز، وبغير ألف مشددة: لغة بني تميم. قوله تعالى: **يَبْنِي لَهَا** حيث جاءت، قرئ: **(يَابْنِي)** بفتح الياء في الستة، وذلك لأن أصل ابن "بنو" صغر على "بنو" فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها، ثم لحقتها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقلبت ألفاً، ثم حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة. وقرئ: **(يَابْنِي)** بسكون الياء مشددة فيها، قيل: إن الأصل في هذه الكلمة ثلاث ياءات: الأولى: للتصغير، والثانية: لام الفعل في ابن؛ لأن أصله بني على فعل، والتصغير يراد المصغرات إلى أصلها فردت إليها لأنها أصلية، وامتنعت ياء التصغير عن دخول الحركات فيها، والثالثة: ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة التي ينكسر ما قبلها أبداً، فأدغمت ياء التصغير في الثانية، وفي لام الفعل، وكسرت لأجل ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة لاجتماع ثلاث ياءات، وبقيت الكسرة تدل على ياء الإضافة؛ وكلها لغات.

= ذلك تلغي الدولة ديونها كما حدث في كوبا سنة ١٩٦١ م، وكوريا الشمالية عام ١٩٧٤ م. **وشهد شاهد من أهلها**: يقول ستيروارت جرينيوم - أستاذ البنوك والتمويل بجامعة (نورث وسترن): تصور نفسك أحد الحكام الديكتاتوريين في أمريكا اللاتينية، وقد غرقت في الديون، فإذا ما وافقت على شروط صندوق النقد الدولي، وخفضت مثلاً من حجم الواردات، فسوف تواجه بمظاهرات الاحتجاج، وحركات التمرد في الشوارع، وإذا ما عجزت عن سداد الديون، وتوقفت عن الدفع سوف تنبذ من المجتمع الدولي مشنوقاً على فرع شجرة - قطعاً، ستسلك الطريق الثاني وهو التوقف عن السداد. [٤١] **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** = كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم: ٤١]. **ظهور الفساد**: ظهور الفساد الذي يشمل البر والبحر، وقد عبر القرآن عن ذلك =

= **حروف سورة لقمان**: ألفان ومائة وعشرة. **أسماء سورة لقمان**: سميت سورة لقمان لاشتغالها على قصته. **مواضيع سورة لقمان**: معظم مقصود السورة: بشارة المؤمنين بنزول القرآن، والأمر بإقامة الصلاة، وأداء الزكاة، والشكاية من قوم اشتغلوا بلهو الحديث، والشكاية من المشركين في الإعراض عن الحق، وإقامة الحججة =

٢٠- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله ظاهرة على الألسن، وباطنة في القلوب اعتقاداً أو معرفة، وقيل: النعم الظاهرة: كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة: ما لا يعلم بالتفكير والتدبر. ومعنى «أسبغ»: أتم وأكمل ﴿مَنْ يُجِدِلْ فِي اللَّهِ﴾: يخاصم في توحيد الله والعبادة له ﴿يَغْيِرْ عِلْمَهُ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مُبِينٍ﴾: بغير علم من عقل أو نقل، وليس معه من الله برهان ولا كتاب.

٢١- ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: النار التي تستعر وتلهب. ٢٢- ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: متذللاً له بالعبودية مقرباً بالألوهية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في أعماله، أي لغيره. وقيل: مطيع لله في أمره ونهيه ﴿وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: مرجع كل أمر خير وشر، وهو المجازي عنه. ٢٤- ﴿نُعْمَتُهُمْ قَلِيلًا﴾: ثمهلهم في هذه الدنيا، مدة قليلة يتمتعون بها. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: نلجئهم إلى عذاب النار؛ الذي لا أثقل منه على من وقع فيه. ٢٥، ٢٦- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على اعترافكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنه يجب له الحمد والشكر، لا يُعبد معه غيره. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عن عبادة هؤلاء، المستحق للحمد وإن لم يحمده. ٢٧- ﴿مَا فَدَّتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾: لنفدت الأقسام والبحور، ولم ينفد علم الله وحكمته وعجائبه. وكان المشركون يقولون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فانزل الله هذه الآية. ٢٨- ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ﴾: كخلق نفس واحدة وبعثها، إنما قوله في القليل والكثير ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢]. ٢٧- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فانزل الله ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ الآية. وأخرج ابن إسحاق عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلما هاجر إلى المدينة أتاه أhabar يهود، فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كُلاً عانيت: قالوا: فإنك تتلو إنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل» فانزل الله ﷻ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾. وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. ٢٩- ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. معنى قوله: ﴿يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يجري لبلوغ أجل مسمى، وقوله: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، معناه: لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، وإنما خص ما في سورة لقمان بإلى التي للاتهاء، واللام تؤدي نحو معناها لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، قبلها: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وبعدها: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْقِرَارُكُمْ وَأَخْشَاءُ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]، فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس، وتكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق، وهو قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ إِلَهُ النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلُ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [الزمر: ٦]، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السماوات والأرض وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية، وكذلك قوله في سورة فاطر إنما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر، إذ يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٣] يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، فاختص ما =

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجِدِلْ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عِلْمَهُ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مُبِينٍ ٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ٢١ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ٢٢ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ٢٣ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُعَذِّبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٢٤ نُعْمَتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٢٥ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٦ وَلَوْ أَنَّمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا شَجَرَةٌ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرِ مِدْةٌ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٢٨

(٤٣)

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كُلاً عانيت: قالوا: فإنك تتلو إنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل» فانزل الله ﷻ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾. وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. ٢٩- ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. معنى قوله: ﴿يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يجري لبلوغ أجل مسمى، وقوله: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، معناه: لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، وإنما خص ما في سورة لقمان بإلى التي للاتهاء، واللام تؤدي نحو معناها لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، قبلها: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وبعدها: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْقِرَارُكُمْ وَأَخْشَاءُ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]، فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس، وتكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق، وهو قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ إِلَهُ النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلُ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [الزمر: ٦]، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السماوات والأرض وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية، وكذلك قوله في سورة فاطر إنما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر، إذ يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٣] يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، فاختص ما =

٢٠- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كُلاً عانيت: قالوا: فإنك تتلو إنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل» فانزل الله ﷻ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾. وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. ٢٩- ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. معنى قوله: ﴿يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يجري لبلوغ أجل مسمى، وقوله: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، معناه: لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، وإنما خص ما في سورة لقمان بإلى التي للاتهاء، واللام تؤدي نحو معناها لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، قبلها: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وبعدها: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْقِرَارُكُمْ وَأَخْشَاءُ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]، فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس، وتكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق، وهو قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ إِلَهُ النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلُ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [الزمر: ٦]، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السماوات والأرض وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية، وكذلك قوله في سورة فاطر إنما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر، إذ يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٣] يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، فاختص ما =

١، ٢- ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: الذي نزل على محمد ﷺ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رب الجن والإنس. وسائر العوالم من خلق الله تعالى. ٣- ﴿مَا أَنْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: لم يأت هؤلاء القوم من قريش نذير يُنذِرهم قبلك. ٤- ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: الله تعالى أعلم بها، لأن «اليوم» أو اليوم واللييلة في العُرف الإنساني لا ينطبق عليها. وقد تسمى هذه الأيام بأيام الدنيا، ولكنها ليست هي. ﴿مِنْ وَلِيِّ﴾: يلي أمركم، وينصركم منهم ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾: يشفع لكم عنده. ٥- ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقد رد ذلك ألف سنة عما تعدون من أيام الدنيا، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، وبين الأرض والسماء مثل ذلك، فذلك ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾: من أيام الدنيا. وقيل: المعنى: ثم يرجع إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره - لو سِر فيه السِر المعروف عند البشر - ألف سنة. ٧- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾: أتقنه وأحكمه. ٨- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: يعني جعل عز وجل ذرية آدم ﴿مِنْ نَسْلِهِ﴾: من الماء الذي أنسل منه فخرج ﴿مَاءً مَهِينٌ﴾: من نطفة ضعيفة، يقال: مَهْنُ الإنسان: إذا ضعف وذَلَّ. ٩- ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: عدل خلقه وسَوَّى شكله وجعله معتدلاً. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفِيدَةَ﴾: أكرم الله تعالى بني آدم بنفخة الروح هذه، وبما زودهم به من أسباب الحياة الكريمة والضرب في الأرض، ووسائل تحصيل العلم والمعرفة. ١٠- ﴿إِذْ دَاخَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض، تقول العرب: قد ضل الماء في اللبن، إذا غلب اللبن عليه حتى لا يتبين الماء فيه. ﴿أَنَّا لَنَأْتِيَنَّ خَلْقَ حَدِيدٍ﴾: أنبعت خلقاً جديداً؟! كُفراً منهم بالبعث. ١١- ﴿قُلْ يَتُوقَنَكُمْ﴾: يستوفي أجلكم بقبض أرواحكم.

[١] ﴿الَّذِي تَكَرَّرَ فِي أَوَائِلِ سِتِّ سُوَرٍ﴾: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة. انظر سورة العنكبوت آية: ١. [٣] ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٣]. الآيتان تتحدثان إلى النبي ﷺ، وتبينان أنه أرسل لإندار قوم لم يأتهم من قبله من نذير، وآية القصص مُدِيلَةٌ برجاء: لعل هؤلاء القوم يتذكرون الخير الذي جئت أيها الرسول به فيفعلوه، والشر الذي نهيت عنه فيجتنبوه، وأمَّا آية السجدة فمختومة برجاء: لعل هؤلاء القوم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروا، ويؤمنوا بك. [٤] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. يجوز أن يكون "الذي" في السورتين مبتدأ، و"الرحمن" خبره في الفرقان، "وما لكم من دونه" خبره في السجدة، وجاز غير ذلك. [٥] ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. المراد بآية سورة السجدة: ما ينزل به الملك من السماء، ثم يصعد إليها، وتكون السماء هنا عبارة عن جهة سدرة المنتهى لا عن سماء الدنيا، والمراد بآية سائل: يوم القيامة، لما فيه من الأحوال والشدائد، وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ [المعارج: ٤] راجع إلى قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، أي: واقع ليس له دافع ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. [٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]. فإنك إذا تأملت الأشياء رأيتها مصنوعة على ما ينبغي، فصلاية الأرض مثلاً للسير عليها، ورقة الهواء ليسهل انتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلى فوق لأنها لو كانت مثل الماء يميناً وشمالاً لكثرت الحرائق فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق.

[١٢] ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]. لماذا قدم البصر على السمع في الآيتين؟ **الجواب:** الكلام في سورة الكهف عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لثلاث يراهم أحد، ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد، لكن الله تعالى يراهم في قلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلفظ حتى لا يراه القوم، إذا مسألة البصر هنا أهم من السمع، فاقتضى السياق تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في آية سورة السجدة الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعون كان يدخل في مجال الشك والظن ولو تيقنوا لآمنوا، أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه، لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر "عين اليقين" والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع، وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعون فيه تغير الحال، ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

[١٦] ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة. [٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلْقَهُ﴾ قرئ: (بفتح اللام على أنه فعل ماضٍ، والجملة: في موضع نصب صفة "لكل" أو موضع جر صفة "لشيء" أي: الذي أحسن كل شيء مخلوقاً له. وقرئ: (خَلْقَهُ) بسكون اللام على أنه مصدر، وهو بدل من (كل) بدل اشتمال، والضمير بعده في موضع جر بالإضافة، والتقدير: (أحسن خلق كل شيء)، أي: أتقنه وأحكمه.

[٥] ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]. **حساب سرعة الضوء في الفراغ:** وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو أنها اعتبرت الحد الأقصى للسرعة الكونية في الفراغ تعادل دوران القمر حول مداره اثنتي عشرة ألف دورة، ومن ثم استنبط الدكتور محمد دودح المعادلة التي تعطي الرقم الصحيح لحساب سرعة الأمر الإلهي، وقد توصل الدكتور محمد دودح إلى أن الرقم القرآني ينطبق تماماً مع الرقم الذي أعلنه المؤتمر الدولي للمعايير في باريس سنة ١٩٨٣ وهو ٢٩٩٧٩٢.٤٥٨ كم/ثانية. [١١] ﴿قُلْ يَتُوقَنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) =

نزول سورة السجدة: نزلت بعد سورة المؤمنون، وهي مكِّيَّة بالاتفاق، سوى ثلاث آيات، فإنها مدنيَّة ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [١٨] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٩] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَنَّهُمْ
مَّا أَنْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ
عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَفَخَّ فِيهِ
مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفِيدَةَ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٩﴾ قُلْ يَتُوقَنَكُمْ
مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

[١٥]

انظر سورة العنكبوت آية: ١. [٣] ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٣]. الآيتان تتحدثان إلى النبي ﷺ، وتبينان أنه أرسل لإندار قوم لم يأتهم من قبله من نذير، وآية القصص مُدِيلَةٌ برجاء: لعل هؤلاء القوم يتذكرون الخير الذي جئت أيها الرسول به فيفعلوه، والشر الذي نهيت عنه فيجتنبوه، وأمَّا آية السجدة فمختومة برجاء: لعل هؤلاء القوم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروا، ويؤمنوا بك. [٤] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. يجوز أن يكون "الذي" في السورتين مبتدأ، و"الرحمن" خبره في الفرقان، "وما لكم من دونه" خبره في السجدة، وجاز غير ذلك. [٥] ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. المراد بآية سورة السجدة: ما ينزل به الملك من السماء، ثم يصعد إليها، وتكون السماء هنا عبارة عن جهة سدرة المنتهى لا عن سماء الدنيا، والمراد بآية سائل: يوم القيامة، لما فيه من الأحوال والشدائد، وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ [المعارج: ٤] راجع إلى قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، أي: واقع ليس له دافع ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. [٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]. فإنك إذا تأملت الأشياء رأيتها مصنوعة على ما ينبغي، فصلاية الأرض مثلاً للسير عليها، ورقة الهواء ليسهل انتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلى فوق لأنها لو كانت مثل الماء يميناً وشمالاً لكثرت الحرائق فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق.

[١٢] ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]. لماذا قدم البصر على السمع في الآيتين؟

الجواب: الكلام في سورة الكهف عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لثلاث يراهم أحد، ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد، لكن الله تعالى يراهم في قلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلفظ حتى لا يراه القوم، إذا مسألة البصر هنا أهم من السمع، فاقتضى السياق تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في آية سورة السجدة الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعون كان يدخل في مجال الشك والظن ولو تيقنوا لآمنوا، أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه، لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر "عين اليقين" والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع، وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعون فيه تغير الحال، ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

[١٦] ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلْقَهُ﴾ قرئ: (بفتح اللام على أنه فعل ماضٍ، والجملة: في موضع نصب صفة "لكل" أو موضع جر صفة "لشيء" أي: الذي أحسن كل شيء مخلوقاً له. وقرئ: (خَلْقَهُ) بسكون اللام على أنه مصدر، وهو بدل من (كل) بدل اشتمال، والضمير بعده في موضع جر بالإضافة، والتقدير: (أحسن خلق كل شيء)، أي: أتقنه وأحكمه.

[٥] ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]. **حساب سرعة الضوء في الفراغ:** وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو أنها اعتبرت الحد الأقصى للسرعة الكونية في الفراغ تعادل دوران القمر حول مداره اثنتي عشرة ألف دورة، ومن ثم استنبط الدكتور محمد دودح المعادلة التي تعطي الرقم الصحيح لحساب سرعة الأمر الإلهي، وقد توصل الدكتور محمد دودح إلى أن الرقم القرآني ينطبق تماماً مع الرقم الذي أعلنه المؤتمر الدولي للمعايير في باريس سنة ١٩٨٣ وهو ٢٩٩٧٩٢.٤٥٨ كم/ثانية. [١١] ﴿قُلْ يَتُوقَنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) =

نزول سورة السجدة: نزلت بعد سورة المؤمنون، وهي مكِّيَّة بالاتفاق، سوى ثلاث آيات، فإنها مدنيَّة ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [١٨] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٩] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا

تفسير الطبري **الأسماء الحسنى** **أسباب النزول** **توجيه للمتشابهات** **فوائد متنوعة** **توجيه للقراءات** **إعجاز متنوع** **التعريف بالسور**

١٢- ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾: حياء من ربهم للذي سلف منهم في الدنيا، من الشرك والعصيان، ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾: ما كنا نُخبر به في الدنيا. وكانوا به مكذّبين. حتى كأنهم كانوا في الدنيا عمياً لا يبصرون، وصماً لا يسمعون. ﴿فَارْجِعْنَا﴾: فارددنا إلى الدنيا. ١٣- ﴿هُدًى﴾: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: وجب العذاب مني لهم. ١٤- ﴿إِنَّا نَسِيتُكُمْ﴾: تركناكم اليوم في النار، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾: العذاب الدائم الذي لا ينقطع. ١٥- ﴿وَسَجَّوْا بِحِمْدِ رَبِّهِمْ﴾: نزهوه في سجودهم مما يصفه به أهل الكفر ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن السجود والتذلل. ١٦- ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: نتجنّى عن مضاجعهم التي يضطجعون لنامهم فيها، فلا ينامون، وهم المتجعدون بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش. وقيل: عنى به الصلاة فيما بين المغرب والعشاء. وقيل: نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: أي: من الذي رزقناهم، أو من رزقهم. والآية عامة في الزكاة الواجبة وصدقة التطوع، وغيرهما كذلك في سبيل الله. ١٧- ﴿مَّا أَخْفَى لَهُمْ﴾: يعني: الذين تتجافى جنوبهم، عند الله عز وجل، مما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر. ١٨- ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾: إلى آخر الآية. الاستفهام للإنكار، أي: ليس المؤمن كالفاسق. وفصلت الآيات التي بعدها ثواب المؤمن. وعقوبة الفاسق. قيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أبي معيط في كلام كان بينهما، افتخر فيه الوليد وتطاول. ١٩- ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾: بساكن المسكن التي يسكنونها في الآخرة، ويأوون إليها ﴿نَزَلًا﴾: أنزلهموها الله. ٢٠- ﴿فَسَقُوا﴾: أشركوا، وتمردوا على الله ورسوله.

[١٦] قوله تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية. أخرج البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ وفي إسناده عبد الله بن شبيب ضعيف. وأخرج الترمذي وصححه أنس أن هذه الآية نزلت في أبي طالب، وعقبة بن أبي معيط وذلك في سبب كان بينهما، كذا في هذه الرواية، أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، لا الوليد.

[٢٠] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [السجدة: ٢٠]. السياق المتقدم لآية الحج يقتضي زيادة اللفظ، فالغم هو الكرب والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفساً، وقبل الآية قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [يُصْهَرُ بِهِ: مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ] ﴿وَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩-٢١]، فاشتمل العذاب عليهم، وأحاط بهم إحاطة الثوب للجسد، فبلغ بهم الغم والكرب غايته، أعادنا الله منها، فناسب الآية الزيادة، أمّا آية السجدة فلم يتقدمها ما تقدم آية الحج فناسبها الحذف، فزيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى. وخصت سورة الحج بالإضمار في قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا﴾، لطول الكلام بوصف العذاب، وخصت سورة السجدة بالإظهار في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا﴾، موافقة للقول قبله في مواضع منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ مِن دَرَكَيْنِ فَفَارِقَانِ﴾ [الأنبياء: ١٠]، و﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَيْكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، و﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، وليس في الحج منه شيء. [٢٠] ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]، ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]. سبب الاختلاف بين الآيتين هو أن لفظ "النار" في آية سورة السجدة اسم ظاهر وقع موقع الضمير، والضمير لا يوصف فوصف العذاب، فحسن التذكير، يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَأَمَّا وَهُمْ النَّارُ كَلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]، أمّا آية سورة سبأ فإنه لم يتقدم ذكر النار في الآية، فحسن وصف النار، فجاءت الآية بالتأنيث، يقول الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]. قول آخر: آية السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، فلما تفصل ذكر العذاب إعلالاً بالحقاق العذاب الأدنى دون الأكبر بمن جرى الوعيد لهم، والعذاب مذكر، وقد تكرر، فتأكد رعيه، فناسبه عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكراً؛ ليجري ذلك كله مجرى واحداً، ولما لم يكن يتلو آية سورة سبأ ولا قبلها ما يستدعي ذلك، أعيد الضمير إلى النار مؤنثاً، والله أعلم.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أَخْفَى﴾ قرئ: ﴿أَخْفَى﴾ بسكون الياء على أنه مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، والضم فيه مقدر على الياء للثقل، وماضيه أخفى فهو رباعي، ولهذا ضم أوله، والفعل مسند إلى ضمير المتكلم فهو إخبار من الله عز وجل عن نفسه بأنه أخفى عن أهل الجنة ما تقر به أعينهم بدخول الجنة ونعيمها، والسلامة من النار وعذابها، ويقويه أن قبله: ﴿لَا يَنبَغِي لَكُلِّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ﴾. وقرئ: ﴿أَخْفَى﴾ بفتح الياء على أنه ماضٍ مبني للمجهول، ونائب فاعله ضمير يعود على "ما"، وقد حذف فيه الفاعل للعلم به (وما) في هذه القراءة موصولة في موضع نصب بد (تعلم)، والجملة سدت مسد المفعولين.

= مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكر مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» تساوي عدد مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضاً (٨٨) مرة. [١١] ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَيْكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظ «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظ «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة.

= عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [السجدة: ١٨-٢٠]. عدد كلمات سورة السجدة: ثلاثمائة وثلاثون. عدد حروف سورة السجدة: ألف وخمسة وتسعون. أسماء سورة السجدة: لها ثلاثة أسماء: الأول: سورة السجدة، لاشتغالها على سجدة التلاوة، الثاني: سجدة لقمان؛ للتمييز عن حم السجدة، الثالث: المضاجع =

٢١- ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى﴾: قيل: مصائب الدنيا في الأنفس والأموال. وقيل: الحدود. وقيل: قتلهم يوم بدر. ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة ﴿يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون. ٢٢- ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾: قيل: من أنك لقيت موسى، أو تلقاه ليلة الإسراء بك ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾: يعني: موسى عليه السلام ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: رشاداً يرشدون باتباعه. ٢٣- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾: من بني إسرائيل ﴿أَيُّمَةً﴾: أي أنبياء يهتدى بهديهم. ٢٤- ﴿أَوَّلَهُمْ يَهْدِيهِمْ﴾: يبين لهم فيتظفوا. ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: عاد وثمود ونحوهم. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾: يمشون في مساكن هؤلاء الأقوام المهلكين، ويشاهدون ما فيها من الآثار والعبر.. ولا يعتبرون! ٢٥- ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: اليابسة الغليظة التي لا نبات عليها. ٢٦- ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾: كان المشركون يقولون: متى مجيء هذا الفتح الذي تنتظرون؟! يعنون به القضاء والفصل بين العباد، وهو يوم البعث الذي يقضي الله فيه بين عباده. ٢٧- ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾: يوم الحكم ومجيء العذاب ﴿يُنْظَرُونَ﴾: يؤخرون. ٢٨- ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾: ما الله صانع بهم ﴿إِنَّهُمْ مَتَّظِرُونَ﴾: يوم القيامة، أو العذاب. [٢٩] قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فنزلت.

وَلَنَذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَوَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنا الْمَاصِرُونَ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٦٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زُرْعَاتًا كُلُّ مِنْهُ أُنْعَمُ مِنْهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
﴿٦٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْظُرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٧٠﴾

من دُوفٍ وَكِيلًا ﴿١٢٧﴾ [الإسراء : ٢]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ بِالْإِسْرَاءِ، كَرَّمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام بِإِعْطَائِهِ التَّوْرَةَ بِأَمْرِهِمْ، فَهَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الْإِسْرَاءِ، أَمَّا إِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ، وَجَعَلْنَا التَّوْرَةَ هَدَايَةً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿١٢٨﴾ طه : ١٢٨﴾، ﴿أَوَّلَمْ يَهْدِهِمْ سَبِيلًا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَا يَكُونُ هَذَا مَعْطُوفًا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا سَبِيلُ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَرَأَ﴾ ﴿١٢٩﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُهَا مِنْ دُونِهَا، ثُمَّ وَرَدَ مَا بَعْدَ مُسْتَأْنَفًا وَارِدًا مُورَدًا مِنْ مَعْنَى وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ... وَأَمَّا آيَةُ السَّجْدَةِ فَالْوَاوُ فَشَرْعِيٌّ وَمِنْ كُنْزِ الْكَلِمَاتِ، كَأَنَّ قَدْ قِيلَ: أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ [السجدة : ٢٢]، كَأَنَّ قَدْ قِيلَ: أَفَلَا تَذْكُرُونَ سُبُلَ وَعِيدِينَ فِي أُمَّةٍ بَعِينَهَا، أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ تَكَرَّرَ التَّهْدِيدُ بِتَفْصِيلٍ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، أَوْ تَكُونُ آيَةُ التَّهْدِيدِ لَا تَبْلُغُ فِي حَقِّهَا، فَسُورَةُ السَّجْدَةِ تَتَمَيَّزُ بِالشَّدَةِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى نَبِيِّنَا ﴿١٣١﴾ [السجدة : ٢٢]، وَكَانَ خَتَمُ السُّورَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَظِرُ إِذْ تُفْعَلُ﴾ وَأَمَّا آيَةُ طه فَلَمْ يَرِدْ فِيهَا مِنَ التَّغْلِيظِ فِي الْوَعِيدِ وَتَعْلِيلِ مَا بَعْدَ الْوَعْدِ، وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾. ﴿مِنْ دُونِهَا﴾ وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ، أَوْ تَكَرَّرَ التَّهْدِيدُ وَشَرَحَ بِحُذْفِهَا.

سَيِّدُ الرُّسُلِ، وَتَخْلِيقُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَخَلَقَ الْخَلَائِقَ وَمَلَأَ جَهَنَّمَ مِنْ أَهْلِ الْإِنْكَارِ، وَالضَّلَالَةِ، وَسُوءِ الْمَقَادِيرِ، وَالْمُفَاسِقِينَ وَالصَّادِقِينَ فِي الْجَزَاءِ، وَالثَّوَابِ، فِي يَوْمِ الْمُنَازَعَةِ، لِعَرَاضٍ عَنْ مَكْفَاةِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَأَمْرِهِ بِانْتِظَارِ النَّجْوَى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَاعِمْلُونَ خَيْرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۝ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۝ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۝ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۝

سُورَةُ الْأَحْزَابِ
١ - اتَّقِ اللَّهَ: دُم على ذلك وازدد منه. قال ابن عطية: ومتى أمر أحد بشيء هو به متلبس، فإنما معناه: الدوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية. **وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**: في قولهم: اطرّد عنا ضعفاء المسلمين. وفيما يظهرون من النصيحة، وقيل: لا تقبل لهم رأياً ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم، فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين. ٣ - **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**: فوض أمرك إليه **وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**: حسبك الله حفيظاً لك. ٤ - **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**: كذب الله قوماً من أهل النفاق كانوا يقولون في النبي ﷺ بأنه ذو قلبين. وقيل: كان الرجل، من المنافقين، يقول: لي نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فنزلت الآية لرد النفاق، وبيان أنه لا يجتمع مع الإسلام، كما لا يجتمع قلبان، **وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ**: الظاهر: أن يقول الرجل لامراته: أنت علي كظهر أمي. والمعنى: ما جعل الله نساءكم اللاتي تقولن لهن هذا القول كأمهاتكم في التحريم، ولكنه منكر من القول وزور. ٥ - **ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ**: يعني: ادعواكم الذين أحقتم أنسابهم بكم، وهم ليسوا أبناءكم **هُوَ أَقْسَطُ**: هو أصدق وأعدل. **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ**: حرج ولا وزر، فيما وقع منكم خطأ في نسبة هؤلاء. ٦ - **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ**: أحق بالمؤمنين **مِنْ أَنْفُسِهِمْ**: أي: يحكم فيهم بما يشاء من حكم فيجوز ذلك عليهم. وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقروا إن شئتم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأما مؤمن ترك مالا فليتره عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً، أو ضياعاً، أي عيالاً، فليأتني فأنا مولاه». متفق عليه **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**: يعظم بذلك حقهن، وأنهن محرمات عليهم **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ**: أولوا الأرحام، أي القرابات، أحق ببعضهم البعض من التوارث بأخوة الإسلام وبالهجرة. **إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا**: قيل: إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان

رسول الله ﷺ آخى بينكم وبينهم من المهاجرين والأنصار، **مَعْرُوفًا**: من النصرة والوصية لهم، والعقل عنهم، بدفع الدية، وما أشبه ذلك، **كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**: يعني: أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض **مَسْطُورًا**: في اللوح المكتوب. أو في القرآن مكتوباً. [١] قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**. أخرج ابن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة، دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**. [٤] قوله تعالى **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**: أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين، قلباً معكم، وقلباً معه؟ فأنزل الله **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**. وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق خصيف، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين، فنزلت. وأخرج ابن جرير عن طريق قتادة عن الحسن مثله، وزاد: وكان يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني. وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نزلت في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له جميل بن معمر. [٥] قوله تعالى: **ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ** الآية. أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن **ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**. [٦] **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** [الأنفال: ٧٥]، **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ** [الأحزاب: ٦]. وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين، إن الله بكل شيء عليم، يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام، فهذا ما دلت عليه الآية الأنفال، أما آية الأحزاب: وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة "وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نسخ ذلك بآية الموارث" إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ. [١١] **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** [الأحزاب: ١]. لماذا يقل في ندائه: "يا محمد" كما قال في نداء غيره: "يا موسى، يا عيسى، يا داود؟" **الْحَوَاب**: عدل إلى **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** إجلالاً له وتعظيماً، كما قال: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** [المائدة: ٤١، ٦٧]، وإنما عدل عن وصفه إلى اسمه في الإخبار عنه في قوله: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** [الفتح: ٢٩] وقوله: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ** [آل عمران: ١٤٤]، ليعلم الناس أنه رسول الله، ليقلّبوه بذلك ويدعوه به. [٦] **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** [الأحزاب: ٦]. قوله تعالى: **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**، أي: في الحرمة والاحترام، وإنما جعلهن الله كالأمهات، ولم يجعل نبيّه كالأب، حتى قال: **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ** [الأحزاب: ٤٠]؛ لأنه تعالى أراد أن أمته يدعون أزواجه بأشرف ما تُنادى به النساء وهو الأم، وأشرف ما يُنادى به النبي ﷺ لفظُ الرسول لا الأب، ولأنه تعالى جعلهن كالأمهات، إجلالاً لنبيّه، لئلا يطمع أحدٌ في نكاحهن بعده، ولو جعله أباً للمؤمنين، لكان أباً للمؤمنات أيضاً فيحرمن عليه، وذلك يُنافي إجلاله وتعظيمه، ولأنه تعالى جعله أولى بنا من أنفسنا، وذلك أعظم من الأب في القرب والحرمة، إذ لا أقرب للإنسان من نفسه، ولأن من الآباء من يتبرأ من ابنه، ولا يمكنه أن يتبرأ من نفسه.

[٩، ٢] **إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَاعِمْلُونَ خَيْرًا** قوله تعالى: **تَعْمَلُونَ** قرئ: **(يعملون)** بياء الغيبة فيهما على أن الواو للكافرين والمنافقين، والتقدير: لا تطعمهم يا محمد فهو في الظاهر أمر للنبي ومعناه لأمته، أي: لا تطيعوهم، إن الله كان بما يعملون. وقرئ: **(تعملون)** بالخطاب بإسناده المؤمنين وأمره ﷺ بالتقوى تفخيماً لشأنه، أو الخطاب له صلى الله عليه وسلم لفظاً ولأمته معنى، أو الخطاب للجميع فالكل داخل في المخاطبة، وهو أبلغ. [٤] **وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ** قوله تعالى: **تَظْهَرُونَ** قرئ: **(تظهرون)** بفتح الهاء وتشديدها مع تشديد الظاء بلا ألف هنا، ووجهه: أنه مضارع تظهر وأصله تظهّر، فأدغم. = نزول سورة الأحزاب: نزلت بعد سورة آل عمران، وهي مدنية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الأحزاب: ألف ومائتان وثمانون. عدد حروف سورة الأحزاب: خمسة آلاف وسبعمائة وستة وتسعون. أسماء سورة الأحزاب: سميت سورة الأحزاب، لاشتغالها على قصة حرب الأحزاب في قوله: **يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا** =

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
يَسْتَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِزَاعَتْ أَلْبَاصُروْ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبِ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ
لَا تَوْهَآوَا مَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا لَيْسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُ لَكُمْ الْآذِنُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الآية. أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرائعنا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون، إذ استقبلنا النبي ﷺ رجلاً حتى أتى عليّ فقال: اتني بخبر القوم. فجنّت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شيراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم، الريح تضربهم بها، وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجنّت فأخبرت خبر القوم، وأنزل الله ﷻ **يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا** [١٢] قوله تعالى: **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ** الآية. أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه، عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضواء ما بين لابي المدينة، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصنعها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيها، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضواء.

[٩] **يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْتَطُوا ...** [المائدة : ١١]، **يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ...** [الأحزاب : ٩]. آية المائدة تدعو المؤمنين أن يذكروا نعمة الأمن لهم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم الذين أرادوا أن يبطشوا بهم... أمّا آية الأحزاب فتدعو المؤمنين لأن يذكر نعمة الله تعالى التي أنعمها عليهم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب، حين اجتمع عليهم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها... [١٢] **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرْهُوَلَاءَ دِينَهُمْ ...** [الأنفال : ٤٩]، **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** [الأحزاب : ١٢]. واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرّه هؤلاء المسلمين دينهم، فأوردتهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعدته فإن الله لن يخذه، لأن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية الأحزاب: **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَهُمْ ضَعُفَاءُ الْإِيمَانِ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، فَلا تصدقوه.** [٧] **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ نُوحٌ فِي آيَةٍ: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾**** [الشورى : ١٣]؛ لأنها سبقت لو صف ما بُعث به نوح من العهد القديم، وما بُعث به نبينا من العهد الحديث، وما بُعث به من توسّطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح فيها أشدّ مناسبة للمقصود. [٧] **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ ... وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا** [الأحزاب : ٧]. قوله تعالى: **﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾** فائدة إعادة التأكيد، أو المراد بالميثاق الغليظ: هو اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حمّلوا، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقين. [٧] **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** [الأحزاب : ٧]. بدأت الآية بذكر الرسول ﷺ لأنه أفضل الأنبياء. [٩] **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِمَا يَدْرِي رَحْمَتِهِ﴾** [الأعراف : ٥٧]، **﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾** [الأحزاب : ٩]. ما الفرق بين "**الريح والرياح**". أولاً: مقامات (**الريح**) في القرآن الكريم:

١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقتصر بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- **﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾** [يونس : ٢٢]، =
= وقرئ: (**تَطَاهَّرُون**) بفتح التاء والهاء وتشديد الطاء وبعده ألف، على أنه مضارع تظاهر، والأصل: تتظاهرون أدغم التاء في الظاء. وقرئ: (**تَطَاهَّرُون**) بضم التاء وفتح الظاء وألف بعدها وكسر الهاء مخففة بوزن تقاتلون، على أنه مضارع ظاهر. وقرئ: (**تَطَاهَّرُون**) بفتح التاء وتخفيف الظاء بعدها ألف مع فتح الهاء مخففة، والأصل: تتظاهرون حذف منه إحدى التاءين. [٦٧، ٦٦، ١٠] **﴿وَتَطَوَّنُ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾** قوله تعالى: **﴿الظُّنُونًا﴾** - **﴿السَّبِيلًا﴾** - **﴿الرَّسُولًا﴾** قرئ: بألف =
[الأحزاب : ٢٠]. مواضع سورة الأحزاب: معظم مقصود السّورة الذي اشتملت عليه: الأمر بالتّقوى، وأنه ليس في صدر واحد قلبان، وأنّ المتبنّي ليس بمنزلة الابن، وأنّ النبي ﷺ للمؤمنين بمكان الوالد، وأزواجه الطاهرات بمكان الأمّهات، وأخذ الميثاق على الأنبياء، والسؤال عن صدق الصادقين، وذكر حرب =

قُلْ لَنْ نَنْفَعَكُمْ الْفَرَارِينَ فَارْتَمَوْا مَوْتًا أَوْ الْقَتْلَ وَإِذَا لَا تُفَعُّونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْغَيْبِ وَأَلْقَى الَّذِينَ يَخُونُكُمْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مَخْرَجٌ مِنْهُمْ كَالَّذِي يَفُتِنُ عَنْهُمْ وَلَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جَدِيدًا أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَثْلُونَ عَنْ أَنْ يُنَاصِبُكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

١٦- ﴿وَإِذَا لَا تُفَعُّونَ﴾: في هذه الدنيا إن فرتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلى الوقت الذي كتب لهم أن تنقضي فيه آجالهم. ١٨- ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ﴾: الذين يُعَوِّقُونَ عن رسول الله ﷺ فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه ﴿هَلْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مَخْرَجٌ مِنْهُمْ﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه، فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لا يشهدون القتال إن شهدوا إلا تعذيراً، ودفعاً عن أنفسهم. ١٩- ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: بخلاء عليكم بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله ﴿كَالَّذِي يَفُتِنُ عَنْهُمْ﴾: دَرِيَّةٌ، الْمَوْتُ: أي كعيون من نزل به الموت وغشيته أسبابه. وذلك إعظماً للخوف وفرقاً من الحرب ﴿وَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾: وانقطعت الحرب ﴿سَلَقُوكُمْ﴾: استقبلوكم بما تكرهون ﴿بِالنِّسَةِ جَدِيدًا﴾: ذَرِيَّةٌ، سَلِيطَةٌ، طلباً للغنيمة والقسمة ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: على الغنيمة، إذا ظفر المؤمنون ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾: لم يصدقوا بالله ورسوله ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾: أبطلها وأذهب أجزاها. ٢٠- ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾: يحسب المنافقون لجبنهم وهلعهم أن الأحزاب لم ينصرفوا. وإن كانوا قد تفرقوا، ﴿يَوَدُّوا﴾: يتمنوا من الخوف والجبن ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ﴾: غُيِبَ عَنْكُمْ فِي الْبَادِيَةِ، خوفاً من القتل. يقال: قد بدا فلان؛ إذا صار في البدو. ﴿يَسْتَثْلُونَ عَنْ أَنْ يُنَاصِبُكُمْ﴾: يستخبر هؤلاء المنافقون عن أخباركم بالبادية: هل هلك محمد وأصحابه؟ يتمنون ذلك ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾: ولم يرجعوا إلى المدينة، وكان قتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: تعذيراً، وتعلُّلاً، أو رياءً وسمعة. ٢١- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أن تتأسوا به، وتكونوا معه، حيث بذل نفسه للقتال، وخرج إلى الخندق. والآية عامة في الاقتداء برسول الله ﷺ. ٢٢- ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: فيما أنزل عليهم في سورة البقرة من قوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ إلى قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢١٤]: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾: ما أصابهم من الشدة والبلاء إلا تصديقاً لما وعدهم الله ﴿وَسَلِيمًا﴾: لقضائه. = ما بين لايتها، فكبر وكبر المسلمون،

فُسِّلَ عن ذلك فقال: «ضربت الأولى فأضاعت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل: أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية فأضاعت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فأضاعت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل: أن أمتي ظاهرة عليها». فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمينكم ويعدكم الباطل، ويجبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾. وأخرج ابن جوير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في متعب بن قشير الأنصاري وهو صاحب هذه المقالة. وأخرج ابن إسحاق والبيهقي أيضاً عن عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهما، قال: قال متعب بن قشير: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط. وقال أوس بن قيطي في ملاء من قومه: إن بيوتنا عورة، وهي خارجة من المدينة، ائذن لنا فرجع إلى نساءنا وأبنائنا، فأنزل الله على رسوله حين فرغ منهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم، وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ الآية.

= وهي الريح اللينة. ب- ﴿وَلَسْلَيْمَنْ الرِّيحُ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لا تنظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان عليه السلام - «عاصفة» لأنها جند من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمة بؤساً، والقوة ضعفاً. ٢- استعمالها في الشر: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدل على الشر. أمثلة: ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آن واحد: مثال: ﴿إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خير بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشر بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانياً: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الرياح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائماً. أمثلة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألستها مغارها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو .. حامض .. عذب .. أجاج .. وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه.

= بعد النون واللام وصلًا ووقفًا في الثلاثة للرسم، لأنها هكذا ثابتة في خط المصحف، وأيضاً هذه الألف تشبه هاء السكت. وقرئ: بإثباتها في الوقف دون الوصل إجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق، وقرئ: بحذفها في الحالين لأنها لا أصل لها، أي: للألف فيها كلها. [١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَافِقَةٌ مِنْهُمْ يَبْتَهِلُ يَرْبُ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ قوله تعالى: ﴿لَا مَقَامَ﴾ قرئ: (مقام) بضم الميم اسم مكان من أقام، أي: لا مكان إقامة. وقرئ: بالضم في ثاني "الدخان: ٥١" كذلك، وقرئ: (مقام) بالفتح فيها مصدر قام، أي: لا قيام، أو اسم مكان منه، أي: لا مكان قيام. [١٤] ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَأَنزَلْنَاهَا﴾ قرئ: (لأنزله) بقصر الهمزة أي بحذف الألف من الإتيان المتعدي لواحد بمعنى: جاءها. وقرئ: (لأنزله) بمدّها من الإتياء المتعدي لاثنتين بمعنى أعطوها، وتقدير المفعول الثاني: السائلين، أي: لو قيل لهم كونوا على المسلمين لفعلوا ذلك ولم يمتنعوا منه. [٢٠] ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَثْلُونَ عَنْ أَنْ يُنَاصِبُكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْتَثْلُونَ﴾ قرئ: (يسائلون) بتشديد السين المفتوحة وألف بعدها وأصلها يتسائلون، فأدغمت التاء في السين، أي: يسأل بعضهم بعضاً. وقرئ: (يسألون) بسكون السين بعدها همزة بلا ألف، من سأل يسأل. [٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾ قرئ: (أسوة) بضم الهمزة في الثلاثة هنا و"المتحنة: ٤، ٦"، وهي: لغة قيس وتميم. وقرئ: (إسوة) بكسر = = الأحزاب، والشكاية من المنافقين، وذمّ المعرضين، ووفاء الرجال بالعهد، وردّ الكفار بغیظهم، وتخيير أمّيات المؤمنين، ووعظهنّ، ونصحهنّ، وبيان شرف أهل البيت الطاهرين، ووعد المسلمين والمسلمات بالأجور الوافرات، وحديث تزويج زيد وزينب، ورفع الحرج عن النبي ﷺ، وختم الأنبياء به عليه السلام، والأمر =

٢٣- ﴿فَإِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: فرغ من العمل الذي كان أوجهه لله عز وجل على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وفي غيرهما من المواطن. «والنخب» في كلام العرب؛ النذر، ووجوه غير ذلك، منها: الموت ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾: الفراغ من الوفاء لله بعهده وإدراك فضل الشهادة، أو النصر والظفر منه. ٢٥- ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالريح وجنوده من الملائكة. ٢٦- ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾: يعني: بني قريظة وهم من يهود، أعانوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ﴿مِنْ صِيَاصِهِمْ﴾: من حصونهم، جمع: صيصية. ٢٧- ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْهَوْهَا﴾: ما فتح الله على رسوله، وعلى المسلمين بعد ذلك من الأرض. ٢٨- ذكر المفسرون وكتاب السيرة أن زوجات رسول الله ﷺ سألته الزيادة في النفقة، وهو عليها قادر، ولكن رسول الله كان يؤثر الشظف وخشونة العيش، فامهلهن شهراً.. فأنزل الله تعالى آية التخيير هذه، فقرأها عليهن واحدة واحدة، فاخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة، رضي الله عنهن وأرضاهن. وكن يومئذ تسعاً، خمسٌ منهن من قريش: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية. وأربع غير قرشيات: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. رضي الله عن أزواج رسول الله ﷺ أجمعين. ﴿أَمَتَكُمْ﴾: بما أوجب الله على الرجال لنسائهم من المتعة عند الطلاق ﴿وَأَسْرَحَكُمْ﴾: أطلقكن. ٣٠- ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾: قيل: ظاهرة القبح، واضحة الفحش وهي ما يجب فيه الحد. وقد عصمهن الله عن ذلك، وبرأهن وطهرهن. وقال قوم: (الفاحشة) إذا وردت معرفة، فهي الزنا واللواط. وإذا وردت منكراً (فاحشة) فهي سائر المعاصي وكل مستفحش. وإذا وردت منعوتة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك نصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها، أما الزنا ونحوه فإنه يُستتر به. ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾: في الآخرة ﴿يُضَعَّفِينَ﴾: وذلك لشرفهن، وعلو منزلتهن. [٢٣] قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ الآية.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْهَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهُنَّ فَأَلَيَكُمُ أَمْتُكُمْ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ أَعْدَلَ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سِيرًا ﴿٣٠﴾

(٤٢١)

أخرج مسلم، والترمذي، وغيرهما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر، فكبر عليه فقال: أول مشهد قد شهدته رسول الله ﷺ غبت عنه، لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، فشهد يوم أحد، فقاتل حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخرها. [٢٨] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِّأَزْوَاجِكَ﴾ الآية. أخرج مسلم وأحمد والنسائي، من طريق أبي الزبير عن جابر قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لهما، فدخلوا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتي النفقة أنفاً، فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: «هن حولي يسألني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده، وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال: «إني ذاك لك أمراً ما أحب أن تتعجلي فيه حتى تستأمري أبويك»، قالت: ما هو؟ فتلا عليها: يا أيها النبي قل لأزواجك الآية، قالت عائشة: أفيك أستمأر أبوي، بل أختار الله ورسوله. [٢٦] ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ...﴾ [الأحزاب: ٢٦]، ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ قَاتِلُوهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ يُجْرِبُهُمْ رَبُّهُمْ يَزِيدُهُمْ فِي هَيْبِهِمْ وَيُزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ فَاغْتَبَرُوا يَتَأَوَّلُوا الْآخِزِينَ﴾ [الحشر: ٢]. وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهزموا، تقتلون منهم فريقاً، وتأسرون فريقاً آخر، فهذا ما دلت عليه آية الأحزاب، وأما آية الحشر: هوسبحانه الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاؤوا بها المسلمين حول "المدينة"، وذلك أول إخراج لهم من "جزيرة العرب" إلى "الشام"، ما ظننتم أيها المسلمون أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان؛ لشدة بأسهم وقوة منعهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله، ولا يقدر = [٢٨] ﴿فَأَمْسَاكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِجُوا بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. ما الفرق بين: "سراح، تسريح"؟ **الجواب**: وردت كلمة (سراح) مرتين، بينما وردت كلمة (تسريح) مرة واحدة. (سراح) هو اسم المصدر، بينما (تسريح) هو المصدر. **أسئلة هامة**: لماذا وردت كلمة (سراح) أكثر من كلمة (تسريح)؟ ولماذا وصف (سراح) بـ(جميل) ولم يحدث مثل هذا مع (تسريح)؟ **والإجابة**: ناسبت كلمة (تسريح) الموضوع الذي أتت فيه، حيث جاء قبلها مصدر (إمساك) في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فناسب ذلك ذكر المصدر (تسريح) وليس (سراح). وردت كلمة (سراح) أكثر من كلمة (تسريح) لسببين: ١- أنها أخف في النطق من كلمة (تسريح). ٢- أنها أنسب في موضعها من كلمة (تسريح) لعلتين: أ- أنها أخف في النطق من كلمة (تسريح) فناسبها الوصف بكلمة (جميلاً) في الموضوعين اللذين أتت فيهما. ب- أنها جاءت تعبيراً عن معاملة إنسانية خاصة. هي معاملة الرجل زوجته أو مخطوبته (كما ورد في الموضوعين اللذين أتت فيهما) وحيث إنها أخف نطقاً فقد ناسبت هذين الموضوعين أكثر من كلمة (تسريح) (الأثقل نطقاً، والأطول والأكثر حروفاً). [٣٠-٣١] ﴿يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سِيرًا﴾ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣١]. المراد بالفاحشة: الشؤر وسوء الخلق. فإن قيل: لم خص الله تعالى نساء النبي ﷺ = الهمزة: لغة الحجاز، والأسوة: الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، وهو الاتساء كالقدوة من الاقتداء. [٣٠] ﴿يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُضَعَّفُ﴾ قرئ: (نضعف) بنون العظمة وتشديد العين مكسورة بلا ألف قبلها على البناء للفاعل، والعذاب بالنصب مفعولاً به، وفي التشديد معنى التكثر. وقرئ: (يضعف) بـ(ياء) من تحت وتشديد العين وفتحها بلا ألف قبلها على البناء للمفعول، والعذاب بالرفع على النيابة عن الفاعل. وقرئ: (يضاغف) بـ(ياء) من تحت وتخفيف العين وألف قبلها مبني للمفعول، العذاب بالرفع نائب الفاعل أيضاً. [٣١] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا﴾ قوله = بالذكر الكثير، والصلوات والتسليمات على المؤمنين، والمخاطبات الشريفة لسيّدنا المصطفى ﷺ، وبيان النكاح، والطلاق، والعدة، وخصائص النبي ﷺ في باب النكاح، وتخييره في القسم بين الأزواج، والحجر عليه في تبديلهن، ونهي الصحابة عن دخول حجرة النبي ﷺ بغير إذن منه، وضرب الحجاب، ونهي المؤمنين =

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَاطْنِئْنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرَاتِ أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُكْمٌ وَالدَّارُونَ ﴿٣٥﴾

٣١- ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: طمع الله ورسوله ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مثلي ثواب غيرها من نساء الناس. ٣٢- ﴿لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾: من نساء هذه الأمة ﴿إِنْ أَتَقَيْتُ﴾: الله وأطعته ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾: لا تلين بالقول، عند مخاطبة الناس، مما يدخل قلوب الرجال ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: نفاق وشهوة للفواحش ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: في الخير. ٣٣- ﴿وَقَرْنَ﴾: بمعنى: واقرنن إي الزمن ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾: إذا خرجتن من بيوتكن. «والتبرج»: إظهار الزينة ومحاسن المرأة للرجال ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: ما كان قبل الإسلام. ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: السوء والفحشاء ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: يعني عز وجل: بيت محمد ﷺ و﴿يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: من معاصي الله. والمراد بأهل بيته ﷺ: زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، لأن الآية فيهن، وكذلك الآيات الخمس التي قبلها، والآية التي بعدها. كلها في سياق واحد. وإنما أفردت هذه الآية وحدها دون هذه الآيات بالجمع المذكور «ويطهركم تطهيراً» لأن هذا الحكم ليس خاصاً بالزوجات، ولكنه يعم ليشمل الزوج أو صاحب البيت، مع زوجاته أهل هذا البيت، وحكم الطهارة فيه وفيهن واحد، لأن الطيبات للطيبين، والطيبين للطيبات. أما حديث الكساء الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد اتسع النبي فيه بهذا التطهير، وجعل بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما مشمولاً بهذه الآية الكريمة، أو مضافاً إلى بيته الشريف الطاهر، تكريماً وتشريفاً وتطهيراً كذلك. فصارت الآية عند العلماء المحققين شاملة لزوجات النبي، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين. أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق الآيات، ولكونهن الساكنات في بيوتهم وبيوتهن، وهذه البيوت في حكم البيت الواحد بحق صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام. وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فلأنهم أقرب الناس إليه في النسب، وبخاصة السيدة فاطمة ابنته رضي الله عنها، فصار (أهل البيت) في الكتاب والسنة: زوجات النبي وبنته وابناها وزوجها. ٣٥- ﴿وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ﴾: المتذللين لله عز وجل، والمتذللات، بالعبادة والطاعة. [٣٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية: أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية. وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قالت: النساء يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات، فنزلت ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية، وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران. وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قالت النساء: لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية.

= عليها أحد، فاتاهم الله من حيث لم يخطر لهم ببال، وألقى في قلوبهم الخوف والفرع الشديد، يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم. [٢٨] ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَا تَزُجُّكَ إِنْ كُنْتَ تَرِدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَنَعْلَمُ أَنَّكَ أَمْتَعَكُنْ...﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَا تَزُجُّكَ وَبَنَاتُكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُمْ مِنْ جَلْبَابِهِمْ...﴾ [الأحزاب: ٥٩]. يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبلن أمتعن مما عندي من الدنيا، وأفارقكن دون ضرر أو إيذاء، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، وأما الآية الثانية: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحقهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميزن بالستر والصيانة، فلا يُتَعَرَّضَ لهن بمكروه أو أذى، وكان الله غفوراً رحيماً، حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام. = بتضعيف العقوبة على الذنب، والمثوبة على الطاعة؟ **فالجواب لأمرين**: أما الأول: فلأنهن يُشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهدهن غيرهن، ولأن في معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ، وذنب من أذى رسول الله ﷺ أعظم من ذنب غيره. وأما الثاني: فلأنهن أشرف من سائر النساء لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت الطاعة منهن أشرف، كما أن المعصية منهن أقبح. تأمل كيف عبر هنا عند إيتاء الأجر بقوله: ﴿نُؤْتِهَا﴾ للتصريح بالمؤتي وهو الله، وفي الآية التي قبلها عبر عند العذاب بقوله: ﴿يُضَعَّفُ﴾ فلم يصرح بالمعذب، إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، ولأن الكريم عند النفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضر لا يذكر نفسه.

[٣٠] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنْكُمْ فِي فَحْشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]. إن العبد كلما كملت نعمة الله عليه ينبغي أن تكون طاعته له أكمل، وشكره له أتم، ومعصيته له أقبح. وشدة العقوبة تابعة لقبح المعصية، ولهذا كان أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه. = تعالى: ﴿وَتَعَمَلْ﴾ قرئ: **(ويعمل)** بياء التذكير فيهما على إسناد الأولى إلى لفظ "من"، والثاني: لضمير لفظ الجلالة لتقدمها. وقرئ: **(وتعمل)** بتاء التأنيث في عمل على إسناده لمعنى: من، وهن النساء، ونؤتها بالنون مسنداً للمتكلم العظيم حقيقة. [٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ﴾ قرئ: **(وقرن)** بفتح القاف أمر من قرن بكسر الراء الأولى في الماضي، يقرن بفتحها في المضارع، فالأمر منه اقررن، حذف الراء الثانية الساكنة لاجتماع الراءين، ثم نقلت الأولى وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار: قرن، فوزنه حينئذ (فعن) فالمحذوف: اللام، وقيل: المحذوف الأولى، لأنها نقلت حركتها إلى القاف فبقيت ساكنة مع سكون الراء بعدها، فحذفت الأولى للساكنتين، فوزنه (فلن) لأن أصل قرن: اوقرن، فحذف الواو على ما عللنا، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف، وقيل: إن قراءة فتح القاف مشتقة من قررت به عيناً أقر، وليس على هذا المعنى، لم يؤمرن بأن تقر أعينهن على بيوتهن، إنما أمرن بالقرار، والسكون في البيوت وترك التبرج. وقرئ: **(وقرن)** بالكسر من قر بالمكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع، وهي الفصيحة، ويجيء فيها الوجهان من حذف الراء الثانية أو الأولى، وأصله: واقررن فتحذف، ويجيء فيها الوجهان من حذف الراء الثانية أو الأولى، وأصله: واقررن فتحذف الأولى استثقلاً للتضعيف بعد أن تلقى حركتها على القاف، فتكسر القاف فيستغنى بحركتها عن ألف الوصل، فيصير اللفظ "قرن". وقيل: إنهم أولوا من الراء الأولى ياء كما فعلوا في قيراط ودينار، فصارت الياء مكسورة كما كانت الراء مكسورة، واستثقلت الكسرة عليها، فألقيت على القاف، وحذفت الياء لسكونها، وسكون الراء بعدها، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف. = عن تزوج أزواجه بعده، والموافقة مع الملائكة في الصلاة على النبي ﷺ، وتهديد المؤذنين للنبي وللمؤمنين، وتعليم آداب النساء في خروجهن من البيوت، وتهديد المنافقين، وذل الكفار في النار، والنهي عن إيذاء الرسول ﷺ، والأمر بالقول السديد، وبيان عَرْض الأمانة، وعذاب المنافقين، وتوبة الله على المؤمنين.

٣٦- ﴿وَمَا كَانَ﴾ : ما صح ولا استقام ﴿إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ : في أنفسهم أو بوجه عام ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ : أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، بل يجب عليهم اتباع ما اختاره لهم وأمرهم به. ٣٧- ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ : يعني: زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالهداية، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق. ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ : كان رسول الله ﷺ قد أعلمه الله تعالى بأن زينب بنت جحش زوجة زيد سوف تكون من أزواجه، وقد ساءت العشرة بين زيد وزينب، فلما أراد فراقها ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له عليه السلام: «أمسك عليك زوجك واتق الله». وهو يعلم بأنها سوف تبين، منه لينكحها ﴿وَتُخْفَىٰ النَّاسُ﴾ : أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها حين طلقها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ : حاجته منها، ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ : أي تزوجها النبي ﷺ بتزويج الله إياها. ﴿لِيَكُنِيَ لَكَ لَهْلًا﴾ : لثلاً ﴿حَرْجٌ﴾ : إثم ﴿فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاءِهِمْ﴾ : في نكاح نساء من تبثوه بعده ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ : كان قضاء الله عز وجل في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كائناً. ٣٨- ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرْجٍ﴾ : من إثم ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ : أحل ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ : من الرسل الذين مضوا قبله. ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ : قضاء مقضياً. ٣٩- ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ : محاسباً لخالقه على أعمالهم. ٤٠- ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ : الذين لم ينجبهم محمد، فيحرم عليه نكاح أزواجهم بعد فراقهم له ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ : بكسر التاء، بمعنى: إنه ختم النبيين، ومن قرأ بالفتح، فبمعنى: آخر النبيين. ٤١- ﴿وَسَبَّحُوهُ﴾ : صلوا له ﴿بُكْرَةً﴾ : غداة؛ وهو صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ : عشياً، يعني: صلاة العصر. وقيل: المراد: التسيب طرقي النهار. ٤٢- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ : يشيع عليكم الذكر الجميل في عبادته إن أنتم فعلتم ذلك، وقيل: الصلاة من الله تعالى على العباد: رحمته لهم، وبركته عليهم ﴿مَنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ : من الضلالة أو الضلالات إلى الهدى.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآيات. أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ

زينب وهو يريد لها لزيد فظنت أنه يريد لها لنفسه، فلما علمت أنه يريد لها لزيد أبت، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية فرضيت وسلمت. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية كلها. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، قالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت. [٣٧] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ الآيات. أخرج البخاري عن أنس: أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في بنت جحش وزيد بن حارثة. وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك أهلك» فنزلت: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وأخرج مسلم، وأحمد، والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «أذهب فاذكرها علي»، فانطلق فأخبرها، فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيته حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتبع حجر نسائه، ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية. [٤٠] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أخرج الترمذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليمة ابنة، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية. [٤٣] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركناه فيه، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [٣٧] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. انفرد زيد بن حارثة رضي الله عنه بأنه الصحابي الوحيد الذي ذكر باسمه الصريح في القرآن الكريم فما السر في ذلك؟ **الجواب:** لربما كان لإثبات إبطال عادة التبني أثر في ذلك كما تفرضه النظرة الفقهية للمسألة، لكن الذي يبدو والعلم عند الله أن زيداً رضي الله عنه قد عاش دهرًا لا ينادى إلا بزيد بن محمد، وهو شرف لا يضاهي ديناً ودنياً، فعن عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن. ﴿أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] رواه البخاري وغيره. ولعل ذلك أحدث في زيد وحشة، بل يقيناً كان ذلك، فقد مضت سنة الله ألا يضيع أجر المحسنين، وكان لزيد رضي الله عنه من قبل اختيار رسول الله ﷺ عوضاً عن أبيه وإخوته وأعمامه، فأكرم الله هذا الصحابي الجليل بذكر اسمه في القرآن، ليصبح لفظ اسمه في آية الأحزاب، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ...﴾ [الأحزاب: ٣٧]، أصبح قرآناً يتلى في المساجد والمحارب، وتحفظه القلوب المؤمنة، وتتلوه الأفواه الطاهرة، فما أجل العطاء، وما أكرم المنزلة.. وتأمل كيف عوض الله زيداً رضي الله عنه ما فقدته من شرف المنادة بزيد بن محمد، فهنيئاً له الاقتران بالحبيب رسول الله ﷺ هذه المنزلة الرفيعة والذكر الخالد، وصدق الله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، والعلم عند الله. [٤٣] ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ **الجواب:** لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرد.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ﴾ قرئ: (يكون) بالياء؛ لأن التانيث غير حقيقي. وقرئ: (تكون) بالتاء لتانيث لفظ الفاعل وهو «الخيرة». [٤٠] ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَحَاتَمَ﴾ قرئ: (وخاتم) بفتح التاء اسم للآلة كالطابع وال قالب على معنى أن النبي صلى الله عليه وسلم ختم به النبيون، أي: لا نبي بعده، فلا فعل له في ذلك، فمعناه آخر النبيين. وقرئ: (وخاتم) بكسر التاء اسم فاعل فهو فاعل الختم. [٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿كَبِيرًا﴾ قرئ: (كبيراً) بالباء الموحدة من الكبير، أي: أشد الذكر أو أعظمه لأنه لما كان الكبير مثل العظم في المعنى وكان كل شيء كبيراً عظيماً، دلَّ العظم على الكثرة وعلى الكبير فتضمنت القراءة بالباء المعنيين جميعاً. وقرئ: (كثيراً) بالمثلثة من الكثرة، أي: مرة بعد أخرى، أي: إنهم يذكرون الله مرة بعد مرة.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُنِيَ لَكَ لَهْلًا حَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاءِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرْجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رَسْلَتِ اللَّهِ وَتُخْفَىٰ لَهُمْ وَلَا يَشْعُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٤٣

يَحْيِيَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّتِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيَا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّونها
فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي آتَتْ أَجُورُهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٤ - ﴿سَلَامٌ﴾: أَمَنَةٌ لَنَا وَلَكُمْ، وهي تحية أهل الجنة، و«يوم يلقونه» عند الموت، أو عند البعث، أو عند دخول الجنة. ٤٥ - ﴿شَهِيدًا﴾: على أمتك بإبلاغك إياهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: من النار. ٤٦ - ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى دين الله وشهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾: قال ابن عطية استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه، فكان المهتدين به والمؤمنين، يخرجون بنوره من ظلمة الكفر. قلت: لقد جمع الله تعالى لنبيه الكريم في هذه الآية بين صفتي الشمس والقمر، لأن «السراج» في القرآن اسم ووصف للشمس. و«المنير» والنور اسم ووصف للقمر (انظر سورة الفرقان ٦١-٦٢. وسورة نوح: ١٥-١٦. وسورة النبا: ١٣) وفي هذا الجمع دلالة على أن النبي الكريم يقوم في حياة الناس المعنوية مقام الشمس والقمر في معاشهم وحياتهم المادية، ولهذا خاطبه في محكم التنزيل بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ٤٨ - ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾: أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك. ٤٩ - ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أمر الله تعالى بتمتع المطلقة قبل البناء، على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره. والسراج الجميل: هو الطلاق يتبعه عشرة حسنة وكلمة طيبة دون أذى. ٥٠ - ﴿الَّتِي آتَتْ أَجُورَهُنَّ﴾: مهورهن، أي تزوجتهن بصدائق مُسَمَّى ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: من النساء السراي (وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ): من غير صدق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إغما ذلك للنبي ﷺ لا يحل لأحد من أمته غيره أن تهب نفسها له. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾: ما فرض الله على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن، ألا يحل لهم عقد نكاح على حرة مؤمنة إلا بولي وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيق في نكاح من أباح الله لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية ممن خصك الله به.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا: لما نزلت. ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قال رجال من المؤمنين: هنيئًا لك يا

رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الفتح: ٥] الآية، وأنزل في سورة الأحزاب ﴿وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾. وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت: ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ فِي وَلَا يَكْمُرُ﴾ نزل بعدها: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقالوا: يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزل: ﴿وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ قال: الفضل الكبير، الجنة. [٥٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم، وصححه، من طريق السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فلم أكن أحل له لأنني لم أهاجر. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح عن أم هانئ قالت: نزلت في هذه الآية ﴿وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهني عني؛ إذ لم أهاجر. قوله تعالى ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ الآية. أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ الآية قال: نزلت في أم شريك الدوسية. وأخرج ابن سعد، عن منير بن عبد الله الدؤلي: أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حيث تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأناتلك، فسمهاها الله مؤمنة، فقال: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فلما نزلت الآية قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك.

[٥٠] ﴿وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. لماذا أفرد الذكور وجمع الإناث؟ الجواب: أن إفراد الذكور لإرادة الجنس، وعلم من إضافة الجمع إلى المفرد أن المراد جنس الأعمام والأخوال، لا عم معين أو خال معين، فكان الأفراد مع إرادة الجنس أخف لفظاً وأفصح، لما فيه من المقابلة بين الأفراد والجمع والذكور والإناث، أما جمع الإناث لفظاً فلتعذر الإتيان بمفرده بغير الجنس، إذ لو قيل: بنت عمك أو بنات عمك، وبنت خالك أو بنات خالك، لاحتل إرادة بنت معينة أو عمة معينة، أو خال معين أو خالة معينة، والآية إنما سبقت لبيان المنة على رسول الله ﷺ والتوسعة عليه، والأفراد يفوت به التصريح له بهذا المعنى المقصود. [٥٠] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ما الفرق بين: "ينكح ويستنكح" الجواب: وردت كلمة ينكح (أربع عشرة) مرة، بينما وردت كلمة (يستنكح) مرة واحدة. قال الزمخشري (استنكحها: طلب نكاحها والرغبة فيه). وثمة فرق آخر بين الفعلين، وهو أن الاستنكاح في الآية التي ورد فيها يدل على شيئين: ١- تأكيد الرغبة في النكاح، كأن الأحرف الزائدة في الفعل (يستنكح) جاءت لزيادة معنى، وللتأكيد الذي لا يحمله فعل (ينكح). ٢- الدلالة على معنى القبول؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فكلمتا (إن أراد) تحمل معنى الاحتمالية، لا للتأكيد على الإرادة والرغبة، وكذلك لا تقوى كثيراً هذه الاحتمالية إن أضيف إليها الفعل (ينكح)، ولكن حينما أضيف إليها الفعل (يستنكح) كان المعنى قوياً، وحمل السياق معنى القبول، خاصة أن ذلك سبق بقوله تعالى: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ومعلوم أن الهبة إما أن تقبل وإما أن ترد، ولكي يكون المعنى قوياً في القبول، جاء الفعل (يستنكح) الذي يحمل معنى الإرادة والرغبة، وكذلك القبول من جهة النبي ﷺ. [٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فوائد الصلاة على النبي ﷺ: ١- أمثال أمر الله سبحانه وتعالى. ٢- موافقته سبحانه في الصلاة عليه وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف. ٣- موافقة ملائكته فيها. ٤- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة. ٥- أنه يرفع عشر درجات. ٦- أنه يكتب له عشر حسنات. ٧- أنه يمحي عنه عشر سيئات. ٨- أنه يرجي إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين. ٩- أنها سبب لشفاعته إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردا. ١٠- أنها سبب لغفران الذنوب. ١١- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمله. ١٢- أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة. ١٣- أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة. ١٤- أنها سبب لقضاء الحوائج. ١٥- أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه. ١٦- أنها زكاة للمصلي وطهارة له. ١٧- أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته. ١٨- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة. ١٩- أنها سبب لرد النبي الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه. ٢٠- أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

٥١- ﴿تَرْجِي﴾: تؤخر ﴿وَتُؤَيِّ﴾: تضم. وقيل: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك فلا تقبلها ولا تنكحها، وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك ﴿وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: معنى ذلك: من استبدلت بمن أرحيت، آخرت، فخلّيت سبيله من نسائك، أو بمن مات منهن، ممن أحللت لك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَقَّ﴾: أقرب ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَبِرَضَاكِهِنَّ﴾: من تفضيل في قسم، أو نفقة، أو إيثار، إذا هنّ علمن أنه من رضا منك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: من ميل قلوب الرجال إلى بعض من عندهم من النساء دون بعض. والآية عامة في كل ما يضمرونه. ٥٢- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾: من بعد نسائك اللاتي خيّرتهنّ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وهن التسع. ونهي رسول الله ﷺ أن يتزوج من بعد نسائه الأول شيئاً. ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾: أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: من اجناس الإماء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾: حفيظاً يعلم كل شيء. ٥٣- ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: إلا أن تدعوا ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾: تطعمونه ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ﴾: مُنتظرين ﴿إِنَّهُ﴾: إدراكه وبلوغه ﴿فَانْتَشَرُوا﴾: تفرقوا، وأخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام، إيناساً من بعضكم لبعض ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: يعني: نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج. ﴿فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: أي من وراء ستر بينكم وبينهن. ﴿أَطْهَرُ لِقُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: من عوارض الفتن، أو من الخواطر التي تعرض في شأن النساء والرجال. ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: حرم الله تعالى نكاح أزواج النبي بعده، وجعل هن حكم الأمهات.

[٥١] قوله تعالى: ﴿تَرْجِي مِنْ نَشَاءٍ﴾ أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها؟ فأنزل الله ﴿تَرْجِي مِنْ نَشَاءٍ﴾ الآية. فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هوك. وأخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: هم رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه، فلما رأى ذلك جعله في حل من أنفسهن، يؤثر من يشاء على من يشاء، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَرْجِي مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ﴾ الآية. [٥٢] قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خير رسول الله ﷺ أزواجه، فاخترن الله ورسوله، فأنزل الله ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾ الآية. تقدم حديث عمر في سورة البقرة. وأخرج الشيخان عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيا للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة ثم انطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾. وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأتى باب امرأة عرس بها، فإذا عندها قوم، فانطلق ثم رجع وقد خرجوا فدخل، فأرخصي بيني وبينه سترًا، فذكرته لأبي طلحة فقال: لئن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء، فنزلت آية الحجاب. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي ﷺ في قعب، فمر عمر، فدعاه فأكل فأصابته أصبعه أصبعي، فقال: أوه، لو أطاع فيكن ما رأيتك عين، فنزلت آية الحجاب. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فخرج النبي ﷺ ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه، فقال للرجل: لعلك آذيت النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «لقد قمت ثلاثاً لكي يتبعني فلم يفعل»، فقال له عمر: يا رسول الله، لو اتخذت حجاباً فإن نساءك لسن كسائر النساء، وذلك أظهر لقلوبهن، فنزلت آية الحجاب، قال الحافظ ابن حجر: يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب، فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب لهذا السبب، ولا مانع من تعدد الأسباب. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه، فأخذوا المجالس، فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ولا يسطر يده إلى الطعام استحياء منهم، فعوتبوا في ذلك، فأنزل الله ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية. قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلاً يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج عن ابن عباس قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة. وأخرج عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا، لئن حدث به حدث لتزوجن نساء من بعده، فأنزلت هذه الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة. وأخرج جوير عن ابن عباس: أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي ﷺ: «لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا»، فقال: يا رسول الله، إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً، ولا قالت لي. قال النبي ﷺ: «قد عرفت ذلك، أنه ليس أحد أغبر من الله، وأنه ليس أحد أغبر مني»، فمضى، ثم قال: يميني من كلام ابنة عمي، لأتزوجنها من بعده، فأنزل الله هذه الآية. قال ابن عباس: فاعتق ذلك الرجل رقبة، وحمل على عشرة أبعة في سبيل الله، وحج ماشياً توبة من كلمته.

= ٢١- أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة. ٢٢- أنها سبب لنفي الفقر. ٢٣- أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره. ٢٤- أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتركها عن طريقها. ٢٥- أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله ورسوله، ويحمد ويشني عليه، فيه، ويصلي على رسوله. ٢٦- إنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله. ٢٧- أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط. ٢٨- أنه يخرج بها العبد عن الجفاء. ٢٩- إنها سبب لإبقاء الله سبحانه الشاء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله أن يشني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك. ٣٠- أنها سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي يدعو ربه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه. ٣١- أنها سبب لنيل رحمة الله له. ٣٢- أنها سبب لدوام محبته للرسول وزيادتها وتضاعفها. ٣٣- أن الصلاة عليه سبب لمحبه للعبد، فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبه هو للمصلي عليه. ٣٤- أنها سبب لهداية

[٥٢] ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ﴾ قرئ: (تحل) بالتاء من فوق؛ لأن الفاعل حقيقي التأنيث. وقرئ: (يحل) بالياء من تحت للفصل.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَقْبَيْنَ اللَّهُ إِلَهُكَ كَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَتَّيِبُهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ قُلُوا لِرُؤُوسِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلِيدِهِمْ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَعْرِفَ فَلَإِيَّائِهِمْ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَنْ لَرَيْنَهُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتْلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

٥٥- ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ﴾: لا إثم عليهم، يعني عز وجل نساء رسول الله ﷺ وسائر النساء ﴿فِي آبَائِهِمْ﴾: إلى آخر الآية: ألا يحتجب منهم. وقيل: ذلك في وضع الجلباب وإبداء الزينة. ﴿وَلَا نِسَائِهِمْ﴾: يعني: نساء المؤمنين. ٥٦- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: يُرْكُونَ عَلَى النَّبِيِّ؛ أما صلاة الرب بالمغفرة، وصلاة الملائكة الاستغفار، ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾: سئل رسول الله ﷺ، فقيل له: كيف الصلاة عليك؟ فقال: قل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». أخرجه البخاري والترمذي، وغيرهما. ٥٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾: هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله بالولد، وكذبوا رسوله، ﴿وَرَسُولُهُ﴾: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب زوجة له. ٥٨- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: يعيبونهم؛ بأي وجه من قول أو فعل ﴿بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير ما عملوا ﴿بُهْتَانًا﴾: وزر كذب وفرية. و«البهتان»: أفحش الكذب. ٥٩- ﴿لَنْ لَرَيْنَهُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: «لَنْ لَرَيْنَهُ الْمُتَنَفِقُونَ» هو الثوب الخارجي الذي يشمل ما تحته من ثياب، حتى لا يتكشف من أبدانهم قليل ولا كثير. ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَعْرِفَ فَلَإِيَّائِهِمْ﴾: عن مررن بهم أنهم عفيفات متصونات، فتنقطع وساوس الإثم عنهن، أي من الآخرين. أما المرأة نفسها فقد تكون عفيفة متصونة في جميع الحالات، فيكف عن إيذاهن بقول مكروه، أو تعرض برية ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾: لتركهن ذلك فيما سلف. ٦٠- ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: قوم كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه. وقيل: هم الزناة وأهل الفجور. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾: أهل الإرجاف بالكذب والباطل، كانوا يشيعون أخبار السوء عن سرايا النبي ﷺ ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنسلطنك عليهم، فتستأصلهم بالقتل والتشريد، فلا يجاورونك في «المدينة» إلا قليلاً حتى يهلكوا أو ينفوا. ٦١- ﴿مَلْعُونِينَ﴾: مشتمين. ﴿أَيْنَمَا ثَقِفُوا﴾: أخذوا وأصيبوا.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية. قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي. وقال جوير عن الضحاك، عن ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي ناس مع قذفوا عائشة، فخطب النبي ﷺ وقال: «من يعذرني من رجل يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني» فنزلت. [٥٩] قوله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ قُلُوا لِرُؤُوسِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلِيدِهِمْ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَعْرِفَ فَلَإِيَّائِهِمْ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ الآية. وأخرج البخاري عن عائشة قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقلت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتك». وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فشكوا ذلك، فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية ﴿يَتَّيِبُهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ قُلُوا لِرُؤُوسِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلِيدِهِمْ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَعْرِفَ فَلَإِيَّائِهِمْ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾. ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي. [٦٢] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. الآية الأولى معقب بها قصة زينب أم المؤمنين وزيد بن حارثة رضى الله عنهما، وما جرى في ذلك إلى أن تزوجها رسول الله ﷺ "فهذه الآية تأنيس لرسول الله ﷺ"، وإعلام له أن تلك سنته سبحانه في عبادته التي شاءها وقدرها حكماً ثابتاً فيمن تقدم من الرسل والأنبياء ومن اهتدى بهديهم، فلا حرج عليك يا محمد، فلا تصغ إلى قول منافق يقول: تزوج محمد حليمة ابنه، فإن زيداً ليس ابنك، فهذه الآيات تأنيس للنبي ﷺ، وتسليية له عن خوض المنافقين، وتنزيهه لقدره العلي، وتبرئته من أدنى نقص بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لَهَا لِأَنَّكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فقيل له عليه السلام، لا تخش أحداً فإنك إنما جريت في ذلك كله على ما بين الله لك من الشرع الذي جعله سبحانه سبيلك ودينك الذي تدعو إليه، وطريق من تقدمك من الرسل الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلا الله، فالله أحق أن تخشاه أنت يا محمد، ولا تصغ إلى أحد، ولا تستحي منه، فإنك على صراط مستقيم، فقد وضح ما أخفاه في نفسه، وهذا الذي أبداه الله تعالى، ولمجموع ما ذكرنا أعقبت بقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقد أتبت الآية بذكر من سنَّ سبحانه حكم هذه الآية لهم، وأنهم الرسل عليه السلام، فقال: ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، فتأمل هذا التعقيب، وأمّا الآية الثانية فإنه سبحانه لما قال: ﴿لَنْ لَرَيْنَهُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٦٠] مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتْلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ، وهذا كقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥]، فاعلم أنها سنته الجارية فيهم: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقد تكرر هذا في مواضع من كتاب الله سبحانه، ووضح هذا التناسب في كل منها، والله أعلم.

= العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره، واستولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلواته عليه. ٣٥- أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه وذكره عنده. ٣٦- أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه؛ لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي وفيه: (ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط، ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلواته علي، فأقامته على قدميه وأنقذته). أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف. ٣٧- أن الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه. ٣٨- أنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره ومعرفة إنعامه على عبده =

٦٧- ﴿فَاضْلُونَا السَّبِيلَ﴾: أزالونا عن طريق الهدى. ٦٨- ﴿إِنَّمَا ضَعُفَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ﴾: عذبهم من العذاب بمثل عذابنا الذي تعذبنا ﴿وَالْعَنَمُ﴾: أخزهم. ٦٩- ﴿أَذَوْنَا مُوسَى﴾: رموه بعيب كذباً وباطلاً ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهاً﴾: ذا وجه ومنزلة عنده، مُشْفَعاً فيما يسأل. ٧٠- ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصداً غير جائر، حقاً غير باطل. ٧١- ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: ظفر بالكرامة العظمى. ٧٢- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: إلى آخر الآية، قيل: عنى بها: فرائض الله عز وجل؛ من الوضوء والغسل والصلاة والزكاة والصيام والحج، وغيرها من فرائضه، على أنها، أي السماوات والأرض، إن أحسنت أثيبت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها إشفاقاً من ألا تقوم بذلك، وقيل: هي في هذا الموضع: أمانات الناس. والذي عليه جمهور المفسرين: أن المراد بالأمانات: كل شيء يؤتمن الإنسان عليه، من أمر ونهي، وشأن دين ودنيا، فالشرع كله أمانة. قال ابن عطية: «ويحتمل أن يكون هذا العرض بإدراك مخلقه الله تعالى فيها، ويحتمل أن يكون على من فيها من الملائكة» وقيل: إن الغرض من هذا العرض: بيان أنها لم تُهَيَأَ للنهوض بأعباء التكليف. ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: آدم عليه السلام، أي التزم بحملها، أو صار مستعداً لها بالفطرة ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾: لنفسه ﴿جَهُولًا﴾: بالذي له فيه الخط. ٧٣- ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾: هذه لام العاقبة لأن الإنسان لم يحمل الأمانة ليقع العذاب، لكن حين حملها.. آل الأمر إلى أن يعذب من نافق أو كفر أو أشرك. [٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾. الآيات تبين حال المشركين وسؤالهم عن وقت القيامة استبعاداً وتكذيباً لها. [٦٣] ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. آية الأحزاب بزيادة "تكون" مراعاة للفواصل.

= بإرساله. ٣٩- أن الصلاة عليه من العبد هي دعاء، ودعاء العبد سؤاله من ربه... وأما صفة الصلاة التي نصلي بها على رسول الله فأى لفظ تحصل به الصلاة على رسول الله ما لم يكن فيه محذور شرعي، وأفضل صيغة للصلاة على رسول الله ﷺ ما رواه البخاري وغيره من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يرد ما بينهما. [٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبداً. وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه. [٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَإِ يُوْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فتح لباب الرجاء والأمل لكل المتبرجات وذوات الألبسة الضيقة والقصيرة، بأنها مجرد أن تعود عن عادتها الخطرة، وتشبه بالمؤمنات المتعفات، فإن الله جل جلاله يقبلها في ظلال مغفرته ورحمته، ويعفو عنها ما سلف من الغفلات والتقصير. [٦٠] ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]. في الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه ﷺ حتى مات، والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير وعيدهم. [٧٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١]. وعد-عز وجل- بأنه يجازي على القول السديد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب، وحسبك بذلك درجة ورفعة ومنزلة. [٦٦] ﴿يَقُولُونَ بَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [٦٦] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. بمد (الرسول) و(السبيل)، وهو لم يمد (السبيل) في أول السورة وإنما قال: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [٦٨] والفرق بينهما: أن آتي المد هما من قول أهل النار، وهم يصطرخون فيها ويمدون أصواتهم بالبكاء، كما أخبر عنهم ربنا بقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [٣٧] (فاطر: ٣٧)، فالمقام هنا مقام صراخ ومد صوت فناسب المد. في حين أن الآية الأخرى ليست كذلك، وإنما هي قول الله مقررًا حقيقة عقلية معلومة. [٧٢] ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. ما الفرق بين: "ظلوم، ظلام"؟ الجواب: وردت كلمة (ظلوم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعلول) والثانية على وزن (فَعَال). وردت كلمة (ظلوم) وصفًا للإنسان، بينما وردت كلمة (ظلام) وصفًا منفيًا عن الله تعالى. لم اختصاص كل بما ذكر؟! حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسباً أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ(ظلوم وجاهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلوم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعلول) كان هناك وصف آخر فيه مبالغة (كفار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلوم موسيقياً، كما أنها شاكلت الكلمة الثانية (جاهول) حيث إن كليهما على وزن (فعلول). أما كلمة (ظلام) فقد جاءت وصفًا منفيًا عن الذات الإلهية، ولعل ذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالباً. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استخدمت كلمة (ظلام) كما قال القاضي الباقلاني: إن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يُوصف بأقصى حد للظلم وهو (ظلام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلا على ذنب، فهو ليس بظلام أبداً.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُذِرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَكُونُ﴾ قرئ: (يكون) بالياء من تحت لأن تأنيث الخبر مجازي، وللفضل، أو تؤول بالإخبار. وقرئ: (تكون) بالتاء من فوق مراعاة للفظ. [٦٧] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَادَتَنَا﴾ قرئ: (ساداتنا) بالجمع بالألف بعد الدال مع كسر التاء جمع سادة. وقرئ: (سادتنا) بفتح التاء بلا ألف على التكرير جمع سيّد.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُذِرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ لَا يُحَدُّونَ وَلِيَّاءُ لَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّمَا ضَعُفَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمِ لَعَنَّا كِبَرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهاً ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا بِآيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ الْإِيمِ ﴿٥﴾ وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرِضْتُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ لَكُمْ لَقِيَ خَلْقٌ جَدِيدٌ ﴿٧﴾

(٤٢٨)

١- ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: كالذي هو أهله في الدنيا، والحمد الذي له في الدنيا: عبادة، وفي الآخرة: سرور وابتهاج لأنه قد انقطع فيها التكليف ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في أمره ﴿الْخَبِيرُ﴾: بخلقه. ٢- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ويغيب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يصعد إليها. ٣- ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ﴾: ما يغيب عن أبصار الخلق، وما هو كائن ﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يغيب ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: هو مثبت في اللوح المحفوظ. ٤- ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: الجنة. ٥- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا بِآيَاتِنَا مُعْجِرِينَ﴾: في إبطال أدلتنا، وحجتنا المنزلة على الرسل، وقدحوا فيها، وصدوا الناس عنها «معاجزين»: محاولين تعجيز قدرة الله فيهم، أي يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم، فيفوتوننا، ولا يدركون، ﴿مِنْ رَجْزٍ﴾: من سوء العذاب. ﴿إِيمِ﴾: موجع. ٧- ﴿عَلَى رَجُلٍ﴾: يعنون النبي ﷺ ﴿يُبَشِّرُكُمْ﴾: يخبركم ﴿إِذَا مَرِضْتُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ﴾: بليتم وكنتم عظاماً وتراباً ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: تعودون كهيتكم، قالوا ذلك تكذيباً منهم بالبعث! [٢] ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. لم يتقدم آية سبأ ما يخص المكلفين أبداً، والمغفرة لا تأتي إلا للمكلفين والمذنبين الذين يغفر الله تعالى لهم، وإنما جاء ذكرهم بعد الآيتين الأولى والثانية، لذا اقتضى تأخير "الغفور" لتأخر المغفور لهم في سياق الآية، أمّا في باقي سور القرآن الكريم فقد ورد "الغفور الرحيم" لأنه تقدم ذكر المكلفين فيذنبون فيغفر الله تعالى لهم، فتطلب تقديم المغفرة على الرحمة، وسبب تقديم "الغفور" على "الرحيم" أيضاً أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنما تأخرت في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]، لأن الرحمة شملتهم جميعاً، والمغفرة تخص بعضهم، والعموم قبل الخصوص بالرتبة،

ولإيضاح ذلك فإن جميع الخلاق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحيا وتعيش، وبرحمته تتراحم، وأمّا المغفرة فتخص المكلفين، فالرحمة أعم. [٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]... ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [الحديد: ٤]. الآيتان تبيان أن الله تعالى يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق، وآية سبأ توضح أنه سبحانه هو الرحيم بعباده، فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه، وأمّا آية الحديد فتبين أن الله سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها. [٣] ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ﴿لَا يَمْلِكُ كُتُوبٌ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]. إنما قدم ذكر السماوات على الأرض في سورة سبأ؛ لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة وهو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] فقدم ذكر السماوات؛ لأن ملكها أعظم شأنًا وأكبر سلطاناً... وأمّا التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتته بقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، واستوعب جميع ما في الأرض، ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها.

[٦] ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]. وهذا دليل ظاهر على أن الذي نراه معارضاً للعقل، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير، ولا قليل ولا كثير.

[٣] ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ قوله تعالى: ﴿عِلْمُ﴾ قرئ: (عالم) بوزن فاعل ورفع الميم، أي: هو عالم، أو مبتدأ خبره لا يعزب؛ لما تقرر من أن كل صفة يجوز أن تتعرف بالإضافة إلى الصفة المشبهة. وقرئ: (عالم) بوزن فاعل، وخفض الميم "صفة" لربي "أو بدل منه"، وإذا جعل: صفة فلا بد من تقرير تعريفه، وقد تقرر جواز ذلك آنفاً. وقرئ: (علام) بتشديد اللام بوزن فَعَال للمبالغة في العلم وغيره، كما قال: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ﴾ وخفض الميم على ما مر من أنه نعت لله. قوله تعالى: ﴿يَعْزُبُ﴾ قرئ: (يعزب) بكسر الزاي. وقرئ: (يعزب) بضم الزاي، لغتان مضارع عزب يعزب، أي: غاب. [٥] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ الْإِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿إِيمِ﴾ هنا "الجاثية" ١١ قرئ: (أليم) برفع الميم فيها نعتاً لعذاب على تقدير: عذاب أليم من رجز، والرجز هو العذاب، فيصير التقدير: عذاب أليم من عذاب، فهو معنى غير متمكن. وقرئ: (أليم) بخفضه فيها نعتاً لرجز، وهو العذاب، فهو أصح في التقدير إذ تقديره "لهم عذاب من عذاب أليم" أي: من هذا الصنف من أصناف العذاب؛ لأن العذاب بعضه ألم من بعض.

[٣] ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]. مثقال الذرة: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن للذرة ثقلاً يمكن تقديره بالجرامات، وأبلغ من ذلك أن آية سورة يونس يقول الحق فيها: ﴿مِنْ مِثْقَالِ﴾ ومن للتبعض والتجزئة، أي أن ثقل الذرة هذا يمكن تقسيمه لأثقال أقل يمكن حسابها وتقديرها بالجرامات أيضاً. وكان العرب وقت نزول القرآن لا يعرفون شيئاً عن الذرة، ويأتي العلم الحديث ليكشف لنا عن هذه الحقيقة في القرن العشرين.

نزول سورة سبأ: نزلت بعد سورة لقمان، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة سبأ: ثمانمائة وثمانون. عدد حروف سورة سبأ: أربعة آلاف وخمسمائة واثنان عشر أسماً سورة سبأ: سميت سورة سبأ، لاشتغالها على قصة سبأ. مواضع سورة سبأ: مقصود السورة: بيان حجة التوحيد، وبرهان نبوة الرسول ﷺ، ومعجزات داود، وسليمان، ووفاتها، وهلاك سبأ، وشؤم الكفران، وعدم الشكر، وإلزام الحجة على عبّاد الأصنام، ومناظرة مادّة الضلالة، وسفليتهم، ومعاملة الأمم الماضية مع النبيين، ووعد المنفيين والمصدقين بالإخلاف، والرجوع بإلزام الحجة على منكري النبوة، وتمني الكفار في وقت الوفاة الرجوع إلى الدنيا.

٨- ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: هو قول المشركين في رسول الله ﷺ ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فِي الْعَذَابِ﴾: في الآخرة ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾: في الذهاب البعيد عن الحق. ٩- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾: يعني المشركين ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: فيعلمون أن أرضي وسماوي محيطة بهم ﴿أَوْ سُقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفٌ﴾: أي قطعاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: لدلالة ﴿مُنِيبٍ﴾: راجع إلى ربه بالتوبة. ١٠- ﴿أَوَلَيْي مَعَهُ﴾: سبّحي معه ﴿وَالظَّيْرِ﴾: تُوديت الطير كما نُوديت الجبال، وأمرت بما أمرت به ﴿وَأَنَّا لَهُ الْخَدِيدُ﴾: جعلناه لينا، فكان يُصرفه في يده كيف شاء. ١١- ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَةً﴾: دروعاً كواهل تواء ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: قيل: قدر في الخلق وثقبها. و«السرد»: نسج الدروع. وأصل معنى السرد: إتباع الشيء بالشيء من جنسه. ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾: بطاعة الله. ١٢- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: بمعنى: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عُدُوَهَا﴾: إلى انتصاف النهار مسيرة شهر ﴿وَوَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: من انتصاف النهار إلى الليل، فكان يسير في كل يوم مسيرة شهرين ﴿وَأَسْلَمْنَا﴾: أجرينا، كما يسيل الماء ﴿لَهُ عَيْنَ الْوَطْرِ﴾: عين النحاس ﴿وَمَنْ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يطيعه ويعمل بين يديه ما يأمره ﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾: يزل ويعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذي أمرنا به من طاعته لسليمان ﴿ثِقَّةٌ﴾: في الآخرة ﴿مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: نار جهنم المتوقدة. ١٣- ﴿مُخَرَّبٍ﴾: جمع محراب، و«المحراب»: مُقَدَّم كل مجلس ومُصَلَّى وبنيان ﴿وَتَمَثِيلِ﴾: جمع تمثال، وهو كل شيء مثله بشي، أي صورته بصورته من نحاس وزجاج، ورخام، وغير ذلك، وقيل: كانت هذه التماثيل صور الأنبياء والملائكة والصلحاء. ﴿وَحِفَانٍ﴾: ينحتونها له، والجفان جمع «جفنة»، وهي القصعة الكبيرة، ﴿كَلْجَوَابٍ﴾: جمع جابية، و«الجابية»: الحوض الذي يجبي فيه الماء ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾: ثابتات في أماكنهن لا يحولن لعظمنهن ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾: اشكروا ربكم بطاعتكم إياه. ١٤- ﴿فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ﴾: على سليمان ﴿مَادَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ﴾: لم يدل الجن على موت سليمان ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾: الأرضة وقعت في منسأته، وهي عصاه التي كان

٤٢٩

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
(١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
(١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٧)
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ (١٨) وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بَالِ الْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ (٢٠) قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُ كُوتٌ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَالَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢١)

١٥- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: يعني: لولد سبأ، و«سبأ»: رجل من العرب. روي ذلك عن رسول الله ﷺ في مساكنهم التي كانوا يسكنون فيها، ونعيمهم الذي أنعم به عليهم ﴿آيَةً﴾: عبرة وعلامة على فضل الله وقدرته ﴿جَنَّتَانِ﴾: بستانان بين جبلين ﴿عَنْ يَمِينٍ﴾: عن يمين من أتاها وشماله. ١٦- ﴿فَأَعْرَضُوا﴾: عن طاعة الله عز وجل، وروي عن وهب بن منبه، أن الله بعث إليهم ثلاثة عشر نبياً، وكذبوهم ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: بعثنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على سدهم الذي كان يحبس عنهم السيل، و«العرم»: السد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر. وقيل: «العرم» اسم واديهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾: من الفواكه ومن الثمار بساتين من ثمار الأراك. و«الأراك»: هو «الخمط» وقيل: الخمط: كل شجرة مرة ذات شوك. ﴿ذَوَاتِ أَكُلٍ﴾: أي ثمر ﴿وَأَثَلٍ﴾: شجر الطرفاء، أو ما يشبه الطرفاء. ١٧- ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾: إذا أراد الله بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد به هواناً أسك عنه ذنوبه، حتى يوافيه بها يوم القيامة. ١٨- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين بلدهم ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: يعني: الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متصلة ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: جعلنا السير مقدراً من منزل إلى منزل، لا ينزلون إلا في قرية، ولا يغدون إلا في قرية. ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾: بمعنى: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ﴿ءَامِنِينَ﴾: لا تخافون جوعاً ولا عطشاً، ولا من أحد ظلاماً. ١٩- ﴿بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾: بطروا، فدعوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام، مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء والشجر، فلو اتوا ومفاوز، وتمنوا أن يركبوا فيها الرواحل، ويتزودوا الأزواد ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: للناس يضربون بهم المثل في التشتت، فيقال: «تفرقوا أيدي سبأ» ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ﴾: قطعناهم في البلاد كل تقطيع ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: إذا امتحنه ربه بلاء ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمه. ٢٠- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: بمعنى: إذ قال ظناً منه: ﴿وَلَا تَحْجِدْ أَكْثَرَهُمْ شُكْرِي﴾ [سورة الأعراف: ١٧] وفي قوله: ﴿وَلَا غَوَيْتُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢١) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [سورة الحجر: ٣٩-٤٠] وكان ذلك ظناً منه بغير علم، فحققوه

باتباعهم إياه. ٢١- ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة يضلهم بها. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بَالِ الْآخِرَةِ﴾: لنعلم من يصدق بالبعث والشواب والعقاب ﴿حَفِيطٌ﴾: لا يعزب عنه علم شيء منها. ٢٢- ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ﴾: لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا منفردين بملكه، ولا على وجه الشراكة ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ﴾: ما لله من شريك، ولا له ممن يدعون من دون الله ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾: من عون بشيء. ١٥ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز، وإنني أخشى أن يردوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: «ما أمرت فيهم بشيء بعد»، فانزلت هذه الآية ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ الآيات. ٢٢ ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُ كُوتٌ كُفَّ عَنْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٦] ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ كُوتٌ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]. اختير الإضممار في سورة بني إسرائيل لقوة الذكر قبل، ألا ترى أنه يكون في عشرة مواضع مضمراً ومظهراً، لقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ إِيَّانَا يَرْجِعُ كُلُّ شَيْءٍ نَشَأُ يَحْكُمُهُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤] إلى قوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ دُبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] فكان الإضممار تلو الإضممارات أولى بهذا المكان، فلذلك قال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وأما في سورة سبأ فإن الذي تقدمه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بَالِ الْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ [سبأ: ٢١]، فالذكر تقدم في ثلاثة مواضع، وهناك أكثر من عشرة مواضع، فحسن الإظهار هنا، وقوي الإضممار هناك، فلذلك اختلفا. ٢٢ ﴿وَمَا يَعْرِضُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿لَا يَعْرِضُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ﴿لَا يَمْلِكُ كُوتٌ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]. إنما قدم ذكر السماوات على الأرض في سورة سبأ، لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة وهو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] فقدم ذكر السماوات، لأن ملكها أعظم شأنًا وأكبر سلطاناً... وأما التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتاه بقوله: ﴿وَمَا يَعْرِضُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، واستوعب جميع ما في الأرض، ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها. ١٧ ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. ما الفرق بين: «نجزي ونجازي»؟ **الجواب:** وردت (نجزي) تسع عشرة مرة. مثل قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. فلماذا وردت (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي)؟ **والجواب:** إن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافي) أو (نثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دل على معنيهما في المرتين هو السياق، فقد = ظهرت الجن، «وأن» وما في حيزها بدل من «الجن» أي: ظهر عدم علمهم الغيب للناس. ١٥ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ قرئ: (مسكنهم) بسكون السين وفتح الكاف بلا ألف على الأفراد بمعنى المصدر، أي: في سكناهم أو موضع السكنى. وقرئ: (مسكنهم) بالتوحيد وكسر الكاف: لغة فصحاء اليمن، وإن كان غير مقيس: موضع السكنى أو الموضع أيضاً، وقيل: الكسر للاسم والفتح للمصدر. وقرئ: (مسكنهم) بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع وهو الظاهر لإضافته إلى الجمع، فلكل واحد منهم مسكن. ١٦ ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمْطٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أَكُلٍ﴾ قرئ: (أكل) بسكون الكاف وبالتنوين على قطع الإضافة، وجعله عطف بيان على مذهب الكوفيين القائلين بجواز عطف البيان في النكرة على النكرة، والبصريون يشترطون التعريف فيها. وقرئ: (أكل) بضم الكاف مع التنوين أيضاً. وقرئ: (أكل) بضم الكاف من غير تنوين على إضافته إلى «خَمْطٍ» من إضافة الشيء إلى جنسه كسوب خز، أو ثمرة نبق، أي: ثمرة شجرتين. ١٧ ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ قرئ: (يُجَازِي - الكفور) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنياً للمفعول، ورفع «الكفور» على النيابة لمن لم يسم فاعله، فالناس كلهم يجازون بأعمالهم لكن المؤمن =

٢٣- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: يقول الله عز وجل: حتى إذا جُلِّيَ عن قلوبهم، وكشف عنها الفزع والخوف. ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾: أي القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. وقيل: المعنى أنهم يقرّون بأن الحق هو ما قاله الحق سبحانه، ولكن حين لا ينفعهم الإقرار. وقال ابن عطية: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ - فيما رواه البخاري وغيره - أن هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل بالأمر يأمر الله به، سمعت كجرّ سلسلة الحديد على الصفوان (الحجر الأملس)، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة - وقيل: خوف أن تقوم الساعة - فإذا فرغ ذلك فُزِعَ عن قلوبهم - أي أطير الفزع عنها وكشف - فيقول بعضهم لبعض ولجبريل: (ماذا قال ربكم؟) فيقول المسؤولون: قال الحق (وهو العليّ الكبير). ٢٤- ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّ هُدًى آتٍ فِي صُلْبِكُمْ﴾: قيل: قال ذلك أصحاب رسول الله ﷺ للمشركين: والله ما نحن وأنتم على أمر واحد، وإن أحد الفريقين مهتد. وهم لا يشكون أنهم على هدى وأولئك على ضلال، وهو كقول المرء المتبصر في الحجة لصاحبه: أحداً كاذب! وهو لا يشك في أنه الصادق المصيب، وأن صاحبه هو المخطئ، وتقدير العطف في الآية: أنا لعلّى هدى أو في ضلال مبين، وإنكم لعلّى هدى أو في ضلال مبين. قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّ هُدًى آتٍ فِي صُلْبِكُمْ﴾ تلطّف في الدعوة والمحوارة. ٢٥- ﴿عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾: ركبنا من إثم إن كنتم تظنون ذلك! ومقابلة دعوة الإجماع بالعمل من أبلغ درجات الإنصاف في الحوار لحملهم على الدخول فيه. ٢٦- ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾: يقضي بيننا بالعدل ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾: القاضي العليم بالحق والمبطل. ٢٧- ﴿الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِمْ شُرَكَاءُ﴾: فصيرئوهم له شركاء، أروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [سورة الأحقاف: ٤]. ٢٨- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾: إلى جميع البشر. بيان واضح لعموم رسالة النبي ﷺ. ٢٩- ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾: كان المشركون يقولون ذلك إذا سمعوا وعيد الله الكفار، وما أعد لهم في معادهم. ٣١- ﴿وَلَا يَأْتِيهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: تقدّمه وسبقه من الكتب والأنبياء. [٢٣] شرح اسم الله العليّ: (العلّيّ، الأعلى، المُتَعَالَى):

وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى آتٍ فِي صُلْبِكُمْ ثُبُوتٌ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَنْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِمْ شُرَكَاءُ كَلَّابٌ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

(٤٣١)

وذلك دالٌّ على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه. فله علو الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علو القدر: وهو علو صفاته وعظمتها، فلا تماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علو القهر؛ فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيههم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن؛ فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [٢٣] شرح اسم الله الكبير: وهو ﷻ الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي = [٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]. آية يونس وردت في سياق الاحتجاج عليهم بما أقروا به، ولم يمكنهم إنكاره من أنه سبحانه هو رازقهم، ومدير أمورهم، فلما كانوا مقرين بهذا كله حين الاحتجاج عليهم، فكيف يعبدون معه غيره، ويجعلون له شركاء من دونه، ولهذا قال بعد ذلك "فسيقولون الله" والمخاطبون بهذه الآية كانوا مقرين بنزول الرزق من السماء التي يشاهدونها، ولم يكونوا مقرين بنزوله من سماء إلى سماء حتى ينتهي الأمر إليهم، ولم يكونوا مقرين بنزول الأرزاق العظيمة على القلوب والأرواح، وأعظمها الوحي، فأفرد لفظ السماء في هذه الآية، فهم لا ينكرون مجيء الرزق منها، لا سيما والرزق ها هنا إن كان هو المطر، فمجئته من السماء التي هي السحاب، فذلك يسمى سماء لعلوه، فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم لم يصلح فيه إلا أفراد السماء، أمّا آية سبأ فالأمر فيها مختلف، ولهذا أرى سبحانه نبيه أن يتولى الجواب فيها، فلم ينتظم ذكر إقرارهم بما ينزل من السماوات، ولهذا قال في الجواب "قل الله" ولم يقل: سيقولون الله، كما في آية يونس، فإله سبحانه هو وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السماوات السبع. [٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨]، [الأنبياء: ٣٨]، [النمل: ٧١]، [سبأ: ٢٩]، [يس: ٤٨]، [الملك: ٢٥]. يقول الكافرون - مستعجلين العذاب مستهزئين -: متى حصول ما تعدّنا به يا محمد، إن كنت أنت ومن اتبعك من الصادقين فيما تعدّ به؟ [٣١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَمَا يُلَاقُونَ مِنَ الْعَذَابِ...﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ...﴾ [سبأ: ٣١]. آية الأنعام تبين حال الظالمين عند الموت وما يلاقون من العذاب...، أمّا آية سبأ فتوضح حال هؤلاء الظالمين يوم القيامة والعرض للحساب...

= وردت الأولى مع (الشاكرين)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد... وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي) وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟! والجواب: أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحاليتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة؛ لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافئ المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباط بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثاً بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة.

= يكفر الله عنه سيئاته الصغائر باجتنابه الكبائر، والكافر لا تكفير لسيئاته الصغائر لأنه لم يجتنب الكبائر، إذ هو على الكفر والكفر أعظم الكبائر؛ فلذلك خص الكافر بذكر المجازاة في هذه الآية. وقرئ: (نجازي- الكفور) بنون العظمة وكسر الزاي ونصب "الكفور" مفعولاً به، وذلك لمناسبة ما بعده من قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ﴾ وقوله: ﴿بَرَكْنَا فِيهَا﴾. [١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾ قرئ: (ربنا بعد) بنصب "ربنا" على النداء، وبعد بكسر العين المشددة بلا ألف وسكون الدال، وعليه صريح الاسم، فعل طلب، اجترأ منهم وبطراً. وقرئ: (ربنا بعد) بضم الباء على الابتداء، وباعد بالألف، وفتح العين =

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِجَاءِكُمْ بَلْ كُنتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذَا
تَأْمُرُونَنَا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَنَجْعَلُ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعِفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
ءَالِيَنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

(٤٣٢)

٣٢- ﴿بَلْ كُنتُمْ تُجْرِمُونَ﴾: مؤثرين للكفر على الإيمان. ٣٣- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾: التُّبَاع من الكفرة وسائر من يجري استضعافهم أو التسلط عليهم في كافة وجوه الحياة. وإن لم يكونوا في أنفسهم، أو من حيث مواهبهم ومواردهم من «الضعفاء». ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: لرؤسائهم ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: بل مكرهم بنا في الليل والنهار، حتى أزلتمونا عن عبادة الله. وأضيف «المكر» إلى الليل والنهار على اتساع العرب فيما عرف معناه من الكلام، كقولهم للرجل: نهارك صائم، وليلتك قائم؛ والمراد: المكر الدائم الذي لا يتوقف. ﴿وَجَعَلُ لَهُ أَندَادًا﴾: أمثالا وأشباها في العبادة. ٣٤- ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: رؤسائهم، وأغنياؤهم، وقادتهم في الضلالة. ٣٥- ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾: منكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾: في الآخرة، لأن الله لو لم يكن راضياً عما نحن فيه من الملة والعمل لم يُخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق. ٣٦- ﴿قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾: من خلقه فيوسع عليه، تكملة له وغير تكملة ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُقْتَر على من يشاء فيضيقه، إهانة وغير إهانة. ٣٧- ﴿زُلْفَى﴾: قُربى، والزلفة: القربة، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعِفِ﴾: بالواحدة عشرة، وفي سبيل الله سبعمائة ﴿فِي الْغُرُفَاتِ﴾: غرفات الجنان. ٣٨- ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾: يعملون ﴿فِي ءَالِيَنَا﴾: في إبطال حجتنا ﴿مُعْجِزِينَ﴾: يحسبون أنهم يعجزوننا، ويفوتونا بأنفسهم، فلا تقدر عليهم ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ﴾: في عذاب جهنم ﴿مُخَضَّرُونَ﴾: من الإحضار والإعداد، أي: تُحضرهم الزبانية يوم القيامة. = هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى. وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه سبحانه عز وجل. [٢٦] شرح اسم الله الفتح: الحاكم، والفتح من أبنية المبالغة. فالفتح هو الحكم المحسن الجواد، وفتحه تعالى قسبان: القسم الأول: فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي. القسم الثاني: الفتح بحكمه القدري. ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على السنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم. وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفينهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم. وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوقى كل عامل ما عمله. وأما فتحه القدري فهو ما يُقدِّره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع، فالرب تعالى هو الفتح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضلته وعدله. [٢٦] شرح اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٣٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان، عن عاصم عن ابن رزين قال: كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر، فلما بُعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه، وكان يقرأ بعض الكتب، فأتى النبي ﷺ فقال: إلام تدعو؟ فقال: إلى كذا وكذا، فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: وما علمك بذلك؟ قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم. فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ فأرسل إليه النبي ﷺ: إن الله قد أنزل تصديق ما قلت. [٣٣] ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتِنُوا بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾ [يونس: ٥٤]، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [سبأ: ٣٣]. الآيتان تبيينان حال الكافرين، وإسرارهم الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم في الآخرة، وآية يونس تبين أن الله يقضي بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً إلا بذنبه، وأما آية سبأ فتعرض صورة من صور العذاب الذي أعد لهم... [٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤]. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ ولم يقل: "من قبلك" ولا "قبلك"، خصت السورة به، لأنه في هذه السورة إخبار مجرد، وفي غيرها إخبار للنبي ﷺ وتسليته له، فقال: "من قبلك" أو "قبلك". [٣٩] ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت: ٦٢، سبأ: ٣٩]، [القصص: ٨٢، يحذف ﴿لَهُ﴾] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾. أحوال الناس في الرزق ثلاثة: الأول: من يبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى، وهو يفهم من آية العنكبوت بقوله تعالى: "له"، والثاني: يوسع على قوم مطلقاً، ويضيق على قوم مطلقاً، ويفهم من سورة القصص، الثالث: الإطلاق من غير تعيين بسط ولا قبض، فأطلق من غير ذكر "عباد"، وخصت العنكبوت بالحال الأول؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿وَكَايَنَ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، ثم فصل حالهم في بسطه تارة وقبضه تارة، وآية سبأ سبقها قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٦]، والمراد بهم الكفار، ثم ذكر بعد قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ لأنهم المؤمنون، وأما آية القصص فتقدمها قصة قارون، فناسب الحال الثاني أنه يبسط الرزق لمن يشاء مطلقاً لا لكرامته كقارون، ويقبضه ممن يشاء لا لهوانه، كالأنبياء الفقراء منهم، وأما بقية الآيات فمطلق من غير تعيين؛ كأنواع بعض الحيوانات من آدميين وغيرهم. = والدال، خبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطاً في الترفه، وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم. وقرئ: (رَبَّنَا بِاعِدْ) بالنصب، وباعد بالألف وكسر العين وسكون الدال، وهذه كالأولى، وعلى هذا (فبين) مفعول به لأنهما فعلاان متعديان وليس ظرفاً. [٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿صَدَقَ﴾ قرئ: (صَدَقَ) بتشديد الدال على التضعيف، فنصب "ظنه" على أنه المفعول به، والمعنى: أن ظنَّ إبليس ذهب إلى شيء فوافق، فصديق هو على المجاز، ومثله كذبت ظني ونفسي، وصدقتهما وصدقاني وكذبانِي، وكذَّب هو ظنه مجاز شائع. وقرئ: (صَدَقَ) بتخفيفها، فظنه منصوب على المفعولية أيضاً كقولهم: أصعبت ظني أو على المصدر بفعل مقدر، أي: يظن ظنه، أو على نزع الخافض، أي: في ظنه. [٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قوله تعالى: ﴿أَذِنَ﴾ قرئ: (أَذِنَ) بضم الهمزة مبنياً للمفعول، و"له" نائب الفاعل. وقرئ: (أَذِنَ) بفتح الهمزة مبنياً للفاعل وهو الله تعالى. قوله تعالى: ﴿فُزِعَ﴾ قرئ: (فُزِعَ) بفتح الفاء والزاي مبنياً للفاعل، والضمير لله تعالى، أي: أزال الله تعالى الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن أو الملائكة؛ وقرئ: (فُزِعَ) بضم الفاء وكسر الزاي مشددة مبنياً للمفعول، والنائب الظرف بعده. [٣٧] ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعِفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ قوله تعالى: =

٤١- ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾: تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد. ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً﴾: قيل: المراد الشياطين أو إبليس وجنوده. وعبادتهم لهم: طاعتهم إياهم، وسماعهم من وسوستهم وإغوائهم، فهذا نوع من العبادة. وقد يجوز أنه كان في الأمم الكافرة من عبد الجن.

٤٣- ﴿يُرِيدُونَ يَصُدَّكَ﴾: يصرفكم ﴿إِلَّا إِيَّاكَ﴾: كذب ﴿مُفْتَرًى﴾: مخلق ﴿سِحْرٌ مُّيْنٌ﴾: ظاهر لمن تأمله أنه سحر. ٤٤- ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ﴾: يقول عز وجل: وما أنزلنا على هؤلاء المشركين من قومك القائلين لما جئتهم به: هذا سحر مبين، من ﴿كُتِبَ بِدْرُسُونَهَا﴾: أي: يقرؤونها ﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾: ينذرهم بأسنا، فليس لتكذيبهم بالقرآن أي شبهة يتشبثون بها، كما قال أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع!! ٤٥- ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم رسلنا ﴿وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾: يقول عز وجل: ولم يبلغ قومك المكذبون لك عشر ما أعطينا الذين من قبلهم؛ من القوة والأيد والبطش، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: النكير: مصدر كالإنكار في المعنى و«كيف» تعظيم للأمر، وليست استفهاماً مجرداً. والمعنى: كيف إنكاري لهم بالعذاب والعقوبة. ٤٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ يَوْجِدَةً﴾: بخصلة واحدة: أن تتصادقوا على المناظرة، وأن تقوموا لله بالنصيحة، وترك الهوى ﴿مَثًى﴾: اثنين اثنين ﴿وَفَرْدًى﴾: فرداً فرداً، هل علمتم بمحمد جنوناً قط!؟ ٤٧- ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: على إنذاركم عذاب الله، ونصحي لكم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أي مطلع لا يغيب عنه منه شيء. ٤٨- ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يُنْزِلُ الوحي من السماء، فيلقيه إلى محمد ﷺ، وقيل: يرمي الباطل بالحق فيدمغه، ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾: ما يغيب عن الأبصار، وما لم يكن. [٢٧] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المُقْتَدِر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمَتْ. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضره، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة الفهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٢٧] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتقاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقه وهيبته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟... [٣٩] معنى اسم الله الرزاق: الرزاق، الرزاق: وهو مبالغة من: رازق للدلالة على الكثرة، والرزاق من أسمائه سبحانه. وقال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسْعَرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ)) أخرجه أبو داود والترمذي، وغيرهما، وصححه الألباني. ورزقه لعباده نوعان: عام، وخاص. ١ - فالعام إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسَهّل لها الرزاق، ودبّر لها في أجسامها، وساق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرّ والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها. ٢ - وأما الرزق المطلق فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي يد الرسول ﷺ، وهو نوعان: النوع الأول: رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألّهة لله متعبدة، وبذلك يحصل عناها ويزول فقرها. النوع =

ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملئكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِعَذَابٍ لِبَعْضِ لَبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُتِبَ بِهَا تَكْذِبُوكُمْ﴾ ﴿وَإِذَا نُنَالِي عَلَيْهِمْ آتَيْنَا يَتَنَبَّأُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِيَّاكَ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومٌ﴾ ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ يَوْجِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثًى وَفَرْدًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿قُلْ إِنْ ربي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾

﴿جَزَاءُ الضَّعِيفِ﴾ قرئ: (جزاء الضعيف) بالنصب على الحال من الضمير المستقر في الخبر المقدم من التنوين وكسره وصلًا، ورفع "الضعف" بالابتداء كقولك: في الدار قائماً زيد، والتقدير: لهم الضعف جزاء. وقرئ: برفع جزاء وخفض الضعف بالإضافة. قوله تعالى: ﴿الْعُرْفَتِ﴾ قرئ: (العرفة) بسكون الراء بلا ألف على التوحيد مراداً به الجنس؛ لأنه يدل على الجمع وهو أخف، وقد أجمعوا على التوحيد في قوله تعالى: ﴿يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ﴾ في "الفرقان" ٧٥. وقرئ: (العرفات) بضم الراء وجمع السلامة لغرفة؛ لأن أصحاب الغرف جماعات كثيرة، فلهم غرف كثيرة فالجمع أولى به في اللفظ والمعنى. [٤٠] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ﴾ (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» تساوي عدد مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) =

٤٩- ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن ووحى الله عز وجل ﴿وَمَا يَدْعُ الْبَاطِلُ﴾: قال أهل التأويل: «الباطل» هاهنا: إبليس. فمعناه: وما يُنشئ إبليس خلقاً، ولا يعيده حياً بعد فثائه. وقيل: مُعْجَقُ الباطل، وذهب ذهاباً لم يبق منه إبداء ولا إعادة. ٥٠- ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾: عن الهدى ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: أي: ضرر ذلك عليّ ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ﴾: فبوحى الله إليّ، وتوفيقه لي. ٥١- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ﴾: قيل: من عذاب الدنيا. وقيل: المراد فزعهم عند نزول الموت بهم. وقيل: إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾: فلا هرب ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: لم يبعدوا عن الله وأمره. ٥٢- ﴿وَقَالُوا لَأَمَّا﴾: بالله وبكتابه ورسوله. ﴿وَأَنِّي هُمْ أَتَّائِشُونَ﴾: التناول، يقول عز وجل: من أي وجه لهم التناوش، والمعنى: وأنى لهم التوبة والرجعة التي قد بعدت عنهم أن يتناولوها ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: في القيامة، والتوبة المقبولة إنما تكون في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا وبعدت عن الآخرة. ٥٣- ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾: بالإيمان بمحمد، وما جاء به ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْأَغْيَابِ﴾: يرمونه بالظنون، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم: شاعر. ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: يرمون بالظن. ٥٤- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: حينئذ من الإيمان ﴿كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: على كفرهم بالله من كفار الأمم قبلهم. ﴿مُرْسِيٍّ﴾: يوجب لصاحبه الذي هو به ما يريه من مكروه.

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: مبتدعها وخالقها ﴿جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا﴾: إلى من شاء من عباده ﴿أُولَى الْأَجْنِحَةِ﴾: أصحاب أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة ﴿بَرِيدٍ فِي الْخَلْقِ﴾ يعني: في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر وقيل: إن هذه الزيادة في الخلق ليست خاصة بالملائكة. وأما ما يتفاضل به الناس في الخلق والمواهب فهو كثير يزيد ﴿مَائِشَاءُ﴾: وينقص ما يشاء. ٢- ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾: من خير ﴿فَلَا تُمَسِّكُ لَهَا﴾: لا مغلقلها، ولا يقدر أن يمنعها أحد. ٣- ﴿فَأَنْتَ تُؤَفِّكُونَ﴾: أي وجهه عن خالقكم ورازقكم تصرفون؟ = الثاني: رزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه؛ فإن الرزق الذي خص به

المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى ((اللهم ارزقني)) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعثره. [٤٦] **معنى اسم لفظ الجلالة "الله"**: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٥٠] **شرح اسم الله السميع**: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. [٥٠] **شرح اسم الله القريب**: من أسماء الله تعالى: ((القريب))، وقربه نوعان: النوع الأول: قربٌ عام: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعية العامة. النوع الثاني: قرب خاص: بالداعين، والعابدين المحبين، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعبدين. = في السورتين ورود الوجهين الجائزين كما تقدم مع التناسب، والله أعلم. [٤٣] ﴿ وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ... إِنْكَ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣]، ﴿ وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٧]. وإذا تتلى على كفار مكة آيات الله واطحات قالوا: ما محمد إلا رجل يريد أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدونها آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا كذب مختلق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح، فهذا ما دلت عليه آية سبأ، أما آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واطحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٣] ﴿ يَأْتِيَهُمُ النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ﴾ [فاطر: ٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ﴾. آية فاطر تدعو الناس أن يذكروا نعمة الله عليهم، فإنه لا خالق لهم غير الله يرزقهم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصرفون عن توحيده وعبادته؟ وأما موضعاً سورتي المائدة والأحزاب فالدعاء فيها للمؤمنين بأن يذكروا نعمة الله عليهم حين نجاهم من أعدائهم.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]. شرب عبد الله بن عمر ماءً بارداً فبكى فاشتد بكاءه، فقيل له: ما يبكيك؟! قال: ذكرت آية في كتاب الله ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله عز وجل ﴿أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

[٥٤] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤]. عن قتادة: (إياكم والشك والريبة فإن من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه).

= قوله تعالى: ﴿يَحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾ قرئ: (يحشرهم - يقول) بالياء على الغيبة والإفراد الذي قبله والذي بعده، وهو قوله: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ﴾ وقوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ و﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ وقرئ: (نحشرهم - نقول) بالنون بلفظ الجمع للتعظيم والتفخيم، فأجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بلفظ الجماعة فهو خروج من غيبة إلى إخبار، وخروج من مفرد إلى جمع. [٥٢] ﴿وَأَنَّى لَهُمُ اتِّنَافُشٌ﴾ قوله تعالى: ﴿التَّنَافُشُ﴾ قرئ: (التناؤش) بالهمز المضموم = مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضاً (٨٨ مرة). [٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكل ورد (٢٥) مرة.

نزول سورة فاطر: نزلت بعد سورة الفرقان، وهي مكِّيَّةٌ إجماعاً. عدد كلمات سورة فاطر: سبعمائة وسبعون. عدد حروف سورة فاطر: ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة فاطر: لها اسمان: سورة فاطر لما في أولها من قوله: فاطر السماوات، وسورة الملائكة لذكرهم بها. مواضع سورة فاطر: معظم مقصود السورة: بيان تخليق =

تفسير الطبري	الأسماء الحسنی	أسباب النزول	توجيه للمتشابهات	فوائد متنوعة	توجيه للقراءات	إعجاز متنوع	التعريف بالسور
--------------	----------------	--------------	------------------	--------------	----------------	-------------	----------------

٥- ﴿لَا يَغْرِبُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: هو الشيطان. ومعنى الآية: لا يغرنكم الشيطان بالله تعالى، فيقول لكم: إن الله يغفر لكم لفضله أو لسعة رحمته. ٦- ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾: يدعو من أطاعه إلى ما يوجب عليه العذاب ﴿السَّعِيرِ﴾: في نار جهنم التي تتوقد. ٨- ﴿أَفَمَنْ زُينَ﴾: حسن ﴿لَهُ﴾: الشيطان ﴿سُوءَ عَمَلِهِ﴾: أعماله السيئة من المعاصي. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾: لا تغتم لهم، ولا تحزن عليهم. ٩- ﴿فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾: تنشئ سحاباً بالحياة والغيث ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: مجذب لا نبات فيه، فيحييه ويخصبه ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾: كذلك ينشر الله الموتى، ويعيثرهم، بعد بلاءهم في قبورهم. ١٠- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: بعبادة الأوثان، وقيل: من كان يطلب العزة فليتعزز بطاعة الله. وقوله ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: دعاء إلى طاعة من له العزة سبحانه وتعالى. ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: ذكر العبد ربه، وثناؤه عليه. روي أن عبد الله بن مسعود قال: إذا حدثتكم بحديث أثبتكم بتصديق ذلك من كتاب الله: إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله، لا إله إلا الله والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك، فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جميع الملائكة إلا استغفروا لقاتلن حتى يحيي بها وجه الرحمن تعالى، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: يعملون ويكسبون السيئات ﴿وَمَكْرُؤٌ لَّيْكٍ﴾: عمل أولئك ﴿هُوَ بُورٌ﴾: يبطل، لأنه لم يرد به وجه الله. وقيل: هم أصحاب الرياء. ١١- ﴿ثُمَّ جَعَلْكُمْ أَزْوَاجًا﴾: زوج الذكر من الأنثى، أو جعلكم ذكراً وإنثى ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرٍ﴾: المراد: شخص واحد، وعليه يعود الضمير في «عمره». وما مضى من عمره فهو النقص، وما يستقبل فهو الذي يعمره. وقيل غير ذلك. [٨] قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: أخرج جوير عن الضحاك، عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ الآية حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام»، فهدى الله عمر وأصل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

وَأَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأْتِي النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرِبُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُذَّوبٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُؤٌ لَّيْكٍ هُوَ بُورٌ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

(٤٣٥)

[٩] ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَقًا لِسُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءً فَخَرَجْنَا بِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٩]. الفارق بين الموضعين هو أن قوله تعالى في الأعراف: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَقًا لِسُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ كلام يستدعي جواباً وليس مما يجاب بالفاء، وإنما جواب مثل هذا مجرد فيه الفعل عن الفاء، وغيرها قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ وَجَرْنِ إِمَّامٍ يَبْرِجُ طَيْبَهُ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، فالجواب هنا قوله: ﴿جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ﴾، أمّا قوله تعالى في فاطر: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فكلّام معطوف بعضه على بعض بالفاء المقترضة الترتيب والتعقيب، ليطابق اللفظ ما تحته من المعنى، فلزمت الفاء هنا لبيان معناها، ولما استدعى لفظ ﴿سُقْنَاهُ﴾ المكان المسوق إليه، وإنما يصل إليه بلام الجر أو يلى، قيل: ﴿لِبَلَدٍ﴾ ليناسب المجرور فعله في الوجازة، ولما طال الفعل في الآية الأخرى ناسبه تعديته بإلى إسهاباً. [٤-١] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَهُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤]. ما الفرق بين: "كُذِّبَ وَكُذِّبَتْ"؟ **الجواب:** وردت كلمة (كُذِّبَ) مبنية للمجهول مع كلمة (الرسول) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (كُذِّبَتْ) مرتين مع كلمة (الرسول)!! ناسب كل كلمة منهما الموضع الذي أتت فيه كالآتي: سُبقت كلمة (كُذِّبَ) في موضعها في الآيات [١٨١-١٨٤] من سورة آل عمران [بالكلمات المذكورة (الله- الذين- أغنياء- الأنبياء- العبيد- عذاب- الحريق- قربان)، فناسب ذكر تذكيرها؛ أي عدم إضافة حرف التاء (تاء التأنيث) إلى كلمة (كُذِّبَ). أيضاً سُبقت كلمتا (كُذِّبَ رُسُلٌ) في الآية [١٨٤] بكلمتي (جاءكم رُسُلٌ) وليس (جاءتكم رُسُلٌ) في الآية [١٨٣]، فناسب التذكير التذكير. وأتبعته جملة ﴿كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بجملة: ﴿جَاءَهُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ في نفس الآية [١٨٤]، فناسب التذكير (جاؤوا) التذكير (كُذِّبَ). أما الكلمة الثانية (كُذِّبَتْ): فقد سُبقت كلمتا ﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ في سورة الأنعام [الآية ٣٤] بكلمة (جاءتهم الساعة) فناسب التأنيث (جاءتهم) التأنيث (كُذِّبَتْ). أما في سورة فاطر: فقد سُبقت كلمتا (كُذِّبَتْ رُسُلٌ) في الآية [٤] بكلمات مؤنثة (السموات، الأرض، الملائكة، أجنحة، رحمة، السماء، الأرض، نعمة)، فناسب التأنيث التأنيث. [٩] ﴿وَلَسْلِمَنْ رِيحٌ عَاصِفَةٌ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩]. ما الفرق بين: "الرياح والرياح"؟ **الجواب:** أولاً: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقترب بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي الرياح اللينة. ب- ﴿وَلَسْلِمَنْ رِيحٌ عَاصِفَةٌ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء = مصدر تناوش من ناش: تناول من بعد. وقرئ: (التناوش) بواو مضمومة بلا همز مصدر ناش أجوف، أي: تناول، وقيل: الهمز مقلوب عن الواو كوقفت وأقتت، قال الزجاج: كل واو مضمومة ضمة لازمة فأنت فيها بالخيار، إن شئت همزتها، وإن شئت تركت همزها، والمعنى: من أين لهم تناول ما طلبوه من الإيمان بعد فوات وقته، وذلك أنهم آمنوا في موضع لا ينتفعون بالإيمان فيه. [٣] ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿غَيْرِ﴾ (غير) بالجر نعتاً لخالق على اللفظ. وقرئ: (غير) بالرفع صفة على المحل، و"من" مزيدة للتأكيد، و"خالق" مبتدأ، يركزكم صفة أخرى، والخبر مقدر، أي: موجود لكم. [٨] ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ قرئ: (تذهب نفسك) بضم التاء وكسر الهاء من أذهب، و"نفسك" بالنصب مفعول. وقرئ: (تذهب نفسك) بفتح التاء والهاء مبنياً للمفاعل من ذهب، و"نفسك" فاعل. [١١] ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَنْقُصُ﴾ قرئ: (ينقص) بفتح الياء التحتية وضم القاف مبنياً للمفاعل وهو ضمير المعمر. وقرئ: (ينقص) بضم الياء وفتح القاف مبنياً للمفعول، والنائب مستتر يعود على المعمر.

= الملائكة، وفتح أبواب الرحمة، وتذكير النعمة، والتحذير من الجن، وعداوتهم، وتسلية الرسول ﷺ، وإنشاء السحاب، وإثارته، وحوالة العزة إلى الله، وصعود كلمة الشهادة، وتحويل الإنسان من حال إلى حال، وذكر عجائب البحر، واستخراج الحلية منه، وتخليق الليل والنهار، وعجز الأصنام عن الربوبية، وصفة الخلائق بالفقر والفاقة، واحتياج الخلق في القيامة، وإقامة البرهان والحجة، وفضل القرآن، وشرف التلاوة، وأصناف الخلق في ميراث القرآن، ودخول الجنة من =

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
 مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
 حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
 النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كَيْفَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَالَّذِينَ
 نَدَعُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
 نَدَعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
 وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ
 ﴿١٤﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ أَفْقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ
 تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِلْهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى
 إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَفَامُوا الصَّلَاةَ
 وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

(٤٣٦)

١٢- ﴿هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾: «الفرات» أعذب العذب ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ﴾: مر، وهو أشد المياه ملوحة
 ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ﴾: السفن ﴿مَوَاحِرَ﴾: تمخر الماء بصدرها، وهو خرقتها وشقها إياه. ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ
 فَضْلِهِ﴾: بالتجارة والحج والسفر.. ١٣- ﴿مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: من قشر نواة فما فوقها، وهي الجلدة
 البيضاء التي تكون على النواة. ١٤- ﴿إِنْ نَدَعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: لأنها لا سمع لها، يعني:
 الأصنام الآلهة ﴿لَوْ سَمِعُوا﴾: أيضًا ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعجزها عن ذلك، ولأنها ليست ناطقة.
 ﴿يَكْفُرُونَ بِشُرِكِكُمْ﴾: تتبرأ ألهتكم التي تعبدونها من أنها كانت لله عز وجل شركاء في الدنيا
 ﴿وَلَا يَنْبِتُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: يقول عز وجل: لا يخبرك عن المشركين وألهتهم، وما يكون من أمرهم يوم
 القيامة مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم. و«الخبير»: هو الله تعالى. فإنه لا أحد أخبر بخلقه منه، وهو
 الخير الصادق الخبر. ١٧- ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: وما إفتاؤكم والإتيان بأخرين بممتنع ولا متعسر
 على الله. ١٨- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لا تحمل نفس أثمة إثم أخرى عليها. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى
 جِلْهَا﴾: إن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلبه، لم تجد ولو كان الذي سألته
 ذا قرابة، كأم أو ابن أو أخ. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: يخافون عقاب الله يوم القيامة، من
 غير معاينة لذلك في الدنيا ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: تطهر من دنس الكفر والذنوب، ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾:
 لحظها ونفعها، أي أن ثواب الطاعة مختص بفاعلها. ١٢﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَبٌ
 فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ...﴾ [الفرقان: ٥٣]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ
 شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ ...﴾ [فاطر: ١٢]. والله هو الذي خلط البحرين: العذب
 السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزًا يمنع كل واحد منهما من إفساد
 الآخر، ومانعًا من أن يصل أحدهما إلى الآخر، فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أمّا آية فاطر: وما يستوي
 البحرين: هذا عذب شديد العذوبة، سهل مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة،

ومن كل من البحرين تأكلون سمكًا طريًا شهي الطعم... أما عن زيادة ﴿سَابِغٌ شَرَابُهُ﴾ في آية فاطر؛ فلأن سياق الآيات فيها بيان لقدرة الله في خلقه لهذه
 المخلوقات المتباينة المختلفة، وفي كل منها حكمة، فاقضى السياق بيان شدة هذا الاختلاف، فزاد ﴿سَابِغٌ شَرَابُهُ﴾. ١٢﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
 لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، ﴿وَمِنْ
 كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]. في هذا الموضع نرى أن آية النحل
 جاءت على الأصل في الترتيب، فمواخر حال، ثم جاء بعدها الظرف ﴿فِيهِ﴾، أما تقديم ﴿فِيهِ﴾ في فاطر، فجاء على خلاف الأصل، وقد أجاب الإسكافي عن سر
 التقديم بمناسبتين الأولى معنوية، وهي تعلق قوله: ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ به، فالتقدير: وترى الفلك فيه تمخر الماء أي تشقه لتبتغوا من فضله، فأخر ﴿مَوَاحِرَ﴾ ليجاور
 معموله ﴿لَتَبْتَغُوا﴾، والأصل عدم الفصل، ولهذا حذفت واو العطف في قوله: ﴿لَتَبْتَغُوا﴾، بينما لم تحذف في الموضع الأول، والسري أن آية النحل بدأت
 بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ﴾، ما عطف عليه من استخراج الحلية، وجري السفن، وابتغاء الفضل، وليس في آية فاطر ما يصلح لعطف
 الابتغاء عليه، وإنما هو متعلق بمواخر كما عرفنا، أمّا المناسبة اللفظية التي اقتضاها تقديم الضمير المجرور، فهي أنه تقدم في الآية تقديم الجار والمجرور على
 الفعل نفسه في قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾. قول آخر: تقدم الكلام في النحل عن وسائط النقل فذكر الأنعام، وأنها تحمل الأثقال، وذكر الخيل
 والبغال والحمير وهي مما يركب، ثم ذكر الفلك وهي من وسائط النقل، فقدم المواخر في النحل لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط
 النقل، وليس السياق كذلك في فاطر، وإنما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ
 وَلَا يُقْصَرُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا
 طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]، فالكلام هنا عن البحر وأنواعه وما أودع الله فيه من
 نعم، فلما كان الكلام عن البحر قدم ضمير البحر على المواخر، ولما كان الكلام عن وسائط النقل والفلك قدم حالة الفلك. ١٧﴾ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي إبراهيم وفاطر، ومعناها: وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله، بل هو سهل يسير.
 = الفلك طيبة سهلة لا انتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان -عليه السلام- «عاصفة» لأنها جند من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي
 الثانية «طيبة» لانقلبت النعمة بؤساء، والقوة ضعفًا. ٢- استعمالها في الشر: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدل على الشر. أمثلة: ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَّادَةً مُمْصِرًا
 لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَبُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].
 ٣- استعمالها في الخير والشر في آن واحد: مثال: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خير بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشر
 بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الرياح)، كالاتي: ١- التزام
 استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا. أمثلة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾
 [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذْلًا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَكُمْوَهُ وَمَا أَنْشَرْنَاهُ بِخَزِينٍ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ
 رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]. ٩﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْسَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ﴾ [النحل: ١١٥]، ﴿فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَبْنِيٍّ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ﴾ [فاطر: ٩]. ما الفرق
 بين: "المَيْتَ والمَيْتَ"؟ الجواب: استعمال القرآن الكريم كلمة (مَيْتَ) بتحريك الباء وتشديدها، للدلالة على: ١- ما كان له روح نشأت عنها الحياة، وسيموت
 يومًا ما، مثل قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فلقد أطلق القرآن كلمة (مَيْتَ) و(ميتون) على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو حي وهم
 أحياء، وكلمة (ميتون) تشمل كل حي بعد صحابة رسول الله ﷺ من الناس جميعًا، = أهل الإيثار، وخلود النار لأهل الكفر والطغيان، وأن عاقبة الكفر الخسران،
 والمئة على العباد بحفظ السماء والأرض عن تخلخل الأركان، وأن العقوبة عاقبة المكر، والإخبار بأنه لو عدل ربنا في الخلق لم يسلم من عذابه أحد من الإنس والجان.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾: عن دين الله الذي ابتعث به نبيه ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: الذي قد أبصر فيه رسله. ٢٠- ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾: ولا ظلمات الكفر، ولا نور الإيمان. ٢١- ﴿وَلَا الظُّلُ﴾: قيل: الجنة ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾: قيل: النار. وقيل: «الحرور»: شدة حر الشمس، وهو لا يكون إلا بالنهار مع الشمس، والسموم يكون بالليل. ٢٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: المؤمنون والكافرون؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] يريد: أومن كان كافراً فهديناه إلى الإسلام، والكافر ميت القلب أعمى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾: فكما لا تقدر على ذلك، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله من كان ميت القلب. ٢٣- ﴿وَلَا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: كان لها رسول، واقتصر على ذكر «النذير» دون البشير لأنه ألصق بسياق الآيات. ٢٤- ﴿وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: البينات: المعجزات والدلالات الظاهرة. والزبر: الكتب المكتوبة، كصحف إبراهيم. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: البين نوره. ٢٥- ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ﴾: تغييرى لهم وحلول عقابي بهم. ٢٦- ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ﴾: طرائق، وهي الجدد من الجبال: بيض وحمرة وسود كالطرق، واحدها جدّة ﴿تُخْتَلِفُ أَلْوَانُهَا﴾: ألوان الجدد ﴿وَعَرِيبٌ سُودٌ﴾: هو من المقدم الذي بمعنى التأخير، تقول العرب: هو أسود غريب، إذا وصفوه بشدة السواد، أي الذي لونه لون الغراب. ٢٧- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: الناظرون في هذه السنن والدلائل، والعارفون بهذه العلوم والمعارف. والآية عامة في علماء الدين والدنيا، وإن كان سياقها خاصاً بعلماء النبات والبيئة والجغرافية الطبيعية ونحو ذلك. ٢٨- ﴿تَجَرَّةٌ لَّنْ تَكُورَ﴾: لن تكسد ولن تهلك. ٢٩- ﴿شَكُورٌ﴾: بحسنات عبادته، وقوله: ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾: تعليل لما ذكر من التوفية والزيادة، أي غفور لذنوبهم، شكور لطاعتهم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الآية. [٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. الآيتان تتحدثان عن النبي ﷺ، وتبين آية البقرة أن النبي ﷺ ليس مسؤولاً عن كفر من كفر وأن مآلهم إلى الجحيم، وآية فاطر توضح أنه ما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذر عاقبة كفرها وضلالها. [٢٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]. آية فاطر مكية، فهي مقدمة على آية آل عمران المدنية في النزول، والاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان يختلف فيما بين أهل مكة وأهل المدينة، فأهل مكة أهل عناد وتحد، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة، فعلى هذا فالمقام مع أهل مكة يقتضي التأكيد في المعاني لتقريبها ورسوخها لتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها، فأشعر تكرار حرف الجر بتكرار المتعلق، وخلا التعبير المدني المتمثل في آية آل عمران من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه. = فالموت سنة من سنن الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿فَسَقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (ميت) بتسكين الياء، للدلالة على من كان حياً حياة حقيقية ثم مات موتاً حقيقياً وفارقت روحه بدنه. وقد جاءت كلمة (ميت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفاً مجازياً خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع و(الأرض) في موضع واحد و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. - ووصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(ميت) تشبيهاً لهما بالميت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حذف فيها المشبه وذكر المشبه به. ووصف الجاهل أو الضال أو الكافر بـ(ميت)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتاً حقيقياً وبين الجاهل والضال والكافر هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. سؤال: الأصل هو وصف (البلد) بالميت، فلم وصف بالميت أحياناً؟ والجواب من وجهين: ١- أن يكون المراد بالبلد في الآيتين أهل البلد لا نفسها وهم قطعاً (أي أهل البلد) أحياء سيموتون، وهنا يناسب وصفه بكلمة (ميت). كما أطلق الله المكان وقصد أهل المكان في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]. ٢- أن الآيتين اللتين وُصف فيهما (البلد) بـ(ميت) اتفقتا في أمرين: أ- أن السحاب مسوق في كلتا الآيتين: ب- أن السَّوق للسحاب قد عُدِّي بحرف الجر (ل) (لبلد) أو (إلى) (إلى بلد)، وهذا معناه أن مسافة ممتدة بين منشأ السحاب وبين البلد الذي سيق إليه السحاب، فلا يبعد أن يكون في (البلد) آثارٌ من حياة، ريثما يصل إليها السحاب، فيجدد أسباب الحياة فيها، فعومل (البلد) معاملة الحي الذي سيموت، والله أعلم. [٢١] ﴿وَجَعَلْ لَّكُمْ سَرَيبَ نَقِيصِكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١]. ما الفرق بين: «الحر والحَرُور»؟ الجواب: وردت كلمة (الحر) ثلاث مرات. بينما لم ترد كلمة (الحرور) إلا مرة واحدة. (الحر): ضد البرد. بينما (الحرور): ريح حارة بالليل (كما أن السموم: ريح حارة بالنهار). ويدل على كونها ريحاً حارة بالليل قول الله - تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١] أي: ولا المكان الذي حُجبت عنه الشمس وكان هادئاً لا ريح فيه، ولا الذي حُجبت عنه الشمس (لغيابها بالليل) وكانت تهب عليه ريح حارة. [٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. شبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبادنهم قبور قلوبهم، فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبادنهم. [٢٨] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [٢١] ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحَرُورُ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (البرد) بمشتقاته (٤) مرات في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (الحر) بمشتقاته (٤) مرات في القرآن، وبذا يكون قد تساوى عدد مرات ورود لفظ (البرد) بمشتقاته مع لفظ (الحر) بمشتقاته، وقد ورد كل منهما (٤) مرات في القرآن. [٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرِيبٌ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]. ألوان الجبال: ورد اختلاف الألوان في ثلاث صفات في الآية. كتب أحد الباحثين بحثاً علمياً مطوّلاً، ملخصه أن ألوان الصخور هي نتاج ألوان المعادن المكونة لها.. وأن ألوان المعادن نتاج تركيبها العنصري وبيئتها وتفاعلها مع الماء.. فالماء هو العامل الحاسم في تلوين صخور الجبال. وقد يعجب الإنسان من علاقة إنزال الماء من السماء باختلاف ألوان الجبال. ففي هذا البحث عن الماء «هذا العنصر الحيوي» الذي يُعد من العناصر المذيبة والفعالة تبين أنه هو العامل الحاسم في تلون الجبال التي تأخذ ألوانها من ألوان =

١٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: الذي قد أبصر فيه رسله. ٢٠- ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾: ولا ظلمات الكفر، ولا نور الإيمان. ٢١- ﴿وَلَا الظُّلُ﴾: قيل: الجنة ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾: قيل: النار. وقيل: «الحرور»: شدة حر الشمس، وهو لا يكون إلا بالنهار مع الشمس، والسموم يكون بالليل. ٢٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: المؤمنون والكافرون؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] يريد: أومن كان كافراً فهديناه إلى الإسلام، والكافر ميت القلب أعمى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾: فكما لا تقدر على ذلك، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله من كان ميت القلب. ٢٣- ﴿وَلَا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: كان لها رسول، واقتصر على ذكر «النذير» دون البشير لأنه ألصق بسياق الآيات. ٢٤- ﴿وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: البينات: المعجزات والدلالات الظاهرة. والزبر: الكتب المكتوبة، كصحف إبراهيم. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: البين نوره. ٢٥- ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ﴾: تغييرى لهم وحلول عقابي بهم. ٢٦- ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ﴾: طرائق، وهي الجدد من الجبال: بيض وحمرة وسود كالطرق، واحدها جدّة ﴿تُخْتَلِفُ أَلْوَانُهَا﴾: ألوان الجدد ﴿وَعَرِيبٌ سُودٌ﴾: هو من المقدم الذي بمعنى التأخير، تقول العرب: هو أسود غريب، إذا وصفوه بشدة السواد، أي الذي لونه لون الغراب. ٢٧- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: الناظرون في هذه السنن والدلائل، والعارفون بهذه العلوم والمعارف. والآية عامة في علماء الدين والدنيا، وإن كان سياقها خاصاً بعلماء النبات والبيئة والجغرافية الطبيعية ونحو ذلك. ٢٨- ﴿تَجَرَّةٌ لَّنْ تَكُورَ﴾: لن تكسد ولن تهلك. ٢٩- ﴿شَكُورٌ﴾: بحسنات عبادته، وقوله: ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾: تعليل لما ذكر من التوفية والزيادة، أي غفور لذنوبهم، شكور لطاعتهم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الآية. [٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. الآيتان تتحدثان عن النبي ﷺ، وتبين آية البقرة أن النبي ﷺ ليس مسؤولاً عن كفر من كفر وأن مآلهم إلى الجحيم، وآية فاطر توضح أنه ما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذر عاقبة كفرها وضلالها. [٢٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]. آية فاطر مكية، فهي مقدمة على آية آل عمران المدنية في النزول، والاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان يختلف فيما بين أهل مكة وأهل المدينة، فأهل مكة أهل عناد وتحد، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة، فعلى هذا فالمقام مع أهل مكة يقتضي التأكيد في المعاني لتقريبها ورسوخها لتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها، فأشعر تكرار حرف الجر بتكرار المتعلق، وخلا التعبير المدني المتمثل في آية آل عمران من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه. = فالموت سنة من سنن الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿فَسَقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (ميت) بتسكين الياء، للدلالة على من كان حياً حياة حقيقية ثم مات موتاً حقيقياً وفارقت روحه بدنه. وقد جاءت كلمة (ميت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفاً مجازياً خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع و(الأرض) في موضع واحد و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. - ووصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(ميت) تشبيهاً لهما بالميت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حذف فيها المشبه وذكر المشبه به. ووصف الجاهل أو الضال أو الكافر بـ(ميت)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتاً حقيقياً وبين الجاهل والضال والكافر هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. سؤال: الأصل هو وصف (البلد) بالميت، فلم وصف بالميت أحياناً؟ والجواب من وجهين: ١- أن يكون المراد بالبلد في الآيتين أهل البلد لا نفسها وهم قطعاً (أي أهل البلد) أحياء سيموتون، وهنا يناسب وصفه بكلمة (ميت). كما أطلق الله المكان وقصد أهل المكان في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]. ٢- أن الآيتين اللتين وُصف فيهما (البلد) بـ(ميت) اتفقتا في أمرين: أ- أن السحاب مسوق في كلتا الآيتين: ب- أن السَّوق للسحاب قد عُدِّي بحرف الجر (ل) (لبلد) أو (إلى) (إلى بلد)، وهذا معناه أن مسافة ممتدة بين منشأ السحاب وبين البلد الذي سيق إليه السحاب، فلا يبعد أن يكون في (البلد) آثارٌ من حياة، ريثما يصل إليها السحاب، فيجدد أسباب الحياة فيها، فعومل (البلد) معاملة الحي الذي سيموت، والله أعلم. [٢١] ﴿وَجَعَلْ لَّكُمْ سَرَيبَ نَقِيصِكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١]. ما الفرق بين: «الحر والحَرُور»؟ الجواب: وردت كلمة (الحر) ثلاث مرات. بينما لم ترد كلمة (الحرور) إلا مرة واحدة. (الحر): ضد البرد. بينما (الحرور): ريح حارة بالليل (كما أن السموم: ريح حارة بالنهار). ويدل على كونها ريحاً حارة بالليل قول الله - تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١] أي: ولا المكان الذي حُجبت عنه الشمس وكان هادئاً لا ريح فيه، ولا الذي حُجبت عنه الشمس (لغيابها بالليل) وكانت تهب عليه ريح حارة. [٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. شبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبادنهم قبور قلوبهم، فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبادنهم. [٢٨] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [٢١] ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحَرُورُ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (البرد) بمشتقاته (٤) مرات في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (الحر) بمشتقاته (٤) مرات في القرآن، وبذا يكون قد تساوى عدد مرات ورود لفظ (البرد) بمشتقاته مع لفظ (الحر) بمشتقاته، وقد ورد كل منهما (٤) مرات في القرآن. [٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرِيبٌ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]. ألوان الجبال: ورد اختلاف الألوان في ثلاث صفات في الآية. كتب أحد الباحثين بحثاً علمياً مطوّلاً، ملخصه أن ألوان الصخور هي نتاج ألوان المعادن المكونة لها.. وأن ألوان المعادن نتاج تركيبها العنصري وبيئتها وتفاعلها مع الماء.. فالماء هو العامل الحاسم في تلوين صخور الجبال. وقد يعجب الإنسان من علاقة إنزال الماء من السماء باختلاف ألوان الجبال. ففي هذا البحث عن الماء «هذا العنصر الحيوي» الذي يُعد من العناصر المذيبة والفعالة تبين أنه هو العامل الحاسم في تلون الجبال التي تأخذ ألوانها من ألوان =

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٣١- ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما مضى أمامه من الكتب التي أنزلت إلى الرسل قبلك.
٣٢- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾: قيل: كل كتاب أنزله الله قبل القرآن. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾: اخترنا ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: يعني: أمة محمد ﷺ قال ابن عطية رحمه الله: والمراد بـ«الكتاب» هنا: معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده، فكان الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن - وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله - فكانه ورث أمة محمد ﷺ الكتاب الذي كان في الأمم قبلهم. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: يغفر لهم ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: يحاسبهم حساباً يسيراً ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: يدخلهم الجنة بغير حساب، وأنت في ذلك روايات كثيرة. ومعنى المقتصد: هو من يتوسط في أمر الدين ولا يميل إلى جانب الإفراط أو التفريط. ٣٣- ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: «من» الأولى للتبعية، والثانية بيانية، أي يحلون بعض أساور ذهبية. والأساور: جمع أسورة جمع سوار. ٣٤- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾: الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار. وقيل: التعب الذي كانوا فيه في الدنيا. ٣٥- ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾: أنزلنا ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الجنة التي لا نقلة عنها. ﴿نَصَبٌ﴾: تعب ولا وجع ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: عناء وإعياء. ٣٦- ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: بالموت ﴿فِيمَوتُوا﴾: لأنهم لو ماتوا لاستراحوا! ٣٧- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾: يصرخون ويستغيثون. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ﴾: أولم نعمركم عمراً يتمكن من التذكر فيه من تذكر، قيل: أربعون سنة. وقيل: ستون. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: محمد ﷺ. ٣٨- ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: خلقها وما فيها من المعتقدات والمعاني. وقيل: بما تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانيته، ونبوة نبيه.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفي بن الحارث، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا، فهل في الجنة من نوم؟ قال: «لا إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت». قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: «ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة» فنزلت. [٣١] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ بالتصريح وبزيادة اللام، وفي الشورى: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، لأن الآية المتقدمة في سورة فاطر لم يكن فيها ذكر الله فصّرح باسمه سبحانه وتعالى، وفي الشورى متصل بقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢٧] فخص بالكنية، ودخلت اللام في الخبر موافقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمِنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]. الآيات الثلاث تتحدث عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعده الله لهم. [٣٤] ﴿... وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن أهل الجنة وشكرهم لله على هذه النعمة العظيمة. [٣٨] ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]. إن الله مطلع على كل غائب في السماوات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تعصوه بما دون ذلك، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الحجرات: إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. = غفور [فاطر: ٢٨] قال ابن القيم: ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين والالتحاق بعالم الملائكة لكفى به شرفاً وفضلاً، فكيف وعز الدنيا والآخرة منوط به مشروط بحصوله، وكل ما كان في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم، وكل ما كان فيه من ذم فهو من ثمرة الجهل. [٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]. تقدم بالآية ذكر الظالم لكثرة، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، جاء في الكشف في هذه الآية فإن قلت: لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبيتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل، ألا ترى كيف قال الله تعالى في السابقين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٣] وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ [الواقعة: ١٤]، إشارة إلى ندرة وقلة وجودهم؟ [٣٤] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. ما الفرق بين: «الحزن والحزن»؟ الجواب: وردت كلمة (الحزن) مرتين، بينما وردت كلمة (الحزن) ثلاث مرات. الحزن: (بضم الحاء): ضد الفرح. وهي حالة تتجسد فيها المشاعر فلا ينطلق صاحبها بالشكوى ولا تجري في عينيه الدموع، بل ينطوي على إحساس عميق بالحزن، فيبدو للناظر كأنه غير حزين، مع أن الحزن يقطع نياط قلبه، كذلك كانت حالة يعقوب عليه السلام، فقد ابضت عيناه من كظم حزنه على فقد ولده يوسف، ولم يرسل = [٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ قرئ: (يَدْخُلُونَهَا) بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول والواو نائب فاعل. وقرئ: (يَدْخُلُونَهَا) بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل، والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد، لأنهم إذا أدخلوا دخلوا، ولأنهم لا يدخلون حتى يؤذن لهم بالدخول. قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرئ: (وَلُؤْلُؤًا) بنصب الهمزة الأخيرة على أنه معطوف على محل الجار والمجرور، وهو «من أساور» لأن محله النصب، والتقدير: يحلون في الجنة أساور من ذهب ولؤلؤا. وقرئ: (وَلُؤْلُؤًا) بخفض الهمزة الأخيرة، على أنه معطوف على «ذهب» والمعنى: يحلون في الجنة أساور من ذهب، وأساور من لؤلؤ. [٣٦] ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ قوله تعالى: ﴿نَجْزِي كُلَّ﴾ قرئ: (نَجْزِي كُلَّ) بفتح الهمزة وفتح الزاي على لفظ الغيبة ورفع (كل) على النيابة عن الفاعل، ويقوي ذلك أن قبله فعل مبني للمجهول وهو ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا﴾. وقرئ: (نَجْزِي كُلَّ) بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب «كل» على البناء للفاعل وهو الله جل ذكره، على أنه إخبار منه عن نفسه، ويقويه قوله بعده: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾.

= المعادن التي تشترك في بيئتها، والمعادن تتلون بقدر أكسدة. حيث إن الماء له علاقة بهذه الأكسدة. لذلك تجد أن أحد عوامل تلوينها، واختلاف ألوانها، من جبال كالغرايب السود وجبال جدد بيض، وحجر مختلف ألوانها تعود إلى الماء.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٣٩- ﴿خَلَقَ فِي الْأَرْضِ﴾: خلفتم الأمم الماضية في ديارهم ومساكنهم ﴿إِلَّا مَقَلًا﴾: بعداً من رحمة الله ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: هلاكاً. ٤٠- ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: شراكة في خلقها أو التصرف فيها مع الله تعالى الله عن ذلك- ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ﴾: أنزلنا عليهم ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: على برهان منه، على الإشراك. ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: إلا خداعاً، لقولهم: ما نعبد آلهتنا ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر: ٣]. ٤١- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: بقدرته وما وضع لها من نظام ﴿أَنْ تَزُولَا﴾: لئلا تنزولا. ﴿إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: لا يقدر أحد غيره تعالى على إمساكهما لو قدر إشرافهما على الزوال. ٤٢- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أشد الأيمان. والمراد: قريش، أقسموا قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ بهذا القسم، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كان الرسل في بني إسرائيل. ﴿إِلَّا نَقُورًا﴾: هرباً. ٤٣- ﴿أَسْتَكْبَارًا﴾: تكبراً ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾: المكر هاهنا: الشرك، وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ نعت المكر، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [سورة الواقعة: ٩٥] ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: معناه: لا يحيق مكروه ذلك المكر الذي مكروه هؤلاء المشركون إلا بهم، و"يحيق": معناه يحيط، أي: لا تنزل عاقبة السوء إلا بمن أساء. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: سنة الله تعالى في الذين مضوا قبلهم من أشكاهم من الأمم. وكانت هذه السنة: عذابه الذي نزل فيهم. وسنن الله تعالى في الأمم والأقوام مطردة لا تتبدل ولا تتحول. [٤٢] قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال: أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبياً ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنيها، ولا أشد تمسكاً بكتابها منا، فأنزل الله ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ وكانت اليهود تستفتح به على النصارى، فيقولون: إنا نجد نبياً يخرج. [٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا يَكْتُبُونَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [الأحقاف: ٤]. قل أيها الرسول للمشركين: أخبروني أي شيء خلق شركاءكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركاً مع الله في خلق السموات، أم أعطيناهم كتاباً فهم على حجة منه؟ بل ما يعبد الكافرون بعضهم بعضاً إلا غروراً وخداعاً، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الأحقاف: قل أيها الرسول لهؤلاء الكفار: أرايتهم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟ اتنوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقية من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون. [٤٣] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. التبديل تغيير الشيء عما كان عليه، مع بقاء مادته، والتحويل نقله من مكان إلى آخر، فكيف قال ذلك، مع أن سنة الله لا تبدل ولا تحوّل؟ **الجواب:** أراد بالأول أن العذاب لا يبدل بغيره، والثاني أنه لا يحوّل عن مستحقه إلى غيره، وجمع بينهما هنا تميمًا لتهديد المسيء؛ لقيح مكروه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. قول آخر فيه تفصيل: قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] كرر، وقال في الفتح: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال في الإسراء: ﴿وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]، التبديل تغيير الشيء عما كان عليه قبل مع بقاء مادة الأصل؛ كقوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]. وكذلك ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، والتحويل: نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنة الله لا تبدل ولا تحوّل، فخص هذا الموضع بالجمع بين الوصفين لما وصف الكفار بوصفين، وذكر لهم عرَضين، وهو قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقَلًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]، وقوله: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقيل: هما بدلان من قوله: ﴿نُقُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فكما ثنى الأول والثاني ثنى الثالث؛ ليكون الكلام كله على غرار واحد. وقال في الفتح: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فاقصر على مرة واحدة لما لم يكن التكرار موجِباً، وخصّ سورة الإسراء بقوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾ لأن قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ: "لو كنت نبياً لذهبت إلى الشام؛ فإنها أرض المبعث والمحشر، فهم النبي ﷺ بالذهاب إليها، فهياً أسباب الرحيل والتحويل، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات، وهي: ﴿وَأَن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]، وختم الآيات بقوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾ تطبيقاً للمعنى. [٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩، فاطر: ٤٤، أول غافر: ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذاك مؤدياً إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالاً أرسلوا إليهم فخالفوه، فاعتبروا أنتم بأنارهم ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرَّبَهُ أَهْلُكُنْهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ = بكاء ولا دموعاً وإنما كظم حزنه، وليس أدل على ذا من قول الله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. **والحزن:** (بفتح الحاء): هو حالة من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على ذا من قول الله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله -تعالى- حالة الذين أصابهم الحزن من جرّاء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون. [٤٠] ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ قوله تعالى: ﴿بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ قرئ: (بينه) بلا ألف على الأفراد على غرار ما في كتاب الله، أو ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم من البراهين. وقرئ: (بينات) بالألف على الجمع؛ لكثرة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من البراهين على صحة صدقه ونبوته من القرآن. [٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿السَّيِّئِ﴾ قرئ: (السيئ) بسكون الهمزة وصلًا لإجراء له مجرى الوقف، وقد استثقل الكسرة على الياء المشددة، والكسر على الهمز ثقيل، فأسكن للتخفيف، وهو ضعيف لعدم علامة الإعراب. وقرئ: (السيئ) بالهمزة المكسورة على الأصل.

هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقلاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّا بِعَدْلِ الظَّالِمِينَ بِعَظْمٍ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٣٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِنُذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرُوا أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ

٤٥- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾: لو يُعاقبهم بما عملوا من الذنوب ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾: يعني: على ظهر الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: تذبُّ عليها، كما فعل بهم في زمان نوح، فاهلك ما على ظهرها إلا ما حمل نوح في السفينة. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: معلوم عنده. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: بمن يستحق الثواب والعقاب.

سُورَةُ الْاَنْكَاسِ

١- ﴿يَسْ﴾: قد تقدم القول في نظائر ذلك من فواتح السور. ٢- ﴿وَالْقُرْآنَ﴾: قسم أقسم الله به ﴿الْحَكِيمِ﴾: المحكم بما فيه من أحكامه، وبينات حججه، فلا تناقض في شيء من ذلك ولا اختلاف. ٣، ٤- ﴿إِنَّكَ﴾: يخاطب محمداً ﷺ. ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: على طريق من الهدى لا اعوجاج فيه. ٥- ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾: معنى الكلام: إنك من المرسلين يا محمد إرسال العزيز الرحيم، أو: نزل الله القرآن تنزيل العزيز الرحيم. و«العزيز» هو الذي لا يُغلب. ٦- ﴿مَّا أُنْذِرُوا أَبَاؤُهُمْ﴾: قيل: ما أنذر الله قبلهم من آبائهم. وقيل: لم يُنذر أبائهم حتى جاءهم محمد ﷺ ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾: عما الله فاعل بالمسركين، أو لأنه لم يُنذر أبائهم. ٧- ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: وجب العذاب عليهم في أم الكتاب. ٨- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ﴾: يعني: الكفار ﴿أَغْلَالًا﴾ يقول عز وجل: إنا جعلنا إيمان هؤلاء الكفار مغلولة، أي مقيدة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تنبسط إلى شيء من الخيرات ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم. و«الأذقان»: جمع ذقن، ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾: أي: رافعون رؤوسهم، غاضون أبصارهم، و«المقمح»: أن يجذب الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه. ٩- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: حاجزاً عن الرشد، فزين لهم سوء أعمالهم ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: فأعشى أبصارهم، غطاها غشاوة ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: هدى، ولا يتفكرون به. وقيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل. ١٠- ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: الآية: معناها أن إنذارك إياهم وعدمه، بعد هذا الإضلال، سواء. ١١- ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: آمن بالقرآن واتباع ما فيه ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ﴾: خاف الله إذ غاب عن أبصار الناظرين. ١٢- ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: في الدنيا من عمل ﴿وَوَآثَرَهُمْ﴾: وآثار خطاهم بأرجلهم، إلى المساجد. والآية عامة في كل ما يبقية الإنسان من الحسنات والسيئات بعد موته. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾: كان أو هو كائن ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: أثبتناه ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: في أم الكتاب، أي اللوح المحفوظ. [٢، ١] قوله تعالى: ﴿يَسْ﴾ ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ﴾ أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة، حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: نشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يَسْ﴾ ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. قال: فلم يؤمن من ذلك نفر أحد. [٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزل الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ إلى قوله ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾، فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ ولا يبصر. [١٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: «إن آثاركم تكتب فلا تتقلوا». وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله.

[الحج: ٤٥]، فكانه قال: إذا كان كذا فسيروا في الأرض واعتبروا، فأما قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، فإنه لم يتقدم ما يصير هذا كالجواب عنه، إذا لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الروم: ٨]، فكان الموضوع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ وكذلك ما جاء في سورة فاطر، وسورة غافر... فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي أن يكون هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو... [٤٤] ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: ٢١]، قوله تعالى في الروم: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ إخباراً عما كانوا عليه قبل الإهلاك، وخصت سورة الروم بهذا النسق لما يتصل به من الآيات بعده، وكله إخبار عما كانوا عليه وهو: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾، وفي فاطر: ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، وفي غافر: ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فآظهر "كان" العاملة في "من قبلهم"، وزاد "هم"؛ لأن في هذه السورة وردت أوائل قصّة نوح، وهي تتيم في ثلاثين آية، فكان اللائق به البسط، وفي آخر المؤمن ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢] فلم ييسط القول؛ لأن أول السورة يدل عليه. [٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]. آية النحل جاءت بعد أوصاف الكفار بأنواع كفرهم في اتخاذهم إلهين اثنين، وكفرهم وشركهم في عبادة غير الله سبحانه، وجعلهم للأصنام نصيباً من مالهم، وواد البنات، وغير ذلك، وكل ظلم منهم، والسبب في قوله تعالى: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾، ولم يتقدم مثل ذلك في فاطر، أنه شائع مستعمل كثير في لسان العرب لظهور العلم به بينهم، ولكراهية أن يجتمع ظاءان في جملتين معاً، مع ثقلها في لسانهم، لأن الفصاحة تأباه، ولم يتقدم في فاطر ذلك، فقال: ﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾ مع ما فيه من تفنن الخطاب. [٥] ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿نَزِيلَ﴾ قرئ: بالنصب على المصدر، ونُصب بفعل من لفظه. وقرئ: ﴿نَزِيلَ﴾ بالرفع خبر لمقدر، أي: ذلك أو القرآن تنزيل. [٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَدًّا﴾ هنا وكذا: = نزول سورة يس: نزلت بعد سورة الجن، وهي مكية بالإجماع. عدد كلمات سورة يس: سبعمائة وتسع وعشرون. عدد حروف سورة يس: ثلاثة آلاف. أسماء سورة يس: وللسورة اسمان: سورة يس؛ لافتتاحها، وسورة حبيب النجار؛ لاشتغالها على قصته. مواضع سورة يس: معظم مقصود السورة: تأكيد أمر القرآن الكريم، =

١٣- ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: عن ابن عباس وأهل التفسير: أنها أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: رسل عيسى بن مريم عليهما السلام. ١٤- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: ذكر أن عيسى عليه السلام بعث رجلين من الحواريين إليها. وأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه لأن عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه. وقيل: بل هؤلاء أنبياء أرسلهم الله تعالى بعد رفع عيسى عليه السلام. وهذا يرجحه قولهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: فإن هذا إنما يقوله الكفار لمن أذى الرسالة من الله. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: شددناهما وقويتهما. ١٨- ﴿قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا يَوْمَكَ﴾: تشاء منا بكم، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾: عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا. ١٩- ﴿قَالُوا﴾: يعني: الرسل ﴿طَيْرِكُمْ مَعَكُمْ﴾: أعمالكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم ليس من شؤنا إن أصابكم سوء ﴿أَيْنَ دُكِّرْتُمْ﴾: أي: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ﴾: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاصي الله، وآثام قد غلبت عليكم. ٢٠- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾: ذكر أن أهل هذه المدينة عزموا على قتل هؤلاء الرسل، فجاء رجل مؤمن كان في أقصى المدينة اسمه «حبيب»، يسعى إليهم يذكّرهم الله عز وجل ويدعوهم إلى اتباع المرسلين. ٢١- ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا﴾: مالا ولا ثوابا على ما جاءكم به من الهدى. ٢٢- ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني - إلى قوله ﴿فَأَسْمِعُونِ﴾: هو قول الرجل المؤمن مخاطبا أصحاب القرية. ٢٣- ﴿أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: الآية: جعل الإنكار متوجهاً إلى نفسه، وهم المرادون به: وقفهم على جهل وفساد اتخاذ الآلهة من دون الله، لأنها لا ترد عنهم المقادير التي يريد بها الله بهم، لا بقوة منها ولا بشفاعه. ٢٦- ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾: قال له الله عز وجل إذ قتلوه: ادخل الجنة، فدخلها فلما عاين ما فيها ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾: الآية. ١٤، ١٦ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]. قاله تعالى

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَئِنْ كُنَّا لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُمِيتَ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا يَوْمَكَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَنْتَهُوْا لَنَجْذِبَنَّكُمْ لَكُمُ الْمَوْتُ وَلَكِنَّا نَحْنُ غَيْرُ مَعْنُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا أَمْ نَحْنُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْفِقُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدَنْ الْوَحْدَ بِيضٍ لَا تَغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْفِقُونَ ﴿٢٢﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِنْ تَأْمَنَّا بَرَبِكُمْ فَاسْمِعُونَا ﴿٢٤﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ يَمَافَعْلَمُ لِي رَفِيٍّ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾

(٤٤١)

في الآية الأولى: ﴿مُرْسَلُونَ﴾ بغير تأكيد باللام، لأنه ابتداء إخبار، وقاله في الآية الثانية: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ باللام، لأنه جواب بعد إنكار وتكذيب، فاحتجج إلى التأكيد.

١٥ ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يس: ١٥]. قال الكافرون لرسولهم ما نراكم إلا بشرًا صفاتكم كصفاتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلًا، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما تقولون، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية يس: قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثنا، وما أنزل الرحمن شيئًا من الوحي، وما أنتم أيها الرسل إلا تكذبون. ٢٠ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْفِقُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]. تفيد آية يس أنه - أي الرجل - جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة، ولا يحضر موضع الدعوة، ومشهد المعجزة، فقدم ما تبكى القوم به أعظم والتعجب منه أكثر، فقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾، ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضره، ولم يشهد من كلام الأنبياء ما يشهدونه... وأما آية سورة القصص فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورًا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم وهو الفاعل، إذا لم يكن هنا تبكى للقوم بكونه من أقصى المدينة، كما كان ذلك في آية يس. قول آخر: سر تقديم الجار والمجرور في آية يس، أن ما قبل هذه الآية دال على سوء معاملة أهل المدينة للرسل، فكان ذلك مظنة أن يسأل سائل: أكانت هذه المدينة كلها بهذه الصفة، أم أن فيها موطنًا هو منبت خير؟ لذلك قدّم ما يشتمل على المدينة، لأنها أهم عند المخاطب. قول آخر: الرجل في آية القصص كان ناصحًا، فجاء الترتيب على الأصل، أمّا في آية يس فالرجل جاء يدعو للإيمان، وفي هذا اهتمام، وثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد من الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط. قول آخر: لماذا قدم الـ ﴿رَجُلٌ﴾ على ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ بالقصص، والعكس في يس؟ **الجواب:** موافقته في القصص لقوله قبل: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ﴾ [القصص: ١٥]، واهتمَّ ثم بتقديم ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ لما روي أن الرجل - واسمه حذيل، وقيل: شمعون، وقيل: حبيب - كان يعبد الله في جبل، فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلًا. والآيتان تشملان جميع التوجيهات، وهذا من أسرار كتاب الله عز وجل. ١٨ ﴿قَالُوا أَطِيرُنَا يَوْمَكَ وَمِمَّنْ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٦]، ﴿قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا يَوْمَكَ﴾ [يس: ١٨]. ما الفرق بين: "نطيرنا وأطيرنا"؟ **الجواب:** وردت كلمة (نطيرنا) وأيضًا كلمة (أطيرنا) مرة واحدة في القرآن الكريم. ولعل إدغام حرف الدال في الطاء في كلمة (أطيرنا) (من غير ضرورة صوتية) يشير إلى الشعور بالضيق. على العكس من الصيغة الأخرى (نطيرنا) التي لا إدغام فيها، فهي تعبير طبيعي عن المعنى دونما شعور بالضيق. كما أن إدغام التاء في الطاء في كلمة (أطيرنا) فيه تضخيم للصوت وضغط على نطق الحرف؛ ليكون ذلك أقوى تعبيرًا عن الضيق. لم جاءت كلمة (أطيرنا) في موضعها؟ جاءت هذه الكلمة التي تعبر عن حالة الضيق في موقعها مناسبة جدًا، حيث إن قوم صالح كانوا فريقين يختصمون، والقوم الذين يختصمون فيما بينهم وهم على ملة واحدة هم أشد خصومة مع النبي الذي أتاهم؛ ليدعوهم إلى تغيير اعتقادهم الفاسد وسلوكهم الخاطئ، ويحثهم على = ﴿السَّيِّئِينَ﴾ "الكهف" قرئ: (سُدًّا - سُدًّا) بضم السين وفتحها وهما لغتان، وقيل: بالفتح لفعل المخلوق، وبالضم: اسم لفعل الخالق، وعلل بأن المفتوح مصدر فهو دال على الحدوث، والمضموم اسم فهو نسبة لفعل الخالق، والصحيح: أنه لا فرق بينهما لتواتر القراءتين في فعل المخلوق والخالق، وقال أبو عبيدة: كل شيء من فعل الله جل ذكره كالجبال والشعاب فهو (سُد) بالضم، وما بناه آدميون فهو (سَد) بالفتح. ١٤ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرئ: (فَعَزَّزْنَا) بتخفيف الزاي من عزّ: غلب فهو متعدٍ، ومفعوله محذوف، أي: فغلبنا أهل القرية بثالث، ومنه: ﴿وَعَزَّزْنِي فِي الْحُطَابِ﴾ والمفعول محذوف، وهو المرسل إليه، والتقدير: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" أي: "فغلبناهم بثالث". وقرئ: (فَعَزَّزْنَا) بتشديد الزاي من عزّ يعزّ = الرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل في أهل أنطاكية، وذكر حبيب التجار، وبيان البراهين المختلفة في إحياء الأرض الميتة، وإبداء الليل والنهار، وسير الكواكب، ودور الأفلاك، وجري الجوازي المنشآت في البحار، وذلة الكفار عند الموت، وخيرتهم ساعة البعث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشغلهم

وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْشُرُهُمْ عَلَى الْعِبَادِ مَا يُأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِكُمْ قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٢٨، ٢٩ - ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾: قوم المؤمن المقتول ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد مهلكه ﴿مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾: قال ابن مسعود: ما كاترناهم بالمجموع، لقتالهم، ولكن عجل الله لهم العذاب بصيحة أنزلها عليهم من السماء، فأهلك الله الملك وأهل أنطاكية، فلم يبق منهم باقية ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾: هالكون. ٣٠ - ﴿يَحْشُرُهُمْ عَلَى الْعِبَادِ﴾: معناه: يا حسرة العباد على أنفسهم وتندهمهم على استهزائهم برسول الله، وما فرطوا فيه من الإيمان. وقيل: المعنى: يا ويلاً للعباد. والحسرة: شدة التلهف والحزن. ٣١ - ﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: من الأمم الخالية. ٣٢ - ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: معناه: وإن كل هذه القرون التي أهلكنا، والذين لم نهلكهم، وغيرهم عندنا يوم القيامة، جميعهم محضرون. ٣٣ - ﴿سُبْحَنَ﴾: تنزيهاً للذي ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: من نبات الأرض، ﴿وَمِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: وخلق من أولادهم ذكوراً وإناثاً ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: مما لم نطلعهم عليه. ٣٤ - ﴿نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾: ننزع ونذهب عنه النهار. ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: قد صاروا في ظلمة. ٣٥ - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾: للنقصان بعد تناهيه وقامه ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾: كالعذوق اليابس، وإنما شبهه بالعرجون اليابس لأن ذلك لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنيًا. ٤٠ - ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: لا يصلح لها أن تدركه، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً. ﴿وَلَا آيِلُ سَابِقِ النَّهَارِ﴾: فتكون الأوقات كلها ليلاً ﴿وَكُلٌّ﴾: كل ما ذكرناه من الشمس، والقمر، والليل، والنهار ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يجزؤون. أي لكل فلكه ودوره الخاصة في هذا النظام الكوني المحكم. [٢٩] ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]. تكررت مرتين؛ لأن الأولى هي النفخة التي يموت بها الخلق، والثانية التي يحييها بالخلق. [٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأنعام: ٦، الأعراف: ١٤٨، النحل: ٧٩، النمل: ٨٦، يس: ٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقى المواضع ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في بعض المواضع أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة، فذكره بالألف والواو، لتدل الألف على الاستفهام، والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالاً بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال، فاقصر على الألف دون الواو والفاء لتجري مجرى الاستثنا. = الوحداية والإيمان برب البرية، فناسب ما هم فيه من ضيق الإتيان بكلمة تبصر عن ضيقهم وحالهم (اطيرنا). [٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْفِرُ النَّاسُ الْفَرَسَايَا﴾ [يس: ٢٠]، ثم قال: ﴿إِنِّي أَنَا بَرَكْتُكُمْ فَأَسْمِعُونِ﴾ [يس: ٢٥]، فكان جزاءه من قومه القتل، فقبل له عند موته: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا عَفْرَىٰ رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧]. في هذه الآيات تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والتروء على من أدخل نفسه في غمار الأسرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتله، والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام؟ [٢٢] ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]. قائله الجائي من أقصى المدينة. إن قيل: كيف أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع - الذي هو البعث - إليهم، مع علمه بأن الله فطرهم وإياه، وإليه يرجع هو وهم، فلم يقل: الذي فطرنا وإليه نرجع؟ أو فطرهم وإليه ترجعون؟ **الجواب:** لأن الخلق والإيجاد نعمة من الله توجب الشكر، والبعث بعد الموت للجزاء وعيد من الله يوجب الزجر، فأضاف ما يقتضي الشكر إلى نفسه؛ لأنه ألقى بإيمانه، وما يقتضي الزجر إليهم، لأنه ألقى بكفرهم. [٢٧] ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا عَفْرَىٰ رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ [يس: ٢٧]. قال قتادة: لا تلقي المؤمن إلا ناصحاً، لا تلقاه غاشاً، لما عاين ما عاين من كرامة الله ﴿قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا عَفْرَىٰ رَبِّي﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله. = فهو لازم عُدِّي بالتضعيف، ومفعوله أيضاً محذوف، أي: فقوينا الرسولين وهما يحيى وعيسى برسول ثالث، فعزز بمعنى: قوَّى. [١٩] ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ قرئ: (أَنَّ) بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينهما على حذف لام العلة، أي: لئن ذُكِّرْتُمْ عِلَّتُهُ فَتَطِيرْتُمْ. وقرئ: (أَنْ) بهزتين، الأولى: للاستفهام، والثانية: مكسورة همزة "إن" الشرطية. قوله تعالى: ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ قرئ: (ذُكِرْتُمْ) بتخفيف الكاف، أي: طائرهم معكم حيث جرى ذكر، وهو نائب الفاعل، وهو أبلغ. وقرئ: (ذُكِّرْتُمْ) بتشديد الهمزة في التذكير. [٢٩] ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ "في الموضعين" قرئ: (صَيْحَةً وَاحِدَةً) برفعهما فيهما على أن "كان" تامة، أي: "ما حدثت أو وقعت إلا صيحة" وكان الأصل عدم لحوق التاء في كانت نحو: ما قام إلا هند، فلا يجوز ما قامت إلا في الشعر، لكن جوزوه بعضهم نشرًا على قلة. وقرئ: (صَيْحَةً وَاحِدَةً) بالنصب في الموضعين على أنها ناقصة واسمها مضمر، أي: إن كانت الأخذة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل - عليه السلام - [٣٢] ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾ [٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ [يس: ٣٦]. **النبات:** لقد كان معلوماً للناس قديماً إن الذكورة والأنوثة لا توجد إلا في الإنسان والحيوان، أما في النباتات فلم يدر الناس حقيقة هذا الأمر إلا في الوقت الراهن بعلم النبات، وتقدم علم التشريح للنبات، وقد ذكر القرآن ذلك: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ...﴾، كما كان الناس قديماً يجهلون حقيقة النباتات وتكوينها، وكشفت العلوم الحديثة أن النباتات تتكون من مواد أساسية واحدة هي: "كربون، وهيدروجين، ونيتروجين، وكبريت أو فسفور" وبعض المواد الضئيلة الأخرى، غير أن سبب اختلاف نسبة التراكيب الكيميائية في النبات يرجع إلى اختلاف أوزان النبات في كل منها، وأن جذر كل نبات لا يمتص من المواد في الأرض إلا بمقادير موزونة محددة، وبهذا تكلم القرآن عن هذه الحقيقة العلمية: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]. = في الجنة، وميز المؤمن من الكافر في القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصي بمعاصيهم، والمثنة على الرسول ﷺ بصيانته من الشر ونظمه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق في كن فيكون، وكمال مُلك ذي الجلال على كل حال.

٤١- ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ﴾: ودليل لهم ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: يعني: من نجا من ذرية آدم ﴿فِي الْفَلَكِ﴾: في سفينة نوح ﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء. ٤٢- ﴿وَحَلَقْنَاهُمْ﴾: يعني: هؤلاء المشركين ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل ذلك الفلك الذي نُجِّي به نوح ومن معه ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: من المراكب والسفن الصغار. ٤٣- ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾: فلا مغيث لهم ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾: منا إن أغرقناهم. ٤٤- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾: من ربك في إنجائهم من الغرق ﴿وَمَتَّعْنَا إِلَى حِينٍ﴾: إلى حين الموت. ٤٥- ﴿أَتَقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: احذروا ما مضى من نعم الله في الأمم قبل أن يحل بكم ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم. ٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾: من حجة وعلامة على توحيد، وتصديق رسوله ﴿مُعْضِرِينَ﴾: لا يتفكرون فيها. ٤٧- ﴿أَنْطَعُمْ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: كانوا يقولون: أنطعم أموالنا من لو يشاء الله أطعمه وأعطاه؟! ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: ممكن أن يكون من قول الكافرين. أي: من تمام قولهم وكلامهم، والمعنى: إنكم أيها المسلمون في سؤالنا المال وأمرنا بإطعام الفقراء لفي ضلال واضح! ويمكن أن يكون من قول الله للمشركين. ٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: الذي تذكرونه من قيام الساعة والبعث. ٤٩- ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾: نفخة الفزع عند قيام الساعة ﴿وَهُمْ يَخْصَمُونَ﴾: بمعنى: يختصمون. ٥٠- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾: أن يوصوا في أموالهم أحداً، ولا يستطيع من كان خارجاً عن أهله أن يعود إليهم، لأنهم لا يمهلون، ويعجلون بالهلاك. ٥١- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: يعني بهذه النفخة: نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: من القبور ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يخرجون سراعاً. ٥٢- ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾: هذا قول المشركين يومئذ ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾: من أيقظنا ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: من الرقدة بين الصيحتين ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾: قال أهل الهدى والإيمان: هذا ما وعد الرحمن ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾: فيما أخبرونا أنا نبعث. ٤٦ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]. تكررت هذه الآية

مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام ويس، وهي تبين أن هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله جل وعلا وصدق محمد ﷺ في نبوته، وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها. ٤٨ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]. يقول الكافرون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تعدنا به يا محمد، إن كنت أنت ومن أتبعك من الصادقين فيما تعدونا به؟ ٥٢ ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٣٧]. ما في سورة يس من كلام الكفار حين البعث ومعانيتهم ما كذبوا به من قبل، وما في الصفات من قول الله تعالى ردّاً على الكفار وتأيداً لرسالة النبي ﷺ. ٤٠ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠]. كيف نفى تعالى الإدراك عن الشمس للقمر دون عكسه؟ **الجواب:** لأن سير القمر أسرع، فهو يقطع فلكه في شهر، والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، فكانت جدية بأن توصف بنفي الإدراك لبطء سيرها، والقمر خليف بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره. ٤٩ ﴿وَمَا كُنْتُمْ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]. ما الفرق بين: "يختصمون ويخصمون"؟ **الجواب:** وردت كلمة (يختصمون) أربع مرات. ووردت كلمة (يخصمون) مرة واحدة، في سورة [يس: ٤٩]، فلماذا وردت كلمة (يخصمون) مع وجود (يختصمون). **والجواب:** يتنازعون، وقد جاءت على الأصل، ولا تحتاج إلى دليل وتعليل. أما يخصمون: فأصلها يخصمون وأدغمت فيها التاء بالصاد على غير المعهود في قواعد الإدغام فأصبحت (يخصمون). قال الدكتور عودة الله منيع: أرى أن ذلك لسببين: ١- شدة الخصومة التي كانت بين هؤلاء، فإنها لم تكن خصومة بين أصحاب ملة واحدة، وإنما كانت خصومة بين أنصار الحق وأعداء الحق. وشدة الخصومة يرافقها انفعال شديد، والانفعال الشديد يحول بين المرء وبين التعبير الدقيق، وبين إتمام الحروف، كأنهم لشدة انفعالهم يحكون ألفاظهم ويدغمون كلماتهم، فسقطت = لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿قوله تعالى: ﴿لَمَّا﴾ قرئ: ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف والتشديد، فالتخفيف على أن "ما" زائدة، و"اللام" للتأكيد دخلت على خبر "إن" للتفريق بين الخفيفة بمعنى "ما"، والخفيفة من الثقلية، والتقدير: "وإن كلاً لجميع لدينا محضرون"، ومن شدد جعل "لَمَّا" بمعنى "إلا وإن" والتقدير: وما كل إلا جميع لدينا محضرون"، فهو ابتداء وخبر، وقد قال الفراء في القراءة: إن "لَمَّا" أصلها (لمن ما) أدغمت النون في الميم، فاجتمع ثلاث ميمات، حذفت ميم استخفافاً وشبهة كقولهم: (علماء بنو فلان) يريدون (على الماء) فأدغمت اللام في اللام، ثم حذفوا إحدى اللامين استخفافاً. ٣٥ ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمِلَتْهُ﴾ قرئ: (عملت) بغير هاء موافقة لمصاحف أهل العراق لطول الاسم وهي مرادة مقدرة. وقرئ: (عملته) بالهاء موافقة للمصاحف غير العراقية و"ما" موصوفة، أو موصولة، أو نافية، فإن كانت موصولة فالعائد محذوف في القراءة الأولى، وكذا إن كانت موصوفة، أي: ومن الذي عملته، أو أي شيء عملته، فالهاء لـ "ما"، إن كانت نافية، فعلى الأولى: لا ضمير، وعلى الثانية: الضمير يعود على ثمر في قوله: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾. ٣٩ ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَازَلَتْ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرُ﴾ قرئ: (والقمر) بالرفع على الابتداء. وقرئ: (والقمر) بالنصب بإضمار فعل الاشتغال والتقدير: وقدرناه. ٤٩ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ قرئ: (يخصمون) بفتح الباء وإسكان الخاء وتشديد الصاد، فيجمع بين ساكنين = ٣٧ ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ لَّهُمْ إِنْ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَعَتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

انسلاخ النهار: حسبما تشير إليه الآيتان الكريمتان فإن الكون غارق في الظلام الداكن، وإن كنا في وضوح النهار على سطح الأرض، ولقد شاهد العلماء الأرض وباقي الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية مضاءة في وضوح النهار، بينما السماوات من حولها غارقة في الظلام، فمن كان يدري أيام محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الظلام هو الحالة المهيمنة على الكون؟ وأن هذه المجرات والنجوم ليست إلا مصابيح صغيرة واهنة لا تكاد تبدد ظلام الكون الدامس المحيط بها، فبدت كالزينة والمصابيح لا أكثر؟ وعندما قرئت هذه الآيات على مسمع أحد العلماء الأمريكيين بهت وازداد إعجابه إعجاباً ودهشته دهشة بجلال وعظمة هذا القرآن، وقال فيه: لا يمكن أن يكون هذا القرآن إلا كلام مصمم هذا الكون، العليم بأسراره ودقائقه. ولقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل

إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتُكْفَرُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكَّهَةٌ وَهُمْ مَائِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتَبَيَّءَ آدَمُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ عَبَدُوهُ هَذَا اضِرْطُّوا مُسْتَقِيرٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعْمَرَهُ نَكَسَّصْنَا فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِنُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

٥٥- ﴿فِي شُغْلٍ فَتُكْفَرُونَ﴾: فرحون بما هم فيه من نعيم. وقيل: في شغل عما هم فيه أهل النار.
٥٦- ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾: حلالهم من أهل الجنة ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾: لا يضحون لشمس، كأهل الدنيا، لأنه لا شمس في الجنة. ٥٧- ﴿وَهُمْ مَائِدَعُونَ﴾: يتمنون. ٥٨- ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾: من الله عز وجل، يسلم الله عليهم، فيردون عليه السلام. ٥٩- ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ﴾: انزعزوا وتميزوا من المؤمنين ﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: فإنكم واردون غير مواردكم. ٦٠- ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: صد الشيطان عن طاعتي ﴿وَأَنْ عَبَدُوهُ﴾: يعني: يوم القيامة ﴿هَذَا اضِرْطُّوا مُسْتَقِيرٌ﴾: احترقوا بها وردوها. ٦١- ﴿لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾: نطبع على أفواه المشركين فلا تنطق ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: في الدنيا من الآثام. ٦٢- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾: فتركناهم عمياً يترددون، و«الطمس» على العين: ألا يكون بين جفني العين شق ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾: فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطريق، وقد طمسنا على أعينهم؟ ٦٣- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾: لبذلنا خلقتهم لتصير كالقردة والخنازير ونحوه مما تقدم في بني إسرائيل وغيرهم. وقيل: المعنى: لأفعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا﴾: أمامهم، ولا رجوعاً وراءهم. ٦٤- ﴿وَمَنْ نَعْمَرَهُ﴾: نغسله في العمر ﴿نَكَسَّصْنَا فِي الْخَلْقِ﴾: نرده في الهرم والكبر إلى مثل حاله في الصبا، فلا يعلم شيئاً بعد ما كان يعلمه من العلم، وهو النكس. ٦٥- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾: أن يكون شاعراً؛ لأنه ليس لقبيلة من قبائل العرب شاعراً، ولكنه للإنسانية جمعاء رسولٌ نبى. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾: يعني عز وجل: ما جاءكم به محمد يتبين من تدبره أنه تنزيل من الله. ٦٦- ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾: حي القلب بفعل ما يقال ﴿وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ﴾: يجب. العذاب. = بعض حروفها.. وأدغمت بعض حروفها.. ٦٧- أن الصيحة داهمتهم وهم يختصمون فأرتج عليهم لشدة وقعها عليهم ومفاجأتها لهم فالتفت ألسنتهم، واضطربت ألفاظهم... وتداخلت حروف كلماتهم. فقالوا: ﴿يَخْصِمُونَ﴾ بدل أن يقولوا ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾. فكان الإدغام

في كلمة (يَخْصِمُونَ) يحكي إشارة عما صاروا إليه من اضطراب في الأصوات، وتداخل بينها، سواء في حالتهم الأولى (حالة الانفعال الشديد)، أو الحالة الثانية (حالة الإرتاج عليهم التي زادت الانفعال انفعالاً، وقادت إلى الاضطراب التام، وعدم استيفاء الحجج). [٥٦] ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ﴾ [يس: ٥٦]. كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك، والظل إنما يكون لما تقع عليه الشمس، ولا شمس في الجنة، لقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ [الإنسان: ١٣]؟ [الجواب: ظل أشجار الجنة من نور قناديل العرش، أو من نور العرش لثلا تبهر أبصارهم، فإنه أعظم من نور الشمس. ٦٥] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. قوله: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، سمي نطق اليد كلاماً، ونطق الرجل شهادة؛ لأن الغالب في اليد كونها فاعلة، وفي الرجل كونها حاضرة، وقول الفاعل على نفسه إقرار لا شهادة، وقول الحاضر على غيره شهادة. [٦٨] ﴿وَمَنْ نَعْمَرَهُ نَكَسَّصْنَا فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨]. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم. = وعليه العراقيون قاطبة. وقرئ: باختلاس فتحة الخاء تنبيهاً على أن أصلها السكون مع تشديد الصاد، وهو الذي أجمع عليه المغاربة لأبي عمرو. وقرئ: (يَخْصِمُونَ) بفتح الياء مع تشديد الصاد وأصلها في هذه القراءة. وقرئ: بفتح الياء، واختلاس فتحة الخاء مع تشديد الصاد، وأصلها في هذه القراءة (يَخْصِمُونَ) أدغمت التاء في الصاد، ثم حذفت حركتها، فالتقى ساكنان فكسر أولهما. وقرئ: (يَخْصِمُونَ) بكسر الياء والخاء معاً؛ لأنه لما أدغم التاء في الصاد فكسر الصاد فكسر الخاء لالتقاء الساكنين ولم يلق حركة التاء على الخاء؛ وكسر الياء تبعاً لكسر الخاء. وقرئ: (يَخْصِمُونَ) بفتح الياء وسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم، أي: يخصم بعضهم بعضاً فالمفعول محذوف. [٥٢] ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعْثَنَا مِنْ مَرْقَدًا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿مَرْقَدًا﴾ قرئ: بالسكت على ألف مرقدنا وعدمه، وتقديم الكلام عليها في باب السكت على الساكن قبل الهمزة وغيره. [٥٥] ﴿إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتُكْفَرُونَ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿فَتُكْفَرُونَ﴾ و﴿فَتُكْفَرُونَ﴾ هنا و"الدخان ٢٧: و"الطور: ٢٨" و"المطففين: ٣١" قرئ: (فكهنون-فكهين) بلا ألف بعد الفاء فيها كلها صفة مشبهة من فكه بمعنى فرح أو عجب أو تلذذ أو تفكه. وقرئ: (فاكهون-فاكهين) بالألف في الجميع اسم فاعل بمعنى أصحاب فاكهة كالأبن، وتامر، ولأحم، أي: أصحاب لبن، وتمر، ولحم. [٥٦] ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾ قرئ: (ظلل) بضم الظاء وحذف الألف جمع ظلة نحو غرفة وغرفة وحلة وحلل. وقرئ: (ظلال) بكسر الظاء والألف جمع ظل كذئب وذئاب، أو جمع ظلة كقطة وقلال. [٦٢] ﴿لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿جِبِلًّا﴾ قرئ: (جِبَلًا) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام على أنه جمع جبلة، وهي الخلق، جعله جمعاً بينه وبين واحده الهاء. وقرئ: (جُبَلًا) بضم الجيم وتخفيف اللام: جمع جبيل وهو كرجيف ورغف. وقرئ: (جُبَلًا) بضمها = مكان، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي تتكون بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزئيات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار، فيحدث بهذا الدوران سَلَخُ النهار من الليل. [٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]. جريان الشمس: أثبت العلم الحديث أن الشمس تسير بسرعة ٤٣٢٠٠ ميل في الساعة، وبما أن المسافة بيننا وبين الشمس ٩٢ مليون ميل، فإننا نراها ثابتة لا تتحرك، وقد دهش بروفيسور أمريكي لدى سماعه تلك الآية القرآنية، وقال: إني لأجد صعوبة بالغة في تصور ذلك العلم القرآني الذي توصل إلى مثل هذه الحقائق العلمية التي لم يتمكن منها إلا منذ عهد قريب. وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو تقريرها بأن الشمس في حالة جريان وسُيِّح في الكون، وهذا ما كشف عنه علم الفلك الحديث بعد قرون من نزول القرآن الكريم. [٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]. منازل القمر: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن القمر ينتقل في منازل معلومة حتى يعود هلالاً وهو المعبر عنه في الآية بـ"العرجون القديم" والعرجون القديم: هو سباطة النخلة إذا قدمت وبيست واعوجت، وهي بشكلها هذا تشبه الهلال الذي ينتهي إليه القمر، "وقدر القمر منازل" فأول ما يبدو ويبدو صغيراً ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته في تمام شهر. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

٧١- ﴿وَمَا عَمِلْتَ آيَاتًا﴾: مما خلقنا من الخلق وأبدعناه من غير واسطة ولا شريك. وإسناد العمل إلى «الأيدي» مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق. ﴿أَنْعَمًا﴾: الأنعام: جمع نعم، وهي البقر والإبل والغنم. ٧٢- ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: سخرناها ذليلة. ٧٣- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: في أصوافها وأوبارها وغير ذلك. ﴿وَشَارِبٌ﴾: من البانها. ٧٤- ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: طمعاً أن تنصرهم تلك الآلهة إن حزبهم أمر، أو نزل بهم عذاب. ٧٥- ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾: المشركون جند للأصنام يحضرونهم في الدنيا ويدفعون عنهم، وقيل: يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم شراً. ٧٧- ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: ذو خصومة ﴿مُتَبَيِّنٌ﴾: لمن سمع خصومته، وقوله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه! ٧٨- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: قيل: نزلت في أبي بن خلف، أتى إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففتنه بين يديه، ثم ذراه في الريح، فقال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله يحييه، ثم يميتك، ثم يدخلك النار». وقيل: إن العاص بن وائل كان القاتل ذلك. ٨٣- ﴿فَسُبْحَنَّ الَّذِي يَبْدُوهُ﴾: تنزيه للذي بيده ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ملكه وخزائنه.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتنه، فقال: يا محمد أبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: «نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم». فنزلت الآيات ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عن مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي نحوه، وسَمُوا الإنسان أبي بن خلف. [٧٦] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْفِئْرَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥]، ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]. تشابهاً في الوقف على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ في السورتين؛ لأن الوقف عليه لازم، وإن فيهما مكسورة بالابتداء بالحكاية، ومحكي القول محذوف، ولا يجوز الوصل؛ لأن النبی ﷺ منزه من أن يخاطب بذلك.

[٧١] ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [يس: ٧١]. ما الفرق بين: «عَمِلَ وَفَعَلَ»؟ **الجواب: ١-** (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقال في المكروه. بينما تستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسندت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة، ولكن ما يجيء مسنداً إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله، أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديساً لله وتنزيهاً له - سبحانه وتعالى - . لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ **والجواب:** أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العمل (كما قال بعض أهل العلم) يحتاج إلى تفكير ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صورته واختيار ما يهدي إليه النظر فيها، والله - سبحانه وتعالى - لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ٢- العامل قد يعمل له غيره (أي يقوم بعمله غيره)، والله غني عن العالمين. ٣- العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقير إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ **الجواب:** ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعل) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعل) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. [٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧٣]. **من ثمرات الشكر:** ١- الزيادة من الله عز وجل. ٢- حفظ النعم ودوامها، ومن المأثورات التي يتناقلها الناس، وبالشكر تدوم النعم. ٣- الجزاء الذي ادخره الله تعالى للشاكرين. ٤- شكر الله تعالى لهم سعيهم. ٥- الشاكرون خاصة الله وأجابه؛ لأنهم في عالم العباد قليل. ٦- فرح الشاكرين وشوقهم لما خبي لهم من عظيم الجزاء وشوقهم لنيله. ٧- إكثارهم من صنائع المعروف في العباد، فشكرهم نفع لمن حولهم من الناس. ٨- لا يجحدون معروفًا وفد إليهم من أحد، بل تلهج ألسنتهم بشكر من فعله معهم. ٩- الصبر والحلم خلق الشاكرين، فتراهم يسعون في حاجة الخلق من حولهم، ويتحملون ما يصدر عنهم من إساءة، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة. تخلقاً بأخلاق الله. ١٠- الكرم والسخاء دأب الشاكرين، تخلقاً بخلق الله وتأسياً برسوله ﷺ. **أركان الشكر:** الشكر مبني على ثلاثة أركان: ١- الاعتراف بالنعمة باطنًا. ٢- التحدث بها ظاهرًا. ٣- تصرفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. = وتشديد اللام، وقرئ: بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام وكلها لغات معناها: الخلق، وهو الجماعة من الناس. [٦٨] ﴿وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ قوله تعالى: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ قرئ: (نُنَكِّسْهُ) بضم الأول وفتح الثاني وتشديد الثالث وكسره، مضارع نَكَسَ، والتكثير تنبيهاً على تعدد الرد من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة إلى الهرم. وقرئ: (نُنَكِّسْهُ) بفتح الأول وإسكان الثاني وضم الثالث وتخفيفه، مضارع نَكَسَ كنصره، أي: ومن يطل عمره نرده من قوة الشباب ونضارته إلى ضعف الهرم ونحولته، وهو أرذل العمر الذي فيه تضعف قواه حتى يعدم الإدراك، وقيل: المخفف أكثر استعمالاً من المشدد. [٧٠] ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ﴾ هنا، و«الأحقاف» قرئ: (لتنذر) بالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم في الموضوعين. وقرئ: (لينذر) بالغيب، والضمير للقرآن أو للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه نذير لمن أنزل إليهم. [٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقْدِرُ﴾ هنا، و«الأحقاف»: ٣٣ قرئ: (يقدر) بياء تحتية مفتوحة وإسكان القاف بلا ألف وضم الراء فيها مضارعاً من قَدَرَ كضرب. وقرئ: (بقادر) بياء موحدة مكسورة وفتح القاف وألف بعدها، وخفض الراء منونة اسم فاعل. [٦٦] ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ قوله تعالى: ﴿زِينَةَ﴾ قرئ: (بزينة) منونا ونصب «الكواكب» فيحتمل أن تكون الزينة مصدرًا و«الكواكب» مفعولاً به، فأعملها في «الكواكب» كقوله تعالى: ﴿أَوْ اطَّعْنِي فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَرٍ يَبِيتُهَا﴾ والفاعل محذوف، أي: بأن زين الله سبحانه وتعالى الكواكب في السماء في كونها مضيئة حسنة في أنفسها، أو أن الزينة اسم لما يزان به، = [٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها؛ مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا عَمِلْتَ آيَاتًا أَنْعَمًا لَهُمْ مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَكُونُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصُرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَخَلْقَتْهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرَةَ الْأَخْضَرَ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَّ الَّذِي يَبْدُوهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُبْحَانَ الصَّغَارَاتِ ﴿٨٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ قَالَ زَجَرْتَ زَعْرًا ﴿٢﴾ فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا ﴿٣﴾
 إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
 الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِنَوَّارِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
 مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْآعْلَى وَيَقْدِفُونَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خُفِطَ
 الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
 أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
 وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ
 ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْهُ ﴿١٥﴾ أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا عَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ ﴿١٨﴾ فَأَنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا هَذَا
 يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكَذُّبُوكَ ﴿٢١﴾
 أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْجَحَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

٤٤٦

١- ﴿وَالصَّفَّاتِ﴾: هي الملائكة الصافات لربها في السماء، وهي جمع صَافَّة، فالصافات: جمع جمع
 ﴿صَفًّا﴾: صفوفاً في السماء. ٢- ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾: قيل: الملائكة تزجر السحاب فتسوقه، أو تزجر عن
 المعاصي. ٣- ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾: القارئ كتاباً. وقيل: هي الملائكة، التي تتلو القرآن. وهذه أقسام
 أقسم الله بها. ٥- ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾: مدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف، ومغاربها. وقيل:
 مشارق النجوم والكواكب. واستغنى بذكر «المشرق» عن «المغرب» لدلالة الكلام عليها.
 ٧- ﴿وَحِفْظًا﴾: لها ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾: عات خبيث، خارج عن الطاعة. ٨- ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾:
 يستمعون. ﴿إِلَى آلِهَا الْآعْلَى﴾: إلى جماعة الملائكة التي هي أعلى ممن هم دونهم ﴿يَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ
 جَانِبٍ﴾: من جوانب السماء. ٩- ﴿دُخُورًا﴾: مصدر «دحرت» أي دفعته وأبعدته وطردته، يدرحونها
 عن الاستماع ﴿وَلَهُمْ﴾: يعني: الشياطين المستركة للسمع ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائم. ١٠- ﴿إِلَّا مَنْ خُفِطَ
 الْخُطْفَةُ﴾: إلا من استرق السمع منهم، والخطف: الاختلاس مسارقة، وأخذ الشيء بسرعة، ﴿فَاتَّبَعَهُ
 شَهَابٌ﴾: من نار ﴿ثَاقِبٌ﴾: متوقد. ١١- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: يعني فاستفت المشركين المنكرين للبعث
 ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾: أخلقهم أشد أم خلق من عددا خلقه من الملائكة والسموات والأرض؟ ﴿مِنْ
 طِينٍ لَازِبٍ﴾: لاصق، وُصف باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق عز وجل آدم. ١٢- ﴿بَلْ عَجِبْتَ
 وَيَسْخَرُونَ﴾: بل عجبت يا محمد عما أعطاك الله من الفضل بهذا القرآن، وهم
 يسخرون به. ١٣- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾: يحجج الله عليهم ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: لا يتفعلون بالتذكير.
 ١٤- ﴿يَسْتَسْخَرُونَ﴾: يستهزئون بها، وببالغون في السخرية. ١٥- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: يستهزئون بهم، ويبالغون في السخرية. ١٦- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ١٧- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ١٨- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ١٩- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ٢٠- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ٢١- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ٢٢- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ٢٣- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر. ٢٤- ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ أَرْبَابًا وَكُنَّا نُرَبِّا وَعَظَمًا
 أَمْ نَالِ الْمَعُونَةَ﴾: صاغرون أشد الصغر.

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٢٥- ﴿مَالِكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضهم بعضاً. ٢٦- ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ﴾: لقضاء الله تعالى فيهم، موقنون بعذابه. ٢٧، ٢٨- ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾: أي: اقبل بعض الكفار على بعض يسأل سؤال تقريع وخاصة. وقيل: اقبل الإنس على الجن، قائلين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: من قبل الدين والحق، فتصدوننا عنه وتخدعوننا بأقوى الوجوه. ٢٩، ٣٠- ﴿قَالُوا﴾: قالت الجن للإنس: ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة تحول بها بينكم وبين الإيمان. ٣١- ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: وجب علينا ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾: عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾- نحن وأنتم- العذاب. ٣٢- ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ﴾: أضللناكم عن سبيل الله ﴿إِنَّا كَاغِبُونَ﴾: ضالين. ٣٥، ٣٦- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن القول، ويصرون على البقاء على الشرك. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ يَحْنُونُ﴾: يعنون النبي ﷺ. وهذا الجمع يدل على مدى حقدهم وتخبطهم والتباث عقولهم. ٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصهم الله لتوحيده وطاعته ورحمته. ٤٥- ﴿يَكُلِّينَ مِنْ مَعِينٍ﴾: من خمر جارية ظاهرة لأعينهم. وقيل: كل «كأس» في القرآن فهو خمر. ٤٧- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: ليس في هذه الخمر غول تغتال عقول شاربيها، أي ثذبتها كخمر الدنيا، ولا يلحقهم منها أذى ﴿يَنْزِفُونَ﴾: بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم، يقال: رجل منزوف: إذا ذهب عقله من السكر، و«ينزفون» بكسر الزاي، ولا هم عن شربها ينشد شرابهم. ٤٨- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الظَّرْفِ﴾: نساء قصرن أبصارهن وعقولهن على بعلتهن، فلا يزدن غيرهم ﴿عَيْنٌ﴾: نُجْلُ العيون عظامها، وهي جمع «عيناء». ٤٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾: شبههن بباطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر. وقيل: عنى بالبيض اللؤلؤ، وبه شبههن في بياضه وصفائه. ﴿مَكْنُونٌ﴾: تقول العرب لكل مصون: مكنون. ٥٠- ﴿فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾: بعض أهل الجنة على بعض. ٥١- ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحب من بني آدم.

= في الآية الأولى، والله أعلم. [١٧] ﴿أَوَّابًا وَأَوَّلًا﴾ [الصفات: ١٧، الواقعة: ٤٨]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصفات والواقعة، والآية تبين جحود الكفار للبعث وقولهم: أُنْبِثْ نحن وأبائنا الأقدمون الذين صاروا تراباً، قد تفرق في الأرض؟ [٢١] ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصفات: ٢١]، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨]. فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرونه، فهذا ما دلت عليه آية الصفات، أما آية المرسلات: هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية. [٢٧] ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾ [الصفات: ٢٧، الطور: ٢٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصفات والطور، وآية الصفات في حق الكافرين يوم القيامة، وأنه يقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون في هذا اليوم، وآية الطور في حق أهل الجنة وأنهم يسألون بعضهم بعضاً عن عظيم ما هم فيه وسببه. [٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصفات: ٣٤]، ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]. ما في سورة الصفات حيل بين الضمير وبين "كذلك" بقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ أَلْعَابٌ مُثْتَرِكُونَ﴾ [الصفات: ٣٣] فأعاد، وفي المرسلات متصل بالأول، وهو قوله: ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ١٨] فلم يحتج إلى إعادة الضمير. [٣٧] ﴿... هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٣٧]. ما في سورة يس من كلام الكفار = [٢٧] ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسَاءَ لَوْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾ [الصفات: ٢٧]. لا تعارض بين الآيتين؛ لأن في القيامة مواقف متعددة، ففي بعضها لا يتساءلون لا اشتغال كل بنفسه، وفي بعضها الآخر يتساءلون. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [تكررت بالصفات ٤ مرات]. ما الفرق بين كلمة "المخلصين" بفتح اللام وكلمة "المخلصين" بكسر اللام؟ الجواب: كلمة "المخلصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما "المخلصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. [٤٥] ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصفات: ٤٥]. ما الفرق بين: "يطوف - يطاف"؟ الجواب: وردت صيغة (يطوف) فعلاً مضارعاً مبنياً للمعلوم (ثلاث مرات). ووردت صيغة (يطاف) فعلاً مضارعاً مبنياً للمجهول. فما فائدة كل منهما في موضعه؟ ولماذا اختلفت الصيغة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول مع أن المطوف عليهم هم الأبرار في الحالتين؟ ولماذا تقدمت صيغة المبني للمجهول في سورة الإنسان ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] على صيغة المبني للمعلوم في نفس السورة ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ تَحْذَرُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِثْتُمْ لَوْ لَوْ مَثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]. والمعهود أن يأتي المبني للمعلوم قبل = ولا يسمعون شيئاً. [١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَجِبْتَ﴾ قرئ: (عجبت) بقاء المتكلم المضمومة، أي: قل يا محمد: بل عجبت، أو أن هؤلاء من رأى حالهم يقول: عجبت؛ لأن العجب لا يجوز عليه تعالى على الحقيقة، فهو انفعال النفس من أمر عظيم خفي سببه، وإسناده له تعالى في الأحاديث مؤول بصفة تليق بكماله مما يعلمه هو كالضحك والتبشيش ونحوهما، فاستحالة إطلاق ما ذكر عليه تعالى محمولة على تشبيهه بصفات المخلوقين، وحينئذ فلا إشكال في إبقاء التعجب هنا على ظاهره مسنداً إليه تعالى على ما يليق به منزهاً عن صفات المحدثين كما هو طريق السلف الأسلم. وقيل: إن ضم التاء على رد العجب إلى كل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقربين بالبعث، وعلى ذلك أتى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ﴾ أي: فعجب قولهم عندهم وفيما تفعلون، وقد أنكر شريح وهو مقرئ الشام هذه القراءة، وتأولها على رد الإعجاب إلى الله، ورأى أن الأمر ليس على ذلك، وإنما الإعجاب في القراءة بالضم إنما هو للمؤمنين مضافاً لكل واحد منهم. وقرئ: (عجبت) بفتحها والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم، أي: بل عجبت من قدرة الله تعالى أو من إنكارهم البعث مع اعترافهم بالخالق. [١٧] ﴿أَوَّابًا وَأَوَّلًا﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَّابًا﴾ قرئ: (أوَّاباً) بإسكان الواو فيها على أنها العاطفة التي لأحد الشيتين. وقرئ: (أوَّاباً) بفتحها فيها على أن العطف بالواو وأعيدت معها همزة الإنكار، و«أبأونا» عليهما مبتدأ خبره محذوف، أي: مبعوثون، لدلالة ما قبله عليه، والزمخشري: جعله عطفاً على محل "إن واسمها" أو على ضمير "مبعوثون". = الملائكة والمصلين للعبادة، ودلائل الوحدانية، ورجم الشياطين، ودلَّ الظالمين، وعزَّ المطيعين في الجنان، وقهر المجرمين في النيران، ومعجزة نوح، وحديث إبراهيم، وفداء إسماعيل في جزاء الانقياد، وبشارة إبراهيم بإسحاق، والمنَّة على موسى وهارون بإيتاء الكتاب، =

٢٥- ﴿مَالِكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضهم بعضاً. ٢٦- ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ﴾: لقضاء الله تعالى فيهم، موقنون بعذابه. ٢٧، ٢٨- ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾: أي: اقبل بعض الكفار على بعض يسأل سؤال تقريع وخاصة. وقيل: اقبل الإنس على الجن، قائلين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: من قبل الدين والحق، فتصدوننا عنه وتخدعوننا بأقوى الوجوه. ٢٩، ٣٠- ﴿قَالُوا﴾: قالت الجن للإنس: ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة تحول بها بينكم وبين الإيمان. ٣١- ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: وجب علينا ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾: عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾- نحن وأنتم- العذاب. ٣٢- ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ﴾: أضللناكم عن سبيل الله ﴿إِنَّا كَاغِبُونَ﴾: ضالين. ٣٥، ٣٦- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن القول، ويصرون على البقاء على الشرك. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ يَحْنُونُ﴾: يعنون النبي ﷺ. وهذا الجمع يدل على مدى حقدهم وتخبطهم والتباث عقولهم. ٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصهم الله لتوحيده وطاعته ورحمته. ٤٥- ﴿يَكُلِّينَ مِنْ مَعِينٍ﴾: من خمر جارية ظاهرة لأعينهم. وقيل: كل «كأس» في القرآن فهو خمر. ٤٧- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: ليس في هذه الخمر غول تغتال عقول شاربيها، أي ثذبتها كخمر الدنيا، ولا يلحقهم منها أذى ﴿يَنْزِفُونَ﴾: بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم، يقال: رجل منزوف: إذا ذهب عقله من السكر، و«ينزفون» بكسر الزاي، ولا هم عن شربها ينشد شرابهم. ٤٨- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الظَّرْفِ﴾: نساء قصرن أبصارهن وعقولهن على بعلتهن، فلا يزدن غيرهم ﴿عَيْنٌ﴾: نُجْلُ العيون عظامها، وهي جمع «عيناء». ٤٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾: شبههن بباطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر. وقيل: عنى بالبيض اللؤلؤ، وبه شبههن في بياضه وصفائه. ﴿مَكْنُونٌ﴾: تقول العرب لكل مصون: مكنون. ٥٠- ﴿فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾: بعض أهل الجنة على بعض. ٥١- ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحب من بني آدم.

= في الآية الأولى، والله أعلم. [١٧] ﴿أَوَّابًا وَأَوَّلًا﴾ [الصفات: ١٧، الواقعة: ٤٨]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصفات والواقعة، والآية تبين جحود الكفار للبعث وقولهم: أُنْبِثْ نحن وأبائنا الأقدمون الذين صاروا تراباً، قد تفرق في الأرض؟ [٢١] ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصفات: ٢١]، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨]. فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرونه، فهذا ما دلت عليه آية الصفات، أما آية المرسلات: هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية. [٢٧] ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾ [الصفات: ٢٧، الطور: ٢٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصفات والطور، وآية الصفات في حق الكافرين يوم القيامة، وأنه يقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون في هذا اليوم، وآية الطور في حق أهل الجنة وأنهم يسألون بعضهم بعضاً عن عظيم ما هم فيه وسببه. [٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصفات: ٣٤]، ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]. ما في سورة الصفات حيل بين الضمير وبين "كذلك" بقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ أَلْعَابٌ مُثْتَرِكُونَ﴾ [الصفات: ٣٣] فأعاد، وفي المرسلات متصل بالأول، وهو قوله: ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ١٨] فلم يحتج إلى إعادة الضمير. [٣٧] ﴿... هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٣٧]. ما في سورة يس من كلام الكفار = [٢٧] ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسَاءَ لَوْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ﴾ [الصفات: ٢٧]. لا تعارض بين الآيتين؛ لأن في القيامة مواقف متعددة، ففي بعضها لا يتساءلون لا اشتغال كل بنفسه، وفي بعضها الآخر يتساءلون. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [تكررت بالصفات ٤ مرات]. ما الفرق بين كلمة "المخلصين" بفتح اللام وكلمة "المخلصين" بكسر اللام؟ الجواب: كلمة "المخلصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما "المخلصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. [٤٥] ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصفات: ٤٥]. ما الفرق بين: "يطوف - يطاف"؟ الجواب: وردت صيغة (يطوف) فعلاً مضارعاً مبنياً للمعلوم (ثلاث مرات). ووردت صيغة (يطاف) فعلاً مضارعاً مبنياً للمجهول. فما فائدة كل منهما في موضعه؟ ولماذا اختلفت الصيغة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول مع أن المطوف عليهم هم الأبرار في الحالتين؟ ولماذا تقدمت صيغة المبني للمجهول في سورة الإنسان ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] على صيغة المبني للمعلوم في نفس السورة ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ تَحْذَرُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِثْتُمْ لَوْ لَوْ مَثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]. والمعهود أن يأتي المبني للمعلوم قبل = ولا يسمعون شيئاً. [١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَجِبْتَ﴾ قرئ: (عجبت) بقاء المتكلم المضمومة، أي: قل يا محمد: بل عجبت، أو أن هؤلاء من رأى حالهم يقول: عجبت؛ لأن العجب لا يجوز عليه تعالى على الحقيقة، فهو انفعال النفس من أمر عظيم خفي سببه، وإسناده له تعالى في الأحاديث مؤول بصفة تليق بكماله مما يعلمه هو كالضحك والتبشيش ونحوهما، فاستحالة إطلاق ما ذكر عليه تعالى محمولة على تشبيهه بصفات المخلوقين، وحينئذ فلا إشكال في إبقاء التعجب هنا على ظاهره مسنداً إليه تعالى على ما يليق به منزهاً عن صفات المحدثين كما هو طريق السلف الأسلم. وقيل: إن ضم التاء على رد العجب إلى كل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقربين بالبعث، وعلى ذلك أتى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ﴾ أي: فعجب قولهم عندهم وفيما تفعلون، وقد أنكر شريح وهو مقرئ الشام هذه القراءة، وتأولها على رد الإعجاب إلى الله، ورأى أن الأمر ليس على ذلك، وإنما الإعجاب في القراءة بالضم إنما هو للمؤمنين مضافاً لكل واحد منهم. وقرئ: (عجبت) بفتحها والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم، أي: بل عجبت من قدرة الله تعالى أو من إنكارهم البعث مع اعترافهم بالخالق. [١٧] ﴿أَوَّابًا وَأَوَّلًا﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَّابًا﴾ قرئ: (أوَّاباً) بإسكان الواو فيها على أنها العاطفة التي لأحد الشيتين. وقرئ: (أوَّاباً) بفتحها فيها على أن العطف بالواو وأعيدت معها همزة الإنكار، و«أبأونا» عليهما مبتدأ خبره محذوف، أي: مبعوثون، لدلالة ما قبله عليه، والزمخشري: جعله عطفاً على محل "إن واسمها" أو على ضمير "مبعوثون". = الملائكة والمصلين للعبادة، ودلائل الوحدانية، ورجم الشياطين، ودلَّ الظالمين، وعزَّ المطيعين في الجنان، وقهر المجرمين في النيران، ومعجزة نوح، وحديث إبراهيم، وفداء إسماعيل في جزاء الانقياد، وبشارة إبراهيم بإسحاق، والمنَّة على موسى وهارون بإيتاء الكتاب، =

يَقُولُ أَتَيْتُكَ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٤﴾ أَذْ ذَا مَنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَتَيْتُكَ لِمَدِينُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَطْلَعُ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٩﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ ﴿٦٠﴾ إِلَّا أَمَوْنَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفُورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٢﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٤﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٦﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَتَيْنَهُمْ لَاجِبُوكُمْ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ الْبُطُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ إِنْ لَهُمْ عَلَيْهَا نُشُوبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ إِنْ مَرَجَعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَفُؤَاءُ آبَاءِهِمْ ضَالِّينَ ﴿٧١﴾ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٤﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٥﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٧﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾

٥٣- ﴿أَوَ تَالْمَدِينُونَ﴾: محاسبون ومجزون. ٥٤- ﴿قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ﴾: قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: ﴿هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ﴾: في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: أنتك لمن المصدقين» ٥٥، ٥٧- ﴿قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: في وسط الجحيم، فلما رأى قرينه في النار ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾: لتهلكني بصدق إياي عن الإيمان. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: علي بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: معك في عذاب الله. ٥٨، ٥٩- ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ﴾: يقول هذا المؤمن: أفما نحن بميتين غير ﴿مَوْنَتُنَا الْأُولَى﴾: في الدنيا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾: بعد دخولنا، وقوله هذا على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذي لا ينقطع. وأنهم مخلصون. ٦٠- ﴿إِنْ هَذَا﴾: الذي أعطانا الله ﴿هُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ﴾: هو النجاء العظيم. ٦٢، ٦٣- ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا﴾: يقول الله تبارك وتعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين خير؟ - «والتزل»: الرزق والفضل - «أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟! فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾: هؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة الشجرة. ٦٥- ﴿طَلْعُهَا﴾: أي ثمرها وما تحملها، في قبحة وسماجته ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾: مثل يقال في تقبيح الشيء: كأنه شيطان. ٦٧- ٦٨- ﴿لَشُوبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾: وهو الخلط، من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه، إذا مزجه. «من حميم»: من ماء محموم، وهو الذي قد سُخِّنَ فاتتهى حره ﴿ثُمَّ إِنْ مَرَجَعَهُمْ﴾: ما بهم ومصيرهم. ٦٩، ٧٠- ﴿فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ﴾: يسرعون ويستعجلون إليه. ٧٥- ﴿فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾: أجابه الله، أي: فلنعم المجيبون له كنا.

٦٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّا شَجَرَةَ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أخرج ابن جرير، عن قتادة قال: قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا، إن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿إِنَّا شَجَرَةَ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ الآية. وأخرج نحوه عن السدي.

= حين البعث ومعايشتهم ما كذبوا به من قبل، وما في الصفات من قول الله تعالى ردًا على الكفار وتأيدًا لرسالة النبي ﷺ. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [تكررت بالصفات ٤ مرات]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورة الصفات أربع مرات، وهي تبين أن عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، قد اختصهم الله برحمته؛ وإنهم ناجون من العذاب الأليم. [٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصفات: ٤٣، الواقعة: ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصفات والواقعة، والآية تتحدث عن أهل الجنة، وأنهم مكرمون فيها بكرامة الله لهم في هذا النعيم الدائم. [٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظُّرُفِ عِذْنٌ﴾ [الصفات: ٤٨]، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظُّرُفِ أَزْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢]. وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرون إلى غير أزواجهن حسان الأعين، فهذا ما دلت عليه آية الصفات، أما آية ص: وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْنَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الصفات: ٥٩]، ﴿إِلَّا مَوْنَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]. أحقًا أننا مخلصون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم لهو الظفر العظيم، فهذا ما دلت عليه الصفات، أما آية الدخان: إن هؤلاء المشركين من قومك أيها الرسول ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب.

= المبني للمجهول. والإجابة: أن المبني للمجهول (بطاف) كان المقصود به الشيء المطوف به ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوفُوا بِحُكْمِ رَبِّكُمْ﴾ أما عن البناء للمعلوم (ويطوف) فكان المقصود به الطائف ﴿وَلَدَانِ مَخْلُودُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾. وأيضًا: السياق الذي ورد فيه الفعل المبني للمجهول (بطاف) كان في تعداد النعم التي يتمتع بها المؤمن في الجنة، فالله - تعالى - جزاهم جنة دانية ظللها، ودللت قطفها تذليلًا، يلبسون فيها حريرًا ويتكئون على الأرائك فيها، فناسب ذلك أن تذكر آنية الفضة والأكواب والقوارير التي كانوا يشربون فيها فهي من جملة النعم.. فإذا انتهى من تعداد ذلك، كان لائقًا ومناسبًا التعقيب بذكر هؤلاء الغلمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين في الجنة ويقدمون لهم من ألوان النعم ما ذكر. وإنه لمن المعقول - حقًا - أن يتقدم تعداد النعم على من يقومون بتقديمها؛ لأن من طبيعة الأشياء ألا يكون للمرء خدمٌ وحشمٌ إلا إذا كان صاحب نعمة. [٤٣-٤٩] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ...﴾ [الصفات: ٤٣-٤٩]. يقول ابن القيم في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي مناد يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيي على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء - على كئيبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة = [٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنْزَفُونَ﴾ هنا، و"الواقعة: ١٩" قرئ: ﴿يُنْزَفُونَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي في الموضعين من أنزف الرجل: ذهب عقله من السكر وأنفد شرابه. وقرئ: ﴿يُنْزَفُونَ﴾ بضم الياء وفتح الزاي فهما من نزف الرجل ثلاثيًا مبنياً للمفعول، بمعنى: سكر وذهب عقله أيضًا، أو من قولهم: نزفت الركبة: نزحت مأوها، أي: لا تذهب خورهم بل هي باقية أبدًا. [٥٥] ﴿فَأَطْلَعُ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، وإذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكل ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. [٥٨] ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. وإذا تساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة. [٦٥] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة = وحكاية الناس في حال الدعوة، وهلاك قوم لوط، وحبس يونس في بطن الحوت، وبيان فساد عقيدة المشركين في إثبات النسبة، ودرجات الملائكة في مقام العبادة، =

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْيَحْيَيْنِ (١٠٣) وَتَدِينَهُ أَنْ يَتَابِعَهُمَا (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَقَدِينَهُ بِذَنْبِ عَظِيمٍ (١٠٧) وَفَرَّكَنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَكَشَرْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَفَرَّكَنا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) وَلَقَدْ مَنَّنا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَفَرَّكَنا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْبَرُ (١٢٤) أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦)

١٠٣ - ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: أمرهما الله، وفوضاه إليه، واتفقا عليه كلاهما، لأن الابتلاء والتكليف كان لهما جميعاً؛ لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. أسلم إبراهيم ابنه، وأسلم الابن نفسه. ﴿وَتَلَّ﴾: وضعه بقوة ﴿لِلْيَحْيَيْنِ﴾: «الجنيين»: ما عن يمين الجهة وشمالها، والجهة بينهما. ١٠٥ - ﴿قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا﴾: التي أريناها في منامك. ١٠٦ - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾: الاختبار الشديد. ١٠٧ - ﴿وَقَدِينَهُ﴾ - يعني ولده من الذبح ﴿بِذَنْبِ عَظِيمٍ﴾: بجزاء عظيم وفدية، وهو الكبش الذي فدى به. و«الذبح» اسم لما يذبح. ووصفه بالعظم لأنه متقبل يقيناً، وقيل: لجري الستة به، وكونه ديناً باقياً آخر الدهر. ١٠٨ - ﴿وَفَرَّكَنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: فيمن بعده إلى يوم القيامة، ثناء حميلاً، وذكرًا حسناً. ١١٣ - ﴿مُحْسِنٌ﴾: مؤمن ﴿وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ﴾: كافر بالله. ١١٤ - ﴿وَلَقَدْ مَنَّنا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾: فضلناه عليهما بالنبوة وغيرها من النعم العظيمة. ١١٥ - ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: مما كانوا يلقونه من فرعون وقومه، وما أهلك به فرعون. ١١٧ - ﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿الْمُسْتَشِينَ﴾: المبين هدي ما فيه وتفصيله وأحكامه. ١١٨ - ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: دين الإسلام الذي ابتعث الله به أنبياءه. ١٢٣ - ﴿وَإِنَّ إِيَّاسَ﴾: ابن ياسين بن فحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. وقيل: إنه إدريس عليه السلام. ١٢٥ - ﴿أَدْعُونَ﴾: اتعبدون ﴿بَعْلًا﴾: اسم صنم. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١١٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. لم يقل: ﴿إِنَّا﴾، لأنه تقدم في قصة إبراهيم: ﴿قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١٠٥]، وقد بقي من قصته شيء، وفي سائرهما وقع بعد الفراغ، ولم يقل في قصتي لوط ويونس: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨) ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ٨٠-٨١]؛ لأنه لما اقتصر من التسليم على ما سبق ذكره اكتفى بذلك. [٩٤] ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكِتَابُ تَمَلُّوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرُونَ﴾ [الصفات: ٩٤]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ بِسَمِيهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيَّةُ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبل - تعال - أنت - هاؤم"؟ **الجواب**: (أقبل) أمر متعين طلباً للإقبال ونهي عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة) - راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان. - إذا، (أقبل) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطاباً لمن هو في حالة إدبار حسي ملتبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (انت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرق كبير بين كلمة (انت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيَّةُ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعض اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح من يؤتى كتابه يوم يمينه يوم القيامة لا يُعادل فرحاً، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظير، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. أمثلة قرآنية: أولاً - (أقبل): ﴿وَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنٌ﴾ [الصفات: ٢٧، والطور: ٢٥]. ثانياً - (تعال): ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧]. ثالثاً - (انت): ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]. رابعاً - (هاؤم): ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ بِسَمِيهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيَّةُ﴾ [الحاقة: ١٩]. [١١٧] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ مِنْ تُرْبٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا رِيبٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (٣) ﴿وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ﴾ [الصفات: ١١٧]. ما الفرق بين: "مبين، مستبين"؟ **الجواب**: وردت كلمة (مبين) تسع عشرة مرة ومائة. جاء منها وصف للكتاب في تسع مرات. بينما وردت كلمة (مستبين) مرة واحدة. الكتاب (المبين): هو: كتاب يحفظ كل شيء، ولذلك فهو مبين (في أحد معانيه)، وهو (القرآن) (في المعنى الآخر له). أما الكتاب (المستبين): فهو التوراة. وبان الشيء: ظهر دفعة واحدة. واستبان الشيء: ظهر شيئاً فشيئاً. قال الفخر الرازي: إنها وُصف القرآن بأنه مبين لوجوه: ١ - أن القرآن معجزة «ظاهرة» وآية بيّنة لمحمد ﷺ. ٢ - أنه بيّن فيه الهدى والرشد والحلال والحرام، ولما بُيّن فيه هذه الأشياء كان الكتاب مبيناً لها. ٣ - أنه بُيّن فيه قصص الأولين وُشّرت فيه أحوال المتقدمين. أما التوراة: فكل إصحاح منها يعالج جانباً من قضية واحدة. وعلى هذا فهو يظهر بالتدرج والتتابع. [١٢٣] ﴿وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِيَّاسَ﴾ قرئ: (الياس) بوصل همزة "إيلاس" فيصير اللفظ بلام ساكنة بعد إن، ويتبدئ بهمزة مفتوحة. وقرئ: (إلياس) بقطع الهمزة مكسورة بدءاً ووصلاً، وجهها: أن إلياس اسم أعجمي سرياني تلاعبت به العرب فنطقت همزته تارة ووصلتها أخرى، والأكثر على وجه الوصل، قالوا: إن أصله (ياس) دخلت عليه (أل) المعرفة كما دخلت على اليسع، وينبني على الخلاف حكم الابتداء، فعلى الأول يتبدئ بهمزة مفتوحة وهو الصواب كما في "النشر" قال: لأن وصل همزة القطع لا يجوز إلا ضرورة، ولنصهم على الفتح دون غيره. [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ﴾ قرئ: (الله ربكم ورب) بنصب الأسماء الثلاثة: فالأول: بدل من أحسن، و"ربكم" نعت، و"رب" عطف عليه. وقرئ: (الله ربكم ورب) برفع الثلاثة على أن لفظ الجلالة الكريمة مبتدأ، و"ربكم" خبره، و"رب" عطف عليه، أو خبر هو. [١٠٢] ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضاً رد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتهما، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذاً يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث) بمشتقاتها ومرادفاتهما مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط) بمشتقاتها وكل ورد (٤٥) مرة.

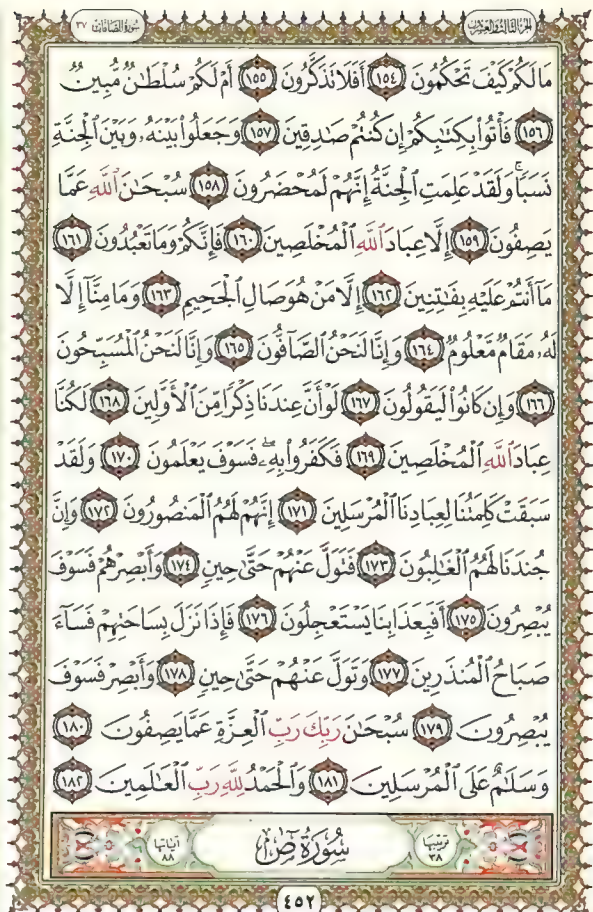
١٢٧- ﴿فَأَنبَأَهُمُ الْمَحْضَرُونَ﴾: في عذاب الله فيشهدون. ١٢٨- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصهم للإيمان والفوز من العذاب. ١٣٠- ﴿عَلَىٰ إِيَّائِي يَاسِينَ﴾: قيل: إلياس، وإلياسين، مثل إبراهيم وإبراهيم. ١٣٥- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: امرأته ﴿فِي الْغَيْرِينَ﴾: الهالكين. ١٣٦- ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾: قذفناهم بالحجارة، فاهلكناهم. ١٣٧- ﴿وَإِذْ نَادَىٰ لِمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ﴾: إذا أصبحتم نهاراً، لأن من سافر من المدينة إلى الشام يمر على سدوم قرية لوط. ١٤٠- ﴿إِذْ أَتَىٰ﴾: حين فرّ ﴿إِلَى الْفُلْكِ﴾: السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾: الموقر، المملوء. ١٤١- ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع، من القرعة، إذ احتبست السفينة، وعلم القوم أنه من حدث أحدثوه، فتساهموا ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: من المسهومين المقروعين المغلوبين، فرمى بنفسه في البحر. ١٤٢- ﴿فَالْقَمَّةَ الْخَوْتُ﴾: ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: مكتسب اللوم مذنب. ١٤٣- ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: المصلين لله قبل البلاء والعقوبة التي نزلت به. ١٤٤- ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ﴾: في بطن الحوت محبوساً ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾: يبعث الله خلقه. ١٤٥- ﴿فَبَدَّدَتْهُ﴾: فقذفناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: لما ناله في بطن الحوت من الضرر. ١٤٦- ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾: ثظلل عليه، واليقطين: كل شجر لا يكون على ساق، كالدُّبَاءِ والبطيخ ونحو ذلك. وقيل: كانت شجرة القرع فأظلمته. ١٤٧- ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾: من قومه ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾: قيل: بمعنى بل يزيدون، وهم أهل نينوى من أهل الموصل. ١٤٨- ﴿فَقَامُوا﴾: فوحدوا الله، وصدقوا يونس، وقد كان العذاب أرسل عليهم، فلما أحسوا به فرقوا بين البهائم وأولادها، وعجّوا إلى الله بالدعاء، فرفع عنهم العذاب ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أخرنا عنهم العذاب، وامتعناهم بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت. ١٤٩- ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾: سلّهم، يعني: مشركي قريش ﴿أَلَرَّيْكَ الْآبَتَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾: لأنهم كانوا يقولون ذلك ويزعمون أن الملائكة بنات الله! ١٥٠، ١٥١- ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: فيشهدوا بما عاينوا، أي: كيف جعلوهم إناثاً وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم، ﴿يَنفِكُهُمْ﴾: كذبهم. ١٥٣- ﴿أَصْطَفَى﴾: اختار.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنبَأَهُمُ الْمَحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَرَكَدْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّائِي يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ لُّوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِذْ نَادَىٰ لِمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمُصِيبِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَأْتِيْلُ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنْ يُوْثَسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَىٰ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةَ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْنَيْنَاهُ عَلَى شَجَرَةٍ مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّلُوا مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّيَاسَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا أَنبَأُهُم مِّنْ آيَاتِهِمْ لِقَوْلِهِمْ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

(٤٥١)

[١٣٦-١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ (١٣٦) ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ [الشعراء: ١٧١-١٧٢، الصفات: ١٣٥-١٣٦]. تكررت هاتان الآيتان في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والصفات، وهما تبيان حال المهلكين من قوم لوط، والعجوز الهرمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها، ثم أهلكنا الباقين المكذبين من قومه. [١٤٥] ﴿فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ١٤٥]، ﴿لَيُذِيَ الْعَرَاءَ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]. فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن، فهذا ما دلت عليه الصفات، أما آية القلم: لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها لطرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آت بما يلام عليه. [١٤٢] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَإِنْ يُوْثَسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩) إِذْ أَتَىٰ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةَ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ [الصفات: ١٣٩-١٤٢]. ما الفرق بين: "ملوم، ملِيم"؟ الجواب: وردت كل من الكلمتين (ملوم، ملِيم) مرتين في القرآن الكريم. (الملوم) هو الذي أتى فعلاً يستحق اللوم عليه، وليم عليه. أما (الملِيم) فهو الذي أتى فعلاً يستحق اللوم عليه، ولم يَلَمْ عليه. (هذا في القرآن) لكن معناهما واحد في اللغة. ويوضح المعنى الثاني ما ورد عن فرعون حيث بُذِ وقومه في اليم وهو ملِيم، فقد غرق هو وقومه ولم يبق منهم من يلومه على قبيح فعله، وتكذيبه لنبي الله موسى عليه السلام. ويونس - عليه السلام - حين التقمه الحوت ما وجد معه من يلومه. [١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: ١٤٤]. عن ميمون بن مهران قال: سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس كان عبداً لله ذاكرًا، فلما أصابته الشدة دعا الله، فقال الله ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤٤) فذكره الله بما كان منه، وكان فرعون طاغياً باغياً ﴿وَجُوزُنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠) ءَلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾. فلم يذكر الله إلا بعد أن أدركه الغرق.

[١٣٠] ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّائِي يَاسِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَّا يَاسِينَ﴾ قرئ: (آل) بفتح الهمزة وكسر اللام وألف بينهما، وفصلها عما بعدها لأنها مفصولة في المصحف، فأضافوا "آل" إلى "ياسين" فيجوز قطعها وقفًا، والمراد ولد ياسين وأصحابه، وهو اسم نبي، فسَلَّمَ على أهله لأجله، فهو داخل في السلام، وأهله هم أهل دينه ومن آمن به. وقرئ: (إل) بكسر الهمزة وسكون اللام بعدها على أنها كلمة واحدة فتكون (إلياسين) اسم واحد جُمع منسوبًا إلى إلياس المتقدم باعتبار أصحابه، كالمهالبة في المهلب وبنيه، أو جعله اسمًا للنبي المذكور صلى الله عليه وسلم، وهي لغة: كطور سيناء، وسنين، وهي حينئذ كلمة واحدة، وإن انفصلت رسمًا فلا يجوز قطع إحداها عن الأخرى، ويمتنع إتباع الرسم فيها وقفًا، إذ لم يقع لها نظير. [١٥٣] ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى﴾ قرئ: (اصْطَفَى) (بوصل الهمزة في الوصل على حذف همزة الاستفهام للعلم بها، والابتداء في القراءة بهمزة مكسورة. وقرئ: (أَصْطَفَى) بهمزة مفتوحة في الحالين على الاستفهام الإنكاري. [١٥٠] ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا أضيف عدد مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة. [١٨١] ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. =



١٥٤- ﴿مَالِكُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: أن تكون البنات لله، وأنتم لا ترضون بها لأنفسكم، ولكم البنون؟! فبئس الحكم حكمكم. ١٥٦- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾: حجة ظاهرة على هذا الذي تقولونه. ١٥٧- ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: بحجة من كتاب جاءكم من عند الله. ١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا﴾: قال بعض المفسرين: إن أعداء الله قالوا: إن الله وإبليس أخوان -جل الله عن ذلك، ولعن إبليس- ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: يشهدون الحساب والعقاب، أو يحضرون النار ويعذبون فيها. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. ١٥٩- ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً لله. ١٦١- ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعني: المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: من الآلهة. ١٦٢، ١٦٣- ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَيْنٍ﴾: يقول: ما أنتم على ما تعبدون من ذلك بمضلين أحداً، إلا من سبق في علم الله أنه ﴿صَالِحٌ﴾. ١٦٤- ﴿وَمَا يَمَّا إِلَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾: هذا خبر من الله عن قول الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» أخرجه الطبراني وصححه الألباني. فذلك قول الملائكة ﴿وَمَا يَمَّا إِلَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾. ١٦٥- ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾: الله، صفواً لعبادته. ١٦٧، ١٦٨- ﴿وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ﴾: يعني: المشركين ﴿لَو أَنَّ عَذَابَ ذِكْرًا﴾: كتاباً أنزل من السماء كالنوراة والإنجيل، أو نبياً، وذلك قبل أن يُبعث إليهم محمد ﷺ. ١٧٠- ﴿فَكَفَرُوا بِهِ، فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾: يقول: فلما جاءهم الذكر بمحمد ﷺ من عند الله، من التنزيل والكتاب جحدوه وكفروا به، «فسوف يعلمون» إذا وردوا على الله، عاقبة كفرهم، وهذا وعيد لهم. ١٧٤- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم ﴿حَتَّى جِئَ﴾: إلى حين نزول عذابه بهم في الدنيا والآخرة. ١٧٥- ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسُوفَ يُبْصِرُونَ﴾: وعدٌ للنبي ﷺ ووعد لهم، أي سوف يرون ما يحل بهم من عذابنا حين لا ينفعهم البصر. أو: سوف يرون عقبي طريقتهم. ١٧٦- ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: يقول عز وجل: أفنبزل عذابنا يستعجلون، لقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة يس: ٤٨] ١٧٧- ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: العذاب ﴿يَسْأَلُهُمْ﴾: بالمراد: تنزيهه سبحانه عن كل ما يصفونه به مما لا يليق به سبحانه وتعالى، ١٨٢- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رب الثقلين: الجن والإنس وسائر العوالم من خلق الله.

١٥٨] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا﴾: وأخرج جوير عن الضحاك، عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجهينة: بنات سراة الجنة، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾. [١٦٥] قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبدين، فأنزل الله ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ الآية، فأمرهم أن يصفوا. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت، فذكره نحوه. [١٧٦] قوله تعالى: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: أخرج جوير عن ابن عباس قال: قالوا: يا محمد، أرنا العذاب الذي تخوفنا به، عجله لنا، فنزلت ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الآية. صحيح على شرط الشيخين. [١٥٩] ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١، الصافات: ١٥٩] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. تنزه الله عن كل ما لا يليق به مما يصفه به الكافرون، فهذا ما دل عليه موضع المؤمنون والصافات، أما باقي مواضع القرآن: تنزه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوجدانية والعبادة. [١٨٠] ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. تنزه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المفترون عليه، فهذا ما دل عليه موضع الصافات، أما باقي مواضع القرآن: تنزه الله رب العرش، وتقدس عما يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص. [١٥٤] ﴿مَالِكُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤، القلم: ٣٦]. بئس الحكم ما تحكمونه أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية القلم: أفنجعل الخاضعين لله بالطاعة كالكافرين؟ ما لكم كيف حكمتم هذا الحكم الجائر، فسأويتم بينهم في الثواب؟ وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والقلم. [١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسُوفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٥]، ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسُوفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩]. جاء ذكر الضمير المتصل في قوله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، وبعد هذه الآية بأربع آيات وردت آية مشابهة محذوف منها الضمير، والعلة في الحذف في الآية الثانية؛ لأنه في الآية الأولى ذكر الضمير، وأوضح أن المراد من الحين الأول هو الدنيا، وهو الوقت الذي ينصر فيه المسلمون على أعدائهم، والحين الثاني يوم القيامة حيث يحل بهم العذاب والخزي العظيم. قول آخر: "الحين" في الآية الأولى يوم بدر، ثم: وأبصرهم كيف حالهم عند نصرتك عليهم وخذلانهم، و"الحين" الثاني يوم القيامة، ثم قال تعالى: وأبصر حال المؤمنين وما هم فيه من النعم، وما هؤلاء فيه من الخزي العظيم، فلما كان الأول خاصاً بهم أضمرهم، ولما كان الثاني عاماً أطلق الإبصار والمبصرين، والله أعلم. [١٧٦] ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤، الصافات: ١٧٦]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والصافات، ومعناها: أغر هؤلاء إمهالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟. [١٤٦] ﴿وَأَبْلَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَّطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]. ذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليل ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقر به الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء، ويتبعه من حواشي الصحفة. أخرجه البخاري. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدٍ وَكَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. كيف تكون "أو" للشك، وهو على الله محال؟! **الجواب:** "أو" بمعنى "بل"، أو بمعنى الواو، والمعنى: أو يزيدون في نظركم، فالشك إنما دخل في قول المخلوقين. [٤] ﴿سُوفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]، ﴿وَجِئُوا أَن جَاءَهُمْ مُّذِئِرَّتُهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]. ما الفرق = وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة **الرسول** بمشتقاتها، **والنبي** بمشتقاتها، **والبشير** بمشتقاتها، **ونذير** بمشتقاتها، نجدتها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الرسول** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة **النبي** (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **نذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذا: تساوى مجموع ذكر **الرسول** والنبين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

١- ﴿صَّ﴾: هذه الفواتح للإعجاز (راجع تفسير الآية الأولى من سورة البقرة المتقدمة). ﴿وَالْقُرْآنَ﴾: قسم أقسم ربنا عز وجل به ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾: ذي الشرف الباقي المخلد. وقيل: معناه: ذي التذكيرة للناس والهداية لهم. ٢- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني: من مشركي قريش ﴿فِي عِزَّةٍ﴾: حية وإباء ﴿وَشِقَاقٍ﴾: فراق لمحمد وعداوة. ٣- ﴿مَنْ قَرَنَ﴾: من الأمم الذين كانوا قبلهم، المكذبين برسولهم ﴿فَنَادُوا﴾: عجبوا وضجوا إلى ربهم، حين رأوا عذاب الله نزل بهم ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾: وليس حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، لأن كلمة العذاب قد حقت عليهم. ٤- ﴿وَعَجِبُوا﴾: يعني: مشركي قريش ﴿أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: محمد ﷺ. ٥- ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾: قالوا: أجعل المعبودات كلها معبوداً واحداً، يسمع دعاء جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد منا؟! ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾: عجيب. ٦- ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾: الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش ﴿إِنِ آمَنُوا﴾: امضوا على دينكم، وعبادة آلهتكم. ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: يريد من محمد؛ استعلاء علينا، ونكون له أتباعاً. ٧- ﴿فِي آيَةِ الْآخِرَةِ﴾: يعنون: ملة النصرانية. وقيل: أرادوا ملتهم ونحلتهم التي عليها العرب. ٨- ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾: يقول عز وجل: هؤلاء المشركون في شك من وحينا إليه، وذكرنا المنزل عليه، أنه من عندنا ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾: بل لما ينزل عليهم بأسى، فيذوقوا وبال تكذيبهم رسولي! ٩- ﴿أَمْرٌ عِنْدَ هَرَجَازٍ رَحْمَةً مِنْكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: يقول: أعود هؤلاء مفاتيح رحمة ربك، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، فيمنعونك يا محمد ما خصك الله به من الكرامة والرسالة؟! ١٠- ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: فليصعدوا في أبواب السموات وطرقها، فإنه من كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه! ١١- ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: يقول عز وجل: هم جند من أحزاب إبليس وأتباعه مهزوم يوم بدر. ١٢- ﴿ذُو الْأَوْدَادِ﴾: قال الضحاك: أراد المباني العظام الثابتة. وقيل: المراد بالأوداد: الجموع والجنود الكثيرة. ١٣- ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾: الجماعات المتحزبة على معاصي الله عز وجل. ١٤- ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾: وجب عليهم عقابي. ١٥- ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾: ما ينتظر ﴿مَا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ﴾: من فتور ولا انقطاع. ١٦- ﴿وَقَالُوا﴾: يعني: المشركين من قريش ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا﴾: أنزل علينا كتبنا بحظوظنا من الخير والشر، التي نرى في الآخرة، قبل يوم القيامة في الدنيا، استهزاء بوعيد الله. و«القط» عند العرب: الصحيفة المكتوبة. ويطلق كذلك على الحظ والنصيب.

[٩] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُسبب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت. ٢ - وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله = [١] قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أخرج أحمد والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي ﷺ، فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ قال: «أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية»، قال: كلمة واحدة؟ قال: «نعم»، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقالوا: إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب! فنزل فيهم ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ الآية. [٣] ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦، السجدة: ٢٦، ص: ٣] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾. ﴿مِنْ﴾، إنما تزداد في هذه الآيات حيث يراد تأكيدها لما تحويه من وعيد وتخويف، فقد ورد في هذه الآيات تفصيل وعيد في أمة بعينها أو أكثر أو تكرر التهديد وشدة التخويف، فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها، أمّا ما لم يتقدم الآيات وعيد أو تخويف فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها. [٤] ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، فاجاءت كلمة (كَذَاب) في هذا السياق على لسان الكافرين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فجاءوا بوصف النبي ﷺ الذي أرسل إليهم هذه الصفة مبالغين فيها ومؤكدين لمعناها بصيغة المبالغة (كَذَاب) وليست (كاذب). كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثمودُ بِالنَّذْرِ﴾ [٢٣] ﴿فَقَالُوا أَبَشَارًا مِثْلُ نَبِيِّنَا إِذَا لَفَى ضَلَلٍ وَسُعُرٍ﴾ [٢٤] ﴿أَتَأْتِيَ الذِّكْرَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ [القمر: ٢٥] = [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَوَاقٍ﴾ قرئ: (فواق) بضم الفاء وهي: لغة تميم، وأسد، وقيس. وقرئ: (فواق) بفتح الفاء: لغة الحجاز، وهو الزمان بين حَلْبَتَي الحالب، ورَضْعَتَي الراضع، وقيل: الفتح بمعنى الإفاقة، والضم ما بين الحلبتين.

نزول سورة ص: نزلت بعد سورة القمر، وهي مكّية إجماعاً. عدد كلمات سورة ص: سبعائة واثنان وثلاثون. عدد حروف سورة ص: ثلاثة آلاف وسبعة وستون. أسماء سورة ص: لها اسمان سورة ص؛ لافتتاحها بها، وسورة داود؛ لاشتغالها على مقصد قصته. مواضع سورة ص: معظم مقصود السورة: بيان تعجب الكفار =

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
 إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا
 الْحَرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَظْ
 خَصْمَانِ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً
 وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نَجَاحِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَقِلَّ
 مَا هُمْ وَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَتْهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَنَاقِبَ
 ﴿٢٥﴾ يَذْكُرُ إِذْ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ إِلَى الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

١٧- ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: من الاستهزاء، كما صبرت الرسل قبلك، فمنهم ﴿عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾: ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله عز وجل، والصبر على طاعته. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجاع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه. ١٨- ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾: كان إذا سبَّح أجابته الجبال ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾: حين تشرق الشمس وتضيء. ١٩- ﴿وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً﴾: مجموعة له تسبح معه إذا سبَّح ﴿كُلُّ لَهُ﴾: أَوَّابٌ: مطيع. ٢٠- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: قواه الله وعظمته. ﴿وَأَثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: النبوة. وقيل: الفهم في الدين وجودة النظر. ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾: علم القضاء. وقيل: القدرة على الإيضاح والبيان. ٢١- ﴿نَبْوُ الْخَصْمِ﴾: خبر الخصم، وهما ملكان. ﴿إِذْ سُورُوا الْحَرَابَ﴾: دخلوا من غير باب. و«الحرب»: مقدم كل بيت ومجلس، وأشرفه، وهو موضع التعبد. ٢٢- ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: لأنهما دخلا عليه ليلاً، في غير وقت نظره بين الناس ﴿قَالُوا لَا تَحْفَظْ﴾: لما رآه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب ﴿خَصْمَانِ﴾: بمعنى: نحن خصمان ﴿بَعْضُ﴾: تعدى بغير حق ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾: لا تمل ولا تحف. ﴿وَاهْدِنَا﴾: احمنا على الحق ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: أعدله وأخيره. «الصراط»: الطريق. ٢٣- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾: يعني: على ديني ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً﴾: مثل ضربه الخصم المتسور على داود. ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: أنزل لي عنها، وخلِّ سبيلها لأضمها إليَّ ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾: غلبي، لأنه أتىني مني إن تكلم، وإن بطش كان أشد مني فقهرني. ٢٤- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نَجَاحِهِ﴾: إلى قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾: يقول داود: لقد ظلمك بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نساؤه. وكنى بالنعجة هاهنا عن المرأة، والعرب تفعل ذلك. ﴿وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي﴾: ليتعدى. ﴿وَلَقِلَّ مَا هُمْ﴾: وقيل هم، و«ما» صلة. ٢٥- ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾: لقربة منا يوم القيامة ﴿وَحُسْنُ مَنَاقِبَ﴾: حسن منقلب. ٢٦- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾: استخلفناك حكماً بين أهلها من بعد من كان قبلك من رسلنا ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾: في قضائك بينهم ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فتجور عن الحق الذي هو سبيل الله. = كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٩] معنى اسم الله الوهاب: من أسمائه تعالى: ((البر الوهاب)) الذي شمل الكائنات بأسرها ببرّه وهباته وكرمه، فهو مولى الجميل ودائم الإحسان وواسع المواهب، وصفه البر وأثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبرّه طرفة عين. وإحسانه عام وخاص: ١- فالعام المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، وهذا يشترك فيه البرّ والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض والمكلفون وغيرهم. ٢- والخاص رحمته ونعمه على المتقين حيث قال: ﴿سَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنْ رَّحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وفي دعاء سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان، والعلم، والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح، والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق. وهو سبحانه المتصف بالجود: وهو كثرة الفضل والإحسان، وجوده تعالى أيضاً نوعان: النوع الأول: جودٌ مطلق عمّ جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة. النوع الثاني: جودٌ خاص بالسائئين بلسان المقال أو لسان الحال من برّ وفاجر ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله وأناله ما طلب، فإنه البرّ الرحيم: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَنصُرُكُمْ لَئِيْلَ يَخْتَرُونَ﴾. ومن جوده الواسع ما أعدّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

= قولاً وفعلاً، فبدأت الآية بقوله: ﴿وَيَجِبُ أَنْ جَاءَهُمْ﴾ وختمت بقولهم: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾، فما بعد الواو لا يرجع إلى أول الآية، فاقضى الواو. [٨] ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨]، ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر: ٢٥]. قال تعالى في ص "أنزل"، وفي القمر "ألقي"؛ لأن ما في ص حكاية عن كفار قريش، فناسب التعبير به لوقوعه إنكاراً لما قرأه عليهم النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وما في القمر حكاية عن قوم صالح، وكانت الأنبياء تلقى إليهم صحف مكتوبة، فناسب التعبير بـ "ألقي"، وقدم الجار والمجرور على الذكر، موافقة لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين، وعكس في القمر جرياً على الأصل، من تقديم المفعول بلا واسطة على المفعول بواسطة. [٩] ﴿أَمْرَعُدَّهُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ [الطور: ٣٧]. أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟ فهذا ما دلت عليه آية ص، أما آية الطور: أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء. [١٢-١٣] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ﴾ ﴿ثُمَّ دُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ [ص: ١٣]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ﴾ ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَخِزْنُ لُوطٍ﴾ [ص: ١٣]، ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [ق: ١٤]. سورة ص بُيئت فواصلها على ردّف أو آخرها بالألف؛ وسورة ق على ردّف أو آخرها بالياء والواو. فقال في هذه السورة: "الأوتاد، الأحزاب، عقاب"، وجاء بإزاء ذلك في ق: "ثمود، وعيد"، ومثله في الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصَصٌ الطَّرَفِ عَيْنٌ﴾ [الصافات: ٤٨]، وفي ص: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصَصٌ الطَّرَفِ أَنْزَابٌ﴾ [ص: ٥٢]، فالقصد إلى التوفيق بين الألفاظ مع وضوح المعاني.

= حيث وصف قوم ثمود بنبيهم صالحاً بهذه الصفة البذيئة مبالغية (كذاب) بدل (كاذب)، وهكذا أنت (كذاب) الدالة على المبالغة وشدة التوكيد في كل المواضع القرآنية التي اقتضت ذلك. على العكس من الصيغة الأخرى (كاذب) التي لا تدل إلى على مجرد الإخبار عن هذه الصفة دون توكيد ولا مبالغة. مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ إِيَّائِي عَمَلٌ سَوْفَ نُعَمِّقُكَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]. [١١] ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]. آية رهيبة، وهي آية تعد نبوءة عظيمة، فقد رأت قريش فيما بعد أمراً ما، وشيئاً ما، وخبراً ما، وجنداً ما. [١٧] ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]. إن العبد إذا رزقه الله نعمة فاستعملها في طاعة الله بارك الله له فيها، وزاده = من نبوة المصطفى ﷺ، ووصف المنكرين رسول الله ﷺ بالاختلاق والافتراء، واختصاص الحق تعالى بملك الأرض والسماء، وظهور أحوال يوم القضاء، وعجائب حديث داود وأوريا، وقصة سليمان في حديث الملك، على سبيل المنّة والعتاء، وذكر أيوب في الشفاء والابتلاء، وتخصيص إبراهيم وأولاده من =

٢٧- ﴿بَطَلًا﴾: عبثاً ولعباً. ٣٠- ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجّاع إلى طاعة الله، تواب إليه. ٣١- ﴿الْصَّفِيفَتُ﴾: جمع «الصفان» من الخيل. والأنتى: «صافنة». و«الصفان» منها: الواقف: الذي يجمع بين يديه، ويثنى سُنْبُكُ إحدى رجله. والسُنْبُكُ: طرف الحافر. وقيل: الذي يجمع يديه ﴿لِحْيَادُ﴾: السَّراعُ. ٣٢- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾: إني أحببت حباً الخير، ثم أضيف الحب إلى الخير. وعنى بـ«الخير» في هذا الموضع: الخيل، والعرب تسميها به. ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: عن صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾: تغيبت الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾: في مغيبها. وقيل: المراد الخيل، أي دخلت اصطبلاتها. ٣٣- ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾: ردوا الخيل عليّ، التي عرضت عليّ فشتغلتني عن الصلاة ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾: يقول عز وجل: فجعل يمسح منها السوق والأعناق: ضرب أعناقها وكسف عراقيبها. و«طفق» معناه: دام يفعل. وقال ابن عباس: إن هذا المسح لم يكن بالسيف، بل بيده تكريماً لها ومحبة. ٣٤- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾: أي ابتليناه واختبرناه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾: «الجسد»: الولد الذي ولد لسليمان حين أقسم ليطوفن على لسانه لم يستثن في قسمه، فلم تلد له منهن سوى واحدة جاءت بولد غير تام الخلقة، فسمّاه القرآن جسداً. ٣٦- ﴿رُخَاءَ﴾: رخوة لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث أراد. ٣٧- ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾: وسخرنا الشياطين، وسلطانها عليها ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾: يعني له ما يشاء ﴿وَعَوَاصٍ﴾: يغوص في البحر يستخرج له الحلي من البحر. ٣٨- ﴿وَالْآخِرِينَ﴾: يعني مردة الشياطين ﴿مَقْرِينَ﴾: مجموعي الأيدي إلى أعناقهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: في السلاسل والأغلال. ٣٩- ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾: هذا الذي أعطيناك من الملك وسخرنا لك ﴿فَأَمْنٌ أَوْ أَمِيكُ﴾: أعط من شئت مما أعطيناك، أو امنع من شئت لا حساب عليك. ٤١- ﴿إِنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾: شر وبلاء في جسده ﴿وَعَذَابٍ﴾: في ماله وولده. ٤٢- ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أمره الله عز وجل أن يضرب برجله الأرض، فنبع له عينان، شرب من إحدهما، واغتسل من الأخرى، فذهب بلاؤه.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَذَّبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيفَتُ الْحَيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴿٣٤﴾ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِي أَحَدٌ مِنْ عِبْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٦﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٨﴾ وَالْآخِرِينَ مَقْرِينَ ﴿٣٩﴾ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٠﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمُلْكِ وَسَخَرْنَا لَكَ ﴿فَأَمْنٌ أَوْ أَمِيكُ﴾: أعط من شئت مما أعطيناك، أو امنع من شئت لا حساب عليك. ٤١- ﴿إِنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾: شر وبلاء في جسده ﴿وَعَذَابٍ﴾: في ماله وولده. ٤٢- ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أمره الله عز وجل أن يضرب برجله الأرض، فنبع له عينان، شرب من إحدهما، واغتسل من الأخرى، فذهب بلاؤه.

[٢٩] ﴿وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿لِيَذْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. كلا الموضوعين حاصل فيه التناسب، أمّا آية ص ففي قوله: ﴿لِيَذْبَرُوا﴾ حرفان من الحروف الشديدة، وهما الباء والدال وثنائهما مضعف، فسق عليهما قوله: ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾، وفيه أيضاً حرفان من حروف الشدة وهما الكاف والتاء وثنائهما مضعف، والتناسب بهذا واضح، وأمّا آية إبراهيم فورد فيها: ﴿وَلِيَشْهَدُوا بِأَنَّهُمْ وَعِلْمُوا﴾، وقد عريت الكلمتان من حروف الشدة، وإنما جميعها من الرخوة وهي ضد الشديدة، فناسبها عطفاً عليها قوله: ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾، إذ ليس فيه من الحروف الشديدة غير الكاف، وأيضاً فإن يذكر ويتذكر معناهما واحد، والأصل للمدغم مفكوكه، فلفظ يذكر ثان عن يتذكر، وهو أكثر استعمالاً وأخف لفظاً، فقدم في سورة إبراهيم، وآخر الأثقل في سورة ص. = من خيرها، فداود عليه السلام لما استعمل قوته في إعزاز الدين وكثرة العبادة والطاعة لأن الله عز وجل له الحديد. [٢٩] ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. قال الحسن البصري رحمه الله: وما تدبر آياته إلا اتبعه وعمل به، أما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس واحد، والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراءة تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء. [٣٤] ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوَّلِهِ وَالْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. ما الفرق بين: "جِسْمٌ وَجَسَدٌ وَبَدَنٌ؟" **الجواب:** الجسم: يطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يطلق على ما لا روح فيه. **والبدن:** يطلق على العقلاء بعد الموت. [٤١] ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ [ص: ٤١]. ما الفرق بين: "المس واللمس والمسح؟" **الجواب:** ١- كل من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمس هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم. أمثلة: أولاً- **اللمس:** ﴿وَلَوْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣]، والمائدة: ٦، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. كل الآيات السابقة استعمل فيها (اللمس) مراداً منه المعنى اللغوي الحقيقي أي ملاقة جسم لآخر، لكن هناك سؤال هام؟ لم كُنِّي (باللمس) عن الطلب في آيتي الجن والحديد (الآخرتين) المذكورتين، وما كُنِّي باللمس أو المسح؟ **والجواب:** أن طلب الشيء يُفضي إلى ملاقاته وأخذه، لذلك ساغت الكناية باللمس دون المس أو المسح. ثانياً- **المس:** وردت صيغ (المس) على اختلافها في أربع عشرة آية (في صيغ مختلفة بين الأفعال الماضية والمضارعة والاسم والمصدر)، ووردت هذه الصيغ المختلفة بصور مختلفة بين الحقيقة والكناية والمجاز كما يلي: ١- ثلاثة مواضع منها أريد بها المعنى الحقيقي للمس (من جسم لآخر مساً خفيفاً)، وهي: ﴿فَاتَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿يَكَاذِبُهَا يُسِيءُ وَلَوْ أَلَمْتَ لَتَمَسَّهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (٧٨) ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩]. ٢- ثلاثة مواضع أخرى كناية عن مباشرة النساء، = [٢٩] ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَذْبَرُوا﴾ قرئ: (لتدبروا) بالتاء من فوق وتخفيف الدال على حذف إحدى التاءين على الخلاف فيها، أمي تاء المضارعة أم التالية لها؟ والأصل: لتدبروا. وقرئ: (ليذبروا) بياء الغيب وتشديد الدال، والأصل: ليتدبروا أدغمت التاء في الدال بعد قلبها. [٤١] ﴿إِنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ﴾ قرئ: (بِنُصْبٍ) بضم النون والصاد. وقرئ: (بِنُصْبٍ) بضم النون وإسكان الصاد، وكلها لغات بمعنى واحد، وهو التعب والمشقة. [٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قوله تعالى: ﴿عَبْدَنَا﴾ قرئ: (عبدنا) بغير ألف على التوحيد والمراد الجنس، أو الخليل، و«إبراهيم» بدل منه، أو عطف بيان. وقرئ: (عبدانا) بالجمع على إرادة الثلاثة، وإبراهيم وما عطف عليه بدل أو بيان. [٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ = «الأنبياء»، وحكاية أحوال ساكني جنّة المأوى، وعجز حال الأشقياء في سقر ولظى، وواقعة إبليس مع آدم وحواء وتهديد الكفار على تكذيبهم للنبي المجتبى ﷺ.

٦- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: من آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: (راجع تفسير الآية ١٨٩ من سورة الأعراف). ﴿ثُمَّ نَبَّأَهُ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: هي الضأن والمعز والإبل والبقر. وجعلها ثمانية أزواج لأن كل واحد فيه زوج للذكر من نوعه. وقوله: «وأنزل لكم» معناه أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها. وقيل: المعنى: خلق، لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء. ﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُمْ﴾: نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم ينشئه خلقاً آخر. ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿فَإِنْ تَصْرَفُونَ﴾: فكيف تنصرفون وتقلبون أيها الناس عن عبادة ربكم. ٧- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى. والمعنى: لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ﴿فَيُنْثِقُكُمْ﴾: يُخبركم. ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بما تضمه القلوب وتستره، فكيف بما تظهره وتبديه؟ ٨- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾: مرض أو بلاء في جسمه، أو شدة ﴿دَعَارِيهٍ﴾: استغاث ربه وحده ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: تائباً إليه مما كان عليه من إشراك الألهة به في عبادته ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾: منحه وأعطاه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾: عافية من بلاء، ورخاء من شدة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: أمثلاً وأشباهاً ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: ليرد من أراد أن يوحد الله ويؤمن به ﴿قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكُمْ قَلِيلًا﴾: إلى أن تستوفي أجلك! وعيد من الله تعالى وتهديد. ٩- ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَاءَاءَ آئِلٍ﴾: معنى الكلام: أهذا كالذي جعل الله أنداداً ليضل عن سبيله؟ و«القانت»: المطيع. ﴿عَاءَاءَ آئِلٍ﴾: ساعاته. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: ما لهم في طاعة ربهم، وما عليهم في معصيته؟ ١٠- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: قيل: صحة وعافية. وقيل: الجنة أي أن الذين يحسنون في الدنيا لهم حسنة في الآخرة. ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾: فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾: إنما يعطى الصابرون، على ما لقوا في ذات الله في الدنيا، أجراً في الآخرة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[٩] قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَاءَاءَ آئِلٍ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتِ﴾ الآية. قال: نزلت في عثمان بن عفان. وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت في عمار بن ياسر. وأخرج جوير عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود، وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حذيفة. وأخرج جوير عن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر.

= إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن مشتقاً على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعاً بما أوحى الله إليك، وبصرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم -بكتمان الحق- مدافعاً عنهم بما أيده لك من القول المخالف للحقيقة... فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية الزمر: إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك... [٦] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]. عطف في آية الزمر بـ"ثم" الدالة على التراخي الرتبى؛ لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته تعالى، وخلق زوجه من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته، فعطف بحرف "ثم" الدال في عطف الجمل على التراخي الرتبى إشارة إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة، مثل الجملة المعطوفة هي عليها، فكان خلق زوج آدم منه أدل على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة ومن زوجها، لأنه خلق لم تجربه عادة، فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس، فجاء له بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزمن؛ لأن زمن خلق زوج آدم سابق على خلق الناس، فأما آية الأعراف فمساقها امتنان على الناس بنعمة الإيجاد، فذكر الأصلان للناس معطوفاً أحدهما على الآخر بحرف التشريك في الحكم.

[١٠] ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهديته، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. = حرف القسم فانتصب، و«لأملأن» جواب القسم ويكون قوله: والحق أقول معترضاً أو على الإغراء، أي: الزموا الحق، والثاني: منصوب بأقول بعده. [٩] ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَاءَاءَ آئِلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمَنْ﴾ قرئ: (أَمَنْ) بتخفيف الميم على أنها موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام التقديري، ويقدر معادل عليه: هل يستوي؟ أي: أَمَنْ هو قانت كمن جعل الله أنداداً؟ ولا بد من هذا الإضمار لأن التسوية تحتاج إلى اثنين وجملتين. وقرئ: (أَمَنْ) بالتشديد فهي "أم" المتصلة دخلت على "من" الموصولة أيضاً، والاستفهام المعادل محذوف قبلها، أي: هذا الكافر خير أم الذي هو قانت؟ لكن تعقبه أبو حيان: بأن حذف المعادل الأول يحتاج إلى سماع، ولذا قيل: إنها منقطعة، والتقدير: بل أم من هو قانت كغيره؟. [٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]. الظلمات الثلاث: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن الجنين في بطن أمه يكون محاطاً بثلاثة أغشية. يقول علم الأجنة: إن الجنين في بطن أمه يكون محاطاً بثلاثة أغشية صماء لا تنفذ الماء ولا الضوء ولا الحرارة، وهي الأغشية التي تعرف باسم المنبرية والأمنبونية والخوريونية، هذا الغشاء الذي لا ينفذ منه الضوء والحرارة ولا الماء، ألا يسمى باللغة العربية ظلمة؟! [٩] ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَاءَاءَ آئِلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [عجاء عدي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد) (السجود) ومشتقاتها (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد) (السجود) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن.

= بَقَّةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥]. عدد كلمات سورة الزمر: ألف ومائة وسبعون. عدد حروف سورة الزمر: أربعة آلاف وسبعمئة وثمانية. أسماء سورة الزمر: وللسورة اسمان: سورة الزمر، وسورة الغر، قال وهب: من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغر. مواضع سورة الزمر: =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ لِيِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا
ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَجْعَلُونَ فَنَقُونَ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَمِنْهُمْ عِبَادٌ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

١١، ١٢ - ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾: مفرداً له سبحانه، بالطاعة. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة، واللام للتعليل؛ أي: أمرت بما أمرت به لأجل أن أكون كذلك. وقيل: إنها مزيدة للتأكيد.
١٥ - ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾: أيها المشركون، من الأوثان والأصنام التي تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم. ١٦ - ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾: كهيئة الظلل المبنية، والمراد: أطباق من النار تلتهب عليهم ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظلالاً. ١٧ - ﴿الطَّاغُوتَ﴾: الشيطان، وكل ما عبد من دون الله. ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: تابوا ورجعوا، وأقبلوا إليه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ في الدنيا بالجنة في الآخرة. ١٨ - ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: أرشده وأحسن ما يؤمرون به، فيعملون به. ١٩ - ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾: وجبت عليه ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: في سابق علم الله ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾: معناه: أفأنت تهديهم إلى الإيمان فتنقذهم من النار بالإيمان، لست على ذلك بقادر! قيل: يريد بذلك أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان.
٢٠ - ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾: عالية في الجنة بعضها فوق بعض ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: المتقين، فيفي لهم بوعده. ٢١ - ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾: فأجراه عيوناً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، واحداها: ينبوع ﴿ثُمَّ يَخْرِجُ بِهِ﴾: بذلك الماء الذي أنزله من السماء، فجعله في الأرض عيوناً ﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾: أنواعاً مختلفة ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾: ييسس. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾: متكسراً فتناً، بعدما صار يابساً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّذِكْرَى لَتَذَكَّرَ وَمَوْعِظَةً لِّأَصْحَابِ الْعُقُولِ﴾ [١٧] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية أخرج جوير بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ الآية، أتى رجل من الأنصار النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة ماليك، وإنني قد اعتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. [١١، ١٢] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢]. زاد مع الثاني لأمّا؛ لأنّ المفعول من الثاني محذوف، تقديره: وأمرت أن أعبد الله لأن أكون، فاكثفت بالأول. قول آخر: أن متعلق "أُمِرْتُ" الثاني غير الأول؛ لاختلاف جهتهما؛ فالأول أمره بالإخلاص في العبادة، والثاني أمره بذلك لأجل أن يكون أول المسلمين بمكة. [١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]. قوله: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ بالإضافة، والأول ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾؛ لأنّ قوله: ﴿اللَّهُ أَعْبُدْ﴾ إخبار عن المتكلم؛ فاقترضى الإضافة إلى المتكلم، وقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ ليس بإخبار عن المتكلم، وإنما الإخبار "أُمِرْتُ"، وما بعده فضلة ومفعول. [١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥، الزمر: ١٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام والزمر، ومقصدها: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي، فخالفت أمره، وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة. [١٥] ﴿قُلْ إِنِّي الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]. قل أيها الرسول: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البين الواضح، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين يوم القيامة في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول. [٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ...﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ...﴾ [الزمر: ٢٠]. الآيتان تتحدثان عن المتقين الذين خافوا ربهم، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وآية آل عمران تبين ما أعد الله لهم من جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار...، وأمّا آية الزمر فتوضح أن لهم في هذه الجنات غرفاً مبنية بعضها فوق بعض... [٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّذِكْرَى لَتَذَكَّرَ وَمَوْعِظَةً لِّأَصْحَابِ الْعُقُولِ﴾ [الزمر: ٢١]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّذِكْرَى لَتَذَكَّرَ وَمَوْعِظَةً لِّأَصْحَابِ الْعُقُولِ﴾ [الزمر: ٢١]. قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾: وفي الحديد: [٢٠]. قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾: وهو قوله: ﴿ثُمَّ يَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾، وكذلك الفعل بعده: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾. وأمّا الفعل قبله في الحديد فمسند إلى النبات وهو: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾، وكذلك ما بعده وهو: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾، ليوافق في السورتين ما قبل وما بعد.

٥ - توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً" أخرجه الخطيب والديلمي، وصححه الألباني. ٦ - حجة الله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ٧ - اجتماع خصال الخير في الصابر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].
[٩] ﴿الْأَلْبَابِ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (الألباب) (١٦) مرة في كتاب الله، كما وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضاً في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة الألباب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأفئدة بمشتقاتها)، وكل قد ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى.
[١٤] ﴿دِينِي﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة، كما ورد لفظ (المساجد والسجود بمشتقاتها) (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاتها)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم. [٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]. المطر وماء الأرض: المطر من السماء مصدر لكل مصادر المياه في الأرض، فهو مصدر الأنهار ومصدر المياه الجوفية. ومصدر ينبوع، هذه الحقيقة التي لم يعرفها العلم الحديث إلا مؤخراً.. على يد "بليسي" عام ١٥٧٠ م، وسبق بها القرآن الكريم. ولم تعرف دورة المياه في الطبيعة = معظم مقصود السورة: بيان تنزيل القرآن، والإخلاص في الدين، والإيمان، وباطل عذر الكفار في عبادة الأوثان، وتنزيه الحق تعالى عن الولد بكلمة سبحانه، وعجائب صنع الله في الكواكب والأفلاك بلا عمد وأركان، والمِنَّة على العباد بإنزال الإنعام من السماء في كل أوان، وحفظ الأولاد في أرحام الأمهات بلا أنصار =

٢٢- ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: فسح قلبه لمعرفة والإقرار بربوبيته ووحدانيته ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: على بصيرة مما هو عليه. وتقدير الآية: أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لفسوته. ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: الذين جفت قلوبهم، بعدت وأعرضت، عن ذكر الله، وهو القرآن. ٢٣- ﴿كُنَّا مُتَشَبِّهًا﴾: يشبه بعضه بعضاً، لا اختلاف فيه ولا تضاد ﴿مَتَانِي﴾: ثنى فيه، كرر الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج، وردد فيه قصص الأنبياء في أمكنة كثيرة. وقيل: يُثْنَى في التلاوة فلا يملُ سامعه، ولا يسأم قارئه. ﴿نَفْسَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: خوفاً من ربهم، إذا ثلث كتابه عليهم ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: إلى التصديق به والعمل بما فيه. قال قتادة: هذا نعت أولياء الله، نعتهم بأنهم تشعرون جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. ٢٤- ﴿أَفَمَنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: قيل: هو أن يُرمى به في جهنم مكبواً على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه، ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من يتنعم في الجنان؟ ٢٧- ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كل شيء يحتاجون إليه، كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرْطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. ٢٨- ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾: غير ذي لبس ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يقول عز وجل: جعلناه قرآناً عربياً، إذ كانوا عرباً، فيفهمون ما فيه من المواعظ، كي يتقوا ما حذرهم الله منه. ٢٩- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: مثل الله مثلاً للكافر بالله، الذي يعبد آلهة شتى ويطيع جماعة من الشياطين، وللمؤمن الذي لا يعبد إلا الله وحده. فضرب الله مثلاً للكافر: ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ﴾: يقول: هذا بين جماعة مالكين ﴿مُتَشَكِّسُونَ﴾: يعني: مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه فيه، وملكه فيه ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾: خالصاً، يعني المؤمن الموحد ﴿لِرَجُلٍ﴾ واحد ليس لأحد فيه شيء غيره، يعني: أن المؤمن لا يعبد غير الله، ولا يدين لشيء سواه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم، والذي يخدم واحداً لا ينازعه فيه منازع، إذا أطاعه عرف له موضع إطاعته، ورضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه، فاي هذين أحسن حالاً، وأروح جسماً؟ ٣١- ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصُمُونَ﴾: فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم.

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٢
اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي نَفْسَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ٢٣
أَفَمَنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٤
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٥
فَإِذَا قَهَمَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٢٦
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧
فَرَأَيْنَا عِوَجَ رِجْلِهِمْ يَتَّقُونَ ٢٨
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٢٩
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠
إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ٣١
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصُمُونَ ٣٢

(٤٦١)

٢٣- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ﴾ الآية تقدم سببها في سورة يوسف. [٣٦] قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ﴾ الآية. [٢٦] ﴿فَإِذَا قَهَمَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿لَيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]. فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعد لهم عذاباً أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حل بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لا تعظوا، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية فصلت: لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد ذلاً وهواناً، وهم لا ينصرون بمنع العذاب عنهم، وذلك بسبب كفرهم. [٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ لِّقَوْلٍ لِّدِينٍ كَفَرُوا﴾ [الروم: ٥٨]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]. ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جئتهم أيها الرسول بأي حجة تدل على صدقك ليقولن الذين كفروا بك: ما أنتم أيها الرسول وأتباعك إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأما آية [٢٢] ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]. من أسباب قسوة القلب: ١- البعد عن طاعة الله والاشتغال بمعصيته. ٢- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل. ٣- نسيان الآخرة وما فيها من النعيم. ٤- الاشتغال بما يفسد القلب، ومفسدات القلب خمسة هي: كثرة المخالطة، والأمانى الباطلة، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم. ٥- التكاسل عن أداء الطاعات وإضاعتها. ٦- عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده. ٧- الغفلة، وهي داء وبيل، ومرض خطير. ٨- مصاحبة أصدقاء السوء والجلوس في الأجواء الفاسدة. ٩- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله. ١٠- الإكثار من الفضوليات، فضول الأكل، والشرب، والكلام بغير ذكر الله، والنظر، والسمع، والنوم، والمخالطة، والاهتمام بما لا يعني المرء. ١١- كثرة الضحك. ١٢- كثرة الذنوب. ١٣- نقض العهد والميثاق مع الله عز وجل. ١٤- عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم. ١٥- التعصب للرأي وكثرة الجدل. ١٦- الابتداع في الدين. ١٧- ظلم الضعفاء وأكل المال الحرام وعدم التورع عن الشبهات. ١٨- كبر النفس واحتقار الآخرين. علاج قسوة القلب: ١- الدعاء والتضرع، وسؤال الله عز وجل. ٢- الإكثار من ذكر الله عز وجل. ٣- الإكثار من ذكر هادم اللذات. ٤- الإكثار من زيارة القبور للرجال. ٥- الإحسان لليتامى والأرامل والمساكين. ٦- أكل الحلال الطيب. ٧- ملازمة الاستغفار. ٨- النظر في آيات القرآن والتفكير في وعده ووعيده، وأمره ونهيه. ٩- تذكر الآخرة والتفكير في القيامة وأهوالها والجنة والنار. ١٠- الخلوة بالنفس ومحاسبتها ومجاهدتها. ١١- البعد عن مخالطة أصدقاء السوء، والحرص على مجالسة الصالحين. [٢٢] ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعاً وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضَلَّ يَضِلُّ ضَلَالًا وَضَلَالَةً). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضَلَّلَ يَضِلُّلُ تَضْلِيلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت = [٢٩] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ قرئ: (سَالِمًا) بالألف وكسر اللام اسم فاعل، أي: خالصاً من الشركة. وقرئ: (سَلَمًا) بفتح السين واللام بلا ألف، مصدر وُصِفَ به مبالغة في الخلو من الشركة.

= إلا حديثاً، حيث إن الفكرة التي كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول: إن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتياً إليه من حفر وآبار في قيعان البحار، وقديماً قال المفسرون في تفسير الآية: وهذا دليل على أن ماء العيون من المطر. [٢٦] ﴿فَإِذَا قَهَمَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ إعجاز عددي: = وأعوان، وجزاء الخلق على الشكر والكفران، وذكر شرف التهجددين في الدياجير بعبادة الرحمن، وبيان أجر الصابرين وذل أصحاب الخسران، وبشارة المؤمنين في استماع القرآن بإحسان، وإضافة عُرف الجنان لأهل الإخلاص والعرفان، وشرح صدر المؤمنين بنور التوحيد والإيمان، وبيان أحوال آيات الفرقان، وعجائب تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيهه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيهه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ
إِنْجَاءَهُ: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي
جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ: أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤)
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عِبْدَهُ: وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: وَمَنْ يُضْلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ
أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا
عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩)
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)

(٤٦٢)

٣٢- ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾: يعني بالقرآن ﴿مَثْوًى﴾: مأوى ومسكن. ٣٣- ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾: هو رسول الله ﷺ «بالصدق»: قول لا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: أيضاً رسول الله: وقال علي بن أبي طالب وأبو العالية وجماعة: الذي جاء بالصدق: محمد، والذي صدق به: أبو بكر. وقيل: المصدقون به: المؤمنون كافة، وحمل الآية على هذا العموم أولى. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: اتقوا الشرك، وخافوا عقاب الله. ٣٤- ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: في الدنيا مما يرضي الله عنهم، دون أسوئها. ٣٥- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾: يعني محمداً ﷺ، ما يخوفه به المشركون، فيعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: يقول ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين يعبدون من دون الله من الأوثان والآلهة، أن تضيق بسوء!! وروي أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى كسر «الغزى»، فقال سادنها: يا خالد إني أخاف عليك منها، فلها قوة لا يقوم لها شيء، فآخذ خالد الفأس فهشم به وجهها وانصرف. ٣٦- ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: به أكتفي، وإياه أعبد، وإليه أفزع في أموري. ٣٧- ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: على تمكنكم من العمل الذي تعملون ﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾: على ما سلف من عمل أنبياء الله عز وجل قبلي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إذا جاءكم بأمر الله. ٣٨- ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: أي يهينه ويذله في الدنيا، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا يفارقه أبداً في الآخرة. = الزمر: ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفاً وتحذيراً؛ ليتذكروا فينزعوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. [٣١] ﴿قُلْ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]. ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبْعَثُونَ يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء، فهذا ما دلت عليه آية المؤمنون، أما الزمر: ثم إنكم جميعاً أيها الناس يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف. [٣٥] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ قَوْلَهُ: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]. المراد من آية النحل التي افتتحت بـ"ما" الموصولة في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ الإطلاق والعموم، فكانت في هذا الموضوع أولى من "الذي" ... فالإطلاق أملك بها، وهو المقصود في النحل.. وتكررت في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد.. ثم ناسبها ووافقها ورودها في قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وأما آية الزمر فواردة في معنى الخصوص المقصود به طائفة بعينها، ألا ترى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، والمراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، والذي صدق به متقدمو الصحابة ممن سبق وحسن تصديقه، كأبي بكر رضي الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره، وهؤلاء مخصوصون لا يشار إليهم في حالهم غيرهم، وفيهم ورد ما بعد، وإليهم ترجع الضمائر من قوله: ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]، فلم يكن ليصلح هنا غير الأداة العهدية، فجاء بـ"الذي" في الموضعين من قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

= نكرة ثلاثاً وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة (في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلاً: ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١].

[٣٥] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥]. ما الفرق بين: "كَفَّرَ وَغَفَرَ؟" **الجواب:** ١- اختصت (كفر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفر) إلى (الله)، بينما أسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ **والجواب:** أن التوبة نوعان: ١- نوع متعلق بمعاصي في حق الله -تعالى- وهذا النوع تكون التوبة فيه = [٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ: وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ قوله تعالى: ﴿عَبْدَهُ﴾ قرئ: (عباده) بالألف على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين. وقرئ: (عبده) بغير ألف، أي: كافيك يا محمد أمر الكفار؛ فالمفعول الثاني فيهما محذوف. [٣٨] ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾ قرئ: (كاشفات-وممسكات-ضره-رحمته) بتنوين "كاشفات" وممسكات" ونصب "ضره" و"رحمته" اسم فاعل بشرطه، فيعمل عمل فعله، ويتعدى لواحد بنفسه وإلى آخر بعن، أي: عني. وقرئ: (كاشفات-وممسكات-ضره-رحمته) بغير تنوين فيهما وجر "ضره" و"رحمته" على الإضافة اللفظية.

= تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥)، مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، وردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة في (٦٥) موضعاً. [٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَئِيتٌ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذاً يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= القرآن، وتمثيل أحوال أهل الكفر وأهل الإيمان، والخطاب مع المصطفى بالموت والفناء وتحلل الأبدان، وبشارة أهل الصدق بحسن الجزاء والغفران، والوعد بالكفاية والكلالة للعبدان، وبيان العجز عن العون، والنصرة للأصنام والأوثان، وعجائب الصنع في الرؤيا والنوم وماله من غريب الشأن، ونفرة الكفار من =

٤١- ﴿لِّلنَّاسِ﴾: أي: لأجلهم وليبان ما كُلفوا به. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: بربقرب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم بل ليس عليك إلا البلاغ، وقد فعلت. ٤٢- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾: إلى آخر الآية: ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وجسدها، وأرسل الأرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى انقضاء مدة حياتها. وفي تفسير الآية اختلاف كثير. ٤٣- ﴿أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: معنى الكلام: قل لهم يا محمد: أنتخذون هذه الآلهة شفعاء، ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرراً، ولا يعقلون شيئاً؟ ٤٤- ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾: لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. ٤٥- ﴿أَسْمَارَتْ﴾: نفرت من توحيد الله عز وجل وانقبضت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: الآلهة التي كانوا يعبدون ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون. وهذه القلوب والعقول والنفوس والأفهام التي تشتمز من التوحيد، وتسر وتفرح وتستبشر بكل ما سوى الله - أمرها عجيب غريب، وأعجب ما فيها أنها لم تنقطع عبر عصور التاريخ! ٤٦- ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾: تجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءته، فيظهر بذلك من هو الحق ومن هو المبطل فيما كانوا فيه يختلفون. ٤٧- ﴿وَبَدَأَهُمْ﴾: ظهر لهم ﴿مَا لَهُمْ بِكَ يَحْسِبُونَ﴾: ظهر لهم من عقاب الله وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم. وفي هذا تهديد بالغ ووعيد عظيم. ٤٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن مجاهد: أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة، وفرحهم عند ذكر الآلهة، كما رُغم في الرواية الباطلة.

٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ١]. غالب المواضع التي خطب فيها النبي ﷺ بالإنزال أو التنزيل أو النزول إن عُدِّي بـ"إلى" ففيه تكليف له، أو بـ"على" ففيه تخفيف عنه، فما في الآية الأولى تكليف له بالإخلاص في العبادة بدليل قوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾، وما في الآية الثانية تخفيف عنه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، أي: لست بمسؤول عنهم. ٤١] ﴿فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الزمر: ٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَكِي لِنَفْسِهِ﴾. سورة الزمر لم يذكر فيها "إنما يهتدي"؛ لأنها متأخرة عن تلك السور؛ فاكتمى بذكره فيها. قول آخر: قال: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾. في يونس والإسراء والنمل بصيغة قصر الاهتداء على نفس المهتدي؛ لأن الأمر فيها بمخاطبة المشركين، فكان المقام فيها مناسباً لبيان أن فائدة اهتدائهم لا تعود إلا لأنفسهم، أي: ليست لي منفعة من اهتدائهم، خلافاً لآية الزمر، فإنها خطاب موجه من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ليس فيها حال من ينزل منزلة المدل باهتدائه. ٤٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِكَ يَحْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشريعته، لو أنهم سلكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أن يفتدوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بما ملكوا، ما تقبل الله ذلك منهم، ولهم عذاب موجه، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أما آية الزمر: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعاً من مال وذخائر، ومثله معه مضاعفاً، لبدلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوا وافتدوا به - ما قبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحسبون في الدنيا أنه نازل بهم.

= بالندم، والإقلاع عن المعصية، والعزم على عدم العودة إليها أبداً. ٢- ونوع يتعلق بمعاصي في حق العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوباً» أو «خطايا» والعفو عنها «غفراناً» وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيراً). أمثلة: أولاً- (كفر): ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ [الطلاق: ٥]. ثانياً- (غفر): ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَلَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ [التغابن: ١٤]. ٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَافْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِكَ يَحْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. فكلما ازدادت طاعتك لله ازدادت كفاية الله لك. ٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِكَ يَحْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. قال مجاهد: (عملوا أعمالاً توهّموا أنها حسنات، فإذا هي سيئات). وقال سفيان الثوري: (ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آبتهم، وقصتهم). ٥٤] ﴿وَأَيُّوبُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]. قال ابن القيم: الإجابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته، وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمُتَابَعَة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده، عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفية لقوميه: ﴿إِذَا قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ هَاهُنَا عَلَيْهِ تَكُونُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. ٤٢] ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ قرئ: (قضى- الموت) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء مبنياً للمفعول، و"الموت" بالرفع نائب الفاعل. وقرئ: (قضى- الموت) بفتح القاف والضاد مبنياً للفاعل، و"الموت" بالنصب مفعوله.

= سماع ذكر الواحد الفرد الديان، والبشارة بالرحمة لأهل الإيثار، وإظهار الحسرة والتدانة يوم القيامة من أهل العصيان، وتأسفهم في تقصيرهم في الطاعة زمان الإمكان، وإضافة الملوك إلى قبضة قدرة الرحمن، ونفخ الصور على سبيل الهيبة، والسياسة، وإشراق العرصات بنور العدل، وعظمة السلطان، وسوق الكفار بالذل والخزي إلى دار العقوبة والهوان، وتفريح المؤمنين بالسلام عليهم في دار الكرامة، وغرف الجنان، وحكم الحق بين الخلق بالعدل، وختمه بالفضل والإحسان.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِكَ يَحْسِبُونَ ﴿٤٧﴾

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٨- ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾ أي مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: وجب عليهم ولزمهم عذاب الله، الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا. ٤٩- ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾: أصابه. والمراد بالإنسان هو: جنس الإنسان وقيل: الكفار فقط. ﴿ضُرٌّ﴾: بؤس وشدة. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾: فرجاً وسعة. ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾: أعطيته. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: عندي من الله عز وجل. ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: بآتي له أهل لشرفي، ورضاه بعلمي. وقيل: على علم مني بوجوه المكاسب، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: اختبار اختبارناهم به. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأي سبب أعطوا ذلك. فقد يكون استدراجاً وامتحاناً. ٥٠- ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾: أي: لم يغن عنهم. ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من أعمالهم، وعبادتهم الأوثان، لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولا شفعت لهم. ٥١- ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ﴾: من مشركي مكة، أو من هؤلاء المعاصرين. ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: لا يفوتون ربهم، ولا يسبقونه هرباً. ٥٢- ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق الرزق على من يشاء من عباده. ٥٣- ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: عنى بذلك: جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك. والمراد بالإسراف: اقتراف المعاصي والآثام. ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾: لا تياسوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: يسترها كلها بعفوه ورحمته سبحانه. ٥٤- ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: أقبلوا إلى ربكم بالتوبة، وراجعوه بالطاعة ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾: اخضعوا له بالطاعة، والإقرار بالخيفية. ٥٥- ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: يعني القرآن، يقول: أحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، والقرآن كله حسن، فهو كقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة. ٥٦- ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: لثلاث تقول نفس: ﴿بِحَسْرَةٍ﴾: يا ندماً. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ﴾: ضيعت ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: في أمر الله وطاعته ﴿لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾: المستهزئين بأمر الله عز وجل. ٥٣ ﴿قوله تعالى﴾: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا﴾ الآية تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة.

وأخرج الحاكم، والطبراني عن ابن عمر قال: كنا نقول: ما لفتنت توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيها ﴿يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا﴾ الآية. وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعو إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلقى أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهنأناً؟ وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله ﷻ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الآية. فقال وحشي: هذا شرط شديد، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة، فلا أدري أيعفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله ﷻ ﴿يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية. قال وحشي: هذا نعم، فأسلم. ٤٨ ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٨]، ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾ في سورة الزمر وقع بين ألفاظ الكسب، وهو قوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]، وفي الجاثية وقع بين ألفاظ العمل وهو: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، و﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية: ٣٠]، وبعده: ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾، فخضت كل سورة بما اقتضاه طرفاها. ٥٢ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزمر: ٥٢]، ﴿بَسَطَ الرِّزْقَ مِمَّا يَشَاهِدُ وَيُرَى﴾، فجاء في سورة الروم على ما يقتضيه اللفظ والمعنى، وفي سورة الزمر اتصل بقوله: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وبعده: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]، فحسن ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾. ٥٥ ﴿أَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾... [الأعراف: ٣]، ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾... [الزمر: ٥٥]، اتبعوا أيها الناس ما أنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الزمر: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه...

٦٦ ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]. ولم يقل (بل اعبد الله) لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة له دون غيره. ٦٦ ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٦]. فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب لنعمة تستحق عليه زيادة الشكر. ٧٢ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْىِ السَّكِرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢] تعريف الكبر: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدماً عليهم حريصاً جداً أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظاً بصدر المجلس مستقلاً به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصغير الخد، والنظر شزراً، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغة كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبخره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى المتكبر شغلاً في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله" يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل = ٥٦ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ﴾ قوله تعالى: ﴿بِحَسْرَةٍ﴾ قرئ: (يا حسرتاي) بألف بعد التاء وياء بعدها مفتوحة، واختلف في إسكان الياء وفتحها وكلاهما صحيح كما في "النشر"، جمعاً بين المعوض والمعوّض عنه، أو أنه تثنية "حسرة" مضاف لياء المتكلم، وعوض: بأنه كان ينبغي أن يقال: حسرتي يادغام ياء النصب في ياء الإضافة، ويجوز: أن يكون راعى لغة من يقول: رأيت الزيدان. وقرئ: (يا حسرتا) بالتاء المفتوحة وبعدها ألف بدلاً من ياء الإضافة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فِئَسَ مَوْتَى الْأَمْكِرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ۖ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

٦٨ - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: الصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة الأولى ﴿فَصَبَقَ﴾: مات ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: قيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾: حين يبعثون. وروي أن ما بين النفختين أربعون سنة. ٦٩ - ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾: بعدله وحكمه سبحانه ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب أعمالهم، لحاسبتهم ومجازاتهم ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾: إلى الموقف فستلوا عما أجابتهم به أمهم. ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾: الشهود من أمة محمد، ليستشهدهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله إلى أمها. ٧٠ - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: ووجبت. ٧١ - ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فِئَسَ مَوْتَى﴾: مسكن. ٧٢ - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ۖ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾: ماكن، لا تنتقلون عنها أبداً. ٧٣ - ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: اتخذ ونسكن منها حيث نحب وننتهي. وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة».

[٦٨] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَّخِيرٌ﴾ [النمل: ٨٧]، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ [الزمر: ٦٨]. آية النمل في نفخة البعث، ولذلك قال تعالى: ﴿وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَّخِيرٌ﴾، وآية الزمر في نفخة الموت، ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾. [٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]. لماذا ذكرت "رهم" و"الواو" في صفة أهل الجنة؟ والجواب والله أعلم: أن عدم ذكر كلمة "رهم" مع الذين كفروا هو لسببين: الأول: أنهم يساقون إلى النار، والثاني: أنهم لا يستحقون أن تذكر كلمة رهم معهم، فلا نقول: وسيق الذين كفروا رهم إلى جهنم، لأن كلمة الرب فيها نوع من التكريم، فالربوبية رعاية ورحمة، ولا تنسجم مع السوق للعذاب، ولا يراد لهم أن يكونوا قريبين من رهم، لكنها منسجمة مع سوق الذين اتقوا رهم إلى الجنة، فهي في هذه الحالة مطلوبة ومنسجمة ومحبة إليهم. أما عن ذكر الواو في الآية الثانية، فلأن الواو واو الحال، وذلك أن الأكابر الأجلاء الأعزاء تفتح لهم أبواب الأماكن التي يقصدونها قبل وصولهم إليها إكراماً لهم وتبجيلاً وصيانة عن وقوفهم منتظرين فتحها، والمهان لا يفتح له الباب إلا بعد وقوفه وامتنانه؛ فذكر أهل الجنة بما يليق بهم، وذكر أهل النار بما يليق بهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ مِّنْجَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]. ﴿... وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن أهل الجنة وشكرهم لله على هذه النعمة العظيمة.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]. يقول ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه، وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذايره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. فإن سألت عن أرضها وتربتها: فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها: فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن ملاحظها: فهو المسك الأذفر. وإن سألت عن حصبتها: فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها: فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا من الخشب والخشب. وإن سألت عن أشجارها: فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب. وإن سألت عن ثمرها: فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها: فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. ويقول ابن القيم أيضاً في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي مناد يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيى على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيع الذي جعل لهم موعداً، وجعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء- على كئيبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأننت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لا حترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه يقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة. ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة. ويا ذلة الراجعين بالصفة الخاسرة.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ﴾ معاً هنا و"النبأ: ١٩" قرئ: (فُتِحَتْ) بتخفيف التاء من فتح الثلاثي يفتح. وقرئ: (فُتِحَتْ) بالتشديد على التكثير من فُتِحَ المضعف. [٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

٧٥- ﴿وَرَى الْمَلَكَةَ حَافِيَةً﴾: مُحَدِّقِينَ ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: عرش رب العالمين. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: فتح الله عز وجل أول الخلق، بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

سُورَةُ غَافِرٍ

هذه السورة أول الحواميم السبع، وقد روي فيها أنها ديباج القرآن، وجميعها نزلت بمكة. ١- ﴿حَم﴾: نظير ﴿التَّ﴾ و﴿التر﴾. ٢- ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ﴾: معنى الكلام: تنزيل هذا الكتاب ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. ٣- ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾: يقبل التوبة من عباده. و﴿التوب﴾: مصدر بمعنى التوبة، من تاب يتوب توبةً وتوباً. وقيل هو جمع توبة. ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: ذي الفضل والنعمة المبسوطة على خلقه. ٤- ﴿مَا يُجَدِّدُ﴾: يخاصم بالإنكار. وقيل: يجادل بالباطل لدحض الحق. ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: في حججه وأدلته على وحدانيته ﴿فَلَا يَغْزُكَ﴾: لا يخدعك ﴿تَقْلِبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ﴾: بقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم، فتحسب أنهم أهملوا لأنهم على شيء من الحق، إنما ذلك ليبلغ الكتاب أجله. ٥- ﴿وَالْأَحْزَابِ﴾: الكفار ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: فيقتلوه، ووجهت «الهاء والميم» إلى الرجال دون لفظ «الأمة». ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: ليبطلوا بخصومتهم من الباطل الحق الذي جاءهم به. ٦- ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ﴾: وجبت. ٧- ﴿يُؤْسِرُونَ﴾: يُصَلُّونَ لربهم بحمده ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: لأهل لا إله إلا الله، ويقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: علمت كل شيء من خلقك فلم يخف عليك، ورحمت خلقك فوسعتهم برحمتك ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾: من الشرك بك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: طريق عبادتك ﴿وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: احفظهم منه. ٤ ﴿قوله تعالى: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي. ١١ ﴿حَم﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿حَم﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. ٦ ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٦]. آية غافر تقدمها قوله: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، ثم أعقب بذكر قوم نوح والأحزاب، وهم كل أمة برسولهم ليأخذوه، وأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذهم الله وأهلكهم، ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فلما تقدم في هذه السورة ذكر من حقت عليه كلمة العذاب عطف عليه ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ﴾، أمّا آية يونس فلم يتقدم ما يعطف عليه. ٧ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، ﴿يُؤْسِرُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. ما هو وجه تخصيص سؤال الاستغفار للمؤمنين في غافر وتعميمه في الشورى؟ الجواب: أن ذلك جار بحسب المناسبة، ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر من ذكر المتقين في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقول الملائكة لهم عند دخولهم الجنة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقول الداخلين عند دخولها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٤]، ٧٥ ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]. حذف فاعل القول، لأنه غير معين، بل كل أحد يحمده على ذلك الحكم الذي حكم فيه، فيحمده أهل السماوات وأهل الأرض، والأبرار والفجار، والإنس والجن، حتى أهل النار، قال الحسن أو غيره: (لقد دخلوا النار، وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً). ٣ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥]، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]. ما الفرق بين: "كُفِّرَ" و"غُفِّرَ"؟ الجواب: ١- اختصت (كُفِّرَ) بالسيئات، بينما اختصت (غُفِّرَ) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كُفِّرَ) إلى (الله)، بينما أسندت (غُفِّرَ) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كُفِّرَ) بالسيئات و(غُفِّرَ) بالذنوب والخطايا؟ الجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوع متعلق بمعاصي في حق الله - تعالى - وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبداً. ٢- نوع يتعلق بمعاصي في حق العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوباً» أو «خطايا» والعفو عنها «غفراناً»، وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيراً). أمثلة: أولاً- (كُفِّرَ): ﴿لَا تُكْفِرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥]، ﴿ثَانِيًا- (غُفِّرَ): ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ [التغابن: ١٤]. ٧ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ...﴾ [غافر: ٧]. في هذه الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم، فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي، ولا بين ملك وبشر، ومع ذلك لما جمعتهما صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى. قال أحد السلف: ما أكرم المؤمن على الله! نائم على فراشه، والملائكة يستغفرون له. وقال آخر: علمت الملائكة أن الله عز وجل يحب عباده المؤمنين فتقربوا إليه بالشفاعة فيهم، وأحسن القرب أن يسأل المحب إكرام حبيبه، فإنك لو سألت شخصاً أن يزيد في إكرام ولده لارتفعت عنده، حيث تحثه على إكرام محبوبه.

نزول سورة غافر: نزلت بعد سورة الزمر، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة غافر: ألف ومائة وتسع وتسعون. عدد حروف سورة غافر: أربعة آلاف وتسعمائة وستون. أساء سورة غافر: لها ثلاثة أساء: سورة المؤمن؛ لاشتغالها على حديث مؤمن آل فرعون. وسورة الطول. وسورة حم الأولى؛ لأنها أولى ذوات حم. = تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَرَى الْمَلَكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَم تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ

٤٦٧

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَدُونَ لِمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتَيْنَا أَتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِدُعَائِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا مَنْ يُلَئِبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٩- ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم. وقيل: قهم العقوبات، أو جزاء السيئات. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم القيامة. ١٠- ﴿لِمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم، فنودوا: لمقت الله إياكم في الدنيا أكبر. ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾: أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم إذ عايتم النار. ١١- ﴿أَتَيْنَا أَتَيْنَا أَتَيْنَا﴾: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم فيها، ثم أحياهم للبعث. ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾: إلى كرّة، رجعة، إلى الدنيا. ١٢- ﴿ذَلِكُمْ﴾: معنى: هذا الذي لكم من العذاب. ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾: القضاء اليوم لله دون غيره. ١٣- ﴿إِلَّا مَنْ يُلَئِبُ﴾: إلا من يرجع إلى توحيد الله عز وجل، وقيل: إلى طاعته. ١٤- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: الطاعة. ١٥- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾: يقول تعالى: هو رفيع الدرجات ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾: ينزل الوحي ﴿لِيُنْذِرَ﴾: من ألقى الروح إليه من عباده من أمر الله عز وجل بإنذاره، عذاب ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: يوم يلتقي أهل السموات وأهل الأرض في المحشر، وهو يوم القيامة. وقيل: تلاقي الناس مع بارئهم سبحانه. ١٦- ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾: ظاهرون لعيون الناظرين ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: ذكر أن الرب جل جلاله يقول ذلك يومئذ، فلا يدعي الملك أحد غيره فيجب نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. وقيل: هو حكاية لما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم، لانقطاع دعاوى المبطلين. قال ابن عطية رحمه الله تعالى: «وإذا تأمل المؤمن أنه لا حول لمخلوق ولا قوة إلا بالله، فالزمان كله وأيام الدهر أجمع إنما الملك فيها للواحد القهار، لكن ظهور ذلك للكفرة والجهلة يتضح يوم القيامة». [١٢] معنى اسم الله العلي: (العلي، الأعلى، المتعال): وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه. فله علو الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علو القدر: وهو علو صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يعلم أنه ليس كمثل شيء في كل نعوته. وله علو القهر؛ فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [١٢] معنى اسم الله الكبير: وهو بفتح الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى. وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مثلت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه سبحانه عز وجل. [١٦] معنى اسم الله الواحد: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيد، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفردّه بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة. والأحد، يعني: الذي تفرد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال. فليس له فيها مثل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقبوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات. ومن تحقيق أحديته وتفردّه بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبّر عنها ألسنتهم. [١٦] معنى اسم الله القهار: هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت =

إلى ختام السورة، ثم تبع ذلك قوله تعالى في مطلع سورة غافر: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين بصفات المذكورين، ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبراً عن ملائكته بقولهم داعين: ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وأما قوله تعالى أثناء هذه الآية: ﴿مَا يَجْدِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْكِلْبِ﴾ [غافر: ٤]، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]، فتأنيس للمؤمنين، وباعث على شكر النعمة على ما من به عليهم من هدايتهم وسلامتهم من موجب أخذ من كذب وعاند، فبان التناسب في هذا كله. وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في خاتمة سورة فصلت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢] إلى قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرْبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ قُوقِهِمْ وَأَلْمَلِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]، فناسب هذا استغفارهم لمن في الأرض لعظيم ما تقدم منهم مما أشار إليه قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ﴾، فلولا حلمه تعالى لعجل هلاكهم، فاستغفار الملائكة إبقاء منه سبحانه عليهم إذ لا يفوتونه، وقد يؤمن من سبقت له السعادة منهم، فقد وضع مناسبة الوارد في الموضوعين لما بني عليه، وأن عكس الوارد غير مناسب.

[٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١]، ما الفرق بين: "التوبة والتوب والمتاب"؟ الجواب: وردت كلمة (توبة) سبع مرات، بينما وردت كلمة (التوب) مرة واحدة، ووردت كلمة (متاب) مرتين. (التوبة) و(التوب) مصدران، غير أن التوبة أقوى وأشد معنى من (التوب) لذا وردت كل منهما في موضعها المناسب. أما (متاب) فلها معنيان: ١- اسم مكان من التوبة: أي مرجعي (معنى بالتوبة وحسباً بالمعاد). ٢- مفعول مطلق (توب متاباً). كما أن (متاباً) اتسقت مع الفواصل التي اكتفتها (سلاماً- قياماً- غراماً- مقاماً- قواماً- مهاناً- متاباً- كراماً- إماماً- سلاماً- مقاماً- لزاماً). [١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتَيْنَا أَتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِدُعَائِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، أي: إمامتين وإحياءتين، لأنهم كانوا نطقاً أمواتاً فأحيوا ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث، وهذا كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]. = مواضع سورة غافر: معظم مقصود السورة: المنة على الخلق بالغفران، وقبول التوبة، وخطبة التوحيد على جلال الحق، وتقلب الكفار بالكسب والتجارة، وبيان وظيفة حملة العرش، وتضرع الكفار في قعر الجحيم، وإظهار أنوار العدل في القيامة، وذكر إهلاك القرون الماضية، وإنكار فرعون على موسى وهارون، ومناظرة =

١٧- ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لأنه سبحانه لا يحتاج إلى عد وفكر، لأنه أحاط بكل شيء علماً، فلا يعزب عنه مثقال ذرة. وقيل: إن الله تعالى يفرغ من حساب عباده والقضاء بينهم قبل أن ينتصف اليوم. ١٨- ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾: يوم القيامة، سُميت بذلك لقربها، من: أزف الشيء: إذا قرب. والتقدير: يوم الساعة الأرزفة. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: أي: عند الحناجر، قد شخصت من صدورهم فتعلقت من حلوقهم، وذلك من الخوف والغم والكرب، وهذا قد يكون حقيقة يوم القيامة، ويحتمل أن يكون تجوزاً، عبر به عما يجده الإنسان من الجزع بصعود القلب. ﴿كَطَمِينٍ﴾: يرومون ردها إلى أماكنها فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتون. وقيل: المعنى: مغمومين مكروبين ممتلئين غماً. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾: للكافرين بالله ﴿مِنْ حِمِيمٍ﴾: قريب ينفعهم ويعينه أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ إِلَّا مَنْ أَعِينَ﴾: يشفع لهم. ١٩- ﴿يَعْلَمُ حَاسِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: يعلم الله ما خانت أعين عباده إذا نظرت، وما تُريد من نظر تنظره، وتنوي فيه. ٢٠- ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾: يجازي بالحسنة الحسنة، وبالسبئية السيئة. ٢١- ﴿مِنْ وَاقٍ﴾: من دافع يقيم بأس الله، ويدفع عنهم العذاب. ٢٢- ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: عاقبهم جزاء صنيعهم. ٢٣- ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة مبينة، واضحة، وهي التوراة. ٢٤- ﴿فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾: رؤساء المكذبين بموسى، والذين قالوا عنه إنه ساحر كذاب: هم فرعون ووزيره وصاحب الأموال والكنوز. ٢٥- ﴿وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: استبقوهم، على قيد الحياة، للخدمة ﴿وَمَا كَيْدٌ﴾: احتيال ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: جور عن سبيل الحق.

= لقدرته ومشيتته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته، وقوة عزته واقتداره. إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان.

اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴿١٧﴾ وأذرعهم يوم الأرزفة إذ القلوب لدى الحناجر كطمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴿١٨﴾ يعلم حاسنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿١٩﴾ والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير ﴿٢٠﴾ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وإننا في الأرض فآخذهم الله يدوهم وما كان لهم من الله من وافي ﴿٢١﴾ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب ﴿٢٢﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴿٢٣﴾ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا وسحر كذاب ﴿٢٤﴾ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلو أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴿٢٥﴾

(٤٦٩)

[١٨] ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]، ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَطَمِينٍ﴾ [غافر: ١٨]. اليوم المشار إليه يشتمل على مواقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة، وبحسب ذلك تختلف العبارة والأخبار لاختلاف المقاصد والمواطن... فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي يحصل فيه العلم اليقين لأهل النار بتأييد خلودهم واستمرار عذابهم إلى غير نهاية، ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك، فلا أشد فرحاً من أهل الجنة يومئذ، ولا أشد حسرة من أهل النار...، وأما آية سورة المؤمن فقد ورد قبلها قوله تعالى خطاباً للمؤمنين: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، ثم تابع الكلام معه إلى الآية من قوله: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾، فخوفوا بإسراع أمر الساعة وتعجيل وقوعها... [٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩، فاطر: ٤٤، أول غافر: ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذاك مؤدياً إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالاً أرسلوا إليهم فخالفهم، فاعتبروا أنهم بآثارهم ومشاهدة ديارهم لتجنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مُعْطَلَةٌ وَأَقْصَرُ مَسِيرُ﴾ [الحج: ٤٥]، فكانه قال: إذا كان كذا فسيروا في الأرض واعتبروا، فأما قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه، إذ لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الروم: ٨]، فكان الموضع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ وهو بالواو، فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى اللواو هو الواجب، وكذلك ما جاء في سورة فاطر، وسورة غافر... فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي أن يكون هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو... [٢١] ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: ٢١]. قوله تعالى في الروم: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ إخبار عما كانوا عليه قبل الإهلاك، وخصت سورة الروم بهذا النسق لما يتصل به من الآيات بعده، وكله إخبار عما كانوا عليه وهو: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾، وفي فاطر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا﴾، بزيادة الواو؛ لأن التقدير: فينظروا كيف أهلَكوا = [٢٩] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. ما الفرق بين: "الرُّشْدُ والهُدَى"؟ "الجواب: يستعمل القرآن (هُدَى) في الخير والشر معاً، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعم، ووردوها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [٢٩] كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَتَهُ، يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رُشْد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع = [٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾ قرئ: (تدعون) بالخطاب للكفار، أو على الالتفات، أو إضمار قل. وقرئ: (يدعون) بالغيب لمناسبة ما قبله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾، ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ﴾ [٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ قرئ: (منكم) بالكاف موضع الهاء للالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وقرئ: (منهم) بضمير الغيب لمناسبة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.

= مؤمن آل فرعون لقوم فرعون نائباً عن موسى، وعرض أرواح الكفار على العقوبة، ووعد النصر للرسل، وإقامة أنواع الحجّة والبرهان على أهل الكفر والضلال، والوعد بإجابة دعاء المؤمنين، وإظهار أنواع العجائب من صنع الله، وعجز المشركين في العذاب، وأن الإيمان عند اليأس غير نافع، والحكم بخسران الكافرين والمبطلين.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٦٨﴾ يَقُولُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرَ لِي فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٧٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٧١﴾ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٧٢﴾ يَوْمَ تُنَادِي بِأَنَّهُمْ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٧٣﴾

٢٦- ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾: الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: أن يغير دينكم الذي أنتم عليه ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾: الخلاف، والفتنة! وكذلك حال فرعون، يعدّ العدل والهداية فساداً، ويعدّ فساد الطغاة وإفسادهم وإذلالهم للعباد عدلاً وحرية! وشراً خلق الله في الأرض من ينطبق على أقواله وأفعاله: المثل العربي: رمتني بدائها وانسلت. ٢٧- ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ﴾: استجرت بالله ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾: على ربه. ٢٨- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كان قد آمن بموسى، وكنتم إيمانه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾: لا يوفق للحق ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: متعد إلى ما ليس له، والمُسرف: المقيم على المعاصي. المستكثر منها. ﴿كَذَّابٌ﴾: على الله. ٢٩- ﴿ظَاهِرِينَ﴾: على بني إسرائيل قاهرين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾: من سطوته وعقوبته ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾: من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾: لنفسي صلاحاً وصواباً، يريد حملهم على ما يريد، والاستبداد دونهم بالرأي. وقيل: ما أرى في أمر موسى، وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة. ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾: أدعوكم ﴿إِلَّا سَبِيلَ﴾: طريق ﴿الرَّشَادِ﴾: الحق! ٣٠، ٣١- ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾: أي مثل يوم عذاب الأمم الماضية، الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح. ثم فسّر الأحزاب فقال: ﴿مِثْلَ دَابِ﴾: مثل سبته في ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾: أو مثل حالهم في العذاب. والداب: العادة. ٣٢- ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار، في قوله عز وجل: ﴿أَنْ قَدْ جِئْنَا مَاعِدَتَنَا حَقًّا﴾ [سورة الأعراف: ٤٤] إلى آخر الآية. وقيل: «يوم التناد»: يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً من فرع نفخة الفزع. ٣٣- ﴿مَذْبِرِينَ﴾: فارّين غير معجزين ﴿مِنْ عَاصِيٍّ﴾: ناصر.

= وكانوا أشد منهم قوة، وخصّت سورة فاطر به لقوله: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لُجُجَةً مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، وفي غافر ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، فأظهر "كان" العاملة في "من قبلهم"، وزاد "هم"؛ لأن أوائل سورة نوح وقعت في هذه السورة، وهي تيمّ في ثلاثين آية، فكان اللائق به البسط، وفي آخر غافر ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢] فلم يبسط القول؛ لأن أول السورة يدلّ عليه. ٢٢- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٢]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَنْشِئُونَ فَاخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [التغابن: ٦]. آية غافر خصت بالجمع؛ لأن هاء الكناية إنما زيدت لا متناع "أن" عن الدخول على كان، فخصّت هذه السورة بكناية المتقدم ذكرهم؛ موافقة لقوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، وخصّت سورة التغابن بضمير الأمر والشأن توصلاً إلى كان. وضمير الشأن في الكلام يكسبه نبلاً وفخامة، لأنه يفسره ما بعده، فيتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فالسامع إذا لم يفهم من الضمير معنى، بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه أفضل تمكن، ولذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني أن من خصائص "أن" أنك ترى في ضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللفظ ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها. ٢٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٩٦، غافر: ٢٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي هود وغافر، والآية تبين أن الله قد أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على حقيقة ما أرسل به، وحجة واضحة بيّنة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه من أرسل إليهم. ٢٤- ﴿وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ﴾ [غافر: ٢٤]. ما سبب اختلاف ترتيب ذكر فرعون وهامان وقارون في الآيتين؟ **الجواب**: أنه لما قال: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]، وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراة، وقربة موسى، ومعرفته، فناسب تقديم ذكره واسمه عليهم، وفي سورة غافر كان سياق الرسالة إلى قارون ولمخالفته وعداوته ذكر بعد فرعون وهامان وهلاكهما. ٢٥- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [غافر: ٢٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾. الوحيدة في سورة غافر فحسب، لأن الفعل لموسى، وفي سائر القرآن الفعل للحق. ٢٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]. لما قال تعالى في الأولى: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾؛ ناسب ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، ولما قال تعالى في الثانية: ﴿فَمَا زِلْنَا فِي شَيْءٍ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ﴾؛ ناسب ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

= الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحد هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد به (هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقّ كان أم إلى باطل، إلى صواب كان أم إلى خطأ، إلى خير كان أم إلى شر. (الرُشد) في القرآن أخصّ من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلة للرشد. **الرشد**: هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيف، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. ٢٩، ٣٨- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ أَنْبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]. ما الفرق بين: "رُشدًا، رُشد، رشاد"؟ **الجواب**: وردت كلمة (رُشدًا) خمس مرات. بينما وردت كلمة (رُشد) ست مرات. ووردت كلمة (رشاد) مرتين. تحمل الكلمات الثلاث معنى واحداً: هو الصلاح، لكن لكل منها خصوصية في المعنى = ٢٦- ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ قرئ: (وَأَنْ يُظْهِرَ) بواو النسق و"يظهر" بضم الياء وكسر الهاء من أظهر معدي ظهر بالهمزة، وفاعله ضمير موسى - عليه السلام - والفساد: بالنصب على المفعول به. وقرئ: (وَأَنْ يُظْهِرَ) بواو النسق أيضاً، و"يظهر" بفتح الياء والهاء من ظهر لازم، فالفساد بالرفع فاعله. وقرئ: (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ) أو أن بحرف (أو) وهو للعطف أيضاً، إلا أنه للتردد بين أمرين، أما الواو فللمجمع بينهما.

وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَاجِرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى السُّرْفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤٣- ﴿لَاجِرَمَ﴾: معناه: حقاً. و«جرم» فعل ماضٍ بمعنى: حق، و«لا» الداخلة عليه لنفي ما ادَّعوه، ورد ما زعموه. ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾: أي: حقٌ ووجب بطلان دعوته. يقول: هذا الصنم حماد لا يستجيب لأحد في الدنيا، ولا ينفع فيها ولا في الآخرة ﴿وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ﴾: مرجعنا ﴿وَأَتَى السُّرْفِينَ﴾: المشركين المتعدين حدوده، القاتلين الأنفس بغير حق. ٤٤- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: إذا عايتم عقاب الله ﴿وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾: أسلمته وأجعله إليه. ٤٥- ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ﴾: دفع الله عن هذا المؤمن ﴿سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾: ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، وكان قبطياً فنجاه الله مع موسى ﴿وَحَاقَ﴾: نزل وحل ﴿بِفِرْعَوْنَ﴾: تباعه وأهل طاعته ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾: ما ساءهم من عذاب الله. ٤٦- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: لما هلك فرعون وقومه جعل الله أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كل يوم مرتين غدوة وعشية ما دامت الدنيا، فيقال لهم: هذه منازلكم. وقيل: أراد الله تعالى أنهم يُعرضون في الآخرة على النار، على تقدير ما بين الغدو والعشي؛ إذ لا غدو ولا عشي في الآخرة، وإنما ذلك على التقدير بأيام الدنيا. وجمهور المفسرين على أن هذا العرض هو في البرزخ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. ٤٧- ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ﴾: يتخاصمون، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾: أي هل تدفعون عنا نصيباً منها أو تحملونه معنا؟ ٤٩- ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: الملائكة الموكلون بالقيام على النار وتعذيب أهلها.

[٤٧] ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢١]، ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]. يقول الأتباع لقادتهم يوم القيامة إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَتْبَاعًا، نأتمر بأمركم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً كما كنتم تعدوننا... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم،

أما آية غافر: يقول الأتباع المقلدون لرؤسائهم المستكبرين الذين أضلّوهم.. هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بتحملكم قسطاً من عذابنا؟ [٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوْمُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]. تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المعروف: هو كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات القولية والفعلية، الظاهرة، والباطنة. المنكر: هو كل ما أنكره الشرع ومنعه. حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واجب وفرض كفاية، إذا قام به من يكفي حصل المقصود، وإذا لم يقم به من يكفي؛ وجب على جميع المسلمين. مراتب تغيير المنكر: أولاً: يجب الإنكار باليد، بأن يزيل المنكر ويذهب أثره، كتكسир آلات اللهو والغناء، وإقامة الجالسين وقت الصلاة، وتوجيههم إلى المساجد. وهذا لأهل القدرة وهو السلطان أو من ينوب عنه أو رب الأسرة في بيته. ثانياً: إذا لم يقدر على ذلك وخاف الضرر ومنع من الإنكار والتغيير باليد، فإنه يغير بلسانه وذلك بمواجهة العاصي ومخاطبته، وإنكار ما هو متلبس به، وذلك بعد النصيح والتوجيه والإقناع. ثالثاً: إذا خاف الضرر، أو عرف عدم القبول، أو زيادة المنكر بالرد الشنيع والسخرية بالأمر والنهي، اقتصر على الإنكار بالقلب، وذلك بإظهار الكراهية لأهل الذنوب، والبعد عنهم والتحذير من شرورهم وهجرهم وبغضهم، ولو كانوا أقارب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور: ١- أن يكون الإنسان عالماً بالمعروف والمنكر، وقد يتسرع كثير من إخواننا الغيورين، فينهون عن أمور مباحة يظنونها منكراً فيضيقون على عباد الله. ٢- أن تعلم بأن هذا الرجل تارك للمعروف أو فاعل للمنكر، ولا تأخذ الناس بالتهمة أو بالظن. ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن يكون رفيقاً في أمره وفي نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقاً أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، فأنت إذا عنت على من تنصح ربما ينفر، وتأخذه العزة بالإثم، ولا يتقاد لك، ولكن إذا جئت بالتي هي أحسن فإنه ينتفع. ٤- أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه، زال إلى ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن نهى عنه، درءاً لكبرى المفسدتين بصغريهما؛ لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان، وكانت إحدهما أكبر من الأخرى؛ فإننا نتقي الكبرى بالصغرى. ٥- الواجب أن يأمر بما أمر به الشرع وإن كان لا يفعله، وأن ينهي عما نهى عنه الشرع، وإن كان لا يتجنبه؛ لأن كل واحد منهما واجب منفصل عن الآخر، وهما متلازمان. ٦- ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه. ٧- وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ولكن في حقول النساء، ليس في مجامع الرجال وفي أسواق الرجال. نسأل الله أن يعيننا وإياكم برحمته ومغفرته. من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١- إقامة الملة والشرعة وحفظ العقيدة والدين لتكون كلمة الله هي العليا. ٢- رفع العقوبات العامة. ٣- شد ظهر المؤمن وإرغام أئف المنافق. ٤- القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٥- سبب للنصر على الأعداء. ٦- تحقيق وصف الخيرية. ٧- التجافي عن صفات المنافقين. ٨- من مكفرات الخطايا. ٩- له ثواب كبير مما يوزح الله القائم به عن النار. ١٠- من أسباب التوفيق للدعاء والإجابة. ١١- البشارة لهم. ١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المفلحين. ١٣- البعد عن عقاب الله تعالى وعذابه فترك المنكر بدون إنكار سبب للعقوبة. ١٤- التعاون على فعل الخير.

[٤٦] ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا﴾ قرئ: (أدخلوا) بوصل همزة ادخلوا، وضم الخاء أمراً من دخل الثلاثي، و"الواو" ضمير آل فرعون، ونصب "آل" على النداء، والابتداء بهمزة مضمومة. وقرئ: (أدخلوا) بقطع الهمزة المفتوحة في الحالتين، وكسر الخاء، أمراً للخزنة من أدخل رباعياً معدى لاثنين، وهما آل وأشد. = إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، يسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٤٣] ﴿لَاجِرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) مرة في القرآن.

٥٠- ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: لا يُجاب دعاؤهم ولا ينفعهم. ٥١- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: منهم من نصره الله بالملك والسلطان كسليمان وداود، ومحمد وأمه ومنهم من نجاه الله وانتقم من أمته، كنوح وقومه، وموسى وفرعون، ومنهم من انتقم الله للرسول من بعد وفاتهم، كقتلة يحيى بن زكريا بأن سلط الله عليهم بُخْتَنَصْرُ. ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، بالشهادة أن الرسل قد بلغت أمها، وأن أمهم كذبتهم. ٥٢- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾: لأنها معذرة باطلة وشبهة داحضة ﴿وَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾: البعد من رحمة الله عز وجل، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم. ٥٣- ﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة. ٥٤- ﴿وَسَبِّحْ﴾: صل بالشكر منك لربك ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: وذلك من زوال الشمس إلى الليل، ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾: من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. ٥٥- ﴿يُجَدِّدُونَ﴾: يخاصمونك، ﴿فِي عَايَةِ اللَّهِ﴾: في حججه وبيئاته، ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾: بغير حجة ﴿أَتَنَّهُمْ﴾: جاءتهم من عند الله تعالى، ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾: بمعنى: ما في قلوبهم، ﴿إِلَّا كِبَرٌ﴾: يتكبرون من أجله عن اتباعك؛ حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله، ﴿مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ﴾: يقول عز وجل: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركين ولا نائلين وهو النبوة، وقيل: مُنَعُوا أن يغلبوه، وما هم ببالغي ذلك، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: استجربه من شرهم. ٥٨- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: مثل للكافر والمؤمن. ٥٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَدِّدُونَ فِي عَايَةِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ وأخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعظموا أمره وقالوا يصنع كذا، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَدِّدُونَ فِي عَايَةِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ قال: فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال. قال: لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

فَالْوَأَلُونَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٢﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٥﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَدِّدُونَ فِي عَايَةِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٨﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٠﴾

وأخرج عن كعب الأحبار في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَدِّدُونَ فِي عَايَةِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ قال: هم اليهود، نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

٥٥ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...﴾ [غافر: ٥٥]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيَنَّكَ ...﴾ [غافر: ٧٧]. الآيات الثلاث تدعو النبي إلى الصبر، وتوضح له أن وعد الله حق لا شك فيه، وآية الروم تبين له أن لا يستفزك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدّقون بالبعث والجزاء، وأمّا آية غافر فتدعوه إلى الاستغفار لذنبه، وأن يداوم على تنزيه ربه عمّا لا يليق به، في آخر النهار وأوله، وآية غافر الثانية: فإما نرينك أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفيتك قبل أن يحلّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنديقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

= والمعروف. ١٥- أمن المجتمع وطمأنينته، إذ به يندفع الشر، ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. ١٦- به تقليل الشر وإزالة للمظاهر السيئة في المجتمعات التي تدعو للفساد وتزينه حتى عند من لا يفكر فيه. من عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنه سبب للعن من الله تعالى وغضبه ومقتة وحلول عقابه في الدنيا والآخرة. ٤٠ ﴿وَأَفْكَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وَفَعَلَ"؟ [الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقل في المكروه. بينما تستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسندت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة- ولكن ما يجيء مسنداً إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله- تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديساً لله وتنزيهاً له- سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ [الجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العمل (كما قال بعض أهل العلم) يحتاج إلى تفكير ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صورته، واختيار ما يهدي إليه النظر فيها، والله- سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيره (أي يقوم بعمله غيره)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقير إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ [الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعل) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعل) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. ٤٦ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]. قال ابن سيرين: كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول: عرجت ملائكة، وهبطت ملائكة، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار. ٤٧ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠]، ﴿وَإِذْ يَتَحَفَّضُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنَوْنَ عَنَّْا فَنَصِيبَ مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]. تفيد آية الأنبياء أن أهل النار لا يسمعون فيها، وتفيد آية غافر وغيرها أن لهم سماعاً ومخاطمة ومحااجة، ولا تعارض بينهما؛ لأن السماع يكون قبل اليأس من الخلاص من النار، وأما بعد اليأس فتوصد عليهم النار ولا يسمعون.

٥٢ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ قرئ: (تنفع) الفعل بقاء في أوله على أنها تاء التأنيث، نظراً إلى أن فاعله وهو معذرة مؤنث مجازي. وقرئ: (ينفع) بالياء لكون ذلك التأنيث مجازياً وللفصل الفعل عن الفاعل. ٥٨ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا تَذَكَّرُونَ﴾ قرئ: (تذكرون) بتاءين من فوق على الخطاب التفاتاً لإظهار العنف الشديد والإنكار البليغ. وقرئ: (يتذكرون) بالياء من تحت، وتاء من فوق على الغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَدِّدُونَ﴾.

٥٦ ﴿إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (إيليس) بمشتقاته في كتاب الله (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها في كتاب الله (١١) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (إيليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (١١) مرة في كتاب الله.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَارِيبٌ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَارِكُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

٦٠- ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: اخلصوا لي العبادة ووحدوني أجب دعائكم، واغف عنكم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: يتعظمون عن إفرادي بالعبادة والخضوع لأوامري ﴿دَاخِرِينَ﴾: ذليلين صاغرين. ٦١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: يقول تعالى: فأني وجه تأخذون؟ وإلى أين تذهبون عنه متعبدين سواء؟ ٦٢- ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾: أي: كذاهكم الذي ذهبت، ومثل انصرافكم عن الرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين من قبلكم من الأمم، فسلكتكم أنتم مسلكهم في الضلال. ٦٣- ﴿فَكْرَارًا﴾: تستقرون عليها، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾: فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها. ٦٤- ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾: الدائم الحياة الذي لا يموت، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: روي عن ابن عباس أن من قال: لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. ٦٥- ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾: الآيات الواضحات، وقيل: هي الأدلة العقلية والنقلية، فإنها توجب التوحيد، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أن أذل وأخضع لرب كل شيء ومالك كل شيء جلّ وعلا. ٦٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وأخرج جوير عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد ارجع عما تقول، وعليك بدین آبائك وأجدادك، فانزل الله ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية.

الجواب: أن من علم أن الله تعالى خلق السماوات والأرض مع عظمها؛ اقتضى ذلك علمه بقدرته على خلق الإنسان وإعادته ثانيًا، لأن خلق الإنسان أضعف من ذلك وأيسر؛ فلذلك ختمه بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولما ذكر الناس وفضله عليهم؛ ناسب ختم الآية بقوله: ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾. ٦٢- ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢]. لما تقدم في الأنعام ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ناسب تقديم كلمة التوحيد للنافية للشرك ردًا عليهم، ثم ذكر الخلق، ولما تقدم في غافر كونه خالقًا بقوله تعالى: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ناسب تقديم كلمة الخلق ثم كلمة التوحيد. ٦٤، ٦٥، ٦٦- ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤، ٦٥، ٦٦]. سبب تكرار ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثلاث مرات والله أعلم هو: تأكيد ربوبية الله للعالمين على أسماع الكفار جميعًا، لا سيما أهل التثليث ثلاث مرات. ٦٦- ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٥٦]، ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ...﴾ [غافر: ٦٦]. الآيتان فيهما توجيه للنبي ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاه أن يعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وآية الأنعام تبين أنه لو اتبع أهواءهم ضل عن الصراط المستقيم... أمّا آية غافر فتوضح أنه قد جاءت الآيات الواضحات من عند ربه عز وجل... ٥٥- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٥٥]. من فوائد الاستغفار: ١- أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أنه أمان من العقوبة والعذاب. ٣- أنه سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- أنه سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفردى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصه لله مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفياض والقفار. ٨- إغاظة الشيطان ٩- المستغفرون يمتنعون منهم متاعًا حسنًا، ويرزقهم رزقًا رغيدًا، وعيشًا هنيئًا، فيهنئون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس وأخفهم أوزارًا. ١١- الاستجابة لنصوص الكتاب والسنة. ١٢- المتاع الحسن في الدنيا، وإتياء كل ذي فضل فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممن شملتهم رحمة الله وودده. ١٥- به تجلب النعم وتُدفع النقم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنه سبب في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تحل المشاكل الصعبة والعويصة. ١٩- أنه سبب لانسراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبد لربه عز وجل، ويقر له بصفة الغفار. ٢١- ومن أهم فوائده الاستغفار وثمراته أنه دواء الذنوب.. وغير ذلك من الفوائد والثمرات.

٦٠- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. الدعاء من أشرف العبادات وأجل الطاعات لا يستغني عنه العبد في حال من الأحوال، وهو صلة بين العبد وربّه، وكلما كثر رجاءه بالله وحسن ظنه به كثر دعاؤه، وأعرف الخلق بالله أكثرهم دعاءً له. وهو دليل على كمال اقتدار العبد لربه واستغنائه به، ولذلك أمر به الشرع. من آداب الدعاء: ١- الطهارة. ٢- استقبال القبلة. ٣- رفع اليدين إلا في المواضع التي ورد الشرع بعدم الرفع فيها. ٤- الأدعية الجامعة الواردة في القرآن والسنة. ٥- مناسبة الدعاء للحاجة المدعو بها. ٦- الإلحاح في الدعاء. ٧- الابتداء بالحمد والثناء على الله تعالى. ٨- تقديم الصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء. ٩- الثقة بالله وحسن الظن به. ١٠- الدعاء بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى. من فوائد الدعاء: ١- دفع غضب الرب سبحانه. ٢- انسراح الصدر. ٣- نزول الرحمة ودفع البلاء. ٤- تفريج الهموم. ٥- تيسير الأمور. ٦- الداعي محبوب لله عز وجل. ٧- دليل على الإيمان بالله والتوكل عليه. ٨- الدعاء سلاح المؤمن. ٩- امتثال لأمر الله تعالى. ١٠- إدراك الحاجات ورفع الدرجات. ١١- لا يرد القدر إلا الدعاء. أمور تمنع من إجابة الدعاء: ١- الشرك في الدعاء. = ٦٠ ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ وفي "النساء: ١٢٤، مريم: ٦٠، غافر: ٤٠ ﴿يَدْخُلُونَ﴾، وفي فاطر: ٣٣ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، قرئ: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بضم الباء وفتح الخاء مبنياً للمفعول من أدخله، والواو نائب فاعل. وقرئ: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الباء وضم الخاء على البناء للفاعل، والواو هي فاعل.

٦٧- ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾: أي: أطفالاً، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل الشيخوخة. ٦٨- ﴿فَضَى أَمْرًا﴾: أرادته، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: تعبير عن سرعة نفاذ قدرته تعالى وأن الأمور بيده يقلبها كيف يشاء. ٦٩- ﴿أَنْ يَصْرُوفُونَ﴾: أي وجه يصرفون عن الحق. ٧١- ﴿الْأَعْلَلُ﴾: جمع غِلٍّ ﴿يُسْحَبُونَ﴾: يجرون. ٧٢- ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾: هو ما قد انتهى حره، وبلغ غايته، ﴿يُسْجَرُونَ﴾: تُسَجَر بهم جهنم، أي توقد بهم فصاروا وقودها. ٧٤- ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: عدلوا عنا فأخذوا غير طريقنا وتركونا في هذا البلاء، ﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: أي: لم تكن نعبد في الدنيا شيئاً. ٧٥- ﴿ذَلِكُمْ﴾: أي: هذا العذاب الذي أنتم فيه، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾: به من الباطل والمعاصي في الدنيا، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: المرح: هو الأشرُّ والبَطَر، أو الفخر والخيلاء. والمعنى: أن هذا العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما اخترتموه لأنفسكم من عدم قبول الإيمان، وعدم المبالاة بالعواقب، واكتفائكم بالدنيا الفانية. ٧٦- ﴿فَيَسْأَلُ مَتَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: فذل المتكبرون في الدنيا على الله تعالى، بشس ما واهم اليوم جهنم. ٧٧- ﴿بَعْضَ الَّذِي يَعْدُهُمْ﴾: من العذاب والنقمة أن يحل بهم في الدنيا، ﴿أَوْ تَوَفِّيَكْ﴾: يا محمد قبل أن يحل ذلك بهم. [٦٧] ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ... ثُمَّ لِنَبْلُو أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْتِي وَيَمْنَعُكُمْ مِنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ...﴾ [الحج: ٥]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُو أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِنَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْتِي مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُو أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]. آية سورة الحج مقصود فيها إقامة البرهان على البعث الأخروي وبسط الدلالات على كلفيته وإرغام منكربه، ألا ترى أن هذه الأحوال والانتقالات على ما وضع من التدرج لا تكون إلا من فاعل قادر مختار عليم حكيم، وقد فسر مقصود هذه الآية وزاده أيضاً قوله تعالى في تعقيب آية الحج: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾ [الحج: ٥]، فهذا إحياء بعد الموت، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، فتأمل هذا التعقيب وافتتاح الآية بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾، واعتبر ما انطوت عليه هذه الآية يلح لك ما تقدم من مقصودها. أمّا آية سورة المؤمن فلم تتجرد لهذا الغرض، وإن تضمنت ذلك بالإيجاز، وإنما بناؤها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وتعالى، وانفراده بالخلق والأمر وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، ونفي ما عبد من دونه تعالى، وتأمل ما تقدم من لدن قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، الآية المذكورة وما بعدها يتبين لك ما قصد هذه الآية، وإنما اختصت عن آية سورة الحج بما ذكرنا، واختصت تلك بما تقدم، فلذلك زيد فيها من التفصيل ما تقدم، ولم يكن العكس ليناسب، والله أعلم. [٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [غافر: ٧٧]. الآيات الثلاث تدعو النبي ﷺ إلى الصبر، وتوضح له أن وعد الله حق لا شك فيه، وآية الروم تبين له أن لا يستغفر عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدقون بالبعث والجزاء، وأمّا آية غافر فتدعو إلى الاستغفار لذنبه، وأن يداوم على تنزيه ربه عما لا يليق به، في آخر النهار وأوله، وآية غافر الثانية: فإما نرينك أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نؤفيناك قبل أن يحل ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنديهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

هو الذي خلقكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُو أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِنَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْتِي مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُو أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحُدُّونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرُفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَاهُ رُسُلُنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَعْلَلُ فِي أَعْتَقِهِمُ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَذْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلْدِينَ فِيهَا فَنُفِثَسَ مَتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي يَعْدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيَكْ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

٢- الدعوة بالإثم والقطيعة. ٣- الاستعجال في حصول المطلوب. ٤- أكل الحرام. ٥- الاعتداء في الدعاء. مثل: أن يسأل الله منزلة لا تحل له كمنازل النبيين. أوقات وأحوال يستجاب فيها الدعاء: ١- ليلة القدر. ٢- جوف الليل الآخر ووقت السحر. ٣- بين الأذان والإقامة. ٤- عند التأمين في الصلاة. ٥- ساعة من كل ليلة. ٦- الدعاء في شهر رمضان. ٧- عند نزول الغيث. ٨- عند زحف الصفوف في سبيل الله. ٩- ساعة من يوم الجمعة، وهي على الأرجح آخر ساعة من ساعات العصر قبل الغروب. ١٠- عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة. ١١- أثناء السجود في الصلاة. ١٢- عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها. ١٣- عند رفع الرأس من الركوع وقول: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. ٢١- عند الدعاء بـ "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". ٢٢- الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير. ٢٣- عند دعاء الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. ٢٤- دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب. ٢٥- دعاء يوم عرفة في عرفة. ٢٦- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر. ٢٧- عند الدعاء في المصيبة بـ: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لي خيراً منها". ٢٨- الدعاء في حالة إقبال القلب على الله واشتداد الإخلاص. ٢٩- دعاء المظلوم على من ظلمه. ٣٠- دعاء الوالد لولده. ٣١- دعاء الوالد على ولده. ودعاء المسافر. ٣٢- دعاء الصائم عند فطره. ٣٣- دعاء المضطر. ٣٤- دعاء الإمام العادل. ٣٥- دعاء الولد البار بوالديه. ٣٦- الدعاء عقب الوضوء إذا دعا بالمأثور في ذلك. وهو "أشهد أن لا إله إلا الله...". ٣٧- الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى. ٣٨- الدعاء داخل الكعبة، ومن صلى داخل الحجر فهو من البيت. ٣٩- الدعاء في الطواف. ٤٠- الدعاء على الصفا والمروة وبينهما. ٤١- الدعاء في الوتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان. ٤٢- الدعاء في العشر الأول من ذي الحجة. ٤٣- الدعاء عند المشعر الحرام. [٦٤] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. ما الفرق بين: "الجمال والحسن"؟ الجواب: رغم أن أئمة اللغة كسيبويه وغيره يسوون بين (الجمال) و(الحسن) في المعنى، إلا أن الكلمتين مختلفتان في القرآن الكريم، ولكل منهما مواضع خاصة. ١- لم يرد في القرآن الكريم إلا المصدر (الجمال)، والصفة المشبهة (جميل). ٢- ولم يستعمل القرآن الكريم (جمال) أو (جميل) إلا في الأمور المعنوية لا الحسية. ٣- وردت كلمة (جميل) سبع مرات كقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿فَتَعَالَى أَمْتَعَكَ وَأَسْرَحَكَ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ٤- وردت كلمة (جمال) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]. ٥- يُطْلَقُ القرآن كلمة (الحسن) = [٦٧] ﴿ثُمَّ لِنَبْلُو أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِنَكُونُوا شُيُوخًا﴾ قوله تعالى: ﴿شُيُوخًا﴾ قرئ: (شيوخاً - شيوخاً) بكسر الشين وضمها، وهما لغتان.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَفُتِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَكُونُ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُزَيِّدُكُمْ ءَايَتِهِ ءَايَاتٍ اللَّهُ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ تَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّحَ اللَّهُ الَّذِي قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٧٨- ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ﴾: فاصلة بينه وبينهم، والمراد: المعجزة الدالة على نبوته. ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاؤه، ﴿فُتِيَ بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم، ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾: المفترون على الله تعالى. ٨٠- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: آخر غير الركوب والأكل، من الوبير والصوف والزبد والسمن وغير ذلك، ﴿وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: لم تكونوا تبلغونها لولا هي إلا بشق أنفسكم، يعني أنها تحمل أثقالكم، ﴿الْفُلْكِ﴾: السفن. ٨١- ﴿فَأَيُّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: صحتها وحقيقتها. ٨٢- ﴿كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾: أي: إن الأمم المهلكة قبلهم بالظلم والتكذيب وكفران النعم، ونحوه من سنن هلاك الأمم، كانت أكثر من العرب وقريش عددا ومتاعا، وأكثر معالم وآثارا بالبناء والحرق، فلم ينفعهم عمرانهم ولا قوة بأسهم. ٨٣- ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم، وقالوا: لن نبعث، ولن يعذبنا الله. وقيل: اغتروا بعلمهم بالدنيا والمعيش. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: من عذاب الله عز وجل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: رسلهم ﴿بِهِ﴾: استهزاء به. ٨٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: عاينوا عقاب الله الذي وعدتهم الرسل. ٨٥- ﴿الَّتِي قَدْ خَلَقَتْ﴾: مضت ﴿وَحَسِرَ﴾: هلك ﴿هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: قال الزجّاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكن يتبين لهم خسارهم إذا رأوا العذاب.

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، تكررت مرتين بالرعد وغافر، وقال فيهما ابن عباس رضي الله عنهما: غيروا رسول الله ﷺ باشتغاله بالنكاح والتكثير منه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، فكان المراد من الآية قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، بخلاف ما في غافر؛ فإن المراد منه: لست بيدع من الرسل الأول متصل بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَفُتِيَ بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٨]، ونقيض الحق الباطل، والثاني متصل بإيمان غير مُجِدِّ، ونقيض الإيمان الكفر، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤].

= على الأمور المعنوية والأمور المادية، فكل جميل حسن، وليس كل حسن جميلا. ومثال المعنوي: ﴿أَفَنُوعِدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كُنْ مَنَّعَةً مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]. ومثال المادي: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أخرجه أبو داود وغيره وصححه الألباني. وتدل الآية على أن ترك العبد دعاء ربه يعد من الاستكبار، وتجنب ذلك لاشك في وجوبه. [٦٥] ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ] [غافر: ٦٥]. قال ابن جرير: وكان جماعة من أهل العلم يأمرهم من قال (لا إله إلا الله) أن يتبع ذلك (الحمد لله رب العالمين) تأولا منهم هذه الآية، بأنها أمر من الله بيقيل ذلك. ثم أسنده عن ابن عباس وابن جبير. [٦٥] ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]. تعريف الإخلاص: أن يقصد المسلم بأقواله وأفعاله وجه الله تعالى؛ فيرجو الثواب، ويخشى العقاب، ويحذر الرياء والسمعة بين الناس، فلا يكون قصده إلا ابتغاء وجه الله ورضاه سبحانه وتعالى. فالإخلاص الصادق لله تعالى سجل للمخلصين ثواب المجاهدين رغم بقائهم في منازلهم. قال أحد السلف: إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي. وقال آخر من السلف: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك. من ثمرات الإخلاص: ١- نصر الأمة. ٢- السكينة وطمأنينة القلب والشعور بالسعادة والرضا، فيتحرر الإنسان من جميع هموم الدنيا. ٣- قبول الدعاء واستجابة الله لعبده المخلص. ٤- حب أهل السماء للمخلص وبعدها وضع القبول في الأرض. ٥- عون الله تعالى في المحن وتأييده لعبده المخلص وكفايته له. ٦- سبب للنجاة من المحن. ٧- التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص. ٨- حسن الخاتمة. ٩- رفع درجات المسلم في الدنيا والآخرة. من الأسباب المعنية على الإخلاص: ١- ملازمة تقوى الله. ٢- الحرص على نيل الأجر من الله والإكثار من العمل الصالح. ٣- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى فهو المعين والملجأ سبحانه وتعالى، والدعاء سلاح المؤمن. كيف تحصل الإخلاص: ١- العلم: بأن يعرف العبد أهمية الإخلاص وثمراته دنيا وآخرة. ٢- المجاهدة: يسلك ذلك الطريق صاحب الإرادة القوية. ٣- مصاحبة المخلصين والتأسي بهم والتخلق بأخلاقهم، وقال أحد السلف: "حال رجل في ألف رجل، أبغ من مقال ألف رجل في رجل" يعنون بحاله: سلوكه وخلقه وعمله. ٤- قراءة سير السلف ومن بعدهم من الصالحين... دلائل الإخلاص: للمخلص علامات يُعرف بها: ١- حب العمل في صمت. ٢- الزهد في الشهرة: قال الفضيل بن عياض: "إن قدرت على ألا تُعرف فافعل، وما عليك ألا تُعرف وما عليك أن يُثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى. ٣- الحذر من تزكية النفس. ٤- الفرح والترحيب بكل من يبرز في مجاله: وخاصة في مجال الدعوة، فالمخلص من يتنحى عند وجود من هو أفضل منه. ٥- ألا يبتغل بمدح من يستحق المدح والتزكية. ٦- ألا يطلب المدح ولا يغتر به: قال ابن عطاء الله في حكمه: الناس يمدحونك لما يظنونهم فيك، فكن أنت دائما لنفسك لما تعلمه منها. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس. ولا يُنكر بشر جميل ستر الله تعالى على عباده، فكم من عيوب وذنوب سترها سبحانه تعالى بينه وبينهم.. ولو بدت لمن حوله لكان له شأن آخر بينهم.. لكنه أرحم الراحمين.. الستار.. العفو الغفار.. التواب!! ٧- السلامة والنجاة من آفة العُجب. كيف نعالج الإعجاب بالعمل: ١- أن تعلم أن وعد الله حق. ٢- الحياء من الله. ٣- الثقة بأن الذي وفقك لهذا العمل الله وحده فإنما هو منة من الله، وليست منة من نفسك.. ٤- عدم ترك الأعمال الصالحة إن خيف عليه الاختلاط، فكثير من الناس يهجر الأعمال الصالحة خشية دخول العُجب أو الرياء عليها، ومن الخطأ الجسيم ترك العمل من أجل الناس، ففي ذلك جهل... ٥- لا يضر فساد النية عند بدء العمل؛ فقد يعتقد البعض أن ذلك مبرر لترك العمل.. لكن الكيس من يصحح نيته فلا يخسر ولا يحبط عمله. ٦- جواز إظهار بعض الأعمال الصالحة بنية حسنة... ٧- إن للإخلاص الخالص صعوبة لا تخفى، فهو صعب المنال يخفى على الكثيرين، لذا كان السلف كثيري الدعاء في طلبه.

٢- ﴿تَنْزِيلٌ﴾: يقول: هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم. ٣- ﴿كُتِبَ فَصَّلَتْ آيَتُهُ﴾: بُنِيَتْ، أو جُعِلَتْ أساليب متنوعة. ٤- ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: استكبروا عن الإصغاء له، وهم مشركو قريش. ٥- ﴿فِي أَكْثَرِهَا﴾: عليها أغلبية كالجعبة للنبيل، فهي لا تفقه عنك ما تقول، ولا يصل إليها قولك. ٦- ﴿وَقُرْ﴾: ثَقُلْ وَصَمَّ ﴿حِجَابٌ﴾: سِتْرٌ لَا يَجْتَمِعُ مِنْ أَجْلِهِ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَهُوَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الدِّينِ ﴿فَاعْمَلْ﴾: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ بِدِينِكَ ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾: بِدِينِنَا. ٦- ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: بِالطَّاعَةِ. ٧- ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: قِيلَ: هِيَ الزَّكَاةُ بَعِينُهَا أَوْ الصَّدَقَةُ، لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ. وَقِيلَ: الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لِأَنَّهَا زَكَاةُ الْأَنْفُسِ وَتَطْهِيرُهَا. ٨- ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾: ثَوَابٌ يَأْجُرُهُمْ بِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ﴿غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾: غَيْرِ مَنْقُوصٍ، أَوْ غَيْرِ مُقْطُوعٍ عَنْهُمْ. ٩- ﴿وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾: أَكْفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ١٠- ﴿رُؤُوسٍ﴾: جِبَالًا ثَوَابِتٌ فِي الْأَرْضِ ﴿مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكٌ فِيهَا﴾: أَنْبَتُ شَجَرُهَا ﴿أَقْوَاتُهَا﴾: بِعَيْنِي: أَقْوَاتُ أَهْلِهَا ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: فَرَقَ مِنْ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَجَمِيعَ مَنَافِعِهَا وَأَسْبَابِهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، مِنْهَا الْيَوْمَانِ اللَّذَانِ خُلِقَ فِيهِمَا الْأَرْضُ ﴿سَوَاءٌ لِلْسَّالِيلِينَ﴾: مَعْنَاهُ: مَنْ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ١١- ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: عَمِدَ وَقَصَدَ نَحْوَهَا قَصْدًا سَوِيًّا، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: الدُّخَانُ: مَا ارْتَفَعَ مِنْ لَهَبِ النَّارِ، وَيَسْتَعَارُ لِمَا يَرَى مِنْ بَخَارِ الْأَرْضِ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هَذَا الدُّخَانُ هُوَ بَخَارُ الْمَاءِ. وَقِيلَ: هُوَ الْغَازُ وَالسَّدِيمُ، ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: أَيُّ: طَائِعِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْسَّمَاءَاتِ: أَطْلَعِي شَمْسِي وَقَمْرِي وَنُجُومِي، وَقَالَ لِلْأَرْضِ: شَقِّقِي أَنْهَارَكَ وَأَخْرِجِي ثِمَارَكَ ﴿قَالَتِ الْأَتِينَا﴾: أَيُّ: أَتَيْنَا أَمْرَكَ ﴿طَائِعِينَ﴾: مُقَادِينَ. وَجَمَعَهُمَا جَمْعٌ مِنْ يَعْقِلُ لَخَطَابِهِمَا بِمَا يَخَاطَبُ بِهِ الْعُقَلَاءَ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ تَكْوِينَهُمَا لَمْ يَمْتَنِعَا، وَوُجِدَتَا كَمَا أَرَادَهُمَا سُبْحَانَهُ.

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ تَكَرَّرَتْ فِي أَوَائِلِ سَبْعِ سُورٍ: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية،

الأحقاف]. تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿حَمْدٌ﴾ فِي أَوَائِلِ سَبْعِ سُورٍ، فَهِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهَةِ لَفْظًا، وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مُتَشَابِهَاتٍ﴾ [آل عمران: ٧]، يَرَادُ بِهِ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، فَهِيَ أَيْضًا مِنَ الْمُتَشَابِهَةِ لَفْظًا وَمَعْنَى. قَوْلُ آخِرٍ: الْمُرَادُ بِالْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ أَوَّلُ السُّورِ هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى بَيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَمْ يَأْتِ بِكَلِمَاتٍ، أَوْ بِحُرُوفٍ خَارِجَةٍ عَنْ نِطَاقِ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي لَا تَعْدُو مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْبَشَرُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْجَزَهُمْ.. فَهَذَا أَبْيَنُ فِي الْإِعْجَازِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ حُرُوفٌ أُخْرَى لَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ بِهَا لَمْ يَكُنِ الْإِعْجَازُ فِي ذَلِكَ وَاقِعًا، لَكِنَّهُ بِنَفْسِ الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَعْجَزَهُمْ. [١١] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ: "الْكَرْهُ، الْكَرْهُ، الْإِكْرَاهُ" الْجَوَابُ: ١- الْكَرْهُ: اسْتَعْمَلَهَا الْقُرْآنُ فِي بَيَانِ الْمُشَقَّةِ وَالْمَعَانَةِ النَّفْسِيَّةِ فَقَطْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مُقَابَلَةُ "الْكَرْه" بِ"الطَّوْع" فِي قَوْلِهِ ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الْكَرْهُ: اسْتَعْمَلَهَا الْقُرْآنُ فِي بَيَانِ الْمُعَانَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ مَعًا، لِذَا فَإِنَّ الْكَلِمَتَيْنِ غَيْرِ مُتَرَادِفَتَيْنِ، وَمَنْ ثَمَّ لَا يُمْكِنُ وَلَا يُسَاحُ أَنْ تَأْتِيَ إِحْدَاهُمَا مَكَانَ الْأُخْرَى. ٣- الْإِكْرَاهُ: هُوَ مُصَدَّرُ الْفِعْلِ «أَكْرَهَ»، وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الْإِكْرَاهِ»، وَ«الْكَرْهِ»، وَ«الْكَرْهُ» أَنَّ الْإِكْرَاهَ فِعْلُ الْمُكْرِهَةِ (اسْمُ فَاعِلٍ)، وَ«الْكَرْهُ» وَ«الْكَرْهُ» فِعْلُ الْمُكْرَهَةِ (اسْمُ مَفْعُولٍ). أَمْثَلُهُ: أَوَّلًا: «الْكَرْهُ» بَفَتْحِ الْكَافِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. ثَانِيًا: «الْكَرْهُ» بِضَمِّ الْكَافِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثَالِثًا: «الْإِكْرَاهُ»: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [١٤] ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [فصلت: ١٤]. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ: "جَاءَهُمْ رُسُلُنَا، جَاءَكُمْ رَسُولٌ" الْجَوَابُ: وَرَدَتْ (جَاءَهُمْ رُسُلُنَا) ثَمَانِي مَرَّاتٍ. كَمَا فِي سُورَةِ [فصلت: ١٤]. وَوَرَدَتْ (جَاءَكُمْ رَسُولٌ) مَرَّةً وَاحِدَةً. فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [آل عمران: ١٨٣]. فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ مَعَ وَرُودِ قَوْلِهِ: ﴿جَاءَهُمُ الرُّسُلُ﴾؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ (جَاءَهُمْ رُسُلُنَا) أَوْ (جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ) أَوْ (جَاءَهُمُ الرُّسُلُ)، جَاءَ الْفِعْلُ فِيهَا مُتَصَلًّا بِنَاءِ التَّائِيثِ (جَاءَتْ)؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ الرُّسُولِ جَمْعُ تَكْسِيرٍ، وَقَدْ تَضَمَّنَ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ، أَيْ كَأَنَّهُ قَالَ: «جَاءَهُمْ جَمَاعَةُ الرُّسُلِ». أَمَا قَوْلُهُ: (جَاءَكُمْ رَسُولٌ) فَجَاءَ فِيهَا الْفِعْلُ (جَاءَ) دُونَ تَاءِ تَأْنِيثٍ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ الرُّسُلِ هُنَا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ لَمْ تَضَمَّنْ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ مَعَهَا الْفِعْلُ مُجَرَّدًا مِنْ تَاءِ التَّائِيثِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾. [١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكٌ فِيهَا وَأَقْوَاتُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّالِيلِينَ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ﴾ قُرِئَ: (سَوَاءٌ) بِالرَّفْعِ خَبَرًا لِمَبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ، أَيْ: هِيَ سَوَاءٌ. وَقُرِئَ: (سَوَاءٌ) بِالْجَرِّ صِفَةً لِلْمُضَافِ أَوْ الْمُضَافِ إِلَيْهِ. وَقُرِئَ: (سَوَاءٌ) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ بِفِعْلِ مُقَدَّرٍ، أَيْ: اسْتَوَتْ اسْتَوَاءً، أَوْ عَلَى الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ أَقْوَاتِهَا. [١١] ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. أَصْلُ الْكُونِ: تُشِيرُ دَرَسَاتُ الْفِيزِيَاءِ النَّظَرِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ إِلَى أَنَّ جَرْمًا بِمَوَاصِفَاتِ الْجَرْمِ الْإِبْتِدَائِيِّ لِلْكَوْنِ عِنْدَمَا يَنْفَجِرُ يَتَحَوَّلُ إِلَى غَلَالَةٍ مِنَ الدُّخَانِ الَّذِي تَخْلُقَتْ مِنْهُ الْأَرْضُ وَكُلُّ أَجْرَامِ السَّمَاءِ، وَقَدْ سَبَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْفِيزِيَاءِ وَأَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ كُلَّ الْمَعَارِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَذَلِكَ بِإِشَارَتِهِ إِلَى مَرَحَلَةِ الدُّخَانِ. [١٢] ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]. مَصَابِيحُ السَّمَاءِ: وَجْهُ الْإِعْجَازِ فِي الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ زَيْنَ السَّمَاءَ بِهَذِهِ النُّجُومِ وَجَعَلَهَا لَهَا كَالْمَصَابِيحِ، وَهَذَا مَا كَشَفَ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ عِنْدَمَا التَّقَطُّوا صُورًا رَاضِيَةً لِلنُّجُومِ شَدِيدَةً لِلْمَعَانِ أَوْ الْكُوزَارَاتِ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ هَذِهِ النُّجُومَ تُضِيءُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا. لِذَلِكَ أَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمًا جَدِيدًا وَهُوَ = نَزُولُ سُورَةِ فَصَّلَتْ: نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ غَافِرٍ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالتَّفَاقُقِ. عَدَدُ كَلِمَاتِ سُورَةِ فَصَّلَتْ: سَبْعُمِائَةٍ وَسِتٍّ وَتِسْعُونَ. عَدَدُ حُرُوفِ سُورَةِ فَصَّلَتْ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ. أَسْمَاءُ سُورَةِ فَصَّلَتْ: وَلِلْسُّورَةِ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ: فَصَّلَتْ، حَمَّ السَّجْدَةِ؛ لِأَنَّهَا عَلَى السَّجْدَةِ، وَسُورَةُ الْمَصَابِيحِ. مَوَاضِعُ سُورَةِ فَصَّلَتْ: مُعْظَمُ مَقْصُودٍ =

فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ نَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً مِّثْلَ صَبْعَةٍ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْ قُوَّةٍ أَوْلَمْ نَبْرَأِ الْإِنْسَانَ
الَّذِي خَلَقْنَاهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ
عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَبْعَةٌ الْعَذَابِ أَلْهَوْا أَهْوَاهُمْ فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَاجَأُهَا
عَلَيْهِمْ سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَجَلُّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

(٤٧٨)

١٢- ﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾: فأوجدهن أو فرغ من خلقهن ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: من أيام الله عز وجل ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾: خلقها، من الملائكة والشمس والقمر والنجوم، وما لا يعلمه إلا هو، وقال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [٣٠] أي: كورها، فالأرض متقدمة خلقاً متأخرة دحواً، والله أعلم. ﴿بِمَصْنُوحٍ﴾: بالكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾: كأنه قال: وحفظناها حفظاً من الشياطين. ١٣- ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً﴾: وقية، وعذاباً مهلكاً، ومعنى «الصاعقة»: كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته. قال ابن عطية: والمعروف في الصاعقة: أنها الوقعة الشديدة من صوت الرعد، وتكون معها في الأحيان قطعة نار، فشبّهت هنا وقعة العذاب بها، لأن عاداً لم تعذب إلا بريح، وإنما هذا تشبيه واستعارة. ١٤- ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: أتوهم من كل جانب، واجتهدوا بهم، وأعملوا فيهم كل حيلة. ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: لأرسلهم إلينا، ولم يرسل إلينا بشراً من جنسنا. ١٥- ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾: متابعات مشائيم، ذوات نحوس. ١٦- ﴿فَهَدَيْتَهُمْ﴾: بينا لهم سبل النجاة ودللناهم على الطريق الحق بإرسال الرسل إليهم، ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله، ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾: أي: اختاروا الكفر على الإيمان، والمعصية على الطاعة. ﴿الْعَذَابِ أَلْهَوْا﴾: من الهوان، أي عذاب مذل. ١٩- ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾: يجمع ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾: هم الكفرة المخالفون لأمره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: تُحبس أولاهم على أخراهم، ليتلاحقوا ويجتمعوا. ٢٠- ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا من المعاصي، تنطق الجوارح بما كتمت الألسن. [١٤] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَعَيْنَا فِيهِ بِذَلِكَ عَابِثِينَ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]. آية سورة المؤمنون تقدّم قبلها ذكر الله، وليس فيها ذكر الرب، وفي السجدة تقدّم ذكر "رب العالمين" سابقاً على ذكر لفظ الله، فصّرّح في المؤمنين بذكر الله، وفي فصلت بذكر الرب؛ لإضافته إلى العالمين وهم من جملتهم، فقالوا إما اعتقاداً

وإما استهزاء: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾، فأضافوا الرب إليهم. [١٦] ﴿فَإِذَا قَامَهُمُ اللَّهُ الْحِزْبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]. فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعد لهم عذاباً أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لأتّعظوا، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية فصلت: لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ ذلاً وهواناً، وهم لا يُبْصِرُونَ بمنع العذاب عنهم، وذلك بسبب كفرهم. [١٨] ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ [فصلت: ١٨]. خُصّت سورة النمل بـ "أنجيناً" موافقة لما بعده، وهو: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٥٧] وبعبده: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ [النمل: ٥٨]، كلّ على لفظ "أفعل"، وخُصّت حم بـ "نجينا" موافقة لما قبله: ﴿وَرَبَّنَا﴾ [فصلت: ١٢] وبعبده: ﴿وَقَيْضًا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وكلّ على لفظ "فعل"، والتضعيف في ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ يفيد التكرير. [٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَاجَأُهَا﴾ [فصلت: ٢٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾. إذا قصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنه "إذا" لقوة معنى الجزاء، استعملت "ما" بعدها، وإذا لم يقصد ذلك لقرب معنى الجزاء من الشرط لم يستعمل "ما" بعدها، فقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَاجَأُوهَا﴾ سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَجَلُّوهُمْ [فصلت: ٢٠]، شهادة السمع وسائر الجوارح من المعاني القوية التي لا يقتضيها الشرط الذي هو المجيء... وليس كذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]؛ لأن المجيء يقتضي فتح الأبواب، فصار المكان مكان اختصار وحذف لما لا بد للكلام منه، فكيف يزداد فيه ما يستغني عنه. [٩-١٢] ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُوا بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩]، ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوْسِيًّا مِنْ قَوْفِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ﴾ [فصلت: ١٢]. هذا يدل على أن السماوات والأرض وما بينهما خلقت في ثمانية أيام، وهو مناف لما ذكره في الفرقان وغيرها أنها خلقت في ستة أيام! **الجواب:** أنه أضاف اليومين اللذين دحا فيهما الأرض، وأخرج ماءها ومرعاها إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فصارت أربعة أيام، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوْسِيًّا مِنْ قَوْفِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠] إلى آخره، معطوف على خلق الأرض، تقديره: خلق الأرض وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام. [١٧] ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. ما الفرق بين: "الرُّشْدُ" و"الهُدَى"؟ **الجواب:** يستعمل القرآن (هُدَى) في الخير والشر معاً، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعم، ووردوها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهُدَى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهُدَى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُّشْد) أو (رُّشْد) إلا في الخير = [١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قوله تعالى: ﴿نَحْسَاتٍ﴾ قرئ: (نَحْسَات) بكسر الحاء لأنه صفة لأيام، وهو قياسه، فحمله على معنى النسب، كأنه في التقدير: ذوات نحوس. وقرئ: (نَحْسَات) بإسكان الحاء مخففة من فعل المكسور، و"النحسات" الشديدة البرد، أو هي المشؤومة عليهم. [١٩] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُحْشَرُ﴾ قرئ: (نَحْشَر) بنون العظمة المفتوحة وضم الشين مبنياً للفاعل، و"أعداء" بالنصب مفعول به، أي: نحشر نحن. وقرئ: (يُحْشَر) بياء الغيب مضمومة مع فتح الشين مبنياً للمفعول، و"أعداء" بالرفع على النيابة.

= «المصاييح»، وسبحان الذي سبقهم إلى هذا الاسم، فقال عن النجوم التي تزين السماء: ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ﴾ [فصلت: ١٢]. [٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَاجَأُوهَا﴾ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجَلُّوهُمْ [إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والنفوس ومشتقاتهما، وقد ورد كل = السورة: بيان شرف القرآن، وإعراض الكفار عن قبوله، وكيفية تخليق الأرض والسماء، والإشارة إلى إهلاك عاد وثمود، وشهادة الجوارح على العاصين في القيامة، وعجز الكفار في سجن جهنم، وبشارة المؤمنين بالخلود في الجنان، وشرف المؤدّنين بالأذان، والاحتراز من نزغات الشيطان، والحجّة والبرهان على وحدانيّة =

٢٢- ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ﴾: قيل: معناه: ما كنتم تستخفون. وقيل: معناه: ما كنتم تظنون. وقيل: ما كنتم تتقون. ٢٣- ﴿أَرَدْتُمْ﴾: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾: من الهالكين. ٢٤- ﴿فَإِنْ يَصِيرُوا﴾: لم يفعهم الصبر، ولم ينفكوا به من أن تكون النار مسكنهم ومنزلهم، ﴿وَأِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسألوا العتبي، وهي: الرجعة لهم إلى الذي يحبون، من تخفيف العذاب عنهم. والعتبي: الرضا، تقول: استعتبت فاعتبتني، أي: استرضيته فارضاني. ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾: من الذين يرجع بهم إلى محبوبهم وما يرغبون فيه، لأنهم لا يستحقون ذلك. ٢٥- ﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ﴾: بعثنا لهم ﴿قُرْآنًا﴾: نظراء من الشياطين جعلهم بمنزلة الأخلاء لهم. وقرناء جمع قرين. ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمر الدنيا، حيث أثروها على الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: التكذيب بالمعاد بعد مماتهم ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾: وجب عليهم ﴿الْقَوْلُ﴾: العذاب ﴿خَيْرِينَ﴾: مغبونين هالكين. ٢٦- ﴿وَالْعَوَافِي﴾: الغطا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئة، كيلا تسمعوها ولا تفهموا ما فيه. بل حتى لا يستمع إليه أحد فيتأثر به، أو يسلم حين سماعه. وهذه طريقة في الغلب عجيبة وغريبة! لا تسمعوا لمحدث! وربما كان هذا آخر ما يطلقه مهزوم في حوار أو دعوة أو نقاش. ٢٨- ﴿دَارَ الْخُلْدِ﴾: دار المكث واللبث. ٢٩- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بعدما أدخلوا جهنم يوم القيامة. ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾: من الجن: إبليس. والذي من الإنس: ابن آدم الذي قتل أخاه. لأنه هو الذي سنَّ القتل والمعصية من البشر. وقيل: إن «الذي» - في قولهم: اللذين - إنما هو للجنس، أي: أرنا كل مغو من الجن والإنس. ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾: في الدرك الأسفل من النار، وهو أشدها. [٢٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ﴾ الآية. أخرج الشيخان والترمذي، وأحمد وغيرهم، عن ابن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا؛ فأنزل الله ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ﴾ الآية. = بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحد هو: ﴿أَمَّا أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

يراد بـ (هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حق كان أو إلى باطل، إلى صواب كان أو إلى خطأ، إلى خير كان أو إلى شر. (الرشد) في القرآن أحصى من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلة للرشد. الرشد: هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردد العباد فيها بين الاستقامة والزيف، لذا ناسبها التنوع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تُمُوذُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا أَعْمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ تنزل عليهم الملائكة... [فصلت: ٣٠]. قال ابن رجب الحنبلي: يا قوم قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلاً من ماء العيون وقد طهرت، ذكروها مدحة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ لعلها تحن إلى الاستقامة، عرفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد، لعلها تستحي من قربته ونظرة. [٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ تنزل عليهم الملائكة... [فصلت: ٣٠]. استخدم نفس الفعل المضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية "تنزل" لماذا؟ **الجواب:** الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المستقيم تبشّره بمآله إلى الجنة، أما الثانية فهي في ليلة القدر، والتنزل في الآية الأولى يحدث في كل لحظة؛ لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض، فالملائكة في مثل هذه الحالة تنزل في كل لحظة وكل وقت، أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر، إذا التنزل الأول أكثر استمرارية من التنزل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع "تنزل"، أما في الآية الثانية في الحدث المتقطع فقد اقتطع الفعل "تنزل". [٣٠] ﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ تنزل على كل آفة أثير [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ تنزل عليهم الملائكة... [فصلت: ٣٠]. ما الفرق بين: "تنزل وتنزل"؟ **الجواب:** ورد الفعل (تنزل) ثلاث مرات، كما ورد الفعل (تنزل) ثلاث مرات أيضاً. ورد الفعل (تنزل) لسببين: ١- توالي التاءين في الفعل (تنزل) يدل على الهدوء والترتيب، مما يناسب ذكره مع ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ﴾ [فصلت: ٣٠] على المؤمنين بهدوء ورحمة. ٢- سبق في مطلع سورة فصلت قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، فالمصدر (تنزيل) فعله المضارع (يتنزل) أو (تنزل) فناسب هذا الفعل ذلك المصدر (الذي هو مصدر الفعل نفسه). أما الفعل (تنزل) فقد ورد لأسباب: ١- في سورة الشعراء: أ- الآيات قصيرة، ويناسب الآيات القصيرة الألفاظ المختصرة؛ لذا كان ذكر كلمة (تنزل) أنسب هنا من (تنزل). ب- كثرة مادة (نزل) في السورة؛ إذ وردت خمس مرات في الآيات الرابعة (تنزل)، والثانية والتسعين بعد المائة (تنزل)، والثانية والتسعين بعد المائة (نزلناه)، والعاشر بعد المائتين (تنزلت)، ولكثرة ورود هذه المادة في سورة الشعراء، ناسب ذلك ذكر الفعل المختصر (تنزل). ج- حذف التاء من أول الفعل (تنزل)، والعدول = (١٤٨) مرة: أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة) بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد) بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة) بمشتقاتهما مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد) بمشتقاتهما) وقد ورد كل (١٤٨) في كتاب الله تعالى. [٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضاً ورد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. [٣٧] ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ = الرحمن، وبيان شرف القرآن، والنفع والضّر، والإساءة والإحسان، وجزع الكفار عند الابتلاء والامتحان، وإظهار الآيات الدالة على الذات والصفات الحسان، وإحاطة علم الله بكل شيء من الأسرار والإعلان.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

٣٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: وحْدوه وبرئوا من غيره ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: أي على قولهم: ربنا الله، وبقوا على التوحيد، ولم يُشركوا به شيئاً، حتى لحقوا بالله عز وجل. ﴿تَنَزَّلُ﴾: تنهبط ﴿عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: من عند الله، عند نزول الموت بهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾: ما تُقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: على ما خلقتكم من دنياكم. وقال ابن عطية: أُمَّةٌ عامة في كل همٍّ مستأنف، وتسليّة تامّة عن كل فائت ماض. ٣١- ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ﴾: تقول الملائكة: نحن الذين كنا نتولاكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وذكر أنهم الحفظة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: كما كنا لكم في الدنيا. ٣٢- ﴿نَزَّلْنَا﴾: يقول: أعطاكم ذلكم ربكم نزلاً لكم. ٣٣- ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: ممن خضع لله بالطاعة، وذلك له بالعبودية. ٣٤- ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: لا تستوي الحسنة التي يرضى الله بها ويشب عليها، ولا السيئة التي يكرها الله ويعاقب عليها. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: ادفع بجملك وعفوك جهل من أساء إليك ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: لك من بني أعمامك، قريب النسب بك و«الحميم»: هو القريب. ٣٥- ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾: وما يعطى دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾: ذو نصيب وجدّ سابق في الخيرات عظيم. ٣٦- ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ﴾: يلقي الشيطان في نفسك وسوسة وغضباً، إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، والنزغ شبيه النخس، شبه به الوسوسة لأنها تبعث على الشر، ﴿فَاسْتَعِذْ﴾: استجر واعتصم بالله. ٣٧- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾: واختلافهما ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنهما مُسَخَّران لكم، لا يستطيعان لكم نفعاً ولا ضرراً. وهما مخلوقان من مخلوقات الله، فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته. ٣٨- ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾: يعني مشركي قريش وسواهم عن أن يسجدوا لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: يعني: الملائكة ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: لا يملون الصلاة ولا يفترقون.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ [فصلت: ٣٠]،

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]. إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها، فهذا ما دلت عليه آية فصلت، أما آية الأحقاف: إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا. [٣٦] ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٦]. آية فصلت تقدمها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، فالحسنة لا تستوي مع السيئة وكذلك العكس، فالإيمان لا يساوي بالكفر، والتقوى لا تساوي بالفجور، وكذا العدل لا يساوي بالظلم، فما يشق على الإنسان فعله هو أن يدفع السيئة بالحسنة، ويقابل غلظة عدوه بالملاينة، استنكافاً لشره وأذاه، حتى يعود إلى اللطف في المقال الجميل من الفعل، فيصير وإن كان عدواً كأنه صديق قريب القربى، وهذه لا تكون إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة، فلما كان هذا الأمر من الأمور الشاقة العسيرة قال: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥]، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، فناسب الآية التوكيد بالضمير المنفصل والتعريف بالألف واللام، فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أمّا آية الأعراف فلم يتقدمها مثل ما تقدم آية فصلت، فقبلها قوله تعالى: ﴿حِذِّ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ففيها الحث على أحسن الأخلاق التي أمر بها الشرع، ولم يكن فيها من المشاق ما في السورة الأخرى، فجاء اللفظ على الأصل ولم تحصل المبالغة. = عنه إلى الفعل (تنزل) يدل على السرعة والخفة والخفاء، وهذه الحالة تناسب حال نزول الشياطين على الأفاكين في خفة وسرعة وخفاء؛ لذا ناسب ذلك ورود الفعل (تنزل). ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. ٢- في سورة القدر: أ- ورد في أول السورة الفعل (أنزلناه)، والسورة قصيرة، وليس ثمة فاصل بين هذا الفعل وفعل التنزيل التالي: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ [القدر: ٤]، لذا ناسب الإتيان بهذه الصيغة المختصرة التي تناسب الآيات القصيرة من ناحية، وفيها تنوع وعدم تكرار من ناحية أخرى. ب- الفعل (تنزل) كما سبق يدل على الخفاء والسرعة، ويناسب ذلك تنزل الملائكة ليلة القدر. [٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال: الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك. [٣٤] ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ما الفرق بين (العداوة، العدو، العدو)؟ الجواب: وردت كلمة (العداوة) ست مرات. وكلمة (العدوان) ثماني مرات. وكلمة (العدو) مرة واحدة. (العداوة) تتعلق بالقلوب. ولذلك ارتبطت هذه الكلمة بكلمة البغضاء (وكلاهما قلبي)، و(العدوان) يتعلق بتجاوز العدالة (ويتعلق بالجوارح). و(عدواً) تتعلق بتجاوز العدالة تجاه الله -تعالى- خاصة. وقد جاءت هذه الكلمة على هذه الصورة الغريبة؛ لأن الاعتداء على حق من حقوق الله تعالى سلوك شاذ وغريب عن الفطرة السوية، لذا كانت الصيغة المعبرة عن ذلك شاذة غريبة، ولها من الظلال ما لها، فهي في سياقها تعني (الركض) والركض: هو العدو. ويعني تجاوز الاعتدال في المشي، فجسّد به المعنى تجسّداً.

= إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما رُود لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن. [٣٧] ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]. شمس وأقمار: اكتشف العلم الحديث وجود شمس أخرى غير شمسنا، وأقماراً أخرى غير قمرنا بعد إرسال سفن الفضاء وإطلاق الأقمار الصناعية، والتقاط الصور المعبرة عن هذه الحقيقة القرآنية الخالدة... هل عرفت الآن... لم قال الله: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾؟ وما المقصود بها؟

٣٩- ﴿أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: غبراء متهشمة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾: الغيث ﴿أَهْرَتْ﴾: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾: انتفخت. ٤٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الحق، ويعدلون عنه بالكذب ﴿فِي آيَاتِنَا﴾: في حججنا وأدلتنا. والإلحاد: الميل والعدول، ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾: نحن بهم عالمون، وهذا وعيد لهم على تحريف آيات الله ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: وعيد من الله تعالى خُرْجُ مخرج الأمر. ٤١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿بِالذِّكْرِ﴾: بالقرآن ﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّهُمْ عَنِزٌ﴾: لأنه كلام الله، فهو عزيز عن أن يعارض، أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب. ولهذا سقطت وما تزال تسقط وتفضح ظنون وجهالات الملاحدة والمنافقين. ٤٢- ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: لا يستطيع الشيطان - وهو الباطل - أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً، وقيل: لا يأتيه الخطأ والتكذيب من الكتب والوقائع قبله، ولا يجيء من بعده كتاب أو علم يخطفه أو يبطله ﴿نَزِيلٌ﴾: هو تنزيل. ٤٣- ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾: يقول: ما يقول المشركون لك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾: إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك، فاصبر على ما نالك من أذاهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لمن أصر على كفره. ٤٤- ﴿فَلَقَالُوا﴾: يعني: مشركي قريش ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ﴾: هلأ يئنت آياته بلغتنا؟ ﴿ءَأَنْجِيَّ وَعَزِيَّ﴾: لقالوا: - أكتاب عجمي، والمكتوب إليه عربي؟ ﴿هَذَى وَشِفَاءٌ﴾: من الجهل. ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثقل على أسماعهم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: عموا وصموا عنه، فلا يبصرون حججه ولا ينتفعون به. ﴿أُولَئِكَ يُتَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: تشبيه من الله لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من مكان بعيد! ٤٥- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: يعني: التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾: أي: في العمل بما فيه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾: لولا ما سبق من قضاء الله وحكمه في تأخير عذابه، أو أن الفصل إنما يكون يوم القيامة، ﴿لَقَضَى بَيْنَهُمْ﴾: لعجل الفصل بينهم بإهلاك المبطلين ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: يعني:

الفريق المبطل ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: أي من كتابك المنزل عليك وهو القرآن، ﴿مُرِيبٌ﴾: يريبهم بقولهم شديد الريبة. [٤٢] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير الوجود من غير عد ولا إله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقائص الشروء إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يشنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تمامها عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد للإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شأه الجزاء في الأولى والآخرة، وتفصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكار، ولا تُحصيها الأقلام.

الْقِسْمَةُ ٤: أخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر. [٤٤] سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً فأنزل الله ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُ جبريل: والقراءة على هذا: «أعجمي» بلا استفهام. [٣٩] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَرَتْ وَرَبَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩]. وترى الأرض باسدة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت

﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَلَفِي شَكٍّ مَرَّتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِنَفْسِ النَّصِّ فِي سُورَتِي هُودٍ وَفَصَلَّتْ، وَالآيَةُ تَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ آتَى مُوسَى الْكِتَابَ وَهُوَ فَعَلَ قَوْمَكَ بِالْقُرْآنِ. وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ بَأْنَهُ لَا يَعْجَلُ لِخَلْقِهِ الْعَذَابَ، لَحُلَّ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ قَضَاءُ اللَّهِ وَالْمُشْرِكِينَ لَفِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ مَرِيبٌ. ﴿٤٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]. الْآيَاتَانِ تُشِيرَانِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا فَأُطَاعَ اللَّهُ وَفَعَلَ نَفْسَهُ وَزَرَ عَمَلَهُ، وَآيَةُ فَصَلَّتْ تَبَيَّنَ أَنَّ رَبَّكَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، بِنَقْصِ حَسَنَةٍ أَوْ زِيَادَةِ سَيِّئَةٍ، وَأَمَّا آيَةُ الْجَزَائِ الْمَحْسَنِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمَسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ. ﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٣٥] قَالَ - كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَتَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمَ - لَدِيغٍ -، وَإِنْ نَفَرْنَا غَيْبٌ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا: أَكُنْتَ تُحَسِّنُ رَقِيَّةً أَوْ كُنْتَ تُرْقِي؟ قَالَ: لَا، مَا رَقِيتُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، فَلَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يَذْكُرُهُ أَنَّهُا رَقِيَّةٌ، اقْسَمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِهِمْ» رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ هُوَ الَّذِي رَقَى ذَلِكَ السَّلِيمَ (يَعْنِي اللَّدِيغَ). قَامَ فَرِيقٌ عَمَلَ طَبِيٍّ بِبَحْثٍ فِي (أَكْبَرِ) عِيَادَاتِ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الثَّلَاثِ لِلطَّبِّ الْإِسْلَامِيِّ الْمُنْعَقِدِ فِي إِسْتَنْبُولِ بَرْكِيَا، وَكَانَ هَدَفُ الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى مِنَ الْبَحْثِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ الْمَزُودَةِ بِالْكَمْبِيُوتَرِ لِقِيَاسِ التَّغْيِيرَاتِ الْفُسْيُولُوجِيَّةِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ الصُّمِّ أَثْنَاءَ اسْتِمَاعِهِمْ لِتَلَاوُ الْمُتَحَدِّثِينَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ عَدَدٍ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، بَعْدَمَا تُلِّتْ عَلَيْهِمْ مَقَاطِعُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَلْسِنَةِ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَهَنُّ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بِنِجْمٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمُجَاءٌ هُمْ
 وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقُولُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِيلٌ
 لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَجْمِيٌّ
 وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِيهِ إِذَا ذُكِرُوا وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ
 يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَاتَّخَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(٤٨١)

[illegible]

إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنْكَ مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَفْئِسْ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤٧- ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: لا يعلم متى قيامها غير الله ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها التي هي مُغَيَّبَةٌ فيها، فتخرج منها بارزة ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: بعلم الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يوم ينادي الله المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام ﴿أَدْذَنْكَ﴾: قالوا: أعلمناك ﴿مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: على أن لك شريكاً.
٤٨- ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: بطل عنهم وذهب ﴿وَوَظَنُوا﴾: في هذا الموضع: أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ﴾: أنه ليس لهم ملجأ. ٤٩- ﴿لَا يَسْمَعُ﴾: لا يملأ ﴿الْإِنْسَانُ﴾: يعني: الكافر ﴿مِنْ دُعَاءٍ﴾: ربه في مسألته، وطلب ﴿الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: إن ناله الضرر ﴿فَيَفْئِسْ قَنُوطٌ﴾: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه ﴿قَنُوطٌ﴾: من رحمته، ومن أن يكشف الشر النازل به. وقال بعض المفسرين: الأولى حمل الآية على العموم، باعتبار الغالب على الإنسان. ٥٠- ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى﴾: أي بعلمي، وأنا محقوق به ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: ما أحسب القيامة تقوم ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾: يقول: ولئن قامت القيامة أيضاً ورددت إلى الله حياً، أو: لئن رددت إلى الله حياً، أو: لئن رددت إليه، على صدق ما يخبرنا به الأنبياء من قيام الساعة، وحصول البعث والنشور، ﴿إِنْ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَى﴾: إن لي عنده مالأ وغنى.
٥١- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: قيل: الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾: عما دعونا إليه من طاعتنا ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾: تباعد عنا ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في «الكثرة» مجازاً.
٥٢- ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: فراق لأمر الله ﴿بَعِيدٍ﴾: من الرشاد. ٥٣- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾: بوقائع محمد ﷺ في نواحي المشركين ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: يعني: فتح مكة. وقيل: سَنُرِيهِمْ الأدلة والبراهين على صدق القرآن والإسلام في آفاق الكون، وفي أنفسهم وذواتهم. ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾: حتى يعلموا حقيقة ما أنزل الله على محمد ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: معناه: أو لم يكف بربك أنه شاهد على كل شيء، مما يفعله خلقه. ٥٤- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾: يعني: المكذبين ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾: أحاط علماً بجميع ما خلق، وقدره عليهم.

[٤٩، ٥١] ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَفْئِسْ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]، ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]. قوله: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَفْئِسْ قَنُوطٌ﴾، لا ينافي قوله بعد: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾؛ لأن المعنى: قنوط من الصنم، دعاء لله، أو قنوط بالقلب، دعاء باللسان، أو الأول في قوم، والثاني في آخرين. ٥٠ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]. لم يرد في هود ما يستدعي تلك الزيادة، وأمّا سورة فصلت فتقدم فيها قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [فصلت: ٤٧]، تنبيهاً على سوء مرتكبهم، فلما تقدم ذكر الشركاء قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾، ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله: "مِنَّا"، وأمّا زيادة: "مِنْ" في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ﴾، فمناسب لإطناب هذا الغرض في هذه السورة، فناسب ذلك الزيادة، ولا يجاز هذا القصد في سورة هود ناسبه سقوط "مِنْ"، فجاء كل على ما يناسب ويجب، ولم يكن ليلانم كلاً من الموضوعين إلا ما ورد فيه، والله أعلم. ٥٠ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا﴾ [الكهف: ٣٦]، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَى﴾ [فصلت: ٥٠]. بعد تنويع الخطاب: إن في لفظ "الرد" من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ "الرجوع"، فلما كان في آية صاحب الكهف وصف جنته بغاية المراد بالجنان كانت مفارقتها لها أشد على النفس من مفارقة صاحب "فصلت" لما كان فيه؛ لأنه لم يبالغ في وصف ما كان فيه كما بالغ صاحب آية الكهف؛ فناسب ذلك لفظ "الرد" في الكهف ولفظ "الرجوع" في فصلت. ٥١ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]. وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما، تولّى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطاً؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرائه وضرائه، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية فصلت: وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرها أعرض وترفع عن الانقياد إلى الحق، فإن أصابه ضرر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرره، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء. ٥٢ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ...﴾ [الأحقاف: ١٠]. "ثم" في الآية الأولى تقتضي المهلة، فبعد أن جاءهم العلم والهدى كان عاقبة أمرهم الكفر فلا نظر ولا تأمل، أما الآية الأخرى فالخبر فيها متصل، ولم تكن نهاية القصة بل عطف عليها أفعالاً فقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامُنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]. ٥٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. ما الفرق بين: "شاهد وشهيد"؟ الجواب: وردت كلمة (شاهدًا) سبع مرات، وكلمة (شهيد) خمسًا وثلاثين مرة. كلمة (شاهد) اسم فاعل، بينما كلمة (شهيد) صفة مشبهة على وزن (فعليل) تستخدم في ألوان السياق التي تستدعي تأكيداً، وقد جاءت بمعانٍ عدّة: ١- شهادة على المعاملات في الدنيا، وهذا يقتضي تأكيد الشهادة ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُبْصَرُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٢- شهادة عيسى -عليه السلام- لينفي عن نفسه أن يكون قد قال للناس اتخذوني وأمّي الهين من دون الله، ويقتضي المعنى تأكيد نفي التهمة عن نفسه حتى قال: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ٣- شهادة الرسول ﷺ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩]. ٤- شهادة الله -سبحانه وتعالى- وقد وردت خمسًا وعشرين مرة من مجموع خمس وثلاثين مرة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وناسب خطاب الله هنا للناس التوكيد؛ لأن منهم المؤمن والمكذب الذي يقتضي خطابه التوكيد ليُصدق. أما (شاهد) وهي اسم فاعل، فتأتي في السياق الذي لا يستدعي تأكيداً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. ٤٧ ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامٍ﴾ [فصلت: ٤٧]، قوله تعالى: ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ قرئ: (ثمرات) بالألف على الجمع لاختلافها وتنوعها. وقرئ: (ثمرة) بغير ألف على التوحيد على إرادة الجنس. = وأثبت التجارب أن كلمات القرآن بذاتها، وبغض النظر عن مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَىٰ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ٢ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ٣ ۝ وَالَّذِينَ أَخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ ٤ ۝ وَكَذَٰلِكَ أُوحِيَ إِلَيْكَ فَءَانَا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ ٥ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ
 مِنَ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ٦ ۝
 أَرَأَيْتُمْ أَفْئِدَةً هُمُ الْأَوْلَىٰ فَاَلَّذِي هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٧ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ ٨ ۝

(٤٨٣)

١، ٢- ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَىٰ﴾: نظير ما تقدم فيما افتتحت به السور من حروف الهجاء. والراجع في تفسير هذه الفواتح أن «فيها إشارة إلى بعد الغاية في الإعجاز، لأن القرآن المنزل مؤلف من هذه الحروف، والناس فيها سواء! ولكن التفاوت موجود في دلالتها بعد التأليف» على حد قول ابن خلدون الذي عزاه إلى بعض المفسرين. ٣- ﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: هكذا يوحى إليك ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من الأنبياء والرسل. ٥- ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: يتشققن من فوقهن من عظمة الله وجلاله. وقيل: من فوق الفرق والجماعات الملحدة، التي من أجل أقوالها تكاد السماوات يتفطرن؛ إشارة إلى أن الطبيعة الخاضعة لسنن الله، لا تطيق خروج الإنسان عن أوامر الله. ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من أهل الإيمان بالله. وقيل: الآية عامة، ومعنى استغفار الملائكة للكفار: طلب الهداية التي تؤدي إلى الغفران، قال ابن عطية: وكان الملائكة تقول: اللهم اهد أهل الأرض واغفر لهم. ٦- ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: آلهة يتولونها، أو أحباراً ورهباناً ونحوهم يطيعونهم على عماية وضلال. ﴿اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ﴾: يحفظ أفعالهم، ويحصى أفعالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: يحفظ أفعالهم، إنما أنت منذر. ٧- ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾: مكة وما حولها من سائر الناس. وهذا الإنذار كان أحد مراحل تبليغ دعوة الإسلام العالمية. ﴿وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾: ولتنذر بيوم القيامة ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾: لا شك فيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾: أهل السعادة ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: أهل الشقاء، والمعنى: فريق منهم. ٨- ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على دين واحد. ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: في الدين الحق، وهو الإسلام ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾: يتولاهم يوم القيامة، فينصرهم أو يدفع عنهم العذاب. ١٠- ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع في أموري، وأتوب من ذنوبي. [١١] ﴿حَمْدٌ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿حَمْدٌ﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٥] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٥]. تكاد السماوات يتشققن من فضاة ذلك القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطاً شديداً غضباً لله لئیسببهم له الولد. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الشورى: تكاد السماوات يتشققن، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم. [٥] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. ما وجه تخصيص سؤال الاستغفار للمؤمنين في غافر وتعميمه في الشورى؟ الجواب: والله أعلم: أن ذلك جار بحسب المناسبة، ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر من ذكر المتقين في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقول الملائكة لهم عند دخولهم الجنة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقول الداخلين عند دخولها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٤]، إلى ختام السورة، ثم تبع ذلك قوله تعالى في مطلع سورة غافر: ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين بصفات المذكورين، ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبراً عن ملائكتهم بقولهم داعين: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وأما قوله تعالى أثناء هذه الآية: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي ذَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْأَلْبَدِ﴾ [غافر: ٤]، وقوله: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]، فتأنيس للمؤمنين وباعث على شكر النعمة على ما من به عليهم من هدايتهم وسلامتهم من موجب أخذ من كذب وعاند، فبان التناسب في هذا كله. وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في خاتمة سورة فصلت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢] إلى قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُوحَىٰ﴾ قرئ: ﴿يُوحَىٰ﴾ بفتح الحاء مبنياً للمفعول، فيوقف في قراءته على (قبلك)، ويبتدأ (الله العزيز)، والنائب إما "إليك" وإما ضمير يعود إلى ذلك لأنه مبتدأ، أي: مثل ذلك الإيحاء يوحى هو إليك، كذا في "الدر"، وجعله ضمير المصدر المقدر ضعيف، واسم الله تعالى فاعل بمقدر مفسر كأنه قيل: من يوحى؟ قيل: يوحى الله، وتاليه صفاته. وقرئ: ﴿يُوحَىٰ﴾ بكسر الحاء مبنياً للفاعل وهو الله تعالى، فلا يوقف إلا على (الحكيم)؛ لأنهم أسندوا الفعل دون فاعله، ولا على الفاعل دون نعته، و"إليك" في محل نصب، أي: مثل ما أوحى إلى الأنبياء المتقدمين - صلوات الله على نبينا وعليهم - وقيل: في هذه السورة: أُوحييت إلى كل نبي قبله. [٥] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ هنا وفي سورة "مريم: ٩٠" قرئاً: ﴿تَكَادُ - يَكَادُ﴾ بتأنيث الفعل وتذكيره لأن الفاعل = [٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أُوحِيَ إِلَيْكَ فَءَانَا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. مركز الأرض: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن مكة المكرمة مركز الأرض، وقد أجريت الأبحاث الحديثة، فتبين من خلالها أن مكة تتوسط اليابسة.

نزل سورة الشورى: نزلت بعد سورة فصلت، وهي مكية إجماعاً. عدد كلمات سورة الشورى: ثمانمائة وست وستون. عدد حروف سورة الشورى: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانون. أسماء سورة الشورى: ولها اسمان: عسق؛ لافتتاحها بها، وسورة الشورى. مواضع سورة الشورى: معظم مقصود السورة: بيان حجة =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التحريف بالسور

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ شَيْءًا
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾
فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(٤٨٤)

١١- ﴿فَاطِرُ﴾: خالق ومبدع، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: ذكورا وإناثا من كل جنس ﴿يَذُرُكُمْ فِيهِ﴾: الذرة: البث، أي: يكثركم بما جعل لكم من الأزواج، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام.
١٢- ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ﴾: مفاتيح خزائن ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسع ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يقرر.
١٣- ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾: ربيكم ﴿مِنَ الدِّينِ﴾: الذي أرسل به محمدا ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾: أن يعمله
﴿وإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾: اعملوا به على ما شرع لكم وفرض ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: تختلفوا ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: عظم عليهم ما دعوا إليه من شهادة أن لا إله إلا الله
﴿اللَّهُ يَجْتَبِي﴾: يصطفى ويختار لنفسه وولايته من أحب ﴿وَيَهْدِي﴾: يوفق ﴿إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: من أقبل إلى طاعته وراجع التوبة. ١٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾: اختلفوا، يعني المشركين في أديانهم فصاروا
أحزابا ﴿لَا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: بأن الذي أمرهم الله عز وجل به، وبعث به نوحا هو الدين
الحق، أو: ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، ففعلوا ذلك التفرق للبغي بينهم بطلب الرياسة
وشدة الحمية. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: وهي تأخير العقوبة، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة
﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾: يعني:
اليهود والنصارى ﴿مُرِيبٌ﴾: يرببهم، ويوقعهم في الحيرة والشك. ١٥- ﴿فَلِذَلِكَ﴾: معناه: فإلى
ذلك الدين الذي شرع لكم ﴿فَادَعُ﴾: عباد الله إليه ﴿وَاسْتَقِمْ﴾: على العمل به ﴿وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ﴾: يعني الذين شكوا في دين الله: في الحق ﴿وَقُلْ آمَنْتُ﴾: صدقت ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
كِتَابٍ﴾: كائن ما كان ذلك الكتاب، تورا أو إنجيلا، أو غيرهما، لا كالذين آمنوا ببعض
وكفروا ببعض! ﴿لَا أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾: لأسير فيكم بالحق ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: لا خصومة بيننا وبينكم.
= [الشورى: ٥]، فناسب هذا استغفارهم لمن في الأرض لعظيم ما تقدم منهم مما أشار إليه قوله:
﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾، فلو لا حلمه تعالى لعجل هلاكهم، فاستغفار الملائكة إبقاء سبحانه

عليهم إذ لا يفوتونه، وقد يؤمن من سبقت له السعادة منهم، فقد وضع مناسبة الوارد في الموضعين لما بني عليه، وأن عكس الوارد غير مناسب، والله أعلم.
[٧] ﴿وَلَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ...﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿لَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ...﴾ [الشورى: ٧]. الآيتان تبيينان أن الله ما
أرسل محمدا ﷺ إلا لينذر أهل "مكة" ومن حولها من سائر الناس، وآية الأنعام توضح أن الذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله،
ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها، أمّا آية الشورى فتبين أن يوم القيامة، لا شك في مجيئه... [١٢] ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣]، ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾ [الشورى: ١٢]. لله مفاتيح خزائن السماوات
والأرض، يعطي منها خلقه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخذلانهم عن الإيمان، وفي
الآخرة بخلودهم في النار، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، ويده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسع رزقه
على من يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء... [١٤] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤] الوحيدة في القرآن، وباقي
المواضع ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. قاله في الشورى بزيادة: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ لموافقته ثم مبدأ كفر الذين تفرقوا في الدين، وهو
مجيء العلم بالتوحيد في قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ [الشورى: ١٤]، فناسب ذكر النهاية التي انتهوا إليها، ليكون محدودا من الطرفين، بخلاف باقي المواضع.
[١٥] ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾
[الشورى: ١٥]. فاستقم أيها النبي كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حده الله لكم، إن ربكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى
عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها، فهذا ما دلت عليه آية هود، أمّا آية فصلت: فإلى ذلك الدين القيم الذي شرعه الله للأنبياء ووصّاهم به، فادع أيها الرسول عباد
الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكوا في الحق وانحرفوا عن الدين... [١٣] ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]،
﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. في آية الشورى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء ﷺ، فجاء الفعل "تفرقوا"،
أما آية آل عمران فهي خاصة بالمسلمين، لذا جاء الفعل "تفرقوا"، والأمة المحمدية هي جزء من الأمم المذكورة في الآية الأولى، لذا أعطى الحدث الصغير
الصيغة القصيرة "تفرقوا"، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة "تفرقوا". [١٣] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا﴾ [الشورى: ١٣]. قوله تعالى:
﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، لماذا اختار الاسم الموصول "الذي" عندما ذكر شريعة محمد ﷺ، ولم يقل "وما أوحينا إليك"؟ الجواب: لأن "الذي" أعرف
وأخص من "ما" التي تشترك في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وقد بين تعالى شريعتنا وعرفناها، فجاء بالأعرف "الاسم الموصول الذي"، ولا
نعلم على وجه التفصيل ما وصّى الله تعالى نوحا وعيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام، لذا اختار سبحانه "ما" اسم الموصول غير المعرف = مؤنث مجازي
يجوز تأنيثه نظرا لـ "اللفظ" وتذكيره نظرا للحقيقة. قوله تعالى: ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ هنا، وكذا ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ في سورة "مريم: ٩٠" قرئا: ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ بقاء مفتوحة بعد
الياء، وطاء مشددة مفتوحة على أنه مضارع "تفطر" بمعنى: تشقق، مطاوع فطره بالتشديد، إذا شققه مرة بعد مرة، وذلك ليدل على التكثير الذي هو أليق بهذا
المعنى؛ لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوه: من أن لله ولدا. وقرئ: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ بالنون الساكنة بعد الياء وطاء مكسورة، خفيفة على أنها مضارع "انفطر" بمعنى
انشق، مطاوع فطره بالتخفيف إذا شقه. [١٣] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) (٤)
مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملوكوت) (٤) مرات، ٥- وردت (الشريعة
بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوكوت»، و«الشريعة» تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.
= التوحيد، وتقرير نبوة الرسول ﷺ، وتأكيد شريعة الإسلام، والتهديد بظهور آثار القيامة، وبيان ثواب العاملين دنيا وأخرى، وذلل الظالمين في عرصات القيامة،
واستدعاء الرسول ﷺ من الأمة محبة أهل البيت العترة الطاهرة، ووعد التائبين بالقبول، وبيان الحكمة في تقدير الأرزاق وقسمتها، والإخبار عن شؤم الآثام =

١٦- ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾: يخاصمون في دين الله عز وجل الذي ابتعث به محمداً ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ﴾: من بعد ما استجاب له الناس فدخلوا فيه ﴿مَجْتَهَمٌ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة ذاهبة. قيل: هم أهل الكتاب الذين كانوا يجادلون المسلمين، ويصدونهم عن الهدى. وقال ابن عباس: إن الآية نزلت في طائفة من بني إسرائيل همّت برد الناس عن الإسلام وإضلالهم ومجادلتهم بأن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، وديننا أفضل. ١٧- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: الكتاب هنا اسم جنس يعم جميع الكتب المنزلة. وقيل: المراد به: القرآن ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: يقول عز وجل: وأنزل الميزان، وهو العدل ليقضي بين الناس بالإنصاف. ١٨- ﴿الَّذِينَ يُحَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾: يخاصمون في قيام الساعة، مخاصمة شك وريبة، ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: لفي جور عن طريق الهدى ﴿بَعِيدٍ﴾: من الصواب. ٢٠- ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾: يقول عز وجل: من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾: نجعل له بالحسنة عشرأ إلى ما شاء الله، والحرث في اللغة: الكسب، ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾: بعمله الدنيا ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسمنا له منها. ٢١- ﴿أَمْ لَهُمْ﴾: يعني: المشركين ﴿شُرَكَاءُ﴾: في شركهم وضلالتهم ﴿شَرَعُوا﴾: سنّوا وابتدعوا لهم ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾: ما لم يُبَحِّ لهم ابتداعه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: ما سبق من الله أنه لا يجعل لهم العذاب في الدنيا، وأنه أخرهم إلى قيام الساعة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيل العذاب لهم في الدنيا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجه. ٢٢- ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: وجلين خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: في الدنيا من أفعالهم ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: أي: وجزاء ما كسبوا نازل بهم. ﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: الروضات: جمع روضة. وروضة الجنة: أطيب مساكنها.

[١٩] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [١٩] معنى اسم الله اللطيف: ((اللطيف)) من أسمائه الحسنى، وهو الذي يلفظ بعبد في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبد في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر. وهذا من آثار علمه، وكرمه، ورحمته؛ فهذا كان معنى اللطيف نوعين: النوع الأول: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا، ومكنونات الصدور، ومغيبات الأمور، وما لطف ودق من كل شيء. النوع الثاني: لطفه بعبد ووليّه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى ويجنبه العُسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهد في سبيله، وكما ذكر الله عن يوسف ﷺ، وكيف ترقّت به الأحوال ولطف الله به وله، بما قدره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العقبى في الدنيا والآخرة، وكما يمتحن أوليائه بما يكرهونه؛ ليثبيلهم ما يُحِبُّونَ. فكم لله من لُطْفٍ وكرم لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية، أو رياسة، أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمة به لئلاّ تضربه في دينه، فيظل العبد حزينا من جهله وعدم معرفته بربه، ولو علم ما ادّخر له في الغيب، وأريد إصلاحه فيه، لحمد الله وشكره على ذلك؛ فإن الله بعباده رؤوفٌ رحيم، لطيف بأوليائه. [١٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ﴾: الآية، أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجا، فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق، عن قتادة في قوله ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم. [١٧] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، آية الأحزاب بزيادة "تكون" مراعاة للفواصل. [١٨] ﴿أَشْرَأُ أَصْلَانِ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضَلَّ يَضِلُّ ضَلَالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضَلَّلَ يَضِلُّلُ تَضْلِيلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وغُربت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلا: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]. [٢٥] ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُفْعَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ قرئ: (تفعلون) بالتاء من فوق على المخاطبة فهي تعم الحاضر والغائب، وقرئ: (يفعلون) بالياء = [٢٠] ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [عجازه عددي: ١] - ذكر لفظ (الحَرْث) بمشتقاته (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزَّرع) بمشتقاته (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحَرْث) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (الزَّرع) ومشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل عدد (١٤) مرة في كتاب الله.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ مَجْتَهَمٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُحَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(٤٨٥)

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا
 اسْتَكْبَرُ عَلَيَّ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
 لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّدُ الْحَقَّ
 بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
 عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ سِطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ
 لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ
 خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ
 السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَّ فِيهَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
 إِذْ يَأْتِي الشَّاءَ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

٢٣- ﴿قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيَّ﴾: على دعائكم إلى ما أدعوكم إليه، من الهداية والدين ﴿أَجْرًا﴾: جزاء ﴿إِلَّا
 الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾: قال ابن عباس: إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. قال
 المفسرون: والمراد قرش، فإنه لم يكن فيها بطن إلا ولرسول الله ﷺ فيه نسب أو صهر. وقال مجاهد: إلا
 أن تصلوا رحمي باتباعي. ﴿وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً﴾: يعمل عملاً صالحاً. والاقتراف: العمل ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا
 حُسْنًا﴾: خيراً ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لذنوب عباده ﴿شَكُورٌ﴾: لحساناتهم. ٢٤- ﴿فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾:
 فينسبك القرآن، يقول عز وجل: لو حدثت نفسك أن تفتري عليّ كذباً لطبعت على قلبك،
 وأذهبت الذي أتيتك من وحي، لأنني أحو الباطل فأذهب، وأحق الحق، فما بال هؤلاء الكفار
 يتهمونك بالكذب على الله؟! وهذا الأسلوب معناه ومؤداه: استبعاد الافتراء من مثله ﷺ
 واستحالته عليه. وفيه دلالة على أن النبي ﷺ في مقام التلقي عن الله تعالى، لا في موضع التقول
 عليه. ٢٥- ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾: معناه: يجيب، والعرب تقول: أجاب واستجاب بمعنى. ٢٦- ﴿وَلَوْ سِطَّ
 اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾: فوسعه وكثره عندهم ﴿لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ﴾: ف تجاوزوا الحد الذي حده الله لهم
 ﴿وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ﴾: لكفايتهم ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: بما يصلح به عباده ويفسدهم، من غنى
 وفقر. ٢٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: من بعد ما يش الناس من نزوله. وأتى رجل عمر بن الخطاب
 فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر، وقطت الناس. فقال: مطرتم «وهو الذي ينزل الغيث من بعدما
 قنطوا وينشر رحمته» ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: الذي يليكم بإحسانه وفضله ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد،
 بأياديه عندكم. ٢٨- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَّ فِيهَا مِن دَابَّةٍ﴾: على جمع ما بث فيهما، قيل: والمراد:
 الحشر يوم القيامة. ٢٩- ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ﴾: من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا
 ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: بسبب ما اجترتم من الآثام بينكم وبين ربكم. ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾: من
 المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها، وقال ابن عباس: يجعل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم في
 الدنيا، ولا يؤخذون بها في الآخرة. ٣٠- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: ربكم حتى لا يقدر عليكم. [٢٣] قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيَّ أَجْرًا﴾ أخرج الطبراني بسند
 ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالا، فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيَّ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقال عن
 أهل بيته وينصرهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ﴾ فعرض لهم التوبة، إلى قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾.
 [٢٧] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سِطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن علي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: ﴿وَلَوْ سِطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي
 الْأَرْضِ﴾ وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا. وأخرج الطبراني عن عمرو بن حريث مثله. [٢٣] ﴿قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيَّ أَجْرًا﴾: لا يسأل المشركين عوضاً من أموالهم عن الحق الذي
 جاءهم به، وإنما أجره على الله، وآية الأنعام تبين أن الإسلام هو دين الحق... وأما آية الشورى فتوضح أن النبي ﷺ لا يسأل المشركين شيئاً إلا أن يودوه في
 قرابته منهم، ويصلوا الرحم التي بينه وبينهم... [٢٥] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ...﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن
 عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ...﴾ [الشورى: ٢٥]. ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويشيب
 عليها... فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أما آية الشورى: فتعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن
 السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر... [٢٩] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ...﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ
 السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَّ فِيهَا مِن دَابَّةٍ...﴾ [الشورى: ٢٩]. ومن دلائل القدرة الربانية: خلق السماوات وارتفاعها بغير عمد، وخلق الأرض مع اتساعها
 وامتدادها، واختلاف لغاتكم وتباين ألوانكم، إن في هذا لآية لعلكم تدركون، وهذا ما دلت عليه آية الروم، وأما آية الشورى: ومن آياته الدالة على عظمته
 وقدرته وسلطانه، خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء
 قدير، لا يتعذر عليه شيء. [٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم﴾ [العنكبوت: ٢٢]، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم﴾
 [الشورى: ٣١]. "ما" في سورة العنكبوت خطاب للنمرود حين صعد الجؤ موهماً أنه يحاول السماء، فقال له ولقومه: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي:
 من في الأرض: من الجن، والإنس، ولا من في السماء من الملائكة، فكيف تعجزون الله! وقيل: ما أنتم بفائتين عليه، ولو هزئتم في الأرض، أو صعدتم في السماء:
 فقال: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها، و«ما» في الشورى خطاب للمؤمنين، وقوله: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِيكُمْ﴾ يدل عليه. وقد جاء ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ في قوله: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١] من غير ذكر
 الأرض ولا السماء. [٢٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِمَاةً﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ [الشورى: ٢٨] ما الفرق بين: "المطر والغيث؟" الجواب: المطر
 والغيث كلاهما اسم لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلف ومعناهما واحد، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة
 البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالاتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله
 تعالى: ﴿الْقُرْيُوءَ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا سَوِيًّا﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿أَذَىٰ مِّن مَّطَرٍ﴾
 [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغيث (أي يستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤].
 = من تحت على الغيبة لمناسبة ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ...﴾ ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا﴾ [٣٠] ﴿فِيمَا كَسَبَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿فِيمَا﴾ قرئ:
 (بها) بغير فاء على جعل "ما" في ما أصابكم، موصولة مبتدأ، و(بما كسبت) خبره، وعلى جعلها شرطية تكون الفاء محذوفة نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
 إِفْكُكُمْ﴾، ولأنها كذلك في مصحف أهل المدينة والشام. وقرئ: (فبها) بالفاء لأنها كذلك في مصاحف غير المدينة والشام، فهي شرطية وهو الأظهر، أي: فهي بما
 كسبت، أو موصولة، والفاء تدخل في حيز الموصول إذا أجزى مجرى الشرط، لما فيها من الإيهام الذي يشبه الشرط.

وَرَبُّهُمْ يُعْرِضُونَ عَلَيْهِمْ خَشَعِيكَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
 مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْعُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَاعَ رَحْمَةٍ فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ
 بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ زَوْجَهُمْ ذَكَرًا وَانْثَاءً
 وَيَجْعَلُ مِنْ شِئَاءٍ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ



٤٥ - ﴿وَرَبُّهُمْ يُعْرِضُونَ عَلَيْهِمْ خَشَعِيكَ﴾: على النار ﴿خَشَعِيكَ﴾: خاضعين متذللين ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾: معناه: من طرف ذليل، وقيل: يسارقون النظر من شدة الخوف. ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: لأنهم قد أسلموا أنفسهم للعذاب بما اقترفوه من العصيان ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: لأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾: دائم لا ينقطع. ٤٦ - ﴿قَالَ: مِنْ سَبِيلٍ﴾: من طريق يسلكها إلى الهداية والنجاة. ٤٧ - ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾: أجيبوا داعيه ورسوله ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾: لا شيء يرد مجيئه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾: تعتصمون به ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: من ناصر ينصركم، أو: ما لكم من إنكار يومئذ، بل سوف تعرفون بذنوبكم. ٤٨ - ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: تحفظ عليهم أعمالهم؛ حتى تحاسبهم عليها. ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْعُ﴾: أي: ما عليك إلا البلاغ لما أمرت بإبلاغه من الرسالة والبيان. ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: جحود لنعم الله عليه، غير شكور له عليها. ٥٠ - ﴿أَوْ زَوْجَهُمْ ذَكَرًا وَانْثَاءً﴾: يخلط بينهم، فتلد المرأة غلاماً، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاماً، ثم تلد جارية. ومعنى الآية أنه سبحانه يهب لبعض خلقه إنثاءً، ويهب لبعض ذكوراً، ويجمع لبعض بين الذكور والإناث ﴿وَيَجْعَلُ مِنْ شِئَاءٍ عَقِيمًا﴾: لا يولد له. يقال: رجل عقيم وامرأة عقيم. وقال ابن عطية: بدأ تعالى بذكر الإناث تانياً بهن وتشريفاً لهن، وليهتم بصونهن والإحسان إليهن. وقال وائلة بن الأسقع: من يؤمن المرأة تكبرها بالأنثى قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ بالإناث. ٥١ - ﴿وَالْوَحْيَ﴾: يوحى إليه كيف شاء، إما إلهاماً، وإما غيره ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: حين يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى عليه السلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: إليه من ملائكته.

٤٥ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُنِينَ﴾ [الزمر: ١٥]، ﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]. قل أيها الرسول: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة،

وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البين الواضح، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين يوم القيامة في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول. ٤٧ ﴿فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]. آية الروم أعقبت بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾، تهيئاً لما اتصل بها من تفصيل الأحوال في قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الروم: ٤٤]؛ لأن تصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُّ يَنْفَرُونَ﴾ [الروم: ١٤]، فالمراد: يومئذ يصدعون إلى ما أعد لكل منهم بحسب مرتكبه وحاله في كفره وإيمانه، وأما آية الشورى فقد سبقها تحذير منه سبحانه لعباده من حال الظالمين في عدم الولي والناصر في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٦]، وأمر الله عباده بالاستجابة قبل التورط وانقطاع الطمع والرجاء في التخلص، وعدم جدوى الإنكار لمن ظن التعلق به، فقال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾، فحذرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امتحن. ٤٩ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]. بدأ سبحانه بذكر الإناث، فقدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يثدونهن، فقال الله: هذا النوع المؤخر عنكم مقدم عندي عن الذكر، وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث وعرف الذكور، فجير نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير للذكور بالتعريف، فإن التعريف تنويه، والله تعالى أعلم بالمراد من ذلك. ٥١ ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾ قرئ: (يرسل - فيوحي) برفع اللام من "يرسل" وسكون الياء من "فيوحي"، و"يرسل": خبر، أي: هو يرسله، أو مستأنف، أو حال عطفاً على متعلق: من ورائي، ووحياً مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المتعلق، والتقدير: إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلًا، "فيوحي" رفع تقديرًا بالعطف عليه. وقرئ: (يرسل - فيوحي) بنصبهما بأن مضمرة، وهي ومدخولها عطف على "وحياً" وهي حال، أي: إلا موحياً أو مرسلًا، و"فيوحي" عطف عليه. = التوحيد: فقد جمع الله - تعالى - أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكُفَّارُ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آيَاتًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢ - مبدأ الاتصال المباشر بالله - تعالى - دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ٣ - مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِيَذَّبُوا أَتَيْنَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤ - مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥ - مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة، وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثاً عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: ﴿وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ٦ - مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم ألقاهم، قال تعالى: ﴿يَكْنُيْهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧ - مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيها صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨ - مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩ - مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠ - مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١ - مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقاً في مال الغني، وليس تفضلاً من =

٥٢- ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾: وحيًا ورحمة من أمرنا، والمراد به القرآن وهدى الشريعة، سمّاه روحاً من حيث يحيي به البشر والعالم، كما يحيي الجسد بالروح. ﴿وَلَا إِلِيمَنُ﴾: كان لا يعلم تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها، لأنه كان أمياً لم يقرأ كتاباً قط. والمراد بالإيمان: الصلاة، وقد سمّاها الله تعالى إيماناً في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقيل: أراد جميع أركان الإيمان، لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا وقد كان مؤمناً به سبحانه. وقيل: المراد بالإيمان: دين الإسلام.

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

١، ٢- ﴿حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ٣-﴾: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾: أنزلناه. وقال ابن عطية: سمّيناه وصيّرناه. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: بلسان عربي ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوا معانيه وما فيه. ٤- ﴿وَنَنْهَ﴾: يعني: الكتاب المبين ﴿فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ﴾: في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي تُسخ منه هذا الكتاب ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوا معانيه وما فيه. ٥- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾: قيل: معناه: أفنعرض عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون؟ ٨- ﴿وَمَضَىٰ مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾: عقوبة الأولين وستتنا فيهم. والمثل: الوصف والخبر. وفي هذا تهديد شديد. ١٠- ﴿مَهْدًا﴾: قرأ الجمهور: «مهادا» وقرأ الكوفيون «مهدا» والمعنى واحد: أي يتمهد وتُصرف فيها، وذلك يجعلها صالحة للتسخير، أو للعيش عليها، أو السير فيها. ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم.

[١] ﴿حَمْدٌ﴾: تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. انظر سورة فصلت آية: [١]. [٢] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ٢، الدخان: ٢].

تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والدخان، والآية يقسم الله فيها بالقرآن الواضح لفظاً ومعنى. [٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. آية سورة يوسف لما كانت توطئة لذكر قصصه عليه السلام، ولم تتضمن السورة غير ذلك إلا ما أعقب به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيباً عند قريش والعرب، مستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أتمه، ومعرفه من قصصه العجيب، ومؤدية أكمله وأعمه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب والجميع أن نبينا محمداً ﷺ لم يتلق ذلك القصص من أحد من العرب، إذ لم يكن عندهم منه نبأ، ولا رحل في تعرفه إلى أحد، فكان قصصاً وآية معلماً بصحة رسالته ﷺ، وعظيم تلك العناية، فالتعبير بالإنزال هنا "بين"، وأما آية الزخرف فلم تبين على أخبار، بل أعقبت بأي الاعتبار والتلطف في التنبيه والتذكير، قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]، وهذا أعظم التلطف، وقال تعالى بعد: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ثم مضت أكثر آي هذه السورة على نحو الاعتبار وما يناسبه. وقد ذكر سبويه رحمه الله، في أقسام "جعل" كونها بمعنى صير، ملحقة لها بظن وأخواتها، ومنه قولهم: جعل الطين خزفاً، وذلك انتقال وتصيير، فالمراد بالآية جعل الكتاب معتبراً هدى ونوراً، والمنبهون به والمعتبرون بآياته المخاطبون به مخلوقون تقدمهم العدم، وإنما صح خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم، فصح بانتقال حالهم التصيير، وجل عن التغيير والحدوث كلام الحكيم الخبير، فكرمه سبحانه قديم ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، فقد وضع معنى الجعل هنا ومسوغه، وأنه لا يناسب هنا غير ذلك، ولا يناسب الآية الأخرى غير "أنزل"، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم. [١٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف: ١٠]. آية سورة طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله عز وجل على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، فلما بني الكلام على هذا، أعقب بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [٥٣] ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، -ولا إشكال في أن هذا من التلطف والرفق في الدعاء- ناسب ذلك العبارة بـ"سلك" عما أنهج تعالى من السبل والطرق لمرافق العباد ومصالحتهم، وهي منبئة عما تعطيه "جعل" في الآية الأخرى مع زيادة الوضوح وكمال التهئية، فهي أنسب لما قصد في هذه السورة، تقول: منهج سالك، أي: واضح، ولو قلت مجعول لم يعط هذا المعنى من الوضوح، أما آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم، ألا ترى قوله سبحانه: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]، وقوله تعالى إخباراً عن مكذبي الأمم: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف: ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [الزخرف: ٨]، أي: من هؤلاء الذين كذبوك يا محمد، فهذا كله توبيخ للجاحدين والمعاندين، وتأمل ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، والتعلل لا يستلزم الاهتداء والإيمان، وقد اكتنف لفظ "جعل" في الزخرف قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقوله بعدها: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَالِكِ وَالْآتَمِ مَائِزَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ١٢]، فناسب هذا ذكر "الجعل"، ولم يناسب هنا هذه المناسبة لفظ "سلك"، والله أعلم. [٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَن﴾ قرئ: (إن) بكسر الهمزة على أنها شرطية، وإن كان إسرافهم مخففاً على سبيل المجاز، كقول الأجير: إن كنت عملت كذا فوفني حقي، مع علمه وتحققه من عمله، وجوابه مقدر بفسره: أفنضرب؟ أي: إن أسرفتم نترككم، فهو أمر منتظر لم يقع، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وقد مضى شرحها في "المائدة: ١". = الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. [٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾: إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في نزول سورة الزخرف: نزلت بعد سورة فصلت، وهي مكّية إجماعاً. عدد كلمات سورة الزخرف: ثمانمائة وثلاث وثلاثون. عدد حروف سورة الزخرف: ثلاثة آلاف وأربعمائة. أسماء سورة الزخرف: تسمى سورة الزخرف؛ لذكره بها. مواضع سورة الزخرف: معظم مقصود السورة: بيان إثبات القرآن في اللوح المحفوظ، وإثبات =

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢- ﴿وَنَنْهَ﴾: يعني: الكتاب المبين ﴿فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ﴾: في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي تُسخ منه هذا الكتاب ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوا معانيه وما فيه. ٤- ﴿وَنَنْهَ﴾: يعني: الكتاب المبين ﴿فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ﴾: في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي تُسخ منه هذا الكتاب ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوا معانيه وما فيه. ٥- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾: قيل: معناه: أفنعرض عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون؟ ٨- ﴿وَمَضَىٰ مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾: عقوبة الأولين وستتنا فيهم. والمثل: الوصف والخبر. وفي هذا تهديد شديد. ١٠- ﴿مَهْدًا﴾: قرأ الجمهور: «مهادا» وقرأ الكوفيون «مهدا» والمعنى واحد: أي يتمهد وتُصرف فيها، وذلك يجعلها صالحة للتسخير، أو للعيش عليها، أو السير فيها. ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم.

٤٨٩

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ النَّفْسِ الْأَنْعَمِ مَا تَرْضَوْنَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُقْبِلُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْأَنْسَ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ
يَا بَلَّيْنِ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَاطِمٌ رَأْسَهُ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُمْشِقُ فِي
الْحَلِیَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ
شَهَدَاتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَاءَ لَهُمْ
كِتَابٌ مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلَيْنَا أُمَّةً وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

٤٩٠

١١- ﴿مَاءً يَقْدَرُ﴾: بمقدار حاجتكم إليه ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾: فأحيينا ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾: مجدبة لا نبات بها
﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾: من بعد فنائكم في الأرض للبعث. ١٢- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا﴾: خلق كل
شيء فروجه، خلق إناثاً للذكور، وذكوراً للإناث ﴿مِنَ النَّفْسِ﴾: السفن ﴿وَالْأَنْعَمِ﴾: البهائم.
١٣- ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾: كي تستووا على ظهور ما تركبون. ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾: تحمدوه
على ما سخر لكم من ذلك ﴿سُبْحَنَ﴾: تنزيهاً لله ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾: أي ذلل لنا هذا المركب
﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: ما كنا له مطيقين ولا ضابطين. والمقرن: الغالب الضابط المستولي على الأمر
المطبق له. ويقال: فلان مقرن لفلان: أي ضابط له مطيق. ١٤- ﴿جُزْءًا﴾: نصيباً؛ وذلك قولهم
للملائكة: بنات الله! ١٥- ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾: أخلصكم ﴿يَا بَلَّيْنِ﴾: بالذكور. وهذا توبيخ من الله
عز وجل للمشركين. ١٦- ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾: بما مثل لله، وجعل له من الولد ﴿ظَلَّ
وَجْهُهُ﴾: بما بُشِّرَ من البنات ﴿مُسَوِّدًا﴾: من سوء ما بُشِّرَ به ﴿وَهُوَ كَاطِمٌ رَأْسَهُ﴾: حزين، كثير الكرب،
مملوء منه. أي تغير وساء ظاهره وباطنه جميعاً. ١٧- ﴿أَوْ مَنْ يُمْشِقُ فِي﴾: قرأ الجمهور: «يُنشأ» بفتح
الياء وإسكان النون. والمعنى: يثبت ويربى ﴿فِي الْحَلِیَةِ﴾: ويربى بها، من الجوارى والنساء ﴿وَهُوَ فِي
الْخِصَامِ﴾: في مخاصمة من خاصمه ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: غير قائم بحجة ولا برهان لعجزه وضعفه؛ جعلتموه
نصيياً لله؟ وقيل: الذي ينشأ في الحلية: أصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة. والحلية: الحلي من
الذهب والفضة والأحجار. ١٩- ﴿أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ﴾: أي: أحضروا خلق الله إياهم! وفي هذا تجهيل
لهم، وتهكم بهم. ٢٠- ﴿وَقَالُوا﴾: يعني: المشركون ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾: يعنون ألهتهم وأوثانهم،
لأنه لو لم يرض ذلك منا لعاقبتنا ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: متخرصون في هذا القول، يقولون ظناً وحسباناً.
٢٢- ﴿عَلَى أُمَّةٍ﴾: على ملّة، يعنون في عبادتهم الأوثان. والآية تعيب عليهم التقليد.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ أخرج ابن المنذر، عن قتادة قال:

قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾.
[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤] الوحيدة، وباقي المواضع ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾. لماذا زيادة اللام في آية الزخرف؟ **الجواب**: أن هذا المحكي
إرشاد من الله تعالى لعييده أن يقولوه في كل زمان؛ فناسب التوكيد باللام حثاً عليه، وباقي المواضع خبر عن قوم مخصوصين مضوا؛ فلم يكن للتأكيد معنى.
[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ [النحل: ٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧]. الآيتان تبيان أن هؤلاء
المشركين إذا جاء من يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودَّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلاً غماً وحزناً، وزادت آية الزخرف أنه إذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى التي نسبها
لرَّحْمَنِ حين زعم أن الملائكة بنات الله صار وجهه مُسَوِّدًا من سوء البشارة بالأنثى... وأتت هذه الزيادة في الزخرف لأن الحديث فيها عن الملائكة قبل وبعد
الآية. [٢٠] ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠] ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [البجائية: ٢٤]. آية الزخرف في جعلهم
الملائكة بنات الله وذلك كذب محض قطعاً؛ فناسب: ﴿يَخْرُصُونَ﴾، وآية البجائية في إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعاً؛ فناسب: ﴿يُظُنُّونَ﴾.

= وقرئ: (أن) بالفتح على العلة مفعولاً لأجله، أي: لأن كنتم، فقد جعله أمراً كان وانقضى، أي: من أجل أن كنتم. [١٨] ﴿أَوْ مَنْ يُمْشِقُ فِي الْحَلِیَةِ وَهُوَ فِي
الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنشأ﴾ قرئ: (يُنشأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مضارع نشأ معدى بالتضعيف مبنياً للمفعول، أي: يربى، وهو
يتعدى في الأصل، لكن عداه إلى المضمر الذي قام مقام الفاعل، ومعناه: أو من يربى في الحلية، أي: في الحلي يعني النساء، جعلوهن أولاد الله تعالى الله عن ذلك؛
فالمعنى: أ جعلتم من يربى في الحلي وهو لا يبين في الخصام بنات الله؟ لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ
عِبَادِهِ جُزْءًا﴾. وقرئ: (يُنشأ) بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، من نشأ لازم مبني للفاعل من نشأ الغلام. [١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ
الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿عَبَدُ﴾ قرئ: (عباد) بالالف بعد الموحدة المفتوحة ورفع الدال، جمع عبد، لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾
يعني: الملائكة وفي ذلك تسوية بين الملائكة والآدميين في أن كلا عباد الله. وقرئ: (عند) بالنون الساكنة وفتح الدال بلا ألف ظرفاً. وعند: ليس يراد بها قرب
المسافة، فالله في كل مكان يعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، ولكن معنى (عند) في قراءة من قرأ ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ أراد بها عندية شرف ورفعة، ومن جعله
جمع عبد دلَّ بذلك على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله؛ لأنه يخبر أنهم عباد، والوالد لا يكون عبد أبيه، فهي قراءة تدل على تكذيب من ادعى ذلك، ورد لقوله.
قوله تعالى: ﴿أَشْهَدُوا﴾ قرئ: (أشْهَدوا) بهمزتين الأولى مفتوحة مخففة، والثانية مضمومة مسهلة، مع إسكان الشين، والمعنى: هل حضروا خلق الله الملائكة
إناثاً، حتى ادَّعوا ذلك وقالوه؟ وقرئ أيضاً بإدخال ألف بين الهمزتين. وقرئ: (أشْهَدوا) بهمزة واحدة مخففة مع فتح الشين.

= القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرر بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود:
١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦،
لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إيل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض
عدد مرات ذكر كلمة **الرسل** بمشتقاتها، **والنبي** بمشتقاتها، **والبشير** بمشتقاتها، **والنذير** بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الرسل** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة
النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **النذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذا تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين
والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ **إعجاز**
عددي: تكرر لفظ «**الملائكة**» و«**الشياطين**» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة في القرآن الكريم. أولاً: تكرر لفظ «**الملائكة**» عدد (٦٨) مرة =
= الحجة والبرهان على وجود الصانع، والرد على عبادة الأصنام الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والمنة على الخليل ﷺ بإبقاء كلمة التوحيد في عقبه، وبيان قسمة
الأرزاق، والإخبار عن حسرة الكفار، وندامتهم يوم القيامة، ومناظرة فرعون وموسى، ومجادلة المؤمنين مع ابن الزبعرى بحديث عيسى، وبيان شرف الموحد في
القيامة وعجز الكفار في جهنم، وإثبات إلهية الحق في السماء والأرض، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عن مكافأة الكفار.

٢٣- ﴿مَرْفُوعًا﴾: أغنياؤها ورؤساؤها. ﴿مُقْتَدُونَ﴾: متبعون. وخص المترفين؛ تنبيهاً على أن التمتع هو سبب إهمال النظر، وللإشارة إلى أنهم أصحاب الهوى والمصالح في بقاء هذه الحال.

٢٤- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرًا﴾: أجابوه عليه السلام بما أجابت به الأمم المكذبة رسلها.

٢٦، ٢٧- ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾: بمعنى: بريء- وضع المصدر موضع النعت، للمبالغة ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: إلا من الذي فطرني، أي خلقي. ٢٨- ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾: لا إله إلا الله والتوحيد ﴿فِي عَقِيهِ﴾: لم يزل في ذريته من يقولها ولا يزال ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون أو يذكرون. ٢٩- ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾: أمهلت ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المشركين من قومك فلم أعجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: محمد ﷺ. ٣١- ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ﴾: من مكة والطائف، لما تكررت حجج الله على قريش قالوا: فإذا بعث الله بشراً رسولاً، فهلا بعث غير محمد، كالوليد بن المغيرة المخزومي، وعتبة بن ربيعة المخزومي من أهل مكة، وعروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف، فكانوا أحق بالرسالة منه. قال ابن عطية: «وإنما قصدوا إلى من عظم ذكره بالسنن والقديم، وإلا فرسول الله كان حينئذ أعظم من هؤلاء، لكن لما عظم أولئك قبل مدة النبي ﷺ وفي صباه، استمر ذلك لهم».

٣٢- ﴿أَهْرَاقِسُمُونَ رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾: يعني النبوة، أو ما هو أعم منها، يقول عز وجل: أنا أفعل ما شئت ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾: فتلقى أحدهم ضعيف الحيلة عبي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وآخر شديد الحيلة سليل اللسان، وهو مقتور عليه ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَاءً﴾: أي ليستخدم بعضهم بعضاً، فيستسخر هذا في خدمته، سبياً للمعاش في الدنيا ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ﴾: الجنة ودخلها ﴿حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من الأموال في الدنيا. ٣٣- ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: لولا أن يجتمعوا على الكفر، فيصير جميعهم كفاراً ويميلون إلى الدنيا، ويرفضون الآخرة ﴿وَمَعَارِجَ﴾: مراقي. و«المعارج»: هي الدَّرَجُ نفسها ﴿عَلَيَّهَا يَظْهَرُونَ﴾: يصعدون إلى الغرف.

وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوهاً إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون ﴿٢٣﴾

﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدْيَ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءُكُمْ قَالُوا إِنَّمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرًا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿٢٥﴾

﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٤١﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٥١﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٦٣﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٢﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٧٣﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٤﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٧٥﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٨﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٨١﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٨٣﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٨٦﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٩١﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٩٢﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٩٣﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٩٤﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٩٦﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ ﴿٩٩﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٠٠﴾

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ﴾ تقدم في سورة يونس سبب قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ﴾ الآيتين. [٢٣، ٢٢] ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. الأول لقريش الذين بُعث إليهم النبي ﷺ فادعوا أنهم وآباؤهم على هدى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدْيَ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءُكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤]؟ والثاني خبر عن أمم سالفة لم يدعوا بأنهم على هدى بل متبعين آباءهم؛ ولذلك قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، ولم يقولوا: إنا على هدى كما قالت قريش. [٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ...﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]. قد اغتر الكفار وآباؤهم بالإمهال لما رأوه من الأموال والبنين وطول الأعمار، فأقاموا على كفرهم لا يبرحونه، وظنوا أنهم لا يعذبون وقد غفلوا عن سنة ماضية، فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين من بأس وهزيمة في كل ناحية. أيكون بوسع كفار "مكة" الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟ فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية الزخرف: بل متعت أيها الرسول هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول بين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَأَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. ما الفرق بين: "بريء وبراء"؟ الجواب: وردت كلمة (بريء) عشر مرات، بينما لم ترد كلمة (براء) إلا مرة واحدة. وردت كلمة (بريء) ثلاث مرات غير مؤكدة، وست مرات مؤكدة ب(إن)، ومرة واحدة مؤكدة ب(إنني). أما كلمة (براء) فقد وردت مؤكدة ب(إنني). وغير المؤكدة تعتبر خبراً ابتدائياً. والمؤكدة بمؤكد تعتبر خبراً طلبياً، والمؤكدة بمؤكدتين، تعتبر خبراً إنكارياً. (براء) المصدر من بريء، و(بريء) الصفة المشبهة، والمصدر أقوى توكيداً من الصفة المشبهة (حيث إن المصدر أعلى الصفات توكيداً). وردت كلمة (بريء) مع كلمة (تشركون)، ووردت كلمة (براء) مع كلمة (تعبدون). والشرك أخف درجة في البعد عن الله من الكفر. فجاءت صيغة (بريء) الأقل توكيداً مع صيغة (تشركون) الأقل بعداً عن الله، وجاءت صيغة (براء) الأكثر توكيداً مع صيغة (تعبدون) الأكثر بعداً عن الله، (حيث إن العبادة من دون الله كفر، وهذا هو المقصود من قوله: ﴿بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. [٢٤] ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدْيَ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءُكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدْيَ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءُكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٦]. ثم أخبر الله جل ذكره بجوابهم، فقال عنهم: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرًا﴾. وقرئ: ﴿قُلْ﴾ بغير ألف على الأمر على الحكاية، أي: حكاية ما مر به النذير، أي: قل لهم كذا. قوله تعالى: ﴿حِجَّتِكُمْ﴾ قرئ: (جناسكم) بالنون موضع التاء وألف بعدها على الجمع، أي: أنا ومن قبلي من الرسل. وقرئ: (جنتكم) بقاء المتكلم له صلى الله عليه وسلم وحده.

[٣٣] ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتَ سَفْهًا مِّنْ فَضِيلَةٍ وَمَعَاجِرَ عَلَيْهِا يَظْهَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَفْهًا﴾ قرئ: (سُفْهًا) بفتح السين وإسكان القاف بالإفراد على إرادة الجنس على معنى أن لكل بيت سفْهًا. وقرئ: (سُفْهًا) بضمها على الجمع لمناسبة لفظ البيوت، ولكل بيت سفْه، فالجمع على اللفظ والمعنى كذلك.

= في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» ٢٠ مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكر مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٨٨) مرة أصبح (١٠٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الشيطان» (٨٨) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضاً (٨٨) مرة. [٣٢] ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَاءً﴾ إيجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضاً رد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. [٤٣] ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إيجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها و(الدرجات) بمشتقاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث) بمشتقاتها و(الدرجات) بمشتقاتها، وكل ورد (٤٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

٣٤- ﴿وَلْيُؤْتِهِمْ أَبُوَابًا وَسُرْرًا﴾: أي: وجعلنا ليوتهم أبواباً من فضة، وسرراً من فضة. ٣٥- ﴿وَزُخْرَفًا﴾: الزخرف: الذهب أو: أثاث البيت وما يتخذ له من الستور والنمازق ونحوه. وقيل: الزخرف: التزويق والنقش ونحوه من التزيين. ﴿وَإِنْ كُنْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾: ما كل ذلك إلا شيء يتمتع به في الدنيا. ٣٦- ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾: يعرض، فلا يخاف سطوة الرحمن، ولا يخشى عقابه. وأصل «العشو»: النظر بغير ثبوت لعله في العين ﴿نَقِصْ﴾: نجعل ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: أي ملازم له لا يفارقه. ٣٧- ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: وإن الشياطين ليصدون هؤلاء عن سبيل الحق. ٣٨- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾: أي الكافر، أو جاء كل واحد منهما. وقرأ الجمهور: «جاءنا»، أي: هو وقرينه. ٣٩- ﴿الْيَوْمِ﴾: يوم القيامة، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا، ﴿أَنكُفُّوا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، فلن يخف الخطب لعموم البلوى كما في الدنيا، وذلك لعظم المصيبة وطول العذاب. ٤٤- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: يقول جل ثناؤه: وإن هذا القرآن الذي أمرناك أن تستمسك به، لشرف لك ولقومك من قريش ثم العرب. ﴿وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ﴾: عما جعله الله لكم من الشرف، لأن المزايا تكليف وأعباء. ٤٥- ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾: قيل: جمعوا له - عليه وعليهم السلام - ليلة أسري به في بيت المقدس، فأمرهم وصلى بهم، وكان أشد يقيناً بما جاء من الله من أن يسألهم. وقيل: معناه أسأل الذين أرسلنا قبلك من الرسل، واستغنى بذكر الكتب عن الرسل إذ كان معلوماً. وقال ابن عباس: المراد: أسأل أتباع من أرسلنا وحمله شرائعهم، لأن المفهوم أن لا سبيل له إلى سؤاله الرسل إلا بالنظر في آثارهم وكتبهم، وسؤال من حفظها. [٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل عليّ هذا القرآن، أو على ابن مسعود الثقفي فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشاً قالت: قيصوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه فقيضوا لأبي بكر: طلحة، فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجبوا الرجل، فسكت القوم فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله فأنزل الله ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ الآية. [٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الزخرف: ٤٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [١٦] إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ. ما الفرق بين الآيات والسلطان المبين؟ الجواب: الآيات هي الأمارات التي يكفى بها في صدق الرسول عليه السلام، وتقوم الحجة بها على من يبعث إليهم، أما السلطان المبين فالمراد به الحجج القاهرة التي تقهر القوم، كأنواع العذاب التي أنزلت على قوم موسى عليه السلام، والمراد في آيتي هود وغافر ذكر حال أولئك القوم وبيان خبرهم إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الهلاك والعذاب الأليم، والآيات التي بعدها تحكي هذا الواقع، فلما كان القصد بيان حالهم في الدنيا ومصيرهم يوم القيامة، ناسب الآيتين الزيادة، أما آية الزخرف فالمراد منها بيان حالهم في الدنيا إلى أن أغرقهم الله: ﴿فَلَمَّا سَفَوْنَا أَنْفُسَنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَفَاحًا وَمَتَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦]، فلما قصد ذلك لم يناسب ذكر السلطان المبين. قول آخر: الزيادة الواقعة في سورة هود وغافر بسبب سوء رد المرسل إليهم وقبح جوابهم، فالتأيد بالسلطان المبين في مقابلة بشاعة إجابتهم وسوء ردهم، ولم يكن ذلك في الزخرف. [٣٢] ﴿أَتَخَذْتُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٣]، ﴿أَهْرَيْقَسِيُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا يَتَّبِعُهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَرَقَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. ما الفرق بين: "سُخْرِيًّا، سُخْرِيًّا"؟ الجواب: وردت كلمة (سُخْرِيًّا) بكسر السين: مرتين. بينما وردت كلمة (سُخْرِيًّا) بضم السين مرة واحدة. السُّخْرِي (بكسر السين) هو الهُزء والسُّخْرِيَّة. والسُّخْرِي (بضم السين) هو بمعنى السُّخْرَةِ والتسخير. (وهذا المعنى الأخير يتضح في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. [٤٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوُا أَنْفُسَهُمْ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُ فِي تَضَلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعاً وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضَلَّ يَضِلُّ ضَلَالًا وَضَلَالَةً). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضَلَّلَ يَضِلُّلُ تَضْلِيلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثاً وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالكلمة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمان وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة - (في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلاً: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]. [٣٥] ﴿وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُنْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَمَّا مَتَعَ﴾ قرئ: (لَمَّا) بتشديد الميم بمعنى: "إلا" و"إن" نافية. وقرئ: (لَمَّا) بتخفيفها، "فإن" هي المخففة و"اللام" فارقة كما مر، و"ما" مزيدة للتأكيد. [٣٦] ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿نَقِصْ﴾ قرئ: (يقبض) بالياء من تحت لمناسبة ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾. وقرئ: (نقبض) بنون العظمة إخبار من الله جل ذكره عن نفسه. [٣٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿جَاءَنَا﴾ قرئ: (جاءنا) بألف بعد الهمزة على الشنية، أي: العاشي، أي: الكافر. وقرئ: (جاءنا) بغير ألف، والضمير يعود على لفظ "من" وهو العاشي وحده.

وَلْيُؤْتِهِمْ أَبُوَابًا وَسُرْرًا عَلَيْهِمَا يَتَكُونُ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُنْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصْدُوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُفُّوا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْأَصْمَ أَوْ تُهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَأَمَّا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوُنِّرِكَ الَّذِي وَعَدْتُهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٤٨- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَاتٍ﴾: لشدة موقعها في نفوسهم بجدّة أمرها وحدوثه. ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾:

بالجذب ونقص الثمرات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون. ٤٩- ﴿وَقَالُوا يَتَّيَّهَ السَّاحِرُ﴾: قال فرعون وملؤه لموسى: ﴿يَتَّيَّهَ السَّاحِرُ﴾ وعنا بالساحر في هذا الموضع: العالم؛ إذ لم يكن عندهم السحر ذماً ﴿يَمَاعِهْدَ عِنْدَكَ﴾: بعهد الذي عهد إليك أنا إن آمنا بك واتبعناك كُشف عنا العذاب. ٥٠- ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾: يغدرون ويصرون على ضلالتهم. ٥١- ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِي﴾: من تحت قصري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: ما أنا فيه من النعيم والملك، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان. ٥٢- ﴿أَمَّا أَنَا خَيْرٌ﴾: بل أنا خير بما وصفت به نفسي من الملك والبيان ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: لا شيء له من الملك والمال، يعني موسى عليه السلام ﴿وَلَا يَكَاذِبِينَ﴾: في كلامه، لما في لسانه من العقدة. ٥٣- ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾: وهو جمع سوار، وهو الذي يجعل في اليد؛ أي: فهلأ خلي بأسورة الذهب إن كان عظيماً، وكان الرجل فيهم إذا سودوه سؤروه بسوار من ذهب، وطوقوه بطوق من ذهب. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: متتابعين يمشون معاً، ليعينوه على أمره، ويشهدوا له بالنبوة. ٥٤- ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمُهُ﴾: فقبلوا ذلك منه. ٥٥- ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا. ٥٦- ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا﴾: مقدمة يتقدمون إلى النار كفار قريش، والكفار لهم بالأثر ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾: عبرة وعظة، لمن يأتي بعدهم. ٥٧- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾: يقول: لما شبه الله عيسى في إنشائه إياه من غير أب، ومثله بآدم الذي خلقه من تراب ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: يَضْجُونَ، ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلهاً نعبده، كما عبدت النصراني المسيح! ٥٨- ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمْ خَيْرٌ أَمَ هُوَ﴾: أي: أم محمد، فنعبد محمداً، ونترك ألهتنا؟! ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾: يقول تعالى: ما مثلوا لك هذا المثل إلا جدالاً وخصومة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: يلتصقون الخصومة بالباطل، ورؤي عنه ﷺ

وَمَا نَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَاتٍ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَّيَّهَ السَّاحِرُ دَعَا لَنَا رَبِّكَ يَمَاعِهْدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفِرُوا إِلَيْكَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمَّا أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَاذِبِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَأَسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْقَمَمْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ بَجْعٍ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلَهْتُمْ خَيْرٌ أَمَ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عِدْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَكِئِكَ فِي الْأَرْضِ خَلَائِفُونَ ﴿٦٠﴾

(٤٩٣)

أنه قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». رواه الترمذي وغيره، وحسنه الألباني. ٥٩- ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عِدْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: بالإيمان والتوفيق، يعني: عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: آية لهم وحجة عليهم. ٦٠- ﴿فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يقول: لو نشاء أهلكناكم، وجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلفونكم فيها.

٥٧- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال لقريش: إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً، وقد عبد من دون الله، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية.

٥٠- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَى أَجَلٍ لَهُمْ يَلْغَوْهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠]. فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجل هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيّمون على كفرهم وضلالهم، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، والقصة في سورة الأعراف فيها تفصيل، أمّا القصة في الزخرف فموجزة، وآية الزخرف تبين أنه لما دعا موسى عليه السلام برفع العذاب عنهم، فرفعه الله عنهم إذا هم يغدرون، ويصرون على ضلالهم.

٥٨- ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمْ خَيْرٌ أَمَ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. ما الفرق بين: "الجدل والجدال؟" الجواب: (الجدل والجدال) كلاهما يحمل معنى المراء والخصومة، إلا أن كلمة (الجدال) مشتقة من الفعل الرباعي (جادل)، وهذا الفعل ومصدره يدلان على المشاركة، فكلمة (الجدال) وردت في موضعين كان النقاش فيهما يجري بين طرفين، قال تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والجدال في الحج يكون بين طرفين (مُجَادِلٌ ومُجَادَلٌ معه)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَكُونُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، فنوح عليه السلام كان يجادلهم بأدلة الإيمان وكانوا هم يجادلونه بادعاءات الكفر. أمّا (الجدل) فمشتقة من الفعل الثلاثي (جدل)، وقد جاءت في القرآن بمعنى الانفرادية، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جِدْلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وكان النظر هنا في الآية للإنسان من حيث كونه إنساناً، ونظر إلى موضوعه كقضية واحدة ليس فيها طرف آخر، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمْ خَيْرٌ أَمَ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فهذا وصف لهؤلاء القوم باعتبارهم وحدة واحدة لا باعتبارهم طرفاً في خصومة، لأن الرسول ﷺ (وهو الطرف الآخر) لا يجادل، وإنما يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. ٥٣- ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿آسُورَةٌ﴾ قرئ: (أسورة) بسكون السين بلا ألف، جمع سوار كأخرة وخمار. وقرئ: (أساور) بفتح السين وألف وفتح الراء... وبتاء التانيث على جعله جمع الجمع كأسقية وأساقى جمع أساور بمعنى إسوار، والأصل: أساوير كأعصار وأعاصير، ويجوز أن يكون أساور جمع أسورة كأسقية وأساقى، ودخلت الهاء كما دخلت في: قشعم وقشاعمة، وعوّض عن الياء تاء التانيث. ٥٦- ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَلَافًا﴾ قرئ: (سلفاً) بضم السين واللام جمع سليف كرغيف ورغف، أو جمع سلف كأسد وأسد. وقرئ: (سلفاً) بفتحها جمعاً لسالف كخادم وخدم، وهو في الحقيقة اسم جمع لا جمع، إذا ليس في أبنية التكسير صيغة فعل، أو على أنه مصدر يطلق على الجماعة من سلف الرجل يسلف سلفاً تقدم، وسلف الرجل أبائوه المتقدمون جمعه أسلاف وسلاف. ٥٧- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَصِدُّونَ﴾ قرئ: (يصدون) بضم الصاد من صد يصد كمد يمد، أعرض. وقرئ: (يصدون) بكسرهما كحد يحد وهما لغتان كما ورد في راء "يعرشون"، ومعنى الضم: يعدلون عما جئتم به، ومعنى الكسر يَضْجُونَ أو يعججون. ٥٣- ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشیطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وإذا أضيف إلى عدد مشتقات كلمة «الشیطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلْسَّاعَةِ ﴿٦١﴾ وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَإِنْ ظَهَرَ عَيْسَى عِلْمَ يُعْلَمُ بِهِ جَمْعُ السَّاعَةِ، لَأَنْ نَزُولَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَشْرَاطِهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ: الْإِشَارَةُ فِي الْآيَةِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَيْسَ إِلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَلَا تَمْتَرُكَ﴾: لَا تَشْكُنْ فِي مَجِيئِهَا ﴿وَأَتَّبِعُونِ﴾: وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ. ٦٢- ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: لَا يَعْذِلُنَّ بِكُمْ عَنْ طَاعَتِي. ٦٣- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: بِالنَّبْوَةِ ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ﴾: مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ. ٦٥- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. وَقِيلَ: هُمْ فِرْقُ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ عَيْسَى. وَ«الْأَحْزَابُ» هِيَ الْفِرْقُ الْمُتَحَزِّبَةُ. ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾: يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ٦٧- ﴿الْأَخِلَاءُ﴾: الْمُتَخَالِفُونَ، الْمُتَصَادِقُونَ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ﴿بِوَمِيذٍ﴾: يَوْمِ تَقُومُ السَّاعَةُ. ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾: كُلُّ خَلَةٍ يَوْمَئِذٍ عِدَاوَةٌ، إِلَّا خَلَةَ الْمُتَّقِينَ اللَّهُ. ٦٨، ٦٩- ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ يُنَادُونَ هَذَا النَّدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُطَمَعُ فِيهَا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى يَسْمَعَ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: فَيَأْسُ مِنْهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ. «وَكَانُوا مُسْلِمِينَ» أَيُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنَفَاءَ، لَا يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَا يَهُودَ وَلَا نَصَارَى. ٧٠- ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُنْعَمُونَ وَتُكْرَمُونَ. ٧١- ﴿بِصِحَافٍ﴾: قِصَاصٍ، جَمْعُ صَحْفَةٍ، وَهِيَ الْقِصْعَةُ الْوَاسِعَةُ الْعَرِيضَةُ. ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: فِيهَا طَعَامُهُمْ ﴿وَأَكْوَابٍ﴾: فِيهَا شَرَابُهُمْ، جَمْعُ كُوبٍ. ٧٢- ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾: أَيُ صَارَتْ إِلَيْكُمْ كَمَا يَصِيرُ الْمِيرَاثُ إِلَى الْوَارِثِ، بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَقِيلَ: أُورِثَكُمْوهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ جَهَنَّمَ. ٦٤ [٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥١]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مُؤْمِنُونَ: ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٦٤]. آيَةُ مَرْيَمَ لَمَّا تَضَمَّنَتْ مَقَالَهَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآيَةُ كَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ مَخْبِرًا عَنْ حَالِهِ النَّبَوِيَّةِ، وَمَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَصَائِصِ الْجَلِيلَةِ مَنَسُوقًا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَذَكَرَ حَفِظَ اللَّهُ لَهُ، وَتَكَرَّمَ بِهِ إِيَّاهُ فِي أَحْوَالِهِ الثَّلَاثِ، حَالِ الْوِلَادَةِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَبَعْدِهِ، وَهَذِهِ أَحْوَالُ تَنْزِهِ الرَّبُّوبِيَّةِ عَنْهَا وَتَعَالَى، ثُمَّ لَمَّا كَانَ تَمَامُ إِخْبَارِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَكْمِيلُ مَا قَصَدَهُ بِهِ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِالرَّبُّوبِيَّةِ لِلْكَلِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، وَكَانَ الْكَلَامُ مُتَصِلًا بِمَا تَقَدَّمَ فِي مَعْنَاهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ مَا ظَهَرَ أَنَّ كَلَامَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَّ وَانْقَضَى، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٣٣]، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ قَضِيَّةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْرِيفِ بِحَقِيقَةِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مَائِدَةَ: ١١٧] مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْذَلَ مِنْ وَلَدٍ سَخِطَهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ [مَرْيَمَ: ٣٤-٣٥]، فَوَرَدَ هَذَا مُورَدَ الْجَمَلِ الَّتِي كَانَتْ مَفْصُولَةً عَنْهَا قَبْلُهَا مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى اتِّصَالِ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلُهَا، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ حَرْفِ النِّسْقِ، لِيَحْصَلَ مِنْهُ أَنَّهُ كَلَامٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَلَا مُسْتَأْنَفٌ، بَلْ هُوَ مُعْطُوفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْوَجْهُ الْعَطْفُ عَلَيْهِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى مَا تَوَسَّطَ الْكَلَامَيْنِ، فَهَذَا وَجْهُ وَرُودِ الْوَاوِ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ، وَلَمْ يَعْضُ فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ فَصَلَ بَيْنَ الْآيَةِ وَمَا قَبْلُهَا يَوْمَهُمْ انْقِطَاعًا فَيَحْتَاجُ إِلَى الْوَاوِ، وَأَمَّا زِيَادَةُ ﴿هُوَ﴾ بِالزَّخْرِفِ فَقَدْ دَعَا إِلَيْهَا مَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ قَبْلَهُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٥٧]، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفْسِّرُونَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٩٨]، تَعَلَّقَ بِهَا الْكَفَّارُ، وَقَالُوا قَدْ عُجِدَتْ الْمَلَائِكَةُ وَعُبدَ الْمَسِيحُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ تَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى نَبِيَّ مَقْرَبٍ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادُ مَقْرَبُونَ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءُ مَعَ آلِهَتِنَا فِي النَّارِ فَقَدْ رَضِينَا، وَجَادَلُوا بِهِذَا، فَلَمَّا كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الزَّخْرِفِ ذِكْرُ آلِهَتِهِمْ وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزَّخْرَفُ: ٥٨]، يَعْنُونَ الْمَسِيحَ، نَاسِبُهُ مَا أَعْقَبَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، فَكَانَ قَدْ قِيلَ: هَؤُلَاءُ غَيْرُهُ، فَأُورِدَ ﴿هُوَ﴾ لِيُؤَكِّدَ الْمَعْنَى، وَلَمْ يَرِدْ فِي آلِ عِمْرَانَ وَمَرْيَمَ مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ مَا وَرَدَ هُنَا، فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى الضَّمِيرِ. ٦٥ [٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ قَالُوا كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مَرْيَمَ: ٣٧]، نَسَبْتُهُمْ إِيَّاهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ قَالَ: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْذَلَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مَرْيَمَ: ٣٥]، فَذَكَرَ بَلْفِظَ الْكُفْرِ، وَالْقِصَّةُ فِي الزَّخْرِفِ مَجْمُوعَةٌ، فَوْصَفَهُمْ بَلْفِظَ دُونِهِ وَهُوَ الظُّلْمُ. ٧٣ [٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٩]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٧٣]. ذَكَرَ الْوَاوِ فِي الْأَوَّلِ "وَمِنْهَا" وَحَذَفَ الْوَاوِ فِي الثَّانِيَةِ "مِنْهَا" لِمَاذَا؟ **الْجَوَابُ**: فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ السِّيَاقُ فِي الْكَلَامِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الدُّنْيَا وَتَعْدَادِ النِّعَمِ قَالَ: "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ"، فَالْفَاكِهَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ لِلْأَكْلِ فَقَطْ، فَمِنْهَا مَا هُوَ لِلدَّخَارِ وَالْبَيْعِ وَالْمَرْبِيَّاتِ وَالْعَصَائِرِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقْصِدُ بِالْآيَةِ: وَمِنْهَا تَذَخَّرُونَ، وَمِنْهَا تَعْصَرُونَ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى عَطْفًا عَلَى مُحذُوفٍ، أَمَا فِي سُورَةِ الزَّخْرِفِ فَالسِّيَاقُ فِي الْكَلَامِ عَنِ الْجَنَّةِ، وَالْفَاكِهَةُ فِي الْجَنَّةِ كُلُّهَا لِلْأَكْلِ، وَلَا يُصْنَعُ مِنْهَا أَشْيَاءُ أُخْرَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ٧١ [٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِبَهُ الْأَنْفُسُ وَتِلْكَ الْأَعْيَتْ﴾ [قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَتَّهِبَهُ﴾ قَرَأَ: تَشْتَهِيهِ] بِهَاءٍ بَعْدَ الْيَاءِ تَعْوِذٌ عَلَى "مَا" الْمُوصُولَةِ. وَقَرَأَ: (تَشْتَهِي) بِحَذْفِهَا؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ وَعَائِدُهُ جَائِزُ الْحَذْفِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا الَّذِي بَعَثَ﴾؟ أَيُ: بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا. ٦٣ [٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِي**: تَسَاوَى عِدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ الْقُرْآنِ بِمَشْتَقَاتِهِ مَعَ أَلْفَاظِ النُّورِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّنْزِيلِ، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (٦٨) مَرَّةً: أَوَّلًا: وَرَدَ لَفْظُ (الْقُرْآنِ) (٦٨) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثَانِيًا: تَكَرَّرَ لَفْظُ (النُّورِ) (٣٣) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثَالِثًا: تَكَرَّرَ ذِكْرُ (الْحِكْمَةِ) (٢٠) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. رَابِعًا: تَكَرَّرَ ذِكْرُ (التَّنْزِيلِ) (١٥) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ٧٣ [٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِي**: ١- ذَكَرَ لَفْظُ (الْحَرْثُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً، ٢- ذَكَرَ لَفْظُ (الزَّرْعُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً، ٣- ذَكَرَ لَفْظُ (الْفَاكِهَةُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً، ٤- ذَكَرَ لَفْظُ (الْعَطَاءُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً. وَبِذَلِكَ يَتَسَاوَى عِدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْحَرْثُ بِمَشْتَقَاتِهِ) مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الزَّرْعُ وَمَشْتَقَاتِهِ)، مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْفَاكِهَةُ بِمَشْتَقَاتِهِ)، مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْعَطَاءُ بِمَشْتَقَاتِهِ)، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ عِدَدٍ (١٤) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ.

٦١- ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلْسَّاعَةِ﴾: مَعْنَى الْكَلَامِ: وَإِنْ ظَهَرَ عَيْسَى عِلْمَ يُعْلَمُ بِهِ جَمْعُ السَّاعَةِ، لَأَنْ نَزُولَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَشْرَاطِهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ: الْإِشَارَةُ فِي الْآيَةِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَيْسَ إِلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَلَا تَمْتَرُكَ﴾: لَا تَشْكُنْ فِي مَجِيئِهَا ﴿وَأَتَّبِعُونِ﴾: وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ. ٦٢- ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: لَا يَعْذِلُنَّ بِكُمْ عَنْ طَاعَتِي. ٦٣- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: بِالنَّبْوَةِ ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ﴾: مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ. ٦٥- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. وَقِيلَ: هُمْ فِرْقُ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ عَيْسَى. وَ«الْأَحْزَابُ» هِيَ الْفِرْقُ الْمُتَحَزِّبَةُ. ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾: يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ٦٧- ﴿الْأَخِلَاءُ﴾: الْمُتَخَالِفُونَ، الْمُتَصَادِقُونَ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ﴿بِوَمِيذٍ﴾: يَوْمِ تَقُومُ السَّاعَةُ. ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾: كُلُّ خَلَةٍ يَوْمَئِذٍ عِدَاوَةٌ، إِلَّا خَلَةَ الْمُتَّقِينَ اللَّهُ. ٦٨، ٦٩- ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ يُنَادُونَ هَذَا النَّدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُطَمَعُ فِيهَا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى يَسْمَعَ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: فَيَأْسُ مِنْهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ. «وَكَانُوا مُسْلِمِينَ» أَيُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنَفَاءَ، لَا يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَا يَهُودَ وَلَا نَصَارَى. ٧٠- ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُنْعَمُونَ وَتُكْرَمُونَ. ٧١- ﴿بِصِحَافٍ﴾: قِصَاصٍ، جَمْعُ صَحْفَةٍ، وَهِيَ الْقِصْعَةُ الْوَاسِعَةُ الْعَرِيضَةُ. ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: فِيهَا طَعَامُهُمْ ﴿وَأَكْوَابٍ﴾: فِيهَا شَرَابُهُمْ، جَمْعُ كُوبٍ. ٧٢- ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾: أَيُ صَارَتْ إِلَيْكُمْ كَمَا يَصِيرُ الْمِيرَاثُ إِلَى الْوَارِثِ، بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَقِيلَ: أُورِثَكُمْوهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ جَهَنَّمَ.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥١]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مُؤْمِنُونَ: ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٦٤]. آيَةُ مَرْيَمَ لَمَّا تَضَمَّنَتْ مَقَالَهَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآيَةُ كَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ مَخْبِرًا عَنْ حَالِهِ النَّبَوِيَّةِ، وَمَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَصَائِصِ الْجَلِيلَةِ مَنَسُوقًا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَذَكَرَ حَفِظَ اللَّهُ لَهُ، وَتَكَرَّمَ بِهِ إِيَّاهُ فِي أَحْوَالِهِ الثَّلَاثِ، حَالِ الْوِلَادَةِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَبَعْدِهِ، وَهَذِهِ أَحْوَالُ تَنْزِهِ الرَّبُّوبِيَّةِ عَنْهَا وَتَعَالَى، ثُمَّ لَمَّا كَانَ تَمَامُ إِخْبَارِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَكْمِيلُ مَا قَصَدَهُ بِهِ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِالرَّبُّوبِيَّةِ لِلْكَلِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، وَكَانَ الْكَلَامُ مُتَصِلًا بِمَا تَقَدَّمَ فِي مَعْنَاهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ مَا ظَهَرَ أَنَّ كَلَامَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَّ وَانْقَضَى، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٣٣]، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ قَضِيَّةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْرِيفِ بِحَقِيقَةِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مَائِدَةَ: ١١٧] مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْذَلَ مِنْ وَلَدٍ سَخِطَهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ [مَرْيَمَ: ٣٤-٣٥]، فَوَرَدَ هَذَا مُورَدَ الْجَمَلِ الَّتِي كَانَتْ مَفْصُولَةً عَنْهَا قَبْلُهَا مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى اتِّصَالِ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلُهَا، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ حَرْفِ النِّسْقِ، لِيَحْصَلَ مِنْهُ أَنَّهُ كَلَامٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَلَا مُسْتَأْنَفٌ، بَلْ هُوَ مُعْطُوفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْوَجْهُ الْعَطْفُ عَلَيْهِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى مَا تَوَسَّطَ الْكَلَامَيْنِ، فَهَذَا وَجْهُ وَرُودِ الْوَاوِ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ، وَلَمْ يَعْضُ فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ فَصَلَ بَيْنَ الْآيَةِ وَمَا قَبْلُهَا يَوْمَهُمْ انْقِطَاعًا فَيَحْتَاجُ إِلَى الْوَاوِ، وَأَمَّا زِيَادَةُ ﴿هُوَ﴾ بِالزَّخْرِفِ فَقَدْ دَعَا إِلَيْهَا مَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ قَبْلَهُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٥٧]، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفْسِّرُونَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٩٨]، تَعَلَّقَ بِهَا الْكَفَّارُ، وَقَالُوا قَدْ عُجِدَتْ الْمَلَائِكَةُ وَعُبدَ الْمَسِيحُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ تَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى نَبِيَّ مَقْرَبٍ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادُ مَقْرَبُونَ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءُ مَعَ آلِهَتِنَا فِي النَّارِ فَقَدْ رَضِينَا، وَجَادَلُوا بِهِذَا، فَلَمَّا كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الزَّخْرِفِ ذِكْرُ آلِهَتِهِمْ وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزَّخْرَفُ: ٥٨]، يَعْنُونَ الْمَسِيحَ، نَاسِبُهُ مَا أَعْقَبَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، فَكَانَ قَدْ قِيلَ: هَؤُلَاءُ غَيْرُهُ، فَأُورِدَ ﴿هُوَ﴾ لِيُؤَكِّدَ الْمَعْنَى، وَلَمْ يَرِدْ فِي آلِ عِمْرَانَ وَمَرْيَمَ مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ مَا وَرَدَ هُنَا، فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى الضَّمِيرِ. ٦٥ [٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ قَالُوا كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مَرْيَمَ: ٣٧]، نَسَبْتُهُمْ إِيَّاهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ قَالَ: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْذَلَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مَرْيَمَ: ٣٥]، فَذَكَرَ بَلْفِظَ الْكُفْرِ، وَالْقِصَّةُ فِي الزَّخْرِفِ مَجْمُوعَةٌ، فَوْصَفَهُمْ بَلْفِظَ دُونِهِ وَهُوَ الظُّلْمُ. ٧٣ [٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٩]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٧٣]. ذَكَرَ الْوَاوِ فِي الْأَوَّلِ "وَمِنْهَا" وَحَذَفَ الْوَاوِ فِي الثَّانِيَةِ "مِنْهَا" لِمَاذَا؟ **الْجَوَابُ**: فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ السِّيَاقُ فِي الْكَلَامِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الدُّنْيَا وَتَعْدَادِ النِّعَمِ قَالَ: "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ"، فَالْفَاكِهَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ لِلْأَكْلِ فَقَطْ، فَمِنْهَا مَا هُوَ لِلدَّخَارِ وَالْبَيْعِ وَالْمَرْبِيَّاتِ وَالْعَصَائِرِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقْصِدُ بِالْآيَةِ: وَمِنْهَا تَذَخَّرُونَ، وَمِنْهَا تَعْصَرُونَ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى عَطْفًا عَلَى مُحذُوفٍ، أَمَا فِي سُورَةِ الزَّخْرِفِ فَالسِّيَاقُ فِي الْكَلَامِ عَنِ الْجَنَّةِ، وَالْفَاكِهَةُ فِي الْجَنَّةِ كُلُّهَا لِلْأَكْلِ، وَلَا يُصْنَعُ مِنْهَا أَشْيَاءُ أُخْرَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِبَهُ الْأَنْفُسُ وَتِلْكَ الْأَعْيَتْ﴾ [قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَتَّهِبَهُ﴾ قَرَأَ: تَشْتَهِيهِ] بِهَاءٍ بَعْدَ الْيَاءِ تَعْوِذٌ عَلَى "مَا" الْمُوصُولَةِ. وَقَرَأَ: (تَشْتَهِي) بِحَذْفِهَا؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ وَعَائِدُهُ جَائِزُ الْحَذْفِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا الَّذِي بَعَثَ﴾؟ أَيُ: بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا. ٦٣ [٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِي**: تَسَاوَى عِدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ الْقُرْآنِ بِمَشْتَقَاتِهِ مَعَ أَلْفَاظِ النُّورِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّنْزِيلِ، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ (٦٨) مَرَّةً: أَوَّلًا: وَرَدَ لَفْظُ (الْقُرْآنِ) (٦٨) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثَانِيًا: تَكَرَّرَ لَفْظُ (النُّورِ) (٣٣) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثَالِثًا: تَكَرَّرَ ذِكْرُ (الْحِكْمَةِ) (٢٠) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. رَابِعًا: تَكَرَّرَ ذِكْرُ (التَّنْزِيلِ) (١٥) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ٧٣ [٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ **إِعْجَازٌ عَدَدِي**: ١- ذَكَرَ لَفْظُ (الْحَرْثُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً، ٢- ذَكَرَ لَفْظُ (الزَّرْعُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً، ٣- ذَكَرَ لَفْظُ (الْفَاكِهَةُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً، ٤- ذَكَرَ لَفْظُ (الْعَطَاءُ بِمَشْتَقَاتِهِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٤) مَرَّةً. وَبِذَلِكَ يَتَسَاوَى عِدَدُ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْحَرْثُ بِمَشْتَقَاتِهِ) مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الزَّرْعُ وَمَشْتَقَاتِهِ)، مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْفَاكِهَةُ بِمَشْتَقَاتِهِ)، مَعَ عِدَدِ مَرَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (الْعَطَاءُ بِمَشْتَقَاتِهِ)، وَقَدْ وَرَدَ كُلُّ عِدَدٍ (١٤) مَرَّةً فِي كِتَابِ اللَّهِ.

٧٤- ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكفار. ٧٥- ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفف عنهم ذلك العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾:

آيسون من النجاة، قد استسلموا للعذاب. وقيل: ساكنون سكون يأس. ٧٧- ﴿وَنَادُوا﴾: يعني: المجرمين ﴿يَسْمُكُ﴾: دعوا خازن جهنم ﴿لِيَقْضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ﴾: ليمتنا، ليستريحوا من العذاب، فيقول: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾: أي مقيمون في العذاب. ٧٩- ﴿أَمْ أَمْرًا﴾: يقول عز وجل: أم أبرم هؤلاء المشركون أمراً فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جتته به. ﴿فَأَنَّا مُرْسِلُونَ﴾: فإننا مُحْكِمُونَ لهم ما يُخْزِيهِمْ من النكال والعذاب. ٨٠- ﴿وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾: يعني الحفظة عندهم، يكتبون جميع ما يصدر عنهم. ٨١- ﴿فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالِدِينَ﴾: قيل: معنى «العابدين»: الآنفين المنكرين: من عبد الرجل إذا أنف وأنكر الشيء. وقيل: هو من العبادة. والمعنى: قل يا محمد لمن زعم أن الملائكة بنات الله: إن كان لله ولد فأننا أول من يعبد له منكهم، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد، فأننا أعبد له عز وجل وحده. وفي هذا الأسلوب مبالغة في نفي الولد. قال الطبري: وهذا إطفاف في الخطاب. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤، ٨٢]- ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الكذب ويضيفون إليه من الولد، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يضاف إليه. ٨٣- ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾: في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: في دنياهم. ٨٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾: يُعْبَدُ في السماء ويُعْبَدُ في الأرض. ٨٦- ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾: قيل: عنى به عيسى وعزيراً، والملائكة الذين يعبدهم المشركون ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾: إلا من شهد لله بالحق، فوَحَّده وأطاعه وصدق رسله. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة ما شهدوا به، وأنهم على علم ويقين أنهم لا يملكون الشفاعة عندهم إلا بإذنه لهم بها. ٨٧- ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: فكيف ينقلبون ويصرفون عن عبادة خالقهم. ٨٨- ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ﴾: «وقيله» بجر اللام: معطوف على لفظ «الساعة»، أي: وعنده علم الساعة، وعلم قيله، والقيـل والقول بمعنى واحد، والمراد قول محمد ﷺ وشكواه إلى ربه تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم ﴿قَوْمٌ لَا يَزُومُونَ﴾. ٨٩- ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أعرض عن آذاهم، ﴿وَقُلْ سَلَّمَ﴾: أي: ولكم سلام. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: وعيد من الله عز وجل للمشركين. [٧٧] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رِيبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٨١] معنى اسم الله الرحمن: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصول رحمته إلى =

[٨٠] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ الآية... أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال: واحد منهم: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال آخر: إذا جهرت سمع، وإذا أسررت لم يسمع، فأنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الآية. [٧٤] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ [الزخرف: ٧٤]، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]. إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكثون، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية القمر: إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب. [٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣، المعارج: ٤٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والمعارج، والآية تدعو النبي ﷺ أن يترك هؤلاء المفترين على الله ليخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإما فيهما معاً.

[٨٨] ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَزُومُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، ﴿فَدَعَارِبُهُ أَنَّهُ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان: ٢٢]. وقال محمد ﷺ شاكياً إلى ربه قومه الذين كذبوه: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية الدخان: فدعا موسى ربه -حين كذبه فرعون وقومه ولم يؤمنوا به- قائلاً: إن هؤلاء قوم مشركون بالله كفرون. [٧٥] ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]. كيف وصف أهل النار فيها بأنهم مبلسون، والمبلس هو الآيس من الرحمة والفرج مع قوله بعده: ﴿وَنَادُوا يَكْمُلُ عَلَيْكَ رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، الدال على طلبهم الفرج بالموت؟ **الجواب**: وقع كل منهما في زمن؛ لأن أزمنة يوم القيامة متعددة. [٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. هذا يقتضي تعدد الآلهة؛ لأن النكرة إذا أعيدت نكرة تعددت، كقولك: أنت طالق، وطالق! **الجواب**: الإله هنا بمعنى المعبود، وهو تعالى معبود فيهما، والمغايرة إنما هي بين معبوديته في السماء، ومعبوديته في الأرض؛ لأن المعبودية من الأمور الإضافية، فيكفي التغاير فيها من أحد الطرفين، فإذا كان العابد في السماء غير العابد في الأرض، صدق أن معبوديته في السماء غير معبوديته في الأرض، مع أن المعبود واحد. [٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَدٌ﴾ قرئ: بضم الواو وسكون اللام. وقرئ: ﴿وَلَدٌ﴾ بفتحهما، وهما لغتان في الولد، وقيل: الولد بالفتح الابن والابنة، وبالضم: الأهل. [٨٥] ﴿وَالَّذِي رُجِعُوا﴾ قوله تعالى: ﴿رُجِعُوا﴾ قرئ: **ترجعون** بالخطاب التفتاً، أو على معنى قل لهم يا محمد: إلى الله ترجعون. وقرئ: **يرجعون** بالغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾.

[٨٨] ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَهُ﴾ قرئ: **وقيله** (بخفض اللام وكسر الهاء مع الصلة بياء، عطف على الساعة، أي: وعنده علم قيله، أي: قول محمد أو عيسى -عليهما السلام- والقول والقال والقيـل مصادر بمعنى واحد. وقرئ: **وقيله**) بفتح اللام وضم الهاء وصلتها بواو عطفاً على محل الساعة، أي: وعنده أن يعلم الساعة، ويعلم قيله كذا، أو عطفاً على سرهم ونجواهم، أو على مفعول يكتبون المحذوف، أي: يكتبون ذلك ويكتبون قيله، كذا أيضاً، أو على مفعول يعلمون ذلك، ويعلمون قيله: على أنه مصدر، أي: قال: قيله، أو بإضمار فعل، أي: الله يعلم قيل رسوله محمد ﷺ. [٨٩] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ قرئ: **تعلمون** بالتاء على الخطاب التفتاً، أو لمناسبة لفظ قل قبله، والتقدير: قل لهم يا محمد سلام. وقرئ: **يعلمون** بالغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾.

٧٤- ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكفار. ٧٥- ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفف عنهم ذلك العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من النجاة، قد استسلموا للعذاب. وقيل: ساكنون سكون يأس. ٧٧- ﴿وَنَادُوا﴾: يعني: المجرمين ﴿يَسْمُكُ﴾: دعوا خازن جهنم ﴿لِيَقْضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ﴾: ليمتنا، ليستريحوا من العذاب، فيقول: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾: أي مقيمون في العذاب. ٧٩- ﴿أَمْ أَمْرًا﴾: يقول عز وجل: أم أبرم هؤلاء المشركون أمراً فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جتته به. ﴿فَأَنَّا مُرْسِلُونَ﴾: فإننا مُحْكِمُونَ لهم ما يُخْزِيهِمْ من النكال والعذاب. ٨٠- ﴿وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾: يعني الحفظة عندهم، يكتبون جميع ما يصدر عنهم. ٨١- ﴿فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالِدِينَ﴾: قيل: معنى «العابدين»: الآنفين المنكرين: من عبد الرجل إذا أنف وأنكر الشيء. وقيل: هو من العبادة. والمعنى: قل يا محمد لمن زعم أن الملائكة بنات الله: إن كان لله ولد فأننا أول من يعبد له منكهم، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد، فأننا أعبد له عز وجل وحده. وفي هذا الأسلوب مبالغة في نفي الولد. قال الطبري: وهذا إطفاف في الخطاب. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤، ٨٢]- ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الكذب ويضيفون إليه من الولد، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يضاف إليه. ٨٣- ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾: في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: في دنياهم. ٨٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾: يُعْبَدُ في السماء ويُعْبَدُ في الأرض. ٨٦- ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾: قيل: عنى به عيسى وعزيراً، والملائكة الذين يعبدهم المشركون ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾: إلا من شهد لله بالحق، فوَحَّده وأطاعه وصدق رسله. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة ما شهدوا به، وأنهم على علم ويقين أنهم لا يملكون الشفاعة عندهم إلا بإذنه لهم بها. ٨٧- ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: فكيف ينقلبون ويصرفون عن عبادة خالقهم. ٨٨- ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ﴾: «وقيله» بجر اللام: معطوف على لفظ «الساعة»، أي: وعنده علم الساعة، وعلم قيله، والقيـل والقول بمعنى واحد، والمراد قول محمد ﷺ وشكواه إلى ربه تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم ﴿قَوْمٌ لَا يَزُومُونَ﴾. ٨٩- ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أعرض عن آذاهم، ﴿وَقُلْ سَلَّمَ﴾: أي: ولكم سلام. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: وعيد من الله عز وجل للمشركين. [٧٧] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رِيبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفياه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٨١] معنى اسم الله الرحمن: قال الشيخ السعدي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصول رحمته إلى =

[٨٠] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ الآية... أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال: واحد منهم: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال آخر: إذا جهرت سمع، وإذا أسررت لم يسمع، فأنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الآية. [٧٤] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ [الزخرف: ٧٤]، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]. إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكثون، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية القمر: إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب. [٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣، المعارج: ٤٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والمعارج، والآية تدعو النبي ﷺ أن يترك هؤلاء المفترين على الله ليخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإما فيهما معاً.

١، ٢- ﴿حَمْدٌ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ: القرآن، أقسم ربنا بهذا الكتاب. ٣- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ﴾: الجمهور على أنها ليلة القدر، والمعنى: أن ابتداء نزوله كان في هذه الليلة. وقالت فرقة: بل أنزله الله تعالى جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور، ومن هنا كان جبريل يتلقاه. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: خلقنا بهذا القرآن. ٤- ﴿فِيهَا يُقْرَأُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: يُقْضَى فيها أمر السنة كلها، من معاش الناس ومصائبهم وموتهم وحياتهم، إلى مثلها من السنة الأخرى ﴿حَكِيمٍ﴾: محكم. ٥- ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: رسولنا محمداً ﷺ إلى عبادنا. ٦- ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: أنزلناه للرحمة. وقيل: مرسلين رحمة. ٩- ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعُبُونَ﴾: إضراب قبله نفي مقدر، كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن يؤمن، بل هم في شك يلعبون في أقوالهم وأعمالهم. ١٠- ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر لهم يا محمد ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: الدخان الذي ذكر في هذا الموضع حين دعا رسول الله ﷺ على قريش أن تأخذهم سنين كسني يوسف، فأخذوا بالجدب وإمساك المطر، حتى كانوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فاتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك جئتنا تأمرنا بالطاعة وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. ١١- ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: يشملهم ويحيط بهم، كان الرجل لا يرى ما بينه وبين السماء إلا دخاناً من شدة الجهد. ١٢- ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾: دعا المشركون بذلك، والمراد بالعذاب: الجوع. ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: إنك إن كشفتنا عنا آمناً بك وعبدناك. ١٣- ﴿أَنْ هُمْ الذِّكْرَى﴾: كيف لهم، ومن أي وجه التذكُّر بعد نزول البلاء. ١٤- ﴿مُعَلِّمُونَ﴾: عَلَّمَ هذا الكلام. ١٥- ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: إلى الكفر والتكذيب، فعادوا. ١٦- ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾: في الدنيا، وهي يوم بدر. وقيل: المراد بها: عذاب النار. ١٧- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: رفيع عند الله مكانه، وهو موسى. ١٨- ﴿أَنْ أَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ﴾: بمعنى: ادفعوا إليَّ وأرسلوا معي بني إسرائيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُقْرَأُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَ مَوْقِنِينَ ﴿٦﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعُبُونَ ﴿٨﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلَهُمْ نَحْنُ وَإِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٣﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٥﴾ أَنْ أَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَإِنِّي لَكَرُّ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾

= من شاء من خلقه. [٦] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفتي السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء. وسمعه تعالى نوعان: النوع الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. النوع الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعاشرين فيجيهم ويثيبهم. [٦] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والباطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٨] معنى اسم الله الإله: اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أن ((الله)) أصله ((الإله))، وأن اسم ((الله)) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله أعلم.

[١٠] قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم سنين كسني يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأتى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى فسقوا، فزلت. [١٥، ١٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ يعني يوم بدر. [١١] ﴿حَمْدٌ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿حَمْدٌ﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظاً، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعاً، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ٢، الدخان: ٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والدخان، والآية يقسم الله فيها بالقرآن الواضح لفظاً ومعنى. [٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَ مَوْقِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾ قرئ: (رَبٌّ) بالخفض على البذل من ربك. وقرئ: (رَبُّ) بالرفع على الابتداء قطعوه مما قبله، والخبر الجملة، وهي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. [١٧] ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجد أنها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً تساوى مجموع ذكر الرسل والنبين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

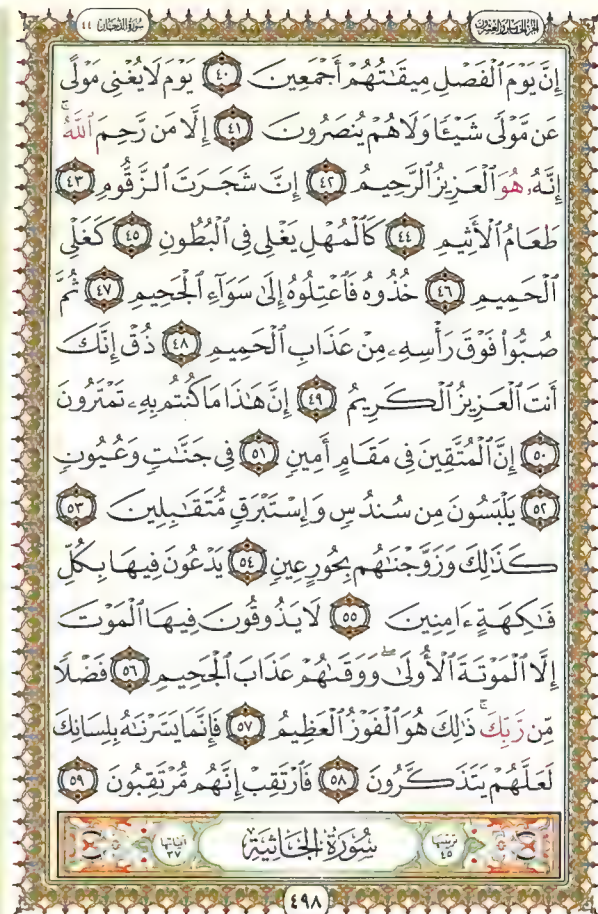
نزول سورة الدخان: نزلت بعد سورة الزخرف، وهي مكِّيَّة إجماعاً. عدد كلمات سورة الدخان: ثلاثمائة وست وأربعون. عدد حروف سورة الدخان: ألف وأربعمائة وواحد وثلاثون. أسماء سورة الدخان: سميت سورة الدخان؛ لذكره بها. مواضع سورة الدخان: معظم مقصود السورة: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، وحديث موسى وبني إسرائيل وفرعون، والرّد على منكري البعث، وذلل الكفار في العقوبة، وعز المؤمنين في الجنة، والمنّة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه.

١٩- ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: أن لا تطغوا وتبغوا، بالكفر بالله وعصيانه ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ سُلْطَانُ مُبِينٍ﴾: بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه. ٢٠- ﴿وَإِنِّي عَذْتُ﴾: اعتصمت، واستجرت ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾: بالحجارة. وقيل: بالقول السيئ. ٢١- ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْنِي﴾: إن لم تُصدقوني ﴿فَأَعِزُّوْهُ﴾: فخلوا سبيلي. ٢٢- ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: أي: مشركون بالله كافرون. ٢٣- ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي﴾: أجابه الله بهذا وأمره به، وعنى بعبادي: الذين صدقوا موسى، دون الذين كذبوه ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾: إن فرعون وقومه من القبط مُتَّبِعُونَكم. ٢٤- ﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾: يقول عز وجل: إذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه رهوًّا، أي ساكنًا على حاله التي كان عليها حين دخله موسى وقومه، ولا تأمره أن يرجع كما كان. ٢٥- ﴿وَمَقَامُ كَرِيمٍ﴾: شريف حسن. ٢٦- ﴿وَنِعْمَ﴾ -بفتح النون-: غضارة العيش ولذاذة الحياة. ﴿فَنَكِهْنِ﴾: ناعمين. ٢٧- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾: روي أنه ليس أحد من المؤمنين إلا له باب في السماء ينزل منه رزقه ويصعد فيه عمله، فإذا فقد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها في الأرض، والباب الذي كان يصعد منه عمله، ولا يكيان على كافر. وقيل: الآية بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم، لأن المعنى: أنه لم يُصَبْ بفقدهم أحد من أهل السماء، ولا أحد من أهل الأرض، لأنه ليس لهم عمل صالح. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: مؤخرين بالعقوبة. ٣٠، ٣١- ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: إذ كان يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾: جباراً مستعليًا ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: في الكفر وارتكاب المعاصي. ٣٢- ﴿وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ﴾: يعني: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منا بهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: على عالم زمانهم يومئذ، ولكل زمان عالم. ٣٣- ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾: من العبر والعظات ﴿مَا فِيهِ بَلَكَاٌ﴾: اختبار ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهر بين. ٣٤، ٣٥- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾: مشركي قريش. ﴿بِمُنْشَرِينَ﴾: بمبعوثين. ٣٧- ﴿أَهْمُ خَيْرٌ﴾: يعني: مشركي قريش أم قوم ثُبع: يعني: ثُبُعًا الحميري. وروي أنه كان مؤمنًا صالحًا. يقول عز وجل: أهؤلاء المشركون من قومك خير أم قوم ثُبع ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل قوم ثُبع، أهلكناهم جميعهم. ٣٩- ﴿مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا للحق الذي لا يصلح التدبير إلا به.

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ سُلْطَانُ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ ﴿٢٠﴾ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢١﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْنِي ﴿٢٢﴾ فَأَعِزُّوْهُ ﴿٢٣﴾ فَأَسْرِ بِعَبَادِي ﴿٢٤﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا ﴿٢٥﴾ وَمَقَامُ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنِعْمَ ﴿٢٧﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿٢٨﴾ فَنَكِهْنِ ﴿٢٩﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ ﴿٣١﴾ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٣٢﴾ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٣٥﴾ مِنَ الْآيَاتِ ﴿٣٦﴾ مَا فِيهِ بَلَكَاٌ ﴿٣٧﴾ أَهْمُ خَيْرٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٠﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤١﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٢﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٣﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٤﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٥﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٦﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٧﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٤٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٠﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥١﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٢﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٣﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٤﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٥﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٦﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٧﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٥٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٠﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦١﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٢﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٣﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٤﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٥﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٦﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٧﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٦٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٠﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧١﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٢﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٣﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٤﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٥﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٦﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٧﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٧٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٠﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨١﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٢﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٣﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٤﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٥﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٦﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٧﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٨٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٠﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩١﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٢﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٣﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٤﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٥﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٦﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٧﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٨﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿٩٩﴾ أَمْ قَوْمُ ثُبُعٍ ﴿١٠٠﴾

٢٢ ﴿وَقِيلَ يَرْبِ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَتُوبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان: ٢٢]. وقال محمد ﷺ شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذبوه: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية الدخان: فدعا موسى عليه السلام ربه -حين كذبه فرعون وقومه ولم يؤمنوا به- قائلاً: إن هؤلاء قوم مشركون بالله كافرون. [٢٦] ﴿وَكُنُوزٌ وَمَقَامُ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨]، ﴿وَزُرُوعٌ وَمَقَامُ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]. إن بني إسرائيل تركوا الزرع والثمار كليهما؛ لأن مصر ذات زروع، والكنوز، قيل: ما كانوا يدخرونه من الأموال، وقيل: هي كنوز في جبل المقطم. [٢٨] ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]. حيث قال: "بني إسرائيل" فاعله أراد: لما سكنوها بعد مدة طويلة من غرق فرعون، وذلك لما تهود ملك مصر، وقيل: إن الضمير في "أورثناها" راجع إلى النعم المذكورة، أي: أورثهم إياها في الشام لا في مصر، وحيث قال: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾، فهم قوم ملكوا مصر بعد فرعون وقومه، هذا هو الجواب الظاهر، فإنه لم يُنقل قط أن بني إسرائيل بعد غرق فرعون رجعوا إلى مصر، بل دخلوا في التيه، ثم دخلوا الأرض المقدسة، وقيل: إنه لما بسط ذكر القصة هنا وسمى موسى وهارون عليهما السلام، ناسب تعيين بني إسرائيل وتسميتهم في وراثة مصر، ولما اختصر القصة في الدخان، ولم يسم موسى عليه السلام فيها، بل قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]، فأتى باسمه مبهمًا، ناسب ذلك الإتيان بذكر بني إسرائيل مبهمًا بقوله تعالى: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾، وهذا على رأي من يجعل الضمير "لجنات" مصر وزروعها وكنوزها، "وفيه نظر كما تقدم". [٣٥] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الصفافات: ٥٩]، ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]. أحقًا أننا مخلدون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم لهو الظفر العظيم. فهذا ما دلت عليه الصفافات، أما آية الدخان: إن هؤلاء المشركين من قومك أيها الرسول ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب. [٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الأنبياء: ١٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الدخان: ٣٨]. ذكر لفظ "السموات" بالجمع بالدخان لموافقة أول السورة: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان: ٧]. [٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]. قال عليّ وابن عباس: (إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض - يعني المؤمن - ومصعد عمله من السماء). [٤٤] ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ فِي آثِمٍ قَبْلَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤]. ما الفرق بين: "أثم، أثم"؟ الجواب: وردت كلمة (أثم) ثلاث مرات. ووردت كلمة (أثم) سبع مرات. قال ابن القوطية: أثم إثمًا: أذنب، فهو أثم. فإذا أكثر فهو الأثم والأثوم. (فالأثم) هو الذي يقترب الإثم دون مبالغة أو تدبير أو تعمّد. وإنما دفعته الإغراءات والمغريات فزلّ بالإثم. أما (الأثم) فهو المقترف للإثم عن قصدٍ وتدبيرٍ وإصرار، ومعاودة للإثم مرة بعد مرة. لذلك نهى الله عن طاعة الأثم والكفور، فقال: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [٤٥] ﴿كَأَلَمْ يَهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْلِي﴾ قرئ: (يغلي) بالياء على التذكير وفاعله يعود إلى الطعام. وقرئ: (تغلي) بالتأنيث والضمير يعود على الشجرة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ قرئ: (فاعتلوه) بكسرها، لغتان في مضارع عتله: ساقه بجفاء وغلظة. [٤٩] ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ﴾ قرئ: (أنك) بفتح الهمزة على العلة، أي: لأنك أنت العزيز عند نفسك وهو تعريض به، ومعناه: الدليل المهيمن. وقرئ: (إنك) بكسرهما على الاستئناف المفيد للعلة فيتحدان، أو محكي بالقول المقدر، أي: اعتلوه، وقولا له ما كان يقوله عن نفسه في الدنيا من أنه عزيز كريم، والمخاطب بهذا هو أبو جهل اللعين، روي أنه كان يقول: أنا أعزُّ أهل الوادي وأمنعهم، فجاء التنزيل على حكاية ما كان يقوله في الدنيا، وما يقال له.

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٌ وَمَقَامُ كَرِيمٍ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحِثُّ) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزُّرْع) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحِثُّ) بمشتقاته، مع عدد مرات ذكر لفظ (الزُّرْع) ومشتقاته، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله.



٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ [النبا: ١٧]. إن يوم القضاء بين الخلق بما قدموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية النبا: إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتاً وميعاداً محدداً للأولين والآخرين.

٤١- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: ٤٦]. يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله عز وجل ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: ولا ينصر بعضهم بعضاً. ٤٢- ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾: إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عنده، وقيل: المعنى: لكن من رحم الله. ٤٣- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾: التي أخبر عز وجل عنها أنها تنبت في أصل الجحيم (سورة الصافات: ٦٢).

٤٤- ﴿طَعَامَ الْأَثِيمِ﴾: ذي الإثم، وعنى به في هذا الموضع: الذي إثم الكفر بربه، دون غيره من الآثام. ٤٥- ﴿كَالْمُهْلِ﴾: قيل: كالرصاص المذاب، أو الفضة، أو ما أذيب في النار. وقيل: كمهل الزيت، وهو دُرْدِيَّةُ أي: رواسبه، وعكره. ٤٦- ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾: الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره، وبلغت أوجها. ٤٧- ﴿حُدُوهُ﴾: يعني: الأثيم ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾: سوقوه بالدفع والجذب والسحب. ٤٨- ﴿وَمِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: من الماء المسخن الذي وصفنا. ٤٩- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: في قومك ﴿الْكَرِيمُ﴾: عليهم بزعمك في الدنيا. وروي أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل عمرو بن هشام، قال يوماً: ما بين جليلها رجل أعز ولا أكرم مني! ٥٠- ﴿تَمَرُونُ﴾: تشكون. ٥١- ﴿فِي مَقَامٍ﴾: في مكان أمين من المكاره وما كان يخاف في مقامات الدنيا. ٥٢- ﴿مِنْ سُندُسٍ﴾: وهو ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه. ﴿مُتَّقِلِيلِينَ﴾: يقابل بعضهم بعضاً. ٥٣- ﴿وَرَوْحَنَّهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: الناقيات البياض، وهو جمع: حوراء. و«عين» جمع عينا، وهي الواسعة العينين من النساء. ٥٤- ﴿بِكُلِّ فَلَاحَةٍ﴾: بكل نوع منها اشتبهوه ﴿أَمِينِينَ﴾: من غائلتها ونفادها، وقيل: آمينين من الموت والوصب والشیطان. ٥٥- ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾: أي بعد الموت التي ذاقوها في الدنيا. وقيل: «إلا» بمعنى: سوف. ٥٦- ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾: تفضلاً عليهم وإحساناً إليهم، إذ لم يعاقبهم بما سلف منهم في الدنيا. ٥٧- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ليذكروا هؤلاء المشركون بعبه وحججه. ٥٨- ﴿فَارْتَقِبْ﴾: فانتظر الفتح من ربك، والنصر عليهم ﴿لَهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾: منتظرون - عند أنفسهم - قهرك وغلبتك، والمعنى: انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم. ٥٩- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: أخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا، فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ [١٣] ﴿طَعَامَ الْأَثِيمِ﴾ [١٤]. ٤٩- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: وأخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿أَوَلَيْكَ فَاؤُلَى﴾ [٣٠] ﴿ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَاؤُلَى﴾ [٣١] قال: فترع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أني أمتع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله وغيره بكلمته، ونزل فيه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ [النبا: ١٧]. إن يوم القضاء بين الخلق بما قدموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية النبا: إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتاً وميعاداً محدداً للأولين والآخرين.

٤١- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: ٤٦]. يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله عز وجل ولا ينصر بعضهم بعضاً، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: وفي ذلك اليوم لا يدفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئاً، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله. ٥٦- ﴿وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]. لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملائكة المختلفة، ونجّاهم الله من عذاب النار. ٥٨- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]. فإنما يسرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أما آية الدخان: فإنما سهّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزعجون.

لشكر ربك ولا تقطع منهم، إنما أو كفوراً [الإنسان: ٢٤] لأن النهي عن طاعة الآثم يشمل (ضمنياً) النهي عن طاعة الأثيم، وليس العكس، فإن كان النهي عن طاعة الأثيم، فربما ظن الجاهل أن طاعة الآثم جائزة (وليس الأمر كذلك). جاءت كلمة (أثيم) فاصلة، لما فيها من مد في الحرف قبل الأخير (وليس الأمر كذلك مع آثم). وجاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفواصل حولها كالآتي: ١- فكلمة (أثيم) في سورة النساء جاءت متسقة موسيقياً ووزناً مع الفاصلة التي قبلها (رحيماً). ٢- وفي سورة الشعراء جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي قبلها (الشياطين). ٣- وفي سورة الدخان: جاءت كلمة (الأثيم) متسقة مع الميم الأخيرة في كلمة الزقوم (وهي الفاصلة التي قبلها)، وجاءت متسقة مع النون في الفاصلة التي بعدها (البطون). ٤- وفي سورة الجاثية: جاءت كلمة (الأثيم) متسقة مع الفاصلة التي تلتها وهي (أليم). ٥- وفي سورة القلم: جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي سبقتها (حيم) والفاصلة التي لحقتها (زيم) زنة وصوتاً. ٦- وفي سورة المطففين: جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي سبقتها (الدين) والفاصلة التي لحقتها (الأولين) صوتاً. ٥٣- ﴿مُتَّقِلِيلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣]. وصف نعيم نفوسهم بعضهم مع بعض في مجالسهم ومحادثاتهم بقوله ﴿مُتَّقِلِيلِينَ﴾؛ لأن الحديث مع الأصحاب والأحبة نعيم للنفس، فأعنى قوله ﴿مُتَّقِلِيلِينَ﴾ عن ذكر اجتماعهم وتحابهم وحديث بعضهم مع بعض، وأن ذلك شأنهم أجمعين، بأن ذكر ما يستلزم ذلك وهو صيغة متقابلين.

٥١- ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مَقَامٍ﴾ قرئ: ﴿مَقَامٍ﴾ بضم الميم اسم مكان من أقام، أو مصدر على تقدير حذف مضاف في موضع إقامة بمعنى الإقامة. وقرئ: ﴿مَقَامٍ﴾ بالفتح اسم مكان من قام، كأنه اسم للمجلس أو المشهد، ووصفه بالأمن يدل على أنه اسم مكان؛ لأن المصدر لا يوصف بذلك.

٥٦- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

إعجاز متنوع التعريف بالسورة

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَفَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَوَّاتْنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بِصَبْرٍ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١٤- ﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: للذين لا يخافون بأسه ونقمه، إذا هم نالوهم بالأذى والمكره. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾: يعني: هؤلاء المشركين الذين يؤذونهم، في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من أذاهم أهل الإيمان بالله. قيل: ونُسخت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥] وقيل: المراد بالقوم في قوله: «ليجزى قوماً». المؤمنون. والمعنى: أنهم أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الصالحة، التي منها: الصبر على أذى الكفار، بكظم الغيظ واحتمال المكره. ١٦- ﴿الْكِتَابَ﴾: يعني التوراة والإنجيل ﴿وَالْحُكْمَ﴾: الفهم بالكتاب ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: على أهل زمانهم. ١٧- ﴿بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: أي شرائع واضحات، من أمرنا بتنزيلنا التوراة ﴿بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾: طلباً للرياسات. أي أنهم لم يختلفوا اجتهداً في طلب الصواب. ١٨- ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: على طريقة وسنة ومنهاج ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾: من الأوامر والنواهي. وقيل: على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق. ١٩- ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: بعضهم أنصار لبعض وأعداء. ٢٠- ﴿هَذَا﴾: أي هذا القرآن ﴿بَصَبٍ لِّلنَّاسِ﴾: يُبْصِرُونَ به الحق من الباطل، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: بحقيقة صحة هذا القرآن. ٢١- ﴿أَمْ حَسِبَ﴾: أم ظن ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: اكتسبوا سيئات الأعمال في الدنيا بعبادة غير الله، وتكذيب رسله، ومخالفة أمره ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿سَوَاءً نَّجْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: قيل: بمعنى: أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء في حال الحياة والموت، بمعنى: أنهم لا يستورون. ٢٢- ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بشس الحكم ما يحكمون. [١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمَلِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الجاثية: ١٥]. الآيات تشيران إلى أنه من عمل صالحاً فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله، وآية فصلت تبين أن ربك ليس بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيئة، وأما آية الجاثية فتوضح أنكم أيها الناس إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. [١٧] ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [يونس: ٩٣]، ﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧]. آية يونس تقدم قبلها دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه، فأجاب سبحانه دعاء نبيه وطمس على أموال آل فرعون وملئه وأغرقه وآله، ونجى بني إسرائيل من الغرق وقطع دابر عدوهم، وأورث بني إسرائيل أرضهم وديارهم يتبوؤن منها حيث شاؤوا، فقال سبحانه معرفاً بنبيه محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ﴾، أي: مكناهم ومهدنا لهم أمرهم بإهلاك عدوهم، وبما أورثناهم بعد ضعفهم من مشارق الأرض ومغاربها، فبعد تمكن أمرهم واستحكام حالهم واستقرار أمر دينهم بما شاهدوه من الآيات وعظيم البراهين المعقبة لمن شاهدها اليقين - اختلفوا جرياً على ما سبق لهم ولغيرهم ممن أشار إليهم قوله تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، ويناسب هذا كله تناسلاً لا توقف في وضوحه، ولم يتقدم في السورة ما يستدعي من حالهم أكثر من هذا، أما آية الجاثية فتقدم قبلها بسط الدلالة والبراهين من لدن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣]، إلى ما تبع هذا من التنبيه بخلقهما وما بث سبحانه فيهما من أصناف المخلوقات، واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها بما ينزل من الرزق إليها، وتصريف الرياح، ثم ذكر سبحانه أن هذه الآيات إنما يعتبر بها ويهتدي بأنوارها من منحه الله تعالى العقل وهذه إلى الاعتبار، ولما كان الاستدلال بهذه الجمل المفصلة أوضح، شيء أتبعها سبحانه بقوله: ﴿فَإِنِّي حَادِثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَنِّي نَبِيٌّ مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ٦]، ولكونه أبسط ما ذكر به من خوطب بالقرآن، ثم لم يجد في حق من سبق له الشقاء منهم إلا المنافرة والمخالفة، أعقبت بذكر من ترادفت وتوالت عليه الآيات، وكثرت في حقه الشواهد، ثم لم يعقبه ذلك إلا الاختلاف والعدول عن سلوك المنهج الواضح، وهم الممتحنون بالاختلاف من بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَفَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [١٦] ﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾، فافتضى ذلك ما قدم من بسط الآيات، ووضح ما خصه تعالى من = وصفاً للتوراة والإنجيل. في حين أن كلمة (شرعية) سُبقت بكلمة (هدى). فجاءت كلمة (شرعة) لتناظر كلمة (هدى) وجاءت كلمة (منهاجاً) لتناظر كلمة (نور). إذاً (الشرعة) تعني أصول الدين والعقيدة (الهدى)، و(المنهاج) يعني الطريقة العملية التي يوجه الدين البشر إلى سلوكها، والتمسك بها والاهتداء بهداها. أما (الشرعة) فتمثل الدين كله: عقيدة ومنهاجاً؛ لأن كلمة (الهدى) جاءت تشير في موضوعها إلى هذين المعنيين معاً، حيث قال تعالى: ﴿هَذَا هُدًى﴾ [الجاثية: ١١] أي القرآن هدى، ومعروف أن القرآن: عقيدة ومنهاج معاً. وعندما كان التعبير مشيراً إلى التوراة والإنجيل، عُبر عن العقيدة بكلمة، وعن الطريق بكلمة أخرى؛ لأن التوراة والإنجيل لم يكونا على مستوى الكمال الذي عليه القرآن، وإن كانت العقيدة فيهما قبل التحريف كاملة، إلا أن الطريقة (المنهاج) لم تكن كاملة، لذا خولف بينهما بكلمتين (شرعةً ومنهاجاً). أما عندما جاء التعبير خاصاً بالقرآن وحده، فقد عُبر عن العقيدة والطريقة بكلمة واحدة (شرعة)؛ لأن العقيدة والطريقة في القرآن كاملتان ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والله أعلم. = يُوقِنُونَ، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. وقرئ: (تؤمنون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ على معنى: "قل لهم يا محمد" فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون أيها الكافرون؟". [١١] ﴿يَجْزِي أَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلِيمٌ﴾ قرئ: (اليم) برفع الميم نعتاً. وقرئ: (اليم) بالجر نعتاً لـ "رجز". [١٤] ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ قرئ: (ليجزى) بالياء التحتية مبنياً للفاعل، أي: ليجزي الله. وقرئ: (ليجزى) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنياً للمفعول مع نصب "قوماً" أي: ليجزي الخير والشر، أو الجزاء، أي: ما يجزي به المصدر، فإن الإسناد إليه لا سيما مع وجود المفعول به ضعيف، قال القاضي: وقيل: النائب الظرف، وهو مما قال السمين، وفي هذه حجة للأخفش، والكوفيين: حيث يجوزون نيابته عن المفعول به مع وجوده. وقرئ: (لنجزى) بنون العظمة مبنياً للفاعل، على معنى الإخبار من الله عز وجل عن نفسه بالجزاء فهو المجازي كلاً بعمله. = والمتكبرين، وبيان النفع والضّر، والإساءة والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أهل الإيمان، وذم متابعي الهوى، وذم الناس في المحشر، ونسخ كتب الأعمال من اللوح المحفوظ، وتأبيد الكفار في النار، وتحميد الرب المتعال بأوجز لفظ، وأفصح مقال.

٢٣- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾: هو الكافر اتخذ دينه بهوى نفسه، لا بهدي من الله وبرهان، فلا يهوى شيئاً إلا ركه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم الله، ولا يحل ما أحل الله ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: خذله عن سبيل الرشاد، على علم قد علمه ﴿وَحَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَفَلَيْهِ﴾: أن يسمع مواعظ الله فيعتبر بها، وطبع على قلبه فلا يعقل شيئاً ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً﴾: غطاء، أن يبصر حُجج الله.

٢٤- ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: لا حياة سواها، تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات ﴿نُفُوتٌ﴾: أي غموت نحن ﴿وَنَحْيَا﴾: بمعنى: ونحيا أبناؤنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم لأنهم منهم، نظير قول الناس: ما مات من خلف ابناً مثل فلان ﴿وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾: أي: ما يُفْنِي إلا مر الليالي والأيام، وطول العمر، وكان هذا قول أهل الجاهلية، وهو كذلك قول الدهريين القائلين بقدم المادة، وأزلية العالم. ٢٥- ﴿أَفَتَوَارِثُ بَنَاتِنَا﴾: أنشرهم أحياء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنا نبعث بعد الموت: أي ما كان لهم حجة إلا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء، وإنما سمّاه حجة لظنهم ذلك، أو تهكمًا بهم. ٢٦- ﴿يُخَسِّرُ الْمَبْطُلُونَ﴾: المكذبون المتعلقون بالباطل. أو الذين أبطلوا في أقوالهم ودعواهم لله عز وجل شركاء. ٢٨- ﴿وَرَرَى﴾: يعني: يوم القيامة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ﴾: الأمة: الجماعة العظيمة من الناس التي قد جمعها معنى أو وصف شامل لها. وقيل: الأمة: الملة. والمعنى: كل -أهل- ملة ودين جائية على الركب مجتمعة مستوفزة، من الخوف وانتظار الحساب. ﴿تَدْعِي إِلَىٰ كَيْدِهَا﴾: المنزل عليها. وقيل: إلى حسابها. ٢٩- ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: تكتب حفظتنا أعمالكم، فتبثها في الكتب وتكتبها والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فكان المعنى: أن الملائكة يأتون بصورة من أعمالكم. ٣١- ﴿فَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾: عن استماعها والإيمان بها ﴿مُجْرِمِينَ﴾: مكتسبين للآثام.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ﴾: أخرج ابن المنذر، وابن جرير، عن سعيد بن جبيرة قال: كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ﴾. [٢٤] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾: وأخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار فأنزل الله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

= واضح الدلالات في صدر هذه السورة، من بسط ما مُنِحَهُ بنو إسرائيل.. ولما لم يكن تقدم آية سورة يونس من الدلالات مثل ما بسط في سورة الجاثية من الاعتبار لما يناسبه الواقع في الجاثية من الإطناب، فنوسب الإيجاز بالإيجاز والإطناب بالإطناب، وجاء كل على ما يجب ويناسب مع اتحاد المقصود في السورتين. [١٩] ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد ﷺ والذين آمنوا به، والله ولي المؤمنين به المتبعين شرعه، فناسب آل عمران: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأما آية الجاثية فيقال فيها للنبي ﷺ: إن هؤلاء المشركين برهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. [٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْفِهُنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. بل أظن الذين يعملون المعاصي من شرك وغيره أن يعجزونا، فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم؟ بشس حكمهم الذي يحكمون به، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأما آية الجاثية: بل أظن الذين اكتسبوا السيئات، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات... [٢٢] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ [الجاثية: ٢٢]. خلق الله السماوات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفردته بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين؛ لأنهم الذين يتنفعون بذلك، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأما آية الجاثية: وهذا ما دلت عليه آية الجاثية: وخلق الله السماوات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر... [٢٣] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]. انظر أيها الرسول متعجباً إلى من أطاع هواه كطاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظاً حتى تردّه إلى الإيمان؟ فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أما آية الجاثية: أفرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه إلهاً له، فلا يهوى شيئاً إلا فعله، وأصله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه. = [٢١] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]. ما الفرق بين: "جرح واجترح"؟ **الجواب**: أن الأصل اللغوي للصيغتين واحد، غير أن **اجترح** فيها زيادة معنى لزيادة المبني (بالهمزة والتاء). وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه كل منهما، نلاحظ أن **(جرح)** استعملت لتعني الخير والشر، فقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي ما فعلتم من خير ومن شر؛ لأن أفعال العباد إما خير وإما شر، أما كلمة **(اجترح)** فاستعملت بمعنى الشر وحده؛ لأنها خصصت بفعل السيئات في المرة الوحيدة التي وردت فيها، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾. إذا **(جرح)** تعني: كسب (خيراً كان أو شراً). و**(اجترح)** تعني: اكتسب (الشر دون الخير).

[٢٣] ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَن يَهْدِيهِ﴾ قوله تعالى: ﴿غِشًوَةً﴾ قرئ: **(غشوة)** بفتح الغين وسكون الشين بلا ألف. وقرئ: **(غشوة)** بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها، لغتان بمعنى غطاء. [٢٨] ﴿وَرَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿كُلُّ﴾ قرئ: **(كل)** بنصب "كل" الثانية على البدل من "كل" الأولى بدل نكرة موصوفة من مثلها. وقرئ: **(كل)** بالرفع على الابتداء، و"تدعي" خبرها. [٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ قرئ: **(والساعة)** بالنصب عطفاً على وعد الله. وقرئ: **(والساعة)** بالرفع على الابتداء، وخبره "لا ريب فيها"، أو عطفاً على "محل إن واسمها" أو على المرفوع في حق. [١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ **إعجاز عددي**: ١- وردت كلمة **(محمد)** (٤) مرات، ٢- وردت كلمة **(روح القدس)** (٤) مرات، ٣- وردت كلمة **(السرّاج)** (٤) مرات، ٤- وردت كلمة **(الملوك)** (٤) مرات، ٥- وردت **(الشريعة)** بمشتقاتها (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة **«محمد»** و**«روح القدس»**، و**«السراج»**، و**«الملوك»**، و**«الشريعة»** تكررت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَحَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَفَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا كَانَ حِجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُوا بِنَاتِنَا إِنَّا كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُم ثُمَّ يُثَبِّتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُم إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَرَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَىٰ كَيْدِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَمِيمُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقْبِقِينَ ﴿٣٢﴾

(٥٠١)

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
 لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
 الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٣٣- ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ﴾: ظهر للكافرين بآيات الله ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾: قبائح أعمالهم وشرارها في كتب
 الحفظة ﴿وَحَاقَ﴾: نزل وحل، وأحاط. ٣٤- ﴿وَقِيلَ﴾: لهؤلاء الكفرة ﴿الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾: نترككم في
 عذاب جهنم ﴿كَمَا نَسِفْنَا﴾: تركتم العمل لهذا اليوم، وأضاف اللقاء إلى اليوم توسعاً. ﴿وَمَاؤْنِكُمُ
 النَّارُ﴾: منازلكم التي تأوون إليها. ٣٥- ﴿وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ﴾: يُسْتَرْضَوْنَ ويُردُّون إلى الدنيا ليتوبوا
 عما عوقبوا عليه. ٣٦- ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ﴾: العظمة والسلطان ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: العزيز في
 سلطانه فلا يغلبه مغالب، الحكيم في فعله وتدييره سبحانه وتعالى.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٣- ﴿مَخْلَقَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا لإقامة الحق والعدل في الخلق ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾:
 يقول عز وجل: وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده، يُفنيه إذا هو بلغه. وقيل: هذا الأجل هو يوم
 القيامة. ٤- ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: بل ألهم شركة مع الله فيها؟! والاستفهام للتوبيخ والتقريع
 ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ﴾: جاء من عند الله ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: يعني: القرآن ﴿أَوْ أَنْتَرْقٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: أو بقية من
 علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون. ٥- ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾: يعني عز وجل: ألهمتهم
 وأصنامهم ﴿وَهُمْ﴾: يعني ألهمتهم التي لا تسمع ولا تنطق ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾: عن دعاء الداعين لها
 ﴿غَفْلُونَ﴾: في غفلة لأنها لا تسمع ولا تنطق. = فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه،
 فلا يعقل به شيئاً، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله... [٢٣] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى
 سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ [البقرة: ٧]، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].
 قدمت القلوب على الأسماع في البقرة، والعكس في الجاثية، وذلك لأنه في البقرة ذكر القلوب
 المريضة، فقدم القلوب لذلك، وفي الجاثية ذكر الأسماع المعطلة فقدم الأسماع لذلك، ثم إن آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حم ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ مَخْلَقَاتِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
 أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَرْقٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٤﴾

البقرة ذكرت صنفين من أصناف الكافرين: من هم أشد ضللاً وكفراً ممن ذكرتهم آية الجاثية، وأخبر تعالى في آية البقرة أن هؤلاء الكفار ميؤوس من إيمانهم، ولم
 يخبر بذلك في الجاثية، ثم كرر حرف الجر (على) مع القلوب والأسماع في آية البقرة، مما يفيد تأكيد الختم، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، ثم قال في البقرة: ﴿وَعَلَى
 أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ بالجملة الاسمية التي تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا، وإنما هذا شأنهم فلا أمل في إصبارهم في يوم من
 الأيام، في حين قال في الجاثية: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ بالجملة الفعلية التي تفيد الحدث، ثم ختم آية البقرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية،
 وذلك يدل على أن صفات الكفار في البقرة أشد تمكناً فيهم، ولذلك قدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم، فإن القلب هو محل الهدى والضلال، وإذا ختم
 عليه فلا ينفع سمع ولا بصر. [٢٤] ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]، ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. آية
 الزخرف في جعلهم الملائكة بنات الله، وذلك كذب محض قطعاً؛ فناسب: ﴿يَخْرُصُونَ﴾، وآية الجاثية في إنكارهم البعث وليس عندهم قطعاً؛
 فناسب: ﴿يَظُنُّونَ﴾. [٣٠] ﴿وَذَلِكَ أَلْفَوْهُ الْمُئِينَ﴾ [الأنعام: ١٦]، ﴿وَذَلِكَ هُوَ أَلْفَوْهُ الْمُئِينَ﴾ [الجاثية: ٣٠]. لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ
 إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، ثم أعقب بقوله تعالى: ﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ أَلْفَوْهُ الْمُئِينَ﴾، والمراد من يصرف عنه العذاب
 في الآخرة فقد رحمه، وعطف عليه قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ أَلْفَوْهُ الْمُئِينَ﴾، وكأنه يقول فقد رحم وفاز، أمّا آية الجاثية فقد ورد قبلها قوله تعالى مخبراً عن قوم منكري
 البعث: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فأفهم قوله: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، أن هذه الحياة هي
 الحاصلة لهم ولا حياة وراءها، فمن تنعم فيها فذاك فوزه، فأخبروا أن الأمر ليس كما ظنوه، وذكر تعالى أمر الساعة وتفصيل الأحوال فيها فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية: ٣٠]، ثم قال: ﴿وَذَلِكَ هُوَ أَلْفَوْهُ الْمُئِينَ﴾، لا الحياة التي هي لهو ولعب، كما لم يتقدم في آية الجاثية ما
 يستدعي العطاف. [٣٣] ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: ٤٨]، ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الجاثية: ٣٣]، ﴿مَا كَسَبُوا﴾ في سورة الزمر وقعت بين ألفاظ كَسَبَ، وهو قوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]، وفي
 الجاثية وقع بين ألفاظ العمل وهو: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، و﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية: ٣٠]،
 وبعده: ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾، فخُصَّت كل سورة بما اقتضاه طرفاها. [١] ﴿حَمَّ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف،
 الدخان، الجاثية، الأحقاف]. انظر سورة الدخان آية: ١. [١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. تكررت هذه الآية في
 القرآن الكريم بنفس النص في سور الزمر والجاثية والأحقاف، وهي تبين أن هذا القرآن إنما هو منزل من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدييره وأحكامه.
 [٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا...﴾ [فاطر: ٤٠]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَرْقٍ...﴾ [الأحقاف: ٤]. قل أيها الرسول للمشركين: أخبروني أي شيء خلق
 شركاءكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركاً مع الله في خلق السماوات، أم أعطيتناهم كتاباً فهم على حجة منه؟ بل ما يعبد الكافرون
 بعضهم بعضاً إلا غروراً وخداعاً، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الأحقاف: قل أيها الرسول لهؤلاء الكفار: أرايتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله،
 أروني أي شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله تعالى نصيب من خلق السماوات؟ اتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن، أو ببقية من علم، إن كنتم صادقين فيما ترعمون.

نزول سورة الأحقاف: نزلت بعد سورة الجاثية، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الأحقاف: ثلاثمائة وأربع وأربعون. عدد حروف سورة الأحقاف: ألفان وخمسةائة
 وخمسة وتسعون. أسماء سورة الأحقاف: سميت سورة الأحقاف، لذكر الأحقاف بها. مواضع سورة الأحقاف: معظم مقصود السورة: إلزام الحجّة على عبادة الأصنام،
 الإخبار عن تناقض كلام المتكبرين، وبيان نبوة سيّد المرسلين، وتأكيد ذلك بحديث موسى، والوصية بتعظيم الوالدَيْن، وتهديد المتنعمين، والمترفعين، والإشادة بإهلاك
 عاد العادين، والإشارة إلى الدعوة، وإسلام الجنّيين، وإتيان يوم القيامة فجأة، واستقلال لبث اللابثين.

٦- ﴿كَأُولَٰئِكَ أَصْنَانٌ﴾: كانت آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا أعداء هؤلاء المشركين ﴿وَكَاؤُا﴾: يعني: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كُفِرِينَ﴾: عبادة المشركين لهم جاحدين، يقولون: ما شعرنا بعبادة هؤلاء! ٨- ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي لا تقدرون أن تدفعوا عني عقابه على افتراضي عليه ﴿يَمَّا يُفِيضُونَ فِيهِ﴾: بما تقولون بينكم في هذا القرآن، وتخوضون فيه من التكذيب. ٩- ﴿بِدَعَايِنِ الرَّسْلِ﴾: يقول: لست بأول الرسل، يقال: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه: إذا كان فيه أولاً ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾: أي ما يفعل في المستقبل، هل أبقى في مكة أو أخرج منها؟ وهل أموت أو أقتل؟ وهل تُعجل لكم العقوبة أم تُمهلون؟ وما أدري بم تعاقبون؟ وكيف تُهلكون؟ وهذا إنما هو في الدنيا. أما في الآخرة فقد علم أنه وأمه في الجنة، وأن الكافرين في النار. ﴿إِنْ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ﴾: معناه: الاستسلام والتبري من علم الغيبات، وأن أفعاله مقصورة على الوحي. ١٠- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: هو موسى بن عمران عليه السلام، وقيل: هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾: يعني: على مثل القرآن وهو التوراة، وتلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبي، كما هو مكتوب في القرآن إنه نبي. ١١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من يهود بني إسرائيل ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: به: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾: يعنون: لو كان تصديقكم محمداً خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به. وقيل: إنه قول المشركين من قريش ﴿هَذَا إِفْكٌ﴾: كذب ﴿قَدِيمٌ﴾: من أكاذيب الأولين. ١٢- ﴿إِمَامًا﴾: يأتون به ﴿وَرَحْمَةً﴾: لهم أنزلناه عليهم ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾: أي: هذا القرآن مصدق للتوراة، أو لكتاب موسى بأن محمداً نبي ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾: قيل: نصب اللسان والعربي لأنه من صفة الكتاب، على الحال، أو على فعل مضمر، كأنه قال: أعني لساناً عربياً. ١٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: الذي لا إله إلا هو ﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾: على تصديقهم، فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من فزع يوم القيامة. و«الخوف» هو الهم بما يستقبل. و«الحزن» هو الهم بما مضى. [١٠] قوله تعالى:

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفِرِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا نُنَادِيهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُونَ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّؤْتَمِنٌ ﴿١١﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنِ الرَّسْلِ وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنْ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَمَنَّوْا أَنْ تَكُونَ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ كَمَا كَانُوا لَكَآيَاتِهِمْ قُلْ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا لَحْدٌ مِّنْ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنذَرُكُمْ يَوْمَ يَأْتِي السَّحَابَ وَفِيهِ يَسْفُكُ الْمَاءَ فَيُنْزِلُهُ سَاقِطًا عَرَبِيًّا لِّسَانًا أَلَّذِينَ ظَلَمُوا وَشَرُّوا لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

٥٣

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيس اليهود يوم عيدهم، ففكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه»، فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف، فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل فقال: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ فقالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفهق منك ولا من أهلك قبلك ولا من جددك قبل أهلك، قال: فإني أشهد أنه النبي الذي تجددون في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه، وقالوا فيه شراً، فأنزل الله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ الآية. وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾. وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: في نزلت. [١١] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾: وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاك والحسن. [٧] ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُونَ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾: [مريم: ٧٣]، ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُونَ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾: [سبأ: ٤٣]، ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُونَ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾: [الأحقاف: ٧]، وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أي الفريقين منا ومنكم أفضل منزلاً وأحسن مجلساً؟ فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٧] ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُونَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ... إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هُمْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَمِنٌ﴾ [سبأ: ٤٣]، ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُونَ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّؤْتَمِنٌ﴾ [الأحقاف: ٧]، وإذا تتلى على كفار "مكة" آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدوها آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا كذب مخلوق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح، فهذا ما دلت عليه آية سبأ، أمّا آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا...﴾ [الأحقاف: ٨]، بل أيقول هؤلاء المشركون من قوم نوح: افترى نوح هذا القول؟ قل لهم: إن كنت قد افتريت ذلك على الله فعلي وحدي إثم ذلك... فهذا ما دلت عليه آية هود، أمّا آية الأحقاف: بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن؟ قل لهم أيها الرسول: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئاً، إن عاقبني على ذلك... [١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَمَنَّوْا أَنْ تَكُونَ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ كَمَا كَانُوا لَكَآيَاتِهِمْ قُلْ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا لَحْدٌ مِّنْ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنذَرُكُمْ يَوْمَ يَأْتِي السَّحَابَ وَفِيهِ يَسْفُكُ الْمَاءَ فَيُنْزِلُهُ سَاقِطًا عَرَبِيًّا لِّسَانًا أَلَّذِينَ ظَلَمُوا وَشَرُّوا لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ...﴾ [الأحقاف: ١١]، وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعدته، للذين صدقوا الله منهم وعملوا بشره: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإننا نتحمل آثام خطاياكم... فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمّا آية الأحقاف: وقال الذين جحدوا نبوته ﷺ للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاء به خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به... [١٢] ﴿وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا...﴾ [الأحقاف: ١٢]، الآيات تبيان أن الله أنزل من قبل هذا القرآن التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وآية هود تبين جزاء المؤمنين والكافرين =

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَّوَزَعْنَ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكُ آمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسَانِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِئَتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعَتْ بِهَا قُلُوبُهُمْ يُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

(٥٠٤)

١٥ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾: قال ابن عطية: يريد النوع، أي: هكذا مضت شرائعي وكتبي لأنبيائي، فهي وصية من الله تعالى في عباده. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾: يعني: حملته في بطنها مشقة، ﴿وَفِصْلُهُ﴾: فطمها إياه شرب اللبن ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: أي: بلغ استحكام قوته وعقله. قيل: ثلاث وثلاثون سنة. وقيل: ست وثلاثون، وقيل: أربعون. ﴿أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: في الهدى بالإقرار بك، والعمل بطاعتك ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾: بأن تجعلهم مؤمنين بك، تابعين لمرضااتك. ١٦ - ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: يقول عز وجل: يفعل بهم مثل فعله في أصحاب الجنة الذين هم أهلها. أو كاثنون في عداد أهلها، منتظمون في سلكهم. ﴿وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: يقول عز وجل: وعدهم الله هذا الوعد وعد الحق، لا شك فيه أنه موفٍ لهم به، كما وعدهم به في الدنيا. ١٧ - ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ﴾: أخبر الله عز وجل عن ضال كافر به، عاق لوالديه، وهما مجتهدان في دعائه إلى الله عز وجل، وفي نصيحتهما له ﴿أُفٍّ لَّكُمَا﴾: «أف»: كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يرد عليه. ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ﴾: أن أبعث بعد الموت ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾: وقد مضت أمم من قبلي، هلكوا فلم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا﴾: يعني: والديه. ﴿وَيَلِكُ آمِنْ﴾: أي يقولان له: ويلك، وليس المراد به الدعاء عليه، بل الحث له على الإيمان. ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم التي سطرها الأولون في كتبهم. ١٨ - ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب. ١٩ - ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾: من صالح وسعي، فدرج أهل الإيمان في الجنة تذهب علواً، ودرك أهل النار تذهب سفلاً. ٢٠ - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾: هذا العرض هو بالمباشرة، كما تقول: عرضت الجاني على السوط. ﴿أَذْهَبَتْ طَبِئَتُهُمْ﴾: بمعنى: التوبيع ﴿وَاسْتَمْنَعَتْ بِهَا﴾: فلم تؤدوا حق الله فيها ﴿قَالُوا يُحْزَنُونَ﴾: ثابون ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾: الهوان ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبرون عن طاعة ربكم. [١٧] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾: في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه، وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام فبرد عليهما ويكذبهما، ويقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري. وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي، أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت: إنما نزلت في فلان وسمت رجلاً، قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى بالقبول.

= بهذا القرآن... وأما الأحقاف فتوضح أن هذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب... [١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ نَزَّلَ عَلَيْهِمُ أَمْثَلِيكَهُ... [فصلت: ٣٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]. إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده... فهذا ما دلت عليه آية فصلت، أما آية الأحقاف: إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فرع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا. [١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. الجمهور على أن الآيات الثلاث نزلت في سعد بن مالك "وهو سعد بن أبي وقاص" وأنها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه، ولم يذكر في لقمان "حسناً"؛ لأن قوله بعده: ﴿أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] قام مقامه، ولم يذكر في سورة العنكبوت "حملة" ولا "وضعه"، موافقة لما قبله من الاختصار، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]، فإنه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام، وأحسن نظام، ثم قال بعده: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾، أي: ألزمناه "حسناً" في حقهما، وقياماً بأمرهما، وإعراضاً عنهما، وخلافاً لقولهما إن أمراً بالشرك بالله، وذكر في لقمان والأحقاف حاله في حملة ووضعه. [١٥] ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْهَبْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]. = [١٥] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ما الفرق بين: "الكُرْه - الإكْرَاه - الإكْرَاهُ"؟ [الجواب: ١ - الكُرْه: استعمالها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليل على ذلك مقابلة «الكُرْه» «بالطوع» في قوله ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢ - الكُرْه: استعمالها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معاً، لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثم لا يمكن ولا يساغ أن تأتي إحداها مكان الأخرى. ٣ - الإكْرَاهُ: هو مصدر الفعل «أكراه»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكُرْه»، و«الكُرْه» أن = [١٢] ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قوله تعالى: ﴿يُنْذِرُ﴾ قرئ: (لتنذر) بالناء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ وقال: ﴿لِيُنْذِرَ بِهِ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ﴾. وقرئ: (لينذر) بالياء على الغيب أي: لينذر به محمد، لتقدم ذكره في قوله: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ويجوز: رده بالياء على الكتاب لتقدم ذكره في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كما قال: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ يريد به الكتاب المتقدم ذكره. [١٥] ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. أقل مدة للحمل: سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتقريره أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة وهي حولين أي: (٢٤) أربعة وعشرون شهراً من (٣٠) ثلاثين شهراً، والتي هي مدة الحمل والإرضاع، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل، وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حياً إذا ولد بتمامها. وهذا ما كشفت عنه الأبحاث العلمية. وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم، إذ روي أن رجلاً تزوج امرأة فولدت لسته أشهر، فهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بتطبيق حد الزنا عليها ظناً منه أن بداية حملها قبل الزواج، فقال ابن عباس رضي الله عنه: أما إنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم، قال تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقال أيضاً: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر، فبرئت المرأة.

٢١- ﴿أَخَاعَادُ﴾: هو هود عليه السلام، وهذه الأخوة هي أخوة القرابة، لأن هوداً عليه السلام كان من أشرف قبيلة عاد. ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾: هي ديار عاد، وعند العرب: الرمال التي تكون كهيئة الجبال، واحدها: حقف. وقيل: هو واد بين عمان إلى حضرموت. ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ﴾: مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: بعده. ٢٢- ﴿لِنَافِكَا﴾: تصرفنا عن عبادة ألهتنا. ٢٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: لما جاءهم عذاب الله الذي يستعجلونه ﴿عَارِضًا﴾: سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء ﴿مُسْتَقِيلًا أَوْدِيَهُمْ﴾: متوجهاً نحو أوديتهم. ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌّ﴾: طلع عليهم هذا السحاب على الهيئة والجهة التي كانوا يمتطرون فيها عادة، وكانوا قد قحطوا مدة. ٢٥- ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكِنُهُمْ﴾: إلا مساكن قوم هود بعد هلاك أنفسهم وذهاب أموالهم. ٢٦- ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ﴾: يعني: عاداً في الدنيا ﴿فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾: يقول عز وجل لمشركي قريش: فيما لم نمكنكم فيه، وأعطيناهم من كثرة الأموال وبسطة الأجسام ما لم نعطيكم ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: من استعجالهم العذاب. ٢٧- ﴿مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْفُرَى﴾: كحجر ثمود وأرض سدوم، ومأرب ونحوها ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾: وعظناهم بأنواع العظات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عما كانوا عليه مصرين. ٢٨- ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾: فهلاً نصر هؤلاء الذين أهلكتهم أولئهم وألهتهم التي اتخذوها قرباناً ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: أخذت غير طريقهم، ودعوها فلم تغيثهم ﴿وَذَلِكَ إِنْكُهُمْ﴾: معناه: وهذه الآلهة هي كذبهم التي كانوا يكذبون ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: أي: هو الذي كانوا يفترون، فيقولون: هي ثقتنا إلى الله، وهي شفعاؤنا عنده!!

= ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ...﴾ [الأحقاف: ١٥]. آية النمل في سياق قصة سليمان عليه السلام حين استشعر نعمة الله عليه، فتوجه إليه داعياً: ربِّ ألهمني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي، وأن

أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم، وأما آية الأحقاف: فهي تتحدث عن الإنسان حين يبلغ نهاية قوته البدنية والعقلية، وهي بلوغ الأربعين سنة، فيدعو ربه قائلاً: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والدي، واجعلني أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبنت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة، والمستسلمين لأمرك ونهيك، المتقادين لحكمك.

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَجْلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩]. الآيتان تبيان أن لكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلغه الله إياها، ويجازيه عليها، وآية الأنعام تخاطب النبي ﷺ، وتبين وأن ربه ليس بغافل عما يعمل عباده، أما آية الأحقاف فتوضح أن الله يوفيههم جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا بنقص من حسناتهم. [٢٠] ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠]. الآيتان تبيان جزاء الظالمين والكافرين يوم القيامة، وآية الأنعام توضح أنه في هذا اليوم يهان الظالمون غاية الإهانة..، أما آية الأحقاف فتبين أن هؤلاء الكفار يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْخِزْيِ وَالْهُونِ في النار؛ بما كانوا يتكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كانوا يخرجون عن طاعة الله.

= الإكراه فعل المُكْرِه (اسم فاعل)، و«الْكُرْهُ» و«الْكُرْهُ» فعل المُكْرِه (اسم مفعول). أمثلة: أولاً: «الْكُرْهُ» بفتح الكاف: قال تعالى: ﴿أَفَعَدَّ دِينُ اللَّهِ يَجْعَلُ الْوَقْرَ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَكِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. ثانياً: «الْكُرْهُ» بضم الكاف: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثالثاً: «الإكراه»: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [١٥] ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ما الفرق بين: «النعمة والنعيم»؟ [الجواب: ١- استعمل القرآن

كلمة (النَّعْمَةُ)، (النَّعْمَةُ)، (النَّعْمَاءُ) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواء أكانت «مادية» أم «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النَّعِيم) استعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿تُرْجِلُونَ يَوْمَئِذٍ نَعِيمٍ﴾. لم جاءت كلمة «النَّعِيم» في الآية دون «النَّعْمَةُ» أو «النَّعْمَاءُ»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النَّعِيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النَّعِيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النَّعِيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. أمثلة قرآنية: أولاً- النعمة: قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثانياً- النعيم: قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، قال تعالى: ﴿وَلَجَعَلَنِي مِنْ رِثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [في جَنَّةِ النَّعِيمِ] [الواقعة: ١١ - ١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]. [١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ قوله تعالى:

﴿إِحْسَانًا﴾ قرئ: (إِحْسَانًا) بزيادة همزة مكسورة فحاء ساكنة وفتح السين وألف بعدها، مصدر، حذف عامله، أي: وصيائه أن يحسن إليهما إحساناً، وقيل: مفعول به على تضمين وصيائه معنى "الزمن"، فيتعدى لإثنين إحساناً ثانيهما. وقرئ: (حُسْنًا) بضم الحاء وسكون السين بلا ألف، مفعول به على تقدير مضاف وموصوف أي: أمراً ذا حسن، أي: ليأتي الحسن في أمرهما، فحذف المنعوت، وأقام النعت مقامه، وهو "ذا" ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهو حسن. قوله تعالى: ﴿كَرْهًا﴾ هنا وفي، "النساء: ١٩، التوبة: ٥٣"، قرئ: (كَرْهًا- كَرْهًا) بضم الكاف وفتحها، وهما لغتان، وعن الفراء: الفتح بمعنى: الإكراه، والضم "ما يفعله الإنسان كارهاً من غير إكراه بفعل ما فيه مشقة". قوله تعالى: ﴿وَفَصْلُهُ﴾ قرئ: (وَفَصْلُهُ) بفتح الفاء وسكون الصاد بلا ألف. وقرئ: (وَفَصَالُهُ) بكسر الفاء وفتح الصاد =

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِذْ أَنْذَرَكُمْ قَوْمَهُ بَآلِ أَحْقَافٍ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [١٩] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِكَ عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُ إِنَّا كُنْتُمْ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [٢٢] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عَذَابَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [٢٣] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدِيَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطَرٌّ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢٤] ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسْكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٢٥] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يُجْحَدُونَ ثَابِتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْفُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٢٧] ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِنْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [٢٨]

(٥٥)

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا مِمَّا قُضِيَ وَلَوِ اتَّبَعَ آلُ آدَمَ الْفِتْيَانُ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَقَوْمَنَا آجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجْعِلَ مِن عَذَابِ إِلَهِكُمْ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ يَخْلُقْهُنَّ يَفْعَلْ عَلَىٰ أَن يَخْتِىَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّكَ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَنَّ الْعَزْمَ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا نَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلُغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّةٌ

٢٩ - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾: وجَّهنا إليك نفرًا من الجن، وبعثناهم إليك، رأوا رسول الله ﷺ بنخله عند سوق «عكاظ» يصلي بأصحابه الفجر، فاستمعوا القرآن يتلوه النبي ﷺ، حتى إذا فرغ ولَّوا إلى قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومحدِّرين. ٣٠ - ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي لما قبله، من كتب الله عز وجل. ٣١ - ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾: يعنون محمداً ﷺ أو القرآن. ٣٢ - ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: ليس يُعجز ربه بهربه إن أراد الله تعالى عقوبته على تكذيبه. ٣٣ - ﴿وَلَمْ يَغْيِ يَخْلُقْهُنَّ﴾: لم يَغْيِ يأنشأهن، ولا عجز عن اختراعهن، يقال: غَيَّ بالأمْر: إذا لم يهتد لوجهه، وتدل الآية على أن الله تعالى قصد لفعل ما فعل، وأراد خلق ما خلق، وأن الخلق لم يصدر عنه صدوراً، كما قال بعض الفلاسفة، وتدل على أنه سبحانه حين قصد ما خلق لم يعجزه ذلك، بل كان أيسر شيء عليه. والله أعلم. ٣٤ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ يَخْلُقْهُنَّ﴾: أي: كأنهم يوم يشاهدون العذاب في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من نهار، لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم. ﴿بَلُغْ﴾: بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى آجالهم. ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾: قيل: هذه أقوى آية في الرجاء؛ قال الزجاج: تأويله: لا يهلك مع رحمة الله وفصله إلا القوم الفاسقون.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿صَلَّى مُبِينٍ﴾.

[٣١] ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠، الأحقاف: ٣١، نوح: ٤]: ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. عندما يكون الخطاب من الله تعالى في حق المؤمنين يكون متسماً بالكرم الواسع: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أي: جميع ذنوبكم. [٢٥] ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]، ﴿كَذَٰلِكَ يُجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ما الفرق بين: "نجزي"، "نجازي"؟ [الجواب: وردت (نجزي) تسع عشرة مرة.. مثل قوله تعالى: ﴿وَسَيُجْزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُجْزَى كُلُّ كَافٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. فلماذا وردت (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي)؟ والجواب: إن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافي) أو (ثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَيُجْزَى الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُجْزَى كُلُّ كَافٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دلَّ على معنيهما في المرتين هو السياق، فقد وردت الأولى مع (الشاكِرِينَ)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد.. وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي)، وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟! والجواب: أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحالتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة، لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافي المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صبغة المشاركة لها ارتباط بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثاً بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة. [٣١] ﴿يَقَوْمَنَا آجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجْعِلَ مِن عَذَابِ إِلَهِكُمْ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢]. دعوا قومهم بالترغيب والترهيب، ولهذا نجح في كثير منهم، وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوداً وفوداً. [٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَنَّ الْعَزْمَ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا نَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية.

= وألف بعدها، قيل: هما مصدران كالعظام والعظم، وهما لغتان. [١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿نَقَبْلُ﴾، ﴿نَتَجَاوَزُ﴾، ﴿أَحْسَنَ﴾ قرئ: (يتقبل - يتجاوز - أحسن) بياء مضمومة في الفعلين على البناء للمفعول، ورفع أحسن على النيابة عن الفاعل. وقرئ: (نتقبل - نتجاوز - أحسن) بالنون المفتوحة فيهما مبنين للفاعل، و"أحسن" بالنصب على المفعول به. [١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَن أَُخْرَجَ وَقَدْ خَلَيْتُ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ قوله تعالى: ﴿أَتَعِدَانِي﴾؟ قرئ: (أتعداني) بنون واحدة على إدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقرئ: (أتعداني) بنونين مكسورتين خفيفتين، نون الرفع فنون الوقاية. [١٩] ﴿وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِيُوقِيَهُمْ﴾ قرئ: (وليوقيههم) بياء من تحت، وفاعله ضمير يعود على الله، وليناسب قوله: ﴿وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، وقرئ: (وليوقيههم) بنون العظمة على الإخبار من الله ذكره عن نفسه. [٢٥] ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبِرْ لَهَا لَا يَرَى إِلَّا مَسْكَنَهُمْ كَذَٰلِكَ يُجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَرَى إِلَّا مَسْكَنَهُمْ﴾ قرئ: (يُرى - مساكنهم) بياء من تحت مضمومة على البناء للمفعول "مساكنهم" بالرفع نائب فاعل. وقرئ: (تُرى - مساكنهم) بفتح التاء، ومساكنهم بالنصب مفعولاً به.

[٢٦] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ [عجاء عدد]: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة) بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد) بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. [٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَنَّ الْعَزْمَ مِنَ الرَّسُولِ﴾ [عجاء عدد]: ورد ذكر لفظ (الصيام) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضاً ورد ذكر لفظ (الصبر) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات) بمشتقاته (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام) بمشتقاته و(الصبر) بمشتقاته و(الدرجات) بمشتقاته، وقد ورد كل (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتُسَمَّى سُورَةُ الْقِتَالِ

١- ﴿أَصْلُ أَعْمَلَهُمْ﴾: جعلها في ضلال على غير هدى. وقيل: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. ٢- ﴿كُفِّرَ﴾: محَا ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: التي عملوها فيما مضى، وغفرها لهم بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: حالهم وشأنهم. ٣- ﴿أَمْسَلَهُمْ﴾: نضرب لهم الأمثال، ونُسِّبُهُ لهم الأشياء. ٤- ﴿أَنفَسُوهُمْ﴾: غلبتموهم، وقهرتموهم، والإثخان في القوم: أن يكثُرَ فيهم القتلُ والجرحى. ﴿فَنَدُّوا الْوَثَاقَ﴾: يقول: فشدوهم في الوثاق، حتى لا يهربوا منكم، ويقتلوكم، والوثاق: اسم الشيء الذي يوثق به، كالرباط ﴿فَأَمَّا مَنَّا﴾: إما أن تمناو عليهم فطلقوهم، بعد الأسر بغير عوض ﴿وَأَمَّا فِدَاءٌ﴾: أن تأخذوا فداءً منهم عن إطلاقهم ﴿حَتَّى نَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها. وقيل: حتى لا يكون شرك. ﴿ذَلِكَ﴾: يقول الله عز وجل: هذا الذي أمرتكم به من قتل المشركين. ﴿لَيَبْلُوَنَّ﴾: ليختبر ﴿بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾: فيعلم المجاهدين والصابرين ﴿فَلَن يَضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾: لا يضيع الله سبحانه أجرهم. ٥- ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾: سيوفقهم للعمل برضاه ﴿وَيُضْلِحْ بَالَهُمْ﴾: حالهم في الدنيا والآخرة. ٦- ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾: بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال. ٧- ﴿وَيُنَبِّئُ أَقْدَامَكُمْ﴾: حتى لا تُولُوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقل عددكم. ٨، ٩- ﴿فَتَسَاءَلُهُمْ﴾: شقاء لهم وبلاء. ﴿فَأَجَبْتُ﴾: أبطل ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾: التي عملوها في الدنيا، لأن عمل الكافر لا يقبل قبل إسلامه. ١٠- ﴿دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: خَرَّبَ عليهم منازلهم، وأهلك أهلها ﴿وَالْكَافِرِينَ أَمْثَلَهَا﴾: يعني وللكافرين من قريش مثل ما دُمِرت به القرون الأولى، وعيد من الله لهم. ١١- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: وليُّ من آمن به وناصره ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾: لا ناصر، يدفع عنهم، ولا وليُّ لهم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ قال: هم أهل مكة نزلت فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَمِمَّا أَصْلَحَ ﴿٤﴾ قال: هم الأنصار. [٤] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أخرج عن قتادة في قوله: ﴿يَوْمَ أُحُدٍ﴾ ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ: «أعلّ إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. إن القتلى مختلفة، أما ق

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ...﴾ [النحل: ٨٨]، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا تَبِينَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ جَحَدُوا أَنْ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ دِينِهِ، وَأَيَّةُ النُّحُلِ صَدَّاهُمْ النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ...، وَأَمَّا آيَةُ مُحَمَّدٍ فَتَبِينَانَ أَنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ أَعْمَالَهُمْ، وَأَبْطَلَهَا، وَأَشَقَّاهُمْ بِسَبَبِ

﴿ ٢٦، ٩ ﴾ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كِرْهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ [محمد : ٩] ﴾ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
بعد الآية المتكلم فيها: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد : ١١]، يقصد من تضمنته هذه الآي الكفار

كفرهم منسحب على كل المنزل من القرآن، وما تقدم نزوله من التوراة وغيرها من الكتب. فلم يكن ليد
كذلك غير القرآن، وهم ينكرون كل الكتب المنزلة ويكرهونها.. أما الآية الثانية فالمراد بها ذوو النفاق
تعالى: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَظَنَرِ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠]، وهؤلاء

[محمد : ٢٥]، وإنما هؤلاء قوم كفروا بعد إسلامهم... ول هؤلاء اطلع على المنزل من القرآن، وخصوصاً حقيقة، فقيل هنا: ﴿كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ بلفظ التضعيف... [١١] ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد : ١١]. آية الأنعام تبين أن الله مولى لجميع الخلق، وهـ

لأن المراد بالمولى في آية الأنعام المالك، أو الخالق، أو المعبود، والمراد بالمولى في آية محمد الناص مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى بيوتهم ومسكنهم، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون بمنزلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم. ﴿٤﴾ وَلَكِنْ يَتَّبِعُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(قِيلُوا) بضم القاف وكسر التاء بلا ألف مبنيًا للمفعول، فأخبر بذلك عمن قتل في سبيل الله، أنه سيهديه عمله باطلاً، وفي هذه القراءة قوة وزيادة معنى، وذلك أن من قُتِلَ في سبيل الله لم يُقْتَلْ حتى قَاتَلَ فقد اجتت القاف وتخفيف التاء وألف بينهما من المفاعلة، فهو إخبار كذلك عمن قاتل في سبيل أن الله لا يحبط عمله

﴿٢٢﴾ وَأَذِيتْ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿عَجَازٌ عَدَدِي: ١- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (الملوك) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة»

تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٦﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب بمشتقاته) (٦) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الأسرى بمشتقاته)، وقد ورد كل (٦) مرات

نزول سورة محمد: نزلت بعد سورة الحديد، وهي مدنية بالاتفاق. عدد كلمات سورة محمد: خمسمائة وتسع وأربعون. أسماء سورة محمد: ولها اسمان: سورة محمد؛ لذكره بها، وسورة القتال؛ لذكره بها. مواضع سور إعراضهم عن الحق، وذكر آداب الحرب والأسرى وحكمهم، والأمر بالنصرة والإيمان، وإبتلاء الكفار

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
أَنْتَعُوا الْبَيْطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا انْخَسَمْتُمْ وَأُثْبِتُوا فَامَّا مَاتُوا بِمَا عَادُوا فَإِذَا تَضَعُ الْقَرْبُ
أَوْزَارَهُمْ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَمَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَسَبَلُوا بِعَصَمِكُمْ
بَعْضُ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَهَدِ بِهِمْ
وَيُضِلَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ وَيُضَرِّكُمُ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ﴿٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ
فَاجْتَبَأُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿٩﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٠﴾



0.7

يَن قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٠٠﴾ قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ، وَنَادَى الْمُسْلِمُونَ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلٌ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: فَأَحْيَاءُ يَرْزُقُونَ، وَأَمَّا قَتْلَكُمْ فَمَنْ يَعْذِبُونَ».

ادْعُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿[محمد : ١]﴾. الآية
 صرح أن الله قد زادهم عذاباً على كفرهم وعذاباً
 نودهم وصددهم عن سبيل الله عز وجل.

[محمد : ٢٦]، المتقدم من أول هذه السورة إلى قوله
 مشركي العرب من قريش وغيرهم، ولا شك

ذلك عبارة "نزل" المبينة عن تنجيم المنزل، ولم يندرتدون على أدبارهم، ويبين ذلك ما تقدمهما من قوافل المنافقون.. إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ

كراهية له، وهي المهيجة لنفاقهم، فهو الذي كره
 لَكُمْ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِبِينَ ﴿[الأنعام: ٦٢]، ﴿ذَلِكَ يَأْنِ
 يَنَافِي قَوْلَهُ فِي آيَةِ مُحَمَّدٍ: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ

[٦] ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَافًا﴾ [محمد: ٥٣]. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هم أعرافه فلان يَصِلُ أَعْرَافُهُمْ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا﴾

جنته ويصلح حاله بالنعيم المقيم الدائم، وأنه لا يذنبه القتال في سبيل الله ثم قَتَلَ. وقرئ: **(قَاتِلُوا)** بف، أنه يهديه ويصلح حاله في الدنيا، ويدخله الجنة بعد

٤- وردت (**الشريعة** بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- ورت كل منها (٤) مرات في القرآن الكريم. [٤]

كتاب الله تعالى.

لائون. عدد حروف سورة محمد: ألفان وثلاثمائة وتسع
محمد: معظم مقصود السّورة: الشكاية من الكفّاء
عذاب، وذكر أنهار الجنة: من ماء، ولبن، وخمر

إعجاز متنوع التعريف بالسيرة

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُصْعَقُونَ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَتَوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَنَّهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءِيفًا ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَالتَّوْبَةُ يُقْبَلُ عَنْهُمْ ﴿١٨﴾ فَكُلُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّاعَةِ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَهُ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرْنَاهُمْ ﴿١٩﴾ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ﴾: في هذه الدنيا يحطامها ورباشها ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾: كأنهم أنعام ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عن العاقبة، لاهون بما هم فيه. ﴿وَالنَّارُ مَتَوًى لَهُمْ﴾: مسكن لهم يصيرون إليه بعد مماتهم. «والنوى»: موضع الإقامة. ١٣- ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ﴾: بمعنى: وكم من قرية. ونسب الإخراج إلى القرية. وقال: ﴿أَهْلَكَنَّهُمْ﴾: حلاً على المعنى. وقيل: إن الآية نزلت إثر خروج النبي ﷺ من مكة في طريق المدينة. ١٤- ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ﴾: أي: لا يستوي من كان عنده حجة من الله وبرهان، مع من زين له سوء عمله، وهو الإشراك بالله وعبادة الأوثان ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: بدون بينة أو حجة أو تعقل. ١٥- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: «مثل» بمعنى: صفة. ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغير الريح، يقال: أسين ماء البئر، إذا تغيرت ريح مائها فانتنت ﴿مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾: يلتذون بشربها. ١٦- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: يعني: المنافقين ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: للذين حضروا مجلس رسول الله ﷺ من أهل العلم والإيمان ﴿مَاذَا قَالَ ءِيفًا﴾: أي: ماذا قال الساعة، أو قبل قليل؟ يقولون ذلك على جهة الاستهزاء، لعنهم الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: فلم ينتفعوا بما سمعوا ولا وعوه، تهاوناً منهم بما يتلى عليهم من كتاب الله تعالى. ١٧- ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾: الله بما استمعوا ﴿هُدًى﴾: إيماناً إلى إيمانهم. وعلماً إلى علمهم، وبصيرة في الدين. ١٨- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: قد دنت الساعة وأدلتها ومقدماتها. وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». وأشار بإصبعيه. متفق عليه. ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾: الساعة ﴿ذَكَرْنَاهُمْ﴾: أن يتذكروا ويتوبوا؟! ١٩- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: متصرفكم في يقظتكم ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: إذا تويتم في مضاجعكم للنوم، وقيل: متقلبك في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم في الدار الآخرة.

[١٣] قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ الآية، وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك

لم أخرج عنك. فأنزل الله: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ الآية. [١٦] قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الآية... أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيستمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه، فإذا خرجوا سألو المؤمنين: ماذا قال أنفأ، فنزلت: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الآية. [١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحج: ١٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [محمد: ١٢]. الآيات الثلاث تبين أن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، والآية الأولى بالحج توضح أن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلاً، وعقاب أهل معصيته عدلاً، وأما الآية الثانية فتبين أنهم يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالاً ونساءً، وأما آية محمد فتبين أن مثل الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره، ونار جهنم مسكن لهم ومأوى. [١٤] ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتَتْلُوهُ سَاهِدٌ مِنْهُ...﴾ [هود: ١٧]، ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ...﴾ [محمد: ١٤]. أفمن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام.. كمن ضل وكفر، فهذا ما دلت عليه آية هود، أما آية محمد: أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته، كمن حسن له الشيطان قبيح عمله... [١٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ...﴾ [محمد: ١٥]. صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص...، فهذا ما دلت عليه آية الرعد، أما آية محمد: صفة الجنة التي وعداها الله المتقين: فيها أنهار عظيمة من ماء غير متغير، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ بها الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفِّي من القذى، ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها... [١٦] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ...﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ...﴾ [محمد: ١٦]. آية الأنعام تحدث عن بعض المشركين الذين يستمعون للقرآن، أما آية محمد ﷺ فتحدث عن المنافقين. [١٥] ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]. ما الفرق بين: "مغفرة وغفران"؟

الجواب: مغفرة: وردت هذه الكلمة ثمانياً وعشرين مرة، وبينما وردت كلمة (غفران) مرة واحدة. ولل فعل (غَفَرَ) خمسة مصادر هي: غَفَرًا، وَغَفِيرًا، وَغَفِيرَةً، وَغُفْرَانًا، وَمَغْفِرَةً. والمصدر الميمي (مغفرة) هو الأكثر شيوعاً، لذا كثر ذكره في القرآن، بينما لم يرد المصدر الآخر (غفران) إلا مرة واحدة. عدل القرآن الكريم عن (مغفرة) إلى (غفران) في مجال الدعاء حيث إن: ١- الدعاء يصاحبه فقد صوت الداعي، لأنه يفرغ في الدعاء طاقة نفسية وصوتية، فناسب هذا المصدر المنتهي بالالف والنون (غفران) عن جميع المصادر الأخرى. ٢- الداعي يحتاج إلى تكرار دعائه وتوكيده والتذلل فيه إلى مَنْ يدعو، والمصدر المنتهي بالالف والنون (غفران) يدل على التوكيد المطلوب. ويلاحظ أن (مغفرة) موجهة من الله تعالى إلى البشر، (كما يلاحظ أن المعصية المذكورة في القرآن كانت في سياق مع الرسول ﷺ)، أما الغفران فهو مطلب البشر من الله (في دعائهم) (وكذلك تلحظ أن العصيان موجه من البشر إلى الله تعالى).

ذلك، ويقوي ذلك أن الإخبار بهذا لا يكون إلا عن حي لم يقتل فقاتل، أو أنه ممن قتل. [١٥] ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ قوله تعالى: ﴿ءِيسِنٍ﴾ قرئ: (أسن) بالقصر للحال بغير مد بعد الهمزة صفة مشبهة من أسن الكسر كحذر، يأسن فهو أسن كحذر: تغير. وقرئ: (أسن) بالمد على وزن ضارب اسم فاعل من أسن الماء بالفتح يأسن بالكسر والضم، وهي لغات، والمعنى: لم يتغير كذلك. [١٦] ﴿مَاذَا قَالَ ءِيفًا﴾ قوله تعالى: ﴿ءِيفًا﴾ قرئ: (أنفأ) بقصر الهمزة. وقرئ: (أنفأ) بمد الهمزة، وهما لغتان بمعنى واحد.

= وعسل، وذكر طعام الكفار وشرابهم، وظهور علامة القيامة، وتخصيص الرسول ﷺ بأمره بالخوض في بحر التوحيد، والشكاية من المنافقين، وتفصيل ذميات خصالهم، وأمر المؤمنين بالطاعة والإحسان، وذم البخلاء في الإنفاق، وبيان استغناء الحق تعالى، وفقر الخلق.

٢٠- ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: بالبيان والفرائض ﴿وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ﴾: أي: أمر فيها بقتال المشركين ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك ونفاق ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: جنباً وخوفاً من الجهاد، و«المغشي»: الذي قد صرع ﴿فَأَوَّلَىٰ لَهُمْ﴾: وعيد من الله عز وجل لهم، كأنه قال: العقاب أولى لهم. ٢١- ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: يخبر عز وجل عن قول المنافقين- من قبل أن تنزل سورة محكمة بذكر القتال- أنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فقال الله لهم: إذ أنزلت سورة فرض فيها القتال عليهم، فشق ذلك عليهم وكرهوه: أولى لكم «طاعة وقول معروف» قبل وجوب الفرض عليكم، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾- أي جد القتال ووجب- كرهتموه وشق عليكم ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال. ٢٢- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: معناه: فلعلكم، والخطاب للذين في قلوبهم مرض ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن تنزيل الله عز وجل، وأعرضتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أن تعصوا الله وتسفكوا فيها الدماء ﴿وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشيت والتفرق. ٢٣- ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾: بل على قلوب أقفالها، فهم لا يعقلون ما في القرآن من المواعظ والعبر. والأقفال: استعارة للرين الذي منعه من الإيمان. ٢٤- ﴿إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدًى﴾: أي: رجعوا كفاراً. قيل: عني به المنافقين. وقال قتادة: هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي ﷺ بعدما عرفوا صفته عندهم ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: زين لهم الارتداد على أدبارهم. ٢٥- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾: للمنافقين الذين ﴿كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾: من الأمر بقتال أهل الشرك ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: الذي هو خلاف لأمر الله ورسوله. ٢٦- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: كيف يعملون وما حيلتهم حينئذ، والله يعلم إسرارهم في جميع أحوالهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: تصوير لتوفيهم على أقبح حال وأشنع. وعن ابن عباس: لا يتوفى أحد على معصية الله، إلا ويضرب من الملائكة في وجهه ودبره. ٢٧- ﴿وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾: كرهوا ما يرضاه الله من الإيمان والطاعة ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾: أبطلها. ٢٨- ﴿أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾: معناه: أن لن يظهر الله ما في قلوبهم من الأضغان للمؤمنين والكفر والنفاق، حتى يعرفوا نفاقهم.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوَّلَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدًى وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ أَنِ لَا يُفْعَلْ بِهِمْ شَيْءٌ وَلَٰكِنْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴿٢٥﴾ إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدًى وَأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿٢٦﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٩﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٣٠﴾

(٥٠٩)

﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ ﴿محمد: ٢٠﴾. إن المؤمنين هم الذين يودون نزول السورة، وطلبهم نزولها إنما هو على ما اعتادوه جارياً في غيرها من التنجيم وتفصيل النزول، فالملائم هنا عبارة التضعيف. وقوله: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ﴾، إنما المراد تحمليها بجملتها بعد كمالها، وذلك مفهوم من سياق الكلام، والملائم لما تحصيل وتم، عبارة الإنزال من غير تضعيف، والله أعلم. ﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْلَافًا كَثِيرًا ﴿النساء: ٨٢﴾، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْلَافًا كَثِيرًا﴾: حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أما آية محمد: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ القرآن ويتفكرون في حججه؟ بل هذه القلوب مغلقة لا يصل إليها شيء من هذا القرآن، فلا تتدبر مواعظ الله تعالى وعبره. ﴿٢٥، ٣٢﴾ إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدًى وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ أَنِ لَا يُفْعَلْ بِهِمْ شَيْءٌ وَلَٰكِنْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴿محمد: ٢٥﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدًى﴾: الآية الأولى نزلت في اليهود، والثانية نزلت في قوم ارتدوا. ﴿٢٣﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿الأعراف: ١٨٦﴾، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾: ﴿محمد: ٢٣﴾، ما الفرق بين: «العمى والعمة؟» (الجواب: (العمى) حقيقة خاص بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسببة ولا نقصاً) ويستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمة) فخاص بفقد البصيرة، ويستعمل حقيقة في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائر فيها طريقاً يطمئن إليه للخروج منها، ويستعار (العمة) للحيرة والتردد النفسي. ﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿محمد: ٢٢﴾. قال النبي ﷺ: "ما من ذي رحم يأتي رحمه فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيخل عليه، إلا أخرج له يوم القيامة من جهنم حية يقال لها: شجاع، يتملظ - (لمظ): تتبع بلسانه -، فيطوق به" رواه الطبراني، وصححه الألباني. فوائد صلة الرحم: ١- سبب لصلة الله للواصل. ٢- سبب لدخول الجنة. ٣- امتثال لأمر الله. ٤- تدل على الإيمان بالله واليوم الآخر. ٥- من أحب الأعمال إلى الله. ٦- تنفيذ لوصية النبي ﷺ. ٧- الرحم تشهد للواصل بالوصل يوم القيامة. ٨- سبب لزيادة العمر وبسط الرزق. ٩- تعجل الثواب، وقطيعتها تعجل العقاب. ١٠- تدفع ميتة السوء. ١١- أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة. ١٢- تثمر الأموال وتعمر الديار. ١٣- سبب لمحبة أهل للواصل. ١٤- قاطع الرحم لا يدخل الجنة. ١٥- قاطع الرحم لا يقبل عمله. ١٦- الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم. صور من مظاهر صلة الرحم: ١- الزيارة. ٢- الاستضافة. ٣- تفقدهم والسؤال عنهم والسلام عليهم. ٤- إعطاؤهم من مالك سواء كان هذا الإعطاء صدقة إذا كان الموصول محتاجاً، أو هدية إن لم يكن محتاجاً. ٥- توقيير كبيرهم ورحمة ضعيفهم. ٦- إنزالهم منازلهم التي يستحقونها وإعلاء شأنهم. ٧- مشاركتهم في أفراحهم وبهجتهم ومواساتهم في أحزانهم بتعزياتهم. ٨- عيادة مرضاهم. ٩- إتيان جنازتهم. ١٠- إجابة دعوتهم، إذا وجهوا لك الدعوة فلا تتخلف إلا لعذر. ١١- سلامة الصدر نحوهم. ١٢- إصلاح ذات البين بينهم. ١٣- الدعاء لهم، وهذا يملكه كل أحد ويحتاجه كل أحد. ١٤- دعوتهم إلى الهدى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالأسلوب المناسب. = ﴿٢٢﴾ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿قوله تعالى: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قرئ: بضم التاء والواو وكسر اللام مبنياً للمفعول، أي: وإن وليتم أمور الناس. وقرئ: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ بالفتح فيهن، وهي إما بالمعنى الأول، وإما بمعنى الإعراض. قوله تعالى: ﴿وَتَقْطِعُوا﴾ قرئ: ﴿وَتَقْطِعُوا﴾ بفتح التاء وسكون القاف وفتح الطاء مخففة. وقرئ: ﴿وَتَقْطِعُوا﴾ بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة على التكثير. ﴿٢٥﴾ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ قرئ: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ بضم الهمزة، وكسر اللام وفتح الياء مبنياً للمفعول، ونائب الفاعل يعود على الله، وقيل: ضمير الشيطان. وقرئ: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ كذلك لكنه بسكون ياء المضارع، أي: وأملي أنا لهم، أو ماضياً سكنت ياءه تخفيفاً. وقرئ: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ بفتح الهمزة واللام وبالألف مبنياً للفاعل وفاعله ضمير الشيطان، وقيل: للباري تعالى. ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿قوله تعالى: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ قرئ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة مصدر أسرَّ. وقرئ: ﴿أَسْرَارَهُمْ﴾ بالهمزة المفتوحة جمع سرَّ.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالُكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَلَّوْا وَتَوَلَّوْا تُتْرَكُونَ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا فَيُخَفِّضْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَرَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَذَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

٣٠- ﴿لَأَرَيْنَاكُمْ﴾: لعرفناك بهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾: بعلامات النفاق الظاهرة منهم ﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: في معنى قولهم، ومغزاه، وما يعرضون به. ٣١- ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾: نظهرها ونكشفها امتحاناً لكم، ليظهر الصادق منكم من الكاذب. ٣٢- ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خالفوه وحاربوه من بعد ما علموا أنه لله نبي مبعوث. ﴿وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ﴾: أي يبطلها. ٣٣- ﴿وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالُكُمْ﴾: أي: لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي، أو بأي سبب من الأسباب، كالرياء والمن وغير ذلك. ٣٤- ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: لا تضعفوا أيها المؤمنون، عن القتال ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾: إلى الصلح والمسالمة. ٣٥- ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾: العالون عليهم ﴿وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: لن ينقصكم أجور أعمالكم. ٣٦- ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾: يقول عز وجل: لا يسألكم ربكم أموالكم، ولكنه يكلفكم توحيد. وقيل: لا يأمركم بإخراجها جميعاً، بل أمركم بإخراج القليل منها، وهو الزكاة. أو ربع العشر، فطيبوا بها نفساً. ٣٧- ﴿فَيُخَفِّضْكُمْ﴾: الإحفاء هو أشد السؤال، وهو المخجل الذي يستخرج ما عند المسؤول كرهاً والمعنى: يجهدكم بالمسألة، ويلج عليكم بطلبها منكم تبخلوا بها وتمنعوها ﴿وَيُخْرِجْ أَصْغَرَكُمْ﴾: التي في صدوركم من مشقة إخراجكم أموالكم. ٣٨- ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: تعرضوا عن طاعة الله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يهلككم ويبيدكم بغيركم بدلاً منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾: أي: ثم لا يبخلوا ولا يضيعوا شيئاً من حدود دينهم. وما قيل في «تعيين» المخاطبين في هذه الآية، من أنهم قريش، أو من حضر المدينة، وأن القوم الغير هم أهل المدينة أو أهل اليمن؛ فإن معنى الاستبدال ينفيه! وكذلك ما ورد من «الروايات» في هذا التعيين. وكلها روايات واهية أو موضوعة، والآية على سبيل الوعيد والتخويف، وفحواها أن هذا الاستبدال لم يكن، بل تدل على عدم وقوعه في المستقبل، والله أعلم.

[٣٨] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٣٨] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، برأ، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاً الليل والنهار، وخيره على الخلق مدار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية. [٤] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما [٣٣] قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالُكُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطَلُوا﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل. [٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ...﴾ [محمد: ٣٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ...﴾ [محمد: ٣٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وآية النساء تبين أن هؤلاء قد بعدوا عن طريق الحق بعداً شديداً، وآية محمد الأولى توضح أن هؤلاء خالفوا رسول الله ﷺ، فحاربوه من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله، وهم لن يضرروا دين الله شيئاً، وسيبطل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى، وأمّا آية محمد الثانية فتبين أنهم لو ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقاباً لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد. [٣٧] ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا فَيُخَفِّضْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧]. لماذا جاء الفعل بسورة محمد بصيغة المضارع، وبسورة الكهف بصيغة الماضي؟ **الجواب:** جاء الفعل بسورة محمد ﷺ بصيغة المضارع؛ لأن سؤال الأموال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع الذي يدل على التكرار، وأمّا آية الكهف فالسؤال بها حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي الذي يدل على عدم التكرار.

= أسباب عدم صلة الرحم: ١- الجهل بفضل صلة الرحم وعاقبة قطيعتها. ٢- ضعف الدين. ٣- الكبر. ٤- التقليد للوالدين. ٥- الانقطاع الطويل. ٦- العتاب الشديد. ٧- الشح والبخل. ٨- التكلف عند الزيارة. ٩- رغبته عدم إطلاع أرحامه على حاله. ١٠- تأخير قسمة الميراث. ١٢- الانشغال بالدنيا. ١٣- الخجل المذموم. ١٤- الاستغراب والتعجب الذي يجده الزائر من المזור. ١٥- بعد المسافة بين الأرحام. ١٦- قلة تحمل الأقارب وعدم الصبر عليهم. ١٧- نسيان الأقارب في دعوتهم عند المناسبات. ١٨- الحسد. ١٩- عدم الاحترام المتبادل بين أفراد العائلة. ٢٠- سوء الظن. ٢١- السعي بالنميمة. ٢٢- قد يكون السبب من بعض الزوجات. ٢٣- قد يكون من الأسباب المعاملات المالية. [٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]. ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره على وجهه، لكنه يبدو في الوجه بدواً خفياً يراه الله، ثم يقوي حتى يصير صفة في الوجه يراها أصحاب الفراسة، ثم يقوي حتى يظهر لجمهور الناس، ثم يقوي حتى يمسخ الوجه على طبيعة الحيوان الذي هو على خلقه من قرد أو خنزير، كما جرى على كثير من الأمم قبلنا يجري على بعض هذه الأمة، كما وعد به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

[٣١] ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾ (وليلونكم-يعلم-ويلسو) بالياء التحتية في الثلاثة، والفاعل ضمير يعود على الله لمناسبة قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾. وقرئ: (ولنبلونكم-نعلم-ونبلو) بنون العظمة. [٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَى السَّلَامِ﴾ (السلم-السلم) بكسر السين وفتحها، وهما لغتان، يراد بهما الصلح.

١- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾: حكمنّا لك حكماً بيناً لمن شهدته أو بلغه، أنا قضينا لك بالنصر والظفر على من خالفك وناصبك من كفار قومك . وقال جمهور المفسرين: عنى به فتح الحديبية، وكان الفتح المبين فيها أن بويع بيعة الرضوان، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدي محله، وأطعموا نخل خبير. وفي صحيح مسلم عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾: إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾: مرجعه من الحديبية. وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً». ٤- ﴿السَّكِينَةَ﴾: الطمانينة، وقيل: الرحمة ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾: ليزدادوا يقيناً مع يقينهم. ٦- ﴿الْظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنٍّ أَسْوَى﴾: ظنهم أن الله لا ينصر نبيه والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: دائرة العذاب، أي ما يظنون به المؤمنين دائر عليهم. ٨- ﴿شَهِيدًا﴾: على أمتك بما أجابوك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: من عقاب الله. ٩- ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: وتجلّوا رسول الله ﷺ ﴿وَتُوَفِّرُوهُ﴾: تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: الهاء في «تسبحوه» من ذكر الله وحده دون الرسول، يقول: «وتسبحوا لله، وتصلوا له». ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي غدوة وعشية.

= اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٤] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٤] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة

وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كلّ جزء من أجزاء المخلوقات، وكلّ عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا...؟ [٧] معنى اسم الله العزيز: العزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، المتين، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة، فمعاني العزّة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزّة القوة الدالّ عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُسبب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت. ٢ - وعزّة الامتناع فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزّة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١-٢٩] أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها. [٢] قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليّ آية أحب إليّ مما على الأرض»، ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

[٤، ٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]. لما ذكر ذلك النصر وما يترتب عليه من فتح مكة ومغفرة له، وتمام لنعمته عليه، وهدايته مع ظهور صدهم، وما لقوا من عنت الكفار، ختم الآية بقوله تعالى: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، أي: عَلِيمًا بما يترتب على ذلك الصد من الفتح وصلاح الأحوال، حَكِيمًا فيما دبره لك من كتاب الصلح بينك وبين قريش، فإنه كان سبب الفتح، وأما الثانية: فلما ذكر ما أعدّه للمؤمنين من الجنات وتكفير السيئات وتعذيب المنافقين والمشرّكين ختمها بقوله تعالى: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، أي: قادراً على ذلك، حَكِيمًا فيما يفعله من إكرام المؤمن، وتعذيب الكافر. [١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الفتح: ١١]، ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الفتح: ١٥]، وجه إفراد النبي بالخطاب في الأولى أن المخبر عنهم من المخلفين طلبوا منه ﷺ الاستغفار لهم لتخلفهم عنه، وأفردوه بخطابهم إذ ليس ذلك من مطلوبهم لغيره، فوردت العبارة عن ذلك بإفراد الخطاب. وأعلم تعالى نبيه ﷺ بنفاقهم وكذبهم في اعتذارهم، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِالْأَيْمَنِ هُمْ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]. وأما الآية الثانية فليس قولهم: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: ١٥]، خطاباً خاصاً له ﷺ، بل هو خطاب له وللمؤمنين، والسياق يفصح بذلك، وما أمره به عليه السلام من مجاوبتهم في قوله لهم: ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: ١٥]، فلم يرد هنا إفراده ﷺ بخطابهم له كما ورد في الأولى، وجاء كل على ما يناسب. فإن قيل: إن خطابهم له خاص كالأول ولكن خاطبوه مخاطبة التعظيم بقولهم: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: ١٥]، فالجواب: وعلى فرض هذا فمراعاة الألفاظ في التعظيم أكيدة جداً وبها إحرازه، وعلى هذا لا يلائم هنا الخطاب = [٩] ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَفِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَفِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ قرئ: (ليؤمنوا- ويعزروه ويوقروه ويسبحوه) بالياء التحتية في الأربعة على لفظ الغيبة، أي: ليؤمن المرسل إليهم ويفعلوا كيت وكيت؛ لأن قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يدل على أن ثم مرسلًا إليهم، وهو غيب، فأتى بالياء إخباراً عن الغيب المرسل، وقرئ: (لتؤمنوا- وتعزروه وتوقروه وتسبحوه) بالخطاب فيها، وهو ظاهر.

نزول سورة الفتح: نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية، بعد سورة الجمعة، وهي مدنية إجماعاً. عدد كلمات سورة الفتح: خمسمائة وستون. عدد حروف سورة الفتح: ألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون. أسماء سورة الفتح: وسميت سورة الفتح؛ لذكره بها. مواضع سورة الفتح: معظم مقصود السورة؛ وعد الرسول =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنٍّ أَسْوَى عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَفِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ بَالْسَيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْتَبِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْهُمَا ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ بَرِيذُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: يعني: من بايعه من أصحابه بالحديبية على أن لا يفروا من لقاء العدو ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ﴾: لأنه عز وجل ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك، وقيل: المعنى أن صفقتهم إنما يمضيها الله تعالى ويمنح الثمن، وأن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله سبحانه، من غير تفاوت. ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾: نقض ما بايع عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: بأنه يخرج بفعله ذلك من وعد الله بالجنة. ١١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾: الذين تخلفوا في أهلهم عن رسول الله ﷺ حين خرج عام الحديبية. وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة. ﴿يَقُولُونَ بَالْسَيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: يعني به قولهم: ﴿فَاسْتَغْفِرْنَا﴾: لأنهم قالوا ذلك تقية ومصانعة، من غير توبة ولا ندم. ١٢- ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: بل ظننتم أن العدو يستأصل المؤمنين فلا يرجع منهم أحد إلى أهله، فلأجل ذلك تخلفت من المعاذير الباطلة، ﴿قَوْمًا بُورًا﴾: هلكى لا يصلحون لشيء من الخير. وهو جمع «بائر». ١٣- ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْتَبِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: إلى خير، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾: أن يغيروا وعده الذي وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل مرجعنا إليكم، من الحديبية، فإن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة وقول الأعراب ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: قال ابن عطية: معناه: بل يعز عليكم أن نصيب مغنما ومالا، فرد الله تعالى على هذه المقالة بقوله سبحانه: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: لا يفقهون من الأمور مواضع الرشد، وذلك هو الذي خلفهم عن رسول الله ﷺ حتى كان ذلك سببا لمنعهم من غزوة خيبر.

= كيفما قدر إلا بصورة ما للجميع، والله أعلم. [١١] ﴿يَقُولُونَ بَالْوَهْهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿بَالْسَيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]. ﴿يَقُولُونَ بَالْوَهْهِمْ﴾: بآل عمران ينبي عن مبالغة واستحكام وتمكن في اعتقاد أو قصد لا يحصل منه قوله: ﴿يَقُولُونَ بَالْسَيِّئَةِ﴾، ولما كان المراد بآية آل عمران الإخبار عن المنافقين، كعبد الله بن أبي وأصحابه ممن استحكم نفاقه وتقرر، فناسب المبالغة في قوله: ﴿يَقُولُونَ بَالْوَهْهِمْ﴾ ما انطوا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر، وأما آية الفتح فإخبار عن أعراب ممن قال الله فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالأخرين، وإنما أخل بهم قرب عهدهم بالكفر، وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم، لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين، فعبّر ﴿بَالْسَيِّئَةِ﴾ إشعاراً بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آل عمران. [١١] ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الفتح: ١١]. آية سورة الفتح نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذر وتأخروا عن الجهاد، وقالوا شغلنا أموالنا وأهلونا، ثم سألوهم أن يستغفروا لهم، يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم، وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته، فقال عز وجل: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾، فلما كان في قوم مخصوصين احتيج إلى "لكم" للتبيين. فأما في هذه السورة -المائدة- فإنها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق، بل عم بها، ودليله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فلما سيق الآيات إلى العموم لم يحتج إلى "لكم" التي للخصوص. [١١] ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]. قد تقدم قبل الآية الأولى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ بَالْسَيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] فناسب هذا وصفه تعالى بالخير؛ لأن الخير هو العليم بما خفي وبطن، فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿بَالْسَيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، وليس في هذا إبطان شيء أظهر خلافه، فكان إيراد وصفه سبحانه بصير أنسب، وورد كل على ما يجب.

[١٠] ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَمِيسُوتُهُ﴾ قرئ: (فسيوتيه) بالياء التحتية على الغيب لمناسبة ما قبله، وهو قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله: ﴿بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ وقرئ: (فسنوتيه) بنون العظمة على الإخبار من الله جل ذكره نفسه، وهو خروج من الغيبة إلى الإخبار، ومن الإخبار عن واحد إلى الإخبار عن جمع؛ لأن النون للجمع. [١١] ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ قوله تعالى: ﴿ضَرًّا﴾ قرئ: (ضراً) بضم الضاد على أن المراد به سوء الحال كما قال: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] فالمعنى: إن أراد بكم سوء حال أو حسن حال. وقرئ: (ضراً) بفتحها على أن الضر الذي هو خلاف النفع، ودل عليه: أنه أتى بعد بنقيضه وهو قوله: ﴿نَفْعًا﴾ وقيل: هما لغتان، كالضعف والضعف. [١٥] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿كَلِمَ﴾ قرئ: (كليم) بكسر اللام بلا ألف، جمع كلمة، اسم جنس من الجمع الذي بين واحده وجمعه "الهاء" كتمر وتمر، ويسر وبسرة، وحسن ذلك لأنهم قد نزلت فيهم كلمات، فأرادوا أن يفعلوا خلافها، فكان الجمع أولى. وقرئ: (كلام) بفتح اللام وألف بعدها على جعله اسماً للجملة، أي: مصدراً يدل على الكثرة من الكلام، وهو قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] ثم أخبر عنهم في هذه السورة، أنهم أرادوا الخروج معه ليلدوا الكلام الذي قد أخبر الله به نبيه أنهم لن يخرجوا معه، ولن يقاتلوا معه عدواً، فالكلام أولى به لهذا المعنى.

[١١] ﴿يَقُولُونَ بَالْسَيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان) بمشتقاته في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة) بمشتقاته (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (الموعظة) بمشتقاتها، وكل ورد (٢٥) مرة. [١٥] ﴿فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخية) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) = ٥ مرات. بالفتح والغفران، وإنزال السكينة على أهل الإيمان، وإبعاد المنافقين بعذاب الجحيم، ووعد المؤمنين بنعيم الجنان، والثناء على سيد المرسلين، وذكر العهد، وبيعة الرضوان، وذكر ما للمنافقين من الخذلان، وبيان عذر المدحورين، والمثبة على الصحابة بعدم الظفر عليهم من أهل مكة ذوي الطغيان، وصدق رؤيا سيد المرسلين.

١٦- ﴿إِنَّ قَوْمَ أَزْمَلِ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قيل: عنى بذلك أهل فارس والروم. وقال أكثر المفسرين: عنى بني حنيفة - أهل اليمامة - أصحاب مسيلمة. وأهل الردة. ويرجح هذا: أن الآية ليس فيها إلا القتال أو الإسلام، ولا ذكر فيها للجزية - وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة. وعلى هذا، فإن الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنهما دعوا إلى قتال أهل الردة. ١٧- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾: ضيق وإثم أن يتخلف عن الجهاد، وكذلك من ذكر معه، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: يعرض عن الطاعة. ١٨- ﴿إِذْ يَبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: بالحديبية، وهي بيعة الرضوان، وكانت بسبب عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ أرسله رسول الله ﷺ إلى مكة فأبطأ، وظن المؤمنون أن قد قتل، فبايعوه تحت شجرة كانت بالحديبية على مناجزة قريش الحرب، وألا يفروا ولا يولوهم الأدبار. ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الهم بسبب الانصراف عن المشركين ولما يحكم الله بين المسلمين وبينهم. وحتى قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟.. ﴿فَأَنزَلَ﴾: الله ﴿السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: الوقار والصبر ﴿وَأَثْبَهُمْ﴾: عوضهم ﴿فَتَحَاقَرَبِا﴾: فتح خير. ١٩- ﴿وَمَعَانِدٌ كَثِيرَةٌ﴾: يأخذونها من أموال اليهود. ٢٠- ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا﴾: هي سائر الغنائم التي غنمهموها الله. غنمهم إياها بعد خير، من هوازن وغطفان وفارس والروم، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾: كفاهم قتال أهل مكة عام الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً﴾: عبرة ودلالة على حيطة الله لهم. ٢١- ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: يقول الله عز وجل: وعديكم فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا على فتحها. قال ابن عباس: عنى بها ما افتتح المسلمون من فارس والروم ﴿فَدَّ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: أعدها وجعلها كالشيء الذي أحيط به من جميع جوانبه حتى يفتحها عليكم.

[١٨] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله ﷺ: «أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس»، فسرنا إلى رسول

الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ﴾ الآية. [١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ...﴾ [النور: ٦١]، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٌ...﴾ [الفتح: ١٧].

ليس على أصحاب الأعداء من العُمَيَّان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرُونَ على القيام بها، كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض، وليس على أنفسكم أيها المؤمنون حرج في أن تأكلوا من بيوت أولادكم، أو من بيوت آبائكم، أو أمهاتكم، أو إخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عماتكم، أو أخوالكم، أو خالاتكم، أو من البيوت التي وُكِّلْتُمْ بحفظها في غيبة أصحابها بإذنهم، أو من بيوت الأصْدَقَاءِ، ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، فإذا دخلتم بيوتاً مسكونة أو غير مسكونة، فليسلم بعضكم على بعض بتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا لم يوجد أحد، وهذه التحية شرعها الله، وهي مباركة تنمي المودة والمحبة، طيبة محبوبة للسامع، وبمثل هذا التبيين بيّن الله لكم معالم دينه وآياته لتعقلوها، وتعملوا بها، فهذا ما دلت عليه آية النور، أمّا آية الفتح: ليس على الأعمى منكم - أيها الناس - إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم، في أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ومن يعص الله ورسوله، فيتخلف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذاباً مؤلماً موجعاً. [٢٤] ﴿وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مِنْ نَصْرِهِ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. ما الفرق بين "النَّصْرُ وَالظَّفَرُ"؟ الجواب: أولاً: (النصر): وردت كلمة النصر بمشتقاتها في القرآن الكريم عدد (١٤٤) مرة. ثانياً: (الظفر): جاءت هذه الكلمة كفعل متعدٍ في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] مرة واحدة في القرآن الكريم. الفرق بين الكلمتين:

١- (النصر) يأتي في القرآن الكريم وصفاً عاماً لكل غلب أو فوز حققه المؤمنون، أما (الظفر) فهو مقصورٌ على (الغلب) الذي يحدث بدون قتال يُذكر بين المؤمنين وعدوهم، ولقد عبر عن نصر المسلمين بفتح مكة المبين بالظفر دون النصر، وقد تم فتحها بدون قتال وإراقة للدماء، وكان فتحاً مبيناً ونصراً سهلاً

ميسوراً. ٢- بين (النصر) و(الظفر) في الاستعمال القرآني عمومٌ وخصوص، فكل (ظفر) نصر، وليس كل (نصر) ظفر. ٣- الظفر يلحظ فيه المعنى اللغوي الذي هو (نشب الأظفار) في الفريسة وهو أيسر وسيلة في الحصول على المطلوب، فالعرب كانوا يخصون الظفر بالفوز والغلب الذي يتم بسهولة ويسر، واللغويون

ذكروا أن (الظفر) مشتق من (نشب الأظفار)، ونشب الأظفار أيسر وسيلة للحصول على المطلوب. [١٧] ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٌ﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْخُلْهُ جَنَّاتٌ﴾ و﴿يَدْخُلْهُ نَاراً﴾، في النساء: ١٣-١٤، ﴿يَدْخُلْهُ - يَعَذِّبُهُ﴾ في الفتح: ١٧، و﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ﴾ و﴿يَدْخُلْهُ﴾ في التغابن: ٩، ﴿يَدْخُلْهُ﴾ في الطلاق: ١١،

قرئت: (ندخله - نعذبه - نكفر) بنون العظمة في السبعة، وقرئ: (يدخله - يعذبه - يكفر) بالياء فيهن على الغيبة ردّاً لآخر الكلام على أوله؛ لأن أوله لفظ غيبة في قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ليتألف الكلام على نظام واحد. [٢٤] ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرًا﴾ قرئ: (يعملون) بياء الغيبة ردوه على لفظ الغيب وهم الكافرون؛ لتقدم ذكرهم وصددهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وقرئ: (تعملون) ببناء الخطاب للمؤمنين؛ لتقدم ذكرهم في قوله وصدوكم، وقوله: ﴿عَنْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ﴾ و﴿أَنْ أَظْفَرَكُمْ﴾ فكله خطاب للمؤمنين. [٢٩] ﴿وَمَثَلُ فِي الْإِنجِيلِ كَرِّعٍ أَخْرَجَ سَطْوَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَطْوَهُ﴾ قرئ: (شطأه) بفتح الطاء. وقرئ: (شطأه) بإسكانها، وهما أختان كالسمع والسمع، يقال: أشطأ =

= (الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٨] ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فأنزل السكينة عليهم وأثبهم فتحاً قريباً. [عجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة) بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد) بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. [٢٥] ﴿وَصَدَّوْكُمْ عَنِ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْأَذَى مَعَكُوفًا﴾ [عجاز عددي: ورد لفظ (الدين) بمشتقاته (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود) بمشتقاتهما (٩٢) مرة أيضاً. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين) بمشتقاته مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود) بمشتقاتهما، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرٌ مَدُونٌ إِلَى قَوْمِ أَزْمَلِ بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَانُوا وَلِيَّتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْذِبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدٌ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْذَرُثُمْ لَا يَجِدُوكَ وَيَأْتُوا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلُهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتَضَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَعِيرٍ عَلِيمٌ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَنَذْبَنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَاقَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٢٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: إلى آخر الآية: كانت قريش قد بعثت أربعين أو خمسين رجلاً منهم أن يطيّفوا بعسكر رسول الله ﷺ ويصيّبوا منه، ففعلوا ذلك ورموا في عسكره بالحجارة والنبل، فبعث رسول الله ﷺ في إثرهم، فأخذوا أجمعون، وأتى بهم إليه، فمنّ عليهم وخلّى عنهم. وفي صحيح مسلم وغيره: أن الآية نزلت في نفر أسره سلمة بن الأكوع يوم الحديبية، وهي المراد بطن مكة.

٢٥- ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾: منعوكم عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِمْلُهُ﴾: عن أن يبلغ، ومحل الهدى: حيث يحمل نحره بعد دخوله الحرم ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾: كانوا بمكة قد حبسهم المشركون عن الخروج إلى المسلمين ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: بمكة ﴿أَنْ تَطَّوُّهُمْ﴾: معناه: لولا أن تطوّروا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات بخيلكم ورجلكم، وتصيبوا منهم أحداً ﴿فَتَضَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَعِيرٍ عَلِيمٌ﴾: قيل: «المعرة»: الإثم. وقيل: غُرم الدية. وقيل: كفارة الخطأ ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء، قبل أن تدخلوها ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: لو تميز المؤمنون الذين كانوا بمكة محبوسين من المشركين، ففارقوهم وخرجوا عنهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: موجعاً. والمراد به القتل والأسر والقهر. ٢٦- ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾: وحالوا بين رسول الله ﷺ وبين البيت عام الحديبية ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: الصبر والطمأنينة. ٢٧- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾: إلى آخر الآية: كان رسول الله ﷺ رأى في منامه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام ﴿آمِنِينَ﴾: لا يخافون أهل الشرك ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: مقصراً بعضهم من شعره، ومحلّقاً بعضهم، فعرف بذلك أصحابه، فلما صدّ عام الحديبية عن البيت طعن المنافقون في ذلك، وقالوا: أين رؤياه؟ فادخله مكة - كما أراه الله - في العام الثاني ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: من وجوه المصالح في الصلح ﴿فَعَجَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَاقَرِيبًا﴾: جعل صلح الحديبية قبل دخوله مكة في السنة المقبلة. ٢٨- ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: إعلام بأن جعل صلح الحديبية قبل دخوله مكة في السنة المقبلة. ٢٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: حسبك بالله شهيداً أنه سيظهر الدين الذي ابتعثك به. ٢٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ، فأخذوا فأعتقهم، فأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع. وأحمد، والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني، وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس. ٢٥- ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾: أخرج الطبراني، وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سبيع قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة، وفيها نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾. ٢٦- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ الآية وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمينين محلّقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدى بالحديبية قالوا: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ الآية. ٢٤- ﴿بَلْ كَانُوا اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]. قد تقدم قبل الآية الأولى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، فناسب هذا وصفه تعالى بالخبير؛ لأن الخبير هو العليم بما خفي وبطن، فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿يَقُولُونَ بِآلِسِتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، وليس في هذا إبطان شيء أظهر خلافه، فكان إيراد وصفه سبحانه ببصير أنسب، وورد كل على ما يجب، والله أعلم. ٢٦- ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]. ما فائدة قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وفي ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦]، ما فائدة ذكره بعد قوله: ﴿آمِنِينَ﴾؟ **الجواب:** المعنى آمينين في حال الدخول، لا تخافون عدوكم أن يخرجكم منه في المستقبل. = الزرع، أي: أخرج فراخه، وهو سنبل يخرج حول السنبلية الأصلية، وأشطاء الشجرة إذا أخرجت أغصانها. قوله تعالى: ﴿فَأَزْرُهُ﴾ قرئ: **فَأَزْرُهُ** بقصر الهمزة. وقرئ: **فَأَزْرُهُ** بالمد وهما لغتان، ووزن المقصور (فَعَلَهُ) والممدود (أَفَعَلَهُ) عند الأخفش، وفاعله عند غيره، ومعنى: أزره ساواه، أزّر الشطء الزرع أي ساواه، أي: كثرت فراخه حتى استوت معه في الطول والقوة، ففي (أَزْر) ضمير الشطء والهاء للزرع. وقيل: معنى فأزره: قوّاه وأعانه، أي: أعان الزرع الشطء وقوّاه، وكما سبق أن الأخفش جعله على وزن أفعله، وغيره يقول: إنه على وزن (فاعله) ولكن أفعّل فيه أبين، فيكون منقولاً بالهمز على قراءة من قرأ، فأزره بالقصر على وزن: ففعله، وليست الهمزة للتعدية، إنما هي كما في آله وآلته، إذا نقصه، والشطء في هذا كناية عمن دخل في الإسلام فيقوى الإسلام به، وهو: مثّل ضربه الله لنبيه فقد بعث مفرداً كما تخرج السنبلية مفردة، ثم قوّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصحابة كما تقوى السنبلية بفراخها. ٢٩- ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]. **مؤازرة الزرع للشطء:** قال رئيس قسم النبات بإحدى جامعات مصر: تتبع علماء التفسير ما في الأنجيل، فبينوا أن في الأنجيل خبراً بأن أمة ستأتي، وتنبّئ كالزرع مع نبي ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾... الشطء: هو الفرخ، مثل الدجاج تخرج فراخاً. وتحدث الدكتور عن النباتات النجيلية من العائلة النجيلية كالبرّ والأرز، وقصب السكر والشعير وما شابهها، قال: هذا الزرع كزرع أخرج شطأه، وقال: إذا نبتت الحبة وظهر الزرع، يخرج الفرخ من إبط الأوراق، فيخرج الفرخ من الزرع لا من الحبة، لذلك قال تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ ثم قال: في السنوات الأخيرة بعد الثلاثينيات درس العلماء من أين يأتي الغذاء لهذا الشطء عندما يخرج.. فوجدوا أنه يأتيه ويصنع له من الزرع نفسه، فالزرع يؤازره ويمدّه بالغذاء ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ فلما أزره تأتي عملية أخرى، هي تكوين عقد تحت أباط الأشجار والزرع، وتكون العقد متقاربة، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ بهذه العقدة، ﴿فَاسْتَوَى﴾ حيث تستطيل المسافة بين العقدة والعقدة حتى مسافة عالية، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ قال: وهذه هي النباتات النجيلية، يبدأ النبات يخرج من الزرع ويؤازره، ويستغلظ، ويستوي على سوقه، ويثمر ويُعجب الزُّراع؛ ليغيب بهم الكفار.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّاهُمُ اللَّهُ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَدْ تِلَوُا الْقُرْآنَ بِتَعْنِي حَتَّىٰ يَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِأَعْدِلٍ وَأَفْضَلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

٦- ﴿فَاسِقٌ﴾: الفسق: الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة كلها مظنة الكذب، وموضع تثبت وتبين. ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: من التبين. وقرا حمزة والكسائي ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التثبت. والمراد من التبين.. التعرف والتفحص. ومن التثبت: الاناة وعدم العجلة. ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾: كيلا تصيبوا قوما براء مما قذفوا به. ٧- ﴿لَعَنِيمٌ﴾: لنالكم عنت، يعني: شدة ومشقة بطاعته إياكم، لو أطاعكم في كثير من الأمر ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: حسنه بتوفيقه وألطافه سبحانه وتعالى. وقيل: حبب الإيمان بما وعد من الثواب عليه، وكره الثلاثة المقابلة للإيمان بما توعد من العقاب عليها. ٩- ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾: إن أبت الإجابة إلى حكم كتاب الله عز وجل فيما لها وعليها ﴿حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: ترجع وترضى بحكم الله ﴿فَإِن فَاءَتْ﴾: الباغية منهما، فرجعت. ﴿وَأَفْضَلُ﴾: اعدلوا في حكمكم بين من حكمتم بينهم. ١٠- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: بعد أن وصف الطائفتين بالإيمان، أي أن اقتتالهما لم يخرج أيا منهما إلى الكفر أو الفسوق، أكد ذلك في هذه الآية بأن المؤمنين أخوة في الدين والاعتقاد. وأن الإصلاح بين الأخوة أمر واجب. ١١- ﴿لَا يَسْخَرَكُم﴾: السخرية: الاستهزاء، وقيل عنى به: سخرية الغني من الفقير. و«القوم»: الرجال لا نساء فيهم. وقد يطلق عليهم مع وجود النساء معهم، من باب التغليب. ﴿وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ﴾: أفرد النساء بالذكر تأكيداً، وقيل: لأن السخرية منهن أكثر، أو لأنها من نوع مختلف. ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا يطعن بعضكم على بعض ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: نهى أن يدعى الرجل باسم يكرهه، أو صفة ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾: من سخر من المؤمنين ونبزههم بالألقاب، وخالف أمر الله عز وجل، فقد استحق بهذه المعصية اسم الفسق. وقيل: المعنى: بشس ما يقول الرجل لأخيه: يا فاسق! بعد إيمانه. ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾: من السخرية بالمؤمنين، ونبذهم ولمزهم. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: ظلموا من لقبوه، وظلموا أنفسهم بما لزمها من الإثم. [٦] قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحرث بن ضرار

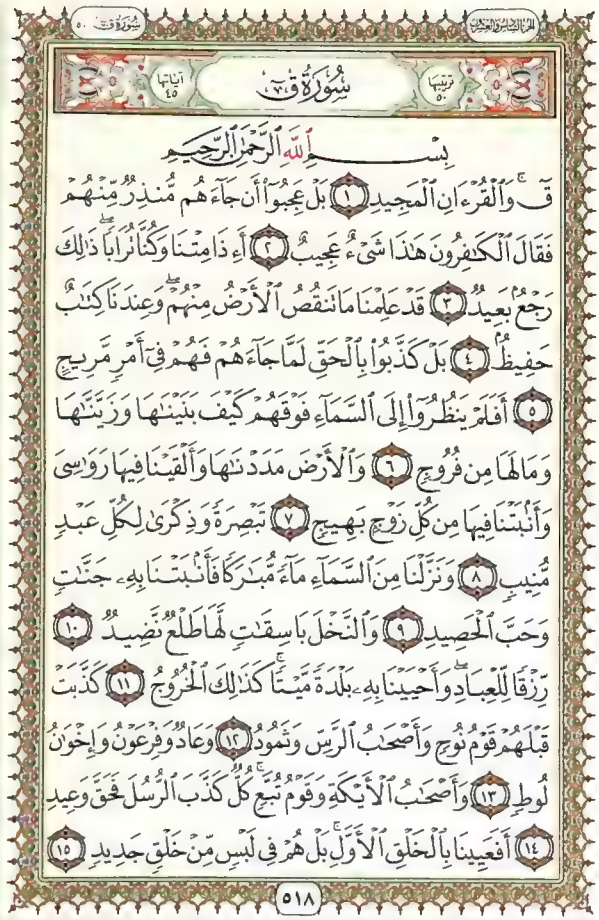
الحزامي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فأقررت به ودخلت فيه، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فترسل إلي لإبأن كذا وكذا؛ ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحرث الزكاة وبلغ الإبأن احتبس الرسول فلم يأت، فظن الحرث أنه قد حدث سخطة، فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان قد وقت وقتاً يرسل إلي رسول له ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أدري حبس رسول الله ﷺ من سخطة، فانطلقوا فتأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده، فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحرث منعي الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحرث، فأقبل الحرث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعت الزكاة، وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتانى، فلما دخل علي رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي»، قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ رجال إسناده ثقات. وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله، وعلقمة بن ناجية، وأم سلمة وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسله. [٩] قوله تعالى: ﴿وَإِن طَافَيْنَا﴾ الآية أخرج الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ ركب حماراً وانطلق إلى عبد الله بن أبي فقال: إليك عني فوالله لقد أذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجرید والأيدي والنعال، فنزلت فيهم: ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا﴾. وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير عن أبي مالك قال: تلاحي رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا، وهذا لهذا، فاقتتلوا بالأيدي والنعال، وأنزل الله ﷺ ﴿وَإِن طَافَيْنَا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحبه امرأة يقال لها أم زيد، وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها في عليه له، وأن المرأة بعثت إلى أهلها، فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله، فجاء بنو عمه، ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم، وفاؤوا إلى أمر الله. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين، فيدعون إلى الحكم، فيأبون أن يجيبوا، فأنزل الله ﷺ ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا﴾ الآية. وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لأخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا، وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتالاً بالسيوف.

[٧] ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]. ما فائدة الجمع بين الفسوق والعصيان؟ **الجواب:** الفسوق الكذب، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعصيان بقية المعاصي، وإنما أفرد الكذب بالذكر؛ لأنه سبب نزول الآية، وقيل: الفسوق الكبيرة، والعصيان الصغيرة. = حذف إحدى التاءين؛ وأصله تتقدما. وقرئ: ﴿تَقَدَّمُوا﴾ بضم التاء وكسر الدال من قدم يقدم. [٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ قرئ: (الحجرات) بفتح الجيم. وقرئ: (الحجرات) بضمها وهما لغتان في جمع حجرة، وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط. [١٠] ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ قرئ: (إخوتكم) بكسر الهمزة وسكون الخاء وتاء مثناة من فوق مكسورة بالإضافة، جمع تكسير، يشمل الأخ والأخت جميعاً. وقرئ: (أخويكم) بفتح الهمزة والحاء وياء ساكنة بعد الواو تشبیه أخ، وخص الاثنين بالذكر، لأنهما أقل من يقع بينهما الشقاق، وبلغ المذكر للتغليب. **نزول سورة الحجرات:** نزلت بعد سورة المجادلة، وهي مدنية. **عدد كلمات سورة الحجرات:** ثلاثمائة وثلاث وأربعون. **عدد حروف سورة الحجرات:** ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون. **أسماء سورة الحجرات:** سميت سورة الحجرات؛ لذكرها بها. **مواضيع سورة الحجرات:** معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدة في الأمور، والاجتناب عن التهور، والعون في إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله تعالى.

١٢- ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾: نهى الله عز وجل المؤمن أن يظن بالمؤمن شراً، وقال أكثر العلماء: إن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وإنه لا حرج في ظن السوء بمن ظاهره قبيح. قالوا: والبعض المشار إليه في الآية، هو ظن السوء بأهل الخير. ﴿وَلَا تَحْسَبُوا﴾: لا يتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه احمداً أو ذموا ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بعضاً﴾: لا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه. ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾: أي: إذا لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرمه عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فإن الله عز وجل قد حرم غيبته. ١٣- ﴿وَجَعَلَكُمْ شعوراً وِقَائِلَ لَتَعَارَفُوا﴾: هذا الخلق أو الجعل والتقسيم يشير إلى مزية كل شعب من الشعوب، وقبيلة من القبائل، والغاية من ذلك التعارف أي أن تكمل البشرية بعضها بعضاً، لا أن يفخر بعضهم بذلك على بعض، أما مقياس التفاضل فهو: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَرَّكُمْ﴾: اخوفكم له، وأعملكم بطاعته. ١٤- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾: صدقنا بالله ورسوله ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، لأن الإسلام قول وعمل. وكان القوم صدقوا بالاستتھام، ولم يصدقوا بفعلهم وعملهم، فقبل لهم ذلك: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يعني: ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان، وحقائق معانيه في قلوبكم ﴿لَا يَلْتَمِسُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾: لا يظلمكم من ثواب أعمالكم شيئاً. يقال: لائه حقاً: إذا انقصه منه. ١٥- ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لم يدخل قلوبهم شيء من الريب، ولا خالفهم شك من الشكوك. وقيل: لم يشكوا في وحدانية الله، ونبوة نبيه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: في قولهم إنا مؤمنون، لا من يدعي أنه مؤمن، ولم يطمئن قلبه بالإيمان، ولا عمل بأعمال أهله. وهم الأعراب الذين تقدم ذكرهم وسائر أهل النفاق. ١٦- ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: التعليم هنا بمعنى الإعلام، أي: تخبرون الله بطاعتكم وإيمانكم؟ ١٧- ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾: قيل: نزلت في أعراب من بني أسد امتنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا بغير قتال، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا. ١٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب عنكم، واستتر فيهما ﴿وَاللَّهُ بصيرٌ بما تعملون﴾: لا يخفى عليه من ذلك شيء. ١٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ الآية. أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جابر بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها، فعسى أن يكرهه، فنزلت ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. قال الترمذي: حسن. وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضاً قال: كانت الألقاب في الجاهلية، فدعا النبي ﷺ رجلاً منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت. ٢٠- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بعضاً﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ، فذكر رجل أكله ورقاده، فنزلت. ٢١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الآية. وقال ابن عساکر في مبهمات: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا، فنزلت الآية. ٢٢- قوله تعالى: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله ابن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن، وأن ذلك لما فتحت مكة. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع، وفيهم طليحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك ولم نقاتلك، فأنزل الله ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. ٢٣- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ...﴾ [النور: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ [الحجرات: ١٥]. إنما المؤمنون حقاً هم الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه؟... فهذا ما دلت عليه آية النور، أمّا آية الحجرات: إنما المؤمنون الذين صدقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم. ٢٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بصيرٌ بما تعملون﴾ [الحجرات: ١٨]. إن الله مطلع على كل غائب في السماوات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تُضْمِرُونَ الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تعصوه بما دون ذلك، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أمّا آية الحجرات: إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بعضاً يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شعوراً وِقَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَرَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَكِن يَكْفُرُ قُلُوبُهُمْ وَأَنَّى يُؤْمِنُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّا أَعْمَلُكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بصيرٌ بما تعملون ﴿١٩﴾

١٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ الآية. أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جابر بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها، فعسى أن يكرهه، فنزلت ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. قال الترمذي: حسن. وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضاً قال: كانت الألقاب في الجاهلية، فدعا النبي ﷺ رجلاً منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت. ٢٠- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بعضاً﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ، فذكر رجل أكله ورقاده، فنزلت. ٢١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الآية. وقال ابن عساکر في مبهمات: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا، فنزلت الآية. ٢٢- قوله تعالى: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله ابن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن، وأن ذلك لما فتحت مكة. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع، وفيهم طليحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك ولم نقاتلك، فأنزل الله ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. ٢٣- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ...﴾ [النور: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ [الحجرات: ١٥]. إنما المؤمنون حقاً هم الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه؟... فهذا ما دلت عليه آية النور، أمّا آية الحجرات: إنما المؤمنون الذين صدقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم. ٢٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بصيرٌ بما تعملون﴾ [الحجرات: ١٨]. إن الله مطلع على كل غائب في السماوات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تُضْمِرُونَ الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تعصوه بما دون ذلك، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أمّا آية الحجرات: إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.



سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١- ﴿قَ﴾: كسائر ما تقدم من السور التي أوائلها حروف المعجم ﴿وَالْقُرْآنَ﴾: أقسم الله عز وجل به ﴿الْمَجِيدَ﴾: الكريم الأوصاف، أو ذو المجد والشرف على كل كتاب سواه. ٢- ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾: يعني الكفار، أو مشركي مكة ﴿أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: أي: ولم يأتهم ملك من الملائكة. ٣- ﴿ذَلِكَ﴾: أي البعث والنشور ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: أي غير كائن، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا! أو: رجع بعيد عن العقول والأفهام، أو العادة والإمكان. ٤- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما تاكل الأرض من أجسامهم، بعد مماتهم ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾: ولدينا كتاب، مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله. ٥- ﴿فِي أَمْرِ مَرْيَمَ﴾: مختلط ملتبس، وهذه هي حال أهل الباطل في كل زمان، في اختلاط أفكارهم، والتباس عقائدهم. ٦- ﴿وَمَالِهَا مِنْ فُجُوءٍ﴾: صدوع وفجوع. ٧- ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا﴾: النص على مد الأرض وبسطها يأتي في سياق الحديث عن تسخيرها والانتفاع بها. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ﴾: جبلاً ثوابت ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ﴾: من كل نوع من نبات حسن. ٨- ﴿بَصِيرَةً﴾: ثبوتكم قدرة ربكم ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكرة وتنبها ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: مقبل بقلبه إلى الله عز وجل، راجع إليه بالتوبة. ٩- ﴿فَأَلْبَسْنَاهُ جَنَّتٍ﴾: بساتين ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: حب الزرع المحصود، من البر والشعر وغيره. ١٠- ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَتٍ﴾: طوالاً ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾: متراكب بعضه على بعض، والطلع: هو أول ما يخرج من ثمر النخل. ١١- ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾: أي: كما أحيينا بذلك الماء بلدة ميتة لا ثمار فيها ولا زرع، كذلك نخرجكم يوم القيامة من قبوركم من بعد بلاككم، وفنائكم. ١٢- ﴿وَأَحْبَبَ الرِّيسَ﴾: «الرس»: هو البثر، قتل أهلها نبههم فيها، فأهلكهم الله. وهم قوم شعيب عليه السلام. ١٣- ﴿وَأَحْبَبَ الْأَيَّتَكَ﴾: أهل مدين، والأيتكة: الشجر الملتف ﴿وَقَوْمُ نَبْعٍ﴾: الحميري، كانوا أهل أوثان ﴿فَخَنَّ عَيْدٌ﴾: وجب عليهم الوعيد الذي أوعدهم الله به من العذاب، فأهلكهم. ١٤- ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: يقول عز وجل: أعجزنا بابتداع الخلق أولاً، ولم يكن شيئاً، فنعيا بإعادتهم آخر؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: في شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: من البعث. ١٥- ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: يقول عز وجل: أعجزنا بابتداع الخلق أولاً، ولم يكن شيئاً، فنعيا بإعادتهم آخر؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: في شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: من البعث.

الْأَوَّلِ: يقول عز وجل: أعجزنا بابتداع الخلق أولاً، ولم يكن شيئاً، فنعيا بإعادتهم آخر؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: في شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: من البعث. ٢- ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: وقال الكافرون هذا سحر كذاب ﴿[ص: ٤]﴾، ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴿[ق: ٢]﴾. آية ص وردت مورد الإخبار بمرتكبات من أفعال كفار العرب وأقوالهم، فجاء بتلك الجمل منسوقاً بعضها على بعض، فأخبر تعالى أنهم في عزة وشقاق، وأنهم عجبوا أن جاءهم منذر منهم، فلما قصد في ص الإخبار بجملتهم مرتكباتهم جاءت منسوقاً بعضها على بعض بالواو التي لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً. وأما آية ق فمقصود بها التعريف بتعجبهم من البعث الأخرى واستبعادهم إياه، ولم يقصد هناك غير ما قصده، ألا ترى إقامة الدلالة عليهم باعتبار خلق السماوات وترتيبها بالنجوم وإحكام صنعتها، ومد الأرض وإرسائها بالجبال وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء.. فلما كان قولهم: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ منبياً على ما جاءهم به عليه السلام، وأعلمهم من البعث بعد الموت جعل الأول -أي: مجيئه عليه السلام، مخبراً بذلك- سبباً في تعجيزهم فربط فيه بالفاء... ﴿[٧]﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿[الحجر: ١٩]﴾، وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ ﴿[ق: ٧]﴾. والأرض مددناها متسعة، وألقينا فيها جبلاً تثبتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدّر معلوم مما يحتاج إليه العباد، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أما آية ق: والأرض وسّعناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبلاً ثوابت؛ لثلاث تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يسر ويهيج الناظر إليه. ﴿[١٢-١٤]﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿[١٣]﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَحْبَبَ لَيْتَكَ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿[ص: ١٣]﴾، كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَحْبَبَ الرِّيسَ وَثَمُودُ ﴿[١٣]﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَحْبَبَ الْأَيَّتَكَ وَقَوْمُ نَبْعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَخَنَّ وَعِيدٌ ﴿[ق: ١٤]﴾. سورة ص بُنيت فواصلها على ردّف أو آخرها بالألف؛ وسورة ق على ردّف أو آخرها بالياء والواو. فقال في سورة ص: "الأوتاد، الأحزاب، عقاب"، وجاء بإزاء ذلك في سورة ق: "ثمود، وعيد"، ومثله في الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطُّرْفِ عَيْنٍ﴾. [الصافات: ٤٨]، وفي ص: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطُّرْفِ أُنْزَابٌ﴾. [ص: ٥٢]، فالقصد إلى التوفيق بين الألفاظ مع وضوح المعاني.

١٠ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. من فوائد الإصلاح بين الناس: ١- الإصلاح بين المؤمنين إذا تنازعا واجب لا بد منه لتستقيم حياة المجتمع ويتجه نحو العمل المثمر. ٢- بالإصلاح تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية، ولذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه. ٣- الإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو. ٤- الإصلاح منبته النفوس السامية، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج بنفسه ويسعى للإصلاح بين الناس. ٥- اكتساب الحسنات والثواب الجزيل من جراء الإصلاح بين الناس. ٦- إصلاح ذات البين أفضل من نافلة الصيام والصلاة والصدقة. ٧- يثمر المغفرة للمتخاصمين عند المصالحة. ٨- عدم الإصلاح يؤدي إلى اشتراء الفساد وقسوة القلوب، وضياح القيم الإنسانية الرفيعة. ٩- الإصلاح بين الناس عهد أخذ على المسلمين. ١٠- بالإصلاح يتم تماسك المجتمع الإسلامي وترابطه ووحدته في وجه الشيطان وأوليائه الذين يدعون إلى الفرقة والاختلاف. ﴿[١١]﴾ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[الحجرات: ١١]﴾. بعض آثار الظلم ومضاره: الظلم يجلب غضب الرب سبحانه، ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار، ويسببه تنهار الدول، والظالم يحترق شفاعة رسول الله ﷺ بجميع أنواعها، وعدم الأخذ على يده يفسد الأمة، والظلم دليل على ظلمة القلب وقسوته، ويؤدي إلى صغار الظالم عند الله وذلته، وما ضاعت نعمة صاحب الجنتين إلا بظلمه، وما دمرت الممالك إلا بسبب الظلم، نزول سورة ق: نزلت بعد سورة المرسلات، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة ق: ثلاثمائة وخمس وسبعون. عدد حروف سورة ق: ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون. أسماء سورة ق: سميت بقاف، لافتتاحها بها. مواضع سورة ق: مقصود السورة: إثبات النبوة للرسول ﷺ، وبيان حجة التوحيد، والإخبار عن إهلاك القرون الماضية، وعلم الحق تعالى بضمائر الخلق وسرائرهم، وذكر الملائكة الموكلين على الخلق، المشرفين على أقوالهم، وذكر بعث القيامة، ودّل العاصين يومئذ، ومناظرة المنكرين بعضهم بعضاً في ذلك اليوم، وتغيظ الجحيم على أهله، وتشرف الجنة بأهلها، والخبر عن تخليق السماء والأرض، وذكر نداء إسرافيل بنفخة الصور، ووعظ الرسول ﷺ الخلق بالقرآن المجيد.

١٦- ﴿وَنَعْلَمَ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: تحدّثه وتضمّره ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: هو حبل العاتق، والآية تعبير عن قدرة الله تعالى على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة والعلم، كما يقول ابن عطية.

١٧- ﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتْلِقَانِ﴾: الملكان ﴿عَبِيدٌ﴾: أي: رصيد، يكتبان عليه الحسنات والسيئات.

١٨- ﴿رَقِيبٌ﴾: حافظ ﴿عَبِيدٌ﴾: حاضر مُعَد. ١٩- ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدته وغلبته على فهم الإنسان ﴿بِالْحَقِّ﴾: بحقيقة الموت ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تهرب منه، وتروغ عنه. ٢٠- ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: الذي وعد الله الكفار أن يُعَذِّبهم فيه. ٢١- ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾: يسوقها إلى الله ﴿وَشَهِيدٌ﴾: يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر. ٢٢- ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾: الذي عاينت من الأهوال والشدائد ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: أظهرناه لعينك حتى رأيت، فزال الغفلة عنك ﴿فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: فانت اليوم نافذ البصر بما كنت عنه غافلاً. ٢٣- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: سائقه الذي وكل به: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾: أي هذا الذي هو عندي مُعَدٌّ محفوظ. ٢٤، ٢٥- ﴿أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ﴾: هذا خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد، ﴿عَبِيدٌ﴾: معاند عن الحق وسبيل الهدى. ﴿مَنَاعَ الْخَيْرِ﴾: قيل: «الخير» في هذا الموضع: الزكاة المفروضة ﴿مُعْتَدٌ﴾: على الناس بلسانه بالبذاء، وبيده بالسطوة ظلاماً ﴿مُرِيبٌ﴾: شاك في الحق أو وحدانية الله تعالى. ٢٧- ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: شيطانه الذي كان موكلاً به في الدنيا ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: يقول: ما جعلته طاغياً كافراً بك ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: في طريق جائر عن الهدى جوراً بعيداً. ٢٩- ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ﴾: يقول عز وجل: ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، ولا قضائي الذي قضيته عليكم، وقد قضى عليهم بالعذاب فلا تبديل له. ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾: بمعاقب أحداً من خلقي بغير ذنبه. ٣٠- ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾: قيل: معناه: ما من مزيد، لشدة امتلائها وتضايق بعضها إلى بعض، وقيل: إن هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة، أي أنها

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسّس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴿١٦﴾ إذ ينفلق المتلقيان ﴿١٧﴾ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴿١٨﴾ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴿١٩﴾ يوم الوعيد ﴿٢٠﴾ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴿٢١﴾ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ففصرك اليوم حديد ﴿٢٢﴾ وقال قريته هذا ما لدى عيني ﴿٢٣﴾ أليفا في جهنم كل كفار عتيد ﴿٢٤﴾ مناع للخير معتد ﴿٢٥﴾ الذي جعل مع الله إلهها آخراً للقياء في العذاب الشديد ﴿٢٦﴾ قال قريته ربنا ما أطفيت، ولكن كان في ضلال بعيد ﴿٢٧﴾ ما يبدل القول لدى ﴿٢٨﴾ وما أنا بظلم للعبيد ﴿٢٩﴾ يوم نقول لجهنم هل امتلأت ونقول هل من مزيد ﴿٣٠﴾ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴿٣١﴾ هذا ما وعدون لكل آواب حفيظ ﴿٣٢﴾ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴿٣٣﴾ ادخلوها يسلمة ﴿٣٤﴾ ذاك يوم الخلود ﴿٣٥﴾ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴿٣٦﴾

تطلب الزيادة على من صار فيها. ٣١- ﴿وَأَزْلَفَتْ﴾: أذِنَتْ وقُرِبَتْ. ٣٢- ﴿لِكُلِّ آوَابٍ﴾: راجع من معصية الله عز وجل إلى طاعته، تائب من ذنوبه ﴿حَفِظْتُ﴾: مسبح لله تعالى ذاكراً لذنوبه مستغفر منها. ٣٣- ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾: في الدنيا قبل أن يلقاه ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: تائب من ذنوبه. ٣٤- ﴿أَدْخُلُوهَا يُسَلِّمِينَ﴾: بأمان من العذاب والنصب والهم. [٢٧، ٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ [ق: ٢٣]، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ﴾ [ق: ٢٧]. الآية الأولى خطاب لإنسان من قريته ومتصل بكلامه، أما الآية الثانية فإنها منفصلة؛ لأن القول هناك ليس للإنسان، ولا ما بعده خطاب له، ألا ترى أنه للقرين، وأنه يخاطب الله تعالى بقوله: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾، فلما لم يكن القائل المخاطب ولا المقول له المخاطب صار كأنه مستأنف، فالآيات التي أجريت هذا المجرى بعده، هي: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ﴾ [ق: ٢٨]، وكقوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ﴾ [ق: ٢٩]، فلما لم يكن في واحد منها واو عاطفة، كانت الأخرى كذلك. فالآية الأولى التي ورد فيها الوصل عطفت على جمل كلها عما يلقاه الإنسان من أهوال، وشدائد يوم القيامة، أما الآية الثانية التي استأنف فيها الكلام، فقد جرى فيها الكلام على ما جرى فيما بعدها من آيات. = وما أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة إلا بسبب ظلمهم. وندم الظالم وتحسره بعد فوات الأوان لا ينفع، والظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فهو متعد للغير، وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت أكف الضراعة من المظلوم، فقال الله عز وجل: "وعزّي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين". قال بعض السلف: الظلم ثلاثة أنواع: الأول: أن يظلم الناس فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. الثاني: ظلم بينه وبين الناس. الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه. [١٣] ﴿وَجَعَلْتُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾، ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحد بنسبه، ولا يذم بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان. [٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِظْتُ﴾ [ق: ٤]. إشارة إلى أن الأرض لا تأكل كل الأجساد، فالأنبياء عليهم السلام حرم الله على الأرض أكل أجسادهم، كما قال ﷺ: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" أخرجه أبو داود والنسائي، وغيرهما، وصححه الألباني، كما يبقى من جميع الأجساد عجب الذنب لا تأكله الأرض، منه يركب الإنسان، ويعاد خلقه. [٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ الله عز وجل حكم وقضى وأخبر أن المطر الذي ينزل من السماء مطرٌ مباركٌ؛ ولهذا كان ﷺ يسارع إليه، يحسر ثوبه عن ذراعه حتى يصيبه المطر ويقول (إنه حديث عهد بربه تعالى). رواه مسلم وأبو داود، وغيرهما. [٢٩] ﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. ما الفرق بين: "ظلم، ظلام"؟ **الجواب:** وردت كلمة (ظلم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعل) والثانية على وزن (فَعَال). وردت كلمة (ظلم) وصفاً للإنسان. بينما وردت كلمة (ظلام) وصفاً منفياً عن الله تعالى. لم اختصاص كل بما ذكر؟! حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسباً أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة ك(ظلم وجهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصفاً آخر فيه مبالغة (كفار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلم موسيقياً، كما أنها شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كلاهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلام) فقد جاءت وصفاً منفياً عن الذات الإلهية، وأرى أن ذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالباً. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استخدمت كلمة (ظلام) كما قال القاضي الباقلاني: لأن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يُوصف بأقصى حد للظلم وهو (ظلام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلا على ذنب فليس بظلام أبداً.

[٣٠] ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِيَهَنَّمْ هَلْ أَمَلَّاتِ﴾ قوله تعالى ﴿نَقُولُ﴾ قرئ: **(يقول)** بالياء على إخبار عن الله جلّ ذكره لتقدم ذكره؛ في قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وقرئ: **(نقول)** بالنون على أنه إخبار من الله عزّ عن نفسه؛ لتقدم لفظ الإخبار في قوله: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ﴾ وقوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

[٣٢] ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ﴾ قوله تعالى ﴿تُوعَدُونَ﴾ قرئ: **(يوعدون)** بالياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الغيبة في قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقرئ: **(توعدون)** =

٣٦- ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: من القرون، أي الأمم التي هلكت ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: يعني عز وجل: قريشاً ﴿فَقَبُوا فِي الْبَلَدِ﴾: ساروا فيها وتوغلوا إلى الأفاصي منها ﴿هَلْ مِنْ مَّحِصٍ﴾: يقول عز وجل: فهل كان لهم منجى من الموت والهلاك إذ جاءهم أمرنا؟ ٣٧- ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ﴾: في هلاك القرون ﴿لَذِكْرٍ﴾: يتذكر بها ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: واع ينتفع به، قيل: والقلب في هذا الموضع: العقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: يقول عز وجل: أو أصغى لما يُخبر عن هذه القرون بسمعه فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم؟ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: متفهم لما يُخبر به، شاهد له بقلبه، غير غافل عنه. ٣٨- ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: من نصب، ولا إعياء. ٤٠- ﴿وَأَذْبَرَ الشُّجُورَ﴾: يقول عز وجل: وسبح بحمد ربك، أعقاب الصلوات. ٤١- ﴿يَوْمَ يَأْتِ الْمُنَادُ﴾: بصيحة القيامة ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: يجيئ يصل النداء إلى كل فرد من أفراد أهل المحشر. ٤٢- ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: يوم خروج أهل القبور من قبورهم. ٤٥- ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: وعيد للكفرة والمشركون ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾: بمُسَلِّط، يجبرهم ويقهرهم على الإيمان ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾: من يخاف الوعيد الذي أوعده من عصاني وخالف أمري.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

١- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا﴾: الرياح، يقال: ذرت الرياح التراب، تذروه ذرواً. وفي الرياح التي أقسم الله تعالى بها مُعْتَبَرٌ من شدتها حيناً ولينها حيناً، وكونها مرة رحمة ومرة عذاباً، إلى غير ذلك. ٢- ﴿فَالْحَمِلَاتِ قَرَّوًا﴾: السحاب التي تحمل وفراً، أي حملها من الماء. ٣- ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾: السفن التي تجري في البحر سهلاً يسراً. ٤- ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة التي تُقَسِّمُ أمر الملوك أو أمر الله عز وجل في خلقه من الأرزاق والآجال وغير ذلك. ٥- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم ﴿لَصَادِقٍ﴾: بمعنى: لكائن ولصديق. [٣٩، ٣٨] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٣٨ ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أخرج الحاكم

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ الشُّجُورَ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَمَّصِيرٌ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ﴿١﴾ فَالْحَمِلَاتِ قَرَّوًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّا لَذِينَ لَوْعٌ ﴿٦﴾

وصححه عن ابن عباس: أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمداين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاثة ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الآجال حتى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة»، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثم استوى على العرش»، قالوا: قد أصبت لو تخوفنا، فنزلت: ﴿فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ثم أخرج عن عمر مرسلاً مثله. [٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنًا وَرَعْيَا﴾ [مريم: ٧٤]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا﴾ [مريم: ٩٨]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦]. وكثيراً أهلكتنا قبل كفار قومك أيها الرسول من الأمم، كانوا أحسن متاعاً منهم وأجل منظرًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم الأولى، أمّا الثانية: وكثيراً أهلكتنا أيها الرسول من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحداً، وما تسمع لهم صوتاً، فكل ذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكتنا السابقين من قبلهم. وفي هذا تهديد ووعيد بإهلاك المكذبين المعاندين، أمّا آية ق: وأهلكتنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أمماً كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة... [٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ الشُّجُورَ﴾ [ق: ٤٠]، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ النُّجُومَ﴾ [الطور: ٤٩]. ما الفرق بين "إدبار" و"أدبار"؟ **الجواب:** الأدبار جمع دُبر بمعنى خلف، كما يكون التسييح دُبر كل صلاة، أي: بعد انقضائها، وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَيْسَ لَهُمُ الْاَذْدَارُ﴾ [١٥] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]، أما الإدبار فهو مصدر فعل أدبر، مثل أقبل إقبال، والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تدبر، أي: تغرب عكس إقبال. [٥-٦] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [٥] ﴿وَإِنَّا لَذِينَ لَوْعٌ﴾ [الذاريات: ٦]، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْعٌ﴾ [٧] مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ [الطور: ٨]، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوْعٌ﴾ [المرسلات: ٧]. ما موجب اختلاف العبارة عما وقع القسم عليه؟ وما جُوب به مع أن المراد بذلك كله الجزاء الأخروي؟ **والجواب:** أن سورة الذاريات تقدمها في سورة ق إخباره سبحانه بالعودة الأخروية، وإقامة البرهان على ذلك لمن وفق لاعتباره، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، إلى قوله: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَةٍ مَوْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، ثم أعقب بذكر مكذبي الأمم، وما حق عليهم من الوعيد الأخروي بعد أخذ كل منهم في الدنيا بذنبه، ثم استمرت أي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث وحصر أعمال المكلفين، وكتبها عليهم، مع علمه سبحانه بما توسوس به نفوسهم ووقوع الجزاء على ذلك، وغفلة المكذب عن ذلك كله حتى يكشف له الغطاء فيشاهد ما لم يكن يحتسبه، ثم أعقب بأمر نبيه ﷺ بالصبر والتزام ما أمره به، فلما اشتملت السورة على وعود ووعيد وجزاء أعقبت بالقسم على ذلك، من صدق وعده سبحانه ووعيده، ووقوع الحساب على الأعمال، فقال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا﴾ [الذاريات: ١] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [٥] ﴿وَإِنَّا لَذِينَ لَوْعٌ﴾ [الذاريات: ٥-٦]، وتناسب النظم في ذلك كله أبين تناسب. أما سورة الطور فالقسم فيها مرتبط بما اتصل به، ووقع عليه القسم من قوله تعالى خاتمة سورة الذاريات: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [٩] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠]، فأتبع قسمًا على هذا بقوله: ﴿وَالطُّورُ﴾ [الطور: ١] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْعٌ﴾ [٧] مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ [الطور: ٨]. وأما قوله في سورة = بالتاء على المخاطبة، أي: قل لهم يا محمد: هذا ما توعدون. [٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ الشُّجُورَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَذْبَرَ﴾ قرئ: (إدبار) بكسر الهمزة على أنه مصدر أدبر مضى، ونصب على الظرفية بتقدير زمان، أي: وقت انقضاء السجود. وقرئ: (أدبار) بفتحها جمع دبر وهو آخر الصلاة وعقبها، وجمع باعتبار تعدد السجود. [٤٤] ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَشَقَّقُ﴾ قرئ: (تشقق) بتشقيق الشين على أنه مضارع تشقق، وأصلها تشقق بتاءين، التاء الأولى للغائب؛ لأن الفاعل مؤنث مجازي، حذفت إحدى التاءين من أول الفعل تخفيفاً. وقرئ: (تشقق) بتشديد الشين على أن أصله تشقق =

قَالَ فَاخْطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾ فَاخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَتَرَكْنَاهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤١﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَتَوَلَّى رُكُودًا وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَجْنُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٥﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيسِ ﴿٤٦﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴿٤٧﴾ فَتَعَاوَنَ أَمْرُهُمْ فَعَصَوْا ﴿٤٨﴾ فَخَذَّ اللَّهُ لَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٩﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٥٠﴾ وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَتَسْقِينَ ﴿٥١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٢﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْدُودُونَ ﴿٥٣﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٦﴾

٣١- ﴿فَاخْطَبُكُمْ﴾: فما شأنكم. ٣٤- ﴿مُسَوِّمَةً﴾: مُعَلِّمة بعلامات تُعرف بها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: للمتعددين حدوده. و«المسرف» الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطلقاً فهو لأبعد غايات الكفر فما دونه. ٣٥، ٣٦- ﴿فَاخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾: في سدوم قرية لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: لوطاً وابنتيه عليه السلام ﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: بيت لوط. ٣٧- ﴿وَتَرَكْنَاهَا آيَةً﴾: عبرة وموعظة. ٣٨، ٣٩- ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحجة بينة. ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض وأدبر عمن أرسل به إليه ﴿رُكُودًا﴾: بقوته وجنده ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَجْنُونَ﴾: في حق موسى عليه السلام، وهذا من فرعون-كعادة كل فرعون- اللعين مغالطة وإيهام لقومه. ٤٠- ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: يعني: فرعون، و«المليم»: الذي يأتي ما يلام عليه. ٤١- ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: الشديدة التي لا تُلْقِح شجراً، ولا تحمل مطراً. ٤٢- ﴿الْأَجْعَلَتُهُ كَالرِّيسِ﴾: ما يبس من نبات الأرض. أو ما دبس من هذا النبات، والرمة: العظام البالية. ٤٤- ﴿فَتَعَاوَنَ أَمْرُهُمْ﴾: تكبروا وعلوا، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ﴾: العذاب فجأة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: وذلك أن ثمود وعدت بالعذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين، منتظرين له. ٤٧- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾: رفعناها سقفاً ﴿بِأَيْدٍ﴾: بقوة وشدة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: معناه: وإنا لَدَوو سعةً بخلقها، وخلق ما نشاء. لا نعجز عن ذلك، وقال ابن زيد: المعنى: لموسعون في بناء السماء. قلت: أو في الكون عامة منذ أن خلقه الله تعالى؛ بمعنى أنه يتمدد ويتسع، والله أعلم. ٤٨- ﴿فَنِعْمَ الْمَبْدُودُونَ﴾: نحن. يقال: مهدت الفراش: بسطته ووطأته. ٤٩- ﴿زَوْجَيْنِ﴾: نوعين مختلفين، كالسقاء والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والجن والإنس، والذكر والأنثى، ونحو ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تعتبرون. ٥٠- ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: ففرّوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به واتباع أمره. قال ابن عطية: فجمعت لظفة «فرّوا» بين التحذير والاستدعاء. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾: أنذركم عقابه.

[٣٢-٣١] ﴿قَالَ فَاخْطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾ فَاخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَتَرَكْنَاهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤١﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَتَوَلَّى رُكُودًا وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَجْنُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٥﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيسِ ﴿٤٦﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴿٤٧﴾ فَتَعَاوَنَ أَمْرُهُمْ فَعَصَوْا ﴿٤٨﴾ فَخَذَّ اللَّهُ لَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٩﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٥٠﴾ وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَتَسْقِينَ ﴿٥١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٢﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْدُودُونَ ﴿٥٣﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٦﴾

الذاريات: ٣١-٣٢]. تكررت هذه الآيات بالحجر والذاريات وهي تتحدث عن قصة هلاك قوم لوط وإنجاء المؤمنين منهم. [٥٠] ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. [الذاريات: ٥٠-٥١]. الفرار الأول من المعاصي إلى الطاعات، والإنذار فيه من عقوبة المعاصي، والإنذار الثاني من عقوبة الشرك، وللدلالة على أن الطاعات مع الشرك غير رافعة من العذاب عليه. [٢٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَاقْبَلْ أَمْرَاتِهِ فِي صَرْفِ فَصْكَتَ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَرَ كُتْبَهُ يَمِينَهُ، فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَأَكْتَبِي﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أَقْبَلْ - تَعَالَى - آتَى"؟ [الجواب: (أَقْبَلْ) أمر متعين طلباً للإقبال، ونهياً عن الإدبار المتلبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة) - راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان-. إذاً، (أَقْبَلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أَقْبَلْ) تكون خطاباً لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]. ولم يُقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ﴾ [القصص: ٣١]. أما (آتَى) (أَذْهَبَ) كقوله تعالى: ﴿أَنِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرق كبير بين كلمة (آتَى) وكلمتي (أَقْبَلْ) و(تعال). أما (هَٰؤُلَاءِ) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَأَكْتَبِي﴾ [الحاقة: ١٩]. وقد ذكر بعض اللغويين أن (هَٰؤُلَاءِ) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح من يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادل فرح، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظير، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. أمثلة قرآنية: أولاً- (أَقْبَلْ): ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، والطور: ٢٥]. ﴿وَالْعِزَّىٰ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: ٧١]. ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُوفُونَ﴾ [الصافات: ٩٤]. ثانياً- (تعال): ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَنَا وَابْنَاءَ كُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَنْبَأْكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَتَقْوُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥]. ثالثاً- (آتَى): ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]. رابعاً- (هَٰؤُلَاءِ): ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَرَ كُتْبَهُ يَمِينَهُ، فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَأَكْتَبِي﴾ [الحاقة: ١٩]. ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الاسراء: ٢٩]، ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠]. ما الفرق بين: "ملوم، مُلِيم؟" [الجواب: وردت كل من الكلمتين (ملوم، مُلِيم) مرتين في القرآن الكريم. (الملوم) هو الذي أتى فعلاً يستحق اللوم عليه، وليم عليه. أما (المُليم) هو الذي أتى فعلاً يستحق اللوم عليه، ولم يَلْم عليه. (هذا في القرآن) لكن معناهما واحدٌ في اللغة. ويوضح المعنى الثاني ما ورد عن فرعون حيث بُذِر وقومه في = [٤٤] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الصَّيْقَةُ﴾ قرئ: (الصَّيْقَةُ) بحذف الألف وسكون العين على وزن فعلة: أراد بها الصوت الذي يصحب الصاعقة. وقرئ: (الصَّاعِقَةُ) بالألف بعد الصاد وكسر العين، على إرادة النار النازلة من السماء للعقوبة. [٤٦] ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ﴾ قرئ: (وقوم) بجر الميم عطفاً على الهاء في ﴿وَتَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ كالتوابع أو على أحدها، وجعل في الأصل عطفه على ثمود أولى لقربه. وقرئ: (وقوم) بنصبها، أي: أهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه، ويجوز أن يكون عطفاً على مفعول وأخذناه، أو على معنى: فأخذتهم، أي: فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح.

٥٣- ﴿أَتَوْاصُوا بِهٖ﴾: أي: أكان أوصى الأول الآخر بالتكذيب؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: متعدون، طغاة عن أمر ربهم، أي: لم يتواصوا بذلك، بل جمعهم الطغيان. ٥٤- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم واطركهم حتى يأتيتك أمر الله فيهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار، فقد بلغت وأنذرت. ٥٥- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: ليقرؤوا بالعبودية طوعاً وكرهاً. ٥٦- ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: يرزقونه خلقي. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾: قيل: أن يطعموا أنفسهم، أو يطعموا أحداً من خلقي. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله. ٥٧- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: المتكفل بأقواتهم ﴿الْمَتِّينُ﴾: الشديد. ٥٨- ﴿ذُنُوبًا﴾: عنى به في هذا الموضع: خطاً ونصيئاً، و«الذنوب»: الدلو العظيمة إذا ملئت أو قاربت الملاء ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: فلا يستعجلون: مثل نصيب من كان على منهاجهم من الأمم قبلهم، من العذاب، فلا يستعجلونه.

سُورَةُ الطُّورِ

١- ﴿وَالطُّورِ﴾: والجبل الذي يدعى الطور، وقيل: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى. ٢، ٣- ﴿وَكُنْتِ مَسْطُورٍ﴾: مكتوب ﴿فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾: في صحيفة. ٤- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: الذي يعمر بكثرة غاشيته، أي من يدخله ويتعبد فيه، قيل: المراد الكعبة، وقيل: إنه بيت في السماء بحيال الكعبة من الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً. ٥- ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: يعني: السماء، سماها سقفاً لكونها كالسقف للأرض. ٦- ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: المملوء المجموع ماؤه وقيل: البحر المسجور: الموقد المحمي. ٧- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: كائن يوم القيامة لا محالة لمن يستحقه. ٨- ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: المور: الاضطراب والحركة. ٩- ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾: عن أماكنها، فتصير هباءً منبثاً. ١٠- ﴿فِي حَوْضٍ﴾: في فتنه واختلاط ﴿يَلْعَبُونَ﴾: غافلون، لا يذكرون حساباً، ولا يخافون عقاباً ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾: يدفعون بإرهاق وإزعاج. ١١- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: قوله تعالى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: أخرجه ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا، فنزلت: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فطابت أنفسنا. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ﴾.

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ ﴿أَتَوْاصُوا بِهٖ﴾: بل هم قوم طاعون ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: فما أنت بمالوم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: ليقرؤوا بالعبودية طوعاً وكرهاً ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: يرزقونه خلقي ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾: قيل: أن يطعموا أنفسهم، أو يطعموا أحداً من خلقي. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله. ٥٧- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: المتكفل بأقواتهم ﴿الْمَتِّينُ﴾: الشديد. ٥٨- ﴿ذُنُوبًا﴾: عنى به في هذا الموضع: خطاً ونصيئاً، و«الذنوب»: الدلو العظيمة إذا ملئت أو قاربت الملاء ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: فلا يستعجلون: مثل نصيب من كان على منهاجهم من الأمم قبلهم، من العذاب، فلا يستعجلونه.

٥٣- ﴿أَتَوْاصُوا بِهٖ﴾: أي: أكان أوصى الأول الآخر بالتكذيب؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: متعدون، طغاة عن أمر ربهم، أي: لم يتواصوا بذلك، بل جمعهم الطغيان. ٥٤- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم واطركهم حتى يأتيتك أمر الله فيهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار، فقد بلغت وأنذرت. ٥٥- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: ليقرؤوا بالعبودية طوعاً وكرهاً. ٥٦- ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: يرزقونه خلقي. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾: قيل: أن يطعموا أنفسهم، أو يطعموا أحداً من خلقي. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله. ٥٧- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: المتكفل بأقواتهم ﴿الْمَتِّينُ﴾: الشديد. ٥٨- ﴿ذُنُوبًا﴾: عنى به في هذا الموضع: خطاً ونصيئاً، و«الذنوب»: الدلو العظيمة إذا ملئت أو قاربت الملاء ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: فلا يستعجلون: مثل نصيب من كان على منهاجهم من الأمم قبلهم، من العذاب، فلا يستعجلونه.

= اليم وهو ملهم، فقد غرق هو وقومه ولم يبق منهم من يلومه على قبيح فعله، وتكذيبه لنبي الله موسى عليه السلام. ويونس - عليه السلام - حين التقمه الحوت ما وجد معه من يلومه. أمثلة: ملوم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. ملهم: ﴿وَإِنْ يُؤْسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الذاريات: ٤٠]. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. لماذا قدم الجن على الإنس بسورة الذاريات؟ **الجواب:** خلق الجن قبل خلق الإنس، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، فذكر الجن أولاً ثم ذكر الإنس بعدهم. ٤- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]. قال تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾، وهذا البيت هو كعبة أهل السماء، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزء من جنس العمل. ٢٢- ﴿كَأَلَّا سَكَتُكَ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَلَحْمٍ وَمَا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢]. ما الفرق بين: "مد وأمد"؟ **الجواب:** قصر القرآن الكريم دلالة (أمد) على (الخير) دائماً، بينما وردت كلمة (مد) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشر، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحسوب أو الخير. أما كلمة (أمد) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. ٢١- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ بالجمع وكسر التاء نصباً على المفعولية. وقرئ: بالتوحيد في "ذريتهم" مع نصب التاء مفعولاً أيضاً. وقرئ: واتبعتهم كذلك وذرياتهم كلاهما بالجمع مع رفع الأول على ما مرَّ (ذرياتهم) ونصب الثاني بالكسر مفعولاً ثانياً كما مرَّ. وقرئ: (وَاتَّبَعْنَاهُمْ) بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان التاء والعين ونون فألف، بعدها ذرياتهم بالجمع فيهما مع كسر التاء نصباً على المفعولية كما مرَّ. قوله تعالى: ﴿أَلَتْنَاهُمْ﴾ قرئ: (ألتناهم) بكسر اللام من ألت يألت، كعلم يعلم. وقرئ: (لتناهم) بإسقاط الهمزة، واللفظ بلام مكسورة كـ "بعناهم" يقال: لاته يليت، كباعه يبيعه. وقرئ: (التناهم) بإثباتها مع فتح اللام، وكلها لغات ثابتة بمعنى: نقص. ٢٨- ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ قرئ: (أنه) بفتح الهمزة على التعليل، أي: لأنه هو. وقرئ: (إنه) بالكسر على الاستئناف والابتداء، و"أن" حرف للتأكيد من الفتح لأن الكسر فيه معنى الإلزام أنه برّ رحيم على كل حال بالمؤمنين، والفتح فيه معنى فعل شيء لأجل شيء آخر، لأن دعاءهم إياه كان لأنه برّ رحيم بالمؤمنين. ٦- ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]. اشتعال قاع البحر: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن قاع البحر يشتعل بالنيران، وكلمة "المسجور" تفيد الاستمرار. فالبحر لا يزال منذ ملايين السنين يشتعل قاعه بنار تصل حرارتها لآلاف الدرجات المئوية وعلى الرغم من ذلك لا يتبخر الماء ولا تنطفئ النيران. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. ١٣- ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم) بمشتقاتها (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب) بمشتقاتها (٢٦) مرة في القرآن الكريم، وإذا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم) بمشتقاتها مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب) بمشتقاتها وكل ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. نزول سورة الطور: نزلت بعد سورة السجدة، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الطور: ثلاثمائة واثناعشرة. عدد حروف سورة الطور: ألف وخمسمائة. أسماء سورة الطور: سميت سورة الطور، لمفتحتها. مواضع سورة الطور: معظم مقصود السورة: القسم على عذاب الكفار، والإخبار عن ذلهم في العقوبة، ومنزلهم من النار، وطرب أهل الجنة بواب الله الكريم الغفار، وإلزام الحجّة على الكفرة الفجار، وإشارتهم قبل عقوبة العُقبي بعذابهم في هذه الدار، ووصية سيد رُسُل الأبرار بالعبادة والاصطبار.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِجِينَ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْهَمُ رِيْهُمُ وَوَقَّهْمُ رِيْهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُّوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا يَمَآ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوْهُمُ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ءَلَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لِّلنَّهْمِ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّائِشَتُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيْهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيْهَا وَلَا تَأْتِيْهُمُ ﴿٢٣﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ ءَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَتَى اللّٰهَ عِلْمًا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيْمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا يُجْنُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّضَ بِهِ رَبِّبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرِصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْصِيْنَ ﴿٣١﴾

(٥٢٤)

١٥- ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾؟: يقال لهم إذا وردوا جهنم: أفسح هذا اليوم الذي وردتموه الآن؟ ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: توبيخاً لا استفهاماً. ١٦- ﴿أَصَلُّوْهَا﴾: ذوقوا حرّها. ١٨- ﴿فَكِهِينَ﴾: عندهم فاكهة كثيرة. نظير قول العرب: رجل تامر: عنده تمر كثير ﴿بِمَاءٍ أَنْهَمُ رِيْهُمُ﴾: بإعطاء الله إياهم ذلك ﴿وَوَقَّهْمُ رِيْهُمُ﴾: دفع عنهم. ١٩- ﴿هَيْثَا﴾: الهنيء: ما لا تنغيص فيه، ولا نكد ولا كدر. ٢٠- ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدة سواد الحدقة. والعين «جمع عيناء» وهي العظيمة العين في حسن وسعة. ٢١- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوْهُمُ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ءَلَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لِّلنَّهْمِ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: فننقصهم من أجور أعمالهم شيئاً فنجعله لأبنائهم، ولكننا وفينا أجورهم، وألحقنا ذرياتهم بدرجاتهم، تفضلاً منا عليهم ﴿بِمَا كَسَبَ﴾: بما عمل من خير أو شر ﴿رَهِينَ﴾: مرتهن لا يؤخذ أحدٌ بذنب أحد. ٢٢- ﴿يَنْزِعُونَ﴾: يتعاطون، ويتعاورون هم وجلساؤهم ﴿كَأْسًا﴾: من الشراب - ولا يقال في فارغ «كأس»- ﴿لَا لَغْوٌ﴾: لا باطل ﴿فِيْهَا وَلَا تَأْتِيْهُمُ﴾: ولا فعل فيها يؤثم صاحبه. «والتائم» يلحق خمر الدنيا في نفس شربها، وفي الأفعال التي تكون من شربها. ٢٤- ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ﴾: في بياضه وصفائه ﴿مَّكَوْنٌ﴾: مصون في الصدف لم تمسه الأيدي. ٢٦- ﴿فِيْ ءَهْلِنَا﴾: في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله. ٢٧- ﴿فَمَنْ أَتَى اللّٰهَ عِلْمًا﴾: تفضل علينا ﴿وَوَقَّعْنَا﴾: دفع عنا ﴿عَذَابَ السَّمُورِ﴾: النار. ٢٩- ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا يُجْنُونَ﴾: فما أنت بإنعام الله تعالى عليك بالوحي والرسالة كاهن ولا مجنون، وكانت العرب قد عهدت ملابس الجنّ الإنس بهذين الوجهين. ٣٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّضَ بِهِ رَبِّبُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أن تكفيناه حوادث الدهر بموت أو حادثة متلفة. ٣١- ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْصِيْنَ﴾: من المنتظرين بكم حتى يأتي أمر الله فيكم.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّضَ بِهِ رَبِّبُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس: أن قريشاً لما

اجتمعوا في دار الندرة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون، حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء، زهير، والنابعة، فإنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّضَ بِهِ رَبِّبُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِجِينَ﴾ [١٥] ءَالِخِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ [الذاريات: ١٦]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِجِينَ﴾ [١٧] فكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْهَمُ رِيْهُمُ وَوَقَّهْمُ رِيْهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ [الطور: ١٨]. ما في سورة الذاريات متصل بذكر ما به يصل الإنسان إليها، وهو قوله: ﴿إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وفي الطور متصل بما ينال الإنسان فيها إذا وصل إليها، وهو قوله: ﴿كَلُّوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا يَمَآ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٩] مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ [الطور: ٢٠] الآيات. [٢٤] ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ﴾ [الطور: ٢٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ﴾. الغلام هو الطار الشارب، وقيل باستصحابه هذا الاسم إلى أن يشيب، والجمع غلمان. وأما الوليد فاسم للمولود حين يولد، وهو فعيل وهي بنه مبالغة، وفائدتها هنا استحكام الصغر، وجمعه ولدان، وعلى هذا لا يرادف أحد الاسمين الآخر. فإن ورد أحدهما في موضع الآخر فعلى المجاز والتوسع، والأصل ما مهد، وإذا تقرر هذا فوجه ورود الغلمان في سورة الطور والله أعلم مناسبة اللفظ باتساع واقعه في أحد القولين، وهي استصحاب اسم الغلومية إلى المشيب، أو لاحتياج التوسع فيما يطوفون به ويستخدمون فيه بحسب سنين عمرهم لمن تقدم من صنف المخدمين وهم الآباء والأبناء في قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوْهُمُ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ءَلَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لِّلنَّهْمِ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ﴾ [الطور: ٢١]، فذكر هنا الآباء الداخلين الجنة مجازاة على أعمالهم، والأبناء من الذرية ممن لم يبلغ سن التكليف فدخل الجنة بغير عمل، فناسب الاتساع. وأما آية الواقعة فلم يقع فيها ذكر الأتباع فناسب ذلك ذكر الولدان الذين لا تحتمل أعمارهم مثل خدمة الغلمان، فناسب الاقتصار الاقتصار، والتوسع التوسع، ووضح أن العكس لا يناسب، والله أعلم. ووصف الولدان بقوله: "مُخَلَّدُونَ" إعلاماً بأنهم باقون على مقتضى سن الوليدية لا تتغير أحوالهم عن ذلك، وإلا فالخلود الأخروي عام لهم ولغيرهم. قول آخر: وهو أنه لما ذكرت الذرية في سورة الطور بما كان يومهم ذكرهم من حيث دخولهم الجنة بغير عمل أنهم فيها خدام لمن اتبعوه بين قوله تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾ [الطور: ٢٤]، أن الكل من تابع ومتبوع مخدمون، وقيل: "لهم" باللام المقضية الملك مع كون الضمير في لهم للكل من متبوع وتابع إشعاراً بأنهم ملكهم غلمان لهم، يتصرفون في كل بما يؤمرون به وينهون عنه، ولما لم يقع في سورة الواقعة وسورة الإنسان ذكر الأتباع من الذرية لم يرد فيهما إلا اسم الولدان، وهم في الخدمة بمقتضى صغر عمرهم دون الغلمان، وتناسب هذا، والله أعلم. [١٨] ﴿وَوَقَّهْمُ رِيْهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿وَوَقَّهْمُ رِيْهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]. لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: يتفكّهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ المختلفة، ونجّاهم الله من عذاب النار. [١٩] ﴿كَلُّوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا يَمَآ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩]، المرسلات: [٤٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الطور والمرسلات، وهي تبين نعيم المؤمنين في الجنة حين يقال لهم: كلوا طعاماً هنيئاً، واشربوا شرباً سائغاً؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا. [٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧]، الطور: [٢٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصفات والطور، وآية الصفات في حق الكافرين يوم القيامة، وأنه يقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون في هذا اليوم، وآية الطور في حق أهل الجنة، وأنهم يسألون بعضهم بعضاً عن عظيم ما هم فيه وسببه.

[٢٣] ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿يَنْزِعُونَ فِيْهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيْهَا وَلَا تَأْتِيْهُمُ﴾ [الطور: ٢٣]. ما الفرق بين: "إِثْمٌ وَأَثَامٌ وَتَأْتِيْمٌ"؟ الجواب: الإثم: هو مصدر الفعل (أُثِمَ) وهو ناتج الفعل الخطأ الذي يعاقب عليه مرتكبه. والآثم: هو الإثم المضاعف، وتأْتِيْمٌ: مصدرُ الفعل الرباعي المشدّد (أُثِمَ)، ومعناه: سبب له الإثم. [٢٤] ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾ [الطور: ٢٤]. قال تعالى في وصف خدم الجنة: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾، قيل هذا شأن الخادم، فما شأن المخدم؟! [٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ ءَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]. قال بعض السلف: (لأن تصحب أناساً يخوفونك حتى تترك الأمن، خير من أن تصحب أناساً يؤمنونك حتى تترك المخاوف). [٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيْمُ﴾ =

٢٧- ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾: لأنهم يقولون: الملائكة بنات الله! ويصفون الملائكة بأوصاف الأنوثة. ٢٨- ﴿إِنْ يَنْعَمُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: أي: ما يتبعون في هذه المقالة إلى مجرد الظن والتوهم، وليس لهم في ذلك حجة ولا برهان. ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَصِفُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: قيل: الحق هنا: العلم. والمراد: أن الغيبات والمعتقدات لا تنفع فيها الظنون. ٢٩- ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾: عن اتباع القرآن فلم يرصه حكماً ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي أنه لا يصدق بغيرها، وسعيه وعمله إنما هو لدنياه. ٣٠- ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أي إن قصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم، ليس لهم غيره، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين والعاقبة. ٣١- ﴿كَبُرَ الْإِثْمُ﴾: الشرك بالله، وسائر السبع الموبقات. أو التي توعدها الله عليها بالنار. ﴿وَالْفَوَاحِشُ﴾: الزنا وما أشبهه مما أوجب فيه حداً ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: قيل: أن يُلْمَ بالذنوب ثم ينزع عنه ويتوب. وقيل: اللطم: ما قلَّ وصغُر، والمراد: الصغائر من الذنوب. ﴿إِذْ أَنْشَأَ كُورَ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أحدثكم منها بخلق أبيكم آدم ﴿أَجْنَةً﴾: حمل لم تولدوا ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا تبرئوها من الآثام، وتثنوا عليها. ٣٣- ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾: أدير عن الإيمان وأعرض. ٣٤- ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾: من ماله صاحبه ﴿وَأَكْدَى﴾: عاسره، وقيل: قطع عطاءه. ٣٨- ﴿الْأَنْزُرَ وَارِدَةً﴾: نفس حاملة ﴿وَزُرْأُخْرَى﴾: إثم حاملة أخرى، بل كل نفس إثمها عليها. وذكر الله تعالى أن هذا في صحف إبراهيم وموسى. ٣٩- ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾: لا يجازى عامل إلا بعمله. ٤٠- ﴿وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾: أي يُعرض عليه ويكشف له يوم القيامة. ٤٢- ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾: انتهاء جميع خلقه ومرجعهم، إليه سبحانه، لا إلى غيره، فيجازيهم بأعمالهم: ٤٣- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكُ﴾: أهل الجنة بدخولهم إياها ﴿وَأَنْتَكِ﴾: أهل النار في النار. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا، وأبكى من شاء أن يبكيه. [٣٢] قوله تعالى: ﴿هُوَ أَفْهَمُ يَكُونُ إِذْ أَنْشَأَ كُورَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أخرج الواحدي، والطبراني، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ثابت بن الحرث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول: إذا هلك لهم صبي صغير هو

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّطَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَفْهَمُ يَكُونُ إِذْ أَنْشَأَ كُورَ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ تَقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ رِيءٌ ﴿٣٥﴾ أَلَمْ تَلَمْ يَبْنِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ الْأَنْزُرَ وَارِدَةً وَزُرْأُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكِي وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٣﴾

فأنزل الله عند ذلك هذه الآية ﴿هُوَ أَفْهَمُ يَكُونُ إِذْ أَنْشَأَ كُورَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [٣٢ - ٤١] قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي ﷺ خرج في غزوة فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه، فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئاً فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي فقال له: نعم، فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ والآيات. وأخرج عن دراج أبي السميع قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله فقال: لا أجد ما أحملك عليه فانصرف حزينا، فمر برجل رحاله منيخة بين يديه، فشكا إليه فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسنتك فقال: نعم فركب، فنزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلاً أسلم فلقية بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار قال: إني خشيت عذاب الله، قال: أعطني شيئاً وأنا أحمل كل عذاب كان عليك، فأعطاه شيئاً فقال: زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئاً وكتب كتاباً، وأشهد له، ففيه نزلت هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ [٣٢] ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّطَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ...﴾ [النجم: ٣٢]. والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فحش وقبح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على من أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلباً لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق، فهذا ما دلت عليه آية الشورى، أما آية النجم: والذين يتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللطم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلتمس بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة...

[٢٧] ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» عدد (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» تساوي عدد مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوي أيضاً (٨٨) مرة. [٢٩] ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً في القرآن الكريم (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعاً. [٣٦] ﴿صُحُفِ مُوسَى﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماءهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرر بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إيلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، صالح (ناقة الله): ١٦، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي ومشتقاتها، والبشير ومشتقاتها، ونذير ومشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذاً: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة. إذاً يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة.

= أنواع الحجة على وجود الصانع، والإشارة إلى أحوال من أهلكوا من القرون الماضية، والتخويف بسرعة مجيء القيامة، والأمر بالخضوع والانقياد لأمر الحق تعالى.

٢٨- ﴿وَنَبِّهَهُمْ﴾: أخبرهم ﴿أَنَ الْمَاءَ قَسَمَةً يَبْتَهُمْ﴾: وذلك أن الناقة كانت ترد الماء يوماً، وتغيب يوماً، أي لا تشرب في اليوم التالي ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُحْضَرٌ﴾: كل حظ من الماء يوماً، ومن لبن الناقة يوماً «محضر» أي: كانوا يحضرون الماء إذا غبت. فإذا حضروها عمتهم لبناً. ٢٩- ﴿فَادَاوَا صَاحِبَهُمْ﴾: عاقر الناقة، وحضوه على عقرها ﴿فَعَاطَى فَعَقَرُ﴾: فتناول الناقة بيده فعقرها. أو اجترأ على تعاطي أسباب العقور فعقر. وقيل: إن اسم عاقر الناقة: قُدار بن سالف. ٣١- ﴿صِيحَةً وَحِيدَةً﴾: يروى أن جبريل عليه السلام صاحبها في طرف من منازلهم، فتفتوا وهمدوا، وصاروا كهشيم المحتظر. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرٍ﴾: كَيْسَ الشجر ﴿الْمَحْظَرِ﴾: صاحب الحظيرة؛ يقال: احتظر على غنمه: إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض. ٣٤- ﴿حَاصِبًا﴾: حجارة حصيهم أي رماهم بها. ﴿يَسْحَرِ﴾: السحر: آخر الليل. ٣٦- ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾: حذرهم عقابنا ﴿فَتَمَارَوْا﴾: شكوا في الإنذار ولم يصدقوا. ٣٧- ﴿فَنَلَمَسْنَا أَتْيَهُمْ﴾: صيرها ممسوحة لا يرى لها شيق، فلم يروا الرسل، ورجعوا عنهم. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها. ٣٨- ﴿بُكْرَةً﴾: عند طلوع الفجر ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾: استقر بهم إلى نار جهنم. ٤٣- ﴿أَنَّا لَكُمُ بَرَكَةٌ﴾: من عذاب الله معشر قريش أن يصيبكم بكفركم ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ في كتب الله. ٤٥- ﴿سَيِّئُهُمُ الْجَمْعُ﴾: جمع كفار قريش ﴿وَيُؤَلِّوْنَ الْدُبُرَ﴾: وكان ذلك يوم بدر. ٤٦- ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: للبعث والعقاب ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمَرُ﴾: عليهم من الهزيمة التي يهزمون بها، عند التقائهم مع المؤمنين ببدر. ٤٧- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكفار ﴿فِي صَلَائِلٍ وَسُعُرٍ﴾: في حيرة وفقد هدى في الدنيا، وفي احتراق وتسعر في الآخرة. ٤٨- ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾:

﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضُلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنْ أَتَاكُمْ شَيْءٌ خَلَقْتَهُ بَقْدَرٍ ﴿٤٩﴾

٥٣٠

يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَتُزَلَّتْ: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضُلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَتَاكُمْ شَيْءٌ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ = بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ، وَجَارِيًا مَعَ هَذَا التَّنْوِيعِ مِنْ امْتِحَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَمَّا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ حَالِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ صَالِحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ مِثْلَ هَذَا التَّنْوِيعِ لَمْ يَتَكَرَّرْ مَا وَرَدَ فِي أَعْقَابِ قِصَصِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، وَتَنَاسَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ أَتَمَّ مَنَاسِبَةً. قَوْلٌ آخَرُ: إِنَّ سَبَبَ تَكَرُّرِ الْآيَةِ يَحْتَمِلُ وَجُوهًا: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَوَّلَ: وَعِيدَ لَهُمْ بِمَا تَقْدُمُ لَغَيْرِهِمْ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَالثَّانِي: لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ. الثَّانِي: أَنَّ الْأَوَّلَ: أُرِيدَ بِهِ عَذَابُ الدُّنْيَا، وَالثَّانِي: أُرِيدَ بِهِ عَذَابُ الْآخِرَةِ، وَعَبَّرَ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ. الثَّلَاثُ: أَنَّ الْأَوَّلَ: فِيهِ حَذَفُ مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ: فَكَيْفَ كَانَ وَعِيدَ عَذَابِي، وَالثَّانِي: أُرِيدَ بِهِ نَفْسَ الْعَذَابِ بَعْدَ وَقُوعِهِ. ﴿٢٥﴾ ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنَيْنَا﴾ [ص: ٨]، ﴿أَتَلَقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ﴾ [القمر: ٢٥]. قَوْلُهُ تَعَالَى فِي: ص: "أَنْزَلَ"، وَفِي الْقَمَرِ: "أَتَلَقَى"؛ لِأَنَّ مَا فِي صِ حِكَايَةِ عَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَتَنَاسَبَ التَّعْبِيرُ بِهِ لَوُقُوعِهِ إِنْكَارًا لِمَا قَرَأَهُ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا بَلِسِنَّتِ وَالزُّبُرُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وَمَا فِي الْقَمَرِ حِكَايَةَ عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ، وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ تَلْقَى إِلَيْهِمْ صَحُفَ مَكْتُوبَةٍ، فَتَنَاسَبَ التَّعْبِيرُ بِ"أَتَلَقَى"، وَقَدْ تَمَّ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ عَلَى الذِّكْرِ، مُوَافَقَةً لِمَا قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمُنْكَرِينَ، وَعَكْسُ فِي الْقَمَرِ جَرِيًا عَلَى الْأَصْلِ، مِنْ تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ بِلا واسطة عَلَى الْمَفْعُولِ بِوَاسِطَةٍ. ﴿٤٧﴾ ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤]، ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضُلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ [القمر: ٤٧]. إِنَّ الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الذُّنُوبَ بِكُفْرِهِمْ، فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ مَا كُنُوا، فَهَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الزَّخْرِفِ، أَمَا آيَةُ الْقَمَرِ: إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي تِيهِ عَنِ الْحَقِّ وَعَنَاءَ وَعَذَابِ.

= تأت مسبوقه بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلاً: ﴿ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ [الأعراف: ٦١]. [٢٧] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّافَةِ فَنَنَّهُ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ [القمر: ٢٧]. ما الفرق بين: "اصبروا وصابروا واصطبر"؟ **الجواب:** وردت كلمة (اصبروا) ست مرات في القرآن الكريم.. ووردت كلمة (صابروا) مرة واحدة فقط. ووردت كلمة: (اصطبر) ثلاث مرات. فما حكمة التنوع بين الصيغ الثلاث؟ **الجواب:** أن الصبر: هو الدرجة الطبيعية في التحمل. أما المصابرة: فهي درجة أعلى من التحمل تأتي بعد الترويض والمجاهدة قال أبو السعود: المصابرة درجة أعلى من الصبر يبلغ بها المؤمنون في رياضة النفس ما لا يبلغه غيرهم من الناس. فمن الطبيعي إذاً أن تأتي صيغة (اصبروا) ثم بعدها (صابروا) وليس العكس. أما (اصطبر) فهي على وزن (افتعل) من صبر: أي فعل. وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى. فالاصطبار هو درجة أعلى من الصبر. والفرق بين الاصطبار والمصابرة أن الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصرفي وفي صيغتها معاني التحمل، واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر مما تحمله الثانية في وزنها وصيغتها، فالافتعال فيه معنى الشدة، والمفاعلة فيها معنى المطاولة والتتابع والاستمرار. [٢٥] ﴿ وَمَنْ هُوَ كَذَّابٌ وَارْتَقِبْوا ﴾ [هود: ٩٣] ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴾ [القمر: ٢٥]. ما الفرق بين: "كاذب وكَذَّاب"؟ **الجواب:** وردت كلمة (كاذب) أربع مرات، بينما وردت كلمة (كَذَّاب) خمس مرات. وردت كلمة (كَذَّاب) وهي من صيغ المبالغة على وزن (فَعَّال) في المواطن التي اقضت تأكيد صفة الكذب، على العكس من كلمة (كاذب)، وهي اسم فاعل والتي تستخدم في الإخبار - فقط - عن صفة الكذب دونما مبالغة. مثال: قال تعالى: ﴿ وَعِجْرَانُ جَاءَهُمْ مُنْذِرَاتُهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤]، [٢٦] ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ قرئ: (ستعلمون) بناء الخطاب على معنى: قل لهم ستعلمون غداً. وقرئ: (سيعلمون) ببناء الغيبة لأن قبله لفظ غيبة وهو: ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدَا ﴾ وفي القراءتين معنى التهديد والتخويف والتهديد مع المخاطبة. [٣٤] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا جِئْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ **إعجاز عددي:** ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات. ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات. ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات. ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات. ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات. ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات. ٨- ذكر (الرب) في كتاب الله (٥) مرات. ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله تعالى.

٥٠- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾: أي: إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها ولا تأخير.
٥١- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: من كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر. ٥٢- ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: في كتب الحفظ عليهم. وقيل: في أم الكتاب. ٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأشياء ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾: مثبت في الكتاب مكتوب. ٥٥- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

٢- ٤- ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: خلق الإنسان: قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان، إشارة إلى المنهج الذي يصلح له، والذي يجدر به أن يسير عليه، وليعلم الإنسان أنه إنما خلقه للدين، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان، وهو المنطق، فقال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: أي الكلام، وقيل: المراد به اللغات. ٥- ﴿حُسْبَانٍ﴾: بحساب، ومنازل يجريان لها ولا يعدونها. ٦- ﴿وَالنَّجْمِ﴾: قيل: المراد به نجم السماء. وقيل: النجم: كل ما نجم من نبات الأرض فانبط علىها، ولم يكن له ساق. ﴿وَالشَّجَرِ﴾: ما قام على ساق. ٧- ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: العدل بين خلقه في الأرض. ٩- ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾: أقيموا الميزان بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: لا تنقصوا الوزن. ١٠- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: وطأها للخلائق. ١١- ﴿ذَاتِ الْأَكْمَامِ﴾: ذات اللب الذي يكون عليها. وقيل: الكم: وعاء الطلع وغطاء الثور. ١٢- ﴿وَالْحَبِّ﴾: حب الشعير والبر، وسائر ما يقتات به من الحبوب ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: ذو الورك والتمن. ﴿وَالرَّيْحَانَ﴾: الحب الذي يؤكل منه، عنى به الرزق. قيل: وهو اللب. وقيل: إنه الريحان الذي يشم. ١٣- ﴿فَيَايَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: بأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان. وقيل في تفسير «الآء»: إنها الدلائل والفعال العجيبة. وقيل: هي القدرة. ١٤- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: آدم عليه السلام ﴿مِّن صَلَاسِلٍ﴾: من طين يابس لم يطبخ، فله من يسه صلصلة إذا حرك. ١٥- ﴿مِّن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: من لب النار ولسانه وأحسنه.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ ٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ سَجْدَانِ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَكِكُهُمُ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ فَيَايَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ١٤ مِّن صَلَاسِلٍ ١٥ فَيَايَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦

٥٣١

[١٣] ﴿فَيَايَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: تكررت هذه الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة: ثمان منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبع منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآء عقبها؛ لأن من جملة الآء دفع البلاء، وتأخير العقاب، وبعد هذه السبع ثمان في وصف الجنة وأهلها بعدد أبواب الجنة، وثمان أخرى بعدها في الجنة اللتين هما دون الجنة الأوليين، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]، فمن اعتقد الثماني الأولى، وعمل بموجها استحق هاتين الثمانين من الله، ووقاه السبع السابقة. ويضاف إلى ما سبق ما قيل من أن المقصود بذلك التكرير التنبيه على شكر نعمة الله تعالى، والتوكيد له.

= فجاءت كلمة (كُذِّبَ) في هذا السياق على لسان الكافرين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فجاءوا بوصف النبي ﷺ الذي أرسل إليهم بهذه الصفة مبالغين فيها ومؤكدين لمعناها بصيغة المبالغة (كُذِّبَ)، وليست (كاذب). كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ﴾ [٣٣] فَقَالُوا أَإِذَا بُرِّئُوا وَجَدُوا نَبِيَّهُمْ إِذَا لَقِيَ ضَلِيلٌ وَسُعِّرُ ٢٤ أَلَيْسَ الَّذِي كُذِّبَ عَلَيْهِ مِنْ نَبِيٍّ بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ [القمر: ٢٣ - ٢٥]. حيث وصف قوم ثمود نبهم صالحاً بهذه الصفة البذيئة مبالغين ومؤكدين بصيغة المبالغة (كُذِّبَ) بدل (كاذب)، وهكذا أتت (كُذِّبَ) الدالة على المبالغة وشدة التوكيد في كل المواضع القرآنية التي اقتضت ذلك. على العكس من الصيغة الأخرى (كاذب) التي لا تدل إلا على مجرد الإخبار عن هذه الصفة دون توكيد ولا مبالغة. مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]. [١-٣] ﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ [الرحمن: ٣]، ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق: ٥]. لماذا قدم التعليم على الخلق في الرحمن، وقدم الخلق على التعليم في العلق؟ **الجواب:** سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن، ولم يكن القرآن، معهوداً للنبي ﷺ ولا لغيره، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل لما نزل بها: لست بقارئ، وسورة الرحمن نزلت بعد معرفة القرآن وشهرته عندهم، فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة اقرأ أنسب من القرآن الذي لم يعهده، وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي نعرفه والمنة به في سورة الرحمن أنسب لسبب ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد. [٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]. ما الفرق بين: "حساب، حُسبان"؟ **الجواب:** وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعاً وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسبان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. وردت كلمة (حساب) بثلاثة معان، هي: ١- الفصل والجزاء في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يشغله حساب بشر عن حساب آخر. = [١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قرئ: (والحب-العصف-والريحان) بالنصب في الثلاثة على إضمار فعل، أي: أخص، أو خلق، أو عطقاً على الأرض و"ذو" صفة لحب. وقرئ: برفع الأولين، أعني: (والحب-العصف) وجر (الريحان) عطفاً على العصف. وقرئ: (والحب-العصف-والريحان) بالرفع في الثلاثة عطفاً على المرفوع قبله، أي: وفيها فاكهة وفيها "الحب" و"ذو" صفته.

نزول سورة الرحمن: نزلت بعد سورة الرعد، وهي مكية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الرحمن: ثلاثمائة وإحدى وخمسون. عدد حروف سورة الرحمن: ألف وثلاثمائة وستة وثلاثون. أسماء سورة الرحمن: سميت بسورة الرحمن؛ لمفتتحها. مواضع سورة الرحمن: معظم مقصود السورة: المنة على الخلق بتعليم القرآن، وتلقين البيان، وأمر الخلاق بالعدل في الميزان، والمنة عليهم بالعصف والريحان، وبيان عجائب القدرة في طينة الإنسان، وبدائع البحر، وعجائبه: من استخراج اللؤلؤ والمرجان، وإجراء الفلك على وجه الماء أبدع جريان، وفناء الخلق وبقاء الرحمن، وقضاء حاجات المحتاجين، وأن لا نجاة للعبد من الله إلا بحجة وبرهان، وقهره الخلاق في القيامة بلهب النار والدخان، وسؤال أهل الطاعة والعصيان، وطوف الكفار في الجحيم، ودلال المؤمنين في نعيم الجنان. ومكافأة أهل الإحسان بالإحسان، ونشاط المؤمنين بأزواجهم من الحور الحسن، وتقلبهم وزودهم في رياض الرضوان، على بساط الشاذروان، وخطبة جلال الحق على لسان أهل التوحيد والإيمان.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يَتَّخِذَانِ ﴿٢٠﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهِمَا قَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَيْنَ وَجْهِ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَلَا يَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرُونَ ﴿٣٥﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيكًا تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾

٥٢٢

١٧- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: قيل: هما مشرق الشمس والقمر. و﴿الْمَغْرِبَيْنِ﴾: كذلك. ٢٠، ١٩- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أرسل وخلّى ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: أي يتجاور البحر الملح والبحر العذب لا فصل بينهما في مرأى العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْخٌ﴾: حاجز وبعد، وكل شيء بين شيئين عند العرب فهو برزخ. ﴿لَا يَتَّخِذَانِ﴾: لا يختلطان، ولا يفسد أحدهما صاحبه. قال ابن عطية: وذكر الثعلبي في (مرج البحرين) الغازاً وأقوالاً باطنة لا يجب أن يلتفت إلى شيء منها. ٢٤- ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السفن الجارية في البحار ﴿الْمُنشَآتُ﴾: المرفوعات القلاع اللاتي تقبل بهن وتُدبر ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: كالجبال. ٢٧- ﴿وَبَيْنَ وَجْهِ رَبِّكَ﴾: الوجه: عبارة عن ذاته سبحانه. و﴿الجلال﴾: العظمة والكبرياء. ٢٩- ﴿يَسْأَلُهُ﴾: يفرغ إليه بمسألة الحاجات. ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا غنى بأحد منهم عنه سبحانه ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يعني عز وجل: في شأن خلقه، فيجيب داعياً، ويشفي سقيماً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين. ٣١- ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾: سنحاسبكم، يا معشر الجن والإنس. وهو وعيد من الله عز وجل، ليس بالله شغل. ٣٣- ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا﴾: تموزوا وتخرجوا من جوانب السموات والأرض ونواحيهما فافعلوا. فإنكم لا تموزون ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾: أي بقوة وقدرة. وهذا استبعاد لقدرتهم على النفاذ، ولكن لو وقع هذا على سبيل الفرض لأرسل عليكم. ٣٥- ﴿شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجج من غير دخان ﴿وَنَحَّاسٌ﴾: قيل: هو الدخان. وقيل: هو الصفر المذاب يُصب على رؤوسهم ﴿فَلَا تَنْصَرُونَ﴾: لا تقدران على الامتناع من عذاب الله. ٣٧- ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: كان لونها أحمر ﴿كَالدِّهَانِ﴾: المعنى: تصير السماء في حمرة الورد، وجريان الدهن، أي تدوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من الحرارة، وتصير مثل الدهن لذوبانها. ٣٩- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾: لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض.

١٧ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]،

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. لم كرر ذكر الـ"رب" هنا دون سورتي المعارج والمزمل؟ **الجواب**: كره هنا تأكيداً، وخص ما هنا بالتأكيد؛ لأنه موضع الامتنان، وتعديد النعم؛ ولأن الخطاب فيه مع جنسين: هما الإنسان والجن، بخلاف ذنك. [٣٣] ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [الرحمن: ٣٣]. قدم في الأولى الإنسان وقدم في الثانية الجن؛ لأن مضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن، ولا شك أن مدار التحدي على لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته. والإنس في هذا المجال هم المقدمون، وهم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان، فإتيان ذلك من قبلهم أولى، ولذلك كان تقديمهم أولى ليناسب ما يتلاءم مع طبيعتهم، أما الآية الثانية فإن الحديث فيها عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، ولا شك أن هذا هو ميدان الجن لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية، وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعُ﴾ [الجن: ٩]، فلذلك قدم الجن على الإنسان؛ لأن النفاذ مما يناسب خواص الجن وماهية أجسامهم أكثر من الإنسان. ٢- الإحصاء والعد، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّعَلَّمُوا عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحِسَابُ﴾ [يونس: ٥]. ٣- نفي المحاسبة، حيث لا عد ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي يجري عليه الرزق متدفقاً، وكأنه لا يُعد ولا يُحصى. أما كلمة (حساب) فلها معنى واحد وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئاً مدمراً محسوباً حساباً دقيقاً مضبوطاً. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب). [٧-٩] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]. ﴿لَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]. لماذا كرر لفظ "الميزان" في ختم الآيات الثلاث؟ **الجواب**: أن ذلك توكيد في إيفاء الحقوق وعدم التطفيف، لفرط الحاجة إليه في المعاملات الجارية بين الناس. [١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. يأتي الله بالشمس من المشرق، ويأذن لها سبحانه أن تغرب من المغرب بعد أن تسجد تحت العرش، ألا وإن مما وصف الله به نفسه وأثنى به على ذاته العلية أنه رب المشرق =

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾ قرئ: (يُخْرَجُ) بضم الياء وفتح الراء مبنيًا للمفعول. وقرئ: (يَخْرُجُ) بفتح الياء وضم الراء مبنيًا للفاعل على المجاز؛ لأنه إذا أخرج فقد خرج. [٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ قرئ: (المنشآت) بكسر الشين اسم فاعل من أنشأ: أوجد، أي: منشيء الموج أو السير، أي: المنشآت الموج أو السير على الاتساع، أو من أنشأ: شرع في الفعل، أي: المبتدآت أو الرافعات الشراع. وقرئ: (المنشآت) بالفتح اسم مفعول، أي: أنشأ الله أو الناس، أي: فعل بها الإنشاء؛ لأنها لم تفعل شيئاً بل غيرها أنشأ. [٣١] ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ﴾ قرئ: (سيفرغ) بـالياء على أنه مسند إلى ضمير اسم الله تعالى المتقدم في قوله ﴿وَجْهَ رَبِّكَ﴾ وقرئ: (سيفرغ) بالنون على أنه مسند للمتكلم العظيم، إخبار من الله جل ذكره عن نفسه، ومعنى الفراغ في الآية: القصد؛ وليس معناه الفراغ من الشغل، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. [٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿شَوَاظٌ﴾ قرئ: (شواظ) بكسر الشين. وقرئ: (شواظ) بضمها وهما لغتان فيها، وهو: اللهب. قوله تعالى: ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ قرئ: (ونحاس) بخفض السين عطفاً على نار. وقرئ: (ونحاس) برفع السين عطفاً على شواظ. [١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يَتَّخِذَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

التقاء البحرين: لقد تبين من خلال الدراسات الحديثة أن لكل بحر صفاته الخاصة به، والتي تميزه عن غيره من البحار كشدة الملوحة ووزن الماء، حتى لونه الذي يتغير من مكان إلى آخر بسبب التفاوت في درجة الحرارة والعمق وعوامل أخرى، والأغرب من هذا اكتشاف الخط الأبيض الدقيق الذي يرسم نتيجة التقاء مياه بحرين ببعضهما، وهذا تماماً ما ذكر في الآيتين السابقتين. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية أنها تتحدث عن بحرين متجاورين متداخلين، ويحتفظ كل منهما بخصائصه، وكأن بينهما حاجزاً يمنعهما من الاختلاط، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. [٣٧] ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٤١- ﴿سِيمَهُمْ﴾: بأسوداد وجوههم، وزرقة عيونهم. ﴿فَوَاحِشٌ بِأَلْقَامٍ﴾: الناصية: شعر مقدم الرأس، يقول: فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم، فتقذفهم في النار. ٤٤- ﴿يَطْوُونَ يَدَيَّهَا﴾: يطوف هؤلاء المجرمون بين أطباقها ﴿رَبِّينَ حَمِيمٍ﴾: ماء قد أسخن وأغلي ﴿عَانٍ﴾: من نعت «حميم»، وهو ما اشتد غليانه، حتى بلغ غايته. ٤٦- ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾: المقام: وقوف العبد بين يدي ربه تعالى، يفسره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] وأضاف المقام إلى الله تعالى من حيث هو بين يديه. وقيل: هو الرجل يهيم بالذنب فيذكر مقامه بين يدي ربه، فيدعه. ٤٨- ﴿ذَوَاتًا أَفْنَانًا﴾: ألوان، واحدها فنٌّ. ويحتمل أن يكون جمع فَنَن، وهو الغصن، فكانه تعالى مدحها بظلالها وتكاثف أغصانها. ٥٤- ﴿بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ﴾: من غليظ الديباج، فما ظنكم بالظواهر؟ ﴿وَحَى الْجَنَيْنِ﴾: ثمر الجنتين الذي يُجنى ﴿دَانٍ﴾: قريب. وقيل: إن الشجرة تدنو حتى يجنيها من يريدها. ٥٦- ﴿فَقَصَرْتُ الْأَظْرَفَ﴾: نساء قد قصرت عَفْتُهُنَّ طَرَفَهُنَّ على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال، ﴿لَمْ يَطْمَئِنَّ﴾: لم يمسسهن. ٦٢- ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: أي أقل من هاتين الجنتين المذكورتين في الدرج والفضل. ٦٤- ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾: مسودتان من شدة خضرتهما ورَّيْهما. ٦٦- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا﴾: فوارتان تنضخان بالماء. [٤٦] قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار، فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر تأتي عليَّ بهيمة تأكلني، وأنني لم أخلق، فنزلت: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شاذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق. = والمغرب، وهذان اللفظان المخبران عن الجهتين العظيمتين المعروفتين جاء في القرآن على صورة المفرد والمثنى والجمع، وكل سياق من ذلك كان قطعاً متفقاً مع نسق الآية الكريمة، ولنتأمل: لمَّا ذكر الله في سورة المزمل وجوب الانقطاع إليه وحده، ووجوب التوكل عليه

يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِي
 ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ذُرَاةَا أَفْنَانٍ ﴿٤٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ فِيهِمَا عِثَارَانِ
 تَجْرِيَانِ ﴿٤٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهِمَا سَائِرَاتُ فَلَاحِفُهُ
 رَوْحَانِ ﴿٤٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرْفِ لَمْ يُطْمِئِنَّ إِلَاسٌ فَبَآهَهُ
 وَلَا جَانٌ ﴿٥٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ فِيهِمَا
 مُدْهَاتَانِ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ فِيهِمَا
 عِثَارَانِ مُضَاحَتَانِ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾

سبحانه دون سواه قال تباركت أسماؤه: ﴿وَأَذْكُرْ أَنْتُمْ رَبَّكَ وَتَسْتَلِ إِلَيْهِ تَبَتُّلًا﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿[المزمل: ٨-٩]﴾، فانظر كيف أفرد وهو يتحدث جل شأنه عن مقام إفراده بالعبادة، لكن تأمل كيف ثنى في قوله سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، فالخطاب هنا للثقلين الجن والإنس كما دل عليه قوله سبحانه: ﴿فَيَأْتِي الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، ثم تأمل في سورة المعارج كيف تحدث الله أولاً عن اختلاف قریش في القرآن وأنهم أشتات فيما يدعونه، فقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلِّغْهُمْ مَهْطَعِينَ ﴿٣٧﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]، هنا جاء لفظ المشرق والمغرب مجموعاً ليتفق مع السياق العام للآيات، فقال سبحانه: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، فسبحان الله! من هذا قوله وتلكم كلماته، أيده خير نبي وأكرم رسول. [٢٩] ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال ابن القيم رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، يغفر ذنباً، ويفرج همماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث لهفاناً، ويفك عانيات، ويشبع جائعاً، ويكسو عاريات، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقبل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، لا ينم، ولا ينبغي له أن ينم، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. [٤١] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤١]. ما الفرق بين: "عرف وعلم"؟ **الجواب:** في اللغة: لا تكاد تحس بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلم يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علماً بالمعلوم، كلياً وجزئياً)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلم لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهل. ٣- العلم لا يكون عن تفكير وتدبر، والمعرفة لابد فيها من التفكير والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولاً- (علم): ١- كثيرة الورد في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفاً لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. مثال: أ- إسنادها لله تعالى (الخالق): ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَعَلِمَ أَنْتَ فِيكُمْ صَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]. ب- إسنادها للمخلوق: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]. ٣- لم تأت كلمتا «علم، علیم» إلا وصفاً لله - سبحانه وتعالى - ولم تطلق على خلقه قط. مثال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْقُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. ثانياً- (عرف): ١- ذكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذكرت في القرآن وصفاً لفعل المخلوق، ولم ترد وصفاً لفعل الخالق قط. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدراً من المعرفة. [٥٤] ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وتلك الفرش لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطانتها التي تلي الأرض منها من إستر، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بطاؤها التي تلي بشرتهم؟! [٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ آلِيَا قُوْتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]. قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، ويدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقها من = [٥٦] ﴿فَإِنَّ قَصْرَتِ الظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْشَ قَبْلَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَطْمِئِنَّ﴾ "في الموضعين" قرئ: الأول: (يَطْمِئِنَّ- يَطْمِئِنَّ) بالضم ثم بالكسر، والثاني: بالكسر ثم بالضم. وقرئ: (يَطْمِئِنَّ) بكسرها فيهما، وهما لغتان في مضارع طمئ كلمز، وأصل الطمئ: دم الحيض، والمعنى: أن الإنسيات لم يمسهن إنس، والجنيات لم يمسهن جن، لأن الجن لهم قاصرات الطرف من نوعهم في الجنة، فنفي الانقباض عن الإنسيات والجنيات، أي: لم يدمهن، وقال أبو عبيدة: معناه لم يمسهن. = **وردة كالدهان:** إذا كان يوم القيامة انصدعت السماء، وصارت في حمرة الورد، وذوبان الدهن، وهذا موقف من مواقف الآخرة، وهول من أهوالها تنشق فيه السماء، وتتصدع فتحول إلى ما يشبه الورد الأحمر، أو الأديم الأحمر أي الجلد الأحمر، من شدة الحرارة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ويأتي العلم الحديث ليكشف لنا صورة مصغرة من هذا المشهد العظيم بعرض صور لبعض النجوم عند انفجارها، ووصفها العلماء بأنها مثل الوردة الحمراء المدهنة، وكأنه التعبير القرآني فسبحان الله.

فِيهَا فَكَّهَةٌ وَخَلٌّ وَمِثْلُ مَا كَانَ ﴿١٨﴾ فَإِنِّي آتٍ بِرَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٩﴾
فِيهِ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٢٠﴾ فَإِنِّي آتٍ بِرَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٢٢﴾ فَإِنِّي آتٍ بِرَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾
لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَهُهُنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَا جُنَّ ﴿٢٤﴾ فَإِنِّي آتٍ بِرَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ
﴿٢٥﴾ مُتَكِينٌ عَلَى رُقْرُقٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَنِ ﴿٢٦﴾ فَإِنِّي
آتٍ بِرَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾ نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَبُ
الْمِثْمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِثْمَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَةِ مَا أَصْحَبُ
الْمَشْأَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْقُونِ السَّيْقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا ثَمَرٌ ثَلَاثٌ ﴿١٦﴾

٧٢- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾: قُصِرْنَ عَلَى أزواجهن فلا يبغيهن بهم بدلاً. ٧٦- ﴿عَلَى رُقْرُقٍ خَضِرٍ﴾: قيل: الرقرف: رياض الجنة، واحدها: رقرفة. وقيل: هي الوسائد، ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حَسَنِ﴾: العبقرى: الطنافس الموشية. واحدها: عبقرية.

سورة الواقعة

١- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: إذا نزلت صيحة القيامة، وذلك حين يُنفخ في الصور لقيام الساعة، وسميت «واقعة» لأنها كائنة لا محالة. ٢- ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾: ليس لوقعة الواقعة تكذيب. و«الكاذبة» مصدر، كالعافية. ٣- ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾: تخفض أقواماً، وترفع أقواماً. والعرب تستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة. ٤- ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ﴾: إذا زلزلت الأرض فحركت تحريكاً. ٥- ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾: فُتت فتاً فصارت كالديق المسوس، وهو المبلول، وقيل: هُذت هُذاً. ٦- ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾: الهباء: شعاع الشمس الذي يدخل في الكوة كهيئة الغبار، وليس بشيء. «منبثاً»: متفرقاً، منتشراً. ٧، ٨- ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: أنواعاً ثلاثة وضروباً، ثم أخبر عنهم عز وجل فقال: ﴿فَأَصْحَبُ الْمِثْمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِثْمَةِ﴾: يُعْجَبُ محمداً ﷺ منهم، وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أو: هم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم. ٩- ﴿وَأَصْحَبُ الْمَشْأَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَةِ﴾: أصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. والعرب تسمي اليد اليسرى، الشؤمى. ومعنى التعجب من مآل الفريقين: أن أصحاب الميمنة في نهاية السعادة ورفعة الشأن، وأن أصحاب المشأمة في نهاية الشقاوة وسوء الحال. ١٠- ١٤- ﴿وَالسَّيْقُونِ السَّيْقُونَ﴾: هم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأولون. وقيل: الذين صلوا القبليتين. ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ﴾: يقر بهم الله منه يوم القيامة، ﴿ثَلَاثَةٌ﴾: جماعة، أي هم جماعة ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: الأمم الماضية، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾: من أمة محمد ﷺ. وقيل لهم «الآخرون» لأنهم آخر الأمم. ١٥- ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾: منسوجة، قد

أدخل بعضها في بعض، والوضن: النسيج المضاعف. وإنما قيل لها «سُرر مَوْضُونَةٌ» لأنها مشبكة بالذهب والجوهر. ١٦- ﴿مُتَكِينِينَ﴾: بوجوههم، لا ينظر بعضهم في قفا بعض. [١٣، ١٤] قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين فنزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وذكر فيها ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ قال عمر: يا رسول الله ثلثة من الأولين وقليل من الآخريين، فأمسك آخر السورة سنة. ثم نزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله». ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. وأخرجه ابن عروة بن رويم مرسلًا. [١٢] ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٣، الواقعة: ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والواقعة، والآية تتحدث عن أهل الجنة وأنهم مكرمون فيها بكرامة الله لهم في هذا النعيم الدائم. [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ٣٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورة الواقعة، والثلة هم الجماعة الكثيرة.

ورائهن، ذلك بأن الله يقول: ﴿كَانَ الْيَقُوتُ وَالْمَرْحَانُ﴾ ﴿٥٨﴾ ألا وأن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر. [٦٠] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. انظر إلى الفضل والكرم: هو الذي منّ علينا بالهداية ثم يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾، فكأننا نحن الذين أحسنّا فأحسن إلينا بالجزاء مع أنه له الإحسان أولاً وآخرًا، هو الذي أحسن إلينا أولاً، وأحسن إلينا آخرًا، ولكن هذه منته سبجانه وتعالى، ومن شكره لسعي عبده. [١٠] ﴿وَالسَّيْقُونِ السَّيْقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]. ما فائدة تكرار «السابقون»؟ الجواب: فائدة التكرار فيه التأكيد في مقابلة التأكيد في: ﴿فَأَصْحَبُ الْمِثْمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِثْمَةِ﴾ [الواقعة: ٨]، ﴿وَأَصْحَبُ الْمَشْأَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَةِ﴾ [الواقعة: ٩]، كأنه قال: هم المعروف حالهم، المشهور وصفهم، والمعنى: والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمته وكرامته، ثم قيل: المراد بهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة، وقيل: الذين صلوا إلى القبليتين، وقيل: أهل القرآن، وقيل: السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله، وقيل: هم الأنبياء. [١١-١٢] ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ﴾ [الواقعة: ١٢] في جَنَّتِ النَّعِيمِ. [الواقعة: ١٢]. ما الفرق بين: «النعمة والنعم»؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النَّعْمَةُ)، (النَّعْمَةُ)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الآخروية سواء أكانت «مادية» أم «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعم) استعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الآخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثف ﴿ثُمَّ لَنُنَشِّئَنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾. لم جاءت كلمة «النعم» في الآية دون «النَّعْمَةُ» أو «النَّعْمَةُ» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا.

[١٩] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]. ما الفرق بين: «يَصْدَعُونَ»، «يَصْدَعُونَ»؟ الجواب: وردت صيغة = [٧٨] ﴿نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ قوله تعالى: ﴿ذِي﴾ قرئ: (ذو) بالواو صفة للاسم، وهذا مما يدل على أن الاسم هو المسمى وهو مذهب أهل السنة، ودليله قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فذلك هذا معناه هنا. وقرئ: (ذي) بالياء صفة للرب، فإنه هو الموصوف بذلك.

نزول سورة الواقعة: نزلت بعد سورة طه، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الواقعة: ثلاثمائة وثمان وسبعون. عدد حروف سورة الواقعة: ألف وسبع مائة وثلاثة. أسماء سورة الواقعة: سميت بسورة الواقعة؛ لفتتحها. مواضع سورة الواقعة: معظم مقصود السورة: ظهور واقعة القيامة، وأصناف الخلق بالإضافة إلى العذاب والعقوبة، وبيان حال السابقين بالطاعة، وبيان حال قوم يكونون متوسطين بين أهل الطاعة وأهل المعصية، وذكر حال أصحاب الشمال، والغرقى في بحار الهلاك، وبرهان البعث من ابتداء الخلق، ودليل الحشر والنشر من الحرث والزرع، وحديث الماء والنار، وما في ضمنهما: من النعمة والمِنَّة، ومَسَّ المصحف، وقراءته في حال الطهارة، وحال المتوفى في ساعة السكرة، وذكر قوم بالبشارة، وقوم بالخسارة، والخطبة على جلال الحق تعالى بالكبرياء والعظمة.

١٧- ﴿وَلَدْنَاهُ مُخْلَدُونَ﴾: صغار الخدم لا تكبر لهم سن. ١٨، ١٩- ﴿وَكُلٌّ مِّنْ مَّعِينٍ﴾: جار ظاهر للعيون. وقيل: كل كأس في القرآن فهو خمر. ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾: لا تصدع رؤوسهم من شربها كما تصدع من شرب خمر الدنيا، وقيل: لا يفرقون كما يفرق الشراب، ﴿وَلَا يَزِفُونَ﴾: لا تذهب عقولهم. والنزيف: السكران. ٢٢- ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: جمع عينا، وهي النجلاء العين في حسن. ٢٣- ﴿كَأَمْثِلِ اللُّؤْلُؤِ﴾: في صفاء بياضهن ﴿الْمَكُونُ﴾: الذي قد صين، وحفظ، في كن. ٢٥، ٢٦- ﴿لَقَوًّا﴾: اللغو: سقط القول من محسن وغيره. ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾: ما يؤثم، أي لا يؤثم أحد هناك غيره ولا نفسه بقول. ﴿إِلَّا قِيَلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾: أي: يقول بعضهم لبعض: اسلم مما تكره. ٢٧- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: أي: أي شيء هم، وما أعد لهم. والمراد به: التفخيم والتعظيم. ٢٨- ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: هو الموز منضود بعضه على بعض. وقيل: هو شجر النبق. ٢٩- ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾: قيل: هو الموز منضود بعضه على بعض. وقيل: بل هو شجر ظله بارد طيب. ٣٠- ﴿وَطَلْحٍ مَّذْمُودٍ﴾: دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه. ٣١- ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: مصبوب، جار في غير أخدود. وقيل: يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا بدون عنت. ٣٤- ﴿وَفُرُشٍ مَّرْقُوعَةٍ﴾: بعضها فوق بعض. وقيل: كُتِي بها عن النساء، وأنهن مرتفعات الأقدار في الحسن والكمال. ٣٥- ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾: خلقناهن خلقاً، مبتدأ، أو اللاتي أعيد خلقهن. ٣٦- ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَزْوَاجًا﴾: عذارى، بعد أن كن في الدنيا عجائز يعني بذلك: النساء من بني آدم عليه السلام. ٣٧- ﴿عُرُبًا﴾: متحبيات إلى أزواجهن، واحدته: عروب. ﴿أَزْوَاجًا﴾: على سن واحدة. ٣٩- ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾: جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ. ٤٠- ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾: جماعة من أمة محمد ﷺ. ٤٢- ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ﴾: أي: هم في سموم جهنم وحميمها. والسموم: حر النار، والحميم: الماء الشديد الحرارة. ٤٣- ﴿وَطَلْحٍ مِّنْ يَّحْمُورٍ﴾: من دخان شديد السواد. ٤٦- ﴿وَكَاوُأٍ مُّصْرُورٍ﴾: يقيمون ولا يقلعون ﴿عَلَى الْخَنِثِ الْعَظِيمِ﴾: على الذنب العظيم في الدنيا، وهو الشرك. وقيل: هو اليمين الغموس. [٢٧] قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) في سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَةِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ عَنْ عَطَاءٍ وَمَجَاهِدٍ قَالَا: لَمَّا سَأَلَ أَهْلَ الطَّائِفِ الْوَادِي يَحْمِي لَهُمْ وَفِيهِ عَسَلٌ فَفَعَلَ، وَهُوَ وَادِي مَعْجَبٍ، فَسَمِعُوا النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا، قَالُوا: يَا لَيْتَ لَنَا فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ هَذَا الْوَادِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿الْآيَاتِ. [٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٢٩) وَطَلْحٍ مَّذْمُودٍ ﴿أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ مَجَاهِدٍ قَالَ: كَانُوا يَعْجَبُونَ بِوَجْهِ وَادٍ فِي الطَّائِفِ - وَظِلَالُهُ وَطَلْحُهُ وَسَدْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٢٩) وَطَلْحٍ مَّذْمُودٍ ﴿[٤٨] ﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٧، الواقعة: ٤٨]. تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَرَّتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِنَفْسِ النَّصِّ فِي سُورَتِي الصَّافَاتِ وَالْوَاقِعَةِ، وَالْآيَةُ تَبَيَّنَ جُحُودُ الْكُفَّارِ لَلْبَعْثِ وَقَوْلُهُمْ أَتُبْعَثُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ الَّذِينَ صَارُوا تَرَاتِبًا، قَدْ تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ؟ = (يَصْدَعُونَ) مَرَّةً وَاحِدَةً، كَمَا وَوَرَدَتْ صِيغَةُ (يَصْدَعُونَ) مَرَّةً وَاحِدَةً أَيْضًا. وَالْحِكْمَةُ مِنْ تَوْنِيعِ الصِّيغَتَيْنِ هِيَ أَنَّ مَعْنَى (يَصْدَعُونَ): يَتَفَرَّقُونَ... كَمَا قَالَ الْفَرَاءُ. غَيْرَ أَنَّهُ تَفَرَّقَ مَعَ شِدَّةٍ وَسُرْعَةٍ، وَقَدْ جَاءَ الْإِيحَاءُ بِالشَّدَّةِ وَالسَّرْعَةِ مِنْ إِدْغَامِ التَّاءِ فِي الصَّادِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ، وَمِثْلُهَا (يَضْرَعُونَ) وَ(اطْيَرْنَا). أَمَّا (يَصْدَعُونَ) فَفِيهَا أَيْضًا شِدَّةٌ وَسُرْعَةٌ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمَا أَقْلٌ فِي دَرَجَتِهِمَا مِمَّا هُمَا عَلَيْهِ فِي الصِّيغَةِ الْأُولَى. وَفَرَّقَ آخَرُ بَيْنَ الصِّيغَتَيْنِ: أَنَّ (يَصْدَعُونَ) مَبْنِيٌّ لِلْمَعْلُومِ، فَكَأَنَّ الْحَرَكَةَ تَنْطَلِقُ مِنْ دَاخِلِ الْبَشَرِ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَيْهَا مُسْرِعِينَ فَرَحِينَ مِنْ شَوْقٍ. وَيَذْهَبُ أَهْلُ النَّارِ مُسْرِعِينَ مِنْ حَمَقٍ، وَزِيَادَةِ فِي التَّبَكُّيْتِ وَالْإِهَانَةِ. أَمَّا (يَصْدَعُونَ) فَمَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ بَاعْثَ الْحَرَكَةِ (لَوْ وَقَعَتْ) فَلَنْ يَكُونَ مِنْ دَاخِلِهِمْ، وَلَكِنْ يَكُونَ مِنْ صَدْرِ خَارِجِي لِيَعَكِرَ مَزَاجَهُمْ وَيُدْفِعَهُمْ إِلَى الْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ لَنْ تَحْصَلَ، وَعَلَى هَذَا سَيَقِيمُونَ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّثَامِ وَانْسِجَامِ. [٢٥-٢٦] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا قِيَلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ: "قَوْلًا، قِيَلًا"؟ الْجَوَابُ: وَرَدَتْ كَلِمَةُ (قَوْلًا) تِسْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً. بَيْنَمَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ (قِيَلًا) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. صِيغَةُ الْقَوْلِ هِيَ الْأَصْلُ، لَذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُ (قَوْلٍ) فِي الْقُرْآنِ، وَقَلَّ اسْتِعْمَالُ (قِيَلًا) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيَلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. مَعْنَاهُ: لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قَوْلًا، أَيْ أَنَّهُ مَعْدُومٌ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ قَوْلًا، فَفَعَلَ الْقَوْلَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْعَدَمِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ، وَالاسْمُ الْمَبْنِيُّ مِنْهُ هُوَ (قِيَلًا). وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا قِيَلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، فَإِنَّ الْفَاعِلَ (الْقَوْلُ) هُنَا غَيْرُ مَحْدَدٍ: أَيْ مَجْهُولٍ. فَفَعَلَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ، وَالاسْمُ الْمَبْنِيُّ عَلَيْهِ يَأْتِي عَلَى صَوْرَتِهِ، لِأَنَّ الْمَهْمُ هُنَا (مَا قِيلَ) وَلَيْسَ الْفَاعِلُ.

[٢٢] ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قَرَأَ: (حُورٌ عِينٌ) بِالْجَرِّ فِيهِمَا عَطْفًا عَلَى جَنَاتِ النَّعِيمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هُمْ فِي جَنَاتٍ وَفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ وَحُورٍ، أَيْ: مُصَاحِبَةٌ حُورٍ، أَوْ عَطْفًا عَلَى بَأْكَوَابٍ، إِذْ مَعْنَى يَطُوفُ الْخ: يَنْعَمُونَ بِأَكْوَابٍ. وَقَرَأَ: (حُورٌ عِينٌ) بِرَفْعِهِمَا عَطْفًا عَلَى "وَلَدَانِ" أَوْ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ الْخَبَرُ، أَيْ: فِيهِمْ، أَوْ لَهُمْ، أَوْ خَبَرًا لِمَضْمَرٍ، أَيْ: نَسَاؤُهُمْ حُورٌ عِينٌ. [٣٧] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قَوْلُهُ: ﴿عُرُبًا﴾ قَرَأَ: (عُرُبًا-عُرُبًا) بِالضَّمِّ عَلَى الْأَصْلِ، وَبِالِاسْكَانِ لِلتَّخْفِيفِ، فَالْعَرَبُ: جَمْعُ عَرُوبٍ، وَالْعَرُوبُ: هِيَ الْحَسَنَةُ أَوْ الْمُتَحَبِّةُ لَزَوْجِهَا، وَقِيلَ: هِيَ الْغَنَجَةُ كَمَا هُوَ فِي "الْحَجَّةِ" فِي الْقُرْآنِ السَّبْعِ. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٢٠) وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿[الواقعة: ٢١]. حَقِيقَةُ طَبِيبَةٍ: صَرَحَ الطَّبُّ الْحَدِيثُ بِأَنَّ تَنَاوُلَ الْفَاكِهِةِ قَبْلَ الْوَجْبَةِ الْغَذَائِيَّةِ لَهُ فَوَائِدُ صَحِيَّةٌ، لِأَنَّ الْفَاكِهِةَ تَحْتَوِي عَلَى سَكْرِيَّاتٍ بَسِيطَةٍ سَهْلَةٍ الْهَضْمِ وَسَرِيعَةِ الْاِمْتِصَاصِ، وَتَمْتَصُّ الْأَمْعَاءُ هَذِهِ السَكْرِيَّاتِ فِي مَدَّةٍ قَصِيرَةٍ (تُقَدَّرُ بِالدَّقَائِقِ) فَيَرْتَوِي الْجِسْمُ، وَتَزُولُ أَعْرَاضُ الْجُوعِ وَنَقْصُ السَّكْرِ، فِي حِينٍ أَنْ الَّذِي يَمْلَأُ مَعْدَتَهُ بِمَاشِرَةٍ بِالطَّعَامِ الْمُتَنَوِّعِ يَحْتَاجُ إِلَى مَا يَقَارِبُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ حَتَّى تَمْتَصَّ أَمْعَاؤُهُ مَا يَكُونُ فِي غِذَائِهِ مِنْ سَكْرِ، وَتَبْقَى عِنْدَهُ أَعْرَاضُ الْجُوعِ لِفَتْرَةٍ أَطْوَلٍ. إِنَّ السَكْرِيَّاتِ الْبَسِيطَةَ بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا سَهْلَةُ الْهَضْمِ وَالِاِمْتِصَاصِ فَإِنَّهَا مَصْدَرُ الطَّاقَةِ الْأَسَاسِ لِخَلَايَا الْجَسَدِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَمِنْ هَذِهِ الْخَلَايَا الَّتِي تَسْتَفِيدُ اسْتِفَادَةً سَرِيعَةً مِنَ السَكْرِيَّاتِ الْبَسِيطَةِ جَدَرُ الْأَمْعَاءِ وَالزَّغَابَاتِ الْمَعْوِيَّةِ، حَيْثُ تَنْشَطُ بِسُرْعَةٍ عِنْدَمَا تَصِلُهَا السَكْرِيَّاتُ الْمَوْجُودَةُ بِالْفَاكِهِةِ، وَتَسْتَعِدُّ لِلْقِيَامِ بِوُضُئِهَا عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ فِي اِمْتِصَاصِ مُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الَّتِي يَأْكُلُهَا الشَّخْصُ بَعْدَ الْفَاكِهِةِ. وَرَبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ تَقْدِيمِ الْفَاكِهِةِ عَلَى اللَّحْمِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةِ وَفِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ. وَتَأْمَلْ فِي سَنَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِفْطَارِ: فَعَنَ أَنْسَ رَضِي =

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدْنَاهُ مُخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُلٌّ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثِلِ اللُّؤْلُؤِ ﴿٢٣﴾ الْمَكُونُ ﴿٢٤﴾ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيَلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٍ مَّذْمُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْقُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَزْوَاجًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَطَلْحٍ مِّنْ يَّحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَلَا نَلْبَعُوثُ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا أَوَّلًا وَالْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَاطَا لَوَالْمَكْدُونِ ٥١ لَاكُونُ مِنْ شَجَرَيْنِ زَوْجٍ ٥٢
فَالْوُنْ مِنْهَا الْبُطُونُ ٥٣ فَشَرَبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤ فَشَرَبُوا
شَرْبَ الْهَمِيمِ ٥٥ هَذَا زَلُّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تَصَدَّقُونَ ٥٧ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨ أَتَسْتَحْلِقُونَ ٥٩ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ٥٩ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ٦٠
عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ
عَلَّمْنَا النُّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
٦٣ أَتَسْتَفْزِزُونَهُ ٦٤ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٥ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
٦٧ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي شَرَبْتُمْ ٦٨ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الزَّمْرِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
٧٠ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ أَتَسْتَأْذِنُ شَجَرَتِهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُتَشِيشُونَ ٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَزِينَةً لِلْمُقَوِّينَ
٧٣ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤ فَلَا أَقْسِمُ
بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦

٥٥ - ﴿شَرْبَ الْهَمِيمِ﴾: «الهميم» عند العرب: الإبل التي يُصَيِّبها داء فلا تروى، فيسمى ذلك الداء: الهيام. ٥٦ - ﴿فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾: فهل تصدقون بالخلق أو بأنه يعثكم بعد مماتكم. ٦٠ - ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾: المستأخر والمستعجل ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ﴾: في أنفسكم وأجالكم، ولا يُقتات علينا فيها، ولا يتقدم شيء منها أجلها، ولا يتأخر عنه ﴿عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ﴾: فنحيي بآخرين من جنسكم بعد مهلككم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: في أي خلق شئنا من الصور والهيئات. ٦٢ - ﴿لَقَدْ عَلَّمْنَا النُّشْأَةَ الْأُولَى﴾: إذ لم تكونوا شيئاً، فخلقناكم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة. ٦٤، ٦٥ - ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾: يقول عز وجل: أنتم تُصَيِّرُونَهُ زَرْعاً، أم نحن ﴿حُطَمًا﴾: هشيماً لا يتففع به ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: أي صرتم تعجبون مما نزل في زرعكم من المصيبة. وقيل: معناه: تتندمون وتتفجعون. ٦٦، ٦٧ - ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾: أي تقولون: إنا معذبون مُلقون للشر. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: ليس لنا جد، أي حظ، والمحروم: الممنوع من الرزق، الذي لا حظ له فيه. ٦٩، ٧٠ - ﴿مِنَ الزَّمْرِ﴾: من السحاب. ﴿أَجَاجًا﴾: ملحاً، والأجاج من الماء: ما اشتدت ملوحته. ٧١ - ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾: التي تستخرجون من زندكم، أي تقدحونها. ٧٣ - ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾: يعني: النار ﴿تَذَكُّرًا﴾: لكم تذكرون بها نار جهنم فتعظون بها ﴿وَمَتْنًا﴾: بلاغاً ومنفعة ﴿لِلْمُقَوِّينَ﴾: المسافرين الذين يتزلون بالقواء، وهي الأرض الفقر، أو الذين خلت بطونهم أو مزاولهم من الطعام. ٧٥، ٧٦ - ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾: قيل معناه: أقسم بمواقع النجوم: بمساقطها ومغايها في السماء. ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾: ما هو وما قدره؟ والمعنى: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه. [٧٥-٨٢] قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أصبح من الناس شاكراً ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا»، فنزلت هذه الآيات: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَعْلَمُونَ رَزَقَكُمْ أَنْتُمْ تَكَذِّبُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حمزة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل، ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سبحانه فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبي ﷺ فأمر الله علينا السماء؟ فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.. [٥٨، ٦٣، ٦٨، ٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي شَرَبْتُمْ﴾ [الواقعة: ٦٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١].

بدأ بذكر خلق الإنسان، ثم بما لا غنى له عنه، وهو الحب الذي منه قوته، ثم بالماء الذي به سوغه وعجنه، ثم بالنار التي بها نضجه وصلاحه، وذكر عقب كل من الثلاثة الأولى ما يفسده، فقال في الأولى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وفي الثانية: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، وفي الثالثة: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]، ولم يقل في الرابعة ما يفسدها، بل قال: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ يتعظون بها ﴿وَمَتْنًا لِلْمُقَوِّينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]، أي: للمسافرين يتففعون بها. [٦١] ﴿عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١]، ﴿عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْكُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ [المعارج: ٤١]. وما نحن بعاجزين على أن نغير خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال، فهذا ما دلت عليه الواقعة، أما آية المعارج: على أن نستبدل بهم قومًا أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيد. [٦٥، ٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]. ذكر في جواب "لو" في الزرع اللام، عملاً بالأصل، وحذفها منه في الماء اختصاراً، لدلالة الأول عليه، أو أن أصل هذه اللام للتأكيد، وهو أنسب بالمطعم؛ لأنه مقدم وجوداً ورتبة على المشروب. [٦٥، ٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]. جعل الزرع حطاماً إذهاب له بالكلية صورة ومنفعة، وجعل الماء أجاجاً لم يذهب به صورة، وربما انتفع به في غير الشرب، والله أعلم. [٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٧]، القلم: ٢٧. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والقلم، والمقصود منها في سورة الواقعة: بل نحن محرومون من الرزق، أما آية القلم: بل نحن محرومون خيرها، -أي الحديقة-، بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦، ٧٤]، الحاقة: ٥٢. تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية فيها توجيه للنبي ﷺ أن يسبح باسم ربه العظيم، وينزّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والخطاب في الآيات للأمة كذلك. [٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَزِينَةً لِلْمُقَوِّينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. أخبر سبحانه أنها تذكرة تذكر بنار الآخرة، ومنفعة للنازلين بالقواء وهم المسافرون، والسؤال: لماذا خص الله المقوين بالذكر مع أن منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؟ **الجواب:** تبييناً لعباده، والله أعلم بمراده من كلامه إلى أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا مقيمين ولا مستوطنين. [٧٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦]، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]. ما الفرق بين "الحلف" و"القسم"؟ **الجواب:** كثيراً ما يفسر أحدهما بالآخر، وقلما تفرق بينهما المعاجم، ولكننا نحتكم إلى البيان الأعلى في النص المحكم الموثق، فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما، جاءت مادة "ح ل ف" في ثلاثة عشر موضعاً كلها بغير استثناء في الحث باليمين، أي: اليمين الكاذبة، وأما القسم: فيأتي في الإيمان الصادقة، سواء كانت حقيقة أم وهمًا، وهذا من الإعجاز البياني للقرآن. [٥٥] ﴿فَشَرَبُوا شَرْبَ الْهَمِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿شَرْبَ﴾ قرئ: ﴿شَرْبَ﴾ بضم الشين. وقرئ: ﴿شَرْبَ﴾ بفتحها، وهما مصدر شرب، وقيل: الفتح المصدر، والضم الاسم. [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا﴾ قرئ: ﴿أَنَا﴾ بهمزتين على الاستفهام الإنكاري، فمعناه: أنهم ينكرون العذاب والهلاك الذي نزل بهم لكفرهم. وقرئ: ﴿إِنَّا﴾ بهمزة واحدة على الخبر، والمعنى: تقولون إنا لمغرمون، أي: تندمون على ما سلف من ذنوبكم، وتقولون إنا لمعذبون أو مهلكون، ونظيره ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾. [٧٥] ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَوْقِعِ﴾ قرئ: ﴿بِمَوْقِعِ﴾ بإسكان الواو بلا ألف مفرد، على أنه مصدر يدل على = الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفرط قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حساً حسوات من ماء» رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني. [٧٥] ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]. هنا نجد عمقاً في هذا القسم لم يكن يدركه السابقون، =

٧٨، ٧٩ - ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾: مصون عند الله تعالى، وهو اللوح المحفوظ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ﴾: قيل: لا يمسّه عند الله إلا الملائكة، وإن كانت هذه الجملة صفة للقرآن فالمعنى: لا ينبغي أن يمسّه إلا من كان من الناس على طهارة. ٨١ - ٨٢ - ﴿أَفَهَذَا الْحَدِيثُ﴾: المراد القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾: قيل: مكذبون. ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: أي: شكركم الله عز وجل على رزقه إياكم ﴿أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾: التّكذيب لكتابه ورسوله. وقيل: عني به قولهم إذا نزل عليهم الغيث: مطرنا بنوء كذا وكذا. ٨٣ - ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾: يقول: فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم حلاقيمكم. ٨٥ - ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾: يقول: ورسلا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم. ٨٦ - ٨٧ - ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: يقول: فهلا إن كنتم غير محاسبين ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: تردون تلك النفوس إلى مستقرها من الأجساد. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ولن ترجعوها، فبطل زعمكم أنكم غير مربوبين، وغير مبعوثين أو محاسبين! ٨٨ - ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: أي السابقين الذين يقربهم الله في جواره، ٨٩ - ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾: أي: فله برّد ورحمة، ومغفرة وراحة. وقيل: إن أرواح المقرّبين لا تخرج من الدنيا حتى تؤتى بغصن من ريحان الجنة فتشمه، وعند ذلك تُقبض. ٩١ - ﴿فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ﴾: بمعنى: تُسلم عليه الملائكة، وتقول له: سلمت بما تكره. ٩٣ - ﴿فَرَزَقَ مِنْ جَمِيمٍ﴾: من ماء قد أغلي حتى انتهى حره، فهو شرابه. ٩٤ - ﴿وَتَصْلِيَةً جَمِيمٍ﴾: وحريق النار يحرق به. ٩٥ - ﴿إِنْ هَذَا﴾: الذي أخبر الله عز وجل به ﴿هُوَ حَقٌّ يَقِينٌ﴾: هو حقّ من الخبر اليقين الذي لا شك فيه.

سُورَةُ الْحَجَّارِ

١ - ﴿الْقَرِيرُ﴾: القادر الغالب الذي لا يمانعه أحد. ٣ - ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾: هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾: الذي يبقى بعد كل شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: على كل شيء ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: فلا شيء أقرب إلى شيء منه. أو: الظاهر بالأدلة الدالة عليه، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَهَذَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنْتٌ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٠﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩١﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٢﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٣﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٤﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٥﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٦﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٧﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٨﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿٩٩﴾ فَسَلِّمْلَهُ مِنْ أَهْبَابِ الْقَبْرِ ﴿١٠٠﴾

سُورَةُ الْحَجَّارِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٨٠] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة : ٨٠، الحاقة : ٤٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية تبين أن هذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه. [٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٧٤، ٩٦، الحاقة : ٥٢]. تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية فيها توجيه للنبي ﷺ أن يسبّح باسم ربه العظيم، وأن ينزّيه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والخطاب في الآيات للأمة كذلك. [١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد : ١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. إعادة "ما" هو الأصل، وخُصّت هذه السورة بالحذف؛ موافقة لما بعدها، وهو: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد : ٢]، وبعدها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الحديد : ٤]؛ لأنّ التّقدير في هذه السورة: سبّح لله خلق السماوات والأرض، ولذلك قال في آخر الحشر بعد قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحشر : ٢٤]، أي: خلّقها.

[٩٥] ﴿إِنْ هَذَا هُوَ حَقٌّ يَقِينٌ﴾ [الواقعة : ٩٥]، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٥]، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٧]. قال ابن تيمية: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ما علمه بالسمع والخبر والقياس والنظر، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ما شاهده وعينه بالبصر، و﴿حَقٌّ يَقِينٌ﴾ ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار. فالأول: مثل من أخبر أن هناك عسلاً، وصدق المخبر. أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده. والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعينه، وهذا أعلى. والثالث: مثل من ذاق العسل، ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله. فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلاق، وبرزت الجحيم للغاوين وعانيتها الخلاق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فذلك حينئذ: حق اليقين. قال ابن القيم عن منزلة اليقين: هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوّج الصبر باليقين وُلد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤]، وخُصّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات : ٢٠]، وخُصّ أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [١] أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة : ٥]، وأخبر عن أهل النار أنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْدَرُ مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنْظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾ [الجاثية : ٣٢]، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصّديقية، وهو قُطب هذا الشأن الذي عليه مداره. [٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٩]. ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه، وأن يفهمه كما ينبغي.

= القليل والكثير. وقرئ: (بمواقع) بفتح الواو وألف على الجمع، لأن مواقع النجوم كثيرة، وذلك حيث يغيب كل نجم، وقيل: معناه مواقع القرآن حيث نزل منجماً شيئاً بعد شيء حسب الوقائع والحوادث. [٨٩] ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَرُوحٌ﴾ قرئ: (فروح) بضم الراء، اسم مصدر بمعنى «الرحمة». وقرئ: (فروح) بفتح الراء وهو مصدر. = فلماذا أقسم ربنا تبارك وتعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها على عظم شأنها؟ الجواب الذي أدركه العلماء منذ سنوات قليلة للغاية، أن الإنسان من فوق سطح هذه الأرض لا يمكن له أن يرى النجوم على الإطلاق، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم منذ مئات السنين وغادرتها إلى أماكن أخرى. فسبحان الله الخالق العليم. نزول سورة الحديد: نزلت بعد سورة الزلزلة، وهي مدنية، وقيل مكّية. عدد كلمات سورة الحديد: خمسائة وأربع وأربعون. عدد حروف سورة الحديد: ألفان وأربعمائة وستة وسبعون. أسماء سورة الحديد: سمّيت سورة الحديد؛ لذكره بها. مواضع سورة الحديد: معظم مقصود السورة: الإشارة إلى تسبيح جملة المخلوقين والمخلوقات في الأرض والسماوات، وتنزيه الحق سبحانه وتعالى في الذات والصفات، وأمر المؤمنين بإنفاق النفقات =

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ سَعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
بُشِّرَنَّهُم الْيَوْمَ حَسَنًا تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا انظُرُوا نَاقِسًا مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورُهُ ۖ بَابُ بَابُنْهُ ۚ فِيهِ الرِّحْمَةُ ۖ وَظَاهَرَهُ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادي وَهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ ۖ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهُ الْعَزُورُ ﴿١٤﴾ قَالُوا لِمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ مَا مَوْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

٥٣٩

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ ۚ الآية. وأخ
 نَفْضَ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ۚ [يوسف: ٣] ثم ملؤا
 الزهد: أنبأنا سفيان، عن الأعمش قال: لما قدم أصحاب
 عليه، فنزلت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية
 منزله الخشوع وعلوها، لما عاتب الله الصحابة أفقر
 : (ما كان بين إسلامنا، وبين أن عاتبنا الله بهذه
 . وحمد وقسا وتبذل فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة،
 ءاء الله. [١٨] ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
 ما الفرق بين: "المتصدقين والمتصدقات والمصد
 قات) مرة واحدة في القرآن الكريم. الصيغة الأ
 محتاج إلى تفسير: ولعل ذلك يرجع إلى اختصار الس
 مَرَّاجِرُ كَرِيمٌ ۚ [الحديد: ١٨]. فلم يذكر فيه إلا
 غمة: المتصدقين والمتصدقات). على العكس من
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْفَاضِلَاتِ وَالْفَاضِلَاتِ وَالصَّادِقَاتِ
 كَرُوحُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرَاتِ ۚ اللَّهُ كَرِيمٌ
 الطويلة (غير المدغمة: المتصدقين والمتصدقات

لِللّٰهِ النَّاسِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴿١٨﴾ يفهم من حيث المعية قر
به واستحكامه. أما قوله تعالى في سورة الحديد
منزلة وثبوتها ما تحصل في آية التحريم، إنما هو
الشيء، فورد كل على ما يجب ويناسب. [١٨]
لمة المصدّقين هي المتصدقين وأبدلت التاء
تضعيف واحد في الدال، والتضعيف يفيد المبالغ
﴿قوله تعالى: ﴿نَزَلَ﴾ قرئ: ﴿نَزَلَ﴾ بتخفيف ال
بالتضعيف مسنداً للضمير اسم الله تعالى. قوله تع
، حيث المراد «المؤمنون». وقرئ: (ولا يكون
وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا ﴿٢٣﴾ قوله تع
الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: آمنوا بما جاء
والمصدقات أدغم التاء في الصاد. [٢٣] ﴿
الهمزة من الإتيان، أي: بما جاءكم وفاعله

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدَةُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ غَرُورٌ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبَحْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

١٩ - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: سَمَّاهُم الله تعالى صَادِقِينَ لأنهم آمنوا بالله وصدقوا رسوله.
و«الصادق» بناء مبالغة من الصدق، أو من التصديق. ﴿وَالشَّاهِدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: خبر، أي كلام ابتدأه
الله عز وجل عن الشهداء منفصل عما قبله، فقال عز وجل ﴿وَالشَّاهِدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.
ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله متصلاً به فيكون المعنى: كل من الصديقين والشهداء لهم
الأجر والنور الموعودان. ٢٠ - ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾: أي يفتخر بعضكم على بعض بالأنساب
والأحساب، أو بالخلقة والقوة، وغير ذلك. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾: أي كمثل مطر
أعجب الزراع نباته. والمراد بالكافر هنا الزارع ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾: ييبس ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾: نباتاً يابساً
متهشماً ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾: أي: إما جنة، وإما نار. والتنكير فيهما:
«عذاب» و«مغفرة» للتعظيم. و«مَتَاعٌ غَرُورٌ»: معناه: الشيء الذي لا يُعْظَم الاستمتاع به إلا
مغتر. وقيل: متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو
خير منه. ٢١ - ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: إلى عمل يُوجب لكم مغفرة من ربكم. ٢٢ - ﴿إِلَّا
فِي كِتَابٍ﴾: إلا في أم الكتاب ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾: من قبل أن نبرأ الأنفس ونخلقها.
٢٢ - ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾: لكيلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: من الدنيا فلم تُدركوه ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
آتَاكُمْ﴾: أي: أعطاكم وخوّلكم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متكبر بما أوتي من الدنيا
﴿فَخُورٍ﴾: به على الناس. ٢٣ - ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾: بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيما
أعطاهم وخوّلهم. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يعرض عما أمره الله به. = والتكثير مثل: كسر وكسر - إذا
المصدقين فيها حث على الصدقة والتكثير فيها من حيث المعنى العام - وقد ذكر «المصدقين» في آية
سورة الحديد، بينما استخدم المتصدقين في سورتي الأحزاب ويوسف؛ لأنه جاء في سورة يوسف في
الآية: ﴿فَأَوْفٍ لَّنَا الْكَيْلَ وَصَدَقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، فناسب ذكر

المتصدقين؛ حيث طلب إخوة يوسف التصديق فقط ولم يطلبوا المبالغة في الصدقة، وهذا من كريم خلقهم، فطلبوا الشيء القليل واليسير، هذا أمر، والأمر الآخر
أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، فلو قال «يجزي المصدقين» لكان الجزاء للمبالغ في الصدقة دون غير المبالغ وهذا غير مقصود في الآية، وهذا
ينطبق أيضاً على آية سورة الأحزاب - ولكن في سورة الحديد قال تعالى: «المصدقين»، وذلك لأن سياق الآيات في السورة اشتمل على المضاعفة والأجر الكريم،
وهذا يتناسب مع المبالغة في التصديق، ويتناسب مع الذي يبالغ في الصدقة - ثم إن سورة الحديد فيها خط تعييري واضح في دفع الصدقة والحث على دفع
الأموال في السورة كلها، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، ﴿مَن ذَا الَّذِي يَرْفُضُ
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]،
﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]، فجو السورة إذاً هو جو الإيمان وجو الإنفاق، فناسب أن يستعمل معها
كلمة «المصدقين» لا «المتصدقين». ٢٠ - ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾ [الزمر: ٢١]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠]. قوله: ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾، وفي الحديد: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ﴾؛ لأن الفعل الواقع قبل قوله:
﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ في سورة الزمر مسند إلى الله تعالى، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ فكذلك الفعل بعده: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾. وأمّا الفعل قبله في الحديد فمسند إلى النبات
وهو: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ فكذلك ما بعده وهو: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ ليوافق في السورتين ما قبل وما بعده. ٢١ - ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحديد: ٢١].
أمر الله تعالى بالمسارعة إلى المغفرة في آية آل عمران، ثم شرح في آية الحديد كيفية تلك المسارعة، فكانه قيل: سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في حلبة
السباق، وجاءت آية الحديد بعد قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فجاء معنى
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه، بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة، وقال في آل عمران:
﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وأفردا في الحديد ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأن معناها: أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة، =
٢٠ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]. ما الفرق بين: «المطر والغيث»؟ [الحواب: المطر
والغيث كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناها واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة
البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١ - (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله
تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ
أَلْفِ رِجَالٍ مِّن مَّاءٍ مَّاءً لَّيْسَ فِيهِ مَأْخُذٌ لِّمَن كَانَ يَدْعُو إِلَى الْغَايَةِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾
[النساء: ١٠٢]. ٢ - (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يستعمل في مقامات الخير دائماً). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ
الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قُطِعُوا﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠].

= ضمير "ما". وقرئ: (أتاكم) بالمد من الإيتاء، أي: بما أعطاكم الله إياه، ففاعله ضمير اسم الله المتقدم، والمراد الفرح الموجب للبطر والاحتفال، ولذا عقبه
بقوله: ﴿لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. ٢٤ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ قرئت الآية بغير لفظ (هو) كذلك ثبت إسقاطها في مصحف المدينة والشام،
وقرئت: بزيادتها، وكذلك ثبتت في مصاحف أهل الكوفة والبصرة ومكة، وإثبات (هو) أبين في التأكيد، وأعظم في الأجر.

٢٠ ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن، ووردت كلمة (الدنيا) (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعاً. ووردت كلمة (الآخرة) أيضاً وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة في (٦٥) موضعاً.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٢٥- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة **﴿الْكِتَابِ﴾**: المراد: جنس الكتاب، فدخل فيه كتاب كل رسول. **﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾**: ليعمل الناس بينهم بالعدل **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾**: عبر عن خلقه واتخاذه بالإنزال، كما في قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةً زَوْجَ﴾**: [الزمر: ٦] كما أن الأمر بكون الأشياء لما كان يلقي من السماء جعل الكل نزولاً منها. وقيل: المراد بالحديد: جنسه من المعادن. قال ابن عطية: «وقال حذاق من المفسرين: أراد به السلاح. ويترتب على معنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه أرسل رسلاً، وأنزل كتباً وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يحارب به من عاند ولم يهتد بهدي الله، فلم يبق عذر. وفي الآية - على هذا التأويل - حض على القتال وترغيب فيه. وقوله تعالى: **﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَصْرُهُ﴾**: يقوي هذا التأويل». **﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾**: قوة شديدة. ٢٦- **﴿فَمِنْهُمْ﴾**: أي: فمن الذرية من اهتدى بهدي نوح وإبراهيم. ٢٧- **﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾**: أتبعنا **﴿رَأْفَةً﴾**: الرافة: أشد الرقة **﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾**: رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع، وغير ذلك مما ابتدعوا **﴿مَا كُتِبَ عَلَيْهِنَّ﴾**: أي: إلا في عموم المندوبات، لأن ابتغاء رضوان الله تعالى بالقرب والنوافل مكتوب على كل أمة. **﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾**: لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها **﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾**: صدقوا ورعوا الرهبانية حق رعايتها. ٢٨- **﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾**: ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى والأنبياء قبل محمد، ثم لإيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث. وأصل الكفل: الحظ والنصيب. **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾**: قيل «النور» في هذا الموضع: القرآن، واتباع محمد ﷺ. ٢٩- **﴿لِتَلَايَعَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾**: لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ **﴿عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾**: فيصرفونه عمن أراده به. [٢٨] قوله تعالى: **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** الآية. أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحداً،

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ٢٦ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كُتِبَ عَلَيْهِنَّ إِلَّا ابْتِغَاءُ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ٢٧ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَنَعْفَرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٨ لَتَلَايَعَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩

(٥٤)

فكانت فيهم جراحات، ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة، فأذن لنا نجي بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم **﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾** الآية، فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كاجوركم، فأنزل الله: **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل لما نزلت **﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾** الآية، فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة، فأنزل الله **﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** الآية. فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب. [٢٩] قوله تعالى: **﴿لِتَلَايَعَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾** الآية. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت **﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله: **﴿لِتَلَايَعَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾** الآية. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله **﴿لِتَلَايَعَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾** الآية، يعني بالفضل النبوة. = وهو قول لابن عباس رضي الله عنهما. [٢٢] **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ ...﴾** [الحديد: ٢٢]، **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾** [التغابن: ١١]. فصل في سورة الحديد، وأجل في سورة التغابن؛ موافقة لما قبلها في سورة الحديد، فإنه فصل أحوال الدنيا والآخرة فيها، بقوله: **﴿اعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** [الحديد: ٢٠]. ويجوز ألا يكون تكراراً، لاتصال الأولى بالدنيا وخلقها، فالمصيبة الدنيا، والثانية في الآخرة بدليل قوله قبلها: **﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجُمُعِ﴾** [التغابن: ٩]. فقوله: **﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [التغابن: ١١]، يجوز أن يعفو الله عمن يشاء ويعذب من باب الجواز العقلي. [٢٣] **﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾** [آل عمران: ١٥٣]، **﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [الحديد: ٢٣]. آية آل عمران تتحدث عن غزوة أحد وحال المسلمين فيها، وما حدث لهم بها، لكي لا يحزنوا على ما فاتهم من نصر وغنيمة، ولا ما حل بهم من خوف وهزيمة، والله خير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، أما آية الحديد فقد جاء قبلها أنه ما أصاب من مصيبة إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تخلق الخليفة، إن ذلك على الله تعالى يسير، لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وأشر، والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره. [٢٤] **﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْثُرُونَ﴾** [النساء: ٣٧]، **﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيمُ﴾** [الحديد: ٢٤]. الآيتان تتحدثان عن الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. وآية النساء تبين أنهم يجحدون نعم الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه، وأنه أعد للجاحدين عذاباً مخزياً، وأما آية الحديد فتبين أنه من يتول عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه. [٢٧] **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾** [المائدة: ٤٦]، **﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾** [الحديد: ٢٧]. آية المائدة تتحدث عن الإنجيل بعد ذكر التوراة، فناسب أن يقول مباشرة: **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**، أما آية الحديد فأنت بعد ذكر رسالتي نوح وإبراهيم عليهما السلام وذريتهما، فكأنه قيل: أتبعنا على آثار الذرية أو على آثار نوح وإبراهيم يرسلنا الذين أرسلناهم إلى الأمم اللاحقة، كموسى وإلياس وداود وسليمان وغيرهم **﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**، أي: أرسلنا رسلاً بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى بن مريم، عليه السلام.

[٣] **﴿أَوَلَمْ نَسْأَلِ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾** [المائدة: ٦]، **﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾** [المائدة: ٦]، **﴿ثُمَّ يَتَوَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾** [المجادلة: ٣]. ما الفرق بين: "المس واللمس والمسح"؟ **الجواب: ١-** كل من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمس هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم.

[٢٥] **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾** [الحديد: ٢٥]. إنزال الحديد: وجه الإعجاز في الآية أن الحديد أنزل إلى الأرض، ولم يتكون فيها، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ أَسَاذُكُمْ تُوَعِّظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ أَسَاذُكُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا
كَكَائِبٍ مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ مَا لَهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

Y 30

الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى

﴿الْمُجَادَلَةُ : ١﴾. يُوْخَذُ مِنَ الْآيَةِ وَجُوبَ رَفْعِ الشُّكُوى إِلَى الْمَوْلى عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يَكْشِفُ الضَّرَّ وَيَرْفَعُ الْبَلْوى، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ؛ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى؛ إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًى عَاجِلٍ". أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي عَدَمُ الْخَلْطِ بَيْنَ شُكُوى الْحَالِ إِلَى الْغَيْرِ، وَبَيْنَ مَا كَانَ مِنْ بَابِ الْمَشُورَةِ وَالِاسْتِنَاسِ بِرَأْيِ صَدِيقٍ مُنَاصِحٍ عَاقِلٍ لِيَبِى فِيمَا يَعْضُرُ لِلْإِنْسَانِ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ كَثِيرٌ بِإِخْوَانِهِ، فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الشُّكُوى الْمَنْهَى عَنْهَا. [٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [الْمُجَادَلَةُ: ٤]. **فوائد وثمرات الصيام:** ١- طاعة لأمر الله وتقربٌ له سبحانه. ٢- إقامة ركن من أركان الإسلام. ٣- تحصيل التقوى. ٤- مغفرة الذنوب. ٥- نيل الشفاعة يوم القيامة. ٦- دخول الجنة من باب الريان. ٧- دعوة لا ترد. ٨- سبب سقيا يوم القيامة. ٩- استغفار الملائكة. ١٠- دخول الجنة التي يزينها الله للصائمين. ١١- له أجر عظيم من الله تعالى لا يعلمه إلا هو. ١٢- فرحة يحصلها الصائم عند الفطر وعند لقاء الله. ١٣- بُعِدَ النَّارُ عَنْ وَجْهِ الْعَبْدِ سَبْعِينَ خَرِيفًا. ١٤- وقاية من المعاصي. ١٥- حصن من النار. ١٦- مضاعفة الأجر. ١٧- العتق من النار. ١٨- نيل أجر الصابرين. ١٩- ينفع الله به العبد في الدنيا والآخرة. ٢٠- يضبط النفس ويطفئ شهوتها. ٢١- يبعث في الإنسان الرحمة والإحسان على الفقراء... ٢٢- يقي الجسم العديد من الأمراض. ٢٣- يربي النفس على الحلم والأناة والصبر... ٢٤- يهذب النفس ويطهرها من الأخلاق السيئة ويعودها على الطاعات وفعل الخيرات. ٢٥- يجعل القلب والذهن خاليين، فيرق القلب عند سماع القرآن وعند سماع المواعظ. ٢٦- يضيق مجاري الدم، التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم. [٣٠٢] ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَن يَسَاءَلُهُمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يُظَاهِرُونَ﴾ قرئ: **(يُظَاهِرُونَ)** بفتح الهاء وتشديدها مع تشديد الظاء بلا ألف هنا، ووجهه: أنه مضارع تظهر وأصله تتظهر فادغم. وقرئ: **(يُظَاهِرُونَ)** بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وبعده ألف على أنه مضارع تظاهر، والأصل: تتظاهرون أدغم التاء في الظاء. وقرئ: **(تُظَاهِرُونَ)** بضم التاء أو الياء وفتح الظاء وألف بعدها وكسر الهاء مخففة بوزن تقاتلون على أنه مضارع ظاهر. وقرئ: **(تُظَاهِرُونَ)** بفتح التاء وتخفيف الظاء بعدها ألف مع فتح الهاء مخففة، والأصل: تتظاهرون حذف منه إحدى التاءين. **نزول سورة المجادلة:** نزلت بعد سورة المنافقون، وهي مدنية بالاتفاق. **عدد كلمات سورة المجادلة:** أربعائة وثلاث وسبعون. **عدد حروف سورة المجادلة:** ألف وسبعائة واثنتان وتسعون. **أسماء سورة المجادلة:** سميت سورة المجادلة؛ لمفتحتها. **مواضيع سورة المجادلة:** معظم مقصود السورة: بيان حُكْمِ =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٧- ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾: من خلقه مما يكتُمونه من أحاديثهم ويُسرُّون به. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾: إذا هم تناجوا ﴿أَنْ مَّا كَانُوا﴾: في أي موضع كانوا، هو شاهدهم بعلمه. ٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى﴾: وكانوا من اليهود، والمنافقين يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات. ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾: بعد نهي الله إياهم عنها ﴿حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ﴾: كانت تحييتهم لرسول الله ﷺ: «السَّام عليكم» وكانوا يعنون بـ«السَّام»: الموت. ﴿لَوْلَا يَعِدُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: أي: هلا يعدبنا بذلك. قالوا: لو كان محمد نبياً هلكنا بهذا الذي يسوؤه مما نقوله فيه. وجهلوا أن أمرهم مؤخر إلى عذاب جهنم، وأن النار كافيتهم. ٩- ﴿وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ﴾: طاعة الله، وما يقربكم منه. ١٠- ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾: المناجاة. ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ليغيظهم ويكبر عليهم. ١١- ﴿فَنَسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾: توسعوا في المجلس: مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا إذا رأوا من جاء مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يتفسحوا حتى يصيب من أتى رسول الله ﷺ مجلساً منه ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: منازلكم في الجنة، أو: يوسع عليكم في المكان والرزق وغيرهما. والآية عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء أكان مجلس حرب أم ذكر أم يوم الجمعة. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾: ارتفعوا، أي قوموا إلى قتال عدو، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرقوا عن رسول الله ﷺ فإن له حوائج ﴿فَاشْرُرُوا﴾: فقوموا. [٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودعة، فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى﴾ الآية. وأخرج أحمد، والبخاري والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعدبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا جَاءَ وَكَ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ﴾، وفي الباب عن أنس وعائشة. [١٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن قتادة قال: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية. [١١] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ الآية. وأخرج أيضاً عنه قال: كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت يوم جعة، وقد جاء ناس من أهل بدر وفي المكان ضيق، فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم، فأقام ﷺ نفراً بعدتهم، وأجلسهم مكانهم، فكره أولئك النفر ذلك، فنزلت. [٨] ﴿فَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾. جاءت آية المجادلة بالفاء؛ لما فيها من التعقيب، أي: فبسَّ المصير ما صاروا إليه، وهو جهنم. [٨] ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨]. ما الفرق بين: "معصية، عصيان" الجواب: وردت كلمة (معصية) مرتين في القرآن (في سورة المجادلة) بينما وردت كلمة (العصيان) مرة واحدة فقط. و(العصيان) يعني ترك الانقياد والمضي لما أمر به الله سبحانه وتعالى. فهو فعلٌ قلبي، وغالباً ما ينتهي العصيان إلى نتائج كبيرة وخطيرة في عالم الواقع، أما المعصية فهي فعلٌ قلبي كذلك إلا أنها أقل ظهوراً وأثراً في واقع الحياة. (العصيان) فيها زيادة مبني التي تعني زيادة في المعنى، (فالعصيان) أشد تأكيداً من المعصية لسببين: ١- زيادة الألف والنون في كلمة (العصيان). ٢- اجتماع كلمة (العصيان) مع الكفر والفُسُوق. قال الفخر الرازي: الكفر ظاهرٌ، والفُسُوق هو الكبيرة، والعصيان هو الصغيرة، (يعني في قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]. [٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ (يعني في قوله تعالى: [المجادلة: ٩]. العاقل الموفق عند الله جل وعلا هو من يوفق للطاعة ويعصم من المعاصي، وإن وقع في شيء منها عاد تائباً مئيباً إليه تبارك وتعالى، وأما الذي لا يعبأ الله عز وجل به فهو الذي يُسرف على نفسه بالذنوب والخطايا ليلاً ونهاراً كيفما شاء؛ دون توبة يُصدرها أو أوبة يُحدثها.. قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْهَ عَنْهُ فَأَمَّا لَهُ مِنْ تَكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]. يقول = [٧] ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ قوله تعالى: ﴿يَكُونُ﴾ قرئ: (تكون) بالتاء للتأنيث. وقرئ: (يكون) بالياء للتذكير، وذلك لأن لفظ (النجوى) يصح تذكيره وتأنيثه لأنه ليس مؤنثاً حقيقياً. قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُ﴾ قرئ: (أكثر) بالرفع عطفاً على محل (نجوى)؛ لأنه مجرور بمن الزائدة للتأكيد. وقرئ: (أكثر) بالفتح مجروراً عطفاً على لفظ "نجوى". [٨] ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾ قرئ: (يتناجون) بمعنى الجمع ليدل على القليل والكثير، قال تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ و﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ و﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ وكله أتى مفرد اللفظ، والمعنى فيه الجمع. [٩] ﴿فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿تَنَجَّوْا﴾ قرئ: (تتنجوا) بوزن (تنهوا). وقرئ: (تتناجوا) بتاءين خفيفتين ونون وألف وجيم مفتوحة كما تقدم. [١١] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ قوله تعالى: ﴿الْمَجَالِسِ﴾ قرئ: (المجالس) بالجمع لكثرة مجالس القوم، فهو وإن أريد به مجلس الرسول ﷺ = الظهار، وذكر النجوى والسرار، والأمر بالتوسع في المجالس، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، والحكم على بعض بالفلاح، وعلى بعض بالخسران.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَ وَكَ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ يَدْعُونَ هُوَ عَدُوٌّ لَنَا وَلَهُمْ أَعَدُّوا لَكُمْ أَنْفُسَهُمْ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمْ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ أَنَّهُمْ يَصْلَوْنَ قَيْسَ الْمَصِيرِ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهْيِ وَأَنْفُوا إِلَى الَّذِي أَلْهَيْتُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَنَجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

(٥٤٣)

يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ ﴿١٢﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: نُهَوَا عَنْ مَنَاجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلَمْ يُنَاجِهِ إِلَّا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدَّمَ دِينَارًا فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ نَزَلَتِ الرَّخْصَةُ فِي ذَلِكَ وَنُسِخَتْ، وَقِيلَ: لَمْ يَعْمَلْ بِهَذِهِ الْآيَةِ، بَلْ نُسِخَتْ قَبْلَ الْعَمَلِ، كَأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَبْحِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾: مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ. ١٣- ﴿ءَاشْفَقْتُمْ﴾: الْإِسْفَاقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ، وَمَعْنَاهُ هَاهُنَا: أَخَشَيْتُمْ بِتَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ الْفَاقَةَ وَالْفَقْرَ؟ وَجَمَعَ (الصَّدَقَاتِ) هُنَا بِاعْتِبَارِ الْمُخَاطَبِينَ. ١٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هُمُ الْمُنَافِقُونَ ثَوَّلُوا الْيَهُودَ وَنَاصَحُوهُمْ ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾: يَعْنِي الْيَهُودَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: آمَنَّا، وَإِذَا لَقُوا الْيَهُودَ قَالُوا: إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. ١٥- ﴿أَتُخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾: يَسْتَحِثُّونَ بِهَا مِنَ الْقَتْلِ، أَيْ جَعَلُوا مَا كَانُوا يَحْلِفُونَ عَلَيْهِ- بِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ- وَقَايَةً وَسْتِرَةً دُونَ قَتْلِهِمْ ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كَانُوا يَشْطَبُونَ مِنَ الْقَوَا فِي الدِّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُضْعِفُونَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُمْ. وَ«الْجُنَّةُ»: مَا يُتَسَتَّرُ وَيُتَّقَى بِهِ مِنَ الْحَذَرِ. ١٨- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾: كَاذِبِينَ مُبْطِلِينَ وَتَحْسِبُونَ ﴿أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: مِنَ الْحَقِّ، أَوِ النَّفْعِ، فِي حَلْفِهِمْ. ١٩- ﴿أَسْتَحْوَذَ﴾: غَلَبَ وَغَلَبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: جَنْدُهُ وَاتِّبَاعُهُ. ٢٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ﴾: يُخَافُونَ أَوْ يَكُونُونَ فِي حَدٍّ غَيْرِ الْحَدِّ الَّذِي شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى. ﴿فِي الْآذَانِ﴾: فِي أَهْلِ الذَّلَّةِ، لِأَنَّ الْغَلْبَةَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. ٢١- ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: قَضَى وَخَطَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ ﴿لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾: مِنْ حَادِثِي وَشَاقِي، وَقِيلَ: الْمُرَادُ غَلْبَةُ الرُّسُلِ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ. وَقِيلَ: وَكَذَلِكَ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ.

١٢- ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: نُهَوَا عَنْ مَنَاجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلَمْ يُنَاجِهِ إِلَّا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدَّمَ دِينَارًا فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ نَزَلَتِ الرَّخْصَةُ فِي ذَلِكَ وَنُسِخَتْ، وَقِيلَ: لَمْ يَعْمَلْ بِهَذِهِ الْآيَةِ، بَلْ نُسِخَتْ قَبْلَ الْعَمَلِ، كَأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَبْحِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾: مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ. ١٣- ﴿ءَاشْفَقْتُمْ﴾: الْإِسْفَاقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ، وَمَعْنَاهُ هَاهُنَا: أَخَشَيْتُمْ بِتَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ الْفَاقَةَ وَالْفَقْرَ؟ وَجَمَعَ (الصَّدَقَاتِ) هُنَا بِاعْتِبَارِ الْمُخَاطَبِينَ. ١٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هُمُ الْمُنَافِقُونَ ثَوَّلُوا الْيَهُودَ وَنَاصَحُوهُمْ ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾: يَعْنِي الْيَهُودَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: آمَنَّا، وَإِذَا لَقُوا الْيَهُودَ قَالُوا: إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. ١٥- ﴿أَتُخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾: يَسْتَحِثُّونَ بِهَا مِنَ الْقَتْلِ، أَيْ جَعَلُوا مَا كَانُوا يَحْلِفُونَ عَلَيْهِ- بِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ- وَقَايَةً وَسْتِرَةً دُونَ قَتْلِهِمْ ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كَانُوا يَشْطَبُونَ مِنَ الْقَوَا فِي الدِّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُضْعِفُونَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُمْ. وَ«الْجُنَّةُ»: مَا يُتَسَتَّرُ وَيُتَّقَى بِهِ مِنَ الْحَذَرِ. ١٨- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾: كَاذِبِينَ مُبْطِلِينَ وَتَحْسِبُونَ ﴿أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: مِنَ الْحَقِّ، أَوِ النَّفْعِ، فِي حَلْفِهِمْ. ١٩- ﴿أَسْتَحْوَذَ﴾: غَلَبَ وَغَلَبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: جَنْدُهُ وَاتِّبَاعُهُ. ٢٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ﴾: يُخَافُونَ أَوْ يَكُونُونَ فِي حَدٍّ غَيْرِ الْحَدِّ الَّذِي شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى. ﴿فِي الْآذَانِ﴾: فِي أَهْلِ الذَّلَّةِ، لِأَنَّ الْغَلْبَةَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. ٢١- ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: قَضَى وَخَطَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ ﴿لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾: مِنْ حَادِثِي وَشَاقِي، وَقِيلَ: الْمُرَادُ غَلْبَةُ الرُّسُلِ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ. وَقِيلَ: وَكَذَلِكَ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ.

١٣، ١٢] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ءَاشْفَقْتُمْ﴾ الآية. أخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل علي رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل: ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ﴾ الآية. وأخرج الترمذي وحسنه وغيره عن علي قال: لما نزلت: ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ قال لي النبي ﷺ: «ما ترى، دينار؟» قلت: لا يطيقونه، قال: «نصف دينار»، قلت: لا يطيقونه، قال: «فكم؟» قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت: ﴿ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية، فيخفف الله عن هذه الأمة، قال الترمذي: حسن. ١٤] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا﴾ الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن بئيل. ١٨] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية. وأخرج أحمد، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: «إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه»، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين رآه: علام تشمتني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني أتك بهم. فانطلق فدعاهم، فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ الآية. ١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]، ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣]. ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء والوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذباً أنهم مسلمون، وأنت رسول الله، وأنتك تعلم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يئس الكفار من بعث موتاهم - أصحاب القبور -؛ لا اعتقادهم عدم البعث. ١٥] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٥]، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [الطلاق: ١٠]. أعد الله لهؤلاء المنافقين عذاباً بالغ الشدة والألم، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمّا آية الطلاق: أعد الله لهؤلاء القوم الذين طغوا، وخالفوا أمره وأمر رسوله، عذاباً بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة، الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه. قد أنزل الله إليكم أيها المؤمنون ذكراً يذكركم به، وينهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته. ١٦] ﴿أَتُخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: ١٦]، ﴿أَتُخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]. اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم، فبسبب ذلك صدّوا أنفسهم وغيرهم عن = الإمام ابن القيم رحمه الله: مما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب أشد من ضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي...؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة...؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم...؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلاهم...؟ عقوبات المعاصي في الحياة الدنيا: ١- حرمان نور العلم. ٢- حرمان الرزق. ٣- تعسير أموره عليه. ٤- توهن القلب والبدن. ٥- حرمان الطاعة. ٦- الثمار الخبيثة، أي: إن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضاً. ٧- وحيل بينهم وبين ما يشتهون، أي: المعاصي تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تتسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله. ٨- إلف المعصية. ٩- هانوا على الله فعصوه. ١٠- ذل المعصية. ١١- الاستهانة بالعصيان. ١٢- تكاثر قطع فغلة فموت. ١٣- ليزيقهم بعض الذي عملوا، أي أن الذنوب والمعاصي تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد. ١٤- ديانة العاصي. ١٥- ما لكم لا ترجون لله وقاراً، أي: أن المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله. ١٦- نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أي: أن المعاصي تستدعي نسيان الله لعبده. ١٧- قيود الذل، أي: أن المعاصي تأسر القلب عن طاعة الله. ١٨- زوال النعم وحلول النقم. ١٩- جبن وخور وخوف. ٢٠- عيش المستوحشين مر. ٢١- سوء الخاتمة. = لكن لما كان لكل واحد ممن هو في مجلس الرسول مجلس جمع. وقرئ: (المجلس) بالتوحيد مراداً به مجلس الرسول ﷺ، وهو الأصل، لأن المعنى كذلك. قوله تعالى: ﴿أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ قرئ: (أنشروا) بضم الشين فيهما. وقرئ: (أنشروا) بالكسر كذلك، وهما لغتان مثل عكف ويعكف، ويحرص ويحرص، ومعنى: أنشروا: قوموا أو انضموا أو ارتفعوا.

٢٢- ﴿يُؤَادُّونَ﴾: يحبون ويوالون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من عادى الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: يعني: قضى لقلوبهم ﴿الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ﴾: قوّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: ببرهانه ونوره ولطفه وتوفيقه إلهي. وقال ابن عطية: معنى «كتب في قلوبهم الإيمان»: أثبتته وخلقه بالإيمان. وقال أبو علي الفارسي: معناه: جعل في قلوبهم علامات تعرف الملائكة بها أنهم مؤمنون. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾: أولياؤه وجنده، الذين يمثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أوليائه.

سُورَةُ الْحَشْرِ

١- ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ﴾: صلى وسجد له سبحانه. ٢- ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: يهود بني النضير حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذرائعهم، وأن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، إلا الحلقة- وهي السلاح- ويحلوا لهم دورهم وأموالهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾: أي: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر، والمعنى أن هذا أول حشرهم في الدنيا إلى الشام. ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾: يخاطب المؤمنين ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾: أن يخرج هؤلاء من ديارهم، وكانوا أهل حصون مانعة، ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة ﴿وَطَنُوا﴾: ظن بنو النضير. ﴿مَنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: من حيث لم يخطر ببالهم أنه يأتهم ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ﴾: مساكنهم، ومعنى تخريب بيوتهم أنهم عرضوها لذلك. وقيل: إنهم لما أيقنوا بالجلاء، جعلوا يخرجون بيوتهم، حتى لا يسكنها المسلمون. وكان المسلمون يخرجونها من خارج ليدخلوا. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾: أي اتعظوا وتدبروا فيما نزل بكم يا أهل العقول والبصائر. ٣- ﴿لَعَذَابُكُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: بالقتل والسبي. و«الجلاء»: مفارقة الأوطان. [٢٢] قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن شاذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: وأخرجه الطبراني، والحاكم في المستدرک بلفظ:

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدث أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه أبو بكر في مكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أفعلت يا أبا بكر؟» فقال: والله لو كان السيف قريباً مني لضربت به، فنزلت ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. [سورة الحشر]: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير. [١] قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة، فحاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح، فأنزل الله فيهم: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ = سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مذل في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله وصددهم عن سبيله، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أما آية المنافقون: إنما جعل المنافقون أيماهم التي أقسموها ستره ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بسئس ما كانوا يعملون. [١٧] ﴿لَنْ نَقْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [المجادلة: ١٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَنْ نَقْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ﴾. قوله: ﴿مَنْ اللَّهُ شَيْئًا أُولَئِكَ﴾ بغير واو، موافقة للجمل التي قبلها، وموافقة لقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾. [٢٢] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. لماذا جاءت "أبدًا" زائدة في المائدة؟ **الجواب:** أنه لما تقدم وصفهم بالصدق، ونفعه إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، وكذلك أكده بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. [٢٢] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتَي الحشر والصف، ومعناها: نزه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السماوات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في قدره وتدييره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها.

[٩] ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. أخبر أن إثارهم إنما هو بالشيء الذي إذا وقى الرجل الشح به كان من المفلحين، وهذا إنما = [٢] ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ قرئ: (يُخْرِبُونَ) بفتح الخاء وتشديد الراء. وقرئ: (يُخْرِبُونَ) بسكون الخاء وتخفيف الراء، وهما بمعنى، عدى بالتضعيف من خرب، وغيره بالهمزة من أخرج، لكن حكى عن بعضهم أن خرب بالتشديد هدم وأفسد، وأخرج ترك الموضوع خراباً وذهب عنه. [٢] ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ﴾ **إعجاز عددي:** ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخبية) بمشتقاتها، وقد ورد كل (٥) مرات في كتاب الله. نزول سورة الحشر: نزلت بعد سورة البينة، وهي مدنية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الحشر: أربعائة وخمس وأربعون. عدد حروف سورة الحشر: ألف وتسعمائة وثلاثة عشر. أسماء سورة الحشر: سميت سورة الحشر؛ لذكره بها. مواضع سورة الحشر: معظم مقصود السورة: الخبر عن جلاء بني النضير، وقسم الغنائم، = تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهُ عَلَى أَصُولِهَا فَإِنْ ذُنُ اللَّهِ وَلِيَحْزَى الْقَلْبَيْنِ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمَسْكِينِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْهُ يُدَوِّنُونَ وَمَا يُدَوِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَغْنِيَاءَ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِأَنْتُمْ الرُّسُلُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتُمْ وَأَنْتُمْ اللَّهُ إِنْ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيَمِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٤- ﴿شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: خالفوا أمر الله وعصوا رسوله. ٥- ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾: قيل: هي النخلة ﴿فِي ذُنِ اللَّهِ﴾: فبأمر الله قطعت، لم تكن فساداً ﴿وَلِيَحْزَى الْقَلْبَيْنِ﴾: لئذ الله بذلك أعداءه المخالفين أمره. وهم اليهود، ويغيبهم، لأنهم إذا راوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاؤوا من القطع والترك ازدادوا ذلاً وغيظاً. ٦- ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: أي لم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلًا، يقال: أَوْضَعَ البعير: إذا جعله مسرعاً في سيره، يقول: لم تقطعوا إليها وادياً، ولا سرتماً إليها مسيراً، وإنما كانت حوائط لبني النضير أطعمها الله رسوله خاصة دون غيره. ٧- ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: من أموال مشركي القرى. وقيل: عنى بذلك: الجزية والخراج. وقيل: الغنيمة التي يصيبها المسلمون من أهل الحرب بالقتال عنوة، وما أوجف عليه بخيل وركاب. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾: ذلك الفيء ﴿دُولَةً﴾: يتداوله الأغنياء منكم بينهم، دون الفقراء. والدولة: اسم للشيء يتداوله القوم بينهم، يكون لهذا مرة، ولهذا مرة. قال مقاتل: المعنى أنه يغلب الأغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِأَنْتُمْ الرُّسُلُ فَخُذُوهُ﴾: أعطاكم رسول الله ﷺ ما أفاء الله من أهل القرى، فخذوه ﴿وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ﴾: من الغلول، أي الخيانة في الغنائم وغيره ﴿فَأَنْتُمْ هُمْ﴾ والآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله من أمر أو نهى، أو قول أو فعل. ٩- ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ﴾: اتخذوا مدينة رسول الله ﷺ فابتنوها منازل لهم، وهم الأنصار. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل المهاجرين ﴿يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: من ترك منزله وانتقل إليهم من غيرهم، وكانت الأنصار قد أسلموا في ديارهم، وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بستين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: حسداً، وحزاة ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾: مما أوتي المهاجرون دونهم، من الفيء ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: كانوا يعطون المهاجرين أموالهم، إثاراً لهم على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: فاقة وحاجة إلى ما آثروهم به ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: في كلام العرب: البخل ومنع الفضل من المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون المخلدون في الجنة. [٥] قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهُ﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخل النضير، وقطع وهي البويرة فأُنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهُ﴾ الآية. وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: رخص لهم قطع النخل، ثم شدد عليهم، فأثروا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه؟ فأُنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهُ﴾ الآية. وأخرج ابن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت. وأخرج ابن جرير عن قتادة ومجاهد مثله. [٩] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: يا رسول الله أقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين قال: لا ولكن تكفونهم به المؤنة، وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم، قالوا: رضينا، فأُنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ﴾ الآية. وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئاً، فقال: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لأمرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرينه ثم شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم، وتعالى فاطفتي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة، فأُنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وأخرج مسدد في مسنده، وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: أن رجلاً من المسلمين... فذكر نحوه، وفيه: أن الرجل الذي أضاف ثابت بن قيس بن شماس، فنزلت فيه هذه الآية. وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً وعياله، أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية.

[٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤]. آية الأنفال صورت المواجهة الأولى في تاريخ الإسلام بين المسلمين والمشركين، وجاء فيها أنه سبحانه أمد المؤمنين بالملائكة ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وأنه سبحانه أمر الملائكة بضرب أعناق المشركين، وضرب كل بنان، ثم علل ذلك بالمشاقة، فناسب الآية فك الإدغام الدال على وفرة هذه المسألة، أمّا آية الحشر فهي في بني النضير من يهود المدينة، الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم كتب الله عليهم الجلاء، وهؤلاء لم تكن مشاققتهم كمشاقة أهل مكة سواء في العداء أو العدة أيضاً، ولذلك ناسب الآية الإدغام.

[٦، ٧] ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: ٧]. الموضع الأول بواو والثاني بغير واو؛ لأنَّ الأول معطوف على قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾ [الحشر: ٥]، والثاني استئناف ليس له به تعلق. نقل أبو حيان أن: ﴿مَا أَفَاءَ﴾، الثانية بيان للأولى، يبين لرسول الله ﷺ ما يصنع بهذا الفيء، وعن ابن عطية: أهل القرى المذكورون في الثانية هم أهل الصفراء وبنع ووادي القرى، وما هنالك قرى عربية، وحكمها مخالف لبني النضير، ولم يحبس النبي ﷺ منها شيئاً، وهذا دليل على تزييف من قال: إنه بدل بيان. = هو فضول الدنيا لا الأوقات المصروفة في الطاعات، فإن الفلاح كل الفلاح في الشح بها. فمن لم يكن شحيحاً بوقته تركه الناس على الأرض عياناً مفلساً. [٧] ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَكُونَ﴾ قرئ: (تكون) بتاء التانيث "دولة" بالرفع على أن "كان" تامة. وقرئ: (يكون) بالتذكير مع رفع "دولة" لكون الفاعل مجازي التانيث. وقرئ: (يكون) بالتذكير مع نصب على الجمع. [٢] ﴿فَاعْتَرِضُوا بِأَنِّي الْأَبْصَرُ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.

= وتفصيل حال المهاجرين والأنصار، والشكاية من المنافقين في واقعة فريضة، وذكر برصيصاء العابد، والنظر إلى العواقب، وتأثير نزول القرآن، وذكر أساء الحق تعالى وصفاته، وبيان أن جملة الخلائق في تسييحه وتقديسه سبحانه.

١٠- **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ**: من بعد الذين تبوءوا الدار والإيمان **﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾**: عداوة وضغنا **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾**: لأحد من أهل الإيمان، بإطلاق؛ فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولاً لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون سياق الآيات فيهم، فمن كان في قلبه غلٌ لهم فقد عصى الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه، فإن جاوزه إلى شتم أحد منهم فقد وقع في غضب الله وسخطه، نسأله تعالى العصمة والثبات على الإيمان. ١١- **﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾**: من أهل الكتاب، بعث المنافقون إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ للحرب، أن اثبتوا وتمتعوا، وقالوا لهم ما ذكر الله من قولهم بعد هذا. ١٢- **﴿وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ﴾**: أي: لو قُدِّرَ وجود نصرهم إياهم لهربوا منهزمين **﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُون﴾**: بعد ذلك، أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم. ١٣- **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾**: أي: لأنتم يا معشر المسلمين أشد رهبة، في صدور اليهود- من بني النضير- من الله **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُون﴾**: قدر عظمة الله، فلا يرهبون عقابه! ١٤- **﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾**: حيطان **﴿بِأَسْهُمٍ﴾**: عداوتهم **﴿وَقُلُوبُهُمْ سَتَى﴾**: متفرقة، يعني: المنافقين واليهود. ١٥- **﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾**: يعني عز وجل: بني قينقاع. وقيل: كفار قريش يوم بدر **﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾**: عاقبة كفرهم بما أنزل الله بهم من العقوبة. ١٦- **﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾**: يقول عز وجل: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود بالنصر، كمثل الشيطان الذي غرَّ إنساناً، ووعدته على الكفر بالله النصر عند حاجته إليه، فكفر، فلما احتاج إلى نصرته أسلمه، أي تركه وتخلّى عنه. قيل: وليس قول الشيطان إنه يخاف الله، على حقيقته، إنما هو على وجه التبرّي من الإنسان، فهو تأكيد لقوله إنه بريء منه. [١٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: **﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتْبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُربّي جميع عبادته، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٠] معنى اسم الله الرؤوف والرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمن، الرحيم، والبر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٨] معنى اسم الله الخبير: الخبير هو العالم بما كان وما يكون، أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. والفرق بين العلم والخبر: أن الخبر هو العلم بكنهه المعلومات على حقيقتها؛ ففيه معنى زائد على العلم. [١١] قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾**. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فنزلت هذه الآية فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾**. [١٣] **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُون﴾** [الحشر: ١٣]، **﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ يَنْهَمُ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾** [الحشر: ١٤]. لماذا ختم الموضوع الأول بـ **﴿لَا يَفْقَهُون﴾** والثاني بـ **﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾**؟ **الجواب**: الموضوع الأول متصل بقوله: **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾** لأنهم يرون الظاهر، ولا يفقهون ما استتر عليهم، والفقه معرفة ظاهر الشيء وغامضه بسرعة فطنة، ففقه عنهم ذلك، والموضوع الثاني متصل بقوله: **﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾**، أي: لو عقلوا لاجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا. [٩-١٠] **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ١٠]. اعلم أن هذه الآيات قد استوعبت جميع المؤمنين لأنهم إما المهاجرون أو الأنصار، أو الذين جاؤوا من بعدهم، وبيّنت أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار أن يذكر السابقين وهم المهاجرون والأنصار بالدعاء والرحمة، فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء، كان خارجاً من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية. [٩] **﴿الَّذِينَ يَبَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [الحديد: ٢٤]، **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩]. ما الفرق بين "الشح" و"البخل"؟ **الجواب**: "الشح": هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، و"البخل": منع إنفاقه بعد حصوله، وحبّه وإمساكه. [١٤] **﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾** قوله تعالى: **﴿جُدُرٍ﴾** قرئ: **﴿جُدُرٍ﴾** بضم الجيم والفتح الدال على الأفراد. والجمع والإفراد يرجعان إلى معني واحد. [١٠] **﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾** **﴿إِعْجَازٌ عَدَدِي﴾**: تساوي عدد مرات ذكر لفظ **﴿البصر والبصيرة﴾** ومشتقاتهما مع لفظ **﴿القلب والفؤاد﴾** ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة: أولاً: ورد لفظ **﴿البصر والبصيرة﴾** (بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ **﴿القلب والفؤاد﴾** (بمشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذا تساوى عدد مرات ذكر لفظ **﴿القلب والفؤاد﴾** ومشتقاتهما (١٤٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ **﴿الشیطان﴾** (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة **﴿الشیطان﴾** (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ **﴿الشیطان﴾** (٦٨) مرة أصبح (٨٨) =

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٠ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطْعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ لِمَ كَذَبُوا ١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلُواكُ الْأَذْبُرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ١٢ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ١٣ لَأَقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ يَنْهَمُ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذُاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ١٦ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ فَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ١٧



١٧- ﴿فَكَانَ عَقِبَهُمَا﴾: الشيطان والإنسان الذي كفر. ١٨- ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾: أي يوم القيامة، قَرَّبَ الله تعالى القيامة حتى جعلها غداً، لأنها آتية لا محالة، أو تنبيهاً على قربها. ٢١- ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾: من حجر أصم ﴿لَرَأَيْنَاهُ خَشْيَةً﴾: متدلاً ﴿مُتَّصِدًا مِّنْ حَشِيَّةٍ إِلّٰهُ﴾: على قساوته، حذراً أن لا يؤدي حق الله، وهذا تمثيل يقتضي علو شأن القرآن، وقوة تأثيره في القلوب والعقول، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. ٢٣- ﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾: الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه ﴿الْقُدُّوسُ﴾: الطاهر المبارك و﴿تَقْدُسُ﴾: تطهر. ﴿السَّلَامُ﴾: الذي سلم من كل نقص. وقيل: المسلم على عباده في الجنة. وهو مصدر ووصف به للمبالغة ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: الذي يؤمن خلقه من ظلمه ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾: الشهيد على عباده بأعمالهم، الرقيب عليهم، وقيل: الأمين. ﴿الْعَزِيزُ﴾: في نَقْمِهِ إذا انتقم. وقيل: الغالب غير المغلوب. ﴿الْجَبَّارُ﴾: المصلح أمور خلقه. من: جَبَرَ: إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير. وقيل: جبروت الله: عظمته تعالى. ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾: عن كل شر ﴿سُبْحَانَ اللّٰهِ﴾: تنزيهاً لله وتبرئة عن شرك المشركين. ٢٤- ﴿الْبَارِئُ﴾: الذي برا الخلق وأوجدهم، بقدرته ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: خلقه كيف شاء من الصور والهيئات ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: هي هذه الأسماء التي سمي بها نفسه في هاتين الآيتين. وقد قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة». متفق عليه. وقيل: إن اسمه الأعظم هو الله.

[٢٣] معنى اسم الله المَلِكُ، المَلِكُ، مَالِكُ الْمُلْكِ: فهو سبحانه الموصوف بصفة الملك. وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق، والأمر، والجزاء. وله جميع العالم، العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه. فهو الربُّ الحقُّ، الملك الحقُّ، الإله الحقُّ، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، واستعبدتهم بإلاهيته، فتأمل هذه الجلالة وهذه

العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق. رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى. [٢٣] معنى اسم الله القدوس والسلام: ((القدوس السلام)) معناها متقاربان؛ فإن القدوس مأخوذ من قدس بمعنى: نزهه وأبعده عن السوء مع الإجلال، والتعظيم، فالقدوس: هو المبارك والطاهر المنزه عن النقائص والعيوب وأن يكون له مثل أو شبيه. والسلام مأخوذ من السلامة. فهو سبحانه السالم من ماثلة أحد من خلقه، ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله. والسلام: هو المسلم على عباده في الجنة وهو الذي سلم الخلق من ظلمه. [٢٣] معنى اسم الله المؤمن: هو الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين. وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به. [٢٣] معنى اسم الله المهيمن: هو المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً. وقال البخوي: الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء... [٢٣] معنى اسم الله الجبار: للجبار من أسمائه الحسنى ثلاثة معاني كلها داخلية باسمه ((الجبار)): ١- المعنى الأول: أنه الذي يجبر الضعيف وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير، ويغني الفقير، ويُسِّر على المعسر كل عسير... ٢- والمعنى الثاني: أنه القهار لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء. ٣- والمعنى الثالث: أنه العليُّ على كل شيء. فصار الجبار مُتَضَمِّناً لمعنى الرؤوف القهار العلي. ٤- وقد يراد به معنى رابع وهو المتكبر عن كل سوء ونقص، وعن ماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه وحقوقه. [٢٣] معنى اسم الله المتكبر: هو سبحانه المتكبر عن السوء، والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه. [٢٤] معنى اسم الله الخالق والبارئ والمصور والخالق: هو الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوّاها بحكمته، وصوّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم. [٢١] ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْقَلِيلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. وهذه الأمثال نضربها للناس؛ ليتفكروا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمّا آية الحشر: وتلك الأمثال نضربها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته. [٢٣] ﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١]. لم يرد اسمه سبحانه القدوس إلا مرتين في كتابه مقروناً باسم الملك، وقال النبي ﷺ بعد صلاة الوتر: "سبحان الملك القدوس ثلاثاً" أخرجه النسائي وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. ولعل السر في اقتران الملك بالقدوس: أن من صفات هذا الملك أنه قدوس، إشارة إلى أنه سبحانه مع كونه ملكاً مديراً متصرفاً في كل شيء، فهو قدوس منزّه عما يعترى الملوك من النقائص التي أشهرها الاستبداد والظلم والاسترسال مع الهوى والمحابة.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. فكم من مصل قائم صائمه، قلبه يغلي حقداً وحسداً على كثير من إخوانه المسلمين، وكم من إنسان يستطيع صيام النهار، وقيام الليل، وبذل المال، لكنه لا يستطيع علاج قلبه من هذا المرض. فمن كان في قلبه غل على إخوانه المسلمين فنصيبه من هذا الثناء من الله في الآية الكريمة يضعف بقدر ما عنده من هذا المرض العضال - إن كان له نصيب - نسأل الله السلامة والعافية. ففتش نفسك، فإنه قل من يسلم من هذا الداء، فإن وجدت عنده شيئاً من هذا فألزمها تقوى الله، وأعلمها بأن الجنة وعدت ملاها، وإن النار وعدت ملاها، وأن الناس لو كانوا كلهم في الجنة ما ضرك ذلك، ولو كانوا كلهم في النار ما نفعك ذلك، فعالج قلبك. [٢٤] ﴿هُوَ اللّٰهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]. الخالق هو الذي قدر ما يوجد، والبارئ هو الذي يُمَيِّز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة، وقيل: الخالق المبدئ، والبارئ المعيد. [٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَةً مِّنْ حَشِيَّةٍ إِلّٰهُ﴾ [الحشر: ٢١]. أي لو جعلناه في جبل، أي: على قساوته، تمييزاً كما في الإنسان، ثم أنزلنا عليه القرآن، لتشقق، خشية من الله، وخوفاً ألا يؤدي حقه، في تعظيم القرآن، والمقصود تنبيه الإنسان على قسوة قلبه، وقلة خشوعه، عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبر زواجه. = مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوياً أيضاً (٨٨) مرة.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إيجاز متنوع التعريف بالسور

١- ﴿لَا تَنْجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾: من المشركين ﴿أُولَآئِكَ﴾: انصاراً ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾: أي: لا تتولاهم وتوادوهم وهذه حالهم. ﴿وَأَيَّاكُمْ﴾: بمعنى: ويخرجونكم أيضاً من دياركم كما أخرجوا الرسول ﷺ ﴿أَنْ تَوْمِنُوا بِاللَّهِ﴾: لأن آمنتم بالله، أي: يخرجونكم لإيمانكم ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾: قيل: نزلت هذه الآيات في حاطب ابن أبي بلتعة، وكان ممن شهد بدرًا، فكتب إلى قريش يُطلبهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم، وهو تجهزه لفتح مكة، فأوحى الله بذلك إلى نبيه، وأظهره على كتاب حاطب. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في شأن حاطب -من حديث- «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». ٢- ﴿إِنْ يَشْفِقُواكُمْ﴾: يقول عز وجل: إن يلقوكم، ويظفروا بكم، أي هؤلاء الذين تُسْرُونَ إليهم بالمودة ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾: وحرباً ﴿وَوَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا﴾: تمنوا أن تكونوا كفاراً مثلهم. ٣- ﴿يَقْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرق ربكم بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. ٤- ﴿أَسْوَءُ﴾: قدوة ﴿بِرَّءُؤُا﴾: يريثون منكم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي بما آمنتم به من الأوثان أو أنكرنا ما أنتم عليه ﴿وَبَدَأَ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا﴾: أي هذا دأبنا معكم ما دمت على كفركم ﴿لَا قَوْلَ لِإِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: أي لكم أسوة حسنة في إبراهيم في جميع أقواله وأفعاله إلا قوله لأبيه ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾: فلا تقتدوا به فيه فتستغفروا للمشركين، فإن ذلك كان من إبراهيم عن مودة وعددها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرا منه ﴿وَالَيْكَ أَنتَبْنَا﴾: رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب. ٥- ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بأن تُسلطهم علينا، فيروا أنهم على حق، وأنا على باطل، فتجعلنا بذلك فتنة لهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، فكانه قال: لا تجعلنا مفتونين، فعبر عن ذلك بالمصدر. ﴿وَأَعْفِرْنَا﴾: استر علينا ذنوبنا بعفوك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَآئِكَ تَلْقَوْنَ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَأَيَّاكُمْ أَنْ تَوْمِنُوا بِاللَّهِ رِيبَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِ
وَأَبْغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَعْلَمُ مِنْكُمْ فَدَعَلْ سَوَاءَ السَّبِيلِ ١
يَشْفِقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَانُهُمْ
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا ٢ إِنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٣
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَأَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ٤ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٥
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْنَا رِيبًا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥

٥٩١

[١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَآئِكَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ أخرج الشيخان عن علي قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والوزير والمقداد بن الأسود فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها فتأتوني به»، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجني الكتاب، قالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أأخذ يداً ويحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر، فقال النبي ﷺ: صدق. وفيه أنزلت هذه السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَآئِكَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾. [٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]. قاله هنا بتأنيث الفعل مع الفاعل لقربه، وإن جاز التذكير، وأعاده بتذكيره مع الفاعل لكثرت، وإن جاز التأنيث، وإنما كرر ذلك؛ لأن الأول في القول، والثاني في الفعل، وقيل: الأول في إبراهيم، والثاني في محمد ﷺ. [١] ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ١]. بدأ هنا بـ"تلقون"، وبعده بـ"تسرون"؛ تنبيهاً بالأول على ذم مودة الأعداء سراً وجهراً، وبالثاني على تأكيد ذمها سراً، وخص الأول بالعموم لتقدمه، وباء "بالمودة" زائدة، وقيل نسيبة، والمفعول محذوف، والتقدير: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، بسبب المودة التي بينكم وبينهم. [١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١]. ما الفرق بين: "مودة، وُد"؟ [الجواب: وردت كلمة (مودة) ثماني مرات، بينما وردت كلمة (وُدًا) مرة واحدة. في المرة التي وردت فيها كلمة (وُدًا) كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. بينما في الثماني المرات التي وردت فيها كلمة (مودة) كان الفاعل البشر. (الودُّ) يكون منبعثاً من طرف إلى آخر، سواء أشركه الطرف الآخر أم لا. بينما (المودة) تكون متبادلة بين الطرفين. جاءت كلمة (وُدًا) مناسبة للسياق الذي وردت فيه، وقد خُتمت بها الآية (أي جاءت الكلمة كفاصلة للآية). ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ وهي في هذا الموضع أنسب من كلمة (مودة) حيث إنها وقعت (أي كلمة وُدًا) بين فواصل متناسقة (عداء، فرداء، وُدًا، لُدًا). بينما جاءت كلمة مودة في وسط السياق، كما أنها تخلو من المد، لذا فلا يسوغ أن تأتي كفاصلة مثل كلمة (وُدًا). [٣] ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَفْصِلُ﴾ قرئ: (يُفْصِلُ) بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففاً مبنيًا للمفعول، والنائب ضمير المصدر المفهوم من يفصل، أي: الفصل أو بينكم، لكنه مبني على الفتح لإضافته إلى مبني مثل ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ عند من فتح. وقرئ: (يُفْصِلُ) بضم الياء وفتح الصاد مشددة مبنيًا للمفعول أيضاً. وقرئ: (يُفْصِلُ) بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد المخففة مبنيًا للفاعل، وهو الله تعالى، أي: يحكم أو يفرق وصلكم. وقرئ: (يُفْصِلُ) بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة مبنيًا للفاعل أيضاً، أي: يفرق بإدخال المؤمن الجنة والكافر النار، والتشديد فيه معنى التكثير، والتخفيف يحتمل التكثير والتقليل، والقراءة في هذا الحرف ترجع إلى معنى واحد وهو: أن الله هو الفاصل بينهم يوم القيامة. [٦، ٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾ قرئ: (أسوة) بضم الهمزة في الثلاثة "الأحزاب: ٢١، الممتحنة: ٤، ٦" وهي: لغة قيس وتميم. وقرئ: (إسوة) بكسر الهمزة: لغة الحجاز، والأسوة: الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، وهو الاتساء كالقدوة من الاقتداء. [١] ﴿وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ [عجاء عدي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذا تساوى عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كل منهما (١٦) مرة. نزول سورة الممتحنة: نزلت بعد سورة الأحزاب، وهي مدنيّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة الممتحنة: ثلاثمائة وأربعون. عدد حروف سورة الممتحنة: ألف وخمسمائة وعشرة. أساء سورة الممتحنة: لها ثلاثة أسماء: سورة الممتحنة، وسورة الامتحان؛ لذكره بها. الثالث سورة المودة؛ لذكره بها. مواضع سورة الممتحنة: معظم مقصود السورة: النهي عن موالاته الخارجين عن ملة الإسلام، والاقتداء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة، وانتظار المودة بعد العداوة، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرسول بكيفية البيعة مع أهل السر والعفة، والتجنب من أهل الزيف والضلالة.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّبِعِ الْهُدَىٰ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ عَنِ اللَّهِ أَن يَجْعَلَ
يَتَذَكَّرُ وَيَتَذَكَّرُ عَادِيَتُهُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةٌ ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ
لَّا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
إِنَّمَا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُم الظَّالِمُونَ ۚ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ الْمُؤْمِنَتُ
مُهَاجِرَتٍ فَأَتَتْهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِأَيْمَنِ فَإِنْ عَلِمَتْهُنَّ مُؤْمِنَتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ
مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَتَسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم بِهِ مَوْلَاكُمْ
ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُم إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَأَنفَقُوا الَّذِي آتَيْتُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ۚ

(٥٥٠)

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ...﴾: الخطاب لأمة محمد ﷺ. ٧- ﴿عَنِ اللَّهِ أَن يَجْعَلَ يَتَذَكَّرُ...﴾: إلى آخر الآية، ففعل الله ذلك بهم بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخواناً. وعن أبي هريرة والزهري أن أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين: أبو سفيان بن حرب. قال الزهري: وهو من قال الله تعالى فيه ﴿عَنِ اللَّهِ أَن يَجْعَلَ يَتَذَكَّرُ وَيَتَذَكَّرُ عَادِيَتُهُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةٌ﴾. ٨- ﴿لَّا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ...﴾: من أهل مكة. وقيل: من جميع أصناف الملل ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾: تصلوهم. ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾: تعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم. وبركم بهم. ٩- ﴿وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾: عاونوا من أخرجكم. ١٠- ﴿مُهَاجِرَتٍ﴾: من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَأَتَتْهُنَّ﴾: فاخترهن: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض لأرض، وبالله ما خرجت التماساً دنياً، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله. ﴿وَأَتَتْهُنَّ مَا أَنفَقُوا﴾: يقول عز وجل: أعطوا المشركين إذا جاءكم نساؤهم مؤمنات الصداق، الذي أصدقوهم ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا حرج عليكم ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: أن تزوجوا هؤلاء المهاجرات ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾: مهرهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾: يقول جل ثناؤه للمؤمنين: لا تمسكوا بجال النساء الكوفار، وأسبابهن. و«الكوفار» جمع: كافرة، و«العصم» جمع: عصمة، وهي ما اعتصم به من عقد وسبب. وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين عن المقام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمرهم بفراقهن. ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم بِهِ مَوْلَاكُمْ﴾: يقول: ما ذهب من أزواج أصحاب محمد ﷺ إلى الكفار، فليعطهم الكفار صدقاتهن، وليمسكوهن. وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبي ﷺ فمثل ذلك. وكان ذلك في الصلح الذي كان بين محمد ﷺ وقريش. ١١- ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُم إِلَى الْكُفَّارِ﴾: قيل: هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ﴿فَعَقَبْتُمْ﴾: بمعنى: أصبتم منهم عقبي، بغنيمة تصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بكم ﴿فَتَأْتُوا﴾: أعطوا ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾:

منكم ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾: من الصداق. [٨] قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتني أمي رغبة فسألت النبي ﷺ أصلها؟ قال: «نعم»، فأنزل الله فيها: ﴿لَّا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبلها منها، أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة: أن سلمي عن هذا رسول الله ﷺ، فأخبرته: فأمرها أن تقبل هداياها، وتدخلها منزلها، فأنزل الله: ﴿لَّا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية. [١٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَتُ مُهَاجِرَتٍ﴾ أخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَتُ مُهَاجِرَتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ، وكلماه في أم كلثوم أن يردها إليهم، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء، ومنع أن يُرددن إلى المشركين، فأنزل الله آية الامتحان. وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه: أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة. وأخرج عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيذة كانت تحت صيفي بن الراهب، وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة، فقالوا: ردها علينا، فنزلت. وأخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية، وكان صالحهم أن من أتاه رد إليهم، فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية. وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب، فتأخرت امرأته في المشركين، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾. [١١] قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت، فتزوجها رجل ثقيفي، ولم ترد امرأة من قريش غيرها. [٤، ٦] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]. ما فائدة تكرار الآية مرتين؟ الجواب: الآية الأولى أريد بها التأسي بهم في البراءة من الكفار، ومن عبادة غير الله تعالى، وأريد بالثانية التأسي بهم في الطاعات واجتناب المعاصي، لقوله تعالى بعده: ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يريد ثوابه وعقابه. قول آخر فيه توسع: أنه تعالى أمر المؤمنين ألا يتخذوا أعداءهم وأولياءهم أسباب المودة والنصيحة لهم، وسبب نزول هذه السورة قصة حاطب بن أبي بلتعة، رحمه الله، في كتابة إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وما يريد فيه، ودفعه ذلك إلى طعينة، ونزول الوحي بذلك، فبعث رسول الله ﷺ علياً والمقداد وأمرهما أن يأتيا روضة خاخ، وقال لهما: إن بها طعينة معها كتاب إلى أهل مكة، فذهب علي والمقداد، رضي الله عنهما، فوجدا الطعينة كما أخبرهما ﷺ. وأنكرت الكتاب، فاشتد عليها علي، رضي الله عنه، وقال: وتبرأ حاطب من أن يكون فعل ذلك نفاقاً، واعتذر بما قبله منه رسول الله ﷺ، فنزل القرآن بتصديقه في اعتذاره، فقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، فأمر تعالى بالتبري منهم، وقبل تعالى توبة حاطب، وأمر بالاعتداء بإبراهيم، عليه السلام، حين تبرأ هو ومن معه من المؤمنين من قولهم إلا ما كان من مودة إبراهيم لأبيه بالاستغفار إلى أن تبين له أنه عدو الله فتبرأ منه، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلما أوضح تعالى من ذلك ما فيه شفاء المؤمنين أتبعه تعالى بالقسم المؤكد لذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: ٦]، أي المذكورون أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، أي: عن = [٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]. كرر الحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقراً ومضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار. [١٠] ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ قوله تعالى: ﴿تُمْسِكُوا﴾ قرئ: (تُمْسِكُوا) بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك. وقرئ: (تُمْسِكُوا) بفتح الميم وتشديد السين من أمسك.

١٢- ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ يَفْتَرِيَهُ﴾: يكذب يكذبنه ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: فلا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن. قال الفراء: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى، وليس المراد هنا أنها تنسب ولدها من زوجها إلى الزنا، لأن ذلك قد دخل تحت النهي عن الزنا. وقيل: كانت الحرّة تولد لها الجارية فتجعل مكانها غلاماً. ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: من أمر الله تأمرهن به. وفي بعض الروايات أن جماعة نساء بايعن النبي ﷺ - وكان ذلك يوم فتح مكة - فقلن: يا رسول الله نبايعك على كذا وكذا. الآية. فلما فرغن قال رسول الله ﷺ: فيما استطعتن وأطقتن، فقلن: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا. رواه الترمذي والنسائي وغيرهما، وصححه الألباني.

١٣- ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: من اليهود. وقيل: هم جميع طوائف الكفر ﴿قَدِيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾: من ثواب الله لهم في الآخرة. أو: لا يوقنون بالآخرة البتة بسبب كفرهم ﴿كَمَا يَسُ الْكُفَّارِينَ أَصْحَابَ الْقُبُورِ﴾: كما يش الكفار الأحياء من موتاهم الذين في القبور، أن يبعثوا أو يعودوا إليهم.

سُورَةُ الصَّفَاتِ

١- ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾: في سلطانه وقدرته ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله وتديبره. ٢- ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: قيل: نزلت في قوم من المؤمنين تمنوا معرفة أفضل الأعمال ليعملوا بها، فلما أنزل الجهاد شق ذلك على أناس منهم، فعوتبوا بهذه الآية. والاستفهام للتقريع. ٣- ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾: يقول عز وجل: عظم مقْتاً عند ربكم، والمقت: البغض. ٤- ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرْصُوصٌ﴾: قد رص بعضه إلى بعض، ورصيف، فأحكم بناؤه. ٥- ﴿لَمْ تُؤْذُونِي﴾: بتعتكم وعصيانكم. وقيل: بالشتم والانتقاص. ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾: «قد» لتحقيق العلم. وصيغة المضارعة للدلالة على الاستمرار. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: عدلوا وجاروا عن قصد السبيل ﴿زَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: آمال الله عنه قلوبهم.

[١٣] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أخرج ابن المنذر من طريق ابن

يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِمَا يَعْصِيَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُ الْكُفَّارِينَ أَصْحَابَ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقْرَءُ لَكُمْ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا زَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

إسحاق عن محمد، عن عكرمة، وأبو سعيد عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحرث يوادان رجلاً من يهود، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. [١، ٢] قوله تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله ﷻ: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

= الاقتداء والتأسي بمن أرشد سبحانه إلى التأسي به فيما ذكر: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، فالأولى تنبيه وإرشاد، والثانية تأكيد، وسبب كل آية منهما الذي به اتصالها وتعلقها بَيْنَ، ولا يلائم كل واحدة ولا يناسبها غير موضعها، والله أعلم. [١٣] ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]، ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُ الْكُفَّارِينَ أَصْحَابَ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣]. ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء والوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذباً أنهم مسلمون، وأنت رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أما آية المتحنة: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأخلاء، قد يسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يش الكفار من بعث موتاهم - أصحاب القبور -؛ لا اعتقادهم عدم البعث. [١] ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحشر والصف، ومعناها: نزه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السماوات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في قدره وتديبره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها. [٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾. لماذا جاءت كلمة "الكذب" معرفة بالألف واللام في سورة الصف، وباقي المواضع بالتنكير؟ **الجواب:** المراد بآية الصف كذب خاص، وهو جعلهم البنات سحرًا، والمراد في بقية المواضع أي كذب كان. [٨] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. حذف اللام من الآية الأولى؛ لأن مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، وهو المفعول به، والتقدير: ذلك قولهم بأفواههم، ومرادهم إطفاء نور الله بأفواههم. والمراد الذي هو المفعول به في الصف مضمّر تقديره: ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب يريدون ذلك ليُطْفِئُوا نور الله، فاللام لام العلة. وذهب بعض النحاة إلى أن الفعل محمول على = [٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ في "المائدة: ١١٠، يونس: ٢، هود: ٧، الصف: ٦" قرئ: (ساجر) بالألف بعد السين وكسر الحاء في الأربعة اسم فاعل. وقرئ: (سحر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف في الأربعة على المصدر، أي: ما هذا الخارق إلا سحر، أو جعلوه نفس السحر كرجل عدل مبالغة. [٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ قرئ: (متمّ نوره) بغير تنوين "نوره" بالخفض من إضافة اسم الفاعل. وقرئ: (متمّ نوره) بالتنوين والنصب على إعمال اسم الفاعل. [١٠] ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٨]. حذف ألم تر إلى الثاني: من (نجى) قال تعالى: ﴿فَنَجِّنَهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ وهما في القرآن كثير، غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل على معنى نجاة بعد نجاة.

نزول سورة الصف: نزلت بعد سورة التغابن، وهي مكية بالاتفاق. **عدد كلمات سورة الصف:** مائتان وإحدى وعشرون. **عدد حروف سورة الصف:** تسعمائة. **أسماء سورة الصف:** ولها اسمان: سورة الصف؛ لذكره بها. وسورة الحواريين؛ لذكرهم بها. وقيل: تسمى سورة عيسى. **مواضيع سورة الصف:** معظم مقصود السورة: عتاب الذين يقولون أقوالاً لا يعملون بمقتضاها، وتشريف صفوف الغزاة والمصلين، والتنبيه على جفاء بني إسرائيل، وإظهار دين المصطفى على سائر الأديان، وبيان التجارة الزابحة مع الرحيم الرحمن، والبشارة بنصر أهل الإيثار، على أهل الكفر والخذلان، وغلبة بني إسرائيل على أعدائهم ذوي العدوان.

وَأَذَالَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ: ﴿٦﴾ بُعِثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَنِي إِسْرَءِيلَ، مِثْلَ أَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. «وَالْإِنْجِيلُ» مُصَدِّقٌ لِتُورَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ. وَقِيلَ: لَمَّا جَاءَهُمْ عِيسَى بِالْمُعْجَزَاتِ قَالُوا: هَذَا الَّذِي جَاءَنَا بِهِ سِحْرُ ظَاهِرٍ. ٨- ﴿لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: لِيُطْلُوا الْحَقَّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا، بِقَوْلِهِمْ: إِنَّهُ سَاحِرٌ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ سِحْرٌ. ٩- ﴿وَدِينُ الْحَقِّ﴾: الْإِسْلَامُ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: لِيَجْعَلَهُ ظَاهِرًا عَلَى كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ، عَالِيًا عَلَيْهِ، غَالِبًا لَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ! قِيلَ: قَالَ مُجَاهِدٌ: عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَصِيرَ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، فَلَا يَكُونُ غَيْرُ الْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنْ يَظْهَرَ حَتَّى لَا يَوْجَدَ دِينٌ إِلَّا وَالْإِسْلَامُ أَظْهَرَ مِنْهُ. ١٠- ﴿يَحْزَنُ نَجِيجُكُمْ﴾: جَعَلَ الْأَعْمَالُ الْمَذْكُورَةَ بَعْدَهَا بِمَنْزِلَةِ التَّجَارَةِ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَكْثَرِ رِيحٍ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ. ١٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾: فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ بَايَعَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: يَعْنِي: مَنْ أَنْصَارِي مِنْكُمْ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ لِي. وَقِيلَ: مِنْ أَنْصَارِي فِيمَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ. وَقِيلَ: «إِلَى» فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى «مَعَ». ﴿قَالَ الْخَوَارِثِيُّونَ﴾: سُمُّوا بِ«الْخَوَارِثِيِّينَ»: لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ. قِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ، أَيْ يَبْيِضُونَهَا. ﴿تَحَنَّنْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: عَلَى مَا بَعَثَ بِهِ أَنْبِيََاءَهُ مِنَ الْحَقِّ ﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بِعِيسَى ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾: مِنْهُمْ بِهِ ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قَوَيْنَا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾: أَيْ: قَوَيْنَا مُؤْمِنِيهِمْ عَلَى كِفَارِهِمْ فَغَلَبُوهُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: أَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ: فِي إِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ. وَقِيلَ: أَيْدُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَصْبَحَتْ حُجَّةٌ مَنْ آمَنَ بِعِيسَى ظَاهِرَةً بِتَصَدِيقِ مُحَمَّدٍ أَنْ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ.

١٠ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْلُكُمْ عَلَى يَحْزَنُ﴾ أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو

تفعلون ما لا تفعلون في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

١١ قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْلُكُمْ عَلَى يَحْزَنُ نَجِيجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قال المسلمون: لو علمنا ما

هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين. فنزلت: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ = المصدر. أي: إرادتهم لإطفاء نور الله. قول آخر: أن زيادة آية براءة مقابل بها ما ورد من الطول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى، قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]، فوقع في المحكي هنا طول اقتضى ما بني جواباً عليه ليتناسب. وأمّا آية الصف فمقابل بها قول عيسى عليه السلام لما قال لهم: ﴿وَأَذَالَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وإنما الجواب على المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وليس هذا في الطول وعدة الكلم المحكي في سورة براءة، ألا ترى أن الواقع في سورة براءة ست كلمات "عزير ابن الله - المسيح ابن الله"، وفي الصف ثلاث كلمات "هذا سحر مبين"، ثم إن الواقع في سورة براءة مقال طائفتين منهم اليهود والنصارى مفصلاً به، والواقع في الصف مقالة طائفة واحدة، وهذا مراعى، فقد وضح ورود كل من الآيتين مناسبة لما اتصل به، وعلى ما يجب في السورتين، والله أعلم. [٩٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]،

الصف: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والصف، والآية تبين أن الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق، أي: الإسلام، وظهوره على الأديان. [١٢] ﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّتْ عَذْبٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّتْ عَذْبٌ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢]. وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها، ومسكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم، فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمّا آية الصف: إن فعلتم - أيها المؤمنون - ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ومسكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. [٦٦] ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

كيف خص عيسى أحمد بالذكر دون "محمد" مع أنه أشهر أسماء النبي ﷺ؟ الجواب: خصه بالذكر؛ لأنه في الإنجيل مسمى بهذا الاسم، ولأن اسمه في السماء "أحمد"، فذكر باسمه السماوي؛ لأنه أحمد الناس لربه؛ ولأن حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لأمته، سابق على حمدهم له تعالى، على طلبه الشفاعة من نبيه ﷺ لهم. [٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. وإنما خص الأفواه بالذكر - مع أنهم لم ولن يدخروا وسيلة لرد الحق بقول أو فعل إلا عملوها - إشارة لضعفهم ووهنهم، فهم في هذا أشد ضعفاً ووهناً ممن يريدون إطفاء نور الشمس بأفواههم. [١٣] ﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرَ اللَّهِ =

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِثِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْصَارَ﴾ قرئ: (أَنْصَارَ) غير ممنون مضافاً إلى لفظ الجلالة بلا "لام" جر. وقرئ: أيضاً (أَنْصَارًا) ممنوناً (الله) "بلام" الجر، و"اللام" إما مزيدة في المفعول للتقوية إذ الأصل: أَنْصَارُ اللَّهِ، أو غير مزيدة. ويكون الجار والمجرور نعتاً للأَنْصَارِ.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

١٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِثِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْصَارَ﴾ قرئ: (أَنْصَارَ) غير ممنون مضافاً إلى لفظ الجلالة بلا

٨ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

٢٠ مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٦- ﴿وَأَذَالَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بُعِثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَنِي إِسْرَءِيلَ، مِثْلَ أَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. «وَالْإِنْجِيلُ» مُصَدِّقٌ لِتُورَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ. وَقِيلَ: لَمَّا جَاءَهُمْ عِيسَى بِالْمُعْجَزَاتِ قَالُوا: هَذَا الَّذِي جَاءَنَا بِهِ سِحْرُ ظَاهِرٍ. ٨- ﴿لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: لِيُطْلُوا الْحَقَّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا، بِقَوْلِهِمْ: إِنَّهُ سَاحِرٌ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ سِحْرٌ. ٩- ﴿وَدِينُ الْحَقِّ﴾: الْإِسْلَامُ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: لِيَجْعَلَهُ ظَاهِرًا عَلَى كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ، عَالِيًا عَلَيْهِ، غَالِبًا لَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ! قِيلَ: قَالَ مُجَاهِدٌ: عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَصِيرَ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، فَلَا يَكُونُ غَيْرُ الْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنْ يَظْهَرَ حَتَّى لَا يَوْجَدَ دِينٌ إِلَّا وَالْإِسْلَامُ أَظْهَرَ مِنْهُ. ١٠- ﴿يَحْزَنُ نَجِيجُكُمْ﴾: جَعَلَ الْأَعْمَالُ الْمَذْكُورَةَ بَعْدَهَا بِمَنْزِلَةِ التَّجَارَةِ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَكْثَرِ رِيحٍ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ. ١٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾: فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ بَايَعَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: يَعْنِي: مَنْ أَنْصَارِي مِنْكُمْ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ لِي. وَقِيلَ: مِنْ أَنْصَارِي فِيمَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ. وَقِيلَ: «إِلَى» فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى «مَعَ». ﴿قَالَ الْخَوَارِثِيُّونَ﴾: سُمُّوا بِ«الْخَوَارِثِيِّينَ»: لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ. قِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ، أَيْ يَبْيِضُونَهَا. ﴿تَحَنَّنْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: عَلَى مَا بَعَثَ بِهِ أَنْبِيََاءَهُ مِنَ الْحَقِّ ﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بِعِيسَى ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾: مِنْهُمْ بِهِ ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قَوَيْنَا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾: أَيْ: قَوَيْنَا مُؤْمِنِيهِمْ عَلَى كِفَارِهِمْ فَغَلَبُوهُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: أَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ: فِي إِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ. وَقِيلَ: أَيْدُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَصْبَحَتْ حُجَّةٌ مَنْ آمَنَ بِعِيسَى ظَاهِرَةً بِتَصَدِيقِ مُحَمَّدٍ أَنْ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ.

١٠ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْلُكُمْ عَلَى يَحْزَنُ﴾ أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو

تفعلون ما لا تفعلون في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

١١ قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْلُكُمْ عَلَى يَحْزَنُ نَجِيجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قال المسلمون: لو علمنا ما

هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين. فنزلت: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ = المصدر. أي: إرادتهم لإطفاء نور الله. قول آخر: أن زيادة آية براءة مقابل بها ما ورد من الطول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى، قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]، فوقع في المحكي هنا طول اقتضى ما بني جواباً عليه ليتناسب. وأمّا آية الصف فمقابل بها قول عيسى عليه السلام لما قال لهم: ﴿وَأَذَالَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وإنما الجواب على المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وليس هذا في الطول وعدة الكلم المحكي في سورة براءة، ألا ترى أن الواقع في سورة براءة ست كلمات "عزير ابن الله - المسيح ابن الله"، وفي الصف ثلاث كلمات "هذا سحر مبين"، ثم إن الواقع في سورة براءة مقال طائفتين منهم اليهود والنصارى مفصلاً به، والواقع في الصف مقالة طائفة واحدة، وهذا مراعى، فقد وضح ورود كل من الآيتين مناسبة لما اتصل به، وعلى ما يجب في السورتين، والله أعلم. [٩٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]،

الصف: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والصف، والآية تبين أن الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق، أي: الإسلام، وظهوره على الأديان. [١٢] ﴿جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّتْ عَذْبٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّتْ عَذْبٌ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢]. وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها، ومسكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم، فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمّا آية الصف: إن فعلتم - أيها المؤمنون - ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ومسكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. [٦٦] ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

كيف خص عيسى أحمد بالذكر دون "محمد" مع أنه أشهر أسماء النبي ﷺ؟ الجواب: خصه بالذكر؛ لأنه في الإنجيل مسمى بهذا الاسم، ولأن اسمه في السماء "أحمد"، فذكر باسمه السماوي؛ لأنه أحمد الناس لربه؛ ولأن حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لأمته، سابق على حمدهم له تعالى، على طلبه الشفاعة من نبيه ﷺ لهم. [٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. وإنما خص الأفواه بالذكر - مع أنهم لم ولن يدخروا وسيلة لرد الحق بقول أو فعل إلا عملوها - إشارة لضعفهم ووهنهم، فهم في هذا أشد ضعفاً ووهناً ممن يريدون إطفاء نور الشمس بأفواههم. [١٣] ﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرَ اللَّهِ =

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِثِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْصَارَ﴾ قرئ: (أَنْصَارَ) غير ممنون مضافاً إلى لفظ الجلالة بلا

٨ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

١٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِثِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْصَارَ﴾ قرئ: (أَنْصَارَ) غير ممنون مضافاً إلى لفظ الجلالة بلا

٨ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كل (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانياً: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثاً: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

٢٠ مرة في كتاب الله عز وجل. رابعاً: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ۝ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ (٥)
قُلْ يَتَابِعُنِي الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ رَضِعْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ (٦) وَلَا تَسْتَوِنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ (٧) قُلْ إِنْ
الْمَوْتُ الَّذِي يُقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَكٌ مُّخْفَى عَنْكُمْ يُشِيرُ إِلَى
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ (٨)

003

أن أنه ينبغي أن نكون مبشرين. وهذا التعبير القوي

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسورة

٥- ﴿لَوْ أَرَأَوْهُمْ﴾: حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون عما دُعوا إليه ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: عن المسير إلى رسول الله ﷺ ليستغفروا لهم. ٧- ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: إشارة إلى عبد الله بن أبي ومن قال بقوله. ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: من أصحابه المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾: يتفرقوا عنه. ظن المنافقون أن إنفاقهم هو سبب رزق المهاجرين، وأنهم إذا حاربوهم في هذا الرزق تركوا رسول الله! يا لغباء المنافقين وتحلفهم وفساد عقلهم حين قالوا هذا في المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم نصرة لدينهم ونبيلهم. هذا، ﴿وَاللَّهُ خَرَّائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ٨- ﴿لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾: قيل: اقتتل رجلان، أحدهما من «جهينة»، والثاني من «غفار»، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، فظهر عليه الغفاري، فقال عبد الله بن أبي: عليكم صاحبكم وحليفكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: «سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ» والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وكان في سفر، فلما بلغ ابن أبي المدينة أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فأذن له ﷺ في دخولها. وروي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما سمع الآية جاء إلى أبيه وقال له: أنت والله يا أبت السدليل، ورسول الله العزيز. ٩- ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: قيل: عنى الصلوات الخمس. ١٠- ﴿لَوْلَا آخِرَتِي﴾: هلا أمهلتني وآخرت موتي إلى أجل قصير. ﴿فَأَصْدَقَ﴾: أؤدي زكاة مالي ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك. ١١- ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾: حض على المبادرة ومسابقة الأجل بالعمل الصالح. [٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: ففعل يلوي رأسه فنزلت فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله. [٦] قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال: النبي ﷺ «لأزيدن على السبعين» فأنزل الله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ الآية. وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ: «وأنا أسمع أني قد رخص لي فيهم، فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم» فنزلت. [٧، ٨] قوله تعالى: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وأخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم قال: سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي للنبي ﷺ، فدعاني النبي ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني وصدقه، فأصابني شيء لم يصيبني قط مثله، فجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلا أن أكذبك رسول الله ﷺ، ومقتك، فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: إن الله قد صدقك. له طرق كثيرة عن زيد، وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك، وأن نزول السورة ليلاً. [٧، ٨] ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يفهمون أن الأرزاق على الله تعالى، وأن منعهم ذلك لا يضرهم؛ لأن الله تعالى يرزقهم إذا منعهم من جهة أخرى، فلما كان الفكر في ذلك أمراً خفياً يحتاج إلى فكر وفهم، وأن خزائن الله سبحانه مقدورة إذا شاءها قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، وأما ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، فرد على عبد الله بن أبي حين قال: ﴿لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾؛ لأن ذلك يدل على عدم علمه أن العزة لله وللرسول، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، فمنه العزة وهو مُعْطِيهَا لمن يشاء، وليس ذلك إلى غيره، وذلك من الأمور الظاهرة لمن عرف الله تعالى، فجهلهم بقولهم ذلك مع ظهور دليله. = والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة - راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان - إذا، (أقبل) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطاباً لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلِي مُدِيرٌ﴾ [القصص: ٣١]. أما (انت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَقْرَمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرق كبير بين كلمة (انت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن، في قوله تعالى: ﴿هَآؤُمْ أَفْرَأْ وَأَكْنِي﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعض اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح من يؤتى كتابه بيوم القيامة لا يعادله فرح، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظير، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. [٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]. في ذلك تحذير من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله، فوقعوا في النفاق، فمن علامات النفاق قلة ذكر الله عز وجل، وكثرة ذكره أمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلباً ذاكراً بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله تعالى. [٥] ﴿لَوْ أَرَأَوْهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَأَوْهُمْ﴾ قرئ: (لوا) بتخفيف الواو الأولى من لوى مخففاً. وقرئ: (لوا) بالتشديد على التكثير من لوى الرباعي، وسبق الكلام على خشب مع نظائرها. [١٠] ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَكُنْ﴾ قرئ: (واكون) بالواو بعد الكاف ونصب النون عطفاً على «فأصدق» المنصوب بإضمار «أن» بعد جواب التمني، وهو ﴿لَوْلَا آخِرَتِي﴾ فهو محمول على مصدر آخرتي، والكلام فيه كالكلام على ﴿يُضْعَفُهُ﴾ في العلة والشرح، فلو عطفته على لفظ ﴿آخِرَتِي﴾ لاستحال المعنى، ولصبرت تمنى أن تكون من الصالحين، وليس المعنى كذلك، إنما المعنى: أنه التزم أن يكون من الصالحين إن أخر. وقرئ: (واكن) بحذف الواو لالتقاء الساكنين وبجزم النون، قال الزمخشري: عطفاً على محل «فأصدق» المنصوب لأن موضعه قبل دخول الفاء فيه جزم كما يجزم جواب الشرط لأنه غير واجب، إذ يجوز أن يقع، ويجوز أن لا يقع، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن. وحكي عن سيبويه عن الخليل: أنه جزم على توهم الشرط = نسيان ذكر الحق تعالى، والغفلة عنه، والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت، وبيان أنه لا تأخير ولا إهمال بعد حلول الأجل.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُءٌ وَسَهُمٌ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَرَّائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَنْصُرَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُوا رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١١- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: لم تصب أحداً من الخلق مصيبة ﴿إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ﴾: بقضائه وقدره ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: يوفق قلبه للتسليم لأمره، والرضا بقضائه. ١٤- ﴿إِنَّمَا يَنْتَظِرُ لِكُلِّ فِتْنَةٍ عَذَابُهُ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة فثبطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم ﴿وَلَا تَعْقُوا﴾: أيها المؤمنون عما سلف منهم، من صدّهم إياكم عن الإسلام ﴿وَتَصَفَحُوا﴾: لهم عن عقوبتكم إياهم ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: لهم غير ذلك من الذنوب. ١٥- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي اختبار، فقد تشغل المرء عن مرأشده، وتحمله من الرغبة في الدنيا على ما لا يحمد في آخرته. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن أثير طاعة الله فيما أمر، ولم يطع أحداً في معصيته. ١٦- ﴿فَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: ما أطقتم، وبلغت وسعكم ﴿وَأَسْمِعُوا﴾: الرسول ﷺ ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾: أنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم تستقذونها به من عذاب الله ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: أي بخلها وضئها بالمال. يفضل عما أمر به من الإنفاق. ١٧- ﴿إِنْ تَقْرَضُوا أَلْفًا مِنَ اللَّهِ تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِهِ وَتُحْسِبُوا بِالْإِنْفَاقِ الْأَجْرَ عَظِيمًا﴾: لأهل الإنفاق في سبيله ﴿حَلِيمٌ﴾: على أهل معاصيه. [١٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْتَظِرُ لِكُلِّ فِتْنَةٍ عَذَابُهُ﴾: أخرج الترمذي، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَنْتَظِرُ لِكُلِّ فِتْنَةٍ عَذَابُهُ﴾: في قوم من أهل مكة أسلموا، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا، فهموا أن يعاقبهم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَعْقُوا وَتَصَفَحُوا﴾: أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ﴾: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فتركهم وقيم، فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة. [١٦] قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: لما نزلت ﴿فَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيهم وتفرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿فَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: الآية. = الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه أفضل تمكن، ولذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني أن من خصائص "أن" أنك ترى في ضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها. [٩] ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [الطلاق: ١١]. لماذا جاءت آية التغابن بزيادة ﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾؟ **الجواب:** الآية الأولى جاءت بعد قوله تعالى مخبراً عن الكفار: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبْتُكْفِرُ إِذَا آمَنَّا بِاللَّهِ؟﴾: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ في مستقبل عمره يمسح عنه ما سبق من كفره، ثم يوجب له جنات، والآية الثانية لم يتقدمها خبر عن كفارة سيئات، فيعودوا بتكفيرها إذا أقلعوا عنها وتابوا منها، وعملوا الصالحات مكانها، وكان مضموناً تكفير السيئات عند الإيمان وعمل الصالحات، فلم يحتج إلى ذكره كما كان الأمر في غيره، والله أعلم. [١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]. فصل في سورة الحديد، وأجل في سورة التغابن؛ موافقة لما قبلها في سورة الحديد، فإنه فصل أحوال الدنيا والآخرة فيها، بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُلْغَايَةِ﴾ [الحديد: ٢٠]. [١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]. آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع ذلك بذكر العلة في تحريمها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَبْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، فختمت من التهديد بما يشعرونه بشديد الوعيد، ناسب ذلك قوله تأكيداً لما تقدم من الإشعار بمخاوف الجزاء: ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ لما في ذلك من التأكيد لما تقدم، أما آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، فلما لم يرد هنا نهي عن محرم متأكد التحريم بما أتبع النهي من التهديد والتأكيد، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك، فجاء كل على ما يجب ويناسب. [١٥] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. واعلموا أيها المؤمنون أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلموا أشكرونها عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه، فهذا ما دلّت عليه آية الأنفال، أما آية التغابن: ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة غيره، وأدّى حق الله في ماله. [١٤] ﴿لَا تُكْفِرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿وَلَا تَعْقُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ [التغابن: ١٤]. ما الفرق بين: "كُفِّرَ وَغُفِرَ"؟ **الجواب:** ١- اختصت (كُفِّرَ) بالسيئات، بينما اختصت (غُفِرَ) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناده (كُفِّرَ) إلى (الله)، بينما أسندت (غُفِرَ) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كُفِّرَ) بالسيئات و(غُفِرَ) بالذنوب والخطايا **والجواب:** أن التوبة نوعان: ١- نوع متعلق بمعاصي في حق الله - تعالى - وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبداً. ٢- نوع يتعلق بمعاصي في حق العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوباً» أو «خطايا» والعفو عنها «غفراناً» وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات» والعفو عنها (تكفيراً).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادُكُمْ هُمْ يَخُفُّونَ رُءُوسَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَرَحُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقْرَضُوا أَلْفًا مِنَ اللَّهِ تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِهِ وَلِلَّهِ الْغَنَاءُ الْحَلِيمُ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّافِقِ (٥٥٧)

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَذَلِكَ حُدُودُ
اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهِ يُخْرِجُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ
يَمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ
وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَرِزْقَهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
بَلِّغُ أَمْرِهِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَسْنَ
مِنَ الْمَيْحِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَزَقْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

٥٥٨

سُورَةُ الطَّلَاقِ

١- ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: إذا أردتم تطليقهن وعزمتن عليه، ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾: أي مستقبلات
لعدتهن. وقيل: في عدتهن. والمراد أن يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع، ثم يتركن حتى تنقضي
عدتهن ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احفظوها، واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة، وهي
ثلاثة قروء. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾: لا تخرجوا من طلقتم من نساكنكم لعدتهن ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾: التي
كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق، حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: يقول: ولا تخرجوهن
﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾: أنها فاحشة لمن عاينها أو علمها. وقيل: «الفاحشة»: الزنا،
والإخراج لإقامة الحد عليها. ومعنى «الفاحشة» هاهنا: كل أمر تعدت فيه حده، كالزنا، والسرقة،
والبذاء على أحمائها: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾: رجعة. ٢- ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾: يقول: فإذا بلغ
المطلقات اللواتي في عدة أجلهن، وذلك حين قرب انقضاء عدتهن ﴿فَامْسِكُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ﴾: برجعة
تراجعوهن، إن أردتم ذلك، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتى تنقضي عددهن، فتبين منكم
بمعروف، وذلك بإعطائهن ما لهن من حق قبلكن من الصداق والمتعة، على ما أوجب الله عليكم
لهن ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: على الإمساك إن أمسكنتموهن، وعند الطلاق إن طلقتموهن
﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: أدوها على الحق إذا دُعيتن إليها ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: ينجيها من كل كرب.
٣- ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: من حيث لا يدري ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يفوض أمره إليه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾: منفذ أمره مضمض قضاءه في خلقه، وهو منقطع عن قوله «ومن يتوكل على الله فهو
حسبه» ومعنى ذلك: أن الله بالغ أمره، توكل عليه العبد أو لم يتوكل، غير أن المتوكل «يكفر عنه
سيئاته ويعظم له أجرًا» ﴿فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًا وأجلًا.
٤- ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَيْحِضِ﴾: لا يزوجون أن يحضن من الكبر ﴿إِنْ رَزَقْتُمْ﴾: بالحكم فيهن، وفي

عدتهن، فلم تدروا ما هي؟ فإن حكم عددهن إذا طلقن، بعد دخول أزواجهن بهن، ثلاثة أشهر. ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾: من الجوارى لصغرهن، إذا طلقهن
أزواجهن بعد الدخول بهن، فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ﴾: النساء الحوامل إذا طلقن، فانقضاء عدتهن أن يضعن أحمالهن. ﴿١﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة، ثم نكح امرأة من مزينه، فجاءت إلى رسول الله ﷺ
وقالت: يا رسول الله ما به ما يغني عني إلا كما تغني هذه الشعرة، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾. وقال الذهبي: الإسناد واه والخبر خطأ،
لأن عبد يزيد لم يدرك الإسلام. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾. فقيل له: راجعها، فإنها صوامه قوامه. وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلاً. وابن المنذر عن ابن سيرين مرسلاً. وأخرج ابن أبي حاتم عن
قتات في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص، وطفيل بن الحرث، وعمرو بن سعيد بن العاص. ﴿٢﴾ قوله
تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ أخرج الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ في رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد
ثبير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال له: «اتق الله واصبر». فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم، وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره
بها فقال: «كلها» فنزلت. وقال الذهبي: «حديث منكر». له شاهد. وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد، والسدي، وسمي الرجل عوفاً الأشجعي.
أخرج الحاكم أيضاً من حديث ابن مسعود وسماه كذلك. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك =
﴿فَامْسِكُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿فَامْسِكُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢]. سورة البقرة تنهى عن مضارة النساء
تحريراً أخذ شيء منهن، وأتبع ذلك بالمنع عن عضلهن وقد تكرر أثناء ذلك الأمر بمجاملتهن والإحسان لهن سواء في حالة انفصال الزوجين أو اتصالهم،
الترطف وتحسين الحال في المحبة والفراق، ولم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾؛ لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، أمّا
سورة الطلاق فلم يرد فيها تعرض لعضل ولا ذكر مضارة، فلم يذكر ورود التعبير بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ووقع الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في
لحاليين بقوله: ﴿يَمَعْرُوفٍ﴾، والله أعلم. ﴿٢﴾ ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]. الخطاب في آية البقرة للنبي ﷺ، وقدم تشريعاً له، ثم عمم فقال: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وفي الطلاق
الخطاب له ولأمته جميعاً، وقدم تشريعاً بالنداء لقوله تعالى في أول السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]. ﴿٢﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]،
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]. أمر تعالى بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث
مرات، ووعد في كل مرة بنوع من الجزاء، فقال أولاً: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، أي يخرجها مما أدخل فيه وهو يكرهه، ويُتبع له محبوبه من حيث لا يأمل، وقال في الثاني:
سَهَّلَ عَلَيْهِ الصَّعْبَ مِنْ أَمْرِهِ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، ويُتبع له خيراً مما نزلها، والثالث: وَعَدَ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وهو ما يكون في الآخرة من
نعماء، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]. ﴿٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ قرئ: (بالغ) بغير تنوين و﴿أَمْرِهِ﴾
الجر مضاف إليه من إضافة (بالغ) إلى (أمره) على التخفيف، مثل ﴿مِثْمُ ثَوْبِهِ﴾. وقرئ: (بالغ أمره) بالتنوين والنصب على الأصل في إعمال اسم الفاعل إذا كان
معنى الاستقبال، أو الحال. ﴿٦﴾ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ عَلَيْهِنَّ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ قرئ: (وجدكم - وجدكم) بكسر
واو وبضمها لغتان فيه، بمعنى الوسع. ﴿٢﴾ ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة
مشتقاته) (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاته) وكل ورد (٢٥) مرة.

زول سورة الطلاق: نزلت بعد سورة الإنسان، وهي مدنية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الطلاق: مائتان وأربعون. عدد حروف سورة الطلاق: ألف وستون. أسماء
سورة الطلاق: لها اسمان: سورة الطلاق؛ ذكره بها. والثاني سورة النساء القُصْرَى. قاله عبد الله بن مسعود رضي الله سبحانه وتعالى عنه. مواضع سورة الطلاق: =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

٦- ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾: يعني: مطلقات النساء ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾: من الموضع الذي سكنتم، أي بعض مكان سكناكم. ﴿مَنْ وَجِدَكُمْ﴾: من سعتكم التي تجدون حتى تنقضي عدتهن، والوجد: الوسع والطاقة، ﴿وَلَا نَضَارُوهُنَّ﴾ في المسكن الذي تُسكنونهن، وأنتم تجدون سعة من المنازل ﴿وَأِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: هي المرأة يُطلقها زوجها، ويبتع طلاقها وهي حامل، فأمره الله أن يُسكنها وينفق عليها حتى تضع، وإن أرضعت فحتى تطفم ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾: على رضاعهن ﴿وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾: اصنعوا المعروف بينكم. ﴿وَأِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لَهٗ أُخْرَىٰ﴾: إن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه فامتنع من رضاعه، فلا سبيل إلى إكراهها على رضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائدة منه. وقيل: إن لم يقبل الولد غير أمه، أجبرت على رضاعه. ٧- ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ﴾: ضيق عليه ﴿رِزْقُهُ﴾: فلم يُوسَّع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾: من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم ﴿إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾: ما أعطاه الله من سعة، أو قلة على قدر طاقته. ٨- ﴿وَلَكَّيْنِ مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾: يقول: وكم من أهل قرية ﴿عَنْتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: طغا أهلها وخالفوا أمره، ولجؤا في كفرهم. ﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: لم نعف لهم عن شيء ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا﴾: عظيمًا منكرًا. ٩- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عاقبة ما عملت ﴿خُسْرًا﴾: غبنًا وخسارة. ١١- ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾: قد وسَّع الله له في الجنات رزقًا. ١٢- ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْْرَ بَيْنَهُنَّ﴾: أي يجري أمر الله وحكمه بينهن. وملكه ينفذ فيهن. وعن قتادة: في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه. وأمر من أمره. وقضاء من قضائه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهن.

= الأشجعي، فقال: يا رسول الله ان ابني أسره العدو، وجزعت أمه فما تأمرني؟ فقال: «أمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقالت المرأة: نعم ما أمرك، فجعلنا يكثران منها، فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، فنزلت: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الآية.

الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجَدْتُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لَنْ يُغْنِيَكُمْ عَنْهُمْ آلُكُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۖ وَإِنْ كُنْ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْغَاهِي ۚ فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ فَنُفُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ وَأَتَمَرُوا إِلَيْكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرَّضْ لَهُمْ أُخْرَىٰ ۖ ٦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رُزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ ۚ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجًا ۚ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِمَّا سَبَقَ ۚ وَكَانَ مِنْ قَرَابَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلُهُ ۚ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ نَهَا عَذَابًا ثَكْرًا ۚ ٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ۚ ٩ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۚ ١٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا ۚ ١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ ١٢

٥٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الَّتِي لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ زَوْجِكَ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فُضِّلَ اللَّهُ لَكُمْ فَخْلًا آمَنَ بَكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا بَيَّنَّاتٍ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَبْنَا هَذَا قَالَ تَبْنَايَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِنْ نُوَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ
بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَعَ كُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِمَّنْ كُنَّ مُسَامِدَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قِينَاتٍ تَبِيَّتْ عِلْدَاتٍ سَدَّ حَتَّ
تَبِيَّتْ وَأَبْكَرًا ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

٥٦٠

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ﴾: معشر أزواج محمد ﴿أَنْ يُبَيِّنَ﴾ الله سبحانه أنه لا يطلقهن. ﴿تَنَبَّيْتُ﴾: راجعات إلى الله تعالى وكررت الصفات مبالغة وإن كان بعضها يتوهم أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حراماً لله ﴿لَكُمْ حِلَّةٌ أَتَمَّكُمْ﴾ وأخرج الضياء في المختارة من بعضها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَدَائِكُمْ حِفْصَةً﴾ فجاءت فوجدتها معه، فقالت: يا رسول الله أتت عائشة فأخبرتني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَخُذْنَ مِنْهُ شَيْئًا مِمَّا زَكَّيْنَ مِنْهُنَّ وَفِي سَوَافِرٍ لَهُنَّ﴾ وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: حفصة فقالت مثل ذلك، فقال: «أراه من شراب شارب» فافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين المذكورين. قالت: كان عندي عكة من عسل أبيض، فكانت أأكلها بن أسامة في مسنده عن عائشة قالت: لما حلف رسول الله ﷺ بنزولها. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت في مسنده ضعيف. [٥] قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ تُكَلَّفَ مِنْهُنَّ حِجَّةً وَنِكَاحًا﴾ [التحريم: ٥]. لما راوا لا متناع اجتماعهما في ذات واحدة، بخلاف بقية الزوجات. [التحريم: ٦]. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ما فاعله هو المؤمن، أو المراد بالأمر الأول الأمر بالعبادات والطاعات.

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ، وَأَظْهَرْتُ لَهُ أَنَّ إِلَهَهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ﴾
: وعفا عن بعض تكروماً وحلماً منه صلى الله عليه وسلم
ف الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت
ن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ
إحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأولاد خشية الإملا
حُسنِي، وأمر بالوفاء بالكيل والميزان، والعدل، في الأ
كُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقُولُوا
سَ أَلَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَقُولُوا
سأل تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
وَمُؤْمِنِينَ رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣]. وأمر تعالى بقر
مواضيع سورة التحريم: معظم مقصود السّورة: عتاب
ه، والأمر بالتحرز والتجنب من جهنّم، والأمر بالتأ

٨- ﴿تَوْبَةَ نَصُوحًا﴾: قيل: التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيئ، والذنب يعمل به، ثم لا يعود إليه أبداً، و«النصوح» بناء مبالغة من النصح، أي توبة نصحت صاحبها وأرشدته. وقيل: التوبة النصوح هي الصادقة ﴿تُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أمامهم ﴿وَيَأْتِمِنُ بِهِمْ﴾: كتبهم فيها البشري ﴿أَتَمُّ لَنَا نُورَنَا﴾: يسألون ربهم أن يبقوا لهم نورهم، فلا يطفئه أحد، حتى يجوزوا الصراط حين يطفأ نور المنافقين، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا. ٩- ﴿جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: أمر أن يغلظ عليهم بالوعيد وبالحدود ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾: اشدد عليهم في ذات الله. ١٠- ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾: كانت امرأة نوح كافرة تقول في نوح: إنه مجنون، وثفسي سره، وسر من آمن به إلى الجبابرة من قومه. وامرأة لوط كانت تدل على ضيفه، وكانت كافرة، وكان ذلك خيانتها لنوح ولوط، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت زوجة نبي قط، ولا ابثلي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نسائهم بهذا. ﴿فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما شيئاً من الله، إذ عاقبهما، وقيل لهاتين الزوجتين: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾: يوم القيامة. ١٢- ﴿وَمَرِمُ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: منعت جيب درعها، أي قميصها أو ثوبها، جبريل عليه السلام، وتزهت عن الفواحش. والفرج: كل خرق أو فتق أو صدع أو شق في حائط أو سقف. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾: في جيب درعها ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾: من جبريل عليه السلام، قيل: وهذه الإضافة: «من روحنا» إضافة مخلوق إلى خالق، ومملوك إلى مالك، كما تقول: بيت الله، وناقاة الله. ﴿وَصَدَقْتَ﴾: آمنت ﴿بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾: بعبسى عليه السلام وهو كلمة الله، وسمي عبسى كلمة الله لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله «كن» لا بسبب آخر وهو الوالد، كسائر بني آدم ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾: يعني: التوراة والإنجيل ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْقَنِينَ﴾: العابدين المطيعين لله تعالى. [٨] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى ثَوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِمِنُ بِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، ثَوْرُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

الجواب: قوله في سورة التحريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يفهم من المعية قرب المنزلة وعلو الحال فتقدم ثبوته، فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه. أما قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿يَسْعَى ثَوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبينهم، فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها كما تحصل في آية التحريم، إنما هذه بشارة، فناسبها التجدد والحدوث، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من المعنى ليفهم التكرار وحدوث الشيء بعد الشيء، فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم. [٩] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٩، التحريم: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والتحريم، والآية تدعو النبي ﷺ أن يجاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة، وأن يشدد على كلا الفريقين، ومقرهم جهنم، وبئس المصير مصيرهم. [١٢] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢]. الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو "التي"، وهي مريم بنت عمران المفتوح باسمها في آية التحريم، أعيد الضمير في سورة الأنبياء إليها من حيث ذلك تخصيص وتكرام جليل وآية باهرة، وقد قصد هنا تشريفها وتشريف ابنها عليهما السلام بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾، ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود في سورة الأنبياء بذكر من لم يذكر في سورة التحريم، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، فقيل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾، وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص بمحل النفخ من غير إشكال. وقيل في آية التحريم: "فيه" لعوده إلى الموضع المخصوص على ما يجب، ولم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتها في القانتين. وأما عن وجه تخصيص آية الأنبياء بالتشريف دون الآية الأخرى، فإن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات تضمنت ذكر جملة من الرسل موصوفين بخصائص عليّة وآيات نبوية، أولهم إبراهيم عليه السلام، ثم ابنه إسحاق ثم ابنه يعقوب، ثم نوح ولوط ودادود... فلما ذكر هؤلاء العلية عليهم السلام بخصائص ومنح ناسب ذلك ذكر مريم وابنها بما مُنحَا عليهما السلام... [١١] ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]. ذكر الله على لسان امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، والترتيب النحوي يقول: رب ابن لي بيتاً عندك، فقدم الجار والمجرور على المفعول به على خلاف التركيب لغرض، وهي أنها اختارت جوار الله قبل أن تختار الدار، وهذا من دلالة شوقها إلى ربها وأدبها في مخاطبة الرب تبارك وتعالى. [٤] ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ﴾ قوله تعالى: (تظاهرون عليهم) في سورة [البقرة: ٨٥]، (وتظاهرا عليه) في سورة [التحريم: ٤]، قرئ: (تظاهرون، تظاهرا) بحذف إحدى التائين تخفيفاً. وقرئ: (تظاهرون، تظاهرا) بتشديد الظاء فأدغمت تاء الافتعال في الظاء لشدة قرب المخرج. قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ في سورة [القرة: ٩٧-٩٨، التحريم: ١٢]، قرئ: (جبريل) بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة، وهي: لغة الحجازيين، فمن كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب. ومن فتح: أتى به على غير كلام العرب؛ ليعلم أنه أعجمي، وكذلك من همز ومن أثبت ياء بعد الهمز، وقرئ: (جبريل) بفتح الجيم وكسر الراء وياء ساكنة بغير همزة، وكذلك قرئ: (جبريل) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة وياء ساكنة وهذه لغة تميم، وقيس وكثير من أهل نجد، وقرئ: (جبريل) ومثل هذه القراءة الأخيرة بحذف الياء بعد الهمزة هي لغة أيضاً في هذا الاسم، وهو اسم أعجمي. وكل هذه لغات.

= تَقُومُ أَذَى مِنْ ثُلِي أَيْلٍ وَضَفَفَهُ، وَتُكَلِّهُ، وَطَافَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ عَلَيَّ أَنْ تَخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا يَقْبِضُوا لَا تُنْفِكُوا مِنْ خَيْرِ نَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَفِرُّوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [المزمل: ٢٠]. وأمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب = بالبرهان والحجة، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة، وأن قرب المفسدين لا يضُرُّ مع وجود الصدق والإخلاص، والخبر عن الفتوة أي إيمان امرأة فرعون، وتصديق مريم. نزول سورة الملك: نزلت بعد سورة الطور، وهي مكية. عدد كلمات سورة الملك: ثلاثمائة وثلاثون. عدد حروف سورة الملك: =

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ ءَامَنُوا ثَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةَ نَصُوحًا عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَذْخَبْكُمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ثَوْرُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِمِنُ بِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ٩ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادٍ نَاصِلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١١ وَمَرِمُ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتُ مِنَ الْقَنِينَ ١٢

١- ﴿تَبَرَّكَ﴾: تعظيم وتقديس، واليد عبارة عن التصريف والقدرة. و﴿الْمَلِكُ﴾: هو ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة. ٢- ﴿يَسْئَلُكُمْ﴾: أي خلق الموت والحياة ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملاً، فيجازيكم على ذلك. ٣- ﴿طَبَقًا﴾: طبقاً فوق طبق، بعضها فوق بعض ﴿مِنْ تَقَوُّتٍ﴾: من تباين واختلاف ﴿فَازْجِعِ الْبَصَرَ﴾: ردّ البصر ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾: من وهي وشقوق وصدوع؟ ٤- ﴿كَرْنَيْنِ﴾: أي: رجعتين، مرة بعد أخرى ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: يقول عز وجل: يرجع إليك بصرك خاسئاً: صاغراً مبعداً. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل منقطع، لم ير خللاً ولا تفاوتاً. ٥- ﴿بِمَصْصِيحٍ﴾ يعني: النجوم وجعلها مصاييح لإضاءتها ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾ أي شهب المصاييح على حذف مضاف. وقيل: التقدير: وجعلنا منها. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: للشياطين في الآخرة. ٧- ﴿سِعُورًا لَهَا شَيْهًا﴾ يعني: إذا ألقى الكافر في جهنم، و«الشهيق»: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة. ﴿وَهِيَ تَقُورٌ﴾: تغلي كما تغلي القدر. ٨- ﴿تَكَادُ﴾: يعني: جهنم ﴿تَمِيرُ﴾: تفرق وتقطع ﴿مِنْ أَلْفَيْتٍ﴾: على أهلها، قال ابن قتيبة: تكاد تنشق غيظاً على الكفار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: يُنذركم هذا العذاب. ١٠- ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾: لو كنا نسمع سمع من يعي، أو نعقل عقل من يميز وينظر، ما كنا من أهل النار. وربما كان المعنى: أنهم أدركوا أنهم لو سمعوا من الأنبياء، أو أعملوا عقولهم وتفكروا، لاهتدوا إلى الإيمان، ولم يكونوا الآن من أصحاب النار. والتعبير القرآني بـ«أو» يدخل على أن السمع لا يعارض العقل، وأن النجاة للمرء تحصل بأيهما بدأ. والله أعلم. ١١- ﴿فَسُحْقًا﴾: بُعداً لهم من الله ومن رحمته. ١٢- ﴿يَحْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: يخافون عذابه ولم يروه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ [الملك: ٣]. ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾، أي: من خلل وعيب، وإلا فالتفاوت بين المخلوقات بالصغر والكبر وغيرها كثير. [٣] ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَازْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]. ﴿ثُمَّ اَنْزِجِ الْبَصَرَ كَرْنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ [الملك: ٤]. ﴿فَازْجِعِ الْبَصَرَ﴾ قال بعده: ﴿ثُمَّ اَنْزِجِ الْبَصَرَ كَرْنَيْنِ﴾، قيل: أي: مع الكرة الأولى، فتصير ثلاث مرات، والمشهور أن المراد بهذه التثنية التكثير، بدليل قوله: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾، أي: ذليلاً، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، أي: كليل، وهذان الوصفان لا يتأتیان بنظرين، ولا ثلاث. فالمعنى كرات كثيرة، كتنظيره في قولهم: لبيك، وسعديك، وحنانيك، ودوايك، وهذا ذك. وسبب التكرار والله أعلم أن رجوع البصر في الكرة الأولى تحدٍ من الله للعالم أن يكتشف الإنسان خللاً في إحكام خلق السماوات، فقد قال بعدها: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: شقوق، أما رجوع البصر الثاني فهو كالأمر بالنظر في ملكوت السماوات، وهو متجه إلى تحدي الإنسان أن يحصي ما فيها من عجائب الخلق، أو يحيط بما فيها من كواكب وسيارات، فقد ذكر بعدها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ﴾ [الملك: ٥]، كما أعجز الخلق أن يعلموا شيئاً عن السماوات الأخرى غير الدنيا مهما استعانوا بوسائل الكشف جيلاً بعد جيل، وكرة بعد كرة، فمهما حاولوا فإن البصر سينقلب خاسئاً وهو حسير، والعجز متحقق من الإنسان في الكرتين، في الأولى عجز عن إحصاء الكواكب والسيارات، وفي الثانية عجز عن معرفة حقيقة السماء الدنيا، والسماوات الأخرى.

[٥] ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلْهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] قرئ: (يُبَدِّلُهُمَا) بسكون الباء وتخفيف الدال مضارع من أبدل متعد بالهمزة. وقرئ: (يُبَدِّلُهُمَا) بفتح الباء وتشديد الدال مضارع من بَدَّلَ متعد بالتضعيف وكذا في "التحريم: ٥" في أن (يُبَدِّلُهُ)، وفي سورة [القلم: ٣٢] ﴿عَنِّي زَيْنًا أَنْ يُبَدِّلَنِي﴾ وفي "النور: ٥٥" ﴿وَلْيُبَدِّلْ لَهُمُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [٨] ﴿تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَصُوحًا﴾ قرئ: (نُصُوحًا) بضم النون مصدر نصح نصحاً نصوحاً. وقرئ: (نُصُوحًا) بفتح النون صيغة مبالغة كضروب أسند النصح إليها مبالغة، وهي صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة، فيأتي بها على طريقتها، ونصها في القراءة الأولى على المفعول له. أي: لأجل نصح صاحبها، أو نعتاً على الوصف بالمصدر. أي ذات نصح. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن تعريف التوبة النصوح: هي التيقن بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالجوارح، والاطمئنان على الترك. [١٢] ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُتَيْبِهِ﴾ قرئ: (وَكُتَيْبِهِ) بالجمع: لكثرة كتب الله المنزل، فحمل على المعنى، ولأن مريم آمنت بكل الكتب. وقرئ: (وَكُتَيْبِهِ) بالتوحيد مصدراً أريد به الجمع يدل على الكثير بلفظه. [٣] ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَازْجِعِ الْبَصَرَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَفَوُّتٍ﴾ قرئ: (تَفَوُّتٍ) بتشديد الواو بلا ألف، تفوت الأمر تفوتاً وتفاوتاً. وقرئ: (تَفَاوُتٍ) بتخفيفها بعد الألف وهما لغتان بمعنى التباين والاختلاف، كالتعهد والتعاهد، وتقدم الكلام على (سحَقًا) مع نظائرها ومعناه: فبعداً لهم، ومنه مكان سحيق أي: بعيد.

= والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت اليمين. فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. وهذه أمثلة من الأوامر في الكتاب.. أما في السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الأرئوط. قال أبو بكر السمعاني: هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، فمن عمل به فقد حاز على الثواب، وأمن العقاب، فكل من أدّى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى بحقوق الدين، لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في الحديث. ٥- التدرج في الأحكام: لأن الشريعة عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئاً فشيئاً من غير تشديد ولا تعقيد في النهي عنها وتحريمها. فمثلاً: في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجة في تحريمها بأسلوب حكيم لم يشعر الناس معه بحرج أو مشقة. التدرج في تحريم الخمر: روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حرّمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأذن الله ﷻ عنهما فقال: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ = ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. أسماء سورة الملك: ولها في القرآن والسُنن سبعة أسماء: سورة الملك؛ لمفتحها، والمنجية لأنها تنجي قارئها من العذاب، والمناعة؛ لأنها تمنع عن قارئها عذاب القبر - وهذا الاسم في التوراة - والدافعة؛ لأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها، والشافعة؛ لأنها تشفع في القيامة لقارئها، =

سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْئَلُكُمْ إِنَّكُمْ أَهْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَازْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ اَنْزِجِ الْبَصَرَ كَرْنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسْأَلُونَ الصَّيِّرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَيْهًا وَهِيَ تَقُورٌ ۝ تَكَادُ تَمِيرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوا مِنْهَا خَزَائِنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝

(٥٦٢)

وَأَسِرُّوا قُلُوبَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهَا ۚ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَافًا وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّيحُ ۚ إِنَّهُ يُكَلِّ شَيْءَ بَصِيرٍ ﴿١٩﴾ أَمِنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمِنَ هَذَا الَّذِي يَرْفُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَلْ لَّجَّؤُا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمِنَ يَمْشِي مَكِيدًا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ أَهْدَىٰ أَمْنًا يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

٥٦٣

ملك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من ص
إلى جنبه حتى يلزقهما بهما، ثم يسطهما ويقبض
ذكر هذه الاستراحة ف قيل هنا: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾
ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل:
٦٠]، ﴿إِنَّمَنْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَخْفَفَ بَكُمْ أَلْأَرْضَ فَإِذَا هِ
خسف على الحاصب في الملك، وعكس في الأنوع
الوعيد بالخسف في الأرض التي ذللها، وأية الأ
الفوقى أولاً.

﴿إِنَّمَا كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، وكانوا يشربون الخمر
لظ منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ
لَت آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْ
جِبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَ تَحِي
بِرِ الْأَثَرِ بِوَجْهِهِ وَلَحِيَّتِهِ فَيَقُولُ: فَعَلَ بِي هَذَا أَخِي فَ
جَسَّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبَاهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا رِ
٩١- [المائدة: ٩٣]. أخرجہ النسائي والحاكم وغيره
﴿﴾، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَ
لِحَاءٌ وَضُمُّهَا، وَهَمَّا لَعْنَانِ. [٢٧] ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي
عَجَلُونَ. وَقَرَأَ: ﴿تَدْعُونَ﴾ بِالْفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ تَفْعَلُونَ
نَ ءَامَنَاءِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
اب لمناسبة ﴿تَدْعُونَ﴾.

لَهُمْ؛ لئلا يكون لهم يَدٌ على قَارِئِهَا. مواضع
تُحْتَبَرُ، والنَّظَرُ إِلَى السَّمَاوَاتِ لِلْعِبَرَةِ، وَاشْتِعَالُ النَّارِ
تَأْخِيرُ الْعَذَابِ عَنِ الْمُسْتَحْقِقِينَ بِالْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، وَحَرْقُ
وَتَعْجِيلُ الْكَفَّارِ بِمَجِيءِ الْقِيَامَةِ، وَتَهْدِيدُ الْمُشْرِكِينَ بِزُلْ
لِ، فَأَخْرَجَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَ

٢٧- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وَجْهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تبين فيها السوء، فاسودت وعلتها الكآبة وغشيتها الذلّة. ﴿نَدَعُونَ﴾: تستعجلون من عذاب الله عز وجل. ٢٨- ﴿إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾: كانوا يدعون على النبي ومن معه من المؤمنين بالهلاك. فقال له الله تعالى: قل لهم: أترون إن أماتي الله تعالى ومن معي ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾: آخر في آجالنا من يحركم من العذاب الذي يوجهه كفرهم على كل حال. ٣٠- ﴿غَوْرًا﴾: ذاهباً، في الأرض، يقال: غار الماء غوراً: إذا نضب. ﴿فَن يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾: جار، ظاهر.

سورة القلم

١- ﴿ت﴾: قيل: هو الدواء، وقيل: هي كسائر الحروف في أوائل السور. ﴿وَالْقَلَمِ﴾: أقسم الله به، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: يخطون ويكتبون. وفي هذا القسم تنويه بالعلم والمعرفة، وبوسيلة نقلهما عبر الأجيال. وقد كان نزول سورة (ن) تالياً لنزول سورة «اقرأ باسم ربك الذي خلق» أول سور القرآن نزولاً. ٢- ﴿مَا أَنْتَ بِمَعْجُونٍ﴾: كذب عز وجل قول مشركي قريش في محمد ﷺ، حيث قالوا: «يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون». ٣- ﴿وَإِنَّكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: ثواباً غير منقوص ولا مقطوع. ﴿مَنْصُورٌ وَيُصِيرُونَ﴾: ترى ويرون، يعني: المشركين إذا تبين الحق، وانكشف الغطاء! ٦- ﴿إِيَّاكُمْ الْمَفْتُونُ﴾: «المفتون» هاهنا: المجنون، وتأويل الكلام: فستري ويرون بأيكم الجنون. والمفتون في الأصل بمعنى الفتنة. فالمعنى: بأيكم هي الفتنة والفساد الذي سمّوه جنوناً. ٩- ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾: لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم بالركون إلى أهتهم. ﴿فَيُدْهِئُونَكَ﴾: فيلينون لك في عبادة إلهك. و«الادهان» الملاينة فيما لا يحل، والمدارة: الملاينة فيما يحل. ١٠- ﴿كُلِّ حَلَاٍ﴾: كل ذي إكثار للحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾: ضعيف القلب. مكثار للشر.

١١- ﴿هَٰمَزٍ﴾: مغتاب للناس ﴿مَشَاءَ بَنِيهِ﴾: النميم: مصدر كالنميمة، وهي نقل ما يسمع عما يسوء ويجرّش النفوس. وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قتات» متفق عليه، أي نمام. ١٣- ﴿عُتِلَ﴾: جاف شديد في كفره. وقال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل، ﴿زَنِيمٍ﴾: الزنيم في كلام العرب: المُلصق في القوم ليس منهم. وقيل: الذي ليس يُعرف من أبوه. [٢] قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِمَعْجُونٍ﴾: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ إنه مجنون ثم شيطان، فنزلت: ﴿مَا أَنْتَ بِمَعْجُونٍ﴾. [٤] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحد بسند رواه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: «لييك» فذلك: أنزل الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. [١٠، ١١، ١٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ﴾: هَٰمَزٍ مَشَاءَ بَنِيهِ. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ﴾: قال نزلت في الأخنس بن شريق. وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود بن عبد يغوث. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت على النبي ﷺ. ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ﴾: هَٰمَزٍ مَشَاءَ بَنِيهِ. فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾. فعرفناه له زغبة كزغبة الشاة. [١٥] ﴿إِذَا تَنَتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: [القلم: ١٥، المطففين: ١٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتَي القلم والمطففين، وهي تصف حال المكذبين بالقرآن الكريم، وأنه إذا قرأ عليه أحدهم آيات القرآن كذب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم. [١٠-١٣] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ﴾: هَٰمَزٍ مَشَاءَ بَنِيهِ. [١١] مَنَاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾: [القلم: ١٣]. الزنيم: وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة في حلقة، سمي بذلك؛ لأنه زيادة معلقة بغير أهله، وكان الوليد دعياً في قريش، ادعاه أبوه ثمان عشرة مرة من مولده. ولم يدخل الواو؛ لأن الصفات المذكورة كلها كانت مجتمعة في الوليد الذي نزلت فيه الآية، ولو ذكر الواو لاقضى أن تكون موجودة فيه في بعض الأحيان دون بعض.

حُرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قُتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣]. متفق عليه. ٦- مسامرة مصالح الناس: وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذا كان في ذلك المصلحة العامة كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات الموارث، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة. [٥] ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ الْيَلُّ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّطْمَئِنُونَ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. انسلاخ النهار: حسبما تشير إليه الآيتان الكريمتان فإن الكون غارق في الظلام الداكن، وإن كنا في وضوح النهار على سطح الأرض، و لقد شاهد العلماء الأرض و باقي الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية مضاءة في وضوح النهار بينما السماوات من حولها غارقة في الظلام، فمن كان يدري أيام محمد ﷺ أن الظلام هو الحالة المهيمنة على الكون؟ وأن هذه المجرات والنجوم ليست إلا مصابيح صغيرة واهنة لا تكاد تبدد ظلام الكون الدامس المحيط بها، فبدت كالزينة والمصابيح لا أكثر؟ وعندما قرئت هذه الآيات على مسمع أحد العلماء الأمريكيين بهت، وازداد إعجابه إعجاباً ودهشته دهشة بجلال وعظمة هذا القرآن، وقال فيه: لا يمكن أن يكون هذا القرآن إلا كلام مصمم هذا الكون، العليم بأسراره ودقائقه. لقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي تتكون بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزئيات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار، فيحدث بهذا الدوران سلخ النهار من الليل.

[٥] ﴿فَسَبِّحْ وَبُصِّرْ﴾: إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة في كتاب الله. أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة) بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ (القلب والفؤاد) بمشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله.

نزول سورة القلم: نزلت بعد سورة العلق، وهي مكّية. عدد كلمات سورة القلم: ثلاثمائة. عدد حروف سورة القلم: ألف ومائتان وستة وخمسون. أسماء السورة القلم: لها اسمان: سورة ن، والقلم. مواضع سورة القلم: معظم مقصود السورة: الذب عن النبي ﷺ، وعذاب مانعي الزكاة، وتخويف الكفار بالقيامة، وتهديد المجرمين بالاستدراج، وأمر الرسول ﷺ بالصبر، والإشارة إلى حال يونس عليه السلام في قلة الصبر، وقصد الكفار رسول الله ﷺ ليصبيه بالعين.

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وَجْهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَا وَكَّرَ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَعْجُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ فَسَبِّحْ وَبُصِّرْ ﴿٤﴾ يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمَكِيدِينَ ﴿٧﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِئُونَكَ ﴿٨﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ ﴿٩﴾ هَٰمَزٍ مَشَاءَ بَنِيهِ ﴿١٠﴾ مَنَاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١١﴾ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٢﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِينٍ ﴿١٣﴾ إِذَا تَنَتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾

١٦- ﴿سَيَسْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: الخرطوم: الأنف. ومعناه: سنخطمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وِسْمَةً فيه ما عاش. وقد نزلت الآيات في الأخنس بن شريق. ١٧، ١٨- ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾: اختبرناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: أصحاب البستان قيل: هم أناس كان لأبيهم جَنَّةٌ يُطْعَمُ المساكين منها، فلما مات أبوهم قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحق حين يطعم المساكين ﴿إِذَا قَسَمُوا لِیَصْرِمْنَهَا مَصْرِحًا﴾: حلفوا ليقطعنها في الصباح ﴿وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾: لا يقولون إن شاء الله. وقيل: ولا يستنون للمساكين -من جملة ذلك- القدر الذي كان يدفعه أبوهم إليهم. ٢٠- ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾: قيل: كالليل البهيم محترقة سواداً. ٢٢- ﴿أَنِ اعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا﴾: ثاركم وزرعكم ﴿صَرِيمًا﴾: عازمين على القطع والحصار. ٢٣- ﴿وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾: يتسارون بينهم، أي يتحدثون سرا. ٢٥- ﴿وَعَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا﴾: قيل: معناه: على قدرة في أنفسهم وجِدًا، وقيل: على منع. ٢٦، ٢٧- ﴿إِنَّا لَصَّالُونَ﴾: ضللنا طريق جتنا، فقال من علم أنها طريق جنتهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾: حُرْمنا منفعة جتنا بذهاب حرثها. ٢٨- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعدلهم، وأعقلهم، وخيرهم، وكان أحسنهم رجعة ﴿لَوْلَا سَيْحُونَ﴾: هلا تستنون فتقولون: إن شاء الله، إذ قلتُم لَنَصْرِمْنَهَا مصحين؟! ٣٠- ﴿يَتَلَوْنَهُ﴾: يلوم بعضهم بعضاً. ٣٣- ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾: الإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب باحتراق الجنة، وذهاب حرثها، أي: كذلك العذاب هو العذاب الذي ينزل بقریش وبمن كذب رسلنا في الدنيا. ٣٧- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾: نزل من عند الله أتاكم به رسول الله ﴿بِهِ تَدْرُسُونَ﴾: فأنتم تدرسون فيه وتجدون بأن لكم ما تختارون وتشتهون من الأمور لأنفسكم. ٣٩- ﴿أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا﴾: عهود مؤكدة موثقة، بالغة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: تنتهي بكم إلى يوم القيامة، لا نخرج عن عهدها بـ ﴿إِن لَّكُمْ لَمَّا تَخْتَكُمُونَ﴾. ٤٠- ﴿أَبُهِمْ يَذَلِكْ رَعِيمٌ﴾: كفيل وضامن. ٤٢- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾: قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يوم يبدو عن أمر شديد عظيم، إشارة إلى أهوال يوم القيامة. قال ابن قتيبة: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج

سَمِعْتُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا
لَبِصْرُهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالضَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَى أُمُصِّبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ
أَعْذُوا عَلَيَّ حَرْثُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ ﴿٢٣﴾
أَنْ لَا يَدْخُلَنَّا إِيَّاهُمْ عَلَيْهِمْ مُسْكِنٌ ﴿٢٤﴾ وَعَذُوا عَلَيَّ حَرْثُ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا الضَّالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلِزَأَقُلْ
لَكُمْ لَوْ لَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُومُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا إِنَّا نَبَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَنِ
رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَ آخِرَهُمْ أَمْنًا إِلَى رِجَالِهِمْ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ أَكْبَرُوا كَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ السَّمَائِينَ كَالْجُرْمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا خَيْرٌ مِنْ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
عَلَيْنَا بَلَاغُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ
يَذَلِكَ رِيعٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّتْ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْ رُبَّهُ فَجَعَلَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَأَعُوا الذِّكْرَ وَفَقُولُوا إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ ﴿٥١﴾ وَاهُوَ لَا ذِكْرَ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْخَاقَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَزْرِكُ مَا الْخَاقَةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةٍ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِتِ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ مُخْلِ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

٥٦٦

٤٣- ﴿خَشِيعَةً﴾: ذليلة ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾: من عذاب الله. ٤٤- ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ﴾: كقول الرجل لمن يتوعد: دعني وإياه، بمعنى أنه له من وراء مسأته ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: «الاستدراج» هو الحمل من رتبة إلى رتبة حتى يصير المحمول إلى شر. وإنما يستعمل الاستدراج في الشر. ومعنى الآية: أننا سوف نمتهم بالدنيا حتى يظنوا أنه خير لهم، ثم نأخذهم بغتة. ٤٥- ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أنسى لهم في آجالهم برهة من الدهر ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: قوي شديد. ٤٦- ﴿أَجْرًا﴾: جزاء وثواباً ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: قد أثقلهم القيام بأدائه. ٤٧- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: يونس عليه السلام، يقول: لا تكن مثله في الغضب والعجلة والضجر. ﴿مَكْظُومٌ﴾: مملوء غيظاً وكرهاً. ٤٨- ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّتْ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: فاجنبه ربه، فجعله من الصالحين. ٤٩- ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَأَعُوا الذِّكْرَ وَفَقُولُوا إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ﴾: وما هو إلا ذكر للعالمين. ٥٠- ﴿فَاجْنِبْ رُبَّهُ فَجَعَلَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: وقت سماعهم للقرآن لكرهيتهم لذلك أشد كراهة.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

١- ﴿الْحَاقَّةُ﴾: هي القيامة، وسميت حاقة لأنها الساعة التي تحق فيها الأمور، والجزء على الأعمال. ٢- ﴿مَا الْخَاقَةُ﴾: بمعنى التعجب والإكبار. ٤- ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾: بالساعة التي تفرق قلوب العباد، يعني: القيامة. ٥- ﴿بِطَاغِيَةٍ﴾: بالذنوب والطغيان الذي كانوا عليه. وقيل: بالصيحة الطاغية التي قد حازت مقادير الصباح وطغت عليها. ٦- ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شديدة العصف مع شدة بردها ﴿عَلَيْتِ﴾: عنت على عاد فلم يقدرُوا على ردها، بل أهلكتهم. ٧- ﴿حُسُومًا﴾: متتابعة ﴿كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ مُخْلِ﴾: أصول نخل ساقطة، أو خالية لا جوف فيها.

٤٣ ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ [المعارج: ٤٤]. الآيتان تعرضان حال المستكبرين عن عبادة الله، وما يحل بهم يوم القيامة من ذلهم وانكسار أبصارهم، وآية القلم تبين أنهم كانوا في الدنيا يُدْعَوْنَ إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحاء قادرُونَ عليها فلا يسجدون؛ تعظماً واستكباراً، أما آية المعارج فتوضح أن ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويكذبون. ٤٥ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣، القلم: ٤٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سوتَي الأعراف والقلم؛ ومعناها: وأمهل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفراً وطغياناً، وبذلك يتضاعف لهم العذاب، إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدْفَعُ بقوة ولا بحيلة. ٤٦-٤٧ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠-٤١، القلم: ٤٦-٤٧]. تكررت هذه الآيات بسورتَي الطور والقلم، وهي تخاطب النبي ﷺ وتقول له: تسأل أيها الرسول هؤلاء المشركون أجراً على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله. ٤٨ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَثَلَهُمْ إِنَّمَا أَوْفُرُوا﴾ [الإنسان: ٢٤]. فاصبر أيها الرسول لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمّاً طالباً تعجيل العذاب لهم.. فهذا ما دلت عليه آية القلم، أما آية الإنسان: فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منعماً في الشهوات، أو مبالغاً في الكفر والضلال. ٤٩ ﴿فَبَدَّنْهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، ﴿لَبَدَّتْ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]. فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية القلم: لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها لَطُرِحَ مِنْ بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آت بما يلام عليه.

= خَشِيعَةً: جمع اسم الفاعل. وردت صيغة (خاشعة) مع (أبصار) مرتين في القرآن، قال تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤]، ووردت صيغة (خشعاً) مع كلمة (أبصار) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. لعل الفرق بين الجمع (خشعاً) والمفرد (خاشعة) يرجع إلى علتين: ١- (خَشِيعَةً) وردت بعدها: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، فقد شبه عدد الناس يوم القيامة بعدد الجراد كثرة، فكانت كثرة الجراد تتطلب كثرة في الصفة الدالة على حال الناس يوم القيامة عن طريق الجمع، أما الصيغة المفردة فلم يرد معها ما يُوحى بالتكثير. ٢- السورة التي وردت فيها صيغة الجمع (خَشِيعَةً) بُنِيَتْ على الجمع من مطلعها، كما قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَسْمِرٌ﴾ [القمر: ١- ٢]. فقد جاء الضمير في قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾ دالاً على الجمع، دون أن يسبقه اسم مظهر للجمع، بما يُوحى أن الجمع أصل في هذه السورة يقوم عليه بناؤها، فناسب ذلك صيغة الجمع (خَشِيعَةً). ٤٤ ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]. قال سفيان الثوري: نسيغ عليهم النعم وننسيهم الشكر. وقال الحسن: كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالشئاء عليه، وكم مغرور بالستر عليه.

٥١ ﴿لَيُزْلِقَنَّكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَيُزْلِقَنَّكَ﴾ قرئ: (لَيُزْلِقَنَّكَ) بفتح الباء من زلقت الرجل يقال: زلقه وأزلقه أزل قدمه، ويقال: زلقه فزلق وهو فعل يتعدى مفتوح العين لا مكسورها مثل حزن وحزنته. وقرئ: (لَيُزْلِقَنَّكَ) بضمها من أزلقه معدى بالهمزة أي: أزل رجله ومعنى ليزلقونك، أي: ليصيبونك بالعين، أو لينظروا إليك نظر البغضاء، قيل: كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ بالعداوة والبغض حتى كادوا يشقونه بنظرهم.

نزول سورة الحاقة: نزلت بعد سورة الملك، وهي مكِّيَّة. عدد كلمات سورة الحاقة: مائتان وخمس وخمسون. عدد حروف سورة الحاقة: ألف وأربعمئة وثمانون. أسماء سورة الحاقة: لها اسمان: سورة الحاقة؛ لمفتتحها، وسورة السلسلة؛ لذكرها بها. مواضع سورة الحاقة: معظم مقصود السورة: الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصور، وانشقاق السماوات، وحال السعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذل الكفار مهوورين في أيدي الزبانية، ووصف الكفار القرآن بأنه كِهانة وشعر، وبيان أن القرآن تذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بالتسبيح.

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَحْزَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ **(١١)**
وَصَلْبَتِهِ وَأَخِيهِ **(١٢)** وَفَصَّلِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ **(١٣)** وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعَاتِهِمْ يَنْجِيهِ **(١٤)** كَلَّا إِنَّهَا لَأُطَى **(١٥)** نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى **(١٦)** تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى **(١٧)** وَجَمَعَ فَأَوْعَى **(١٨)** إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
(١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرْحُ رُوعًا **(٢٠)** وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا **(٢١)** إِلَّا
الْمُصْلِينَ **(٢٢)** الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ **(٢٣)** وَالَّذِينَ فِي
أَمْرِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ **(٢٤)** لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُورِ **(٢٥)** وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ
يَوْمَ الْيَوْمِ **(٢٦)** وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَهِيمٍ مُشْفِقُونَ **(٢٧)** إِنَّ عَذَابَ
رَهِيمٍ غَيْرُ مَأْمُونٍ **(٢٨)** وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوفِهِمْ حَافِظُونَ **(٢٩)** إِلَّا عَلَى
أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ **(٣٠)** فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَهُ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ **(٣١)** وَالَّذِينَ هُمْ لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ
(٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ **(٣٣)** وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
(٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ **(٣٥)** قَالِ الَّذِينَ قُرُوفًا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ
(٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ **(٣٧)** أَبْطَمَعَ كُلُّ أَمْرٍ فِيهِمْ
أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ **(٣٨)** كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ **(٣٩)**

[١٦] ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ قوله تعالى: ﴿نَزَاعَةٌ﴾ قرئ: (نزاعة) بالرفع على أنه خبر "إن" ثانٍ، أو خبر مبتدأ محذوف أي: هي نزاعة. وقرئ: (نزاعة) بالنصب على الاختصاص، أو حال مؤكدة. [٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدَتُهُمْ قَائِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَشْهَدَتُهُمْ﴾ قرئ: (بشهاداتهم) بألف بعد الدال على الجمع اعتباراً بتعدد الأنواع. = [١١] ﴿يُصْرَوْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ لَّيْسَ لَهُمْ صُورَةٌ يَوْمَئِذٍ لَّيْسَ لَهُمْ صُورَةٌ يَوْمَئِذٍ لَّيْسَ لَهُمْ صُورَةٌ﴾ تساوي عدد مرات ذكر لفظ **البصر** و**البصيرة** ومشتقاتهما مع لفظ **القلب** و**الفؤاد** ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة. أولاً: ورد لفظ **(البصر والبصيرة)** بمشتقاتهما (١٤٨) في كتاب الله. ثانياً: ورد لفظ **(القلب والفؤاد)** ومشتقاتهما (١٤٨) مرة في كتاب الله. = جُرْأ الكافر في استعجال العذاب، وطول القيامة وهولها، وسُغل الخلاق في ذلك اليوم المهيّب، واختلاف حال الناس في الخير والشرّ، ومحافضة المؤمنين على

فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرَ أَمْرِهِمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرِهِمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ
خَشَعَةَ الْأَصْرَارِ تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ الْبُورِ

٧٦ آيَاتٍ

٢٨ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
 اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ
 إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَهُ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَذْهَبْ دُعَاؤِي إِلَّا
 فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كَلِمَادَعْوَتُهُمْ لَتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِيْعُهُمْ
 فِي أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
 ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
 لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

57.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

١١- ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: الغيث ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: متتابعة. ١٣، ١٤- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: ما لكم لا تخافون حق عظمته سبحانه، فتوحدهونه وتطيعونه. والوقار: العظمة. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: على أطوار مختلفة طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة. وقيل: أطواراً: صغاراً ثم شباناً ثم شيوخاً. و«الأطوار»: الأحوال المختلفة. ١٦- ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِ نُورًا﴾: منوراً لوجه الأرض. وجعله في السماوات مع كونه في السماء الدنيا، لأنه إذا كان في إحداها فهو فيهن. ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾: مصباحاً يجمع بين الضوء والحرارة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٣]. ١٧، ١٨- ﴿وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أنشأكم من تراب الأرض أولاً ﴿نَبَاتًا﴾: إنشاء. واستعير «النبات» للإنشاء لأن آدم أخذ من الأرض، ثم صار الجميع نباتاً منه. ﴿وَنُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾: إذا شاء أحياء كما كنتم من قبل أن يعيدكم. ١٩- ﴿بَسَاطًا﴾: تستقرون عليها وتمتهدونها. وهذا الوصف للأرض يأتي في القرآن في سياق الانتفاع والتسخير. ٢٠- ﴿سَبَّالًا﴾: طرقاتاً ﴿فَجَلَجًا﴾: جمع: فج، وهو الطريق الواسع. ٢١- ﴿الْأَخْسَارًا﴾: بعداً من الله، وذهاباً عن الحق، وهم رؤساؤهم وأهل المال فيهم. ٢٢- ﴿كَبَّارًا﴾: كبيراً. ٢٣- ﴿لَا تَذَرْنَهُ الْهَتَكُ﴾: التي اتخذتموها ﴿وَلَا تَذَرْنَهُ وَدًا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: قيل: هذه أصنام كانت تعبد في زمان نوح عليه السلام. ٢٤- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: يقول نوح: وقد ضل بعبادة هذه الأصنام كثير من الناس. ٢٥- ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾: يعني: من خطيئاتهم، أي من أجلها وبسببها أغرقوا بالطوفان. ٢٦- ﴿لَا تَذَرْنَهُ عَلَى الْأَرْضِ﴾: لا تبق ﴿دِيَارًا﴾: من يدور فيها، فيجيء ويذهب، أو من يسكن الديار. ٢٧- ﴿الْأَفَاجِرَ﴾: في دينك ﴿كَفَّارًا﴾: لنعمتك. وذكر أن هذا الدعاء كان من نوح عليه السلام بعد أن أوحى إليه ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]. ٢٨- ﴿وَلَمَّا دَخَلَ بُنْيَٰقَ﴾: مسجدي ومصلاي. وقيل: منزله ومسكنه. ﴿نَبَارًا﴾: «التبار»: الهلاك وذهاب الرسم.

[٢٦، ٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ [نوح: ٢٦]. الموضع الأول بغير واو، والثاني بزيادة الواو؛ لأن الأول ابتداء دعاء، والثاني عطف عليه. [٢٨، ٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤]، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ [نوح: ٢٨]. لما ذكر نوح عليه السلام أولاً في إخبار الله سبحانه عنه عصيان قومه له وقولهم: ﴿لَا تَذَرْنَهُ الْهَتَكُ﴾ [نوح: ٢٣]، أي: لا تركوها، ﴿وَلَا تَذَرْنَهُ وَدًا وَلَا سُوعًا﴾ [نوح: ٢٣] إلى قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤]، أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم، ولم يدع هنا هلاكهم. وأما الآية الثانية فتقدمها دعاءه، عليه السلام، بهلاكهم وأخذهم في قوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فأتبع ذلك بما يناسب فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾، أي: هلاكاً. [٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]. يقول ابن القيم: الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل. ويقول: للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس. عقوبات المعاصي في الحياة الدنيا: ١- حرمان نور العلم. ٢- حرمان الرزق. ٣- تعسير أموره عليه. ٤- توهن القلب والبدن. ٥- حرمان الطاعة. ٦- الثمار الخبيثة، أي: أن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضاً. ٧- وحيل بينهم وبين ما يشتهون، أي: المعاصي تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله. ٨- إلف المعصية. ٩- هواناً على الله فعصوه. ١٠- ذل المعصية. ١١- الاستهانة بالعصيان. ١٢- تكاثر قطع غفلة فموت. ١٣- ليذيقهم بعض الذي عملوا، أي: الذنوب والمعاصي تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد. ١٤- دياثة العاصي. ١٥- ما لكم لا ترجون لله وقاراً، أي: أن المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله. ١٦- نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أي: أن المعاصي تستدعي نسيان الله لعبده. ١٧- قيود الذل، أي: المعاصي تأسر القلب عن طاعة الله. ١٨- زوال النعم وحلول النقم. ١٩- جبن وخور وخوف. ٢٠- عيش المستوحشين مر. ٢١- سوء الخاتمة، فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه وتعالى قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطاً؟! [٢٤] ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤]. كيف دعا نوح على قومه بذلك، مع أنه أرسل إليهم ليهديهم ويرشدهم؟ **الجواب:** إنما دعا عليهم بذلك، بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون. [٢٢] ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿وَمَكْرُؤًا كَبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]. ما الفرق بين: "كبير، كَبَّارًا"؟ **الجواب:** وردت كلمة (كبير) ستاً وثلاثين مرة. ووردت كلمة (كَبَّارًا) مرة واحدة في القرآن الكريم. قال الزمخشري: الكَبَّار أكبر من الكبير، والكَبَّار أكبر من الكَبَّار. (كبير) صفة مشبهة من الفعل (كَبَّرَ) لذا كثر ورودها في القرآن. أما (كَبَّارًا) فهي صفة مشبهة تبلغ الغاية في المبالغة والتوكيد. اتسقت كل منهما كفاصلة مع الفواصل التي جاءت معها: فكلمة (كبير) اتسقت مع (السبيل)، و(فقير) في سورة القصص. أيضاً: اتسقت كلمة (كَبَّارًا) مع الفواصل التي جاورتها مثل (سراجاً، نباتاً، إخراجاً، بساطاً، فجاجاً، خساراً، كباراً، ضللاً، أنصاراً، دياراً، كفاراً، تباراً) في نوح. [٢١] ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّوْزِدَهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَلَدَهُ﴾ قرئ: (وَوَلَدَهُ) بفتح الواو واللام على أنها اللغة المشهورة في الابن والابنة وهو ولد. وقرئ: (وَوَلَدَهُ) بضم الواو وسكون اللام، قيل: الفتح والضم لغتان، كالبخل والبخل، وقيل: المضموم: جمع المفتوح كأسد وأسد. وقيل الولد بالفتح: الابن والابنة والولد بالضم: الأهل. [٢٣] ﴿وَلَا تَذَرْنَهُ وَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَدًا﴾ قرئ: (وَدًا) بضم الواو. وقرئ: (وَدًا) بفتحها، لغتان: في اسم صنم في عهد نوح كانوا يعبدونه في الجاهلية ويقال: إن كلباً وهي فرع عظيم من قضاة كانت تعبد هذا الصنم. [٢٥] ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿خَطِيئَتُهُمْ﴾ قرئ: (خطاياهم) مثل قضايا هي جمع خطية على الجمع والكسر. وقرئ: (خطيئاتهم) جمعاً سالماً لخطيئة، فحذفوه بـ"من" و"ما" زائدة في "مما" فهو بمنزلة: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ وقد قال ابن كيسان: إن "ما" نكرة في موضع خفض بـ"من" ﴿خَطِيئَتُهُمْ﴾ بدل من "ما"، كأنه قال: من عمل خطيئاتهم. [١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ وَجْهِ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَنُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سَبِيلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّوْزِدَهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٣﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفَاجِرًا كُفَّارًا ﴿٢٤﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴿٢٨﴾

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝
يَقُولُ سَفِينَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ أَن يَكُونُوا لَهُمْ رَهَقًا ۝
وَأَنَّهُمْ طَبَأُوا لَكُمَ ظَنَنُكُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝
وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْمِثَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ۝
يَسْمَعُ الْآنَ بَيْدَهُ شَهَابًا بِرَصْدٍ ۝
يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمَّارًا بِهِمْ رُشْدًا ۝
وَمَنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدٍ ۝
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝
وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا وَلَا رَهَقًا ۝

١- ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: جماعة منهم استمعوا القرآن من النبي ﷺ. فقالوا لقومهم حين رجعوا إليهم. ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: بديعاً في فصاحته وبلاغته. ٣- ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾: أمر ربنا وقدرته، وسلطانه، وجلاله، والجدُّ: العظمة والجلال. ﴿صَاحِبَةً﴾: زوجة، والمعنى: تعالى ربنا وتنزه عن أن يتخذ زوجة أو ولداً. ٤- ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾: وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجال من الجن أن تكونوا لهم رهقاً. ٥- ﴿وَأَنَّهُمْ طَبَأُوا لَكُمَ ظَنَنُكُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾: كذباً من القول. ٦- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْمِثَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾: حَفْظَةً ﴿وَشُهْبًا﴾: جمع: شهاب، وهي النجوم التي تُرجم بها الشياطين. ٧- ﴿وَأَنَّهُمْ طَبَأُوا لَكُمَ ظَنَنُكُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾: كان مردة الجن يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء، فيلقونها إلى الكهنة ﴿فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ﴾: مذ حُرست السماء، وبُعث محمد ﷺ ﴿بَيْدَهُ شَهَابًا بِرَصْدٍ﴾: شهاب نار قد رُصد له. ٨- ﴿يَسْمَعُ الْآنَ بَيْدَهُ شَهَابًا بِرَصْدٍ﴾: ما تدرى أشراً يريد يمن في الأرض. ٩- ﴿وَمَنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدٍ﴾: كذا هو الطريق. ١٠- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾: كفوتهم. ١١- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا وَلَا رَهَقًا﴾: صَدَقْنَا بِهِ ﴿فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا﴾: أن يُخس ويُنقص من حسناته، فلا يجازي عليها ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ولا إثمًا يُحمل عليه من سيئات غيره. ١٢- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: أخرجه البخاري، والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رأيهم، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: ما هذا إلا شيء قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا. فانصرف نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: وإنما أوحى إليه قول الجن. وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد، إذ رأيت مدينة من حجر منقور، وسطها قصر من حجارة، منقورة سقوفه وأبوابه، تأويه الجن، فدخلت معتبراً فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة، وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، وقال: يا سهل، إن الأبدان لا تخلق الثياب، وإنما تخلقها روائح الذنوب، ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة عليّ منذ سبع مائة سنة، لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام، فأمنت بهما، فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾. ١٣- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ أَن يَكُونُوا لَهُمْ رَهَقًا﴾: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم، وأُنزل الله على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾. الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله ﷺ وقد رعت على أهلي وكفيت مهنتهم، فلما بعث النبي ﷺ خرجنا هرباً، فأتينا على فلاة من الأرض، وكنا إذا أمسينا يمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة، فقلنا ذاك، فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، من أقر بها أمن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت في وفي أصحابي =

١٠- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا وَلَا رَهَقًا﴾: ما تدرى أشراً يريد يمن في الأرض أمَّاراً بهم رُشداً. ١١- ﴿وَمَنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدٍ﴾: كذا هو الطريق. ١٢- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾: كفوتهم. ١٣- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا وَلَا رَهَقًا﴾: صَدَقْنَا بِهِ ﴿فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا﴾: أن يُخس ويُنقص من حسناته، فلا يجازي عليها ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ولا إثمًا يُحمل عليه من سيئات غيره. ١٤- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: أخرجه البخاري، والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رأيهم، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: ما هذا إلا شيء قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا. فانصرف نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: وإنما أوحى إليه قول الجن. وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد، إذ رأيت مدينة من حجر منقور، وسطها قصر من حجارة، منقورة سقوفه وأبوابه، تأويه الجن، فدخلت معتبراً فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة، وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، وقال: يا سهل، إن الأبدان لا تخلق الثياب، وإنما تخلقها روائح الذنوب، ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة عليّ منذ سبع مائة سنة، لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام، فأمنت بهما، فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾. ١٥- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ أَن يَكُونُوا لَهُمْ رَهَقًا﴾: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم، وأُنزل الله على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾. الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله ﷺ وقد رعت على أهلي وكفيت مهنتهم، فلما بعث النبي ﷺ خرجنا هرباً، فأتينا على فلاة من الأرض، وكنا إذا أمسينا يمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة، فقلنا ذاك، فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، من أقر بها أمن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت في وفي أصحابي =

١٤- ﴿وَمِنَ الْقَاسِطُونَ﴾: الجاثرون عن الإسلام وقصد السيل ﴿فَأُولَئِكَ نَحْرُوهَا﴾: تعمّدوا وثوخوا. ﴿رَشَدًا﴾ في دينهم، وقصدوا طريق الحق. ١٦، ١٧- ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا﴾: لو استقام القاسطون على طريق الحق والإسلام ﴿مَاءَ عَذَقًا﴾: طاهراً كثيراً ﴿لَفَتَنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبلوهم به، أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم. ﴿يَسْأَلُكَ عَذَابًا صَعَدًا﴾: يُدخله عذاباً شديداً شاقاً. ١٨- ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: أي: لا تشركوا بالله، ولا تدعوا فيها غيره. ١٩- ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾: يدعو الله ويعبده، ويقول: لا إله إلا الله ﴿كَادُوا﴾: كاد الجن يكونون متراكمين من ازدحامهم على رسول الله ﷺ لسماع القرآن منه، وذلك بطن نخلة. و«اللبد» الجماعات بعضها فوق بعض، واحدها: لبد. ٢٢- ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ يلجأ إليه. ٢٣- ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾: يقول للمشركين: إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً، إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني أن أبلغه إليكم. ٢٥- ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ﴾: ما أدري ﴿أَقْرَبُ مَا تُوَعَّدُونَ﴾: ما يعدكم ربكم من العذاب، وقيام الساعة ﴿أَمْ جَعَلَ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾: غاية معلومة تطول مدتها. ٢٦، ٢٧- ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾: هو سبحانه المتفرد بعلم ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ﴾: فلا يعلم ولا يريه. ﴿أَحَدًا﴾: لا من أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ: فإنه يظهره على بعض غيبه، قيل: ليكون ذلك معجزة لهم، ودلالة على نبوتهم. ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُمُ﴾: يرسل ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: أمام الرسول وخلفه ﴿رَصَدًا﴾: من الملائكة، وحفظة يحفظونه من وساوس الشياطين حتى يبلغ ما أوحى به إليه. ٢٨- ﴿لِيَعْلَمَ﴾: الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم. وقيل: ليعلم الله تعالى أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم محروسة من الزيادة والنقصان. = ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُوَدُّونَ رِجَالٍ مِنْ آخَرِينَ فَزَادَهُمْ رَهَقًا﴾ الآية. وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجن: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي، حدثنا عمارة بن زيد، حدثني عبد الله بن العلاء، حدثنا محمد بن عكبر، عن سعيد بن جبيرة أن رجلاً من بني تميم

يقال له: رافع بن عمير حدث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي وأختتها ونمت، وقد تعودت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبعت فزعاً، فنظرت عينا وشمالاً فلم أر شيئاً، فقلت: هذا حلم، ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك، فانتبعت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش، فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي، فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف، ثم التفت إلى الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي، ولا تعد بأحد من الجن فقد بطل أمرها، قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي، بعث يوم الاثنين، قلت: فأين مسكنه؟ قال: يشرب ذات النخل، فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح، وجددت السير حتى تقحمت المدينة، فرأيت رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئاً، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت. قال سعيد بن جبيرة: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُوَدُّونَ رِجَالٍ مِنْ آخَرِينَ فَزَادَهُمْ رَهَقًا﴾. ١٦ قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ وأخرج عن مقاتل في قوله: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ قال: نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين. ١٨ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا أن نشهد معك الصلوات في مسجدك، فأُنزل الله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك؟ أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ الآية. ٢٢ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ لَمْ يُجِبْ ربي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرفهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجره الله وأنا أجيره، فأُنزل الله: ﴿قُلْ إِنْ لَمْ يُجِبْ ربي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ﴾. ٢٤ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٤]. قل أيها الرسول لهم: من كان ضالاً عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى يقيناً ما توعدّه الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم حينئذ من هو شر مكاناً ومستقراً، وأضعف قوة وجنداً، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الجن: حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصراً ومعيناً وأقل جنداً؟

١٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿وَمِنَ الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤]. ما الفرق بين: "القاسطون والمقسطون"؟ الجواب: قال صاحب اللسان: أقسط يقسط فهو مقسط، إذا عدل. وقسط يقسط فهو قاسط: إذا جار. فكأن الهمزة في أقسط للسلب، كما يقال: شكاً إليه فأشكاه. إذا أقسط: عدل. وقسط: جار. ١٧ ﴿يَسْأَلُكَ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ﴾ قرئ: (نسلكه) بالنون على العظمة، وهو إخبار من الله جلّ ذكره عن نفسه، فهو خروج من غيبة إلى إخبار كما قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ثم قال: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْ﴾ وقال: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ﴾ فرجع إلى الإخبار. وقرئ: (يسلكه) على لفظ الغيبة، ردوه على الغيبة التي قبله في قوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾. ١٩ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِبَدًا﴾ قرئ: (لبداً) بضم اللام وهو جمع لبدة بالضم نحو: غرفة وغرف. وقرئ: (لبداً) بكسرهما جمع لبدة بالكسر، أي: يركب بعضهم بعضاً لكثرتهم للإصغاء والاستماع لما يقوله صلى الله عليه وسلم من القرآن. ٢٠ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قرئ: (قل) بضم القاف وسكون اللام بلفظ الأمر، حملاً على ما أتى بعده من لفظ الأمر في قوله: ﴿قُلْ إِنْ لَمْ يُجِبْ ربي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ﴾. قل: إني لن يجيرني. وقرئ: (قال) بلفظ الماضي على الخبر عن عبد الله وهو محمد ﷺ، وحملاً على ما قبله من الخبر في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾. ٢٨ ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ قرئ: (ليعلم) بضم الياء مبنياً للمفعول. وقرئ: (ليعلم) بفتحها مبنياً للفاعل، أي: ليعلم النبي الموحى إليه. ١٨ ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ إيجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (المساجد والسجود بمشتقاته) (٩٢) مرة أيضاً، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاتهما)، وقد ورد كل (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ وَصَفَهُ وَأَوْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَقِلَ الْقُرْآنُ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غَضَصٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تُرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَصَبَّ عَنْهُ الْغَوَاثُ الرَّسُولُ فَاتَّخَذَهُ أَخَذًا أُوبِيًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾: هو الملفت بشيابه، وإنما عنى بذلك رسول الله ﷺ. ٤- ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾: خيرته، حين فرض عليه قيام الليل، بين هذه المنازل، أي ذلك شاء فعل، ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنُ تَرْتِيلًا﴾: يقول: وبين القرآن إذا قرأته تبييناً، وترسل فيه ترسلاً، أي أقرأه على مهل مع تدبر. ٥- ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: قيل: العمل به ثقیل، وقيل: كلام له وزن ورجحان في تاريخ بني الإنسان، لأنه أمانة الله الأخيرة لهم، وقد حمل عبء نزول القرآن عليه رسول الله ﷺ. ٦- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: ساعة الليل، وكل ساعة من ساعات الليل ناشئة ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾: أثبت ثباتاً من النهار، وأثبت في القلب ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: وأصوب قراءة. ٧- ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾: أي تصرفاً وتردداً في أموركم كما يتردد السابح في الماء. ٨- ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾: انقطع إليه انقطاعاً لعبادتك وحوائجك دون غيره. ٩- ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لا تشغل بالتعرض لهم. قيل: الهجر الجميل: الذي لا جزع فيه. ١١- ﴿وَذَرْنِي﴾: دعني، بمعنى الوعيد ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: بآياتي ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾: أهل التمتع في الدنيا ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: وأخرهم بالعذاب الذي يستبطل لهم، فلم يكن إلا يسيراً حتى كانت وقعة بدر. ١٢- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: قيوداً، واحداها: «نكل»، ﴿وَجَحِيمًا﴾: نار تسعر. ١٣- ﴿وَطَعَامًا ذَا غَضَصٍ﴾: يعص به أكله ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: موجعاً، لمشركي قومك الذين يؤذونك، ولسائر الكفرة والملاحدين. ١٤- ﴿يَوْمَ تُرْجَفُ﴾: تضطرب بمن عليها الأرض والجبال ﴿كَيْبًا مَهِيلًا﴾: رملاً سائلاً متناثراً، والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: الذي إذا أخذت أسفله انهال. ١٥- ﴿وَيْبًا﴾: شديداً مهلكاً. ١٦- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾؟ أي: كيف تثقون أنفسكم أيها الناس ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾: قيل: تشيب الصغار من كُرب ذلك اليوم. ١٨- ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: أي متشقة بذلك اليوم، أو فيه، لشدة وعظيم هوله و«السماء» تذكر وتؤنث. ١٩- ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: يعني: الآيات التي ذكرها في أمر القيامة ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً

بالإيمان به، والعمل بطاعته. [١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ أخرج البزار والطبراني بسند واه عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة: فقالت: سموا هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس، قالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فترمل في ثيابه فتدثر فيها، فأتاه جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾، وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ قال: نزلت وهو في قطيفة. [٢] قوله تعالى: ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت: ﴿فَاقْرَأْ وَامَّا تَتَسَوِّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [٢٠]. وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره. [٨] ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]. واذكر أيها النبي اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعاً تاماً في عبادتك، وتوكل عليه، فهذا ما دلت عليه آية المزمل، أما آية الإنسان: وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره. [٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. يأتي الله بالشمس من المشرق، ويأذن لها سبحانه أن تغرب من المغرب بعد أن تسجد تحت العرش، ألا وإن مما وصف الله به نفسه وأثنى به على ذاته عليه أنه رب المشرق والمغرب، وهذان اللفظان المخبران عن الجهتين العظيمتين المعروفتين جاءا في القرآن على صورة المفرد والمثنى والجمع، وكل سياق من ذلك كان قطعاً متفقاً مع نسق الآية الكريمة، ولنتأمل: لما ذكر الله في سورة المزمل وجوب الانقطاع إليه وحده، وجوب التوكل عليه سبحانه دون سواه قال تباركت أسماؤه: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، [١١] ﴿وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾ [المزمل: ١١]، ﴿وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: ١٨]. ما الفرق بين كلمة "النعمة" و"النعمه" في القرآن الكريم؟ **الجواب:** "النعمه" بالفتح وردت في سورة الدخان ﴿وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، وفي سورة المزمل ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، لم ترد في القرآن كله إلا في السوء والشر والعقوبات، و"النعمه" بالكسر جاءت في مواضع كثيرة في القرآن منها في النحل: ﴿وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، وهي دائماً تأتي في الخير في القرآن الكريم. [١١] ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١]، ﴿أَمَهِّلْهُمْ رَوْيًا﴾ [الطارق: ١٧]. ما الفرق بين: "مَهْلٌ وَأَمَهْلٌ"؟ **الجواب:** وردت كلمة (أمهل) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (مهل) مرتين في القرآن الكريم. لعل ورود كلمة (أمهل) إلى جانب ورود كلمة (مهل) في القرآن يرجع إلى سببين: ١- (أمهل) توكيد لصيغة (مهل). ٢- في المخالفة بين الصيغتين تسكين من الله تعالى وتصيير للرسول الكريم، ثم للمسلمين بعد ذلك، لأن في المخالفة بين الصيغتين لفتاً للانتباه لا يتأتى بغيرها (ذهب إلى هذا القول الزمخشري والفخر الرازي). [٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ قوله تعالى: ﴿وَطْأً﴾ قرئ: (وِطَاءً) بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها همزة بوزن قتال مصدر واطأ؛ لمواطأة القلب اللسان فيها، أو موافقته لما يراود من الإخلاص والخضوع، ولذا: فضلت صلاة الليل على صلاة النهار، وقال الفراء في معنى هذه القراءة: هي أشد علاجاً فهي أعظم أجراً لصعوبة مفارقة الراحة بالنوم. وقرئ: (وَطْئًا) بفتح الواو وسكون الطاء بلا مد مصدر وطى يطأ وِطْأً، أي: أشد ثبات قدم، وأبعد من الزلل، وأثقل من صلاة النهار، وأشد صلاة للمصلي؛ أو أشد قياماً على الإنسان من قيام النهار، أو أثبت للعلم وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، فالليل أحلى للقلب، وأثبت في القيام، ولأن المصلي فيها يفهم ما يقرأ، وكثير من المفسرين على أن أشد وِطْأً معناها: أشد مكابدة واحتمالاً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم أشدد وطأتك على مضر". رواه البخاري. [٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ قوله تعالى: ﴿رَبُّ﴾ قرئ: (رَبٌّ) بخفضها صفة لربك، أو بدل، أو عطف بيان. وقرئ: (رَبٌّ) بالرفع على الابتداء، والخبر جملة هي قوله (لا إله إلا هو) أو خبر مضمرة، أي: هو رب. نزول سورة المزمل: نزلت بعد سورة القلم، وهي مكِّيَّة، سوى آية واحدة من آخرها. **عدد كلمات سورة المزمل:** مائتان وخمس وثلاثون. **عدد حروف سورة المزمل:** ثمانمائة وستة وثلاثون. **أسماء سورة المزمل:** سميت سورة المزمل؛ لافتتاحها. **مواضيع سورة المزمل:** معظم مقصود السورة: خطاب الانسباط مع سيد المرسلين، والأمر بقيام الليل، وبيان حجة التوحيد، والأمر بالصبر على جفاء الكفار، وتهديد الكافر بعذاب النار، وتشبيه رسالة المصطفى برسالة موسى، والتخويف بتهويل القيامة، والتسهيل والمساحة في قيام الليل، والحث على

٢٠- ﴿أَنَّكَ تَقُومُ﴾: مُصَلِّياً ﴿أَذَى﴾: أَقْل ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: من أصحابه ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْإِتِلَّ وَالنَّهَارَ﴾: فلا يفوته علم ما تفعلون، أو قدر ما تقومون. ﴿عِلْمًا أَن لَّنْ تَخْصُوهُ﴾: علم أن الذي فرض عليكم من قيام الليل لن تطيقوه، قيل: لكثرتِه وشدَّتِه. ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾: إذ عجزتم ﴿فَافْرُقُوا مَا نَسَرَ مِنْهُ﴾: من القرآن في صلاتكم، جعل الله قيام الليل تطوعاً بعد أن كان فريضة. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: المكتوبة، وهي الصلوات الخمس ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: قيل: زكاة الفطر لأن زكاة الأموال فُرِضَتْ بعد ذلك. وقيل: الزكاة الواجبة. لأن الآية مدنية. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أنفقوا من أموالكم في سبيله، فهو خيرٌ يوم القيامة في معادكم.

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: يا أيها الذي قد تأخر بشيابه، أي تعشى بها. قيل: إن رسول الله ﷺ قيل له ذلك وهو يومئذ متدثر بقطيفة له. فدُعي بحال من أحواله. ٣- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: فعظم بعبادته والرغبة إليه وحده. ٤- ﴿وَيَبَّاكَ فَطَهِّرْ﴾: قيل: أمره الله أن يتطهر ويظهر ثيابه. وقيل: هذه الأنفاظ استعارة في تنقية الأفعال والنفس والعرض. ٥- ﴿وَالرُّجْرَ فَاهْجُرْ﴾: قيل: الأصنام والأوثان، والمعنى: الثبات على هجرها لأنه كان بريئاً منها ﷺ. ٦- ﴿وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾: لا تعط عطية لثعطى أكثر منها. وقيل: معناه: لا تمنن على ربك أن تستكثر عملك الصالح. ٧- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾: أي لوجه ربك وطلب رضاه؛ اصبر على الأذى والتكذيب. ٨- ﴿فَإِذَا تَفَرَّقَ الرَّاغِبُ﴾: نفخ في الصور. ١١- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾: عنى به الوليد بن المغيرة. والآية وعيد محض، والمعنى: أنا أكفي عقابه وشأنه كله. ١٢- ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَمْدُودًا﴾: كثر عدده، أو مساحته. ١٣- ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾: حضوراً لا يغيبون عنه، ولا يحتاجون إلى التفرق في طلب الرزق. لكثرة مال أبيهم. ١٤- ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ﴾: بسطت له من المال والولد في الدنيا. ١٧- ﴿سَأُنْهِيَهُ صَعُودًا﴾: سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها. قيل: إنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ ١) قُفَايْزِرْ ٢) وَرَبِّكَ فَكَيْزِرْ ٣) وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ ٤)
وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥) وَلَا تَحْنَنَّ تَسْكُتْ ٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧)
فَإِذَا نَقَرُفِي النَّاقُورِ ٨) فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩) عَلَى الْكَافِرِينَ
عَسِيرٌ ١٠) ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا
مَعْدُودًا ١٢) وَبَيْنَ شُهُودًا ١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيُّنَا عُيُونًا ١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ١٧)

٥٧٥

يَكْلَفُ أَنْ يَصْعَدَ جَبَلًا مِنْ نَارٍ. [١، ٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الْمُؤْمِنِينَ ١﴾ **قُرْآنًا** ﴿٢﴾ أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: جَاوَرَتْ بِحِرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتَ جَوَارِي نَزَلَتْ فَاسْتَبَطَنْتِ الْوَادِي، فَنَوْدِيَتْ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي، بِحِرَاءَ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ دَثْرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَتَأْتِيَ الْمُؤْمِنِينَ ١﴾ **قُرْآنًا** ﴿٢﴾ [١ - ٧] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الْمُؤْمِنِينَ ١﴾ **قُرْآنًا** ﴿٢﴾ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣** **وَبِآبَكَ فَطَهِّرْ ٤** ... وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنْدٍ ضَعِيفٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ صَنَعَ لَقْرِيشَ طَعَامًا، فَلَمَّا أَكَلُوا قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِسَاحِرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِكَاهِنٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِشَاعِرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سِحْرٌ يُوْثِّرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَزَنَ وَقَعَنَ رَأْسَهُ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَتَأْتِيَ الْمُؤْمِنِينَ ١﴾ **قُرْآنًا** ﴿٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاضْبِرْ ١١﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١٢﴾ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّهُ رَقَ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمَّ إِنَّ قَوْمَكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَا لَا لِيُعْطَوْكَ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتَتَعَرَّضَ لِمَا قَبْلَهُ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَا لَا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ وَأَنْتَ كَارِهِ لَهُ. فَقَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعْرِ مِنِّي، وَلَا بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجَنِّ، وَاللَّهِ مَا يَشْبَهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهِ إِنْ لَقَوْهُ لَخَلَاوَةٌ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُنِيرٌ أَعْلَاهُ مَشْرِقُ أَسْفَلِهِ، وَإِنَّهُ لِيَعْلُو وَمَا يَعْلي عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لِيَحْطُمَ مَا تَحْتَهُ، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمَكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعَنِي حَتَّى أَفْكَرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُوْثِّرُ يَأْتِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١٢﴾ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى نَحْوَهُ.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيه سَقَرًا ﴿٢٦﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَاسْقَرًا ﴿٢٧﴾ وَلَا تَنفَى وَلَا تَنْزَرًا ﴿٢٨﴾ لَوَاحِةً لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿٣٠﴾ وَمَجْعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكِيَّةً وَمَجْعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَنَابُ الْبَشَرِ وَلَا يَنَابُ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَالتَّيْلِ إِذَا دَبَّرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا لِإِخْدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَحْصَى الْيَمِينَ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَسَاءَ لَوْنُ عَنِ الْعَجْرَمِينَ ﴿٤٠﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤١﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّكَ مِنْ أَصْلَابِ الْغَصَايِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ أَنَّكَ تُطْعَمُ الْمُسْكِينَ ﴿٤٣﴾ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَافِضِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٥﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٦﴾

١٨- ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾: يعني: الكافر الذي ذكره، فكر فيما أنزل الله على نبيه ﴿وَقَدَّرَ﴾: ما يقول فيه. ١٩- ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: أي: فلنن وعذب كيف قدر ما هو قائل فيه. ٢٢- ﴿وَبَسَرَ﴾: كلعج، وكره وجهه، أي غير وجهه وجعله كريهاً. ٢٤- ﴿فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى﴾: يأتريه عن غيره، وينقله عنه. ٢٦- ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَاسْقَرًا﴾: أي: أي شيء أدراك ما سقر، مبالغة وتهويلاً، هي نار ٢٨- ﴿لَا تَنفَى وَلَا تَنْزَرَا﴾: من فيها حياً ولا ميتاً، ولكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم. ٢٩- ﴿لَوَاحِةً لِلْبَشَرِ﴾: تلوح لهم وتظهر. وقيل: «البشر» جمع بشرة، والمعنى: مغيرة للبشرات، محرقة للجلود، مسودة لها. ٣١- ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: للمشركين والكفار، ليقع منهم التعاطي والطمع في المغالب ما وقع! ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: لأنها في التوراة والإنجيل تسعة عشر، فيوقنوا حين وافق عدد خزنة جهنم ما في كتبهم ﴿وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: من عندهم شك وريب ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾؟ أن يخوفنا بهؤلاء التسعة عشر. ٣٢- ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: تذكرة، يعني النار. وقيل: المراد بها الحال والمخاطبة والإنذار. ٣٣- ﴿وَالْقَمَرِ﴾: كلا: صلة للقسم، التقدير: أي والقمر. ٣٤- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: ولّى ذاهباً ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: إذا أضاء. ٣٥- ﴿إِنَّمَا لِإِخْدَى الْكَبِيرِ﴾: يعني جهنم: لإحدى الأمور العظام ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: في طاعة الله ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: في معصيته. ٣٨- ﴿يَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾: مأخوذة بما عملت، ومرتهنة به، إما خلصها وإما أوتيقها. ٣٩- ﴿إِلَّا أَحْصَى الْيَمِينَ﴾: في أنهم غير مرتين. ولكنهم ﴿فِي جَنَّتٍ يَسَاءَ لَوْنُ﴾: عن المشركين الذين سلكوا في سقر: أي شيء سلككم في سقر؟ ٤٥- ﴿وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَافِضِينَ﴾: في الباطل كلما غوى غاو غوينا معه. ٤٧- ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ﴾: الموت. وقال ابن عطية: صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة. ٣٠- قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء: أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ﴾.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكِيَّةً﴾ أخرج عن ابن إسحاق قال: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكِيَّةً﴾ الآية. وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكره. وأخرج عن السدي قال: لما نزلت: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ﴾ قال رجل من قريش يدعى أبا الأشدق: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكي الأيمن عشرة، وبمنكي الأيسر التسعة، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكِيَّةً﴾ الآية. [٢٠] ﴿وَمَا تَقْصِرُونَ إِلَّا خَيْرًا مِّنْ خَيْرٍ يُجِدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْفَرُوا أَنَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]. من فوائد الاستغفار: ١- أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أنه أمان من العقوبة والعذاب. ٣- أنه سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- أنه سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفرداً، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصه لله مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفياقي والقفار. ٨- إغاظة الشيطان. ٩- المستغفرون يتمتعهم ربهم متاعاً حسناً، ويرزقهم رزقاً رغيداً، وعيشاً هنيئاً، فيهنئون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيداً من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس وأخفهم أوزاراً. ١١- الاستجابة لخصوص الكتاب والسنة. ١٢- المتاع الحسن في الدنيا، وإتياء كل ذي فضل فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممن شملتهم رحمة الله ووده. ١٥- به تجلب النعم وتدفع النقم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنه سبب في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تحل المشاكل الصعبة والعويصة. ١٩- أنه سبب لانسراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبد لله عز وجل ويقر له بصفة الغفار. ٢١- ومن أهم فوائده الاستغفار وثمراته أنه دواء للذنوب... وغير ذلك من الفوائد والثمرات. [٢٠، ١٩، ١٨] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]، ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩]، ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ٢٠]. ما فائدة تكرير ﴿قَدَّرَ﴾؟ **الجواب:** الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما فكر فيما يرد به على النبي ﷺ فيما جاء به من القرآن، فالأول تقديره: ما يريد بقوله، والثاني أنه قدر أن قوله شعر ترده العرب؛ لأنه ليس على طريقة الشعر، قال الله تعالى: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، والثالث: قدر أن قوله: هو كهانة من كلام الكهان ترده العرب لمخالفته كلام الكهان، فهو قوله تعالى ثالثاً: ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. = الثالث وأكثر منه، فيكون قد قام بما فرض عليه في القراءة بالخفض أيضاً، فالقراءة بالنصب أقوى لهذا المعنى لأن فيها بياناً أنه صلى الله عليه وسلم قام بما فرض عليه وأكثر منه. وقرئ (ثلاثي - ثلاثي) بإسكان اللام في (ثلاثي)، وتحريكها بالضم على الأصل، والإسكان للتخفيف. [٥] ﴿وَالرَّجَزَ فَاهَجَرُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ﴾ قرئ: (والرَّجَز) بضم الراء لغه الحجاز. وقرئ: (والرَّجَز) بكسرها لغة تميم، وقيل: الضم: اسم صنم، والكسر: اسم للعذاب، فالمعنى عليه: أنه أمر أن يهجر ما يحل العذاب من أجله، والتقدير: وذو الرجز فاهجر: وهو الصنم، وحسن إضافة الصنم للعذاب؛ لأن عبادته تؤدي إلى العذاب. وقيل: هما صنمان كانا عند البيت "إساف ونائلة" (فإساف) صنم وضعه عمر بن لحي على "الصفاء"، و(نائلة) على "المروة"، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة. وقيل: هما "إساف بن عمر، ونائلة بنت سهل" فجرا في الكعبة فمسحاً حجرتين، فعبدهما قريش، انظر القاموس المحيط في هذا المعنى. [٣٣] ﴿وَالَّتِي إِذَا دَبَّرَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي إِذَا دَبَّرَ﴾ قرئ: (إذَا دَبَّرَ) بإسكان الدال من "إذ"، و"أدبر" بهمزة مفتوحة ودال ساكنة، ومعناه تولى. وقرئ: (إذَا دَبَّرَ) بفتح الدال والدال، وحذف الهمزة، ومعناه جاء خلف النهار. وقد قيل إن "أدبر" و"دبر" لغتان بمعنى واحد. نزول سورة المدثر: نزلت بعد سورة المزمل، وهي مكية. **عدد كلمات سورة المدثر:** مائتان وخمس وخمسون. **عدد حروف سورة المدثر:** ألف وعشرة. **أسماء سورة المدثر:** سميت المدثر؛ لمفتحتها. **مواضيع سورة المدثر:** مقصود السورة: أمر النبي ﷺ بدعوة الخلق إلى الإيمان، وتقدير صعوبة القيامة على الكفار وأهل العصيان، وتهديد وليد بن مغيرة بنقض القرآن، وبيان عدد زبانية النيران، وأن كل أحد رهن بالإساءة والإحسان، وملامة الكفار على إعراضهم عن الإيمان، وذكر وعد الكريم على التقوى بالرحمة والغفران. نزول سورة القيامة: نزلت بعد سورة القارعة، وهي مكية. **عدد كلمات سورة القيامة:** مائة وتسع وتسعون. **عدد حروف سورة القيامة:** ثلاثمائة واثنان وخمسون. **أسماء سورة القيامة:** =

٤٨- ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾: يقول: فما يشفع لهم الذين يُشفّعونهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد. ٤٩، ٥١- ﴿مُعْرِضِينَ﴾: مُؤَلِّين لا يستمعون لها ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ﴾: كأنهم في إعراضهم عن التذكرة بالقرآن حميرٌ نافرة ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾: قيل: هم الرُماة. وقيل: الأسد. ٥٢- ﴿أَنْ يَوْفَىٰ صُحُفًا مُّثْقَرَةً﴾: أن يؤتى كتاباً من السماء ينزل عليه. ٥٣- ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾: أي: إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يُصدّقون بالآخرة، ولا يخافونها. ٥٤- ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾: أي: القرآن يُتذكّر به ويُتعتظ بمواعظه. ٥٦- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أن يذكروه، لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا أن يشاء الله ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى﴾: أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه ﴿وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ﴾: وهو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

١- ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: أي: أقسم بيوم القيامة. ٢- ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾: التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات. ٣- ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَّعَ عَظَامُهُ﴾: بعد أن صارت رفاتاً فتعيدّها خلقاً جديداً. ٤- ﴿أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾: معنى: نجمع عظامه، أي: قادرون على تاليف جميعها وإعادةتها إلى التركيب الأول إلى أن تُسوي بنانه -أي أصابعه- وآخر ما يتم به خلقه. ٥- ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَتْحِ أَمَامِهِ﴾: أن يمضي أمامه قدماً في معاصي الله، ويسوّف التوبة. ٧- ﴿إِذَا دَاقَ الْبَصَرَ﴾: فزع وشخص وتحيّر من هول يوم القيامة. ٨- ﴿وَحَصَفَ الْقَمَرُ﴾: ذهب ضوءه. ١١- ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾: ليس هناك فرار ينفع صاحبه. ولا شيء يلجأ إليه من معقل ولا جبل. ١٤- ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: يقول عز وجل: الإنسان بصير بعيوب نفسه. ١٥- ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرَهُ﴾: «المعاذير» هنا هي الأعذار جمع «معدرة» والمعنى: ولو اعتذر عن قبيح أفعاله وجادل عن نفسه. ١٦- ﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانُكَ﴾:

قيل: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ شيء من القرآن عجل به يريد حفظه، من حبه إياه، ﴿لَتَجَلَّيْكَ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾: في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: يقول: وقراءته حتى تقرأه بعدما جمعناه في صدرك. ١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: قراءته. [٥٢] قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾ أخرج ابن المنذر رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾ البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل

[٥٤] ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ [المدر: ٥٤]، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١]. تقدير الآية في سورة المدثر وقيل: حمل التذكرة على التذكير؛ لأنها بمعناه. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ [المدر: ٥٥، عبس: ١٢]. تكرر سورتي المدر وعبس، والآية تبين أن من أراد الاعتاظ فعليه بهذا القرآن، فإن فيه الخير كله. [٥٠] (مستفزة) بفتح الفاء اسم مفعول أى: ينفرها القناص الأسد أو الرامي. قرئ: (مستفزة) بكسر الفاء، أى قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ قرئ: قرئ: (تذكرون) بالتاء على الخطاب، أى: وما تذكرون وما تتعظون به فتذكرون. وقرئ: (يذكرون) بالياء على الغيبة لمناسبة ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿يَخَافُونَ الْآخِرَ﴾ قرئ: (أقسم) بهمزة بعد اللام من غير ألف على أنها "لام" قسم دخلت على (أقسم) وجعل (أقسم) ح لتأكيد القسم. وقرئ: (لا أقسم) بإثبات الألف بعد اللام على أن "لا" زائدة صلة كزيادتها في قوله: ﴿مَعَالِمٍ﴾ والمعنى: أقسم بيوم القيامة ولا أقسم، "فلا" الثانية للنفي غير زائدة، والأولى: زائدة صلة، وفي زيادة "لا" كله كالسورة الواحدة "ألا ترى أن هذا الشيء يذكر في سورة أخرى؟ مثل قوله: ﴿يَنبَأُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ﴾ رَكَعٌ بِمَجْزُونٍ ﴿في "القلم"، وقيل: إن "لا" نفي لكلام متقدم في سورة أخرى، وأقسم كلام ابتدئ به غير منه بفتح الراء. وقرئ: (برق) بكسرها، وهما لغتان في التحير والدهشة، وقيل: برق بفتح: لمع وشخص عند المدح [٥٣] ﴿الْآخِرَةَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في الق

القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة **(الدنيا)** وحدها في (٥٠) موضعاً في القرآن. ووردت كلمة (١) وردت كلمة **الدنيا والآخرة** مجتمعة في (٦٥) موضعاً في القرآن الكريم. [٤] ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَمْرٌ شَدِيدٌ﴾ أن أنكر كفار قريش البعث يوم القيامة، وأنه كيف لله أن يجمع عظام الميت، رد عليهم رب العزة بأنه ليس بنانه، هذا الجزء الدقيق الذي يعرف عن صاحبه والذي يميز كل إنسان عن الآخر مهما حصل له من ال منذ أواخر القرن التاسع عشر. [٣٧-٣٩] ﴿أَلَمْ يَكْ نُفَعِّهِ مِنْ مَرْيَمَ بَنَتِ﴾ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَلَقٍ فَسَوًى (٣٨) ﴿فَجَعَلْنَاهُ الزَّوْجَيْنِ نوع الجنين: يقول علماء الأجنة: إن الحيوانات المنوية في الرجل نوعان: حيوانات منوية مذكرة وحيوانات بالبويضة، فإن الجنين يكون ذكراً، وإذا اتحد الحيوان المنوي المؤنث بالبويضة، فإن الجنين يكون أنثى الجنين، بل الذي يحدد جنس الجنين هو الحيوان المنوي للرجل، فسبحان الله القائل: ﴿فَجَعَلْنَاهُ الزَّوْجَيْنِ﴾

= سُمِّيتْ سورة القيامة؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة القيامة:** مقصود السُّورة: بيان هَوْلِ القيامة، وهَيْئَتِها، وجزاء الأعمال، وآداب سَماعِ الوَحْي، والوعد باللقاء والرَّؤية، والخبر عن حال السَّكرة، والرَّجوع إلى بيان

فَمَنْعَهُمْ شَفْعَةَ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَأَلْهَمَ عَنِ التَّتَكُّرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرُ مُسْتَنْفَرَةٍ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسُورِهِ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتِيَ صُحُفًا مُنْشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ يَذْكُرُهُ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ^ع هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۚ أَحْسِبُ
الْإِنْسَانَ أَنْ يَجْمَعَ عَظَامَهُ ۚ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۚ بَلَىٰ
رُبُّدَا الْإِنْسَانِ لِفَجْرٍ أَمَامَهُ ۚ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ۚ فَإِذَا بَرَأَ النَّصْرُ
وَحَسَفَ الْقَمَرُ ۚ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
إِنِّي الْمَرَّةُ ۚ كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ نَبَتْهُوَ الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُ ۚ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ
وَقُرْآنُهُ ۚ فَإِذَا أَرَأْنَاهُ فَانْعَبْ ۚ ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا نَبَإُهُ ۚ

كَلَابِلُ يُحْبُونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَاللَّفَتِ
السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا ضَلَّ
﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ دُحِبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَنَطَّقُ ﴿٣٣﴾ أُولَى لَكَ
فَأُولَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿٣٥﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَتَرَكَ سُدَى ﴿٣٦﴾
الزَّيْلُكَ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَلَقٍ فُسْوَى ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّجَ الْوَلَوَى ﴿٤٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٢٢- ﴿نَاصِرَةٌ﴾: ناعمة، والنُّصرة: النعمة وجمال البشرية. ٢٣- ﴿إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾: يرى المؤمنون ربهم من غير تكليف ولا تشبيه. ٢٤- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: متغيرة الألوان، مسودة كالحة ٢٥- ﴿تَنْظُرُ﴾: تعلم، أو تتوقع ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: ستدخل النار. والفاقرة: الداهية التي تقسم فقار الظهر. ٢٦- ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾: إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها. ٢٧- ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: بمعنى: وقال أهله: من ذا يرقيه فيشفيه، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يُغنوا عنه شيئاً. ٢٨- ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾: وأيقن أن الذي قد نزل به هو فراق الدنيا والأهل والولد. ٢٩- ﴿وَاللَّفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾: أي تابعت عليه الشدائد. والعرب لا تذكر الساق إلا في الشدائد والحزن. وقيل: التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به. ٣٠- ﴿ثُمَّ دُحِبَ﴾: مضى ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾: منصرفاً إليهم ﴿يَتَنَطَّقُ﴾: أي: يتبختر في مشيته. ٣١- ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾: وعيد من الله تعالى على وعيد، وهذا تهديد شديد. ٣٢- ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ﴾: الكافر بالله ﴿أَنْ يَتَرَكَ سُدَى﴾: مهملاً لا يتعبد بعبادة، ولا يؤمر، ولا ينهى. ٣٣- ﴿فَعَلَقَ فُسْوَى﴾: فجعله إنساناً بعدما كان نطفة، وعلقه، أي دمًا، فسواه بشراً سوياً. ٤٠- ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّجَ الْوَلَوَى﴾: كان رسول الله ﷺ إذا قرأها يقول: «سبحانك بلى». أخرجه البيهقي في الشعب، ولم يصرح براويها.

شُورَةُ الْإِنْسَانِ

١- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: قيل معناه: قد أتى على الإنسان ﴿حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾: «الحين» المدة التي بقي فيها آدم طيناً قبل أن تنفخ فيه الروح، أي أنه لم يكن مذكوراً مئوياً به في الكون، أو الخلق. ٢- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: ذرية آدم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: من ماء الرجل وماء المرأة، ﴿أَمْشَاجٍ﴾: يعني: اخلاطاً، لأنها ممتزجة من أنواع وطباع مختلفة ﴿نَبْتَلِيهِ﴾: نختبره. ٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: بينا له طريق الحق، وعرفناه سبيله ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾: للنعم ﴿وَأِمَّا كَفُورًا﴾: كفوراً لها، وقيل: إما سالكاً طريق الحق، وإما متنكباً له. ٥- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: الذين برؤا بطاعتهم ربهم ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: مزاج ما فيها من

الشراب، أي: الذي يمزج به ويخلط ﴿كَافُورًا﴾: كالكاפור في طيب رائحتها. [٣٥، ٣٤] قوله تعالى: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ٢٠﴾ أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر، وأنتم الدهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فيقول له: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ٣١﴾ ثم أُولَى لَكَ فَأُولَى ٢١. وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن قوله: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه أم أمره الله به؟ فقال: بل قاله من قبل نفسه، ثم أنزله الله. [٥] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلاً﴾ [الإنسان: ١٧]. أشار بالأولى إلى برودتها وطيبها، والثانية إلى طعمها ولذتها؛ لأن العرب كانت تستطيب الشراب البارد؛ وتستلذ طعم الزنجبيل، وذكرت ذلك في أشعارها، فظاهر القرآن أنهما اسماء عيين في الجنة، فقيل: الكافور للإبراد، والزنجبيل يمزجون بها أشربتهم، ويشربها المقرَّبون صرفاً. [٢٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ٢٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥﴾ [القيامة: ٢٥]. يقول ابن القيم في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي مناد يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم، فحيى على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستنون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً، وجعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء - على كئيبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى، يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضىنا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لا حترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه يقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة. ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة. ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة. [٣٥، ٣٤] ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ٣١﴾ [القيامة: ٣٤]، ﴿ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ٢٠﴾ [القيامة: ٣٥]. ما معنى الآيتين، وما فائدة التكرار؟ **الجواب:** هو دعاء على المخاطب بالويل، وهو مشتق من "ولى" إذا قُرب، ومعناه: أقرب لك الويل، وأما تكراره فإما تأكيد له، أو أن الأول للدنيا، والثاني للآخرة، أي: ويل له فيهما، والله أعلم. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. لماذا لم يقل "شكوراً" في مطابقة "كفوراً"؟ **الجواب:** أنه جاء باللفظ الأعم؛ لأن كل شكور شاكِر، وليس كل شاكِر شكوراً، أو قصد المبالغة في جانب الكفر ذمّاً له؛ لأن كل كافر كفور بالنسبة إلى نعم الله عليه. ما الفرق بين: "الشاكِر" و"الشكور"؟ **الجواب:** "الشاكِر" هو الذي يشكر في العطاء في لحظة الرخاء. أما "الشكور" فهو الذي يشكر في البلاء، وعند المنع يحمد الله، وهذه أعلى منزلة. و"شاكِر" على وزن فاعل أي يأتي بالشكر، بينما "شكور" على وزن فعول، أي: استمراره على الشكر فشكره الله على الدوام، وعلى كل الأحوال.. والله أعلم. [٢٠] ﴿كَلَابِلُ يُحْبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾، ﴿وَتَذَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُحْبُونَ﴾ و﴿تَذَرُونَ﴾ قرئ: (تحبون- وتذرون) بالخطاب التفاتاً على معنى: قل لهم يا محمد: بل تحبون. وقرئ: (يحبون- ويذرون) بالغيب مراعاة للضمير الراجع للإنسان المذكور قبل في قوله: ﴿يَتُوبُ الْإِنْسَانُ﴾ وجمع هنا، لأن المراد بالأول الجنس. [٢٧] ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ قرئ: بالسكت على نون "من" وعدمه، وتقدم توجيهه في باب السكت. [٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ قوله تعالى: ﴿يُمْنَى﴾ قرئ: (يمنى) بالياء من تحت على جعل الضمير عائداً على المنى، أي: يصب، فالجملة محلها جر صفة "المنى". وقرئ: (تمنى) بالتاء من فوق على أن الضمير للنطفة. نزول سورة الإنسان: نزلت بعد سورة الرحمن، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الإنسان: مائتان وأربعون. عدد حروف سورة الإنسان: ألف وخمسون. =

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٧﴾
هَؤُلَاءِ يَحْبُونُ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٨﴾
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْتَلَهُمْ بَدِيلًا ﴿٢٩﴾
إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾
يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٢﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ (٢٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلَقَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوُفْعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ
لِیَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَلَيْلٍ يُؤْمِزُ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْآوَلِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾
كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَيْلٍ يُؤْمِزُ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾

(٨٠)

٢٧- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾: يعني: المشركين ﴿يَحْبُونُ الْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ﴾: يتركون خلف ظهورهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: يوم القيامة، وسمي ثقیلاً لما فيه من الشدائد والأهوال. ٢٨- ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: شددنا خلقهم، والأسر: شدة الخلق ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْتَلَهُمْ بَدِيلًا﴾: أهلكناهم، وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم في الخلق، مخالفين لهم في العمل. ٢٩- ﴿إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾: الإشارة إلى السورة بأسرها. وقيل: إلى الشريعة بمجملتها.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

١- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾: قيل: والرياح المرسلات، أقسم الله بها ﴿عُرْفًا﴾: يتبع بعضها بعضاً، كأنه قال: والمرسلات إرسالاً. وقيل: الملائكة التي ترسل بالعرف. ٢- ﴿فَالْعَصْفِ عَصْفًا﴾: فالرياح العاصفات، وهي الشدائد الهبوب، السريعات المُر. ٣- ﴿وَالنَّشْرِ نَشْرًا﴾: قيل: عنى بها الريح، بمعنى: تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض. أو تنشر رحمة الله وغيشه. وقيل: والملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال. ٤- ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا﴾: فالفاصلات بين الحق والباطل. وقيل: عنى به الملائكة. ٥- ﴿فَأَلْمَلَقَتِ ذِكْرًا﴾: هي الملائكة التي تلقي وحى الله إلى رسله. ورجح بعض المفسرين أن الآيات الثلاث الأول للرياح. والرابعة والخامسة للملائكة. ٦- ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾: إغذاراً من الله إلى خلقه. وإنذاراً منه لهم. ٨- ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: ذهب ضياؤها ومحي نورها. ٩- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: شُفقت، وصُدعت. ١١- ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾: أجلت للاجتماع لوقتها ليوم القيامة. ١٢- ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ﴾: لأي يوم أجلت الرسل، ما أهوله وأعظمه؟ ١٦- ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾: بعدهم ممن سلك سبيلهم في الكفر. ٢٩ ﴿إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩، الإنسان: ٢٩]. إن هذه الآيات

المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقاً توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه ورباه، فهذا ما دلت عليه المزمل، أما آية الإنسان: إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقاً يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه، وقد تكررت الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص. [٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]. وما تريدون أمراً من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته. إن الله كان عليماً بأحوال خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه. فهذا ما دلت عليه آية الإنسان، أما آية التكوير: وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين. [١٥] ﴿وَلَيْلٍ يُؤْمِزُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تكررت بالمرسلات ١٠ مرات. التكرار في مكان الترغيب والترهيب مستحسن، لا سيما إذا تغيرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا. [١٨] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٢٣٤]، ﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]. ما في سورة الصافات حيل بين الضمير وبين "كذلك" بقوله: ﴿فَأَتَاهُمْ يَوْمِيذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: ٣٣] فأعاد، وفي سورة المرسلات متصل بالأول، وهو قوله: ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [١٧] ﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨] فلم يحتج إلى إعادة الضمير. = [الإنسان: ١٩]. قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ لَيْلٍ يُؤْمِزُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بصبغة الفاعل؟ الجواب: أن القصد بالأول وصف الآنية والمشروب، والمقصود بالثاني وصف الطائف. [٢٧] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه؛ فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفقه حقه، شدد عليه ذلك الموقف الآخر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعٌ أَصَاوِرٌ مِنْ قِصْرٍ﴾ قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قرئ: (عاليهم) بسكون الياء وكسر الهاء بمعنى الجمع؛ لأن الخبر جمع، ويجوز أن يكون "ثياب سندس" خبراً مقدماً، و(عاليهم) مبتدأ، أو ثياب سندس خبر رفع بفعله وهو العلو، وسد مسد الخبر خبر مقدم، و(ثياب) مبتدأ مؤخر. وقرئ: (عاليهم) بفتح الياء وضم الهاء على أنه حال من الضمير المجزور في (عاليهم)، أو من الولدان، أو على الظرفية خبراً مقدماً لثياب، كأنه قيل: فوقهم ثياب سندس. قوله: ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرئ: (خضر وإستبرق) بالرفع فيهما فرفع (خضر) على النعت لثياب وإستبرق، نسقاً على ثياب سندس على حذف مضاف، أي: و(ثياب إستبرق). وقرئ: (خضر وإستبرق) بخفض الأول ورفع الثاني فـ ﴿خُضْرٌ﴾ نعت لسندس، وفيه وصف المفرد بالجمع، وأجازه الأخفش، وأجيب عنه بأنه اسم جنس، وقيل: جمع، واسم الجنس يوصف بالجمع، قال تعالى: ﴿الْحَسْبُكُ الْيَقَالُ﴾. [٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ قرئ: (تشاؤون) بالخطاب التفاتاً عن الغيبة في خلقناهم. وقرئ: (يشاؤون) بالغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُمْ﴾. [٦] ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ قرئ: (عذراً أو نذراً) بالضم على الأصل. وقرئ: (عذراً أو نذراً) بالإسكان للتخفيف. [١١] ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿أَقْنَتْ﴾ قرئ: (وقئت) بواو مضمومة مع تشديد القاف على الأصل؛ لأنه من الوقت والهمز بدل من الواو. وقرئ: (وقئت) بالواو وتخفيف القاف على معنى جعل لها يوم القيامة وقتاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ﴾ وقرئ: (أقنت) بالهمز والتشديد، وكلها لغات. [٨] ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]. الفرق بين النجم والكوكب: قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [١] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [١] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]. يتضح من هذه الآيات الاختلاف في وصف حال النجوم والكواكب عندما تقوم الساعة يوم القيامة، فإنهما - ولا شك - مختلفان، إذ إن النجوم يذهب ضياؤها وتتشتق، فتتفرق أجزاؤها ثم تجتمع على نفسها على جهة الاستدارة، وهذه صفات الكتل الغازية النارية المضيئة، لأنها عندما تبرد يخبو ضوءها وتتجزأ، ثم تتكاثف بالاجتماع بعضها على بعض، وتكون دقائق سائلة، على حين أن الكواكب لا توصف بذهاب الضياء، بل بمجرد الانتشار، أي التشقق والتفريق اللذين هما من صفات الأجسام الجامدة المظلمة.

= والمئة على الخلق بإحكام خلقهم، وإضافة كلفة المشيئة إلى الله. نزول سورة المرسلات: نزلت بعد سورة الحمزة، وهي مكية. عدد كلمات سورة المرسلات: مائة وإحدى وثلاثون. عدد حروف سورة المرسلات: ثمانمائة وستة عشر. أسماء سورة المرسلات: سميت سورة المرسلات؛ لمفتتحها. مواضع سورة المرسلات: معظم =

تفسير الطبري الأسماء الحسنی أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْلِفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ
 أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْخَفُ فِي الصُّورِ
 فَنُأْتُونَ أَوْجَادًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ ﴿٢٢﴾
 مَبَايَا ﴿٢٣﴾ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٤﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٥﴾
 إِلَّا أَحْجِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٦﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٧﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٨﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٩﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ
 أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٠﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣١﴾

(٥٨٢)

١- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يقول عز وجل: عن أي شيء يسأل هؤلاء المشركون من قريش بعضهم بعضاً؟
 ٢- ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾: قيل: عنى به القرآن، وقيل: البعث بعد الموت. وسياق الآيات يدل على أن
 المراد هو البعث. ٦، ٧- ﴿مِهْدًا﴾: يمتهدونها ويفترشونها، والمهاد: الفراش والوطاء. ﴿وَالْجِبَالَ
 أَوْتَادًا﴾: أن تميد بكم. ٩- ﴿سُبَاتًا﴾: راحة ودعة تهدؤون به، لأن أصل السبت: القطع.
 ١٠- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ثغطيكم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه. ١٢- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا
 شِدَادًا﴾: يعني: السماوات السبع، خلقها الله تعالى قوية الخلق محكمة البناء. ١٣، ١٤- ﴿وَجَعَلْنَا
 سِرَاجًا﴾: يعني: الشمس ﴿وَهَّاجًا﴾: وقاداً مضيئاً ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾: من السحاب الذي
 يتحلب بالمطر، وينعصر به ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: منصباً يتبع بعضه بعضاً. ١٥- ١٧- ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
 وَنَبَاتًا﴾: كل ما تضمنه كمام الزرع الذي يحصد ﴿وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا﴾: ملتفة مجمعة. ١٨- ﴿إِنَّ
 يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: يوم يفصل الله بين خلقه وهو يوم القيامة الذي كانوا يتساءلون عنه. والآيات السابقة
 أدلة عليه وبراهين. ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾: أي وقتاً وميعاداً للخلائق. ١٨- ﴿فَنُأْتُونَ أَوْجَادًا﴾: زُمرأ زُمرأ،
 وجماعة جماعة. ٢١- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: ذات رصد لأهلها. المكذبين بها في الدنيا، ترقبهم،
 وتتطلع لمن يأتي إليها منهم. ٢٢- ﴿لِلطَّغْيِينِ﴾: المتكبرين على الله المتجاوزين حدوده ﴿مَبَايَا﴾:
 مرجعاً ومنزلاً. ٢٣- ٢٥- ﴿لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾: قيل: هو ما لا انقطاع له كلما مضى
 خُفِّبَ جاء خُفِّبَ بعده، والأحقاب: الدهور ﴿لَا يَدْخُلُونَ﴾: لا يطعمون ﴿فِيهَا بَرْدًا﴾: يُبرد حر
 السعير عنهم ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يرويههم، وقيل: البرد: النوم ﴿إِلَّا أَحْجِيمًا﴾: قد أغلي حتى انتهى حره
 ٢٩- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾: أثبتناه وكتبناه. وعرفنا مبلغه وعدده. ﴿كِتَابًا﴾: مكتوباً في اللوح المحفوظ.

[٢، ١] قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ. أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن قال: لما بُعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فنزلت: ﴿عَمَّ
 يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ. [٦] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦]. ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها وعاء
 تضم الأحياء والأموات، فهذا ما دلت عليه المرسلات، أما آية النبا: ألم نجعل الأرض ممهدة لكم كالفرش؟ [١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
 [الدخان: ٤٠]، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ [النبا: ١٧]. إن يوم القضاء بين الخلق بما قدموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين، فهذا ما دلت عليه آية
 الدخان، أما آية النبا: إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتاً وميعاداً محدداً للأولين والآخرين. [٢٦، ٣٦] ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦]، ﴿جَزَاءً مِنْ
 رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦]. الأول للكفار، فناسب ذكر ﴿وَفَاقًا﴾، أي: جزاء موافقاً لأعمالهم، والثاني للمؤمنين، فناسب ذكر ﴿حِسَابًا﴾، أي: كافياً وافياً
 لأعمالهم، من قولك: حسبي، أي: كفاني. [٣٩] ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا﴾ [النبا: ٣٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ
 سَبِيلًا﴾. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، أي يوم القيامة، فمن شاء النجاة من أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعاً بالعمل الصالح، فهذا ما دلت عليه آية النبا،
 أما باقي المواضع: إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقاً يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ﴾، "الزمر: ٧١، ٧٣، النبا: ١٩" قرئ: (فُتِحَتْ) بتخفيف التاء من فتح الثلاثي يفتح. وقرئ: (فُتِّحَتْ)
 بالتشديد على التكثير من فُتِحَ المضعف. [٢٣] ﴿لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْسِينَ﴾ قرئ: (لَيْسِينَ) بلا ألف محملة على الصفة المشبهة وهي تدل على
 الثبوت، فاللبث الذي صار طبيعة وسجية كحذر وفرح. وقرئ: (لا بئين) بالألف اسم فاعل من لبث أقام، من باب شرب ولقم، فهو أمر مقدر وقوعه، فاسم
 الفاعل فاعل. [٢٥] ﴿إِلَّا أَحْجِيمًا وَعَسَاقًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَسَاقًا﴾، ﴿وَعَسَاقًا﴾ "ص: ٥٧، النبا: ٢٥" قرئ: (وَعَسَاقًا) بتشديد السين فيهما صفة كالضراب
 مبالغة؛ لأن فعالاً في الصفات أغلب منه في الأسماء، فموصوفه محذوف، أي: "شراب غساق" والغساق: هو ما يجتمع من صديد أهل النار. وقرئ: (وَعَسَاقًا)
 بالتخفيف فيهما اسم للصديد لا صفة له؛ لأن فعالاً مخففاً في الأسماء، كالعذاب أغلب منه في الصفات وهو الزمهرير، أو صديد أهل النار، أو القيح يسيل منهم فيسقونه.
 [١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ٤ مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) ٤ مرات في القرآن
 الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) ٤ مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملوك) ٤ مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها)
 ٤ مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملوك»، و«الشريعة» تكررت كل منها ٤ مرات في القرآن
 الكريم. [٧] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ سُبُلًا نَلْعَلَكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]. وظيفة الجبال: بما أن قشرة
 الأرض وما عليها من جبال وهضاب وصحاري تقوم فوق الأعماق السائلة والرخوة المتحركة المعروفة باسم "طبقة السيما"، فإن القشرة الأرضية وما عليها
 ستميد وتتحرك باستمرار، وسينجم عن حركتها تشققات وزلازل هائلة تدمر كل شيء.. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث.. فما السبب؟ لقد تبين منذ عهد قريب أن
 ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض وفي "طبقة السيما"، وثلثه فقط بارز فوق سطح الأرض، لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة
 بالأرض كما في الآية السابقة. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة هو دلالة اللفظ "أوتاداً" على وظيفة الجبال، فهي تحفظ الأرض من الاضطراب والميلان
 وتؤمن لها الاستقرار، وهذا ما كشف عنه الجيولوجيون في النصف الثاني من القرن العشرين.

نزول سورة النبا: نزلت بعد سورة المعارج، وهي مكية. عدد كلمات سورة النبا: مائة وثلاث وسبعون. عدد حروف سورة النبا: ثمانمائة وستة عشر. أسماء سورة النبا:
 لها اسمان: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، والنبا؛ لذكره بها. مواضع سورة النبا: معظم مقصود السورة: ذكر القيامة، وخلق الأرض والسماء، وبيان نفع الغيث، وكيفيّة النّشر
 والبعث، وعذاب العصاة، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة في القيامة مع المؤمنين، وتمني الكافر المحال بقوله: ﴿يَلَيِّنِي كُنْتُ تُرْبًا﴾.

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مَنْجَى من النار إلى الجنة وظفرًا. ٣٢- ﴿وَأَعْنَابًا﴾: الأعناب: جمع عنب، أي كروم أعناب. ٣٣- ﴿وَكُؤَافٍ﴾: نواهد، جمع كاعب، وهي التي نهد نديها ﴿أَنْزَابًا﴾: مستويات على سن واحدة. ٣٤، ٣٥- ﴿وَكُؤَافٍ هَافًا﴾: ملأى مُتَابَعَةً على شاربها ﴿لَعُفًا﴾: باطلاً ﴿وَلَا كَذَابًا﴾: ولا مكاذبة. ٣٦- ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ﴾: أعطاه الله هؤلاء المتقين عطاءً تفضلاً. ﴿جَسَابًا﴾: كثيراً، يقال: أحسبت فلاناً: إذا كثرت له العطاء. ٣٨- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾: قيل: الروح في هذا الموضع: جبريل. ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾: هية وإجلالاً ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرِّحْنُ﴾ منهم. وقيل: من ملك أو نبي ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: يشفع لأهل الشفاعة. ٣٩، ٤٠- ﴿مَتَابًا﴾: مرجعاً ﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ﴾: حذرناكم ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: يتمنى أن يكون تراباً؛ لما يشاهده مما قد أعده الله له من العذاب.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

١- ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾: أقسم الله بالنازعات وما بعدها. وقيل: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم. وقيل: تنزع أرواح الكفار، و«غرقاً»: إغراقاً في النزاع أي نزاعاً شديداً. ٢- ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾: قيل: الملائكة تَنَشِيطُ نفس المؤمن فتقبضها. والنشط: الجذب بسرعة. ٣- ٥- ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾: قيل: هي النجوم تسبح في فلكها. وقيل: الملائكة تسبح في السماء بأمره تعالى. ﴿فَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾: قيل: الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقيل: النجوم. ﴿فَالْمُدْرِيَاتِ آمْرًا﴾: الملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله. ٦- ﴿يَوْمَ تُجْفَرُ الرَّاجِفَةُ﴾: الصيحة العظيمة التي فيها تردد، وهي النفخة الأولى. ٧- ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: الثانية التي ردتها، لبعث القيامة. ٨- ١٠- ﴿وَارْجِفَةُ﴾: خائفة من الهول ﴿خَشِيعَةً﴾: ذليلة ﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾: أي: أراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا؟ من قولهم:

سُورَةُ النَّازِعَاتِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا ١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ٣ وَالْمُدْرِيَاتِ آمْرًا ٤ يَوْمَ تُجْفَرُ الرَّاجِفَةُ ٥ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ٦ قُلُوبٌ يُومِذُ وَاجِفَةٌ ٧ أَبْصَرُهَا ٨ خَشِيعَةٌ ٩ يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ١٠ أَوَ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَ ١١ قَالُوا لَيْلًا إِذَا كَرَّ ١٢ خَاسِرَةٌ ١٣ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٤ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٥ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ١٦
٥٨٣

رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء. ١١، ١٢- ﴿أَوَ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَ﴾: أي: بالية، متفتتة ﴿قَالُوا لَيْلًا إِذَا كَرَّ﴾: رجعة. ﴿خَاسِرَةٌ﴾: غابنة، لأنه سيصيبهم ما وعدوا به من العذاب المقيم. ١٣- ﴿إِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة ونفخة تفخ في الصور. ١٤- ﴿إِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾: يعني: بظهر الأرض. والعرب تسمي الفلاة. وظهر الأرض: ساهرة. ١٥- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى﴾: لما نزل قوله: ﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرن، فزلت: ﴿قَالُوا لَيْلًا إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ﴾. [٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: ٣١]. قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. من ثمرات وفوائد التقوى: ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح. ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز في الدنيا والآخرة. ٢٦- التفكير والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا كِدَابًا﴾ قرئ: (كِدَابًا) بتخفيف الذال مصدر كاذب، كقاتل قتالاً أو مصدر كذب ككتب كتاباً. وقرئ: (كِدَابًا) بتشديد دال مصدر كذب تكذيباً وكذاباً، وسيويوه يقول: إن لفظ التاء عوض عن زوال لفظ التضعيف من المصدر. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ قوله تعالى ﴿رَبِّ - الرَّحْمَنُ﴾ قرئ: (رَبِّ - الرحمن) بكسر الباء والنون، على أنهما بدل من «رَبِّكَ» من قوله تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ﴾. وقرئ: (رَبِّ - الرحمن) بكسر الباء في (رَبِّ) على أنه بدل من «رَبِّكَ». وضم النون في (الرحمن) على أنه مبتدأ، والجملة التي بعده خبر لمبتدأ محذوف، أي الرحمن: وقرئ: (رَبِّ - الرحمن) بضم الباء والنون، على أنهما خبر لمبتدأ محذوف، أي هو رب، وهو الرحمن. [١١] ﴿أَوَ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَخْرَ﴾ قرئ: (ناخرة) بألف بعد النون على وزن فاعلة. وقرئ: (نخرة) على فعلة وهما لغتان، بمعنى: بالية كأن الريح تنخر فيها، أي: يسمع لها صوت، ويجوز أن نخرة بمعنى: إنها صارت خلقاً تنخر الريح فيها أبداً، وناخرة على معنى أنها صارت الريح تنخر فيها بعد أن لم تكن، وقيل: ناخرة بالية، ونخرة: متأكلة. [٣٨] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولاً: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانياً: ذكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة، أصبح (٨٨) مرة. إذا مشتقات كلمة «الملائكة» تساوي عدد مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساو أيضاً (٨٨) مرة. [٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ إِعْجَازٌ عَدَدِي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمرة) في القرآن (٥) مرات. ٣- ذكرت كلمة (الخنزير) بمشتقاتها في القرآن (٥) مرات. ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات. ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات. ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات. = نزول سورة النازعات: نزلت بعد سورة النبا، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة النازعات: مائة وتسع وسبعون. عدد حروف سورة النازعات: سبعمائة وثلاثة وخمسون. أسماء سورة النازعات: سميت بسورة النازعات؛ لفتحتها. مواضع سورة النازعات: معظم مقصود السورة: القسم على نفخة الصور، وكيفية البعث والنشور، وإرسال موسى إلى فرعون، والمينة بخلق السماء والأرض، وتحقيق هول القيامة، وبيان حال من أثر الدنيا، والخبر عن حال أهل الخوف، واستعجال الكافرين بالقيامة، وتعجبهم منها في حال البعث.

١- ﴿عَبَسَ﴾: قبض وجهه تكبرها ﴿وَتَوَلَّى﴾: أعرض. ٢- ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾: لأن جاءه الأعمى. وقيل: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وكان أتى النبي ﷺ فاقترح على النبي مجلسه، وجعل يقول: «أرشدني»، وعند النبي ﷺ جل من عظماء المشركين، فجعل النبي ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخرين، ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أنزلت «عبس وتولى» ٣- ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾: لعل الأعمى يتطهر من ذنوبه. ٥- ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَبَ﴾: بماله، أو عن الإيمان ٦- ﴿فَأَنْتَ لَهُ صَدِّيقٌ﴾: تُصغى لكلامه ٧- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾: أي شيء عليك ألا يسلم، ويتطهر من كفره. ١٠- ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَمَّحٌ﴾: تُعرض، وتشاغل عنه بغيره ١١- ﴿كَلَّا﴾: يقول: ما الأمر كما تفعل يا محمد، وقيل: «كلا» بمعنى: حقاً. ﴿إِنَّا نَذْكُرُهُ﴾: يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة. ١٢- ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: فمن شاء من عباد الله ذكر تنزيله ووحيه. ١٣، ١٤- ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾: مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ يعني في اللوح المحفوظ. ١٥- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: كُتِبَ. وقيل: هم الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين رسله بالوحي. ١٧- ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾: لُعن الإنسان الكافر ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾: بمعنى التعجب، أي: ما أشد كفره! ١٨- ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: من أي شيء خلق هذا الإنسان الكافر حين يتكبر عن طاعة ربه؟ ١٩- ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾: أطواراً، وأحوالاً: نطفة تارة، ثم علقه، ثم مضغه. ٢٠- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: أي يسر له الطريق إلى الخير والشر. ٢٣- ﴿لَمَّا بَقِيَ مَاءً أَمْرَهُ﴾: الله، يقول: لم يؤد ما فرض الله عليه من الفرائض. ٢٨- ﴿وَعَبَا﴾: كروماً ﴿وَقَضَا﴾: القَضْبُ: هو القَتُّ الرطب الذي يقطع مرة بعد مرة، تُعلف به الدواب. ٣٠- ﴿وَحَدَّائِقَ غُلْبًا﴾: بساتين عظاماً يُستظل بها. ٣١- ﴿وَأَبَا﴾: ما تأكله البهائم من العشب والنبات. ٣٣- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾: اسم من أسماء القيامة، و«الصاعحة» عند العرب: الداهية. ٣٧- ﴿شَأْنُ يَغْنِيهِ﴾: أمر يُشغله عن شأن غيره. ٣٨- ﴿مُسْفِرَةٌ﴾: مضية، وهي وجوه المؤمنين ٣٩- ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: من السرور. ٤٠- ﴿وُجُوهٌ يَوْمِذٍ﴾: وجوه الكفار ﴿عَلَيْهَا غَرَّةٌ﴾: غبار وكُدورة. ٤١- ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشى تلك الوجوه قَدَرَةٌ: سوادٌ وكسوف. [٢، ١] قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: أن جاءه الأعمى: أخرج الترمذي، والحاكم عن عائشة قالت: أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فتزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أن جاءه الأعمى. وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس. [١٧] قوله تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾: أخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم. [١١] ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ [المدثر: ٥٤]، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذَكُّرٌ﴾ [عبس: ١١]. تقدير الآية في سورة المدثر: إن القرآن تذكرة، وفي عبس: إن آيات القرآن تذكرة، وقيل: حمل التذكرة على التذكير؛ لأنها بمعناه. [١٢] ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [المدثر: ٥٥، عبس: ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي المدثر وعبس، والآية تبين أن من أراد الاعتناظ فعليه بهذا القرآن، فإن فيه الخير كله. [٢٤] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]. فليستبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ فهذا ما دلت عليه آية عبس، أما آية الطارق: فليستبر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ [٢٢] ﴿مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣، عبس: ٣٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النازعات وعبس، والآية تبين أن الله عز وجل خلق كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم. [٣٣] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ [عبس: ٣٣]. لما ذكر في سورة النازعات أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ﴾ [تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ... [النازعات: ٦-٧]، ثم خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى، ناسب تعظيم أمر الساعة وجعلها الطامة الكبرى التي تطم على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة. وأما آية عبس فتقدمها: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَلَهُ فَاقْرَءَهُ﴾ [عبس: ٢١]، فناسب ذلك ذكر الصيحة الناشرة للموتى من القبور وهي: ﴿الصَّاعَةُ﴾، ومعناها: الصيحة الشديدة التي توقظ النيام لشدة وقعها في الآذان. [٣٦] ﴿وَصَجَّيْهِ وَآخِيهِ﴾ [المعارج: ١٢]، ﴿وَصَجَّيْهِ وَبَيِّهِ﴾ [عبس: ٣٦]. الآيتان تبيينان حال الإنسان وما يتعرض إليه من أهوال يوم القيامة. [٣٢-٣١] ﴿فَنُخْرِجْ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]، ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبَا﴾ [٣١] ﴿مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢-٢٤]، والعكس في آية عبس؟ **الجواب:** لما تقدم ذكر الزرع في آية السجدة ناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية عبس فإنها في طعام الإنسان، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٢٤] أنا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا [١٥] ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا [١٦] فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا [١٧] وَعَبْنَا وَقَضَا [١٨] وَزَيَّنَّا وَنَحَلًا [١٩] وَحَدَّائِقَ غُلْبًا [٢٠] وَفِكَهَةٌ وَأَبَا [٢١] مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ [٢٢] [عبس: ٢٤-٣٢]، ألا ترى كيف ذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً، ثم ذكر طعام الأنعام بعده وهو الأب، أي: اللبن، فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا، كما ناسب تقديم الأنعام على الناس ثم، فسبحان الله رب العالمين. [٤] ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنُفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ قوله تعالى: ﴿فَنُفَعَهُ﴾ قرئ: (فَنُفَعَهُ) بنصب العين بأن مضمرة بعد الفاء على جواب الترجي مثل "فاطلع" بـ "غافر" لكنه مذهب كوفي، وقيل: في جواب التمني المفهوم من (أو يذكُر)، قاله ابن عطية وأقره عليه السمين. وقرئ: (فَنُفَعَهُ) بالرفع عطفاً على يذكُر ويذكى، والتقدير: فلعله تنفعه الذكرى. [٦] ﴿فَأَنْتَ لَهُ صَدِّيقٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَهُ صَدِّيقٌ﴾ قرئ: (تَصَدَّى) بتشديد الصاد، أدغموا التاء الثانية في الصاد تخفيفاً. وقرئ: (تَصَدَّى) بالتخفيف، فحذفوا التاء الأولى. [٢٥] ﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَا صَبَّيْنَا﴾ قرئ: (أَنَا) بفتح الهمزة في الحالين على تقدير "لام العلة" أي: لأننا، وقيل: بدل اشتغال من طعامه، بمعنى: أن صَبَّ الماء سبب في إخراج الطعام فهو مشتمل عليه. وقرئ: (أَنَا) بفتحها في الوصل فقط. وقرئ: (إِنَّا) بكسرها مطلقاً على الاستئناف، جعلوا الجملة تفسيراً للنظر، أي: إلى حدوث الطعام كيف يكون؟ = إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ٣ أَوْ يَذْكُرُ فَنُفَعَهُ الذِّكْرَى ٤ أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَبَ ٥ فَأَنْتَ لَهُ صَدِّيقٌ ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يُخْشَى ٩ فَأَنْتَ عَنْهُ لَمَّحٌ ١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ كَرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ٢٠ ثُمَّ أَمَلَهُ فَاقْرَءَهُ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرْهُ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرْتُمْ ٢٣ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤ أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعَبْنَا وَقَضَا ٢٨ وَزَيَّنَّا وَنَحَلًا ٢٩ وَحَدَّائِقَ غُلْبًا ٣٠ وَفِكَهَةٌ وَأَبَا ٣١ مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ ٣٢ وَأُمَمٌ ٣٣ وَآيَةٌ ٣٤ وَصَجَّيْهِ وَبَيِّهِ ٣٥ لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمَذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٦ وَجُوهٌ يَوْمَذٍ مُّسْفِرَةٌ ٣٧ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ٣٨ تَرْهَقُهَا قَدَرَةٌ ٤١ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ٤٢

١- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: قبض وجهه تكبرها ﴿وَتَوَلَّى﴾: أعرض. ٢- ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾: لأن جاءه الأعمى. وقيل: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وكان أتى النبي ﷺ فاقترح على النبي مجلسه، وجعل يقول: «أرشدني»، وعند النبي ﷺ جل من عظماء المشركين، فجعل النبي ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخرين، ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أنزلت «عبس وتولى» ٣- ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾: لعل الأعمى يتطهر من ذنوبه. ٥- ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَبَ﴾: بماله، أو عن الإيمان ٦- ﴿فَأَنْتَ لَهُ صَدِّيقٌ﴾: تُصغى لكلامه ٧- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾: أي شيء عليك ألا يسلم، ويتطهر من كفره. ١٠- ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَمَّحٌ﴾: تُعرض، وتشاغل عنه بغيره ١١- ﴿كَلَّا﴾: يقول: ما الأمر كما تفعل يا محمد، وقيل: «كلا» بمعنى: حقاً. ﴿إِنَّا نَذْكُرُهُ﴾: يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة. ١٢- ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: فمن شاء من عباد الله ذكر تنزيله ووحيه. ١٣، ١٤- ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾: مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ يعني في اللوح المحفوظ. ١٥- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: كُتِبَ. وقيل: هم الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين رسله بالوحي. ١٧- ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾: لُعن الإنسان الكافر ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾: بمعنى التعجب، أي: ما أشد كفره! ١٨- ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: من أي شيء خلق هذا الإنسان الكافر حين يتكبر عن طاعة ربه؟ ١٩- ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾: أطواراً، وأحوالاً: نطفة تارة، ثم علقه، ثم مضغه. ٢٠- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: أي يسر له الطريق إلى الخير والشر. ٢٣- ﴿لَمَّا بَقِيَ مَاءً أَمْرَهُ﴾: الله، يقول: لم يؤد ما فرض الله عليه من الفرائض. ٢٨- ﴿وَعَبَا﴾: كروماً ﴿وَقَضَا﴾: القَضْبُ: هو القَتُّ الرطب الذي يقطع مرة بعد مرة، تُعلف به الدواب. ٣٠- ﴿وَحَدَّائِقَ غُلْبًا﴾: بساتين عظاماً يُستظل بها. ٣١- ﴿وَأَبَا﴾: ما تأكله البهائم من العشب والنبات. ٣٣- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾: اسم من أسماء القيامة، و«الصاعحة» عند العرب: الداهية. ٣٧- ﴿شَأْنُ يَغْنِيهِ﴾: أمر يُشغله عن شأن غيره. ٣٨- ﴿مُسْفِرَةٌ﴾: مضية، وهي وجوه المؤمنين ٣٩- ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: من السرور. ٤٠- ﴿وُجُوهٌ يَوْمِذٍ﴾: وجوه الكفار ﴿عَلَيْهَا غَرَّةٌ﴾: غبار وكُدورة. ٤١- ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشى تلك الوجوه قَدَرَةٌ: سوادٌ وكسوف. [٢، ١] قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: أن جاءه الأعمى: أخرج الترمذي، والحاكم عن عائشة قالت: أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فتزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أن جاءه الأعمى. وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس. [١٧] قوله تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾: أخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم. [١١] ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ [المدثر: ٥٤]، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذَكُّرٌ﴾ [عبس: ١١]. تقدير الآية في سورة المدثر: إن القرآن تذكرة، وفي عبس: إن آيات القرآن تذكرة، وقيل: حمل التذكرة على التذكير؛ لأنها بمعناه. [١٢] ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [المدثر: ٥٥، عبس: ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي المدثر وعبس، والآية تبين أن من أراد الاعتناظ فعليه بهذا القرآن، فإن فيه الخير كله. [٢٤] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]. فليستبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ فهذا ما دلت عليه آية عبس، أما آية الطارق: فليستبر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ [٢٢] ﴿مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣، عبس: ٣٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النازعات وعبس، والآية تبين أن الله عز وجل خلق كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم. [٣٣] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ [عبس: ٣٣]. لما ذكر في سورة النازعات أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ﴾ [تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ... [النازعات: ٦-٧]، ثم خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى، ناسب تعظيم أمر الساعة وجعلها الطامة الكبرى التي تطم على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة. وأما آية عبس فتقدمها: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَلَهُ فَاقْرَءَهُ﴾ [عبس: ٢١]، فناسب ذلك ذكر الصيحة الناشرة للموتى من القبور وهي: ﴿الصَّاعَةُ﴾، ومعناها: الصيحة الشديدة التي توقظ النيام لشدة وقعها في الآذان. [٣٦] ﴿وَصَجَّيْهِ وَآخِيهِ﴾ [المعارج: ١٢]، ﴿وَصَجَّيْهِ وَبَيِّهِ﴾ [عبس: ٣٦]. الآيتان تبيينان حال الإنسان وما يتعرض إليه من أهوال يوم القيامة. [٣٢-٣١] ﴿فَنُخْرِجْ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]، ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبَا﴾ [٣١] ﴿مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢-٢٤]، والعكس في آية عبس؟ **الجواب:** لما تقدم ذكر الزرع في آية السجدة ناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية عبس فإنها في طعام الإنسان، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٢٤] أنا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا [١٥] ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا [١٦] فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا [١٧] وَعَبْنَا وَقَضَا [١٨] وَزَيَّنَّا وَنَحَلًا [١٩] وَحَدَّائِقَ غُلْبًا [٢٠] وَفِكَهَةٌ وَأَبَا [٢١] مَتَّعْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ وَلَآئِعِكُمْ [٢٢] [عبس: ٢٤-٣٢]، ألا ترى كيف ذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً، ثم ذكر طعام الأنعام بعده وهو الأب، أي: اللبن، فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا، كما ناسب تقديم الأنعام على الناس ثم، فسبحان الله رب العالمين. [٤] ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنُفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ قوله تعالى: ﴿فَنُفَعَهُ﴾ قرئ: (فَنُفَعَهُ) بنصب العين بأن مضمرة بعد الفاء على جواب الترجي مثل "فاطلع" بـ "غافر" لكنه مذهب كوفي، وقيل: في جواب التمني المفهوم من (أو يذكُر)، قاله ابن عطية وأقره عليه السمين. وقرئ: (فَنُفَعَهُ) بالرفع عطفاً على يذكُر ويذكى، والتقدير: فلعله تنفعه الذكرى. [٦] ﴿فَأَنْتَ لَهُ صَدِّيقٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَهُ صَدِّيقٌ﴾ قرئ: (تَصَدَّى) بتشديد الصاد، أدغموا التاء الثانية في الصاد تخفيفاً. وقرئ: (تَصَدَّى) بالتخفيف، فحذفوا التاء الأولى. [٢٥] ﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَا صَبَّيْنَا﴾ قرئ: (أَنَا) بفتح الهمزة في الحالين على تقدير "لام العلة" أي: لأننا، وقيل: بدل اشتغال من طعامه، بمعنى: أن صَبَّ الماء سبب في إخراج الطعام فهو مشتمل عليه. وقرئ: (أَنَا) بفتحها في الوصل فقط. وقرئ: (إِنَّا) بكسرها مطلقاً على الاستئناف، جعلوا الجملة تفسيراً للنظر، أي: إلى حدوث الطعام كيف يكون؟ = إذ ورد كل ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

١- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قيل: ذهب ضوءها، وانطقات شعلتها. ٢- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: تناثرت من السماء، وتساقطت. ٤- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: جمع: عُشراء، وهي الحوامل من الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها، فتنافس أهلها فيها أكثر ﴿عُطِّلَتْ﴾: أهملت فتركت من شدة الهول النازل بهم، فكيف بغيرها؟! ٦- ﴿وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ﴾: قيل: اشتعلت فصارت ناراً. وقيل: ملئت حتى فاضت وسالت. ٧- ﴿وَإِذَا الْفُجُورُ نُزِجَتْ﴾: بالقرناء والأمثال والأشكال في الخير والشر، وقيل: قُرنت بأجسادها. ٨، ٩- ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾: المدفونة حية من بنات أهل الجاهلية ﴿سِيلَتْ﴾: ٨ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟ لا بذنب، وفي توجيه السؤال إليها توبيخ شديد لقاتلها، حتى كان لا يستحق أن يخاطب، وتشنيع لهذه الفعلة النكراء. ١٠- ﴿وَإِذَا الْفُجُورُ﴾: صف أعمال العباد ﴿نُشِرَتْ﴾: لهم بعد أن كانت مطوية على ما فيها، عند الموت. ١١- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: نُزعت وطويت. ١٢- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾: أوقدت عليها فأحيت. ١٣- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ﴾: قُرِبت وأدْنيت. ١٤- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾: عند ذلك من خير فتصير به إلى الجنة، أو شر فتصير به إلى النار. ١٥- ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْفُجُورِ﴾: قيل: هي النجوم تخنس في مجراها فترجع، وتكنس فتستر في بيوتها، كما تكنس الطباء في المغار. ١٧- ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾: أقسم الله بالليل إذا أدبر، وقيل: أقبل بظلامه لأن معنى: عَسَّسَ الليل: إذا كان غير مستحكم الإظلام. ١٨- ﴿وَالضُّحَىٰ إِذَا نَفَسَ﴾: إذا تبين، وأقبل ضوء النهار. ١٩- ﴿إِنَّهُ﴾: يعني: القرآن ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: لتنزيل رسول كريم، يعني: جبريل عليه السلام، نزل على محمد ﷺ من عند الله عز وجل. ٢٠- ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾: على ما كلف من أمر، غير عاجز عنه ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾: عند رب العرش العظيم ﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة. ٢١- ﴿ثَطَّاعٌ﴾: يعني: جبريل عليه السلام: طيعه الملائكة ﴿ثُمَّ أَمِينٌ﴾: عند الله على وحيه. ٢٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: يقول عز وجل: ولقد رأى محمد جبريل عليه السلام في صورته التي هي صورته الحقيقية أو الملائكية، وقد سد الأفق، ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾: من ناحية مطلع الشمس التي تبين الأشياء فترى من قبلها. ٢٤- ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ غَيْبٍ مُّبِينٍ﴾: ببيخيل، و"الغيب": القرآن، يقول عز وجل: بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتعلموه. ٢٥- ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنْ يُشَاءَ﴾: ولكنه كلام الله عز وجل. ٢٦- ﴿فَأَن تَذْهَبُونَ﴾؟ يقول عز وجل: فأين تعدلون عن هذا القرآن؟ وأي طريق تسلكون أين من طريقته وهديه؟

٢٩ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يُسْقِمْ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق بقية، عن عمرو بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة مثله. وأخرج ابن المنذر عن طريق سليمان بن القاسم بن مخيمرة مثله.

[٦] ﴿وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، ﴿وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]. جاء في سورة التكوير ﴿سُجِّرَتْ﴾ لتناسب، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]. قيل: تُسَجَّر فتصير ناراً فتسجَّر بها جهنم، وآية انفطرت مناسبة لبقية الآيات؛ لأن معناها تغير أوصاف تلك الأشياء عن حالها وتنقلها عن أماكنها، فناسب ذلك انفجار البحار لتغيرها عن حالها مع بقاءها. [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]. ما في سورة التكوير متصل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْفُجُورُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، فقرأها أربابها، فعلموا ما أحضرت، وفي الانفطار متصل بقوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، والقبور كانت في الدنيا، فيتذكرون ما قدموا في الدنيا، وما أخرها في العقبى، وكل خاتمة لاثقة بمكانها، وسورة التكوير من أولها إلى آخرها شرط وجزاء، وقسم وجواب. [١٩] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، التكوير: ١٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي المعارج والتكوير، وآية المعارج تبين أن هذا القرآن كلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، والآية تتحدث عن النبي ﷺ، أما آية التكوير: إن القرآن لتبليغ رسول كريم، هو جبريل عليه السلام. [٢٧] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧، التكوير: ٢٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي ص والتكوير، والآية تبين أن هذا القرآن ما أنزل إلا تذكيراً للعالمين من الجن والإنس، = [٦] ﴿وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ قرئ: (سَجِّرَتْ) بالتخفيف على معنى إرادة وقوعه للقليل والكثير، ويقويه إجماعهم على تخفيف البحر المسجور ولم يقل المسجَّر. وقرئ: (سَجَّرَتْ) بالتشديد على إرادة التكثير. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿قُتِلَتْ﴾ قرئ: (قُتِلَتْ) بتشديد التاء على التكثير. وقرئ: (قُتِلَتْ) بتخفيفها على الأصل. [١٠] ﴿وَإِذَا الْفُجُورُ نُشِرَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿نُشِرَتْ﴾ قرئ: (نُشِرَتْ) بتشديد الشين. وقرئ: (نُشِرَتْ) بتشديد الشين. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿سُعِرَتْ﴾ قرئ: (سُعِرَتْ) بتشديد العين. وقرئ: (سُعِرَتْ) بتخفيفها وهي في المعنى كسابقها. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ غَيْبٍ مُّبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِضَيْنٍ﴾ قرئ: (بِظُنَيْنٍ) بالظاء المشالة، قيل: بمعنى مفعول من ظننت فلاناً: اتهمته، ويتعدى لواحد، أي: وما محمد على الغيب - وهو ما يوحي الله إليه - بمتهم، أي: لا يزيد فيه ولا ينقص ولا يحرف. وقرئ: (بِضَيْنَيْنِ) بالضاد، بمعنى: بخیل بما يأتيه من قبل ربه، اسم فاعل من ضنَّ، أي: بخل. [١٥-١٦] ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْفُجُورِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦]. [الخمس: ١٦]. وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على المقسم به، وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماماً مع صفات ما يسمى بالثقوب السوداء، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ "الجوار"، وأما لفظ "خنس" فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة ومنها: التواري والاحتجاب والاختفاء، والتراجع والاندثار بعد ظهور وازدهار، وهي بالفعل نجوم عملاقة، هوت في نهاية أعمارها، وانكمشت مادتها واستترت، ولا يظهر منها أي ضوء، والسبب شدة جاذبيتها التي تجعلها تكنس كل شيء يجاورها في طريقها وتبتلعها، فتزداد كتلة وقوة؛ وهنا يتجلى وصفها بلفظ "الكنس" أو المكائن العظام، والمعروفة بتلك الأوصاف الحديثة، لذا فإن ورودها في القرآن الكريم بالفاظ تدل عليها بدقة في معرض تأكيد الوحي به - لدليل حاسم على أنه كلام الله الخالق. نزول سورة التكوير: نزلت بعد سورة المسد، وهي مكية. عدد كلمات سورة التكوير: مائة وأربعون. عدد حروف سورة التكوير: خمسةائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة التكوير: تسمى سورة كُوِّرَتْ، وسورة التكوير؛ لمفتحتها. مواضع سورة التكوير: مقصود السورة: بيان أحوال القيامة، وأحوالها، وذكر القسم بأن جبريل أمين على الوحي، مكيٌّ عند ربه، وأن محمداً ﷺ لا مثمهم =

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا الْفُجُورُ نُزِجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الْفُجُورُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤ فَلَا أَقِيمُ بِالْفُجُورِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ ١٧ وَالضُّحَىٰ إِذَا نَفَسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ ثَطَّاعٌ ٢١ ثُمَّ أَمِينٌ ٢٢ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمُبْصِرٍ ٢٣ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ٢٤ وَمَا هُوَ عَلَىٰ غَيْبٍ مُّبِينٍ ٢٥ وَمَا هُوَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنْ يُشَاءُ ٢٦ فَأَن تَذْهَبُونَ ٢٧

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

٥٨٦

017

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا كَذَّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ إِشْقَاقُ الْأَسْطُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا لَئِنْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْقُورُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَايِكِ يَطْرَوْنَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْهُ مُسَكَّ فِي ذَلِكَ فَلْيُتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِمَّا رَجَعَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَايَا شَرَّبَ بِهَا الْمُرْقُورُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

٧- ﴿كَلَّا﴾: يقول: ليس الأمر كما يظن هؤلاء الكفار أنهم غير مبعوثين. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾: الذي كتب فيه أعمالهم في الدنيا ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾: و«سجين» هو ما فسره سبحانه بقوله: ٨، ٩- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ٨ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾: أي: هو كتاب مرقوم، و«المرقوم»: المكتوب. قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشر الصادرة من الشياطين، والكفرة والفسقة، ولفظ «سجين» علم له. ١٢- ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: فاجر متجاوز في الإثم. ١٤- ﴿لَئِنْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: غمرت الخطايا قلوبهم، وأحاطت بها الذنوب. ١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: لو اردوها، وملازموها. ١٨- ﴿الْأَنْبَارِ﴾: جمع: بر، وهم الذين برؤوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾: ثم سأل عنه، على جهة التفضيم والتعظيم، وفسره، فقال تعالى: ١٩، ٢٠- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَُّونَ﴾ ١٩ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾: مكتوب بأمان الله إياهم يوم القيامة من النار، والفوز بالجنة. ٢١- ﴿يَشْهَدُهُ الْمُرْقُورُونَ﴾: يشهد ذلك الكتاب الملائكة المقربون. ٢٤- ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: حسنه، وتلاؤه، وبريقه. ٢٥، ٢٦- ﴿رَحِيقٍ﴾: من خمر صرف، لا غش فيه ﴿مَخْمُومٍ﴾ ٢٥ ﴿خِتَمُهُمْ مِنْهُ﴾: عاقبته مسك في طيب الريح، أي: أن ريحها في آخر شربهم تختم لهم بريح المسك. وقيل: نخوم أوانيه بمسك مكان الطين، في إشارة إلى كمال نفاسته وطيب رائحته. ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾: في هذا النعيم: ﴿فَلْيُتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾: فليرغب الراغبون. وأصل التنافس: أن ينافس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه. ٢٧- ﴿وَمِمَّا رَجَعَهُ﴾: يقول: ومزاج هذا الرحيق، أي مزجه ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾: قيل: هو عين يمزج بها الرحيق. ٢٩، ٣٠- ﴿كَانُوا﴾: في الدنيا ﴿يَتَغَامَرُونَ﴾: استهزاء بهم. ٣١- ﴿فَكَهِينٍ﴾: مرحين معجبين ناعمين. ٣٣- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾: يقول: وما بعث هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين أعمالهم! ٧-٩ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ٨ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ٩ [المطففين: ٧-٩]، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ ١٨ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَُّونَ﴾ ١٩ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ٢٠ [المطففين: ١٨-٢٠]. التقدير فيها: إن كتاب الفجار لكتاب مرقوم في سجين، وإن كتاب الأنبار لكتاب مرقوم في عليلين، ثم ختم الأول بقوله: ﴿وَلْيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]؛ لأنه في حق الكفار، وختم الثاني بقوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُرْقُورُونَ﴾ [المطففين: ٢١]، فختم كل واحد بما لا يصلح سواه مكانه. ١٣ ﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ إِشْقَاقُ الْأَسْطُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥، المطففين: ١٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي القلم والمطففين، وهي تصف حال المكذبين بالقرآن الكريم، وأنه إذا قرئ على أحدهم آيات القرآن كذب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم. ٢٢ ﴿إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، المطففين: ٢٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الانفطار والمطففين، والآية تبين إن الأتقاء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم. ٢٣ ﴿عَلَى الْأَرَايِكِ يَطْرَوْنَ﴾ [المطففين: ٢٣، ٢٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، والآية تبين أن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون. ١١-١٢ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]، ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ ١١ ﴿يَقُولُونَ مَا نَقُولُونَ﴾ [الانفطار: ١١-١٢]. ما الفرق بين: «عَمِلَ وَفَعَلَ»؟ [الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقال في المكروه. بينما تستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسندت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة- ولكن ما يجيء مسنداً إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله -تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديساً لله وتنزيهاً له -سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ [والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العمل (كما قال بعض أهل العلم) يحتاج إلى تفكير ومقارنة بين الفعل والترك، وتقلب النظر في صورته، واختيار ما يهدي إليه النظر فيها، والله -سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيره (أي يقوم بعمله غيره)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقير إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ [الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعل) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعل) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. ٢٤ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ﴾ قرئ: (تعرف) بضم التاء وفتح الراء مبنيًا للمفعول، و﴿نَضْرَةَ﴾ بالرفع نائب الفاعل. وقرئ: (تعرف) بفتح التاء وكسر الراء مبنيًا للفاعل، و﴿نَضْرَةَ﴾ بالنصب مفعوله، أي: تعرف يا محمد أو كل من صح منه المعرفة. ٢٦ ﴿خِتَمُهُمْ مِنْهُ مُسَكَّ﴾ قوله تعالى: ﴿خِتَمُهُمْ﴾ قرئ: (خاتمه) بفتح الخاء وألف بعدها ثم تاء مفتوحة جعله اسماً لما يختم به الكاس على معنى: "عاقبته وآخره مسك". وقرئ: (خِتامه) بكسر الخاء وبعدها تاء بعدها ألف بوزن فعال على معنى: الختام الذي هو الطين الذي ختم به الشيء، جعل بدله المسك؛ وقيل: خلطه. ٣١ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَكَهِينٍ﴾ قرئ: (فكهين-فاكهين) بالقصر والمد، وسبق الكلام عليها كما في لابن، ولابن، فاكهين على معنى ذوي فواكه، وقيل: على معنى معجبين، وقيل: ناعمين، وفكهين جعله فكهاً، بمعنى: ضاحكين طيبي الأنفس. ٤ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [عجاء عدددي]: تكرر كل من لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتاها)، ولفظة (الصرار بمشتقاتها) (٤٥) مرة. إذاً يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتاها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصرار بمشتقاتها) وكل ورد (٤٥) مرة. ٣٦ ﴿هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ [عجاء عدددي]: تكرر كل من لفظة (النار والحريق) ومشتقاتها مع لفظة (الكافرين) ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولاً: لفظة (النار) ومشتقاتها تكررت (١٤٥) مرة، وتكررت لفظة (الحريق) ومشتقاتها (٩) مرات، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانياً: وردت لفظة (الكافرين) ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن.

نزول سورة المطففين: نزلت بعد سورة العنكبوت، وهي مكية. عدد كلمات سورة المطففين: مائة وتسع. عدد حروف سورة المطففين: أربعائة وثلاثون. أسماء سورة المطففين: سميت المطففين؛ لمفتحتها. مواضع سورة المطففين: معظم مقصود السورة: تمام الكيل والميزان، والاحتراز عن الخس والتقصان، وذكر السجين لأهل العصيان، وذكر العليلين لأهل الإيثار، ودلال المؤمنين والطيعين في نعيم الجنان، ودل العصاة في عذاب النيران، ومكافأته على وفق الجرم والكفران.

٣٦- ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾: أُنِيبَ ﴿الْكَفَّارُ﴾: وَجُزُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَهَمَّ الْيَوْمَ فِي النَّارِ يُعَذِّبُونَ؟

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

١، ٢- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ١ ﴿وَأُذُنَتْ لَرَبِّهَا﴾: سَمِعَتِ السَّمَوَاتُ لَرَبِّهَا فِي تَصَدُّعِهَا وَتَشَقُّقِهَا، وَأَطَاعَتْ. مِنْ «الْإِذْنِ» وَهُوَ الْإِسْتِمَاعُ لِلشَّيْءِ وَالْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ ﴿وَحَقَّتْ﴾: وَحَقُّهَا أَنْ تَسْمَعَ لَرَبِّهَا. ٣، ٤- ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: بَسُطَتْ، كَمَا يَسِطُ الْأَدِيمُ وَدَكَتْ جِبَالُهَا. حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا عِوَجٌ وَلَا أَمْتٌ. ﴿وَالْقَتْمَا فِيهَا﴾: مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى إِلَى ظَهَرِهَا ﴿وَنَحَلَتْ﴾: مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ. ٥- ﴿وَأُذُنَتْ لَرَبِّهَا﴾: سَمِعَتْ أَمْرَهُ، وَأَطَاعَتْ فِي ذَلِكَ ﴿وَحَقَّتْ﴾: حَقَّقَهَا لِلإِسْتِمَاعِ، وَالْإِنْتِهَاءَ إِلَى طَاعَتِهِ. ٦- ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾: عَامِلٌ إِلَى رَبِّكَ عَمَلًا ﴿فَمُلْقِيهِ﴾: خَيْرًا كَانَ عَمَلُكَ ذَاكَ أَوْ شَرًّا، وَالْمَلَقَاءُ بِمَعْنَى اللَّقَاءِ، أَيْ تَلَقَّى رَبِّكَ بِعَمَلِكَ. ٧، ٩- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَمَسَوْتُهُ يَمِينَهُ فَمَسَوْتُهُ يَمِينَهُ﴾: بِأَنْ يُنْظَرَ فِي عَمَلِهِ، فَيُجَازَى بِأَحْسَنِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُ سَيِّئُهُ ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾: يَنْصَرَفُ إِلَى بَيْتِهِ فِي الْجَنَّةِ ﴿مَسْرُورًا﴾. ١٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: فَيُنَاقِلُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ. ١١- ﴿فَمَسَوْتُهُ يَمِينَهُ﴾: يَنْصَرَفُ إِلَى بَيْتِهِ فِي النَّارِ. ١٢- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: فَيُنَاقِلُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ. ١٣- ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾: فِي الدُّنْيَا ﴿مَسْرُورًا﴾: لَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، وَرُكُوبِهِ مَعَاصِيَهُ. ١٤- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾: أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى النَّارِ، وَلَنْ يَبْعَثَ بَعْدَ مَمَاتِهِ. وَالْحُورُ: الرَّجُوعُ. ١٦- ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾: هَذَا قَسَمُ أَقْسَمَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِ ﴿بِالشَّفَقِ﴾: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ فِي الْأَفْقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الشَّمْسِ. ١٧- ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: وَمَا جَمَعَ، مِمَّا سَكَنَ وَهَذَا فِيهِ مِنْ ذِي رُوحٍ. ١٨- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَى وَكَمُلَ بِدَرَأٍ. ١٩- ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ. تَقُولُ الْعَرَبُ: وَقَعَ فُلَانٌ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ: إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ. ٢٣- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: بِمَا تُوعِيهِ صُدُورُهُمْ، وَتُضْمِرُهُ، مِنَ التَّكْذِيبِ لَهُ. ٢٥- ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: ثَوَابٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ. [٨] مَعْنَى اسْمِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ "اللَّهُ": وَاللَّهُ هُوَ

المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي

صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى. [٨] مَعْنَى اسْمِ اللَّهِ الْعَزِيزِ: الْعَزِيزُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْقَوِيُّ، الْمُتَيْنُّ، هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْعَظِيمَةُ مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، فَهُوَ تَعَالَى كَامِلُ الْقُوَّةِ، عَظِيمُ الْقُدْرَةِ، شَامِلُ الْعِزَّةِ، فَمَعَانِي الْعِزَّةِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا كَامِلَةٌ لِلَّهِ الْعَظِيمِ: ١ - عِزَّةُ الْقُوَّةِ الدَّالَّةُ عَلَيْهَا مِنْ أَسْمَائِهِ الْقَوِيُّ الْمُتَيْنُّ، وَهِيَ وَصْفَةُ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ قُوَّةُ الْمَخْلُوقَاتِ وَإِنْ عَظُمَتْ. ٢ - عِزَّةُ الْإِمْتِنَاعِ فَإِنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْلُغُ الْعِبَادُ ضَرَّهُ فَيُضْرَرُّ، وَلَا نَفْعُهُ فَيَنْفَعُونَهُ، بَلْ هُوَ الضَّارُّ النَّافِعُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ. ٣ - عِزَّةُ الْقَهْرِ وَالْإِغْلَابَةِ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ، فَهِيَ كُلُّهَا مَقْهُورَةٌ لِلَّهِ خَاضِعَةٌ لِعَظَمَتِهِ مُنْقَادَةٌ لِإِرَادَتِهِ، فَجَمِيعُ نَوَاصِي الْمَخْلُوقَاتِ بِيَدِهِ، لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهَا =

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣، ٣٥]. تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَرَّتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِنَفْسِ النَّصِّ فِي نَفْسِ السُّورَةِ، وَالْآيَةُ تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الصَّدَقِ وَالطَّاعَةِ لَفِي الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ. [٢، ٥] ﴿وَأُذُنَتْ لَرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ [أول الانشقاق: ٢، ٥]. الْآيَةُ تَكَرَّرَتْ مَرَّتَيْنِ بِنَفْسِ السُّورَةِ، وَالْآيَةُ الْأُولَى مُتَّصِلَةٌ بِالسَّمَاءِ، وَالثَّانِيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِالْأَرْضِ، وَمَعْنَى "أُذِنَتْ": سَمِعَتْ وَانْقَادَتْ، وَحَقُّهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ. [٦] ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُنْكَرُ لِلْبَعْثِ، مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَغْتَرُّ بِرَبِّكَ الْجَوَادِ كَثِيرِ الْخَيْرِ الْحَقِيقِ بِالشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ، فَهَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الْإِنْفِطَارِ، أَمَّا آيَةُ الْإِنْشِقَاقِ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ سَاحٍ إِلَى اللَّهِ، وَعَامِلٌ أَعْمَالًا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، ثُمَّ تَلَاقِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ بِفَضْلِهِ أَوْ عَدْلِهِ. [٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الانشقاق: ٢٢]، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩]. آيَةُ الْإِنْشِقَاقِ تَقْدِمُهَا وَعِيدٌ آخَرُ يَكُلِّمُ كُلَّهُ لَمْ يَقَعْ بَعْدُ، وَهَمَّ مَكْذِبُونَ بِجَمِيعِهِ، فَجِيءَ هُنَا بِاللَّفْظِ الْمَقُولِ عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ - وَإِنْ كَانَ يَصِلُحُ لِلْحَالِ - لِيُطَابِقَ الْإِخْبَارَ؛ لِأَنَّهُ عَمَّا يَأْتِي وَلَمْ يَقَعْ بَعْدُ، فَجِيءَ بِمَا يَطَابِقُهُ فِي اسْتِقْبَالِهِ. وَأَمَّا آيَةُ الْبُرُوجِ فَقَدْ تَقْدِمُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧-١٨]، وَحَدِيثُ هَؤُلَاءِ، وَأَخَذَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ قَدْ تَقَدَّمَ وَمَضَى زَمَانُهُ، وَهَؤُلَاءِ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ فَقِيلَ: ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾، وَجِيءَ بِالمَصْدَرِ لِيَحْزَمَ تَمَادِيَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ شَأْنُهُمْ أَبَدًا فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْهُ... [٢٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]. لِمَاذَا جَاءَتْ آيَةُ التِّينِ بِزِيَادَةِ "فَاءٍ"؟ [الجواب: الْإِسْتِثْنَاءُ فِي سُورَةِ التِّينِ مُتَّصِلٌ فَتَمَّ الْكَلَامُ بِهِ، وَالْإِسْتِثْنَاءُ فِي سُورَةِ الْأَنْشِقَاقِ مُنْقَطِعٌ بِمَعْنَى "لَكِنْ" فَلَمْ يَتِمَّ الْكَلَامُ بِهِ؛ وَالْمَرَادُ بِ﴿أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ﴾ [التين: ٥] هَرَمُهُ وَضَعْفُهُ وَضَعْفُ حَوَاسِهِ وَعَدَمُ قُدْرَتِهِ عَلَى الْأَعْمَالِ، فَصَارَ تَقْدِيرُهُ: لَكِنْ مَنْ كَانَ يَعْمَلُ صَالِحًا فَإِنَّا لَا نَقْطَعُ ثَوَابَهُمْ وَأَجْرَهُمْ بِسَبَبِ ضَعْفِهِمْ.

[٣] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣]. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ: "مَدَّ وَأَمْدَدَ"؟ [الجواب: قَصَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ دَلَالَةً (أَمْدًا) عَلَى (الْخَيْرِ) دَائِمًا، بَيْنَمَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ (مَدَّ) فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لَكِنَّمَا إِنْ جَاءَتْ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنِ الْإِنْسَانِ، اخْتَصَتْ بِالْمَكْرُوهِ أَوْ الشَّرِّ، وَعِنْدَمَا تَجِيءُ فِي سِيَاقِ الْإِخْبَارِ عَنِ غَيْرِ الْإِنْسَانِ تَخْتَصُّ بِالْمَحْبُوبِ أَوْ الْخَيْرِ. أَمَّا كَلِمَةُ (أَمْدَدَ) فَقَدْ قَصَرَ الْقُرْآنُ اسْتِعْمَالَهَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنِ الْإِنْسَانِ. [١٢] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ قُرئ: (وَيَصْلَى) بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مُضَارِعٌ صُلِيَ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، مَعْدِيٌّ بِالتَّضْعِيفِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ: الْأَوَّلُ: الضَّمِيرُ الْغَائِبُ، وَالثَّانِي: سَعِيرًا. وَقُرئ: (وَيَصْلَى) بِفَتْحِ التَّاءِ وَسُكُونِ الصَّادِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، مِنْ صُلِيَ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ مَعْدِيٌّ لِوَاحِدٍ وَهُوَ (سَعِيرًا). [١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ قُرئ: (لَتَرْكَبُنَّ) بِفَتْحِ الْبَاءِ عَلَى خُطَابِ الْوَاحِدِ، وَهُوَ عَلَى الْخُطَابِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى: لَتَرْكَبُنَّ يَا مُحَمَّدُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، أَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ، أَوْ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ، أَوْ لَتَرْكَبُنَّ يَا مُحَمَّدُ الْآخِرَةَ بَعْدَ الْأُولَى، وَرُوعِي فِيهِ خُطَابُ الْإِنْسَانِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ، أَيْ: لَتَرْكَبُنَّ هَؤُلَاءِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ. وَقُرئ: (لَتَرْكَبُنَّ) بِضَمِّهَا عَلَى خُطَابِ الْجَمْعِ، وَرُوعِي فِيهَا مَعْنَى الْإِنْسَانِ، إِذِ الْمَرَادُ بِهِ الْجِنْسُ، وَضَمَّةُ الْبَاءِ تَدُلُّ عَلَى وَاءِ الْجَمَاعَةِ، أَيْ: لَتَرْكَبُنَّ أَيُّهَا النَّاسُ الْآخِرَةَ بَعْدَ الْأُولَى، أَوْ هَؤُلَاءِ بَعْدَ أَهْوَائِهِمْ، أَوْ شِدَائِدَ بَعْدَ شِدَائِدِهِمْ، أَوْ سُنَّةً مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَإِنَّمَا ضَمَّتِ الْبَاءُ إِذَا كَانَتْ خُطَابًا لِلْجَمَاعَةِ لَتَدُلُّ عَلَى الْوَاوِ الْمَحْذُوفَةِ بَعْدَهَا، وَهِيَ وَاءُ الْجَمْعِ لِسُكُونِهَا وَسُكُونُ أَوَّلِ النُّونِ الْمَشْدُودَةِ. نَزَلَ بَعْدَ سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ. عَدَدُ كَلِمَاتِ سُورَةِ الْأَنْشِقَاقِ: مِائَةٌ وَسَبْعٌ. عَدَدُ حُرُوفِ سُورَةِ الْأَنْشِقَاقِ: أَرْبَعُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ. أَسْمَاءُ سُورَةِ الْأَنْشِقَاقِ: تَسْمَى سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ، وَسُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ؛ لِإِفْتِتَاحِهَا. مَوَاضِعُ سُورَةِ الْأَنْشِقَاقِ: مَقْصُودُ السُّورَةِ: بَيَانُ حَالِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فِي طَاعَةِ الْخَالِقِ تَعَالَى، وَإِخْرَاجِ الْأَمْوَاتِ لِلْبَعْثِ، وَالِاشْتِغَالِ بِالْإِحْسَانِ، وَبَيَانِ سَهُولَةِ الْحِسَابِ لِلْمُطِيعِينَ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ فَرْحِهِمْ وَسُرُورِهِمْ بِنِعَمِ الْجَنَّةِ، وَبُكَاءِ الْعَاصِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَوَيْلِهِمْ بِالثَّبُوتِ فِي ذُرَكَاتِ النَّارِ، وَالْقَسَمِ بِتَشَقُّقِ الْقَمَرِ، وَاطِّلَاعِ الْحَقِّ عَلَى الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ، وَجَزَاءِ الْمُطِيعِينَ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ.

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ١ وَأُذُنَتْ لَرَبِّهَا وَحَقَّتْ ٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَالْقَتْمَا فِيهَا ٤ وَنَحَلَتْ ٥ مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ ٥ وَأُذُنَتْ لَرَبِّهَا ٦ سَمِعَتْ أَمْرَهُ ٦ وَأَطَاعَتْ فِي ذَلِكَ ٦ وَحَقَّتْ ٦ حَقَّقَهَا لِلإِسْتِمَاعِ ٦ وَالْإِنْتِهَاءَ إِلَى طَاعَتِهِ ٦ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ٦ فَمُلْقِيهِ ٦ خَيْرًا كَانَ عَمَلُكَ ذَاكَ أَوْ شَرًّا ٦ وَالْمَلَقَاءُ بِمَعْنَى اللَّقَاءِ ٦ أَيْ تَلَقَّى رَبِّكَ بِعَمَلِكَ ٦ ٧ ٩- فَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَمَسَوْتُهُ يَمِينَهُ فَمَسَوْتُهُ يَمِينَهُ ٩ بِأَنْ يُنْظَرَ فِي عَمَلِهِ ٩ فَيُجَازَى بِأَحْسَنِهِ ٩ وَيُغْفَرُ لَهُ سَيِّئُهُ ٩ وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ ٩ يَنْصَرَفُ إِلَى بَيْتِهِ فِي الْجَنَّةِ ٩ مَسْرُورًا ٩ ١٠- وَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَيُنَاقِلُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ١٠ ١١- فَمَسَوْتُهُ يَمِينَهُ ١١ يَنْصَرَفُ إِلَى بَيْتِهِ فِي النَّارِ ١٢- وَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٢ فَيُنَاقِلُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ١٣- إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ ١٣ فِي الدُّنْيَا ١٣ مَسْرُورًا ١٣ لَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ١٣ وَرُكُوبِهِ مَعَاصِيَهُ ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٣ أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى النَّارِ ١٣ وَلَنْ يَبْعَثَ بَعْدَ مَمَاتِهِ ١٣ وَالْحُورُ: الرَّجُوعُ ١٦- فَلَا أَقْسِمُ ١٦ هَذَا قَسَمُ أَقْسَمَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِ ١٦ بِالشَّفَقِ ١٦ الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ فِي الْأَفْقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الشَّمْسِ ١٧- وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَمَا جَمَعَ ١٧ مِمَّا سَكَنَ وَهَذَا فِيهِ مِنْ ذِي رُوحٍ ١٨- وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨ إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَى وَكَمُلَ بِدَرَأٍ ١٩- لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ١٩ وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ ١٩ تَقُولُ الْعَرَبُ: وَقَعَ فُلَانٌ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ: إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ ٢٣- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ بِمَا تُوعِيهِ صُدُورُهُمْ ٢٣ وَتُضْمِرُهُ ٢٣ مِنَ التَّكْذِيبِ لَهُ ٢٣ ٢٥- أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥ ثَوَابٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ٢٥ [٨] مَعْنَى اسْمِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ "اللَّهُ": وَاللَّهُ هُوَ

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝
قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ ۝ أَذْهَبَتْهَا ۝
فُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا ۝
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ ۝
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ۝
فَنَسُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ ۝
عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ ۝
جَنَّاتُ نَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا لَا تَجْرُ مِنْ تَحْتِهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ ۝
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدٌ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ۝
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ بَصِيرٌ ۝
وَرَأَيْهِمْ يُحِيطُونَ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝

سورة البروج

سورة البروج

سورة البروج ١- **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**: أقسم الله تعالى بالسماوات ذات البروج. و«البروج»: منازل الشمس والقمر. وقيل: النجوم. ٢- **وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ**: يوم القيامة، الذي وعد عباده بفصل القضاء بينهم فيه. ٣- **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**: قيل: «الشاهد»: يوم الجمعة، و«المشهد»: يوم عرفة. وقيل: «الشاهد»: محمد، و«المشهد»: يوم القيامة، وقيل: المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق، أي يحضر فيه. والمراد بالمشهد: ما يشاهد في ذلك اليوم من النتائج وعجائب الأمور. ٤- **قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**: لئن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود، وهو خبر طويل كان في بني إسرائيل. والأخدود: الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق. ٥، ٦- **النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ**: قوله «ذات الوقوق» وصف للنار بأنها نار عظيمة. والوقود: الحطب الجزل. **إِذْهَبَتْ**: يعني: الكفار الذين صنعوا الأخدود **عَلَيْهَا**: على حافة الأخدود **فُعُودٌ**: أي: لنعوا حين أهدقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها، ويقرب إليها. ٧- **وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ**: من تخييرهم بين الرجوع عن الإيمان الذي كان دينهم، أو طرحهم في النار **شُهُودٌ**: حضور. ٨- **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ**: ما فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات، ولا أنكروا عليهم، بسبب شيء إلا من أجل أنهم آمنوا **بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**. ٩- **فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ**: في الآخرة **وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**: في الدنيا، أو: ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم، وهو عذاب الحريق الذي وقع منهم للمؤمنين. ١٢- **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**: انتقامه. و«البطش»: الأخذ بقوة وسرعة. ١٣- **يَدِئُ وَيُعِيدُ**: يبدأ خلقاً، ثم يميتهم، ثم يعيدهم أحياء. ١٤- **وَهُوَ الْغَفُورُ**: ذو المغفرة لمن تاب إليه **الْوَدُودُ**: المحب لمن آمن به، وتاب إليه. ١٥- **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**: الرفيع، والله سبحانه هو الموصوف بذلك. والمجد هو النهاية في الكرم والرفعة والفضل. ١٦- **فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ**: لا يعجز عن شيء يريد، ولا يمتنع منه شيء يطلبه سبحانه. ١٧- **هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ**: الذين تجندوا على الله ورسله بالأذى والتكذيب. ٢٠- **وَرَأَيْهِمْ يُحِيطُونَ**: بأعمالهم، ومُخَصَّصٌ لها، ومجازيهم عليها. = متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٨] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدراً حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير الوجود من غير عدد ولا إحصاء، فإن الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يشنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفصيل حمده وما يُحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصى الأقسام. [٩] معنى اسم الله الشهيد: أي المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات، خفيها وجلّيتها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقتها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده، وعلى عباده، بما عملوه. [١٢] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: **قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتْبَعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** [الأنعام: ١٦٤]. الله **عَزَّ وَجَلَّ** هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٤] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفو والصفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفو ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعفو: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيّما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفو: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفو أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرّمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يُجِبُّ ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها. وقد فتح الله **عَزَّ وَجَلَّ** الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة =

[١٩] **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ** [الانشقاق: ٢٢]، **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ** [البروج: ١٩]. آية الانشقاق تقدمها وعيد أخروي كله لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعة، فجاء هنا باللفظ المقول على الاستقبال - وإن كان يصلح للحال - ليطابق الإخبار؛ لأنه عما يأتي ولم يقع بعد، فجاء بما يطابقه في استقباله. وأمّا آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى: **هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ** [البروج: ١٨]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرّون على تكذيبهم فقيل: **فِي تَكْذِيبٍ**، وجيء بالمصدر ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به، وفيما يدعوهم إليه وينهاهم عنه... [٣] **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** [البروج: ٣]. الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، ونكرهما دون بقية ما أقسم به، لاختصاصهما من بين الأيام بفضيلة ليست لغيرهما، فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جواب أيضاً عما يقال: لم خصهما بالذكر دون بقية الأيام؟ وإنما لم يُعرفا بلام العهد؛ لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله تعالى: **وَاللَّهُ كَرِيمٌ** [البقرة: ١٦٣]. [١٥] **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** قوله تعالى: **الْمَجِيدُ** قرئ: **(المجيد)** بخفضها نعتاً؛ إما "للعرش" وإما "لربك" في **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ**. وقرئ: **(المجيد)** برفعها خبراً بعد خبر أو نعتاً لذو، و**(المجيد)**: الكثير الشرف والعطاء؛ و**(الكريم)**: ذو الكرم الكامل الكثير الخير. [٢٢] **فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** قوله تعالى: **مَحْفُوظٍ** قرئ: **(محفوظ)** بالرفع نعتاً للقرآن، قال الله تعالى: **وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**. وقرئ: **(محفوظ)** بالكسر نعتاً لـ "لوح". نزول سورة البروج: نزلت بعد سورة الشمس، وهي مكّية. عدد كلمات سورة البروج: مائة وتسع. عدد حروف سورة البروج: أربع مائة وثمانية وخمسون. أسماء سورة البروج: سميت سورة البروج؛ لذكرها في أولها. مواضع سورة البروج: معظم مقصود السورة: القسم على أصحاب الأخدود، وكمال ملك الملك المعبود، وثواب المؤمنين في جوار المقام المحمود، وعذاب الكافرين في الجحيم المورود، وما للمطيع والعاصي من كرم الغفور الودود، والإشارة إلى هلاك فرعون وثمود.

سُورَةُ الطَّارِقِ ١ - وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ: أقسم الله عز وجل بالسماء والطارق. و«الطارق»: النجم لأنه يطلع بالليل. و«الطارق» اسم جنس لكل ما يظهر أو يأتي ليلاً. ٣ - **النَّجْمُ الثَّاقِبُ:** الذي يتوقد ضياؤه ويتوهج. ٦، ٧، ٨ - **خُلِقَ:** الإنسان **مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ:** مدفوق من الرجل والمرأة **يَخْرُجُ:** الإنسان أي يولد **مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ:** أي صلب المرأة وترائبها، حيث «يكون أثناء الحمل وفي تمامه وحين يخرج». والترائب: عام الصدر، وخاصة موضع القلادة، جمع تريبة. والنص في الآية على «عملية الولادة المعقدة». والضمير في **إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ:** يعود كذلك على الإنسان، أي أن الله تعالى قادر على بعثه بعد موته. ٩ - **يَوْمَ يُبْلَى:** تُختبر **السَّائِرَاتُ:** سرائر العباد، ما يخفى ويضمّر في القلوب من العقائد وغيرها، والمراد هنا: عرض الأعمال، ونشر الصحف. ١١، ١٣ - **وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ:** ترجع بالغيوث وأرزاق العباد كل عام، والرجع: المطر **وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ:** بالنبات، أي تتصدع عنه وتنشق **إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ:** إن القرآن حق، ويفصل بين الحق والباطل. ١٥، ١٦ - **إِنَّهُمْ:** يعني المكذبين **يَكِيدُونَ كَيْدًا:** يمكرون مكرًا، يُخَاتِلُونَ النبي ﷺ، ويظهرون ما هم على خلافه **وَأَكِيدُ كَيْدًا:** وأمكر مكرًا. ومكره عز وجل إملاؤه لهم، وإمهالهم، أي واستدراجهم من حيث لا يعلمون. أو: مجازاتهم على كيدهم. ١٧ - **فَهَلْ الْكَافِرِينَ:** لا تعجل عليهم **أَمْهَلُمْ رُبَّمَا:** قليلاً.

سُورَةُ الْأَعْلَى ١ - سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ: عظم اسم ربك، ونزّهه أن يُسمى به أحد سواه **الْأَعْلَى:** صفة للرب، والمعنى: الذي لا أحد أعلى منه ولا أعظم، لأنه القاهر المقتدر وحده. ٢ - **فَسَوِّ:** عدل وأنقن. ٣ - **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى:** هدى الإنسان؛ لسبيل الخير والشر، وهدى البهائم للمراتع، والآية على العموم، أي: قدر المخلوقات، وأنواعها وصفاتها، وأفعالها وأجالاتها.. فهدى كل واحد منها إلى ما ينبغي له، ويسره لما خلق له. ٥ - **فَجَعَلَهُ غُثَاءً:** فجعل المرعى غثاء، وهو ما جف من النبات ويس، كالغثاء، فطارت به الريح **أَحْوَى:** متغيراً إلى الحوة، وهو السواد بعد البياض، أو الخضرة. ٦، ٧ - **سُقُوطُكَ:** هذا القرآن **فَلَا تَنْسَى:** فلا تنساه أو: فلا تنسى ما تقرؤه، قال مجاهد: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي بأولها مخافة أن ينساها، فزلت: **سُقُوطُكَ فَلَا تَنْسَى.** وقوله: **إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ:** استثناء مفرغ، أي لا تنسى مما تقرؤه شيئاً من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه. قال الفراء: وهو لم يشأ سبحانه أن ينسى محمد ﷺ شيئاً. ١٣ - **ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا:** فيستريح **وَلَا يَحْيَى:** حياة تنفعه. ١٤ - **قَدْ أَفْلَحَ:** قد نجح **مَنْ تَزَكَّى:** تطهر من الشرك والمعاصي. = الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقَرَّباً لمغفرته. [١٤] معنى اسم الله الودود: والود مأخوذ من الودود بضم الواو بمعنى خالص المحبة، فالودود هو المحب المحبوب بمعنى واد، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كقيمتها، ولا في متعلقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبية لكل محبة، ويتعين أن تكون بقية المحاب تبعاً لها. [٢٠] معنى اسم الله المحيط: وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعته بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. [٥] قوله تعالى: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ** أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ** قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش. من أزالني قوله عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فانا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة. [٦] قوله تعالى: **سُقُوطُكَ فَلَا تَنْسَى** أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي، لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله، مخافة أن ينساه، فأنزل الله **سُقُوطُكَ فَلَا تَنْسَى**، في إنشاده جوهر ضعيف جداً. [٥] **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ** [عبس: ٢٤]، **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ** [الطارق: ٥]. فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ فهذا ما دلت عليه آية عبس، أما آية الطارق: فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ [١٧] **فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُمْ رُبَّمَا** [الطارق: ١٧]. كرره تأكيداً، وخولف بين لفظيهما؛ طلباً للخفة. [١٠] **سَيَذَرُكُمْ مَخْنًى** [الأعلى: ١٠]. معنى الخشية من الله: قال المناوي: الخشية تالم القلب لتوقع مكروه مستقبلاً، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيئته، ومنه خشية الأنبياء. قال ابن القيم: الوجه للعلماء والخشية والرهبنة ألفاظ متقاربة غير مترادفة. وقال: وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشهاده، والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء. فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيول ونحو ذلك له حالتان: إحداها: حركة للهرب منه وهي حالة الخوف. = [٤] **إِنْ لَنْ نَفْسٍ لَّا عَلَيْهِمَا حَافِظٌ** قوله تعالى: **لَمَّا** في "هود: قرئ: (إن - لم) بتخفيف نون "إن" و"ميم" لَمَّا هنا على إعمال إن المخففة وهي لغة ثابتة. سمع: (إن عمرو المنطلق) وأما لَمَّا فاللام فيها هي الداخلة في خبر (إن) و(ما) موصولة أو نكرة موصوفة، وقرئت بتشديد "إن" وتخفيف "لَمَّا" قال في الدر: وهي واضحة جداً فإن المشددة عملت عملها، واللام الأولى للابتداء دخلت = [٣-١] **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣** [الطارق: ٣]. النجم الطارق: يقول الفلكيون: يوجد نوعان من النجوم تمر بمرحلة في عمرها تتكبدس فيها المادة، وتتعدل فيها الشحنات الكهربائية، بحيث لا يوجد بها شحنات موجبة أو سالبة.. وهذه النجوم تحدث نبضات تشبه نبضات القلب، وقد سماها العلماء من أجل ذلك (النجوم النابضة). وهذه الأصوات التي تحدثها هذه النجوم هي أقرب ما تكون إلى أصوات الطرقات على الأبواب، وقد سجل العلماء أخيراً هذه الطرقات لهذه النجوم.. وهكذا نرى دقة التسمية، عندما سمي القرآن هذا النجم بأنه النجم الطارق، فسبحان الخالق. [١١] **وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ** [الطارق: ١١]. رجع السماء: وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو دلالتها الواضحة على أن أهم صفة للسماء هي أنها ذات رجع، وهذا ما كشفه العلم في القرن = نزول سورة الطارق: نزلت بعد سورة البلد، وهي مكية، عدد كلمات سورة الطارق: إحدى وستون. عدد حروف سورة الطارق: مائتان وتسعة وثلاثون. أسماء سورة الطارق: سُميت بأولها الطارق. مواضع سورة الطارق: مقصود السورة: القسم على حفظ أحوال الإنسان، والخبر عن حاله في الابتداء والانتها، وكشف الأسرار في يوم الجزاء، والقسم على أن كلام القرآن جزل، غير هزل، من غير امتراء، وشفاعته الكبرياء إلى سيد الأنبياء بإمهال الكافرين، في العذاب والبلاء. نزول سورة الأعلى: نزلت بعد سورة التكويد، وهي مكية. عدد كلمات سورة الأعلى: ثمان وسبعون. عدد حروف سورة الأعلى: مائتان وواحد وسبعون. أسماء سورة الأعلى: سُميت سورة الأعلى؛ لفتتحها. مواضع سورة الأعلى: مقصود السورة: بيان علو الذات والصفات، وذكر الخلق، وتربية الحيوانات، والإشادة =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣

نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهِمَا حَافِظٌ ٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ يُبْلَى السَّائِرَاتُ ٩ فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُمْ رُبَّمَا ١٠ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ١١ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ١٢ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ١٣ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٤ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٥ فَمَنْ تَزَكَّى ١٦ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ٥ سَنُقَرِّطُكَ ٦ فَلَا تَنْسَى ٧ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٨ وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ٩ فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى ١٠ سَيَذَرُكُمْ مَخْنًى ١١ وَيَجْنِبُهَا الْأَشْقَى ١٢ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ١٣ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٤ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ١٥ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٦

٥٩١



١٨- ﴿إِنَّ هَذَا﴾: أي: ما تقدم من قوله: من تركى وما بعده. وقيل: الإشارة إلى جميع السورة. **سُورَةُ الْغَاشِيَةِ** ١- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: قصتها وخبرها. والغاشية: هي القيامة، لأنها تغشى الخلاق بأهوالها. ٢- ﴿خَبِيرَةٌ﴾: ذليلة خاضعة. ٣- ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: تعمل وتنصب في النار، بجرّ السلاسل والأغلال، ونحو ذلك من صنوف العذاب. وقيل: إنها عاملة في الدنيا، ناصبة في الآخرة. ٥- ﴿تَشْفَى مِنْ عَيْنٍ أَنِيرٍ﴾: يسقى أصحابها من شراب عين قد أوى حرها، أي اشتد فبلغ غايته. ٦- ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ﴾: الضريع عند العرب: نبت يقال له: الشبرق، يسمونه إذا يبس الضريع، وهو سمٌ، لا تقربه دابة ولا ترعاه. ٨- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾: أي ذات نعمة وبهجة، وهي وجوه المؤمنين. ٩- ﴿لَسَعِبَهَا﴾: لعملها. والمعنى: لثواب سعيها **رَاضِيَةٌ**. ١١- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾: كلمة لغو، واللغو: الساقط من الكلام، وما لا طائل تحته. ١٣- ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾: عالية القدر والمكان. ١٤- ﴿وَكَوَّابٌ﴾: أباريق **مَوْضُوعَةٌ**: على حافة العين. أو موضوعه بين أيديهم مهياة للشراب. ١٥- ﴿وَمَنَاقِبٌ﴾: وسائل ومرافق وحشايا للاتكاء في ارتياح، واحداها: مُنْقَرَةٌ. **مَصْفُوفَةٌ**: بعضها مجنب بعض. ١٦- ﴿وَرَزَائِبٌ﴾: طنافس وبُسْطٌ كثيرة **مَبْنُوتَةٌ**: مفروشة، أو متفرقة موزعة هنا وهناك. وهذا في الزرابي أجمل. ١٧- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَ﴾: فسخرها الله لهم وذللها، مع ما تختص به من سائر الحيوان. ٢٠- ﴿وَالْيَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: بسطت، أمام النظر ممهدة للحياة والسير والعمل. ٢٢- ﴿لَسَتْ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾: بمسلط ولا جبار، تحملهم على ما تريد. ٢٣- ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾: قيل معناه: فذكر قومك، وذكر كل أحد، لكن من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله تعالى يعذبه الله العذاب الأكبر، أي عذاب الآخرة. [١٧] قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَ﴾: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله: [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَ﴾. [٢٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾

خَبِيرَةٌ [الغاشية: ٢]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]. ليس بتكرار؛ لأن الأول هم الكفار، والثاني المؤمنون، وكان القياس أن يكون الثاني بالواو للعطف؛ لكنه جاء على وفاق الجمل قبلها، وبعدها، وليس معهنَّ واو العطف البتة. [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢، الغاشية: ١٠]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحاقة والغاشية، وهي تصف الجنة بأنها مرتفعة المكان والدرجات. = والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية. وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه. وأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته. وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة. والإجلال: تعظيم مقرون بالحب. فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية. فصاحب الخوف: يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية: يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، ومثلها مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول يلتجئ إلى الحماية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء. من ثمار الخشية: ١- الهداية والصلاح. ٢- الفوز والفلاح. ٣- المغفرة والأجر الكبير. ٤- الفرج والنجاة. ٥- دخول الجنة والنجاة من النار. [١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]. يقول ابن القيم رحمه الله: قد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البر: الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال، ومفتاح النصر: الظفر والصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية: المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرغبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز: طاعة الله عز وجل، ومفتاح كل شر: حب الدنيا وطول الأمل. = على خبر "إن". وقرئ: ﴿إِنَّ - لَهَا﴾ بتشديدها، فإن على حالها، وأما "لما" فقليل: أصلها لـ "من" "ما" على أنها (من) الجارة دخلت على "ما" الموصولة أو الموصوفة، أدغمت النون الساكنة في الميم على القاعدة، فصار في اللفظ ثلاث ميمات فخففت الكلمة بحذف إحداها فصار اللفظ كما ترى. وقرئ: ﴿إِنَّ - لَهَا﴾ بتخفيف النون وتشديد الميم على جعل "إن" نافية ولما كالأول، وحكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه تثقيب "لما"، ولو خففت (إن) ورفعت كلا (يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِقُكُمُ﴾ (الآية) لحسن معنى (لما) بالتشديد على معنى (إلا) كالذي في سورة الطارق "و"يس". [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قوله تعالى: ﴿قَدَّرَ﴾ قرئ: ﴿قَدَّرَ﴾ بتخفيف الدال من القدرة. وقرئ: ﴿قَدَّرَ﴾ بتشديدها من القدر أو التقدير والموازنة بين الأشياء. [١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قوله تعالى: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ قرئ: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ (يؤثرون) بالياء التحتية على الغيبة لمناسبة "الأشقى" لأنه للجنس فهو جمع. وقرئ: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء من فوق، على الخطاب للخلق الذين جبلوا على محبة الدنيا وإيثارها. = العشرين، ومن صور رجوع السماء كما اكتشفه العلم الحديث؛ الرجوع الاهتزازي للهواء (الأصوات وصداها) والرجوع المائي المتمثل في دورة الماء في الطبيعة، والرجوع الحراري إلى الأرض وعنها إلى الفضاء بواسطة السحب، ورجع الغازات والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض، والرجع الخارجي للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون، ورجع الموجات الراديوية بواسطة النطاق المتأين، ورجع الأشعة الكونية بواسطة كل من أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسي للأرض. [١٢] ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ أَصْدَعٍ﴾ [الطارق: ١٢]. **تصدع الأرض**: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن الأرض ذات صدع، وهذا ما كشفت عنه الأبحاث الحديثة والرصد بالأقمار الصناعية، أن القشرة الأرضية مقسمة إلى ثمانية ألواح أو صفائح ضخمة، تفصلها تصدعات في أماكن الانقسام، وهذه التصدعات تصل إلى أعماق بعيدة. = بالثمار، والنبات، والأمن من نسخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفار في قعر الدركات، والتحضيض على الصلاة والزكاة، وفي الدنيا بقاء الخيرات، وفي الآخرة بقاء الدرجات. نزول **سورة الغاشية**: نزلت بعد سورة الذاريات، وهي مكِّيَّة. **عدد كلمات سورة الغاشية**: اثنتان وتسعون. **عدد حروف سورة الغاشية**: ثلاثمائة وواحد وثلاثون. **أسماء سورة الغاشية**: سميت سورة الغاشية؛ لذكرها. **مواضيع سورة الغاشية**: معظم مقصود السورة: التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحقين للمثوبة، وإقامة الحجة على وجود الحق، ووعظ الرسول ﷺ للأمم، على سبيل الشفقة، وأن المرجع إلى الله تعالى في العاقبة. **نزول سورة الفجر**: نزلت بعد سورة الليل، وهي مكِّيَّة. **عدد كلمات سورة الفجر**: مائة وسبع =

سُورَةُ الْفَجْرِ ١، ٢ - وَالْفَجْرِ: أقسم الله عز وجل بالفجر، وهو فجر الصبح. وقيل: المراد:

صلاح الصبح **﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾**: قيل: ليالي عشر ذي الحجة، وقيل: العشر الأواخر من رمضان.

٣ - وَالشَّفْعِ: قيل: يوم النحر أي يوم الأضحى **﴿وَالْوَتْرِ﴾**: يوم عرفة. وقيل: الصلاة منها شفع

ووتر، والشفع عند العرب: الزوج، والوتر: الفرد. فالمراد بالآية: إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه

من المعدودات بأنه شفع أو وتر. **٤ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾**: إذا سار فذهب. وقيل: إذا جاء وأقبل.

٥ - ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾: يقول عز وجل: هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع **﴿لِذِي حِجْرِ﴾**:

أي: لذي حجتي، وذو عقل. **٧ - ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾**: ذات القوة والشدة. **٨ - ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا﴾**:

مثل عاد، أو مثل قبيلة إرم. **٩ - ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾**: خرّقوه فدخلوه، واتخذوه بيوتاً،

والجُوب: القطع. **١٠ - ﴿ذِي الْأَوْدَادِ﴾**: قيل: لأنه كان يُعذب الناس بالأوتاد في أيديهم وأرجلهم،

والأرجح أنها الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض، المثينة البنيان. و«فرعون» - هاهنا -

هو فرعون موسى. **١٣ - ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾**: نقماً نزلت بهم. واستعار السوط هنا

للعذاب، لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره. **١٤ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ**

لِيَإْمُرَ صَادٍ﴾: لهؤلاء الطاغين بحيث يرى ويسمع سبحانه وتعالى. **١٧ - ﴿لَا﴾**: إني لا أكرم من

أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهيّن من أهنت بقلتها. **١٨ - ﴿وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾**: بمعنى:

ولا يأمر بعضكم بعضاً بإطعام المسكين. **١٩ - ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾**: الميراث **﴿أَكْثَلًا لَمَّا﴾**:

شديداً. **٢١ - ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾**: إذا زلزلت زلزلة بعد زلزلة، وحُرّكت تحريكاً بعد تحريك.

٢٢ - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته **﴿وَالْمَلَكُ﴾**: والملائكة **﴿صَفَّاصَةً﴾**: صفّاً

بعد صف. **٢٣ - ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾**: روي أنها تُساق إلى المحشر. وقيل: المعنى أنها تظهر

لأصحابها يوم القيامة. **٦٦ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾** [الفجر: ٦٦]، **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ**

أَفْئِيلٍ﴾ [الفيل: ١]. ألم تر أيها الرسول كيف فعل ربك بقوم عاد، فهذا ما دلت عليه آية الفجر، أما آية الفيل:

أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟ **٢٢ - ﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾** [الفجر: ٢٢]. قوله: **﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾**، أي: ليالي عشر ذي الحجة. كيف نكرها دون

بقية ما أقسم به؟ **الجواب:** لاختصاصها من بين الليالي بفضيلة ليست لغيرها، فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس، وإنما لم تُعرف بلام العهد لما مرّ في سورة

البروج. **١٥ - ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾** [الفجر: ١٥]، **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾** [الفجر: ١٦]. قوله

تعالى: **﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ﴾**، وبعده: **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَلَهُ﴾**، لأن التقدير في الثاني أيضاً: وأما الإنسان، فاكتفى بذكره في الأول؛ والفاء لازمة بعده؛ لأن

المعنى: مهما يكن من شيء فالإنسان بهذه الصفة، لكن الفاء أخرت ليكون على لفظ الشرط والجزاء. **٢٠ - ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾**

[طه: ٣٩]، **﴿وَنُحِبُّكَ أَلَمَالِ حُجَّامًا﴾** [الفجر: ٢٠]. ما الفرق بين: "حُبٌّ، مَحَبَّةٌ؟" **الجواب:** وردت كلمة (حُبٌّ) تسع مرات، ووردت كلمة (مَحَبَّةٌ) مرة

واحدة. (الحُبُّ) هو المصدر الأصلي. و(المحبة) المصدر الميمي. وفعلها هو (حَبَّ)، و(أَحَبَّ). ولأن (الحب) هو المصدر كانت هي الأصل، ووردت تسع

مرات، بينما لم يرد المصدر الميمي (محبة) إلا مرة واحدة. (الحب) جاء في المرات التسع التي ورد فيها سلوكاً من البشر تجاه الله تعالى، أو تجاه موضوعات في

الحياة، أو تجاه بشر آخر. لذا عندنا استعمال الله - سبحانه وتعالى - هذه المادة وأضافها إليه سبحانه، استعمال المصدر الميمي (المحبة) ولم يستعمل المصدر

الشائع بين الناس (الحب) والذي يناسب الكثرة، والناس كثرة. أما المصدر الميمي فيناسب القلة والندرة، فاستعمل مع الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد.

وإذا كان الحب حاصلاً من البشر جاء القرآن بكلمة (حُبٌّ)، وإذا كان إلقاء من الله - تعالى - كان بكلمة (محبة). جاءت كل كلمة منسجمة مع موسيقى

السياق في كل المواضع التي وردت فيها. مثال قوله تعالى: **﴿وَنُحِبُّكَ أَلَمَالِ حُجَّامًا﴾** [الفجر: ٢٠]. فكل كلمة (حُبًّا) منسجمة مع كلمة (حُجَّامًا) فكل منهما ثلاثي

الأحرف متون الآخر، ومشدد الوسط. أمّا مع كلمة (محبة): في قوله تعالى: **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾** [طه: ٣٩]، فلا يتسق أبداً ورود كلمة (حُبًّا) بدل كلمة محبة

(هنا) وفي كل موضع تأتي فيه. **٤ - ﴿نَصَلْنَا نَارًا حَامِيَةً﴾** قوله تعالى: **﴿نَصَلْنَا نَارًا﴾** قرئ: (نَصَلِي) بضم التاء مبنياً للمفعول من أصلاه الله تعالى، فعلاً رباعياً لم يسم

فاعله متعدياً لمفعولين الأول: ضمير في الفعل يعود على أصحاب الوجوه، والثاني: **﴿نَارًا﴾** وقرئ: (نَصَلِي) بفتحها مبنياً للفاعل، وهو الضمير العائد على أصحاب

الوجوه. **١١ - ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾** قوله تعالى: **﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾** قرئ: (لا تسمع فيها لاغية) بالتاء من فوق مضمومة بالبناء للمفعول (لاغية) على النيابة، أي:

كلمة لاغية أو لغو فيكون مصدرًا كالعاقبة. وقرئ: (لا تسمع فيها لاغية) بياء تحتية مضمومة بالبناء للمفعول أيضاً (لاغية) بالرفع على ما تقدم. وقرئ: (لا تسمع فيها

لاغية) بفتح التاء من فوق ونصب (لاغية) على المفعولية، ويجوز أن تكون صفة على تقدير: "ولا تسمع فيها كلمة لاغية" أي: كلمة لغو. **٢٢ - ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾**

قوله تعالى: **﴿بِمُصَيِّرٍ﴾** قرئ: بالسين بإشمام الصاد زايًا، وكلها لغات، والأصل: السين، وتقدم الكلام - على ذلك في سورة "أم القرآن" - عند الصراط. **٢٥ - ﴿إِنَّ**

إِنِّيَأَيَّابَهُمْ﴾ قوله تعالى: **﴿إَيَّابَهُمْ﴾** قرئ: (إَيَّابَهُمْ) بتشديد الياء، ومعناه رجوعهم بعد الموت. وقرئ: (إَيَّابَهُمْ) بتخفيف الياء. **٣ - ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قوله تعالى:

﴿وَالْوَتْرِ﴾ قرئ: (والوتر) بكسر الواو. وقرئ: (والوتر) بفتحها لغتان: الفتح: لغة أهل الحجاز، والكسر: لتيسير. **١٦ - ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾** قوله تعالى:

﴿فَقَدَّرَ﴾ قرئ: (فقدّر) بتشديد الدال. وقرئ: (فقدّر) بتخفيفها لغتان: بمعنى التضيق. **١٧ - ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾** قوله تعالى: **﴿تُكْرِمُونَ﴾** -

﴿تُحْضَوْنَ﴾ **﴿وَتَأْكُلُونَ﴾** **﴿وَنُحِبُّكَ﴾** قرئ: (يكرمون - يحاضون - ويأكلون - ونحبون) بالياء التحتية في الأربعة حملاً على معنى الإنسان المتقدم. وقرئ:

(تكرمون - تحاضون - وتأكلون - ونحبون) بالخطاب للإنسان المراد به الجنس التفتاً. وقرئ: (تحاضون) بألف بعد الحاء من المحاضّة أي: يحض بعضكم بعضاً،

والأصل: تتحاضون حذف التاء الثانية. وقرئ: (تحضون) بغير ألف جعلوه من حضّ يحضّ، وهو في المعنى كتحاضون.

= وعشرون. عدد حروف سورة الفجر: خمسمائة وتسعة وتسعون. أسماء سورة الفجر: سميت سورة الفجر؛ لفتحتها. مواضع سورة الفجر: معظم مقصود

السورة: تشریف العید، وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد، وثمود، وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا، والمال الكثير،

وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير، والعصيان، وأن مرجع المؤمن عند الموت إلى الرحمة، والرضوان، ونعيم الجنان.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

سُورَةُ الْفَجْرِ ١، ٢ - وَالْفَجْرِ:

أقسم الله عز وجل بالفجر، وهو فجر الصبح. وقيل: المراد:

صلاح الصبح **﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾**: قيل: ليالي عشر ذي الحجة، وقيل: العشر الأواخر من رمضان.

٣ - وَالشَّفْعِ: قيل: يوم النحر أي يوم الأضحى **﴿وَالْوَتْرِ﴾**: يوم عرفة. وقيل: الصلاة منها شفع

ووتر، والشفع عند العرب: الزوج، والوتر: الفرد. فالمراد بالآية: إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه

من المعدودات بأنه شفع أو وتر. **٤ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾**: إذا سار فذهب. وقيل: إذا جاء وأقبل.

٥ - ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾: يقول عز وجل: هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع **﴿لِذِي حِجْرِ﴾**:

أي: لذي حجتي، وذو عقل. **٧ - ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾**: ذات القوة والشدة. **٨ - ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا﴾**:

مثل عاد، أو مثل قبيلة إرم. **٩ - ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾**: خرّقوه فدخلوه، واتخذوه بيوتاً،

والجُوب: القطع. **١٠ - ﴿ذِي الْأَوْدَادِ﴾**: قيل: لأنه كان يُعذب الناس بالأوتاد في أيديهم وأرجلهم،

والأرجح أنها الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض، المثينة البنيان. و«فرعون» - هاهنا -

هو فرعون موسى. **١٣ - ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾**: نقماً نزلت بهم. واستعار السوط هنا

للعذاب، لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره. **١٤ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ**

لِيَإْمُرَ صَادٍ﴾: لهؤلاء الطاغين بحيث يرى ويسمع سبحانه وتعالى. **١٧ - ﴿لَا﴾**: إني لا أكرم من

أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهيّن من أهنت بقلتها. **١٨ - ﴿وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾**: بمعنى:

ولا يأمر بعضكم بعضاً بإطعام المسكين. **١٩ - ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾**: الميراث **﴿أَكْثَلًا لَمَّا﴾**:

شديداً. **٢١ - ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾**: إذا زلزلت زلزلة بعد زلزلة، وحُرّكت تحريكاً بعد تحريك.

٢٢ - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته **﴿وَالْمَلَكُ﴾**: والملائكة **﴿صَفَّاصَةً﴾**: صفّاً

بعد صف. **٢٣ - ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾**: روي أنها تُساق إلى المحشر. وقيل: المعنى أنها تظهر

لأصحابها يوم القيامة. **٦٦ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾** [الفجر: ٦٦]، **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ**

أَفْئِيلٍ﴾ [الفيل: ١]. ألم تر أيها الرسول كيف فعل ربك بقوم عاد، فهذا ما دلت عليه آية الفجر، أما آية الفيل:

أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟ **٢٢ - ﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾** [الفجر: ٢٢]. قوله: **﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾**، أي: ليالي عشر ذي الحجة. كيف نكرها دون

بقية ما أقسم به؟ **الجواب:** لاختصاصها من بين الليالي بفضيلة ليست لغيرها، فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس، وإنما لم تُعرف بلام العهد لما مرّ في سورة

البروج. **١٥ - ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾** [الفجر: ١٥]، **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾** [الفجر: ١٦]. قوله

تعالى: **﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ﴾**، وبعده: **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَلَهُ﴾**، لأن التقدير في الثاني أيضاً: وأما الإنسان، فاكتفى بذكره في الأول؛ والفاء لازمة بعده؛ لأن

المعنى: مهما يكن من شيء فالإنسان بهذه الصفة، لكن الفاء أخرت ليكون على لفظ الشرط والجزاء. **٢٠ - ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾**

[طه: ٣٩]، **﴿وَنُحِبُّكَ أَلَمَالِ حُجَّامًا﴾** [الفجر: ٢٠]. ما الفرق بين: "حُبٌّ، مَحَبَّةٌ؟" **الجواب:** وردت كلمة (حُبٌّ) تسع مرات، ووردت كلمة (مَحَبَّةٌ) مرة

واحدة. (الحُبُّ) هو المصدر الأصلي. و(المحبة) المصدر الميمي. وفعلها هو (حَبَّ)، و(أَحَبَّ). ولأن (الحب) هو المصدر كانت هي الأصل، ووردت تسع

مرات، بينما لم يرد المصدر الميمي (محبة) إلا مرة واحدة. (الحب) جاء في المرات التسع التي ورد فيها سلوكاً من البشر تجاه الله تعالى، أو تجاه موضوعات في

الحياة، أو تجاه بشر آخر. لذا عندنا استعمال الله - سبحانه وتعالى - هذه المادة وأضافها إليه سبحانه، استعمال المصدر الميمي (المحبة) ولم يستعمل المصدر

الشائع بين الناس (الحب) والذي يناسب الكثرة، والناس كثرة. أما المصدر الميمي فيناسب القلة والندرة، فاستعمل مع الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد.

وإذا كان الحب حاصلاً من البشر جاء القرآن بكلمة (حُبٌّ)، وإذا كان إلقاء من الله - تعالى - كان بكلمة (محبة). جاءت كل كلمة منسجمة مع موسيقى

السياق في كل المواضع التي وردت فيها. مثال قوله تعالى: **﴿وَنُحِبُّكَ أَلَمَالِ حُجَّامًا﴾** [الفجر: ٢٠]. فكل كلمة (حُبًّا) منسجمة مع كلمة (حُجَّامًا) فكل منهما ثلاثي

الأحرف متون الآخر، ومشدد الوسط. أمّا مع كلمة (محبة): في قوله تعالى: **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾** [طه: ٣٩]، فلا يتسق أبداً ورود كلمة (حُبًّا) بدل كلمة محبة

(هنا) وفي كل موضع تأتي فيه. **٤ - ﴿نَصَلْنَا نَارًا حَامِيَةً﴾** قوله تعالى: **﴿نَصَلْنَا نَارًا﴾** قرئ: (نَصَلِي) بضم التاء مبنياً للمفعول من أصلاه الله تعالى، فعلاً رباعياً لم يسم

فاعله متعدياً لمفعولين الأول: ضمير في الفعل يعود على أصحاب الوجوه، والثاني: **﴿نَارًا﴾** وقرئ: (نَصَلِي) بفتحها مبنياً للفاعل، وهو الضمير العائد على أصحاب

الوجوه. **١١ - ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾** قوله تعالى: **﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾** قرئ: (لا تسمع فيها لاغية) بالتاء من فوق مضمومة بالبناء للمفعول (لاغية) على النيابة، أي:

كلمة لاغية أو لغو فيكون مصدرًا كالعاقبة. وقرئ: (لا تسمع فيها لاغية) بياء تحتية مضمومة بالبناء للمفعول أيضاً (لاغية) بالرفع على ما تقدم. وقرئ: (لا تسمع فيها

لاغية) بفتح التاء من فوق ونصب (لاغية) على المفعولية، ويجوز أن تكون صفة على تقدير: "ولا تسمع فيها كلمة لاغية" أي: كلمة لغو. **٢٢ - ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾**

قوله تعالى: **﴿بِمُصَيِّرٍ﴾** قرئ: بالسين بإشمام الصاد زايًا، وكلها لغات، والأصل: السين، وتقدم الكلام - على ذلك في سورة "أم القرآن" - عند الصراط. **٢٥ - ﴿إِنَّ**

إِنِّيَأَيَّابَهُمْ﴾ قوله تعالى: **﴿إَيَّابَهُمْ﴾** قرئ: (إَيَّابَهُمْ) بتشديد الياء، ومعناه رجوعهم بعد الموت. وقرئ: (إَيَّابَهُمْ) بتخفيف الياء. **٣ - ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قوله تعالى:

﴿وَالْوَتْرِ﴾ قرئ: (والوتر) بكسر الواو. وقرئ: (والوتر) بفتحها لغتان: الفتح: لغة أهل الحجاز، والكسر: لتيسير. **١٦ - ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾** قوله تعالى:

﴿فَقَدَّرَ﴾ قرئ: (فقدّر) بتشديد الدال. وقرئ: (فقدّر) بتخفيفها لغتان: بمعنى التضيق. **١٧ - ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾** قوله تعالى: **﴿تُكْرِمُونَ﴾** -

﴿تُحْضَوْنَ﴾ **﴿وَتَأْكُلُونَ﴾** **﴿وَنُحِبُّكَ﴾** قرئ: (يكرمون - يحاضون - ويأكلون - ونحبون) بالياء التحتية في الأربعة حملاً على معنى الإنسان المتقدم. وقرئ:

(تكرمون - تحاضون - وتأكلون - ونحبون) بالخطاب للإنسان المراد به الجنس التفتاً. وقرئ: (تحاضون) بألف بعد الحاء من المحاضّة أي: يحض بعضكم بعضاً،

والأصل: تتحاضون حذف التاء الثانية. وقرئ: (تحضون) بغير ألف جعلوه من حضّ يحضّ، وهو في المعنى كتحاضون.

= وعشرون. عدد حروف سورة الفجر: خمسمائة وتسعة وتسعون. أسماء سورة الفجر: سميت سورة الفجر؛ لفتحتها. مواضع سورة الفجر: معظم مقصود

السورة: تشریف العید، وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد، وثمود، وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا، والمال الكثير،

وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير، والعصيان، وأن مرجع المؤمن عند الموت إلى الرحمة، والرضوان، ونعيم الجنان.

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلْ فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلْ جَنِّي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَدُّ مَأْوِلُهُ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَحَسِبْ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدٌ ﴿٦﴾ أَحَسِبْ أَنْ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا ﴿٧﴾ أَنْ تَجْعَلَ لَهُ عِشَّةَيْنِ ﴿٨﴾ وَلَسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكَّ رِجْلَهُ ﴿١٣﴾ وَأَوَّعَدَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَّوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَيْمَنِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بَيْنَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٥٩٤

٢٤- ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ﴾: عملاً صالحاً في الدنيا ﴿لِحَيَاتِي﴾: هذه التي لا موت بعدها، يُنجيني من عذاب الله. ٢٥، ٢٦- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾: بمعنى: لا يُعَذِّبُ، كعذاب الله أحدًا في الدنيا. ﴿وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ﴾: أي لا يشد بالسلاسل والأغلال يومئذ ﴿أَحَدًا﴾. ٢٧- ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الموقنة غاية اليقين بأن الله تعالى ربها، المسلمة لأمره، بحيث لا يُخالطها شك. ٢٨- ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: تأمرها الملائكة عند البعث أن ترجع إلى جسد صاحبها ﴿رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾: وقيل: ارجعي إلى الله «راضية» بالثواب الذي أعطاك «مرضية» عنده سبحانه.

سُورَةُ الْبَلَدِ ١، ٢- ﴿لَا أَقْسِمُ﴾: بمعنى: أقسم ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: الحرام. وهو مكة. ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: يقول: وأنت به حلال تصنع فيه من قتل من ترى قتله، وأسر من ترى أسره، وذلك يوم الفتح، قال رسول الله ﷺ: «لم تحل لأحد من قبلي، ولا تحل لأحد من بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار». متفق عليه. وقيل: المعنى: أقسم بهذا البلد وأنت فيه حالٌ مقيم. ٣، ٤- ﴿وَالْوَدُّ مَأْوِلُهُ﴾: أقسم بكل والد ولده. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: الكبد: الشدة والمشقة. والإنسان لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت. ٥- ﴿أَحَسِبْ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: فإله غالبه وقاهره. ٦- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدٌ﴾: كثيراً مجتمعا؛ يقول ذلك كلما دُعي إلى البذل. ٩، ١٠- ﴿وَلِسَانًا﴾: يعبر به عن نفسه ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: الطريقين: طريق الخير، وطريق الشر. و«النجد»: الطريق المرتفع. ١١- ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: يقول: فلم يركب العقبة فيقطعها ويَجُوزُها. وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة النفس والشیطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، وهي في الأصل: الطريق التي في الجبل. ١٣- ﴿فَكَرَّ رِجْلَهُ﴾: تحرير إنسان من الرق، وأسر العبودية. ١٤- ١٦- ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: هو الذي قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة. ١٧- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَّوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: الجائع: الجائع ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: ذا قرابة. ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: هو الذي قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة. ١٧- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾: الآية: هذا من المؤخر لفظاً، المقدم رتبة، بمعنى: أن الإيمان والتواصي بالصبر والرحمة، شرط سابق لهذه الأعمال والقربات. ١٩، ٢٠- ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار يوم القيامة ﴿عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ﴾: مُطَبَقَةٌ. ٢٧ ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: قال: نزلت في حمزة. وأخرج من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من يشتري بئر رومة يستعذب بها غفر الله له»، فاشتراها عثمان فقال: «هل لك أن تجعلها سقاية للناس»، قال: نعم، فأنزل الله في عثمان: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. لا مناقضة بين الآيتين؛ لأن معنى آية التين عند كثير من المفسرين أنه منتصب القامة معتدلاً، فيكون في معنى أحسن تقويم، وهو منتصب القامة معتدلاً، ومع ذلك يقاسي شدائد في حياته. [٢، ١] ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]. قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، ثم قال: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ كثره وجعله فاصلاً في الآيتين، ومما ذكر في هذه السورة على الخصوص أن التقدير: لا أقسم بهذا البلد وهو حرام، وأنت حل بهذا البلد وهو حلال؛ لأنه أحلت له مكة حتى قتل فيها من شاء وقتل، فلما اختلف معناه صار كأنه غير الأول، ودخل في القسم الذي يختلف معناه ويتفق لفظه. [٧] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧]. قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ نكرها دون بقية ما أقسم به؛ لأنه لا سبيل إلى لام الجنس المدخلة لنفس غير الإنسان، مع أنها ليست مرادة؛ لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، ولا إلى لام العهد، إذ ليس المراد نفساً واحدة معهودة، وتقدير أنه أريد بها آدم، فالتنكير أدل على التخصيم والتعظيم، كما مر في سورة الفجر وغيرها. [٩- ١٠] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠]. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، والمعنى: قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها، وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله. فما صغر النفوس مثل معصية الله، وما كبرها وشرفها ورفعتها مثل طاعته. فالعقل الموفق عند الله جل وعلا هو من يوفق للطاعة ويعصم من المعاصي، وإن وقع في شيء منها عاد تائباً منيماً إليه تبارك وتعالى، وأما الذي لا يعبد الله عز وجل به فهو الذي يسرف على نفسه بالذنوب والخطايا ليلاً ونهاراً كيفما شاء؛ دون توبة يُصَدِّرها أو أوبة يُحْدِثُهَا... قال الحسن البصري رحمه الله سبحانه وتعالى: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَعَالَهٌ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ﴾ - ﴿يُؤْتِي﴾ قرئ: ﴿يُعَذِّبُ - يُؤْتِي﴾ بفتح الذال والمثلثة مبنيين للمفعول، والنائب ﴿أَحَدًا﴾ أضاف الفعلين إلى الكافر المعذب الموثق. وقرئ: ﴿يُعَذِّبُ - يُؤْتِي﴾ بكسرهما مبنيين للفاعل والهاء لله تعالى، أي لا يتولى عذابه ووثاقه سواه، إذ الأمر كله له، أو للإنسان، أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه. [٦] ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَبَدًا﴾ بفتح اللام جمع «لا بد». وقرئ: ﴿لَبَدًا﴾ بتخفيف الباء، جمع «البلدة». ومعنى القراءتين واحد، وهو الكثير بعضه فوق بعض. [١٣] ﴿فَكَرَّ رِجْلَهُ﴾ أو ﴿أَوَّعَدَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ - ﴿أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (فك رقبته * أو أطعمه) بفتح الكاف فعلاً ماضياً ﴿رَقَبَةً﴾ بالنصب مفعوله و﴿أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم فعلاً ماضياً أيضاً، والفعل بدل من قوله اقتحم، فهو تفسير وبيان له، كأنه قيل: فلا فك. وقرئ: ﴿فَكَرَّ رِقْبَةً * أو إِطْعَمَ﴾ برفع الكاف اسماً مصدرًا، و﴿رَقَبَةً﴾ بالجر مضافاً إليه أو (إطعام) بكسر الهمزة وألف بعد العين، ورفع الميم منونة، وفك خبر محذوف أي: (هو فك رقبته أو إطعام) علي معنى الإباحة، وفي الكلام حذف مضاف دل عليه ﴿فَلَا اقْتَحَمَ﴾ و﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ و﴿والعقبة﴾: عتق رقبته أو إطعام يتيم ذي قرابة، ومسكين ذي فقر في يوم مجاعة. [٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ قرئ: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز من آصدت الباب أي: أطبقته. وقرئ: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بغير همز، ويحتمل أن يكون من أوصدت الباب أي: أطبقته، ففاء الفعل في هذه اللغة: واو، فلا يجوز همز اسم المفعول علي هذا، إذ لا أصل له في الهمز، ويقوي ذلك إجماعهم علي قوله: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بالواو، ولو كان بالهمز لقال: بالأصيد: ويجوز: أن يكون من أصد وأصله: الهمز، وخفف بالإبدال واواً لأنضمام ما قبلها علي أصل تخفيف الهمز الساكن. [٢٧] ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كل (١٣) مرة. نزول سورة البلد: نزلت بعد سورة ق، وهي مكِّيَّة. عدد كلمات سورة البلد: اثنتان وثمانون. عدد حروف سورة البلد: ثلاثمائة وواحد وخمسون. أسماء سورة البلد: سميت سورة البلد؛ لمفتتحها، وسورة العقبة؛ لذكرها بها. مواضع سورة البلد: معظم مقصود السورة: تشریف مكة بحكم القسم بها، ووصف خلق الإنسان، ومكابدته في الدنيا، والمينة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عقبة الصراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم علي البلاء، ورحمة بعضهم بعضاً، وخلود الكفار في النار.

سُورَةُ الْبُقْعَةِ ١ - **وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا** : أقسم الله بالشمس وضحاها، وهو النهار. أو ارتفاع الضوء وكماله. ٣، ٤ - **وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى** : جلّى الشمس بضياها **وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى** : إذا يغشى الشمس فتظلم الآفاق. ٥ - **وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا** : يعني: ومن خلقها، ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، أي: وبنائها. ٦ - ٨ - **وَالْأَرْضَ وَمَا حَقَّهَا** : الطحو كالدهو، قال تعالى: **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** : [النازعات: ٣٠]. قيل: بسطها، أو جعلها ممهدة للحياة. **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** : يعني خلقها وأنشأها. **فَالْهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا** : يقول: فبين لها ما ينبغي أن تأتي وتذر من خير وشر، وطاعة ومعصية، قال الفراء: فعرفها طريق الخير وطريق الشر. ٩ - **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّهَا** : فاز من أتمى نفسه وأعلاها بالتقوى والأعمال الصالحة. ١٠ - **وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا** : من دسّ نفسه؛ أي خسر من أخفى نفسه وأصلها وأغواها. ١١ - **يَطْغَوْهَا** : بطغيانها، أي أن الطغيان هو الذي حملهم على الكفر وتجاوز الحد. ١٢ - **إِذْ أَنْعَمْتَ أَشْقَاهَا** : أشقى ثمود، انتدب وقام بعقر الناقة. ١٣ - **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ** : صالح **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** : احذروا ناقة الله وسقياها، أن تمسوها بسوء. ١٤ - **فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بَذْنِهِمْ** : فدمّر عليهم ربهم بذنوبهم **فَسَوَّاهَا** : فسوى ديارهم عليهم جميعاً، فلم يفلت منهم أحد، والدمدمة: الهلاك باستئصال. **سُورَةُ اللَّيْلِ** ١، ٢ - **وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى** : أقسم الله تعالى بالليل إذا غشى الأرض وما عليها. **وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى** : وأقسم بالنهار إذا ظهر وأضاء الآفاق. ٣ - **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** : قيل: بمعنى: ومن خلق الذكر والأنثى، وهو الله لا إله إلا هو، وقيل: «ما» وما بعدها بمعنى المصدر، فيكون قسماً بمخلقه الذكر والأنثى. ٤ - **إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ** : لمختلف، فمنكم الكافر والمؤمن والطيع والعاصي. ٦، ٧ - **وَصَدَقَ الْحَقُّ** : قيل: بالخلف من الله على ما أنفق في سبيله. **فَسَيِّئُ السُّرَى** : سنسهله للحال الحسنة المرضية عند الله. ١١ - **وَمَا يَنْفَعِي عَنْهُ مَالُهُ** : ما يدفع عنه ماله **إِذَا تَرَدَّى** : في جهنم وسقط فيها. ١٢ - **إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى** : إن علينا لبيان الحق من الباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١ **وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا** ٢ **وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا** ٣ **وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا** ٤ **وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا** ٥ **وَالْأَرْضَ وَمَا حَقَّهَا** ٦ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ٧ **فَالْهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ٨ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّهَا** ٩ **وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا** ١٠ **كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا** ١١ **إِذْ أَنْعَمْتَ أَشْقَاهَا** ١٢ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ** ١٣ **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ١٤ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بَذْنِهِمْ فَسَوَّاهَا** ١٥ **وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ١٦

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ١ **وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى** ٢ **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** ٣ **إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ** ٤ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** ٥ **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** ٦ **فَسَيِّئُ السُّرَى** ٧ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** ٨ **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى** ٩ **فَسَيِّئُ السُّرَى** ١٠ **وَمَا يَنْفَعِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى** ١١ **إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى** ١٢ **وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى** ١٣

٥٩٥

[١ - ٢١] قوله تعالى: **وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى** إلى قوله: **وَلَوْ يَرَى** أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فرمى ثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل من نخلته، فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: «أذهب»، ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة»، فقال الرجل: لقد أعطيت، وإن لي نخلاً كثيراً، وما فيه نخلة أعجب إليّ ثمره منها، ثم ذهب الرجل، ولقي رجلاً كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أنعطني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، فقال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة، ولكليهما نخل، فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بنخلي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: لقد أعطيت، ولكن يعجبني ثمرها، ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إليّ ثمره منها، فقال له الآخر: أتريد بيعها، فقال: لا، إلا أن أعطي بها ما أريد، ولا أظن أن أعطي فقال: فكم ثناك منها، قال: أربعون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة، فأشهد لي إن كنت صادقاً، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله: **وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى** إلى آخر السورة. قال ابن كثير: حديث غريب جداً. وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك اعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال: إني إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه: **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** إلى آخر السورة. وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق اعتق سبعة كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت: **وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ** إلى = يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: مما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب أشد من ضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي..؟ فما الذي أخرج الأيوين من الجنة..؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم..؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلاهم..؟ [١] **وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى** **وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى** [الليل: ١-٢]، **وَالضُّحَى** **وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى** [الضحى: ٢]. لماذا قدم القسم بالليل في سورة الليل، وقدم القسم بالنهار في سورة الضحى؟ **الجواب**: لما كان المقسم عليه في سورة الليل سعي الإنسان، وغالبه المعاصي؛ قدم الليل الذي هو مظنة الظلمة، ولما كان المقسم عليه في سورة الضحى لطفه بنبيه ﷺ قدم الضحى لحسنه. [٥-٨] **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** **فَسَيِّئُ السُّرَى** **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** [الليل: ٥-٨]. إن قيل: كيف قابل **وَاتَّقَى** بـ **وَاسْتَغْنَى**؟ وهل يمكن للعبد أن يستغني عن ربه طرفه عين؟ قيل: هذا من أحسن المقابلة، فإن المتقي لما استشعر فقره وفاقته وشدة حاجته إلى ربه اتقاه، ولم يتعرض لسخطه وغضبه ومقته بارتكاب ما نهاه عنه، فإن من كان فقيراً شديد الحاجة والضرورة إلى شخص، فإنه يتقي غضبه وسخطه عليه غاية الاتقاء، ويجانب ما يكرهه غاية المجانبة، ويعتمد فعل ما يحبه ويؤثره، فقابل التقوى بالاستغناء تشبيهاً لحال تارك التقوى، ومبالغة في ذمه بأن فعل المستغني عن ربه لا فعل الفقير المضطر إليه الذي لا ملجأ له منه إلا إليه، ولا غنى له عن فضله وجوده وبره طرفه عين، فلله ما أحل هذه المقابلة، وما أجمع هاتين الآيتين للخيرات كلها وأسبابها، وللشور كلها وأسبابها!

[٧، ١٠] **فَسَيِّئُ السُّرَى** [الليل: ٧]، **فَسَيِّئُ السُّرَى** [الليل: ١٠]. قوله تعالى: **فَسَيِّئُ السُّرَى**، وبعبده: **فَسَيِّئُ السُّرَى** أي: سنيته للحالة اليسرى، والحالة اليسرى، وقيل: الأولى الجنة، والثانية النار، وجاء في الخبر "كل مسير لما خلق له". متفق عليه. [١٥] **وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** قوله تعالى: **وَلَا يَخَافُ** قرئ: (فلا يخاف) بالفاء للمساواة بينه وبين ما قبله من قوله: **فَقَالَ لَهُمْ** .. **فَكَذَّبُوهُ** ووحد في **وَلَا يَخَافُ** لأن العاقر كان واحداً لكنه نسب العقر لجميعهم؛ لرضاهم بفعل ذلك الواحد. وقرئ: (ولا يخاف) بالواو إما للحال من العاقر أي: فسواها غير خائف، أو الواو لاستئناف الإخبار. نزول سورة الشمس: نزلت بعد سورة القدر، وهي مكية. عدد كلمات سورة الشمس: أربع وخمسون. عدد حروف سورة الشمس: مائتان وأربعون. أسماء سورة الشمس: سميت سورة والشمس؛ لفتحتها. مواضع سورة الشمس: مقصود السورة: أنواع القسم المترادفة، على إلهام الخلق في الطاعة والمعصية، والفلاح والخيبة، والخبر عن إهلاك ثمود، وتخويف أهل مكة. نزول سورة الليل: نزلت بعد سورة الأعلى، وهي مكية. عدد كلمات سورة الليل: إحدى وسبعون. عدد حروف سورة الليل: ثلاثمائة وعشرة. أسماء سورة الليل: قيل لها سورة الليل؛ لفتحتها. مواضع سورة الليل: مقصود السورة: القسم على تفاوت حال الخلق في الإساءة والإحسان، وهدايتهم إلى شأن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيب بعض بالجنة، والبدائر إلى الصّدقة كفارة للذنوب والعصيان، ووعد بالرضا من الرحمن =

تفسير الطبري الأسماء الحسنى أسباب النزول توجيه للمتشابهات فوائد متنوعة توجيه للقراءات إعجاز متنوع التعريف بالسور

لَا يَصْلَهُ إِلَّا الْأَشْقَى (١) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٢) وَسَيَجْزِيهَا
الْأَتَقَى (٣) الَّذِي يُوَفِّي مَالَهُ يَتَرَكَّى (٤) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى (٥) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٦) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٧)

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَرَضَى (٥) أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهْدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْفَتْحِ لَكَ صَدْرُكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

١٥- ﴿لَا يَصْلَهُ﴾: لا يدخلها ويصير صلاءها، أي وقودها. ١٧- ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَتَقَى﴾: سيوفي
صلي النار التي تلتقي التقى، والمراد بالأتقى -هنا- سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في
قول جميع المفسرين. ١٩، ٢٠- ﴿مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾: من يد يكافئه عليها ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾: التماس
ثواب ربه. ٢١- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾: أي في الآخرة. وهذه عدة وعدها الله تعالى أبا بكر الصديق.
﴿سُورَةُ الضُّحَى﴾ ١، ٢- ﴿وَالضُّحَى﴾: أقسم الله عز وجل بالضحى، وهو سطوع الضوء. وقيل: النهار
كله. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾: ثبت بظلامه، وسكن بأهله. ٣- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: ما تركك ﴿وَمَاقَلَى﴾: ما
أبغضك. وكان جبريل قد أبطا عن رسول الله ﷺ حتى قال المشركون: ودَّعَ محمدًا ربُّه، فأنزل الله عز
وجل ﴿وَالضُّحَى﴾. ٦- ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾: جعل لك مأوى تأوي إليه. ومنزلاً تنزله.
٧- ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾: على غير الذي أنت عليه اليوم ﴿فَهْدَى﴾: فهداك للذي أنت عليه اليوم؛ أي:
وجدك بعيداً، أو غافلاً عما يُراد بك من أمر النبوة فهداك إليها. ٨- ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾: فقيراً.
٩- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: بأي وجه من وجوه القهر. وقيل: لا تظلمه حقه، استضعافاً منك له.
﴿سُورَةُ الشَّرْحِ﴾ ١- ﴿الْفَتْحِ لَكَ صَدْرُكَ﴾: ألم نشرح يا محمد للهدى صدرك، فنلن لك قلبك، ونجعل
وعاءاً للحكمة والنبوة، والاستفهام إذا دخل على النفي قرره، فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك.
٢- ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾: حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية، وما كنت تحمله من همٍّ ما عليه قومك
من الشرك وعبادة الأصنام. ٣- ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أثقل ظهرك. ٤- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: بالنبوة
والرسالة. يقول عز وجل: فلا أذكر حتى تُذكر معي. قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة.
٥- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾: يقول عز وجل: إن مع الشدة التي أنت فيها، ومزاولة ما أنت بسبيله رجاءً
وفرجاً. ٧- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾: من شغلِكَ ﴿فَانصَبْ﴾: في عبادة الله، والاجتهاد فيما يُقربك منه.
والنصب: التعب. ٨- ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: فاجعل رغبتك، إليه وحده، دون من سواه، فلا تطلب
حاجاتك إلا منه، ولا تُعول في جميع أمورك إلا عليه سبحانه وتعالى.

= آخر السورة، وأخرج البزار عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ إلى آخرها في أبي بكر الصديق. [١١] ﴿وَالضُّحَى﴾ أخرج
الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله:
﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣). وأخرج سعيد بن منصور والفريري عن جندب قال: أبطا جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودَّعَ
محمدًا، فنزلت. وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد
ودَّعَكَ وقلاك، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣). وأخرج الطبراني، وابن أبي شيبة في مسنده، والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن
ميسرة القرشي، عن أمه عن أمها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ: أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة
أيام لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله؟ جبريل لا يأتي، فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت
السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ يردد مجبته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣). قال الحافظ ابن
حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، ولكن كونها سبب نزول الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح. وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن
شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فنزلت. وأخرج أيضاً عن عروة قال: أبطا جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً، فقالت
خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك، فنزلت. وكلاهما مرسل، رواتهما ثقات. قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلا من أم جميل
وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل قالت شماته، وخديجة قالت توجعاً. [٤] قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن
عباس قال: قال رسول الله ﷺ: غرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني، فأنزل الله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ إسناده حسن. [٥] قوله تعالى:
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْضَى﴾ أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل، والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على
أمته كفراً كفراً، أي قرية قرية، فسر به، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْضَى﴾. [٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال: نزلت لما عسر المشركون
المسلمين بالفقر. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «أبشروا أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين».

[٢-١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١-٢]، ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) [الضحى: ٢]. لماذا قدم القسم بالليل في سورة الليل، وقدم القسم
بالنهار في سورة الضحى؟ **الجواب:** لما كان المقسم عليه في سورة الليل سعي الإنسان وغالبه المعاصي؛ قدم الليل الذي هو مظنة الظلمة، ولما كان المقسم عليه
في سورة الضحى لطفه بنبيه ﷺ قدم الضحى لحسنه. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَى﴾ [الضحى: ٧]. أي: عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة،
فهداك إليها، أو ضالاً في صغرك في شعاب مكة، فردك إلى جدك عبد المطلب، أو وجدك ناسياً، فهداك إلى الذكر.
[٥، ٦] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]. إن مع العسر الذي أنت فيه من مقاساة الكفار يُسرًا عاجلاً، إن مع العسر الذي أنت
فيه من الكفار يُسرًا عاجلاً، واليسر الثاني غير اليسر الأول بدليل تنكيره، والعسر الأول هو الثاني بدليل تعريفه باللام -قاعدة لغوية: النكرة إذا كررت تكون الأولى
عين الثانية، والمعرفة إذا كررت تكون الأولى غير الثانية-، وبذلك يكون العسر واحداً واليسر اثنين، وفي الحديث "لن يغلب عسر يُسرَيْن". أخرجه الطبراني
مرسلاً. [١، ٢] ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]. قوله تعالى: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾، أي: أوجد القراءة مبتدئاً باسم
ربك، وأقرأ الثانية تأكيداً للأولى ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، أي: الخلاق، وخصَّ قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ بالذكر مع دخوله في الأول؛ لشرفه ونزول القرآن إليه. [١-٥] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١)
﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (٢) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (٣) ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٤) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٥) ﴿أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٦) ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٧) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].
لماذا قدم التعليم على الخلق في الرحمن، وقدم الخلق على التعليم في العلق؟ **الجواب:** سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن، ولم يكن القرآن معهوداً للنبي ﷺ ولا
= **النَّان.** نزول سورة الضحى: نزلت بعد سورة الفجر، وهي مكِّيَّة. عدد كلمات سورة الضحى: أربعون. عدد حروف سورة الضحى: مائة واثنان وسبعون. أساء سورة
الضحى: سميت الضحى؛ لمفتحتها. مواضع سورة الضحى: معظم مقصود السورة: بيان ما للرسول ﷺ من الشرف والمنقبة، ووعد في القيامة بالشفاعاة، وذكر أنواع
الكرامة له، والمِنَّة، وصيانة الفقر واليُتْم من بين الحرمان والمذلة، والأمر بشكر النعمة. نزول سورة الشرح: نزلت بعد سورة الضحى، وهي مكِّيَّة. عدد كلمات سورة
الشرح: ست وعشرون. عدد حروف سورة الشرح: مائة وخمسون. أساء سورة الشرح: وسميت الشرح لمفتحتها. مواضع سورة الشرح: معظم مقصود السورة: بيان
شرح صدر المصطفى ﷺ ورفع قدره وذكره، وتبديل العسر من أمره بيسره، وأمره بالطاعة في انتظار أجره، والرغبة إلى الله تعالى والإقبال على ذكره.

سُورَةُ التِّينِ ١- ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾: قيل: هو التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يُعصر، أقسم الله بهما. وقيل: القسم بمنابتهما: دمشق وبيت المقدس. ٢- ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: هو جبل موسى عليه السلام ومسجده. ٣- ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة. ٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: فطرة واستعدادا. وقيل: في أعدل خلق، وأحسن صورة. ٥- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه، ويئنه له. ٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقوص. ٧- ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾: الخطاب للإنسان، والاستفهام للتقريع والزمام الحجة، أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردك أسفل سافلين، فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء. ٨- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾: كان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين». أخرجه أبو داود والترمذي، وغيرهما، وضعفه الألباني. **سُورَةُ الْعَلَقِ ١، ٣- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾**: اقرأ يا محمد بذكر ربك ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: ثم بين، فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: يعني: من الدم. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾: الذي أمرك بالقراءة هو ﴿الْأَكْرَمُ﴾: فهو سبحانه قادر على إزاحة ما اعتذر به ﷺ من قوله: «ما أنا بقارئ». ٦، ٧- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾: ليتجاوز حده، ويستكبر على ربه ﴿أَن رَّاهُ أَسْفَلَ﴾: لأن رأى نفسه استغنت. ٩، ١٠- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾:؟! قيل نزلت هذه الآية في أبي جهل، وذلك أنه قال: لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه. ١١- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾: يعني: إن كان محمد على استقامة، وسداد في صلاته لربه. ١٣- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: إن كذب أبو جهل بما بعث الله به محمداً، وأدبر عنه. ١٤- ﴿أَتَرَعَمَ﴾: أبو جهل، إذ ينهى محمداً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرَى﴾: يراه فيخاف سطوته. ١٥، ١٦- ﴿كَلَّا﴾: يقول عز وجل: ليس الأمر كما يزعم أبو جهل من أنه يطأ عنق محمد ﷺ، فإنه لا يقدر على ذلك، ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ﴾: أبو جهل ﴿لَنَسْفَعًا﴾: لنسودن وجهه ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾: اكتفى بذكر الناصية من الوجه، إذ كانت في مقدم الوجه، والمعنى: لناخذن بناصيته، ولنجره إلى النار. ١٦- ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ﴾: وصف الناصية بالكذب والخطيئة. والمعنى لصاحبها. ١٧- ﴿فَلْيَعْنُ﴾: أبو جهل ﴿نَادِيَهُ﴾: أهل مجلسه، وأنصاره من عشيرته. ١٨- ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: سندعو ملائكة تدفعه إلى النار. ١٩- ﴿كَلَّا لَا طُغْيَاءَ﴾: لا تطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدَ﴾: لربك ﴿وَأَقْرَبَ﴾: منه بالتجرب إليه، فإن أبا جهل لا يقدر على ضربه، ونحن نمنعه منه. قال ابن عباس: «لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته». رواه الترمذي وغيره، وصححه الشيخ الألباني.

[٥] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فستل عنهم حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرم أن لهم أجورهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. **[٦]** قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ أخرجه ابن المنذر عن أبي هريرة قال: قال: أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقال: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ الآيات. **[٩]** قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ إلى قوله: ﴿كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾. **[١٧]** قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ﴾ أخرجه الترمذي وغيره عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ﴾ **[٧]** **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** قال الترمذي: حسن صحيح. **[٤]** ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. لا مناقضة بين الآيتين؛ لأن معنى آية التين عند كثير من المفسرين أنه منتصب القامة معتدلاً، فيكون في معنى أحسن تقويم، ولمراعاة الفواصل في السورتين جاء على ما جاء، والمشهور عند المفسرين أن معنى "كبد"، أي: في مشقة وشدة، وهو لا ينافي أنه في أحسن تقويم، فهو منتصب القامة معتدلاً، ومع ذلك يقاسي شدائد في حياته. **[٦]** ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]. لماذا جاءت آية سورة التين بزيادة "فاء"؟ **الجواب:** الاستثناء في سورة التين متصل فتم الكلام به، والاستثناء في سورة انشقت منقطع بمعنى "لكن" فلم يتم الكلام به، والمراد بـ ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، هَرَمُهُ وضعفه وضعف حواسه، وعدم قدرته على الأعمال، فصار تقديره: لكن من كان يعمل صالحاً، فإننا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم.

= لغيره، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل لما نزل بها: لست بقارئ، وسورة الرحمن نزلت بعد معرفة القرآن وشهرته عندهم، فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة اقرأ أنسب من القرآن الذي لم يعهده، وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي نعرفه والمنته به في سورة الرحمن أنسب لسياق ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد. **[١، ٢، ٣]** ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢]، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وبعده: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ثم قال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ فصريح به، وكان حق الكناية؛ رفعا لمنزلتها؛ فإن الاسم قد يذكر بالصريح في موضع الكناية؛ تعظيماً وتخويفاً. كما قال الشاعر: لا أرى الموت يسبق الموت شيء * نغص الموت ذا الغنى والفقير. فصريح باسم الموت ثلاث مرات؛ تخويفاً. وهو من أبيات كتاب سيبويه. **[٤]** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ **[٧]** ﴿أَن رَّاهُ أَسْتَقَى﴾ قوله تعالى: ﴿أَن رَّاهُ﴾ قرئ: (راه) بقصر الهمزة بلا ألف. وقرئ: (راه) بالمد، وقد وجه الحذف بأن بعض العرب يحذف لام مضارع رأي تخفيفاً، ومنه قولهم: أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة، فلما حذفت في (تر) لغير جازم حذفت في رأي كذلك، وهو بعيد في القياس والنظر والاستعمال، بل قيل: إنها لغة عامة، وحيث صحت الرواية به وجب قبوله. **[١٦]** **نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ** [العلق: ١٦]. **إصدار القرارات:** وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة، أنها أشارت بدقة علمية متناهية إلى أن القشرة الجبهية الأمامية المختفية في عمق ناصية الإنسان هي مركز القرار عنده لضبط تصرفاته من حيث الصدق والكذب والخطأ والصواب والاتزان والانحراف، وهذا ما كشفت عنه الدراسات العلمية الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين. **نزول سورة التين:** نزلت بعد سورة البروج، وهي مكية. **عدد كلمات سورة التين:** أربع وثلاثون. **عدد حروف سورة التين:** مائة وخمسون. **أسماء سورة التين:** سميت التين لمفتتحها. **مواضيع سورة التين:** مقصود السورة: القسم على حسن خلق الإنسان، ورجوع الكافر إلى النيران، وإكرام المؤمنين بأعظم الثوابات الحسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم. **نزول سورة العلق:** هي أول ما نزل من القرآن الكريم، وهي مكية. **عدد كلمات سورة العلق:** اثنتان وتسعون. **عدد حروف سورة العلق:** مائتان وثمانون. **أسماء سورة العلق:** تسمى بسورة اقرأ لمفتتحها، والعلق لذكره بها. **مواضيع سورة العلق:** معظم مقصود السورة: ابتداء في جميع الأمور باسم الخالق الرب تعالى جلّت عظمتها، والمينة على الخلق بتعليم الكتابة، والحكمة، والشكاية من أهل الضلالة، وتهديد أهل الكفر والمعصية، وتخويف الأجانب بالعقوبة، وبشارة الساجدين بالقرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۚ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۚ وَمَنْفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ الْإِمْنُ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۚ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: يعني: هذا القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: سميت بذلك لعظيم قدرها وشرفها. قال ابن عباس: أنزل الله تعالى القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة، ثم نجمه على محمد ﷺ في بعض وعشرين سنة. وقيل: المعنى: إنا ابتدأنا إنزال هذا القرآن ليلة القدر. ٤ - ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾: وذكر جبريل وإن كان داخلاً في الملائكة، تعظيماً له وتشريفاً. وسمي «روحاً» لأنه كان ينزل بالروح - وهو الوحي الذي به حياة الناس - على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمر ربهم. ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: بكل أمر. قيل: مما قضاه الله تلك السنة من رزق وأجل. ٥ - ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾: ليلة القدر من الشر كله، من أولها إلى طلوع الفجر. **سُورَةُ الْبَيِّنَةِ ١ -** ﴿مُنْفَكِينَ﴾: متهمين ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: هذا القرآن. والأرجح أن البينة محمد ﷺ، كما فسرت في الآية التالية. والمعنى: لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة النبي ﷺ حتى بعث، فلما بعث حسدوه وجحدوه. ٢ - ﴿رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ﴾: محمد ﷺ ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾: يقرأ كتاباً مطهرة من الباطل. والمراد: ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن. ٣ - ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾: في الصحف المطهرة كتب الله عز وجل «قيمة»: قائمة عادلة مستقيمة، والمراد بها الآيات والأحكام المكتوبة فيها. ٥ - ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾: هؤلاء اليهود والنصارى، الذين هم أهل الكتاب ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: الطاعة ﴿حُنَفَاءَ﴾: مسلمين، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾: دين الملة المستقيمة العادلة. ٦ - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين أبداً ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾: شر من براه الله وخلقه.

١١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أخرج الترمذي، والحاكم، وابن جرير، عن الحسن بن علي قال: إن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فسأه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الكوثر: ١] ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تملكها بعدك بنو أمية قال القاسم الحداني: فعددنا، وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال الترمذي: غريب. وقال المزني وابن كثير: منكر جداً. وأخرج ابن أبي حاتم، والواحدي عن مجاهد، أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ التي ليس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله. [٣] قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل. = وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [القدر: ٤]. استخدم نفس الفعل المضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية "نزل" لماذا؟ **الجواب:** الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المستقيم تبشّره بمآله إلى الجنة، أما الثانية فهي في ليلة القدر، والتنزل في كل لحظة؛ لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض، فالملائكة في مثل هذه الحالة تنزل في كل لحظة وكل وقت، أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر، إذا التنزل الأول أكثر استمرارية من التنزل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع "تنزل"، أما في الآية الثانية في الحدث المقتطع اقتطع الفعل "تنزل". [٤] ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾، أي: وهم اليهود والنصارى، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾، أي: محمد ﷺ، أو القرآن. المعنى أنهم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فلما جاء تفرقوا، فمنهم من كفر بغياً وحسداً، ومنهم من آمن. [١١] ﴿إِنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَحِيشٌ﴾ [العاديات: ١١]. كيف قال ذلك، مع أنه تعالى خبير بهم في كل زمن؟ **الجواب:** معناه: أن ربهم تعالى مجازيهم يومئذ على أعمالهم، فتجوز بالعلم عن المجازاة، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣]، أي: مجازيهم على ما فيها. [٥] ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٦]، ﴿وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا وَهِيَ تَمُورُ مَرًّا السَّحَابِ صُغُرَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]. لا تعارض بين الآيات الثلاث؛ لأنها تذكر أحوالاً مختلفة يوم القيامة، ففي أول الأمر تسير الجبال كسير السحاب، وكأنها واقفة مكانها من كبر حجمها، ثم تتضاءل فتصبح كالعهن، وهو الصوف المنفوش، ثم تنسف فتترك أماكنها أرضاً مستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع. [٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨]. قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، ثم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، جمع ميزان، وله كفتان وعمود ولسان، وإنما جمع لاختلاف الموزونات، وتجدد الوزن، وكثرة الموزون، أو جمع على أن كل جزء منه بمنزلة ميزان. [٧-٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۝١ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ۝٢ ۖ أَمَّا الْعِيشَةُ الرَاضِيَةُ فَالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية، فإنها اللاتقة بهم، فشيء ذلك برضاها بهم كما رضوا بها، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط، فتأمل. [٥، ٤، ٣] ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤]، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]. "كلا" في المواضع الثلاثة، قيل: للردع والزجر عن التكاثر، وقيل: بمعنى "حقاً"، وقيل: الأولان للردع والزجر، والثالث بمعنى حقاً. [٤، ٣] ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤]. ذكره مرتين للتأكيد، أو الأول للقبر، والثاني للقيامة، أو الأول للكفار، والثاني للمؤمنين.

[٥] ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَطْلَعُ﴾ قرئ: (مطلع) بكسر اللام على أنه مصدر أو "اسم مكان" نادر أن يأتي بالكسر، وحقه الفتح كالمدخل والمخرج من دخل يدخل، ومخرج يخرج، وقد أتت له نظائر بالكسر خارجة عن القياس نحو: المسجد والمحيض. وقرئ: (مطلع) بفتحها وهو القياس، والكسر سماعي، وهما مصدران، أو المكسور "اسم زمان" والمفتوح "مصدر". [٦] ﴿هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ قوله تعالى: ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ بالهمز، فهي فعيلة من برأ الله الخلق. وقرئ: (البرية) من غير همزة. نزول سورة القدر: نزلت بعد سورة عبس، وهي مكية عند بعض المفسرين، مدنية عند الآخرين. عدد كلمات سورة القدر: ثلاثون. عدد حروف سورة القدر: مائة واثنتا عشرة. أسماء سورة القدر: سميت سورة القدر؛ لتكرر ذكره فيها. مواضع سورة القدر: معظم مقصود السورة: بيان شرف ليلة القدر في نص القرآن، ونزول الملائكة المقربين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طوال الليل على أهل الإيمان. نزول سورة البينة: نزلت بعد سورة الطلاق، وهي مكية. عدد كلمات سورة البينة: أربع وسبعون. عدد حروف سورة البينة: ثلاثمائة وتسعة وتسعون. أسماء سورة البينة: لها ثلاثة أسماء: البينة، وسورة المنفكين؛ لذكرهم بها، وسورة القيمة؛ لذكرها بها. مواضع سورة البينة: معظم مقصود السورة: بيان تمرد أهل الكتاب، والخبر عن صحة أحكام القرآن، وذكر وظيفة الخلق في خدمة الرحمن، والإشادة بخير البرية من الإنسان، وجزاء كل أحد منهم بحسب الطاعة والعصيان، وبيان أن موعود الخائفين من الله الرضا والرضوان. فضل سورة البينة: قال رسول الله ﷺ: «لَا بَيْتَ بَنِي كَعْبٍ: يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ أَنْ أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» قال أبي: وسأني؟! قال: «نعم»، فبكي أبي. أخرجه أحمد والبخاري وغيرهما، وصححه الأرناؤوط.

٨- ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾: عَدْنٌ بالمكان: أقام فيه، أي لا يخرجون من هذه الجنات ولا يظعنون عنها ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَسَنَ رَبُّهُ﴾: أي ذلك الجزاء والرضوان لمن خاف ربه. **سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ** ١- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾: لقيام الساعة ﴿زَلْزَالَهَا﴾: فَرُجَّتْ رَجًّا. و«الزلزال»- بكسر الزاي- مصدر، ذكر للتأكيد، وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو من صفتها. والمعنى: زلزالها المخصوص الذي يستحقه ويقضيه جرمها وعظمها. ٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: ما في بطنها من الموتى أحياء. وقيل: أخرجت موادها وكنوزها. ٣، ٤- ﴿مَا لَهَا﴾: ما للأرض؟ وما قصتها؟! **يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا**: أي: تُنَبِّئُ الأرض أخبارها، بالزلزلة والرجة وإخراج الموتى من بطونها، وقيل: تُخَدِّثُ بما عمل عليها من خير وشر. ٥- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾: بسبب وحي الله عز وجل ذلك إليها، وأمره. ٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب أشتاتًا، أي متفرقين. **لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ**: ما أعد الله لهم على أعمالهم، من كرامة أو عذاب. ٧- ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: وزن غلّة حمراء، وقيل: الذر: ما يرى في شعاع الشمس. **سُورَةُ الْعَنَادِيَاتِ** ١- ﴿وَالْعَنَادِيَّتِ صَبَحًا﴾: عنى بها: الخيل التي تعدو، وتحجري بسرعة. والضَّبْحُ من الخيل: الحمحمة، وقال الفراء: الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت. ٢- ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾: قيل: الخيل التي ثوري النيران قدحا بجوافرها. ٣- ﴿فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا﴾: إذا أغارت بالصباح. ٤- ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا﴾: أثارت بجوافرها التراب، فارتفع منه الغبار، و«النقع»: الغبار. ٥- ﴿فَوْسَطْنَاهُ يَوْمَئِذٍ جَمْعًا﴾: يقول عز وجل: فوسطن يركبانهن جمع القوم، الذين أغير عليهم. ٦- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: لكفور، يعد المصائب، وينسى النعم. ٧- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: لشاهد على كنوده ربه، يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه. ٩- ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾: إذا أخرج ما فيها. [٧، ٨] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿يُظَعِّمُونَ الظَّالِمَ عَلَىٰ حَيْوَةٍ﴾ الآية، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [١] قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَادِيَّتِ صَبَحًا﴾ أخرج البزار، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، ولبت شهرًا لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿وَالْعَنَادِيَّتِ صَبَحًا﴾. [٧، ٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٧]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٨]. تكررت الآية مرتين، لأن الأولى متصلة بقوله: ﴿حَيْرَ يَرَهُ﴾، والثانية متصلة بقوله: ﴿شَرًّا يَرَهُ﴾.

جَزَاءُ هُمْ عَذْرَاءٌ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَسَنَ رَبُّهُ ٨

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ٥ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ٦ لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ٧ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٨ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٩

سُورَةُ الْعَنَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَنَادِيَّتِ صَبَحًا ١ فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢ فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا ٣ فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا ٤ فَوْسَطْنَاهُ يَوْمَئِذٍ جَمْعًا ٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩

لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [١] قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَادِيَّتِ صَبَحًا﴾ أخرج البزار، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، ولبت شهرًا لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿وَالْعَنَادِيَّتِ صَبَحًا﴾. [٧، ٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٧]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٨]. تكررت الآية مرتين، لأن الأولى متصلة بقوله: ﴿حَيْرَ يَرَهُ﴾، والثانية متصلة بقوله: ﴿شَرًّا يَرَهُ﴾.

[٧، ٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، ﴿كَلَّا تَقُولُ لِمَنْ يُعَلِّمُ الْيَقِينَ﴾ [التكاثر: ٥]، ﴿ثُمَّ لَنُرْوِيَنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]. قال ابن تيمية: ﴿عَلَّمَ الْيَقِينَ﴾ ما علمه بالسمع والخبر والقياس والنظر، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ما شاهده وعينه بالبصر، و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار. فالأول: مثل من أخبر أن هناك عسلًا، وصدق المخبر. أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده. والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعينه، وهذا أعلى. والثالث: مثل من ذاق العسل، ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله. فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتيقنين وشاهدها الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعانيتها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فذلك حينئذ: حق اليقين. قال ابن القيم: منزلة اليقين: هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين وُلد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا ثَابِتِينَ يَتُوقُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينِ﴾ [الذاريات: ٢٠]، وخصَّ أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [١] أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: ٥]، وأخبر عن أهل النار أنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾ [الجنات: ٣٢]، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قُطْبُ هذا الشأن الذي عليه مداره.

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢﴾ [الزلزلة: ٢]. إخراج الأرض أثقالها: اكتشف العلم الحديث أن باطن الأرض ثقيل ثقيل، وكلما يكون ثقيلًا يكون جذبُه قويًا، وكلما زاد العمق في باطن الأرض كلما زادت الأرض ثقلًا حتى تصل إلى قرب قلب الأرض، فنجد سائلًا ثقيلًا يدور حول قلب الأرض ينشأ عن دورانه خطوط الجاذبية المغناطيسية. متى تخرج الأرض أثقالها؟! أخبر القرآن عن إخراج الأرض أثقالها، إذا زلزلت الأرض زلزالها أي يوم القيامة.. ولكن لم تخرج هذه الأثقال؟ وأين الجاذبية حينها؟ يقول الدكتور «ستيفلز الأمريكي» الذي حضر مؤتمرًا مشتركًا مع عدد من المسلمين لتفسير قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا...﴾ قال: أثقال الأرض في باطنها (أي صرح العلم بهذا حديثًا، وذكره القرآن الكريم قديمًا). وستخرج هذه الأثقال (أي كما أخبر بذلك القرآن)، وماذا بعد؟ قال: تقول آية أخرى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤﴾. لِمَ تُدَّتْ الأرض وتُلقي ما فيها، وتخرج أثقالها. (تتخلى عنها)؟ تأمل تتخلى.. إذا هي كانت تمسك بها (بأثقالها)، كيف؟! هل هناك ما يجذب هذه الأثقال بداخل الأرض.. نعم.. إنها جاذبية أرضية.. أشار إليها القرآن قديمًا، وما عرفها العالم إلا حديثًا؛ ولكن ما السبب في هذه الجاذبية؟ إنها أثقال الأرض في باطنها.. وصدق الله العظيم.. ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينِ﴾ [الذاريات: ٢٠].

نزول سورة الزلزلة: نزلت بعد سورة النساء، وهي مكية. عدد كلمات سورة الزلزلة: خمس وثلاثون. عدد حروف سورة الزلزلة: مائة وتسعة عشر. أسماء سورة الزلزلة: سميت سورة الزلزلة؛ لمفتتحها. مواضع سورة الزلزلة: معظم مقصود السورة: بيان أحوال القيامة وأحوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل. فضل سورة الزلزلة: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] تعدل ربع القرآن». رواه الترمذي. وصححه الألباني. نزول سورة العاديات: نزلت بعد سورة العصر، وهي مكية. عدد كلمات سورة العاديات: أربعون. عدد حروف سورة العاديات: مائة وستون. أسماء سورة العاديات: سميت سورة العاديات؛ لمفتتحها. مواضع سورة العاديات: معظم مقصود السورة: بيان شرف الغزاة في سبيل الرحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الديان، على الإسرار والإعلان، وذم حجة ما هو فان، والخبر عن إحياء الأموات بالأجساد والأبدان، وأنه تعالى خبير بما للخلق من الطاعة والعصيان. نزول سورة القارعة: نزلت بعد سورة قريش، وهي مكية. عدد كلمات سورة =

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ عَمَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْفَلَاةُ ﴿١﴾ مَا الْفَلَاةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَلَاةُ ﴿٣﴾

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ عَمَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَيْكَمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوِ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٦﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٨﴾ ثُمَّ لَتَنْتَلِفَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوَى ﴿٩﴾

١٠- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾: أبرز، وميّز ما في صدور الناس. ١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: لا تخفى عليه منهم خافية، والمعنى: أنه يجازيهم على أعمالهم في ذلك اليوم.

سُورَةُ الْفَلَقِ عَمَّا ١- ﴿الْفَلَاةُ﴾: الساعة التي تقرر قلوب الناس بالفرع، وتقرر أعداء الله بالعذاب، وهي من أسماء القيامة. ٢، ٣- ﴿مَا الْفَلَاةُ﴾ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَلَاةُ﴾: أكد الاستفهام لشدة هول القيامة ومزيد فظاعتها، حتى لكانها خارجة عن إدراك الخلق. ٤- ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾: هو الذي يتساقط في النار والسراج. والمبثوث: المفرق المتشتر. شبه الناس في الكثرة والانتشار والضعف والتطاير إلى الداعي بتطاير الفراش إلى النار. ٥- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾: «العهن»: الصوف المصبوغ بالألوان المختلفة. ٦- ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: موازين حسناته، وعنى بالموازين: الوزن. ٧- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: مرضية يرضاها صاحبها في الجنة. ٨، ٩- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: أي: رجحت سيئاته على حسناته، أو لم يكن له حسنات يُعَدُّ بها ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: فمسكرته جهنم، وسماها أمه لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه. وقيل: فمصره إلى النار لأنه يهوي فيها على أم رأسه.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ عَمَّا ١، ٢- ﴿الْهَيْكَمُ التَّكَاثُرُ﴾: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد، والتفاخر بكثرتها ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال. ٣- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ردع وزجر لهم عن هذا التكاثر، وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة. ٤- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال، قال الفراء: هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد. ٥- ﴿كَلَّا لَوِ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صاثرون إليه علماً يقيناً كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، ما أهاكم التكاثر عن طاعة ربكم، ولَسَارِعتم إلى عبادته. ٧- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين، وهي المشاهدة والمعينة. ٨- ﴿ثُمَّ لَتَنْتَلِفَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوَى﴾: عن نعيم الدنيا الذي أهاكم عن العمل للآخرة.

[١] قوله تعالى: ﴿الْهَيْكَمُ التَّكَاثُرُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريده قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحدهما: فيكم مثل فلان وفلان. وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ ومثل فلان؟ يشيرون إلى القبر، وتقول الأخرى مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿الْهَيْكَمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ٢. وأخرج ابن جرير عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿الْهَيْكَمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ إلى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٢ في عذاب القبر. [٦، ٧] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]. أعاده تأكيداً، أو الأول قبل دخولهم الجحيم، والثاني بعده، ولهذا قال عقبه: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، أو الأول من رؤية العين، والثاني من رؤية القلب. [٨] ﴿ثُمَّ لَتَنْتَلِفَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوَى﴾ [التكاثر: ٨]. الآية تعم المؤمن والكافر، فالمؤمن يُسأل عن شكر النعمة، والكافر يُسأل عنها سؤال توبيخ. [٣-١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ١ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. دلت الآيات على أن الحق ثقيل، وأن المحن تلازمه، فلذلك قرن به التواصي. [٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. كرر لاختلاف المفعولين، وهما ﴿بِالحَقِّ﴾ و﴿بِالصَّبْرِ﴾، وقيل: لاختلاف الفاعلين. [٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢]. ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ فيه اشتباه، ويحسن الوقف على ﴿لَمْزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، حيث لم يصلح أن يكون ﴿الَّذِي﴾ وصفاً له، ولا بدلاً عنه، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء بحسب خبره، ويجوز أن يرفع بالخبر، أي: هو الذي جَمَعَ، ويجوز أن يكون نصباً على الذم، بإضمار أعنى، ويجوز أن يكون جرّاً بالبدل من قوله: ﴿لِكُلِّ﴾ [الهمزة: ١].

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ قرئ: (لَتَرُونَ) بضم التاء مبنياً للمفعول، مضارع أرى معدي رأى البصرية بالهمز لاثنين، رُفِعَ الأول: على النيابة، وبقي الثاني وهو - الجحيم - منصوباً؛ وأصله لترايون كتركومون، نقلت حركة الهمزة إلى الراء فانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت للسكانين ودخلت النون ثقيلة، وحذفت نون الرفع، وحركت الواو للسكانين، ولم تحذف لأنها علامة جمع وقبلها فتحة، ولو كانت ضمة لحذفت نحو ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾. وقرئ: (لَتَرُونَ) بفتح التاء مبنياً للفاعل مضارع رأى، وعلته وأصله كما ذكر مع التعليل في قراءة الضم. = القارعة: ست وثلاثون. عدد حروف سورة القارعة: مائة وخمسون. أسماء سورة القارعة: سميت بالقارعة، لمفتتحها. مواضع سورة القارعة: معظم مقصود السورة: بيان هيبه العرصات، أي القيامة ومواقفها، وتأثيرها في الجمادات والحيوانات، وذكر وزن الحسنات والسيئات، وشرح عيش أهل الدرجات، وبيان حال أصحاب الدرجات. نزول سورة التكاثر: نزلت بعد سورة الكوثر، وهي مكّية. عدد كلمات سورة التكاثر: ثمان وعشرون. عدد حروف سورة التكاثر: مائة وعشرون. أسماء سورة التكاثر: سميت سورة التكاثر، لمفتتحها. مواضع سورة التكاثر: معظم مقصود السورة: ذمّ المُقْبِلين على الدنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أنّ عاقبة الكلّ الموت والزوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعدّ الله للمتمولين المذلة والسؤال، والحساب والوبال. نزول سورة العصر: نزلت بعد سورة الشرح، وهي مكّية. عدد كلمات سورة العصر: أربع عشرة. عدد حروف سورة العصر: ثمانية وستون. أسماء سورة العصر: سميت سورة العصر، لمفتتحها. مواضع سورة العصر: مقصود السورة: بيان خسران الكفار والفجار، وذكر سعادة المؤمنين الأبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبار. نزول سورة الهمزة: نزلت بعد سورة القيامة، وهي مكّية. عدد كلمات سورة الهمزة: ثلاث وثلاثون. عدد حروف سورة الهمزة: مائة وثلاثون. أسماء سورة الهمزة: سميت سورة الهمزة، لمفتتحها، وسورة الحطمة؛ لذكرها فيها. مواضع سورة الهمزة: معظم مقصود السورة: عقوبة العيَّاب المغتاب، وذمّ جَمْعِ الدُّنْيَا ومنعه، أي منع الدنيا، وبيان صعوبة العقوبة. نزول سورة الفيل: نزلت بعد سورة الكافرون، وهي مكّية إجماعاً. عدد كلمات سورة الفيل: ثلاث وعشرون. عدد حروف سورة الفيل: ثلاثة وتسعون. أسماء سورة الفيل: سميت سورة الفيل؛ لمفتتحها. مواضع سورة الفيل: معظم مقصود السورة: بيان جزاء الأجنبي، ومكرهم، وردّ كيدهم في نحركم، وتسليط أنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين. نزول سورة قريش: نزلت بعد سورة التين، وهي مكّية. عدد كلمات سورة قريش: تسع عشرة. عدد حروف سورة قريش: ثلاثة وسبعون. أسماء سورة قريش: سميت سورة قريش؛ لذكر ألفتهم فيها. مواضع سورة قريش: معظم مقصود السورة: ذكر المنة على قريش، وتحضيضهم على شكر الإحسان، ومعرفة قدر النعمة والعاقبة والأمان. نزول سورة الماعون: نزلت بعد سورة التكاثر، وهي مكّية. عدد كلمات سورة الماعون: خمس وعشرون. عدد حروف سورة الماعون: مائة وخمسة وعشرون. أسماء سورة الماعون: سميت سورة الماعون؛ لذكره بها. مواضع سورة الماعون: معظم مقصود السورة: الشكاية من الجافين على الأيتام =



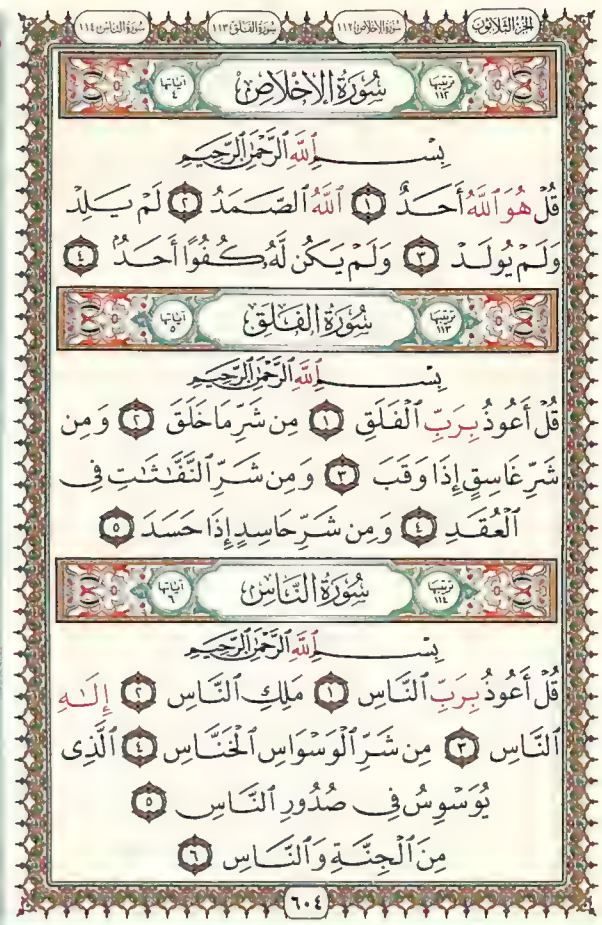
سُورَةُ الْقُرْآنِ ١، ٢ - **لَيْلٍ قُرَيْشٍ** ﴿١﴾: من أَلَفْتُ الشيءَ أولُفُهُ إِيلافاً: إذا أَلَفْتُهُ وَلَزِمْتُهُ. واللام في «إيلاف» قيل: متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾: أي: أمرهم سبحانه أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ﴿رَحَلَةَ الشِّتَاءِ﴾: إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. «وقريش» تصغير «قرش» - السمك المعروف - سُمِّيَ به النَّضْرُ بن كنانة، ثم سُمِّيَ به أولاده. ٣، ٤ - ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾: أي الكعبة أو مكة. أمرهم سبحانه بعبادته، وذكرهم بما أنعم عليهم من هاتين النعمتين ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: فلا جوع يصيبهم، ولا خوف يتأبهم. وهما الأمران اللذان قد يعوقان بعض الناس عن عبادة الله سبحانه، والتفكير في آلائه وسائر نعمه. ولهذا كان الأمان من الجوع والخوف شرطاً لا بد منه لكل حضارة وتقدم إنساني، والله أعلم. **سُورَةُ الْمَاعُونِ** ١، ٣ - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِاللَّيْلِ﴾: هذا توقيف وتنبية، ليذكر المخاطب كل من يعرفه بهذه الصفة. «والدين»: الجزء. ﴿فَذَلِكَ﴾: هو ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾: أي: يدفعه عن حقه بعنف، ويرده بخشونة وزجر ﴿وَلَا يَحْضُ﴾: ولا يبعث أهله أو يحث غيره على بذل طعام الفقير أو المحتاج. ٤، ٥ - ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾: أي هلكة أو عذاب للمصلين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أي الذين يسهون «عن» الصلاة ويلهون عنها، قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها. أما السهو «في» الصلاة فقد يقع لجميع المصلين. ٦ - ﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ﴾: يقصدون بعملهم أن يراه الناس، ولا يفعلونه ابتغاء وجه الله، فهم يراؤون الناس إن صلوا، أو يراؤونهم بكل ما عملوه من أعمال البر ليشوا عليهم. ٧ - ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾: قال أبو جعفر: «ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء: منفعة» وقال أكثر المفسرين: الماعون: اسم لما يتعاوره - يتداوله - الناس بينهم في العادة، من الفأس والقدر ونحوه، وما لا يمنع كالماء والملح. **سُورَةُ الْكَوْثَرِ** ١ - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ﴾: يا محمد - ﴿الْكَوْثَرَ﴾: الخير الكثير، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إنه نهر في الجنة وَعَدْنِي ربي فيه خير كثير». ٢ - ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: أي أعبد ربك في الدنيا مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله ﴿وَأَنْحَرْ﴾: لوجهه وباسمه، مخالفاً لهم في النحر للأوثان. وقيل: المراد: صلاة العيد، ونحر الأضحية. ٣ - ﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ﴾: قال أبو جعفر: «أخبر الله تعالى أن مبغض رسول الله هو الأقل الأذل، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية قد نزلت في شخص بعينه».

[١] قوله تعالى: ﴿لَيْلٍ قُرَيْشٍ﴾ أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: فضل الله قریشاً بسبع خصال: الحديث، وفيه نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لَيْلٍ قُرَيْشٍ﴾. [٤] قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الآية قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية. [٣] قوله تعالى: ﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المنصر المنبر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر عن عكرمة قال: لما أوحى إلى النبي ﷺ قالت قريش: بتر محمد منا، فنزلت: ﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان، فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل: بتر محمد، فنزلت. وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي، وسمى الولد القاسم. وأخرج عن مجاهد قال: نزلت في العاص بن وائل: بتر محمد، فنزلت. وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب، قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إن هذا الصابئ قد بتر الليلة، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: نزلت يوم الحديبية أتاه جبريل فقال: انحر وارجع، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها. قلت: فيه غرابة شديدة. وأخرج عن شمر بن عطية قال: كان عقبه بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد، وهو أبتر، فأنزل الله: فيه ﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ تعزية له. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات، قالت قريش أصبح محمد أبتر، فغاضه ذلك، فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ تعزية له. [١] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد وتكف عن شتم أهلكنا، ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد أهلكنا سنة، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، وأنزل ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾. وأخرج عبد الرزاق، عن وهب قال: قالت كفار قريش للنبي ﷺ إن سرك أن تتبعنا عاماً، ونرجع إلى دينك عاماً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن المنذر نحوه عن ابن جريج. وأخرج ابن أبي حاتم، = [٣] ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٤، الماعون: ٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الحاقة والماعون، وهي تبين حال الإنسان الضال في هذه الدنيا، وتصفه بأنه لا يحث الناس على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم. [١] ﴿لَيْلٍ قُرَيْشٍ﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْلٍ قُرَيْشٍ﴾ قرئ: (إِلَاف) بالهمزة من غير ياء مصدر ألف إلفاً ثلاثياً، ككتب كتاباً، يقال: ألف الرجل إلفاً وإلافاً. وقرئ: (إِيلافاً) بياء ساكنة وهمز، وذلك أنه لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى من غير قياس. [٢] ﴿إِلَافِهِمْ رَحَلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قوله تعالى ﴿إِلَافِهِمْ﴾ قرئ: (إِلَافهم) بهمزة مكسورة بلاء كقراءة ابن عامر في الأولى، فهو مصدر ثلاثي. وقرئ: (إِيلافهم) بالهمزة وياء ساكنة بعدها وهو ظاهر، وجمعاً بين اللغتين. = وعشرون. عدد حروف سورة المسد: سبعة وسبعون. أسماء سورة المسد: تسمى سورة تبت، وسورة أبي هب، وسورة المسد؛ لذكرها فيها. مواضع سورة المسد: مقصود السورة: تهديد أبي هب على الجفاء والإعراض، وضياح كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذم زوجه في إيذاء النبي ﷺ، وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة. نزول سورة الإخلاص: نزلت بعد سورة الناس، وهي مكية. عدد كلمات سورة الإخلاص: إحدى عشرة. عدد حروف سورة الإخلاص: سبعة وأربعون. أسماء سورة الإخلاص: لها عشرون اسماً: التوحيد، التفريد، التجريد، الإخلاص، النجاة، الولاية، نسبة الرب. المعرفة. الجمال. المفضلة. المعوذة. الصمد. الأساس. المانعة. المحضرة؛ لأن الملائكة تحضر لاستماعها من القارئ. المنفرة؛ لأنها تنفر الشيطان. البراءة، أي من التفاق. المذكرة. الشافية. النور؛ لما في الخبر: إن لكل شيء نوراً، ونور القرآن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. مواضع سورة الإخلاص: معظم مقصود السورة: بيان الوحدانية، وذكر الصمد، وتنزيه الحق من الولد والوالدة، والبراءة من الشراكة =

سُورَةُ الْكَافُرُونَ ١ - ﴿قُلْ يَتِيمَا الْكُفْرُونَ﴾: قال أبو جعفر: قل يا محمد لهؤلاء المشركين، الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة ٢ - ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: من الآلهة والأوثان، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: الآن. ٤ - ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾: فيما مضى أو حتى الآن. وقيل: معنى الآية: وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم، يعني: لم تُعبد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف تُرجى مني في الإسلام. ٥ - ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ﴾: فيما تستقبلون أبداً ﴿مَا أَعْبُدُ﴾: أنا الآن، وفيما أستقبل. وإنما قيل ذلك لأن الخطاب من الله تعالى كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وإن كانت الآيات تدل كذلك على أنه ليس بين الكفر والإيمان ترقيع ولا أنصاف حلول بجال من الأحوال. ٦ - ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: أي: لكم شرككم، ولي توحيدى، والمعنى: أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تتبعوني فذعنوني، ولا تدعوني إلى الشرك، أو إلى ترك شيء مما أنا عليه من العقيدة والدين. **سُورَةُ النَّصْرِ** ١ - ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: يقول تعالى لنبهه ﷺ: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش. والفتح: فتح مكة. وقيل: إن النصر هو صلح الحديبية، والفتح هو فتح مكة. ٢ - ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾: من صنوف العرب وغيرهم ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: في دين الإسلام الذي ابتعثك الله به. وأضافه سبحانه إلى نفسه بقوله «دين الله» إشارة إلى أنه الدين الذي لا يقبل من أحد سواه ﴿أَقْوَاباً﴾: جماعات، فوجاً بعد فوج، بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثني اثنين. ٣ - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره على ما أنجز لك من وعده ﴿وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾: يقول: وسله أن يغفر ذنوبك ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾: أي: من شأنه سبحانه مع المستغفرين له أن يتوب عليهم ويرحمهم. و«توابع» من صيغ المبالغة. **سُورَةُ الْمُنَادِ** ١ - ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي تب عمله، وهلكت يداه ﴿وَتَبَّ﴾: خسر. ٢ - ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾: يقول تعالى: أي شيء أغنى عنه ماله، ودفع من سخط الله عليه. «وما كسب» هم ولده. وقيل: المعنى: لم يدفع عنه ما حل به من الهلاك والخسران: ماله ولا ما كسبه من الربح والجاه. ٤ - ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: قيل: كانت تحمل الشوك فطرحه في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة. ٥ - ﴿فِي جِيدِهَا﴾: في عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: من أشياء شتى، وأنواع مختلفة. والمعنى: في عنقها حبل مما مُسد أي ضيق وفتن - من أنواع الحبال. أي إن حالها في نار جهنم ستكون على الصورة التي كانت عليها وهي تحمل الشوك وتؤدي رسول الله، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار، وفي جيدها حبل مما مُسد من سلاسل النار.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ ١ - ﴿قُلْ يَتِيمَا الْكُفْرُونَ﴾: قال أبو جعفر: قل يا محمد لهؤلاء المشركين، الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة ٢ - ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: من الآلهة والأوثان، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: الآن. ٤ - ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾: فيما مضى أو حتى الآن. وقيل: معنى الآية: وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم، يعني: لم تُعبد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف تُرجى مني في الإسلام. ٥ - ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ﴾: فيما تستقبلون أبداً ﴿مَا أَعْبُدُ﴾: أنا الآن، وفيما أستقبل. وإنما قيل ذلك لأن الخطاب من الله تعالى كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وإن كانت الآيات تدل كذلك على أنه ليس بين الكفر والإيمان ترقيع ولا أنصاف حلول بجال من الأحوال. ٦ - ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: أي: لكم شرككم، ولي توحيدى، والمعنى: أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تتبعوني فذعنوني، ولا تدعوني إلى الشرك، أو إلى ترك شيء مما أنا عليه من العقيدة والدين. **سُورَةُ النَّصْرِ** ١ - ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: يقول تعالى لنبهه ﷺ: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش. والفتح: فتح مكة. وقيل: إن النصر هو صلح الحديبية، والفتح هو فتح مكة. ٢ - ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾: من صنوف العرب وغيرهم ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: في دين الإسلام الذي ابتعثك الله به. وأضافه سبحانه إلى نفسه بقوله «دين الله» إشارة إلى أنه الدين الذي لا يقبل من أحد سواه ﴿أَقْوَاباً﴾: جماعات، فوجاً بعد فوج، بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثني اثنين. ٣ - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره على ما أنجز لك من وعده ﴿وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾: يقول: وسله أن يغفر ذنوبك ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾: أي: من شأنه سبحانه مع المستغفرين له أن يتوب عليهم ويرحمهم. و«توابع» من صيغ المبالغة. **سُورَةُ الْمُنَادِ** ١ - ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي تب عمله، وهلكت يداه ﴿وَتَبَّ﴾: خسر. ٢ - ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾: يقول تعالى: أي شيء أغنى عنه ماله، ودفع من سخط الله عليه. «وما كسب» هم ولده. وقيل: المعنى: لم يدفع عنه ما حل به من الهلاك والخسران: ماله ولا ما كسبه من الربح والجاه. ٤ - ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: قيل: كانت تحمل الشوك فطرحه في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة. ٥ - ﴿فِي جِيدِهَا﴾: في عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: من أشياء شتى، وأنواع مختلفة. والمعنى: في عنقها حبل مما مُسد أي ضيق وفتن - من أنواع الحبال. أي إن حالها في نار جهنم ستكون على الصورة التي كانت عليها وهي تحمل الشوك وتؤدي رسول الله، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار، وفي جيدها حبل مما مُسد من سلاسل النار.

= عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمّية بن خلف، رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَتِيمَا الْكُفْرُونَ﴾ إلى آخر السورة. [١] قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة، حتى هزمهم الله، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم، فدخلوا في الدين فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختمها. [١] قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى، يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعنا، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها. وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن ابن زيد، أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢]. قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخر السورة، هل هو تكرار لفائدة أو ليس بتكرار؟ **الجواب**: ليس بتكرار في المعنى، فإن قوله تعالى ذلك جواب لقول أبي جهل ومن تابعه للنبي ﷺ: «هلم نشترك في عبادة إلهك وآلهتنا، أعبد آلهتنا عاماً ونعبد إلهك عاماً، فأخبر أن ذلك لا يكون، فقله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢-٣]. صريح في الآن الحاضر، فنفي المستقبل كالمسكوت عنه، فصريح بنفي ذلك أيضاً فيه، بقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾، أي: في المستقبل، ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥]، في الحال والاستقبال، وهذا إعلام من الله تعالى له بعدم إيمان أولئك خاصة، كما قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] عامة، فلا تكرار حينئذ، وهذا من معجزاته ﷺ، فإن القائلين له ذلك ماتوا كفاراً، ولم يؤمن أحد منهم قط، والله تعالى أعلم. [١] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. ليس بتكرار مع ما بعده؛ لأنه دعاء، والثاني خبر، أي فقد تب، أي: خسر، وقيل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، أي: عمله وتب أبو لهب. [٢] ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]. قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] عام في كل شيء، فما فائدة تكرار ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. **الجواب**: هو تخصيص بعد تعميم، ليدل به على أن هذه الثلاثة من شر الشرور على الناس، لكثرة وقوعها بين الناس. [٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قوله تعالى: ﴿لَهَبٍ﴾ قرئ: (لَهَب) بفتحها، لغتان: كنهه ونهر، والفتح أكثر استعمالاً إنما يكون هذا فيما كان حرف الحلق فيه عين الفعل أو لامه في هذا الوزن. [٤] ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ﴾ قرئ: (حَمَّالَة) بالنصب على الذم، أي: أذم، أي: حمالة الحطب، لأنها كانت اشتهرت بالنميمة فجرت صفتها على الذم لها وهي: أم جميل زوجة أبي لهب. وقيل: على الحال من امرأته، لأنها فاعل لعطفها عليه، و(حمالة) حينئذ نكرة حيث أريد بها الاستقبال، أي: حالها في النار. وقرئ: (حمالة) بالرفع خبر محذوف أو خبر امرأته و﴿فِي جِيدِهَا﴾ خبر ثان، ومن يجعله صفة لامرأته قدر المضي فيه لأنه وقع على الحقيقة، فتعرف حينئذ بالإضافة وجعلها بدلاً لكل منهما، = والشريك في المملكة. **فضل سورة الإخلاص**: قال رسول الله ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن. رواه مسلم. وصح أن بعض الصحابة كان إذا صلى أضاف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى السورة التي يقرؤها بعد الفاتحة، فسأله النبي ﷺ عن سبب ذلك فقال: إني أحبها يا رسول الله، فقال ﷺ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ». رواه البخاري ومسلم. **نزول سورة الفلق**: نزلت بعد سورة الفيل، وهي مدنية. عدد كلمات سورة الفلق: ثلاث وعشرون. عدد حروف سورة الفلق: أربعة وسبعون. أسماء سورة الفلق: =



سُورَةُ الْفَلَقِ ١ - **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** : الذي لا ينبغي العبادة إلا له. **أَحَدٌ** : بمعنى: واحد لا ثاني له، ولا شريك. ٢ - **اللَّهُ الصَّمَدُ** : الاسم الشريف مبتدأ، و«الصمد» خبره. والصمد: هو الذي يضمّد إليه، أي يقصد إليه في الحوائج والرغائب، لا يستغني عنه مخلوق، وهو الغني عنهم. وقال ابن عباس: الصمد: السيد الذي قد كُمل فيه كل وجه من وجوه السُّودد. ٣ - **لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** : ليس بفان، لأنه لا شيء يلد إلا وهو فان بائد. **وَلَمْ يُولَدْ** : يقول عز وجل: ليس بمُحْدَث لم يكن، ولكنه قديم لم يزل، ودائم لا يبید. قلت: وتوضح الآية أن الله تعالى هو وحده الخالق مسبب الأسباب، وأن قانون السببية الذي وضعه في الكون إنما ينطبق على العباد لا على ربّ العباد؛ فهو تعالى لم يلد (أي غيره) ولم يولد (أي من غيره) فهو الأول والآخر سبحانه وتعالى. ٤ - **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** : ليس له شبه، ولا عدل. والكفو: النظير. **سُورَةُ الْفَلَقِ** ١ - **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** : «أعوذ»: احتمي وأستجير، و«الفلق» هو فلَق الصبح. يقال: هو أيّن من فلَق الصبح. وفي ذلك إشارة إلى أن القادر على إزالة الظلمات الشديدة عن هذا العالم يقدر على أن يدفع عن العائد كل ما يخافه ويخشاه. ٣ - **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** : الغاسق: الليل. **إِذَا وَقَبَ** : إذا أظلم ودخل على الناس. و«الغسق»: الظلمة. ٤ - **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** : السواحر اللواتي ينفثن في عُقَد الخيط حين يرقين عليها. وقيل في معنى الاستعاذة من شرهن: إنها من فتنتهن الناس بسحرهن، وما يخدعنهم به من الباطل. ويجوز أن يراد بالنفاثات: النساء اللاتي يفتن الرجال بالتعرض لهم، وعرض محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك، وينفثن في عُقَد عزائمهم. ٥ - **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** : الحسد: تمنى زوال النعمة عن المحسود. **إِذَا حَسَدَ** : إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود. **سُورَةُ النَّاسِ** ١، ٤ - **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** : أي كلفهم وأمرهم ونهاهم **إِلَهُ النَّاسِ** : أي مالوهم ومحبوهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق إلى غيره. **النَّاسِ** : أمره الله عز وجل أن يستجير برب الناس، أي خالقهم وفاطرهم. **مَلِكِ النَّاسِ** : أي الذي كلفهم وأمرهم ونهاهم **إِلَهُ النَّاسِ** : أي مالوهم ومحبوهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق إلى غيره.

المكلف العابد إلا له. ويدل هذا الترتيب على أن «الإلهية» خاتمة وغاية. **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَفِيِّ** : من شر الشيطان أي: ذي الوسواس. والوسوسة: الصوت الخفي، وتطلق على حديث النفس، وغالباً بما لا يُحمد منه. **الْخَفَّاسِ** : الذي يخس مرة، ويوسوس أخرى، والخنوس هو التأخر والرجوع، وإنما يخس عند ذكر العبد ربه. ٦ - **مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** : بيان للذي يوسوس، وأنه نوعان: جني وإنسي، أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أن يقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يقع الشيطان فيه بوسوسته، كما قال تعالى: **«شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ»** [الأنعام: ١١٢] أعاذنا الله تعالى من الجميع بمنه وكرمه. [١] **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** : أخرج الترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، من طريق أبي العالية، عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** إلى آخرها. وأخرج الطبراني، وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله: فاستدل بها على أن السورة مكية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم: كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** إلى آخرها. وأخرج ابن جرير عن قتادة، وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله، فاستدل بهذا على أنها مدنية. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة: قالت الأحزاب قالوا: انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السورة. وهذا المراد بالمشرّكين في حديث أبي، فتكون السورة مدنية، كما دل عليه حديث ابن عباس، ويتنفي التعارض بين الحديثين. لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب، وآدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب النار، والسماء من دخان، والأرض من زبد الماء، فأخبرنا عن ربك، فلم يجبه، فأتاه جبريل بهذه السورة: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** [١] **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** : إلى آخر السورة. أخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فأتاه ملكان، فقعده أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طَب، قال: وما طَب؟ قال: سحر، قال ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في ركية، فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة، ثم خذوا الركية وأحرقوها. فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر، فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الخناء، فنزحوا الماء. ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الركية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة: **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»** و **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»**. لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين، وله شاهد بنزولهما. وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئاً، فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخل عليه أصحابه، فظنوا أنه لما به، فأتاه جبريل بالمعوذتين، فعوذه بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحاً.

= يخفيه، ولا يرتب عليه أذى بوجه ما لا يبلّغه ولا يبلّسانه ولا يبيده، بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد. قال ابن تيمية: ما خلا جسد من حسد، فالكرام يخفيه والثيم يبيده. قال ابن القيم: في المعوذتين: حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس. [١] **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** : [الناس: ١]، قوله تعالى: **«بِرَبِّ النَّاسِ»** وهو رب كل شيء، فما وجه تخصيص الناس؟ **الجواب**: أن المستعاذ منه الوسوسة، وهي مخصوصة بالناس، فناسب استعاذتهم لسيدهم وتسميتهم لذلك. [١] **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** : [الناس: ١]، تكرر لفظ **«الناس»** في السورة خمس مرّات، قيل: تكرر تبجيلاً لهم على ما سبق، وقيل: تكرر لانفصال كل آية عن الأخرى بعدم حرف العطف.

[٤] **«وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»** : قوله تعالى: **«كُفُوًا»** : قرئ: (كُفُواً) بإبدال الهمزة التي هي أصل الكلمة واوًا للتخفيف بعد ضم ما قبلها، وهو عين الفعل أو إسكانه. وقرئ: (كُفُواً) بإبقاء الهمزة على أصله. [٤] **«وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ»** : قوله تعالى: **«النَّفَّاثَاتِ»** : بآلف بعد النون وكسر الفاء مخففة: جمع ناثفة. وقرئ: (النَّفَّاثَاتِ) بفتح النون وتشديد الفاء وفتحها، وآلف بعدها بلا آلف بعد النون: جمع ناثفة، الكل مأخوذ من النفث، وهو سبب النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه، فإذا كان معه ريق فهو: التفل. = سميت سورة الفلق، لمفتتحها. **مواضيع سورة الفلق** : معظم مقصود السورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة الليل الديجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين. نزول سورة الناس: بدأت بفعل أمر **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»** والسورة مدنية. عدد كلمات سورة الناس: عشرون. عدد حروف سورة الناس: تسعة وسبعون. أسماء سورة الناس: سميت سورة الناس؛ لتكررها فيها خمس مرّات. **مواضيع سورة الناس** : معظم مقصود السورة: الاعتصام بحفظ الحق تعالى وحياطته، والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان، ومن تعدي الجن والإنسان. **فضل سورة الفلق والناس** : حديث عتبة أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟" قال: قلت: بلى، قال: **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»** و **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»**. "رواه مسلم والترمذي.

دراسة جمل القرآن

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَهُدًى وَرَحْمَةً * اللَّهُمَّ دَعِّنِي مِنْهُ مَا دَعَيْتَ وَعَلَيَّ مِنْهُ مَا جَاءَكَ وَأَرْزُقْنِي وَلَا تَقْنُتْهُ إِنَّهُ أَلَى الْأَلْيَانِ وَأَمْلَأْ لِي الْقَلْبَ وَاجْعَلْهُ لِي حِجَّةً يَارَبِّ الْمَسَالِكِ * اللَّهُمَّ أَمْلِكْ لِي فِي يَدِي الْقُرْآنَ وَمُوعِظَةً لِي فِي نَفْسِي وَنَصِيحَةً لِي فِي عَمَلِي وَأَصْلِحْ لِي فِي خَيْرِ الْأَلْفِ فِيهَا مَعَايِي وَأَصْلِحْ لِي فِي خَيْرِ الْأَلْفِ فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلْهُ لِي حِجَّةً وَبَيِّنَةً لِي فِي كُلِّ غَيْرٍ وَاجْعَلْهُ لِي نَوَافِلَ لِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ * اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِي عَمَلًا يَنْفَعُنِي فِي حَيَاتِي وَخَيْرًا لِي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ * اللَّهُمَّ ارْقُبْ أَسْأَلَكَ عِيَّةً هَيِّئْهُ وَمِيسَةً سَوِّهُ وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضٍ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسَالِكِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعِلْمِ وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرَ الْوَسَائِلِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَوْتِ وَخَيْرَ النَّفْسِ وَخَيْرَ النَّفْسِ وَخَيْرَ الْمَوَازِينِ وَخَيْرَ الْإِيمَانِ وَأَرْفَعُ دَجَنِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَأَعِزَّنِي بِحَبْلِكَ وَأَسْأَلَكَ الْمَلَائِكَةَ الْمُنَجِّتَةَ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِرَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ لُغْمٍ وَالْفَيْضَ مِنْ كُلِّ بَيْرٍ وَالْقُوَّةَ بِأَجْنَةِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خُرْبِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ * اللَّهُمَّ أَقِيمْ لَنَا بِحَبْلِكَ مَا نَحْمِلُ بِهِ نَفْسَنَا وَبَيْنَ مَعُونَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا نَلْقَاهَا بِهَا جَنَّتْكَ وَمِنْ الْيَقِينِ مَا نَهْوُنَ بِهِ عَنْهَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَنَقِصَاتِهَا وَأَنْصَارَ نَاوِقَاتِهَا مَا نَحْمِلُهَا وَأَجْعَلْهُ لَنَا نَوَافِلَ لِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَصْلِحْ لِي فِي خَيْرِ الْأَلْفِ فِيهَا مَعَايِي وَأَصْلِحْ لِي فِي خَيْرِ الْأَلْفِ فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلْهُ لِي حِجَّةً وَبَيِّنَةً لِي فِي كُلِّ غَيْرٍ وَاجْعَلْهُ لِي نَوَافِلَ لِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ * اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ خَلْقِكَ إِلَّا أَصْلَحْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّاهِهِمُ الْخَيْرَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بهذا المصحف الشريف

وَمُصْطَلَحَاتُ رَسْمِهِ وَضَبْطِهِ وَعَدَائِهِ

كُتِبَ هَذَا الْمَصْحَفُ الْكَرِيمُ، وَضُبُّهُ عَلَى مَا يُوَافِقُ رَوَايَةَ حَفِصِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ لِقِرَاءَةِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ الْكُوفِيِّ النَّبَيعِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ السَّامِيِّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفْقَانَ، وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأُثْبِنَ ابْنُ كَثَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأُخِذَ هَبْجَاهُ بِمَارَؤَاهُ عَلَمَاءُ الرَّسْمِ عَنِ الْمَصَاحِفِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُثْمَانُ بْنُ عَفْقَانَ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» إِلَى مَكَّةَ، وَالْبَصْرَةَ، وَالْكُوفَةَ، وَالشَّامِ، وَالْمَصْحَفِ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالْمَصْحَفِ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ نَفْسُهُ، وَعَنِ الْمَصَاحِفِ الْمُنْتَسَخَةِ مِنْهَا، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ الشَّيْخَانُ: أَبُو عَمْرٍو الدَّقْنِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَسَاجٍ مَعَ تَرْجِيحِ الثَّانِي عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ غَالِبًا، وَقَدْ يُؤْخَذُ بِقَوْلِ غَيْرِهِمَا.

هَذَا، وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ هَذَا الْمَصْحَفِ مُوَافِقٌ لِتَطْبِيقِهِ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ السَّابِقِ ذَكَرَهَا.

وَأُخِذَتْ طَرِيقَةُ ضَبْطِهِ بِمَاقَرَرِهِ عَلَمَاءُ الضَّبْطِ عَلَى حَسَبِ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ «الطَّرَازِ عَلَى ضَبْطِ الْحَرَازِ» لِلْإِمَامِ النَّبَيعِيِّ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ، مَعَ الْأَخْذِ بِعَلَامَاتِ

الْخَلِيلِ بِأَحْسَدٍ، وَأَتَّبَعَهُ مِنَ الشَّارِقَةِ غَالِبًا بِدَلَالَةٍ مِنْ عِلَالَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَالْمَغَارِبَةِ. وَاتَّبَعْتُ فِي عَدَائِهِ طَرِيقَةَ الْكُوفِيِّينَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ السَّامِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ ٦٢٣٦ آيَةً.

وَقَدْ اعْتَمَدْتُ فِي عَدَائِهِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ «الْبَيَانِ» لِلْإِمَامِ أَبِي عَمْرٍو الدَّقْنِيِّ وَ«نَاطِمَةِ الزُّهْرِ» لِلْإِمَامِ الشَّاطِئِيِّ، وَتَرْجِيحَهَا لِلْعَلَامَةِ أَبِي عَمْرٍو رَضَوْنَ الْخَلَلَاتِي وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ الْقَاضِي، وَ«تَحْقِيقِ الْبَيَانِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمُتَوَلَّى وَمَا وَرَدَ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْمَدُونَةِ فِي عِلْمِ الْفَوَاصِلِ.

وَأُخِذَ بَيَانُ أَجْرَائِهِ الثَّلَاثِينَ، وَأَحْرَابِهِ السِّتِينَ، وَأَنْصَابُهَا وَأَرْبَاعُهَا مِنْ كِتَابِ «عَيْثُ النَّقْعِ» لِلْعَلَامَةِ الصَّفَّاحِيِّ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ.

وَأُخِذَ بَيَانُ مَكِّيَّهِ، وَمَدَنِيَّهِ فِي الْجَدُولِ الْمُلْحَقِ بِآخِرِ الْمَصْحَفِ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْفَرَائِدِ.

وَلَمْ يُذَكَّرِ الْمَكِّيُّ، وَالْمَدَنِيُّ بَيْنَ دَفْعِي الْمَصْحَفِ أَوَّلَ كُلِّ سُورَةٍ اتِّبَاعًا لِإِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَى تَجْرِيدِ الْمَصْحَفِ مِمَّا سِوَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، حَيْثُ يُقَالُ الْأَمْرُ بِتَجْرِيدِ الْمَصْحَفِ مِمَّا سِوَى الْقُرْآنِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَأَبِي مَسْعُودٍ، وَالتَّخْفِيِّ، وَأَبِي سَبْرٍ، وَكَأَنَّهُ «الْمُحْكَمُ» لِلدَّقْنِيِّ، وَ«كِتَابُ الْمَصَاحِفِ» لِأَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا، وَلَئِنْ بَعْضُ السُّورِ مُخْتَلَفٌ فِي مَكِّيَّتِهَا وَمَدَنِيَّتِهَا، كَمَا لَمْ تُذَكَّرِ الْآيَاتُ الْمُسْتَشْنَاءَةُ مِنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ، لِأَنَّ الرِّيحَ أَنَّ مَازِلَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، أَوْ فِي طَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَهُوَ مَكِّيٌّ، وَإِنْ نَزَلَ بِغَيْرِ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَا نَزَلَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ فَهُوَ مَدَنِيٌّ وَإِنْ نَزَلَ بِمَكَّةَ، وَلَئِنْ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا خِلَافٌ فَحَلُّهُ كُتُبُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَأُخِذَ بَيَانُ وَقُوفِهِ بِمَاقَرَرَتِهِ اللَّجَنَةُ الْمُشْرِفَةُ عَلَى مُرَاجَعَةِ هَذَا الْمَصْحَفِ عَلَى حَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ الْمَعَانِي مُسْتَرِشِدَةً فِي ذَلِكَ بِأَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ وَعِلْمَاءِ الْوَقْفِ وَالْإِتِّدَاءِ: كَالدَّقْنِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْمُكْتَفَى فِي الْوَقْفِ وَالْإِتِّدَاءِ»، وَأَبُو جَعْفَرِ النَّخَّاسِ فِي كِتَابِهِ «الْقَطْعُ وَالْإِتِّتَافُ» وَمَطَابِعُ مِنَ الْمَصَاحِفِ سَابِقًا.

وَأُخِذَ بَيَانُ السَّجَدَاتِ، وَمَوَاضِعُهَا مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى خِلَافٍ فِي خَمْسٍ مِنْهَا بَيْنَ الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَمْ تَنْعَرْزُ اللَّجَنَةُ لِذِكْرِ غَيْرِهِمْ وَفَاقًا أَوْخِلَافًا، وَهِيَ السَّجْدَةُ الثَّانِيَةُ بِسُورَةِ الْحَجِّ، وَالسَّجَدَاتُ الْوَارِدَةُ فِي السُّورِ الْإِتِّيَةِ: ص، وَالنَّجْمِ، وَالْإِنْشِقَاقِ، وَالْعَلَقِ.

وَأُخِذَ بَيَانُ مَوَاضِعِ السَّكَنَاتِ عِنْدَ حَفِصٍ مِنَ «الشَّاطِئِيَّةِ» وَشُرُوحِهَا وَتَعْرِفُ كَيْفِيَّتُهَا بِالتَّلَقُّيِّ مِنْ أَقْوَامِ الشُّبُوحِ.

لُصْطِلَاحَاتُ الضَّبْطِ

وَضَعُ دَائِرَةَ خَالِيَةِ الْوَسْطِ هَكَذَا «ه» فَوْقَ أَحَدِ أَحْرَفِ الْعِلَّةِ الثَّلَاثَةِ الْمَزِيدَةِ رَسْمًا يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ ذَلِكَ الْحَرْفِ، فَلَا يُطَبَّقُ بِهِ فِي الْوَصْلِ وَلَا فِي الْوَقْفِ نَحْوُ: (عَامِنُوا) (يَتْلُوا صُحُفًا) (لَا أَذْبَحْتُهُ) (أُولَئِكَ) (مِنْ نَبَائِي الْمُرْسَلِينَ) (بَيِّنَتْهَا بِآيَاتِهِ).

وَوَضَعُ دَائِرَةَ قَائِمَةٍ مُسْطِيلَةٍ خَالِيَةِ الْوَسْطِ هَكَذَا «ه» فَوْقَ أَلِفٍ بَعْدَهَا مَتَحَرِّكٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَتِهَا وَصَلًّا لَا وَقْفًا نَحْوُ: (أَنَا خَيْرُكُمْ) (لَكِنَّهَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) وَأَهْمِلْتُ الْأَلْفَ الَّتِي بَعْدَهَا سَاكِنٌ نَحْوُ: (أَنَا الْذَّيْثُ) مِنْ وَضْعِ الْعَلَامَةِ السَّابِقَةِ

فوقها ، وإن كان حكمها مثل التي بعدها متحرك في أنها تسقط وصلًا ، وتثبت وفقًا لعدم توهم ثبوتها وصلًا .

ووضع رأس حاء صغيرة بدون نقطة هكذا « ح » فوق أي حرف يدل على سكن ذلك الحرف وعلى أنه مظهر بحيث يقرعه اللسان نحو : (من خير) (أو عظمت) (قد سمع) (نصبت جلودهم) (وإذ صرفنا)

وتعريف الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغامًا كاملاً بحيث يذهب معه ذات المدغم وصفته ، فالتعريف تدل على الإدغام ، والتشديد يدل على كماله ، نحو : (من ليست) ، (من ريتك) (من نور) (من ملاء) (أجبت دعوتكما) (عصوا أو كانوا) (وقالت طائفة) (بل رفعة الله إليه) وكذا قوله تعالى : (ألم تخلقهم) .

وتعريفه مع عدم تشديد التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغامًا ناقصًا بحيث يذهب معه ذات المدغم مع بقاء صفته نحو : (من يقول) (من وال) ، (فرطتم) (بسطت) (أخطت) ، أو يدل على إخفاء الأول عند الثاني ، فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ، ولا هو مدغم حتى يلب من جنس تاليه سواء أكان هذا الإخفاء حقيقياً نحو : (من فتحها) أم شفويًا نحو : (جاءهم بالحق) على ما جرى عليه أكثر أهل الأداء من إخفاء الميم عند الباء .

وتركيب الحركتين « حركة الحرف والحركة الدالة على التثنية » سواء أكانتا ضميتين ، أم فتحتين ، أم كسرتين هكذا (هـ = ي) يدل على إظهار التثنية نحو : (حريص عليكم) (حليماً عفواً) (ولكل قوم هاد) .

لذلك سلف صحيح مقبول ، فبقي الضبط باللون الأسود لأن المشايخ اعتادوا عليه . وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عول في النطق على الحرف الملحق لأعلى البدل نحو : (الصلوة) (كمشكوة) (الزبوا) (وإذ استسقى موسى لقومه) . ووضع السين فوق الصاد في قوله تعالى : (والله يقصص ويخسط) (في الخلق بضطة) يدل على قرأتهما بالسين لا بالصاد لإحقيق من طريق الشاطبية .

فإن وضعت السين تحت الصاد دل على أن النطق بالصاد أشهر ، وذلك في كلمة (المصيطرون) . أما كلمة (يمصيطر) بسورة الغاشية فالصاد فقط لإحقيق أيضاً من طريق الشاطبية .

ووضع هذه العلامة « س » فوق الحرف يدل على لزوم مدّه مدّاً زائداً على المد الطبيعي الأصلي : (ألم) (الظامة) (فروع) (سى بهمة) (شققوا) (وما يعلم تأويله إلا الله) (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما) (بما أنزل) على تفصيل يعلم من في التجويد .

ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكوبة مثل : (آمنوا) كما وضع غلطاً في بعض المصاحف ، بل كتبت (آمنوا) بهززة وألف بعدها .

ووضع هذه العلامة « هـ » تحت الحرف بدلاً من الفتحة يدل على الإمالة وهي المسماة بالإمالة الكبرى وذلك في كلمة (معجزتها) بسورة هود .

ووضع العلامة المذكورة فوق آخر الميم في ثوب المشددة من

وتتابعهما هكذا : (هـ = ي) مع تشديد التالي يدل على الإدغام الكامل نحو : (لره وف رجيم) (مبصرة ليتبعوا) (يومئذ ناعمة) .

وتتابعهما مع عدم تشديد التالي يدل على الإدغام الناقص نحو : (رجيم ودود) (وأنهدا وسبلا) (في جنت وعيون) أو على الإخفاء نحو : (يشاهب ثاقب) (سراعاً ذلك) (على كل شيء قدير) .

فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف ، وتتابعهما بمنزلة تعريفه عنه ووضع ميم صغيرة هكذا : « م » بدل الحركة الثانية من التثنية ، أو فوق الثون الساكنة بدل السكون ، مع عدم تشديد الباء التالية يدل على قلب التثنية أو الثون الساكنة ميمًا نحو : (عليم بذات الصدور) (جزاء بما كانوا) (كرام بررة) (أنبيهم) (ومن بعد) .

والحروف الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة في خط المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها نحو : (ذلك أكتب) (داود) ، (يلوون ألسنتهم) (يحيى ويحيى) (إن ربه وكان به بصيرا) (إن ولي الله) (إلههم) (وكذلك ينبغي المؤمنين) .

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر خروف الكتابة الأصلية ولكن تذر ذلك في المطابع أول ظهورها ، فاكفى بتصغيرها للدلالة على المقصود للفرق بين الحرف الملحق والحرف الأصلي .

والآن لحاق هذه الأحرف بالهمزة متيسر ولو ضبطت المصاحف بالهمزة والصفرة والخضرة وفق التفصيل المعروف في علم الضبط لكان

قوله تعالى (مالك لا تأمنا) يدل على الإشمام ، وهو ضم الشفتين كما يريد النطق بالضمّة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة ، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق .

فهذه الكلمة مكونة من فعل مضارع مرفوع آخره ثون مضمومة ، لأن (لا) نافية و (نا) مفعول به أول ثون فأصلها (تأمنا) بثوئين ، وقد أجمع كتاب المصاحف على رسمها بثوئين واحدة ، وفيها للقرء العشرة ما عدا أباجعفر وجهان :

أحدهما : الإشمام - وقد تقدم - والإشمام هنا مقارن لسكون الحرف المدغم .

وثانيهما : الزوم ، والمراد به النطق بثلثي الحركة المضمومة ، وعلى هذا يذهب من الثون الأولى عند النطق بها ثلث حركتها ، ويعرف ذلك كله بالتلقى ، والإشمام مقدّم في الأداء .

وقد ضبطت هذه الكلمة ضبطاً صالحاً لكل من الوجهين السابقين . ووضع هذه النقطة « . » مضمومة بدون الحركة مكان الهمزة يدل على تسهيل الهمزة بين بين ، وهو هنا النطق بالهمزة بينها وبين الألف . وذلك في كلمة (أعجمي) بسورة فصلت .

ووضع رأس صا صغير هكذا « ص » فوق ألف الوصل (وتسمى أيضاً همزة الوصل) يدل على سقوطها وصلًا .

والدائرة المحلاة التي في جوفها رقم تدل بيمينها على انتهاء الآية ، ويرقها

على عدد تلك الآية في السورة نحو: إِنَّا أَنْعَمْنَا بِكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ
وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ولا يجوز وضعهما قبل الآية البتة.
فلذلك لا توجد في أوائل السور وتوجد في أواخرها.

وتبدل هذه العلامة « ۞ » على بداية الأجزاء والأخبار وأنصافها وأرباعها.
ووضع خط أفقي فوق كلمة يدل على موجب السجدة .

ووضع هذه العلامة « ۞ » بعد كلمة يدل على موضع السجدة نحو:
وَلِلَّهِ يَتَّخِذُ مِمَّا فِي السَّمُوتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكَرُونَ
يَخْلُقُونَ رِيبَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ٥٠

ووضع حرف السين فوق الحرف الأخير في بعض الكلمات يدل على السكت
في حال وصله بما بعده سكتة يسيرة من غير تنقيس .

وردد عن حفص عن عاصم السكت بلا خلاف من طريق الشاطبية على
ألف (عوجاً) بسورة الكهف . وألف (مترقداً) بسورة يس . وتون
(من راق) بسورة القيامة . ولام (بل زان) بسورة المطففين .

ويجوز له في هاء (مالية) بسورة الحاقة وجهان :

أحدهما : إظهارها مع السكت ، وثانيهما : إدغامها في الهاء التي بعدها في
لفظ (هلك) إدغاماً كاملاً ، وذلك بتجريد الهاء الأولى من الشكون مع
وضع علامة التشديد على الهاء الثانية .

وقد ضبط هذا الموضع على وجه الإظهار مع السكت ، لأنه هو الذي عليه
أكثر أهل الأداء ، وذلك بوضع علامة الشكون على الهاء الأولى مع تجريد

الهاء الثانية من علامة التشديد ، للدلالة على الإظهار .

ووضع حرف السين على هاء (مالية) للدلالة على السكت عليها سكتة يسيرة
بدون تنقيس لأن الإظهار لا يتحقق وصلاً إلا بالسكت .

والحاق وأو صغيرة بعد هاء ضمير المفرد الغائب إذا كانت مضمومة يدل
على صلة هذه الهاء بواو لفظية في حال الوصل ، والحاق ياء صغيرة مردودة
إلى خلف بعد هاء الضمير المذكور إذا كانت مكسورة يدل على صلتها بياء
لفظية في حال الوصل أيضاً .

وتكون هذه الصلة بنوعيتها من قبيل المد الطبيعي إذا لم يكن بعدها همز
فتمد بمقدار حركتين نحو قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) .

وتكون من قبيل المد المنفصل إذا كان بعدها همز ، فوضع عليها علامة
المد وتمد بمقدار أربع حركات أو خمس نحو قوله تعالى : (وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ)
وقوله جل وعلا : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) .

والقاعدة : أن حفصاً عن عاصم يصل كل هاء ضمير للمفرد الغائب بواو
لفظية إذا كانت مضمومة ، وياء لفظية إذا كانت مكسورة بشرط أن يتحرك
ما قبل هذه الهاء وما بعدها ، وتلك الصلة بنوعيتها إنما تكون في حال
الوصل . وقد استثنى لحفص من هذه القاعدة ما يأتي :

- (١) - الهاء من لفظ (برضة) في سورة الزمر فإن حفصاً صمها بدون صلة .
- (٢) - الهاء من لفظ (أرجة) في سورة الأعراف والشعراء فإنه سكتها .
- (٣) - الهاء من لفظ (فألقة) في سورة التمل فإنه سكتها أيضاً .

وإذا سكن ما قبل هاء الضمير المذكورة ، وتحرك ما بعدها فإنه لا يصلها إلا
في لفظ (فيه) في قوله تعالى : (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) في سورة الفرقان .

أما إذا سكن ما بعد هذه الهاء سواء أكان ما قبلها متحركاً أم ساكناً
فإن الهاء لا توصل مطلقاً ، لتلا يجمع ساكنان . نحو قوله تعالى :
(لَهُ الْمُلْكُ) (وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ) (فَأَنْزَلْنَاهُ الْمَاءَ) (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) .

تسبيلات :

(١) - إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل الدخلة على لام التعريف
جاز لحفص في همزة الوصل وجهان :

أحدهما : إبدالها ألفاً مع المد المشبع « أي بمقدار ست حركات » .
وثانيهما : تسهيلها بين « أي بينها وبين الألف » مع القصر والراء
به عدم المد أصلاً .

والوجه الأول مقدّم في الأداء وجرى عليه الضبط .

وقد ورد ذلك في ثلاث كلمات في ستة مواضع من القرآن الكريم :

(١) - (ءالكرين) في موضعيه بسورة الأنعام .

(٢) - (ءالكن) في موضعيه بسورة يونس .

(٣) - (ءالله) في قوله تعالى : (قُلْ ءاللهُ أَذُنٌ لَكُمْ) بسورة يونس .

وفي قوله جل وعلا : (ءالله خير أم أياشرون) بسورة التمل .

كما يجوز الإبدال والتسهيل لبقية الفراء في هذه المواضع ، واختص أبو عمرو

وأبو جعفر بهذين الوجهين في قوله تعالى : (مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) بسورة يونس .
على تفصيل في كتب الفراءات .

(ب) - في سورة الروم وردت كلمة (ضعف) مجرورة في موضعين
ومنصوبة في موضع واحد .

وذلك في قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
بَعْدِ ضَعِفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) .

ويجوز لحفص في هذه المواضع الثلاثة وجهان :

أحدهما : فتح الصاد . وثانيهما : صمها
والوجهان مقروء بهما ، والفتح مقدّم في الأداء .

(ج) - في كلمة (ءاتنين) في سورة التمل وجهان وقفاً :

أحدهما : إثبات الياء ساكنة . وثانيهما : حذفها مع الوقف على التون ساكنة .

أما في حال الوصل فتثبت الياء مفتوحة .

(د) - وفي كلمة (سلسلاً) في سورة الإنسان وجهان وقفاً :

أحدهما : إثبات الألف الأخيرة . وثانيهما : حذفها مع الوقف على اللام ساكنة .

أما في حال الوصل فتحذف الألف .

وهذه الأوجه التي تقدمت لحفص ذكرها الإمام الشاطبي في نظمه
المسمى : « حرز الأمان ووجه التهاني » الشاطبية .

هذا ، والمواضع التي تخيل فيها الطرق ضبطت لحفص بما وافق طريق الشاطبية .

الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

تم بعون الله وتوفيقه مراجعة هذا المصحف الشريف على أمهات كتب القراءات
والرسم والضبط والفواصل والوقف والتفسير .

تحت إشراف إدارة البحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
الشريف بمعرفة لجنة مراجعة المصاحف برئاسة :

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراوي

(رئيس لجنة المصحف وشيخ عموم المقارئ المصرية)

والشيخ / سيد علي عبد المجيد عبد السميع - وكيلاً

والشيخ / حسن عبد النبي عبد الجواد عراقي - وكيلاً

وعضوية كل من

الشيخ / حسن عيسى حسن المعصراوي
الدكتور / بشير أحمد دعبس
الشيخ / محمد السيد عفيفي سلامة
الشيخ / محمد حسين سعد
الشيخ / صبري رجب كريم
الشيخ / أحمد خلف عبد الكريم
الشيخ / السيد محمد أحمد علي
الشيخ / سلامة كامل جمعة
الشيخ / علي سيد شرف
الشيخ / محمد أحمد الجعيد
الشيخ / أحمد زكي بدر الدين
الدكتور / عبد الكريم عوض صالح
الشيخ / عبد الرحمن محمد كساب
الشيخ / محمد مصطفى علوة

الشيخ / ياسر محمد أحمد الجندي

عَلَامَاتُ الْوَقْفِ

م عَلَامَةُ الْوَقْفِ اللَّانِمُ نَحْوُ : (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
وَأَلْمَوْا بِعَبَثِهِمْ) .

لا عَلَامَةُ الْوَقْفِ الْمُنْعِ ، نَحْوُ : (الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ) .

ج عَلَامَةُ الْوَقْفِ الْجَائِزِ جَوَازًا مُسَوِّىَ الطَّرَفَيْنِ . نَحْوُ :
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) .

ص عَلَامَةُ الْوَقْفِ الْجَائِزِ مَعَ كَوْنِ الْوَصْلِ أَوَّلَى . نَحْوُ :
(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

قل عَلَامَةُ الْوَقْفِ الْجَائِزِ مَعَ كَوْنِ الْوَقْفِ أَوَّلَى . نَحْوُ :
(قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ) .

.. عَلَامَةُ تَعَاتِي الْوَقْفِ بِحَيْثُ إِذَا وَقَفَ عَلَى أَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ لَا يَصِحُّ
الْوَقْفُ عَلَى الْآخَرِ . نَحْوُ :
(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) .

فَهْرَسْتُ بِاسْمِ الشَّوْكِ وَبَيَانِ الْمَكِّي وَالْمَدَنِيِّ مَتْنًا

الشُّوْبة	رقم	الشُّوْبة	رقم	الشُّوْبة	رقم	الشُّوْبة	رقم
الْفَتْحَةُ	١	الرُّسْرُ	٣٩	المُرْتَلَات	٧٧	كَيْتَةُ	٥٨٠
الْبَقْرَةُ	٢	عُتَافُ	٤٠	النَّبَا	٧٨	كَيْتَةُ	٥٨٢
أَلْعَزَلُ	٣	فُضِّلَتْ	٤١	النَّارِغَات	٧٩	كَيْتَةُ	٥٨٣
الزَّكَاةُ	٤	الشُّوْكَ	٤٢	عَبَسَ	٨٠	كَيْتَةُ	٥٨٥
السَّائِدَةُ	٥	الرَّخِيفُ	٤٣	التَّكْوِيرُ	٨١	كَيْتَةُ	٥٨٦
الْأَعْيَانُ	٦	الْتَحَانُ	٤٤	الْإِنْطِطَارُ	٨٢	كَيْتَةُ	٥٨٧
الْأَنْشَاءُ	٧	الْمُجَانِسَةُ	٤٥	الْمُطْقِفِينَ	٨٣	كَيْتَةُ	٥٨٧
الْأَنْشَاءُ	٨	الْأَخْفَافُ	٤٦	الْإِنْشِقَاقُ	٨٤	كَيْتَةُ	٥٨٩
التَّوْبَةُ	٩	مَحْسَدُ	٤٧	الشُّوْجُ	٨٥	كَيْتَةُ	٥٩٠
يُؤْتِي	١٠	الْمُشَقُّ	٤٨	الطَّارِقُ	٨٦	كَيْتَةُ	٥٩١
هُشُوْد	١١	الْمُحَرَّرَات	٤٩	الْأَفْطَلُ	٨٧	كَيْتَةُ	٥٩١
يُؤْتِي	١٢	قَت	٥٠	الْعَاقِبَةُ	٨٨	كَيْتَةُ	٥٩٢
الرَّحْمَةُ	١٣	الْمَارِيَات	٥١	الْعَجْرُ	٨٩	كَيْتَةُ	٥٩٢
إِبْرَاهِيمُ	١٤	الْمَطْرُودُ	٥٢	الْبَسَلَةُ	٩٠	كَيْتَةُ	٥٩٤
الْمَجْدُ	١٥	النَّجْمُ	٥٣	الشُّشُ	٩١	كَيْتَةُ	٥٩٥
النَّشْرُ	١٦	الْفَتْحُ	٥٤	الْبَلَلُ	٩٢	كَيْتَةُ	٥٩٥
الْإِنْشَاءُ	١٧	الرَّحْمَنُ	٥٥	الطَّحْنُ	٩٣	كَيْتَةُ	٥٩٦
الْكُفُّ	١٨	الْوَاقِعَةُ	٥٦	الشُّرَكَ	٩٤	كَيْتَةُ	٥٩٦
عَبَسَ	١٩	مَحْدَدُ	٥٧	الْقَيْنُ	٩٥	كَيْتَةُ	٥٩٧
طِه	٢٠	الْمُجَادِلَةُ	٥٨	الْعَاقُ	٩٦	كَيْتَةُ	٥٩٧
الْأَنْبِيَاءُ	٢١	الْمُشَرِّ	٥٩	الْقَتْرُ	٩٧	كَيْتَةُ	٥٩٨
الْمُنْجُ	٢٢	الْمُتَّحِنَةُ	٦٠	الْبَيْتَةُ	٩٨	كَيْتَةُ	٥٩٨
لِلْمُؤْمِنِينَ	٢٣	الطَّبَقُ	٦١	الزَّلْزَلَةُ	٩٩	كَيْتَةُ	٥٩٩
الشُّوْر	٢٤	الْمُشَقَّةُ	٦٢	الْعَادَاتُ	١٠٠	كَيْتَةُ	٥٩٩
الْمُشَقَّةُ	٢٥	الْمُتَافِقُونَ	٦٣	الْعَادَةُ	١٠١	كَيْتَةُ	٦٠٠
الشُّعْلَةُ	٢٦	الْمُتَكَاسِرُ	٦٤	الْمُتَكَاسِرُ	١٠٢	كَيْتَةُ	٦٠٠
الشُّعْلُ	٢٧	الْمُتَلَقُّ	٦٥	الْعَصْرُ	١٠٣	كَيْتَةُ	٦٠١
الْقَضِيَّةُ	٢٨	الْمُتَحَدِّثُ	٦٦	الْمُشَقَّةُ	١٠٤	كَيْتَةُ	٦٠١
الْعَنْكَبُوتُ	٢٩	الْمُتَلَقُّ	٦٧	الْقَيْلُ	١٠٥	كَيْتَةُ	٦٠١
الْقَوْمُ	٣٠	الْقَلْبُ	٦٨	قَضَرِي	١٠٦	كَيْتَةُ	٦٠٢
لِقَامُ	٣١	الْمُتَلَقُّ	٦٩	الْمُتَاعُونَ	١٠٧	كَيْتَةُ	٦٠٢
الْمُجْدَةُ	٣٢	الْمُتَلَقُّ	٧٠	الْمُتَلَقُّ	١٠٨	كَيْتَةُ	٦٠٢
الْمُتَلَقُّ	٣٣	شَوْكُ	٧١	الْمُتَلَقُّ	١٠٩	كَيْتَةُ	٦٠٢
سَجَا	٣٤	الْبَحْنُ	٧٢	الْمُتَلَقُّ	١١٠	كَيْتَةُ	٦٠٣
قَاطِرُ	٣٥	الْمُشْرَبُ	٧٣	الْمُتَلَقُّ	١١١	كَيْتَةُ	٦٠٣
يَسُ	٣٦	الْمُذْخِرُ	٧٤	الْمُتَلَقُّ	١١٢	كَيْتَةُ	٦٠٤
الْمُتَلَقُّ	٣٧	الْقِيَامَةُ	٧٥	الْمُتَلَقُّ	١١٣	كَيْتَةُ	٦٠٤
مَت	٣٨	الْإِنْشَاءُ	٧٦	الْمُتَلَقُّ	١١٤	كَيْتَةُ	٦٠٤

AL_AZHAR

ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

تمتدج رقم (٤)

إدارة المصاحف

تصريح بتداول مصحف الشريف تفسير الطبري من مائة
رقم (٣٣) الصادر في ٢٠٠٦ / ٣ / ٨ م .

السيد / دار المصاحف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

فيسر « الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية » أن تفيد سيادتكم بأنها قد وافقت
على طلبكم الخاص بتداول مصحف الشريف تفسير الطبري من مائة نسخة (برؤية غير علمية)

المكتوب بالخط الكوفي المصنف . طبع مطبعة ... للصنعة

وعلى جواز نشره في حدود الكمية المصرح لكم بتداولها قدرها (مائة نسخة)

وذلك بناء على تقرير لجنة مراجعة المصاحف الصادر بتاريخ ٢٠٠٦ / ٥ / ٢٠ م

علما بأن هذا التصريح خاضع للقانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥ الخاص بطبع وتداول

المصاحف والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

رقم ٤٧ لسنة ١٩٨٦ وقرار السيد وزير العدل رقم ١٦٣ لسنة ١٩٨٦ .

مع مراعاة الدقة التامة في جمع وترتيب الصفحات والملازم ولا تستطير الإدارة

لسحب التصريح الذي يحمل هذا الرقم ومصادرة جميع النسخ إذا ظهر إحداها خلل ما

طبقا للقانون سالف الذكر .

علما بأن هذا التصريح صالح لمدة أقصاها خمس سنوات تمضي من تاريخه .

ومرافق لهذا التصريح نسخة من المصحف المشار إليه ختمت في جميع صفحاتها

بخاتم الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريرا في ٢٠٠٦ / ٢ / ١٤ م

الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

الأمين العام

مدير عام

الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

مباحث في علوم القرآن الكريم

التعريف بالوحي

تعريف الوحي:

الوحي في اللغة معناه: الإعلام في خفاء بسرعة.

تقول: أوحيت إلى فلان: إذا كلمته في خفاء.

ومن معانيه اللغوية:

أ - الإلهام الفطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ [القصص: ٧].

ب - الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ إِلَى الْفَلِإِ أَنْ أَتِخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

ج - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء. قال تعالى عن زكريا: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

د - وسوسة الشيطان، وتزيينه الشر في نفس الإنسان. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ لِيُحْذِرُكُمُ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْلُكُمُوهُ﴾ [الأنعام: ١٢١].

هـ - أمر الله تعالى إلى ملائكته. قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

كيفية وحي الله تعالى إلى رسله:

يوحي الله تعالى إلى رسله بواسطة وبغير واسطة.

فالأول: بواسطة جبريل ملك الوحي.

والثاني: هو الذي لا واسطة فيه مثل:

١ - الرؤيا الصالحة في المنام: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»

رواه البخاري.

٢ - التكليم الإلهي من وراء حجاب يقظة. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

٣ - الدليل: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

[الشورى: ٥١].

كيفية نزول جبريل بالقرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم:

الحالة الأولى: يأتيه مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن هذه الحالة - كما يقول ابن خلدون - انسلاخ من البشرية الجسمانية

واتصال بالملكية الروحانية.

الحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلاً، ويأتيه في سورة بشر، وهذه الحالة أخف على الرسول صلى الله عليه وسلم.

الدليل على الحالتين السابقتين:

روت عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوحي، فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليّ، فيفصم عني

وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي عنه ما أقول» رواه البخاري.

التعريف بالقرآن

القرآن لغة: مصدر مرادف للقراءة، قرأ... قراءة.. قرأنا.. على وزن فعلان بالضم، كالغفران والشكران.. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) فَإِذَا

قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. [القيامة: ١٧-١٨].

واصطلاحاً: هو كلام الله المعجز المنزل باللغة العربية على محمد صلى الله عليه وسلم المسطور في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى به.

أسماء القرآن الكريم:

١ - القرآن: إشارة إلى حفظه في الصدور. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ﴾ [الإسراء: ٩].

٢ - الكتاب: قال تعالى: ﴿الَّذِي أَنزَلَكَ لَكَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الَّذِي هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَالْأَنْبِيَاءَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَالْأَنْبِيَاءَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَالْأَنْبِيَاءَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١-٢]. إشارة لكتابته في السطور.

٣- **الذكر**: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] لما فيه من التذكرة للرسول ولأُمَّته.

٤- **الفرقان**: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] إشارة إلى كونه يفرق بين الحق والباطل.

أوصاف القرآن:

١- **نور ومبين**: قال تعالى: ﴿يَتْلُوهُ الشَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

٢- **هدى وشفاء وموعظة ورحمة**: قال تعالى: ﴿يَتْلُوهُ الشَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- **بشير ونذير**: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

٤- **مبارك**: قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ...﴾ [ص: ٢٩].

ابتداء نزول القرآن على النبي ﷺ:

بدأ نزول القرآن الكريم في السابع عشر من رمضان، وكان عمر الرسول ﷺ أربعين سنة، فبينما كان ﷺ يتعبد في غار حراء نزل الوحي عليه عن طريق الملك جبريل عليه السلام، فضمه إلى صدره ثم أفلته، وفعل ذلك ثلاث مرات، وهو يقول في كل مرة: «اقرأ». والرسول يجيب: «ما أنا بقارئ»، وفي المرة الثالثة قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...﴾ [العلق: ١، ٢].

أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه:

أول ما نزل من القرآن الكريم: الآيات الأوائل من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. وأول سورة نزلت كاملة سورة المدثر، وأول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة. آخر ما نزل على أصح الأقوال، قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

مراحل نزول القرآن الكريم: نزل القرآن الكريم على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: إلى اللوح المحفوظ بطريقة ووقت لا يعلمهما إلا الله، ومن أطلعه الله على غيبه، وكان جملة لا مفرقا، وذلك هو الظاهر من اللفظ. والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ① فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

المرحلة الثانية: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ونرى ذلك من خلال الآيات القرآنية التي يستدل بها على هذا النزول، والتي تفيد بأن القرآن نزل في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا، وصفها الله تعالى بمباركة وسماها ليلة القدر، وهي في رمضان، ونزل جملة واحدة. والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ثُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عن ابن عباس عليه السلام موقوفاً قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

المرحلة الثالثة: من السماء الدنيا (من بيت العزة) إلى الأرض على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وهي المرحلة الأخيرة من النزول.

عدد السنين التي نزل القرآن الكريم فيها على النبي ﷺ:

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ منجماً -أي مفرقا- في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث والطوارئ والتشريعات.

الحكمة من نزول القرآن منجماً:

١- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٢- الرفق بمشاعر المدعوين إلى الإسلام، واستدراجهم إلى الحق المدعو إليه في سياسة وحكمة.

٣- تيسير حفظه وفهمه؛ لكون العرب أمة أمية.

٤- مساندة الأحداث وربط الوقائع بالأحكام الخاصة بها، حتى تستقر وتثبت في سجل التشريع الحافل بكل الحلول، مثال ذلك: الحكم في قضية الأسرى، وحكم اعتزال النساء في المحيض، وحكم الظهار... وغيرها كثير.

٥- التحدي والإعجاز.

٦- تربية للرسول ﷺ، وتقوية له على أذى المشركين، وتشبيهاً لفؤاده النبي وأفئدة المؤمنين، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين.

٧- الدلالة القاطعة على أن القرآن من عند الله ﷻ.

٨- التدرج في تربية الصف المؤمن.



القرآن المكي والمدني

تعريف القرآن المكي والمدني: اختلفت الأقوال في تعريف المكي والمدني، وأرجحها وأقربها للقبول التقسيم الزمني القائل: إن المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة حتى وإن خاطب به أهل مكة، مثل سورة الممتحنة التي نزلت بالمدينة وخوَّطب بها أهل مكة.

الفرق بين المكي والمدني: هناك ثلاثة اعتبارات للفرقة بين المكي والمدني.

الاعتبار الأول: اعتبار المخاطب: فالمكي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة.

فقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ...﴾ خطاب مكي.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ خطاب مدني.

ولكن هذا الاعتبار غير مطلق؛ لأن هناك سوراً مدنية كالبقرة والنساء، جاء فيها الخطاب بالطريقة المكية وهو: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ...﴾.

الاعتبار الثاني: اعتبار مكان النزول: قال العلماء: إن المكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية.

والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وعباء وسلع. ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة، فما نزل بالأسفار أو بتبوك أو بيت المقدس لا يدخل تحت هذه القسمة فلا يسمى مكياً ولا مدنياً، وكذلك يترتب على هذا الرأي أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكياً.

الاعتبار الثالث: اعتبار زمن النزول: فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فإن نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عرفة فهو مدني، كالذي نزل عام الفتح كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النساء: ٥٨] أو نزل في حجة الوداع ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [البقرة: ٣] وهذا الرأي هو أولى الآراء بالقبول.

مميزات القرآن المكي:

١- الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله، وذكر القيامة والجنة والنار، ومجادلة المشركين.

٢- فضح أعمال المشركين من سفك دماء، وأكل أموال اليتامى، وواد البنات.

٣- قوة الألفاظ، مع قصر الفواصل وإيجاز العبارة.

٤- الإكثار من عرض قصص الأنبياء، وتكذيب أقوامهم لهم؛ للعبارة والزجر وتسليية الرسول ﷺ.

مميزات القرآن المدني:

١- بيان العبادات والمعاملات والحدود، والجهاد والسلم والحرب، ونظام الأسرة، وقواعد الحكم، ووسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر قواعد التشريع وأهدافه ومراميه.

فوائد العلم بالمكي والمدني:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ.

٢- معرفة تاريخ التشريع والتدرج فيه.

٣- الاستعانة في تفسير القرآن وفهم معانيه.

٤- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.

٥- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية.

أسباب النزول

تعريف سبب النزول: هو: ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال. ولا يعني هذا أن يلتبس الإنسان لكل آية سبباً، فإن القرآن لم يكن نزوله وفقاً على الحوادث والوقائع، أو على السؤال والاستفسار، بل كان القرآن ينزل ابتداء بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله تعالى في حياة الفرد وحياة الجماعة.

فوائد أسباب النزول:

الفائدة الأولى: معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن.

أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطة بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل.

وأما الكافر فتسوقه الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً، حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصاً إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد، وحسبك شاهداً على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه.

الفائدة الثانية: الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها. قال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

مثال يوضح المعنى: عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. قال: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون. وبقي في إشكاله هذا حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتبوه إياه وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، أي طلبوا منه أن يحمدهم على ما فعلوا. وهنالك زال الإشكال عنه، وفهم مراد الله من كلامه هذا ووعيده.

الفائدة الثالثة: دفع توهم الحصر عما يفيد بظااهره الحصر: مثل قوله سبحانه وتعالى في سورة [الأنعام: ١٤٥]: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

ذهب الإمام الشافعي إلى أن الحصر في هذه الآية غير مقصود، واستعان على دفع توهمه، بأنها نزلت بسبب أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرّموا ما أحل الله ويحلوا ما حرّم الله، عناداً منهم، ومحادة لله ورسوله، فنزلت الآية بهذا الحصر الصوري مشادة لهم، ومحادة من الله ورسوله ﷺ لا قصداً إلى حقيقة الحصر.

قال إمام الحرمين: «هذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية».

الفائدة الرابعة: معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين؛ حتى لا يشتبه بغيره، فيتهم البريء، ويبرأ المريب.

مثال على ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها لما ردت على مروان حين اتهم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزلت فيه آية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف: ١٧]. وقالت: «والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته» إلى آخر تلك القصة (١).

الفائدة الخامسة: تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحدوث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني، المقرر في علم النفس.

الفائدة السادسة: بيان أن القرآن نزل من الله تعالى؛ لأن النبي يسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحياناً حتى ينزل عليه الوحي.

الفائدة السابعة: بيان عناية الله تعالى برسوله في الدفاع عنه، كآليات في حادثة الإفك، وكذلك عناية الله بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم.

* * *

جمع القرآن الكريم

جمع القرآن له معنيان:

١ - جمعه بمعنى حفظه، وجماع القرآن: حفظه. وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿

(١) انظرها في البخاري كتاب التفسير (٤٨٢٧).

[القيامة: ١٦، ١٧] أي: أن علينا أن نجعله في صدرك، ونبيته بلسانك.

٢- جمعه بمعنى كتابته كله في صحائف مجمعة تضم السور والآيات جميعها.

كيف تم جمع القرآن في عهد الرسول من ناحية حفظه في الصدور:

كان أول الحفاظ - وهو الرسول ﷺ - يترقب نزول القرآن بشوق ويتعجل قراءته، حتى طمأنه الله تعالى وقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** (١٧) **فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْمِعْ قُرْآنَهُ** (١٨) **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** (١٩) [القيامة: ١٦-١٩]، ثم تأسى الصحابة برسول الله ﷺ في حفظهم للقرآن، فكلما نزلت آية حفظت في الصدور، ووعتها القلوب.

وقد حفظ عدد كبير من الصحابة القرآن الكريم، فقد روت الأحاديث: أنه قُتل في عهد النبي ﷺ سبعون قارئاً في بئر معونة، وسبعون مثلهم في حرب اليمامة.

كيف تم جمع القرآن في عهد الرسول من ناحية كتابته:

اتخذ الرسول ﷺ كُتَّاباً للوحي من أجلاء الصحابة، كعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان... فإذا نزلت الآية أمرهم الرسول ﷺ بكتابتها وأرشدهم إلى موضعها من سورتها.

وكان بعض الصحابة يكتبون القرآن دون أن يأمرهم الرسول ﷺ، فكانوا يخطونه في العصب واللخاف والكرائف والرقاع والأقتاب والأكتاف، وكان الصحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة.

وكان زيد بن ثابت عرضه متأخراً على رسول الله ﷺ؛ مما جعل أبا بكر الصديق وعثمان بن عفان يختارانه لجمع القرآن، وتوفي الرسول ﷺ والقرآن مجموع كله في الصدور، ومكتوب في السطور بالأحرف السبعة الواردة، ولم يجمع في مصحف واحد؛ لأن الرسول كان يترقب نزول الوحي بين فترة وأخرى، ولم يكن مرتب الآيات والسور في مصحف واحد، وهذا ما يسمى بالجمع الأول.

الجمع الثاني للقرآن:

كان الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق، فبعد وفاة الرسول ﷺ وتولي أبي بكر الخلافة، واجهته أحداث جسيمة في ارتداد العديد من العرب، فجهز جيشاً عظيماً لمحاربة هؤلاء المرتدين، واستشهد في معركة اليمامة عدد كبير من الصحابة، كما استشهد ما يقرب من سبعين صحابياً يحفظون القرآن؛ مما جعل عمر بن الخطاب يشير على أبي بكر الصديق بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع والنسيان، إلا أن أبا بكر رفض الفكرة في بادئ الأمر، وقال: «كيف أقوم بعمل لم يقم به رسول الله ﷺ؟! فقال عمر: ذلك والله خير». وما زال عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لما شرح به صدر عمر، فأرسل إلى زيد بن ثابت وأشار عليه بجمع القرآن، فرفض بادئ الأمر، إلا أن أبا بكر الصديق أخذ يبين له أهمية هذا العمل في حفظ كتاب الله من الضياع والنسيان، حتى شرح الله صدره أيضاً لهذا العمل العظيم.

منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن: تتبع زيد بن ثابت جمع القرآن من العُصْب واللخاف وصدور الرجال، فكان منهجه أن يسمع من الرجال، ثم يعرض ما سمعه على ما كان مجموعاً في العصب والأكتاف، فكان ﷺ لا يكتفي بالسماع فقط دون الرجوع إلى الكتابة.

وكذلك من منهجه في جمع القرآن: أنه لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان، وذلك زيادة في التأكيد مع أنه ﷺ كان من حفظة القرآن، وبهذه الطريقة تم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق في مصحف واحد، مرتب السور والآيات، مشتملاً على الأحرف السبعة، مقتصرًا على ما لم تنسخ تلاوته، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن بهذه الصفة، فقد قال علي ﷺ عن أبي بكر: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله» وانتقل هذا المصحف إلى عمر بن الخطاب بعد وفاة أبي بكر، ثم إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد وفاة عمر، وهذا ما يسمى بالجمع الثاني.

الجمع الثالث للقرآن:

كان في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، والداعي إلى ذلك هو: اختلاف الأمة في قراءة القرآن؛ فكل مصر من الأمصار يقرأ بقراءته التي تلقاها من ذلك الصحابي، ولقد بلغ هذا الخلاف أشده، وكاد يكفر بعضهم بعضاً، فبلغ الخبر عثمان بن عفان، فأرسل إلى حفصة: أن أرسلني إلينا المصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك ففعلت، فأمر زيد بن ثابت وثلاثة نفر من قريش بنسخها في المصاحف.

منهج عثمان بن عفان في هذا الجمع:

قال عثمان للرهب القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا استكمل

نسخ المصاحف من الصحف التي عند حفصة رد عثمان المصحف إليها.

وأرسل عثمان إلى كل مصر مصحفًا من المصاحف المنسوخة، وحرق جميع المصاحف، وهذا يسمّى الجمع الثالث للقرآن.

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

اختلف جمع أبي بكر عن جمع عثمان من حيث الباعث: فالباعث لدى أبي بكر ﷺ لجمع القرآن خشية ذهابه بذهاب حملته، حيث كثر قتل القراء. والباعث لدى عثمان ﷺ كثرة الاختلاف في وجوه القراءة حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخطاً بعضهم بعضاً.

عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق:

اختلف العلماء في عددها:

١ - فقليل: كان عددها سبعة، أرسلت إلى: مكة والشام والبصرة ومصر واليمن والبحرين والمدينة.

٢ - وقيل: كان عددها أربعة، أرسلت إلى: العراق والشام ومصر والكوفة.

٣ - وقيل: كان عددها خمسة.

وقال السيوطي: إن هذا هو المشهور.

أسماء الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ:

جمع القرآن على عهد النبي ﷺ مجموعة من الصحابة وهم: عبادة بن الصامت، وسعد بن عبيد بن النعمان، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل بن أوس، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب بن قيس، وعبيد بن معاوية، وأبو زيد بن ثابت بن زيد، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو أيوب الأنصاري.

أسماء الذين جمعوا القرآن على عهد الصديق أبي بكر ﷺ:

اشترك في جمع القرآن ستة من الصحابة، هم: أبو الدرداء عويمر بن زيد، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وسعد بن عبيد القاري، وعلى بن أبي طالب.

* * *

الرسم العثماني للمصحف

هل الرسم العثماني للمصحف توقيفي أو اصطلاحي؟

هناك ثلاثة آراء في رسم المصحف العثماني:

الرأي الأول يقول: إن الرسم العثماني ليس توقيفيًا عن النبي ﷺ، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به ولا تجوز مخالفته.

الرأي الثاني يقول: إن رسم المصحف اصطلاح لا توقيفي، وعليه فتجوز مخالفته، وهذا رأي ابن خلدون وأبي بكر الباقلاني.

الرأي الثالث يقول: إنه توقيفي لا تجوز مخالفته وهو مذهب الجمهور، واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول ﷺ على كتابتهم، وقضي عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

* * *

أقسام سور القرآن الكريم

أقسام السور: قسّم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام، خصوا كلّاً منها باسم معين، وهي: الطوال، والمئون، والمثاني، والمفصل.

السور الطوال: سبع سور، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فهذه ستة، واختلفوا في السابعة أي الأنفال وبراءة معًا

لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس.

المئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

المثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات: وهي السور التي أقل من مائة آية، وتكرر أكثر مما تكرر الطوال والمئون.

المفصل: هو أواخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولاً:

فقليل: أوله «ق». وقيل: غير ذلك.
 وصحح النووي: أن أوله «الحجرات».
 وسمي المفصل؛ لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.
 وقيل: لقلّة المنسوخ منه. ولهذا يسمى: «المحكم» أيضًا.
 والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار.
 فطواله من أول «الحجرات» إلى سورة «البروج».
 وأوساطه من سورة «الطارق» إلى سورة «البيّنة». وقصاره من سورة «الزلزلة» حتى سورة «الناس».

* * *

المحكم والمتشابه

تعريف المحكم لغة: الإحكام المنع. يقال: أحكم الأمر، أي: أتقنه ومنعه من الفساد.

واصطلاحًا: اختلف الأصوليون على أقوال، منها:

- ١- إن المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور أو التأويل.
- ٢- إن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا.
- ٣- إن المحكم هو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.
- ٤- إن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج إلى بيان.
- ٥- إن المحكم هو المتقن الذي لا يتطرق إليه إشكال.

تعريف المتشابه لغة: مأخوذ من التشابه، وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر، ويدل على المشاركة والمماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس في

الغالب.

يقال: تشابها واشتبها، أي: أشبه كل منهما الآخر حتى التباسا، والشبه بالضم: الالتباس، ومنه قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ

عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠].

واصطلاحًا:

- ١- ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدابة والدجال.
- ٢- ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.
- ٣- ما احتمل أكثر من وجه.
- ٤- ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ.

وضع القرآن من حيث الإحكام والتشابه:

القرآن من حيث الإحكام والتشابه:

١- كله محكم.

٢- كله متشابه.

٣- بعضه محكم وبعضه متشابه.

ما معنى أن القرآن كله محكم؟ أي أن ألفاظه ومعانيه محكمة ولا يوجد اختلال فيه أو اختلاف، ومتقن في النظم والترتيب، قال تعالى: ﴿الرَّكَنُ

أَعَزَّتْ رَحْمَتُهُ، ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

ما المقصود بأن القرآن كله متشابه؟ المقصود أن آياته متشابهة في الكمال والإعجاز والإحكام والنفع والصدق والهداية إلى الخير، كما يصدق

بعضه بعضًا في الأوامر والنواهي؛ بحيث إذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [الزمر: ٢٣].

ما المقصود بأن بعضه محكم وبعضه متشابه؟ المقصود: أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب وأصله الذي يرجع إليه، والآيات المحكمات هي الواضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، بعكس الآيات المتشابهات، فهي متشابهات في الدلالة على كثير من الناس، ويعلمها الذين أوتوا العلم. أما الذين وصفهم الله تعالى بأن في قلوبهم مرضاً، فهم الذين يتبعون المتشابه منه، يتبعون افتتان الناس وبعدهم عن الحق. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

ماذا نفعل مع المتشابه والمحكم؟ في حالة المتشابه يرد إلى المحكم حتى يتضح المعنى كاملاً.

مثال لذلك: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣] هذه الآية متشابهة تحتل معنيين، هما:

المعنى الأول: غفران الذنوب جميعاً لمن تاب.

المعنى الثاني: غفران الذنوب جميعاً لمن لم يتب.

وفي هذه الحالة نردها إلى الآية المحكمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِيَ لَفْظًا لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [طه: ٨٢].

فيتبين من الآية المحكمة أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وهو مؤمن واتبع طريق الهدى.

مثال آخر: قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

هذه الآية متشابهة؛ لأنها تحتل معنيين.

المعنى الأول: إن قوله: «إنا نحن» تحتل للواحد المعظم نفسه وهو حق.

والمعنى الثاني: أنها للجماعة، وهو باطل، وتحتل أيضاً الواحد ومعه غيره، فهي آية متشابهة تمسك بها النصارى الذين قالوا بالتثليث.

ونرد هذه الآية المتشابهة؛ إلى الآية المحكمة، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

فيتبين من الآيات المحكمة أن المراد بقوله: «إنا نحن» هو الله الواحد المعظم نفسه.

ما منشأ هذا التشابه؟ منشأ هذا التشابه عدة أمور، وهي:

١- خفاء مراد الشارع في كلامه، فمرة يرجع إلى اللفظ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ صُرًى يَأْمِينِينَ﴾ [الصافات: ٩٣] فلفظة اليمين تحتل استعمال يده اليمين غير الشمال، وتحتل أيضاً أن الضرب كان بقوة، لأن اليمين أقوى الجارحتين، وتحتل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمُ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

٢- ومرة أخرى يرجع التشابه إلى المعنى، مثل ما استأثر الله بعلمه من أهوال يوم القيامة وعلامات الساعة والجنة والنار.

٣- ومرة يرجع التشابه إلى الخفاء في اللفظ والمعنى، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

فهذا الخفاء في المعنى وفي اللفظ معاً؛ إذ لا تمكن معرفة معنى هذه الآية إلا بالرجوع إلى تفسيرها؛ حيث تبين أن معناها أن الرجل كان في الجاهلية إذا لبس الإحرام لم يدخل من باب البيت، بل يخرق خرقة، أو يدخل من وراء البيت.

خلاصة التشابه:

١- ما لا يستطيع أحد أن يصل إليه، كالعلم بذات الله تعالى وحقائق صفاته وعلم الغيب.

٢- ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والمعرفة.

٣- ما لا يعلمه إلا الخواص من العلماء دون عامتهم، وهو الراسخون في العلم.

آيات الصفات، هل هي محكمة أم متشابهة: آيات الصفات محكمة؛ لكونها صفات الله تعالى، ومتشابهة بالنسبة لنا من حيث كیفيتها، مثل صفة الاستواء على العرش، فهي معلومة في معناها، لكن كیفيتها مجهولة كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

أي معنى الاستواء معلوم فنؤمن به، وكيفية الاستواء مجهولة فلا نخوض فيها؛ لأن ذلك طريق إلى الابتداع.

لماذا وقع الاختلاف في معرفة المتشابه: وقع الاختلاف في معرفة المتشابه بسبب الاختلاف في الوقف في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل

عمران: ٧] هل هو مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ﴾ والواو للاستئناف، والوقوف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.

أو هو معطوف و ﴿يَقُولُونَ﴾ حال، والوقف على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

فذهبت إلى الرأي الأول طائفة منهم أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس... مستدلين بما رواه الحاكم عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم». وبقراءة ابن مسعود «وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به». وبما دلت عليه من ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة. وذهبت إلى الرأي الثاني طائفة على رأسهم مجاهد وأيده النووي في شرحه لصحيح مسلم، فقال: إنه الأصح، لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

كيف يمكن التوفيق بين الرأيين: بالرجوع إلى معنى التأويل يتضح أنه لا فرق ولا منافاة بين الرأيين؛ لأن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان: **الأول:** صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتضيه به.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير.

الثالث: التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات فالذين يقولون بالوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويجعلون ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ استثناءً، إنما عنوا بذلك التأويل المعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته لا يعلمها إلا هو، والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على أن الواو للعطف وليست للاستثناء، إنما عنوا بذلك التأويل المعنى الثاني، أي التفسير. وبهذا يتضح أنه لا خلاف بين المذهبين.

* * *

المتشابه اللفظي

المتشابه اللفظي: عرفه الإمام الزركشي في البرهان فقال: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء. ومراده في التعريف بالقصة الواحدة: اللفظ القرآني المعين يرد بصور متشابهة. ومعنى التشابه فيها الاختلاف بين ألفاظها بالزيادة والنقص، أو الإبدال، أو التقديم والتأخير، أو التكرار، وغير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيات، وهذا كله مما يشكل على القارئ الحافظ، ولهذا يسمي القراء هذا النوع المشكل.

* * *

الناسخ والمنسوخ

تعريف النسخ لغة: الإزالة يقال: نسخت الشمس الظل أي: أزالته. ويطلق بمعنى: نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٢٩].

واصطلاحاً: هو رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي مترسخ عنه.

ما هو المنسوخ: هو الحكم المرتفع.

مثال على ذلك: آية الموارث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] نسخت حكم الوصية للوالدين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

شروط النسخ:

١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً.

٢- أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعياً مترسخاً عن الخطاب المنسوخ حكمه.

٣- ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخاً. مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالعفو والصفح مقيد بمجيء أمر الله.

ما الذي يقع فيه النسخ:

١- يقع النسخ في الأوامر والنواهي.

٢- لا يقع النسخ في العقيدة كذات الله وصفاته وكتبه واليوم الآخر، ولا يقع في الخبر الصريح كالوعد والوعيد.

٣- لا يقع في الأخلاق والآداب التي حث عليها الإسلام مثل: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

٤- لا يقع النسخ في أصول العبادات والمعاملات؛ لأن جميع الشرائع لا تخلو من هذه الأصول ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣].

أهمية النسخ: للنسخ أهمية عظيمة؛ فهو ركن عظيم في فهم الإسلام، وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام حتى لا تختلط، وهو ذو أهمية عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وحرامه وحلاله.

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ:

١- النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي كحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» رواه الحاكم. وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة؛ «ونزل فيهم قرآن قرأناه».

٢- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ ومنسوخ.

٣- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الرواة.

الآراء في النسخ: انقسم الناس في النسخ إلى أربعة أقسام.

أصحاب القسم الأول: أصحاب القسم الأول هم اليهود، وهؤلاء ينكرون النسخ. وقالوا: يستلزم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهو محال على الله، واليهود أنفسهم يعترفون أن شريعة موسى ناسخة لما قبلها... وهذا من تناقضاتهم الكثيرة.

أصحاب القسم الثاني: أصحاب القسم الثاني هم الروافض.

وهؤلاء غالوا في إثبات النسخ، وتوسعوا فيه، وأجازوا فيه البداء على الله، واستدلوا بأقوال نسبوها إلى جعفر الصادق وعلي بن أبي طالب وأهل البيت زوراً وبهتاناً، وفسروا معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] أي: أنه يظهر له المحو والإثبات.

أصحاب القسم الثالث: أصحاب القسم الثالث يقودهم: أبو مسلم الخراساني.

قال: النسخ جائز عقلاً ويمتنع شرعاً، ودليله قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، أي: أن أحكامه لا تبطل أبداً، ويحمل آيات النسخ على التخصيص.

أصحاب القسم الرابع: أصحاب القسم الرابع هم الجمهور.

قالوا: النسخ جائز عقلاً وواقع شرعاً واستدلوا بما يأتي:

١- بأن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض؛ فله أن يأمر بالشيء في وقت وينسخه بالنهي في وقت آخر، لعلمه بمصالح العباد.

٢- نصوص الكتاب والسنة دالة على جواز النسخ ووقوعه.

مثال: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ [النحل: ١٠١].

أنواع النسخ: هناك أربعة أنواع من النسخ.

النوع الأول: نسخ القرآن بالقرآن، وهو متفق على جوازه ووقوعه. مثل آية الاعتداد بالحول، نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر.

النوع الثاني: نسخ القرآن بالسنة، وينقسم إلى نوعين:

أ- نسخ القرآن بالسنة الأحادية، والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب- نسخ القرآن بالسنة المتواترة، ومنعه الشافعي وأهل الظاهر ورواية أحمد الأخرى؛ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

النوع الثالث: نسخ السنة بالقرآن، وقد أجازاه الجمهور.

مثال: التوجه إلى بيت المقدس كان ثابتاً بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بقوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

[البقرة: ١٤٤].

ومنع هذا النوع من النسخ الشافعي في إحدى روايته.

النوع الرابع من النسخ: نسخ السنة بالسنة وله أربع صور، وهي:

أ- الصورة الأولى: نسخ متواتر بمتواتر وهذا جائز.

ب- الصورة الثانية: نسخ آحاد بآحاد وهذا جائز.

ج- الصورة الثالثة: نسخ آحاد بمتواتر وهذا جائز.

د- الصورة الرابعة: نسخ متواتر بآحاد وهذا غير جائز عند الجمهور.

أشكال النسخ: للنسخ أشكال ثلاثة.

الشكل الأول: نسخ التلاوة والحكم معاً.

ومثل لها العلماء بأية عشر رضعات؛ فإنها نسخت حكماً وتلاوة.

الشكل الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة.

مثال: نسخ الحكم في آية العدة بالحول، مع بقاء تلاوتها، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَدَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

الشكل الثالث للنسخ: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

مثل آية الرجم: «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

مثال للنسخ إلى بدل أخف: قول الله تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِيَامِ أَرْفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

نسخت قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

مثال للنسخ إلى بدل مماثل: نسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى البيت الحرام قال تعالى: ﴿قَدْ رَأَى نَقْلُكُمْ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

مثال للنسخ إلى بدل أثقل: كنسخ الحبس في البيوت: ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَجْشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

بالرجم للمحصن، والجلد لغير المحصن.

مثال للنسخ إلى غير بدل: النسخ إلى غير بدل كنسخ الصدقة بين يدي نجوى الرسول ﷺ إلى بدون صدقة.

حكمة النسخ:

١- مراعاة مصالح العباد.

٢- تطور التشريع إلى مرتبة الكمال؛ حسب تطور الدعوة وحال الناس.

٣- ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال أو عدمه.

٤- إرادة الخير للأمة والتيسير عليها، وإن كان إلى أشق؛ ففيه زيادة ثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر.

* * *

التفسير والمفسرون

التفسير في اللغة: الكشف والإظهار، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنشُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، أي: بياناً وتفصيلاً.

والتفسير في الاصطلاح الشرعي: هو العلم الذي يُعرف به فهم القرآن الكريم، وإدراك معانيه، والكشف عن مقاصده ومرامي، واستخراج أحكامه وحكمه، وتوضيح معنى الآيات القرآنية، بذكر معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.

أهمية علم التفسير: علم التفسير يعتبر أرفع العلوم الإسلامية قدراً، وأعلاها شأنًا، دونه كل علم من العلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها وتنوع مقاصدها، فموضوع علم التفسير: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكم حميد، وكل العلوم في شرف خدمته مهما كثرت وعلا شأنها، كلها مسخرة لخدمة القرآن الكريم، ولا عجب، فهو كتاب رب العالمين.

مراحل التفسير وتدرجه: بدأت عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه وأسراره من أول نزوله على رسول الله ﷺ، واستمرت هذه العناية إلى يومنا هذا، وستبقى مستمرة ما دام القرآن الكريم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ونستطيع أن نحصر هذا التدرج في فهم القرآن الكريم في ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: في عصر النبي ﷺ وصحابته.

المرحلة الثانية: في عصر التابعين.

المرحلة الثالثة: ما بعد عصر التابعين، أو منذ بدأ التدوين للعلوم إلى يومنا هذا.

طرق التفسير: من أراد تفسير القرآن الكريم، طلب أولاً من القرآن نفسه، فما أجمل منه في موضع فقد فُسر في موضع آخر، وما اختصر منه في موضع فقد بُسط في موضع آخر.

فإن لم يتضح له المراد من ذلك طلب من السنة النبوية، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

فإن لم يجد المراد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فقد كانوا أدرى بكتاب الله لأنهم عايشوا نزول الوحي، وشهدوا أسباب النزول.

فإن لم يجد المراد في أقوال الصحابة، طلبه من أقوال التابعين، فهم الذين نقلوا إلينا علوم ومعارف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فإن لم يجد المراد في أقوال التابعين طلبه من اللغة العربية، فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب. تلك هي طرق التفسير وسبله، فلا يجوز لأحد أن يتناول تفسير كلام الله تبارك وتعالى إلا من خلالها ومضمونها.

أنواع التفسير: إذا نحن تتبعنا كتب التفسير على اختلاف أزمانها، وتنوع مناهجها واتجاهاتها وجدنا أن المناحي العامة التي تجمع هذه المناهج والاتجاهات تكاد تنحصر في

٢ - التفسير بالرأي.

١ - التفسير المأثور.

٤ - التفسير الموضوعي.

٣ - التفسير الإشاري.

حقيقة التفسير المأثور باختصار: التفسير المأثور: ما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن صحابته رضي الله عنهم، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

حقيقة التفسير بالرأي بإيجاز: التفسير بالرأي أو التفسير العقلي معناه: تفسير القرآن بالاجتهاد وبعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناهجهم في القول، ومعرفة للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانت في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم.. وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وسيأتي بيانها إن شاء الله.

حقيقة التفسير الإشاري: من المتصوفة من يدعي أن الرياضة الروحية التي يأخذ بها الصوفي نفسه تصل إلى درجة ينكشف له فيها ما وراء العبارات القرآنية من إشارات قدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية، ويسمى هذا بالتفسير الإشاري، فلآية ظاهر وباطن، والظاهر: هو الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره، والباطن هو: ما وراء ذلك من إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، وهذا التفسير الإشاري كذلك إذا أوغل في الإشارات الخفية صار ضرباً من التجهيل، ولكن إذا كان استنباطاً حسناً يوافق مقتضى ظاهر العربية وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض، فإنه يكون مقبولاً. قال ابن القيم: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

١ - أن لا يناقض معنى الآية. ٢ - وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه.

٣ - وأن يكون في اللفظ إشعار به. ٤ - وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً.

حقيقة التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي: هو تناول جانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالدراسة والبحث، وغالباً ما تكون الدراسة لموضوع معين متناولة له من كل جوانبه، متنوعة لكل ما فيه من جزئيات ربما لا يتاح تناولها في التفسير العام، وغالباً ما يجري هذا اللون من التفسير على أيدي رجال برعوا في نواح معينة من العلوم، فاستهواهم حبههم للدراسة، وشغفهم بالبحث - أن يتناولوا من موضوعات القرآن ما يتصل بالجانب العلمي الذي برعوا فيه: فابن القيم - مثلاً - أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن سماه: «التيان في أقسام القرآن». وأبو عبيدة: أفرد كتاباً للكلام في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأبو الحسن الواحدي: أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن، وأبو بكر الجصاص: أفرد كتاباً في أحكام القرآن.. وغير هؤلاء كثير ممن يقصدون إلى موضوع خاص في القرآن، ويجمعون ما تفرق منه، ويفردونه بالدراسة والبحث.

العلوم التي يحتاج إليها المفسر بالرأي: اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه فيما لم يرد فيه أثر صحيح أن يكون ملماً بجملة العلوم التي يستطيع بها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بغير علم، هذه العلوم هي:

- ١- علم اللغة. ٢- علم النحو. ٣- علم الصرف. ٤- علم الاشتقاق. ٥- علوم البلاغة الثلاثة - المعاني، والبيان، والبدیع. ٦- علم القراءات. ٧- علم أصول الدين. ٨- علم أصول الفقه. ٩- علم أسباب النزول. ١٠- علم القصص. ١١- علم الناسخ والمنسوخ. ١٢- علم الحديث. ١٣- علم الموهبة.

وهو علم يورثه الله تعالى من عمل بما علم، وإليه الإشارة بقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ مُلْكُكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. هذا وقد زاد بعضهم علم أحوال البشر، وبعضهم علمي التاريخ وتقويم البلدان، وبعضهم نقص مما ذكرناه، وأياً ما كان الأمر فكل علم يتوقف عليه تفسير شيء من كتاب الله تعالى تجب على المفسر معرفته، وإلا كان غير مستوفٍ لشروط التفسير.

المصادر التي ينبغي لمن يقول في القرآن برأيه أن يعول عليها: كل من يقول في التفسير برأيه لا يجوز له بحال من الأحوال أن يهمل تفسير القرآن للقرآن، ولا ما صح من التفسير عن رسول الله ﷺ وأصحابه، ولو أن مفسراً أهمل شيئاً من ذلك ولم ينظر فيه ولم يأخذ منه - لعد من المفسرين بالرأي المذموم، لأن رأيه حينئذ يكون معارضاً لما هو أقوى منه وأحق بالقبول. ولا ينبغي له أن يغفل ما صح عن الصحابة، مع موافقة كلامه لأصول اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم.

الأمور التي يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره: هناك أمور يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره حتى لا يقع في الخطأ، ويكون ممن قال في القرآن برأيه الفاسد، وإليك هذه الأمور:

- ١- التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة، وأصول الشريعة، وبدون أن يحصل العلوم التي يجوز معها التفسير.
- ٢- الخوض فيما استأثر الله بعلمه: وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فليس للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سراً من أسرارهِ وحجة على عباده.
- ٣- السير في الهوى والاستحسان: فلا يفسر بهواه، ولا يرجح باستحسانه.
- ٤- التفسير المقرر للمذهب الفاسد: بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن، وإن كان غاية في البعد والغرابة.

٥- التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل، وهذا منهي عنه شرعاً، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

أشهر كتب التفسير التي بين أيدينا اليوم: تفسير الطبري، تفسير ابن الجوزي، تفسير ابن كثير، تفسير الزمخشري، تفسير النسفي، تفسير الألوسي، تفسير الجلالين، تفسير القرطبي، تفسير سيد قطب، تفسير السعدي.

نبذة عن تفسير الطبري: «جامع البيان في تأويل آي القرآن».

عقيدة الطبري هي عقيدة السلف الصالح رضي الله عنه وعنهم. ويذكر الروايات بأسانيدها ولا يحكم عليها غالباً بصحة أو ضعف. ويذكر في تفسيره الأحكام الفقهية مع بيان الراجح منها، ويهتم بالقراءات في تفسيره، ولكنه يورد أخباراً وقصصاً من الإسرائيليات ينه على بعضها، ويسكت عن طائفة منها. وله اهتمام باللغة والنحو والشعر في تفسيره، وبالجملة فهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً.

نبذة عن تفسير ابن الجوزي: «زاد المسير في علم التفسير».

عقيدة ابن الجوزي فيها اضطراب في كتبه! فهو يثبت بعض الصفات، ويؤول بعضها! وهو يميل في الغالب إلى مذهب المفوضة الذين يقولون: نقرأ آيات الصفات فقط دون أن نفهم المعنى أو نسأل عن الكيفية؟ وعقيدة السلف الصالح هي: فهم المعنى وتفويض الكيفية إلى الله لأنها من الغيب، أما المعنى فيفهم من كلام العرب ولغتهم. وابن الجوزي ينقل أقوال السلف في التفسير بدون إسناد، ويرتبها ترتيباً حسناً، ويهتم بالقراءات واللغة والنحو والشعر، ولكنه ينقل عن السدي وغيره قدراً من الإسرائيليات.

نبذة عن تفسير القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن».

مؤول أشعري العقيدة، يعتمد في نقله على أئمة الأشاعرة فيما يتعلق بالعقيدة وقد رد على المتصوفة وبين انحرافاتهم في مواضع من الكتاب. يكثر من إيراد الأحاديث بغير إسناد غالباً مع عزوها إلى المصدر الذي أخذ منه. وله اهتمام بالمسائل الفقهية وأدلتها، يرجح بالدليل دون تعصب لمذهبه

المالكي، ويذكر قليلاً من الإسرائيليات، له اهتمام بغريب القرآن واللغة والشعر.

نبذة عن تفسير ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم».

عقيدته هي عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم، ويهتم في تفسيره بتصحيح الروايات وتضعيفها، ويسوق الآثار بالأسانيد، وهو يفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بفهم السلف الصالح، ويحذر من الإسرائيليات، ويندر أن يسوق شيئاً منها بغير تنبيه عليه. والخلاصة أنه أجود وأيسر كتاب تفسير بالمأثور بين التفاسير المطبوعة، وقد رزقه الله قبولاً وانتشاراً.

نبذة عن تفسير الزمخشري: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» من أئمة المعتزلة؛ قال عنه الإمام الذهبي: «كن حذراً من كشافه» أي من تفسيره؛ وذلك لأنه ينتصر لمذهبه، فيدفعه ذلك إلى تأويل الآيات وتحريفها ليقيم منها دليلاً على صحة مذهب المعتزلة، وهم من الفرق الضالة في هذه الأمة. وهو يتعرض للمسائل الفقهية بغير توسع، وهو حنفي غير متعصب لمذهبه، وقد ذكر في تفسيره الأحاديث الموضوعة في فضائل كل سورة، والخلاصة هو كتاب يجتنبه المبتدئ ويحذره المنتهي!

نبذة عن تفسير النسفي: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل».

مؤول أشعري، اختصر تفسيره من تفسير «البيضاوي» و«الكشاف» مجتنباً اعتزال الزمخشري. وينتصر النسفي لمذهبه الحنفي! يذكر قليلاً من الإسرائيليات ولا يعقب عليها، وينبه على وجوه الإعراب والقراءات بغير تطويل.

نبذة عن تفسير الألوسي: «روح المعاني».

عقيدته تميل إلى غلاة المتصوفة؛ يستخدم التفسير الإشاري، ويجعل للقرآن ظاهراً وباطناً! ويسوق كثيراً من الشطحات الصوفية، ويتردد في عقيدته في الصفات بين السلف والخلف، فتارة يثبت وتارة يؤول! ولكنه غالباً يقرر مذهب الأشاعرة وينتصر له، وأحياناً يرد عليهم، ومع هذا فهو موسوعة تفسيرية ينتفع بها من له إلمام واسع بمسائل العقيدة عند أهل السنة وغيرهم.

نبذة عن تفسير الجلالين: «جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي».

فسر المحلي من سورة الكهف إلى سورة الناس، وابتدأ الفاتحة ثم توفي، وأكمله السيوطي من الفاتحة إلى الإسراء، وهذا التفسير يقع فيه تأويل الصفات على مذهب الأشاعرة فينبغي أن يتنبه لذلك القراء. وفيه سهولة واختصار. وهو يسوق الأحاديث وأسباب النزول والآثار بغير أسانيد ولا يعزوها لمصدر غالباً. ويتعرض للمسائل الفقهية والإعراب والقراءات على وجه الاختصار، ولكنه يتأثر بالإسرائيليات في مواضع مختلفة دون أن ينبه عليها أو يحذر منها!

نبذة عن تفسير سيد قطب: «في ظلال القرآن».

أول بعض الصفات، تأثر بمن سبقه من المفسرين أحياناً كالزمخشري وغيره في بعض مسائل العقيدة، ويرجع البعض ذلك إلى انشغاله - رحمه الله - بالدعوة والحركة، فلم يطلع على كلام أئمة السلف في هذا الباب. ويتميز هذا الكتاب بأسلوب أدبي رصين، ومداداة لأمراض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وبيان محاسن الدين. وهو يتعرض للمسائل الفقهية باختصار، ويعرض عن ذكر الإسرائيليات والقصص، ويسكت عما سكت عنه القرآن فيما يتعلق بالأسماء المهمة كالذي مر على قرية وأهل الكهف، ونحوهما.

والخلاصة: أنه كتاب مفيد للدعاة مع التنبيه لما فيه من مخالفة للسلف الصالح في مسائل الاعتقاد.

نبذة عن تفسير السعدي: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

من أجود كتب التفسير المعاصرة، وإن شئت فقل: أجودها، فيه عقيدة صحيحة، واهتمام بمعاني القرآن دون تركيز على الألفاظ المفردات لا يذكر الأحاديث إلا نادراً مع ذكره لمعناها في سياق تفسيره، ويشرح الأحكام الفقهية في الآيات في سهولة ويُسر بغير تعرض للخلاف، لا يذكر القراءات لأن من سبقه كفاه. ولا يذكر الإسرائيليات في كتابه، ويرد عليها ويرفضها، والخلاصة أنه كتاب تفسير سهل ميسور ننصح باقتنائه وقراءته.

* * *

الإعجاز القرآني

الإعجاز: هو إثبات العجز.

والمعجز: ضد القدرة، وهو القصور عن فعل الشيء، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز.

تعريف المعجزة: هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.

شروط المعجزة:

- ١- أن يكون ذلك الخارق فعلاً لله تعالى، لأن التصديق منه تعالى وحده لرسوله، فلا يكون الخارق من فعل غيره.
 - ٢- أن تكون المعجزة خارقة للعادة، لأنها لو لم تكن خارقة للعادة لأمكن للكاذب ادعاء النبوة. وبهذا الشرط يخرج السحر والشعوذة والمخترعات الغربية، فإنها ليست خارقة للعادة، بل تُعرف عن طريق التعلم والدراسة.
 - ٣- أن تظهر على يد مدعي النبوة ليعلم أن هذه المعجزة تصديق له، وبهذا الشرط تخرج الكرامة والمعونة والاستدراج، فإنها لا تظهر على يد مدعي النبوة. فإن الكرامة تظهر على يد ظاهر الصلاح، والمعونة تظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة، والاستدراج يظهر على يد فاسق خديعة ومكرًا به.
 - ٤- أن تكون المعجزة موافقة لدعوى النبي، بأن يقول: آية صدقي انشقاق الحجر، فينشق كما قال.
 - ٥- أن تتعذر معارضة المعجزة والإتيان بمثلاً.
 - ٦- أن تكون المعجزة مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة ومصاحبة لها حقيقة: بأن تأتي المعجزة عقب ادعاء النبوة مباشرة دليلاً على صدق دعواه، أو حكماً: بأن تأتي المعجزة متأخرة زمنًا يسيرًا. وبهذا تتميز المعجزة عن الكرامة، فإن الكرامة لا تكون مقارنة لدعوى النبوة.
 - ٧- ألا تكون المعجزة في زمن نقص العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها، فإن الفوارق في هذا الزمن ليست معجزة.
- انظر المقاصد [١٧٦/٢]، شرح البيجوري [ص ١٦٤].

أنواع المعجزة: النوع الأول: حسية: مثل: معجزات الأنبياء كنانة صالح، وعصا موسى، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى.

النوع الثاني: عقلية: وهي القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الخالدة.

الفرق بين معجزة الرسول ﷺ ومعجزات إخوانه من الأنبياء: معجزات الأنبياء حسية، فلها انقضت بانقراض عصورهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزات الرسول ﷺ عقلية، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، وذلك كما قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة». (رواه البخاري).

كيف تحدى الله تعالى العرب بالقرآن الكريم: تحدى الله تعالى العرب بالقرآن على ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى في التحدي: تحداهم الله تعالى بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم، ويتناول كل الإنس والجن مجتمعين؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] فعجزوا عن الإتيان بمثله.

المرحلة الثانية في التحدي: تحداهم بعشر سور من القرآن؛ قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤] فلم يستطيعوا الإتيان بعشر سور.

المرحلة الثالثة في التحدي: تحداهم الله تعالى بسورة واحدة منه؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله، وبمعجزهم هذا ثبتت الرسالة.

جوانب الإعجاز في القرآن الكريم: القرآن الكريم معجز في كل شيء، في ألفاظه وأسلوبه وبيانه ونظمه وعلومه ومعارفه وتشريعه وإخباره عن المستقبل.

* * *

الإعجاز اللغوي والتشريعي والغيبى والعددي

المقصود بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم: بلغ القرآن الكريم القمة في إعجازه اللغوي؛ حيث أعجز أساطين الفصحاء وأخرس ألسنة الفحول من

عابرة البيان، واحتار في أمره رجال الشعر والنثر، وتحيرت العقول واندثت من أسلوبه الخلاب، ووقف أمامه الفكر.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فرق قلبه له، فبلغ ذلك أبا جهل. فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك ما لا يعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قاله.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها ما لا.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن... والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلو عليه، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني أفكر. فلما فكر، قال: سحر يؤثر، يآثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرَى وَمَنْ خَلَقَتْ وَجِدًا...﴾ [المدر: ١١]. وأيضاً قصة الطفيل الذي وضع في أذنيه قطناً حتى لا يسمع القرآن من الرسول ﷺ، وشاء الله أن يسمعه فأسلم. وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز اللغوي؛ يجذبه في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه حتى يسمع حركاتها وسكناتها ومدودها وفواصلها وقواطعها، فلا يملّ سماعه وإذا قرأه فكأنه قرأه لأول مرة... فالقرآن عجيب في نظمه ومواعظه وقصصه وأمثاله.

وقد جاء القرآن مع طوله وكثرته متناسباً في الفصاحة والبلاغة؛ لأنه من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقد اعتبر القرآن سماعه حجة عليهم. وقد رد الله على المشركين حينما طلبوا آيات تؤيد صدق الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ...﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

أمثلة على الإعجاز البياني واللغوي للقرآن الكريم.

القرآن كله معجز، ولكن نأخذ أمثلة خفيفة على ذلك:

١- من ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فهذا جزء من آية، وهذا الجزء تكون من ثلاث كلمات، وهذه الكلمات الثلاث اشتملت على جميع ما في الرسالة.

٢- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثَمَّ يَبَيِّنُ﴾ [الشعراء: ٨١] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩] جاء بكلمة هو في الثانية ولم يأت بها في الأولى؛ لتأكيد الفعل الإلهي، وصرف المدعين عن أنهم سبب الإطعام، بينما في الأولى لن يدعي أحد خلق الإنسان وإماتته وإحياءه، فلم تكن ضرورة للتوكيد.

٣- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. لماذا قدم الزانية على الزاني بينما في السرقة قدم السارق على السارقة؟

والإجابة: لأن المرأة لها دور خطير في موضوع الزنا أكثر من دور الرجل، كما أن آثار الزنا ستظهر على المرأة لا الرجل.

المقصود بالإعجاز التشريعي للقرآن الكريم: بدأ القرآن الكريم بتربية الفرد أولاً، لأنه لبنة المجتمع، وربّاه على تحرير وجدانه وحمله التبعة، وحرره بعقيدة التوحيد التي تخلصه من سلطان الخرافة والوهم والشرك، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات حتى يكون عبداً خالصاً لله. فإذا أصبح كذلك أخذ بشرائع القرآن من الفرائض والعبادات؛ ففيها صلاح الفرد والمجتمع، فإذا أداها المسلم بإخلاص وحب امتزجت روحه وحياته بالشرع، وأصبحت هذه الفرائض حارساً له ووازعاً له من الفحشاء والمنكر.

ويتنقل القرآن الكريم بإعجازه التشريعي إلى بناء المجتمع، وقيام نظام الحكم، حيث قرر قواعد ومبادئ الدولة الإسلامية، وأسس نظام الشورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وشرع لها المبادئ العادلة ومساواة حقيقية بين أفراد المجتمع المسلم، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمًا يَلْقَاسُ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] ثم قرر القرآن مبدأ الزواج الاجتماعي والعقوبات الرادعة، وهي الجنايات والحدود، صيانة وطهارة للمجتمع من الرذيلة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وهكذا يكون القرآن دستوراً تشريعياً كاملاً يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه اللغوي والعلمي والتشريعي إلى الأبد، حيث تهاقت أمامه كل التشريعات والقوانين الوضعية التي شقت البشرية بظلالها وتقنياتها وأبعدتها عن طريق الصواب.

المقصود بالإعجاز الغيبي للقرآن الكريم: المقصود أنه اشتمل على علم الغيب وقصص الماضين، وذلك مما لا يقدر عليه علم البشر، ولا سبيل لهم عليه.

فمن ذلك ما وعد الله به نبيه محمداً ﷺ أنه سيظهر دينه على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] ففعل ذلك وأظهر دينه.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإيمانه العميق وتصديقه للرسول ﷺ كان إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله به من إظهار دينه؛ ليثقوا بالنصر ويستيقنوا الفلاح.

وكان عمر يفعل ذلك في خلافته، ويحرّض أمراء الجيوش، فكان الفوز والنصر حليفهم، حتى اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ كُفْرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَقْسَىٰ إِلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٢] فصدق الله ورسوله ﷺ وصدق خلفاء رسوله الراشدون (عليهم السلام). ولقد وعد الله أهل بدر بالنصر وفعل ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]. واشتمل القرآن على قصص الأقوام السابقة من حين ما خلق الله آدم.. إلى حين بعثه ﷺ، وهذه الأمور لا سبيل إلى معرفتها إلا بالتعلم والدراسة الوافية، والرسول لم يتعلم ولم يقع بين يديه كتاب جامع لهذه العلوم، ولم يتلق دروسه على يد فطاحل العلماء وعباقرة عصره حتى يكون في هذا المستوى الثقافي والعلمي.

ولا يمكن تعلم كل ذلك إلا عن طريق الوحي ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرَتَابِ الْمُبْتَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]. ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِيقِ إِذْ فَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ١٤]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [هود: ٤٩].

* * *

الإعجاز العلمي

المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم: القرآن الكريم هو كتاب عقيدة وهداية وإعجاز، فلا يليق أن تتجاوز به حدود الهداية والإعجاز، ونخضعه للنظريات العلمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة نلتمس لها محملاً في آية من آيات القرآن ونؤولها بما يوافق النظرية، هذا خطأ سائد عند الكثير من الناس، وإسراف في التأويل ما بعده إسراف، لهذا روعيت في القرآن بالنسبة إلى العلوم الكونية أمور واعتبارات لا يصدر مثلها عن مخلوق وهي:

- ١- أن الله تعالى لم يجعل هذه العلوم الكونية من موضوع القرآن؛ وذلك لأنها خاضعة لنظرية النشوء والارتقاء.
- ٢- أن القرآن دعانا إلى هذه العلوم من باب النظر والبحث والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].
- ٣- أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مبروية له تعالى ومقهورة تحت مراده وتصرفه، ونفى عنها ما علق في أذهان الضالين الذين توهموها آلهة ذات تأثير وسلطان، بينما هي خاضعة لله وسلطانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّفُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [فاطر: ٤١]. وكذلك أشعرنا أنها هالكة ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ...﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وإعجاز القرآن العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتبدل، وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما إعجازه في حثه على التفكير؛ فهو يحث الإنسان على النظر في الكون، ولا يشل حركة العقل في تفكيره، أو يحول بين الاستزادة من العلوم، كما حدث للكنيسة عندما شلت حركة العقل وهاجمت العلوم.

فالقرآن الكريم فيه إشارات علمية سبقت مساق الهداية، وهي كثيرة في القرآن.

الإعجاز العددي في القرآن الكريم: هذا نوع من أنواع الإعجاز للقرآن الكريم، وذلك بأن تأتي ألفاظ وأصداها بالتساوي بطريقة تبهر العقول.

* * *

المصحف الشريف بالأرقام

بدأ نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في ٢٧ من رمضان.

عمر النبي ﷺ وقت نزول الوحي (٤٠ سنة).

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ لمدة (٢٣) سنة، وهي فترة رسالته.

مدة نزول القرآن الكريم في مكة (١٢) سنة و(٥) شهور و(١٣) يوماً.

مدة نزول القرآن الكريم في المدينة (٩) سنين و(٩) شهور و(٩) أيام.

عدد سور القرآن الكريم (١١٤) سورة.

عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية.

عدد الآيات المكية (٤٤٧٥) آية.
 عدد الآيات المدنية (١٧٦١) آية.
 عدد السور المكية على رأي أكثر العلماء (٨٥) سورة.
 وعدد السور المدنية (٢٩) وقيل: ٣١ سورة.
 عدد أجزاء القرآن الكريم (٣٠) جزءاً، والجزء حزبان، والحزب (٤) أرباع.
 عدد أحزاب القرآن الكريم (٦٠) حزباً.
 عدد أرباع القرآن الكريم (٢٤٠) ربعاً.
 عدد أعشار القرآن الكريم (٤٨٠) عشراً.
 عدد كلمات القرآن الكريم (٩٧٤٣٩) كلمة.
 عدد ألفاظ القرآن الكريم (٥١٩٢٤) لفظاً.
 وعدد نقاط القرآن الكريم (١٥٠٦٨١) نقطة.
 عدد حروف القرآن الكريم (٣٢٣٦٧١) حرفاً.
 عدد سجديات التلاوة في القرآن الكريم (١٤) سجدة.
 سور القرآن الكريم التي بدأت بالحروف (٢٩) سورة.
السور التي بدأت بالحروف هي:

(٦) سور بدأت بحروف ﴿الت﴾ وهي: سورة البقرة - آل عمران - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة.
 و(٥) سور بدأت بحروف ﴿الر﴾ وهي: يونس - هود - يوسف - إبراهيم - الحجر.
 و(٧) سور بدأت بحرفي ﴿حم﴾ وهي: غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف.
 وسورتان بدأتا بحروف ﴿طس﴾ وهما: سورتي الشعراء - سورة القصص.
 وسورة بدأت بحروف ﴿كهيعص﴾ وهي سورة: مريم.
 وسورة بدأت بحروف ﴿الت﴾ وهي: سورة الرعد.
 وسورة بدأت بحرفي ﴿طس﴾ وهي: سورة النمل.
 وسورة بدأت بحروف ﴿التص﴾ وهي: سورة الأعراف.
 وسورة بدأت بحرفي (طه) وهي سورة: طه.
 وسورة بدأت بحرف (ص) وهي سورة: ص.
 وسورة بدأت بحرف (ق) وهي سورة: ق.
 وسورة بدأت بحرف (ن) وهي سورة: القلم.
 وسورة بدأت بحرفي (يس) وهي سورة: يس.

أين يقع كل من نصف القرآن، وربعه، وثلاثة الأول، وثلاثة الثاني، وربعه الثالث؟

الجواب: يقع نصف القرآن عند كلمة ﴿وَلَيْتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩].
 وربع القرآن عند كلمة ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
 وثلاثة الأول عند كلمة ﴿ذَلِكَ أَلْفُورٌ أَعْظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٠].
 ويقع ثلثه الثاني عند ﴿فَمَالَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].
 ويقع رابعه الثالث عند كلمة ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

* * *

تلاوة القرآن

تستحب قراءة القرآن على أكمل الأحوال متطهراً، مستقبل القبلة، متحريراً بها أفضل الأوقات كالليل وبعد المغرب وبعد الفجر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء: ٧٨]، وتجوز القراءة قائماً وقاعداً ومضجعاً ومشياً وراكباً، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]؛ فيستحب الإكثار من قراءة القرآن ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً وثبت حديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» رواه البخاري. والحسد: الغبطة، والآناء: الساعات، وقراءة القرآن أفضل من سائر الذكر، ففي الحديث القدسي: «من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب. وترتيل القراءة أفضل من السرعة مع تبين الحروف، وأشد تأثيراً في القلب، قال تعالى: ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وينبغي تحسين الصوت بالقراءة لقوله ﷺ: «رَتَّبُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» أخرجه أحمد وغيره، وإسناده صحيح. وفي لفظ عند الدارمي بإسناد حسن: «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا».



مقدار القراءة المستحبة

ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع يقرأ في كل يوم سبعاً من القرآن، وفيما دون الأسبوع أحياناً في الأوقات الفاضلة والأمكنة الفاضلة كرمضان والحرمين الشريفين وعشر ذي الحجة: اعتنائاً للزمان والمكان، وإن قرأ القرآن في كل ثلاثة أيام فحسن لقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو «اقْرَأْ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ» رواه أحمد. ويكره تأخير ختم القرآن عن أربعين يوماً إن خاف نسيانه. قال الإمام أحمد: ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه، ويحرم على المحدث حديثاً أصغر أو أكبر مس المصحف لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ويحرم على الجنب قراءة القرآن حتى يغتسل لحديث: «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ» رواه الترمذي في سننه، وقال الأرناؤوط: وهو حسن بشواهده.



استماع القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أمر الله بالاستماع والإنصات لقراءة القرآن ووعد على ذلك الرحمة، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مِثْلُهَا، وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أحمد.



الانتفاع بالقرآن

قال ابن القيم في الفوائد: إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فأجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من يتكلم به منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. لو جاءك خطاب من ملك من ملوك الدنيا يأمرك فيه وينهاك، لم يستقر لك قرار ولم يهدأ لك بال حتى تقرأه وتفهمه وتنفذ ما فيه، فكيف بكلام الله ملك الملوك الذي تضمن أسباب السعادة والشقاوة الذي لو نزل على الأرض لقطعها أو على الجبال لصدعها؟ لا تهتم به ولا تحرص على قراءته وفهم معانيه، فانتبه لذلك وفقك الله.



هجر القرآن

هجر القرآن أنواع: هجر قراءته، وهجر سماعه والإيمان به، وهجر تدبره، وهجر العمل به، وهجر تحكيمة، وهجر الاستشفاء به من أمراض

القلوب وأمراض الأبدان، فمن لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأه ولم يفهم معناه فقد هجره، ومن قرأه وفهم معناه ولم يعمل به فقد هجره، كل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

* * *

القرآن الكريم (كلية الشريعة)

قال الشاطبي: «قد تقرر أن الكتاب العزيز كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة، وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها واللاحق بأهلها أن يتخذ سميته وأنيسه، وأن يجعله على مر الأيام والليالي نظراً وعملاً، فيوشك أن يفوز بالبغيه، وأن يظفر بالطلبة، وأن يجد نفسه في السابقين، والرعيّل الأول، فإن كان قادراً على ذلك - ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبيّنة للكتاب، وإلا فكلام الأئمة السابقين والسلف المتقدمين - أخذ بيده في هذا المقصد الشريف والرتبة المنيفة».

* * *

في القرآن الكريم بيان كل شيء

القرآن الكريم فيه بيان كل شيء، فالعالم به على التحقيق عالم بجملته الشريعة، والدليل على ذلك أمور منها النصوص القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [البائدة: ٣] وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله: ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] يعني: الطريقة المستقيمة ولو لم يكن فيه جميع معانيها لما صح إطلاق هذا المعنى عليه حقيقة وأشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى وشفاء لما في الصدور، ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء، ومنها ما جاء من الأحاديث والآثار المؤذنة بذلك. كقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عَصِمَةُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَعْوجُّ فَيْقُومُ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثَرَةِ الرَّدِّ الْحَدِيثُ، فَكَوْنُهُ حَبْلُ اللَّهِ بِإِطْلَاقِ وَالشِّفَاءِ النَّافِعِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْأَمْرِ فِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ» رواه مسلم، وما ذاك إلا أنه أعلم بأحكام الله، فالعالم بالقرآن عالم بجملته الشريعة وعن عائشة رضي الله عنها: «من قرأ القرآن فليس فوقه أحد» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِذَا أَرَدْتُمْ الْعِلْمَ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «من جمع القرآن؛ فقد حمل أمراً عظيماً».

* * *

إعجاز القرآن

المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، والإعجاز في اللغة العربية معناه نسبة العجز إلى الغير وإثباته له، والقرآن الكريم أعجز الناس عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله أو بحديث مثله، قال تعالى ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أوجه إعجاز القرآن:

- ١ - النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.
- ٢ - الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.
- ٣ - الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.
- ٤ - التشريع الدقيق الكامل الذي يفي بحاجات البشر.
- ٥ - الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلية، التي لا تعرف إلا بالوحي.
- ٦ - الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعد.
- ٧ - عجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثلها.

٨- كونه محفوظًا من الزيادة والنقصان ومن التبديل والتغيير ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٩- تيسيره للحفظ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

١٠- تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء حتى قال الوليد بن المغيرة: «وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَشْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا تَقْوَلُهُ بَشَرٌ».

١١- كونه لا يملئه قارئه ولا سامعه على كثرة التردد بخلاف سائر الكلام.

والقرآن أولًا وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز، والقرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالًا لأمر به، واحتوى القرآن على الأمر الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع وبغير أسلوب ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

شُعَبُ الْحَيَاةِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا الْقُرْآنُ بَبَيَانِ أَحْكَامِهَا

احتوى القرآن الكريم على كثير من نواحي الحياة المختلفة من ذلك ما يأتي:

- ١- العقائد التي يجب الإيمان بها في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.
- ٢- الإرشاد إلى النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، لتعرف أسرار الله في كونه وإبداعه في خلقه، فتمتلئ القلوب إيمانًا بعظمته عن نظر واستدلال لا عن تقليد ومجارة.
- ٣- قصص الأولين أفرادًا وأممًا، فقد ورد في القرآن كثير من القصص الذي يثير الاعتبار والاتعاظ، ويرشد إلى سنن الله في خلقه نجاة للصالحين وهلاكًا للمفسدين.
- ٤- الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة، كالصبر والصدق والوفاء وأداء الأمانة مع التحذير من الأخلاق السيئة التي تودي بمعاني الحياة الإنسانية الفاضلة، وتسبب لها الشقاء كالكذب والخيانة وإخلاف الوعد ونقض العهد...
- ٥- العبادات على اختلاف أنواعها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد، وجاء في ذلك ما يقرب من مائة وأربعين آية.
- ٦- نظام الأسرة كأحكام الزواج والطلاق وما يتبعها من مهر ونفقة وحضانة ورضاع ونسب وعدة ووصية وإرث، وجاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية.
- ٧- أحكام المعاملات المالية كالبيع والإجارة والرهن والمداينة والتجارة، جاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية أيضًا.
- ٨- أحكام الجنايات والحدود والسرقة والزنا والقذف ومحاربة الله في أرضه، وجاء في ذلك ما يقرب من ثلاثين آية.
- ٩- أحكام الحرب والسلم وما يتبع ذلك من جهاد وغنيمة وأسر وعهود وجزية.
- ١٠- نظام الحكم فيما يجب على الحكام من الشورى والعدل والمساواة والحكم بما أنزل الله، وما يجب على الناس لهم من طاعة.
- ١١- تنظيم الحياة الاجتماعية في علاقة الأغنياء بالفقراء فيما يحقق العدل الاجتماعي بين الناس، ولم يتفق العلماء على عدد آيات الأحكام وقيل إنها: خمسمائة آية أو قريب منها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

هداية القرآن للتي هي أقوم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ما أعظم هذه القاعدة! وما أحكم هذا الأصل العظيم الذي نص نصًا صريحًا على عموم هداية القرآن وعدم تقييد هذه الهداية بحال من الأحوال! فكل حالة هي أقوم في العقائد والأخلاق والأعمال والسياسات والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية، فإن القرآن يهدي لها ويرشد إليها ويأمر بها ويحث عليها، ومعنى ﴿ أَقْوَمُ ﴾ أصلح وأكمل استقامة وأعظم قيامًا وصلاحًا للأمر.

فأما عقائد القرآن فهي العقائد النافعة التي فيها صلاح القلوب وحياتها وكمالها، فإنها تملأ القلوب عزة وكرامة بشعورها بالتجرد من الذل لمخلوق مثلها، وشرفها بتخصيصها لمحبة الله تعظيمًا له وتألها وتعبدًا وإنابة، وهذا المعنى هو الذي أوجد الله الخلق لأجله.

وأما أخلاق القرآن التي يدعو إليها فإنه يدعو إلى التحلي بكل خلق جميل، من الصبر والحلم والعفو والأدب وحسن الخلق مع الله ومع الخلق وجميع مكارم الأخلاق، ويحث عليها بكل طريق ويؤلف القلوب ويجمع المتفرق، وأما الأعمال الدينية التي يهدي إليها فهي أحسن الأعمال التي فيها القيام بحقوق الله وحقوق عباده على أكمل الحالات وأجلها وأسهلها وأوصلها إلى المقاصد.

وأما السياسات الدينية والدنيوية فهو يرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المقاصد والمصالح الكلية وفي دفع المفساد، ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته والعمل بما تقتضيه المصلحة في كل وقت بما يناسب الحال، حتى في سياسة الوالد مع ولده وزوجه وأهله وخادمه وأصحابه ومعامله، فكل مصلحة يتفق العقلاء أنها أقوم وأصلح من غيرها، فإن القرآن يرشد إليها نصاً ظاهراً أو دخولاً تحت قاعدة من قواعده الكلية، وكل التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة، وما تقتضيه المصالح تفصيلاً لهذا الأصل المحيط، وبهذا وغيره يتبين لك أنه لا يمكن أن يوجد علم صحيح أو معنى نافع أو طريق صلاح يرده القرآن.

ومما ينبغي لصاحب القرآن: أن يخلص في طلبه لله ﷻ، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن ليله ونهاره في الصلاة وغيرها لثلاثين سنة، وينبغي أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتمداً، وللموت ذاكراً، وله مستعداً. وينبغي أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عفو ربه، ساعياً في خلاص نفسه ونجاة مهجته، مقدماً بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه، مجاهداً لنفسه في ذلك ما استطاع، وينبغي أن يكون أهم أموره الورع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه، وينبغي أن يتواضع للفقراء، ويتجنب الكبر والإعجاب، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب، وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره، ويسلم من ضره، وأن يصاحب من يعاونه على الخير، ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يشينه.

وينبغي أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فيتفح بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه، ولا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يعلم معناه؟ وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلو ولا يدره، فما مثل من هذه حاله إلا كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً. ثم ينظر في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله ﷻ في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن، وذلك كيبانه ﷺ للصلوات الخمس في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها، وكيبانه مقدار الزكاة ووقتها والأموال التي تجب فيها، وكيبانه مناسك الحج، قال ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، وقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وعن الفضيل بن عياض (رضي الله عنه) قال: «تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهراً به، ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى يخلص النية فيه لله جل ذكره، فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقي الله في نفسه ويخلص العمل به».

قال أبو عمر بن عبد البر: وحلة القرآن هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تعلموا عشر آيات من القرآن لم يتجاوزوها حتى يتعلموا معانيها وحلالها وحرامها وأمرها ونهيها ويعملوا بها، ويلزم قارئ القرآن تعظيمه وحرمة، قال الحكيم الترمذي، في نواذر الأصول: فمن حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهراً، وأن يستاك ويطيب فاه إذ هو طريقه، وأن يستقبل القبلة بقراءته، وأن يستعبد بالله من الشيطان الرجيم، ويقرأ البسملة عند ابتداء القراءة، وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يقرأ على تودة وترتيل، وأن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، وأن يقف على آية الوعد ويرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وعند آية الوعيد فيستعبد بالله منه، ويقف على أمثاله فيعتبر بها، وأن يؤدي لكل حرف حقه في الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، فإن له بكل حرف عشر حسنات، ومن حرمة القرآن ألا يقرأه بالبحان الغناء كما يلحن أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا بنوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ، وألا يجهر بعض على بعض بالقراءة، وألا يماري ولا يجادل في القرآن، وأن لا يصغر المصحف، ومن حرمة القرآن ألا يفسر بمجرد الرأي، فإن ذلك لا يجوز وعليه الوعيد الشديد، قال ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

فالقرآن شافع مشفع لمن عمل به، وقد تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل به ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة بقوله: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] فإذا قصر المسلم في تلاوة القرآن، أو قصر في فهمه أو قصر في العمل به فقد هجره: ﴿يَرْبِّ إِن قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] فعلياً معاشر المسلمين أن نقدر كلام ربنا حق قدره، ونعظمه حق تعظيمه، ونتدبر آياته، فتذكر بها ماضيها وحاضرها ومستقبلها ليكون حجة لنا عند ربنا، ولندرك به سعادة الدنيا والآخرة، وعلينا أن نتلوه حق تلاوته ونتدبره لنتفع به، ونكون من الفائزين، قال الشاعر:

وواظب على درس القرآن فإنه يلين قلباً قاسياً مثل جلمد

وقال آخر:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي

القرآن الكريم	الحديث القدسي	
الوجه الأول	أن القرآن نزل مقروئًا بالتحدي	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه الثاني	أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه الثالث	القرآن متواتر، نقله الجمع الغفير ممن بلغ الغاية في العدالة والضبط عن مثلهم، إلى النبي ﷺ	والحديث القدسي منه الصحيح ومنه الحسن، ومنه الضعيف
الوجه الرابع	لا تجوز رواية القرآن بالمعنى	يجوز أن يروى بمعناه
الوجه الخامس	لا يجوز للجنب قراءة القرآن، ولا مس المصحف	يجوز للجنب قراءة الحديث القدسي ومس الكتاب الذي يحتويه
الوجه السادس	أن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم	لم يتكفل الله بحفظه
الوجه السابع	من أنكر لفظًا من ألفاظ القرآن الكريم كفر، لأنه متواتر كله	بخلاف الحديث القدسي فإنه من أنكر منه شيئًا، لم يعلم من الدين بالضرورة، لا يكفر لأن الحديث القدسي ليس كذلك
الوجه الثامن	القرآن كل حرف منه بحسنة عند قراءته	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه التاسع	القرآن يتعبد به في الصلاة	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه العاشر	القرآن لفظًا ومعنى من الله عز وجل	الحديث القدسي معنى من الله عز وجل واللفظ للنبي ﷺ

* * *

الأحرف السبعة

روى مسلم عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة مسيل الماء إلى الغدير في بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرف».

فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرفين»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف». فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك».

ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبىما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا.

المقصود بالأحرف السبعة:

اختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافًا كثيرًا حتى قال ابن حبان: اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً. وأهم هذه الأقوال ستة:

القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة: سبع لغات وهي لغات العرب في المعنى الواحد. على معنى: أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بالفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

وقد اختلف العلماء في تحديد اللغات السبع.

ف قيل: هي لغات قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

وقيل: قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر.

القول الثاني في الأحرف السبعة:

المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح

لغاتهم، فأكثره بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل أو ثقيف أو هوازن أو كنانة أو تميم أو اليمن، فهو يشتمل في مجموعه على اللغات السبع. وهذا الرأي يختلف عن سابقه؛ لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني.

القول الثالث في الأحرف السبعة:

ذكر بعض العلماء أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة: الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والجدل، والقصص، والمثل. أو: الأمر، والنهي، والمحكم، والمتشابه، والحلال، والحرام، والأمثال.

القول الرابع في الأحرف السبعة:

ذهب جماعة من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التباين السبعة التي يقع فيها الاختلاف.

الوجه الأول: اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعها «التثنية والجمع والتأنيث».

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ دَعْوَى﴾ [المؤمنون: ٨] قرئ «لأماناتهم» بالجمع، وقرئ «لأمانتهم» بالإفراد.

الوجه الثاني: الاختلاف في وجوه الإعراب.

كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] قرأ الجمهور بالنصب على أن «ما» عاملة عمل «ليس»، وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن.

وقرأ ابن مسعود: «ما هذا بشر» بالرفع، على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون (ما) عمل (ليس).

الوجه الثالث: الاختلاف في التصريف، كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩] قرئ بنصب «ربنا» على أنه منادى مضاف، و«باعد» بصيغة الأمر.

وقرئ «ربنا» بالرفع، و«باعد» بالفتح على أنه فعل ماض، وقرئ «بعد» بفتح العين مشددة مع «ربنا» أيضًا.

ومن ذلك ما يكون بتغيير حرف، مثل «يعلمون» و«تعلمون» بالياء والتاء، و«الصراط» من «السرط» بالسین والصاد.

الوجه الرابع: الاختلاف في التقديم والتأخير، إما في حرف، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسْ﴾ [الرعد: ٣١] وقرئ: «أفلم يأس».

وإما في الكلمة، كقوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] وقرئ بالعكس «فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ».

الوجه الخامس: الاختلاف بالإبدال، سواء أكان إبدال حرف مكان آخر، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]

قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون «ننشرها». أو إبدال لفظ بلفظ، كقوله تعالى: ﴿كَأَلَمِ الْغَفُوشِ﴾

[الفارقة: ٥] قرأ ابن مسعود وغيره «كالصوف المنفوش».

الوجه السادس: الاختلاف بالزيادة والنقص. فالزيادة كقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] قرئ «من تحتها

الأنهار» بزيادة «من» وهما قراءتان متواترتان. والنقصان كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] بدون واو وقراءة الجمهور: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

الوجه السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل والإشمام. ونحو ذلك.

القول الخامس في الأحرف السبعة:

ذهب بعض العلماء إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألّفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد.

القول السادس في الأحرف السبعة:

ذهب جماعة من العلماء إلى أن المقصود بالأحرف السبعة هي: القراءات السبع.

أرجح الأقوال في الأحرف السبعة:

أرجح الأقوال هو القول الأول، الذي يقول: إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع... فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد.

وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء.

واختار ابن الجزري القول الرابع الذي يقول: إن المراد بالأحرف السبعة وجوه التباين السبعة التي يقع فيها الاختلاف. وهذه الأوجه هي:

الوجه الأول: اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعها «التثنية والجمع والتأنيث». الوجه الثاني: الاختلاف في وجوه الإعراب. الوجه الثالث:

الاختلاف في التصريف. الوجه الرابع: الاختلاف في التقديم والتأخير. الوجه الخامس: الاختلاف بالإبدال. الوجه السادس: الاختلاف بالزيادة

والنقص. الوجه السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل والإشمام. ونحو ذلك.

الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف:

- ١ - تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لسان.
- ٢ - إعجاز القرآن للفتنة اللغوية عند العرب.
- ٣ - إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه.



القراءات

القراءات: جمع قراءة. وهي في الاصطلاح العلمي: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من أئمة القراء مذهباً يخالف غيره، وهي ثابتة بأسانيدھا إلى الرسول ﷺ، ويرجع عهد القراء إلى عهد الصحابة، واشتهر عدد منهم بالإقراء، منهم: أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو موسى الأشعري... وغيرهم كثير.

أنواع القراءات:

قال الإمام السيوطي: القراءات: متواتر ومشهور وآحاد وشاذ وموضوع ومدرج.

وقال القاضي جلال الدين البلقيني: القراءات تنقسم إلى: متواتر وآحاد وشاذ.

فالمتواتر: القراءات السبع المشهورة.

والآحاد: قراءة الثلاث التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذ: قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب.

الأئمة السبعة:

هذا جدول يوضح نبذة مختصرة عن الأئمة السبعة ورواتهم:

م	القراء	تاريخ الوفاة	أسماء الرواة	تاريخ الوفاة
١	نافع بن عبد الرحمن المدني	١٦٩ هـ	١- قالون (عيسى بن مينا) ٢- ورش (عثمان بن سعيد)	٢٢٠ هـ ١٩٧ هـ
٢	عبد الله بن كثير المكي	١٢٠ هـ	١- البزي (أحمد بن محمد) ٢- قبل (محمد بن عبد الرحمن)	٢٥٠ هـ ٢٩١ هـ
٣	أبو عمرو بن العلاء البصري	١٥٤ هـ	١- الدوري (حفص بن عمر) ٢- السوسي (صالح بن زياد)	٢٤٦ هـ ٢٦١ هـ
٤	عبد الله بن عامر الشامي	١١٨ هـ	١- هشام (هشام بن عمار) ٢- ابن ذكوان (عبد الله بن أحمد)	٢٤٥ هـ ٢٤٢ هـ
٥	عاصم بن أبي النجود الكوفي	١٢٧ هـ	١- شعبة (شعبة بن عياش) ٢- حفص (حفص بن سليمان)	١٩٣ هـ ١٨٠ هـ
٦	حمزة بن حبيب الزيات الكوفي	١٥٦ هـ	١- خلف (خلف بن هشام) ٢- خلاد (خلاد بن خالد)	٢٢٩ هـ ٢٢٠ هـ
٧	أبو الحسن بن حمزة الكسائي الكوفي	١٨٩ هـ	١- أبو الحارث (الليث بن خالد) ٢- الدوري (حفص بن عمر)	٢٤٠ هـ ٢٤٦ هـ

القراءات الثلاث المكملة للعشر:

القراءات الثلاث المكملة للعشر هي قراءات الأئمة الآتية أسماؤهم في الجدول ومعهم أسماء رواتهم:

م	القراء	تاريخ الوفاة	أسماء الرواة	تاريخ الوفاة
١	أبو جعفر بن يزيد بن القعقاع المدني	١٣٠ هـ	١- ابن وردان (عيسى بن وردان) ٢- ابن جاز (سليمان بن مسلم)	١٦٠ هـ ١٧٠ هـ
٢	يعقوب بن إسحاق البصري	٢٠٥ هـ	١- رؤيس (محمد بن المتوكل) ٢- روح (روح بن عبد المؤمن)	٢٣٨ هـ ٢٣٤ هـ
٣	خلف بن هشام البزاز البغدادي	٢٢٩ هـ	١- إسحاق (إسحاق بن إبراهيم) ٢- إدريس (إدريس بن عبد الكريم)	٢٨٦ هـ ٢٩٢ هـ

يزيد علماء القراءات أربع قراءات^(١) على هذه العشر:

- ١ - قراءة الحسن البصري: توفي سنة ١١٠ هـ.
- ٢ - قراءة ابن محيص: توفي سنة ١٢٣ هـ.
- ٣ - قراءة يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي: توفي سنة ٢٠٢ هـ.
- ٤ - قراءة أبي الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي: توفي سنة ٣٨٨ هـ.

ضوابط القراءة الصحيحة:

- ١ - موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه.
 - ٢ - أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً كقراءة: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فلفظة «مالك» كتبت في جميع المصاحف بحذف الألف، فتقرأ «ملك» وهي توافق الرسم تحقيقاً، وتقرأ «مالك» وهي توافق الرسم احتمالاً، ولا يشترط في القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لجميع المصاحف.
 - ٣ - أن تكون القراءة صحيحة الإسناد.
- لو افتقدت القراءة شرطاً من الشروط السابقة اختلت، وصارت القراءة شاذة أو ضعيفة أو باطلة.

فوائد الاختلاف في القراءة الصحيحة:

- ١ - الدلالة على صيانة القراءة من التبديل والتحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.
- ٢ - إعجاز القرآن في إيجازه؛ حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرار اللفظ، كقراءة: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٩] بنصب وكسر اللام في أرجلكم؛ فقراءة النصب للغسل، وقراءة الجر لحكم المسح على الخفين.
- ٣ - بيان ما يحتمل أن يكون (غير محتمل) في قراءة أخرى. مثل (يَطْهَرُونَ) [البقرة: ٢٢٢] بتشديد الطاء وتخفيفها (يَطْهَرُونَ) فإذا كانت القراءة الثانية توهم أنه تجوز معاشرته الزوجة إذا توقف حيضها، فالقراءة الأولى تفيد أنه لا يجوز ذلك إلا بعد أن تغتسل وتتطهر.

* * *

تعريف الفرش والأصول^(٢) والفرق بينهما

الفرش: مصدر فرش بمعنى: نشر وبسط. واصطلاحاً: ما كان من خلاف غير مطرد في حروف القراءات مع عزو كل قراءة إلى صاحبها؛ كالخلاف في قراءة: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ حيث تقرأ كلمة «مالك» بحذف الألف وبإثباتها، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث تقرأ كلمة «يخدعون» بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال على وزن يَفْعَلُونَ، وتقرأ بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال «يخادعون» مثل الموضع الأول من باب «المفاعلة»، أو في قراءة قوله تعالى: ﴿فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ حيث تقرأ كلمة «فأزل» بحذف الألف بعد الزاي ومع تشديد اللام «فأزل»، وتقرأ بإثبات الألف بعد الزاي وتخفيف اللام: «فأزال...» وهكذا. وسمي فرشاً لانتشار تلك الحروف والكلمات المختلف فيها في سور القرآن الكريم، فكأنها انفرشت في السور أي: انتشرت. وقد يقال لها: الفروع مقابلة للأصول، وقيل: سمي هذا النوع بالفرش تشبيهاً له بصغار الغنم المنتشرة على أرض فضاء هنا وهناك، أو تشبيهاً لها بصغار الشجر. فالكلمات الفرشية هي الجزئيات التي يقع الخلاف في قراءتها، ولا يقاس عليها؛ كالخلاف الواقع في قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ في سورة البقرة؛ حيث تقرأ «يخدعون» و«يخادعون» ولكن لا يقاس عليها ما جاء في سورة النساء من قوله تعالى: ﴿يَخْدَعُونَ اللَّهَ﴾ لأن الخلاف وقع فيما في البقرة لا ما في النساء مع أن رسمهما واحد.

الأصول: جمع أصل، وهو لغة: عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره، أو هو ما ينبنى عليه غيره. واصطلاحاً: كل حكم كلي جارٍ في كل ما تحقق فيه شرطه، فهي تطلق على الأحكام الكلية والخلافات المطردة التي تندرج تحتها الجزئيات المتمثلة؛ كصلة هاء الضمير، وصلة ميم الجمع، والمدود، وتسهيل الهمزات أو تغييرها، أو نقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها ثم حذفها، والفتح والإمالة... والأبواب التالية تبين أصول القراءة وتوجيهها.

(١) وهذه القراءات الأربع من القراءات الشاذة لفقدتها شرطاً من شروط القراءة الصحيحة.

(٢) الكلمات الخاصة بالفرش تم ذكرها بهامش المصحف وتوجيهها، أما الأصول فقد ذكرت بهذا الملحق مع ذكر توجيهها.

(باب الاستعاذة)

الاستعاذة: هي طلب الإعاذة كالأستعانة والاستخارة، وهي العصمة والتحصن والامتناع بالله من النزغات الشيطانية بدليل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، وتكون قبل القراءة على أرجح الأقوال. وقيل بعد القراءة حسب ظاهر الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. لكن المعنى على خلاف ظاهر الآية؛ لأن معناه فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، ودل على ذلك الإجماع على أن الاستعاذة قبل القراءة، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبْرُ أَمَّا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآية: والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وقيل: بعد القراءة حسب ظاهر الآية ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ وقرأ فعل ماضٍ، ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. كما ورد في القرآن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وإن جازت الزيادة للتنزيه، وهي مستحبة. وقيل: واجبة، فوجه من قال بالاستحباب حمل الأمر في الآية على الندب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ وقوله: ﴿فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ الآية، ووجه من قال بالوجوب حسب ظاهر الآية، ووجه من جهر بها - وذلك مقيد بحضرة من يستمع - قال: أظهر لشعائر القراءة، قيل: ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها فلا يفوته منها شيء فإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بالقراءة إلا بعد أن فاتته شيء منها، ووجه الإصرار بها كما هو مذهب الإمام حمزة - وذلك في الصلاة والانفراد - قيل لأن الجهر لا يترتب عليه فائدة في الحالين، فلا داعي للجهر بها، ولثلا يظن ظان أنها من القرآن فأخفاها لذلك.

* * *

(باب البسملة)

قري: بإثبات البسملة بين السورتين، لما ورد في حديث سعيد بن جبير: كان عليه الصلاة والسلام لا يعلم انقضاء السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم. ولأنها ثابتة في خط المصحف، ولما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «أقروا ما في المصحف». ولقول بعض العلماء أنها آية في أول كل سورة إلا «براءة» وهو أحد أقوال الشافعي - رضي الله عنه -.

وقري: بوصل السورة بالسورة من غير بسملة، وذلك لبيان ما في آخر السورة من إعراب وبناء، وما في أول السورة التالية من همزات قطع أو وصل أو نحو ذلك، وأنها لما كانت عنده ليست بآية من كل سورة، وعند جماعة الفقهاء كذلك أسقطها في وصله السورة بالسورة؛ لثلا يظن ظان أنها آية من كل سورة، فالقرآن عنده كالسورة الواحدة، فكما لا يفصل بين بعض السورة وبعضها بالتسمية، فكذلك لا يفصل بها بين السورة والسورة، وأما إثباتها في المصحف فإنما ذلك ليعلم فراغ سورة وابتداء أخرى.

وجه يفصل بالبسملة بين الأربع الزهر أي: بين المدثر، والقيامة، وبين الانفطار، والمطففين، وبين الفجر، ولا أقسم بهذا البلد، وبين العصر، والهمزة، ومذهبه إسقاطها بين باقي السور.

قال: إن وصل السورة بالسورة من هذه الأربع فيه قبح في اللفظ، فكره ذلك إجلالاً للقرآن وتعظيمًا لشأنه، ألا ترى أنه يقول: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُرَىٰ وَآهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ لا أقسم، فيقع لفظ التقوى عقب لفظ المغفرة وذلك قبح في السمع، ويقول: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فيقع لفظ الويل عقب لفظ الجلالة، وكذلك السور الأخرى.. فاختر لمن يفصل بالسكت بين كل سورتين أن يفصل بين هذه السور بالبسملة، ولمن لا يفصل بالسكت بين كل سورتين أن يفصل بين هذه السور بالسكت.. وحجتهم في ذلك ما روي أن رجلين أتيا النبي ﷺ فشهد أحدهما وقال: «من يطع الله جل وعز ورسوله ﷺ فقد رشد ومن يعصهما» ووقف على يعصهما فقال له النبي ﷺ: «بئس الخطيب أنت» وذلك لقبح لفظه في وقفه، إذ قرن الإيمان بالكفر في إيجاب الرشد لهما وكان حقه أن يقول: ومن يعصهما فقد غوى، أو يقف على رشد ويتدلى: ومن يعصهما فقد غوى.

فانظر كيف كره النبي ﷺ قبح وقفه ولفظه، وإن كان مراد الخطيب الخير، ولم يقصد إلى شيء من الشر، فبهذا ونحوه يرغب في معرفة حسن الوقف في كتاب الله على الكلام التام.

وأما وجه وصل آخر الأنفال بأول براءة من غير بسملة فقد قال: لما حذفت البسملة من المصحف صار أول براءة كأول عشر من السورة، والتعوذ في الابتداء بها يكفي كما يفعل بالابتداء بالأعشار. وعلة حذفها في المصحف ما روي عن مالك أنه قال: إنما ترك من مضى أن يكتبوا في أول براءة «بسم الله الرحمن الرحيم» لأنها سقط أولها يعني نسخ، ولقول عثمان بن عفان - رضي الله عنه - براءة من سورة الأنفال، وسقط بينها شيء لم نجده عند أحد يثبت، فلذلك لم تكتب في أولها «بسم الله الرحمن الرحيم» يريد عثمان أنه نسخ من أولها شيء. وقال أبي بن كعب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا في أول كل سورة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» ولم يأمرنا في سورة براءة بشيء، فلذلك ضمت إلى الأنفال، ولم يكتب بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول سورة

براءة، وقال عاصم: لم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» أول براءة لأنها: أي: البسمة رحمة، وبراءة عذاب، إلى آخر ما قيل في ذلك والله أعلم.
وقرئ: بالسكت بينهما، وقيل: إنه لما ابتداء في السورة، ثم وصل السورة بالسورة أراد أن يبين بالسكت بينهما أن الأولى تمت، وأنه ابتداءً بثنائية، وأن البسمة ليست بآية من كل سورة.

* * *

(باب الإدغام)

الإدغام بأقسامه: هو إدخال الشيء في الشيء ويقابله الإظهار وهو الإبانة، والإدغام والإظهار لغتان واردتان عن العرب، فوجه الإدغام لإرادة التخفيف، وقيل: لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى للمخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك. وشبهه النحويون بمشي المقيّد لأنه يرفع رجلاً ثم يعيدها إلى موضعها أو قريب منها. وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين وذلك ثقيل على السامع، ولذلك أدغم أبو عمرو بن العلاء، وقال الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره، ومن شواهد كلام العرب قول بعضهم:

عَشِيَّةَ تَمْنَى أَنْ تَكُونَ حَمَامَةً بِمَكَّةَ يُوَوِّتُكَ السَّتَارُ الْمُحَرَّمُ

ولا ينتظم البيت إلا بالإدغام.

وجه الإظهار قالوا: لأن فيه إتيان كل حرف حقه من إعرابه وحركة بنيته التي استحقها، وهو الأصل في الحروف؛ لأنه الأكثر، والإدغام إنما دخل لعله، وهي إرادة التخفيف، والله أعلم.

* * *

(باب هاء الكناية)

هي هاء الضمير التي يكنى بها عن الفرد المذكر الغائب، ولها أربع حالات: إما أن تقع بين ساكنين، أو يكون قبلها متحرك وبعدها ساكن فمقصورة للجميع، وإما أن تقع بين متحركين فموصولة للجميع، أو قبلها ساكن وبعدها متحرك موصولة للبعض ومقصورة للبعض الآخر.
 ووجه الصلة أن الهاء حرف خفي، فأريد تقويته بالصلة بحرف من جنس حركته، فإن قيل: لم لم يفعل هذه الصلة في الهاء التي من نفس الكلمة في نحو: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا﴾ مثلاً. قالوا: لأن الصلة في مثل ذلك قد توهم ثنائية أو جمعاً بخلاف هاء الضمير. وقول آخر في صلتها: هو أن هاء الضمير اسم على حرف واحد، فناسب أن يقوى بالصلة. ووجه القصر أي: حذف الصلة لإرادة التخفيف، ولأن حرف الصلة هذا غير ثابت في الخط فحذف من اللفظ تبعاً للخط. ووجه إسكانها في بعض الكلمات. قال: تشبيهاً لها بألف الضمير وواوه ويائه، فأسكنت، أو استثقلت صلتها فأسكنت كما فعل في ميم الجمع وأصلها البناء على الضم كما في قوله له ومنه وعنه، ولا تكسر إلا لمجاورتها كسراً أو ياء ساكنة.

* * *

(باب المد والقصر)

المد: هو إطالة زمن صوت حرف: لمد عند ملاقة همز أو سكون، ويقابله القصر وهو ترك تلك الزيادة، فوجه المد الاستعانة على النطق بالهمز محققاً وبياناً لحرف المد خوفاً من سقوطه عند الإسراع لخفائه وصعوبة الهمز بعده في حرف المد ليظهر ولثلاً يزداد بملاصقته للهمز خفاء؛ لأن الهمز حرف قوي شديد.

وجه القصر فيما عدا اللازم والمتصل قيل: هو الأصل في بقاء حرف المد من غير زيادة عليه، ولأن الهمز لما كان بصدد الزوال في حالة الوقف وذلك في المنفصل لم يعط في حالة الوصل حكماً، وكذا العارض للسكون لما كان بصدد الزوال في الوصل لم يعط حكماً في الوقف.

وجه الإجماع على مد اللازم عدم انفكاك السكون الأصلي عن حرف المد وصلاً ووقفاً. فحرف المد ساكن وبعده ساكن ولا يتوصل إلى النطق بالساكن بساكن قبله؛ لذلك اجتلبت المدة لتقوم مقام الحركة بالنطق ليتوصل إلى النطق بالمشدد، وكانت المدة أولى لأن الحرف الذي قبل المشدد حرف مد.

وجه المد في مثل: ﴿لَا رَيْبَ﴾ المسمى بمد التبرئة لتأكيد النفي، ووجه مد البدل نظراً لاجتماع الهمز والمد في كلمة واحدة مطلقاً قياساً على تقدم حرف المد على الهمز.

وجه من قصره قال: إن سبب المد وجود الهمز بعد حرف المد وهو في البدل قبله. ووجه من وسطه نظر إلى وجود حرف المد والهمز في كلمة ولم

ينظر إلى تقدمه أو تأخره، وأما وجه المد والتوسط في (شيء، وسوء) فَلَمَرَّاعَة اتصال الهمز وحرف المد في كلمة واحدة كذلك، ووجه القصر لملاحظة أنه حرف لين فقط، ولأن عليه أكثر القراء، والله أعلم.

* * *

(باب الهمزتين من كلمة)

وجه من قرأ بهمزتين في مثل ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ فعلى الاستفهام، ومن قرأ بهمزة واحدة فعل الخبر، ومن قرأ بتسهيل الثانية فالتخفيف؛ لأن الهمزة حرف شديد قوي والنطق به صعب ثقيل، فإذا انضمت لغيرها كان ذلك أعظم ثقلًا، فإذا لزمت كل واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشد ثقلًا مع كثرة الاستعمال لهما فتركوا تحقيقها استخفافًا إذ كانوا يخفون المفردة، فالمكررة من باب أولى في التخفيف لثقلها في النطق، وعليه لغة العرب من أهل الحجاز؛ وجمعًا بين اللغات؛ ومن قرأ بالتحقيق في الهمزتين فذاك على الأصل، ومن قرأ بإدخال ألف بينهما فللفصل بين همزة الاستفهام وهمزة الكلمة محققة كانت أم مسهلة وهي لغة، ولأنه نوع من أنواع التخفيف فقد حال بين الهمزتين بحائل يمنع من اجتماعها، وكذا إبدال الهمزة الثانية ألفًا ومدّها لساكين لغة أيضًا.

* * *

(باب الهمزتين من كلمتين)

قرئ: بإسقاط إحداها. وقيل: هي الأولى لأن التغيير يكون دائمًا في آخر الكلمة. وقيل: بإسقاط الثانية لأنها هي التي حصل بها الثقل، ولأن طريقة أبي عمرو ومن معه في المثلين جواز الإدغام تخفيفًا، وقد تعذر في اجتماع الهمزتين فخفف بالإسقاط.. وقرئ: بالتسهيل تخفيفًا وجمعًا بين اللغات، وقرئ: بالإبدال والإدغام في ﴿يَا لَسَوْءَ إِلَا﴾ لقصد التخفيف، وقرئ: بإبدال الثانية حرف مد وكذا بإبدالها ياء خالصة في ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ [البقرة: ٣١] وفي ﴿عَلَى أَلْبَعْلَاءِ إِنْ أَرَدْنَ﴾ [النور: ٣٣] كل ذلك للتخفيف وجمعًا بين اللغات، وقيل: الحذف للمبالغة في التخفيف. وللعلة المتقدمة في الهمزتين من كلمة.

* * *

(باب الهمز المفرد)

إنما خص ورش همزة فاء الفعل بالإبدال لأنها مبتدأ بها، وورش من أصله نقل حركة الهمزة المبتدأ بها كما يأتي، فأجرى هذه مجرى تلك في التغيير؛ ولأنه كما وجب أبدلها في نحو: ﴿ءَاسِنٌ﴾ و﴿وَعَاقٍ﴾ أبدلها هنا طردًا للباب. وقيل: إن إبدال الهمز مطلقًا لورش ولغيره فاء فعل أو غيرها مراد به التخفيف لأن في تحقيقها ثقل فخففها على ما قدمنا من العلة في الهمزتين، وأيضًا فإن التخفيف لغة أهل الحجاز، وهو أخف على القارئ مع موافقته لغة العرب والرواية، ووجه التحقيق أنه على الأصل، وقد قدمنا في الهمزة أن العرب تستثقل النطق بها لشدها وجلدها وقد استعملوا فيها ما لم يستعملوه في غيرها من الحروف، فوجه من حققها - فاء فعل أو عينه أو لامه - أنه أتى بها على الأصل فأظهرها كما يفعل بسائر الحروف وخفف ذلك عليه وسهل لانفرادها، إذ ليس قبلها همزة، ولأن كثيرًا من العرب والقراء يحققونها مع تكررها، فكان تحقيقها وهي مفردة أخف وأقوى وليبان الأصل، إذ لو خفف لجاز لظان أنه لا أصل للكلمة في الهمز، ألا ترى أن من ترك همز ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾، ويجوز ﴿وَرِيًّا﴾ يجوز أن يكون مما لا أصل له في الهمز، ففي همزه بيان أن أصله الهمز. وكذا الحذف والتسهيل لإرادة التخفيف.

* * *

(باب نقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها)

تنقل حركة الهمز إلى الساكن الصحيح قبلها لقصد التخفيف؛ لأن النقل أخف من بقاء الهمز على حاله، فقد قدمنا القول في ثقل الهمزة وبعد مخرجها وصعوبة اللفظ بها، ولما كثرت الهمزة في الكلام، وأمكن أن تلقى حركتها على ما قبلها فتقوم حركتها مقامها وتذهب صعوبة لفظها أثر ذلك ورش مع روايته ذلك على أئمتته، فهو إذا ألقى حركة الهمزة على ما قبلها لم يخل بالكلام، وخفف الثقل الذي في همزه، فأثر ذلك لذلك وتحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها؛ لأن بقاءها ساكنة ثقل خصوصًا إذا كان بعدها ساكن فيجتمع ساكنان، مثل: ﴿قَدْ أَلْفَحَ﴾، وأما عدم النقل فعلى الأصل،

وأما ﴿عَادَا أَلَوْنَ﴾ فكل ما فيها من أوجه إدغامٍ وغيره وهمز واوه ونحوه، فكل ذلك لغات فيها.
(وأما... كتابه... إني) في «الحاقة» فالنقل فيها ضعيف، والأصح عدمه، لأنها هاء سكت لا يجوز تحريكها، وهي لا تثبت إلا في آخر الكلمة في الوقف، فإن تثبت هنا حال النقل فهو مخالفة للأصل، فقد أجريت في الوصل مجرى الوقف حال ثبوتها.
فوجه من نقل فيها أنه أجراها مجرى كل ساكن يقع قبل الهمز، فألقى عليها حركة الهمزة لسكونها كما يفعل في كل ساكن قبله همز غير حروف المد واللين، ووجه من لم ينقل فيها، قال: إن الوقف على الهاء لازم، لذلك جيء بها فهي غير متصلة بالهمز حتى يصح النقل إليها؛ لأن حكمها وأصلها الوقف عليها، فقد جيء بها زائدة ليتبين بها حركة ياء لإضافة في الوقف، ومن نقل إليها وصلها بما بعدها وترك الوقف الذي من أجله جيء بها، ولولا الحاجة لظهور حركة الياء بها ما احتيج إليها، فهي حرف زائد للوقف، فمن نقل إليها فقد أتى بغير المختار.

* * *

(باب السكت على الساكن قبل الهمزة وغيره)

أما السكت على الساكن قبل الهمز: فالتمكن من النطق بالهمزة، وذلك لبعد مخرجها حيث تخرج من أقصى الحلق، فوجه السكت على الساكن قبل الهمزة، وذلك مثل: (الآخرة والأولى)، وهو مذهب خلف وحمزة، وكذا خلاد وابن ذكوان وحفص - هو أن الهمزة حرف ثقیل بعيد المخرج وحكمه في هذه الأشياء الابتداء به؛ لأن لام المعرفة زائدة فسكت على لام المعرفة ليستفرغ القوة استعدادًا للنطق بالهمز شديدًا مجهورًا؛ ووجه ترك السكت أنه أجرى لام المعرفة مع الهمزة كمجراها مع سائر الحروف؛ لأنها متصلة بما بعدها فلا يوقف عليها وقفًا متصلًا بسكت. وأيضًا فإنه أخف وعليه سائر اللغات وهو إجماع القراء، فما روي عن أحد منهم أنه وقف على لام التعريف إلا ما نقله حمزة ومن معه بقبول لثقتهم وعدالتهم. لكن الاختيار ترك هذا الوقف لما ذكرنا، وأما السكت على الحروف في فواتح السور كألف لام ميم وأخواتها فليبيان أن هذه الحروف ليست كالأدوات للأسماء والأفعال بل هي مفصولة وإن اتصلت رسمًا، وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى، وقد وردت مفردة من غير عاطف ولا عامل كالأعداد. وأما السكت على الأربعة كلمات ﴿عَوَجًا﴾ ﴿قَيْمًا﴾ و﴿مَرْقَدًا هَذَا﴾ و﴿مَنْ رَاقٍ﴾ و﴿بَلَّ رَانَ﴾ فلأن السكت يوضح معانيها أكثر من وصلها، فقد يوهم من وصلها معنى غير المعنى المراد منها فيتوهم من وصل ﴿قَيْمًا﴾ أنه صفة لـ ﴿عَوَجًا﴾ وليس كذلك بل هو حال. ويتوهم من وصل ﴿هَذَا﴾ أنه صفة لـ ﴿مَرْقَدًا﴾ وليس كذلك بل هو كلام مبتدأ ليس تمامًا لما قبله؛ لأنه أي: ﴿مَرْقَدًا﴾ مع ما قبله من كلام الموتى، وهذا من كلام الملائكة. ويتوهم من وصل ﴿رَاقٍ﴾ أنه صيغة مبالغة من المروق وهو الهروب يقال: رجل مراق أي: كثير المروق وهو الهروب وناقاة مراقبة هكذا وليس كذلك. ويتوهم من وصل ﴿بَلَّ رَانَ﴾ أنه مثنى بر ضد البحر وليس كذلك، فإن بل حرف إضراب و﴿رَانَ﴾ فعل ماض. ومن قرأ هذه الكلمات بالوصل من غير سكت قال: إن المعنى ظاهر بالتأمل لِمَنْ يلاحظ تلك المعاني.

* * *

(باب وقف حمزة وهشام على الهمز)

وجه التسهيل في هذا الهمز في حالة الوقف: قالوا: لأن الوقف محل استراحة للقارئ؛ لذلك حذف فيه الحركات والتنوين، وأبدل فيه التنوين المنصوب ألفًا، قال بعضهم: هذا مذهب مشهور ولغة معروفة؛ والتسهيل، وهو مطلق التغيير من حذف أو إبدال أو بين بين ونحوه، كل ذلك أريد به التخفيف.

لما ذكرنا مقدمًا من ثقل الهمزة وجلادتها وبعد مخرجها وتصرف العرب في تغيير لفظها، فخففها طلبًا لذلك ولصعوبة التكلف في تحقيقها، وخص الوقف بالتخفيف للهمز دون الوصل، قالوا: لأن القارئ لا يقف إلا وقد وهنت قوة لفظه وصوته فيما قرأ قبل وقفه، والهمز حرف صعب في اللفظ فلما كان الوقف يضعف فيه صوت القارئ بغير همز كان فيما فيه همز أضعف، فناسب التخفيف للهمز في الوقف للحاجة إلى التسهيل والتخفيف على القارئ، مع أنها لغة للعرب، ومع نقله ذلك عن الأئمة الثقات.

ووجه هشام في تخفيف المتطرفة خاصة هو أن المتطرفة هي في آخر لفظ القارئ، وعندها تقع الاستراحة والسكت، وإليها تنتهي قوة الالفاظ وينقطع نفس القارئ، فخصها بالتخفيف لصعوبة اللفظ بها محققة عند ضعف قوة القارئ، فيكون التخفيف عليه أيسر في وقفه، وجمعًا بين اللغات. ووجه التحقيق أنه جاء على الأصل في تحقيق الهمز كما يحقق، أي حرف غيره، وأنه إجماع من القراء غير حمزة؛ لأن التخفيف يحتاج إلى معاناة

شديدة وكلفة في إحكام اللفظ بالهمزة المخففة، وما يبدل ويدغم فيه ما قبله، وما يبدل ولا يدغم فيه شيء، وما قبله زائد أو أصلي، وذلك أمر لا يحكمه إلا من تناهى في علم العربية، وتمرن في إحكام اللفظ، ودرب على التلفظ بالهمزة المخففة، وهذا الصنف في طلبه علم القراءات قليل جداً، وأيضاً ربما يؤدي تخفيف الهمز إلى مخالفة خط المصحف، وذلك غير مستقيم ولا مختار، والله أعلم.

* * *

(باب الفتح والإمالة بين اللفظين)

الفتح: لغة أهل الحجاز. والإمالة: لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد، وهما لغتان فصيحتان نزل بهما القرآن. واختلف هل الفتح هو الأصل والإمالة فرع، أو العكس، أو هما أصلان؟ خلاف بين علماء اللغة.

والإمالة: هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، فإن كان قليلاً فهي الصغرى، وإن كان كثيراً فهي الكبرى. وأسبابها كثيرة منها: أن تكون الحروف من ذوات الياء (كهدى)، أو تكون ألف الكلمة ألف تأنيث حقيقي أو مجازي كإحدى، أو ترسم الكلمة بالياء (كحسرتي) غير ما استثنى، أو تكون ألف الكلمة رابعة فصاعداً نحو: اشترى. أو تكون الألف عيناً لفعل تبدل ياء في بعض تصاريفه كـ(حاق) وبابه، أو لتناسب الفواصل كـ(الضحى)، أو تكون الكلمة على وزن فعلى، أو فعلى، أو فعلى، أو تكون الإمالة للإتباع لكسرة قبلها كـ(إناء)، وكذا أمالوا الألف مما كان على وزن أفعل كـ(أنجى وأربى) وبابه؛ لأن ألفه تقلب ياء في ماضيه إذا أسندته إلى نفسك، وأمالوا ما كان على وزن فعلى كيتامى لرسمه بالياء، وأمالوا من الواوي مثل القوى؛ لأن بعض العرب يشبه بالياء؛ لأنها أضعف من الواو إن كان أوله مضموماً أو مكسوراً كـ(الربا)، واتفقوا على فتح الثلاثي مثل دعا وسنا لكونه واوياً ورسم بالألف؛ وأمالوا ألفات بعض فواصل الآيات المتطرفة تحقيقاً أو تقديرًا واوية في الأسماء أو الأفعال، ووجه ذلك التناسب إلا ما استثنى؛ وأمالوا الألف الثانية من (يتامى) وبابه؛ من أجل إمالة الألف الأولى فهي إمالة تبعية، وأميلت الألفات الواقعة بعد راء الطرف كـ(بشرى) وبابه، وكذا أدراكم جمعاً بين اللغات، وأميلت ألف التوراة لكونها واقعة بعد راء، فأشبهت ألف التأنيث؛ وأمالوا لفظ (را) من فواتح السور جميعاً، وكذا (طاوهاوياوحا) لأنها أسماء ما يلفظ به من الأصوات المتقطعة. ولأنهم أمالوا (يا) في النداء وهي حرف، فإمالة هذه الأسماء أولى؛ وكذا أمالوا الألفات الواقعة بعد الراء نحو: (القرى وذكرى) جمعاً بين اللغات.

* * *

(باب إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف)

أميلت هاء التأنيث في الوقف؛ لأنها لغة أهل الكوفة، وعللوا إمالتها وإمالة ما قبلها من الحروف غير الألف لشبهها بالممالة ياء، ولخفائهما واتحاد مخرجهما، ولأن ألف التأنيث ممالة.

* * *

(باب الراءات)

رقت الراء أو أميلت على حد تعبير بعضهم، قيل: لأنها لغة. وقيل: إن الغرض من ترقيقها اعتدال اللفظ وتقريب بعضه من بعض بأسباب مخصوصة. وهي: أن تكون قبلها ياء ساكنة أو كسرة لازمة في كلمتها. ووجه تفخيمها فيما عدا ذلك على مجيئها الأصل، والله أعلم.

* * *

(باب اللامات)

غلظت اللام لمناسبة مجاورتها بعض حروف الاستعلاء؛ لتقريب النطق باللام من الحروف التي فحمت من أجلها؛ وكذا لقربهما في المخرج، وهي لغة ولكنها قليلة عند العرب ورققت على الأصل.

* * *

(باب الوقف على آخر الكلم)

الأصل في الوقف: السكون لوقفه وعزله عن الحركة، وقد يكون بالروم وهو الوقف بإشارة بصوت خفي ضعيف للدلالة على الحركة إعراباً أو بناءً في المرفوع والمجرور والمضموم والمكسور، وقد يكون الوقف بالإشمام وهي الإشارة إلى الحركة من غير صوت، وأن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضممة من غير صوت أصلاً، ولا يدرك ذلك إلا بالبصر، ولا يكون إلا في المضموم والمرفوع، ولم يجز الروم والإشمام في هاء التانيث الموقوف عليها بالهاء بدلاً من التاء صاحبة الحركة حالة الوصول، وكذا في ميم الجمع لأنها لا تحرك إلا لأجل الصلة أو لالتقاء الساكنين، وكلاهما ليس له أصل حالة الوقف، وكذا في عارض الشكل، لأن الحركة في حالة الوصل غير أصلية. واختلف في الوقف على هاء الضمير فقل: بجواز الروم والإشمام على الأصل. وقيل: بمنعهما طلباً للتخفيف. وقيل: لخباء الهاء دون غيرها.

* * *

(باب الوقف على مرسوم الخط)

الرسم: أصله الأثر، ومرسوم الخط ما أثره الخط. وهو: إما قياسي: إن وافق الخط اللفظ. أو اصطلاحى: إن خالفه في شيء من الأمور الآتية وهي: الفصل، أو النقص، أو الزيادة. والمقصود منه: اتباع الرسم في الكلمات، فيوقف عليها على وفق رسمها في الهجاء. وذلك لاعتبار الأواخر في تفكيك الكلمات بعضها من بعض، فما كتب من كلمتين موصولتين لم يوقف إلا على الثانية منهما؛ وما كتب منها مفصلاً يجوز أن يوقف على كل واحدة منهما وذلك نحو: (عن ما) كتبنا بالقطع في موضع، وبالوصل في آخر. والوقف على المرسوم منه، ما اتفق عليه، ومنه ما اختلف فيه والمختلف فيه خمسة أقسام:

١- **الإبدال:** هو إبدال حرف بحرف آخر، فوقف بالهاء على هاء التانيث المكتوبة وهي لغة قريش (رحمت) في مواضعها، وجميع ما أشبهها من الكلمات التي رسمت بالتاء، والوقف بالتاء لغة طيء.

٢- **ما اختلف في إثباته وحذفه:** وهو هاء السكت. وتسمى: هاء الإلحاق على (عم) وما أشبهها، وذلك عوضاً عن الألف المحذوفة لأجل دخول حرف الجر على (ما) الاستفهامية. وأما الوقف بهاء السكت على مثل (على) و(هن) و(العالمين) وما ألحق به من كل جمع مذكر سالم، فقل: لبيان حركة الحرف الموقوف عليه. وقيل: طلباً للراحة حالة الوقف بها، وأما الوقف بالهاء على ﴿يَوَلَّيْنِ﴾ ﴿بِحَسْرَتَيْنِ﴾ فلزيادة التفجع، وأما الوقف بالهاء على (ثم) الظرفية؛ فليبيان الحركة أو طلباً للراحة.

٣- **وأما (أبه) فيوقف عليها بالألف على الأصل وبدونها لرسم المصحف، وقرئ:** بضم هائها وصلاً تبعاً لضممة الياء، وقرئ: بفتحها على الأصل.

٤- **وأما (أياماً) فيوقف على الألف من (أيا) المبدلة من التنوين لجواز كونها منفصلة عن (ما) لاتصالهما كلمة واحدة وأما (مال) في مواضعها فوقف على (ما) لأنها كلمة برأسها منفصلة لفظاً وحكماً. ويجوز الوقف على اللام من (مال) لانفصالها وهو أظهر قياساً.**

٥- **وأم ﴿وَيَكُنَّ﴾ فقل:** بالوقف على الياء والابتداء بكان منفصلة. وقيل: بالوقف على الكاف والبدء بالهمزة لما سبق، والأصح الوقف على آخر الكلمة لاتصالها رسماً.

* * *

(باب ياءات الإضافة)

وهي ياء زائدة آخر الكلمة وتتصل بالاسم، وهي فيه مجرورة المحل (كنفسي)، ومنصوبة في الفعل (كفطرتي). وفي الحرف تكون منصوبة ومجرورة مثل (إني، ولي)، والفتح والإسكان فيها لغتان فاشيتان عند العرب، والإسكان فيها هو الأصل؛ لأنه الأصل في البناء، والفتح أصل أيضاً لأنه اسم على حرف واحد فقوي بالحركة وكانت فتحة للتخفيف. والدليل على أن أصلها الحركة أنها كالكاف في (عليك، وإليك) وكالهاء في (عليه، وإليه) وكالتاء في (رأيت، وأرأيت)، وهذه المضممرات لا تكون إلا متحركات، فكذلك ياء الإضافة. وإنما جاز تسكينها للتخفيف، وإن كان لا يجوز ذلك الفتح في الكاف، والهاء، والتاء استثناءً للحركة على الياء؛ لأن الياء حرف ثقيل، فإذا تحرك ازداد ثقلًا، ويدل على ثقل الحركة على الياء أنها تقلب ألفًا إذا تحركت وانفتح ما قبلها في أكثر الكلام، ولما حركوها في ياءات الإضافة أعطوها الفتح؛ لأنها أخف الحركات.

* * *

(باب ياءات الزوائد)

الياء في آخر الاسم مثل: (الداعي)، وفي الفعل مثل (يأت) قرئ: بإثباتها وصلًا لا وقفًا مراعاة للأصل والرسم، وقرئ: بإثباتها في الوصل والوقف على الأصل وهي: لغة الحجازيين، وهو موافق للرسم تقديرًا إذ المحذوف لعارض كالثابت، وقرئ كذلك بحذفها وصلًا ووقفًا تخفيفًا وهي: لغة هذيل. واعلم أن جميع ما اختلف القراء فيه من الياءات الزوائد لم يثبت في خط المصحف فهي زائدة عليه، وهي ثلاثة أقسام: قسم من ياءات الإضافة التي تصحبها النون، وذلك إذا اتصلت بالأسماء نحو: (أهداني، واتقوني، واخشوني). وقسم لا تصحبها النون نحو: (وعيدي ونكيري ونذيري). وهذان القسمان الياء فيهما ياء إضافة أصلها الزيادة. القسم الثالث: من الزوائد أن تكون الياء فيه أصلية: لام فعل وذلك نحو: (الداع، والهاد، والواد) وكلها حذفت فيها الياء من خط المصحف للتخفيف، ولدلالة الكسرة التي قبلها عليها. وهي لغة للعرب مشهورة يقولون: مررت بالقاض وجاءني القاض بحذف الياء لدلالة الكسرة عليها، ولكونها طرفًا. وكذلك هذا وعيد، وهذا نذير.

ووجه من حذفها: اتبع خط المصحف وخاصة في الوقف، إذ الوقف أولى بالحذف؛ لأن أكثر الخط كتب على مراعاة الوقف والابتداء. ووجه من أثبتها أنه أتى بها على أصلها، فوقف بين الوصل والوقف، واستسهل ذلك في الياء؛ لأن حروف المدّ واللين تحذف من الخط في أكثر المصاحف، وثبتت في اللفظ والنطق بالإجماع كالألّف، كما في نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق. فأجرى الياء مجرى الألف، فأثبتها في اللفظ وإن كانت محذوفة في الخط، والله أعلم.

* * *

شرح مختصر لأسماء الله الحسنى

اسم الله الأعظم: هو ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمن ماله من نعوت العظمة والجلال والجمال مثل: الله، الصمد، الحي، القيوم، ذو الجلال والإكرام. فمن سأل الله عز وجل وتوسل إليه باسم من هذه الأسماء العظيمة موقناً حاضراً قلبه متضرعاً إليه - لم تكدر له دعوة.

الله: علم على الرب المعبود بحق، وكل معبود دونه فهو باطل، وهو أخص وأعظم أسماء الله، ولا يسمى به غيره. تكرر (٢٦٠٢) مرة بالقرآن.

الإله: هو المعبود فلا يصرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله كالدعاء والذبح...

الرب: هو المربي جميع العالمين بخلقه إياهم، وهو المدبر والمالك والسيد المطاع المستغني عن العالمين ولا يستغني عنه أحد.

الرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة. الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

المهيمن: الشاهد على خلقه بأعمالهم الرقيب عليهم.

القدوس: هو المبارك والظاهر المنزه عن النقائص والعيوب، وأن يكون له مثل أو شبه.

الكبير: هو أكبر من كل شيء بذاته، وأكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته، وأكبر من أن يشبه بخلقه.

البارئ: هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت والنقص والعيوب والخلل.

الخالق الخلاق: هو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سبق، والخلاق هو الخالق خلقاً بعد خلق.

المتكبر: هو المتكبر عن كل سوء ونقص وعب وظلم، وتكبر عن صفات الخلق، والمتكبر ذو الكبرياء والعظمة، فليس لأحد أن ينازعه في ذلك.

الجبار: هو الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، وكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله وجبروته، وهو الذي يجبر القلوب المنكسرة والضعفاء العجزة وكل من لا ذبه ولجأ إليه، والجبار العلي على كل شيء.

المصور: هو مصور الأشياء ومركبها ومشكلها على هيئات مختلفة وصور شتى.

الخبير: هو العالم بواطن الأمور وخفاياها، وبما كان وما يكون، ويخبر بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه.

الحليم: الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة، بل يمهلهم لكي يتوبوا، يرزق العصاة مع معاصيهم وكثرة ذلالتهم، ذو الصفح والأناة.

المجيد: هو الكبير العظيم الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الشريف ذاته الجميل بأفعاله الجزيل عطاؤه وثوابه.

الحق: هو الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، والحق هو الذي لا يسع أحد إنكاره، تظاهرت على وجوده الدلائل البينة الباهرة.

المقيت: هو الذي أوصل إلى كل مخلوق قوته من مأكول ومشروب كيف يشاء بحكمته وحمده، والمقيت والحسيب والمجازي.

الحسيب: الكافي لعباده المتوكلين عليه، المجازي لهم بالخير والشر بحكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

المبين: هو الذي لا يخفي على خلقه، بل هو ظاهر بأفعاله الدالة عليه وآياته البينة.

الوكيل: هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد، القائم عليهم، الموكل والمفوض إليه، والوكيل هو الحفيظ والكافي.

الرقيب: هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية.

الودود: المحب لعباده الصالحين، ويحبه عباده الصالحون، ولذا لهجت ألسنتهم بالشاء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودّاً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.

القوي: هو التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد.

المتين: هو الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب ولا إعياء ولا تعب.

الولي: هو المأمول في النصر والمعونة، وهو الذي يتولى نصر المؤمنين وإرشادهم، كما يتولى يوم الحساب ثوابهم جزاءهم.

الحميد: الله هو الحميد إذ جميع المخلوقات ناطقة بحمده؛ لأنه المستحق للحمد كله لنعمه وإحسانه، وهو المحمود في أفعاله وأسمائه وصفاته

وشرعه وقدره.

الحي: الله هو الحي الذي له الحياة الدائمة الكاملة الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً، لم تحدث له الحياة بعد الموت، ولا يعترضه الموت

بعد الحياة.

الملك الهالك المليك: هو النافذ الأمر في ملكه، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء. وله جميع العالم العلوي والسفلي كلهم عبيد له ومماليك ومضطرون إليه، لا يتحرك متحرك إلا بعلمه وإرادته.

السلام: هو الذي سلم من النقائص والآفات والعيوب في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله وقضائه وقدره وشرعه، والسلام هو المسلم على عباده في الجنة، وهو الذي سلم الخلق من ظلمه.

المؤمن: هو الذي وهب لعباده الأمن من عذابه، ومن الفزع الأكبر، وينزل في قلوب عباده السكينة والطمأنينة.

العزیز: الله هو العزيز الذي لا يعجزه شيء، والشديد في انتقامه من أعدائه، والذي عز كل شيء فقهره وغلبه، والمنيع الذي لا ينال ولا يغالب، ذلت لعزته الصعاب، ولانت لقوته الشدائد الصلاب.

الغافر الغفور الغفار: الغافر هو الذي يستر على المذنب، والغفار هو المبالغ في الستر، فلا يشهد المذنب ولا يفضحه، والغفور هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه على مؤاخذته.

القاهر القهار: وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وقدرته الأشياء.

الوهاب: هو مستمر الإحسان، متواتر الفضل، لم يزل محسنًا متفضلًا دائم الهبات كثير الخيرات جزيل العطايا، لا يخلو له مخلوق عن رحمته وإحسانه طرفة عين.

الرزاق والرازق: هو الذي يسوق لكل دابة قوتها في أي مكان كانت، في ظلمات البحر، وفي جوف الأرض والصخر، وفي العالم العلوي أو السفلي والذي يرزق قلوب أوليائه بالعلم والإيمان.

الفتاح: هو الذي يحكم بين عباده بشرعه وقدره، وهو الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفة ومحبه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة.

العليم: هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والأسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، والغيب والشهادة.

السميع: هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلايتها، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تغلظه اللغات، وهو الذي يسمع المناجاة من الداعين.

البصير: هو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات، يرى ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السماوات السبع.

الحكيم الحكم: الحكم هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة، فيحكم بينهم في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه، وفي الآخرة يحكم بينهم بعلمه فيما اختلفوا فيه. والحكم العدل في أقواله وأفعاله وقضائه.

والحكيم ذو الحكمة الذي تنزه عن العبث، لم يخلق شيئًا عبثًا، ولم يشرع شيئًا باطلاً. والحكيم الذي أحكم كل شيء خلقه وأتقنه، فما في خلق الرحمن من تفاوت.

اللطيف: هو الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، والموصل إليه مصالحهم بلطفه وإحسانه.

العظيم: الله هو العظيم في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، الذي جاوز قدره عز وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه.

الشكور الشاكر: هو الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة، ويشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين.

العلي الأعلى المتعال: وهذه الأسماء تعني أن الله هو العلي بذاته، فإنه فوق المخلوقات على العرش استوى، أي علا وارتفع.

البر: هو البر الرحيم الذي اتصف بالجلود والكرم وكثرة الخيرات، المحسن الذي أنعم على العباد بأصناف النعم، ودفع عنهم جميع النقم.

التواب: هو التواب الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويوفقهم للتوبة، ويغفر ذنوب المنيبين، وهو المتفرد بقبول توبة التائبين من عباده ولا يشركه في ذلك أحد.

العفو: الذي يتجاوز عن الذنب، ويترك العقاب عليه، ولولا عفو ما ترك على ظهر الأرض من دابة، وهو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن الخطيئات.

الرؤوف: هو الرحيم بعباده العطوف عليهم بالطفاه ورحمته عليهم.

ذو الجلال والإكرام: وهو ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، يكرم من أطاعه، ويرفع درجاتهم وذكرهم.

الغني: هو الذي استغنى عن الخلق بقدرته، ولا يستغني عنه الخلق طرفة عين، بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

الهادي: وهو الذي هدى ومنَّ بهديته على من يشاء من عباده، ودل خلقه على معرفته بربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، ودلهم على سبيل النجاة.

المحيط: هو المحيط الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرة ورحمة وقهرًا وهو الذي لا يقدر أحد على الفرار منه.

القريب: وهو القريب بعلمه ومراقبته ومشاهدته وإحاطته بجميع الأشياء، وهو قريب من عابديه وسائليه ومحبيه.

النصير: وهو النصير ينصر المؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم، ولا يكون النصر إلا من عند الله.

المستعان: هو المستعان الذي يستعين به عباده في الأمور كلها من دفع شر أو جلب خير أو طلب رزق.

الرفيق: هو الرفيق الذي لا يعجل بعقوبة العصاة، وهو رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

السُّبوح: وهو المنزه عن النقائص والعيوب، والزوجة والولد، والشريك الذي يسبحه من في السماوات والأرض.

الشافئ: هو الذي يشفي من الأمراض البدنية والنفسية، ومن أمراض الشهوات والشبهات، من أراد شفاء شفي، ومن لم يرد شفاء لم يستطع أن يشفيه أحد.

الجميل: وهو الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، وكل جمال في الكون من بعض آثار جماله، وأهل الجنة إذا نظروا إلى وجه الله تمتعوا بجماله، ونسوا ما هم فيه من نعيم.

الوتر: هو الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا نظير ولا مثل.

المقدم والمؤخر: وهو أن الله هو الذي قدم من يشاء من عباده كأنبيائه وأوليائه، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وآخر من شاء من أعدائه من الكفرة والفجرة والفسقة.

الديان: هو الديان أي الحاكم القاضي بين العباد يوم المعاد، المحاسب لهم، الذي يقتص للمظلوم من الظالم، ومن السيد لعبده بالحسنات والسيئات.

المنان: هو عظيم المواهب، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق، وصور فأحسن الصور، وهو الذي منَّ على عباده المؤمنين بإرسال الرسل وخاصة محمدًا ﷺ.

الحيي: هو الحيي المتصف بالحياء، وحياء الله لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فهو حياء كرم وبر وجود وجلال، يستحي من هتك عبده وفضيحته، ويستحي ممن يدعوه ويمد إليه يديه أن يردهما خاليتين.

الستير: وهو الذي يستر على عباده كثيرًا من القبائح والفصائح، ولا يفصحهم في المشاهد، يحب الستر من عباده على أنفسهم، ويكره المجاهرة بالمعصية والمفاخرة بالفاحشة.

القابض الباسط: هو القابض للأرواح عند الموت، ويقبض الأرزاق عمن يشاء من خلقه، ويقبض القلوب التي تلوث أصحابها بالشرك، ويقبض السماوات والأرض يوم القيامة، وهو الباسط للأرزاق لمن يشاء برحمته، ويسط الرحمة على القلوب، ويسط العلوم على قلب من يشاء.

السيد: هو الذي تحق له السيادة والعلو والشرف والعظمة والحكمة والعلم والجبروت والغنى والحلم والملك.

الكريم الأكرم: هو الكريم الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، الكثير الخير الذي إذا أعطى زاد على ما تمناه العبد، والذي يعطي قبل السؤال، والكريم هو عظيم القدر وشريف الذات وكامل الصفات، المنزه عن النقائص والآفات، وهو الأكرم الذي لا يوازيه كريم.

الحفيظ: هو الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أوليائه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في السكنات والحركات.

الشهيد: هو الحاضر المطلع على جميع الأشياء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوا، والشهيد هو الذي شهد لنفسه بالوحدانية والقيام بالعدل.
الواسع: هو الواسع الصفات والنعوت، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان والعلم والرحمة والحكمة.
الكفيل: هو المتكفل بأرزاق العباد، الذي ضمن لكل مخلوق رزقه، ومن الناس والدواب والأجنة في بطون أمهاتهم... والكفيل هو الرقيب الضامن والحافظ والشهيد.

الولي: هو الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته والتقرب إليه بالقرابان، ويتولى عباده عمومًا بتدبيره ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصًا بإخراجهم من الظلمات إلى النور وتربيتهم بلطفه.
القيوم: هو القائم على كل شيء بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وحفظهم وحسابهم، وهو سبحانه الذي قام بنفسه واستغنى عن غيره وقامت به السماوات والأرض وما فيهن.

الواحد الأحد: هو الذي توحد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وهو الذي توحد في ألوهيته وأسمائه وصفاته وربوبيته، وهو الذي ليس كمثله شيء.

الصمد: والصمد الذي لم يلد ولم يولد، وهو المستغنى عن كل شيء، والذي يفتقر إليه كل شيء. والصمد السيد العظيم الذي قد كمل في علمه وحكمته وحلمه وقدرته وعزته وعظمته وجميع صفاته، الذي صمدت إليه جميع المخلوقات وقصده كل الكائنات بأسرها، وهو الباقي بعد فناء خلقه، وهو الذي لا يطعم ولا يشرب.

القادر القدير المقتدر: هو القادر أي مقدر كل شيء وقاضيه، وهو القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب وهو القدير كامل القدرة، وهو المقتدر التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء.

الأول الآخر الظاهر الباطن: هو الأول الذي ليس قبله شيء والمتقدم على كل شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، الباقي بعد فناء خلقه. والله هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، لأنه العلي الأعلى، وهو الباطن الذي أحاط كل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، العوالم كلها في قبضته.

المحسن: هو الذي غمر خلقه بإحسانه وإنعامه وفضله وجوده ورحمته.

الطيب: هو الطيب المتنزه عن النقائص والعيوب وهو بمعنى القدوس.

المسعر: هو الذي يرخص الأشياء ويغليها فلا اعتراض لأحد عليه.

الجواد: هو الجواد المطلق الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو الحال من بار وفاجر ومسلم وكافر حسبما تقتضيه حكمته سبحانه.

المجيب: هو الذي يجيب الداعين مهما كانوا وأين كانوا، ويجيب المضطرين ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين.

المعطي: وهو الذي يعطي بمحض فضله وإحسانه. لا بسبب من العبد ولا بتقدم واسطة، أعطى خلقه كل شيء.

الحفي: هو الرؤوف الرحيم كثير البر واللطف، المعتمي بعبد، والمبالغ في إكرامه وإطافه.

* * *

مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة

هذا بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها. **المرتبة الثانية:** فهم معانيها ومدلولها. **المرتبة الثالثة:** دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (سورة الأعراف، آية: ١٨٠)، وهو مرتبتان. **إحداهما:** ثناء وعبادة. **والثانية:** دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم، وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي متزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله قدر الطاقة. وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه. وأحسن منها عبارة من قال: التخلق. وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع الدعاء، وهو لفظ القرآن.

ثمار وأسرار معرفة أسماء الله الحسنى

إنَّ أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق ما تعلق بأشرف معلوم: وهو الله جل جلاله وتقدست أسماؤه، فالعلم بأسمائه وصفاته والتفقه فيها رأس العلم وأساسه؛ فالعلم علمان: علم بالله، وعلم بأمره وشرعه. والآخر راجع إلى الأول وصادر منه، فالعلم بأسمائه أصل كل معلوم، كما أن جميع المخلوقات والموجودات، والأوامر الشرعية ترجع إلى معاني هذه الأسماء. يبين ذلك وجلاه ابن القيم -رحمه الله- في هذه النقاط حيث قال:

أولاً: فإحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواء إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً، إما علم بما كونه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد، والرأفة والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنى. وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً ولا سدى ولا عبثاً، فمن أحصى أسماءه - كما ينبغي للمخلوق - أحصى جميع العلوم؛ لأنها من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتاً.

ثانياً: وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الأسماء الحسنى. وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمى بمكابرة. ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

ثالثاً: فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها فصامتة يهدي ومن هو قائل

فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها، ونعوت كماله وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحساً وفطرة ونظراً واعتباراً، بل جنایات العبيد ومعاصيهم بتقدير الله لهم من أدل الشواهد على أسمائه وصفاته، وسر من أسرار هذه الأسماء.

رابعاً: «إذا عرف هذا فمن أسمائه سبحانه، الغفار التواب العفو، فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولا بد من جنایة تغفر وتوبة تقبل وجرائم يعفى عنها، وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه هو من موجبات كماله ومقتضى حمده... فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنایات من العبيد وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال، وغايتها أيضاً مقتضى حمده ومجده كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة» ولهذه الغايات العظيمة تعرف الله إلى عباديه بها كثيراً، فأفرد الأسماء وقرنها، واستفتح بها آية وختم بها أخرى، وما ذاك إلا لأن لكل اسم منها له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم... وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

خامساً: والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويشنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم يحب كل عليم، جواد يحب كل جواد، وتر يحب الوتر».

سادساً: فمن تأمل أسرار هذا العلم أوقفه ذلك على رياض من العلم بديعة، وحقائق من الحكم جسيمة، وحصل له من الآثار الحميدة الزاكية ما لا يحاط بالوصف، ولا يدرك إلا بالذوق. وإليك بعضاً منها:

١ - أنه إذا علم العبد ربه وامتلاً قلبه بمعرفته أثمرت له ثمرات جليلة في سلوكه وسيره إلى الله، وتأدب معه ولزم أمره وأتبع شرعه، وتعلق قلبه به وفاضت محبته على جوارحه، فلهج لسانه بذكره، ويده بالعطاء له، وسارع في مرضاته غاية جهده، ولا يكاد يمل القربة لله محب، فلم يبق في قلبه غير الله كما قيل:

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيه متسع

٢- ومن أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من الله، والمحب لا يجد مع الله للدنيا لذة، فلم يثنه عن ذلك حب أهل أو مال أو ولد؛ لأن هذه وإن عظمت محبتها في قلبه إلا أنه يدرك أنها بعض فضل الله عليه، فكيف يشتغل بالنعم وينسى المنعم.

٣- ومنها: أن منزلة العبد عنده سبحانه على قدر معرفته به، فتأمل معي كيف اختصت آية الكرسي بكونها أعظم آية في كلامه ﷺ، وكيف عدلت سورة الإخلاص ثلث القرآن، مع أن المفضل عليه بعض كلام الرب - تبارك اسمه - فإذا تفاضل كلامه ببركة أسمائه كان تفاضل عبيده بسبب ذلك أدل وأحرى.

٤- ومن الآثار الحميدة لهذا العلم الشريف أنه لا سعادة للقلب ولا سرور له إلا بمعرفة مولاه ومربيه وإلهه، وبقدر علمه به واتباعه لهداه تعظم سعادته، يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

٥- ومن آثارها: أن من أحبها أحبّه الله، كما في قصة الرجل الذي بعثه النبي ﷺ على سرية يصلي لأصحابه فكان يختم بسورة الإخلاص، فلما سأله قال: لأنها صفة الرحمن، وأحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه بأن الله يحبه»، كما أن من عمل بها، وحقق ما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المحظورات كان من المقربين الذين أحبه الله وتولاهم.

٦- ولما كان (سبحانه) يحب أسماء وصفاته: كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه: من اتصف بالصفات التي يكرها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من رتبة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر، فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية.

٧- ومنها: أنه كلما أدام ذكرها بقلبه ولسانه أوجب ذلك له دوام مراقبته وشاهد ربه بعين بصيرته؛ فاستحيا منه، وانكسر له، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة، وهي أعلى مقامات الدين «وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حدّ كأنه يكاد يطالع ما اتصف به الرب (سبحانه) من صفات الكمال ونعوت الإجلال، وأحست روحه بالقرب الخاص، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه، فإن حجابَهُ هو نفسه، وقد رفع الله عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته، فأفضى القلب والروح حينئذٍ إلى الرب، فصار يعبدّه كأنه يراه».

٨- ومنها: أن التعرف على أسماء الله (تعالى) يسلم الإنسان من آفات كثيرة: كالحسد، والكبر، والرياء والعجب، كما قال ابن القيم: «لو عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكرهته».

٩- ومن أعظمها: أن من قامت في قلبه حقائق هذه الأسماء، وتراءت معانيها لناظره كان أعظم الناس تحقيقاً للتوحيد، وأكملهم عبودية لرب العالمين، واستحال أن يصرف من أعماله شيئاً لغير مولاه. ولذا يستدل ربنا جل في علاه على بطلان الشرك والأنداد بأسمائه الحسنى؛ تلحظ ذلك مثلاً في آخر سورة الحشر، فبعد ذكره لعدد من أسمائه نزه نفسه عما أشرك به المشركون فقال: ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، وذلك لأن من له هذه الأسماء يمتنع أن يكون معه إله آخر.

١٠- ومن أجل هذه الثمرات أن من أحصى بعضاً منها حفظاً، وفهماً، وعملاً؛ استحق مأدبة الله العظمى، كما صح بذلك الخبر عن النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة».

* * *

أحكام تجويد القرآن الكريم

تعريف التجويد

(س): ما حقيقة التجويد لغة واصطلاحاً.

(ج): التجويد لغة: الإتيان بالجيد، واصطلاحاً: علم يعرف به إعطاء كل حرف حقه^(١) ومستحقه^(٢) من الصفات أو المَدُودِ وغير ذلك كالترقيق والتفخيم ونحوهما.

(س): ما غاية علم التجويد.

(ج): غايته بلوغ النهاية في إتقان لفظ القرآن على ما تلقى من الحضرة النبوية الأفصحية، وقيل غايته صون اللسان عن الخطأ في كتاب الله تعالى.

(س): ما حكم الشارع في علم التجويد.

(ج): التجويد لا خلاف في أنه فرض كفاية، والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين.

(س): من الذي وضع علم التجويد.

(ج): من الناحية العملية: هو سيدنا محمد ﷺ، حيث نزل عليه القرآن من عند الله تعالى مجوداً مرتلاً.

ومن الناحية النظرية: قيل أبو الأسود الدؤلي، وقيل أبو عبيد القاسم بن سلام، وقيل الخليل بن أحمد، وقيل غيرهم من أئمة القراءة والتجويد.

(س): كيف يكون النطق بالحركة -الفتحة، الكسرة، الضمة-.

(ج): ١ - الفتحة: وتؤدي بفتح الشفتين طولياً (رأسياً) وتخطف حركة الفتح.

٢ - الكسرة: وتؤدي بكسر الشفتين أفقياً وتخطف حركة الكسر.

٣ - الضمة: وتؤدي بضم الشفتين وتخطف الحركة.

(س): عرف السكون.

(ج): السكون هو انعدام الحركة تماماً ويؤدي باصطدام طرفي عضو النطق فتظهر صفات الحرف.

(س): عرف الحرف المشدد.

(ج): الحرف المشدد هو في الحقيقة حرفان متماثلان: أولهما ساكن وثانيهما متحرك بالفتحة أو الكسرة أو الضمة؛ ولأن أولهما ساكن، فلا يمكن

أيضاً البدء بمشدد^(٣).

(س): ما هي أركان التجويد.

(ج): ١ - معرفة مخارج الحروف.

٢ - معرفة صفات الحروف.

٣ - معرفة أحكام التلاوة والوقف.

٤ - رياضة اللسان بكثرة التكرار^(٤).

(س): ما هي مراتب التلاوة.

(ج): للقراءة ثلاث مراتب: الترتيل والتدوير والحدرد.

١ - الترتيل: هو قراءة القرآن الكريم بالتأني والاطمئنان من غير عجلة، مع تدبر المعاني وإخراج كل حرف من مخرجه وإعطائه حقه ومستحقه من

الصفات اللازمة والعارضة. وهذه المرتبة هي أفضل المراتب، لما فيها من التدبر والاطمئنان.

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بها، فقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾. وسُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن قراءة النبي ﷺ فقالت: كان ينبذه حرفاً حرفاً.

(١) حق الحرف: هو صفاته الذاتية التي تميزه عن غيره كالشدة والجهر والاستعلاء والصغير، وغير ذلك من الصفات القائمة بذات الحرف.

(٢) مستحق الحرف: هو صفاته العارضة التي يتعرض لها أحياناً وتنفك عنه أحياناً أخرى كالإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء، والتفخيم والترقيق.

(٣) في اللغة العربية لا يمكن البدء بساكن ولا الوقوف على متحرك.

(٤) لا يمكن إتقان تلاوة القرآن إلا بالتلقي من أفواه المشايخ، فالدراسة من الكتب لا تغني عن التلقي.

٢- التدوير: هو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدرد، أي بين الاطمئنان والسرعة، مع المحافظة على الأحكام.

٣- الحدرد: هو القراءة بسرعة مع المحافظة على الأحكام.

وهذه المراتب كلها جائزة، وذكر العلماء مرتبة رابعة، وهي التحقيق. وقالوا عنها بأنها أكثر تؤدة وأشد اطمئناناً من مرتبة الترتيل، وهي التي تُستحسن في مقام التعليم... لكن لا بد أن يُحتَرَز من التمطيط والإفراط في إشباع الحركات والغنات.

(س): ما اللحن.

(ج): اللحن هو الخطأ والميل عن الصواب.

(س): ما أقسام اللحن.

(ج): ينقسم إلى قسمين: ١- لحن جلي. ٢- لحن خفي.

١- اللحن الجلي: هو الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل به إخلالاً ظاهراً، سواءً أخل بالمعنى أم لم يُخل. ومثال الذي يخل بالمعنى، ضم التاء في قوله تعالى: ﴿أَنْمَتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. ومثال الذي لا يخل بالمعنى، ضم الهاء في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]. وسُمِّيَ جلياً لاشتراك علماء القراءة وغيرهم في معرفته.

٢- اللحن الخفي: هو الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل بالعرف، أي بحسن اللفظ ورواقه، وليس بالمعنى. وسُمِّيَ خفياً لاختصاص أهل هذا العلم وحدهم دون غيرهم بمعرفته.

(س): ما أنواع اللحن الجلي والخفي.

(ج): أولاً: أنواع اللحن الجلي:

١- تبديل حرف بآخر.

٢- تبديل حركة بأخرى.

٣- إسقاط حرف أو زيادة حرف.

٤- تغيير حركة بالسكون أو السكون بحركة.

٥- جعل المشدد مخففاً أو المخفف مشدداً.

٦- قصر المد اللازم والواجب والطبيعي.

ثانياً: أنواع اللحن الخفي:

١- ترك الغنة أو الإدغام أو الإخفاء أو الإقلاب.

٢- ترعيد الصوت عند أداء المدود والغنات.

٣- قصر المد الجائر عن ٤ حركات برواية حفص عن عاصم بطريق الشاطبية.

٤- ترقيق المفخم وتفخيم المرقق (كترقيق الغين والحاء) ما لم يتحول إلى حرف آخر. فإن تحول إلى حرف آخر (كما في ترقيق الصاد فتصبح سيناً) كان اللحن جلياً.

٥- تكرير الراء تكريراً لغوياً، وكذلك ترقيقها في غير محل الترقيق أو العكس، وغير ذلك.

(س): ما حكم اللحن الجلي والخفي.

(ج): اللحن الجلي حرام يأثم القارئ بفعله.

أما اللحن الخفي فمكروه معيب عند علماء القراءة.

(س): ما هي أركان القراءة الصحيحة.

(ج): للقراءة الصحيحة ثلاثة أركان هي:

١- موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٢- موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً؛ والرسم العثماني هو: الخط الذي كتبت به المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه. والمراد به (ولو

احتمالاً): أن تكون القراءة موافقة للمكتوب في هذه المصاحف، كقراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، بالألف مع أنها مكتوبة في

المصاحف العثمانية بغير ألف.

٣- صحة الإسناد مع الشهرة والاستفاضة، وذلك بأن ينقل القراءة جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه.
* فإذا اختل أحد هذه الأركان صارت القراءة شاذة؛ والقراءة الشاذة هي: القراءة التي تفقد أحد أركان القراءة الصحيحة.

(س): ما القراءة وما الرواية وما الطريق.

(ج): القراءة: كل خلاف نسب لإمام من الأئمة مما أجمع الرواة عليه - مثل (ملك ومالك) - ويسمى من نسب إليه قارئاً؛ مثل: عاصم، ونافع، وغيرهما.

الرواية: كل ما نسب للراوي عن الإمام؛ مثل: حفص عن عاصم، قالون عن نافع.

الطريق: كل ما نسب للأخذ عن الراوي وإن سفل؛ مثل: طريق الشاطبية.

* * *

فصل في أحكام الاستعاذة والبسملة

(س): ما الاستعاذة.

(ج): الاستعاذة لغة: الالتجاء والاعتصام والتحصن.

واصطلاحاً: لفظ يحصل به الالتجاء إلى الله تعالى والتحصن به من الشيطان.

(س): حكم الاستعاذة.

(ج): قال جمهور من العلماء إنها مستحبة؛ لأنهم اعتبروا الأمر الوارد في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، محمولاً على الندب - أي: الاستحباب - وعلى ذلك لا يأتى تاركها، وهذا هو القول المختار.

وقال آخرون إنها واجبة؛ لأنهم اعتبروا الأمر الذي ورد في الآية السابقة محمولاً على الوجوب، وعلى هذا يأتى تاركها.

إذاً حكم الاستعاذة مستحبة، وهذا هو القول المختار، وقيل واجبة.

(س): ما حالات الاستعاذة عند البدء بالقراءة.

(ج): للاستعاذة عند البدء بالقراءة حالتان: إما الجهر بها أو الإخفاء.

أما الجهر، فيستحب عند بدء القراءة في موضعين:

١- إذا كان القارئ يقرأ جهراً، وكان هناك من يستمع لقراءته.

٢- إذا كان القارئ وسط جماعة يقرؤون القرآن، وكان هو المبتدئ بالقراءة.

و أما الإخفاء، فيستحب في أربعة مواضع:

١- إذا كان القارئ يقرأ سراً.

٢- إذا كان يقرأ جهراً، وليس هناك من يستمع لقراءته.

٣- إذا كان يقرأ في الصلاة، سواء كان إماماً أو مأموماً أو منفرداً.

٤- إذا كان يقرأ وسط جماعة، وليس هو المبتدئ بالقراءة.

(س): ما حكم البسملة.

(ج): حكم البسملة عند افتتاح القراءة بأول السورة عند عامة القراء الوجوب؛ وذلك لثبوتها في المصحف باستثناء سورة (براءة) فلا خلاف بين

القراء في ترك البسملة في أولها، وذلك لأن «بسم الله» - كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه - أمان، وبراءة ليس فيها أمان لأنها نزلت بالسيف - أي بالأمر بالجهاد - ولا تناسب بين الأمان والسيف.

(س): إذا أتى القارئ بالاستعاذة والبسملة والسورة فكم وجهاً فيها.

(ج): فيها أربعة أوجه: قطع الجميع، ووصل البسملة والسورة فقط، ووصل الاستعاذة بالبسملة فقط، ووصل الجميع.

(س): إذا أتى القارئ بالبسملة بين السورتين فكم وجهاً فيها.

(ج): فيها أربعة أوجه: ثلاثة أوجه جائزة، وواحد غير جائز.

أما الثلاثة الجائزة فالأول منها قطع الكل. والثاني وصل البسملة بأول السورة. والثالث وصل الكل. وأما غير الجائز فهو ما إذا وصل آخر السورة بالبسملة ووقف وابتدأ بما بعدها، ووجه عدم جوازه أنه يوهم أن البسملة من آخر السورة.

(س): كيف يكون البدء بالقراءة أثناء السورة.

(ج): للقارئ حينئذ التخيير: إما أن يأتي بالبسملة بعد الاستعاذة، أو يأتي بالاستعاذة فقط^(١).

واختلف العلماء حول الإتيان بالبسملة إذا ابتدأ القارئ قراءته من أثناء سورة التوبة، فمنهم من قال إن سورة التوبة لا بسملة لأولها فلا بسملة في أثنائها، ومنهم من قال إن البسملة لا تجوز في أولها فقط لكن تجوز في وسطها.

(س): ما أوجه الوصل بين السورتين.

(ج): لا استعاذة بين سورتين، والبسملة لها أربعة أوجه، ثلاثة أوجه جائزة:

١- الوقف على آخر السورة ثم على البسملة.

٢- وصل آخر السورة بالبسملة بأول السورة.

٣- الوقف على آخر السورة ووصل البسملة بأول السورة الجديدة.

٤- وجه غير جائز: وصل آخر السورة بالبسملة والوقف عليها ثم البدء بأول السورة الجديدة؛ وذلك لأن البسملة لأوائل السور وليست لأواخرها.

(س): ما الأوجه بين الأنفال وبراءة.

(ج): للوصل بين سورتى الأنفال وبراءة، لا استعاذة ولا بسملة بينهما، والوصل بينهما له ثلاثة أوجه كلها جائزة:

١- الوصل بينهما.

٢- الوقف على آخر الأنفال ثم البدء بأول براءة.

٣- السكت بينهما. والسكت هو قطع الصوت دون تنفس على آخر الكلمة بنية الاستمرار في القراءة، وهو حالة من حالات الوصل وليس الوقف، ومقداره الزماني حركتان.



فصل في أحكام النون الساكنة والتنوين

(س): ما النون الساكنة والتنوين.

(ج): النون الساكنة هي العارية من الحركة (التشكيل) وتكون نوناً ساكنة مرسومة صراحة في كلمة مثل: ﴿مِنْ - عَنْهُمْ - نَنْجُوْنَ - يَنْهَوْنَ﴾

موجودة في أواسط أو أواخر الكلمات، لكن ليس في أولها. التنوين هو نون ساكنة ملفوظة غير مرسومة، زائدة عن بنية الكلمة ويجوز تجريدتها منها،

تلحق أواخر الأسماء وفعلين فقط في القرآن كله: ﴿لَنْتَقِفَا - لِيَكُونَا﴾. وعلامته في المصحف الفتحان والضمتان والكسرتان (ُ ، ً ، ٍ)، مثل: ﴿حَبَابًا

وَبَاتًا﴾، أو بالضم مثل: ﴿سَيَبِغُ عَلِيمٌ﴾، أو بالكسر مثل: ﴿جُرْفٍ هَارٍ﴾. والتنوين لا يكون إلا في أواخر الكلمات.

(١) إذا كانت الآية تبدأ باسم الله تعالى، أو أحد الأسماء الحسنى، أو ضمير يعود على الله تعالى، فهنا لا يجوز وصل الاستعاذة بأول الآية، لما فيها من البشاعة وإيهام رجوع الضمير على الشيطان، والأفضل هنا الوقف على الاستعاذة ثم البدء بأول الآية، ويستحب في هذه الحالة الإتيان بالبسملة. وإذا كانت الآية تبدأ باسم الشيطان أو ضمير يعود عليه فلا يجوز وصل البسملة بأول الآية، ويكون في هذه الحالة وجهان لا تأتي بهما: وصل الاستعاذة بالبسملة بأول الآية، الوقف على الاستعاذة ووصل البسملة بأول الآية. والأفضل أن ينظر القارئ للآية التي سوف يبدأ بها، فإن كانت تتحدث عن الله تعالى، أو عن أهل الجنة... فالأفضل أن يأتي بالاستعاذة ثم بالبسملة، أما إن كانت الآية المبتدأ بها تتحدث عن الشيطان أو عن أهل النار... فالأفضل أن يأتي بالاستعاذة فقط. فالإتيان بالاستعاذة فقط، أو بالاستعاذة والبسملة يكون حسب الآية المبتدأ بها.

(س) ما الفرق ما الفرق بين النون الساكنة والتنوين.

التنوين	(ج) النون الساكنة
لا يأتي إلا آخر الكلمة.	١- تأتي وسط الكلمة وآخرها.
لا يأتي إلا مع الاسم.	٢- تأتي في الاسم والفعل والحرف.
لا يثبت إلا وصلًا	٣- تثبت وصلًا ووقفًا.
يثبت لفظًا ويحذف خطًا (رسمًا).	٤- تثبت لفظًا وخطًا.
زائدة عن بنية الكلمة.	٥- تكون أصلية وزائدة.

(س): النون الساكنة والتنوين كم حالة لهما.

(ج): لهما أربعة حالات: الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء.

(س): ما حد^(١) الإظهار لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو البيان، وأما اصطلاحًا فهو إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة.

(س): كم حروف الإظهار وما هي.

(ج): حروفه ستة وهي: الهمزة والماء والعين والحاء والغين والخاء.

وجمعها بعضهم في أوائل أحرف كلمات نصف بيت فقال:

أخي هاك علمًا حازه غير خاسر

(س): ما أمثلة ذلك على الترتيب.

(ج): مثال النون عند الهمزة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ومثال التنوين عندها ﴿رَسُولٌ ءَمِينٌ﴾، وهذا مثال ما إذا كان حرف الإظهار والنون أو التنوين من كلمتين، ومثاله من كلمة ﴿يَنْتَوُونَ﴾، ومثال النون عند الهاء ﴿إِنْ هُوَ﴾، والتنوين عندها ﴿جُرْفٍ هَارٍ﴾، وهذا في كلمتين ومثاله في كلمة ﴿يَنْهَوْنَ﴾، ومثال النون عند العين ﴿نَعْلَمُ﴾، والتنوين عندها ﴿سَمِعَ عَلِيمٌ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿يَنْعِقُ﴾، ومثال النون عند الحاء ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾، والتنوين عندها ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿يَنْجُونَ﴾، ومثال النون عند الغين ﴿مَنْ غَلٍ﴾، والتنوين عندها ﴿عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿فَسَيَنْغْضُونَ﴾، ومثال النون عند الخاء ﴿مَنْ خَيْرٍ﴾، والتنوين عندها ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿وَالْمُتَخَنِّقَةُ﴾ وقس على ذلك.

(س): اذكر أمثلة لحكم إظهار النون الساكنة والتنوين.

(ج): أمثلة لإظهار النون في كلمة واحدة:

﴿يَنْتَوُونَ، يَنْهَوْنَ، يَنْعِقُ، تَنْجِتُونَ، فَسَيَنْغْضُونَ، الْمُتَخَنِّقَةُ﴾.

أمثلة لإظهار النون في كلمتين:

﴿مَنْ ءَامَنَ، مِنْ هَادٍ، مَنْ عِنْدَ، مِنْ حَيْثُ، مِنْ غَيْرِكُمْ، مِنْ خَيْرٍ﴾.

أمثلة لإظهار التنوين:

﴿جَنَّتِ الْفَأْفَاءُ، جُرْفٍ هَارٍ، حَكِيمٌ عَلِيمٌ، مَنْ خَيْرٍ﴾.

(س): ما حد الإدغام لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو إدخال الشيء في الشيء. وأما اصطلاحًا فهو التقاء حرف ساكن بمتحرك بحيث يصيران حرفًا مشددًا يرتفع اللسان عنده ارتفاعه واحدة.

(س): ما حروف الإدغام وما هي.

(١) الحد: أي التعريف.

(ج): حروفه ستة (ي - ر - م - ل - و - ن) مجموعة في قولك (يرملون).

(س): إلى كم قسم تنقسم هذه الحروف.

(ج): إلى قسمين بغنة ويسمى ناقصاً، وبغير غنة ويسمى كاملاً. فالياء والواو والميم والنون بغنة، واللام والراء بلا غنة.

(س): ما أمثلة ذلك على الترتيب.

(ج): مثال النون الساكنة عند الياء ﴿وَأِنْ يَقُولُوا﴾ أدغمت النون الساكنة في الياء، ومثال التنوين ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أدغم التنوين في الياء ويشترط أن يكون المدغم والمدغم فيه من كلمتين كما مثل.

فإن كانا من كلمة واحدة يجب إظهاره مثل: ﴿الَّذِينَ، بُنِينَ، قِنَوَانَ، صَنَوَانَ﴾، خوفاً من الالتباس بالمضاعف، ومثال النون في الميم ﴿مِنْ مَلَجًا﴾ والتنوين ﴿هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ومثال النون في الواو ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ والتنوين ﴿هُدًى وَرَحَةً﴾ ومثال النون في النون ﴿إِنْ نَقُولُ﴾ والتنوين ﴿حِطَّةً نَقِرْ﴾ وهذا كله إدغام بغنة ومثاله بلا غنة وهو إدغام النون الساكنة أو التنوين في اللام والراء فمثال النون في اللام ﴿يُبَيِّنَ لَنَا﴾ والتنوين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ومثال النون في الراء ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ والتنوين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقس على ذلك.

(س): اذكر أمثلة لحكم الإدغام بغنة وبدون غنة.

(ج): ١- إدغام بغنة: ﴿مَنْ يَقُولُ، خِطَابًا يَوْمَ، مِنْ نَعَمَةٍ، يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، مِنْ مَّارِجٍ، جَزَاءً مِّنْ، مِنْ وَلِيٍّ، غَشَوَةٌ وَلَهُمْ﴾.

٢- إدغام بغير غنة: ﴿مِنْ لَّدُنْ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، مِنْ رَبِّهِمْ، غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(س): ما حد الإقلاب لغة واصطلاحاً.

(ج): أما لغة فهو تحويل الشيء عن وجهه، وأما اصطلاحاً فهو جعل حرف مكان حرف آخر مع مراعاة الغنة.

(س): كم حروف الإقلاب.

(ج): حرف واحد وهو الباء.

(س): ما أمثلة ذلك.

(ج): مثاله عند النون من كلمتين ﴿مِنْ بَعْدٍ﴾ ومن كلمة ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ﴾ ومثال التنوين ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ - أَلَيْسَ بِمَا كَانُوا﴾.

(س): اذكر أمثلة لحكم الإقلاب.

(ج): ﴿مِنْ بَعْدِ- أَلَّا نُنَبِّئَكَ- عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾.

(س): ما حد الإخفاء لغة واصطلاحاً.

(ج): أما لغة فهو الستر، وأما اصطلاحاً فهو عبارة عن النطق بحرف ساكن عارٍ (أي خالٍ) عن التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول، وهو النون الساكنة والتنوين.

(س): كم حروف الإخفاء.

(ج): حروفه خمسة عشر في أوائل أحرف كلمات هذا البيت:

ص ف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما

دم طيباً زد في تقى ضع ظالمًا

فإذا وقع حرف من هذه الحروف بعد النون الساكنة من كلمة أو كلمتين أو التنوين، أخفيت النون الساكنة والتنوين، ويسمى إخفاء حقيقياً.

(س): ما مثال ذلك.

(ج): مثال النون عند الصاد من كلمتين ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ ومن كلمة ﴿وَأَنْصُرْنَا﴾ والتنوين ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ وقس على ذلك باقي الأحرف المذكورة.

(س): اذكر أمثلة لحكم الإخفاء.

(ج): ﴿مَنْصُورًا، مِّنْ صَيَّامٍ، بِرِيحٍ صَرْصَرٍ، أَنْذَرَهُمْ، مِّنْ ذَا، طَعَامًا ذَا، مَثُورًا﴾.

* * *

فصل في أحكام الميم الساكنة

(س): عرف الميم الساكنة وكم حالة لها.

(ج): هي التي لا حركة لها، ولها ثلاث حالات: إدغام وإخفاء وإظهار، فتدغم في مثلها بغنة كاملة إذا وجد بعدها ميم، ويسمى إدغام متمثلين مثاله: ﴿لَهُمْ مَثَلًا - لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ - وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ وتخفى عند الباء بغنة ويسمى إخفاء شفوياً مثاله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ - وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ وشبه ذلك، وتظهر عند باقي الحروف، لكنها عند الواو والفاء أشد إظهاراً ويسمى إظهاراً شفوياً، مثاله: ﴿وَهُمْ فِيهَا - عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

(س): اذكر أمثلة لأحكام الميم الساكنة.

- (ج): ١ - أمثلة للإدغام الشفوي: ﴿جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّ، مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾.
٢ - أمثلة للإخفاء الشفوي: ﴿إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ، أَنْفُسَكُمْ بِأَخَذِكُمْ﴾.
٣ - أمثلة للإظهار الشفوي: ﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

* * *

فصل في أحكام الميم والنون المشددتين

(س): ما الحرف المشدد.

(ج): الحرف المشدد أصله يتكون من حرفين: الأول ساكن والثاني متحرك. فيدغم الأول الساكن في الثاني المتحرك بحيث يصيران كالثاني مشدداً.

(س): ما حكم الميم والنون المشددتين.

(ج): حكمهما إظهار غنة الميم والنون حال تشديدهما نحو ﴿مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ونحو ﴿ثُمَّ - لَمَّا﴾ فالغنة لازمة لهما.

(س): اذكر أمثلة أحكام الميم والنون المشددتين.

(ج): ﴿إِنَّ - ثُمَّ﴾.

* * *

فصل في أحكام أل المعرفة

(س): أل المعرفة إذا وقعت قبل حروف الهجاء كم حالة لها.

(ج): لها حالتان قمرية وشمسية.

(س): ما هي اللام القمرية.

(ج): هي الواقع بعدها حرف من هذه الحروف وهي (ابغ حجك وخف عقيمه) مثال ذلك: ﴿الْأَنْعَمَ - الْبَرَّ - الْقَنَامَ - الْحَمِيمُ - الْجَنَّةَ - الْكَوْثَرَ - أَوْلَدَانَ - الْخَيْرَ - الْفَتَنَةَ - وَالْعَافِينَ - الْقَمَرَ - الْيَوْمَ - الْمَالَ - أَهْدَى﴾ وما أشبه ذلك وتسمى لأمًا قمرية بمعنى أنها تظهر مثل لام القمر.

(س): اذكر أمثلة لأحكام اللام القمرية.

(ج): ﴿الْإِبِلَ - الْبَقَرَ - الْغَنَمَ - الْحَاقَّةَ - الْجِبَالَ - الْأَنْعَمَ - الْكَفَرُ - الْوَاقِعَةَ﴾.

(س): ما هي اللام الشمسية.

(ج): هي الواقع بعدها أربع عشرة حرفاً المجموعة في أوائل أحرف كلم هذا البيت.

طب ثم صل رحما نفز صف ذا نعم

دع سوء ظن زر شريفاً

مثال ذلك ﴿الطَّائِمَةُ - الْفَاقَةُ﴾ وقس على ذلك.

(س): اذكر أمثلة لأحكام اللام الشمسية.

(ج): ﴿الطَّائِمَةُ - الثَّمَرَاتِ - الصَّلِيحَتِ - الرَّحْمَنِ - التَّيْبُوتِ - الضَّالِّينَ - النَّاسِ - الدَّاعِي﴾.

(س): ما علامة اللام القمرية والشمسية.

(ج): علامة القمرية السكون وعلامة الشمسية الشدة.

* * *

فصل في أحكام اللام الواقعة في الفعل

(س): ما حكم اللام الواقعة في الفعل.

(ج): يجب إظهارها مطلقاً سواء كان الفعل ماضياً أو أمراً، وتلحق الماضي في آخره ووسطه، أما الأمر ففي آخره، مثال فعل الماضي ﴿جَمَلْنَا - قُلْنَا - ضَلَلْنَا - أَلْتَقَى﴾، ومثال فعل الأمر ﴿قُلْ نَعَمْ﴾.

* * *

فصل في أحكام الإدغام (المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين)

(س): ما هو الإدغام.

(ج): هو عبارة عن خلط الحرفين وإدخال أحدهما في الآخر.

(س): إلى كم قسم ينقسم.

(ج): ينقسم إلى ثلاثة أقسام: متماثلين ومتقاربين ومتجانسين.

(س): ما هو إدغام المتماثلين.

(ج): هو أن يتفق الحرفان صفة ومخرجاً (١).

(س): ما حكم إدغام المتماثلين.

(ج): حكمه الإدغام وجوباً نحو ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ - بَلْ لَا يَخَافُونَ - وَقَدْ دَخَلُوا - إِذْ ذَهَبَ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو إدغام المتقاربين.

(ج): هو ما تقارب مخرجاً وصفة (٢).

(س): ما مثال ذلك.

(ج): مثاله التاء عند الذال ﴿يَلْهَثُ ذَلِكَ﴾ ومثاله الباء عند الميم ﴿يَبْتِئُ أَرْكَبُ مَعَنَا﴾ ومثاله القاف عند الكاف ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾.

(س): ما هو إدغام المتجانسين.

(ج): هو ما اتحد مخرجاً واختلف صفة (٣).

(س): ما مثال ذلك.

(ج): مثاله الطاء عند التاء ﴿لَنْ يَبْطِطَ﴾ ومثاله التاء عند الطاء ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ ومثاله التاء عند الدال ﴿أَنْقَلَتْ دَعْوَا اللَّهِ﴾ ومثاله اللام عن الراء ﴿قُلْ رَبِّ﴾ ومثاله الذال عند الطاء ﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾.

(١) المتماثلان: هما حرفان اتحدا مخرجاً وصفة، مثل: (د مع د، ل مع ل)، وينقسم إلى صغير وكبير ومطلق: ١ - الصغير: أن يكون الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً، مثل: ﴿قَدْ دَخَلُوا﴾. وحكمه: الإدغام. ٢ - الكبير: أن يكون الحرفان متحركين، مثل: ﴿فِيهِ هُدًى - الرَّجِيمِ مَلِكٍ﴾. وحكمه: الإظهار. ٣ - المطلق: أن يكون الحرف الأول ساكناً والثاني ساكناً، مثل: ﴿مَا تَنْسَخْ شَفَقْنَا﴾. وحكمه: الإظهار.

(٢) المتقاربان: هما حرفان تقاربا مخرجاً وصفة، مثل: (ذ مع ز)، أو تقاربا صفة فقط لا مخرجاً، مثل: (ذ مع ج) أو تقاربا مخرجاً لا صفة، مثل: (د مع س). وينقسم إلى صغير وكبير ومطلق.

١ - صغير: حكمه: الإظهار، إلا (ل - ر) فحكمه: الإدغام، مثل: ﴿قُلْ رَبِّ﴾. ٢، ٣ - الكبير والمطلق: حكمهما الإظهار.

(٣) المتجانسان: هما حرفان قد اتحدا مخرجاً واختلفا صفة، مثل: (د مع ت). وينقسم إلى صغير وكبير ومطلق: ١ - صغير: حكمه: الإظهار، ويستثنى من الإظهار خمس مواضع يجب فيها الإدغام وهي: ١ - الدال في التاء: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾. ٢ - التاء في الدال والطاء: ﴿أَنْقَلَتْ دَعْوَا - هَمَّتْ طَائِفَةٌ﴾. ٣ - الذال في الطاء: ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾. ٤ - التاء في الذال: ﴿يَلْهَثُ ذَلِكَ﴾. ٥ - الباء في الميم: ﴿أَرْكَبُ مَعَنَا﴾. ٢، ٣ - الكبير والمطلق: حكمهما الإظهار.

فصل في أحكام المدود وأقسامها

(س): ما حد المد لغة واصطلاحاً.

(ج): أما لغة فهو المط وقيل الزيادة. وأما اصطلاحاً عند القراء فهو إطالة الصوت بحرف من حروف المد الآتي ذكرها.

(س): إلى كم قسم ينقسم المد.

(ج): إلى قسمين أصلي وفرعي.

(س): ما هو المد الأصلي.

(ج): هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به.

(س): ما هي حروف المد.

(ج): هي ثلاثة: الواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها.

(س): لم سمي طبيعياً.

(ج): لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن حده ولا يزيد عليه.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مقدار مده ألف وهو حركتان وصلًا ووقفًا، ونقصه عن ألف حرام شرعاً، مثلاً الألف ﴿قَالَ﴾ ومثال الواو ﴿يَقُولُ﴾ ومثال الياء ﴿قِيلَ﴾.

(س): ما هو المد الفرعي وإلى كم قسم ينقسم.

(ج): هو المد الزائد على المد الأصلي بسبب من همز أو سكون، وهو ينقسم إلى ثلاثة عشر قسمًا: الأول المد الواجب المتصل، الثاني المد الجائز المنفصل، الثالث المد العارض للسكون، الرابع مد البدل، الخامس مد العوض، السادس المد اللازم المثلث الكلمي، السابع المد اللازم المخفف الكلمي، الثامن المد اللازم المثلث الحرفي، التاسع المد اللازم المخفف الحرفي، العاشر مد اللين، الحادي عشر مد الصلة، الثاني عشر مد الفرق، الثالث عشر مد التمكين، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً على هذا الترتيب.

(س): ما هو المد الواجب المتصل وما قدر مده.

(ج): هو أن يكون المد والهمزة في كلمة واحدة، وقدر مده خمس حركات مثال ذلك ﴿جَاءَ - أَلَنَسِيْءُ - قُرْءٌ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو المد الجائز المنفصل وما قدر مده.

(ج): هو ما كان حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى، وحكمه جواز مده حركتين أو أربع أو خمس حركات. مثال ذلك ﴿يَتَأَدُّمُ - قُولُواْ - ءَامَنَّا - إِنِّيْ ءَامَنْتُ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو المد العارض للسكون وما قدر مده.

(ج): هو الوقف على آخر الكلمة، وكان قبل الحرف الموقوف عليه أحد حروف المد الطبيعي التي هي الألف والواو والياء كـ ﴿تُكْذِبَانِ - أَلْعِقَابِ - أَلرَّحِيمِ - شَيْءٍ - يُؤْمِنُونَ - خَوْفٌ﴾ يجوز في مده ثلاثة أوجه: الطول وهو ست حركات، والتوسط وهو أربع حركات، والقصر وهو حركتان.

(س): لم سمي مدًا عارضًا للسكون.

(ج): لأنه عرض عليه السكون في حالة الوقف، وإذا لم يوقف عليه كان مدًا طبيعيًا.

(س): ما هو مد البدل.

(ج): هو أن يجتمع المد مع الهمزة في كلمة، لكن تتقدم الهمزة على المد مثل: ﴿ءَاتَى - ءَامَنَ - أُوتُواْ - أُودُواْ - إِيْتَاءَ - بِإِلَٰمِنِ﴾.

(س): ما هو مد العوض وما قدر مده.

(ج): هو الوقف على التنوين المنصوب في آخر الكلمة، وقدر مده حركتان مثال ذلك ﴿مُقْتَدِرًا - مَاءٌ﴾.

(س): ما هو المد اللازم المثلث الكلمي.

(ج): هو أن يكون بعد حرف المد حرف مشدد في كلمة واحدة نحو ﴿يَتَمَاسَا - الضَّالِّينَ - الصَّاحَّةُ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مقدار مده ثلاث أَلَفَات بست حركات.

(س): ما هو المد اللازم المخفف الكلمى.

(ج): هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن نحو ﴿ءَالَتْنِ﴾ في موضعين من يونس.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مقدار مده ثلاث أَلَفَات بست حركات.

(س): ما هو المد اللازم الحريف المشبع.

(ج): هو أن يوجد حرف في فواتح السور هجاؤه ثلاثة أحرف أو وسطها حرف مد والثالث ساكن، فإن أدغم الحرف الذي بعد حرف المد كان مثقلاً نحو ﴿الْمَرْ﴾ وإن لم يدغم كان مخففاً نحو ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ - تَّ وَالْقَلَمِ - قَّ وَالْقُرْآنِ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): كم حروف المد اللازم الحريف.

(ج): هي ثمانية أحرف يجمعها قولك (نقص عسلكم) للألف منها أربعة أحرف وهي ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ - كَهَيْعَصَ﴾ من فاتحة مريم - ﴿قَّ وَالْقُرْآنِ - عَسَقَ﴾ من فاتحة الشورى - لام من ﴿الْمَرْ﴾ وللياء حرفان الميم من ﴿الْمَرْ﴾ - السين من ﴿يَسَ﴾ - ﴿طَسَ﴾ وللواو حرف واحد ﴿النون من تَّ وَالْقَلَمِ﴾ فقط، فهذه السبعة تمد مدّاً مشبعاً بلا خلاف، وأما العين من فاتحة مريم والشورى ففيها وجهان: المد ثلاث أَلَفَات، والتوسط أَلَفَان، والمد أشهر.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مده ثلاث أَلَفَات بست حركات.

(س): ما هو المد اللازم المخفف الحريف.

(ج): هو ما كان الحرف فيه على حرفين.

(س): كم حروفه.

(ج): حروفه خمسة يجمعها لفظ (حي طهر) فمثال الحاء ﴿حَمَ﴾ ومثال الياء ﴿يَسَ﴾ ومثال الطاء مع مثال الهاء ﴿طَهَ﴾ ومثال الراء ﴿الرَّ﴾.

(س): على كم حركة مده.

(ج): مده على حركتين.

(س): كم حروف اللين.

(ج): هما حرفان الواو والياء بشرط سكونهما وانفتاح ما قبلهما نحو ﴿يَبَّتِ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو مد الصلة وبكم حركة قدر.

(ج): هو حرف مد زائد مقدّر بعد هاء الضمير، وقدر بحركتين حال ضمّه وكسره.

(س): إلى كم قسم تنقسم الصلة.

(ج): تنقسم إلى قسمين قصيرة وطويلة.

(س): في أي محل تكون الصلة قصيرة.

(ج): إذا كان ما قبل الهاء متحركاً مثل ﴿إِنَّهُ كَانَ - لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، فإن كان ما قبله ساكناً فلا مد فيه، وخرجت من هذه القاعدة كلمة ﴿يَرَضُهُ لَكُمْ﴾ بالزمر حيث استوفت شروط الصلة ولا صلة فيها. وكلمة ﴿فِيهِ مَهَانًا﴾ بالفرقان حيث وقعت بين ساكن ومتحرك وفيها صلة على طريقة حفص، ويشترط أيضاً أن لا يكون ما بعده موصولاً به؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ - وَلَهُ الدِّينُ﴾ فإنه لا يمد اتفاقاً و﴿فَالْقَهْ﴾ في النمل و﴿أَرْجِهْ﴾ فيسكن.

(س): في أي محل تكون الصلة طويلة وبكم قدر مدها.

(ج): إذا كان بعد الهاء همزة قطع فإنه يجوز مدها مدّاً مشبعاً مقدار ألفين ونصف، ويجوز بمقدار ألف كالمد المنفصل بالحد، مثاله ﴿تُخَاوِرُهُ﴾ أنا، هُنْدَه - أَمْتُكُمْ وما أشبه ذلك.

(س): لم سُمي مدّ صلة.

(ج): تأديبا؛ لأن القرآن العظيم لا زيادة فيه ولا نقص.

(س): ما هو مد الفرق.

(ج): هو شاذ الوقوع في القرآن العظيم وهو في أربعة مواضع؛ في سورة الأنعام في موضعين: ﴿قُلْ الذِّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]،

في يونس: ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]، وفي النمل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

(س): لم سمي مد فرق.

(ج): لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر؛ لأنه لولا المد لتوهم أنه خبر لا استفهام، فالهمزة فيه للاستفهام.

(س): ما هو مد التمكنين.

(ج): هو كل ياءين أحدهما ساكن مكسور ما قبلها مشدّد مثال ذلك ﴿حُبَيْمٌ - أَلَيْتَيْنِ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): لم سمي مد تمكين.

(ج): لأن الشدة مكنته فلاجل ذلك قيل له مد تمكين.



فصل في بيان مخارج الحروف

(س): عرف مخارج الحروف وأقسامها.

(ج): المخرج لغة: محل الخروج. واصطلاحاً: هو موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره.

الحرف لغة: الطرف. واصطلاحاً: هو صوت يعتمد على مخرج محقق أو مقدر. والمخرج المحقق هو جزء معين من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين،

وكذلك الخيشوم. والمقدر خلاف ذلك، مثل الجوف، فليس للحرف موضع معين يخرج منه. ويبدأ الجوف من أقصى الحلق وينتهي بالشفيتين.

ومخارج الحروف سبعة عشر على المختار، موزعة على خمسة مواضع، هي:

١ - الجوف. ٢ - الحلق. ٣ - اللسان.

٤ - الشفتان. ٥ - الخيشوم.

١ - الجوف: هو الخلاء الداخل في الحلق والفم، ويخرج منه أحرف المد الثلاثة بشروطها: (ا - و - ي).

٢ - الحلق: وفيه ثلاثة مخارج:

١. أقصى الحلق، ويخرج منه: (ء - هـ).

٢. وسط الحلق، ويخرج منه: (ع - ح).

٣. أدنى الحلق، ويخرج منه: (غ - خ).

٣ - اللسان: وفيه عشرة مخارج:

١. أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه: (ق).

٢. أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف، ويخرج منه: (ك).

٣. وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه: (ج - ش - ي، غير المدية).

٤. حافة اللسان وما يحاذيها من الأضراس العلوية اليمنى أو اليسرى، أو كلاهما معاً، ويخرج منه (ض).

٥. ما بين حافتي اللسان وما يحاذيها من اللثة العليا بعد مخرج الضاد، ويخرج منه (ل).

٦. طرف اللسان وما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، ويخرج منه (ن).

٧. طرف اللسان قريب إلى ظهره قليلاً بعد مخرج النون، ويخرج منه (ر).

٨. طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ويخرج منه (د - ت - ط).

٩. طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى مع انفراج قليل بينهما، ويخرج منه (س - ص - ز).

١٠. ظهر طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ويخرج منه: (ث - ذ - ظ).

٤- الشفتان: وفيها مخرجان:

١. بطن الشفة السفلى مع أطراف الشايبا العليا، ويخرج منه (ف).

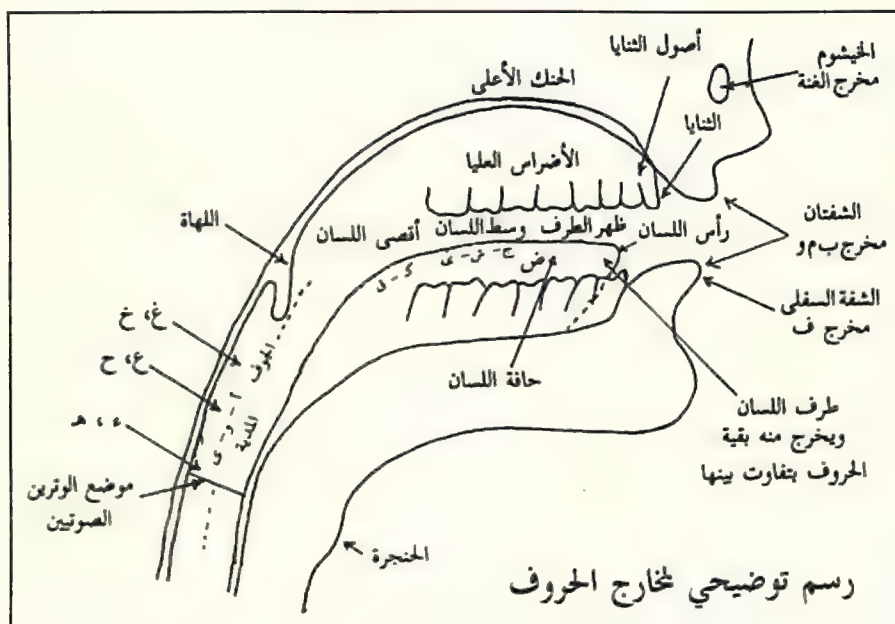
٢. من الشفتين معًا: ويخرج منهما: (ب-م-و، غير المدية)، مع انطباق الشفتين في الباء والميم، وانفتاحهما في الواو.

٥- الخيشوم: وفيه مخرج واحد تخرج منه: (الغنة)، وهي صفة لازمة مركبة في جسم الميم والنون.

* لمعرفة مخرج أي حرف: إذا أردت معرفة مخرج الحرف فسكّن الحرف أو شدده ورد في أوله همزة، فحيث انتهى بك الصوت فمّ مخرج الحرف،

مثل: (أَبْ)، (أَقْ)، (أَمْ).

رسم توضیحي لخارج الحروف



فصل في بيان صفات الحروف

(س): عرف صفات الحروف وأقسامها.

(ج): الصفة لغة: ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد. واصطلاحاً كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من الجهر والرخاوة

والهمس والشدة ونحوها.

وصفات الحروف قسمان: لازمة وعارضة:

أولاً: الصفات اللازمة (الذاتية): هي التي من ذات الحرف لا تنفك عنه، وهي حق للحرف كالاستعلاء والهمس.

ثانيًا: الصفات العارضة (الزائدة): هي الصفة المكملة للحرف بحيث لو انفكت عنه لا تؤثر في ذاته، وهي الصفات المستحقة الزائدة كالتفخيم

والإدغام والإخفاء.

أولاً: الصفات اللازمة (الذاتية): صفات الحروف اللازمة سبع عشرة صفة، وهي قسمان:

١- صفات متضادة. ٢- صفات غير متضادة.

١- صفات متضادة: وهي:

١- الهمس وضده الجهر. ٢- الشدة والتوسط وضدهما الرخاوة.

٣- الاستعلاء وضده الاستفال. ٤- الإطباق وضده الانفتاح.

٥- الإذلاق وضده الإصمات.

١- الهمس لغة: الخفاء.

واصطلاحاً: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه عشرة مجموعة في (فحثة شخص سكت).

الجمهور لغة: الإعلان.

واصطلاحًا: انحباس النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، وحروفه تسعة عشر حرفًا، وهي باقي حروف الهجاء.

٢- الشدة لغة: القوة.

واصطلاحًا: حبس الصوت عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، وحروفه ثمانية مجموعة في (أجد قط بكت).
التوسط لغة: الاعتدال.

واصطلاحًا: صفة وسط بين الشدة والرخاوة، وأحرفها خمسة مجموعة في: (لن عمر).

الرخاوة لغة: اللين.

واصطلاحًا: جريان الصوت عند النطق بالحرف، وحروفه بقية حروف الهجاء، وهي ستة عشر حرفًا.

٣- الاستعلاء لغة: الارتفاع.

واصطلاحًا: ارتفاع أقصى اللسان عند النطق بالحرف، وأحرفه سبعة مجموعة في (خص ضغط قظ).

الاستفال لغة: الانخفاض.

واصطلاحًا: انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالحرف، وحروفه هي بقية حروف الهجاء.

٤- الإطباق لغة: الإصاق.

واصطلاحًا: إصاق أكثر اللسان على ما يحاذيه من الحنك الأعلى وأحرفه أربعة هي: (ص - ض - ط - ظ).

الانفتاح لغة: الافتراق.

واصطلاحًا: تجافي اللسان أو معظمه عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه خمسة وعشرون حرفًا هي بقية حروف الهجاء.

٥- الإذلاق لغة: حدة اللسان، أي طلاقته.

واصطلاحًا: هو الطرف والسهولة، وأحرفه ستة مجموعة في: (فر من لب) حيث يخرج من طرف اللسان (ل - ر - ن)، ومن الشفتين (ف - م - ب).

الإصمات لغة: المنع.

واصطلاحًا: امتناع المتكلم عن الإتيان بكلمة رباعية أو خماسية الأصل خالية من أحد أحرف الإذلاق إلا كلمة (عسجد).

٢- الصفات غير المتضادة: وهي سبع صفات:

١- الصغير. ٢- القلقل. ٣- اللين. ٤- الانحراف.

٥- التكرار. ٦- التفشي. ٧- الاستطالة.

١- الصغير لغة واصطلاحًا: صوت يشبه صوت الطائر، أحرفه ثلاثة: (ص - س - ز).

٢- القلقل لغة: الاضطراب.

واصطلاحًا: اضطراب في المخرج عند النطق بالحرف، وتظهر واضحة إذا كان الحرف ساكنًا حتى تُسمع له نبرة قوية، مثل: ﴿صِدْقٍ﴾

فَأَسْتَجِبْنَا، الْحَقُّ، الْحَجُّ، مُحِيطٌ. وأحرفها خمسة مجموعة في: (قطب جد).

٣- اللين لغة: ضد الخشونة.

واصطلاحًا: إخراج الحرف من مخرجه في لين وعدم كلفة، وحروفه اثنان (و - ي) الساكنتين المفتوح ما قبلهما.

٤- الانحراف لغة: الميل والعدول.

واصطلاحًا: ميل الحرف إلى طرف اللسان، وله حرفان (ل - ر).

٥- التكرار لغة: واصطلاحًا: الإعادة، وله حرف واحد وهو (ر).

٦- التفشي لغة: الانتشار والاتساع.

واصطلاحًا: انتشار الهواء في الفم وله حرف واحد وهو (ش).

٧- الاستطالة لغة: الامتداد.

واصطلاحًا: طول في المخرج وله حرف واحد وهو (ض).

ثانيًا: الصفات العارضة (الزائدة): التفخيم والترقيق: انظر الفصل التالي.

فصل في التفخيم والترقيق

(س): ما حد التفخيم، وما حروفه، وما أحكامه.

(ج): التفخيم لغة التسمين. واصطلاحاً هو سمن يطرأ على جسم الحرف وهو صفة زائدة، والأحرف المفخمة قسمان:

- ١- قسم مفخم دائماً وهي أحرف الاستعلاء السبعة: (خص ضغط قظ).
- ٢- قسم يرقق أحياناً ويفخم أحياناً وهي أربعة: ١- الراء. ٢- اللام. ٣- الألف. ٤- الغنة.
- ١- أحرف الاستعلاء: مفخمة دائماً، ولها خمس مراتب:
 ١. أعلاها: المفتوح وبعده ألف، مثل: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾.
 ٢. المفتوح وليس بعده ألف، مثل: ﴿طَبَعَ﴾.
 ٣. المضموم، مثل: ﴿ضُرِبَ﴾.
 ٤. الساكن: ويأخذ مرتبة حركة الحرف الذي قبله، مثل: ﴿مَطْلَعٌ - مُقْمَحُونَ - إِخْرَاجٌ﴾.
 ٥. المكسور: ﴿دُخِلَتْ﴾.
- ٢- ما يفخم ويرقق أحياناً: وهي أربعة: ١- الراء. ٢- اللام. ٣- الألف. ٤- الغنة.

أولاً: حكم الراء:

١- **تفخيم الراء:** إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، مثل: ﴿رَحِمْتَ - كَفَرُوا﴾ أما الراء الساكنة فتفخم إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، أو كسر غير أصلي، أو كسر غير متصل بها في نفس الكلمة، أو بعدها حرف استعلاء غير مكسور، مثل: ﴿أَرْسَلْنَا - وَالْعَصْرِ - الْمُرْسَلُونَ - الْعُسْرُ - أَرْجِعُوا - الَّذِي أَرْتَضَى - مَرَصَادًا﴾.

٢- **ترقيق الراء:** إذا كانت مكسورة، مثل: ﴿أَمَرْنَا﴾. أما الراء الساكنة فترقق إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة، مثل: ﴿فِرْعَوْنَ، الذِّكْرَ، بَصِيرٌ﴾. تنبيه: كلمات يجوز فيها تفخيم وترقيق الراء في حالة الوقف عليها، وهي: ﴿الْقَطْرِ - مِصْرَ - إِذَا يَسِرَ - أَنْ أَسِرَ - فَأَوْسِرَ - فِرْقٍ﴾، ﴿نَذِرِ﴾ المسبوقة بالواو في ستة مواضع بالقمر.

ثانياً: حكم اللام:

١- **تفخيم اللام:** تفخيم الله في لفظ الجلالة الله إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، مثل: ﴿كَانَ اللَّهُ - رَسُولُ اللَّهِ - اللَّهُ﴾.

٢- **ترقيق اللام:** ترقيق اللام في لفظ الجلالة الله إذا كان قبلها كسرة، مثل: ﴿يَتَّقِ اللَّهَ - يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - لِلَّهِ﴾.

ثالثاً: حكم الألف:

تفخم الألف إذا جاءت بعد حرف مفخم، مثل: ﴿الظَّالِمِينَ - قَالَ﴾.

وعدا ذلك ترقيق الألف.

رابعاً: حكم الغنة:

تفخم الغنة إذا أخفي النون أو التنوين عند أحد حروف الاستعلاء، مثل:

﴿يُنْصَرُونَ - مِنْ صِيَامٍ - وَنَحِيلٌ صَبَوَانٌ - مِنْ ضَعْفٍ - مَنُضُودٍ - مُسْفِرَةٌ صَاحِكَةٌ﴾.

وعدا ذلك ترقيق الغنة.

* * *

فصل في بيان القلقلة

(س): كم حروف القلقلة.

(ج): هي خمسة يجمعها قولك (قُطِبَ جد).

(س): إلى كم قسم تنقسم.

(ج): إلى قسمين صغرى وكبرى، فإن كان سكونها أصلياً فهي صغرى، وإن كان سكونها عارضاً في الوقف فهي كبرى، مثال الصغرى ﴿يَقْطَعُونَ﴾ - يُطْعَمُونَ

-يَجْعَلُونَ - يَدْعُونَ - تَتَبَوَّكِبُ-، ومثال الكبرى ﴿خَلَقَ - صَرَطَ - عَذَابٌ - بَهِيحٌ - سَدِيدٌ﴾ فهذه تقلقل حالة الوقف، لا حالة الوصل والمروء.

* * *

فصل في أحكام همزة الوصل

(س) عرّف همزة الوصل مبيّنًا سبب تسميتها ومواقعها.

(ج) همزة الوصل: هي الهمزة الزائدة أول الكلمة، الثابتة في الابتداء، الساقطة في الوصل.

سميت بذلك لأنه يتوصل بها إلى النطق بالساكن، ولذلك سميت (سلم اللسان).

أما مواقعها: فتأتي في الأسماء والأفعال، وتارة تكون سماعية، وتارة تكون قياسية وهو الأكثر.

(س): وضح كيفية البدء بهمزة الوصل في الأسماء مع ذكر الأسماء التي فيها همزة وصل.

(ج): - الاسم المعروف بلام التعريف تكون همزة الوصل فيه قياسية، ويبدأ بها مفتوحة، نحو: ﴿الرَّحْمَنُ﴾.

- الاسم المجرد من لام التعريف تكون همزة الوصل فيه قياسية، وسماعية ويبدأ بها مكسورة.

- أما القياسية فتكون في مصدر الفعل الخماسي، نحو: ﴿أَقْبَرَاءُ﴾، وفي مصدر الفعل السداسي، نحو: ﴿أَسْتَكْبَرًا﴾، ﴿أَسْتَفْهَرُ﴾.

- وأما السماعية فقد ورد منها في القرآن سبعة أسماء، وهي: ﴿ابْنُ﴾، ﴿ابْنَةُ﴾، ﴿أَمْرُؤَا﴾، ﴿أَمْرَأَةٌ﴾، ﴿أَتْنَيْنِ﴾، ﴿أَتْنَتَيْنِ﴾، ﴿أَسْمُ﴾، وهذه هي

الأسماء التي فيها همزة وصل.

(س): كيف تبدأ بكلمة ﴿الْأَسْمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

(ج): يُبْدَأُ بها بأحد وجهين:

١. الابتداء بهمزة الوصل مفتوحة (أَسْمُ).

٢. الابتداء باللام مكسورة مع ترك همزة الوصل (لِأَسْمِ).

أما حال الوصل فليس فيها إلا وجه واحد، وهو إسقاط همزة الوصل وكسر اللام.

(س): وضح كيفية البدء بهمزة الوصل في الأفعال.

(ج): الهمزة في الفعل المضارع لا تكون إلا همزة قطع، ولا توجد همزة الوصل إلا في الفعل الماضي الخماسي، نحو: ﴿أَقْرَبَ﴾، والسداسي، نحو:

﴿أَسْتَفْهَرَ﴾، وفي فعل الأمر الذي ماضيه ثلاثي، نحو: ﴿أَضْرِبْ﴾، أو خماسي، نحو: ﴿أَنْظِرُونَا﴾، أو سداسي، نحو: ﴿أَسْتَغْفِرْ﴾.

وحركة همزة الوصل في الأفعال إما كسر أو ضم فقط.

١ - الكسر بشرط أن يكون ثالث الفعل مفتوحًا أو مكسورًا، نحو: ﴿أَنْقَلَبَ﴾، ﴿أَرَضَى﴾، ﴿أَذْهَبُوا﴾.

٢ - الضم بشرط أن يكون ثالث الفعل مضمومًا ضمًا لازمًا، أو فعلًا خماسيًا أو سداسيًا مبنيًا للمجهول، نحو: ﴿أَسْتَحْفِظُوا﴾، ﴿أَجْتَنَّتْ﴾،

﴿أَبْتَلَى﴾، ﴿أَذْعَ﴾، ﴿أَتَلَّ﴾، ﴿أَخْرَجُوا﴾.

أما إذا كان ثالث الفعل مضمومًا ضمًا عارضًا فيبدأ فيه بكسر همزة الوصل، وقد وردت في خمس كلمات فقط، وهي: ﴿أَقْضُوا﴾، ﴿أَبْنُوا﴾،

﴿أَمْشُوا﴾، ﴿أَتَرُوا﴾، ﴿وَأَمْضُوا﴾، فأصل حركة ثالث هذه الأفعال الكسر، أما الضم فهو عارض لمناسبة الواو التي اتصلت بها، وأصلها (اقضي، ابن،

امشي، ...).

(س): ما سبب ورود همزة الوصل في كلام العرب.

(ج): سبب ورودها أن العرب لا تجيز البدء بالساكن، ومن هنا فإن همزة الوصل هي السبيل الوحيد الذي من خلاله يحسن البدء بالساكن.

فحين جلب همزة الوصل إلى الكلمة تصبح متحركة، ويصبح الحرف الساكن الذي كان في بداية الكلمة حرفًا ثانيًا، فمن ثم سميت همزة وصل.

(س): قد تتقدم همزة القطع على همزة الوصل، فما حكم كل من الهمزتين.

(ج): وقع تقدم همزة القطع التي للاستفهام على همزة الوصل في الأفعال وفي الأسماء، وتفصيل ذلك كما يلي:

١ - تحذف همزة الوصل وتبقى همزة الاستفهام مفتوحة، وذلك خاص بالأفعال، وقد ورد في القرآن الكريم عدة أفعال، هي: ﴿أَتَخَذْتُمْ﴾،

﴿أَطْلَعَ﴾، ﴿أَفَرَى﴾، ﴿أَصْطَفَى﴾، ﴿أَتَخَذْتَهُمْ﴾، ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾، ﴿أَسْتَغْفِرْتَ﴾.

ووجه حذف همزة الوصل في هذه الأفعال:

أن أصل هذه الكلمات (أَتَخَذْتُمْ، أَطْلَع، أَسْتَكْبِرْتُمْ، ...) بهمزتين: الأولى: همزة استفهام ولا تكون إلا مفتوحة، والثانية: همزة الوصل وهي مكسورة، فحُذفت الثانية استغناءً عنها بهمزة الاستفهام، ولا يترتب على حذفها التباس الخبر بالاستفهام.

٢- تبقى الهمزتان المجتمعتان معاً في الكلمة، وذلك خاص بالأسماء، وشرطه أن تكون همزة الوصل مفتوحة في البدء، وواقعة في اسم محلي بـال، وحينئذ لا يجوز حذفها؛ لئلا يلتبس الخبر بالاستفهام، وقد ورد من هذه الصور ثلاث كلمات في ستة مواضع من القرآن الكريم، أولها وثانيها: ﴿الَّذِينَ﴾ [الأنعام: في الآيتين: ١٤٣، ١٤٤]. ثالثها ورابعها: ﴿اللَّهُ﴾ في [سورة يونس: ٥٩، وسورة النمل: ٥٩]. خامسها وسادسها: ﴿الَّذِينَ﴾ [يونس في الآيتين: ٥١، ٩١].

(س): قد تتقدم همزة الوصل على همزة القطع الساكنة، فما حكم كل من الهمزتين.

(ج): تتقدم همزة الوصل على همزة القطع لا يكون إلا في الأفعال خاصة، نحو: ﴿أَوْتَمِنَ﴾، ﴿أَشَدَّنَ﴾، ﴿أَتَتَوَّأَ﴾، ﴿أَتَقَنَّا﴾، ﴿أَتَوَّأَى﴾، فحين البدء بمثل هذه الكلمات والتي فيها هذه الهمزة تثبت همزة الوصل وتبدل، همزة القطع الساكنة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها؛ أي: من جنس حركة همزة الوصل، مثال ذلك: (أَوْتَمِنَ، إِيْتَنَّا، إِيْتَوِي).

وأما حال وصل هذه الكلمة بما قبلها، فإن همزة الوصل تسقط في الدرج، وتثبت همزة القطع ساكنة.



فصل في المقطوع والموصول

(س): ما المراد بالمقطوع والموصول.

(ج): المراد بالمقطوع: الكلمة التي تفصل عما بعدها في رسم المصحف العثماني، ويجوز الوقف على هذه الكلمة اضطراراً واختياراً. المراد بالوصل: الكلمة التي توصل بما بعدها في رسم المصحف العثماني، ولا يجوز فصل هذه الكلمة عما اتصلت به لأي عارض إلا برواية صحيحة. وإليك بيان المقطوع والموصول بالتفصيل:

فتقطع «أَنْ» المفتوحة الهمزة الساكنة عن «لَا» النافية في عشرة مواضع، وهي:

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤]، ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٢٦].

﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦].

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيَاطِينَ﴾ [يس: ٦٠].

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الدخان: ١٩].

﴿أَنْ لَا يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢].

﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا يَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤].

ووقع الخلاف في موضع واحد في الأنبياء؛ وهو: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكتب في بعض المصاحف بالوصل، وفي بعضها بالقطع؛ وعليه العمل.

وما عدا ذلك فهو موصول، نحو: ﴿أَلَا نُرِزُّ وَازِرَةً وَزَرَ﴾ [النجم: ٣٨]، ﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَى وَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

وأما مكسورة الهمزة فموصولة اتفاقاً، نحو: ﴿أَلَا تَفْعَلُوهُ﴾ [الأنفال: ٧٣]. و﴿إِلَّا تُصْرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وتقطع «إِنْ» المكسورة الهمزة الساكنة النون عن «مَا» في موضع واحد؛ وهو: ﴿وَإِنْ مَا نَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠]، وما عداها فموصول، نحو: ﴿وَأِمَّا تَخَافِ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فإن كانت مفتوحة الهمزة فهي موصولة كذلك؛ نحو: ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْبِيَاءِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وتقطع «عَنْ» الجارة عن «مَا» الموصولة في موضع واحد، وهو: ﴿عَنْ مَا هُوَ عَنْهُ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وما عداه موصول؛ نحو: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

وتقطع «من» الجارة عن «ما» في موضعين ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٥] بالنساء، وبالروم.

ووقع الخلاف في موضع المنافقين وهو ﴿وَأَنفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [المنافقون: ١٠]، والعمل فيه القطع.

وعدا ذلك فموصول؛ نحو: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

وتنقطع «أم» عن «من» في أربعة مواضع: ﴿أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩]، و﴿أَمْ مَن أَسَّسَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، ﴿أَمْ مَن يَأْتِي﴾ [فصلت: ٤٠]، و﴿أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ [الصافات: ١١].

وما عدا ذلك فموصول؛ نحو: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وتقطع «أن» المفتوحة الهمزة الساكنة النون عن «لم» في موضعين: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رُبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٣١] و﴿أَلَيْحَسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٧].

وأما مكسورة الهمزة فموصولة في موضع واحد وهو ﴿فَكَلَّا زَيْتُونًا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود: ١٤].

وما عداه فمقطوع؛ نحو: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَقْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

وتقطع «إن» المكسورة الهمزة المشددة النون عن «ما» الموصولة في موضع واحد بلا خلاف وهو ﴿إِن مَّا تُوْعِدُونَ لَا تَأْتِي﴾ [الأنعام: ١٣٤].

وموضع بالخلاف - والعمل فيه على الوصل - وهو: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ﴾ [النحل: ٩٥].

وما عدا ذلك فموصولة بلا خلاف؛ نحو: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرِ﴾ [طه: ٦٩]، و﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، و﴿إِن مَّا تُوْعِدُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

[الأنعام: ١٣٤].

وتقطع «أن» المفتوحة الهمزة المشددة النون في موضعين بلا خلاف؛ وهما: ﴿وَأَن مَّا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] و﴿وَأَن مَّا يَدْعُونَ

مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

ووقع الخلاف في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤١]، والعمل على الوصل.

وما عدا ذلك فموصول؛ نحو: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [البائدة: ٩٢].

وتقطع «حيث» عن «ما» في موضعين وهما: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ﴾ [البقرة: ١٤٤]، و﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠].

[البقرة: ١٥٠].

وتقطع «كل» عن «ما» في موضع الخلاف وهو ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَأٍ لِّمُؤْمِنٍ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ووقع الخلاف في أربعة مواضع - والعمل على الوصل - وهي: ﴿كُلَّ مَآرِدُوا﴾ [النساء: ٩١]، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿كُلَّ مَآ جَاءَ أُمَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك: ٨].

[المؤمنون: ٤٤]، ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك: ٨].

وما عدا ذلك فموصول باتفاق؛ نحو: ﴿كُلَّمَا زُفِرُوا﴾ [البقرة: ٢٥]. وتقطع «بئس» عن «ما» في جميع المواضع عدا موضعين: فبالوصل؛ وهما:

﴿يَسْمَا أَشْرَوْا بِوَيْهٍ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]، ﴿يَسْمَا خَلَقْتُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ووقع الخلاف في موضع واحد - والعمل فيه على الوصل - وهو: ﴿قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٩٣].

وتقطع «في» عن «ما» في موضع واحد بلا خوف؛ وهو: ﴿أَتَتَرَكُونَ فِي مَآ هُنَا آمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤٦].

ووقع الخلاف في عشرة مواضع - والعمل فيها على القطع - وهي: ﴿فِي مَآ فَعَلْتَ فِي أَنفُسِهِمْ مِّنْ مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿فِي مَآ أَتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ﴿فِي مَآ أَشْتَهَتْ﴾ [بالأنبياء: ١٠٢]، ﴿فِي مَآ أَفْضَرْتُمْ﴾ [النور: ١٤]، ﴿فِي مَآ رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿فِي مَآ هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿فِي مَآ كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]، ﴿فِي مَآ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

[الأنعام: ١٦٥]، ﴿فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ﴿فِي مَآ أَشْتَهَتْ﴾ [بالأنبياء: ١٠٢]، ﴿فِي مَآ أَفْضَرْتُمْ﴾ [النور: ١٤]، ﴿فِي مَآ رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿فِي مَآ هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿فِي مَآ كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]، ﴿فِي مَآ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

وما عدا ذلك فموصول باتفاق؛ نحو: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، و﴿فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

وتقطع «أين» عن «ما» في جميع مواضع القرآن؛ نحو: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٨] ما عدا موضعين: فبالوصل اتفاقاً؛ وهما: ﴿فَأَيْنَمَا

تَوَلَّوْا فَسَمِعَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦].

ووقع الخلاف في ثلاثة مواضع - والأكثر القطع - وهي: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، و﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢] و﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا لَأُخِذُوا﴾ [الأحزاب: ٦١].

[الأحزاب: ٦١].

وتقطع «أن» عن «لن» في جميع مواضع القرآن نحو: ﴿أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢].

وما عدا موضعين: فبالوصل؛ وهما: ﴿أَلَنْ تَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]، و﴿أَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ [القيامة: ٣].

وتقطع «أن» عن «لو» في ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا﴾ [سبا: ١٤]

واختلف في موضع؛ وهو: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمْتُمْ﴾ [الجن: ١٦]؛ والراجح: القطع.

وتقطع «كي» عن «لا» في جميع مواضع القرآن؛ نحو: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ [الحشر: ٧].

ما عدا أربعة مواضع: فبالوصل؛ وهي: ﴿لِيَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿لِيَكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]،

﴿لِيَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، و﴿لِيَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وتقطع «عن» عن «من» في موضعين - وليس هناك غيرهما -: ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٣]، و﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩].

وما عدا ذلك فموصول.

وتقطع «يوم» عن «هم» في موضعين، وهما: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

وما عداها فموصول؛ نحو: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

وتقطع لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع؛ وهي: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ [الكهف: ٤٩]، و﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ

الْقَوْمِ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿فَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج: ٣٦].

وما عدا ذلك فموصول، نحو: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ﴾ [الليل: ١٩]، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وتقطع «لات» عن «حين» في موضع واحد - ليس غيره - وهو: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، وقيل بالوصل فيها، كهاء التنبيه وباء النداء

و«ال» التعريفية، و«ربما»، و«نعم»، و«مهما»، و«يومئذ»، و«كأنما»، و«ويكأن»، و«حيث»، و«يومهم»، و«إلياس»، أما «إل ياسين» فمفصلة، ويصح الوقف على «إل» عند من تلاها بهذه الرواية.

وهذا خلاصة ما جاء من الكلمات التي رسمت في المصاحف العثمانية مقطوعة ليوقف عليها عند الضرورة، وما عداها فموصول.

وفائدة معرفة هذا الباب جواز الوقف على إحدى الكلمتين المقطوعتين باتفاق، ووجوبه على الأخير من الموصولتين باتفاق، أما ما اختلف في

قطعه ووصله فيجوز الوقف على كلتا الكلمتين نظرًا لقطعهما وعلى الأخيرة نظرًا لوصلهما.

* * *

فصل في تاء التانيث

(س): ما حكم تاء التانيث في القرآن.

(ج): وردت تاء التانيث في القرآن الكريم على نوعين:

١ - منها ما هو مرسوم بالتاء المربوطة.

٢ - ومنها ما هو مرسوم بالتاء المفتوحة.

والمعروف في أصول الإمام حفص أنه يتبع في الوقف مرسوم الخط؛ فما رسم بالتاء المربوطة يقف عليها (بهاء)، وما رسم بالتاء المفتوحة يقف

عليها (بالتاء). وإليك بيانها بالتفصيل:

ف«رحمت»: رسمت بالتاء المفتوحة في سبعة مواضع؛ وهي: ﴿رَبُّونَ رَحِمَتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿إِنْ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿رَحِمَتُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتُهُ﴾ [هود: ٧٣]، ﴿ذَكَرْتُ رَحِمَتَ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٢]، ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحِمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ﴿وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾

[الزخرف: ٣٢].

وما عدا ذلك فبالبهاء المربوطة؛ مثل: ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿لَا رَحْمَةَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٨٧].

وأما «نعمت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في أحد عشر موضعًا؛ وهي: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

كُنْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ﴾ [الهاجرة: ١١]، ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٨٣]، ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾

[لقمان: ٣١]، ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٢٩].

ما عدا ذلك فبالهاء، ويوقف عليه؛ كالثلاثة الأولى بالنحل؛ وهي: ﴿وَلِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿أَفَنِعْمَةُ اللَّهِ يُحَدِّثُونَ﴾ [النحل: ٧١].

وأما «امرات»: إذا أضيفت إلى زوجها فهي بالتاء المفتوحة؛ وذلك في سبعة مواضع؛ منها: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥]، و﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٣٠]، و﴿امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٩]، ﴿امْرَأَتُ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠]، و﴿امْرَأَتُ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠]. وما عدا ذلك فبالهاء، نحو: ﴿وَلِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ [النساء: ١٢٨].

وأما «سنت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في خمسة مواضع؛ هي: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿لَا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥].

وما عدا ذلك فبالهاء؛ نحو: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٣٨].
وأما «لعت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضعين: ﴿فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، و﴿وَالْخَيْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهُ﴾ [النور: ٧].
وما عدا ذلك فبالهاء؛ نحو: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَلِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥].
وأما «معصيت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضعين ولا ثالث لهما في القرآن؛ وهما: ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨، ٩].
وأما «كلمت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وما عداها فبالهاء، نحو: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ﴿كَلِمَةً خَبِيثَةً كَشَجَرَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ﴾ [هود: ١١٩].
وأما «بقيت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد؛ وهو: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هود: ٨٦].
وما عداها فبالهاء؛ نحو: ﴿أَوَّلُوا بِقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦]، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ [البقرة: ٢٤٨].
وأما «قرت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد، وهو: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِئَلَّا يَكُونَ﴾ [التقصص: ٩].
وما عداها فبالهاء؛ نحو: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وأما «فطرت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد؛ وهو: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠]. ولا ثاني له.
وأما «شجرة»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد، وهو: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ [الدخان: ٤٣].
وما عداها فبالهاء؛ نحو: ﴿شَجَرَةُ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

وأما «جنت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد، وهو: ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩].
وما عداها فبالهاء؛ نحو: ﴿جَنَّةٍ نَّعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨].

وأما «ابنت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد؛ وهو: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتُ عِمْرَانَ﴾ [التحريم: ١٢]، ولا ثاني له.
وأما ما قرئ بالجمع والإفراد في رسم بالتاء المفتوحة كذلك، وهو سبع كلمات في اثني عشر موضعًا.

أولها: «كلمت» في أربعة مواضع، وهي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ [يونس: ٣٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٦].

ووقع الخلاف في الثاني من يونس وفي موضع غافر.

الثاني: ﴿ءَايَتُ لِلسَّالِينَ﴾ [يوسف: ٧].

الثالث: ﴿غِيَاثُ الْجَبِّ﴾ [يوسف: ١٠، ١٥].

الرابع: ﴿ءَايَتُ مِّن رَّبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

الخامس: ﴿فِي الْغُرُفَاتِ﴾ [سبا: ٣٧].

السادس: ﴿يَبْنِي مَنَّهُ﴾ [فاطر: ٤٠].

السابع: ﴿مِنْ مَّرَكَبٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت: ٤٧].

الثامن: ﴿بِمَلَكُ صَفَرٍ﴾ [المرسلات: ٣٣].

وقد أشار إلى ذلك العلامة المتولي بقوله:

وكل ما فيه الخلاف يجري جمعًا وفردًا فتاء فاذر

ومما يرسم بالتاء المفتوحة كذلك ست كلمات:

﴿هَيَاتَ هَيَاتَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، ﴿وَذَاتَ بِهِجَةً﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿يَتَابَتِ﴾ [مريم: ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥]، ﴿وَلَاتَ جَيْنَ﴾ [ص: ٣]، ﴿مَرْضَاتَ﴾ [البقرة: ٢٠٧، ٢٦٥]، [النساء: ١١٤]، [التحریم: ١]، ﴿أَلَّتْ﴾ [النجم: ١٩]. والله أعلم.

* * *

فصل في كيفية التخلص من التقاء الساكنين

(س): بين كيفية التخلص من التقاء الساكنين.

(ج): يتخلص من الساكنين بأحد أمرين: الأول: الحذف.

والثاني: تحريك الساكن الأول.

أولاً: التخلص من الساكن بالحذف: إذا كان الساكن الأول حرف مد.

إذا وقع بعد المد همزة وصل حذف المد وصلًا وهذا في النطق فقط، نحو: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

وقد يحذف حرف المد في الوقف والوصل وذلك لحذفه في الرسم، نحو حذف (الياء) من كلمة (تُحي) في قوله تعالى: ﴿تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ثانيًا: تحريك الساكن الأول.

أ- بالفتح، وذلك في حالتين:

١- النون في (من) الجارة إذا وقع بعدها همزة وصل: ﴿مَنْ أَلَّهِ﴾.

٢- ياء المتكلم إذا وقع بعدها همزة وصل ﴿يَعْنِي أَلَى﴾، عدا كلمة واحدة هي: ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، يضاف إلى ذلك (ميم) آل عمران ﴿آلَهُ﴾ [١] الله وصلًا.

ب- الضم، وذلك في حالتين:

١- ميم الجمع إذا وقع بعدها همزة وصل ﴿ذَلِكُمْ أَلَّهُ﴾، ﴿وَعَصَا أَلْسُولَ﴾.

٢- واو اللين التي للجمع إذا وقع بعدها همزة وصل: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾.

ج- الكسر، وذلك في غير ما تقدم.

* * *

فصل في بيان أقسام الوقف

(س): إلى كم قسم تنقسم الأوقاف التي يقف عليها التالى للقرآن العظيم.

(ج): تنقسم إلى أربعة أقسام تام وكاف وحسن وقبيح.

(س): ما هو الوقف التام.

(ج): هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لفظًا ولا معنى، كالوقف على ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

(س): ما هو الوقف الكافي.

(ج): هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لفظًا بل معنى فقط، كالوقف على قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في أول البقرة؛ لأنها مع ما بعدها وهو

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ متعلق بالكافرين.

(س): ما هو الوقف الحسن.

(ج): هو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها وبما قبلها لفظًا بشرط تمام الكلام عند تلك الكلمة، كالوقف على ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في الفاتحة؛ لأن رب صفة له

متعلق ما بعد الكلمة الموقوف عليها بها لفظًا، وكالوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأول في الفاتحة؛ لأن غير صفة للذين أو بدل منه.

(س): ما هو الوقف القبيح.

(ج): هو الوقف على لفظ غير مفيد لعدم تمام الكلام وقد تعلق ما بعده بما قبله لفظًا ومعنى، كالوقف على ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ وعلى ﴿أَلْحَمْدُ﴾

من ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ﴾ وعلى ﴿مَلِكٍ﴾ أو ﴿يَوْمٍ﴾ من ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضيف، أو على كلام يومهم وصفًا لا يليق به تعالى.
(س): في كم موضع يسكت حفص.

(ج): يسكت في أربعة مواضع، الأول في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ثم يسكت سكتة لطيفة من غير تنفس ويقول: ﴿قِيمًا﴾، والثاني في سورة يس قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ ثم يسكت كما تقدم ويقول: ﴿هَذَا﴾، والثالث في القيامة قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ﴾ ثم يسكت كذلك ويقول: ﴿رَاقٍ﴾، والرابع في سورة المطففين قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ ثم يسكت كما ذكر ويقول: ﴿رَانَ﴾.

* * *

فصل في بيان التكبير وسببه وصيغته وابتدائه وانتهائه

(س): ما حكم التكبير عند ختم القرآن.

(ج): التكبير عند ختم القرآن سنة.

(س): ما سبب التكبير؟

(ج): سببه أن الوحي أبطأ وتأخر عن رسول الله ﷺ أيامًا، قيل اثنا عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعين يومًا، فقال المشركون تعنتا وعدوانًا: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه، أي أبغضه وهجره، فجاءه جبريل ﷺ وألقى عليه ﴿وَالصُّحْحَ ۝١﴾ وَاللَّيْلِ ﴿إِلَى آخِرِهَا﴾ فقال النبي ﷺ عند قراءة جبريل لها «الله أكبر» تصديقًا لما كان ينتظر من الوحي وتكذيبًا للكفار وقيل غير ذلك.

(س): ما صيغة التكبير؟

(ج): صيغته الله أكبر، ويكون قبل البسملة، وروى زيادة التهليل قبل التكبير فتقول: «لا إله إلا الله والله أكبر بسم الله» الخ، وزاد بعضهم له التحميد بعد التكبير فتقول: «لا إله إلا الله أكبر والله الحمد بسم الله» الخ.

(س): من أين يبدأ بالتكبير وإلى أين يكون انتهاؤه؟

(ج): التكبير يبدأ به عند الفراغ من قراءة سورة الضحى، وانتهائه يكون بعد قراءة سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

(س): ما أحوال السلف بعد ختم القرآن.

(ج): هي على ثلاثة أحوال، فمنهم من كان إذا ختم أمسك عن الدعاء، وأقبل على الاستغفار من الخجل والحياء، وهذا حال من غلب عليه الخوف من الله تعالى وشهود التقصير، ومنهم قوم كانوا إذا ختموا دعوا، ومنهم قوم كانوا يصلون الخاتمة بالفاتحة عودًا على بدء من غير فصل بينهما.

* * *

علامات الوقف في المصحف الشريف

١ تفيد لزوم الوقف.

٢ تفيد النهي عن الوقف.

٣ تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف.

٤ تفيد جواز الوقف.

س سكتة يسيرة بدون تنفس.

٥ تفيد بأن الوقف أولى مع جواز الوصل.

٦ تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما.

* * *

اصطلاحات الضبط في المصحف الشريف

• للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به.

~ للدلالة على لزوم المد الزائد.

⁂ للدلالة على إظهار التنوين.

° للدلالة على زيادة الحرف حين الوصل.

° للدلالة على سكون الحرف.

° للدلالة على الإدغام والإخفاء.

° للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتروكة.

° للدلالة على همزة الوصل.

° للدلالة على وجوب الإقلاب.

° للدلالة على وجوب الإمالة.

• للدلالة على وجوب التسهيل.

♦ للدلالة على موضع السجود، أما كلمة وجوب السجود فقد وضع فوقها خط.

① للدلالة على نهاية الآية ورقمها.

ص° للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصاد.

♦ للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها.

* * *

توضيحات ينبغي مراعاتها للقارئ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية

١- في تلاوة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ [يونس: ٥٩]، و[النمل: ٥٩]. وقوله: ﴿ءَالْتَنَ﴾ [يونس: ٩١]. وقوله: ﴿ءَالْذَكَرَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] و١٤٤ وجهان:

- إبدال الهمزة الثانية ألفاً، ومدّها مدّاً مشبّعاً للساكن بعدها، وهو المقدم أداء.

- تسهيل الهمزة الثانية بين بين، أي بين الهمزة والألف مع القصر.

٢- في تلاوة قوله تعالى: ﴿تَجَرَّهَ﴾ [هود: ٤١] إمالة الألف الواقعة بعد الراء وذلك بتقريب الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة.

٣- في تلاوة قوله تعالى: ﴿تَأْتِنَا﴾ [يوسف: ١١] وجهان:

- الإشمام: وذلك بضم الشفتين على هيئة من ينطق بالواو دون صوت، مع إبقاء فرجة بسيطة بين الشفتين قبيل النطق بالنون المشددة.

- الاختلاس: ويعبر عنه بالروم، وذلك بفك الإدغام والنطق بتنوين، ولكن بالإتيان بثلاثي حركة النون الأولى، أي النطق بمعظمها.

٤- في تلاوة قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَ﴾ [النمل: ٣٦] وجهان وقفاً.

- إثبات الياء ساكنة، وهو المقدم أداء، وحذف الياء بالوقف على النون.

وفي حالة الوصل تثبت الياء مفتوحة.

٥- في تلاوة الآية ٥٤ من سورة الروم كلمة ﴿ضَعَفَ﴾ [الروم: ٥٤] يجوز فتح الضاد وهو المقدم أداء، ويجوز ضمها مع مراعاة أن من بدأ الآية بالفتح يكملها بالفتح وبالعكس، ولا يجوز الخلط بين الوجهين.

٦- في تلاوة قوله تعالى: ﴿يَرْضُهُ﴾ [الزمر: ٧] تضم الهاء دون صلة، وفي لفظ ﴿أَرْجَهُ﴾ في [الأعراف: ١١١]، وفي [الشعراء: ٣٦] تسكن الهاء.

وفي لفظ ﴿فَأَلْقَهُ﴾ [النمل: ٢٨] تسكن الهاء، وفي لفظ: ﴿فِيهِ﴾ [الفرقان: ٦٩] توصل الهاء وتمد بمقدار حركتين.

٧- في تلاوة قوله تعالى: ﴿أَعْجَمِي﴾ [فصلت: ٤٤] تسهل الهمزة بين الهمزة والألف.

٨- في تلاوة قوله تعالى: ﴿مَالِيَّةَ﴾ [الحاقة: ٢٨] يجوز في حال الوصل وجهان:

- الإظهار مع السكت وهو المقدم أداء، ويجوز الإدغام.

ويتعين السكت وصلاً في قوله: ﴿عَوَجَا﴾ [الكهف: ١]. ﴿مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة ٢٧ / ٥٧٨]، ﴿بَلَّ رَانَ﴾ [المطففين ١٤].

٩- في تلاوة قوله تعالى: ﴿سَلَسَلَا﴾ [الإنسان ١٤] وجهان وقفاً:

- إثبات الألف الأخيرة، وحذفها مع الوقف على اللام ساكنة، أما في حال الوصل فتحذف الألف.

آداب التعامل مع القرآن الكريم

- ١- أول ما ينبغي للمقري والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة ٥]. وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» رواه البخاري. وقال رسول الله ﷺ: «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ» شعب الإيمان للبيهقي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّمَا يُعْطَى الرَّجُلُ عَلَى قَدَرِ نِيَّتِهِ، وَعَنْ غَيْرِهِ إِنَّمَا يُعْطَى النَّاسُ عَلَى قَدَرِ نِيَّاتِهِمْ».
- قال أبو القاسم القشيري - رحمه الله تعالى -: الإخلاص: إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة أو مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى.
- ٢- اختيار المكان عند قراءة القرآن: وتُسَنُّ القراءة في مكان نظيف، وأفضله المسجد، وكره قوم القراءة في الحمام والطريق، قال النووي: «ومذهبنا لا تكره فيهما»، قال: «وكرهها الشعبي في الحش، وبيت الرحي، وهي تدور» قال: «وهو مقتضى مذهبنا».
- ٣- مراعاة الأدب مع القرآن: فينبغي أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى؛ ويقرأ على حال من يرى الله تعالى، فإنه إن لم يكن يراه فإن الله يراه.
- ٤- وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره، ويستحب أن يقرأ وهو على طهارة - المقصود هنا: الطهارة من الحدث الأصغر، وأما الجنب والحائض، فتحرم عليهما القراءة وهذا مذهب جمهور العلماء، ويجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب -، فإن قرأ محدثاً جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة، قال إمام الحرمين: ولا يقال: ارتكب مكروهاً بل هو تارك للأفضل، فإن لم يجد الماء تيمم.
- ٥- فإذا أراد الشروع في القراءة استعاذ: لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل ٩٨].
- صيغ الاستعاذة: ١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ٣- أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم. ٤- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم. ٥- أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم. ٦- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.
- ٦- أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا بدأ من أول السورة سوى براءة.
- ٧- فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَرُوا تَعْلِيمَهُ﴾ [ص ٢٩].
- ٨- البكاء عند قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿وَيُحْزَنُونَ لِأَذْقَانٍ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء ١٠٩]. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته. وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرءون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هكذا كنا. وعن هشام قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة. والآثار في هذا كثيرة لا يمكن حصرها.
- قال الإمام أبو حامد الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة وعندها. وطريقه في تحصيله: أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب.
- ٩- وينبغي أن يرتل قراءته، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على استحباب الترتيل، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً» رواه أبو داود والترمذي. وعن معاوية بن قرة رضي الله عنه: عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته» صحيح البخاري. معنى الترجيع: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة» السنن الكبرى للبيهقي. وعن مجاهد أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلسهما واحد سواء؟ فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل.
- ١٠- استحباب تحسين الصوت بالقراءة: يُسَنُّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها؛ لحديث ابن جبان وغيره: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» أخرجه أحمد، والبخاري ذكره معلّقاً، وأبو داود، وابن ماجه، وإسناده صحيح، وفي لفظ عند الدارمي: «حَسَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا».

وفي سنن أبي داود قيل لابن أبي مليكة: أرايت إذا لم يكن حسن الصوت؟ فقال: يحسنه ما استطاع.

وأما القراءة بالألحان فنص الشافعي في «المختصر» أنه لا بأس بها، ومن رواية الربيع بن سليمان: أنها مكروهة.

١١ - ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعذ بالله من الشر ومن العذاب، وإذا مر بآية تنزيه الله تعالى نزهه، فقد صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ ترسلًا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ» مسند الإمام أحمد.

١٢ - منها ما رواه ابن أبي داود بإسناد ضعيف عن الشعبي أنه قيل له: إذا قرأ الإنسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قال: نعم. مصنف ابن أبي شيبة.

ومنها: أنه يستحب له أن يقول ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ فقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» رواه أبو داود والترمذي بإسناد ضعيف عن رجل عن أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن الأعرابي عن أبي هريرة، قال: ولا يسمى.

وروى ابن أبي داود والترمذي «ومن قرأ آخر. لا أقسم بيوم القيامة، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى، فليقل بلى، ومن قرأ: فبأي آلاء ربكما تكذبان، أو فبأي حديث بعده يؤمنون، فليقل آمنت بالله».

وعن ابن عباس رضي الله عنه وابن الزبير وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنهم كانوا إذا قرأ أحدهم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: سبحان ربي الأعلى. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول فيها: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى فقرأ: آخر سورة بني إسرائيل، ثم قال: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، وقد نص بعض أصحابنا على أنه يستحب أن يقال في الصلاة ما قدمناه وما كان في معناه والله أعلم.

١٣ - يستحب الإكثار من قراءة القرآن، قال تعالى مثنياً على من كان ذلك دأبه: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]. **وفي الصحيحين من حديث ابن عمر:** «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» متفق عليه.

وروى الترمذي من حديث ابن مسعود: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها». وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الرب سبحانه وتعالى: من شغل القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام، ففضل الله على خلقه» سنن الترمذي، وقال الألباني ضعيف. وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه».

١٤ - يستحب لكل قارئ كان في الصلاة أو في غيرها إذا فرغ من الفاتحة أن يقول: آمين والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

١٥ - إجلال القرآن: وما يعتنى به ويتأكد الأمر به: احترام القرآن وإجلاله من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئین مجتمعين. فمن ذلك: اجتناب الضحك واللغو والحديث في خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه، ولیمثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وليقتد بما رواه ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه، ذكره في كتاب التفسير في قوله تعالى: ﴿فَسَاوُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ﴾ ومن ذلك العبث باليد وغيرها فإنها ينجي ربه سبحانه وتعالى فلا يعث بين يديه، ومن ذلك النظر إلى ما يليه ويبدد الذهن.

١٦ - ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة أو وقف على غير آخرها أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعرضه ببعض، وأن يقف على الكلام المرتبط ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط.

١٧ - إذا كان يقرأ فعرض له ريح فينبغي أن يمسك عن القراءة حتى يتكامل خروجها؛ ثم يعود إلى القراءة، كذا رواه ابن أبي داود وغيره عن عطاء، وهو أَدب حسن، ومنها أنه إذا ثأب أمسك عن القراءة حتى ينقضي الثأب ثم يقرأ، قال مجاهد: وهو حسن، ويدل عليه ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ثأب أحدكم فليمسك على فيه؛ فإن الشيطان يَدْخُلُ» رواه مسلم.

١٨ - سجود التلاوة: وهو مما يتأكد الاعتناء به؛ فقد أجمع العلماء على الأمر بسجود التلاوة. واختلفوا في أنه أمر استحباب أم إيجاب.

١٩ - إذا ارتج على القارئ ولم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره، فينبغي أن يتأدب بما جاء عن عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي وبشير بن أبي مسعود رضي الله عنه. قالوا: إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها؛ ثم يسكت ولا يقول: كيف كذا وكذا فإنه يلبس عليه.

٢٠- **النهي عن قراءة القرآن عند الاختلاف:** عن جُنْدُب بن عبد الله بن البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما اختلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه» المعجم الكبير. قال الحافظ: (فإذا اختلفتم) أي: في فهم معانيه (فقوموا عنه) أي: تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

٢١- **النهي عن التشويش بالقراءة على الغير:** عن أبي سعيد قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: «ألا إن كلكم مناج ربّه فلا يؤذّن بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة» أو قال: «في الصلاة» رواه أبو داود، وصححه الألباني.

٢٢- **كيف يوقف قارئ القرآن؟** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليّ». قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم». فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: حسبك الآن. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» رواه البخاري.

وفي رواية مسلم: حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل.

٢٣- **النهي عن قول نسيت آية كيت وكيت:** عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نسي» رواه البخاري.

٢٤- **ألا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو:** عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. رواه البخاري. قال الحافظ: قال ابن عبد البر: «أجمع الفقهاء ألا يسافر بالمصحف في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلفوا في الكبير المأمون عليه».

٢٥- **لا يقرأ القرآن في الركوع والسجود:** قال ابن قدامة: عن علي رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود. رواه مسلم. وقال رضي الله عنه: «وإنّي نهيت أن أقرأ راکعاً أو ساجداً. فأما الركوع فعظموا الرب فيه، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» أن يستجاب لكم» رواه مسلم.

٢٦- **قطع القراءة للأذان:** قال ابن قدامة: وإذا سمع الأذان وهو في قراءة قطعها ليقول مثل ما يقول؛ لأنه يفوت، والقراءة لا تفوت.

٢٧- **لا يجعل القرآن بدلاً من الكلام:** قال ابن قدامة: لا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام لأنه استعمال له في غير ما هو له أشبه استعمال المصحف في التوسّد ونحوه، وقد جاء: (لا تناظروا بكتاب الله) قيل: معناه: لا تتكلم به عند الشيء تراه كأن ترى رجلاً قد جاء في وقته فتقول: ﴿جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمْوِي﴾ أو نحوه.

٢٨- **حسن الابتداء والوقف:** قال النووي: «ينبغي للقارئ إذا بدأ من وسط السور، أو وقف على غير آخرها، أن يتدبّر من أول الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء؛ فإنها قد تكون في وسط الكلام، كالجزء الذي في قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٤]، ولا يغتر بكثرة الفاعلين له من القراء الذين لا يراعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني؛ ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكاملها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال».

٢٩- **القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه:** لأن النظر فيه عبادة مطلوبة، قال النووي: «هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضاً، ولم أر فيه خلافاً»، قال: «ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولاً حسناً». «التيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي.

ما ينبغي لحامل القرآن الكريم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار.

وعن الفضيل بن عياض قال: ينبغي لحامل القرآن ألا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم.

وعنه أيضاً قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن الكريم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالاً على الناس.

قال الإمام النووي: ومن آدابه -أي حامل القرآن- أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن وأن يكون مصوناً عن دنيء الاكتساب، شريف النفس مرتفعاً على الجبابة والجفافة من أهل الدنيا متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين وأن يكون متخشعاً ذا سكينه ووقار... «التيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي.

موضوعات سور القرآن الكريم

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

٤-١- (١) الإقرار بالربوبية والعبودية لله وحده.

٧-٥- الدعاء وطلب الهداية.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

٥-١- وجوب الإيمان بالقرآن، وأن الإيمان به من صفات المتقين.

٧-٦- عرض لصفات الكافرين.

٢٠-٨- عرض لصفات المنافقين.

٢٤-٢١- الدعوة لعبادة الله تعالى وحده والإيمان به، والتأكيد على صدق القرآن الكريم وخسران المعاندين.

٢٥- تبشير المؤمنين بالجنة.

٢٩-٢٦- ضرب المثل لمواقف الناس من الرسالة وتصنيفهم حسب مواقفهم، وعرض لبدء الخلق.

٣٩-٣٠- قصة الخليفة آدم عليه السلام، وبدء التكليف والصراع الدائم بين بني آدم وإبليس وذريته.

٤٨-٤٠- الحديث عن بني إسرائيل.

٥٧-٤٩- نجاة بني إسرائيل من فرعون وفضل الله عليهم، وذكر عبادتهم العجل.

٦١-٥٨- فضل الله على بني إسرائيل، وبيان خبيثتهم، وأن معصيتهم سبب شقائهم، وطلبهم مأكلاً دون ما أعطاهم الله تعالى كان سبباً لغضب الله عليهم.

٦٢- جزاء المؤمنين.

٦٦-٦٣- نقض بني إسرائيل لعهد الله.

٧٣-٦٧- قصة بقرة بني إسرائيل.

٧٩-٧٤- صفات بني إسرائيل الخبيثة.

٨٢-٨٠- الرد على افتراءات بني إسرائيل، وبيان أن دخول الجنة لمن يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح.

٨٨-٨٣- عناد بني إسرائيل ونقضهم للعهد، وخسارتهم في الدنيا والآخرة.

٩٣-٨٩- بيان لموقف اليهود من الرسالة الخاتمة وما سبقها من رسالات.

٩٤-١٠١- حرص اليهود على الحياة،

(١) هذه الأرقام هي أرقام الآيات التي تتحدث عن الموضوعات.

وبيان عداوتهم للملائكة، ونقضهم للعهد، وإنكارهم رسالته ﷺ حسداً له.

١٠٣-١٠٢- عصمة سليمان عليه السلام مما نسب إليه اليهود من أن ملكه كان عن طريق السحر.

١٠٥-١٠٤- توجيه للمؤمنين للبعد عن أخلاق اليهود الخبيثة والذميمة.

١٠٧-١٠٦- النسخ في القرآن، وبيان قدرة الله.

١١٣-١٠٨- النهي عن أفعال اليهود الخبيثة، والرد على افتراءاتهم.

١١٥-١١٤- حرمة المساجد.

١١٩-١١٦- افتراءاتهم المشركين، وبيان مهمته ﷺ.

١٢٣-١٢٠- التحذير من اتباع اليهود والنصارى، وذكر معرفتهم له ﷺ، وتذكيرهم بفضل الله عليهم.

١٢٩-١٢٤- قصة بناء إبراهيم وإسماعيل لبית الله.

١٣٤-١٣٠- التأكيد على اتباع ملة إبراهيم وذريته وهي الإسلام.

١٤١-١٣٥- بطلان دعوى اليهود والنصارى باتباع دينهم، وأن الدين الحق هو الذي عليه إبراهيم أبو الأنبياء.

١٤٥-١٤٢- بيان لقضية تحويل القبلة.

١٥٠-١٤٦- معرفة أهل الكتاب له ﷺ، والحديث عن المسجد الحرام.

١٥٣-١٥١- منة الله على هذه الأمة ببعثته ﷺ، والأمر بذكر الله وشكره والاستعانة بالصبر والصلاة.

١٥٨-١٥٤- أجر الشهداء والصابرين على البلاء، وذكر تعظيم شعائر الله تعالى في الحج والعمرة.

١٦٣-١٥٩- جزاء كتمان العلم، وذكر جزاء الكافرين. والدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده.

١٦٤- التفكير في آيات الله في الكون.

١٦٧-١٦٥- تبرؤ المتبوعين من الأتباع يوم القيامة.

١٧١-١٦٨- التحذير من الشيطان، وتمثيل الكافرين كالأنعام.

١٧٦-١٧٢- الأمر بالشكر، وبيان الحلال والحرام، وذكر جزاء الذين يكتُمون العلم.

١٧٧- حقيقة البر وصفات أهله.

١٨٢-١٧٨- حد القصاص، وذكر تشريع الوصية والميراث.

١٨٤-١٨٣- الصيام وأحكامه.

١٨٦-١٨٥- فضل شهر رمضان وأنه أنزل فيه القرآن، وذكر فضل الدعاء.

١٨٨-١٨٧- أحكام الصيام، والنهي عن أكل الأموال بالباطل.

١٩٤-١٨٩- وظيفة الأهلّة وأنها يتعرف بها على أوقات العبادات، وذكر أحكام في الجهاد: بيان حرمة المسجد الحرام والأشهر الحرم.

١٩٥- الدعوة إلى النفقة والجهاد في سبيل الله وأنهما سبيل للنجاة.

٢٠٣-١٩٦- أحكام الحج والعمرة.

٢٠٤-٢٠٣- مثال للصالح والفساد.

٢١٠-٢٠٨- دعوة المؤمنين إلى طاعة الله والبعد عن اتباع الشيطان وطرقه.

٢١١-٢١٠- مثل للتذكير ببني إسرائيل.

٢١٣-٢١٤- إرسال الرسل إلى البشر، والبلاء من سنن الله تعالى.

٢١٥- أحكام النفقة ومستحقوها.

٢١٦-٢١٨- أحكام في الجهاد.

٢١٩- أحكام في الخمر والميسر.

٢٢٠-٢٢١- الدعوة للإصلاح وفعل الخير، وذكر أحكام في النكاح.

٢٢٢-٢٢٥- أحكام في الحيض والطمهارة واليمين.

٢٢٦-٢٢٣- بيان أحكام في الإيلاء والطلاق.

٢٣٣- أحكام في الرضاعة والنفقة.

٢٣٤-٢٣٥- عدة المتوفى عنها زوجها، وذكر أحكام في النكاح.

٢٣٦-٢٣٧- من أحكام الطلاق.

٢٣٨-٢٤٢- أحكام الصلاة وآدابها، وذكر عدة الأرملة، ومتعة المطلقة.

٢٤٣-٢٤٥- قصة الذين خرجوا من ديارهم، وذكر الأمر بالجهاد والإنفاق.

٢٤٦-٢٥٢- قصة طالوت وجالوت وأثرها في الاستجابة إلى أوامر الله تعالى.

٢٥٣-٢٥٤- الإشارة إلى تفضيل الرسل بعضهم على بعض، والدعوة للإنفاق في سبيل الله.

٢٥٥- عرض لصفات الله.

٢٥٦-٢٥٧- دخول الإسلام يكون بالتفكير لا بالإجبار، وبيان أن المؤمنين يتولاهم الله تعالى، والكافرين أولياء الشيطان.

٢٥٨- مجادلة النمرود لإبراهيم عليه السلام، وأمثلة على قدرة الله تعالى.

٢٥٩- قصة الذي مر على القرية.

٢٦٠- قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

٢٦١- أهمية الإنفاق في سبيل الله والنهي عن إيذاء الفقراء بالمئ بالصدقة.

٢٦٥- مضاعفة الأجر للمنفقين لله، والدعوة للإنفاق من أحسن ما يملك، وبيان أن صدقة السر خير من العلانية.

٢٧٢- الهداية من الله.

٢٧٣- الحكمة في الصدقة أن تُعطى لمن يستحق.

٢٧٥- أحكام خاصة بالربا.

٢٨٢- أحكام خاصة بالدين.

٢٨٣- مشروعية الرهن في الإسلام ووجوب بذل الشهادة.

٢٨٤- حقيقة إيمان الرسول ومن معه من المؤمنين، ووصف حالهم مع الله.

سُورَةُ الْغَاثَةِ

١-٤- وحدة الرسالات بما أتت به.

٥-٧- قدرة الله، وذكر الحكم والمتشابه في القرآن،

٨-٩- الدعاء والتضرع لله.

١٠-١٤- عاقبة الكافرين والتعلق بالشهوات.

١٥-١٧- نعيم الآخرة، وبيان حال المؤمنين وما يجب أن يكونوا عليه.

١٨-٢٠- وحدانية الله وإقامة الحجة.

٢١-٢٢- الكفر والقتل سبب للعذاب وحبوط الأعمال.

٢٣-٢٧- أهل الكتاب واعراضهم عن حكم الله، وذكر قدرة الله.

٢٨-٣٠- حكم موالاة الكفار، والحساب يوم القيامة.

٣١-٣٢- ثمرة محبة الله تعالى.

٣٣-٣٧- قصة امرأة عمران وابنتها مريم.

٣٨-٤٤- قصة نبي الله زكريا ومريم.

٤٥-٦٠- قصة المسيح عيسى عليه السلام، وموقف اليهود العدائي منه.

٦١-٦٤- آيات المباهلة مع نصارى نجران.

٦٥-٧٤- حوار مع أهل الكتاب، وخص به اليهود لوجودهم في المجتمع المدني وقد توعدهم الحق لعنائهم التاريخي للرسالات، وجاء الحكم بتحويل الوحي عنهم لعنادهم وكفرهم وجحودهم...

٧٥-٧٧- من أخلاق أهل الكتاب.

٧٨-٨٠- بيان ضلال أهل الكتاب.

٨١-٨٣- أخذ الميثاق من الأنبياء للإيمان بالنبي ﷺ، وبيان أن الإسلام هو دين البشرية جميعاً.

٨٤-٨٥- الدعوة للإيمان بالله والرسول.

٨٦-٩١- اليأس من هداية الضالين، وأنواع الكفار وعقابهم.

٩٢-٩٥- بيان طريق البر، وذكر افتراءات اليهود على يعقوب عليه السلام، وتحريمه بعض الطعام على نفسه.

٩٦-٩٩- مكانة البيت الحرام، والرد على أهل الكتاب وبيان كفرهم...

١٠٠-١١٠- عدة توجيهات للمؤمنين.

١١١-١٢٠- أحوال أهل الكتاب، وذكر جزاء الكافرين والمنافقين.

١٢١-١٢٩- غزوة بدر وأحد.

١٣٠-١٣٢- تحريم الربا، والتحذير من النار، والأمر بطاعة الرسول ﷺ.

١٣٣-١٤١- واجبات المؤمنين الصادقين وامتحانهم.

١٤٢-١٥٦- خطاب للمؤمنين، وذكر أسباب هزيمتهم في أحد.

١٥٧-١٥٨- الترغيب في الجهاد.

١٥٩-١٦٤- صفات الرسول ﷺ.

١٦٥-١٦٨- تابع أسباب هزيمة المسلمين في أحد.

١٦٩-١٧٤- منزلة الشهداء وأجرهم.

١٧٥-١٧٩- التحذير من الشيطان وطرقه وأوليائه.

١٨٠- البخل.

١٨١-١٨٤- سوء أدب اليهود مع الله سبحانه وتعالى.

١٨٥-١٨٦- الموت وفناء الدنيا، وذكر البلاء وفضل الصبر.

١٨٧-١٨٨- صفات أهل الكتاب.

١٨٩-١٩٤- وحدانية وقدرة الله، وذكر مميزات أولي الأبواب ومنها الدعاء.

١٩٥- الأجر للذكر والأنثى.

١٩٦-٢٠٠- عاقبة المنافقين، وذكر جزاء المتقين، والدعوة إلى الصبر والتقوى...

سُورَةُ النَّبَاِ

١- وحدة الأصل الإنساني والرحم.

٢-٦- أحكام في اليتامى وتعدد الزوجات والمهور.

٧-١٢- الموارث - أكل مال اليتيم.

١٣-١٤- ثواب الطائعين، وعقوبة العاصين، وتحذير مخالفة أمر الله.

١٥-١٦- عقوبة الزنا قبل النسخ.

١٧-١٨- أنواع التوبة إلى الله.

١٩-٢١- حقوق النساء والمهور...

٢٢-٢٥- المحرمات من النساء، وزواج الحر بالأمة.

٢٦-٢٨- توبة الله على عباده.

٢٩-٣١- حرمة أموال المسلمين وأنفسهم، وثواب تجنب الكبيرة.

٣٢-٣٣- النهي عن الاعتماد على التمني.

٣٤-٣٥- أحكام الأسرة.

٣٦- الدعوة إلى العبادة والتوحيد والإحسان.

٣٧-٤٢- ذم البخلاء والمرائين، وذكر عدل الله تعالى، وشهادة الرسول ﷺ.

٤٣- ذكر شروط الصلاة.

٤٤-٤٧- من قبائح وصفات اليهود.

٤٨-٥٠- خطر الشرك، والنهي عن تزكية النفس.

٥١-٥٥- من صفات اليهود.

٥٦-٥٧- جزاء الكافرين والمؤمنين.

٥٨-٥٩- التأكيد على الأمانة وأهميتها، والرجوع الدائم لكتاب الله وسنة رسوله.

٦٠-٦٨- تصوير حال المنافقين وخطورتهم على الصف الإيماني.

٦٩-٧٠- فضل طاعة الله ورسوله ﷺ.

٧١-٧٦- الدعوة للجهاد وذكر فضله.

٧٧-٨٤- صفات المنافقين، ومن أبرز هذه الصفات التخلف عن الجهاد.

٨٥-٨٧- الشفاعة الحسنة والسيئة ورد التحية، وذكر الجزاء في الآخرة.

٨٨-٩١- قوانين في كيفية التعامل مع

المنافقين بأنواعهم.

٩٢-٩٣- حكم القتل الخطأ والعمد.

٩٤-١٠٠- الحث على الجهاد، وذكر فضل

المجاهدين في سبيل الله تعالى.

١٠١-١٠٥- قصر الصلاة، وذكر صلاة

الخوف، والأمر بالعدل والقسط.

١٠٦-١١٢- صفات المنافقين وأحوالهم.

١١٣- عصمة الرسول ﷺ.

١١٤-١١٥- الدعوة إلى الخير، وذكر

جزاء مشاقة الرسول ﷺ.

١١٦-١٢١- خطر الشرك وطاعة

الشیطان.

١٢٢-١٢٦- جزاء العمل الصالح والطالح،

والدعوة لاتباع ملة إبراهيم.

١٢٧-١٣٠- أحكام خاصة بالضعفاء

والنساء والأسرة.

١٣١-١٣٦- توحيد الله تعالى والأمر

بالقسط والإيمان.

١٣٧-١٤٥- خصائص المنافقين، والنهي

عن موالات الكافرين.

١٤٦-١٤٧- الدعوة للتوبة.

١٤٨-١٥٢- النهي عن الجهر بالسوء،

وذكر الكافرين وصفاتهم وجزائهم،

والمؤمنين وجزائهم.

١٥٣-١٥٥- الحديث عن أهل الكتاب

وبيان جرمهم.

١٥٦-١٦١- الحق في قصة صلب المسيح،

وذكر ما حرم الله تعالى على اليهود.

١٦٢- جزاء المؤمنين من أهل الكتاب.

١٦٣-١٦٦- مواساة للنبي ﷺ لما يلقاه من

عداء.

١٦٧-١٧٠- جزاء الكافرين، وخطاب

الناس وندبهم للإيمان.

١٧١-١٧٥- خطاب اليهود والنصارى

بالعدل عن مواقفهم، ودعوتهم

للايمان.

١٧٦- شرح ميراث الكلائة.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

٢-١- الوفاء بالعقود والعهود، والتعاون

على الخير.

٣- ما أحل الله تعالى وما حرم.

٤-٥- المباحات من الصيد والذبائح...

٦- الوضوء والغسل والتيمم.

٧-١١- التذكير بالنعيم والمواثيق،

والأمر بالقسط، وذكر مصير المؤمنين

والكافرين.

١٢-١٩- بعض أحوال أهل الكتاب

وتذكيرهم بالرسول ﷺ والقرآن.

٢٠-٢٦- من مواقف اليهود مع موسى في

قصة دخول الأرض المقدسة.

٢٧-٣١- قصة هابيل وقابيل.

٣٢-٣٥- جزاء القتل، والفساد في الأرض

(حد الحراة)، وذكر فضيلة التقرب إلى

الله بالعمل الصالح.

٣٦-٤٠- حال الكفار في الآخرة، وذكر

حد السرقة، وكيفية التوبة.

٤١- خطاب الرسول ﷺ ومواساته من

عداء الكفار.

٤١-٤٧- العودة للحديث عن اليهود

وتكذيبهم بالتوراة، وموقف النصارى من

المسيح عليه السلام.

٤٨-٥٠- توجيهات للرسول ﷺ، وذكر

الحكم بالتنزيل.

٥١-٥٨- تحريم موالات غير المؤمنين،

ووجوب موالات الله ورسوله ﷺ

والمؤمنين.

٥٩-٧١- قبائح أهل الكتاب مع ربهم،

وعدم إقامتهم التوراة والإنجيل.

٧٢-٧٦- شرك النصارى بالله تعالى.

٧٧-٨٦- نهى أهل الكتاب عن الغلو في

الدين وبيان مقدار عداوتهم.

٨٧-٨٩- بيان ما أحل الله وهو الطيب،

وذكر حكم اليمين وكفارة الحنث به.

٩٠-٩٣- النهي عن الخمر والميسر

والأنصاب والأزلام، والأمر بطاعة

الرسول ﷺ، وفضل الله تعالى على

عباده.

٩٤-٩٨- أحكام في الحج والعمرة.

٩٩-١٠٢- وظيفة الرسول ﷺ، وعدم

الاغترار بالخبيث، ونهي الأمة عن

التكلف في السؤال.

١٠٣-١٠٤- الرد على ضلالات أهل

الجاهلية.

١٠٥-١٠٨- إرشادات للمؤمنين، وذكر

الإشهاد على الوصية.

١٠٩-١١١- سؤال الرسل يوم القيامة عن

إجابة قومهم لهم، وذكر معجزات عيسى

عليه السلام.

١١٢-١١٥- قصة المائدة.

١١٦-١١٨- بطلان دعوى المشركين وبراءة

عيسى مما نسب إليه.

١١٩-١٢٠- جزاء الصادقين في الآخرة،

وذكر ملك الله.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١-٣- بعض دلائل قدرة الله.

٤-١٠- تعنت المشركين وجدالهم وسوء

عاقبتهم.

١١-١٩- تزويد الرسول ﷺ بالحجج على

قومه من خلال الحوار العقلي.

٢٠-٣١- معرفة أهل الكتاب له ﷺ، وذكر

تكذيب الكفار ومواقفهم وحسرتهم يوم

القيامة.

٣٢-٣٥- حقيقة الحياة الدنيا، وتسلية

النبي ﷺ وتثبيت فؤاده.

٣٦-٤٥- تمام قدرة الله، وذكر موقف

المشركين في السراء والضراء.

٤٦-٤٧- أدلة قدرة الله تعالى.

٤٨-٥٨- مهمة الرسل وانقسام الناس

فيهم، وبيان أنهم من البشر.

٥٩-٦٢- كمال علم وقدرة الله.

٦٣-٦٧- تخويف الله للمشركين.

٦٨-٧٠- النهي عن مجالسة المستهزئين

وذكر عقابهم.

٧١-٧٣- التحذير من الشرك، وذكر

إقامة الصلاة، وقدرة الله وصفاته

سبحانه.

٧٤-٨٣- محاوراة إبراهيم لأبيه وقومه

واقامة الحججة عليهم.

٨٤-٩٠- هداية الله للأنبياء، والدعوة

للاقتداء بالأنبياء عليهم السلام.

٩١-٩٤- الرد على اليهود والمشركين من

منكري الرسالات، وحال المكذبين عند

الموت وفي الآخرة.

٩٥-٩٩- مظاهر قدرة الله تعالى.

١٠٠-١٠٥- وحدانية الله وصفاته تعالى.

١٠٤-١٠٨- حقيقة الرسول ﷺ، والنهي

عن سب آلهة المشركين.

١٠٩-١١٣- تعنت المشركين في طلب

الآيات وعداؤهم لأهل الحق ووعيد الله

تعالى لهم.

١١٤-١١٧- شهادة الله بصدقه ﷺ، وذكر
صفة أكثر الناس وعلم الله بما في
نفوسهم.
١١٨-١٢١- ما يحل ويحرم من الذبيحة.
١٢٢-١٢٤- مثل المؤمن والكافر، ومكر
المجرمين وعاقبتهم.
١٢٥-١٢٧- هداية الله تعالى.
١٢٨-١٣١- من مشاهد يوم القيامة
وتهديد العصاة واقتراءاتهم والرد
عليهم.
١٣٢-١٣٥- توعدهم الكفار.
١٣٦-١٤٠- مواقف الكفار والمشركون
وكشف حالهم وسلوكهم وما يدعونه من
باطل.
١٤١-١٤٤- التذكير بالنعمة الإلهية
والتحذير من الشيطان.
١٤٥-١٤٧- ما حرمه الله في القرآن
علينا وعلى اليهود في التوراة.
١٤٨-١٥٠- الرد على شبهات المشركين.
١٥١-١٥٣- ذكر أصول المحرمات في
الإسلام.
١٥٤-١٥٧- ما أنزل الله من كتاب إلا وفيه
هداية، ويجب اتباعه ووعيد من خالفه.
١٥٨-١٥٩- تهديد بالموت ويوم القيامة
وما يسبقه من علامات، وتبرئة الرسول
ﷺ من الذين فرقوا دينهم.
١٦٠-١٦٥- جزاء الأعمال في الآخرة،
ونعمة الله بالهداية والعبادة الخالصة
له سبحانه وتعالى.
سُورَةُ الْأَنْعَامِ
١-٧- خطاب للرسول ﷺ وتحذير الأمة.
٨-٩- عرض لمشاهد الآخرة.
١٠-٢٥- قصة آدم وإبليس.
٢٦-٢٧- تحذير بني آدم من إبليس.
٢٨-٣٤- رد على ضلال الكفار.
٣٥-٣٩- عدة وصايا لبني آدم.
٤٠-٤٣- جزاء الكافرين والمؤمنين.
٤٤-٥١- محاورة بين أصحاب الجنة والنار
والأعراف.
٥٢-٥٤- إقامة الحجة على الكفار،
ودلائل قدرة الله.
٥٥-٥٨- الأمر بالدعاء، وبيان رحمة
الله، وأمثلة إثبات إحياء الموتى.
٥٩-٦٤- قصة نوح عليه السلام.

٦٥-٧٢- قصة هود عليه السلام.
٧٣-٧٩- قصة صالح عليه السلام.
٨٠-٨٤- قصة لوط عليه السلام.
٨٥-٩٣- قصة شعيب عليه السلام.
٩٤-١٠٢- عاقبة الإيمان والكفر.
١٠٣-١٥٦- قصة موسى مفصلة.
١٠٣-١١٣- حوار مع فرعون وملئه.
١١٤-١٢٦- إبطال السحر، وإيمان
السحرة وتوعد فرعون لهم.
١٢٧-١٣٢- تكذيب آل فرعون
وجحودهم.
١٣٣-١٣٦- إرسال الآيات للعقاب -
واستنجادهم بموسى عليه السلام،
ونكثهم العهد وذكر عقابهم.
١٣٧-١٤١- فضل الله على بني إسرائيل
ونجاتهم من فرعون، وبيان جهلهم.
١٤٢-١٤٧- لقاء موسى بربه عز وجل،
وايتاء موسى التوراة، وذكر توجيهات له
ولقومه وهلاك المكذبين منهم.
١٤٨-١٥٣- عبادة بني إسرائيل للعجل،
وغضب موسى عليهم وذكر عقابهم
وتوبة الله على التائبين.
١٥٤-١٥٦- اعتذار موسى لربه عز وجل
مما فعل قومه من عبادة العجل، وبيان
رحمة الله تعالى.
١٥٧-١٥٨- صفاته ﷺ في التوراة
والإنجيل، وخطاب الحق للرسول ﷺ،
وبيان إبلاغ الناس، وذكر عالمية الرسالة.
١٥٩-١٦٢- أوامر الله لبني إسرائيل.
١٦٣-١٧١- تحايل بني إسرائيل في صيد
السبت وعقابهم.
١٧٢-١٧٤- العهد على بني آدم.
١٧٥-١٧٨- قصة بلعام بن عوراء.
١٧٩- جهنم وأهلها.
١٨٠-١٨١- الدعاء بأسماء الله الحسنى،
وذكر أمة الهدى.
١٨٢-١٨٨- صفات المكذبين، والحديث
عن الساعة والرسول ﷺ.
١٨٩-١٩٨- طبيعة المشركين والرد
عليهم.
١٩٩-٢٠٣- توجيهات للأخلاق الفاضلة.
٢٠٤-٢٠٦- حقيقة المؤمنين.
سُورَةُ الْأَنْعَامِ
١-٤- حكم الغنائم، وذكر صفات
المؤمنين.

٢٠-٢٩- الأمر بطاعة الرسول ﷺ
والتحذير من مخالفته ﷺ وذكر ثمرات
التقوى.
٣٠-٣٨- مكر المشركين بالنبي ﷺ، وذكر
عقابهم وكيفية معاملتهم.
٣٩-٤٠- الأمر بالجهاد.
٤١- تقسيم الغنائم.
٤٢-٤٤- مشاهد من معركة بدر.
٤٥-٤٧- نعمة النصر والأمر بالثبات في
القتال وعدم التنازع.
٤٨-٤٩- مكر وخديعة الشيطان لأتباعه
وتزيين الباطل لهم.
٥٠-٥١- حال الكافرين عند الموت.
٥٢-٥٤- ضرب المثل بالسابقين.
٥٥-٦١- أحكام وإرشادات في حال
الجهاد.
٦٢-٦٤- نعم الله على نبيه ﷺ وعلى
المؤمنين.
٦٥-٦٦- التحريض على القتال.
٦٧-٧١- أحكام في الأسرى والغنائم.
٧٢-٧٥- قوة رابطة الإسلام، وذكر فضل
المهاجرين، والحثر من موالة الكافرين.
سُورَةُ الْبَقَرَةِ
١-٣- البراءة من عهود المشركين.
٤-٦- أحكام معاملة المشركين.
٧-١٠- صفات المشركين.
١١-١٥- كيفية تعامل المؤمنين مع
المشركين.
١٦-١٨- الحض على الجهاد وعلى عمارة
المساجد وصفات عمارها.
١٩-٢٢- فضل وجزاء المجاهدين.
٢٣-٢٤- تحريم تولي الكافرين.
٢٥-٢٧- فضل الله على المؤمنين بالنصر.
٢٨-٢٩- تحريم دخول المشركين
للمسجد الحرام، والأمر بقتالهم.
٣٠-٣٣- الحديث عن اليهود والنصارى
وبيان شركهم.
٣٤-٣٥- نهب الأخبار لأموال الناس
وعقابهم.
٣٦-٣٧- الأشهر الحرم وتلاعب المشركين
بها.
٣٨-٣٩- الدعوة للجهاد في سبيل الله.

٤٠- قصة غار الهجرة ونصر الله وتأييده لرسوله ﷺ.

٤١- عودة الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى.

٤٢-٥٩- الحديث عن المنافقين وأعضاؤه ﷺ لهم من الخروج للحرب وفضحهم، وذكر صفة المؤمنين في ذلك وموقفهم.

٦٠- أهل الزكاة الثمانية.

٦١-٦٨- صفات المنافقين وجزاؤهم.

٦٩-٧٠- ضرب المثل للمنافقين بهلاك الأمم السابقة.

٧١-٧٢- صفات المؤمنين وجزاؤهم.

٧٣- أمره ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين وجزاؤهم.

٧٤-٧٩- صفات المنافقين.

٨٠- نهيه ﷺ عن الاستغفار للمنافقين.

٨١-٨٥- الحديث عن المخلفين ونهيه ﷺ عن معاملتهم.

٨٦-٨٧- صفات المنافقين.

٨٨-٩٢- التعريف بالرسول ﷺ والمؤمنين وثوابهم، وأحكام في فئات من المجتمع وعلاقتهم بالرسول ﷺ والرسالة.

٩٣-٩٦- صفات الفاسقين وحكمهم.

٩٧-٩٩- الحديث عن الأعراب.

١٠٠-١٠٢- فضل المهاجرين والأنصار، والتعريف بالمنافقين.

١٠٣-١٠٦- فضل الصدقة والتوبة...

١٠٧-١١٠- قصة مسجد الضرار.

١١١- التجارة الربحية مع الله تعالى.

١١٢-١١٦- صفات المؤمنين، وتحريم الاستغفار للمشركين.

١١٧-١٢١- توبة الله تعالى على أهل غزوة تبوك.

١٢٢- فضل العلم.

١٢٣-١٢٧- الدعوة للجهاد، وذكر موقف المؤمنين والمنافقين من نزول السور.

١٢٨-١٢٩- من صفات الرسول ﷺ.

سُورَةُ يُوسُفَ

١-٢- القرآن وموقف المشركين منه.

٣-٦- دلائل عظمة الله وقدرته.

٧-١٠- التعريف بالكفار والمؤمنين ومصير كل فريق.

١١-١٤- عرض لجحود الإنسان وتكذيبه، وسنن هلاك السابقين.

١٥-٢٠- القرآن وموقف المشركين منه والرد عليهم والتعريف بهم.

٢١-٢٣- طبيعة الناس في السراء والضراء.

١٢٤- ضرب مثل للدنيا.

٢٥-٢٧- جزاء المحسنين والمسيئين.

٢٨-٣٣- ربوبية الله تعالى.

٣٤-٣٦- مقارنة بين التوحيد والشرك.

٣٧-٤٠- تحدي القرآن للكفار.

٤١-٤٤- تكذيب الكافرين.

٤٥-٥٤- تهديد المشركين، واقتراؤهم على الرسول والقرآن.

٥٥-٥٨- التعريف بالألوهية، والحديث عن القرآن.

٥٩-٦١- الحديث عن المكذبين، وذكر عدل الله تعالى.

٦٢-٦٥- الحديث عن أولياء الله تعالى وثوابهم، وتسليية الرسول ﷺ.

٦٦-٧٠- تهديد المشركين ورد مزاعمهم الباطلة.

٧١-٧٤- قصة نوح، والإشارة إلى إرسال الرسل بعده وتكذيب أقوامهم لهم.

٧٥-٨٩- قصة موسى مع فرعون.

٩٠-٩٣- غرق فرعون وجعله آية.

٩٤-٩٧- القرآن وتهديد من يخالفه.

٩٨-١٠٠- قصة يونس عليه السلام.

١٠١-١٠٦- التفكير في الكون لأخذ العظة، والدعوة لتوحيد الله تعالى.

١٠٧-١٠٩- توجيهات للناس والنبى ﷺ.

سُورَةُ هُودٍ

١-٥- الحديث عن القرآن والنبى ﷺ، والدعوة للتوبة والاستغفار.

٦-٧- نعم الله وقدرته.

٨-١٢- موقف المشركين والمؤمنين من النعم والنقم وجزاؤهم، وذكر تسليية الرسول لما يلقاه.

١٣-١٦- تحدي الله للمشركين بالقرآن، والحديث عن الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة وجزاؤهم.

١٧-٢٤- جزاء المؤمنين والكافرين، وأوصافهم، وضرب المثل للمؤمنين والكفار.

٢٥-٣٥- قصة نوح عليه السلام: حوار نوح مع قومه.

٣٦-٤٨- أمر الله لنوح بصناعة الفلك، وذكر نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

٤٩- التأكيد على صدق الوحي وأمر النبي ﷺ بالصبر.

٥٠-٦٠- قصة هود، وإعراض قومه وتكذيبهم له، وهلاك قومه.

٦١-٦٨- قصة صالح عليه السلام.

٦٩-٧٦- قصة إبراهيم عليه السلام.

٧٧-٨٣- قصة لوط عليه السلام.

٨٤-٩٥- قصة شعيب عليه السلام.

٩٦-٩٩- قصة موسى عليه السلام.

١٠٠-١٠٨- سنة الله تعالى في إهلاك العباد بظلمهم، وذكر بعض مشاهد يوم القيامة.

١٠٩-١١٥- تسليية النبي ﷺ، والتحذير من الاختلاف، وتوجيهه له ﷺ والمؤمنين.

١١٦-١١٧- التذكير بسنن الهلاك.

١١٨-١٢٣- الحديث عن الاختلاف، وذكر الحكمة من القصص القرآني، وتوجيه للرسول ﷺ والمؤمنين.

سُورَةُ يُوسُفَ

١-٣- الحديث عن القرآن وقصصه.

٤-٦- رؤيا يوسف ورأي أبيه.

٧-٢٠- حادثة إلقائه في الجُب.

٢١-٣٥- فتنة امرأة العزيز والنسوة.

٣٦-٤٢- حوار بين يوسف وصاحبيه حول الرؤى، ودعوتهم للإيمان والتوحيد.

٤٣-٤٩- رؤيا الملك وتأييل يوسف عليه السلام لها.

٥٠-٥٧- براءة يوسف والتمكين له.

٥٨-٦٦- طلب يوسف عليه السلام لأخيه الصغير من إخوته.

٦٧-٦٩- وصية يعقوب لأولاده، ولقاء يوسف بأخيه.

٧٠-٨٦- قصة صواع الملك.

٨٧-١٠١- استبصار يعقوب عليه السلام واجتماع يوسف بأسرته.

١٠٢-١٠٤- قصة يوسف عليه السلام دليل على نبوة محمد ﷺ.

١٠٥-١٠٧- إعراض المشركين والرد عليهم.

١٠٨-١١١- من حكم القصص القرآني.

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

١-٤- حقيقة القرآن، وذكر الأدلة على قدرة الله تعالى.

٥-٧- إنكار المشركين للبعث واستعجالهم العذاب.

٨-١٣- إحاطة علم الله وآياته في الكون.

١٤-١٧- ضرب مثل للحق والباطل، وذكر عبادة المخلوقات لله، وصفاته تعالى.

١٨-٢٧- صفات المؤمنين والكافرين وجزاؤهم.

٢٨-٢٩- عاقبة ذكر الله تعالى، وعاقبة المؤمنين وجزاؤهم.

٣٠-٣١- مهمة الرسول ﷺ والقرآن.

٣٢-٣٤- الرد على الكفار ومصيرهم.

٣٥-٤٠- وصف الجنة وعاقبة المتقين والكافرين، وتحذير للنبي ﷺ.

٤١-٤٣- إثبات النسخ في الآيات، وتثبيت فؤاد النبي ﷺ.

سُورَةُ اِبْرٰهِيْمَ

١-٤- مهمة القرآن، وذكر جزاء الكافرين وصفاتهم، ولسان الرسل ووظيفتهم.

٥-٨- قصة موسى وقومه.

٩-١٧- التذكير بالرسول وعناد أقوامهم، وموقف الرسل منهم.

١٨-٢٠- ضرب المثل لأعمال الكفار، وبيان أن الله سبحانه وتعالى خالق الكون وحده.

٢١-٢٣- حوار أهل النار، وتبرؤ الشيطان من أتباعه، وذكر فوز المؤمنين بالجنة.

٢٤-٢٧- مثل الكلمة الطيبة والخبيثة.

٢٨-٣٤- مصير من يكفر نعمة الله، وذكر توجيهات للمؤمنين، ومظاهر قدرة الله تعالى ووفرة نعمه.

٣٥-٤١- مناجاة إبراهيم لربه.

٤٢-٤٧- تواعد الظالمين ووصفهم، وذكر مكر الظالمين، ونصر الله تعالى لرسوله.

٤٨-٥٢- مشاهد من يوم القيامة وأحواله.

سُورَةُ الْحَجَرِ

١-٩- الحديث عن القرآن وحفظه، ووصف الكفار وتوعدهم، وذكر أجل الأمم والقرى، والرسول وعداء قومه له.

١٠-١٥- تكذيب الأقوام السابقة لرسولهم، ووصف للمجرمين وحججهم.

١٦-٢٧- من مظاهر قدرة الله تعالى ويديع خلقه سبحانه.

٢٨-٤٤- قصة آدم وإبليس ومصيره.

٤٥-٥٠- ثواب المتقين يوم القيامة.

٥١-٧٧- ضيف إبراهيم وقصتهم مع لوط عليهم السلام.

٧٨-٨٥- قصة أصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، والحديث عن الخلق والساعة.

٨٦-٩٩- فضل الله على نبيه ﷺ وبعض التوجيهات والبشارات.

سُورَةُ النَّحْلِ

١-٢- تواعد المشركين، والحديث عن تنزيل الملائكة.

٣-١٩- مظاهر وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته.

٢٠-٢٩- الحديث عن فئات الكفر والظالمين والمستكبرين ومصيرهم.

٣٠-٣٤- جزاء المتقين يوم القيامة، وتذكير مشركي قريش بهلاك السابقين.

٣٥-٣٦- مهمة الرسول ﷺ.

٣٧-٤٢- بعض ضلالات المشركين، وذكر قدرة الله، وجزاء المهاجرين.

٤٣-٤٧- حقيقة الرسل وما أرسلوا به، وذكر مكر السيئات.

٤٨-٥٣- التعريف بالله والتذكير بنعمه، وذكر جحود الإنسان لنعم الله تعالى.

٥٤-٦٣- التعريف بالكفار والمشركين، وبيان أمرهم وتوليهم الشيطان.

٦٤-٦٩- التعريف بمهمته ﷺ، وذكر نعم الله تعالى وقدرته.

٧٠-٧٢- آيات الله تعالى ونعمه في حياة الناس.

٧٣-٧٦- سوء ما يعبدون من دون الله، وضرب الأمثال.

٧٧-٨٣- التعريف بالله وقدرته، والتذكير بفضل الله على الإنسان والتأكيد على مهمة الرسول ﷺ.

٨٤-٨٨- بعض مشاهد يوم القيامة.

٨٩-٩١- الحديث عن الشهادة، والأمر بالعدل والوفاء بالعهد.

٩٢-٩٣- ضرب المثل للتحذير من إبطال الأعمال، وسنة الله في الابتلاء والاختبار.

٩٤-٩٧- النهي عن جعل اليمين خطأ للكذب، وذكر نقض العهد، وأجر الصبر وجزاء العمل الصالح.

٩٨-١٠٥- بيان لسلطان الشيطان على أوليائه، وذكر القرآن وتهديد المفتريين عليه.

١٠٦-١١١- حدود الكفر والإيمان، والتعريف بالكافرين وجزائهم، وذكر ثواب المهاجرين، والصابرين.

١١٢-١١٣- مثل لمن يكفر بالنعمة، وذكر الجزاء، ورزق الله لعباده.

١١٤-١١٨- التحليل والتحريم بيد الله.

١١٩-١٢٢- الدعوة للتوبة والإصلاح، وذكر صفات إبراهيم عليه السلام.

١٢٣-١٢٨- توجيهات للنبي ﷺ والدعاة.

سُورَةُ الْاِنشَاءِ

١- معجزة الإسراء بالنبي ﷺ.

٢-٨- الحديث عن بني إسرائيل.

٩-١٥- مهمة القرآن، وذكر آيات الله تعالى في الكون، والحديث عن الإنسان.

١٦-٢١- سنة هلاك القرى، ومقارنة بين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ومصيرهم.

٢٢-٢٥- النهي عن الشرك، ودعوة إلى التوحيد وبر الوالدين.

٢٦-٣٠- توجيهات اجتماعية للنبي ﷺ.

٣١-٣٩- خطاب وتوجيه للمؤمنين في شؤون العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بالنهي والتحريم والندب.

٤٠-٤٦- الرد على المشركين وحجب القرآن عنهم.

٤٧-٥٢- الحديث عن الظالمين - وتكذيبهم للنبي ﷺ - واليوم الآخر والرد عليهم.

٥٣-٥٨- الدعوة للقول الحسن، والتحذير من الشيطان، والتعريف بالربوبية، وذكر هلاك القرى.

٥٩-٦٠- حكمة منع الآيات - ذكر ناقة ثمود.

٦١-٦٥- قصة آدم عليه السلام - الحديث عن إبليس.

٦٦-٧٢- ذكر نعم الله، والتحذير من عقابه، وذكر مقامات التفضيل، ومشاهد من الآخرة.

٧٣-٨١- محاولة فتنته ﷺ، وتوجيهات له ﷺ.

٨٢-٨٧- طبيعة القرآن وعلاقته بالمؤمنين والظالمين، والحديث عن الروح.

٨٨-٩٦- التحدي بالقرآن، والرد على المشركين وشبهاتهم.

٩٧-١٠٠- الحديث عن المهتدين والضالين، وذكر قدرة الله تعالى.

١٠١-١٠٤- حوار بين موسى وفرعون.

١٠٥-١١١- الحديث عن القرآن وتأثيره، وذكر دعاء الله تعالى بأسمائه وحمله على وحدانيته سبحانه وتعالى.

١-٨- مهمة القرآن والرسول ﷺ.

٩-٢٦- قصة أصحاب الكهف.

٢٧-٣١- حثه ﷺ على الصبر، وذكر جزاء المؤمنين والظالمين.

٣٢-٤٤- قصة صاحب الجنتين.

٤٥-٤٦- مثل الحياة الدنيا.

٤٧-٥٠- مشاهد من يوم القيامة، وذكر قصة آدم والتحذير من إبليس.

٥١-٥٩- الحديث عن الظالمين والكافرين وجدال الإنسان، وذكر مهمة الرسل، والسنن في إهلاك الظالمين.

٦٠-٨٢- قصة موسى والخضر.

٨٣-٩٩- قصة ذي القرنين.

١٠٠-١٠٨- جزاء الكافرين والمؤمنين.

١٠٩-١١٠- التعريف به ﷺ ودعوة التوحيد.

١-١٥- قصة زكريا عليه السلام، وتبشيره بيحيى عليه السلام.

١٦-٣٦- قصة مريم عليها السلام وحملها بعيسى عليه السلام.

٣٧-٤٠- الحديث عن الأحزاب وتوعد الكافرين والظالمين.

٤١-٥٠- قصة إبراهيم عليه السلام.

٥١-٥٨- ذكر موسى وهارون وإسماعيل وأدريس وما كانوا عليه - التعريف

بذرية النبوة ومواصفاتهم.

٥٩-٦٥- الحديث عن الذين ضيعوا إرث النبوة، وعن الجنات ومن يرثها، وعن

الملائكة.

٦٦-٧٦- المنكرون للبعث وجزاؤهم

وصفاتهم، وجزاء المهتدين.

٧٧-٩٨- الرد على افتراءات المشركين

وجزاؤهم، وجزاء المؤمنين.

سُورَةُ طٰهٍ

١-٨- مهمة القرآن الكريم وصفات من أنزله سبحانه.

٩-٣٦- مناجاة موسى لربه في الوادي المقدس. ومعجزات موسى.

٣٧-٥٥- تذكير موسى بنعم الله قبل النبوة، وتكليفه وأخوه هارون بدعوة فرعون، وذكر الحوار بين موسى وفرعون.

٥٦-٧٦- المبارزة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون.

٧٧-٨٢- غرق فرعون وجنوده.

٨٣-٩٩- إضلال السامري لبني إسرائيل وذكر غضب موسى عليه السلام.

١٠٠-١١٤- جزاء المعرضين عن القرآن ومشاهد يوم القيامة.

١١٥-١٢٣- قصة آدم مع إبليس.

١٢٤-١٢٧- مصير المعرضين عن الذكر.

١٢٨-١٣٢- الاعتبار بالأمم السابقة، وذكر توجيهات للنبي ﷺ.

١٣٣-١٣٥- عناد المشركين وتوعدهم.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

١-١٠- يوم الحساب وغفلة الناس عنه، وعاقبة تكذيب المشركين.

١١-١٥- مصارع الأولين.

١٦-٢٠- المقصد من الخلق والحكمة منه.

٢١-٢٩- أدلة وحدانية الله تعالى.

٣٠-٣٥- قدرة الله تعالى وآياته في الخلق، والحديث عن الموت.

٣٦-٤١- بعض مواقف المشركين معه ﷺ وتهديدهم.

٤٢-٤٤- التذكير بفضل الله تعالى ونعمه وآياته.

٤٥-٥٠- مهمته ﷺ، وذكر الحساب يوم القيامة، والتذكير بموسى وهارون، والتأكيد على الرسالة الخاتمة.

٥١-٧٣- قصة إبراهيم عليه السلام.

٧٤-٨٢- ذكر لوط مع قومه، ونوح مع قومه، وداود وسليمان.

٨٣-٩١- ذكر أيوب وإسماعيل وأدريس

وذا الكفل ويونس وزكريا ومريم عليهم

السلام.

٩٢-٩٥- وحدة دعوة الأنبياء وموقف

الناس منهم.

٩٦-١٠٠- يأجوج ومأجوج، وذكر القيامة وجزاء المشركين.

١٠١-١٠٦- نجات المؤمنين من فزع يوم

القيامة، وذكر مظاهر قدرة الله، ونصر المؤمنين.

١٠٧-١١٢- وصف النبي ﷺ ومهمته، وتهديد المعرضين عنه.

سُورَةُ الْحَجِّ

١-٤- أهوال يوم القيامة والبعث، وذكر الجدال وضلال الشيطان لأهله.

٥-٧- التذكير بقدرة الله تعالى.

٨-١٣- عقوبة الجدال بغير علم، ووصف ضلال الإنسان وخسرانه.

١٤-١٦- ثواب المؤمنين.

١٧-١٨- حكم الله بين العباد، وذكر سجود كل المخلوقات لله تعالى.

١٩-٢٤- جزاء الكافرين والمؤمنين.

٢٥-٢٩- صد المشركين عن المسجد

الحرام، وذكر الأمر بالحج.

٣٠-٣٧- عظم حرمة الله تعالى وشعائره وخطر الشرك، وذكر التسمية

عند الذبح.

٣٨-٤١- دفاع الله تعالى عن المؤمنين ونصرهم وصفاتهم ومشروعية القتال.

٤٢-٤٦- ذكر هلاك الأمم للاعتبار.

٤٧-٥١- سنة الله في الإمهال، وذكر مهمته ﷺ، وعاقبة المؤمن والكافر.

٥٢-٥٥- موقف الشيطان مع الأنبياء وتفرق الناس بسببه.

٥٦-٦٠- الحديث عن الكفار والمؤمنين، وجزاء المهاجرين.

٦١-٦٦- التعريف بالله.

٦٧-٧٢- خطاب وتوجيه له ﷺ - بيان وتعريف الظالمين، وتوجيهات إلهية في

كيفية محاجة المشركين.

٧٣-٧٦- خطاب الناس وبيان خطأ ما هم عليه من الشرك، وذكر اصطفاء الرسل

من الملائكة والناس.

٧٥-٧٨- خطاب وتوجيه للمؤمنين.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

١-١١- صفات المؤمنين وجزاؤهم.

١٢-٢٢- مظاهر قدرة الله وإثبات البعث.

٢٣-٣٠- قصة نوح عليه السلام.

٣١-٤١- قصة هود (على الأرجح).

٤٢-٤٤- إرسال الرسل وتكذيبهم.

٤٥-٥٢- قصة موسى وهارون وذكر

عيسى، وتوجيهات للرسل ووحد

عقيدتهم.

٥٣-٦٣- مقارنة بين الكفار والمؤمنين.

٦٤-٧٧- الحديث عن المعرضين

ومصيرهم وعرض مواقفهم ونقدها

والرد عليها.

٧٨-٩٢- بعض مظاهر قدرة الله تعالى،

إنكار المشركين للبعث والرد عليهم.

٩٣-٩٨- توجيهات إلهية للرسول ﷺ.

٩٩-١١٨- الندم عند الموت، وذكر مشاهد

يوم القيامة، ودعاء طيب.

سُورَةُ النِّازِ

١-١٠- توضيح بعض الأحكام: (الزنا،

رمي المحصنات، رمي الأزواج).

١١-٢٠- قصة الإفك.

٢١-٢٢- النهي عن اتباع خطوات

الشیطان، وبيان فضل الله على المؤمنين.

٢٣-٢٦- جزاء القذف في الآخرة.

٢٧-٢٩- آداب الاستئذان.

٣٠-٣١- الأمر بغض البصر للرجال

والنساء، وإخفاء الزينة للنساء.

٣٢-٣٤- الأمر بالتزويج ومكاتبة

الأقرباء.

٣٥-٣٨- آية مثل النور، وذكر عمّار

المساجد وجزاؤهم.

٣٩-٤٦- ضرب مثل لأعمال الكافرين،

وذكر مظاهر قدرة الله وآياته.

٤٧-٥٤- موقف الكافرين من آيات الله.

وذكر طاعة المؤمنين لحكم الله تعالى،

وكذب المنافقين في طاعتهم.

٥٥-٥٧- سنة الله تعالى في العباد.

٥٨-٦١- آداب البيوت.

٦٢-٦٣- آداب معاملة المؤمنين للرسول

الكریم ﷺ.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

١-٢- تعظيم الله تعالى وتحميده.

٣-١١- الرد على المشركين وجزاؤهم.

١١-٢٠- إنكار المشركين للبعث وذكر

أتباعهم وجزاؤهم، وجزاء المتقين،

والتأكيد على بشرية الرسل.

٢١-٢٩- تعنت ومآل الكافرين، وذكر

مشاهد من يوم القيامة.

٣٠-٣٢- موقف المشركين من القرآن.

٣٣-٣٤- جزاء الكافرين.

٣٥-٤٠- من قصص الأنبياء مع أقوامهم.

٤١-٤٤- استهزاء المشركين به ﷺ

وتشبيههم بالأنعام.

٤٥-٥٤- مظاهر قدرة الله تعالى في

الكون.

٥٥- الشرك.

٥٦-٥٨- توجيه للنبي ﷺ.

٥٩-٦٢- التعريف بالرحمن.

٦٣-٧٧- صفات عباد الرحمن.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

١-٦- موقف المشركين منه ﷺ وحسرتة

عليهم.

٧-٩- التعريف بالربوبية

١٠-٥١- قصة موسى مع فرعون.

٥٢-٦٨- نجاة موسى عليه السلام

والمؤمنين، وغرق فرعون وجنوده.

٦٩-٨٩- قصة إبراهيم مع أبيه وقومه.

٩٠-١٠٤- من مشاهد يوم القيامة.

١٠٥-١٢٢- قصة نوح مع قومه.

١٢٣-١٤٠- قصة هود مع قومه.

١٤١-١٥٩- قصة صالح مع قومه.

١٦٠-١٧٥- قصة لوط مع قومه.

١٧٦-١٩١- قصة شعيب مع قومه.

١٩٢-٢١٢- القرآن الكريم وموقف

المشركين منه.

٢١٣-٢٢٠- إرشادات إلهية له ﷺ.

٢٢١-٢٢٧- إخبار على من تنزل

الشياطين، ووصف الشعراء - واستثناء

المؤمنين.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

١-٦- الحديث عن القرآن الكريم وأنه

مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين.

٧-١٤- موسى وبعض معجزاته.

١٥-١٩- داود وسليمان ونعم الله عليهما.

٢٠-٢٨- سليمان مع الهدهد.

٢٩-٤٤- قصة سليمان عليه السلام مع

ملكة سبأ (بلقيس).

٤٥-٥٣- قصة صالح مع قومه.

٥٤-٥٨- قصة لوط.

٥٩-٦٦- التعريف بالخالق وإنكار ما

يشركون به سبحانه.

٦٧-٧٨- موقف المشركين من البعث، وذكر

مواساته ﷺ، والتعريف بالربوبية، وذكر

القرآن واختلاف بني إسرائيل.

٧٩-٨٨- توجيه وخطاب له ﷺ، وذكر

الحديث عن الحشر.

٨٩-٩٣- جزاء الأعمال يوم القيامة،

وذكر مهمته ﷺ ومن تبعه.

سُورَةُ الْقَصَصِ

١-٦- مقدمة عن قصة موسى وفرعون.

٧-١٤- إلقاء موسى عليه السلام في اليم

وما تلاه من أحداث.

١٥-٢١- قتل موسى للقبطي خطأ

وخروجه من مصر.

٢٢-٢٨- دخول موسى أرض مدين وما

تلاه من أحداث.

٢٩-٣٢- عودة موسى عليه السلام إلى

مصر بالنبوة والمعجزات.

٣٣-٤٦- تكذيب فرعون وعاقبة عناده

وكفره.

٤٧-٥١- تكذيب مشركي مكة للرسول ﷺ

والقرآن والرد على شبهات المشركين.

٥٢-٥٦- جزاء وصفات أهل الكتاب.

٥٧-٥٩- جحود قومه ﷺ، وذكر سنن

هلاك القرى.

٦٠-٦٧- فناء الدنيا وبقاء الآخرة، وذكر

مواقف المشركين وأحوالهم يوم القيامة،

وذكر فلاح المؤمنين.

٦٨-٧٥- بعض مظاهر قدرة الله...

٧٦-٨٢- قصة قارون والعبرة منها.

٨٣-٨٤- الجزاء بالعمل.

٨٥-٨٨- توجيهات للنبي ﷺ.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

١-٦- امتحان الله للناس في الدنيا.

٧-١٣- مضاعفة أجر المؤمنين، وذكر بر

الوالدين، والتعريف بأنواع الناس

مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم.

١٤-٢٥- قصة نوح مع قومه، وقصة

إبراهيم مع قومه ونجاته.

٢٦-٣٥- إبراهيم ولوط عليهما السلام

وقصة لوط مع قومه.

٣٦-٤٠- قصص شعيب وهود وصالح وموسى عليهم السلام مع أقوامهم.
٤١-٤٥- مثل العنكبوت وحكمته، وذكر توجيهات للنبي ﷺ وللمؤمنين.
٤٦- جدال أهل الكتاب.
٤٧-٥٥- الرد على حجج قوم الرسول الكريم ﷺ.
٥٦-٥٩- خطاب المؤمنين وثوابهم في الآخرة.
٦٠-٦٨- مقارنة بين عطاء الله تعالى ونعمه وجحود القوم وتوعدهم.
٦٩- بيان الهدي الإلهي وربطه بالمجاهدة.
سُورَةُ الْبُرُوجِ
١-٥- الحديث عن الروم وبشارة الحق بنصرهم.
٦-١١- الحديث عن الناس وجهلهم - دعوتهم للتفكر والعبرة - هلاك المسيئين وعقابهم.
١٢-١٦- الحديث عن الساعة.
١٧-٢٩- التعريف بالله تعالى وآياته - دعوة للتأمل.
٣٠-٣٢- الإسلام بين الفطرة والوحدانية.
٣٣-٣٧- طبيعة الناس في السراء والضراء.
٣٨-٤١- الحظ على أداء الحقوق، والنهي عن الريا، والتعريف بالله الخالق، والحديث عن الفساد.
٤٢-٥٣- الأمر باتباع الدين وتوحيد الله، وذكر عاقبة المجرمين، ومدى تأثير النبي ﷺ على الناس.
٥٤-٦٠- قدرة الله في الخلق، وأحوال الناس يوم القيامة، وموقف الكفار من الآيات، وحض النبي ﷺ على الصبر.
سُورَةُ الْقَنَاقَاتِ
١-٩- مهمة القرآن وصفات المنتفعين به، وذكر جزاء المستكبرين والمؤمنين.
١٠-١١- من أدلة وحدانية الله وقدرته.
١٢-١٩- قصة لقمان ووصاياه لابنه.
٢٠-٣١- نعم الله، وعناد المشركين وإثبات قدرته تعالى والبعث.
٣٢-٣٣- طبيعة الكفار والأمر بالتقوى.
٣٤- علم الله تعالى بالغيب.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

١-٣- إثبات تنزيل القرآن الكريم.
٤-٩- الأدلة على قدرة ووحدانية الله.
١٠-١٤- إنكار المشركين للبعث وحالهم يوم القيامة.
١٥-١٩- صفات المؤمنين وجزاؤهم.
٢٠-٢٥- جزاء الكافرين وإعراضهم عن آيات الله، وذكر إنزال التوراة على موسى وتكريم أتباعه.
٢٦-٣٠- إثبات القدرة الإلهية والبعث، وتوعد المنكرين.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١-٥- توجيهات له ﷺ، تحريم الظهار والتبني.
٦- فضل الله على المؤمنين.
٧-٨- ميثاق النبيين.
٩-٢٧- خطاب وتوجيه للمؤمنين؛ التذكير بنعم الله ونصرهم في الخندق - وصف لحال المؤمنين في الشدة - استئذان طائفة منهم النبي ﷺ للفرار ووصفهم - التذكير بقدرة الله وعلمه - التعريف بالمعوقين - التأسى به ﷺ - موقف المؤمنين عند رؤية الأحزاب - تأييد الله ونصره له ﷺ وللمؤمنين.
٢٨-٣٤- آداب وتوجيهات لأزواجه ﷺ.
٣٥- مقومات الشخصية المسلمة.
٣٦-٤٠- زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش وما فيه من عبر.
٤١-٤٤- الأمر بكثرة ذكر الله تعالى.
٤٥-٤٩- مهمته ﷺ وبعض صفاته، وذكر حكم الطلاق قبل المساس.
٥٠-٥٢- جانب من خصوصياته ﷺ.
٥٣-٥٥- الآداب الإسلامية.
٥٦-٥٩- حرمة إيذاء الرسول ﷺ والمؤمنين، وذكر فرض الحجاب.
٦٠-٦٨- تهديد المنافقين وتوعد الكفار بقرب الساعة.
٦٩-٧٣- توجيهات وعظات للمجتمع المسلم، وذكر الأمانة والدين والتكليف.

سُورَةُ سَبَأٍ

١-٣- الثناء على الله والتعريف به تعالى.

٤-٦- تكذيب الكافرين بالساعة - التأكيد عليها - جزاء المؤمنين - تصديق الذين أوتوا العلم بالتنزيل.
٧-٩- افتراء الكافرين على الرسول ﷺ والرد عليهم.
١٠-١٤- قصة داود وسليمان.
١٥-٢١- قصة سبأ وسيل العرم.
٢٢-٢٣- مفهوم الشفاعة.
٢٤-٣٠- خطابه ﷺ وتوجيهه للتعريف بالله الرزاق، والتأكيد على مهمته ﷺ.
٣١-٣٣- جحود الكفار بالقرآن - حوار المستضعفين والمستكبرين يوم القيامة.
٣٤-٣٩- تكذيب القرى للرسول - جزاء المؤمن والكافر، التعريف بالرب الرزاق.
٤٠-٤٥- استعراض للحشر وما فيه، وعداء الكافرين للرسالة والرسول ﷺ.
٤٦-٥٤- خطابه ﷺ لقومه ووعظهم.

سُورَةُ فَطَرٍ

١-٤- الثناء والتعريف بالله الفاطر، والتذكير بالنعم.
٥-٨- التحذير من الدنيا والشيطان.
٩-١٠- إثبات البعث والحساب.
١١-١٤- من مظاهر القدرة الإلهية والوحدانية، حقيقة الأصنام والشركاء.
١٥-١٨- قدرة الله وغناه وفقر الإنسان.
١٩-٢٨- ضرب الأمثال، وحقيقته ﷺ وتكذيب الكفار، وتنوع الخلق ووحدانية الخالق.
٢٩-٣٥- جزاء قارئ القرآن.
٣٦-٤٢- حال الكفار في جهنم ومناقشتهم في عقائدهم.
٤٣-٤٥- التذكير بقصص من سبق، وذكر إهلاك الكفار بعد إمهالهم.

سُورَةُ يٰسِينَ

١-٦- إشارة القرآن إلى الحكيم ومصدر تنزيله ومهمته ﷺ.
٧-١٢- التعريف بالمعرضين عن التنزيل والمتبعين لهم.
١٣-٣٢- قصة أصحاب القرية، والتذكير بهلاك الأمم السابقة.
٣٣-٤٤- مظاهر قدرة الله تعالى.
٤٥-٤٨- موقف الكفار من آيات الله.
٤٩-٥٤- إثبات البعث وأحواله.

٥٥-٦٨- ثواب المؤمنين في الجنة، وعقاب الكفار في جهنم.

٦٩-٧٠- نفي التهم عن النبي ﷺ.

٧١-٧٦- مظاهر قدرة الله ونعمه، وموقف المشركين من نعم الله وتوعددهم.

٧٧-٨٣- من أدلة إثبات البعث وقدرة الله سبحانه وتعالى.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

١-١٠- وحدانية الله وقدرته وحفظ السماء من الشياطين.

١١-٣٩- إنكار المشركين للبعث وجزاؤهم يوم القيامة.

٤٠-٥١- نعيم أصحاب الجنة وتذكرهم لقرين السوء.

٥٢-٦١- قول منكر البعث في الدنيا ونهايته، وشكر المؤمن لربه.

٦٢-٧٤- شجرة الزقوم للظالمين وسبب عقابهم.

٧٥-١١٣- قصة نوح، وقصة إبراهيم ومعجزة انقلاب النار برداً وسلاماً، وتبشير به إسماعيل وذبحه، والتبشير بإسحاق.

١١٤-١٣٢- قصة موسى وهارون والياس.

١٣٣-١٤٨- قصة لوط ويونس.

١٤٩-١٧٩- مناقشة المشركين في عقائدهم وتهديدهم.

١٨٠-١٨٢- تأييد الله تعالى للرسول، وذكر تنزيه الله تعالى.

سُورَةُ قَدْ

١-١١- التعريف بالكفار وموقفهم من النبي ﷺ وما جاء به والرد عليهم.

١٢-١٦- تكذيب الأمم السابقة.

١٧-٢٦- قصة داود والخصمين.

٢٧-٢٩- الرد على الكفار المفسدين، والأمر بتدبر القرآن.

٣٠-٤٤- قصة سليمان وأيوب عليهما السلام.

٤٥-٤٨- قصة إبراهيم وذريته.

٤٩-٦٤- جزاء المؤمنين والطاغين يوم القيامة.

٦٥-٧٠- التعريف بالله، والتأكيد على رسالة النبي الكريم ﷺ.

٧١-٨٥- قصة آدم وتكبر إبليس.

سُورَةُ التَّوْحِيدِ

١-٤- الدعوة إلى التوحيد.

٥-٩- التعريف بالله، وطبيعة المشرك.

١٠-٢٠- أسباب الهداية والثبات.

٢١- من آيات الله في الكون.

٢٢-٢٦- جزاء المهتدين والكافرين.

٢٧-٣٧- ضرب الأمثال للناس.

٣٨-٤١- إقامة الحجة على المشركين.

٤٢-٤٨- التعريف بالله - موقف الكفار من ربهم - الحكم لله فيما اختلفوا فيه - مصير الظالمين .

٤٩-٥٢- حال وطبيعة الإنسان،

٥٣-٦١- التوبة والترغيب والترهيب.

٦٢-٦٧- دلائل الربوبية.

٦٨-٧٥- مشاهد القيامة وانقسام الناس لزمزمتين، ووصف الملائكة.

سُورَةُ غَافِرٍ

١-٣- صفات الله سبحانه وتعالى.

٤-٦- حال الكفار وتكذيب الأمم السابقة.

٧-١٢- حملة العرش وتسبيحهم ودعائهم، وذكر مقت الله للكافرين.

١٣-١٥- مظاهر قدرة الله.

١٦-٢٢- من أهوال يوم القيامة، والأمر بالاعتناظ بالأمم السابقة.

٢٣-٢٧- قصة موسى مع فرعون وهامان وقارون.

٢٨-٤٦- قصة مؤمن آل فرعون.

٤٧-٥٠- حوار بين الضالين والمضلين وأهل النار وخزنتها.

٥١-٥٥- نصر المؤمنين، وذكر المنة على بني إسرائيل، وتوجيهات للنبي ﷺ.

٥٦-٥٨- التعريف بالمجادلين، وذكر خسارة المكذبين.

٥٩-٦٠- التأكيد على قيام الساعة، والحث على الدعاء وأدابه.

٦١-٦٨- التعريف بالله رب العالمين.

٦٩-٧٦- الحديث عن المكذبين وجزائهم.

٧٧-٧٨- توجيهات للرسول ﷺ.

٧٩-٨١- من نعم الله تعالى على عباده.

٨٢-٨٥- الدعوة للاعتبار من آثار الأقوام السابقة والتأكيد على سنن الله تعالى.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

١-٨- القرآن ومهمته وموقف المشركين منه، وذكر جزاء المؤمنين.

٩-١٢- من أدلة وجود الله وقدرته وذكر قصة الخلق.

١٣-١٨- تهديد المشركين والكافرين بمثل عاقبة عاد وثمود.

١٩-٢٩- عقوبة أعداء الله عند الحشر.

٣٠-٣٦- ثواب المستقيمين في الدارين، وفضل وآداب الدعوة إلى الله تعالى.

٣٧-٣٩- من آيات قدرة الله تعالى.

٤٠-٤٤- تهديد الملحدين في القرآن.

٤٥-٤٦- اختلاف الناس في التوراة، وذكر جزاء الأعمال.

٤٧-٥٢- اختصاص الله بعلم الغيب والساعة، وذكر طبيعة الإنسان في السراء والضراء.

٥٣-٥٤- التأمل في آيات الله.

٥٤-٥٥- التأمل في آيات الله.

سُورَةُ الشُّورَى

١-٦- وحدة الوحي للرسول.

٧-٩- القرآن الكريم ووظيفته وموقف الناس منه.

١٠-١٦- التوكل على الله تعالى ووحدة الدين والاستقامة.

١٧-١٩- إثبات قيام الساعة.

٢٠-٢٦- جزاء المؤمنين والكافرين.

٢٧-٣٥- سنة الله في عباده وقدرته.

٣٦-٤٦- من صفات المؤمنين وعاقبة الكافرين والظالمين.

٤٧-٥٣- التعريف بالخالق سبحانه، وإثبات القيامة وأنواع الوحي.

سُورَةُ الزُّحُرَفِ

١-٨- القرآن الكريم ومكانته، وذكر استهزاء وعقوبة المسرفين.

٩-١٤- عظمة الله تعالى ونعمه.

١٥-٢٥- افتراءات المشركين والرد عليهم.

٢٦-٣٢- قصة إبراهيم، وموقف المشركين منه ﷺ.

٣٣-٣٥- متاع الدنيا وزينتها.

٣٦-٣٩- قرين الشيطان.

٤٠-٤٥- خطاب وتوجيهات للرسول ﷺ.

٤٦-٥٦- قصة موسى مع فرعون.

٥٧-٦٦- قصة عيسى بن مريم.

٦٧-٨٠- جزاء المتقين والمجرمين.

٨١-٨٩- توجيهات له ﷺ والرد على قومه.

سُورَةُ النَّجْمِ

٨-١- نزول القرآن في ليلة القدر،
والتعريف بالربوبية.

١٦-٩- موقف المشركين من الدعوة
والقرآن.

٣٣-١٧- قصة قوم فرعون.

٥٠-٣٤- إنكار المشركين للبعث وجزاؤهم.

٥٩-٥١- جزاء المتقين، وخطاب وتوجيه
له ﷺ.

سُورَةُ الْجَنَّةِ

١٣-١- الأدلة على قدرة ووحداية الله
تعالى، وتهديد المكذابين بآياته سبحانه،
وذكر فضل الله تعالى ورحمته.

١٧-١٤- خطاب وجزاء المؤمنين،
والتذكير ببني إسرائيل.

٢٢-١٨- خطاب وتوجيه له ﷺ، وذكر
الجزاء بالأعمال.

٣٥-٢٣- ضلال المشركين وذكر جزاء
المؤمنين والكافرين بالبعث.

٣٧-٣٦- فضل وكبرياء الله تعالى.

سُورَةُ الْأَخْزَافِ

١٢-١- إثبات القدرة الإلهية ومناقشة
المشركين.

١٦-١٣- جزاء المتقين، والوصية
بالوالدين.

٢٠-١٧- جزاء العاق والمستكبرين.

٢٨-٢١- قصة هود عليه السلام.

٣٢-٢٩- إيمان بعض الجن بالإسلام.

٣٥-٣٣- إثبات البعث وتهديد منكره،
وتوجيهات للنبي ﷺ.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٦-١- جزاء وأحوال الكفار والمؤمنين،
والأمر بالجهاد وثوابه.

١٤-٧- شروط النصر للمؤمنين، وخذلان
الكافرين وجزاء الفريقين.

١٩-١٥- ما أعد الله للمؤمن والكافر،
والأمر بالعلم والاستغفار.

٣٤-٢٠- أحوال المنافقين والكافرين
وعاقبتهم، وذكر ابتلاء المجاهدين.

٣٨-٣٥- الأمر بطاعته ﷺ، وذكر حقيقة
الدنيا، والأمر بالإنفاق والجهاد.

سُورَةُ الْبَنَاتِ

٧-١- صلح الحديبية.

١٠-٨- وظيفة الرسول ﷺ وبيعة
الصحابه.

١٦-١١- حقيقة المنافقين وعاقبتهم.

٢٦-١٧- بيعة الرضوان ونتائج الصلح.

٢٩-٢٧- تحقيق رؤيا الرسول ﷺ، وذكر
بعض أوصافه ﷺ وأصحابه.

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

٥-١- أدب التعامل مع الرسول ﷺ.

٨-٦- التثبت من الأخبار.

١٢-٩- توجيهات للمؤمنين بفئاتهم - في
حال الخلاف والافتتال بالإصلاح -

التأكيد على الأخوة الإيمانية - النهي
عن السخرية والتنازع بالألقاب -
اجتناب الظن.

١٨-١٣- فضل التقوى، وحقيقة الإيمان،
وذكر علم الله تعالى.

سُورَةُ قَتَادَةَ

١١-١- إنكار المشركين للبعث وأدلة
ثبوتهم.

١٥-١٢- تذكير بالأمم السابقة.

٣٠-١٦- خلق الإنسان وعلمه وأحواله،
وحقيقة الموت والبعث، وحوار الكافر مع
قرينه.

٣٥-٣١- ثواب المؤمنين وصفاتهم.

٤٥-٣٦- التذكير بهلاك السابقين، وذكر
قدرة الله في الخلق، وتوجيهات له ﷺ.

سُورَةُ الذَّارِعَاتِ

٤-١- الحديث عن آية من آيات الله
العظيمة وهي (الرياح) وعملها،
والحديث عن بعض أصناف الملائكة.

١٤-٥- إثبات البعث وعاقبة منكره.

٢٣-١٥- جزاء المتقين وأوصافهم، وآيات
الله تعالى وعظمة قدرته.

٣٧-٢٤- قصة ضيف إبراهيم.

٥١-٣٨- ذكر بعض الأنبياء، وقدرة الله
تعالى في الكون.

٦٠-٥٢- المعرضون عنه ﷺ، وعاقبة
الظالمين.

سُورَةُ الطُّورِ

٢٨-١- إثبات العذاب للمكذابين، والنعيم
للمتقين وأنواعه.

٤٧-٢٩- مناقشة عقيدة الكفار.

٤٩-٤٨- توجيهات للرسول ﷺ.

سُورَةُ الْجُثَّةِ

١٨-١- إثبات الوحي.

٣٠-١٩- مناقشة عبدة الأصنام.

٣٢-٣١- جزاء المسيئين والحسنين

وأوصافهم.

٤١-٣٣- توبيخ لابن المغيرة بسبب كفره
واعراضه.

٦٢-٤٢- قدرة الله تعالى، وذكر اقتراب
الساعة.

سُورَةُ الْفَجْرِ

٨-١- معجزة انشقاق القمر وموقف
المشركين منه.

٢٢-٩- قصة نوح، وعاد قوم هود.

٥٣-٢٣- تهكم كفار قريش ومصير
المجرمين.

٥٥-٥٤- جزاء المتقين.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

٢٥-١- التعريف بالرحمن وعنايته
بالإنسان، وذكر نعم الله على العباد.

٣٠-٢٦- البقاء لله تعالى وحده.

٣٦-٣١- عجز الثقلين أمام قدرة الله.

٤٥-٣٧- عاقبة المجرمين في الآخرة.

٧٨-٤٦- وصف جنات النعيم.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

١٤-١- أهوال يوم القيامة.

٢٦-١٥- نعيم أصحاب النعيم.

٥٦-٢٧- أصحاب اليمين وأصحاب
الشمال.

٧٤-٥٧- نعم الله الدالة على فضله
وقدرته.

٨٧-٧٥- عظمة القرآن الكريم.

٩٦-٨٨- جزاء المقرين وعاقبة المكذابين.

سُورَةُ الْحَزَنِ

٦-١- تسبيح لمن بيده كل شيء.

١١-٧- الدعوة للإيمان والإنفاق، وذكر
مهمته ﷺ، وتأكيد الدعوة للإنفاق.

١٢- جزاء المؤمنين.

١٥-١٣- حوار المنافقين مع المؤمنين يوم
القيامة.

١٩-١٦- توجيهات للمؤمنين وجزاؤهم
وجزاء الكافرين.

٢١-٢٠- حقيقة الدنيا والعمل الصالح.

٢٤-٢٢- الإيمان بالقضاء والقدر، والنهي
عن البخل.

٢٧-٢٥- الحكمة من إرسال الرسل.

٢٩-٢٨- أمر أهل الكتاب بالإيمان.

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

- ٤-١- الظهار وكفارتة.
٦-٥- تهديد الكافرين.
٧- إحاطة علم الله بكل شيء.
٨-١٣- أدب المناجاة وصدقته له ﷺ وأداب المجلس.
١٤-٢١- موالاة الكفار وعاقبتها، ونصرة الله لرسله عليهم السلام.
٢٢- صفات المؤمنين وجزاؤهم.
- ### سُورَةُ الْحَبَّةِ
- ١-٥- إجلاء بني النضير.
٦-٧- حكم الفيء.
٨-١٠- فضل فقراء المهاجرين والأنصار.
١١-١٧- موالاة المنافقين لليهود وخذلانهم وجزاؤهم.
١٨-٢١- الأمر بالتقوى، والتحذير من الفسق، وذكر مقارنة بين أهل النار وأهل الجنة، وقوة القرآن الكريم.
٢٢-٢٤- من أسماء الله الحسنى.
- ### سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ
- ١-٣- النهي عن موالاة الكفار وحقيقتهم.
٤-٧- قصة إبراهيم.
٨-٩- أحكام علاقة المسلمين بالكفار.
١٠-١٣- أحكام النساء المهاجرات ومبايعتهن، وتأكيدهن النهي عن موالاة الكفار.
- ### سُورَةُ الضُّحَى
- ١-٤- تساييح الله، وذكر توجهات للمؤمنين، والحث على الجهاد.
٥-٩- قصة عيسى وموسى.
١٠-١٤- أسس التجارة الرباحة.
- ### سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
- ١-٤- تسبيح الله، ومهمته ﷺ.
٥-٨- ضرب مثل لليهود وإقامة الحجة عليهم.
٩-١١- من أحكام صلاة الجمعة.
- ### سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ
- ١-٨- خصال المنافقين والرد عليهم.
٩-١١- توجيهات للمؤمنين.
- ### سُورَةُ النَّجْمِ
- ١-٧- مقابلة الإنسان لفضل الله ونعمه بالاحود، والتذكير بمصير الكافرين من السابقين ودحض مزاعمهم.

- ٨-١٠- إنكار المشركين للبعث وعقابهم وثواب المؤمنين.
١١-١٨- توجيهات للمؤمنين.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

- ١-٧- من أحكام الطلاق والعدة والسكنى والنفقة.
٨-١٢- تحذير المعاندين ووعد المؤمنين، والتذكير بقدرة الله تعالى.
١-٥- قصته ﷺ وبعض أزواجه.
٦-٨- نداء للمؤمنين والكافرين.
٨-٩- الحث على التوبة، ونداء له ﷺ بوجوب جهاد الكفار.
١٠-١٢- ضرب مثيل لنساء كافرات ومؤنات.

سُورَةُ الْمَلِكِ

- ١-٥- من مظاهر قدرة الله تعالى.
٦-١٢- عاقبة الكفار واعترافهم بذنبهم، وذكر أجر أهل الخشية.
١٣-٢٢- علم الله تعالى ونعمه، وتهديد الكفار وتوبيخ المشركين.
٢٣-٢٧- قدرة الله في الخلق والحشر.
٢٨-٣٠- النجاة والرزق بيد الله.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

- ١-١٦- تأييده ﷺ وذكر خلقه العظيم، والاشارة إلى صفات المكذبين.
١٧-٣٣- قصة أصحاب الجنة.
٣٤-٤٧- إقامة الحجة على المجرمين.
٤٨-٥٢- أمره ﷺ بالصبر.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

- ١-١٢- أهوال يوم القيامة، وذكر هلاك المكذبين.
١٣-١٨- من أهوال يوم القيامة.
١٩-٣٧- مصير جزاء أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.
٣٨-٥٢- حقيقة القرآن وتنزيهه.

سُورَةُ الْمَجَلَّةِ

- ١-١٨- أهوال يوم القيامة.
١٩-٢١- طبيعة الإنسان.
٢٢-٤٤- صفات المؤمنين وأفعال الكافرين وجزاؤهم.

سُورَةُ نوحٍ

- ١-٤- قصة إرسال نوح إلى قومه.
٥-٢٨- شكوى نوح من قومه...

سُورَةُ الْبَنَاتِ

- ١-١٧- إيمان الجن بالقرآن الكريم وأنواعهم وعقائدهم.
١٨-٢٥- توجيهات إلهية له ﷺ.
٢٦-٢٨- لا يعلم الغيب إلا الله.
١-١٠- توجيهات إلهية له ﷺ.
١١-١٩- تهديد المكذبين بيوم الدين.
٢٠- فضل قيام الليل وتوجيهات للمؤمنين.

سُورَةُ الْمُنَادِ

- ١-١٠- توجيهات له ﷺ، وتهديد الكاذبين بأهوال يوم القيامة.
١١-٣٧- قصة ابن المغيرة ووعيده، ووصف جهنم وخزنتها.
٣٨-٥٣- أسباب عذاب المجرمين.
٥٤-٥٦- حقيقة القرآن.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

- ١-١٩- إثبات وقوع البعث، وذكر حرص النبي ﷺ على حفظ الوحي وتطمينه ﷺ.
٢٠-٤٠- أحوال الناس يوم القيامة، والحديث عن الاحتضار، وإثبات البعث.

سُورَةُ الْأَنْشَاءِ

- ١-٣- خلق الإنسان وهدايته لأحد السبيلين.
٤-٢٢- عذاب الكافرين ونعيم الأبرار يوم القيامة.
٢٣-٣١- توجيهات للرسول الكريم ﷺ وللمؤمنين.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

- ١-١٥- قيام الساعة وأهوالها.
١٦-٢٨- تخويف الكافرين بالهلاك وبقدرة الله تعالى.
٢٩-٤٠- تحذير الكافرين من أهوال يوم القيامة.
٤١-٥٠- جزاء المتقين وعاقبة المكذبين.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

- ١-١٦- إثبات البعث، وذكر مظاهر قدرة الله تعالى ونعمه.
١٧-٤٠- قيام الساعة وأهوالها والجزاء.

سُورَةُ الْبَارِعَاتِ

- ١-١٤- أهوال الساعة.
١٥-٢٦- قصة موسى وفرعون.

٢٧-٤٦- مظاهر قدرة الله تعالى، والعودة للحديث عن أهوال يوم القيامة.

سُورَةُ عَبَسَ

١-١٦- عتاب الله له ﷺ بشأن ابن أم مكتوم، وذكر نعم الله تعالى على عباده.

١٧-٣٢- أهوال القيامة وذكر الجزاء.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

١-١٤- أهوال يوم القيامة.

١٥-٢٩- القسم على صدقه ﷺ، وذكر حقيقة القرآن الكريم.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

١-١٩- أهوال يوم القيامة، وتوبيخ الإنسان لنسيانه عظمة الله تعالى، وذكر نعيم الأبرار وجحيم الفجار.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ

١-٦- تهديد المطففين بعذاب يوم القيامة.

٧-٢٨- الجزاء يوم القيامة.

٢٩-٣٦- معاملة المجرمين للمؤمنين في الدنيا وجزاؤهم.

سُورَةُ الْاَشْفَقِ

١-١٥- أهوال يوم القيامة، وجزاء أصحاب اليمين والشمال.

١٦-٢٥- القسم بوقوع القيامة ومصير الناس.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

١-١٦- عذاب أصحاب الأخدود، ووعيد من يفتنون المؤمنين، وثواب المؤمنين، وتهديد الكافرين بقدرة الله تعالى.

١٧-٢٢- قصة هلاك فرعون وثمود، وذكر مكانة القرآن الكريم.

سُورَةُ الطَّارِقِ

١-١٧- تعريف النجم الثاقب، وتذكير الإنسان بمراحل خلقه، وذكر تهديد الكافرين.

سُورَةُ الْاَعْلَى

١-٨- مظاهر قدرة الله تعالى، وذكر توجيهات للنبي ﷺ والمؤمنين.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

١-١٦- أهوال يوم القيامة على الكافرين، وذكر نعيم المؤمنين في الجنة.

١٧-٢٦- من مظاهر قدرة الله تعالى، وذكر إثبات وقوع البعث.

سُورَةُ الْفَجْرِ

١-٢٠- القسم بهلاك المكذبين لرسولهم، وذكر طبيعة من ينسى ربه.

٢١-٣٠- أهوال القيامة ومصير المؤمنين.

سُورَةُ الْبَلَدِ

١-٧- اغترار الإنسان بقدرته وماله.

٨-٢٠- نعم الله على الإنسان، وذكر مصير أصحاب اليمين والشمال.

سُورَةُ الْيُنُسِ

١-١٥- القسم بمظاهر قدرة الله تعالى، وذكر قصة ثمود والناقة.

سُورَةُ الْاَلْيَافِ

١-٢١- القسم بمظاهر قدرة الله تعالى، وذكر عاقبة البخل، وعاقبة المكذبين النار ونجاة المتقين منها.

سُورَةُ الضُّحَى

١-١١- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، وذكر بعض التوجيهات له ﷺ.

سُورَةُ الشُّرَحِ

١-٨- مكانة الرسول ﷺ عند الله سبحانه وتعالى، وفضله تعالى عليه ﷺ، والتبشير بالتيسير.

سُورَةُ التِّيْنِ

١-٨- تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان، وانحطاطه بالكفر.

سُورَةُ الْعَلَقِ

١-١٩- الأمر بالقراءة والعلم والكتابة، وذكر طبيعة الإنسان ونسيانه للأخرة، وتهديد للطغاة.

سُورَةُ الْبَلَدِ

١-٥- فضائل ليلة القدر.

سُورَةُ الْبَنَاتِ

١-٨- مهمة النبي ﷺ وفضيلة القرآن الكريم وافتراق أهل الكتاب فيه، ووعيد الكافرين وبشرى المؤمنين.

سُورَةُ الزَّلَازِلِ

١-٨- أهوال يوم القيامة...

سُورَةُ الْعَنَادِيَةِ

١-٥- القسم على جحود الإنسان لنعم

ربه وحبه للمال.

سُورَةُ الْفَتَاخَةِ

١-١١- أهوال يوم القيامة ومشاهدها...

سُورَةُ النَّكَارِ

١-٨- طول الأمل في الدنيا والتخويف من الجحيم.

سُورَةُ الْغَصَةِ

١-٣- حال الكافر والمؤمن.

سُورَةُ الْهَمَزَةِ

١-٩- توعيد المستهزئين بالمؤمنين وجامعي المال بالعذاب في الآخرة.

سُورَةُ الْفَتِيلَةِ

١-٥- قصة أصحاب الفيل.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

١-٤- نعم الله تعالى على قريش ودعوتهم لعبادته وحده سبحانه.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

١-٧- صفات المنكر ليوم الحساب والمنافق.

سُورَةُ الْبَكْرَةِ

١-٣- فضل الله على رسوله الكريم ﷺ.

سُورَةُ الْكَافُرَةِ

١-٦- وجوب البراءة من الكافرين ودينهم ومعبوداتهم.

سُورَةُ النَّصْرِ

١-٣- توجيه الرسول ﷺ للاستغفار لنصره وتأييده.

سُورَةُ الْمَسَدِ

١-٥- توبيخ لأبي لهب وزوجته ومصيرها.

سُورَةُ الْاِخْلَاقِ

١-٣- توجيه النبي ﷺ بإثبات التوحيد ونفي الشرك.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

١-٥- الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من شر جميع المخلوقات.

سُورَةُ النَّاسِ

١-٦- الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من شياطين الجن والإنس.

فهرس لموضوعات القرآن

التاريخ والقصص القرآني

- آدم وإبليس: ٢، ٣٨-٣٠^(١)، ١١٧-٢٥، ١٥-٢٨، ٤٢-١٧، ٦١-٦٥، ١١٥-١٢٣، ١٢٨-٧١، ٨٥-٦٣، بنو إسرائيل: ٢، ٤٠-٤٤، ٤٧-٦١، ٦٣-١٠٣، ١١١ و ١١٣ و ١٢٠-١٢٣ و ١٣٥ و ١٤٠ و ١٤٦ و ١٤٦-٢٤٦، ٢٥١، ١٨٧، ٥١٤ و ١٥٣-١٦١، ١٢٥ و ١٣ و ١٨-٢٦ و ٣٢ و ٤١ و ٤٢ و ٦٠ و ٦٤ و ٧٠ و ٧٨-٨٢، ١٤٦، ١٣٨٧-١٦٩، ٩، ٣٤-٣٠، ٨٣، ٩٣، ١٤-٨، ٤١٧ و ٧ و ١٠٤، ٢٠، ٨٠، ٨١، ٢٨ و ٤٨، ٤٠، ٣٤، ٣٥، ٤١، ٤٥، ٤٤، ٣٠-٣٣، ١٦٤٥ و ١٧، ٥٦١، ٦٢ و ٦ و ٨.
- ذبح البقرة: ٦٧-٧٤.
- هاروت وماروت: ١٠٢٢.
- بناء البيت: ١٢٤-١٢٩.
- الذين خرجوا من ديارهم: ٢٤٢٢.
- طالوت: ٢٤٦-٢٥١.
- التمرود: ٢٥٨٢.
- العزير: ٢٥٩٢.
- امراة عمران: ٣٥٣-٣٧.
- زكريا ويحيى: ٣٨٣-٤١، ١٩-١٥.
- مريم وعيسى: ٤٢٣-٥٣، ١٦-٣٣.
- عيسى والحواريون: ٥٢٣-٥٤، ١١٢٥-١١٥، ١٤٦١.
- رفع المسيح: ١٥٦-١٥٩.
- الأرض المقدسة: ٢٠-٢٦.
- ابنا آدم: ٢٧٥-٣١.
- المائدة: ١١٢-١١٥.
- إبراهيم: ٧٤-٨١، ٢١-٥١، ٧٣-٦٩، ٢٦-١٠٤، ٢٧-١٦.
- إبراهيم والأصنام: ٢١-٥١، ٧٣-٦٩، ٢٦-٨٩، ٣٧-٨٣، ١٠٠.
- أصحاب الأعراف: ٤٤-٥١.
- نوح: ٥٩٧-٦٤، ١٠-٧١، ٧٣-١١، ٢٥-٤٩، ٢١-٧٦، ٧٧، ٢٣-٢٩، ٢٦-١٠٥، ١٢٢، ٢٩، ١٤ و ١٥، ٣٧-٧٥، ٨٢، ٥٤-٩، ١٧-١، ٧١-٢٨، هود: ٧٢-٦٥، ١١-٥٠، ٦٠-٢٦، ١٢٣-١٤٠، ٤٦-٢١، ٢٦-١٨، ٥٤-٢٢.
- ^(١) الرقم الأحمر رقم السورة التي ذكر بها الموضوع، والرقم الأسود رقم الآية التي ذكر بها الموضوع.

- صالح: ٧٣٧-٧٩، ١١-٦١، ١٥-٨٠، ٨٤-٢٦، ١٤١-١٥٩، ٢٧-٤٥، ٥٣-٢٣، ٣٢-١٥٩، ١١-٧٧، ٨٣، ١٥-٥٩، ٧٧-٢٦، ١٦٠-١٧٥، ٢٧-٥٨، ٢٩-٣٥، ٣٧-١٣٣، ١٣٨-٤٠، ٥٤-٣٣.
- شعيب: ٨٥٧-٩٣، ١١-٨٤، ٩٥-٧٨، ٧٩، ٢٦-١٧٦، ١٩١، ٢٩-٣٦، ٣٧.
- موسى: ١٠٣٧-١٥٦، ١٠-٩٢، ١١-٩٦، ٩٩، ١٧-١٠١، ١٠٤-٩٨، ٢٠-٢٣، ٤٥-٥٠، ٢٥-٣٥، ٤٠، ٢٦-١٠، ٦٨-٧٢٧، ١٤-٢٨، ٤٨، ٤٠، ٢٣-٣٧، ٤٣-٤٦، ٥٦، ٤٠، ٤١، ١٥٧٩-٢٦.
- قوم فرعون: ١١٣، ١٠٣٧-١٢٨.
- موسى والسماري: ٢٠-٨٦، ٩٨.
- توجه موسى إلى مدين ولقاؤه بالرجل الصالح: ٢٨-٢٩، ٣٢.
- أصحاب السبت: ١٦٣-١٦٨.
- بلعام: ١٧٥٧-١٧٦.
- غرق فرعون: ٩٠-٩٣.
- نوح والفلك: ١١-٣٦، ٤٨، ٢٣-٢٩.
- يوسف: ١٢-٢٢.
- امراة العزيز: ١٢-٢٣، ٢٩.
- يوسف مع امراة العزيز والنسوة: ١٢-٣٠، ٣٥.
- السجينان: ١٢-٣٦، ٤٢.
- رؤيا الملك والتمكين ليوسف: ١٢-٤٣، ٥٧.
- قصة مجيء إخوة يوسف ودخولهم عليه ولقائه بأبيه: ١٢-٥٨، ١٠١.
- الرسل والكافرون: ١٤-٩، ١٧.
- الشیطان يوم القيامة: ١٤-٢٢.
- أصحاب الكهف: ٩-٢٦.
- صاحب الجنين: ١٨-٣٢، ٤٤.
- موسى والخضر: ١٨-٦٠، ٨٢.
- ذو القرنين: ١٨-٨٣، ٩٨.
- داود وسليمان: ٢١-٧٨، ٨٢، ٢٧-١٥، ٤٤، ٣٤، ١٠-١٤، ٣٨-١٧، ٤٠.
- أيوب: ٢١-٨٣، ٨٤-٤١، ٤٤.
- يونس: ٢١-٨٧، ٣٧-١٣٩، ١٤٨-٤٨، ٥٠.
- يأجوج ومأجوج: ١٨-٩٤، ٢١-٩٦.
- الدعوة للنظر في عاقبة الماضين: ٢٢، ٤٦، ١٣٧، ١١٦، ١٢-١٠٩، ١٦-٣٦، ٢٢-٤٦، ٢٧-٦٩، ٣٠-٩٣، ٢٦-٣٥، ٤٤.

- الدروس والعبر من قصص الأمم السابقة: ١٣٣، ٦٦ و ٤٢-٤٥، ٤٧-٧ و ٩٤ و ٩٥، ٨، ٥٢-٥٩، ٦٩ و ٧٠، ١٠-١٣ و ١٤، ١٢-١٠٩، ١١١.
- الافك: ٢٤-١١، ٢٠.
- سليمان والنملة والهدد ومملكة سبأ: ٢٧، ١٨-٤٤.
- أم موسى: ٢٨-٩، ٧.
- قارون: ٢٨-٧٧.
- لقمان وابنه: ٣١-١٩.
- مملكة سبأ: ٣٤-١٩.
- أصحاب القرية: ٣٦-٢٩.
- فداء إسماعيل: ٣٧-١٠١، ١١٣.
- إلياس: ٨٦٦، ٣٨-٤٨.
- الخصمان: ٢٨-٢٦.
- مؤمن آل فرعون: ٤٠-٢٨، ٤٦.
- أصحاب الجنة: ٦٨-١٧، ٣٣.
- أصحاب الأخدود: ٨٥-٩.
- أصحاب الرس: ٢٥-٣٨، ٣٩ و ١٢-١٤.
- أصحاب الأيكة وقوم تبع: ٥٠-١٤.
- أصحاب الرقيم: ١٨-٩.
- المؤتفكات: ٩، ٧٠، ٦٩-٩.
- الأسباط: ٢، ١٣٦ و ١٤٠، ٣، ٨٤، ٤، ١٦٣، ٧، ١٦٠.
- فارس والروم: ٣٠-٥.
- أصحاب الفيل: ١٠٥-٥.
- أبو لهب: ١١١-٥.
- أنبياء ذكروا في القرآن الكريم**
- آدم: ٢، ٣٠-٣٤، ٣٣ و ٥٩، ١١٧ و ١٢ و ١٩-٢٣، ٢٠-١١٢، ١٢٢.
- إبراهيم: ٢، ١٢٤-١٣٣ و ١٣٥ و ١٣٦ و ٢٥٨ و ٢٦٠، ٢٦، ٣٣ و ٦٨-٦٥ و ٩٧-٩٥، ٤، ٥٤ و ١٢٥ و ١٦٣، ١٦-٧٤، ٨١ و ٨٣ و ١٦١، ١١٤، ١١، ٦٩-٧٦، ١٢، ٣٨، ١٤-٣٧، ١٥-٥١، ١٦، ١٢٠-١٢٣، ١٩، ٤١ و ٥٨، ٢١-٥١، ٢٦، ٢٢ و ٢٧ و ٧٨، ٤٣-٢٦، ٢٨، ٥٣، ٣٦ و ٣٧، ٥٧، ٢٦، ٦٠-٤٦.
- إدريس: ١٩ و ٥٦ و ٥٧، ٢١-٨٥ و ٨٦.
- إسحاق: ٢، ١٣٦ و ١٤٠، ٣، ٨٤، ٤، ١٦٣، ٨٤، ٦، ١٢ و ٦١، ٣٨ و ٤٩، ١٩، ٥٠، ٢١ و ٧٢ و ٧٣، ٣٧ و ١١٢ و ١١٣، ٣٨-٤٧.
- إسماعيل: ٢، ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٣٦، ٣، ٨٤، ٨٦، ١٩، ٥٤ و ٥٥، ٢١-٨٥ و ٨٦، ٣٨، ٤٨.

صفات الله تعالى:

قدرته تعالى: ١٠٦ ٢ و ١٤٨ و ٢٥٩ و ٣٠٢٨٤
 ٢٦ و ١٨٩ و ١٣٣٤ و ١٧٥ و ١٢٠ و ١٧٦ و ٣٩٩
 ٤١١ و ٣٩٤٣ و ٤٢٤٣
 علمه تعالى: ٣٠٢ و ٧٧ و ٢٥٥ و ٢٩٣ و ١١٩
 ٤ و ٧٠ و ١٨٠ و ٨٩٧ و ٣٦١٠ و ٦١ و ٢٣١٦
 و ٢٨ و ١٧ و ٢٥ و ٤٧ و ٥٤
 إرادته تعالى: ١١٧ ٢ و ١٨٥ و ٢٦٤ و ٢٨-١٠
 ١٠٧ و ١٠٧ ١١ و ١٠٧ ٢٢ و ١٤٨٥
 غناه تعالى: ٢٦٧ ٢ و ٩٧٣ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٤
 ٨ و ٢٩ و ٦٦٣
 مشيئته تعالى: ١٠٥ ٢ و ١٤٢ و ٢٦٣ و ٢٧
 ٤٨٤ و ٤٩ و ٣٩٦ و ١١١ و ١١٨ ١١ و ٢٧١٣
 و ٣١ و ٩٣ و ١٧ و ٥٤
 عدله تعالى: ٢٧٢ ٢ و ٢٨١ و ٢٥٣ و ١٠٨
 و ١١٧ و ٤٠٤ و ٤٩ و ١٢٤ و ٤٤١٠ و ٣٣١٦ و ٢٠
 ١١٢ و ٢٩ و ٤٠ و ٩٣٠ و ٣٦ و ٥٤ و ٣١ و ٤٠ و ٢٢
 ٥٩٥٠
 رحمته تعالى: ٦٤٢ و ١٠٥ و ٧٤٣ و ٨٣٤
 و ١٢٦ و ٩٦ و ٥٤ و ١٣٣ و ١٤٧ و ٥٦٧ و ٥٧
 و ١٥٦ و ٢٤ و ١٠ و ٤٠ و ٧٤٠
 غضبه تعالى: ٦١٢ و ٩٠ و ١١٢٣ و ٩٣٤ و ٥
 ٦٠ و ٧١٧ و ١٥٢ و ١٦٨ و ١٠٦١٦ و ١٠٢٠ و ٨١
 و ٨٦ و ٩٢٤ و ١٦٤٢
 رضاه تعالى: ٢٠٧٢ و ٢٦٥ و ١٥٣ و ١٦٢ و ٤
 ١٠٨ و ١١٩ و ٢١٩ و ٧٢ و ١٩٢٧ و ١٨٤٨
 ٥٧ و ٢٠ و ٢٢٥٨ و ٨٩٨
 حبه تعالى: ١٦٥٢ و ١٩٥ و ٢٢٢ و ٣١٣
 و ٧٦ و ١٣٤ و ١٤٦ و ١٥٩ و ١٣٥ و ٤٢ و ٤٩
 و ١٠٨ و ٦١ و ٤٨٧
 كلامه تعالى: ٧٥٢ و ١٧٤ و ٧٧٣ و ١٦٤٤ و ٦
 ٣٤ و ١١٥ و ١٤٣٧ و ١٤٤ و ٦٩ و ١٠٦٤ و ١٨
 ٢٧ و ١٠٨ و ٢٧٣١ و ٤٢ و ٥١ و ٤٨٨٥
 استواؤه على عرشه: ٥٤٧ و ٣١٠ و ٢١٣
 ٥٢٠ و ٢٥٩ و ٣٢ و ٤٥٧
 تفرده تعالى بالحكم: ١١٣٢ و ٢١٣ و ٢٣٣
 ٤١٤ و ١٥٠ و ٤٣ و ٥٧٦ و ٦٢ و ١١٤ و ٧
 ٨٧ و ١٠٩ و ١٠٢ و ٤٠ و ٦٧ و ١٣٤١ و ٢٦١٨
 ٢١ و ١١٢ و ٥٦ و ٦٩ و ٤٨٢٤ و ٥١ و ٧٨٢٧
 ٢٨ و ٧٠ و ٨٨ و ١٢٤٠ و ٨٩٥
 تفرده تعالى بالإحياء والإماتة: ٢٨٢
 و ٧٣ و ٢٥٨ و ٢٦٠ و ٢٧٣ و ١٥٦ و ٩٥٦ و ٧
 ١٥٨ و ١١٦٩ و ٣١٠ و ٥٦ و ٦٢٢ و ٦٦ و ٣٠
 ١٩ و ٤٠ و ٥٠ و ٣٦ و ٧٨ و ٧٩

إثبات صفة الوجه واليدين والعين: ٢٠
 ٣٩ و ٣٨ و ٧٥ و ٥٢ و ٤٨ و ٥٥ و ٢٦ و ٢٧
 مجيؤه تعالى: ٢١٠ ٢ و ٢٢٨٩
 صفات الله تعالى المضافة:
 أحكم الحاكمين: ٤٢ ١١ و ٨٩٥
 أرحم الراحمين: ٩٢ ١٢
 أسرع الحاسبين: ٦٢ ٦ و ١٤٨٥
 أهل التقوى وأهل المغفرة: ٥٦ ٧٤
 بديع السماوات والأرض: ١١٧ ٢ و ١٠١ ٦
 خير الحاكمين: ٨٧٧ و ١٠٩ ١٠ و ١٢ و ٨٠
 خير حافظ: ٦٤ ١٢
 خير الراحمين: ١٠٩ ٢٣ و ١١٨
 خير الرازقين: ١١٤ ٥ و ٥٨ ٢٢ و ٧٢ ٢٣ و ٣٤
 ٣٩ و ٦٢ و ١١
 خير الغافرين: ١٥٥ ٧
 خير الفاتحين: ٨٩٧
 خير الفاصلين: ٥٧ ٦
 خير الماكزين: ٥٤ ٣ و ٣٠ ٨
 خير المنزلين: ٢٩ ٢٣
 خير الناصرين: ١٥٠ ٣
 خير الوارثين: ٨٩ ٢١
 ذو الفضل العظيم: ١٠٥ ٢ و ٧٤٣ و ٢٩٨
 ٥٧ و ٢١ و ٢٩ و ٦٢ و ٤
 ذو انتقام: ٤٣ و ٩٥٥ و ٤٧ ١٤
 ذو الجلال والإكرام: ٢٧ ٥٥ و ٧٨
 ذو الطول: ٣٤٠
 ذو العرش: ١٥٤٠ و ١٥٨٥
 ذو عقاب أليم: ٤٣ ٤١
 ذو القوة المتين: ٥٨ ٥١
 ذو المعارج: ٣٧٠
 ذو رحمة واسعة: ١٤٧ ٦
 ذو فضل: ٢٤٣ ٢ و ٢٥١ و ١٥٢٣ و ١٧٤ و ١٠
 ٦٠ و ٢٧ و ٧٣
 رب العالمين: ٢١ و ٢٢ و ١٣١ و ٢٨٥ و ٤٥٦ و ٧١
 و ١٦٢ و ٥٤٧
 رب السماء والأرض: ٢٣ ٥١
 رب السماوات والأرض: ١٦ ١٣ و ١٧ ١٠٢
 ١٨ و ٢١ و ٥٦ و ٢٦ و ٢٤ و ٣٧ و ٥٣٧ و ٦٦ و ٨٢
 رب السماوات السبع: ٢٣ ٨٦
 رب الشعري: ٤٩ ٥٣
 رب كل شيء: ١٦٤ ٦
 رب الفلق: ١١٣ ١
 رب المشارق: ٥٣٧
 رب المشارق والمغارب: ٤٠ ٧٠

رب المشرق والمغرب: ٢٦ و ٢٨ و ٧٣ و ٩
 رب المشرقين ورب المغربين: ١٧ ٥٥
 سريع الحساب: ٢٠٢ ٢ و ١٩٣ و ١٩٩ و ٤٠ ٥
 سميع الدعاء: ٣٨ ٣ و ١٤ و ٣٩
 شديد العقاب: ١٩٦ ٢ و ١١٣ و ٢٥ و ١٣٨
 ١٣ ٦
 شديد العذاب: ١٦٥ ٢ و ١٤ و ٧ و ٢٢ ٢
 شديد المحال: ١٦٥ ٢ و ١٣ ١٣
 غافر الذنب: ٣٤٠
 فعال لما يريد: ١٠٧ ١١ و ١٦٨٥
 فائق الإصباح: ٩٦ ٦
 فائق الحب والنوى: ٩٥ ٦
 قابل التوب: ٣٤٠
 الملك الحق: ١١٤ ٢٠ و ٢٣ و ١١٦
 مالك يوم الدين: ٤١
 ملك الناس: ٢ ١١٤
 محيي الموتى: ٣٠ و ٥٠ و ٣٩ ٤١
 وظائف الملائكة:
 ملائكة الموت: ٩٧٤ و ٦١٦ و ٩٣ و ٣٧٧ و ٨
 ٥٠ و ٢٨ و ٣٢ و ١١ و ٢٧٤٧ و ٢٨
 ملائكة العذاب: ٣٩ و ٧١ و ٤٩٤٠ و ٤٣ و ٧٧
 ٦٦ و ٦٧ و ٨ و ٩ و ٧٤ و ٣١ و ١٧٩٦ و ١٨
 ملائكة الرحمة: ٢٣ ١٣ و ٢٤ و ٣٢ و ٣٩
 ٧٣ و ٤١ و ٣٠ و ٣١
 الملائكة الموكلون ببني آدم: ٢١ ١٠ و ١٣
 ١١ و ٤٣ و ٨٠ و ١٧٥٠ و ١٨ و ٨٢ و ١٠ و ١٢
 الملائكة حملة العرش: ٧٥ ٣٩ و ٧٤٠ و ٩
 ٦٩ و ١٧ و ٢٠٦٧ و ٢١ و ١٩
 و ٢٠ و ٣٧ و ١٦٤ و ١٦٦ و ٣٩ و ٧٥ و ٤٢
 الملائكة الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن
 الكريم:
 جبريل: ٤٦٦ و الروح الأمين: ٢٦ و ١٩٢
 ١٩٤
 روح القدس: ١٦ و ١٠٢
 مالك: ٤٣ و ٧٧ و ملك الموت: ٣٢ و ١١
 ميكال: ٩٨ ٢
 هاروت وماروت: ١٠٢ ٢
 الأنبياء والرسل:
 التصديق بالأنبياء واتحاد دعوتهم: ٤
 ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦ و ٣٦ و ٤٣ و ١٨ و ٥١ و ٢١
 ٢٥ و ٣٣ و ٧ و ٣٩ و ٦٥ و ٤٠ و ٧٨ و ٤٢ و ١٣
 ٤٥٤٣
 مهمة الرسل: ٢١٣ ٢ و ٢٥٣ و ١٦٥٤ و ٤٨٦
 ١٤ و ٤٤ و ١٦ و ٥٦ و ١٨ و ٢٠ و ١٣٤ و ٣٩ و ٤٢
 ٥١

المصطفون من الأنبياء والرسل: ١٣٠ ٢، ٣٣ ٣، ٣٤ و ١٤٤ ٧، ٢٢ ٧٥، ٢٧ ٥٩، ٣٨ ٤٥-٤٧.

تفضيل بعض الرسل على بعض: ٢٥٣ ٢، ٥٥ ١٧.

بشرية الرسل وتميزهم بالوحي: ٧٩ ٣، ١٤ ١٠ و ١١، ١٧ ٩٣ و ٩٤، ١٨ ١٠٠، ٢١ ٣٤، ٦٤١.

تذكير العباد بربهم وآلائه: ٧٥ ١١ و ٢٠، ٦ ٧٠، ٦٩ ٧٤ و ٧٤ و ٨٦، ٢٦٨ ٥٥، ٥٢ ٢٩ ٨٦، ٩ ٨٨، ٢٩ ٥٢.

أجر الأنبياء على تبليغ الدعوة: ٩ ٦، ١١ ٥١، ١٢ ١٠٤، ٢٥ ٥٧، ٢٦ ١٠٩، ٣٤ ٤٧، ٢١ ٣٨، ٢٣ ٤٢، ٥٢ ٤٠، ٦٨ ٤٦.

أسلوب الأنبياء في الدعوة: ١١-٨٤، ١٦ ١٢٥، ٢٠ ٤٣ و ٤٤، ٢١ ١٠٨-١١١، ٢٢ ٦٧-٦٩، ٢٦ ٢١٤-٢١٦، ٢٨ ٥٥ و ٥٦، ٢٩ ٤٦، ٤١ ٣٣-٣٥، ٤٢ ١٥، ٦١ ٥، ٧١ ٥-٢٠، ١٧ ١٩-١٧٧.

صبر الأنبياء على مشاق الدعوة: ٦ ٣٤، ١٠ ١٠٩، ١٢ ٩٠، ١٤ ١٢، ١٦ ١٢٧، ٣٠ ٦٠، ٤٠ ٧٧، ٤٦ ٣٥، ٦٨ ٤٨، ٧٠ ٥٧، ٧٤ ٧٦، ٢٤.

شهادة الأنبياء على أممهم: ١٤٣ ٢، ٤١ ٤، ١٦ ٨٤ و ٨٩، ٢٢ ٧٨، ٢٨ ٧٥، ٧٣ ١٥.

أخذ ميثاق الأنبياء: ٨١ ٣، ٧٣ ٧.

وجوب طاعة الأنبياء واتباعهم: ١٤٣ ٢، ٣ ٣١ و ٣٢، ٥٣، ٤٤ ٦٤، ٧٧ ١٥٧ و ١٥٨، ١٤ ٣٦، ١٦ ١٢٣، ١٩ ٤٣، ٢٠ ٩٠، ٢٦ ١٠٧ و ١٠٨، ٣٦ ٢٠ و ٢١، ٤٣ ٦٣، ٢٧١ ٣.

دين الإسلام:

حقيقة الإسلام: ٦١ و ١١٢ ٧، ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٥ و ١٤٢ و ٢٠٨، ١٩ ٣ و ٢٠ و ٥١ و ٦٧ و ٨٥ و ١٠١ و ١٢٥ ٤، ١٦ ١٣٦ و ١٥٣ و ١٦١ و ٢٩٧، ٢٩ ٣٣، ١٠ ٢٥، ١١ ٥٦، ١٢ ٤٠، ١٦ ٧٦، ١٩ ٣٦، ٢١ ٩٢، ٢٢ ٥٤ و ٧٨، ٢٣ ٥٢ و ٧٣، ٢٤ ٤٦، ٣٠ ٣٠ و ٤٣، ٢٢ ٣١، ٣٦ ٤٣ و ٦١، ٣٩ ٥٤، ٤١ ٣٣، ٤٢ ١٣ و ٥٣، ٤٣ ٤٣ و ٦١ و ٦٣ و ٢٤٨ و ٢٠ و ٢٨، ٦١ ٩٢، ٦٧ ٢٢، ١٣ ٧٢ و ٥٩٨.

دعوة العباد للإسلام: ٢١١ ٢ و ٢٨٥ ٣، ٦ ٧٠، ٢١ ٩٢، ٢٣ ٥٢، ٢٨ ٦١، ٣٢ ١٨، ٣٩ ١١-١٤، ٥٧ ١٦، ٨٧ ١٤، ٥٩٨.

الدين عند الله: ١١٢ ٢ و ٢١٣ و ١٩ ٣، ٨٣ و ٨٥ و ١٠٢ و ١٢٥ ٤، ٣٥ ١٤، ٦٠ ٧٠ و ١٢٥ و ١٦١ و ١٦٢ و ٢٧ ٩١، ٣٥ ٣٣، ١١ ١٢ و ٢٢ و ٢٢، ٤٠ ٦٦، ٤١ ٣٣، ٤٢ ١٣، ٤٥ ١٨ و ١٩، ٦١ ٩٧، ٧٢ ١٤، ٩٨ ٥، ١١٠ ١ و ٢٠.

لا إكراه في الدين: ٢٥٦ ٢، ١٠ ٩٩، ٢٩ ٢٢، ٧٨ ٤٢، ٨.

المسلمون: ١٣٢ ٢ و ١٣٦ و ٥٢ ٣، ٦٤ و ٨٤ و ١٠٢ و ١١٠، ١١ ١٦٣، ١٠ ٧٢، ١٦ ٨٩ و ١٠٢، ٢١ ١٠٨، ٢٢ ٧٨، ٢٣ ٥٢، ٢٧ ٨١ و ٩١، ٢٩ ٤٦، ٣٠ ٥٣، ٣٣ ٣٥، ٣٩ ١٢، ٤١ ٣٣، ٤٣ ٦٩، ٤٦ ١٥، ٤٨ ٢٩. الإخلاص في الدين: ١٠ ٢٢ و ١٠٥، ٢٩ ٢٩، ٣١ ٣٢، ٣٩ ٢ و ٣ و ١١ و ١٤ ٤٠، ٦٥ ٩٨، ٥.

الجاهلية: ١٥٤ ٣، ٥٠ ٥، ٢٨ ٦ و ١٣٦ و ١٤٠، ٣٣ ٣٣، ٤٨ ٢٦.

شعب الإيمان:

محبة الله تعالى ورسوله ﷺ: ٢ ١٦٥، ٣ ٣١ و ٣٢، ٥٤ ٥.

تعظيم النبي: ٦١ ٩ و ١٢٠ و ٢٤ ٦٣، ٣٣ ٢١ و ٤٠ و ٥٣، ٤٨ ٩، ٤٩ ٥١.

طلب العلم ونشره: ٧ ٣ و ١٨ و ١٨٧ و ٨٣ ٤، ١١٣ ١٢٢، ٣٥ ٢٨، ٣٩ ٩، ٤٧ ١٩، ٥٨ ١١.

الطهارة: ٦٥.

إقامة الصلاة: ١٤٣ ٢ و ٢٣٨ و ١٠٣ ٤، ١٩ ٥٩.

الزكاة: ٤٣ ٢، ١٨ ٣، ٩ ٣٤ و ٣٥، ٩٨ ٥.

الصيام: ١٨٣ ٢. الحج: ١٩٦ ٢، ٩٧ ٣.

الجهاد: ٢٤٤ ٢، ٥٤ ٥، ٨ ٦٥، ٩ ٧٣ و ١٢٣.

المرابطة في سبيل الله: ٣ ٢٠٠.

الإيضاء بالعقود: ٢٧ ٢، ١٥ ١، ٩ ٧٢، ١٦ ٩١، ١٧ ٣٤، ٢٣ ٨، ٣٣ ١٥.

الوفاء بالنذر: ٢٧٠ ٢، ٢٢ ٢٩، ٧٧ ٧.

ترك الرياء: ٢٦٤ ٢، ٤٢ ٤، ٤٧ ١٨، ١١٠ ١٠٧، ٤-٧.

إخلاص العمل لله: ١٣٩ ٢، ٤٦ ٤، ٢٩ ٧، ١١ ١٥ و ١٦، ١٢ ٢٤، ١٩ ٥١، ٢٩ ١١ و ١٤، ٤٠ ١٤ و ٦٥، ٣٢ ٢٠، ٩٨ ٥.

محو الذنوب: ١٦٠ ٢، ٨٩ ٣، ٩٠ ١٣، ٤ ١٤٦، ٣٩ ٥، ٧٤ ٥٤، ٦ ٥٤، ١١ ٣، ٢٠ ٨٢، ٢٤ ٥ و ٣١، ٢٥ ٧٠ و ٧١.

تفويض الأمر لله: ١٧٢ ٣-١٧٤، ٦ ٥٠، ١٨٨ ٨، ٦٤ ٩، ١٢٩ ١٠، ٤٩ ١١، ٣١ ١٢، ٦٤ ١٨ و ٢٣ ٢٤، ٣٩ ٣٦، ٣٨ ٤٠، ٤٤ ٩٤، ٩.

التسليم لأوامر الله: ١١٢ ٢ و ١٥٥ و ١٥٧، ٣ ٢٦، ٦٥ ١٢٥ و ٧٩ ٦ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٨ ١٣ و ٢٢، ٢١ ١٠٨، ٢٢ ٣٩، ٢٢ ١٤-١٤ و ٥٤، ٤١ ٣٣.

الاستقامة على منهج الله: ٦١ ١٠، ٨٩ ١٩ و ٣٦ ١٩، ٤٣ و ٢٤ ٢٢، ٥٤ و ٧٣ ٢٣، ٢٤ ٤٦.

الرجاء في الله: ٢١٨ ٢، ٤٤ ١٠، ١٠ ٧-٩ و ١١ و ١٥، ١٢ ٨٣، ١٧ ٥٧، ١٨ ١١٠، ٢٥ ٢١، ٢٩ ٥ ٢١، ٣٣ ٢٩، ٦٠ ٦.

التمسك بمنهج الله: ١٤٥ ٧ و ١٧٠ و ١٧١، ١٩ ١٢.

الستر على أصحاب الذنوب: ٢٤ ١٩.

مباعدة الكافرين والمفسدين: ٣ ٢٨، ٩ و ٧٣ و ١٢٣، ٢٨ ١٧ و ٨٦.

بر الوالدين والإحسان إليهما: ٢ ٨٣، ٤ ٣٦، ١٥١ ٦، ١٧ ٢٣ و ٢٤، ١٨ ٨٠-٨١، ١٩ ١٤ و ٣٢، ٢٩ ٨، ٣١ ١٤ و ١٥، ٤٦ ١٥.

الإحسان لليتامى والمساكين وابن السبيل: ٨٣ ٢ و ١٧٧ و ٢١٥ و ٢٢٠ و ٢٤ ٣ و ٢٤ و ٨٠ و ١٠ و ٣٦ و ١٧ ٣٤، ١٨ ٨٢، ٣٠ ٣٨، ٥٩ ٧، ٨٧ ٨، ٨٩ ١٧، ٩٠ ١٥، ٩٣ ٩، ١٠٧ ٢.

طاعة الله ورسوله وأولي الأمر: ٣٢ ٣ و ٥٣ و ١٣٢، ٤ ١٣ و ٥٩ و ٦٤ و ٦٩ و ٨٠، ٩٢ ٥ و ١٠٨ و ١٥٧، ١٥٨ ١٨ و ٢٠ و ٢٤، ٧١ ٩، ١٠ ١٠٩، ١٣ ١٨، ١٨ ٦٩، ٢٤ ٥٤، ٢٤ ٥٦، ٣٣ ٣٦ و ٦٦ و ٧٠ و ٧١ و ٣٦ ٢٠-٢١، ٣٧ ١٠٢-١٠٥، ٤٢ ٢٦، ٤٢ ٣٨، ٤٧ ٦١، ٤٣ ٦١ و ٦٣، ٤٦ ٣١ ٤٧، ٤٨ ١٥، ٤٩ ١٤ و ٥٨ ١١ و ١٣ و ٥٩، ٧ ٦٤، ١٢ ١٦.

الاعتصام بحبل الله ونبذ التفرق: ٣ ١٠٣ و ١٠٥، ٤ ١٧٥، ٦ ١٥٩، ٢٢ ٧٨، ٣٠ ٣١ و ٣٢، ٤٢ ١٣.

حسن الخلق والعضو والصفح: ٢٣٧ ٢، ٣٤ ٣ و ١٥٩ و ١٤٩، ٤ ١٩٩، ٢٢ ٢٤.

الاقتصاد في النفقة: ١٧ ٢٩، ٢٥ ٦٧.

تحريم أعراض الناس: ٢٤ ١٩ و ٢٣.

اتخاذ العدل منهجاً للحياة: ٢ ٢٨٢، ٣ ٤ و ٥٨ و ١٣٥، ٨ ٥، ٦ ١٥٢، ٧ ١٥٩ و ١٨١، ١٦ ٩، ٤٢ ١٥، ٤٩ ٩.

التعاون على البر والتقوى: ٢٥.

تعليم الأهل أمور دينهم: ٦٦.

الافتداء بنهج الأنبياء واتباعهم: ٣
 ١٤٦-١٤٨، ٩٠٦، ٩٠٩، ١٠٩، ١١٩، ٢٩٤٨، ٦٠
 ٤-٦. العدل في الميزان: ١٥٢٦، ٨٥٧، ١٢
 ٥٩، ٣٥١٧، ٢٦، ١٨٢، ٧٥٥-٩.
 كراهية الخروج على أمر الله: ١١، ٨٨، ١٢
 ٣٣، ٢٠، ٧٢، ٧٤٩.
 الخوف من عقاب الله: ١٥٦، ١٠، ١٥، ٣٩
 ١٣، ٩٥٩.
 العزة على الكافرين: ٥٤٥، ١٢٣٩، ٤٨
 ٢٩، ٨٦٣، ٩٦٦.
 البراءة من الشرك وأهله: ١٩٦، ٧٨، ١٩
 ٣، ١١٤، ١١٠، ٤١، ٣٥١١، ٥٤، ٣٥١٤، ٣٦
 ٢٦، ٧٧-٧٥، ١٦٨، ٢١٦، ٢٨، ٢٧٣٤، ٤٠
 ٦٦، ٤٢، ١٥، ٤٣، ٢٦، ٢٧، ٤٦، ١٠٩-٦.
 المسارعة إلى فعل الخير: ١٤٨، ١١٤٣
 ١٣٣، ٤٨٥، ٨٤٢٠، ٢١، ٩٠، ٣٢٣٥، ٥٦
 ١٠-١٥، ٢١، ٢٧، ٢٦، ٨٣، ٢٦.
 طلب الرحمة من الله: ٢٨٦، ٨٣، ٢٣٧
 ١٤٩، ١٥١، ١٥١٠، ٨٦١٠، ٤٧١١، ٥٧١٧، ١٨
 ١٠، ٢٧، ١٩، ٩٣٩.
 محاسبة النفس: ١٠٥٥، ١٨٥٩، ١٩، ٧٥
 ٢، ٦٩، ٤٠، ٤١.
 إيثار الآخرة على الدنيا: ١٤٣-١٥، ١٨٥
 ٤٧٤، ٧٧، ٣٢٦، ٢٤١٠، ٢٦١٣، ٤٥-٤٦
 ٢٨، ٦٠، ٦١، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٢٩، ٦٤، ٣٣٣١
 ٤٠، ٣٩، ٤٢، ٣٦، ٤٣، ٣٥-٣٣، ٤٧، ١٤، ٥٧، ٢٠
 ٦٢، ١١، ٢٠، ٧٥، ٢١، ٢٧، ٢٧، ٣٦-٤٠
 ١٦٨٧، ١٧، ١٠٢، ٢٠.
 النظر والاعتبار: ١٣٧، ١١٦، ٤٦، ٦٥
 ٩٩، ٨٦، ١٠٣، ١٨٥، ٣٩١٠، ٧٣، ١٠، ١٠١
 ١٢، ١٠٩، ١٦، ٣٦، ٢١، ٢٧، ٦٩، ٢٨، ٤٠
 ٩٣٠، ٩٢، ٥٠، ٣٥، ٤٤، ٣٧، ١٣٦-١٣٨، ٤٠
 ٢١، ٨٢، ٤٧، ١٠، ٦٥٠، ٢٤٨٠، ٥٨٦، ٨٨
 ١٧-٢٠.
 الثبات عند الشدائد: ٢٤٩، ٢٥، ١٤٦٣
 ١٤٧، ٢٠، ٧٠، ٧٣، ٢٦، ٤٩-٥١، ٦٠.
 التفقه في الدين: ١٢٢٩، ١٦، ٤٣، ٤٤، ٢١
 ٧، ٢٥، ٧٣.
 الاستعانة بالله: ٢٠٠٧، ١٦، ٩٨، ١٩
 ١٨، ٢١، ١١٢، ٩٧، ٩٨، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٠
 ٢٧، ٥٦، ٤١، ٣٦، ٤٤، ٢٠، ١١٣، ٥١-١١٤، ٦٠
 التفكير في آيات الله الكونية: ١٦٤، ٣
 ١٩٠، ١٩١، ٥٠٦، ٩٥، ٩٩، ١٧٥٧، ١٧٦
 ٥١٠، ٦، ١٣، ٤-٢، ٤١، ١٦، ٥-١٧، ٢٥، ٥٠

١٩٢٩، ٢٠، ٤٤، ٨٣٠، ١٧-٢٥، ٤٦
 ٤٨، ٢٩٣١، ٣١، ٢٦، ٢٧، ٣٤، ٩، ٤٦
 ٢٦-٣٣، ٤٢-٧١، ٧٣، ٧٧، ٢٩٣٨، ٢١٣٩
 ٢٧، ٢٧، ٤٢، ٥٣٤٠، ٥٤، ٦٧، ٦٨، ٨١، ٣٤٣
 ٤٤، ٥٨، ٣٤٥، ٥-١٢، ١٣، ١١-٦٠، ٥١
 ٢٠، ٢١، ٤٧-٤٩، ٥٦، ٥٨-٧٤، ١٧، ٥٩
 ٢١، ١٩٦٧، ٤٨٦٩، ١٤٧١، ٢٠-٢٤، ٧٤-٥٤
 ٥٥، ٦٧٨-١٦، ٨٠، ٢٤، ٥٨٦-٧، ١٧٨٨-١٧
 ٢٠. الصدق: ١٧٧٢، ١٧٣، ١١٩٥، ١٠٥٧
 ١١٩٩، ١٢، ٥١، ١٩، ٥٠، ٥٦، ٢٦، ٨٤، ٢٣٣٣
 ٢٤، ٣٥، ٣٩، ٣٥-٣٣، ٤٩، ١٥، ٨٥٩.
 الحكمة: ١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٩
 ٣، ٤٨، ٤٦، ٥٤، ١١٣، ١٦، ١٢٥، ٣٩١٧
 ٢٣، ٣٤، ٤٣، ٦٣.
 الصبر: ٤٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٧٧
 ٢٥٠، ٢٠، ١٢٠، ١٢٥، ١٤٦، ١٨٦، ٢٠٠، ٤
 ٢٥، ٢٤٦، ٣٤٦، ١٢٦، ٤٦، ٦٥، ١٠٩١٠
 ١١، ١١، ٤٩، ١١٥، ١٢، ٨٣، ٩٠، ٢٢١٣
 ٢٤، ١٤، ٥، ١٢، ١٦، ٤٢، ٩٠، ١١٠، ١٢٦
 ١٢٧، ١٨، ٢٨، ٢٠، ١٣٠، ٨٣، ٨٥، ٢٢
 ٣٥، ٢٣، ١١١، ٢٥، ٢٠، ٧٥، ٧٦، ٢٨، ٥٤، ٨٠
 ٢٩، ٥٨، ٥٩، ٣٠، ٦٠، ٣١، ١٧٣١، ٣٥، ٣٨
 ٤٤، ٣٩، ١٠، ٤٠، ٥٥، ٧٧، ٤١، ٣٤، ٣٥، ٤٢
 ٤٣، ٤٦، ٣٥، ٤٧، ٣١، ١٠٣، ٣١
 العفة: ٢٧٣، ٦٤، ٢٥، ٥٥، ٢٤، ٣٠، ٣١
 ٦٠، ٢٩٧٠، ٣١.
 غض البصر وحفظ الفرج: ٢٧٣، ٢٥٦
 ٥٥، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٦٠، ٢٩٧٠، ٣١.
 الوسطية: ٢٩١٧-٣٠، ١٠، ٢٥، ٦٧، ٣٢٣٥
 شكر النعم: ١٦، ١١٤، ٤٣، ١٣، ٩٣، ١١
 التوكل على الله: ١٢٢، ١٥٩، ١٦٠
 ١٧٣، ٨١، ١٧١، ١١٥، ٢٣، ١٤، ١١، ١٢
 ٢٥، ٥٨، ٢٦، ٢١٧، ٥٦، ٣٠، ٢٩، ٧٣، ٩
 خشية الله: ٢٠، ٤٠، ٧٤، ١٥٠، ١٧٥، ٩٤
 ٧٧، ٨١، ٨٢، ٥٦، ١٥٤، ١٦، ٥٠، ٥١
 ٢٢، ١٦، ٣٧، ٣٩، ١٨٣٥، ٢٨، ١١٣٦
 ٣٩، ١٦، ٢٣، ٣٢، ٣٣، ٥٢، ٢٨-٢٥
 ٥٥، ٤٦، ٥٧، ١٦، ٥٩، ٢١، ١٢٦٧، ٢٧٧٠
 ٢٨، ١٣٧١، ١٤، ٩٧٦، ٩-١١، ٧٩، ٤٠، ٨٧، ١٠
 الخشوع لله: ٤٥٢، ١٩٩٣، ٢١، ٩٠، ٢٣٣
 ٣٣، ٣٥، ١٦.
 ذكر الله: ١٥٢، ١٩٨، ٢٠، ٢٠٣، ٤١٣
 ١٣٥، ١٩١، ١٠٣، ٤١، ٢٠٥٧، ٢٠، ١٣٠، ٢٩
 ٤٥، ١٧٣٠، ١٨، ٣٣، ٣٥، ٤١، ٤٢، ٣٧، ١٤٣

١٤٤، ١٨٣٨، ٣٩، ٤٥، ٤٠، ٥٥، ٣٩، ٤٠
 ٥٢، ٤٨، ٤٩، ٥٦، ٧٤، ٦٢، ١٠، ٧٣، ٨٠، ٧٦، ٢٥
 ١٨٧.
 كظم الغيظ: ٣، ١٣٤، ١٦، ١٢٦، ٤٢، ٣٧
 التواضع: ٥٤٥، ١٥، ٨٨، ١٧، ٣٧، ٢٤، ٣٠، ٢٥
 ٦٣، ٢٦، ٢١٥، ٢٨، ٨٣، ٣١، ١٩، ٤٨، ٢٩
 دفع السيئة بالحسنة: ١٣، ٢٢، ١٧، ٥٣، ٢٣
 ٩٦، ٢٥، ٧٠، ٢٧، ١١، ٢٨، ٥٤، ٤١، ٣٤
 فعل الخير: ٢، ١٤٨، ٣، ١١٤، ١١٥، ١٣٣
 ١٠، ٢٦، ٢٠، ١١٢، ٢١، ٩٠، ٢٣، ٥٦، ٦١، ٩٦
 ٢٨، ٥٤، ٣٢، ٣٥، ٤١، ٣٤، ٣٥، ٤٦، ٥٦، ١٠
 ١٥، ٩٨، ٨٧.
 الإيثار: ٩٥٩.
 الكرم: ٢، ١٧٧، ٢١٥، ٦٩، ٦٠، ١١، ٦٩، ٧٨
 ١٢، ٥٩، ٧٦، ٨، ٩٠، ١٤، ١٥، ١٦.
 الجود والسخاء: ٣، ١٣٣، ٤، ٣٧
 ٤٧، ٣٨، ٩٥٩.
 الإحسان للأقارب: ٢، ٨٣، ٤، ٨، ٣٦، ٤١
 ١٦، ٩٠، ١٧، ٢٦، ١٥، ٦٨، ٢٩، ٢٢، ٣٦، ٥١
 ٢٧، ٩٥٩، ٣٨، ٣٠، ٧٥٩.
 إكرام الجار: ٤، ٣٦.
 الإحسان إلى الضيف: ١١، ٦٩، ٧٨، ١٢، ٥٩
 الإعراض عن اللغو: ٢٣، ٣، ٢٥، ٧٢
 ٢٨، ٥٥، ٤٣، ٨٣.
 الوفاء بالعهد: ١٥، ١٠، ٧٥، ٩، ١٦، ٩١، ١٧
 ٣٤، ٢٣، ٨، ٢٣، ١٥، ٣٢٧٠.
 لين الخطاب: ٢، ٨٣.
 التناجي بالبر: ٥٨، ٩-١١.
 أداء الأمانة: ٢٣، ٨، ٢٣، ٢، ٢٨٣، ٥٨، ٢٧٨
 ٣٣، ٧٢، ٣٢٧٠.
 الإنفاق لله: ٦٤، ١٦، ٢، ١٩٥، ٢١٥، ٢٤٥
 ٤٠، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٠-٢٧٤، ٩٢٣
 ٨، ٦٠، ١٤، ٣١، ٧٥٧، ١٠، ١١، ١٠، ٦٣، ١١
 ٧٣، ٢٠.
 إخلاص العمل لله: ٢، ١٣٩، ٤، ١٤٦، ٢٩٧
 ١١، ١٥، ١٦، ١٢، ٢٤، ١٩، ٥١، ٢٣٩، ١١
 ٤٠، ١٤، ٤٠، ٦٥، ٤٢، ٢٠، ٩٨، ٥٠.
 محاسبة النفس: ١٠٥٥، ١٨٥٩، ١٩، ٧٥
 ٢، ٧٩، ٤٠، ٤١.
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٩، ١١٢
 ٣، ١٠٤، ١١، ١١٤، ١١٤، ١٥٧، ١٦٤
 ١٦٥، ١٦٧، ١٦، ٩٠، ٢٢، ٤١، ١٧٣١
 تذكر النعم: ٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٠٣، ٣٠، ٦
 ٧، ١١، ٢٠، ١١٠، ٢٦٧، ٦٩، ٧٤، ١٨١٦

و٥٣ و٧١ و٧٢ و٨١ و٨٣ و١١٤ و٣١ و٣١ و٣٧
 ٥٧، ٨٣٩، ٤٩، ١٣٤٣، ٤٩، ٨٤٩، ٣٥٥٤، ١١٩٣.
 صلاة الرحم: ١٤، ٧٥٨، ١٣، ٢٥، ٦٣٣، ٤٧
 و٢٣ و٢٢.
 الرحمة: ١٥٩٣، ٦١٩، ١٢٨، ١٠٧٢١، ٢٨
 ٢٧، ٢١٣٠، ٢٩٤٨، ٢٧٥٧، ١١٩٠-١٧.
 العون للمحتاج: ٢٣ و٢٤.
 الحياء: ٢٢ و٢٣ و٢٨ و٢٥.
 تقديم المشيئة: ١٨ و٢٢ و٢٣ و٣٩ و٤٠ و٧٤
 ٥٦، ٣٠٧٦، ٢٨٨١، ٢٩.
 إشاعة المحبة: ٦٣٨.
الديانات السابقة:
 أهل الكتاب "اليهود والنصارى": موقفهم
 من الإسلام: ١٠٥٢ و١٣٥ و١٤٤ و٧٢٣ و٧٣
 و١١٠-١١٢ و١٨٦ و٤٧٤ و١٥٥ و١٥ و١٨
 و١٩ و٧٧ و٣٠٩-٣٤ و١٩٨-٦.
 سعيهم لحرف المسلمين عن دينهم: ٢
 ١٠٩، ٦٩٣، ١٠٠ و١٤٩ و٢٦٠ و٣.
 كتمانهم وتلبيسهم الحق: ١٤٦٢ و١٧٤ و٣
 ٦٥-٦٨ و٧٠-٧٣ و٧٥ و١٨٧ و٤٤ و٤٥
 حسدهم للمؤمنين: ١٠٩٢، ١٠٤، ٥٩٥.
 استهزاؤهم بشعائر الإسلام: ١٨٦٣، ٥
 ٥٩-٥٧.
 وجود المؤمنين بينهم: ١١٣-١١٥ و١٩٩،
 ٤، ١٥٩، ١٦٢، ١٥٩٧، ١٠٧، ١٠٩، ٢٨
 ٥٢-٥٤، ٢٩، ٤٧.
 التساهل مع غير المحاربين منهم: ١٠٩٢
 و٢٥٦، ٢٠٣، ٢٩، ٦٠، ٩٠.
 العلاقة معهم: ١٠٥٢ و١٠٩ و٦٩-٦٤
 و٧٢-٧٥ و٩٨ و٩٩ و١١٠ و١١٣ و١١٩، ٤
 ١٢٣ و١٥٣ و١٥٩ و١٧١ و١٥٥ و١٩ و٥٩
 و٦٥ و٦٨ و٧٧ و٢٩، ٤٦، ٢٦٣، ٢٩، ٥٩
 ٢ و١١ و١٩٨ و٦٠.
بنو إسرائيل:
 تكليفهم وتذكيرهم بفضل الله عليهم: ٢
 ٤٠ و٥٨ و٦٣ و٦٤ و١٢٢ و١٢٣ و٢٠٥، ٧
 ١٣٧ و١٤١ و١٦٠ و١٦١ و١٦٤، ٦٠، ٨٠، ٨١
 ٢٨، ٥٤٤، ٣٠-٣٣، ٤٥، ١٦ و١٧.
 مواقفهم مع موسى وعنادهم للحق: ٥٤٢
 و٥٧ و٦٠ و٦١ و٦٧ و٧٤ و٢٠٥، ٢٦ و١٣٧
 و١٤١ و١٤٨ و١٥٠، ١٥١، ٨٣، ١٣، ٨، ٢١٧
 و٨٥ و١٠١ و١٠٤، ٦١، ٥٦.
 استكبارهم وقتلهم الأنبياء: ٨٧٢ و٩١ و٣
 ٥٤ و٥٥، ١٥٥، ١٥٨ و٦٤ و٧٠.

حججهم وفساد رأيهم: ٦١ و٦٨ و٧٠
 و٨٠ و٨١ و٨٨ و٩١ و١١١ و١١٣ و١٣٥
 و١٤٠، ١٥٣، ١٨٥ و٢٢ و٢٤.
 سوء سلوكهم وأفعالهم واتباعهم الهوى:
 ٢١ و٤٢ و٤٤ و٥٩ و٦٤ و٦٥ و٧٥ و٧٩
 و٨٣ و٨٦ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٣ و٩٦ و١٠٢
 و١٠٣ و١٤٠ و١٤٦ و٢٤٩ و١٨٧، ٥١٤
 و١٦٠ و١٦١ و١٣٥ و٣٢ و٤١ و٤٢ و٦٠
 و٦٤ و٧٠ و٧٩ و١٦٠ و١٦٤ و١٦٩ و٣٠٩
 و٣٢ و٩٣، ١٧، ٩٠ و١٨٧، ٩١ و٤٨، ٣٤٤
 و٣٥، ٤٤١، ٤٥.
 لا عهد لهم: ١٥٤ و١٥٥ و١٢٥ و١٣ و٧٠،
 ١٦٩، ٦١، ٥٦١.
 سوء عاقبتهم وغضب الله عليهم: ٧٨٥
 و٨٠، ١٤٦، ١٥٢، ١٦٢ و١٦٨، ١٧، ٤ و٧
 و١٠٤.
 حرصهم على الحياة: ٢ و٩٤ و٩٦ و٦٢، ٨
 أخبارهم وخبثهم: ٤٤ و٦٣ و٣١ و٣٤.
حدود المؤمنين معهم:
 النهي عن موالاتهم: ٥١ و٥٧ و٣٦٩.
 صفات من يتولاهاهم: ٥٢٥.
 بغضهم للمؤمنين: ٨٢٥.
 النصرى: مقالاتهم وعقائدهم: ٧١، ٤
 ١٧١، ١٧٥ و٧٢ و٧٤، ٣٠٩، ٣١ و١٩، ٨٨-٩٥.
 مناقشة القرآن لهم: ٥٩٣ و٦٠ و١٥٧، ٤
 و١٥٨ و١١٦ و١١٧ و١٠٦، ١١١، ٢٥، ٢
 ٤٣، ١٥، ٣٧٢.
 غلوهم وابتداعهم: ١٧١، ١٤٥، ٢٧٥٧.
 مدح المؤمنين منهم: ١٥٩، ٨٥-٨٢، ٢٨، ٥٤-٥٢.
 ذكر الحواريين: ٥٢٣، ١١١-١١٥، ١٤٦١.
 القسيسون والرهبان والأخبار: ٦٣٥
 و٨٢، ٣١ و٣٤.
 الصابئون: ٦٢٢، ٦٩، ١٧٢٢.
 المجوس: ١٧٢٢.
التعريف بالمؤمنين:
 صفات المؤمنين وأخلاقهم: ٣٢ و٤ و٤٦
 و١٨٦ و٢٠٧ و٢٦٢ و٢٧٤ و٧٣ و١١٤ و١٣٤-
 ١٣٦ و١٧١ و١٧٢ و١٩٠ و١٩١ و٥٥، ٣٦٦،
 ٢٠١٧، ٢٠٢، ٢٤-٢٨ و١٨١٣، ٢٤ و٢٢، ٢٢
 ٤١، ٢٣-١١، ٣٧٢٤، ٦٨٢٥، ٣٢٧، ٣٢٧،
 ٣١، ٤٣٣، ٣٥، ١٨٣٥، ٤٢، ٢٦ و٣٨، ٤٧، ٥٣
 ٣٢، ٢٢٧٠-٣٥، ٨٧، ١٤ و١٥.

ولاية الله لأهل الإيمان: ٢، ٢٥٧، ٥
 ٥٦ و٥٥، ١٢٧٦، ١٩٦٧، ٣٤٨، ٥١، ١٠
 ٦٢-٦٤، ٢٢، ٣٨ و٧٨، ٤٧، ١١.
 ما أعد الله للمؤمنين: ٢٥ و٢١٨ و٢٧٧،
 ٥٧٤، ٥٧٤، ١٢٢، ٤٢٧، ٤٢٨، ٧٢٩
 و١٠٠، ٩١٠ و١٠، ٩١٧، ٣١٨ و٣٠ و٣١
 و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و٦٠ و٦١ و٩٦ و٧٥ و٧٦
 و١١٢، ٧٠ و٢٩، ٧١ و٧٢٩، ٥٨، ١٥٣٠، ٣١
 و٨ و٩، ٣٢٣٥، ٣٣، ١١٣٦، ١١٥٢-٢٤، ٨٥
 و١١، ٦١٠، ٧٠.
 ما وعد الله به المؤمنين: ٢٦٢ و٢٦٨ و٣
 و١٧٠ و١٩٤ و١٩٥، ٩٥، ٤٨٦، ١٣٥ و٣٥٧،
 ٦٢ و٦٣ و١٣، ٣٥، ١٩، ٦١ و١٠٥ و١٠٦،
 ٥٥، ٢٤، ١٥، ٣٧، ١٧١-١٧٣، ٣٩، ٢٠، ٤٠
 و٨ و١٥، ٤٣، ٦٨ و٦٩، ٣٤٦، ١٣ و١٤ و٤٧
 و١٥ و٣٥، ٤٨، ٢٩.
 مثل أهل الإيمان: ١٠ و١٢.
 الإخلاص في الدين: ٢٢ و١٠، ٢٩، ٦٥، ٣١
 ٣٢، ٢٣٩ و١١ و١٤، ١٤٠، ٦٥ و٩٨، ٥٠.
 إخلاص العمل لله: ١٣٩٢، ١٤٦، ٢٩٧،
 ١٥ و١١، ١٦، ١٢، ٢٤، ١٩، ٥١، ٢٣٩ و١١
 و١٤، ١٤٠، ٦٥ و٤٢، ٢٠، ٩٨، ٥٠.
التعريف بالمنافقين:
 المنافقون: ٨ و٩ و١٣-١٦، ١١٩، ١٢ و١٢٠
 و١٦٧ و١٦٨، ٦٠ و٦١ و٨١ و٨٨ و٨٩
 و١٤٣-١٤٤، ٤١ و٥٢ و٨٠ و٨١ و٤٢٩ و
 ٤٥-٥٠ و٥٣ و٥٤ و٥٦ و٥٧، ١٣٣، ١٥، ٥٩
 ١١-١٣، ٤٧، ١٦، ٤٨، ٦، ١٣٥٧، ١٤ و١٦٣-
 ٨، ١٠٧، ٤-٧.
 ما ضرب الله به مثلاً للمنافقين: ٢
 ١٧-٢٠، ٦٠، ١٣.
أنواع الكفر، والتعريف بالكافرين
وصفاتهم:
 كفر الجهل والتكذيب: ٣٠٧ و١٩٩،
 ٢٧-٨٤.
 كفر الجحود: ٨٩٢، ٢٧، ١٤.
 كفر العناد والاستكبار: ٣٤٢، ١٢٧، ١٥
 ٣٣، ١٧، ٦١.
 كفر النفاق: ٨ و٩ و١٣-٣٠.
 كفر الإعراض: ٦٢ و٧٠، ٢٥، ٢١، ٢٤، ٤٢
 ٣٦، ٦٧، ٦٨، ٤٦، ٣٦.
 كفر الاستهزاء: ٤٠، ١٤٠، ٦٥ و٦٦، ٧٤، ٩
 ٤٥-٣٥.

صفات الكفار ومآلهم: ٢، ٧، ٤، ١٢، ٤١، ٣٧، ٣٨، ١٠، ٦، ١٣، ٢٦، ٢٥، ٣٢، ٣٣، ١٦، ١١٢، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٦، ٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٣٨، ١-٤، ٢٧، ٣٩، ٧، ٨، ٣٢، ٥٦-٥٩، ٦٣، ٧١، ٤٠، ٢٢، ٤٩، ٥٠، ٤١، ٢٦، ٢٧، ٤٥، ١١، ٣١، ٤٦، ٢٠، ٣٤، ٤٧، ١، ٣، ٨، ١٠، ١٢، ٣٢، ٣٤، ٥٠، ٢٤-٢٦، ٥١، ٦٠، ٥٤، ٨، ٥٧، ١٥، ٥٨، ٥، ٦٤، ٥، ٦، ١٠، ٧، ٦٦، ٧، ٦٧، ٢٠، ١٧٠، ٢، ٧٤، ٨-١٠، ٢٧٦، ٣، ٧٨، ٤٠، ٨٣، ٢٩-٣٦، ١٩٩، ٢٠.

تعنت الكفار: ١٠٨، ١١٨، ١٥٣، ٥٧٦، ٥٨، ٢٠٣، ٣٢٨، ٢٠، ١٠، ٥٢-٥٥، ٦١٣، ٧، ١٧، ٥٩، ٩٠-٩٣، ٢٠، ١٣٣، ٢١، ٣٨، ٣٩، ٢٢، ٤٧، ٢٥، ٩-٧، ٢١، ٢٦، ٢٠، ٢٧، ٧١، ٧٢.

الكفر يحبط العمل: ٣، ١١٧، ٨٨، ٥٤، ٩، ٥٥، ١٤، ١٨، ١٣، ١٠-١٠٥، ٢٤، ٣٩، ١٤٧، ٨، ٩، ٣٢.

تخلي المتبوعين عن أتباعهم: ٢، ١٦٦، ١٦٧، ٤٨، ١٠، ٢٨، ٢٩، ١٤، ٢١، ٢٢، ٢٩، ٢٥، ٢٣، ١٢، ٣٤، ٣١-٣٣، ٣٨، ٥٩، ٦١.

مخالفة الكافرين: ٢٨، ١١٨-١٢٠، ١٤٩، ١٣٨، ١٣٩، ٥٥-٥٧، ٨٠، ٨١، ٢٣، ٩، ٦٠، ١٣، ٩.

موقف الكفار من أهل الإيمان: ٢، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٧، ١٤٩، ٨٩، ١٠، ١٤، ٢، ٢٢، ٧٢، ٢٩، ١٢، ٨٣، ٢٩-٣٣.

تحسر الكفار على التفريط في الإيمان: ٦، ٢٧، ٣١، ٥٣، ١٠، ٥٤، ١٥، ٢، ٢١، ٩٧، ٢٣، ٩٩، ١٠٠، ١٢، ٣٣، ٦٤-٦٦، ٧، ٦٦، ٤٠، ٧٨.

توعد الشرك والكفر: ٢، ١٦٥، ٤٨، ١١٦، ١١٦، ٧٢، ٧٣، ١٦، ٧١، ١٤، ٣٠، ١١٧، ٢٥، ٦٨، ٦٩، ٣٤، ٤١، ٤٢.

البراءة من الشرك: ٢، ١٣٥، ٦٧، ٩٥، ٦، ١٤، ١٩٠، ١٠، ١٠٤، ١٠٥، ١١، ٥٤، ٢٣، ٩٢، ٣٤، ٢٧، ٧٢، ٢٠-٢٢، ٩٨، ٥، ٦.

الشبه التي يحتج بها المشركون: ٦، ١٤٨، ١٤٩، ٢٨، ١٠، ٧٨، ١٦، ٣٥، ٢١، ٥٢، ٥٣، ٣١، ٢١، ٣٩، ٤٣، ٢٠، ٢٢-٢٤، ٣١، ٥٧-٥٩.

توبيخ الكفار على عبادتهم لغير الله: ٤، ١١٧، ١١٨، ١١، ٦، ١٣٦، ٣٧، ١٩٠-١٩٣، ٢٢، ٧٣، ٢٩، ٢٥، ٣٤، ٤٠، ٤١.

توجه الكفار ودعائهم لغير الله: ٤، ١١٧، ٤٠، ٦، ١٠، ٦٦، ١٠٦، ٥٦، ٢٣، ١١٧.

١٣، ٣٥، ١٤، ٣٩، ٣٨، ٤٠، ٢٠، ٦٦، ٧٤، ٤١، ٤٨، ٤٣، ٨١، ٤٦، ٤، ٥، ٧٢، ١٨، ٢٠.

التضرع في الشدة والإشراك في الرخاء: ٦٣، ٦٤، ١٨٩، ١٩٠، ١٠، ٢٢، ٢٣، ١٧، ٦٧، ٢٩، ٦٥، ٣٣، ٣٤، ٣٢.

اتخاذ الكفار الشفعاء والأنداد: ٦، ٩٤، ١٠، ١٨، ٣٠، ١٣، ٣٦، ٢٣، ٢٤، ٣٩، ٤٣، ٨٦.

تكذيب الكفار بآيات الله: ٣، ٩٤، ١٦٧، ٦، ٢١، ٩٣، ٣٧، ١٦، ٨٣، ١٠، ١٥، ٢٢، ٨، ٩، ٢٥، ٦١، ٧-١٤.

إعراض الكفار ومجادلتهم في آيات الله: ٦، ٢٥، ٣١، ١٦، ٢٤، ١٨، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٢٠، ١٠٠، ١٢٤، ٢٦، ٥، ٤٠، ٥، ٣٥، ٥٦، ٦٩، ٤٢، ٣٥، ٤٥، ٨، ٩، ٣٥، ٥٤، ٢٦، ١٥.

عجز معبودات الكفار عن النفع والضرر: ٥، ٧٦، ٤٦، ١٩١، ١٩٤، ١٦، ٢٠، ٢١، ١٧، ٥٦، ٢٢، ١٢، ١٣، ٢٥، ٣، ٥٥، ٢٩، ١٧، ٣٠، ٤٠، ٣١، ١١، ٣٤، ٢٢، ١٣، ٣٥، ١٤، ٤٠، ٣٦، ٧٤، ٥، ٣٩، ٣٨، ٤٢، ٤٦، ٤٦، ٥، ٦٧، ٢٠، ٢١.

إعراض الكفار عن دعوة الحق: ١٢، ١٠٥، ١٥، ٨١، ٢١، ١، ٢٤، ٣٢، ٤٢، ٢٣، ٢٨، ٦٧، ٦٨، ٣٤، ٣.

مزاعم الكفار ضد الرسالات والأنبياء: ٢، ١١٨، ٢٥٨، ٧٦، ٢٥، ٦٠، ٦٦، ٢٠٣، ١٧، ٩٠-٩٣، ٢٣، ٢٤، ٥، ٧، ٨، ٢١، ٣٢، ٢٦، ٧٤، ٨١، ٨٣، ٢٥، ٤، ٥، ٧، ٨، ٢١، ٣٢، ٢٦، ٧٤، ١١١، ١٣٧، ١٣٨، ٢٨، ٣٨، ٣٩، ٤٨، ٣٣٤، ٢٩، ٢٣، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٩، ٤٥، ٢٥، ٣٢، ٤٦، ٧، ٨، ٥١، ٣٨، ٣٩، ٥٢، ٦٦.

تشبيه الكفار بالموتى والصم والعمي: ٢، ٧، ١٨، ٣٦، ٣٩، ١٧٩، ١٠، ٤٢، ٤٣، ١٧، ٧٢، ٢١، ٤٥، ٢٢، ٤٦، ٢٥، ٤٤، ٢٧، ٨٠، ٨١، ٣٠، ٥٢، ٥٣، ٣١، ٧، ٣٥، ١٩، ٢٢، ٣٦، ٩، ٥٨.

الموت: الموت لا مفر منه: ٣، ١٨٥، ٧٨، ٢١، ٣٥، ٢٣، ١٥، ١٦، ٢٩، ٥٧، ٣٩، ٣٠، ٣١، ١٩، ٥٠، ٨، ٦٢.

نهاية المؤمنين: ١٠، ٦٤، ١٦، ٣٢، ٤١، ٣٠-٣٢.

نهاية الكافرين: ٦، ٩٣، ٨، ٥٠، ١٦، ٢٨، ٢٩، ٢٣، ٩٩، ١٠٠، ٤٧، ٢٥-٢٧، ٥٦، ٩٢-٩٤.

ساعة الموت: ٣، ٤٥، ١٥٤، ٧، ٣٤، ٤٩، ١٠، ١٥، ١٦، ٦١، ٢٣، ٤٣، ٣٥، ١١، ٦٣، ١٠، ١١، ٤، ٧١.

أسماء اليوم الآخر: يوم الألفة: ٤٠، ١٨.

يوم البعث: ٣٠، ٥٦.

يوم التغابن: ٦٤، ٩.

يوم التلاق: ٤٠، ١٥.

يوم التناد: ٤٠، ٣٢.

يوم الجمع: ٤٢، ٧.

يوم الحساب: ٣٨، ١٦.

يوم الحسرة: ١٩، ٣٩.

يوم الخروج: ٥٠، ٤٢.

يوم الخلود: ٥٠، ٣٤.

يوم الدين: ١، ٤.

يوم عسر: ٥٤، ٨.

يوم عسير: ٢٥، ٢٦.

يوم الفصل: ٣٧، ٢١.

يوم القيامة: ١٩، ٩٥.

يوم الوعيد: ٥٠، ٢٠.

يوم الوقت المعلوم: ١٥، ٣٨.

الحاقة: ٦٩، ١-٣.

الصاخة: ٨٠، ٣٣-٣٧.

الطامة الكبرى: ٧٩، ٣٤.

الغاشية: ٨٨، ٤-١.

القارعة: ٦٩، ٤.

الواقعة: ٥٦، ١.

القيامة وأحوالها: أحوال الساعة: ٢، ٢٤، ١٢٣، ١٠٦، ٤٢، ٤، ١٥، ١٦، ١٠، ٥٤، ١١، ٣، ١٠٧-١٠٣، ١٤، ٤٢-٤٣، ١٩، ٣٧-٣٩، ٢٤، ٣٧، ١٢-١٤، ٢٦، ٨٨، ٨٩، ٣٠، ٤٣، ٥٧، ٣٣، ٣١، ٤٠، ١٨، ٤٣، ٦٧، ٤٤، ٤٠-٤٩، ٤٥، ٢٨، ٥٠، ٣٠، ٦٨، ٤٢، ١١، ٧٠.

علامات الساعة: ٢، ٢١٠، ٧٣، ١٥٨، ١٤، ٤٨-٥٠، ١٨، ٤٨، ٩٨-١٠٠، ٢٠، ١٠٥-١٠٩، ٢١، ٩٦، ٩٧، ١٠٣، ١٠٤، ٢٧، ٨٢، ٨٣، ٥٦، ١-٦، ٦٩، ١٣-١٨، ٧٣، ١٢، ٧٤، ٨-١٠، ٧٥، ٧-١٣، ١٧، ٢١، ١٨-١٤.

أصناف الخلق يوم القيامة: ١١، ١٠٥-١٠٨، ٣١، ١٩، ٢٠، ٥٦، ٣٥-٤٣، ٨٨-٩٤، ١٧٩، ٢٠.

شهادة أعضاء الإنسان: ٢٤، ٢٤، ٣٦، ٦٥، ٤١، ٢٠.

لا أنساب يوم القيامة: ٢٣، ١٠١، ٣٣، ٣١، ٣٦.

جزاء الأعمال: ٢، ٢٨١، ٢٥٣، ٤٠٣، ١١١ و ١٢٣ و ١٢٤، ٤٤٣، ١٦٥٢، ٢١، ٢٣، ٣١ و ٣٩ و ٤١، ٦٩٩، ٨-٦١٠١، ١١-١١. البعث من القبور: ٣٦٦، ١١، ٧، ١٦، ٣٨، ١٧، ٤٩-٥١، ٣٦، ٧٧-٧٩، ٤١، ٣٩، ٤٦، ٣٣، ٥٨، ٦، ١٨، ٧٦٤، ٧٩، ٤٨٢، ٥، ٩١٠٠. النفخ في الصور: ٧٣٦، ١٨، ٩٩، ١٠٢، ٢٠، ٢٣، ١٠١، ٣٩، ٦٨، ٥٠، ٢٠. صفة الحشر والموقف: ٢٢٦، ٢٣ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٨، ١١، ١٠٥، ١٧، ٧١ و ٧٢ و ٩٧، ١٨، ٥٢ و ٥٣ و ١٠٠ و ١٠١، ١٠٢، ١٠٤-١٠٢، ١٢٣٢، ٣٤، ٣١-٣٣، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٤١، ١٩-٢١، ٥٤٦، ٦، ٥٢، ١١-١٥، ٥٤، ٦-٨، ٤٢، ٦٨، ٤٣، ٧٠، ٨-١٤، ١٠، ٧٥، ١٣-٢٢، ٢٥، ١٠-١٨٨. صفة نشر الصحف والكتب: ١٧، ١٣ و ١٤ و ١٧، ٢٣، ٢٩، ٤٥، ٤٠، ٤٨، ١٩، ٦٩-١٩، ٢٦، ٧٨٤-١٢. اللوح المحفوظ: ١٤٥٣، ٣٨، ٥٩، ١٠، ٦١، ١١، ١٥، ٦، ٤١٥، ٥٢، ٢٠، ٢٢. الإيمان بالبعث: ٣٦٦، ١١، ٧، ١٦، ٣٨، ١٧، ٤٩-٥١، ٣٦، ٧٧-٧٩، ٤١، ٣٩، ٤٦، ٣٣، ٥٨، ١٨، ٧٦٤، ٧٩، ٤٨٢، ٥، ٩١٠٠. الإيمان بالنفخ في الصور: ٧٣٦، ١٨، ٩٩، ١٠٢، ٢٠، ٢٣، ١٠١، ٣٩، ٦٨، ٥٠، ١٨، ٧٨. الإيمان بالغيب: ٣٢ و ٣٣، ١٧٩، ١٩، ٦١، ٢١، ٤٩، ٣٥، ١٨، ٣٦، ١١، ٣٣، ٥٠، ١٢، ٦٧، ٢٥. الإنسان في القرآن الكريم أصل خلق الإنسان ومادته: ١٤، ٥٩، ٢٨، ٢٦، ٩٨، ١٨٩، ١٥، ٢٦، ٤١٦، ٧٠، ١٩، ٦٧، ٢٠، ٥٥، ٢٢، ٢٣، ١٢-١٤، ٢٥، ٥٤، ٢٦، ٧٨، ٣٠، ٢٠-٢٢، ٥٤ و ٥٤، ٩-٧، ٣٥، ١١، ٣٥، ٣٦، ٣٦، ٧٧، ٣٨، ٧١، ٣٩، ٦٧، ٤٠، ١٣، ٤٩، ٥٢، ٣٥، ٤٥، ٤٦ و ٤٦، ١٤، ١٣، ٧١، ١٤ و ١٤، ٣٥، ٣٦، ٧٥، ٣٩، ٢٧، ٢٨، ٢٤-٢٠، ٧٧، ٨، ٧٨، ١٩-١٧، ٨٦، ٥-٧، ٩٥، ٦-٢٩٦. تكريم الإنسان وتسخير المخلوقات له: ٢، ٢٩-٣٤، ١٠٧، ٢٤ و ٢٥، ١٤، ٣٢-٣٤، ١٦، ١٦ و ٨٠ و ٨١، ١٧، ٧٠، ٥٣، ٥٤، ١٨، ٢٣، ٢٢، ٣١، ١٠ و ٢٠، ٢٣، ٧٢، ١٢، ٣٥، ٧١، ٣٦-٧١، ٨٠، ٧٩، ٨٠ و ٨٠، ٤٣-١٠، ١٣، ١٢، ٤٥ و ١٣، ٦٧، ١٥، ١٩، ٧١، ٢٠، ٧٩، ٣٠-٣٣، ٨٠، ٢٤-٣٢. الحكمة من إيجاد الإنسان: ٢، ٣٠، ٢٣، ١١٥، ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٢٧، ٣٦.

عوامل الضعف في الطبيعة البشرية: التقليد واتباع السادة والرؤساء: ١٦٦ و ١٦٧ و ١٧٠ و ٢٨٧ و ٣٨ و ٣٩، ١٤، ١٠، ٢٦، ٧٠-٧٤، ٣١، ٢١، ٣٣، ٦٧، ٦٨، ٣٤، ٣١-٣٣، ٣٧-٣٧، ٣٠، ٤٣، ٢٢، ٢٣. ذكر الله عند الشدائد دون الرخاء: ٧، ١٨٩ و ١٩٠، ١٢١، ٢١-٢٣، ١٧، ٦٧، ٣٠، ٣٣، ٣١، ٣٢، ٨، ٤٩. بطره عند النعمة وقنوطه عند الشدة: ١١، ١٧، ١١، ٣٦، ٣٠، ٤١، ٤٩-٥١، ٤٢، ٤٨، ٧٠-١٩، ٢٢، ٨٩، ١٥، ١٦. حبه للمال والشهوات: ٢، ٢١٤، ١٤٣ و ١٤٢، ١٧، ١٠٠، ٢١، ٣٧، ٤٢، ٢٧، ٤٧، ٣٦ و ٣٧، ١٩٧، ٢٢-٢٢، ٩٦-٩، ١٠٠، ٩-٦، ١٠٢، ١٠٢. غيبات الإنسان: الروح: ١٧، ٨٥، ٩٣٢، ٤٧٠. النفس: ٣، ١٤٥، ٦، ٧٠، ١٨٩، ١٠، ٥٤، ١١، ١٠، ٥٣، ١٢، ١٤، ٥١، ١٦، ١١١، ٢١، ٢١، ٣٥، ٢٩، ٥٧، ٣٩، ٦٧، ٢٧، ٤٠، ٤١، ٨٢، ٥، ٢٧، ٨٩، ٣٠-٣٠، ٧٩١-١٠. الفطرة والغريزة: ١٦، ٦٨، ٣٠، ٣٠. الهوى: ٤، ١٣٥، ٣٨، ٢٦، ٥٣، ٣، ٧٩، ٤٠ و ٤١. الوازع الداخلي (الضمير): ٦، ١٥٢، ٢٠٧-٢٠٢. الفؤاد: ٦، ١١ و ١١٣، ١١، ١٢٠، ٣٧، ١٤، ٤٣ و ٤٣، ١٦، ٧٨، ٢٣، ٧٨، ٢٥، ٣٢، ٢٨، ١٠، ٩، ٣٢، ٤٦، ٢٦، ٥٣، ١١، ٣٦، ٢٧، ١٠٤، ٩-٥. الجن والشيطان في القرآن الكريم أسماء الجن: ٦، ١٠٠، ٣٨، ٧، ١٨٤، ١١، ١١٩، ١٥، ٢٦ و ٢٧، ١٧، ٨٨، ٨٨، ٥٠، ٦٨، ٢٣، ٢٥ و ٢٧، ٧٠، ١٠، ١٧ و ١٧، ٣٩، ٢٨، ٣١، ٣٤، ١٢ و ١٤ و ١٤، ٣٧، ١٥، ٥٥، ٣٩ و ٥٦ و ٧٢-٧٤، ١٧، ١١٤، ٦-١. تكليف الجن: ٦، ١٣٠، ٣٨، ٧، ١٧٩، ١١، ١١٩، ٣٢، ١٣، ٤٦، ٢٩-٣٢، ٥٦، ٥٧، ١٣ و ١٣. المضلون من الجن: ٦، ١٠٠ و ١١٢ و ١٢٨، ١٨، ٥٠، ٣٤، ٤٠، ٤١ و ٤١، ٢٥، ٢٩ و ٤٦، ١٨ و ١٩، ١١٤ و ٥٦. ما ورد عن الجن في القرآن الكريم: ٢، ٣٠، ١٥، ٢٧، ١٨، ٥٠، ٢٦، ٢١٠-٢١٢، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٣٤، ١٢ و ١٣، ٣٧، ٨-٦، ٤٦، ٢٩، ١٥، ٥٥، ٣٣، ١٠٢ و ١٠١. الشيطان:

إبليس واستكباره عن أمر الله: ٢، ٣٤، ٧، ١١-١٨، ٢٥-٢٦، ٤٣، ١٧، ٦١-٦٣، ١٨، ٥٠، ٢٠، ١١٦ و ١١٧. عداوة الشيطان لبني آدم: ٢، ١٦٨ و ٢٠٨، ٤، ٦٠ و ١١٩، ١٤٢، ٢٢٧، ١٢، ٥١، ١٨، ٥٠، ٢٠، ١١٧، ٢٨، ١٥، ١٦، ٣٥، ٦٠، ٤٣، ٦٢. وسوس الشيطان واغواؤه وكيد: ٢، ١٠٢ و ١٦٨ و ١٦٩ و ٢٥٧ و ٢٦٨ و ٣٨، ٤، ٦٠ و ٧٤ و ١١٧-١٢٠، ٩١، ٤٣، ٦٨ و ١١٢، ١٦، ٧ و ١٧ و ٢٧ و ٣٠ و ٢٠٠، ٤٨، ٣٧، ١٠، ١٢، ١٢، ٤٢ و ١٠٠، ١٣، ٣٣، ١٤، ٢٢، ١٥، ٣٩-٤٢، ١٦، ٦٣، ١٧، ٢٧ و ٥٣ و ٦٤ و ٦٥، ١٨، ٦٣، ١٩، ٤٤ و ٤٣، ٨٣، ٤٢، ٥٣، ٢٤، ٢١، ٢٥، ٢٩، ٢٦، ٢٢١-٢٢٣، ٢٧، ٢٤، ٢٩، ٣٨، ٣١، ٢١، ٣٤، ٢٠، ٣٥، ٦٣، ٦٢، ٣٨، ٨٢ و ٨٣، ٤٠، ٣٧، ٢٥ و ٣٦، ٤٣، ٣٦، ٥٨، ١٥ و ١٦. الاستعاذة من الشيطان: ١٦، ٩٨-١٠٠، ٢٣، ٩٧ و ٩٨، ٤١، ٣٦، ١١٣، ٥١-١١٤، ٦-١. العبادات في القرآن الكريم الصلاة وأحكامها وفضلها: الأمر بالصلاة والإحافضة عليها: ٢، ٣ و ٤٥ و ٨٣ و ١١٠ و ١٥٣ و ١٧٧ و ٢٣٨، ٤٣، ٤ و ٧٧ و ١٠٣ و ١٤٢ و ١٦٢ و ٥٥، ٥٨ و ٩١، ٦، ٧٢، ٧٠، ١٧٠، ٣٨، ٥٩، ١١ و ١٧-١٨، ١٠، ٨٧، ١٣، ٢٢، ١٤، ٣٧ و ٤٠، ١٧، ٧٨، ١٩، ٥٩، ٢٠، ١٤ و ١٣٢ و ١٣، ٢١، ٧٣، ٢٣ و ١٢، ٢٤، ٣٧ و ٥٦، ٢٧، ١-٣، ٢٩، ٤٥، ٣٠، ٣١، ٤٣ و ٤٣، ١٧، ٣٣، ٣٥، ١٨ و ٢٩ و ٤٢، ٣٨، ٥٨، ١٣، ٩٦٢، ١٠، ٧٠، ١٩-٢٣ و ٣٤ و ٣٥، ٧٣، ٢٠، ٨٧، ١٤ و ١٥، ١٠٧، ٤ و ٥. الإشارة إلى صلاة الجماعة: ٢، ٤٣. ذم التكاسل عن الصلاة: ٤، ١٤٢. الإشارة إلى الأذان: ٥٨. الصلاة علامة الإيمان: ٢، ١٤٣، ٩٢، ٢٢، ٣٥. الصلاة عبادة الأنبياء والمرسلين: ٢، ١٢٥، ١٠، ٨٧، ١١، ٨٧، ١٤، ٣٧ و ٤٠، ١٩، ٣١ و ٥٤ و ٥٥، ٣١، ١٧. الصلاة عبادة الكون كله: ٢٤، ٤١. الصلاة طريق الحسنات: ١١، ١١٤. الركوع: ٢، ٤٣ و ٥٥، ٥٥، ١١٢، ٢٢، ٧٧، ٤٨، ٢٩. السجود: ٣، ١١٣، ٢٠٦، ١١٢، ١١٣، ١٠، ١٥، ١٦، ٤٩، ٢٢، ٢٦، ٢٥، ٧٦، ٢٧، ٣٢، ١٥، ٣٩، ٤١، ٣٧، ٥٣، ٦٢، ٦٨، ٤٢-٤٣، ٧٦، ٢٦.

القتل العمد: ١٧٨ ٢، ٣٢ ٥، ٤٥ ٦، ١٥١ ٦، ٣٣ ١٧.

الدعاء وأحكامه وفضله:

البحث على الدعاء وآدابه: ١٨٦ ٢، ٣٢ ٤، ٣٥ ٥، ٤٠ ٦، ٤٣ ٥٢، ٦٣ ٢٩٧، ٥٦ ٥٥ و ١٨٠ و ٢٠٥، ١١٠ ١٧، ١١٠ ٢٥، ٧٧ ٢٥، ٦٢ ٢٧، ٣٢ ٢٢، ١٦ ٣٥، ١٠ ٤٠، ١٤ ٦٥، ٢٨ ٥٢.

دعاء القرآن: ١-٥، ٢٧ ٢، ١٢٨ و ٢٠١ و ٢٥٠ و ٢٨٥ و ٢٨٦، ٨٣ ٩ و ١٦ و ٢٦ و ٣٨ و ٥٣ و ١٤٧ و ١٧٣ و ١٩١ و ١٩٤، ٣٢ ٤ و ٧٥ ٧، ٢٣ ٤٧ و ٨٩ و ١٢٦ و ١٥١ و ١٥٥، ٨٥ ١٠ و ٨٦ و ١٢ ١٠١، ١٤ ٤٠، ١٧ ٢٤ و ٨٠ و ٨١، ١٠ ١٨، ٢٥ ٢٠ و ٢٦ و ١١٤، ٨٣ ٢١ و ٨٧ و ٨٩ و ٢٣ ٢٩ و ٩٨ و ١٠٩ و ١١٨، ٢٥ ٦٥ و ٧٤ و ٢٦ ٨٥-٨٣ و ٨٩، ٢٧ ١٩ و ٢٨ ١٦، ٤٠ ٩-٧ و ٤٤، ١٢ ٤٤، ١٥ ٤٦، ١٠ ٥٩، ٦٠ ٤ و ٥، ٨ ٦٦ و ١١ و ٢٨ ٧١، ١١٣ ١-١٤٤، ٦-١ رحمته الله: ٢ ٦٤ و ١٠٥ و ٣ ٧٤، ٨٣ ٩٦ و ١٢ ٦ و ٥٤ و ١٣٣ و ١٤٧ و ٥٦ ٧ و ٥٧ و ١٥٦ و ٢٤ ١٠ و ١٤، ٧ ٤٠.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

مدة الرضاعة الطبيعية: ٢ ٢٣٣.
جدة المطلقة والأرملة: ٢ ٢٢٨ و ٢٣٢.
تعاقب الليل والنهار: ٣ ١٩٠-١٩٠.
مركز الإحساس: ٤ ٥٦.
إعجاز تشريعي في تحريم الخمر والميسر: ٥ ٩٠-٩١.
إعجاز تشريعي ووقائي وعلاجي في الصيام: ٢ ١٨٤.
إعجاز تشريعي في القصاص: ٢ ١٧٨-١٧٩.
إعجاز تشريعي في حد الحراية: ٥ ٣٣-٣٤.
إعجاز تشريعي في حد جريمة السرقة: ٢ ٣٨-٣٩.
مركز الأرض: ٦ ٩٢.
النباتات: ٦ ٩٩.
قلة الأكسجين في طبقات الجو العليا: ٦ ١٢٥.
النهى عن الإسراف: ٧ ٣١.
القلب يعقل: ٧ ١٧٩.
المطر والخوف: ٨ ١١.
ضياء الشمس ونور القمر: ١٠ ٥.
الرياح العاصف: ١٠ ٢٢.

مقال الذرة: ٤ ٤٠، ١٠ ٦١، ٣٤ ٣ و ٢٢، ٩٩ ٧ و ٨٠.

التفكير في الكون: ١٠ ١٠١.

ملك مصر: ١٢ ٤٣.

تخزين الحبوب: ١٢ ٤٧.

نقصان الأرض: ١٣ ٤١.

ظلام الكون: ١٥ ١٤-١٥.

الرياح لواقع: ١٥ ٢٢.

وظيفة الجبال: ١٣ ٣، ١٥ ١٩، ١٦ ١٥، ٢٠ ٥٣، ٢١ ٣٠ و ٣١ و ٦١ و ٢٧ و ٣١ و ١٠ و ١١ و ٧٥٠، ٧٧ ٢٥-٢٧، ٧٨ ٧.

اللين: ١٦ ٦٦.

عسل النحل: ١٦ ٦٨-٦٩.

القمر كان مشتعلًا: ١٧ ١٢.

الشفاء بالقرآن الكريم: ١٠ ٥٧-٥٨، ١٧ ٨٣، ٤٤ ٤١.

السنة الشمسية والقمرية: ١٨ ٢٥.

نشأة الكون: ٢١ ٣٠.

الماء والحياة: ٢١ ٣٠.

الغلاف الجوي: ٢١ ٣٢.

طي السماء: ٢١ ١٠٤.

مراحل خلق الإنسان: ٢٢ ٥.

اهتزاز الأرض: ٢٢ ٥.

الذباب: ٢٢ ٧٣.

الماء الساكن: ٢٣ ١٨.

ظلمات البحار: ٢٤ ٤٠.

السحاب: ٢٤ ٤٣.

التقاء البحرين: ٢٥ ٥٣.

إعجاز تاريخي في اكتشاف آثار قوم عاد: ٢٦ ١٢٨-١٣٥.

حركة الأرض: ٢٧ ٨٨.

مواد البناء: ٢٨ ٣٨.

بيت العنكبوت: ٢٩ ٤١.

إعجاز اقتصادي: ٣٠ ٣٩.

ظهور الفساد: ٣٠ ٤١.

أقل مدة للحمل: ٣١ ١٤، ٤٦ ١٥.

سرعة الضوء: ٣٢ ٥.

ألوان الجبال: ٣٥ ٢٧.

النبات: ٣٦ ٨٠ و ٣٦.

انسلاخ النهار: ٣٦ ٣٧-٣٨.

جريان الشمس: ٣٦ ٣٨.

منازل القمر: ٣٦ ٣٩.

الظلمات الثلاث: ٣٩ ٦.

المطر وماء الأرض: ٣٩ ٢١.

مصاييح السماء: ٤١ ١١-١٢.

أصل الكون: ٤١ ١١-١٢.

شموس وأقمار: ٤١ ٣٧.

مؤازرة الزرع للشطء: ٤٩ ٢٩.

توسع الكون: ٥١ ٤٧.

بناء السماء: ٥١ ٤٧.

زوجية المخلوقات: ٥١ ٤٩.

اشتعال قاع البحر: ٥٢ ٦.

الفاكهة قبل اللحم: ٥٢ ٢٢، ٥٦ ٢٠-٢١.

موت النجوم: ٥٣ ١، ٨ ٧٧.

انشقاق القمر: ٥٤ ١.

وردة كالدهان: ٥٥ ٣٧.

مواقع النجوم: ٥٦ ٧٥.

إنزال الحديد: ٥٧ ٢٥.

طبقات الأرض: ٦٥ ١٢.

أطوار الجنين: ٧١ ١٤.

البصمات: ٧٥ ٤.

تحديد نوع الجنين: ٧٥ ٣٧.

النطفة الأمشاج: ٧٦ ٢.

النجم والكوكب: ٧٧ ٨.

الرواسي الشامخات: ٧٧ ٢٧.

ماء الأرض: ٧٩ ٣١.

الخنس: ٨١ ١٥-١٦.

الإشارات العلمية التي جاءت بسورة

الطارق: ٨٦ ١٢-١٢.

إصدار القرارات: ١١ ٥٦، ٩٦ ١٦.

العلم في القرآن الكريم

أهمية العلم وفضل العلماء: ٧٣ و ١٨، ٨٣، ١٢٩، ١٢، ١١ ٢٤، ١٦ ١٣، ٤٣ ١٦، ٧ ٢١، ٢٩ ٤٣، ٣٥ ١٩ و ٢٨، ٣٩ ٩، ٥٨ ١١.

النهى عن كتمان العلم وسوء العاقبة: ٢، ١٤٦ و ١٥٩ و ١٧٤، ١٨٧ ٣، ٣٧ ٤ و ٤٤، ١٦٩.

ذم الجهل والجاهلين: ١٩٩ ٧، ٤٦ ١١، ١٦، ١١٩، ٣ ٢٢ و ٨، ٢٥ ٦٣، ٣١ ٢٠.

علوم أشار إليها القرآن الكريم:

التقويم: الأشهر الحرم: ٢ ١٩٤ و ٢١٧، ٢٥ ٩٧ و ٣٦ ٩.

عدة الشهور: ٩ ٣٦.

الأشهر المعلومات: ٢ ١٩٧.

الشهر الحرام: ٢ ١٩٤ و ٢١٧، ٢٥ ٩٧.

شهر رمضان: ٢ ١٨٥.

اليوم عند الله: ٢٢ ٤٧، ٣٢ ٥، ٧٠ ٤.

الملاحقة: ١٠ ٢٢، ١٧ ١٦، ٣١ ٣١، ٤٣ ١٢-١٣.

حديث القرآن الكريم عن القرآن

الإيمان بالقرآن ووجوب اتباعه: ٥-١٢، ٤٧٤ و ٨٢ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٥٥ و ١٦ و ١٥٥٦-١٥٥٧، ١٥٧ و ٢٧ و ٣ و ١٧٠ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١١، ١٧١٣، ٣٧١٦، ٨٩٢٦، ١٩٢-١٩٦، ٢٨٥١-٥٤، ٥٥٣٩، ٢٤٠، ٤١-٤.

تحدي القرآن للمخالفين: ٢٣-٢٤، ١٠، ٣٨، ١١، ١٣، ٨٨.

أمثلة القرآن: ٢٦ و ١٧١ و ٢٦٣-٢٦٣ و ٢٦٥، ١١٦ و ١١٧ و ١٧٦، ٢٤١٠، ٢٣١١، ٢٤ و ١٨ و ١٤، ٢٥ و ٢٦ و ١٦، ٧٥ و ٧٦ و ٩٢، ١٧، ٨٩، ٢٤، ٣٤ و ٣٥، ٣٣، ٢٩، ٤١، ٣٠، ٢٧ و ٢٨ و ٥٨، ٢٧، ٢٩، ٤٨، ١٥، ٤٧، ٥٧، ٢٠، ٥٩، ١٥، ١٦، ٥٦٢.

أثر القرآن على أهل الإيمان: ٢٨، ٩، ١٢٤، ١٧، ١٠٥، ١٩، ٥٨، ٢٥، ٧٣، ٢٨، ٥١-٥٤.

أثر القرآن في المخالفين لمنهج الله: ٥، ٦٨، ٨، ٣١، ٩، ١٢٧-١٢٥، ١٠، ١٥، ١٩، ٧٣، ٢٢، ٧٢، ٦٣١، ٧-٦٣١، ٤٣، ٤١، ٥-٣، ٤٥، ٢٥، ٤٦، ٧.

تحريف كلام الله تعالى: ٢، ٥٨-٥٩ و ٧٥ و ٧٩، ٧٣، ٧٨ و ٦٤، ٤، ١٣، ٥، ١٦١-١٦٢، ٩٠-٩٣.

تصديق القرآن للكتب السماوية: ٢، ٨٩ و ٩١ و ٩٧، ٣٣، ٤، ٤٧، ٤٨، ٩٢، ١٠، ٣٧، ١٢، ١١١، ٣٥، ٣١، ٤٦، ٣٠.

الناسخ والمنسوخ: ٢، ١٠٦، ١٠١.

نزول القرآن: ٢، ١٨٥، ٤٤، ٦-١، ٩٧، ٥-١.

الحكم والمتشابه: ٧، ٣، ١١.

الإنصات للقرآن: ٧، ٢٠٤.

حفظ الله للقرآن: ١٥، ٩.

هجر القرآن: ٩، ٤٠، ٢٠، ٩٩-١٠١، ٢٥، ٣٠.

تنزيه القرآن عن الشعر: ٣٦، ٦٩، ٣٧، ٣٥، ٣٧، ٢٧، ٢٠٤، ١١٣، ١٢١، ٢، ٩٢، ٢٩، ٤٥، ٧٣، ٢٠.

منزلة قارئ القرآن: ٣٥، ٢٩، ٣٠.

تيسير القرآن: ١٠، ٥٧، ٥٨، ٢٩، ٤٩، ٣٥، ٢٩، ٣٠، ١٧.

آداب التعامل مع القرآن: ٥٧، ٧٧-٨٠.

الدعوة إلى الله تعالى

وجوب الدعوة والأمر بالمعروف: ٣، ٢١ و ١١٠ و ١١٤، ١١٤، ٦٣ و ٧٨ و ٧٩ و ١٥٧، ١٦٤ و ١٦٥، ٧١ و ١١٢، ١١٦، ١٢، ١٠٨، ١٩، ٥٥، ٢٢، ٤١، ١٧، ٣٦، ٢٠-٢٣، ٤١، ٣٣، ٤٦، ٢٩-٣٢.

التزام الحكمة في الدعوة: ٢، ٢٦٩، ٤٨٣-٥١، ١٠٨، ١١، ٨٤، ١٦، ١٢٥، ٢٠، ٤٣، ٤٤ و ٥٧، ٢٠.

الدعوة بلغة العصر: ١٤، ٢٦، ١٩٣-١٩٥، ٤٤، ٤١.

عدم التلبس وكتمان أحكام الشريعة: ٢، ٣٩، ٣٣، ٤٤ و ٤٣، ١٦، ١٨٧، ٣، ١٧٤.

المجادلة بالحسنى: ٦، ١٠٨، ١٦، ١٢٥، ١٧، ٥٣، ٢٩، ٤٦، ٤٣، ٥٧-٥٩.

دفع السيئة بالحسنة: ١٣، ٢٢، ٢٣، ٩٦، ٢٥، ٦٣، ٢٨، ٥٤، ٤١، ٣٤.

أحكام الأسرة في القرآن الكريم

الوصية: ٢، ١٨٠-١٨١، ١١ و ١٢.

النكاح وأحكامه: ٢، ٢٢١ و ٢٣٢، ٣، ٤ و ٢٢ و ٢٥ و ١٢٧-١٣٠، ٢٤، ٣٢ و ٣٣، ٢٧، ٢٨، ٥٣ و ٥٠.

خطبة المرأة في عدتها: ٢، ٢٣٥.

عدة المطلقة: ٦٥، ٥-٤.

عدة المتوفى عنها زوجها: ٢، ٢٣٤.

النشوز وعلاجه: ٤، ٣٤.

التحكيم قبل الطلاق: ٤، ٣٥.

الطلاق وأحكامه: ٢، ٢٣٦-٢٣٧ و ٢٤١-٢٤٢، ٣٣، ٤٩، ٦٥، ٢-١.

النشوز وعلاجه: ٤، ٣٤.

التحكيم قبل الطلاق: ٤، ٣٥.

الإيلاء: ٢، ٢٢٦-٢٢٧.

منع المرأة من الزواج: ٢، ٢٣١-٢٣٢.

خطبة المرأة في عدتها: ٢، ٢٣٥.

عدة المطلقة: ٦٥، ٥-٤.

عدة المتوفى عنها زوجها: ٢، ٢٣٤.

الرجل والمرأة: ٣، ١٩٥، ٤، ٣٢ و ٣٤.

تعدد الزوجات: ٤، ٣.

المواريث: ميراث اليتيم: ٤، ١-٣ و ٦ و ٩ و ١٠.

ميراث الرجل والمرأة: ٤، ٧ و ٨ و ١١ و ١٣ و ١٢٧، ٨.

ميراث الكلاية: ٤، ١٧٦.

قوامه الرجل: ٤، ٣٤-٣٥.

اللعان: ٢٤، ٦-١٠.

الإفك: ٢٤، ١١-٢٠ و ٢٣-٢٤.

الحجاب: ٢٤، ٣١ و ٦٠، ٣٣، ٥٣ و ٥٥ و ٥٩.

الأسرة: ٤، ١٣، ٣٨، ٢٥، ٥٤ و ٧٤، ٢٩، ٢١، ٦٤، ١٤.

الظهار: ٥٨، ٤-١.

حقوق الإنسان في القرآن الكريم

حق رد المعتدي: ٢، ١٩٠-١٩١ و ٢٤٦، ٣٢٥ و ٨٧، ٢٦، ١٢٨-١٣٠.

حقوق المرأة: ٢، ٢٣١-٢٣٦ و ٢٤١، ٤٤ و ٧ و ٢٠ و ٢١ و ٣٢ و ١٢٨-١٣٠، ١٦، ٥٨ و ٥٩، ٢٣، ٧-٥، ٢٤ و ٢٣ و ٢٤، ٢١، ٣٣، ٥٨.

حق المسكين وابن السبيل: ٢، ٨٣ و ٢١٥، ٤، ٣٦، ٩، ٦٠، ٢٤، ٢٢، ٢٦، ٣٨، ٣٠.

حق الوالدين: ٢، ٨٣ و ١٨٠، ٣٦، ٤، ١٥١، ١٤، ٤١، ٢٣ و ٢٤، ١٩، ١٤ و ٣٢، ٢٩، ٨، ٣١، ١٤، ٤٦، ١٥.

الحمل والرضاع: ٢، ٢٣٣، ٣١، ١٤، ٤٦، ١٥، ٦٥.

حق السائل والمحروم: ٢، ١٧٧ و ١٩، ٥١، ٢٤ و ٢٥.

حق استخدام الطبيعة: ٢، ٢٩ و ١٦، ٨٠ و ٨١، ١٧، ٧٠، ٣٦، ٤١ و ٤٢ و ٧٣-٧٤، ١٣، ٧٨، ١٠.

حق الأسير: ٢، ٨٥ و ٨٧.

حق المولود: ٢، ٢٣٣ و ١١، ٤، ١٢ و ١٣٧، ١٤ و ١٥ و ١٧، ٣١، ١٨، ٧٤، ١٢، ٨١-٩.

حق اليتيم: ٢، ٨٣ و ١٧٧ و ٢٤، ٢ و ١٠، ١٠٢، ١٧، ٣٤، ٩٣، ٩٨، ١٧، ١٠٧، ٢.

حق حرية التعليم: ٢، ٣١ و ١٦٤ و ١٨٩، ٤، ١١٣، ٩٧، ١٦، ٤٣، ٢٠، ١١٤، ٢١، ١٩٦، ٥-١٠.

حق الحرية الدينية: ٢، ٢٥٦ و ٢٠، ٣، ١٠، ٩٩ و ١٠٠، ١٨، ٢٩، ١٠٩، ٦-١.

الأخلاق الحميدة والآداب العامة

لين الخطاب: ٢، ٨٣.

الصبر: ٢، ٤٥ و ١٥٣ و ١٥٥ و ١٥٧ و ١٧٧ و ٢٥٠، ٢، ١٢ و ١٢٥ و ١٤٦ و ١٨٦ و ٢٠، ٤، ٢٥، ٢٤، ٣٤، ١٢٦، ٤٦، ٦٥ و ٦٦ و ١٠، ٩١، ١١ و ١١ و ٤٩ و ١١٥، ١٢، ٨٣ و ٩٠، ٢٢، ١٣ و ٢٤، ١٤، ٥١٢، ١٢ و ١٦، ٩٠ و ١٢٦، ١١ و ١٢٧، ١٨، ٢٨، ٢٠، ١٣٠، ٢١، ٨٣ و ٨٥، ٢٢، ٣٥، ٢٣، ١١١، ٢٥ و ٢٠ و ٧٥ و ٧٦، ٢٨، ٥٤ و ٨٠، ٢٩، ٥٨ و ٥٩، ٣٠، ٦٠، ٣١، ١٧، ٣٣، ٣٨.

٤٤، ٣٩، ١٠، ٤٠، ٥٥، ٧٧، ٤١، ٣٤، ٣٥، ٤٢
٤٣، ٤٦، ٣٥، ٤٧، ٣١، ٣١، ٣٠.
كظم الغيظ: ١٦، ١٣٦، ١٢٦، ٤٢، ٣٧.
محاسبة النفس: ١٠٥، ٥٩، ١٨، ١٩، ٧٥، ٢، ٧٩، ٤٠، ٤١.
إخلاص العمل لله: ٢، ١٣٩، ٤١، ١٤٦، ٢٩، ١١، ١٥، ١٦، ١٢، ٢٤، ١٩، ٥١، ٣٩، ١١، ١٤، ٤٠، ١٤، ٦٥، ٤٢، ٢٠، ٥٩٨.
الإنفاق لله: ٢، ١٩٥، ٢١٥، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٤، ٩٢، ٦٠، ٨، ١٤، ٣١، ٧٥، ١٠، ١١، ٦٣، ١٠، ٧٣، ٢٠.
السلام وأدب الضيافة: ٤، ٨٦، ٥٤، ١٥، ٥١، ٥٢، ١٩، ٤٦، ٤٧، ٢٠، ٤٧، ٢٧، ٢٤، ٦١، ٢٥، ٢٨، ٦٣، ٥٥.
تذكر النعم: ١٢٢، ١٢٣، ١٠٣، ٣٥، ٦، ٧، ١١، ٢٠، ١١٠، ٢٦٧، ٦٩، ٧٤، ١٨، ١٦، ٥٣، ٧١، ٧٢، ٨١، ٨٣، ١١٤، ٣١، ٣٧، ٥٧، ٨٣، ٩، ٤٣، ٤٩، ١٣، ٤٩، ٨، ٣٥، ٩٣، ١١.
الوفاء بالعهد: ١٥، ٢-١، ٩، ٧٥، ١٦، ٩١، ١٧، ٣٤، ٢٣، ٨، ٣٣، ١٥، ٣٢٧.
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٣، ١٠٤، ١١٠، ١١٤، ٤، ١١٤، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٥، ٩، ٦٧، ١١٢، ١٦، ٩٠، ٢٢، ٤١، ١٧، ٣١.
الصدق: ٢، ١٧٧، ١٧٣، ١١٩، ١٠٥، ١٢، ٥١، ١٩، ٥٠، ٥٦، ١١٩، ٢٦، ٨٤، ٢٣، ٢٤، ٣٥، ٣٩، ٣٣، ٣٥، ١٥، ٥٩، ٨.
الكرم: ١٧٧، ٢١٥، ٦٩، ٦٠، ١١، ٦٩، ٧٨، ١٢، ٥٩، ٧٦، ٨، ٩، ٩٠، ١٤، ١٥، ١٦.
الجود والسخاء: ١٣٣، ١٣٤، ٣٧، ٤٧، ٣٨، ٩.
الإحسان للأقارب: ٢، ٨٣، ٨، ٣٦، ٤١، ١٦، ٩٠، ١٧، ٢٦، ١٥، ٦٨، ٦٩، ٢٢، ٣٦، ٥١، ٢٦، ٢٧، ٩، ٥٩، ٣٨، ٣٠، ٧.
إكرام الجار: ٤، ٣٦.
الإحسان إلى الضيف: ١١، ٦٩، ٧٨، ١٢، ٥٩.
فعل الخير: ٢، ١٤٨، ٣، ١١٤، ١١٥، ١٣٣، ١٠، ٢٦، ٢٠، ١١٢، ٢١، ٩٠، ٢٣، ٥٦، ٦١، ٩٦، ٢٨، ٥٤، ٣٢، ٤١، ٣٥-٣٤، ٤٦، ٥٦، ١٠، ١٥، ٩٨، ٨٧.
الشكر: ١٦، ١١٤، ٤٣، ١٣، ٩٣، ١١.
التوكل على الله: ١٢٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٣، ٨١، ٤، ١٧١، ١٥، ٢٣، ١١، ١٤، ١٢، ٢٥، ٥٨، ٢٦، ٢١٧، ٥٦، ٣، ٥٧، ٢٩، ٧٣، ٩.

خشية الله: ٢، ٤٠، ٧٤، ١٥٠، ١٧٥، ٩٤، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٥٦، ١٥٤، ١٦، ٥٠، ٥١، ٣٢، ١٦، ٣٣، ٣٧، ٣٩، ١٨، ٢٨، ٣٦، ١١، ٣٩، ١٦، ٢٣، ٥٠، ٣٢، ٣٣، ٤٥، ٥٢، ٢٥، ٢٨، ٥٥، ٤٦، ٥٧، ١٦، ٥٩، ٢١، ٦٧، ١٢، ٧٠، ٢٧، ٢٨، ١٣، ٧١، ١٤، ٩٧، ١١، ٧٩، ٤٠، ٨٧، ١٠.
الخشوع لله: ٢، ٤٥، ٣، ١٩٩، ٢١، ٩٠، ٢٣، ٣٣، ٥٧، ١٦.
ذكر الله: ١٥٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٣، ٤١، ٣، ١٣٥، ١٣٥، ١٩١، ١٠٣، ٤، ٢٠، ١٣٠، ٢٩، ٤٥، ١٧٣، ١٨، ٣٥، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٣٧، ٤٣، ١٤، ٣٨، ١٨، ٣٩، ٤٥، ٤٠، ٤٠، ٥٢، ٤٨، ٤٩، ٥٦، ٧٤، ٦٢، ١٠، ٨٧٣، ٧٦، ١٨٧، ٢٥.
الحكمة: ٢، ١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٩، ٤٨، ٣، ١٦٤، ٥٤، ١١٣، ١٦، ١٢٥، ١٧، ٣٩، ٣٣، ٤٣، ٦٣.
الوسطية: ١٧، ٢٩، ٣٠، ١١٠، ٢٥، ٦٧، ٣٢، ٣٥.
القول الحسن: ٢، ٨٣، ٢٦٣، ١٧، ٥٣.
تقديم المشيئة: ١٨، ٢٣-٢٤، ٣٩، ٤٠، ٧٤، ٥٦، ٧٦، ٣٠، ٨١، ٢٨، ٢٩.
الإعراض عن اللغو: ٢٣، ٣، ٢٥، ٧٢، ٢٨، ٥٥، ٤٣، ٨٣.
أداء الأمانة: ٢، ٢٨٣، ٤، ٥٨، ٢٧، ٨، ٢٣، ٣٣، ٧٢، ٣٢٧.
آداب الاستئذان: ٢، ١٨٩، ٢٤، ٢٧-٢٩، ٥٨، ٦٠، ٣٣، ٥٣.
غض البصر وحفظ الفرج: ٢٣، ٥-٧، ٢٤، ٣٠-٣١، ٣٣، ٣٥، ٢٩.
العفة: ٢، ٢٧٣، ٦٤، ٢٥، ٥٥، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٦٠، ٢٩-٣١.
التواضع: ٥، ٥٤، ١٥، ٨٨، ١٧، ٣٧، ٢٤، ٣٠، ٢٥، ٦٣، ٢٦، ٢١٥، ٢٨، ٨٣، ٣١، ١٨، ١٩، ٤٨، ٢٩.
الحياء: ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٨.
العون للمحتاج: ٢٨، ٢٣-٢٤.
دفع السيئة بالحسنة: ١٣، ٢٢، ١٧، ٥٣، ٢٣، ٩٦، ٢٥، ٧٠، ٢٧، ١١، ٢٨، ٥٤، ٤١، ٣٤.
العفو عن الناس: ٢، ٢٣٧، ٢٦٣، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٩، ١٦، ١٢٦، ٢٤، ٢٢، ٤٢، ٣٧، ٤٠، ٤٣، ٦٤، ١٤.
صلة الرحم: ٤، ٨، ١٣، ٧٥، ١٣، ٢٥، ٦٣، ٤٧، ٢٢-٢٣.
الإصلاح بين الناس: ٤، ١١٤، ٩٤، ٩-١٠.

الإخاء والاتحاد: ٣، ١٠٣، ٢٥، ٨، ٧٤، ١١٩، ٧١، ٤٧.
التناجي بالبر وآداب المجلس: ١٨٠-١١٠.
الإيثار: ٩٠٩.
التقوى: ٢، ١٩٧، ٢٣، ١٠٢، ٣٥، ٥٧، ١١٩، ٣٣، ٧٠، ٥٧، ٢٨، ٥٩، ١٨، ٦٤، ١٦، ...
التوبة والاستغفار: ٤، ١٧، ٩، ١٠٤، ٢٤، ٣١، ٣٩، ٥٣، ٤٢، ٢٥، ١٦، ...
النظافة: ٢، ٢٢٢، ١١٨، ٢٢، ٢٩، ٧٤، ٤.
الرحمة: ٣، ١٥٩، ٦١، ٩، ١٢٨، ٢١، ١٠٧، ٢٨، ٢٧، ٣٠، ٢١، ٤٨، ٢٩، ٢٧، ٥٧، ١١٩-١٧.
الأخلاق الذميمة والأعمال المحرمة
الكذب: ٢، ١٠، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٤٢، ٧٧، ١٠٧، ١١، ٩٣، ١٦، ٦٢، ١٨، ٥، ٢٣، ٩٠، ٢٩، ٦٨، ٤٠، ٢٨، ٥٨، ١٤.
مخالفة الفعل للقول: ٢، ٤٤، ١١، ٨٨، ٦١، ٣، ٢٠.
الغيرة والحق: ٢، ٩٠، ٣٢، ٤.
أكل الأموال: ٢، ١٨٨، ٢٤، ٢٩، ٣٠، ١٦١، ٥، ٤٢، ٦٢، ٩، ٣٤.
الجماع أثناء الحيض: ٢، ٢٢٢-٢٢٣.
المن بالصدقة: ٢، ٢٦٢-٢٦٤، ٦٧٤.
الفجور: ٤، ١٥، ١٦، ١٥١، ٨٠، ٤٠، ٤٢، ٨٢، ١٤-١٥.
الرياء: ٢، ٢٦٤، ٣٨، ٤، ١٤٢، ٤٧٨، ١٠٧، ١-٧.
الربا: ٢، ٢٧٥-٢٨١، ٣، ١٣٢-١٣٠، ٤، ١٦١، ٣٠، ٣٩.
التطلع إلى ما في يد الغير: ٤، ٣٢، ١٥، ٨٨، ٢٠، ١٣١.
مناصرة المفسدين: ٢٨، ١٧، ٨٦، ١١، ١١٣.
الانتحار: ٢، ١٩٥.
الإفساد: ٢، ٢٧، ٣٠، ٦٠، ٢٠، ٢٩، ٤، ٣٠-٣٣، ٥، ٦٤، ٥٦، ٧٤، ٨٥، ١١، ٨٥، ١٣، ٢٥، ١٨، ٩٤، ٢٦، ١٥١، ١٥٢، ٢٧، ٣٤، ٤٨، ٢٨، ٧٧، ٢٩، ٣٦، ٣٠، ٤١، ٤٧، ٢٢، ٢٣.
الظلم: ٢، ٣٥، ٥٧، ١٠، ١٣، ٤٤، ٥٤، ١٢، ٧٩، ١٨، ٥٩، ١٩، ٣٨، ٢٠، ١١١، ٢١، ١٤، ٩٧، ٢٥، ١٩، ٢٧، ١٤، ٨٥، ٢٨، ٥٩، ٢٩، ٣١، ٣٠، ٥٧، ٢٣، ٧٢، ٣٥، ٣٢، ٤٠، ٥٢، ٤٢، ٤٢، ٥٩، ٥١، ٤٧، ٥٢.
الاختيال والفخر: ٤، ٣٦، ٤٩، ١٧، ٣٧، ٣٨، ٢٥، ٦٣، ٢٨، ٨٣، ٣١، ١٨، ٤٠، ٧٥، ٧٦، ٥٧، ٢٣.
التناجي بالاثم: ٥٨، ٨، ٨٠.

اللعب واللهو عن ذكر الله: ٣٢٦، ٩١، ٩٨، ٢١-٣، ٢٩، ٦٤، ٤٤، ٩، ٤٧، ٣٦، ٥٢، ١١-١٤، ٦٢، ١١، ٩٩٣.
الاستهزاء والتلاعب بالدين: ٢، ١٤، ٤، ١٤٠، ٥٨-٥٧، ٥، ٧٠، ٦، ٥١-٥٠، ٧، ٦٤، ٩، ٣٦، ١٦، ٣٤، ٢١، ٣٦، ٤١، ٢٦، ٦، ٣٠، ١٠، ٣١، ٣٦، ٦، ٣٠، ٤٨، ٤٥، ٩-١٠، ٣٣-٣٤، ٤٦، ٢٦، السخرية بأهل الإيمان: ٢٦، ٢١، ٥٦، ٩، ٧٩، ١١، ٨، ٣٨-٣٩، ٢٣، ١٠٩-١١٠، ٢٦، ١١١، ٣٧-١٢، ١٤، ٣٨، ٦٢-٦٣، ٣٩، ٥٦، ٤٩، ١١، ٨٣، ٢٩-٣٢.
الاقتراء على الله: ٦، ٢١، ٩٣، ١٣٧-١٤٠، ١٤٤، ٣٧، ٥٦، ١٦، ٥٦، ١٠٥-١٠٦، ١٨، ١٥، ٢٩، ١٣، ٤٦، ٨، ٢٨.
الصد عن سبيل الله: ٩٩، ٨٦، ٩٠-٩١، ١٤، ٣، ١٦، ٨٨، ٩٤، ٥٨، ١٦، ١٥، ٥٥-٥٦، ٣٩، ٥٣.
اتباع أهواء الكافرين: ٢، ١٢٠، ١٤٥، ٥، ٤٨-٤٩، ٥٦، ١١٩، ١٥، ٣٧، ٤٢، ١٥، ١٨.
اتباع هوى النفس: ٢، ٨٧، ٤، ١٣٥، ٧٠، ٦، ٧١، ٩٩، ١٢، ١٠٧، ١٦، ٤٥، ١٧، ٦٧-٦٩، ١٨، ٣٥-٣٦، ٦٧، ١٦-١٧، ٧٠، ٢٧-٢٨.
الإصرار على المعصية: ٩، ١٢٦، ٢٥، ٤٢، ٤١، ١٧، ٤٥، ٧-٨، ٤٩، ١١، ٥٨، ٨، ٥٧١-٧، ٢٣.
تلبيس الباطل ثوب الحق: ٢، ٤٢، ٧١، ٣.
التبديل والتحريف لشرائع الدين: ٢، ٥٩، ٧٩، ١٨، ٣، ٧٨، ٤، ٤٦، ١٣، ٥، ١٣، ٧، ١٦٢، ٤٨، ١٥.
عقوق الوالدين: ١٨، ٨٠، ١٩، ١٤، ٣٢، ٤٦، ١٧.
الكيد: ١٢، ٥، ٢٨، ٥٢، ٢٠، ٦٠، ٢١، ٧٠، ٣٧، ٩٨، ٤٠، ٢٥، ٤٣، ٧٩-٨٠، ٥٢، ٤٢، ٨٦-١٥، ١٧.
التفريط في طاعة الله: ٦، ٣١، ١٦، ٦٢، ٣٩، ٥٦.
التحريض على ما يغضب الله: ٢٧، ٢٠، ١٥، ٦٧-٦٩.
ترك النهي عن المنكر: ٥، ٧٨-٧٩، ١٠٣، ٣-١.
تحريم ما أحل الله: ٥، ٨٧، ٣٢٧، ١٠، ٥٩.

تعدي حدود الله: ٢، ١٨٧، ٢٢٩-٢٣٠، ٤، ١٣، ٥٨، ٤، ٦٥، ١.
الجهر بالسوء: ٤، ١٤٨.
الأكل المحرم: ٢، ١٧٣، ٣٥، ١١٥، ٦١٦.
التسّمع للأكاذيب: ٥، ٤١.
الخمر والميسر: ٢، ٢١٩، ٤٣، ٥، ٩٠-٩١.
العداوة والبغضاء: ٥، ١٠٣، ٣.
الذبح لغير الله: ٢، ١٧٣، ٣٥، ١٢١، ١٦، ١١٥.
القتل وأنواعه: ٢، ١٧٨، ١٧٩، ٩٢، ٩٣، ٥، ٢٧-٣٢، ٤٥، ٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٥١، ١٧، ٣١، ٣٣، ٢٥، ٦٨، ٧٠، ١٢٦.
قتل المصلحين: ٣، ٢١، ٢٢، ٤٠، ٢٨.
السحر: ٢، ١٠٢، ١١٦، ١٠، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٢٠، ٦٩، ١٠٣، ٤.
الجبين: ٣، ١٥٦، ٤، ٧٢، ٧٣، ١٥٩، ١٦، ٤٤-٤٦، ٤٩، ٥٦، ٥٧.
الخداع: ٨، ٢، ٩٠، ٨٢.
الرشوة: ٢، ١٨٨، ٤، ٢٩، ٣٠، ٣٤-٣٥.
منع الخير: ٥٠، ٢٥، ١٩٧، ٢٣، ١٠٧، ٧-١٠.
الثقل: ٧، ٤٣، ١٥، ٤٧، ٥٩، ١٠.
الرشوة: ٢، ١٨٨، ٤، ٢٩، ٣٠، ٣٤-٣٥.
الغفلة: ٧، ١٣٦، ١٤٦، ١٧٩، ٢٠٥، ٧١، ٨، ٩٢، ١٦، ١٠٨، ١٩، ٣٩، ٢١، ١، ٢، ٩٧، ٣٠، ٦، ٧٠، ٦٣٦، ٧، ٢٢٠.
نقض العهود: ٢، ٢٧، ٣، ٧٧، ٥٥، ٥٦، ١٣، ٢٥، ١٦، ٩١.
التكبر: ٢، ٣٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٢٧، ١٣، ٣٦، ٤٠، ١٤٦، ٢٠٦، ٢٣، ١٦، ٢٩، ٣٩، ٥٩، ٦٠، ٧٢، ٤٦، ٢٠.
الأمن من مكر الله: ٣، ٥٤، ١٢٣، ١٢٤، ٧، ٩٩، ٣٠، ١٠، ٢١، ١٣، ٣٣، ١٤، ٤٦، ١٦، ٢٦، ٥، ٤٥، ١٧، ٦٨-٦٩، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ١٢، ٦٧، ١٦-١٧، ٧١، ٢٢.
الاسراف والتبذير: ٦، ١٤١، ١٧، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٢٥، ٦٧.
الزنا: ١٧، ٣٢، ٢٤، ٢، ٣، ٣٣، ١٢٦.

البهتان: ٤، ٢٠، ١١٢، ١٥٦، ٢٤، ٥، ١٦، ٢٣، ٢٤، ٣٣، ٥٨، ٤٩، ٦.
إشاعة الفواحش: ٢٤، ١٩.
فعل قوم لوط: ٤، ١٦، ٧، ٨٠، ٨٢، ١١، ٧٧-٧٩، ٢٦، ١٦٠-١٦١، ٢٩، ٣٣، ٣٤.
الإفساد: ٢، ٢٧، ٣٠، ٦٠، ٢٠٥، ٣٣، ٧، ٥٦، ١١، ٨٥، ١٢، ٢٥، ١٨، ٩٤، ٢٦، ١٥١، ٢٧، ٣٤، ٢٨، ٧٧، ٢٩، ٣٦، ٣٠، ٤١، ٤٧، ٢٢.
الغرور بالدنيا: ٣، ١٨٥، ٤، ١٢٠، ١٢١، ٦، ٧٠، ١٣٠، ١٧، ٥١، ١٧، ٦٤، ٢٨، ٧٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٥، ٣٩، ٤٩، ٤٠، ٨٣، ٥٧، ١٤، ٢٠، ٦٧، ٢٠، ٨٢، ٦.
إشاعة الأخبار الكاذبة: ٤، ٨٣، ٣٣، ٦٠، ٦١.
الفرقة والاختلاف: ٣، ١٠٣، ١٥٣، ١٥٩، ٢٣، ٥٢، ٥٣، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ١٣.
البغي: ٧، ٣٣، ١٠، ٢٢، ٢٣، ١٦، ٣٨، ٩٠، ٢٤، ٤٢، ٤٢، ٩.
الغضب: ٣، ١٠٣، ٦٠، ١٥١.
الجدال بالباطل: ٦، ٢٥، ١٢١، ٧١، ٦، ٨، ١٣، ١٣، ١٨، ٥٦، ٢٢، ٣، ٨٠، ٩، ٤٠، ٥، ٣٥، ٥٦، ٦٩، ٤٢، ١٦، ٣٥، ٥٧-٥٩.
البخل والشح: ٣، ١٨٠، ٣٧، ٤، ١٢٨، ٣٤، ٩، ٣٥، ١٧، ٢٩، ٤٧، ٣٨، ٥٧، ٢٣، ٢٤، ٩، ٦٤، ١٦، ٨٩٢، ١١، ١٠٤-٤.
السخرية والتنازع بالألقاب: ٢، ٦٧، ٢١٢، ٥٦، ٧٩، ١١، ٨، ٣٨، ٣٩، ٢٣، ١١٠، ٢٦، ١١١، ٣٧-١٢، ١٤، ٣٨، ٦٢، ٦٣، ٣٩، ٥٦، ٤٩، ١١، ٨٣، ٢٩-٣٢.
سوء الظن: ٣، ١٥٤، ١١٦، ١٠، ٣٦، ٦٠، ٦٦، ٤٩، ١٢، ٥٣، ٢٨.
التجسس: ١٧، ٣٦، ٤٩، ١٢.
الغيبة والنميمة: ٥، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ١٢، ٦٨، ١٠، ١٠٤-١.
تزكية النفس: ٤، ٤٩، ٥٣، ٣٢.
السرقة: ٥، ٣٨، ٣٩، ٦٠، ١٢.
كنز المال: ٩، ٣٤، ٣٥، ٧٠، ١٥-١٨.
الحسد: ٢، ١٠٩، ٤، ٥٤، ٤٨، ١٥، ١١٣، ٥.

أهم المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- المنتخب من تفسير القرآن الكريم.
- مختصر تفسير الطبري.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير السعدي.
- التفسير الميسر مجموعة من العلماء.
- المختصر في تفسير القرآن عدنان زررور.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
- المصحف المفهرس لشرح موضوعات القرآن ياسر بيومي.
- بصائر ذوي التمييز الفيروزآبادي.
- المصحف المفسر لأسرار التكرار في القرآن ياسر بيومي.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن عبد الباقي.
- كتب السنة.
- متشابهات القرآن أبو الحسن الكسائي.
- الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ جمال إسماعيل.
- سبيل التثبيت واليقين لحفاظ آيات الذكر الحكيم صفى الدين.
- موجز البيان في متشابهات القرآن صفى الدين.
- إرشادات إلى المتشابهات محمد معبد.
- دليل الحيران في متشابهات القرآن الزواوي.
- دليل مواضع القرآن الشبكة العنكبوتية.
- المعجم الموضوعي لآيات القرآن صبحي عبد الرؤوف.
- معجم مواضع القرآن دار المعرفة.
- مصحف معاني كلمات القرآن ياسر بيومي.
- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة محمد سالم محيسن.
- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها محمد سالم محيسن.
- طلائع البشر في القراءات العشر محمد صادق قمحاوي.
- شرح الهداية في توجيه القراءات أبي العباس المهدي.
- الجواهر في توجيه المتواتر خالد عبد الله.

- دليل المشتاقين إلى كيفية تعلم وحفظ القرآن ياسر بيومي.
- مصحف التبيان المفصل لمتشابهات القرآن ياسر بيومي.
- ألف سؤال وسؤال عن القرآن الكريم محمد خير الدين.
- التبيان في آداب حملة القرآن النووي.
- كيف يحفظ القرآن الكريم الشربيني.
- فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن الضباع.
- فضائل القرآن الكريم ابن عبد الوهاب.
- فضائل القرآن الكريم عبد الله بن جار الله.
- المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني.
- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة القحطاني.
- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة محمد السقاف.
- شرح أسماء الله الحسنى السعدي.
- مدارج السالكين ابن القيم.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ابن العثيمين.
- بدائع الفوائد ابن القيم.
- توضيح الكافية الشافية السعدي.
- التفسير القيم ابن القيم.
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ابن القيم.
- الحق الواضح المبين الهراس.
- شرح النونية الهراس.
- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ابن عبد الوهاب.
- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- الأسماء والصفات البيهقي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم.
- كتاب التوحيد ابن خزيمة.
- التدمرية ابن تيمية.
- مجموع فتاوى ورسائل ابن العثيمين.
- الكلام على الصفات الخطيب البغدادي.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان السعدي.
- شأن الدعاء الخطابي.

- الإعجاز العلمي في القرآن مجدي شرف.
- القرآن والعلم هارون يحيى.
- من آيات الإعجاز العلمي زغلول النجار.
- مع آيات الله حسن أبو العينين.
- الطب في القرآن عبد الحميد دياب.
- المفهوم العلمي للجبال زغلول النجار.
- الحقائق العلمية المعاصرة سعد المنسوب.
- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية أحمد مصطفى.
- العلم يقول القرآن هو الحق حسن يوسف.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن السعدي.
- مقالات من الشبكة العنكبوتية.
- البرهان في علوم القرآن الزركشي.
- الإتيان في علوم القرآن السيوطي.
- مباحث في علوم القرآن مناع القطان.
- التبيان في علوم القرآن محمد الصابوني.
- الوجيز في علوم القرآن محمد عبد المعطي.
- طريق المهجرتين ابن القيم.
- مدارج السالكين ابن القيم.
- أنواع الكفر عبد الله الأثري.
- فتح الباري ابن حجر.
- شرح مسلم النووي.
- منهاج المسلم الجزائري.
- آيات عتاب المصطفى في القرآن.
- قصص الأنبياء ابن كثير.
- سيرة ابن هشام.
- قصص القرآن مجموعة من العلماء.
- مقالات متنوعة مجموعة من العلماء.
- فتوى متنوعة مجموعة من العلماء.
- دروس وخطب متنوعة مجموعة من العلماء.
- آيات تأييد الرسول ﷺ في القرآن خالد عائض.
- النبي ﷺ كأنك تراه القسم العلمي بمدار الوطن.
- تعدد الزوجات في الإسلام محمد مسفر.
- التوراة والإنجيل والقرآن جعفر عتريس.

فهرست الملحقات

مباحث في علوم القرآن الكريم

التعريف بالوحي	١
التعريف بالقرآن	١
القرآن المكي والمدني	٣
أسباب النزول	٤
جمع القرآن الكريم	٤
الرسم العثماني للمصحف	٦
أقسام سور القرآن الكريم	٦
المحكم والمتشابه	٧
المتشابه اللفظي	٩
الناسخ والمنسوخ	٩
التفسير والمفسرون	١١
الإعجاز القرآني	١٤
الإعجاز اللغوي والتشريعي والغبيي	١٥
الإعجاز العلمي	١٧
المصحف الشريف بالأرقام	١٧
تلاوة القرآن	١٩
مقدار القراءة المستحبة	١٩
استماع القرآن	١٩
الانتفاع بالقرآن	١٩
هجر القرآن	١٩
القرآن الكريم (كلية الشريعة)	٢٠
في القرآن الكريم بيان كل شيء	٢٠
إعجاز القرآن	٢٠
شُعَبُ الحياة التي تناولها القرآن ببيان أحكامها	٢١
هداية القرآن للتي هي أقوم	٢١
الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي	٢٣
الأحرف السبعة	٢٣
القراءات	٢٦
تعريف الفرش والأصول والفرق بينهما	٢٧
(باب الاستعاذة)	٢٨
(باب البسملة)	٢٨
(باب الإدغام)	٢٩
(باب هاء الكناية)	٢٩
(باب المد والقصر)	٢٩
(باب الهمزتين من كلمة)	٣٠
(باب الهمزتين من كلمتين)	٣٠
(باب الهمز المفرد)	٣٠
(باب نقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها)	٣٠
(باب السكت على الساكن قبل الهمزة وغيره)	٣١
(باب وقف حمزة وهشام على الهمز)	٣١
(باب الفتح والإمالة بين اللفظين)	٣٢
(باب إمالة هاء التانيث وما قبلها في الوقف)	٣٢
(باب الراءات)	٣٢
(باب اللامات)	٣٢
(باب الوقف على آخر الكلم)	٣٣
(باب الوقف على مرسوم الخط)	٣٣
(باب ياءات الإضافة)	٣٣
(باب ياءات الزوائد)	٣٤
شرح مختصر لأسماء الله الحسنى	٣٥
مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة	٣٨
ثمار وأسرار معرفة أسماء الله الحسنى	٣٩
أحكام تجويد القرآن الكريم	٤١
تعريف التجويد	٤١
فصل في أحكام الاستعاذة والبسملة	٤٣
فصل في أحكام النون الساكنة والتنوين	٤٤
فصل في أحكام الميم الساكنة	٤٧
فصل في أحكام الميم والنون المشددين	٤٧
فصل في أحكام الالام المعرفة	٤٧
فصل في أحكام اللام الواقعة في الفعل	٤٨
فصل في أحكام الإدغام (المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين)	٤٨
فصل في أحكام المدود وأقسامها	٤٩
فصل في بيان مخارج الحروف	٥١
فصل في بيان صفات الحروف	٥٢
فصل في التفخيم والترقيق	٥٤
فصل في بيان القلقلة	٥٤
فصل في أحكام همزة الوصل	٥٥
فصل في المقطوع والموصول	٥٦
فصل في تاء التانيث	٥٨
فصل في كيفية التخلص من التقاء الساكنين	٦٠
فصل في بيان أقسام الوقف	٦٠
فصل في بيان التكبير وسببه وصيغته وابتدائه وانتهائه	٦١
علامات الوقف في المصحف الشريف	٦١
اصطلاحات الضبط في المصحف الشريف	٦١
توضيحات ينبغي مراعاتها للقارئ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية	٦٢
آداب التعامل مع القرآن الكريم	٦٣

فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم

٧٥	سُورَةُ غَافِرٍ
٧٥	سُورَةُ فُصِّلَتْ
٧٧	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٧٨	سُورَةُ عَبَسَ
٧٨	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
٧٨	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ
٧٨	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ
٧٨	سُورَةُ الْاَنشَادِ
٧٨	سُورَةُ الْبُرُوْجِ
٧٨	سُورَةُ الطَّاٰرِقِ
٧٨	سُورَةُ الْاَعْلٰی
٧٨	سُورَةُ الْغٰاشِيَةِ
٧٨	سُورَةُ الْفَجْرِ
٧٨	سُورَةُ الْبَلَدِ
٧٨	سُورَةُ الشَّمْسِ
٧٨	سُورَةُ اللَّيْلِ
٧٨	سُورَةُ الضُّحٰى
٧٨	سُورَةُ الشَّرْحِ
٧٨	سُورَةُ التِّيْنِ
٧٨	سُورَةُ الْحٰقِقِ
٧٨	سُورَةُ الْقَمَارِ - سُورَةُ النَّاسِ

فهارس لموضوعات القرآن الكريم

٧٩ التاريخ والقصص القرآني

٧٩ أنبياء ذُكروا في القرآن الكريم

٨٠ محمد ﷺ في القرآن الكريم

٨١ أمور العقيدة في القرآن الكريم

٨٧ الإنسان في القرآن الكريم

٨٧ الجن والشيطان في القرآن الكريم

٨٧ العبادات في القرآن الكريم

٨٩ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

٨٩ العلم في القرآن الكريم

٩٠ حديث القرآن الكريم عن القرآن

٩٠ الدعوة إلى الله تعالى

٩٠ أحكام الأسرة في القرآن الكريم

٩٠ حقوق الإنسان في القرآن الكريم

٩٠ الأخلاق الحميدة والآداب العامة

٩٠ الأخلاق الذميمة والأعمال المحرمة

٩٣ أهم المراجع والمصادر

[illegible][illegible]

إصدارات مطبوعة للمعد ياسر بيومي غفر الله له ولجميع المسلمين

المصحف المفهرس لشرح موضوعات القرآن الكريم

التاريخ والقصص القرآني، أنبياء ذُكروا في القرآن، محمد ﷺ في القرآن، الإعجاز العلمي في القرآن، حديث القرآن عن القرآن، الدعوة إلى الله، أحكام الأسرة، حقوق الإنسان، الأخلاق الحميدة والآداب العامة والأعمال الصالحة، الأخلاق الذميمة والأعمال المحرمة، العقيدة، الإنسان في القرآن، الجن والشيطان في القرآن، العبادات، الدعاء... وذكر ما في هذه الموضوعات من أحكام وفوائد ودروس وعبر... مذيلاً بـ:

محور موضوعات الآيات، تفسير كلمات القرآن الكريم، فهرسة لسور وأجزاء القرآن

مع استخدام الترميز اللوني للموضوعات المفصلة

المصحف المعلم ((لتيسير حفظ القرآن الكريم))

فكرة المصحف: تم تحديد كل مجموعة من الآيات عن طريق استخدام الترميز اللوني، ثم ذكر نبذة مختصرة عما تتحدث عنه هذه الآيات، ثم ذكر الآيات والألفاظ المتشابهات بهذه المجموعة من الآيات مع الترميز اللوني لها، ثم ذكر تفسير كلمات القرآن، وذلك كله لتسهيل عملية الحفظ، مع ملحق آداب أهل القرآن ونوايا حفظه...

المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم

يحتوي على أكثر من عشرة علوم من علوم القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم، شرح أسماء الله الحسنى، أسباب نزول القرآن، توجيه بلاغي للمتشابهات، فوائد لغوية وبلاغية لاستخدام الألفاظ في القرآن، فوائد الأعمال الصالحة، فوائد الجمع بين الآيات، فوائد وعظية، توجيه بلاغي للقراءات العشر، إعجاز علمي وتشريعي وتاريخي وعددي، نزول كل سورة وعدد حروفها وكلماتها وأسمائها ومواضيعها وفضلها، مع عدة ملاحق في علوم القرآن الكريم، فهارس لموضوعات القرآن الكريم، فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم، أحكام تجويد القرآن

مع استخدام الترميز اللوني لكل علم من علوم القرآن الكريم

مصحف النبيان في منشابهات القرآن "مختصر للمتشابهات"

مذيلاً بـ: الأحكام التي تراعى لحفظ عند مد المنفصل وقصره، مع ذكر عدة ملاحق في فضائل القرآن الكريم وكيفية حفظه وآداب تلاوته وأحكام تجويده

مصحف معاني كلمات القرآن الكريم

مذيلاً بـ: شرح أسماء الله الحسنى، مع ملحق ثمار وأسرار معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، بيان للأسماء الحسنى والصفات وذكر قواعد لها، فتاوى خاصة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا، معلومات عن كل سورة

مصحف النبيان المفصل لمنشابهات القرآن الكريم

مذيلاً بعدة طرق لكيفية ضبط المتشابهات، مع ذكر فوائد تتعلق بتوجيه المتشابه من حيث التفسير، وملحق لمتشابهات كل سورة مع نفسها، ومتشابهات قصص الأنبياء

المصحف المفهرس لمواضيع القرآن الكريم

يمكنك من خلاله استخراج مواضيع القرآن بدون عناء ولا مشقة، وذلك من خلال الفهرسة الموجودة بهامش المصحف

المصحف المفسر لأسرار التكرار في القرآن الكريم

تفسير وبيان لأسرار ما تشابه وتكرر والتبس من آيات القرآن الكريم، مع ذكر فوائد وحكم ومواعظ مستخرجة من الآيات القرآنية، وملحق إعجاز القرآن وتمييزه بالنظم المعجز عن سائر الكلام

مصحف التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم

مذيلاً بـ: محور موضوعات القرآن، وتفسير كلمات القرآن، وشرح موضوعات القرآن، هذا المصحف يحتوي على شرح لموضوعات العقائد والعبادات والقصص وسيرة النبي ﷺ والأخلاق وحقوق الإنسان وأحكام الأسرة والإعجاز... وذكر ما في هذه الموضوعات من أحكام وفوائد ودروس... مع ملحق فهرس لموضوعات القرآن الكريم

مع استخدام الترميز اللوني للموضوعات المطبوعة

دليل المطشاقين إلى كيفية تعلم وحفظ القرآن الكريم

يحتوي هذا الكتاب على أحد عشر فصلاً في علوم القرآن الكريم مع خرائط ذهنية لكل فصل التعريف بالوحي، التعريف بالقرآن، وفوائده وآداب قارئه ومتعلمه وحامله ومعلمه، والنيات في تلاوته وحفظه وتعليمه، وقواعد لكيفية حفظه وتثبيته ومراجعته، ونماذج لحفظه، والتعريف بسوره، وأحكام تجويده، وأخطاء شائعة عند قراءته، وبدع قرائه، وفتاوى خاصة به، مع خرائط ذهنية

الفنح الرباني في ضبط منشابه اللفظ القرآني

جمعت به الآيات المتشابهات الألفاظ بطريقة مختصرة

إصدارات تحت الطبع

دليل الطالبين في ضبط منشابه ألفاظ القرآن الكريم

عبارة عن موسوعة متفردة في مادتها وجمعها تحتوي على: متشابهات كل سورة مع غيرها، متشابهات كل سورة مع نفسها، متشابهات المواضع المتفردة في القرآن، متشابهات قصص الأنبياء، متشابهات الآيات المتكررة بنفس النص، ذكر قواعد وطرق مختلفة لضبط المتشابهات، توجيه بلاغي للمتشابهات، فهرس هجائي للمتشابهات

مصحف معلم التجويد والقراءة الصحيحة

مذيلاً بـ: الأخطاء الشائعة عند قراءة القرآن الكريم

جامع رواة المفسرين بهامش القرآن الكريم

مصحف الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

مصحف اللطائف القرآنية

